الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر

فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



مسجد نمرة بعرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث عن
المحرم وعاشوراء

وحديث « المحرم » لا يغنى عن ذكر « عاشوراء » فاذا تصدر « المحرم » شهور العام علما على بدايتها ، فان لعاشوراء تاريخا ـ وحده ـ يختص بالنبوة لدى الصفوة من أولى العزم من الرسل فكان يوم عاشوراء « يوم الأمم من قبلنا » كما أن « يوم عرفة » يوم الامة الأسلامية الى يوم الدين ٠

و « المحرم » شهر حرام يبدأ به العام الاسلامى وله حرمة الامن والسلام فيحرم فيه الأذى والقتل والتخريب ، ويسود فيه السلام شريفا فى عزة سيدا فى كرامة ٠

الجزء الأول ✽ السنة الثامنة والخمسون

✽ المحرم ١٤٠٦ هجرية ✽ سبتمبر/أكتوبر ١٩٨٥ ميلادية ✽

وليس من المصادفات أن يبدأ العام الاسلامى بالمحرم ، وهو شهر حرام ثم يبدأ نصفه الاخير بـ « رجب » وهو شهر حرام ، ثم ينتهى العام ــ كما بدأ ــ بذى الحجة ، وهو شهر حرام ، فذلك تقدير العزيز العليم الذى جعل حرمتها تملى على المسلمين حقوقها فى التزام السلام بين المؤمنين بعضهم لبعض ، فلا تفترق لهم مودة بفتنة ، ولا يفتر لهم وئام بخصومة • فهى من آن لآن تذكرة لما ينبغى أن يكون ، والزام بالمودة والوئام • فلا تراق دماء المسلمين مرضاة لأثيم•

وقد اجتمع لعاشوراء عديد من الفضل :

فهو ــ أولا ــ يوم مختار ، اختاره الله ــ عز وجل ــ ليكون ظرفا لنجاة أوليائه المكروبين • تم فيه نجاة نوح وموسى ــ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ــ بمعجزة ذات صبغة واحدة هى النجاة من الغرق •

روى أبو هريرة وابن عباس ــ رضى الله عنهم ــ هذا الحديث ، فجاء ــ بمسند أحمد ــ لفظ أبى هريرة قال :

« مر النبى ــ ﷺ ــ بأناس من اليهود قد صاموا يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا من الصوم (١) •• ؟

قالوا : هذا اليوم الذى نجى الله موسى وبنى اسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون ، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى ، فصامه نوح وموسى شكراً لله تعالى •

فقال النبى ــ ﷺ ــ :

أنا أحق بموسى ، وأحق بصوم هذا اليوم ، فأمر أصحابه بالصوم » •

البقية صفحة "٧٨"

(١) وهذا السؤال مصحوب من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعلمه بصيام قريش ــ فى الجاهلية ــ له .... وسيأتى ذلك . والله اعلم .

مع فضيلة الإمام الأكبر

كلمة الهجرة

كلمة فضيلة الإمام في عيد الأضحى المبارك

كيف يرى الإمام الأكبر الدور الثقافي للأزهر

من دروس

الهجرة الشريفة

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
"شيخ الأزهر"

فى ذكرى هجرة الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة الى المدينة ينبغى أن نستذكر ان هذا الحدث كان له مابعده فى سير الدعوة التى بعث الله بها رسوله ، وان نأخذ من أحداثها ، بل ومن مقدماتها ، وما أعد لها هاديا لنا فى مواجهة المصاعب التى تلاقيها الدعوة الاسلامية ، اذ لابد من الترتيب والتدريب ، والتخطيط وتجميع كل القوى العاملة فى هذا المجال ، حتى تتوحد الجهود فى خطة مرنة تسلك أسلوب العصر ووسائله ابلاغا للرسالة واغاثة للانسان ، كل انسان مما يلاقيه من فكر ضال مخرب للقوى الانسانية ، ومعرقل لنموها الروحى بالتدين الحق الذى جاء به الاسلام ، انقاذا للانسان من براثن الحيوانية المادية ، وارتقاء به وسموا الى مايؤهله لقيادة هذه الحياة بالعدل والاحسان .

واذا علينا قراءة واقعات الهجرة النبوية لنتخذها اماما فى التدبير والتفكير لما استجد من أحداث ألمت بالأمة الاسلامية ، فما أشبه الليلة بالبارحة .

هاهم أعداء الاسلام والمسلمين قد نشطوا فى الالتفاف حول الأمة ينتقصون منها الأرض ويثلمون العرض .

هاهى الاغراءات المادية تتوالى على الشعوب الاسلامية فى صور شتى من المعونات التى فى ظاهرها الرحمة ، وفى باطنها الفتنة عن الدين ، والصد عن سبيل الله .

هاهم المسلمون فى بعض البلاد التى لاتتحدث اللغة العربية قد اختلطت عليهم أمور الاسلام فلم يعودوا يعرفون الحلال من الحرام ، بله أركان الدين وفرغت قلوبهم من القرآن الذى يعصمهم من الزيغ ، وتبث بينهم دعاة الزيغ ، وهواة الفتنة ، كيدا للاسلام ، وثلما لوحدة المسلمين ، وباسم الانسانية فتنوا المؤمنين والمؤمنات عن دينهم .

وحتى أولئك الذين مازالوا يحملون شعيرة الاسلام ويقيمون بعض أركانه قد أغرتهم الكسوب فتجاوزوا الحلال الطيب الى الحرام الخبيث ، استكثارا للمال وانتهابا للأرزاق ، غافلين عن وصايا القرآن وتوجيهات صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم الى تحرى الكسب الحلال « **ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه** » .

قلة من المؤمنين لزموا طاعة الله منيبين اليه يرجون رحمته ويخافون عذابه كما كانوا قلة مؤمنة بالله وبرسوله وقت الهجرة ، لكن هؤلاء كانوا أشد حرصا على نشر الدين ، لم يبالوا فى سبيله بالتضحية بالمال والولد ، فهموا أنهم أصحاب هذه الدعوة ، وأنهم حملتها ، وأن عليهم أن يسلكوا الى ابلاغها للناس كل الطرق المشروعة ، لأنها شرع الله ودينه الذى ارتضاه لخلقه .

هذا الاستذكار لواقع المسلمين وقت الهجرة وماكانوا عليه — مع ضآلة عددهم — يبصرنا بواجبنا الآن نحو الحفاظ على هذا الدين فى صدور من ممنوا به واتبعوه سواء بولادتهم مسلمين أو كانوا ممن هداهم الله الى الاسلام .

واجبنا أن نأخذ بالأسباب التى توصلنا الى تلك التجمعات المسلمة فى كل

من دروس الهـجرة

مكان على هذه الأرض نشد من أزرها ، ونثبتها على دينها الاسلام ، ليكونوا قدوة حسنة ، ودعاة الى الله على بصيرة .

واجبنا أن نراجع خططنا نحو الدعوة الى الاسلام حتى تتضح لنا معـالم الطريق فان متغيرات العالم اليوم تقتضى اليقظة ، وتطوير الخطط .

واجبنا أن نتأمل مواقع العلل فى المجتمع الاسلامى لتحديدها ، وتقرير أوجـه علاجها ، اذ متى أصاب الدواء الداء كان الشفاء باذن الله .

نأخذ من الهجرة الشريفة القدوة فى الاعداد للأمور ، فما كان لرسول اللـه صلى الله عليه وسلم أن يهاجر الى المدينة الا بعد أن استوثق من متانة دينهـم ووفائهم بما تعاهدوا معه عليه ، فلا نقدم على أمر لا قوام له ولا سناد ، وانمـا نفكر ونقدر حتى اذا ما استبان وجه النفع كان المضى على الطريق الى غايته .

نأخذ من الهجرة تلك الحكمة التى قالت : خذ الرفيق قبل الطريق ــ فقد كان المؤمنون فى مكة يتوقون لافتداء الرسول من كل أذى ، لكنه صلى الله عليه وسلم وثق بأول من آمن به من الرجال فاتخذه رفيقا وصديقا ــ أبا بكر ــ رضى الله عنه حيث شارك فى الاعداد للهجرة وتحمل مخاطر الطريق ، وهو يعلم أن ما أقدم عليه جد خطير ، ولكنه عمق الايمان ، وصدق اليقين ، وقوة الدين .

ولهذا ينبغى أن نختار الدعاة من هذا الصنف الذى وهب جهـده وحيـاته لدينه ، يهاجرون فى سبيل الله ، يبتغون فضله ورضوانه ، لا يألون فى ذلك جهدا يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ، يعرفون أنهم قد حملوا الأمانة التى حملهـا الرسل من قبلهم ، تلك الأمانة التى عرضت على السموات والأرض والجبـال فأبين أن يحملنها وحملها الانسان .

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَـــالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِـنَ الْمُسْـلِمِينَ » .

نأخذ من الهجرة التوكل على الله ، والاستعانة به ، وليس التواكل واغفال

الأخذ بالأسباب فهاهو الرسول صلوات الله وسلامه عليه ــ يرتب مع صـاحبه كل خطوات الرحلة ، ويؤمن الطريق بالوسائل الميسورة ، ولكن الرفيق يلح عليه

الحزن والخوف من متابعة الأعداء ، فبيث الرسول فى نفسه الأمان والاطمئنــان « **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** » لقد رتبا الأمر واستصحبا كل مايضمن النجاح وذلــك واجبهما ، وماعداه فهما من قبل ومن بعد فى كنف الله وحمايته « **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُــمْ** » .

وكان النصر باذن الله ، فقد بلغ الرسول غايته ، ودخل المدينة فى حضون أهلها مستقبلين مهللين مكبرين مرحبين منشدين :

طلع البدر علينا ..

من ثنيات الوداع .

وجب الشكر علينا ..

ما دعا لله داع ..

دخل الرسول وصاحبه المدينة بسلام وأمان واثقا بوعد الله :

(لاتحزن ان الله معنا) .

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

فى عيد الأضحى المبارك

نحمد الله الذى هدانا للاسلام دينا ، وأنعم علينا بالقرآن هاديا الى خير العلم والعمل ، وجعلنا نحن المسلمين خير أمة أخرجت للناس .

أيها الاخوة

هذا يوم عيد الأضحى ، أهنئكم بمقدمه .

فقد جاء عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه أبو داود « أعظم الأيام عند الله يوم النحر » .

كما روى أيضا « أمرت بيوم الأضحى عيدا جعله الله لهذه الأمة » .

نعم : اختص الله هذا اليوم الذى اختاره وفضله بسمات يسمو بها على غيره من الأيام فهو يوم بر ، واحسان ، وصلة للفقراء والمساكين والأهل والاقربين والجيران ، بل هو من أعظم أيام التكافل الاجتماعى فى الاسلام .

ففى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى أخرجه أصحاب السنن وصححه الترمذى (يوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام ، وهى أيام أكل وشرب) .

واذا كان الله سبحانه قد اصطفى من البشر رسله وأنبياءه ، فقد اصطفى من الأيام أعيادا اختصها بمزيد من فضله ورحمته ، ومن الأوقات ما اتخذه ميقاتا لعبادته ومن الأماكن ما باركه وجعله مثابة للناس وأمنا ليرشدنا أن أيام الاعياد وأوقات وأماكن العبادات ينبغى أن تصفو فيها النفوس ، وينتشر البشر والتسامح والتقارب ، بل والتعاطف وصلة الرحم .

تلك من شعائر هذا العيد ، ينبغى أن نملأ بها القلوب ، وأن نحيى بها الصلات حتى تستقر بين المسلمين وتصبح سمة لهم ، ولحمة وسدى لمجتمعاتهم ، يقوى بها نسيج المجتمع الاسلامى فيكون مجتمع التلاحم والتراحم الذى وصفه رسول

الاسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ولقد كان أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما وصفهم الله يمثلون هذا الوصف الجميل الجليل حيث قال مثنيا عليهم : « رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا » .

ولقد علم الله أمة الاسلام بأن يصل حاضرها ماضيها مودة واخاء ، وصفاء ، ونقاء ، تتعاقب أجيالها متوائمة متكاملة ، لايشنأ الأحفاد الأجداد ، وانما يستكملون مسيرتهم وسيرتهم فى رفعة الاسلام وجمع كلمة المسلمين ، ينقون قلوبهم ويطهرون بواطنهم من الغل والحقد والحسد « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » .

ولقد شرع الله لنا فى هذا اليوم سنة الأضحية ، سمة من سمات التكافل فى المجتمع الاسلامى ، وطريقا الى البر بالفقراء ووسيلة للتهادى بين الأقارب والمعارف والجيران تذهب بها حفيظة النفوس .

والأضحية فى يومنا هذا سنة مؤكدة على كل قادر عن نفسه وعمن يعولهم ، ومن الأئمة من رآها واجبة على كل مستطيع وبقدر استطاعته ، ومن تطوع خيرا فهو خير له .

وتمتد أيام الأضحية الى اليوم الرابع لهذا العيد المجيد .

هذه شعائر توحى الينا أن هذه الأيام باركها الله وأتم فيها الدين ففيها نزل قوله سبحانه : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » .

نعم اكتملت فيها شعائر الحج ومناسكه ، ولهجت الألسنة والأفئدة بالتكبير والتهليل والذكر اتباعا لقول الله سبحانه : « لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ » .

فهلا تذاكرنا هذه الشعائر ، واستعدنا الصفاء والنقاء لأمتنا .

تلك الأمة التى أعزها الله بالاسلام ، وأقام بنيانها على العدل والطهر والايمان فأرست قواعد الحرية التى تزكو بها المدارك وأسس المساواة التى يقوم عليها العدل ، وزمام الأمن الذى ينعم الناس فيه بثمرات العمل وكوامن الأمل .

هلا تذاكرنا أننا فى الأشهر الحرم : **« إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ »** .

فمالنا تظالمنا ، وتقاتلنا ، فقتل المسلم أخاه ، لادفاعا عن الدين ، ولا ردعا عن معصية الله ، وانما استعلاء فى الأرض وطلبا للسلطان على الناس ونشر مبادىء وعادات ما أنزل الله بها من سلطان .

ومالنا أهلكنا الحرث والنسل ، وتغافلنا عن الاحتكام الى شرع الله وكتابه الذى قال عنه : **« إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »** .

ومالنا قد أعرضنا عن كل نصح ، فقست منا القلوب وسرت فينا عوامل الوهن، بما شاع بيننا من النزاع والخصام ، واحتدام الفرقة ، والتمزق ، وأحيينا ما أماته الاسلام من عصبية عرقية ، ونسبية مع أن الاسلام هو نسبنا ، وهو عرقنا وهو وطننا وحسبنا .

ومالنا قد مالت فى أيدينا الموازين ، فلم نعد ندرك أين مصالح هذه الأمة ، فقد ضحينا بوحدتنا ، فاغتصب أعداء المسلمين أرضنا واستنزفوا ثرواتنا ، وأوقعوا الفتنة فيما بيننا فاشتعلت الحروب بين المسلمين ، فهذه الحرب بين ايران والعراق قد احتدمت وامتدت سنوات وهذه الفرق والفرقة فى لبنان قد التهبت . وكلما خبت ، زادها المفسدون فى الأرض اشتعالا حتى احترق الأخضر واليابس ، وأكلت البشر والوبر .

ولقد اجتمع مؤتمر علماء المسلمين لثانى مرة يذكرون بحكم الله .

« وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » .

يا قومنا أجيبوا داعى الله وأوقفوا هذه الحروب وحافظوا على الحياة التى وهبها الله لكم ، أبنائكم ، وأموالكم ودياركم ، اذ كل أولئك أصبح وقودا لحرب طالت واستطالت ، ولا يستفيد منها الا أعداؤكم المتربصون بكم الدوائر •

ليكن هذا العيد حافزا للتضحية بالأهواء والشهوات والأحقاد ، ولنرتفع بهفوق هذه المحن والفتن لنصون مجتمع الاسلام وامة المسلمين من الفرقة والتمزق •

علينا أن نأخذ على أيدى أولئك الذين أشعلوا النار ودأبوا على اشاعة الالحاد، وبذر الفساد وتفجير القبلية والعنصرية بين صفوف المسلمين حتى صار بأسهم بينهم شديدا وقلوبهم شتى •

ان هذا العيد يذكرنا بأن رسول الله ﷺ أعلن فيه ما نسميه الآن بحقـــوق الانسان • كان مما قال :

« الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى » •

« المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله » •

هلا نذكر أن الله جمع أبناء وبنات الشعوب الاسلامية بالأمس على عرفات جنبا الى جنب ذاكرين الله ملبين نداءه • « وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ » لم يعــرف أحدهم وهو فى هذا الموقف الجليل الا انه مسلم ينتسب الى أمة الاسلام ، وليس الى أرض ولا الى ملك أو رئيس فعلام اذا هذا القتال وتلك الحروب ، وهذه الحدود والسدود ؟؟

ان شعوبا أخرى ليست بينها أواصر القربى والوحدة التى بين المسلمين سعت وتسعى جاهدة للتقارب والتعاون والتعالى على أسباب الخلاف لتصنع الحياة لبلادها ولتصون استقلالها •

فمالنا وقد جمع الاسلام بيننا وهو أقوى صلات القربى قد هجرنا تعاليمـــه وغفلنا عن قول الله « وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ » •

ان الأزهر الشريف يهنىء أصحاب الجلالة والفخامة الملوك والرؤساء العرب والمسلمين بهذا العيد ويناديهم أن تقدموا وأصلحوا واجمعوا الصفوف ، وتخطوا العقبات فان خطرا داهما يتربص بالمسلمين فى كل مكان ، أسرعوا واحموا البلاد والعباد من أن تكون حقل تجارب لأسلحة الدمار والخراب التى تخربون بها بيوتكم وتقتلون بها أولادكم وينهب بها ــ غيركم ــ أموالكم وثرواتكم •

سارعوا الى مغفرة من ربكم ، بالوحدة وجمع الصفوف ، تخطـــوا أولئك

٥

المتخلفين المناوئين الذين يعملون ضد صالح الاسلام والمسلمين خذوا من هـــذا العيد ، شرف التضحية ، وكونوا عبادا لله اخوانا ، ولنسمع نداء الله ولنعمل به :

« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّـــارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » ٠

اللهم أهدنا وولاة أمورنا اليك ، والى اصلاح ذات البين وجمع الكلمة ووحدة الصف ٠

اللهم ارفع عنا ما نزل بنا من فرقة وشتات ، وأوقف برحمتك هذه الحروب التى أهلكت الحرث والنسل اللهم اشدد أزر أهل دينك المسلمين فانهم أولياؤك وانت نعم المولى ونعم النصير ٠

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٠

شـــيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

كيف يرى الامام الاكبر

الدور الثقافى للأزهر

اثارت صفحة « دنيا الثقافة » قضية الازهر وما كان له من دور ثقافى فى حياتنا افتقده فى ظل قانون تطوير الازهر ٠

لقد بات الازهر يخرج المهندسين والاطباء والمحاسبين لكنه لم يعد يخرج اصحاب الفكر والابداع ٠

وامتدت القضية وتشعبت لتغطى مساحة زمنية عريضة ، وشارك فيها بالرأى الصفوة المستنيرة من كبار علمائنا ومفكرينا وكتابنا ٠

وكان لابد فى خاتمة المطاف من أن تطرح « دنيا الثقافة » ماقيل فى شكل تساؤلات على فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر ليرى فيما قيل رأيه ٠

*** فضيلة الامام الاكبر ٠٠ ألا ترى مع الكثيرين أن الازهر يخرج الآن الأطباء والمهندسين لكنه يتراجع من حيث تخريج أصحاب الرأى والفكر والابداع ؟**

** ان أصحاب الفكر والرأى أو لعل الأحرى أن نقول : ان الفكر والرأى لايخرجان من المدرسة أو الجامعة ، وانما لابد بعد التخرج من وقت للصقل والتجربة والاحتكاك بالحياة العملية ٠

ان أحدا لاينكر أن الأزهر يخرج المئات والألوف فى شتى التخصصات لكن المتخرج بمجرد تخرجه لابد وأن يباشر الحياة العملية ، ولابد أن ينزل الى المنافسة والى اكتساب الخبرة ، وهذه هى التى تصقله وهى التى تظهر مواهبه ٠

هناك الكثيرون ممن تخرجوا من الأزهر لديهم الخبرات ولديهم المواهب ، ولكن ما مدى علم الاعلام بهم ؟.

ان الاعلام المقروء ويتمثل فى الصحف ينبغى أن يعرف الرأى العام بهم .

ان الاعلام قد اغلق فى وجوه الخبرات الجديدة .. ان صفحات الصحف موزعة أو أستطيع أن أقول انها مسندة اسنادا كاملا الى الصحفيين أرباب المهنة، وهذا لاشك قد أقفل الباب أمام هؤلاء الذين يمكن أن يعرضوا على الناس خبراتهم ومواهبهم ، ويمكن أن ينصقلوا بنشر المواهب والخبرات التى يزاولونها .. فمن أين اذن نتعرف على هؤلاء اذا غلقت الأبواب أمامهم ؟.

قرار التطوير ليس هو السبب الوحيد

*** بعض علمائنا ومفكرينا يرون ان قرار تطوير الازهر هو السبب الذى يكمن وراء تقلص دوره الثقافى ، فهل ترى فضيلتكم ما يرونه ؟.**

**** أعتقد أن فى هذا الرأى تجاوزا .. قد تكون هناك معايب فى التطبيق لكن قانون التطوير ليس هو كل السبب .. مثلا لم تكن اللغات تدرس فى المعاهد** الأزهرية قبل قانون سنة ١٩٦١ وأصبحت دراستها اجبارية ، ولم تكن العلوم الرياضية وغيرها تدرس أيضا بصفة أساسية فأصبحت تدرس ، لكن امكانات التفوق فى هذه الدراسات ليصل الطالب بعد دراسته الاعدادية والثانوية الى جامعة الأزهر وليدخل هذه الكليات المعملية كما يطلق عليها لابد وأن تكون دراسته دراسة عميقة مؤهلة لتلقى الدراسة العليا فى هذه الكليات ، والأمر الواقع ليس فى معاهد الأزهر فقط وانما فى التعليم العام ككل أن دراسة اللغات ليست بالمستوى المجزى أو الذى يؤهل للتفوق حتى بدرجة جيدة فى مواصلة الدراسة العالية فى هذه الكليات ، هذا الى جانب اثقال طلاب المعاهد الازهرية بالمناهج الكاملة للعلوم العربية والشرعية مع هذه المواد العلمية الأخرى .

وينبغى أن يكون هناك تنسيق بين هذه المناهج ، وهناك مقترحات تدرس الآن لعلاج هذا الخلل الدراسى الذى أدى فعلا الى ضعف الطلاب وعجزهم عن المواصلة الدقيقة الجيدة للدراسة فى الجامعة لاسيما فى الكليات المعملية .

ما أريد أن أؤكده هو أن ما جاء به قانون سنة ١٩٦١ ليس هو السبب الوحيد فيما نحن بصدده .

لم يتحقق الهدف من التطوير ؟

*** كان الهدف كما قيل من انشاء الكليات العلمية والعملية بالأزهر كالطب والهندسة ٠٠ الخ هو توفير الدعاة الذين يجمعون بين الثقافتين العلمية والدينية لايفادهم الى الدول الافريقية الاسلامية المحتاجة الى التخصصين معا العلمى والدينى ٠٠ فهل تحقق هذا الهدف ؟٠**

* * لم يتحقق فعلا ٠٠ ونحن حتى فى بلادنا فى حاجة الى هذا النوع من الدارسين ، فلدينا المحافظات التى أطلقنا عليها النائية كسيناء والبحر الاحمر وغيرها من أطراف بلادنا التى ينبغى أن نعنى بها وأن يكون الطبيب أو المهندس الذى يعمل فى هذه البلاد جامعا بين ثقافته التخصصية المهنية وبين الثقافة الاسلامية ليكون قادرا على أن يؤم الناس فى الصلاة وعلى أن يفتيهم فى أمور دينهم ، هذا فضلا عما أشرت اليه من حاجتنا الى الدعاة الاسلاميين من هذا النوع ، لكن وبكل أسف لم نستطع توفير هذا الداعية للآن ، ولعل السبب هو ضعف الدارسين أيضا فى اللغات ثم انصرافهم بعد الالتحاق بالكليات العملية كالطب والصيدلة والهندسة والزراعة والعلوم ٠٠ الخ عن الدراسات الاسلامية بحيث أصبحت معلوماتهم فى هذه الناحية ضحلة وضئيلة لاتؤهل واحدا منهم لأن يتصدى للافتاء أو التعليم ٠٠ انهم ينظرون فى تلك الكليات الى الدراسات الاسلامية أو الثقافة الاسلامية أو أى مسمى يطلق على هذه الدراسات لديهم كما ينظر اخوتنا وزملاؤنا فى التعليم العام الى دروس التربية الدينية ٠٠ انهم لا يأخذون الأمور بجد اطلاقا ، وهذا أمر يجب أن يعالج على مستوى جامعة الأزهر ، وأن يعنى فعلا بهذه الدراسات أو الثقافة الاسلامية للدارسين فى الكليات العملية حتى يمكن أن يتحقق ما هدف اليه القانون من انشاء هذه الكليات ٠

كل عمل لابد أن يراجع ٠٠

*** الآن وقد مضى على قانون تطوير الأزهر ربع قرن ٠٠ ألا ترى فضيلتكم وجوب اعادة النظر فيه على ضوء التجربة وتقييمه لتلافى السلبيات وتدعيم الايجابيات ان وجدت ؟ ٠**

* * لاشك أن كل عمل لابد أن يراجع وأن يستظهر ، أو يستظهر القائمون على التطبيق الايجابيات والسلبيات التى ترتبت عليه ، وهذا القانون وقد مضى على تطبيقه ربع قرن كما هو واضح ينبغى أن تراجع ايجابياته وسلبياته حتى

يمكن أن نسارع أو يسارع المسئولون فى الأزهر بوجه عام الى أن تكون الايجابيات أكثر من السلبيات •

*** هل ينبغى على أزهرنا كى يستعيد دوره الثقافى أن يواكب روح العصر وأن ينفتح على الفكر الحر المستنير وأن يمزج بين القديم والجـــديد ؟•**

** لعلى أقول لهؤلاء الذين يدعون دائما الى التخلى عن الماضى : ان هؤلاء الذين وضعوا أقدامهم فوق القمر ، وهؤلاء الذين يجوبون الفضاء فى كـل يـوم لم يرتقوا الى هذا الا بعلوم الأولين • وان علم الانسانية دائما متصل منذ كـان آدم عليه السلام ، وهو متطور دائما فلا انفصال بين الحديث وبيـن القـديم ، وتخصص الأزهر أو اختصاصه قائم دائما على أساسين لا غنى عنهما هما القرآن والسنة عليهما وحولهما تدور كل تخصصات الأزهر قديمه وحديثه •• كل ماينبغى على الأزهر أن يرعاه هو ألا يقف عند القديم ، وأن ينظر دائما فيما يدرسه أو فيما يقدمه للناس الى أن أقوال السابقين هادية ومرشدة وقد تكون وسائلهم قـد تجاوزها هذا العصر وينبغى أن تكون الوسائل عصرية وأن تكون العلوم المستحدثة فى خدمة الثقافة الاسلامية والعربية •

فلنأخذ من تراثنا ما يصلحنا ••

*** عملية انتقاء واختيار كتب التراث وعدم وقوف الأزهر عند التراث لمجرد أنه تراث •• ألا تساعد على استعادة الأزهر لـدوره الثقـافى ؟ •**

** كما قلت : التراث لاغنى عنه ، والتراث كتب بلغة عصره وبما وصل اليه الانسان فى هذا العصر ، ونحن نجد دائما أن أية أمة تهمل تراثها لايكون لثقافتها كيان أو قوام ، ومن هنا لاينبغى أن نهمل القديم لأنه قديم ، وانما علينا أن نأخذ منه زادنا لعصرنا •

انني من الذين يدعون الى نفض التراب عن هذا التراث ، وأن نأخذ منـه ما يصـلحنا •

ان العادات والقيم والثقافة ليست بنت يوم أو سنة أو شهر وانما هى بنت التاريخ ونحن لنا تاريخ كأمة اسلامية وعربية يمتد الى أكثر من ألف وأربعمائة سنة .. لاينبغى أن نهدر هذا التراث وهذا التاريخ وهذه القيم بل ينبغى أن نحتفظ بذاتيتنا وشخصيتنا وسماتنا المميزة .

ان هؤلاء الذين يدعون الى تجاوز الماضى كله انما يدعوننا الى أن نترك شخصيتنا وأن نتقمص شخصية الآخرين .

اننا نباهى بأن الغرب أخذ عن الشرق لكن هل ترك الغرب شخصيته أم احتفظ بها ؟ .. لم ونحن نستقدم من الغرب حضارته المادية ونلهث لنلحق به نريد أن نمحو شخصيتنا وقوميتنا لم نريد أن نذوب فى غيرنا ؟.

ان من الخير أن نحتفظ بتراثنا وأن نستفيد منه وأن نعرضه على الناس كمرحلة من مراحل هذه الحياة لأن الله سبحانه خلق الانسان وأرسل الرسل مراعيا تطور الانسان واستعداده لتقبل الرسالة حتى اذا شب الانسان وصار أهلا لتلقى الرسالة الخاتمة وهى رسالة الاسلام كانت هذه الرسالة التى ليست بعدها رسالة من السماء لأنها صالحة .

ألا نرى أن الاسلام فى قرآنه وفى سنة رسوله كان هاديا وداعيا للعلم ؟

ان أول ما نزل من القرآن قول الله تعالى: « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ » .

ثم تتوالى آيات القرآن فى الحث على العلم والتعليم وعلى النظر فى السموات والأرض ومعرفة أسرار هذا الكون ، فقعود المسلمين عن اللحاق بركب العلم أيا كان نوعه انما هو عجز شخصى وليس لدينهم ولا لتاريخهم ، ومن قبل استوعب المسلمون ثقافة الفرس والرومان ولم يكونوا فرسا ولا رومان وانما كانوا مسلمين لأنهم استفادوا من هذه الثقافات حتى صارت اسلامية واصطبغت بالصبغة الاسلامية .

كيف يرى الامام الأكبر الدور الثقافي للأزهر

اننى لأتمنى أن نأخذ عن الحضارة المعاصرة وهى حضارة فى جملتها مادية ما ينفعنا وما يفيدنا فى بلادنا وفى رقى أنفسنا دون أن نترك تراثنا ولا ديننا ولا سماتنا الذاتية .

*** وما رأيكم فيما ينادى به البعض من أنه ينبغى على المهتمين بأمور الثقافة فى أزهرنا الشريف أن يحذفوا ويستبعدوا كل ما يؤدى الى السخرية من العلم والحضارة والعقل وتصوير حضارة الغرب بأنها ظلام فى ظلام ؟ .**

** أن من يصور الحضارة الحالية للغرب بأنها ظلام فى ظلام .. أعتقد أنه غير مبصر ولا بصير ..

لاشك أن الحضارة الغربية لاسيما فى العقود الأخيرة من هذا القرن قد تطورت تطورا سريعا وهى حضارة فى جملتها مادية ، لكن الغرب خاو كانسان نحن نريد أن نأخذ عن الغرب ما ينفعنا من هذه الحضارة وما تزدهر به حياتنا فى بلادنا ، لكن لا ننصرف اطلاقا عن الجانب الآخر الذى ربانا عليه الاسلام وهو الجانب الروحى .

اننى كما قلت : ان هذا الغرب لم تنشأ حضارته من فراغ انما أخذ ما كان لدى الشرق من علم وبجدة وسعيه اتسعت أمامه آفاق هذا العلم وطوره وتطور به، وهذا ما ينبغى أن نسلكه لا أن نقطع صلتنا بتاريخنا وتراثنا والا أصبحنا كمن يستبدل ساقيه اللتين خلق بهما بعكازين من خشب قد ينكسران .

البحوث والدراسات مآلها المخازن

*** ثمة من يرى أرتباطا بين بحوث الأزهر ودراساته وبين دوره الثقافى ويتساءل : أين بحوث الأزهر التى يمكن اعتمادها أساسا لتطوير المجتمع المصرى اسلاميا ؟ .. ان المستقبل الثقافى للأزهر كما يقولون ليس معزولا عن الظروف الاجتماعية على المستوى القومى ولا على المستوى العالمى ؟.**

** ان الدراسات التى يقوم بها الأزهر تتمثل فى الأغلب فيما ينتجـــه الباحثون فى الدراسات العالية ، ونحن نعرف مدى قدرة هؤلاء الدارسين فى ابراز دراســـاتهم •

انه من القصور الواقع وأعتقد أنه ليس فى الأزهر وحده وانما فى كافـــة جهاتنا الثقافية على اختلاف درجاتها أن الباحثين يجدون ويجتهدون ويدرســـون وينتجون ثم يكون مآل هذه الدراسات الى مخازن كلياتهم التى درسوا فيها ، ومن استطاع منهم بجهده الفردى النشر أو الاذاعة أو الحديث عنها أو اذا انفتح لـــه عمود أو صفحة فى الصحف لتبشر به أو تخبر عنه كان سعيدا •

ونحن لا نرى فى حياتنا الثقافية لاسيما فى الصحف ما كنا نراه ونحن طلاب •• كانت الصحف تخصص للأدباء وللشعراء وللكتاب فى شئون الاجتماع والدين والسياسة صفحات وصفحات •

لقد كان هذا ابرازا للمواهب وتشجيعا لها وتنمية واستكثارا منها وخلقـــا لروح التنافس بين الشباب بل وبين الشيوخ أيضا فأين صحافتنا مما كانت عليـــه فى الماضى ؟•

اننا لنرجو أن تنفتح صدور الصحافة على اختلاف أنواعها للناشئين وأعتقد أنها سترى الكثير وستقوم هذه المواهب وتصقلها •

لو فعلنا ذلك فسوف نرى انتاجا وأجيالا جديدة يمكن أن تظهر وأن تكـــون فى المستوى الذى ننشـــده •

*** والآن وبعد أن استعرضنا ما يراه علماؤنا ومفكرونا •• كيف يمكن فى رأى فضيلتكم أن نعيد للأزهر دوره الثقافى ، أو كيف يمكـــن أن نوجد توازنا بين دوره التعليمى ودوره الثقافى بحيث لايطغـــى احدهما على الآخـــر ؟•**

** اعتقد أن الدور الثقافى للازهر قد اتسع مداه الآن •• اننا اذا نظرنا الى عدد العلماء الذين يعملون فى المجالات العامة غير التعليمية لوجدنا عددا كبيرا وله جهد ينبغى أن يذكر وأن يشكر ليس فى مصر فقط وانما على مستوى العـــالم الاســـلامى •

ان للأزهر أكثر من خمسة آلاف من العلماء يعملون خـــارج مصر ليس فى المدارس فحسب وانما فى مجال الثقافة والتثقيف فى البلاد التى يعملون بها .

انهم يعلمون الناس ويثقفونهم ويكتبون وينشرون فى صحف تلك البـــلاد لكننا فى مصر لا نحس بهم .

ان فى مصرنا الان علماء ينتشرون فى كل محافظات مصر يدرسون فى معاهد الأزهر التى تربو على ١٥٠٠ معهد ، وفوق أنهم يدرسون يعملون فى الثقافة العامة .. يلقون المحاضرات .. يحضرون الندوات وكل هذا هو مجال الثقافة العامـــة الميسورة أو الميسرة لهم ، لأن سبل التثقيف متعددة ومتنوعة وهـــى بكـــل أسف ليست فى يد الأزهر وحده .

ان الأزهر ليست له صحيفة .. ليست له وسيلة من الوسائل التى يســتطيع أن يستخدمها لابراز دور أبنائه فى الثقافة بوجه عام سوى مجلة الأزهر وهـــى تصدر شهريا وقارئها يستطيع أن يحكم على ما تنشر وتقـــدم من مواد ثقافيـــة متنـــوعة .

لا أقول ان الأمر بلغ مرتبة الرضا التام لأن كل انسان دائما يتطلع الى أن يصل الى درجة أعلى مما هو فيه ، وأتمنى على اخوتى العلماء أبناء الازهر أيا كانت مواقعهم أن يجيدوا أعمالهم وأن يعملوا دائما على نشر الثقافة وأن يتعاونوا فى ذلك بمزيد من العناية مع كافة الهيئات والجهات حتى ينتشر العلم والثقافة بيـــن مواطنينا فى مصر وبين أمتنا العربية والاسلامية التى يحمل الأزهر عبئـــا كبـــيرا فى سبيل نشر الثقافة بين أفرادها .

دراسات إسلامية

الهجرة وأنواعها وأحكامها

من علوم القرآن "الإعجاز" القبر أول منازل الآخرة

الشريعة في مجلس الشعب

الهجرة وأنواعها وأحكامها

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

« وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ٠٠ » ٠

سورة النساء : ١٠٠

الهجرة ــ بكسر الهاء ، وضمها : لغة الخروج من أرض الى أخرى ٠

وتطلق على مطلق الترك كالهجر ٠

وفى عرف الاسلام هى : الخروج من دار الكفر الى دار الاسلام ٠

وقد أوجبها الله على المسلمين حين اشتدت فتنة الكفار وايذاؤهم اياهم بمكة ــ أوجبها عليهم ــ حماية لدينهم وعصمة لأنفسهم ، وتوعد من لم يهاجر منهم بعذاب الجحيم ان كان قادرا على الهجرة قال تعالى : « **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِى أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً** » (١) ٠

واستثنى الله من هذا الوعيد المستضعفين العاجزين من الرجال والنساء والولدان بقوله « **إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً** (٢) ٠

وحرم المقصرين فى الهجرة من ولاية المسلمين لهم بقوله : « **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا** » (٣) ٠

وفى الآية موضوع المقال « **وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ** » يرغبهم الله فى الهجرة بأنهم سيجدون فى أرض الله أماكن كثيرة صالحة

(١) سورة النساء : الآية ٩٧ .
(٢) سورة النساء : الآيتان ٩٨ ، ٩٩ .
(٣) سورة الانفال : من الآية ٧٢ .

للهجرة وسعة الرزق ، وأن من أدركه الموت فى أثناء الهجرة إله ورسوله وقبل أن يصل الى دار الهجرة التى أرادها لسلامة دينه ونفسه فان أجره واقع على الله تعالى ، كما لو كانت هجرته قد وصلت الى غايتها ، وانتهت الى مداها .

والمراغم هو المكان الذى يتجه اليه المهاجر يبتغى المقام به ، مأخوذ من الرغام وهو التراب — يعنى أن من يهاجر فى سبيل الله ، يجد فى أرضه تعالى أماكن كثيرة خالية تصلح مبتغى لمعاشه .

قال السدى : المراغم المبتغى للمعيشة .

وقال القرطبى : المراغم موضع المراغمة ، فكأن الكفار من قريش أرغموا أنوف المحبوسين بمكة ، فلو هاجر منهم مهاجر لأرغم أنوف قريش — أى ألصقها بالرغام وهو التراب — لحلوله فى منعة منهم ، فتلك المنعة هى موضع المراغمة ومنه قول النابغة الذبيانى

كطود يلاذ باركانه
عزيز المراغم والمهرب

وتفسير السعة بأنها البسطة فى الرزق مروى عن ابن عباس والربيع والضحاك .

أما قتادة فيفسرها بما يشمل الدين والدنيا فيقول : سعة من الضلال الى الهدى، ومن العيلة — أى الفقر — الى الغنى .

وقال مالك : السعة سعة البلاد ، وهذا أشبه بفصاحة العرب فان بسعة الأرض وكثرة المعاقل ، تكون السعة فى الرزق واتساع الصدر لهمومه وفكره وغير ذلك من وجوه الفرج ، ونحو هذا المعنى قول الشاعر :

وكنت اذا خليل رام قطعى
وجدت وراى منفسحا عريضا

وهكذا قال القرطبى تعقيبا على رأى الامام مالك .

وقد استفدنا من الآية أن من أدركه الموت فى أثناء هجرته وقبل وصوله الى مهجره أثابه الله ثواب من أتم هجرته .

« سبب نزول هذه الآية »

اختلف فى الرجل الذى نزلت بسببه هذه الآية ، فعن عكرمة مولى عبد الله بن عباس أنه ضمرة بن العيص .

وحكى الطبرى عن سعيد بن جبير أنه هو العيص بن ضمرة بن زنباع ، وكان من المستضعفين وكان مريضا ، فلما سمع ما أنزل الله من وجوب الهجرة ومؤاخذة من لم يهاجر « **فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** » قال: أخرجونى ، فهيىء له فراش ووضع عليه ، وخرج به فمات بالتنعيم فى الطريق الى المدينة، فأنزل الله فيه « **وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** » .

وقيل غير ذلك ، ولما أشرف الرجل على الموت صفق بيمينه على شماله فقال : (اللهم

هذه لك وهذه لرسولك ، أبايعك على ما بايع عليه رسولك ﷺ ومات عقب هذه البيعة .

وحكم هذه الآية يتناول كل مهاجر الى الله ورسوله يدركه الموت فى الطريق ، قبل وصوله الى مهجره فى أى عصر من العصور ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

« حكم الهجرة بعد فتح مكة »

كانت الهجرة من مكة الى المدينة فرضا على القادرين ، نصرة للنبى ﷺ وحماية للدين ووقاية للنفس من أذى المشركين ، فلما أتم الله نعمته على المسلمين بفتح مكة انتهى الوجوب بقوله ﷺ : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » ولكن بقيت هجرتان واجبتان **احداهما :** هجرة المحرمات لقوله ﷺ «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

والثانية: هجرة أهل المعاصى ـ أى تركهم حتى يرجعوا تأديبا لهم ، فلا يخالطون حتى يتوبوا كما فعل ﷺ مع كعب بن مالك وصاحبيه الذين تخلفوا عن رسول الله فى غزوة تبوك ، قال تعالى « **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** » .

« أقسام الهجرة فى الأرض وأحكامها »

قال ابن العربى : قسم العلماء الذهاب فى الأرض قسمين « هربا وطلبا » .

فالأول : مقسم الى ستة أقسام (الأول) الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام ، وكان فرضا قبل فتح مكة ـ منها الى المدينة ـ ثم انتهى الوجوب باسلام اهلها . ولكن هذه الهجرة لاتزال واجبة الى يوم القيامة من أى بلد عامة أهله كفار ، الى ديار المسلمين ، فمن بقى فيه كان عاصيا ـ أقول ـ وقد أجاز العلماء البقاء لرجل قوى الايمان لا يخشى على نفسه الفتنة، فان بقاءه قد تكون له آثار صالحة فيمن حوله من الكفار ، اذ ربما أثر عليهم فآمنوا ، كما يصنع تجار المسلمين الذين أسلم بسببهم بعض الكفار ، كما حدث فى الفيلبين وأندونيسيا .

(الثانى) الخروج من أرض تعم أهلها البدعة ، اذا لم يقدر على تغييرها أو بذل النصح لأهلها ، لقوله تعالى : « **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ** » ـ أقول ـ قياسا على ما تقدم : انه اذا كان واثقا من نفسه أنها لا تنحرف فله البقاء .

(الثالث) الخروج من أرض غلب عليها الحرام، فان طلب الحلال فرض على كل مسلم.

(الرابع) الخروج فرارا من الأذى فى البدن، وأول من فعله ابراهيم ـ عليه السلام ـ فانه لما خاف من قومه بعد أن ألقوه فى النار قال

« إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي » وفعله موسى ، قال تعالى « فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ » .

(**الخامس**) الخروج حذر المرض ، من الأرض الوخمة الى الأرض النظيفة التى طاب مناخها ، وصلح جوها ، فقد أذن الرسول ﷺ للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا الى المسرح فيكونوا فيه أصحاء .

وقد استثنى من ذلك الخروج من أرض الطاعون ، فقد منعه ﷺ .

قال ابن العربى : بيد أن علماءنا قالوا ان الخروج من الأرض الوخمة مكروه — أقول — ولعل الكراهة بسبب أن الهجرة تكون سببا فى نقل المرض من تلك الأرض الوخمة الى الأرض النظيفة ، فان من فيها يحملون ميكروبات الأمراض الموجودة بها ، وذلك هو اللائق بمحاسن الشريعة ، قال ﷺ فيما صح عنه « لا ضرر ولا ضرار » .

(السادس) الخروج لتفادى الايذاء فى الأهل والمال ، وهو مشروع بل قد يكون واجبا اذا كان الايذاء عند البقاء متوقعا بأرجحية ، فان حرمة الأهل والمال كحرمة الدم .

وأما الخروج للطلب ، فاما أن يكون لطلب دين واما أن يكون لطلب دنيا ، فالهجرة لطلب دين ، كالسفر للعبرة والاتعاظ — وهو مندوب قال تعالى « أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » وكالخروج للحج — وهو فريضة على كل مكلف مستطيع لم يسبق له الحج ، وكسفر الجهاد ، وهو اما فرض عين أو فرض كفاية أو سنة حسب اختلاف الأحوال ، وكالهجرة لطلب المعاش ، فمن ضاق عليه العيش فى بلده ، وجب عليه أن يهاجر الى حيث يجد كفايته من الرزق ، أما طلب الزيادة فمباح بشرط الاطمئنان على الدين والنفس والعرض فى أرض الهجرة ، وليأخذ معه القرآن الكريم ومراجع فى العقيدة والشريعة والأخلاق ، حتى يعيش فى جو اسلامى ، ويحمى نفسه من الانزلاق فى أوحال الشبهات والمعاصى .

ومن الأسفار المباحة السفر لمجرد التجارة والكسب الزائد على القوت ، فيباح للمسلم الانتقال من بلده الى آخر لذلك ، والعودة الى بلده بتجارته أو بثمنها وربحه ، ويدل لهذا والذى قبله قوله تعالى « وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » وذلك فى الرزق الضرورى لابقاء الحياة ، وقوله تعالى « فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ » وقوله : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ » وذلك فى الرزق الزائد على القوت الضرورى ، ويدخل فيه أيضا الرزق الضرورى من باب أولى .

وقد يبدو عند أول النظر أن السفر لطلب الرزق بمختلف أنواعه السابقة يعتبر سفرا لغرض الدنيا ، ولكنه معتبر فى جانب السفر لطلب الدين ، ان صحبته نية أداء حقوق الله والتوسعة على المحتاجين ، والاستمتاع بنعمة الله وشكره عليها .

◄

ومن الهجرة لطلب الدين السفر لطلب العلم وهو فرض كفاية ، قال تعالى « فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » .

ومن الهجرة فى سبيل الدين أيضا السفر الى البلاد المقدسة الثلاثة مكة والمدينة وبيت المقدس لغرض العبادة فى مساجدها ، وتكثير الثواب بذلك ، لقوله ﷺ « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد» وذكر مسجده ﷺ والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ، والسفر لذلك مندوب .

ومن الهجرة فى سبيل الله : الخروج الى الثغور الواقعة بيننا وبين الأعداء للمرابطة فيها لرد الأعداء عن البلاد ، كما كان يفعل السلف الصالح ، ومنها السفر لزيارة اخوانك فى الله تعالى ، والسفر لذلك مندوب .

لقوله ﷺ « زار رجل أخا له فى قرية ، فأرصد له ملكا على مدرجته — أى طريقه — فقال : أين تريد ؟ فقال : أريد أخا لى فى هذه القرية ، قال : هل لك من نعمة تربها عليه — أى تملكها عليه — قال : لا غير أنى أحببته فى الله عز وجل ، قال فانى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » أخرجه مسلم وغيره .

وأما الهجرة لطلب الدنيا أو السفر لذلك من غير نية ابتغاء مرضاة الله تعالى بأى وجه من الوجوه فهى مباحة ولا أجر فيها لقوله ﷺ «انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى» ويشترط لاباحة ذلك أن لا يكون للمعصية ، وأن لاتصاحبه معصية ، والا كان حراما .

ودليل اباحة ذلك عند خلوه من المعصية « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ » فالآية شاملة للمتعة بالطيبات جميعا حضرا أو سفرا .

هذه هى أنواع الهجرة وأحكامها التى نقلها ابن العربى عن العلماء ، قدمناها بين يديك باسلوبنا وتصرفنا فى معظمها ، وقد ذكرنا فيها ما لم يذكره من الأحكام والادلة ، وليس فيها شىء مما يجنح اليه بعض المتطرفين من هجر اخوانهم ومشاقتهم وخلق المتاعب لهم ، وتاليف الجماعات المنحرفة عن سواء السبيل ،فليسوا اقوم سبيلا ممن يهجرونهم ويشاقونهم « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » .

مصطفى محمد الحديدى الطير

التفكير العلمى والتخطيط في حياة المسلمين

للواء أ٠ح
محمد جمال الدين محفوظ

*** مــن دروس الهجـرة التى ينبغــى أن نتدبرها وبخاصة فى هذا العصر الذى تتقــدم فيه العلوم « والتقنية » بسرعة مذهلة والذى يتعرض للهلاك فيه من يتخلف عن مقتضياته ــ درس كبير يتعلق بالتفكير العلمى والتخطيط ، ويوجه انتباه الأمة الى ما يلى :**

١ ــ أنه من الضرورات الحيــوية لنهضــة الأمة أن تقيم كل أمورها على العلم والتخطيط العلمى ، فلا تدعها « تجرى فى أعنتهــا » أو تتركها « لعوامل لم تكن فى الحسبان » ٠

٢ ــ وأن ترك الحذر واهمال المحافظة عـلى الأسرار والتــواكل والاســتكانة كلها أمــور ليست من الاســلام ٠

٣ ــ وأن معــونة الله مرهــونة بالأخــذ بالأسباب ، فلا تأتى للمتخــاذلين الخــاملين القاعدين عن التفكير والتدبير والعمل ٠

* والحق أن هجرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من مكة الى المدينة كانت آيــة من آيات سلامة التفكير وحسن التدبير واحكام التخطيط وبراعة التنفيذ مع الثقة ــ فى الوقت نفسه ــ فى معية الله تعالى وتأييده ونصره ٠

ولقد شاءت ارادة الله ــ جل شأنه ــ أن تحتوى الهجرة على هذا الدرس الكبير لتعليم الأمة قدر التخطيط ومكانته العظمى فى تقدير الاســلام :

١ ــ فلم يشأ ــ جل شأنه ــ أن يجعــل الهجرة معجزة خالصة ، وأن ينقل رسوله من مكة الى المدينة فى لحظات كما أسرى به من مكة الى بيت المقدس وأعاده قبل أن يبرد فراشه ، ولكنه سبحانه ــ وهو القادر على كل شىء ــ أراد أن يجعلها هجرة بشرية بجهود وأســباب ووسائل بشرية ليعلم الأمة العناية بالأســباب ثم الاعتماد على الله القادر ٠

٢ ــ ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم

من وحى الهجرة

ــ وهو يعلم أنه يهاجر فى سبيل الله ، ويثق بأن الله ناصره وحافظه ــ لم يقصر فى الأخذ بالأسباب ، ولم يهمل التدبير والتخطيط واتخاذ الحيطة والحذر •

*بذلك اجتمع للهجرة أسباب النصر والنجاح من ناحيتين :

الأولى : أساسها « الأسباب البشرية » :

اخفاء الهجرة ــ خداع المراقبين للبيت بنوم على ــ فى فراش النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ اختيار دليل للطريق لا يمكن أن يرد على ذهن الكفار هو عبد الله بن أريقط ــ اتخاذ طريق غير متوقع ــ اللجوء الى غار ثور والبقاء فيه ثلاثة أيام لتحقيق المزيد من تضليل قريش والضغط النفسى عليها ــ التعرف المستمر على أخبار قريش عن طريق عبد الله بن أبى بكر ــ الحرص على ازالة آثار أقدام عبد الله بن أبى بكر بعد زيارته للغار بمرور غنم أبى بكر فوقها ••

والثانية : أساسها « العناية الالهية والمدد الالهى » •

ومن ذلك أن ينسج العنكبوت خيوطه على فم الغار ، وأن تبيض الحمامة بجوار نسيج العنكبوت ، وقد وصل الكفار الى فم الغار حتى لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضى الله عنه ، ومنه أيضا أن تتعثر فرس سراقة بن جعشم الذى لحق بهما أملا فى مائة ناقة جعلتها قريش لمن يأتى بمحمد صلى الله عليه وسلم حيا أو ميتا ، وأن يرى من علامات حفظ الله لنبيه ما يحول اتجاهاته من عدو له الى حارس يرد عنه من يريد اللحاق به •

وصدق الله العظيم :

« إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » ، التوبة ٤٠ •

الاسلام والتخطيط :

* ولقد اهتم الاسلام بالتخطيط باعتباره مظهرا من « مظاهر العلم » الذى نزلت به أول آية فى القرآن الكريم دليلا على تقدير الاسلام للعلم وأهله ، وباعتباره أيضا مظهرا من مظاهر « العمل بالعلم » ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا يعوذ بربه من علم لا ينفع ومن قول لا يشفعه بعمل ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

* « اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » •

(رواه مسلم والترمذى)

التخطيط بعيد المدى :

بل ان الاسلام لا يدعو الى التخطيط قصير المدى فحسب بل يدعو أيضا الى التخطيط بعيد المدى ، وهو بعض ما يفهم من قول عمرو بن

العاص رضى الله عنه : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

ولا ريب فى أن التخطيط للمستقبل البعيد هو أرقى درجات التخطيط وأرقى مراتب توظيف العقل فيما ينفع المسلم وأمته فى حاضرها ومستقبلها ، فالناس فى استخدامهم للعقل درجات :

١ ـ فمنهم من يتوقف به عند حد تحصيل المعارف .

٢ ـ ومنهم من لا يكتفى بالتحصيل بل يزيد عليه الانتاج العقلى من فكر ورأى وابتكار وغيرها .

٣ ـ ومنهم من لا يقنع بذلك ، بل يرقى الى مستوى استخدام عقله فى التأمل وتقدير احتمالات المستقبل ، ليس على أساس الرجم بالغيب ، ولكن على أساس من امعان النظر فى الحقائق والمعطيات والملاحظة الموضوعية والاحاطة بكل أبعاد المشكلة ، والقدرة على التصور والاستنتاج المنطقى وبعد النظر .

وليس من شك فى أن الطائفة الثالثة من الناس التى تستخدم العقل الى اقصى طاقاته هى الطائفة الموفقة حقا الى التخطيط العلمى السليم الى أبعد مدى ممكن من المستقبل ، وهى أيضا الطائفة التى تقدم أكثر من غيرها أفضل الأفكار وأجل الأعمال لصلاح المجتمع الذى تعيش فيه .

تنمية ملكات التفكير العلمى :

* والأمر الذى يستحق التأمل هو أن الاسلام حرص فى بنائه لشخصية المسلم على أن يجعل منه انسانا ايجابيا قادرا على رفعة شأن أمته وذلك بتنمية ملكات التفكير العلمى لديه ، فالتأمل والنظر والتفكر والتفكير كل ذلك وظائف العقل الذى كرم الله به الانسان ، وتعتبر من جوهر العبادة ، وقد حث المسلمين عليها لاستنباط الحقائق العلمية والوصول الى معرفة نواميس الكون وهو ما يفهم من قوله تعالى : « **قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ** » (العنكبوت ٢٠) .

« **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ** » . (يونس ١٠١) .

« **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا** » (سبأ ٤٦) .

« **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا** » (الحج ٤٦).

* والجمود الفكرى أمر لايرضاه الاسلام للمسلمين ، فنراه يندد به وينعى على المقلدين الذين يأبون التجديد والتطور بحجة أنهم يتمسكون بما ورثوه عن الآباء . قال تعالى :

« **وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** » (الزخرف ٢٣) .

ووصف سبحانه وتعالى المقلدين بأنهم يرددون ماتلقنوه كالببغاوات أو العجماوات فقال جل شأنه : « **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ**

من وحى الهجرة

« الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » (البقرة ١٧١) .

والرسول ﷺ يقول : « لا يكن أحدكم امعة ، يقول : ان أحسن الناس أحسنت وان أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تتجنبوا اساءتهم »

* وعلى أساس هذا المنهج الاسلامى قامت الحضارة الحديثة كما يشهد بذلك التاريخ والمنصفون من علماء الغرب ، فقد كانت نتيجة تنمية ملكات التفكير لدى المسلمين أنهم اندفعوا الى البحث فى جميع ميادين الحياة : روحية كانت أو عقلية أو مادية ، فصحب انتشار الاسلام رقى حضارى بعيد المدى متعدد الجوانب بل ان ازدهار المعارف الانسانية مشى فى ركاب الحكم الاسلامى شرقا وغربا ، فاذا طلاب العلوم الطبيعية والاجتماعية يهرعون الى عواصمه بغية الاستفادة فى شتى مجالات العلوم .

المسلمون فى عصر الثورة الالكترونية

* لكن كل مسلم غيور على دينه وحريص على نهضة أمته يتساءل عن موقع أمته فى ركب التطور فى هذا العصر الذى نعيش فيه والذى يطلق عليه عصر «الثورة الالكترونية» وثورة المعلومات ، ولعل أبلغ تعبير عن طابع هذا العصر قول أحد خبراء الحاسبات الالكترونية « الكومبيوتر » :

« حتى القرن الثالث الميلادى تقريبا ، كان « المتعلم » وصفا يطلق على من يعرف القراءة فقط ولما وصلنا الى القرن الثانى عشر تقريبا صار لقب المتعلم يطلق على من يعرف القراءة والكتابة معا ، وكان العدد فى الحالتين نادرا ، أما فى نهاية هذا القرن (القرن العشرين) فسوف يطلق لقب المتعلم فقط على من يعرف لغة الكومبيوتر !! » .

ويتضح لنا معنى هذا القول اذا ما تأملنا الحقائق العلمية التالية :

١ — ان الحد الفاصل بين القرار السليم والقرار الخاطىء هو توفر أو عدم توفر الحقائق الضرورية .

٢ — ومع تعاظم النشاط فى العمل فى هذا العصر وما نتج عنه من آثار تقنية «تكنولوجية» وثقافية واقتصادية وسياسية فانه ينتج عنه حجم هائل من المعلومات يعجز العقل البشرى عن استيعابها والافادة منها فى عمليات التخطيط وصنع القرارات مالم تنظم بالأسلوب العلمى الحديث الذى يضمن سلامة استقبال هذه المعلومات وتسجيلها وحفظها واسترجاعها بالقدر والسرعة والدقة التى تجعل منها مادة صالحة ومقالة للخطة السليمة والقرار السليم فى الوقت المناسب .

٣ — اذا كانت الحاسبات الالكترونية تؤدى العمليات الذهنية والعقلية بسرعة أكبر مئات المرات من سرعة الانسان ، فان ذلك لا يعنى أنه يمكن الاستغناء عن الانسان ، فمازال الانسان هو الذى يزود الآلة بالبيانات

ويحركها لتؤدى وظيفتها ، وهو فى النهاية الذى يستقبل ما تنتجه من معلومات لكى يصــــدر القرار .

٤ ــ أصبح من الضرورات الحيوية لبنــاء الانسان الناجح فى هذ العصر أن يوسع مــن مداركه ، وأن يزيد من استثمار ملكاته العقلية وأن يزود نفسه بقدر كبير من الثقافة العــامة التى لا تقتصر على تخصص معين ، وأن يكون على دراية بكل جديد من منجزات عصره .

٥ ــ ان تطور الحاسبات الالكترونية خلال الثلاثين عاما الماضية من نظم فردية مرتفعــة الثمن الى نظم حاسبات بأحجــام ونوعيــات مختلفة لها برامج عديدة مجهزة (١) أدى الى تيسير استخدامها وخفض أسعارها ونفقــات تشغيلها الأمر الذى يشجع الدول النامية على الافادة منها لدفع عجلة النمو والتطور .

الحضارة الحديثة والادارة

* ومما يؤكد على ضرورة مواكبة العصر فى أســاليب التفكير والتنفيذ أن علمــاء الادارة أجمعوا على أن الحضارة الحديثة قد أصبحت تشعر بحاجتها الى « الادارة السليمة » والى « العقل الادارى » بصورة لم تحدث من قبل. ومن المشــكلات التى يواجهانها فى التربيــة والتوجيه ، فان نمو المجتمــع يخلق مصــاعب مشكلات جديدة فى الادارة والتوجيه والتنسيق

انها حقيقة يفرضها العصر ، فينبغى أن تكون أساسا لمفاهيم القيــادة العصريــة والــدولة العصرية ، ذلك لأن المجتمع ــ شــأنه فى ذلك شأن الكائنات الحية ــ « ينمو » ، وكما أن نمو الطفل فى مراحل عمره يزيد من أعباء والديــه مع كل درجة مــن درجــات نموه ، تتطلب فى القادة والمسئولين قدرا كبيرا مــن المبــادأة والحسم والابداع والادارة والتنظيم .

* ولو أردنا أن نضرب لذلك مثلا فلننظر الى الجيوش لنجد أن قاعدة النمو تنطبق عليها فمع التطور المذهل والسريع فى أسلحة القتــال وأساليبه تضخمت أعباء القيادة المسئولة عن اعداد هذه الجيوش للقتال وعن السيطرة عليها فى المعركة ، وقد أجمع علماء الادارة وخبراء الحرب على أن العامل الحاسم فى ترجيح كفة جيش على آخر فى المعركة هو الوصول الــى اقصى درجات التنظيم وأقصى درجات الكفاءة فى الادارة .

* وقد أصبح من حقائق العصر ــ نتيجة لذلك ــ أن اقتناء الجيوش لأحدث أسلحـــة العصر ومعداته لا يكفيها لكى تحقق النصر على عدوها فى الحرب الحديثة ، فقد أصبح العامل الحاسم فى الصراع هو « الادارة والتنظيم » كذلك أصبح من حقائق العصر أن الكفاءة فى الادارة والتنظيم لها دخل كبير فى تعديل ميزان

(١) يشهد العصر الحاضر منافسة شديدة بين أمريكا واليابان فى انتاج هذه الانواع التى يطلق عليها « الجيل الخامس » من اجهــزة الحاسبات الالكترونية .

من وحي الهجرة

القوى لصالح من يملكها ، وفى تاريخ الحروب أدلة على ذلك فقد استطاعت دول صغيرة مواجهة دول أكثر منها تقدما فى الأسلحة

والمعدات بفضل القيادة السليمة والكفاءة فى الادارة والتنظيم (١) .

* ولقد نوه بذلك « روبرت مكنمارا » وزير الدفاع الأمريكى الأسبق والذى يعد حجة فى علوم الادارة حين قال انه فى مجال

الصراع بينهم وبين الاتحاد السوفييتى فان الولايات المتحدة تمتلك تكنولوجيا عالية جدا وكذلك الاتحاد السوفييتى ولكن العامل الذى سوف يحسم المعركة هو الادارة السليمة .

والسر فى ذلك هو أن « الادارة السليمة » لما تحت يد القيادة من موارد وأدوات من بشر وأسلحة ومعدات ، هى التى تمكن من تحقيق أعلى مستويات « الكفاية فى الأداء » ، ومن تحقيق الأهداف المقررة » بنجاح وبأقل التكاليف والخسائر .

*** وخلاصة القول أن المنظمات « المدنية والعسكرية على حد سواء » التى تدار « بالعقلية الادارية » والتى تواجه مشكلاتها « بالحل العلمى » هى التى تستطيع أن تحقق أهدافها بأقصى قدر من الكفاية وبأقل التكاليف أو الخسائر . فما أشد حاجة المسلمين اليوم الى الأخذ بتعاليم دينهم فى التفكير والبحث والتقدم والتطور وتنشئة ابنائهم عليها والعمل بها فى كل أمور الحياة حتى يعودوا الى مكانتهم التى أرادها الله تعالى « خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » (٢)**

محمد جمال الدين محفوظ

(١) سوف نتناول بمشيئة الله موضوع الادارة العلمية وعناصرها ومبادئها فى بحث قادم مع ربطها باصولها فى تعاليم الاسلام .

(٢) آل عمران ١١٠ .

الإعجاز

٦

للدكتور احمد إبراهيم مهنا

الصلة بين « الله » و « ما سواه »

واذا كان الله سبحانه هو الخالق وكل ما سواه مخلوقا له ، فما هى الصلة بين الخالق والمخلوق ؟.

ان القرآن الكريم قد أجاب عن هذا السؤال فى أكثر من آية ، وهى تقرر أن المخلوقات جميعها ــ مكلفة وغير مكلفة ــ خاضعة للخالق ومنقادة له ، رضيت أو كرهت ، يقول الحق سبحانه :

« وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١) ».

« أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ » (٢) .

ويلفت النظر الى هذه الحقيقة فيقول جل شأنه :

« أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ » .

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٣) ،

ويقول :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ

(١) سورة الرعد : الآية ١٥ .
(٢) سورة آل عمران : الآية ٨٣ .
(٣) سورة النحل : الآية ٤٩ .

وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ .. » (١) .

وخضوع المخلوقات لله وانقيادها له شيء لاغرابة فيه ، فهي في احتياج دائم الى من يمسك عليها حياتها ، وخالقها — وحده — هو الذي يمدها بالعطاء الدائم الذي يوفي باحتياجاتها .

وكل مافي الكون من المخلوقات التي أشفقت أن تتحمل الأمانة — وهي ماعدا الانسان — تسجد لله طوعا ، فكل منها يؤدي رسالته التي خلق لها دون انحراف ولا توقف والى الأجل الذي قدره الله سبحانه .

نقرأ في القرآن الكريم قول الحق للسماء والارض بعد أن خلقهما :

« ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ » (٢) .

ونقرأ قوله تعالى :

« وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » (٣) .

وقوله جل شأنه :

« خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى » (٤) .

وكذلك الانسان المؤمن يسجد لله عن طواعية واختيار ، يسجد حقيقة فيضع جبهته على الأرض خضوعا لعظمة خالقه ، واعترافا بفضله ، واستمطارا لرحمته ، وهو منقاد في كل ما يأتي ومايدع بما شرع الله لعباده يرجو رحمته ويخاف عذابه .

أما الانسان الكافر فهو وان أبى أن يعترف بفضل الله عليه فهو — رغم أنفه — ساجد له، منقاد لأمره ، خاضع لقضائه ، متضرع اليه عندما يصاب بمكروه يعجز عن دفعه ، وهذا هو السجود لله كرها .

ولقد حدث القرآن عن هذا المخلوق الجاحد في أكثر من آية ، وصوره في أكثر من موضع ، يقول الحق تبارك وتعالى :

« وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا . » (٥) ويقول :

« وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ

---

(١) سورة الحج : الآية ١٨ .
(٢) سورة فصلت : الآية ١١ .
(٣) سورة يس : الآيات ٣٨ — ٤٠ .
(٤) سورة الزمر : الآية ٥ .
(٥) سورة الاسراء : الآية ٦٧ .

يدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . » (١) ويقول :

« هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ .. » (٢) ويقول :

« وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » (٣).

ان موقف العجز الكامل عن دفع ما يصيب هذا الكافر من بلاء أيقظ فطرته فنطق بحاجته متوجها الى من لا يملك الأمر غيره فى ضراعة تامة ، انه مكره على ذلك وصدق الله فى قوله :

« وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا » . (٤)

يقول الامام ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية :

« يخبر الله تعالى عن عظمته وسلطانه الذى قهر كل شىء ودان له كل شىء ولهذا يسجد له كل شىء طوعا من المؤمنين وكرها من الكافرين » .

ويقول الشوكانى فى كتابه « فتح القدير » عند تفسير الآية المذكورة :

« لابد أن يحمل السجود المذكور فى الآية على معنى حق لله السجود ووجب حتى يتناول السجود بالفعل وغيره ، أو يفسر السجود بالانقياد ، لأن الكفار وان لم يسجدوا لله سبحانه فهم منقادون لأمره ، وحكمه فيهم بالصحة والمرض والحياة والموت والفقر والغنى ، ويدل على ارادة هذا المعنى قوله : « طَوْعًا وَكَرْهًا » فان الكفار ينقادون كرها كما ينقاد المؤمنون طوعا » .

واذا كانت آية سورة الرعد قد أجملت فاننا نجد تفصيل هذا الاجمال فى قول الله تبارك وتعالى فى سورة الحج :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ » .

وكل من ذكر يسجد لله طوعا . ثم نجد السجود كرها فى قوله تعالى :

« وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ » .

وهو الفريق الكافر من الناس .

ولو كان الحق سبحانه هو الخالق فحسب لحق على المخلوق أن ينقاد لأوامره وأن يخضع له ولكنه « رب العالمين » ودلائل ربوبيته واضحة لكل ذى عينين ، لقد « أَحْسَنَ كُلَّ

---

(١) سورة يونس : الآية ١٢ .
(٢) سورة يونس : الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
(٣) سورة الزمر : الآية ٨ .
(٤) سورة الرعد : الآية ١٥ .

شَيْءٍ خَلَقَهُ » (١) وضمن لكل مخلوق رزقه وصدق سبحانه فى قوله :

« وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا .. » (٢)

وقوله :

« وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » . (٣)

حتى هؤلاء الذين كفروا نعمته وأنكروا فضله، لقد دعا أبو الانبياء ابراهيم ربه أن يرزق المؤمنين من عباده لأنهم — فى نظره وتبعا لمقاييس الناس — هم الذين يستحقون أن يشملهم الله بفضله ، ولكن الله أجابه بأن الكافر لن يحرم من رزقه ، نقرأ فى ذلك قوله تعالى :

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ . » (٤)

وهذا من أخص مظاهر رحمته سبحانه فهو « الرحمن الرحيم » .

ولو حاولنا أن نحصى مظاهر الرحمة الالهية على الانسان الذى حمل الامانة لاعيانا ذلك ، ويكفى أن نذكر منها :

(أ) أنه تعالى بعث اليه النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ، وذلك لهدايته وانارة الطريق أمامه . ولئلا يكون له على الله حجة .

(ب) وأنه لم يغلق أبواب التوبة أمام العاصين من عباده ، بل دعاهم الى العودة اليه وملأ نفوسهم بالأمل فى رحمته ولو أسرفوا على أنفسهم فى ارتكاب ما يغضبه ، يقول غافر الذنب وقابل التوب :

« قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . » (٥) .

حتى هؤلاء الذين وصلوا الذروة فى العصيان فكفروا به وجحدوا نعمته لا يحرمون من رحمته اذا رجعوا اليه ، يقول سبحانه :

« قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ .. » (٦)

(جـ) وأنه وضح لهم الحد الفاصل بين قبول التوبة وعدم قبولها حتى يكون كل على بينة من أمره فقال جل شأنه :

« إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ

(١) سورة السجدة : الآية ٧ .
(٢) سورة هود : الآية ٦ .
(٣) سورة العنكبوت : الآية ٦٠ .
(٤) سورة البقرة : الآية ١٢٦ .
(٥) سورة الزمر : الآية ٥٣ .
(٦) سورة الانفال : الآية ٣٨ .

الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٠ »(١)

(د) وفى مجازاته لهم لم يعاملهم بالعدل فحسب ، وانما أسبغ عليهم من فضله وكرمه فقال سبحانه :

« مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٠ » (٢)

(هـ) وحتى السيئة التى لا تدخل صاحبها فى دائرة الكفر قد يعفو الله عن صاحبها ويغفرها له وذلك قوله عز وجل :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ٠٠ » (٣)

وقصارى القول فى هذا نجده فى قول الله تبارك وتعالى مخاطبا عباده : « وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ٠ » (٤)

وكلا الامرين حق لا مراء فيه ، ومن هنا وجب ألا يعبد غيره وألا يستعان بسواه ، وحق علينا أن نتوجه اليه سبحانه قائلين عن يقين : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » ٠

ولنا الآن أن نتساءل :

هل هناك من الانس والجن من يمكن أن يدعى أن كل من فى السموات ومن فى الأرض يخضع له وينقاد لأوامره طوعا أو كرها ؟

وهل هناك من الانس والجن من يمكن أن يدعى أنه يسخر الشمس والقمر أو يسخر الليل والنهار ؟

وهل هناك من الانس والجن من يجرؤ على أن يدعى أنه يضمن الرزق لنفسه فضلا عن أن يضمنه لكل دابة فى الأرض ؟

وهل هناك من الانس والجن من يصل فى السماحة والكرم الى الحد الذى يجعله يفيض من خزائنه على من يناصبه العداء ولا يخضع لما يفرض من نظم ؟

وهل هناك من الانس والجن من تخول له نفسه أن يدعى أنه بعث النبيين مبشرين ومنذرين ؟

وهل هناك من الانس والجن من تحدثه نفسه أن يقول : ان كل مكروب يلجأ اليه ، وان كل نعمة بالناس انما هى من عطائه ؟

اننا كلما عشنا فى رحاب القرآن الكريم تاكد لنا أن وجه اعجازه للانس والجن انما هو بناؤه على الحقيقة الواضحة التى يستحيل على أى مخلوق أن يدعيها لنفسه أو ينسبها الى غير الله ، وصدق الله فى قوله : « قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٠» (٥)

أحمد ابراهيم مهنا

---

(١) سورة النساء : الآيتان ١٧ ، ١٨ .
(٢) سورة الانعام : الآية ١٦٠ .
(٣) سورة النساء : الآية ١١٦ .
(٤) سورة النحل : الآية ٥٣ .
(٥) سورة الاسراء : الآية ٨٨ .

ملة إبراهيم

للدكتور محمد محمد خليفة

قال تعالى : « وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ • إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » البقرة ١٣٠

وهى مدنية قيل فى سبب نزول هذه الآية : ان عبد الله بن سلام دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام ، وقال لهما : قد علمنا أن الله تعالى قال فى التوارة : انى باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ، ومن لم يؤمن به فهو ملعون ، فاسلم سلمة ، وأبى مهاجر أن يسلم فنزلت هذه الآية ومن عجب أن اليهود والنصارى ومشركى العرب يفخرون بانتمائهم الى ابراهيم •

أما اليهود فيفخرون بانتهاء نسب اسرائيل (يعقوب) الى ابراهيم ، والنصارى يرون أن نسب عيسى من جهة الأم يرجع الى ابراهيم •

والعرب العدنانيون يرجع نسبهم الى اسماعيل ، وهم يفخرون على القحطانيين باسماعيل الذى جعله الله نبيا كل أولئك يفخرون بالانتساب الى ابراهيم ، ومع هذا لم يؤمنوا بالرسول الذى هو دعوة ابراهيم ولهذا جاء التعبير بالاستفهام على سبيل الانكار والتوبيخ واستبعاد أن يكون من العقلاء ، من يرغب عن ملة ابراهيم الا ذلك الذى سفه نفسه •

والتعبير برغب اذا صاحبه (عن) كما فى الآية دل على الكره واذا صاحبه (فى) دل على الميل وجاءت (من) فى الآية مرتين : الأولى للاستفهام الانكارى والثانية بمعنى الذى ، وقوله : **(من سفه)** فى محل رفع على البدلية من الضمير المستكن فى يرغب ، (لا نفسه) نصب على التمييز أو انتصب بنزع الخافض أى سفه فى نفسه •

فقد سفه نفسه وأذلها وامتهنها وأنف بها من يرغب عن ملة ابراهيم ، أو خسرها وأهلكها ، أو جهل نفسه فلم يفكر فيها أو أضل نفسه ذلك الذى يرغب عن ملة ابراهيم وقد حكم الله بسفاهة من يرغب عن ملة ابراهيم ، ثم بين السبب فى سفاهة الذى أضل نفسه ببعده عن ملة ابراهيم فقال : **«ولقد اصطفيناه فى الدنيا»** أى اخترناه للرسالة دون سائر الناس ، وعرفناه الملة التى جمعت بين التوحيد والشرائع والامامة ، ولم يقف الأمر عند اصطفائه وجعله

رسولا واعطائه الامامة والشريعة ، بل أضاف الى ذلك أن جعله من الصالحين فى الآخـــرة المشهود لهم بالاستقامة والخير ومن كان كذلك كيف يرغب عاقل عن ملته •

(**اذ قال له ربه أسلم**) اذ فى موضع نصب بتقدير : اذكر ، أو نصب بقوله : اصطفيناه أى اصطفيناه فى الوقت الذى قال له ربه أسلم •

وقد كان قول الله لـــه : « **أســـلم** » قبل البلوغ وقبل النبوة وكان ذلك عند النظر فى الكواكب والقمر والشمس ووقوفه على هذا الكون وأنه محتاج الى خالق يدبر شـئونه ، وعند احاطة ابراهيم بكل ذلك وغيره قال لـــه ربـــه : « **أسـلم** » قـــال « **أسـلمت لرب العالمين** » •

وقيل انما كان قول اللـــه له : « أســلم » انما كان بعد النبوة •

والمراد بالاسلام هنا : ١ ــ الانقياد لأوامر الله وقبولها •

٢ ــ أو أن تكون « أســـلم » بمعنى أخلص عبادتك واجعلها سليمة من كل شىء •

٣ ــ أو أن المراد بقوله : « **أسلم** » استقم واثبت على التوحيد •

قال تعالى : « **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ • أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** » البقرة ١٣٢ ، ١٣٣ وهما مدنيتان•

الضمير فى قوله : ووصى بها اما أن يرجع الى قوله : « **أســلمت لله رب العالمين** » على تأويل ذلك بالكلمة أو الجملة •

واما أن يرجع الى الملة فى قوله فى الآية السابقة : « **ومن يرغب عن ملة ابراهيم** » وهذا أولى لأنه يعود الى مذكور أمـا الأول فيعود الى مؤول •

ولم يقل وأمر بها ابراهيم وبنيه وانما قال : ووصى بها ، لأن الوصية تكون عند المـــوت حيث يكون احتياط الانسان لدينه شــــديدا مؤكدا ، ويكون القبول أقرب وخص البنين ، لأن شفقة الانسان على أبنائه فى هذه الحالة تكون أكثر من شفقته على غيرهم •

(**ويعقوب**) عطف على ابراهيم ، والمعنى ، ووصى بها يعقوب أيضا بنيه ، وقرىء بالنصب عطفا على بنيه ، وقوله : يابنى ، على اضمار القول ، أى قال : يابنى ، أو قوله يابنى يتعلق بوصى ، لأنه فى معنى القول (**ان الله اصطفى لكم الدين**) أى اختار لكم وأعطاكم الدين الذى هو صفوة الأديان وخيرها وهو دين الاسلام أو استخلصه وأقام عليه الدلائل والبراهين ثم دعاكم اليه « **فلا تموتن الا وأنتم مسلمون** » أى لا يكن موتكم الا حين تكونون ثابتين على الاسلام حتى الموت ليبعثوا عليه عند بعثهم •

وبنو ابراهيم كانوا أربعة: اسماعيل واسحاق ومدين ومدان •

وقيل ثمانية ، وقيل أربعة وعشرون •

« **أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت** »•

(أم) اما أن تكون منقطعة واما أن تكون متصلة •

ملة إبراهيم

وأم المنقطعة تقدر ببل والهمزة ، والهمزة للانكار أى بل ما كنتم شهداء والشهداء جمع شهيد وهو الحاضر ، والمعنى : ما كنتم حاضرين حين حضر يعقوب الموت والمراد : حضور أسباب الموت وقبل النزع الأخير •

(واذ) ظرف لشهداء أى ما كنتم شهداء وقت أن حضر يعقوب الموت ، وقدم يعقوب الواقع مفعولا للاهتمام به ، لأن المراد بيان الكيفية التى وصى بها بنيه •

والخطاب مع أهل الكتاب لأنهم كانوا يزعمون أن الدين الذى هم عليه هو دين الرسل فكأن الله يقول لهم : كيف تقولون ذلك وأنتم تشهدون وصايا الأنبياء بالدين ولو شهدتم ذلك لتركتم ما أنتم عليه ، ورغبتم فى دين محمد الذى هو نفس دين ابراهيم ويعقوب وسائر الأنبياء •

والاستفهام الانكارى فى « أم » يتعلق بمجرد ادعائهم الحضور عند وفاته ، وهذا هو الذى أنكره عليهم •

أما اذا قدرت « أم » متصلة فيقدر قبلها محذوف ، وكأنما قيل : كيف تدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ، ومعنى ذلك أن أوائلكم من بنى اسرائيل كانوا شاهدين اذ دعا بنيه فكيف تدعون على الأنبياء ماهم برءاء منه •

و « ما » فى قوله : ما تعبدون : عام والمعنى: أى شىء تعبدون ؟ وقد قيل : ان يعقوب لما دخل مصر رأى أهلها يعبدون النيران والأوثان، فخاف على بنيه وسألهم : ما تعبدون من بعدى حتى يحرضهم على التمسك بعبادة الله وليقر بنوه بالتوحيد •

(قالوا) وهذا استئناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل حين سألهم : ما تعبدون ماذا قالوا وكان الجواب : قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا وقوله : ابراهيم واسماعيل واسحاق عطف بيان لآبائك ، وقدم اسماعيل على اسحاق لأنه أكبر منه سنا •

والمعنى : نعبد الهك الذى نعترف بأن ألوهيته هى التى تستوجب العبادة وحدها واسماعيل عم يعقوب ، ولكنه دخل فى الآباء باعتبار أن العم أب •

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « عم الرجل صنو أبيه » (١)•

وقال فى العباس : « هذا بقية آبائى » •

وقال فى العباس كذلك : «ردوا على أبى فانى أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة ابن مسعود » •

(الها واحدا) بدل من آبائك أو نصب على الاختصاص أى تعنى باله آبائك الها واحدا (ونحن له مسلمون) اما أن تكون الجملة حالا من فاعل نعبد ، أو من مفعوله (الهك) أو منهما معا •

---

(١) لاتزال مجلة الازهر تطلب ذكر مرجع الحديث الشريف اثباتا لقيمته العلمية وتوثيقا لها ، وتحقيقا لطلب القارىء والله ولى التوفيق •

واما أن تكون الجملة اعتراضـيـة لتحقيق مضمون ما سبق ، أو معطوفة على نعبد وقال تعالى :

« وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ »

البقرة ١٣٥ والآية مدنية .

ليس مرادهم من هذا التعبير : كونوا هودا أو نصارى تخيير الناس بيـن اليهـودية أو النصرانية ، ولكن المراد : أن اليهود قالوا : كونوا هودا تهتدوا ، والنصارى قالوا كونوا نصارى تهتدوا ، لأنهم وان اتفقوا فى معاداة التوحيد والاشراك فقد اختلفوا .

فاليهود يقولون بالتشبيه .

والنصارى يقولون بالتثليث وقد اتفـــق اليهود والنصارى على صحة دين ابراهيم ، ودين ابراهيم عليه السلام يقول بالتوحيـد لا بالتشبيه ولا بالتثليث فمتى يرجعون الى دين ابراهيم .

وقوله : تهتدوا ، جواب الأمر أى ان فعلتم ذلك تهتدوا .

وقد أمر الله نبيه محمدا ﷺ أن يرد عليهم، ويرشدهم الى الحق فى قوله : « قل بل ملة ابراهيم حنيفا » .

والمعنى : لا نكون كما تقولون يهودا أو نصارى ، بل نكون أهل ملة ابراهيم .

أولا نتبعكم بل نتبع ملة ابراهيم .

أو بل اتبعوا أنتم ملة ابراهيـــم ان كنتم تعترفون بصحة دينه « مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا » .

والحنيف : المائل ، وقد كان ابراهيم عليه السلام مائلا عن الباطل الى الحق والحنيف : لقب يحمله من دان بدين ابراهيم عليه السلام.

وقد أتى ابراهيم بشرائع من حج البيت والتوحيد فمن دان بذلك فهـو حنيف وكان العرب يدينون بذلك ، ولكنهم كانوا يشركـون الا الحنفاء منهم فقد دانوا بملة ابراهيـــم ورفضوا الشرك .

وقوله : حنيفا حال من المضاف اليه أو من المضاف .

« وما كان من المشركين » أى لم يكن ابراهيم مشركا ، وانما المشركون من يقولون : « عزير ابن الله » .

ومن قالوا : « المسيح ابن الله » قاتلهم الله انى يؤفكون .

وهـؤلاء اليهود والنصـارى حين قالوا : ببنوة عزير والمسيح لله قد خالفوا ملة ابراهيم التى تنكر أن يكون لله ولد (**ما كان للــه أن يتخذ من ولد سبحانه**) .

وقال تعالى : « قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » البقـرة ١٣٦ والآية مدنية .

ملة إبراهيم

لقد حكى الله عن اليهود والنصارى قولهم للمسلمين : كونوا هودا أو نصارى ، وأمر نبيه — ﷺ — أن يقول لهم : « بل ملة ابراهيم حنيفا » أى نتبع أو اتبعوا ملة ابراهيم ثم أمر أمة محمد — ﷺ — فى هذه الآية : أن يقولوا « **آمنا بالله وما أنزل الينا** » والأمر فى « قولوا آمنا بالله » يتناول محمدا — ﷺ — وجميع المكلفين من أمته .

وقدم القرآن فى الآية فى قوله : « **وما أنزل الينا** » وان كان متأخرا فى النزول لكونه سببا للايمان بالكتب الاخرى حيث أمرنا فيه بالايمان بها ولذلك قدم (**واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط**) لم تنزل عليهم كتب ، وانما كانت صحف ابراهيم هى التى تعبدوا بها ، فجعلت كأنها منزلة عليهم .

والاسباط : جمع سبط وهو الحافد ، وكان الحسن والحسين سبطى رسول الله — ﷺ — ويراد بالأسباط فى الآية حفدة يعقوب ذرارى أبنائه الاثنى عشر .

« **وما أوتى موسى وعيسى** » من التوارة والانجيل حيث أمرنا بالايمان بهما .

« **وما أوتى النبيون** » ممن ذكروا وممن لم يذكروا (**من ربهم**) من الآيات والمعجزات التى أيدوا بها .

(**لانفرق بين أحد منهم**) كما فعل اليهود والنصارى حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض أما المسلمون فلم يفرقوا بين أحد منهم بل آمنوا بجميعهم وبكل ما أنزل عليهم من الكتب والشرائع ، وان لم يعملوا بما أنزل من الشرائع السابقة ، لأنها كانت لأهل أزمان أولئك الرسل، وقد أمر المسلمون بالعمل بالشريعة التى جاء بها الرسول الخاتم والكتاب الخاتم .

أو لا نفرق بين أحد منهم فلا نقول بأنهم متفرقون فى أصول الديانات ، بل ان الرسل جميعا اجتمعوا فى الأصول التى هى الاسلام (**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**) .

(**ونحن له مسلمون**) أى ان اسلامنا لأجل طاعة الله لا للهوى ، ولذلك فقد آمنا بكل المعجزات التى أيد الله بها رسله ولم نرد شيئا منها .

أما أولئك الذين يؤمنون ببعض معجزات الرسل ، ويردون بعضها فلم ينقادوا ويسلموا لطاعة الله ، ولكنهم انقادوا للأهواء ، وليس بمسلم من اتبع الهوى وقال تعالى « **أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** » .

١٤٠ البقرة والآية مدنية .

(أم) فى قوله : أم تقولون ١ — معادلة للهمزة فى قوله تعالى فى الآية السابقة : قل أتحاجوننا فى الله ومعنى ذلك :

أى الأمرين تأتون ــ أ ــ اقامة الحجة على حقية ما أنتم عليه من التثليث أو التشبيه .

ب ــ **أم** الافتراء وادعاء اليهـــودية أو النصرانية على الأنبياء حيث تقولون **آن ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى)** فأنتم تقتدون بهم .

والمراد بهذا انكار الأمرين جميعا : اقامــة الحجة وادعاء يهودية أو نصرانية الأنبياء .

٢ ــ وقد تكون أم منقطعة مقدرة ببـــل و« الهمزة » للاضراب الانتقالى حيث ينتقل من التوبيخ على محاجتهم الى التوبيخ على افترائهم على الأنبياء وفى قراءة : «أم يقولون» بالغيبة تكون أم منقطعـــة للانكار والتوبيخ **(قل أأنتم أعلم أم الله)** .

ويستفهم الله فينكر عليهم ادعاءهم عـــلى الأنبياء بما ادعوا والله أعلم منهم بالدين الذى يدين به ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط .

اما ابراهيم أبو الأنبياء فقد شهد الله له فى قوله : **« ما كان ابراهيم يهـــوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما »** .

وقال فيـــه أيضـــا : **(وما أنزلت التـــوارة والانجيل الا من بعده)** .

وقد حملت التوارة الشريعة اليهودية وجاء الانجيل بالنصرانية فكلاهما كان بعد ابراهيم بمئات السنين فكيف يكون يهوديا أو نصرانيا قبل أن توجد اليهودية والنصرانية فى الوجود.

وأما اسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط فقد كانوا على ملة أبيهم ابراهيم وحين كانوا يعيشون فى هذا الوجود لم يكن لليهودية أو النصرانية وجود .

« ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله » أى ليس هناك أحد أظلم من الذى كتم الشهادة التى عنده وهى حنيفية ابراهيم وبراءته من اليهودية أو النصرانية .

والمعنى : أنه لا أحد أظلم من الكتابيين حين يكتمون هذه الشهادة ، ويثبتون نقيضها وهـــو آن ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا أو لا أحد أظلم منا لو كتمناها ، ولم نقم الحجة عـــلى المخالفين ، وفى هذا تعريض بغاية أظلمية الكتابيين فى كتمان ما يعلمون عن ملة ابراهيم .

وفى ذلك تعريض بأظلميتهم أيضـــا حين يكتمون ما جاء فى التوارة والانجيل فى نعــوت محمد نبى آخر الزمان ، وما جـــاء فى التوراه والانجيل شهادة من الله لمحمد ومن أظلم ممن كتم ذلك .

« وما الله بغافل عما تعملون » من المعاصى ومن بينها كتمان الشهادة والافتراء عـــلى الأنبياء بأنهم يهود أو نصارى وفى هذه الصيغة تاكيد لاحاطة علم الله بكل ما يعملون من افتراء أو اقامة حجج باطلة على زعمهم .

محمد محمد خليفة

القبر أول منازل الآخرة

قال عبد الله بن احمد حدثنى يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف حدثنى عبد الله ابن بحير القاص عن هانىء مولى عثمان قال : كان عثمان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى من هذا ؟

فقال : ان رسول الله صلى عليه وسلم قال:

« القبر أول منازل الاخرة ، فان ينج منه فما بعده أيسر منه ، وان لم ينج منه فما بعده أشد منه » قال : وقال رسول الله صلى عليه وسلم :

« والله ما رأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه » .

رواه احمد فى مسنده ، ورواه الترمذى ٣ : ٢٥٨ ورواه ابن ماجة ٢ : ٢٩٤ ورواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٣٧١ واسناده صحيح وهذا الحديث من زيادات عبد الله بن أحمد .

عثمان بن عفان ولد فى السادسة بعد الفيل ، وقتل شهيدا يوم الجمعة لثمان خلون من ذى الحجة سنة ٣٥ هـ وهو ابن تسعين سنة .

وهو أحد السابقين للاسلام ، وهاجر الهجرتين ، وهو ذو النورين فلم يتزوج بنتى نبى غيره ، وأحد المبشرين بالجنة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وأحد أصحاب الشورى الستة .

وحج بالناس فى خلافته عشر سنين متوالية ودفن بالبقيع .

روى عن رسول الله ﷺ ستة وأربعين ومائة حديث اتفق البخارى ومسلم منها على ثلاثة ، وانفرد البخارى بثمانية ، ومسلم بخمسة ، وروى عنه جمع من الصحابة منهم : زيد بن خالد وابن الزبير وغيرهم وخلق من التابعين .

مفردات الحديث :

القبر : معروف ، وهو سكن الجدث من بعد الموت الى البعث .

أول منازل الآخرة أى : فالقبر أقرب شىء الى الانسان .

وشدته أمارة للشدائد كلها .

للشيخ أحمد حسن جابر رجب

ومعنى « منظرا قط » : أى : فى الدنيا .

« أفظع » . أى : أشد وأشنع من جهة الوحشة والوحدة . البكى : نزول الدمع من غير صوت والمعنى يتلخص فى : دواعى البكى، الخشية ، الخوف .

١ ـ الداعى للبكى اما أن يكون خشية من الله أو شوقا .

الخشية من الله هى الخوف المقرون بالجلال وذلك للعلماء بالله قال الله تعالى « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .

والشوق يكون لما كشف له مما تقصر العبارة عن بيان أدناه فضلا عن أقصاه .

قال الله تعالى ـ مبينا حال من اطلع على الكتب السابقة وعرف حقيقة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل عليه فى تلك الكتب « ويخرون للأذقان يبكون » لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله تعالى وذكر ـ سبحانه ـ الذقن لأنه أول ما يلقى على الأرض من وجه الساجد واللام فى الآية لاختصاص الخرور .

ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى . وقال الله تعالى « أفمن هذا الحديث » يعنى القرآن « تعجبون » انكارا « وتضحكون » استهزاء ، « ولا تبكون » تحزنا على كشف ما فرطتم .

وفى الحديث عن أبى أمامة صدى بن عجلان الباهلى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ليس شىء أحب الى الله تعالى من قطرتين وأثرين : قطرة دموع من خشية الله وقطرة دم تهراق فى سبيل الله تعالى وأما الأثران : فاثر « فى سبيل الله تعالى ، وأثر فى فريضة من فرائض الله تعالى رواه الترمذى فى كتاب الجهاد من جامعه .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ، ولا يجتمع على عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

قوله : « لا يلج النار » يمكن أن يكون نفيا لأصل الولوج فيكون بشرى بالنجاة منها .

ويؤيده ماجاء فى حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت العرش يوم القيامة « رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » رواية الصحيحين .

وفى رواية « ورجل ذكر الله ففاضت عيناه» لابن عساكر .

وفى رواية « وعين بكت من خشية الله » للبيهقى فى الأسماء .

ويحتمل أن يكون نفيا على سبيل التأبيد . حتى يعود اللبن فى الضرع وهو أمر محال عادة والمرتب على المحال محال .

وأما الخوف : فاعلم أن المختار للعبد المكلف حرا كان أو رقيقا ذكرا كان أو أنثى فى حال صحته أن يكون خائفا راجيا ، ليزجره الخوف عن المخالفة ويبعثه الرجاء على اكتساب العمل الصالح .

ويكون خوفه ورجاؤه سواء ، لأن الغالب فى القرآن ذكر الترغيب والترهيب مقترنين .

وقيل يكون خوفه أكثر .

كذلك يجب أن تعلم أن الذى يحل به اضرار قلبه ، ويحوله عن خطاياه وذنوبه . الخوف والرجاء لربه ، لأن الله نهاه عما يهوى قلبه ، وتشتهيه نفسه فجعله للطبع موافقا مطيعا ، وفى المباشرة لذيذا .

وكذا روى عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حفت النار بالشهوات » فأخبر أن العمل الذى يدخل به عامله النار شهى فى النفوس فمن ترك ما يهوى قلبه وتشتهيه نفسه مما كره ربه فقد احتجب عن النار واستوجب الحلول فى جوار الله .

والأعمال التى أمر الله بها وندب اليها أكثرها ممل للقلب ، متعب للجوارح ، أو مشغل عن أضداده من اللذات وذلك كريه فى الطبع ثقيل على النفس ، ولذلك يقول الله تعالى :

« وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ » .

وقال « فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » .

وقال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : « حفت الجنة بالمكاره » فأخبر أن الحجاب الذى حفت به الجنة هو الفعل الذى هو كريه فى النفس ، ثم أخبر أنه من حمل نفسه على ذلك المكروه حتى يؤدى حقوق الله تعالى عليه دخل الجنة .

والله الكريم أعلم بخلقه ، وبما يصلحهم ، فعلم من هذا العبد قبل أن يخلقه أنه اذا طبعه على حب ما وافقه وبغض ما خالفه ، ثم علم مايوافقه مما يخالفه فهاجت لذلك شهواته ونازعته الى ذلك نفسه ، ولا سيما من خاض فى استعمال الشهوات عمره لن يدع ما تشتهى نفسه الا أن يخلق الله له نعيما مقيما ، ثم يرجيه ذلك النعيم ويعده اياه فخلقهما جميعا لعلمه بخلقه وما أراد من كرامة أوليائه ، وهو أن أعدائه ، وعلم أن هذا العبد الضعيف الجاهل اذا غيب عنه الثواب والعقاب وصار امذكورين فى الخبر لا بالعيان لم يسمح قلبه بترك الشهوات وتحمل المكاره الا بالخوف لما خوف والرجاء لما رجى فخوف عباده وتهددهم ورجاهم ووعدهم ليخوفوا أنفسهم ويرجوها فيخافوه ، ولذلك وصف الذين فهموا ذلك عنه وخافوه فقال عز وجل .

« وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى » .

فأخبر أنه لما خاف ربه نهى نفسه عن الهوى .

وقال تعالى :

« وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ »

وقال :

« الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ » .

فأخبر أن ما غاب عنهم من العقاب وهم له خائفون لما رجاهم من الغيب راجون ، وأنهم لما خافوا ورجوا هربوا وطلبوا

وانما جعل الجزاء من العقاب والثواب والرهبة والرغبة من الله تعالى ليذلوا للمجازى فيعبدوه بالخضوع له والذلة ليورثهم فى الآخرة النعيم والعز وأخبر أنهم لما رغبوا ورهبوا خضعوا له بالذلة ، لأن أهل الدنيا من خاف منهم ذل لمن يخافه حتى يعفو عنه ، ومن طمع منهم ذل لمن يرجوه حتى ينال منه ما يأمل وسارع فى محبته . وكذلك وصف أولياءه فقال

« يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ » .

قال الحسن : هو الخوف الدائم .

وقال مجاهد : الذل فى القلب يعنى ذل الخوف ، لأنهم لما رجوا ما غاب عنهم من الثواب تحملوا المكروه .

فالذى ينال به الخوف معرفة قدر العذاب العظيم ، والذى يفطم به معرفة قدر العذاب العظيم التخويف ، والتخويف ينال بالفكر فى المعاد والفكر ينال بالذكر والذكر التيقظ من الغفلة .

وفى الحديث زيارة القبور . وهى للرجال متفق عليها عند العلماء . فانهاتزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة . وهى للنساء مختلف فيها عندهم أما الشواب فحرام عليهن الخروج . وأما القواعد فمباح لهن .

والزيارة جائزة لجميعهن اذا انفردن بالخروج عن الرجال وعلى هذا يكون قوله صلى الله عليه وسلم « زوروا القبور » عاما .

وأما موضع أو وقت تخشى فيه الفتنة من اجتماع الرجال والنساء فلا يجوز ولا يحل حتى لاتقع الفتنة للرجل أو المرأة . فيرجع كل واحد من الرجال والنساء مأزورا لا مأجورا فمن عظم عليه « ران » القلب ، واستحكمت فيه دواعى الذنب فزيارة قبور الموتى تبلغ فى دفع ذلك مالايبلغه ذكر الموت ولاشاهده المحتضر لأن زيارة القبور معاينة .

قال صلى الله عليه وسلم « وليس الخبر كالمعاينة » رواه ابن عباس ولم يروه أحد غيره ، فزيارة القبور نفعها أسرع والانتفاع بها أليق وأجدر .

وللزيارة آداب تركناها خشية الاطالة .

وبعد فان سيدنا عثمان رضى الله عنه كان ينظر الى الغيب من ستر رقيق فكان يبكى عند زيادة القبر ، لأن الأمة المحمدية قد امتحنت به امتحانا قاسيا فى حياته وعند مقتله ومعه وبعده وكان عنوانا لبلائها الشديد الى يومنا هذا وميزان المحبة لله ولرسوله ولصحابته لا يميل شعرة لظرف طارىء يحدث فى زمان أو مكان تحت أى ضغط من سلوك معين لأحد من الصحابة رضوان الله عليهم وكل من تظاهر بمحبة احدهم على حساب الآخر فتجارته مع الله خاسرة ويخشى عليه من سوء الخاتمة والله يحسن ختامنا .

احمد حسن جابر رجب

الصوفية

بين ابن تيمية
وأستاذه عبد القادر الجيلانى

ان الحمد لله وحده لا شريك له ، والصلاة والسلام على رسول الله صاحب المقام المحمود ، والشفاعة العظمى ، يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ، لان سلامة القلب هى مناط الخير ، وطريق النجاة الى دار الكرامة اذ يوفى الصالحون أجرهم لقاء ما أسلفوا من سوابق الخير ، وسوابغ افضل فى التجارة مع الله سبحانه وتعالى وبعد :

فان خصومة الفكر يجب أن تبعد تماما فى فهمها وتقييمها عن الخصومة الشخصية ، فان ثمة بونا كبيرا بين الخصومة الفكرية ، وبين الخصومة الشخصية لأن الاولى قد تحدث بين أعز الخلان ، وأحب الأصدقاء ، وهذا أمر مفروغ منه ، لكنه منكر عند الدهماء الذين قل نصيبهم من العلم والتجريب ورجاحة العقل .

وقد عانت ، وتعانى المعارك الفكرية من خطل الفهم ، وخطأ التقدير وكانت نتيجة ذلك وخيمة فى أكثر الأحيان ولا مجال لبسط القول فيها هنا .

***

وفى حملته الضارية ضد الصوفية الشاطحة كان ابن تيمية عنيفا قاسيا وخص منهم الحلوليين الذين تأولوا تأويلات غير مشروعة ، أو مسبوقة باجماع أو قياس صحيح .

فلم تلن قناته ولم تهدأ ثائرته حيث انبرى لهؤلاء الحلوليين وقذعهم بالمنكرات وطاخهم بالقبائح ، ونعرف جميعا مدى مالاقاه فى حياته من سجن ونفى وتشريد .

والحكم الصحيح على الأمور لا يكون الا بعد فهم صحيح ، والذين حكموا على الرجل من ظاهر أقواله ، أو من بعضها أو استنباطا من آراء آخرين فيه ظلموا الرجل ، وظلموا الصوفية أيضا ظلما فادحا . ومن ثم كان دورنا فى هذا البحث انصافا للحق وللرجل رحمه الله ، فان مصنفاته القيمة وتراثه الضخم يجلى كل غموض وينفى كل لبس .

للدكتور السيد الجميلى

فالرجل كان ثائرا على الحلوليين من الصوفية ، والقائلين بالاتحاد والوحدة بمفهومهما الفلسفى الذى ينكره الدين ، وهو لا ينكر الولاية ، ويصفها بأنها ايمان وتقوى كما يقر بأن (الكرامة) ثمرة طيبة طبيعية للايمان والتقوى ، وهو يشيد بكرامات الأولياء ، كما هى عقيدة السلف رضى الله عنهم • ويصف أولياء الله وكراماتهم بقوله :

« وأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، وكراماتهم ثمرة ايمانهم وتقواهم ، وأكابر الأولياء هم المؤمنون المتقون الذين يستعملون هذه الكرامات للدين أو لحاجة المسلمين ، والمقتصدون قد يستعملونها فى المباحات ، وأما من استعان بها فى المعاصى فهو ظالم لنفسه ، متعد حد ربه ، وان كان سببها الايمان والتقوى » أ هـ •

راجع مجموع الفتاوى (١ / ١٧٧) بتصرف ويصف الشاطحين المتأولين بقوله :

« •• وكذلك من يقول بالحلول كما يقول الجهمية الذين يقولون ان الله بذاته فى كل مكان ، مختلطا بالمخلوقات مثل الكلاب والخنازير والنجاسات فمن أراد هذا فهو ملحد ضال يجب أن يستتاب •

السابق (٢ / ٤٩٠) بتصرف فى اللفظ والعبارة •

ويعرف ابن تيمية (الولاية) « بأنها موافقة الله سبحانه وتعالى لما يحب ، والبغض لما يبغض ، والرضى بما يرضى ، والسخط بما يسخط ، والأمر بما أمر والنهى عما ينتهى ، والموالاة لأوليائه » أ هـ •

وهو يستشهد بأصح الأحاديث فى الولاية ، وهو الوارد فى صحيح البخارى : —

« من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب •• الحديث »

راجع السابق (٢ / ٣٧٠)

وهذا هو مذهب السلف استنادا الى قوله تعالى : —

« أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »

يونس (١٠ / ٦٢) • راجع جامع البيان للطبرى (١١/١٣٢) •

والقرطبى (٨ / ٣٥٧) ط • دار الكتب والكشاف (٢ / ٢٤٣) ط • المعرفة •

***

وقد كان ينتصر للشيخ عبد القادر الجيلانى الصوفى الكبير المعروف فى أكثر آرائه ، وكان دائما يقول : « يقول سيدى عبد القادر •• » وقد لفت نظرى احترامه وتقديره للشيخ عبد القادر ، فاذا ما خالف رأيه فى مسألة قال : « وقد قيل أن سيدى عبد القادر قد

الصوفية بين ابن تيمية وأستاذه عبد القادر الجيلاني

قال كذا وكذا ، ولا أعتقد أنه قالها ، أو استبعد أن يكون قد قال ذلك ، أو أرجح ألا يكون هذا رأيه » .

وقد بحثت هذه المسألة فاتضح أن عبد القادر رحمه الله كان شيخه الذى تلقى عليه « علم الحديث » فقلت : سبحان الله !!

هكذا يكون احترام أهل العلم والفضل ، وهل يعرف الفضل لأولي الفضل الا ذوو الفضل .

انظر شيئا من ذلك فى « مجموع الفتاوى » (٢ / ٤٥٨)

***

الشيخ نصر المنبجى كان رجلا صوفيا صالحا ، وكان ابن تيمية رحمه الله يجله ويقدره وقد بعث اليه رسالة قال فيها : —

« من أحمد بن تيمية الى الشيخ العارف بالله القدوة ، السالك الناسك (أبى الفتح نصر) فتح الله على باطنه وظاهره ما فتح به على قلوب أوليائه ، ونصره على شياطين الانس والجن فى جهره واخفائه ، ونهج به الطريق المحمدية الموافقة لشرعته .. الخ »

راجع المجموع (٢ / ٤٥٢ — ٤٥٦)

***

ومن الجدير بالذكر أنه حين قدومه الى مصر نزل مدينة الاسكندرية مع غروب الشمس فذهب لصلاة المغرب فى أحد مساجدها ، وكان امام المصلين هو ابن عطاء الله السكندرى الصوفى الكبير فصلى ابن تيمية خلفه ، وبعد أن قضيت الصلاة تعانق الشيخان عناقا طويلا ، واغتبط ابن عطاء الله بلقاء ابن تيمية وهنأه بسلامة الوصول ، وناقش معه قضايا الخلاف الجوهرية بين الفريقين وقارعه الحجة بالحجة فى لقاء علمى رائع أورده بن كثير فى تاريخه المشهور ، وكان مما سأل ابن عطاء الله .

— ما تقول فى يافقيه ؟

— أعرف أنك رجل صالح عالم عامل ورع .

ولقد كانت الفرحة والبهجة تعلو أسارير الوجه ، والانشراح يغمر القلب فوق كل اعتبار يتقاصر ازاءه كل خلاف فى الرأى بين العالمين الكبيرين .

***

ومما يدل على ورع الرجل وتقواه أن الناصر محمد بن قلاوون لما أن مكن له فى السلطان ، وأعطاه ثقة مطلقة أراد أن يقضى على خصومه من الصوفية ، ويبيد خضراءهم ويمحق آثارهم فأراد أن يفتيه فى ذلك فأبى عليه ابن تيمية ذلك وأغلظ له القول وقال : ان دماءهم حرام عليك .

قال السلطان : لقد أرادوا منى قتلك والفتك بك ، فأجابه ابن تيمية على الفور « كل من آذانى اليوم فهو فى حل من جهتى »

راجع أسبوع الفقه الاسلامى بدمشق . أبريل سنة ١٩٦١ م .

شوال ١٣٨٠ هـ . ص ٦٧٩ بتصرف .

كما يرى أن ما سنه الخلفاء الراشدون سنة يجب الاقتداء بها .

المجموع (٢٢ / ٢٣٤)

ويرى أن الكمال فى كمال طاعة الرسول ظاهرا وباطنا .

السابق (١٠ / ٥٤٦ — ٥٤٩)

ولا يكون الترجيح بالالهام والذوق أو القضاء والقدر الا اذا لم يتبين الحكم الشرعى بجلاء ووضوح •

مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٧٠ — ٤٨٠)

وابن تيمية لا ينكر المكاشفة مطلقا كما يتوهم البعض لكنه يرى تقييد الالهام والمكاشفة والتحدث بالمخاطبة بالكتاب والسنة •

المجموع (٢ / ٢٢٦ — ٢٢٧)

ويؤكد أن ترجيح القلب التقى أمر شرعى فى قوله : « القلب المعمور بالتقوى اذا رجح بمجرد رأيه فهو ترجيح شرعى » •

السابق (٢٠ / ٤٢ — ٤٧)

أما عن العلم اللدنى ، فهو يراه « ما يفتح به الله على قلوب أوليائه المتقين ، وعباده الصالحين ، بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه ، واتباعهم ما يحبه ما لا يفتح على غيرهم » •

المجموع (١٣ / ٢٤٥ و ٢٤٧)

ويرى أن الكشف والمنامات انما يستشهد بها فقط فى مسائل العلم والدين ، لكنها تأتى ى المرتبة الثانية بعد الكتاب والسنة •

السابق (٢٤ / ٣٧٤) ومابعدها بتصرف •

كما يرى تلميذه ابن قيم الجوزية أن التصوف الحق هو العمل بالسنة واتباع ما أنزل الله على رسوله فيقول : —

أصل هذا المذهب ملازمة الكتاب والسنة ، وترك الأهواء والبدع والتمسك بالأئمة ، والاقتداء بالسلف ، وترك ما أحدثه الآخرون •

راجع مدارج السالكين (٣ / ٧٤) ط • المنار الأولى •

وسئل عن التصوف فقال : « الصبر تحت الأمر والنهى » •

السابق نفس الصفحة

وسبق ابن تيمية فى وصف الامام الجنيد :

« ولقد كان الجنيد علما من أعلام الحق والهدى » أ هـ •

وخلع ابن تيمية على الصوفية الخلصاء الأبرار أجمل النعوت وأعظمها فى قوله عنهم : —

« انهم من أجل الصديقين ، وانهم أكمل صديقى زمانهم » أ هـ •

وقد توفر ابن القيم على شرح كتاب الامام الهروى الصوفى وأقره وقد اختلف معه حينا ، ووافقه أحيانا لكنه رضى عنه ورضى به •

***

فى مجمل العبارة ينجلى حيالنا أن خصومة ابن تيمية كانت مع طائفة خاصة من الصوفية ، وهذه المعركة الضارية لم تمنعه من أن يصدع بالحق لانصاف الصوفية الخلصاء المتقين الذين آمنوا بالله واتقوه حق تقاته ، وأجمل مانقل عنه قوله : —

« وأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، سواء سمى أحدهم فقيرا أو صوفيا ، أو فقيها ، أو عالما ، أو تاجرا ، أو جنديا ، أو صانعا ، أو أميرا ، أو حاكما ، أو غير ذلك •• »

المجموع (١١ / ٢٢)

نسأل الله أن يرحم هؤلاء وهؤلاء ، وأن يتغمدنا بوابل من رحمته وأن يتقبل منا ومنهم ، وأن يقوى أبصارنا وينقى بصائرنا لرؤية الحق والحقيقة ، والجنف والصدوف عما يغضبه •

اللهم ارحم مشايخنا وعلماءنا لقاء ماقدموا فى صدق نية وحسن طوية وأن تلحقنا بهم فى دار المقامة — آمين •

« السيد الجميلى »

الشريعة
فى مجلس الشعب

للشيخ عطية صقر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد، فأحمد الله الذى أتاح لى الفرصة لاتحدث من أوسع قناة شرعية ورسمية فى موضوع هو أهم الموضوعات بالنسبة الى العالم الاسلامى عامة وبالنسبة لمصر خاصة، ذلكم هو موضوع استكمال تطبيق الشريعة الاسلامية، وقد اخترت تعبير « استكمال » انصافا للحقيقة، حيث لا ينبغى فى الحكم على الشىء التركيز على السلبيات عند القدح ولا على الايجابيات عند المدح، فالشريعة بمعناها الواسع تشمل العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات وجميع النظم الأسرية والدستورية والقضائية والدولية وغيرها (١) .

ومصر — بحمد الله — تمارس جزءا كبيرا من الشريعة على وجه استحقت به أن تكون زعيمة العالم الاسلامى . فشعبها أحسن الشعوب فهما للدين وسلامة فى العقيدة واحتراما للعبادة وتقديرا للأخلاق . وتجاوبا مع التطور المتزن فى الحضارة والعمران، والمطلوب هو استكمال التطبيق فى أمور وان كان حجمها صغيرا فان أثرها كبير ، والتطلع الى الكمال سمة الأخيار . فالمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، والمؤمن لا يشبع من خير حتى يكون منتهاه الجنة ، كما جاءت بذلك الأحاديث النبوية .

ان كلمتى فى نقطتين .

أولاهما : فى المطالبة باستكمال التطبيق

والثانية : فى أهمية التطبيق .

أما الأولى فالحديث عنها من منطلقات أربعة ، منطلق دينى ومنطلق تاريخى ، ومنطلق شعبى ، ومنطلق دستورى . وبيان ذلك باختصار .

(١) القى ملخص تلك الكلمة بمجلس الشعب يوم السبت ٤ـ٥ـ١٩٨٥

١ ـ أما المنطق الدينى فنحن كأمة مسلمة نعيش فى بلد دينه الرسمى هو الاســـلام ، يأمرنا الدين بالدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولاشك أن كمال التطبيق لشريعة خير ومعروف والتقصير فيه منكر قال تعالى : « وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » . سورة آل عمران : ١٠٤ .

وعندما أصدر الله سبحانه قراره الحكيم بخيرية هذه الأمة جعل من أولى الحيثيات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال : « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » سورة آل عمران : ١١٠ وجعل من الصفات المميزة لهـــا ولاية بعضهم لبعض فى التناصح فقال : « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ » سورة التوبة : ٧١ وقال : « وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » . ومن صور هذه الولاية التشاور فيما لم يرد فيه نص قاطع ، قال تعالى فى صفات المؤمنين « وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ » سورة الشــورى ٣٨ والتشاور كما يكون بين الأفراد بعضهم مـــع بعض يكون بين القاعدة والقمة ، بين الراعى والرعية قال تعالى لنبيه محمد ﷺ « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ » سورة آل عمران : ١٥٩ .

وكان ﷺ أكثر الناس مشاورة لأصحابه ، والشواهد على ذلك كثيرة ، فى الحرب والسلم على السواء .

وعلى المستوى الخاص والعام ، وقال ﷺ فى الحديث الصحيح « الدين النصيحة ، للــه ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم » على بعض ما فسرت به النصيحة فى هذا الحديث ولم يكتف الاسلام بحد فى التناصح بل صرح بالأمر به فى نصوص كثيرة ، وقال النبى ﷺ « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » .

ولم يكتف الاسلام أيضا بالأمــر الصريح بالتناصح ، بل أكده بالنهى عن التقصير فيه ، حتى لا نكون ممــن لعنهم الله بقولــــه : « كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » سورة المائدة : ٧٩ ، وفى الحديث الذى صححه الحاكم « اذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم » وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : يا أيها

الشريعة فى مجلس الشعب

الناس انكم تقرءون هذه الآية «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ» وانى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده» رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح، وقال أبو على الدقاق، كما فى رسالة القشيرى، الساكت عن الحق شيطان أخرس.

٢ — أما المنطلق التاريخى فبيانه أن مصر كانت الى ما قبل الاحتلال الانجليزى تحكم بالشريعة الاسلامية وان لم يكن لها دستور مدون على النظام الحديث، فدستورها القرآن والسنة، ولم تكن هناك مجالس تشريعية لعدم الحاجة اليها، حيث سد فراغها الجامع الأزهر الشريف، بما اضطلع به من أعباء عشرة قرون، من تعليم لهذا الدستور، وشرح لقوانينه، بل ورقابة على تنفيذه، الى أن حكمت مصر منذ مائة سنة تقريبا بالقانون الوضعى الغريب الذى عارضه الغيورون على دينهم ووطنهم، وقامت محاولة لتقنين الشريعة على نظام حديث بمعرفة «قدرى باشا» فى كتابه «مرشد الحيران» الذى حالت دون الأخذ به عقبات وعقبات.

وفى العشرينيات من هذا القرن علت صيحة العودة الى التشريع الاسلامى بجعل القرآن دستورا للأمة. وأخيرا قامت صحوة بوجوب تطبيق ما تضمنه الدستور الوضعى فى مادته الثانية. والاقتراح المقدم الى المجلس اليوم هو حلقة من حلقات هذه السلسلة التاريخية للمناداة بتطبيق الشريعة الاسلامية تطبيقا كاملا.

٣ — أما المنطلق الشعبى فيتلخص فى أن الحركة الانتخابية الأخيرة شهدت نشاطا كبيرا فى الدعوة، وكثرت الشعارات المكتوبة وغير المكتوبة بأن الشريعة هى المصدر الرئيسى للتشريع، وأخذت العهود بين الشعب والمرشحين لتحقيق هذه الشعارات، ومازلنا — بعد اختيار الشعب لنا — نسأل عن الوعد الذى قطعناه على أنفسنا، فوفاء بالوعد نتقدم بطلب استكمال التطبيق للشريعة الاسلامية، لنكون عند حسن الظن.

٤ — أما المنطلق الدستورى فبيانه أن أول يوم جئنا فيه هذه القاعة أقسمنا بالله العظيم — وانه لقسم لو تعلمون عظيم — على احترام الدستور والقانون، حتى لا يظل مجرد شعار كغيره من الشعارات وعلى الأخص ما جاء فى مادته الثانية المتعلقة بالتشريع، ومادته الثانية عشرة المتعلقة بالسلوك، حيث نصت على أن المجتمع والدولة مطالبان بالالتزام بمبادىء الأخلاق والتمكين للتقاليد المصرية الأصيلة واذا تجاوزنا الحديث عن واجب المجتمع الذى لا نعفيه من المسئولية فى هذا المقام، وهى مسئولية موزعة كما نص الحديث الشريف «كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته ....» فنحن كنواب عن المجتمع نرى أن بعض الأجهزة لا تعطى الرعاية الكافية للتربية الدينية والخلقية والوطنية كنص

الدستور ، بل ان بعضها قد يسير فى خط مضاد ، مما أدى الى كثرة الشكاوى من استيلائها على مشاعر الكبار والصغار على السواء • وتركت بصمتها على سلوكهم جميعا ، حيث اقتحمت عليهم أبوابهم ولاحقتهم فى مخادعهم طوعا أو كرها • ومن هنا نطالب بتطبيق هاتين المادتين بوجه خاص •

تلك هى مبررات المناداة باستعمال تطبيق الشريعة الاسلامية ، واسمحوا لى فى دقائق أن أتحدث عن أهمية التطبيق نفسه ، مع ثقتى بأن جميع المواطنين أو أكثرهم حريص على هذا التطبيق ، ويعلم كل العلم أن السعادة كل السعادة فى التمسك بالدين •

ان كل عمل يحتاج فى تطبيقه الى أمرين ،

أولهما : وجود المقتضى •

والثانى : عدم المانع ، والمقتضى للتطبيق ليس واحدا بل مقتضيات عدة ، نكتفى منها بمقتضى دينى ومقتضى تاريخى ومقتضى وطنى •

١ — فالمقتضى الدينى هو أمر الله باتباع أمره وطاعته ، والتحذير من مخالفته ، ومعصيته والنصوص فى ذلك أشق من أن تذكر وأكثر من أن تحصر ، نكتفى منها بما يلى :

فى الأمر قال الله تعالى « **اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ** » سورة الاعراف : ٣ وقال « **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** » سورة الانعام : ١٥٣ وقال « **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ** » سورة الجاثية : ١٨ ، ١٩ وقال « **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ** » سورة المائدة : ٤٩ وقال « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** » سورة النساء : ٥٩ •

وفى التحذير قال سبحانه « **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** » سورة النور : ٦٣ •

ونحن لا نحب أن نكون ممن شملهم عموم الآية الكريمة أو شبيهين بمن نزلت فيهم خاصة ، وهى قوله تعالى « **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** » سورة المائدة : ٤٤ وكذلك قوله « **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** » سورة النساء : ٦٥ وقوله

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا »

سورة النساء : ٦٠ ، ٦١ .

٢ ــ والمقتضى التاريخى أن بلدنا منذ عهد الفراعنة نرى على حضارتها مسحة دينية ، بنت من أجلها الأهرام وحنطت الأجسام ودفنت معها بعض الأطعمة ليقوم بعد الموت ويتمتع بعد المساءلة والحساب والميزان .. ولا عجب فى ذلك فقد ولد وأرسل فيها نبى من أقدم الأنبياء هو ادريس عليه السلام نشأ بمصر وحكم ودعا الى التوحيد « أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ » وكذلك يوسف عليه السلام ، وولد كذلك ونشأ وأرسل ــ فى مصر ــ موسى وهارون عليهما السلام ، وشرفها أيضا عيسى عليه السلام ووقف أتباعه وقفة الأبطال ضد وثنية الرومان واستشهد منهم كثيرون فى الثمانينيات من القرن الثالث الميلادى ثم فتحوا صدورهم للعرب الفاتحين لما عرفوه عنهم من رحمة وعدل وأطل على مصر نور الاسلام منذ أربعة عشر قرنا وظلت بفضل الجامع الازهر الشريف حفيظة على الدين واللغة العربية دراسة ونشرا وممارسة قوية عزيزة ردت الغزاه على أعقابهم خاسرين فى عين جالوت وخلصت القدس من أيدى الصليبين فى حطين ، ووقفت ضد الاستعمار صفا واحدا صامدة مقاومة حتى رحل عنها بفضل قوة الدين الذى غرس فى نفوسهم تعشق الحرية وحب الاستقلال ورفض الذل والهوان . وكان عبورها فى أكتوبر المجيد تحت راية الله أكبر وهم صائمون . ان أمة بهذا التاريخ الدينى الطويل يعز عليها مالا يتلاءم مع شخصيتها ولا مع مركزها الأدبى الرائع بين دول العالم الاسلامى .

ومن هنا كان الدين والتدين ضرورة لا غنى عنهما .

٣ ــ أما المقتضى الوطنى فيبدو واضحا فى مثل واحد من أمثلة كثيرة . ذلك أن رخاء المجتمع الذى ننادى به اليوم ونطمع اليه لحظة تلو لحظة ، أساسه تنمية موارد الثروة وترشيد الاستهلاك ولا يكون ذلك الا بالانضباط وعدم التسيب وهاتان الكلمتان ترجمة عصرية لكلمتى الطاعة وعدم المعصية وهما جناحا التقوى التى هى امتثال الأوامر واجتناب النواهى ، وذلك سلوك لا يقبل عند الله ولا يؤدى الغرض منه الا اذا كان نابعا من ايمان يرجى به الثواب على الطاعة ونخشى منه العقاب على المعصية ، وبتعاون الايمان مع التقوى يكون الخير كله ، وليست هذه النتيجة قرارا أو وعدا من شرق أو غرب بل من رب الشرق والغرب جميعا ، وهو الله سبحانه حيث قال « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ »

سورة الاعراف ٩٦ والبركات بالجمع والتنكير بركات شاملة عامة تأكدت بالنص على أنهما من السماء والأرض أى من كل مكان وفى أى مجال

قال

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » سورة النحل ٩٧ .. وقال « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا » سورة النور ٥٥ وقال « وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ » سورة الجن ١٦ وقال « قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » سورة المائدة : ١٥ ، ١٦ والنبى ﷺ قال « انى تركت فيكم ما ان تمسكتم به فلن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتى » رواه الحاكم وصححه .

ان الأديان بوجه عام رسالات سماوية تستهدف الاصلاح الشامل ، وقد قال الله لآدم حين أهبطه الى الأرض ليباشر مهمته « فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى .

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى » سورة طه ١٢٣ ، ١٢٧ والاسلام بوجه خاص رسالة كاملة وافية بكل مقومات السعادة ، قال تعالى « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » سورة المائدة ٣

قال « إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ » سورة الاسراء ٩ وقال « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ » سورة النحل ٨٩ — واذا عرفنا أن الاسلام يقدس العمل ويرفع منزلة العاملين فى أى قطاع من القطاعات ويوزع المسئولية على كل المجتمع — عرفنا كيف يكون أثر تطبيق الشريعة فى الرخاء الشامل . والنصوص فى ذلك كثيرة .

تلك هى باختصار شديد المقتضيات لتطبيق الشريعة تطبيقا كاملا ، ولا أزعم — وهذا ما يجب أن يفهمه كل مسلم — أن كل المجتمعات الدينية — حتى فى عصورها الزاهية — بلغت

ذروة الكمال فى التطبيق ، أو خلت من السلبيات فالناس بشر أبوهم آدم الذى أكل من الشجرة لحكمة أرادها الله ، وكل بنى آدم خطـــاء كما جاء فى الحديث ولكن المجتمعات تتفاوت فى هذا التطبيق ، فان لم تصل الى الكمـــال فحسبها أنها جاهدت لتصل ، وكما جاء فى الحديث « الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا .. » رواه البخارى أما عدم المانع فيكفى أن أضع أمامكم هـــذه الحقائق :

١ ــ نحن نعتز بأننا نملك اصدار القـــرار بأنفسنا ، وبكامل حريتنا ، لا نتملق فيه أحدا ولا نرهب أى سلطان ، وهذا أمـــر يجب أن يفاخر به كل مؤمن حر كريم ، ويقتضى ذلك أن نجعله واقعا حيا ، ولا يبقى مجرد شعـــار نزهى به ونفاخر ، قال تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ.كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ » سورة الصف ٢ ، ٣ .

٢ ــ عندما قرر الله سبحانه عـــدم تمكين المشركين من دخول المسجد الحرام ، مع أنهم كانوا ذوى نشاط اقتصادى يفيد منـــه أهـــل مكة ، كما يفيد الناس من العملة الصعبة اليوم عن طريق السياحة والاتفاقيات ــ قال الله مع ذلك « وان خفتم عيلة ــ أى فقرا ــ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيـــمٌ حَكِيـــمٌ » سورة التوبة ٢٨ فهو عليم بما نحتاجه حكيم فى وضع القرار المناسب ، ذلك أن القيم لا تشترى بالمال والدين يرخص فى سبيله كل غال :

٣ ــ نحن نملك رصيدا كبيرا من الحكمـــة والخبرة والدقة وحسن التخطيط وبعد النظـــر ما نتفادى به ردود فعل سيئة أو أخطاء تحدث عند التطبيق ، وأسلوب الاسلام معروف فى كل تشريع من هذا القبيل .

٤ ــ الاسلام ليس شبحا مخيفا ولا سيفا مصلتا على رقاب الناس ، سواء منهم من آمن به ومن لم يؤمن ، فهو مع المؤمنين يقـــول « لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا » ســـورة البقرة ٢٨٦ وفى الحديث الشريف « ادرءوا الحدود بالشبهات » .

ومع غيرهم دين عدل وانصاف وتســـامح فى أعلى الدرجات ، فقد نعم فى ظله كل صاحب فكر وعقيدة فى حدود الحفاظ على أمن المجتمع وسلامته ، قال تعالى « وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ » ســـورة الكهف ٢٩ وقال « فَمَا اسْـــتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ » سورة التوبة ٧ وقـــال « لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُـــمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِـــطِينَ » سورة الممتحنة ٨ ، وأوجب على المؤمنين ان يحترموا كل الرسل ويؤمنوا بهم جميعـــا

« لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ » سورة البقرة ٢٨٥ وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم « الأنبياء أخوة من علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لانه ليس بينى وبينه نبى » وحافظ على وحدة المجتمع لدرجة أنه ﷺ قال « من آذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة » رواه أبو داود بأوسع من ذلك .

والأمثلة كثيرة فى التاريخ تؤكد الحرص على أمن المجتمع مهما تعددت أديانه وتاريخ مصر بالذات يشهد تعاونا رائعا فى هذا المجال، ففى ثورة ١٩١٩ وقفت الأمة كلها أمام الاستعمار تطالب بالاستقلال ، وفى عبور أكتوبر لم يفرق المدفع بين مواطن ومواطن ، فالكل يدافعون عن النيل الذى شربوا من مائه جميعا .

ه ــ فقه الشريعة أصبح ميسورا للفهم والتطبيق بعد أن قامت اللجان المختصة من فقهاء الشريعة والقانون بوضع مشروعات القوانين على النظام الحديث وأقرها الازهر الشريف وأودعت أمانة مجلس الشعب منذ مدة طويلة . وبعد ، فاسمحوا لى أن أعرض أمامكم قضيتين :

الأولى : أناشد فيها القضاة والمستشاريين أن ينظروا فيها بعقولهم وقلوبهم وأن يحكموا فيها بعلمهم وضمائرهم معا : رجل استقر فى داره زمنا طويلا ثم جاء غاصب جبار احتل داره وطرده منها ، أو زاحمه فيها ، ومعه وحش كاسر يرهب به أصحاب الدار ، وكم شكا الرجل فلم تسمع شكواه لأن الخصم فى قضيته هو الحكم وشاء الله أن يرحل هذا الطاغية وترك وحشه كأثر من آثاره ،

أليس من العدل أن ننصف صاحب الدار فنعيده اليها ، أو نمكنه من التمتع بها بدل أن نبقى على الوحش الذى رحل سيده ، ونحاول استئناسه بتقليم أظافره أو خلع أنيابه ، أو نحاول حشد المبررات والحجج لنثبت شرعية احتلاله ونعمل على استقراره بدل ازعاجه .

ان السبع سبع ولو كلت مخالبة وان استقرار صاحب البيت أولى من استقرار الظالم الجبار.

والقضية الثانية : أضعها أمام الكتاب والفلاسفة والمصلحين ، لبسنا ثوبا منسوجا من مادة مناسبة استراحت لها أجسامنا وهدأت أعصابنا ثم أرغمنا على خلعه لنلبس ثوبا من ألياف صناعية بموادها الكيماوية التى أثارت الحساسية فى أجسامنا والقلق فى أعصابنا ، وهو فى الوقت نفسه لا يقى حرا ولا يدفع برداء بل انه لرقته وشفافيته كشف باسم الحرية عما كان ينبغى أن يستر ، وأغرى باسم المدنية على ارتكاب السوء والمنكر والآن وقد قامت أعظم بيوت الخبرة فى الأزياء ، باعادة ثوبنا الأصلى على طراز جمع بين أصالة الجوهر وحسن المظهر ، أفليس من الخير أن نعود اليه بدل أن نحاول تطويع أجسامنا وأعصابنا لتتلاءم مع الجديد الغريب ، أو نعالج كيماوياته بما يمنع الحساسية ، أو نرقعه بما

يسد خروقه ، ان الذى خلق أجسامنا بقدرته ألبسنا الثوب المناسب بحكمته ، فأين صـنع البشر من صنع رب البشر « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً » سـورة البقرة ١٣٨

« أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » سورة المائدة ٥٠ .

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّـــهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ » .

واذا كان فيما يحيينا انفتاح وتوازن وحرية وتمدن فليكن فى اطار الدستور الذى أقررتموه فى مادتــه الثانيـــة ، فى اطار الدين كما يقول رب العزة « فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » سـورة النساء ٥٩ فكم من أخطاء ارتكبت باسم هذه الشعارات ، وذلك لخطأ فى الفهم أو لخطأ فى التطبيق .

أستطيع الآن أن أقول بكل ارتياح « اللهم قد بلغنا فاشهد ، ويا أيها الشعب قد وعدنـا فأوفينا بالوعد ، ويا أيها التاريخ سجل أن مصر مازالت على العهد بها مؤمنة بربها متمسكة بدينها ، لم تمت ضمائرها مهما اشتد الضغط ولم يتبلد حسها حتى لو طال العهد ، فالخير موجود فيها الى يوم القيامة .

واخيرا اذا كان لى من نصـــيحة فهى الى الزملاء ممثلى الشعب الذين يقننون للشعب ، وهى أن يضعوا أمام أعينهم قول النبى ﷺ « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سـنة سـيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بهـــا الى يوم القيامة » رواه مسلم .

وأن يكونوا خير قدوة للشعب فى صـدق الالتزام حتى تدوم الثقة بهم وحتى يبارك الله جهودهم ، ان التاريخ لا يرحم واللـــه على كل شىء شهيد .

واذا كان لى دعاء فهو دعاء من الأعمـاق لمصرنا العزيزة بدوام الرقىوالازدهار ، ولولاة أمورنا بكمال التوفيق والسداد فى ظل الشريعة الغراء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عطيـة صـقر

الفتاوى

للأستاذ عبد الحميد السيد شاهين

س : من السيد / ع ٠ ا عبد الله ٠٠ من الشرقية ٠

عندنا مسجد فرش بالسجاد ولكن وجد بالسجاد رسم للصلبان ٠٠ فما الحكم ؟

ج : ينبغي أن يراعى في فرش المسجد أن يكون بدون نقوش ، فاذا وجدت هذه النقوش وكان من بينها رسم الصليب وجب أن يطمس رسم الصليب بلون ثابت ، والا طويت ولا يصلى على هذا السجاد ٠

س : من السيد / م ٠ ع صقر ٠٠ البحيرة ٠

حلفت والدتي على المصحف بالا تأخذ أية حاجة من أولادها ونريد الآن ان نعطي أمنا حاجاتها ٠٠ فكيف نكفر عن هذا الحلف ؟

ج : على هذه الأم أن تأخذ ما تشاء من أولادها ، وعليها كفارة يمين وهي : اطعام عشرة مساكين ، فان لم تستطع فعليها صيام ثلاثة أيام ٠

س : ب ـ زيد ٠ الجيد من الاسكندرية ٠

شاب يريد الزواج من بنت خالته

◄

ولكنه رضع من جدته لأمه مع خاله أكثر من خمس رضعات ٠٠ فما الحكم ؟

ج : برضاع الشاب من جدته لأمه أكثر من خمس رضعات متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع صار ابنا للجدة وأخا لجميع أولادها

٠٠ وعلى ذلك فلا يجوز لهذا الشاب الزواج من بنات خالته ولا بنات أخواله ، لأنهن صرن أولاد اخوة وأخوات له من الرضاع ، والرضاع يحرم به ما يحرم بالنسب ٠

س : من السيد / ع ٠ ع مندور ٠٠ مصر القديمة ٠

ما حكم البيع بالتقسيط بمعنى أن السلعة التى ثمنها ١٠٠ جنيه فورا تباع بالتقسيط بمبلغ ١٢٠ جنيها مثلا وهل فى هذا البيع ربا ؟

ج : البيع بالتقسيط حلال شرعا اذا ما حدد البائع للسلعة ثمنا حالا قدره ١٠٠ جنيه وثمنا مؤجلا ١٢٠جنيها واختار المشترى أى السعرين حسب مقدرته ٠٠ وبذلك فلا حرمة فى هذا البيع ولا ربا فيه ٠

س : من السيد / م ٠ م ابراهيم من الغربية ٠

طلقت زوجتى طلقتين منجزتين ، الأخيرة منهما على البراءة ، ثم تزوجت مطلقتى بآخر وطلقها قبل الدخول بها ٠٠ وقد عقدت عليها عقدا جديدا تعهدت فيه بان أستمر فى دفع خمسين جنيها شهريا نفقة زوجية لها ولأولادى منها ، فاذا لم أستمر فى تسديد النفقة شهريا حسب الاتفاق عن طريق أخيها تكون زوجتى طالقا منى ، وقد نويت بذلك ايقاع الطلاق ٠٠ فما الحكم ؟

ج : الطلقتان الأولى والثانية يقع بهما طلقتان ، وحيث ان الطلقة الثانية كانت على البراءة فيقع بها طلقة بائنة بينونة صغرى ، وحيث انه راجعها بعقد ومهر جديدين فان العقد صحيح شرعا ٠

أما الثالث فانه يمين معلق ، وحيث ان الحالف ينوى به الطلاق اذا لم يسدد فانها تطلق منه اذا لم يسدد ، وبهذه الطلقة تكون مكملة للثلاث ، وتكون بائنة منه بينونة كبرى لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها دخولا حقيقيا ٠٠ فاذا طلقها أو مات عنها وانقضت عدتها منه حلت للأول بعقد ومهر جديدين ٠

س : من السيد / م ٠ عطية ٠٠ بنى سويف ٠

توفيت امرأة عن : ثلاثة ذكور ، وبنت ٠ أولاد ابن ذكور واناث ٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذه المتوفاة وصية واجبة لأولاد

الابن المتوفى قبل أمه بمقدار ما كان يستحقه الابن لو كان على قيد الحياة فى حـدود الثلث طبقا لقانون الوصـية المعمـول به من أول اغسطس سنة ١٩٤٦ فتقسم التركة تسـعة أجزاء :

جزءان منها وصية واجبة لأولاد الابن يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى وهو نصيب والدهم لو كان حيا عند وفاة والدته المورثة .

والباقى وهو سبعة أجزاء هو الميراث للأبناء الذكور الثلاثة والبنت الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

اســـتدراك

الحاقا للفتوى المنشـورة بالمجلة بعـدد ذى القعدة سنة ١٤٠٥ تحت عنوان « طـلاق بالاكراه » نحب أن ننبه الى أن الطـلاق اذا كان رجعيا ومات الزوج أثناء عدة المطلقة ورثت منه باتفاق العلماء .. أما اذا كان الطلاق بائنا وفى مرض الموت فانها ترث أيضا مادامت فى العدة وذلك حسب القانون المعمول به المستمد من مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه .

والله أعلم ..

« عبد الحميد السيد شاهين »

عبد المتعال الصعيدى

العالم الأديب المصلح

ترجم الاستاذ عبد المتعال الصعيدى لنفسه ترجمة وافية فى كتابيه (قضية مجاهد فى الاصلاح) و (تاريخ الاصلاح فى الازهر) وحديث الاستاذ عن نفسه ينبىء عن شكوى متكررة لما ناله من غمط ، اذا قورن بزملائه ممن تبوءوا أعلى المناصب دون أن يقدموا فى عالم التأليف بعض ما قدم ، فاذا أضيف الى ذلك تعرضه للمساءلة الرسمية وما أعقبها من حكم يراه مجحفا بحقه ، فاننا نعذره فى التنفيس عن بعض ما يكن .

وقد كان الرجل مرموق المكانة بين زملائه وتلاميذه ، وله فى المحيط الأدبى ذكر مسموع يمتد حيث تمتد المجلات العلمية الراقية فى مصر والعالم العربى ، وكان عليه أن يعلم أن نباهة الذكر العلمى أعلى قدرا من نباهة المنصب اذا لم تؤيده جهود علمية تصون منزلته .

وقد تتلمذت على الأستاذ فى كلية اللغة العربية بالأزهر ، وعرفت جهده العلمى بها ، اذ كان أستاذا مرموقا للأدب العربى حين التحق بالتدريس فيها ، ثم أختير لدراسة البلاغة ، فالحديث ، فالفلسفة ، فالمنطق ، وله فى كل علم كتاب ذائع ، فاذا كان الأستاذ متعدد المعارف . متنوع المواهب يتصدى للتدريس فالتأليف فى علوم شتى لا تنتمى الى أصل واحد ، فله أن يحمد الله كثيرا على ثروته العلمية ، ولكن ملابسات الترقيات ، واختلاف درجات الصعود والهبوط ، تترك الأثر المؤلم — حقا — فى نفس من يرى أنه لم يبلغ مبلغ من قصروا فى التأليف العلمى مؤثرين التبريز فى المسائل الادارية وحدها ! ومن يدرى لعل تفرغ الاستاذ للعمل العلمى وحده هو الذى بارك وقته ، وعدد مؤلفاته ، فلو ابتلى بالرآسات الادارية ما أتيح له أن يكتب أكثر من عشرين مؤلفا ، والامام المراغى زعيم الاصلاح الدينى فى عصره مع حدة ذكائه ، ووفرة علمه . وفصاحة بيانه ، لم يترك من المؤلفات ما يكافىء منزلته العلمية ، وامامته الفقهية ، لان أعباء

للدكتور محمد رجب البيومى

المنصب قد ملأت فراغه ، فاذا كتب أو حاضر أو خطب فعن اضطرار .

نشأ الاستاذ الصعيدى نشأة موفقــة . اذ أسس فى القرية على أصول نافعـــة فى يقظة الذهن . وحسن التربية . وحين التحق بالازهر أفادته نشأته العلمية فى القرية . فـوثب فى سنوات الدراسة . مجتازا بعضـها . اذ كانت قوانين الازهر اذ ذاك تســمح بالتقـدم للشهادات النهائية دون التزام بالنظام الرتيب فلطالب السنة الاولى فى القسم الثـانوى أن يتقدم لامتحان الشهادة الثانوية مثلا ، دون مراعاة لتكميل السنوات . وقد تقـدم الطالب فجلى وسبق . ونال العالمية فى أمد قريب . وكان ترتيبه الأول على الطلاب فعين مدرسا بالمعهد الأحمدى لعامه . وقد زاول التاليف فى السنة الأولى لتعيينه . فأصدر مؤلفا فى النحو يجرى على غير السنن المألوف فى دراسة هذا العلـم للمبتـــدىء بالازهر . اذ كان متن الأجرومية وشرح الكفراوى أول مايدرس الطالب المبتدىء وقد بدىء المتن بقول ابن آجروم (الكـــلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع) وهو تعريف تمتد شروحه فى كتاب الكفراوى لتشمل مسائل من المنطق ، وما يعرف باخراج المحترزات !. وأين عقل المبتدىء من هذا كلــه ؟ لذلك رأى الأستاذ الصعيدى أن يؤلف فى النحو كتابا على



الطريقة الاستنتاجية ، وقد ذكر فى ترجمتــه الشخصية أنه سبق بذلك كتـــاب (النحـو الواضح) للأستاذ الجارم . وليس لدينـــا اليوم كتاب الصعيدى حتى نفصل بين الكتابين بما يبين فضل السابق . وان كنت أعــرف أن الأستاذ حفنى ناصف وكوكبة من زملائه قد بدءوا بتذليل التأليف النحوى فى أول هـــذا القرن ، فشاع لهم كتاب ذو أجزاء تحت عنوان (قواعد اللغة العربية) ومهما يــكن من شىء

من أعلام الأزهر
"عبد المتعال الصعيدي

فالصعيدي هو السابق قطعا فى مضمار التذليل للنحوى فى محيط الأزهر ! وتلك سابقة تحسب له ، وله مقال جيد نشره فى (المجلة الأزهرية) سنة ١٩٢٤ تحت عنوان (نظــرات فى متن الأجرومية) يقول فيه (١) :

« اننا لانــزال ندرس متن الأجــرومية للمبتدئين فى النحو . على حين أن غيرنا من رجال التعليم فى مصر وغيرها قد هجــروه من عشرات السنين ، فقد جاء فى كثير من أبوابه مجملا الى حد يضيع معه الغرض المقصــود من تدريسه ، هذا الى ما فى تعليم المبتــدئين بطريقة شرح المتون من تصعيب . لأنه يصرف المعلم من اختيار أسهل الطرق لفهم مســائل العلوم ، ويقيده باختيار أســهلها الى فهم المتون) .

ولم يكن النحو فى دراسة الأزهر وحــده ميدان نقده . بل اتجه الى اصلاح شامل لنظام التعليم بالأزهر فأصدر الأستاذ الصعيدى فى سنة ١٩٢٤ كتابا مستقلا تحت عنوان (نقــد نظام التعليم الحديث بالأزهر) قدم له بدراسة عن قانون التخصص بالقسم العالى ، ثــم عن فائدة العلوم الحديثة بالنظــر الى الطــالب الأزهرى الذى يرى طلبة المدرسة يعلمون مالا يعلم من المواد الثقافية والحضارية .

أما أهم ما اتجه اليه الاستاذ من النقد فهو حملته على كتب المتأخرين ذات المتون والحواشى والشروح والتقارير ، لأن دراستها تقوم على أســاس من فهم عبــارة المتن ثم توجيــه الاعتراضات اليها ، ومحاولــة تبرير القــول المنقود . أما الوصول الى لباب القاعدة العلمية فلا يصل اليه الطالب الا بعد عناء طــويل فى فهم الماحكات وقد لا يصل فى طوفان يعمه من نواح كثيرة ، وهو لا يزال طالبا مبتدئا . كما أن هذه الكتب تنهج نهجا واحدا فى التأليف ، بحيث يجد الطالب فى السنوات الابتدائية ما يجده فى الســنوات التاليــة ، فهى لا تتدرج بالطالب من عهد الى عهد بل تأخذ المبتــدئين بأساليب المنتهين ، وقد كان أسلوبها الجــاف حائلا دون ثقافة الطالب بالتعبير الجيد ، حيث لا يستطيع من اقتصر عليها من الطلاب أن يجد مددا قويا لأسلوبة العلمى ، وبذلك يعجز عــن تحرير مسألة ، فاذا صار عالما عجز عن كتابــة مقالة يطالعها الجمهور فى نصاعة وبيان ، أمــا طريقة التدريس فلا تستند الى أساليب التربية الحديثة ، ولا تنتفع بثمار التخصص فى شئون التعليم ممن نهلوا من الثقــافة المعاصرة ، وأدركوا أثر علم النفس فى تفهم عقلية الطالب والاهتداء الى ما يكفل تنمية المواهب ، وتربية الملكات كما أن التخصص مفقود بحيث يدرس الأستاذ الواحــد مسائل الفقــه والأصــول والتوحيد والبلاغة والنحو والصرف معــا وتفرق جهوده فى شتى العلوم يجعله سطحيا فى جميعها . والأولى أن يجيد شعبة واحدة مــن شعب الدراسة ليعكف على تعمقها ، والاجادة فى علومها ، وقد يسعفه الذكاء بابتكار الجديد ،

(١) تاريخ الاصلاح فى الازهر ص ٢٥٦ ج ٢ .

وخاض المؤلف كثيرا فى مسائل الامتحانات بالأزهر وطريقة الانتساب اليه ، كما أشار بضرورة تعليم اللغات الأجنبية لتمد الطالب بسلاح المعرفة فى عصره المتطور وتجعل من الأزهرى داعية للدين فى بلاد لا تعرف اللسان العربى !

وكل ما أشار به المؤلف فى سنة ١٦٢٤ قد وجد تنفيذا فيما بعد . مما يدل على سداد النظرة ، وصواب الاتجاه !

ولكن صدور هذا الكتاب فى زمنه المضطرب قد أثار ثائرة الخصوم ، فعارضه مدرسو الجامع الأحمدى ، وعقد مجلس ادارة المعهد الدينى جلسة خاصة بمحاكمة المؤلف فتقدم الأستاذ الصعيدى بدفع قانونى يشير الى ما أباحته اللائحة الداخلية منحق المدرسين فى نقد المناهج التعليمية . وهو حق مشتهر لا يجوز انكاره . ولكن الضجيج الصاخب حول الكتاب دفع بالمسئولين الى عقاب المؤلف بخصم نصف مرتبه الشهرى ! وهو اجراء كان من الأوفق العدول عنه لأن الرجل قد نقد المنهج باعتباره مدرسا يضع يده فى النار ، ويعرف أسباب القصور فى تدريس كثير من المواد ! ولكن حكم المسئولين وجد المعارضة فى الصحف من كبار العلماء بالأزهر ومنهم الأساتذة يوسف الدجوى وعلى سرور الزنكلونى وعلى محفوظ، وقام الخطيب الأزهرى الشيخ مصطفى القاياتى بكتابه مقال قوى فى تأييد وجهة المؤلف وتحبيذه . ويشير الى مبلغ اهتمامه بالأزهر ، وحرصه على نفع الطلاب ، وتفانيه فى خدمة الاسلام ، ومقال الأستاذ القاياتى سجل بكتاب تاريخ الاصلاح ص ٩٨ ، ويقول لأستاذ الصعيدى ان دفاع المخلصين عنه قد جاه من شر كبير اذ كانوا يتجهون الى فصله ن وظيفته ! وما أظن ذلك . فخصم نصف المرتب الشهرى يدل على أن اللجنة لم تستشعر خطورة تبعث على الفصل ! ولكن حكمها قد آلم الأستاذ وحق له أن يألم ! اذكوفىء على اجتهاده بغير ما يليق .

ثم جاء عهد الامام المراغى فكتب مذكرته الاصلاحية . ففرح بها قوم . وتنكر لها قوم ، وامتلأت الصحف بالحديث عن رأى المراغى فى الاصلاح ، واصراره عليه . وكان الأستاذ الصعيدى من مؤيدى الامام المراغى فنهض للرد على معارضيه فى مقالات متسلسلة نشرها الأستاذ أمين الرافعى فى جريدة الأخبار سنة ١٩٢٨ ، وفند رأى من يقول من هؤلاء — وهو الشيخ عبد الرحمن عليش — أن الاسلام لا يطلب من أهله معرفة كل شىء فى الحياة ، منكرا تدريس العلوم الحديثة . فأورد الصعيدى من آيات القرآن ما يوجب النظر فى أمور الكون وما فى السموات والأرض من ظواهر طبيعية . وهى آيات مشتهرة لا ينكرها أحد ، كما رد على هجومه الصارخ على تدريس الفلسفة فذكر من كتب الاثبات فى التراث الاسلامى ما يعضد منحاه . وأكبر ما اهتم به الصعيدى فى الرد على عليش هو انكاره للاجتهاد مخافة أن يدعيه الجهلاء فقال الصعيدى ان هذا الخوف كان موجودا فى عهد أبى حنيفة والشافعى ومالك من كبار المجتهدين ولم يوصد

من أعلام الأزهر
"عبد المتعال الصعيدي

باب الاجتهاد بسببه أما ماذكره المراغى من عكوف الأزهريين فى عصور التدهور على كتب لفظيـة لا تفيض بروح البحث . فقد حبذه الصعيدى . وضرب الأمثلة عليه بكثير من المؤلفات ذات الجدل اللفظى . وكذلك عارض الشيخ عليش الدراسة المقارنة للأديان لأنها فى رأيه تبعث على التعصب ،وتفتح باب الجدل بين رجال الدين الاسلامى وغيرهم من رجال الدين المسيحى ناسياأن المبشرين قد فتحوا هذا الباب على مصراعية . فهاجموا الاسلام فى موطن الأزهر بما يدعو الى رد الخطأ عن الصواب . ولن يكون ذلك بغير الدراسة المقارنة للأديان . وهكذا وجد الشيخ المراغى نصيرا قويا فى قلم الأستاذ الصعيدى !

على أنه كان ذا استقلال حر حين سجل ما لم يرض عنه فى مذكرة الشيخ الأكبر . اذ رأى أنها تحبذ دراسة بعض الكتب القديمة . فى حين يدعو الصعيدى الى تأليف معاصر يضعه الأساتذة . كل عالم فى مادته لتجدد المحاضرات العلمية . بتجدد التدريس . على أن تكون كتب التراث مرجعا أساسيا لا أن تكون وحدها مجال التدريس !

ويخيل الى أن المسألة ليست مسألة قدم أو حداثة فى اختيار الكتاب المنشود لطلاب الأزهر . ولكن المسألة هى اختيار المؤلف الجيد ذى البحث الدارس والنظر الصائب سواء كان كاتبه معاصرا أو غابرا . فالاصرار على الكتاب الحديث وحده تشدد لا مبرر له وبخاصة اذا لم تهيىء الظروف لبعض الأساتذة أن يبدعوا على نمط يفوق نتاج الأقدمين . وحينئذ لا محيد عن الاحتفاء بكتب التراث فى قاعات الدرس . لا أن تكون مصادر بعيدة عن أيدى الطلاب .

وقد نوه الامام المراغى فى مذكرته الاصلاحية بما فى الكتب القديمة من بعض المزايا . فهى تدرب الطلاب على البحث . وتمنحهم طول الباع فى الجدل وتفرض عليهم التعمق فى فهم الكلمة ومدلولها ومنطوقها ومفهومها . اذ ليست كلها مماحكات لفظية تدور حول المتن فى الشرح والحاشية والتقرير . كما أنها تمثل حقبة طويلة من تاريخنا لايجوز لنا أن ننساها أو نهملها . ومع اعتراف الأستاذ الصعيدى بذلك كله فانه يقول تعقيبا عليه .

« ولكن تقديرنا لمثل هذه الكتب لا يمكن أن يغير رأينا فيها اذ لا تصلح أساسا للدراسة فى الأزهر لأن بها من العيوب أضعاف ما بها من المنافع . ولو لم يكن فيها الا التربية على القديم دون التجديد لكفى . ومع هذا لانمانع فى أن يدرس الطالب المنتهى كتابا منها على الطريقة الأزهرية القديمة . حتى يكون ذا استعداد نفهمها . وحتى يمكنه أن يستخلص منها ما بها من الفوائد . وبهذا لا تهمل كل الاهمال .

ثم يلج الأستاذ الصعيدى باب الانصاف اذ يتابع حديثه قائلا وانى أضيف الى ماذكره الشيخ المراغى من مزايا الأزهر القديم مزية أخرى كان لها أثر فى تدريب الطلاب على الصبر والبحث والتعمق فى الدرس . وطول الباع فى الجدل . وهى ما كان من مشاركة الطلاب

للأستاذ فى الاستعداد للدرس الجديد . اذ كان الدرس ينبه الطلاب حين ينتهى من درسه الى نهاية درس الغد . ليستعدوا له ايضا . فكانوا يجلسون جماعات جماعات ويأخذون فى مطالعة دروس الغد الى أن يمضى زمن طويل من الليل . ومنهم من كان يتعمق فى فهم الدرس مثل استاذه أو أكثر . وهنا يكون الدرس درس أساتذة لا درس أستاذ وطلاب وهنا يدور الجدل بين الاستاذ وطلبته . ويحتدم النقاش حتى يقتل (١) الدرس بحثا ونقاشا . وكان لهذه الطريقة أثرها الخلقى فى استقامة الطلاب وانصرافهم عن كل شىء الا للعلم . ولهذا كان الناس ينظرون اليهم بعين التبجيل . ولايبخلون عليهم بما يستحقون من التعظيم . أما الآن فلاأثر لهذه الطريقة بالأزهر اذ انصرف الطلاب الى سواها .

وقد أراد الصعيدى أن يتحدث عن سلف عظيم من علماء الاسلام . يدعو الى البحث الحر دون التقيد بألفاظ الكتب ومحاولة الاعتراض عليها . ثم الجواب بما يدفع الاعتراض . فكتب فصلا عن ابن خلدون . يفصل اعتراضه على ما سماه «كتب الأعاجم» داعيا الى طريقة القدماء من أمثال الغزالى فى الاستفاضة والامتاع والاستقصاء . ومؤثرا أن يكون الطالب فسيح الآمال متشعب المعارف بحيث يكون الكون الشاسع ميدان بحثه لا أن تضيق عليه الحلقة بين المتون والشروح . حتى ألف بعضهم كتابا فى اعراب « زيد قائم » فجعل لهذه الجملة مائة وثلاثين بحثا وليت شعرى أى عناء كابده هذا المعرب حتى افتعل هذه الأعاريب .

يقول الأستاذ الصعيدى .

ولكن ابن خلدون لم يجد من يسمع له فى عصره فلا نسير فى تلك الطريقة العقيمة التى ينقدها ، وتسير أوربا فى البحث الفلسفى فى كتاب الكون فتتقدم ، ونصل الى ذلك التأخر الذى وصلنا اليه » .

ولعل ما لدنيا الآن من الكتب الأزهرية بعد أن خاض الأساتذة ميادين التاليف على النسق المبتكر ، يدعو الى موازنة منصفة بين كتب التراث ، وكتب التعليم الجامعى الحديث ، مع الاعتراف بان كليهما مكمل للآخر وأن النبع يرفد المصب بمائه الغزير .

الحديث موصول

محمد رجب البيومى

---

(١) يقتل .

(١) تاريخ الاصلاح فى الازهر ص ٣٠ ج ٢ .
(٢) تاريخ الاصلاح فى الازهر ص ٢٤٧ ج ١

عباقرة مصريون

المرحوم أحمد باشا كامل

عالم الآثار المسلم الذى كشف الصلة بين اللغة العربية ولغة المصريين القدماء

وصفه مدير تحرير « الاخبار » القاهرية بقوله : كان أحمد باشا كمال وحيد زمانه ورائد طريق عصره ، وعبقرية فذة فى علـوم الآثار القديمة وفى إختصاصه بهذا الفن الذى بعثه حيا ينبض بكل دلائل الحياة وشهادة فخر لمصر والمصريين .

وتقول عنـه الآنسـة مى زيادة الأديبة اللبنانية التى عاشت فى مصر فى مطالع القرن العشرين يوم بلغها خبر وفاته : كان أحمـد باشا كمال مثالا للكمال فى البحث العلمى والعمل العلمى والخلق العلمى ومثله بين العلماء قليل .

وذلك هو أحمد كمال باشا المولود فى القاهرة فى النصف الثانى من القرن التاسـع عشر الميلادى الذى تخصص فى دراسة الحضارة المصرية القديمة وكان طريقه فى البحث هـو الطريق الذى ابتدعه العلامة الفـرنسى (شامبليون) عندما ترجم كتابات (حجر رشيد) الى لغة مفهومة .

عكف أحمد كمال باشا على ترجمة أوراق البردى ففهم الحضارة المصرية عن طريق اللغة. وقد وهبه الله تعالى اجادة فى اللغات العربيـة والفرنسية والانجليزية والالمـانية والتركية والهيروغلوفية لغة المصريين القدماء كما كان على علم تام باللغة القبطيـة واللغـة الحبشية (١) .

الوظائف والاعمال التى تولاها :

عمل أحمد كمال باشا بمصلحة الآثـار المصرية حتى وصل فيها الى منصب الأمين المساعد فى المتحف كما عمل عميدا لكلية الآثار المصرية التى طالب بانشائها فاستجابت لـه

(١) جريدة الاخبار القاهرية فى السـنوات الماضية .

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

الحكومة وقتئذ . ومع أربعين عالما أجنبيا اشترك فى وضع الفهرس العلمى لمتحف القاهرة الذى لايزال من أهم مراجع الآثار .

وبعد خدمة استمرت فيها لمدة ثلاثين سنة تركها عام سنة ١٩١٤ . وخلال تلك الفترة قام بعدة حفريات ونشر دراساته فى المجلات العلمية العالمية خصوصا مجلة (أنالين) كما استعانت به الجامعة المصرية القديمة ليعمل أستاذا فيها للحضارة القديمة نظرا لبراعته فى علوم « المصريات » وتمكنه فى أبحاث الحضارة القديمة وآثارها (١) .

كيف كشف تلك الصلة بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة :

يقول فى ذلك المرحوم أحمد باشا كمال : (ان كثرة مطالعاتى فى اللغة المصرية القديمة منذ كنت فى الثامنة عشرة الى أن بعث الستين مهدت لى سبيل الوصول الى اكتشاف غريب مفيد آلا هو أن **اللغة العربية واللغة المصرية القديمة ترجعان الى اصل واحد** (٢) ان لم تكونا لغة واحدة افترقتا كما حدث فى كل اللغات القديمة . وأن الاختلاف الظاهر بينهما ليس الا نتيجة لما يعترى الكلمات من القلب



والابدال واختلاف النطق باختلاف اللهجات وما وقع من اسقاط لبعض الكلمات فى بلاد العرب وبقائها فى وادى النيل أو ما يكون على العكس من ذلك . وكنت قبل أن أدرس اللغة المصرية القديمة على الأسلوب الذى تلقيته من أستاذى المستر (هنرى باشا بركس) مقتفيا منهاجه كغيرى من الأثريين أرى للألفاظ العربية مثيلا فى اللغة المصرية القديمة فكنت أدونها شيئا فشيئا حتى كثرت . وأخيرا اطلعت على مقالة

(١) أبحاث وأوراق العالم الاثرى داوسون .

(٢) عن مجلة المقتطف الصادرة سنة ١٩١٤ .

عباقرة مصريون "المرحوم أحمد باشا كمال"

للعلامة الأثرى (تافيل) أبان فيها بناء على النقوش الموجودة فى الدير البحرى زمان الدولة الثامنة عشرة أن المصريين الاول اشتهروا باسم (الاعناء) (١) وتعنى فى لغة العرب أقواما من قبائل شتى (٢) وانهم هم الذين أسسوا المدن فيما بين طيبة جنوبا الى أقصى مدينة منف شمالا حيث استعمروا تلك المناطق ثم كثروا وانتشروا بعد ذلك .

والعجيب أن نصا من تلك النقوش يوضح أن فريقا من هؤلاء « الأعناء » هاجر غربا الى جهة تونس والجزائر وسمى نفسه (أعناء التحنو) .

وذهب فريق آخر الى أواسط أفريقية وسمى نفسه (أعناء الستو) .

ومضى فريق ثالث لعله بعض من الفريق الثانى الى بلاد الصومال ثم اجتاز البحر الأحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين وسمى نفسه (أعناء منتو) .

فهذا الانتشار يوضح لنا أن الأعناء سكنوا تلك الجهات الشاسعة والمناطق الواسعة وبعثوا فيها لغتهم فصارت لغة أصيلة للبلاد . ثم استنبط أعناء وادى النيل طريقة الكتابة مكان لهم الفضل على غيرهم لكنهم حصروها فى ضفاف النيل ودونوا كتابتهم على الآثار بقلم الحفر البارز أو المجوف . كما أنهم رشقوها على أوراق البردى والحجارة والأقمشة والخشب .(٣)

مؤلفاته العلمية :

وضع ذلك العالم الفذ عددا من المؤلفات العلمية تمتاز بدقة البحث وغزارة العلم نذكر منها الكتب الآتية :

١ ــ كتاب العقد الثمين فى تاريخ مصر القديم .
٢ ــ كتاب بغية الطالبين فى علوم قدماء المصريين .
٣ ــ كتاب ترويح النفس فى مدينة عين شمس .
٤ ــ كتاب الدر المكنون فى الخبايا والكنوز .
٥ ــ كتاب الحضارة القديمة فى مصر والشرق الى ظهور الاسلام .
٦ ــ رسالة فى التحنيط والجنائز عند قدماء المصريين .
٧ ــ رسالة فى مدينة منف .
٨ ــ كتاب فى الأجرومية العربية والالمانية .
٩ ــ كتاب المعجم الكبير وهو أضخم وأعظم عمل فنى استغرق منه خمسا وعشرين سنة من العمل المتواصل ، وفيه جمع ذلك العلامة

---

(١) كتاب صفحات مضيئة من تراث الاسلام للاستاذ أنور الجندى ــ الباب الثالث الفصل الرابع اللغة الهيروغليفية ــ احدى اللغات العربية ــ أعناء ــ بتشديد النون .

(٢) وهذا يشير الى أن تلك القبائل فى أصولها عربية .

(٣) كتاب صفحات مضيئة من تراث الاسلام للاستاذ أنور الجندى .

مفردات اللغة المصرية القديمة وما يقابلها باللغات العربية والفرنسية والقبطية والعبرية، وقد بلغت مخطوطات ذلك المعجم اثنين وعشرين مجلدا وكل مجلد يبحث فى حرف واحد فقط .

ومع ذلك فهو ليس كتاب لغة فقط بل يبحث فى التاريخ والآثار وعلم الاشتقاق والفلسفة واللغة . ورتب كل حرف فى مجلده واضعا اولا الرسوم « الهيروغليفية » ثم الحروف الصوتية ثم ما يقابلها فى العربية ثم كتابة الرسوم والحروف معا ثم يقابل الكلمة باللغات الأخرى وهكذا وفى هذا المعجم أثبت اشتراك اكثر من عشرة آلاف كلمة بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة مما يدل على اتحاد اللغتين فى أصليهما .

الاستعمار حارب ذلك المعجم :

بعد أن انتهى أحمد كمال باشا من تأليف معجمه الكبير سنة ١٩٢٣ طلب من وزارة المعارف المصرية وقتئذ « وزارة التربية والتعليم » حاليا أن تقوم بطبعه على نفقتها وأحيل الجزء الذى يبحث فى حرف (القاف) الى مدير المطبوعات الانجليزى فأحاله الى كبير أمناء مصلحة الآثار وكان انجليزيا أيضا . ثم عرض على مجموعة أخرى من الخبراء الأجانب فاعترضوا على الطبع وعند هذا الحد لم تهتم وزارة المعارف بموضوع طبعه بل ونسيته كلية (١) .

ويبدو أن المحاولة تكررت مرة أخرى اذ يقرر الأستاذ أنور الجندى أن أحمد كمال باشا طلب من الجامعة المصرية أن تقوم ادارتها بطبع المعجم المشار اليه الا أن الدكتور طه حسين اعترض عليه بمقولة أن هذا الامر لا يرضى عنه المستشرقون (٢) .

وبالاعتراض على الطبع سواء من وزارة المعارف العمومية أو من جانب الجامعة المصرية قبر ذلك المعجم الذى يدحض نظريات الاستشراق والتغريب التى تدعو الى الفرعونية وتباعد بين أصل جنس الشعب المصرى وبين الجنس العربى .

ماذا يقول الأثرى المصرى الكبير

المرحوم الدكتور سليم حسن :

يقرر الدكتور سليم حسن أن رأى هؤلاء الأجانب ومن شايعهم فى رأيهم ضد المعجم الكبير الذى وضعه المرحوم أحمد باشا كمال صدر عن محاولة لمحاربة جهد عظيم لعالم مصرى . ومما تجدر الاشارة اليه أن أكثر من عالم فى الآثار ألف فى هذا الموضوع لكن ماكتبه المرحوم أحمد باشا كمال كان أكثر عمقا وأوفى فى أدلته التى اعتمد عليها ، فلقد كانت الفكرة السائدة عند علماء الآثار منذ زمن طويل أن

(١) جريدة الاهرام القاهرية فى السنوات الماضية .

(٢) كتاب صفحات مضيئة من تراث الاسلام للاستاذ أنور الجندى .

اللغة المصرية القديمة « لغة حامية » لكن ما كشفت عنه البحوث الحديثة وأخصها أبحاث المرحوم أحمد باشا كمال أكدت أنها لغة « سامية » والألفاظ التى دخلت عليها من « اللغة الحامية » كانت محدودة أما الكلمات الموجودة بها من أصل سامى عربى فانها تصل الى (٧٠٪) سبعين فى المائة (١) .

رأى المرحوم السيد محمد رشيد رضا :

يقول ذلك العالم الاسلامى ان أحمد باشا كمال بتأليفه ذلك المعجم الكبير أظهر من مقدار الاتحاد والألفة بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة ما لم يكن فى الحسبان فلقد أورد فيه ألوفا من الكلمات الهيروغلوفية الموافقة للغة العربية المصرية اما موافقة تامة واما موافقة بضرب من التحريف أو القلب والابدال المعهود مثله فى اللغتين .

ومن المعروف أن اللغة المصرية القديمة كانت هى السائدة فى بلاد العراق وسوريا وقد ضاع أكثر لغتهم ولعلها لو دونتكاللغة المصرية لفسرت لنا من اللغة المصرية القديمة ما لم يفسر الى اليوم حتى فيما نراه يخالف منها المصرية بتحريف أو قلب أو ابدال (انتهى كلام المرحوم السيد محمد رشيد رضا) (٢) .

وخلاصة القول : ان المرحوم أحمد باشا كمال يرى أن اللغة العربية أصل للغة المصرية القديمة المدونة بالقلم الهيروغلوفى ومن لوازم هذا أن أصحاب تلك المدنية كانوا أصلا من العرب (٣) ، ولا يفوتنا أن نشير فى هذا المقال أنه وقد استبانت الصلة بين لغة العرب ولغة المصريين القدماء أن نذكر شيئا ولو قليلا عما تمتاز به اللغة العربية عن غيرها من اللغات :

١ — فهى أوفر عددا فى أصوات المخارج التى لا تلتبس ولا تتكرر بمجرد الضغط عليها بمعنى أنه ليس هناك مخرج صوتى واحد ناقص فى الحروف العربية .

٢ — وباللغة العربية حروف لا توجد فى اللغات الأخرى كالضاد والظاء والعين والقاف والحاء والطاء ، وقد توجد بعض هذه الحروف فى غيرها أحيانا ولكنها ملتبسة مترددة لا تضبط بعلامة واحدة .

٣ — وهى لغة انسانية ناطقة يستخدم فيها جهاز النطق الحى أحسن استخدام يهدى اليه الافتنان فى الايقاع الموسيقى .

٤ — كما أن فن النظم بهذه اللغة فن دقيق

(١) جريدة الاهرام القاهرية السابق الاشارة اليها .

(٢) كتاب صفحات مضيئة من تراث الاسلام للاستاذ انور الجندى .

(٣) لزيادة الايضاح يمكن الرجوع الى مقالنا تحت عنوان (الشعب المصرى عراقة أصله العربى) . والمنشور بمجلة الازهر ، الجزء السادس عدد جمادى الاخرة سنة ١٤٠٤ هـ مارس سنة ١٩٨٤ .

كامل الاداة مستغن بأوزانه عن سائر الفنون فهو فن مطبوع لا كلفة فيه •

٥ ـ وفصاحة النطق مزية نادرة تمتاز به تلك اللغة وهو حقيقة يقررها علم وظائف الأعضاء عن جهاز النطق فى التكلم بها •

٦ ـ كذلك فانها فى طليعة اللغات المعبرة بين لغات العالم أجمع فلا يعرف علماء اللغات لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم كما تتراءى لنا أطوار المجتمع الذى تنتشر فيه تلك اللغة وذلك من مادة ألفاظه ومفرداته فى أسلوب الواقع وأسلوب المجاز (١) •

ولعل فيما تمتاز به اللغة العربية عن غيرها من اللغات ما يوضح لنا السر فى أن الله سبحانه وتعالى أنزل بها كتابه الخالد فأصبحت لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم ، وقد أجمع الأولون والآخرون على اعجازه بفصاحته فقد ارتبطت بالقرآن فأصبحت لغة أمته ولغة الفكر والثقافة ولغة العبادة للمسلمين جميعا • وسيظل الترابط بين المسلمين وبينها مادام القرآن الكريم والى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى : **(أنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)** سورة يوسف (٢)

تكريم الدولة لأحمد كمال باشا ثم وفاته •

نال ذلك العالم الأثرى فى حياته كثيرا من الأوسمة العلمية ، وأنعمت عليه الدولة برتبة الباشوية قبل وفاته بأشهر قليلة وكان ذلك فى عام ١٩٢٣ ، ويوم وفاته خرجت جموع كثيرة من الأمة المصرية تشيعه الى مثواه الأخير ، وكان ذلك الموكب آخر صلة للأمة بذلك العالم العظيم وبتراثه العلمى الكبير •

ومما تجدر الاشارة اليه أنه فى اللحظة التى كان يتأهب فيها لاستقبال الموت همس فى أذن ابنه أن يحقق له أغلى أمنية لم تتحقق له أثناء حياته فقد طلب منه أن يسعى جاهدا لطبع ذلك المعجم الكبير الذى أفنى ردحا من عمره فى اعداده لأنه يكشف عن كثير من الحقائق عن عراقة عروبة مصر على امتداد تاريخها الطويل وما كان ذلك الا بجهد وعلم واخلاص ذلك العالم المسلم •

يقول الله تعالى : **(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** سورة الزمر ٩ •

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) سورة المجادلة ١١ •

وتوفى ذلك الابن قبل أن يتمكن من تحقيق أمنية والده فهلا قامت الحكومة ممثلة فى هيئاتها العلمية المختلفة كالهيئة العامة للكتاب أو الجامعات بطبع ذلك المعجم الكبير قبل أن تبلى صفحاته أو تندثر معلوماته أو تفقد أجزاؤه ؟ نرجو أن يتحقق ذلك قريبا ان شاء الله •

محمد عزت الطهطاوى

(١) كتاب اللغة الشاعرة ــ مزايا الفن والتعبير فى اللغة العربية للمرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد

طرائف

"الدنيا"

عن عامر بن عبد قيس قال :

الدنيا والدة الموت ، ناقضة للمبرم ، مرتجعة للعطية وكل من فيها يجرى الى مالا يدرى ، وكل مستقر فيها غير راض بها ، وذلك شهيد على أنها ليست بدار قرار .

"العلم .. والحلم"

قال ابراهيم بن أدهم : ما من شىء أشد على الشيطان من عالم حليم .

ان تكلم تكلم بعلم ، وان سكت سكت بحلم .

يقول الشيطان : أنظروا الى كلامه أشد على من سكوته .

أما لك الى ربك حاجة ؟

صلى رجل الى جانب سيدنا عبد الله ابن المبارك فلما سلم الامام قام عجلا :

جذب سيدنا عبد الله بن المبارك ثوبه وقال له :

أما لك الى ربك حاجة ؟

"يحزن على الانسان"

قال الامام على ــ رضى الله عنه :

اذا مات الانسان حزن عليه مكانان : مكان فى الارض ، ومكان فى السماء .

أما مكان الأرض فهو مصلاه .

وأما مكان السماء فهو مكان صعود اعماله الطيبة .

أهو موسر ؟

قيل للحسن : فلان خطب الينا فلانة .

قال : أهو موسر ، من عقل ودين ؟

قال : نعم .

قال : فزوجوه .

صنفان

صنفان من الناس فقط يجوز أن نسميهم عقلاء .

مواقف

الذين يعرفون الله .
والذين يجدون فى البحث عنه لأنهم لا يعرفونه .

"لم يغيره المال"

كان يحيى بن سعيد خفيف الحال فاستقضاه أبو جعفر المنصور فارتفع شأنه لكن حاله لم يتغير !
فقيل له فى ذلك .
فقال : من كان له نفس واحدة لم يغيره المال ، ولا الافتقار .

"تعريفات"

الشرف : اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة .

اللؤم : احراز المرء ماله ، وبذل عرضه ..

الجبن : الجرأة على الصديق والنكول عن العدو .

الغنى : رضا النفس بما قسم الله لها وان قل .

الذل : الفزع عند المصيبة .

الكلفة : كلامك فيما لا يعنيك .

"العيد"

سئل أحد الصالحين متى عيدكم ؟
فقال :
يوم لا نعصى الله فذلك عيدنا .
يوم يتحقق نصر الله للمؤمنين فهذا عيدنا .
يوم نعود الى رحاب الله فنصلح من شأننا فهو عيدنا ..
وليس العيد لمن لبس الملابس الفاخرة ، انما العيد لمن آمن عذاب الآخرة .

"دعاء"

يا رب لاتجعل قدمى تزل فى الطريق اليك ، ولا قلبى يضل فى التطلع اليك ، أنت العون الذى أبتغيه ، والخير الذى أتمناه فى الدنيا والآخرة .

أخرجه الامام أحمد بمسند أبى هريرة . وأورده الامام ابن حجر بشرحه لصحيح البخارى — باب صيام عاشوراء . وأورد مثله عن ابن عباس — رضى الله عنهم — وجاء فى الفتح الربانى لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيبانى — عن حديث أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : « سنده جيد » .

وهو — ثانيا — يوم حرام فى شهر حرام . ففيه مزية الأمن الذى جعله الله للأشهر الحرم من يوم خلق الله السموات والارض الى يوم القيامة ثم هـــو — ثالثا — كما رأينا فى حديث النجاة — يحمل سنة النبوة فى صيامه . وقد أقـــر هذا الصيام رسول الله — ﷺ — وهنا تدرج الينا الآية الكريمة : **« لا نفرق بين أحد من رسله »** لذا نتبعهم أيضا فيما سنه لنا رســـول الله — ﷺ — .

فعن أبى موسى الأشعرى — رضى الله عنه — قال : « كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدا . قال النبى — ﷺ — : فصوموه أنتم » (١) وكان رسول الله — ﷺ يصومه قبل الهجرة . ومن قبل أن ينقل اليه صيام اليهود لهذا اليوم (٢). قالت عائشة — رضى الله عنها :

كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية . وكان رسول الله — ﷺ — يصومه . فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه .. الحديث (٣) .

ويأتينا — بعد — خاتمة فضائله ، وهى الرابعة ، وتتجلى فى احباطه ذنوب عام خلا ، ففى صحيح مسلم عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد سئل عن صوم يوم عاشوراء ، فقال — عليه الصلاة والسلام :

« يكفر السنة الماضية » .

صدق رسول الله — صلى الله عليه وسلم .

د. على أحمد الخطيب

« ١ — ٣ » صحيح البخارى — باب صوم يوم عاشوراء .

(٢) من هذا يتبين القارىء خطأ الحكم الذى أورده صاحب « فجر الاســـلام » اذ انكر خطبة جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه — بين يدى ملك الحبشة فى الهجـــرة الاولى لما ورد فيها من صيام وصلاة . فقد رأى ان المسلمين حينئذ لم تكن لهم صلاة ولا صيام . وقد ثبت صلاة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على لون « ما » مـــن التعبد فكان عليه الصلاة والسلام يسجد ويطيل السجود فى البيت الحرام والقى عليـــه شقى سلاجزور . هو ساجد . وهذا صيامه — قبل الهجرة ثابت ايضا ولو رجع احمد امين — رحمه الله — الى ماثبت فى السنة الصحيحة ما أنكر لحظة لصيام او صلاة

الشعر والشعراء

من وحي الهجرة

يا ليت لي في العبقرية ريشة

محمد عبد المنعم خفاجي

في ديوان أشواق الحياة

ياليت لى فى العبقرية رشيدة

للاستاذ أحمد مصطفى حافظ

جاء البشير .. فيا حمائم ترجمى — لغة القلوب ، ويا أزاهر ترنم
هذا المحرم قد أطل على الورى — بجلاله .. فى ليل خطب أسحم
فلعله يزجى مناقب هجرة — لنبينا .. ويكون خير مترجم
ما هاجر المبعوث يبغى مأمنا — من شانئيه .. وبالأشاوس يحتمى
فمحمد هو جاه كل مطارد — وظهير كل منغص متألم
أقطاب تاريخ الأنام .. زعيمهم — يأبى الخضوع لواقع متأزم
ولقد مضى صوب « المدينة » شامخا — ليعود طودا .. للحطيم وزمزم
ويتم نصر الله والفتح الذى — عم الجزيرة .. بالقضاء المبرم

* * *

قل للذى يخشى شراسة معتد — اذ بالقنابل قد غدا .. كالمتخم
من راح يدعونا لحكمة كيس — بازاء ما نلقاه من متهجم
ياليته قد ذاق هول تشرد — للاجئين بدا كهول جهنم

لو شاء مصباح الطريق هداية ... ماراح يشكو طول ليل مظلم

بل قال : ـ هانذا مضيء .. للألى ... سلكوا الطريق بهمة وترسم

***

جمعت مصائبنا مصابيبنا .. فهل ... جمعوا الصفوف لسحق خسة أرقم ؟

لاهم قد بلغت فاشهد .. اننى ... قد ذبت من غم وطول تجهم

ليكاد ينهض من ثراه (مكفن) ... ليروح ينفض موته .. بتبرم !

ويظل يقتحم الصفوف مناضلا ... ويعد الاستشهاد خير المغنم

هل نقتدى بنبينا وجلاده ... أم نطمئن بواقع .. متضرم ؟ !

لله قولته التى خلدت على ... طول المدى .. برواء لفظ مفحم :

« الشمس فى يمناه لو جاءوا بها ... والبدر فى يسراه .. لم يستسلم »

***

او هى الخيوط لعنكبوت حطمت ... صلف العدو .. بوحى رب ملهم

ناهيك بالورقاء ، فى الغار ، التى ... هشت لضيفيها .. بعذب ترنم

ان كان « آدم » بذرة للناس فى ... هذا الوجود .. وكان أول برعم

فمحمد بصفاته وكماله ... كان المنار .. الى السبيل الأقوم

***

ياليت لى فى العبقرية ريشة ... فأمدها من ذوب قلبى بالدم

لتصور الآمال والآلام فى ... صدق .. وتشكر فضل رب منعم

ضاق البيان ، فليس لى من حسنه ... الا بقايا من يراع مفعم

ياريشة الفنان حسبك موقفى ... فتأمليه .. وما بدا لك .. فارسمى

محمد عبد المنعم خفاجي

فى ديوان أشواق الحياة

للشاعرة جليلة رضا

عندما يكون الناقد لدراسة أدبية ما «سيدة» ويكون المنقود « رجلا » وعندما تكون هذه السيدة شاعرة لا تملك غير عدة مجموعات شعرية بينما المتلقى نقدها كاتبا وأديبا قد صال وجال فى عالم الأدب وملأ المكتبة المصرية بمئات من المؤلفات الضخمة القيمة .

ما الذى ـ اذا ـ تستطيع قوله تلك المقتحمة أبراج هذا العملاق الأديب .

غير أنى أستطيع أن أقول الكثير بعد أن قرأت ديوان « أشواق الحياة » للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي وأن أمضى فى مقالتى بلا رهبة وتردد .

فالديوان هو الذى يهيب بى أن أكتب ولا سبيل غير الطاعة .

وديوان « أشواق الحياة » وان كان يعد الانتاج الشعرى السادس لصاحبه غير أنه يعد الديوان الأول فنا وأصالة ونضجا .. هو القفزة الأولى لصاحبه نحو القمة .. « وهو الوليد الذى جاء الحياة معلنا ميلاد والده »

واليوم : اليوم فقط يستطيع كل قارىء للديوان أن يشير الى صاحبه : هذا شاعر ، وشاعر كبير .. فلقد عرفنا جميعا دكتور خفاجي أديبا أمينا فى بحثه دقيقا فى نقده ، رائدا يجمع بين النبوغ الأدبى الأصيل والثقافة الواعية العميقة ، مع غزارة فى الانتاج بلغت حد الدهشة مما جعل اسمه لامعا وسط الحقل الأدبى بحصاده الوفير المجيد .

انه حصاد متنوع الألوان . ذو قدرة كافية على التقدير وطاقة وافية على التبرير ولكن .. أجل .. ولكن :

ترى ما الذى جرى للخفاجى صاحب

المئات من المؤلفات النثرية كي يميل أخيرا بكل ما فيه من قوة نحو الشعر ؟

فنظرة اليوم الى دواوينه المتتابعة تجعلنا نعترف أخيرا بشاعريته بعـــد أن ظلت طويلا متوارية وراء الغمام .

نعم .. لقد حدث انقلاب خطير فى شعر الخفاجى . وديوان « أشواق الحياة » خير دليل على هذا الانقلاب فكما تغيرت اتجاهاته ونظرياته تغيرت أيضا موضوعاته وصياغته .

لم يعد شعر الخفاجى يعتمـــد فقط على الرصانة والجزالة بل انتعشت فيــه الروح الوثابة المتطورة وصفقت فى سمائه الطيور المجنحة المغـردة . ورقصت عبر ســطوره الموسيقى بعنفها وهدوئها وأنغامها المتعانقة .

ومجمل القول . لقد بلغ ديوان « أشــواق الحياة » درجة من السـمو الفنى ما أغرانى أن أكشف عن وجهة نظرى فيه ولعلنى بذلك أسهم فى امتاع القارىء الكريم ببعض أبيات من قصائد الديوان .

وأول ما يصادفنا فى هذه المجموعة الشعرية تلك القصائد الوجدانية العديدة التى احتلت ما يقــرب من نصف الديــوان وهى فى الحق قصائد فنية رائعة ولعل جمالها ينبع من صدق تجارب الشاعر ورقة احساسه .

فقد نزع الخفاجى أخيرا ذلك القنـــاع الدائم وألقى به بعيدا عنــه حتى يتمكن من



استعادة ذكريات شــبابه بما فيها من لوعة وأمل ووصـــال وفراق . كل ذلك فى جــرأة وحماس غريبين علينا فخرجت تلك القصائد عارمة هادرة مشبوبة تفيض جمالا وعذوبة . وكنت أحب أن أقف أمام رائعة الديوان وهى قصيدة « أيام وأحلام » غير أن الناقد الكبير الأستاذ عبد العزيز شرف تكلم عنها ما فيه الكفاية فى مقدمة الديوان ولعلنى أستطيع فى فرصة أخرى أن أتكلم عن قصائده الوجدانية « صدى الذكريات » و « شـــتاء الحب » و « صوفية الحب » و « فلســفة الجمال » و « لحن الروح » وغـــيرها الكثير حيث لم

يترك الخفاجي صغيرة ولا كبيرة الا دونها شعرا .

ولنستعرض بعد ذلك مع القارىء الكريم أجمل وأغلى ما فى الديوان وهى القصائد الدينية السامية التى تتحلى بها المجموعة الشعرية للدكتور خفاجي . لقد ضمت كل المناسبات الدينية الجليلة فمن قصيدة « انسان القرآن » حيث يقول فيها :

اقرأ : وتهتز السماء بقولها
وحى من الله العزيز الأكرم
يا ليلة الوحى العظيم . عن الرسالة
والرسول . عن الكتاب تكلمى

ثم الى قصيدة « انسان الاسلام حيث يقول :

عاش فى الناس ثريا بالتقى
ومشى فيهم بذكر عطر

مسلم فوق العلا جبهته
خاشع فى عزة المنتصر

بين يمناه كتاب نير
بالآيات الكتاب النير

كان كالواحة فى البيد يرى
كان كالظل بواد مقفر

ثم يتجه الى الهجرة حيث يقول فى « موكب علوى » .

هجرة مثلت جهاد نبى
وأمين على الهدى مهدى
وبها كل عزة وجلال
لرسول مكرم يعربى
هجرة كانت للرسالة نصرا
يا لهذا النصر الجليل السنى
هجرة مزقت قناع الدياجى
وأعزت نفس الفقير الشقى

ويتوقف الشاعر قليلا وقد أحس أنه عاجز عن اهداء هذه الهجرة المباركة حقها فى البيان فيهتف لقلمه :

لا تقل شيئا .. كل ما قلته
دون علاها وحقها العلوى
انها الصفحة المضيئة فى
التاريخ تهدى الى الهدى كل حى
لا ورب الجلال انى عيى
وبيانى يا قوم جد عيى

وعلى « جبل عرفات » يناجى الشاعر أجمل ساعات حياته .

عرفات يا أحلا به الأيام
تحلو .. ومنه الوحى والالهام
عرفات : أنت العطر يعبق والهدى
والمجد والأنغام والأحلام
ياشوق أيامى اليك وحبها
عام نودعه ويقبل عام

وتمر بالشاعر ذكريات عرفات ويشعر بالحنين الطاغى الى العودة للمكان المقدس ويهتف شوقا وقد خيل اليه أن سفح الجبل

أمام ناظريه وقد ماج بالشذا والبشاشة كعادته فيتساءل :

ووقفت أدعو ، والدموع تنوشني
أحقيقة هي أم هي الأحلام
وأفقت من حلمي وبين جوانحي
من نار حبك والزمان ضرام
آلام يا عرفات في حبي وكهيامي
وأشواقي وكيف ألام
لا والذي سار الحجيج لبيته
ما في هواه على المحب ملام

***

ولقد لفت نظري في ديوانه « أشواق الحياة » كثرة الشكوى من الزمان والانسان وكان يخيل الى دائما أن صاحبه قد خلا الا قليلا من هموم الحياة أو بالأحرى رضى بحظه منها فكثيرا ما أراه باسما وقد سكن الى حكم الله ايمان وتقوى .

فلنستمع اليه في قصيدة « سراب » ونر كيف استهلها بهذا البيت الموسيقى الرائع :

وى لأمسي ولأيامي وى
ولليلي ونهاري العبقري
المنى كل المنى قد ذهبت
وتلاشت بددا من راحتي
وبقايا الحلم كانت بيدي
أين ما كان قريبا من يدي
وسراب كاذب يخدعني
كلما سرت ويعشى ناظري

***

ان ديوان « أشواق الحياة » مغلف بالأسى ومرارة الحزن والتبرم من الحياة ففي قصيدة « هموم الفكر » يثور شعرنا على أخلاق هذا العصر فيتساءل : .

بكيت ويضحك القدر
ونمت وغيرنا سهروا
وقلت مناجيا نفسي :
لماذا كان لي بصر
لماذا كان لي عقل
لماذا كان لي نظر
لماذا منطق الأشياء
مقلوب ومبتسر
لماذا عشت في زمن
جميع أموره عبر
نراد ولا نريد ويسر
كل حياتنا عسر
وقيل لبومها غرد
وقيل لتربها درر
لماذا رب كل الناس
بالأوهام قد أسروا
لماذا رب كل الناس
ليس تردهم نذر

***

وشعر الخفاجي في ديوان « أشواق الحياة » يجمع الى الامتاع الافادة والتوجيه فقد تناول الكثير من الأغراض الاجتماعية والموضوعات المتصلة بالوطنية .

محمد عبد المنعم خفاجي

وقد تمكن من التعبير عن حقائق دنياه فى مرونة وحيوية فوفق فيه الى الابانة عمـا يجيش فى صدره من آمال وآلام • وهو شعر واقعى شامل صريح لايعرف الغموض ولا الصور الضبابية التىتتحدى ذكاء القارىء •

وهو هنا بكل بساطة وسهولة يقـول فى قصيدة :

« الوداع الأخير »

أو أنسى ‥ اننى نست أنسى
ماضيا أشرق فى الروح شمسا
عشت فيه ثم ولى وأمسى
كحديث خافت ضاع همسـا
أركنى للصمت يانكرياتى
أنت نـور فى دجى أمسياتى
بين أحلام المنى الماضيات
كل شىء قدر يا حيـاتى

***

ومن موضوعاته المنوعة المليئة بالتجـارب الحية قصيدته « أغنات السراب » وهـى موجهة الى والده المتوفى فيقول :

مازلت أذكره هنا ‥ وكان نكراه المنى
ولى كما ولى السحاب وكان شيخا مؤمنا
وبكيت فى فرح الشباب أبى الحنون ويتمنا
وتثير ذكراه الدموع وكم يجدد جرحنا
وأقول فى أسف : فداؤك يا أبى ياليتنا

ويتذكر والدته وتثير الذكرى شجونه وهـو الانسان المرهف الاحساس فيقول فى قصيدة « أمـاه » ‥

أمـاه لاهـم ولاحـزن
مثـواك دار المنتهى عـدن
أنت التى عشـت الحياة كريمـة
ورمـى بفقـد شملنا الزمن
أمـاه كنت لى الحنـان جميعـه
وبـك الرضا والعطف والسكن
ياكـل أحـلامى وكل رؤاى ما
للعيش بعـدك والمنـى ثمـن
كـل الخـلال تمثلـت علـوية
فيهـا وكـل صفاتها حسن

هكذا هى الأم دائما مهما كبر الأبنـاء ستظل ذكراها عطرة فى أذهانهم وقلوبهم بقدر ما أعطت وبـذلت من الحب والحنـان والتضحيات •

وبغتة يتذكر الشاعر ولده الوحيد فتتربـع السكينة فى صدره ويتسرب العـزاء ويمتلىء أملا بالحياة فيهتف اليه فى فرح وغبطة :

مشرق اليمن والمنى والسـعود
وسنا النور فى ظـلام وجودى
فى وجـود مكبـل بقيـود
وقيـود بـلا مـدى أو حدود
وحيـاة يفزع الجـن منهـا
من رؤى وجهها العبوس الشديد

بلى ‥ فقد أشرق الكون بميلاد « ماجد » وعانق والده كل أمانى الحياة وزهو العمر •

ماجـد : ياضـوء القمـر
يا فخـر يومـى المنتظـر
واحـة آمـالى أنت
فى متـاهات السـفر
وجئـت كالمنـى وكالنصر
أتـى عـلى قـدر

كالشـــمس بعـــد الزمهـــرير
كالشـــــذى عبـــر المطـــر
وصرت يامـــــا جـــد فى
جيـــدى عقـــدا مـــن زهر
واعشـــو شـــبت بك الحياة
وارتـــوى بـــك الثمـــر
واخضر عشـــنا وكـــان
العش مجـــدب الصـــور

ويهمس الأب فى سمع وحيدة بقصته كلهـا فى أبيات تفيض رقة وعذوبة ، وانه لشىء جميل حقا أن يعترف الوالد لابنه بما قاسى قبل مولده وانه لشىء جميل حقا أن يدعو له بكل ما كان يتمناه لنفسه من أمان فى دنياه فيقول :

دنياى يا ماجد كلهـا فصول من عبـر
قطعتها بالصـبر والعقبى لمن فيها صبر
واشتد بى العسر وضقت ضقت ذرعا بالغير
وعشت عشت فى لظى جحيم مرى المستعر
حتى أتيت كالضياء فى دجى العمر سفر
فكنت متعة السنين بل ربيعها العطـــر
انسان عينى ورؤى الروح وبهجة البصر
كل المنى والحظ والفد المعطـــر النضر
وكل ما أحب من يمن وعـز وظفـــر
وكل ما عجزت عـن تحقيقه من الخيـر
أدعو بأن تكون لابنى فى العشى والبكـر

***

ولقد حرصت حين بدأت الكتابة عن ديوان « أشواق الحياة » على النظر اليه من جميـع زواياه فى دقة واعتدال رأى بعد قـــراءة واستيعاب •

لذلك لم أصب اهتمامى كله على الناحيـة الجمالية بل تعديتها الى المضمون وقوة الأداء بجانب الموضوعية فالشاعر الخفاجى يعد أحد أبناء مدرسة « أبولو » التى لها خصائصـــها ومقوماتها ، غير أنه أكثر ميلا الى الأقدميـن ممسك بأوتار الشعر فى أزهى عصوره من حيث قوة الصياغة وجزالة اللغة ووضوح المعنـــى ومراعاة الأنماط المختلفة من تراثنا القيم •

ولذلك فليس هناك من خوف مطلقا أن يضيع الديوان فى زحمة الكتب التى تملأ الحقـــل الأدبى دون أن يجد الناقد البصير الذى يكشف عن قدره وقيمته • فالديوان أولا وأخيرا يدافع عن نفسه ويشق فى وثوق طريقه بلاحـرج أو تردد يحدوه الصدق والايمان بهفشاعرنا لايكتب غير مايفيض به خاطره ووجدانه • والدليل هو تلك العاطفة المحتدمة التى تنبض فى كل مـــا يصادفنا من قصائد فى ديوانه •

ويعتز الشاعر بالأزهر الشريف ، الأزهـــر الذى هو صوت مصر فى صدى طلابه ، والناطق بكل حكمة وهداية ، فمن الطبيعى أن يلهـــج بالثناء عليه حيث يقول له :

فى كل ركـــن من جوانبـــك العـــلا
شمس تضـــىء وكوكب بك نـــير
حرم الكنانة قد حميت زمارهـــا
ودفعت عنهـــا مايـــذل ويقهـــر
حجت اليـــك من القـــرى أحلامها
ومن البـــلاد شبابها المتخـــير
والديـــن لـــم ينشره الا فتيـــة
نشـــأوا بروضـــك مونقا وتبختـــروا

◄

محمد عبد المنعم خفاجى

أدى الأمانـة من نويـك جماعـــة
ودعـــا بروحـك منـــذر ومبشر

نصروا الفضـــيلة اذ أذاها عابث
نشروا الرســالة اذ طـواها معشر

ومن النماذج التى أبدع فيها الشاعر حـين وجه النصح لشباب الجيل فى قصيدة « الــى الشباب المصرى » حيث قال :

شباب الحمى ! مجد الحمى لا تـذله
يـد الاسد الضارى أو الطامع الوغد

أقيموا على الأحداث صفا موحـــدا
يرد ظباة الظالميــن الى الغمـــد

شباب الحمى : ذودوا كراما عن الحمى
ولا تهنوا فالذل أجـدر بالعبـــد

أصيخوا لداعى المجد اما دعاكـــم
ولبوا نداء النيل فى صولة الأســد

وئاما بنى قـومى فـان اختـلافنا
خسار ، واخلاصا على النحس والسعد

فــان حيـاة الطامحين الى العــلا
وئام وحب الفرد فى اللــه للفرد ..

وبعـــد :

فمازلت أقول • ان الخفاجى أديب كبـــير قبل أن يكون شاعرا وقد استنزف أيامــــه فى مزاولة الأدب فى أسلوبه النثرى مما أكسـبه اتقانا وبراعة وأصالة فلما زاول الشعر وتمرس جاء ديوانه « أشواق الحياة » وفيه من شفافية الروح ما جعل قارئه يكاد يرى صاحبه من خلال السطور •

وقبل أن أختم مقالتى أحب أن أذكـــر « ملحمة زاهد يحترق فى النور » وقد استطاع الشاعر أن يشدنى اليها ولعلنى أستطيع يوما أن أجد الحيز الذى يسمح لى أن أتكلم عنهـا فى استفاضة واسهاب ، فهى حوار بين ابليس وزاهد من الزهاد •

ويقول الخفاجى عنها فى ديوانه •

« لقد سجلها قبل ذلك الغزالى وتوفيـــق الحكيم ولكنهما سجلاها نثرا وكتبتها أنا شعرا فى هذه الملحمة •

ثم بعـــد ..

فان كان الشعر ــ كما يقول الخفـاجى فى نهاية ديوانه هو روح الشاعر ونبض قلبـــه وحديث وجدانه ..

وان كان الشعر ــ كما يقول صاحب الديوان هو الخلد والأعماق والتراث الباقى لصاحبه فهنيئا لنا نحن القراء فقد ضم ديوان « أشواق الحياة » أعز مايملك وأغلى مايقدم لنا الشاعر الكبير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى •

جليلة رضا

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

طبيعة الكهرباء

الفوتونات

الإعجاز العلمى في القرآن الكريم

٦

للدكتور جمال الفندى

هناك عمق من أعماق الاعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز يتصل بالاخبار الصادق بالغيب سواء من حيث الزمان وسبق الحوادث ، أو من حيث المكان وصدق الوصف لما لم تره العين أو ما لم يصل اليه الانسان . وذلك بمعنى أن القرآن الكريم جاء بمعرفة مسبقة لما لدى الناس من علوم وسبق بذلك أحداث الكشف العلمى والتاريخ .

ولا يخفى أن معرفة البشر العلمية السليمة من حيث المكان انما تبنى أولا وقبل كل شىء على المشاهدة الفعلية ثم على الرصد والقياس لما يقع تحت متناول الحس ،أو ما يرقى الى مستوى الحس باستخدام آلات الرصد ، مثل المجال المغناطيسى الذى نتعرف عليه باستخدام الابرة المغنطة ، أو مثل الاشعة الكونية التى نتعرف عليها باستخدام عدادات جيجر ، أو على غرار الفضاء الكونى الذى نتعرف على خواصه وطبيعته باستخدام آلات الأقمار الصناعية أو اجهزة سفن الفضاء التى نطلقها لكى تصل الى أمكنة لم يصل اليها الانسان من قبل .

ومن أمثلة الاخبار بغيب المكان قوله تعالى فى أوصاف الفضاء الكونى وأعاجيبه من ظلام حالك ، وشمس تضىء باستمرار الى جانب النجوم التى يتكاثر عددها بشكل مذهل ، ومن لزوم الانطلاق عبر الفضاء فى مسارات منحنية أو منعرجة .. قوله تعالى فى سورة الحجر الآيات (١٤) ، (١٥) :

« وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ » .

والأمثلة المستمدة من الكون عديدة فى هـذا المجال ، وسوف نتحدث هذه المرة باسهاب عن اجابة السؤال الهام :

هل نحن وحدنا ، وهل هناك وعي وادراك فى أرجاء الكون المترامى الأطراف على غـرار ما هو كائن على أرضنا ؟

والاخبار بالغيب بصفة عامة ، سواء فى ذلك ما يتصل بالزمان أو بالمكان ، هـــو العمق الخامس للاعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز . ومن أمثلة ما أخبر به القرآن من ألوان غيب الزمان قوله تعالى :

١ ـ « غُلِبَتِ الرُّومُ • فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ • فِى بِضْعِ سِنِينَ .. » الروم الآيات (٢ ـ ٤) ، وهذا هو عين مـا حدث وأثبته التاريخ .

٢ ـ « وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » . الصف الآية (١٣). وهذا أيضا عين ما حدث وأثبته التاريخ من أمر فتح مكـــة .

أما ما يتعلق باحتمال وجود شبيه الانسان على كواكب نائية يعج بها الفضاء الفسيح فهو أمر نجد الاشارة اليه أو الاخبار به فى مثـل قوله تعالى على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ .. » الشورى (٢٩) ، ٢ ـ « وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّـــمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » النحل (٤٩) . ٣ ـ « يَسْأَلُهُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ » الرحمن (٢٩)، وتشير كلمة (من) الى الكائن المدبر العاقـل كما نعلم .

أما من وجهة نظر العلم فانه حتى الآن لم يتم اتصالنا بشبيه الانسان فى مكان آخر ، الا أن ركب العلم يسير ، ووسائل الاتصال تتقدم . ويتطلب موضوع الدراسة الخاصة باحتمـال قيام مدنيات خارج نطاق المجموعة الشمسية ، مع بيان ما يمكن أن يكون عليه حالها ، ومـدى ما يتوفر لها من طاقات ، كل ذلك يستلزم عمل نتائج منطقية مبنية على أساس سليم من حقائق العلم وبديهياته .

ولقد نشأ الانسان وتطور علمه (ليكـون خليفة الله على الأرض) على أشبه شىء بهباءة الغبار الدقيق اذا ما قـــورنت الارض التى يعيش عليها بحجم الكون المترامى الاطراف . واليوم أصبح الانسان سيد هذه الهباءة بـلا منازع ، وهى تجرى به منطلقة مـع الشمس فى بحر لجى من الشموس أو النجوم المستعرة:

١ ـ « وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَــزِيزِ الْعَلِيـمِ » ـ يس (٣٨) ،

٢ ـ « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً » ـ البقرة (٣٠) •

وراح الانسان فى مراحل نضوجه الفكرى يدرس عشرات آلات الظواهر الطبيعية لكى يقف على مكنون أسرارها ، كما راح يعمل على ترتيب وتبويب ما جمع من معلومات بالرصد والتتبع والقياس لما فى الكون من ظواهر ، على امل أن تضىء له تلك المعلومات الطريق الموصلة الى الكشف عن بعض أسرار الكون التى يؤمن عن ثقة وجدارة بأنها تنطبق على العالم البعيد عنا بعدا لا يمكن من الوصول اليه بقدر انطباقها وصلاحيتها هنا على الأرض :

١ ـ « وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً » ـ فاطر (٤٣) •

٢ ـ « وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً » ـ الفتح (٢٣) •

وسريعا ما وقع الانسان فى مأزق حرج ، اذ ألفى نفسه فجأة كالطفل أمام كون ضخم قديم بلا حدود مرئية . كالعملاق الذى يفوق حدود الوصف والخيال بالنسبة مثلا الى كل الكائنات الحية التى عاشت على الأرض خلال مدة من الزمن ربت على نحو خمسة بلايين من السنين منذ نشأتها •

ان العقل البشرى يستطيع قطع المسافات الخيالية فى لمح البصر عبر كل من الزمان والمكان لعله يصل الى بصيص من الحقيقة المنشودة . هذا كما أن عمق فلسفاته . وعظم حكمته ، وما يكمن وراء تصوراته العلمية من عبقريات •••• كل ذلك انما يدل

ويشير بجلاء الى ما قدره له الخالق جل شأنه من امكان السير على الطرق الموصلة الى التفوق والمقدرة وامكان التحكم فى الأرض وما عليها :

« حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا •• » ـ يونس (٢٤) •

وفى الحقيقة يبقى علينا أن نتساءل : الى أى اتجاه يسير بنا العلم ؟

هل هو يسير بنا الى اسعاد البشر كما فعلت الأديان السماوية . أم هو يسير بنا الى مجرد السيطرة والتحكم ثم الدمار ؟

هذا هو ما لم يجب عليه أحد حتى الآن •

ويلوح . على أية حال . ان من بين معالم العلوم طريق توصل الى داخل الانسان نفسه، حيث تتمركز تعاليم الدين وفلسفات تتعلق بطبيعة العقل البشرى •

ولقد علمنا الحكماء منذ القدم مثلا أن الحقائق الخالدة يمكن أن يماط عنها اللثام بالتفكير الخالص •

ومن أجل الكشف عن الآيات المبثة فى الكون علينا أن نسلك طريقين فى آن واحد :

الأول : طريق الرصد والتتبع والقياس .
والثانى : طريق الفهـــم والادراك لتلك الارصاد باستخدام قوى العقل . لأن الطبيعة انما تسلك نظاما ثابت لا تحيد عنه كما قدمنا ، بحيث انه اذا تم رصد ذلك النظام بطـــرق سليمة قويمة . ثم تم فهم ما رصد منها فهمـا دقيقا . عندئذ تتكشف لنا الحقائق العلمية .

وتكون حصيلة الحقائق التى يجمعها الانسان اطار معرفته العلمية . وهو لايستطيع أن يدرك علميا ما لم يرصده . وتظل تلك الأشياء التى لم يرصدها باقية خارج اطار العلم الى حين رصدها بالفعل . وهو كما قلنا قد يستخدم فى سبيل ذلك أجهزة خاصة أو آلات معينة لمـــا لا يقع تحت مستوى حسه بصفة مباشرة .

ومهما يكن من شىء فنحن عن طريق التأمل. والقياس . واستخدام المنطق السليم نستطيع الوصول الى آفاق واسعة . وهكذا يمهـــد العلماء الطريق الى المستقبل .

واليوم يحدثنا علماء الفلك بأن عمر مجرتنا أو الطريق اللبنى أو طريق التبانة كما ســماه المسلمون الأول ـ يتراوح بين ١٥ و ٢٥ بليون سنة . وعندما نضيف هذه المعلومة الى حقيقة أن ملكوت الخالق لا يمكن أن يقف عند حـــد جنس معين أو نوع خاص من المخلوقات . نؤمن بأن البشر ليسوا هم النوع الوحيـــد المتميز بالوعى بين أرجاء الكون وسط بلايين المجموعات الشمسية المنتشرة عبر خضم الفضاء .

واذا لم يكن الانسان وحيـــدا فليس من اللازم أن يكون هو أرقى تلك الأجناس الواعية المدركة ، ولا أعلاها شأنا ، لأن هنـــاك ملايين الكواكب التى توفرت لها بيئات نشأت عليها الحياة وازدهرت على غرار الأرض . ومنها عدد وفير يزيد عليها فى العمـــر بملايين السنين . ومن الطبيعى أن قد نشأت عليهـــا حضارات متقدمة سبقت حضارة أهل الأرض .

ولعل هذا يفسر لنا كيف أن الملائكة التى لا تعلم الغيب . ولكن شاهدت ما كان يفعلـــه شبيه الانسان (على كواكب ســبقت كوكب الأرض) من الفساد وسفك الدماء . قالت كما جاء فى كتاب الله العزيز : « **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** » ـ البقرة (٣٠) .

واذا كانت النجوم كالناس تولد وتقوى ثم تضعف وتموت . فكذلك المعرفة لا تنعـــدم أو تمحى . فهى تعبر من حضارة كـــوكب الى حضارة كوكب آخر مهما كان نائيا وبعيدا فى أعمق المجرة منذ خلقت الى ما يشاء اللـــه تعالى .

ان الحياة البيولوجية تلك التى تطورت فكريا على الأقل الى مستوى الفكر البشرى هى من الأهمية بمكان بالنسبة لنا . ولهذا ندرس بدقة الأسس التى يقوم عليها الذكاء والتفكير ، واليوم يستخدم العقل الالكترونى فى هـــذه الدراسات التى تشير الى امكان قيام مجتمعات فوق مستوى البشر .

وليس لدينا أسباب تكفى لتبرير أن كائنات ما وراء مجموعتنا الشمسية قد زاروا أرضنا من قبل ، كما أنه ليس لدينا ما يبرر ادعاء أنهم لا يعرفوننا ، ومجمل القول أنه توجد كواكب أخرى مسكونة داخل نطاق مجرتنا أو الطريق اللبنى ، وان نسبة كبيرة من تلك الكواكب مجتمعاتها على بينة من أمر بعضها ، خصوصا بالقرب من مركز المجرة حيث تكدست مادة الأصل وتقاربت النجوم أو الشموس .

ان شمسنا انما تقع غير بعيد عن أطراف المجرة التى يبلغ طول قطرها مائة ألف سنة ضوئية وتوجد شمسنا على بعد أكثر من ستين الف سنة ضوئية من المركز . وان أقرب مجموعات الشموس الى مجموعتنا الشمسية مجموعة قنطورس التى توجد على بعد أربعة سنوات ونصف من السنين الضوئية ، أى أن على المسافر من الأرض أن ينطلق بسرعة الضوء التى تبلغ ٣٠٠ الف كيلو متر فى الثانية الواحدة وأن يبقى هكذا مسافرا مدة أربع سنوات ونصف سنة لكى يصل الى مجموعة قنطورس .

وهذا أمر يكاد يكون مستحيلا حتى الآن .. ويبقى الاتصال أو الجمع بينهم على متن أمواج الأثير والله تعالى أعلم ، وقد قال فى كتابه العزيز :

« وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » ـ الشورى (٢٩) .

للحديث بقية

أ . د . جمال الفندى

طبيعة الكهرباء

مهندس محمد ابراهيم حسين

« قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ » (يونس ١٠١) .

الاسلام دين العلم والعمل والحياة ، قدم لنا المنهج لكى نحيا فى الدنيا حياة طيبة ونكون فى الآخرة من الفائزين برحمة الله .

ولم يخاطب هذا الدين — المتمم لما سبق من شرائع — أمة معينة بل خاطب العالمين فى كل أوامره ونواهيه (١) . فامرنا فى كثير من آياته بالتدبر والتفكر والتعلم والبحث والتنقيب ، ولم يجعل الهدف من ذلك الحياة الطيبة فى الدنيا فقط .

بل جعل لهذا التعلم والبحث والتدبر هدفا ساميا — هو الوصول الى الايمان الحق بالله تبارك وتعالى — خالق كل من فى السموات والأرض . فاذا ما وصلنا الى هذه المرتبة العالية استطعنا أن نكون عبيدا مخلصين لله . ومن ثم نقيم حدوده ونأتمر بأوامره وننتهى عن نواهيه فتكون لنا عزة الدارين . وهذا هو المنهج المستقيم .

ولنتدبر سويا ظاهرة من الظواهر الكونية التى نعيش معها فى حياتنا الدنيا فى كل لحظة عسى أن يهدينا الله الى سواء السبيل .

الكهرباء الموجبة والكهرباء السالبة :

يرجع الكشف الاول لظاهرة الكهرباء الى أنه فى القرون السابقة لوحظ أنه عند احتكاك

(١) محمد — صلى الله عليه وسلم — مبعوث للناس كافة ، فكل من على وجه الارض أمة محمد وهم قسمان : أمة اجابة دعيت فآمنت ، وأمة دعوة حق عليها الايمان بالكتاب ان شاءت آمنت ، وان شاءت لم تؤمن ... مجلة الازهر .

طبيعة الكهرباء

قطعة من « الكهرمان » بالفراء أو القماش فان الكهرمان تصبح له خاصية جذب الأجسام الخفيفة اليه ٠

وقد لوحظ أن مواد أخرى مثل الزجاج مثلا تصبح لها نفس الخاصية ٠

عند اجراء تجارب أكثر تقدما على هذه الظاهرة فقد لوحظ أن الزجاج الذى تم احتكاكه بالحرير فصارت فيه شحنة يحدث بينه وبين الأجسام الخفيفة تجاذب ٠

وعلى العكس فان الشمع عند احتكاكه بالفراء يكتسب أيضا صفة الكهربية (١) ولكنه يحدث تنافرا شديدا مع الأجسام الخفيفة التى انجذبت للزجاج ؟!

وبناء على ما سبق ملاحظته فقد اقترح أن تصنف الكهرباء الناتجة الى كهرباء موجبة وكهرباء سالبة ٠

وبهذا فان أى جسم مكهرب اذا تنافر مع الزجاج المكهرب أو تجاذب مع الشمع المكهرب يعتبر حاملا لشحنة كهربائية موجبة وبالمثل فان أى جسم مكهرب يعتبر حاملا لشحنة كهربائية سالبة اذا حدث بينه وبين الزجاج المكهرب تجاذب وحدث بينه وبين الشمع المكهرب تنافر ٠

الكهرباء الساكنة والكهرباء الحركية (الاستاتيكية والديناميكية) :

الظاهرة الكهربية التى سبق شرحها عرفت بالكهرباء الساكنة ٠ وقد لوحظ نوع آخر من الكهرباء يحدث عند تلامس أحد الأطراف العصبية لضفدع حديث القتل بمشرط معدنى أثناء حدوث شرارة كهربائية من « ماكينة » قريبة اذ تحدث انتفاضة مفاجئة فى عضلات الضفدع ٠

وعند دراسة هذه الظاهرة وجد أن تأثيرات متشابهة يمكن حدوثها بعمل تلامس بين قطعتى معدن احداهما تلامس عضلة الضفدع والأخرى تلامس أحد أطراف الضفدع العصبية ٠

وبمتابعة دراسة هذه الظاهرة طبيعيا وجد أن العامل الأساسى لحدوث هذا التأثير هو وجود قطعتى المعدن ٠ وقد تم اثبات أنه يمكن توليد الكهرباء باستخدام قطعتى معدن مختلفتين مثل « الزنك والفضة » مثلا وقد تم فصلهما بقطعة من الجلد الرطب ٠ وقد أطلق على هذا النظام الخلية الكهربائية ، وهذا المثل الأخير يوضح النوع الثانى من الكهرباء وهو الكهرباء الحركية ٠

الجهد والتيار الكهربائى :

يمكن مقارنة الكهرباء بسقوط المياه من

---

(١) الكهربة : تعبير لما يترتب على وجود الشحنة فاذا كانت هذه الشحنة ساكنة ترتب على وجودها ما يعرف بالكهرباء الساكنة ، واذا كانت متحركة ترتب على تحركها ما يعرف بالكهرباء المتحركة ٠

ارتفاعات عالية . وتعتبر الشدة الكهربية هي « الجهد » : ويقاس الجهد عادة بوحدات « الفولت » ويشابه « الجهد الكهربي » ارتفاع سقوط المياه .

أما كمية الكهرباء فتسمى أحيانا « الشحنة الكهربية » وهى تشابه كمية المياه الساقطة .

ونتيجة للأبحاث المستمرة على ظاهرة الكهرباء تبين أنه فى الكهرباء الساكنة يكون الجهد مرتفع القيمة بينما تكون الشحنة الكهربية أو الكمية قليلة . وفى الكهرباء الحركية يكون (الجهد) منخفض القيمة والشحنة الكهربية أكبر . ولحساب الطاقة المتحصل عليها عند مصب المياه الساقطة . فان الطاقة تساوى حاصل ضرب ارتفاع سقوط المياه وكمية المياه الساقطة . **ولحساب الطاقة الكهربية الناتجة تستخدم قاعدة مشابهة حيث تساوى الطاقة الكهربية حاصل ضرب الجهد الكهربى فى الشحنة الكهربية .**

ويلاحظ انه فى حالة وجود جسمين مشحونين كهربيا : أحدهما سالب والآخر موجب وقد تم التوصيل بينهما باستخدام قضيب معدنى أو سلك فانه يحدث مرور للشحنة الكهربية وهذا ما يسمى بالتيار الكهربى .

ويعبر عادة عن شدة هذا التيار بوحدات « الأمبير » وتعرف هذه الوحدة بأنها معدل سريان الشحنة الكهربية بين الجسمين المشحونين .

ويلاحظ أنه حتى لو لم يوجد سلك يوصل بين الجسمين وكان فرق الجهد بينهما كبيرا فانه يحدث مرور للكهرباء بينهما فى صورة تفريغ أو شرارة كهربية أو شرارات كهربية متتابعة وتعتبر الاضاءة العادية أحد استخدامات هذه الظاهرة .

وللحصول على تيار كهربى مرتفع القيمة يجب استخدام الخلية الكهربية سابقة الذكر فى الكهرباء الحركية . وبتجميع عدد كبير من هذه الخلايا على التوالى ينتج ما يسمى بـ (البطارية) حيث يمكن بواسطتها الحصول على جهد كهربى مرتفع للغاية .

كذلك يمكن الحصول كذلك على هذا الجهد المرتفع باستخدام الدينامو وهو ماكينة يمكن بها تحويل الطاقة الميكانيكية الى طاقة كهربائية .

وقد تلاحظ أنه اثناء مرور التيار الكهربى خلال سلك ينشأ مجال مغناطيسى بالقرب من السلك الذى تمر فيه الكهرباء وهو ما يعبر عنه بمنطقة أو (فراغ) ينشأ من خلالها نوع معين عن القوى المغناطيسية ويعتمد على اتجاه مرور التيار الكهربى .

وبالمثل فانه يلاحظ وجود تأثير كيميائى عند مرور الكهرباء فى محلول معين وهو يعبر أيضا عن اتجاه مرور التيار الكهربى . وبهذا فان هذا الاختبار المغناطيسى أو الكيميائى يستخدم فى الدلالة على اتجاه مرور التيار الكهربى .

ويتكون مصدر الكهرباء أساسا سواء كان خلية كهربية أو مجموعة خلايا أو « دينامو »

طبيعة الكهرباء

من قطبين كهربيين يعطى أحدهما علامة موجبة والآخر علامة سالبة أى يعطيان قطبا موجبا وقطبا سالبا .

ويمر التيار الكهربى من القطب الموجب الى القطب السالب .

وهذا التيار الناتج باستخدام الخلية الكهربية البسيطة يسمى بـ « التيار الكهربى المباشر » .

التيار الكهربى المتردد :

أمكن — باستخدام بعض أنواع الأجهزة الكهربية — انتاج تيار كهربى متردد . وهو ما يعنى تيارا يتغير اتجاهه باستمرار عند فترات محددة .

وتصبح الأقطاب الكهربية فى هذه الحالة غير محددة الاشارة حيث تارة تكون موجبة وتارة أخرى تكون سالبة . ويمكن الحصول على تيار كهربى مختلف التردد من تردد منخفض الى تردد مرتفع جدا ، مثل تيارات الراديو والرادار . وميزة التيار المتردد هو امكانية زيادة جهده الكهربى أو تقليله بكمية كبيرة باستخدام جهاز بسيط يسمى المحول الكهربى .

ثم يمكن بعد ذلك تحويل هذا التيار المتردد الذى رفعت قيمة جهده بقدر كبير الى تيار مباشر مرة أخرى باستخدام مقوم التيار . والمقومات الكهربية أجهزة بسيطة التركيب وتوجد منها أنواع متعددة .

وبهذا نلاحظ معا هذه المقدمة المبسطة جدا فى شرح هذه الظاهرة الحيوية للغاية فى حياتنا وكيف أن أحداثا بسيطة فى ذاتها يترتب عليها ظواطر واستخدامات هامة جدا ، وتلك احدى الاشارات الى عظمة الخالق الذى لا تدركه الأبصار لقصورها وتدركه القلوب والعقول المؤمنة بملاحظتها .

محمد ابراهيم حسين

الهرمونات

كيميائى
منير عبد الفتاح عبد الحميد

« وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ »

أثبتت التجارب التى أجريت خلال ارتياد الانسان سطح القمر أن حياة الانسان وصحته فى انسجام تام مع البيئة الأرضية وأن اى تغير فى ذلك التوازن الدقيق بين الانسان وبيئة الأرض المحيطة به سوف يؤدى الى اضطراب فى صحة الانسان وقد يزداد هذا الاضطراب فيؤدى الى الوفاة ومن أمثلة ذلك ذلك الاتزان الدقيق عمليتى « الهدم والبناء » فى أجسامنا .

فكل ما فينا من عناصر يستبدل بغيره من بيئتنا الأرضية عدة مرات فى العام الواحد فى حين نبقى نحن كما كنا ، دون حدوث أى تغيير فى خلايا الجسم .

ويقوم الدم بدور الوسيط فى عملية التبادل هذه فهو يحمل الاكسجين من الرئتين ، والغذاء من القناة الهضمية الى جميع الخلايا ، ثم يحمل أيضا ـ عن الخلايا ـ الحرارة المتولدة نتيجة هذا النشاط الحيوى .

وثبات التركيب الكيميائى والطبيعى للدم من أهم مقومات الصحة بل الحياة فدرجة حرارة الدم وتفاعلاته ونسب ما به من ماء وأملاح ومواد عضوية ثابتة لا تتغير الا فى حدود ضيقة . ويعنى ذلك أن خلايانا تؤدى وظائفها فى جو ثابت أمين .

وتتضافر جميع أعضاء الجسم فيما بينها للحفاظ على التركيب الكيميائى والخواص الطبيعية للجسم وسوائله وينشط عمل كل عضو حينا ، ويبطىء أحيانا حسب ما تقتضيه حاجة الجسم كله من وظيفة ذلك العضو ، ومن

الهرمونات

ثم كان لابد من وسيلة لتنظيم الوظائف الحيوية المختلفة والتنسيق بينها لتكوين وحدة حية منتجة من حصيلتها .

ويوجد بالجسم وسيلتان رئيسيتان لهذا التنظيم هما : الجهاز العصبى والغدد الصم . وتعمل الوسيلتان فى تعاون تام . وسنذكر بمشيئة الله نبذة صغيرة جدا عن الغدد .

يوجد بالجسم نوعان من الغدد : نوع له قناة خاصة تحمل افرازه الى « أحد أسطح الجسم المتصلة بالبيئة الخارجية » حيث يؤدى ذلك الافراز وظيفته ان كان ذا وظيفة كالعرق واللعاب أو حيث يتسنى التخلص منه الى خارج الجسم اذ كان يحوى الفضلات كالبول ويسمى هذا النوع « الغدد ذات الافراز الخارجى » .

وأما النوع الآخر من الغدد فلا قناة له ، ومن ثم سمى بالغدد الصم . ويصب هذا النوع افرازه فى الدم مباشرة أى فى (بيئة الجسم الداخلية)ولذلك يسمى هذا النوع بالغدد ذات الافراز الداخلى . وهى تشمل : الغدة الدرقية وجارات الدرقية والكظرية والنخامية وخلايا « لانجرهانز » بالبنكرياس والمبيض والخصية والمشيمة وتقوم هذه الغدد بافراز الهرمونات .

والهرمونات مواد كيميائية عضوية ذات فاعلية فسيولوجية شديدة تفرزها غدد الجسم وتسرى فى الدم كما ذكرنا فتنبه الأعضاء الى القيام بوظائف هامة وتقوم بعمليات تنظيمية للنسج فتحافظ على كيانها الحيوى ، فهى تنظم النمو والتمثيل الغذائى للمواد العضوية وغير العضوية والتناسل وما الى ذلك من وظائف حيوية آخرى .

وتفرز الهرمونات بمقادير ضئيلة : من عدة « ملليجرامات الى جزء من « المليجرام » فى اليوم . نظرا لقوة فاعليتها . ولا يبقى الهرمون بعد افرازه طويلا . اذ يحوى الجسم وسائل لابطال مفعوله أو لاخراجه بعد أن يؤدي وظيفته .

وفى الستين عاما الماضية أجرى الكثير من البحوث العلمية وأمكن استخلاص الكثير منها فى حالة نقية وأمكن معرفة تركيب « الهرمون الكيميائى » بل فى كثير من الأحيان أمكن تحضيره معمليا .

وفيما يلى أسماء الهرمونات والغدد التى تفرزها وتركيبها الكيميائى .

الغــــدة	الهرمون	التركيب الكيميائى
١ ــ الدرقية	الثيروكسين	مادة فينولية
٢ ــ فوق الدرقية ؟	الباراثورمون	مادة بروتينية
٣ ــ البنكرياس : خلايا « ا » من جزر لانجرهانز	الجلوكاجون	مادة بروتينية
خلايا « ب» من جزر لانجر هانز	الانسولين	مادة بروتينية
٤ ــ النخامية : الفص الامامى	هرمون النمو	مادة بروتينية
	هرمون منشط الحويصلات	مادة بروتينية
	هرمون مهيىء الرحم	مادة بروتينية
	هرمون ادرار اللبن	مادة بروتينية
	هرمون منشط الدرقية	مادة بروتينية
الفص الخلفى	الفاسوبرسين	مادة بولييبتيدية
	الأوكسى توسين	مادة بولييبتيدية
٥ ــ فوق الكلوية : اللباب	الادرينالين	مادة كاليشكوليه
	نور الادرينالين	مادة كاليشكوليه
القشرة	الكوريتكو سيترون ومشتقاته	مادة سيترولية
	الكورتيزون ومشتقاته	مادة سيترولية
	الالدوسيترون	مادة سيترولية
٦ ــ الخصية	تستو سيترون	مادة سيترولية
٧ ــ المبيض	استرادبول	مادة سيترولية
٨ ــ الجسم الاصفر	بروجسيترون.	مادة سيترولية

وعلى سبيل المثال فان هرمون الدرقيـــــة « الثيروكسين » ينشط أكسدة المواد العضوية وهو فى ذلك يماثل المذاخ الذى يزيد وقــود الحياة اشتعالا فتستطيع أنسجة الجســم أن تحصل على الطاقات اللازمة لتأدية وظائفهــا وبنيان كيانها .

وعجيب أمر الدرقية كممثل لتلك الغدد . اذ أنها تتحكم فى الكمية التى تخرجها من هرمونها وتزنها قبل أن تفرزهــا فتمنع الأضرار التى تنشأ عن نقصانها أو زيادتها . فهى تؤدى مثل

الهرمونات

ما يسمى بالتحكم الآلى فى الآلات فكما نلحظ أن المبرد يستمر محركه فى الدوران حتى تهبط درجة حرارة (الماكينة) أو الآلة الى الحد المطلوب ، فاذا انخفضت درجة الحرارة الى ذلك الحد انقطع التيار الكهربائى عن المحرك فتنفصل الدائرة ويتوقف محرك التبريد عن العمل ، ولا يعاود الحركة الا اذا ارتفعت الحرارة مرة أخرى • فكذلك فى أجسامنا يتم تنظيم الوظائف الحيوية منذ بدء الخليقة الى ما شاء الله ، ففى الحالات الطبيعية تقوم نسبة الثيروكسين فى الدم بتنظيم وظيفة الدرقية ، فاذا زادت النسبة توقفت الدرقية عن الافراز وان قلت النسبة عن حد معين عاودت الدرقية افرازها •

والنخامية غدة صغيرة فى أسفل المخ وتتصل به ، وهى بهذا الاتصال تخضع الغدد الصم لتوجيهات الجهاز العصبى فيتسنى لها أن تغير من كمية الهرمونات التى تفرزها زيادة أو نقصانا ، تبعا للتغييرات التى تحدث فى البيئة الخارجية أو الداخلية ، تلك التغييرات التى يتعرف عليها المخ بواسطة الاشارات العصبية التى ترد اليه من أعضاء الاحساس •

وتمثيلا لذلك نرى أنه عند التعرض لجو بارد ترد الى المخ اشارات عصبية من الجلد تنبهه الى برودة الجو ، فيطلب الى النخامية أن تفرز مزيدا من هرمونها المنشط للدرقية فتزداد نسبة الثيروكسين بالدم وتزداد تبعا لذلك كمية الحرارة التى تتولد بالجسم فيستطيع الجسم أن يحتفظ بدرجة حرارته رغما من برودة الجو •

والنخامية غدة صغيرة فى أسفل المخ ومتصلة به وهى بهذا الاتصال تخضع الغدد الصم لتوجيهات الجهاز العصبى فيتسنى لها أن تغير من كمية الهرمونات التى تفرزها زيادة أو نقصا تبعا لظروف البيئة الخارجية •

ولا تقتصر وظيفة الجزء الأمامى من النخامية على تنظيم عمل الغدد الصم الأخرى، بل انها تفرز (هرمون) ينظم عملية النمو فاذا عجزت النخامية عن افراز ذلك الهرمون ظهر الأقزام ، واذا زادت الافرازات عن الحد المطلوب فى مرحلة النمو أصبح الشخص عملاقا وقد يصل طوله الى ما يقرب من المترين والنصف •

ويعتبر الجزء الخلفى للنخاميه غدة صماء مستقلة عن الجزء الأمامى • وتفرز من حيث وظيفتها (هرمونين) : أحدهما يمنع ادرار البول ويحافظ على نسبة الماء بالجسم فاذا تناول الانسان كمية كبيرة من الماء توقف افراز الهرمون المضاد لادرار البول فتستطيع الكلى ان تخرج من الجسم الماء الزائد وأما اذا نقصت كمية الماء بالجسم نتيجة انسيال العرق الشديد أو الاسهال مثلا أفرزت النخامية (هرمونها) فى كثرة فيقل حجم البول ويصبح مركزا

البقية صفحة "١٢٠"

مجلة الأزهر من خمسين عاما

تحليل الروح العصرية

للاستاذ محمد فريد وجدى
اعداد : عبد الفتاح حسين الزيات

فى الحديث الشريف : « لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها » صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وانما صلح أول هذه الأمة بفهم الاسلام فهما يضعه فى مستواه الذى أراد الله مع السلوك المستقيم فى اطار هذا الفهم الواعى ٠

فكان الاسلام نظاما كاملا للحياة يتناولها فيما بين العبد وربه ، وفيمـــا بين العبد ومجتمعه من مختلف الانشطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ويظلم نفسه من رأى الاسلام غير محيط أو فعال فى هذه الثلاث ، فليس الجهل بعــذر ٠

ولقد كان ايمان المسلمين أرفع وأسمى ممن قالوا : « لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً » وأعمق شعورا بعظمة الله وقدرته ممن قالوا : « هل يستطيـع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » عرف المسلمون ربهم خير المعرفة فكانوا أمة وسطا شهداء على الناس ، قال تعالى :

« وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » ٠

تلك الامة الوسط يتحدث عنها الاستاذ محمد فريد وجدى ــ رحمه الله ــ يقـــول :

◄

كثرت الدعوة الآن فى البلاد الشرقية للأخذ بالروح العصرية الغربية . لتصل شعوبها الى مثل ما وصلت اليه الشعوب الأوربية من رفعة الشأن والعلم والمدنية .

فتوهم كثير من الناس أن هذه الروح تتألف من كل ما يشاهدونه مطبوعا بطابع أوربى . حتى ما كان منه من الاباحيات والالحاديات . وضروب التهتك . والمذاهب المتطرفة. والخروج على القوانين والنظم المقررة . وذهاب كل انسان محلول الرسن الى حيث يدفعه الهوى . ويجره اليه الغى ، ويدسه فى حمأة الباطل .

والواقع أن هذا الخليط من الصفات الذميمة ليس هو الذى أقام صرح المدنية الغربية . ورفع من أعلام علومها وفنونها وصناعاتها وبعث من مخترعاتها ومكتشفاتها . ولكنه مجموع من فتنها وأدوائها وأباطيلها وعوامل تحطيمها .

فمن اوجب الواجبات على المشتغلين بالدعوة والارشاد فى الشرق أن يفرقوا بين الخلال القويمة التى كانت العوامل الحقيقية لنهضة أوروبا هذه النهضة الرائعة . وبين تلك الصفات الذميمة التى أجمع قادة هذه المدنية أن الابقاء عنها يوشك أن يكون سببا فى حلها . كما حل أمثالها جميع المدنيات القديمة . وجعلتها أثرا بعد عين .

من المقررات التاريخية أن أوروبا بقيت طوال القرون الوسطى أى أكثر من ألف سنة فى ظلام حالك من الجهل . والغفلة عن ينابيع الحياة الصحيحة ، مقودة برجال لاهم لهم الا اشباع مطامعهم . تمكنوا من القبض على نواصى أممها بالحديد والنار . وشغلوها بخوض غمرات الحروب والغارات . فلم تجد متسعا من الوقت للتفكير فى حاضرها ومستقبلها . وفى الوسائل التى تعتمد عليها لتخرج من حالة الجمود التى وقعت فيها الى حالة تستفيد فيها من وجودها . وتعود بها ولو الى مثل ما كانت عليه على عهد اليونانيين الأقدمين . والرومانيين الذين خلفوهم فى زعامة الارض .

ومما تذرع به هؤلاء القابضون على مخنقها ليأمنوا شر انتقاضها عليهم أن عنوا أكبر عناية بالترصد لحركاتها العقلية . فكانوا كلما نجمت ناجمة من فكرة حرة . أسرعوا الى طمس معالمها . وخنقها وهى وليدة . حتى لا تكون أصلا لغيرها . وأنزلوا بمنتجها عقوبة رادعة تمنعه العود الى نشرها . أو الاتيان بمثلها . فان عاد نكلوا به شر تنكيل . وجازوه بالاحراق بالنار . أو بقذفه من شاهق من الجبال . أو مزقوه اربا اربا . ليذاق وبال أمره . ويرعوى سواه عن مثل فعله .

وفى الوقت نفسه تركوا الباب مفتوحا لصنوف الفساد الخلقى . وضروب الانحلال الأدبى . لتتلهى الشعوب بهذه القاذورات عن الاشتغال بالأمور الجدية التى يتوقعون أنها قد تفتكهم من قبضة أيديهم .

فكان من أثر ذلك أن ماتت العزائم فى أوروبا وعميت البصائر فيها . وعمتها الفوضى . وذاعت فيها الفحشاء ، وطمست فيها معالم العلوم والفنون والصنائع التى كان لها على

عهد اليونانيين والرومانيين دولة قائمة . وبات الناس من أمورهم على شر ما تكون عليه جماعات أخذت عليها طرق الحياة من كل مكان (راجع ما كتبناه هنا نقلا عن البحاثة المستشرق « جول لابوم » مؤلف « فهرست القرآن » .

فلما أراد الله أن يخرج العالم من هذه المحنة التى طال عليها الأمد أجيالا متعاقبة أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بدين الله . يهيب بالشعوب الى موارد الحياة ويدعوهم الى النظر والاعتبار . ناعيا عليها استسلامها للمتحكمين فيها . وحافزا اياها على التخلص من نيرهم . والتفصى من اسارهم . وماهى الا مدة قصيرة حتى اجتازت هذه التعاليم جزيرة العرب من مسارب شتى ، فأصغت اليها أسماع . وتأثرت بها نفوس . وحنت اليها قلوب . ولكن أنى لها أن تتحرك وقد أحيط بها من كل جانب . وسدت فى وجوهها جميع طرائق النجاة .

فأراد الله أن يسوغ لها سبيل الحياة . فدفع بالمسلمين الاولين لفتح الاندلس . وجزء من البلاد الفرنسية والايطالية . فجروا فيها على سنتهم : من فتح المدارس ، والنظر فى العلوم . والاجتهاد فى المذاهب . ودعت طبيعة الجوار الى تسرب تعاليمهم الى من جاورهم من الأمم . ثم تعدتهم الى من وليهم .

واقتضت حاجة التبادل نزوح الافراد من تلك الأمم الى الاراضى التى استولى عليها الاسلام ، فتولدت فى جميع أرجاء أوربا روح جديدة لم تكن فيه من قبل ، واتفق أن التحق بمدارس المسلمين آحاد آخرون نهلوا من علومهم ، وتضلعوا فى معارفهم ، ثم عادوا الى بلادهم ينشرون ما تعلموه سرا فى أول أمرهم . ثم أعلنوه ملطفا بعد ذلك ، كيلا يوقظوا حذر ساداتهم . فكان ذلك سببا فى نشوء ميل قوى فى أممهم الى الخلاص مما هم فيه . مهما كلفهم من الاستبسال والاستماتة فى سبيله .

فنجم من ذلك الحين بين تلك الأمم وبين القابضين على أزمتها نضال ابتدأ فى مجال التفكير والعلم . ثم انتهى الى الحديد والنار فكان النصر حليف طلاب الحرية . ففازوا على خصومهم . ولكن بعد أن أحرق بالنار . أو أغرق فى البحار . أو رمى به من شواهق الجبال أكثر من ثلاثمائة ألف وستين ألفا من العلماء والمفكرين وكبار المجددين . وبعد أن هلك فى الحروب من أبناء تلك الشعوب عدد لايحصى .

بسبب هذه المنازعات القاسية . والمكافحات المسلحة ، ولدت الروح المدنية فى أوربا مشوبة بتطرفات من ضروب شتى . ولدت متأثرة بعداء للدين لا يقف عند حد ، للقيانها من أهله عنتا لم تلقه الامم فى تاريخ العالم .. وولدت مطلقة للحرية اطلاقا يلحقها بالاباحة ، بسبب ما ذاقته من شرور الافراط فى تقييدها قرونا طويلة ، فكان هذا التطرف فى اطلاقها سببا فى التياثها بصنوف شتى من النقائص الأدبية والاغراق فى الشهوات . لأن السادة الأولين تركوا كما قلنا الباب مفتوحا لجميع الميول البهيمية ، الهاء للناس عن التفكير فى الخلاص ، فجاءت مدنيتهم ملتاثة بكثير منها . ولم يقو العلم ولا الفلسفة على ازالتها ، رغما عما

يكتبه قادتهما من التشنيع عليها ، والانذارات المروعة اذا استمر الناس فيها .

هذه هى حقيقة حال الروح العصرية ، ومنها يتضح بأجلى بيان أنها تقوم على عنصرين .

أحدهما : مؤلف من جهود جبارة بذلت فى سبيل العلم والحكمة . والفنون والصنائع ، وكل ما هو نافع وصالح للحياة ، وهو ما يجب علينا الأخذ به ، واحتذاء مثاله ، لنصل الى مثل ما وصل الغربيون اليه من الرقى الباهر فى جيمع مجالات النشاط العقلى والعملى .

وثانيهما : مؤلف من افراطات وتفريطات خلقية وأدبية لها أصول قديمة فى كيان تلك الأمم ، لا يجوز الأخذ بها ولا اعارتها التفاتا . بل يجب علينا التدليل على أنها علل وأدواء ينبغى تجنبها والعزوف عنها ، لأنها تقطع علينا سبيل النهوض ، وتبعدنا عن العوامل الحقيقية للمدنية الفاضلة .

وانى لأعترف هنا أن الخلط بين هذين العنصرين للروح العصرية قد أوقع كثيرا من المجددين السطحيين فى الشرق فى ضلال بعيد من هذه الناحية ، بل منهم من خيل اليه أن هذه الانحرافات الخلقية من لوازم النهوض المدنى ، وهذا خطأ فاحش ، فان النقائص الأدبية لايمكن بحال من الأحوال أن تكون مفيدة للأمم ، وخاصة اذا كانت فى بدء حياتها الانتقالية .

محمد فريد وجدى

اللغة والأدب والنقد

اللغة العربية لغتنا الإسلامية

حفيد أبي لهب بين المناقب والمثالب

مفاتيح من المفاتيح

اللغة العربية
لغتنا الإسلامية القومية

للأستاذ الدكتور زكريا البرى

والمحمود الله جل جلاله ، والمصلى والمسلم عليه هو النبى الرسول محمد وآله والمدعو له بالاعتصام بحبل الله ، وبالصلاح والاصلاح واخلاص الدين لله ، وبوحدة الهدف الاسلامى ووحدة الصف كانهم بنيان مرصوص هو الأمة الاسلامية ، والشعب العربى ، نساؤه ورجاله.

أما قبل :

فهذا (١) شهر القرآن الكريم . والنبأ العظيم . شهر الكتاب المبين . الكتاب الذى لا ريب فيه من رب العالمين . هدى للمتقين .
الكتاب الذى اشتمل على شريعة العدل والحق والخير العام والخاص . فكانت هذه الشريعة دليلا على اعجاز القرآن . وأنه من عند الله الحكيم العليم .

نوه بذلك المفسر القرطبى والفقيه ابن القيم حيث يقول :

« الشريعة عدل الله بين عباده . ورحمته بين خلقه . وظله فى أرضه . وحكمته الدالة عليه . وعلى صدق رسوله » .

هذا شهر القرآن . ذلك الكتاب . الذى تولى الله حفظه مصداقا لوعده « **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** » .

---

(١) يجد القارىء فى مضمون هذه الكلمة ما يتجاوز زمانا القيت فيه ، فخطورة الموضوع تدعو الى الصحوة المستمرة ، فلازالت اللغة العربية تعانى حتى لتكاد تفقد ما اكتسبته من قوة ونضارة على امتداد نحو قرنين من الزمان بعد الكبوة التى اصابتها فى العصر المملوكى حيث كانت لغة واحدة تقط تحارب العربية هى لغة أهل الحكم ، واخشى ما نخشاه انتنتكس امامقوىاتحدت عليهاتمثلها: الانجليزية ، والفرنسية ، والفرنكو آراب حتى اختلطت كلمات هذا الخليط فبدت فى المقالات العلمية والادبية ، وافواه الناس كل ذلك الى جانب موجة شديدة من عدم التعصب لها ، واندثاركثير من الكتاتيب القروية لحفظ القرآن نسأل الله ان يتداركنا برحمته ، فلن تخسر اللغة العربية شيئا ان غابت عنا ولكنا نحن الخاسرون .. مجلة الأزهر .

فبقى قرآنا مقروءا ، محفوظا فى الصدور ، متواترا جيلا بعد جيل ، وكتابا مكتوبا فى المصاحف والسطور ، « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »

ومع ما أصاب الأمة الاسلامية من ضعف ، وضياع لبعض تراثها ، بسبب من أعدائها وسبب منها ، فقد بقى القرآن محفوظا بحفظ الله ، مما لم يتحقق لأى كتاب ظهر فى الوجود، حتى الكتب الدينية السابقة عليه .

وبرغم المحاولات لم يتحقق لأى كتاب سماوى آخر ، له أتباعه وأنصاره الأقوياء ، ما تحقق للقرآن المجيد ، وكان هذا — كما يرى العلماء — وجها من وجوه اعجاز القرآن الكريم ودلالة على أنه من عند القادر العزيز الحميد .

ومن ألطف ما قرأت اجابة — لسؤال وجهه عالم لعالم وأظنها من علماء المغرب ، قال السائل : لماذا بقى القرآن محفوظا فى الصدور، ومكتوبا فى السطور ، يتلى ليلا ونهارا ، بحيث لا تمر دقيقة فى الكون الا وهو مقروء أو مسموع ، هنا أو هناك ، بينما لم يتحقق هذا للكتب السماوية السابقة عليه ، وقد حصل فيها التبديل والتحريف ، مع أنها أيضا كتبسمارية؟

فأجابه العالم الجليل بقوله : ان القرآن تولى الله بنفسه حفظه وصيانته ، فكان لابد أن يصان « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » أما الكتب السماوية السابقة عليه، فلم يتول الله حفظها ، وانما طلب الى أتباعها حفظها ، فى قوله تعالى : « إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ » وكل اليهم حفظه فجاز التبديل عليهم .

وأضيف الى ذلك أن الكتب السماوية السابقة . كانت كتبا وقتية . لديانات وقتية . فلم يكن من الحكمة الالهية صيانتها بعد نسخها . بينما كان القرآن كتابا لدين خالد الى يوم القيامة . فاقتضت الحكمة صيانته الأبدية . وتولى الله ذلك بنفسه جل وعلا .

هذا شهر تشريف الأمة العربية وتكريمها ، واختيارها دون غيرها . لتبليغ رسالة الله الخاتمة واختيار لغتها لغة للاسلام والمسلمين ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وهو خير الوارثين .

شرف الله العرب ، فجعل لسان كتابه الخالد لسانها « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » ورفع به ذكر ابن من أبنائها ، ورفع به ذكرها وقوميتها « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ » « لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ... » .

وأنار بنوره طريقها . وجمع لها بين نورين : نور العقل ، ونور الشرع . وقرر ذلك فى قوله سبحانه « **نور على نور** » .

ويعبر عن هذا المعنى المضىء الامام الغزالى فيقول : « ان العقل لا يهتدى الا بالشرع . وان الشرع لا يفهم الا بالعقل . فالعقل أساس ، والشرع بناء عليه . ولن يغنى أساس ما لم يكن البناء . ولن يثبت البناء ما لم يكن الأساس .

العقل كالبصر . والشرع كالشعاع . ولن ينفع بصر ما لم يكن شعاع من الخارج . ولن يغنى الشعاع ما لم يكن بصر .

العقل كالسراج . والشرع كالزيت الذى يمده : فما لم يكن زيت لم ير السراج . وما لم يكن السراج لم يضىء الزيت .

الشرع كالعقل من الخارج . والعقل شرع من الداخل . وهما متعاضدان . بل متحدان .

ولكون العقل شرعا من الداخل . قال تعالى فى صفة العقل :

« **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** » فسمى العقل دينا .

ولكونهما متحدين قال — سبحانه — : « **نور على نور** » أى نور العقل ونور الشرع .

سبحانه حمل الأمة العربية أمانة تبليغ رسالته الى سائر البشرية « **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** » « **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** » .

سبحانه — أعطاها قيادة العالم الانسانى بالقرآن وأحكامه وحكمه . حين تأخذ بها . ويراها الناس فى حياتهم . دعوة الى الأخوة الانسانية المشتركة . والى التعاون على البر والتقوى . وعدم التعاون على الاثم والعدوان .

دعوة الى السماحة الدينية . والى أن يكون لغير المسلمين ما للمسلمين فى ظل الاسلام . « لهم ما لنا . وعليهم ما علينا » .

دعوة الى العدل والمساواة وتكافؤ الفرص ، دعوة الى الشورى والديمقراطية والى تكريم الانسان ، أى انسان ، مهما اختلف دينه أو مذهبه . أو أصله أو فصله ، أو جنسه أو نوعه أو لونه أو وطنه ، أو مكانه الاجتماعى أو مركزه المالى .

دعوة الى التصديق والعمل بالميثاق الالهى العالمى الاسلامى . قبل أن توجد المواثيق البشرية ، التى صنعها البشر ناقصة وغير وافية وآخرها الميثاق العالمى الذى أصدرته هيئة الأمم المتحدة ، دون أن تطبق ما فيه من خير ، مع اشتماله على أحكام لا يوافق عليها الا ملحد أو منحل ، مما دعا بعض الدول الاسلامية الى

الامتناع عن التصديق عليه ، بينما صدقت عليه أخرى ، مع التحفظ والاعتراض على ماتضمنته نصوصه ، ونصوص الاتفاقيات الملحقه بـه ، من مخالفة واضحة لشريعة العدل شريعة الاسلام •

دعوة الى العمل بالميثاق العالمى الاسلامى الخالد . الذى ينادى بألا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى . والعمل الصالح المصلح لخير البشرية . والذى ينادى بنبذ الأنانية وعبادة الذات . وترك الاستسلام للغرائز والشهوات المريضة . ونبذ التعصب الأعمى ، وكذب ادعاء التميز والتفوق العنصرى . والذى ينادى بتعادل الحقوق والواجبات وتقابل المغارم والمغانم •

دعوة الى الميثاق الالهى الاسلامى ، الذى جعل حقوق الانسان واجبات دينية عليه ، يدافع عنها بحسب امكانه . وفى اطار الشرعية الاسلامية . فاذا مات دفاعا عنها مات شهيدا ، ثم جعلها فى الوقت نفسه واجبات دينية على المجتمع ، يحميها ويرعاها ، فاذا ما قصر فى ذلك ، كان المقصر مسئولا مسئولية دنيوية ، يتولى أولياء الأمر حسابه عليها ، ثم يتولى الله فى الاخرة بعدله الثواب عليها عند الطاعة ، والعقاب عند المعصية وما يفوت فى الدنيا لن يفوت فى الآخرة . والآخرة خير وأبقى •

الميثاق العالمى الانسانى ، الذى بين أن الايمان لا يتحقق الا بالحب : حب الأخوة المؤمنين ، فلا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه وشروره ، ولا يؤمن من بات شبعان وجاره لجنبه جائع وهو يعلم • وبذلك وضح ان السعادة معنى اجتماعى ، وليس معنى فرديا •

وقد عبر عن هذا المعنى العظيم . شاعرنا العربى الحكيم . حين يقول :

فلا هطلت على ولا بأرضى
سحائب ليس تنتظم البلادا

أما بعد :

فهذه المقدمة . وتلك الكلمة كلها . مستوحاة من الزمان والمكان . ذلك أنى لم أحدد معالمها الا بعد أن بدأت الأحاديث . وتعرفت على نظامها ومنهجها . فقد سعدت بالدعوة لأول مرة وسبقنى الى نفس الموضوع تقريبا علامة العراق الدكتور بشار معروف . الذى استفدت من علمه وفضله أكبر استفادة •

أما الزمان فهو شهر رمضان الأبرك . وأما المكان فهذا المجلس المبارك ، الذى تحف به ملائكة السماء كمجلس علم ، والذى يرأسه جلالة الأخ الأكبر . والأخ الأشرف ، الأخ المسلم العربى الحر ، صاحب الثقافة الاسلامية الممتازة . واللسان العربى السليم . جلالة الملك الحسن الثانى ، فى سلسلة الأسرة العلوية العظيمة . والحسن الأول فى ثقافته الشاملة ، والذى يسعدنا بحضور شبليه : المحمد ثم الرشيد . ولا يزالان فى باكورة الحياة . لتكون تربيتهما على عينيه تربية اسلامية وعربية وشعبية •

وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ما كان عوده ابوه

أقر الله عينه بهما ، وبارك فيهما ، كما بارك فيه .

واذا كان الناس على دين ملوكهم ، فأمامهم هذه القدوة العالية ، والأسوة الحسنة ، والسنة الحميدة . ومن سن سنة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها .

ثم أما بعد :

فان اللغة العربية هى لغتنا القومية كعرب

منذ وجد العرب الى الآن ، والى يوم القيامة بتوفيق الله . والعروبة لا يكفى فى تحققها دم ونسب . وانما تتحقق باللسان العربى . والأثر الاسلامى يقول : « ان الرب واحد . وان الأب واحد . وان الدين واحد . وليست العربية بأحدكم من أب وأم . وانما هى اللسان . فمن تكلم العربية . فهو عربى ».

وهذا هو ما انتهى اليه الأمر عند علماء القوميات . فاللغة عندهم هى معيار القومية واطارها .

وبعد أن استمعت الى كلمة العلامة ابراهيم جوب ، باللغة العربية الممتازة فى اجتماع علماء المغرب والسنغال . ثم فى درسه بالامس ، وعرفت عن قرب شعب السنغال ودينه ولغته ، وتوفيق قائده ورئيسه عبدو ضيوف أقول :

ان السنغال عربية ، ضمت نفسها بغير اجراءات الى الجامعة العربية .

ثم أن العربى دما ونسبا الذى لا يعرف العربية معرفة تليق بعروبته ، اذا جلس مع عربى آخر يعرفها ، فبأى لغة يتفاهمان ؟!

الأول لا يتكلم العربية أولا يجيدها تقصيرا ، والآخر يجيدها تعبيرا ، معتزا بها ، فهى لغة آبائه وأجداده لغة أهله وشعبه ووطنه ، وخاصة قومه . ثم اذا كانا يعرفان لغة أجنبية مشتركة بينهما وتكلما بها فأين هى العروبة فى لسانهما وفى فكرهما وفى مظهرهما ؟

وأين التقاؤهما على المصادر الدينية ، والتراث الاسلامى . وجميعها مكتوبة باللغة العربية .

ان اللغة العربية هى لغة الاسلام ولغة المسلمين . فالقرآن عربى . ولا تصح الصلاة رأس العبادات الا به . وترجمة معانيه ، مع أنها ممكنة ومطلوبة ، تبليغا واجبا علينا لغير العرب ، لا تكون قرآنا ، لأن القرآن هو كلام الله ، وهو بالعربية . فلا تصح الصلاة بهذه الترجمة ، ولا يستدل بها كقرآن ، لأنها ليست الاتفسيرا وترجمة من فلان بحسب ما فهمه من معانى القرآن ، وقد يخطىء فهما أو ترجمة .

والسنة النبوية الشارحة للقرآن ، والمفصلة لأحكامه ، من وحى السماء ، بتعبير أبلغ العرب وليس فوق بلاغته بلاغة بشرية ، فقد وصل القمة ، وأوتى جوامع الكلم ، كما أوتى الحكمة وفصل الخطاب .

ثم تأتى بعد ذلك سائر الأدلة الشرعية ، وجميعها عربية ، أو تعتمد على النصوص العربية .

وقد فصلها — من زاوية المذهب المالكى الرائد ، الوزير العلامة ، والفقيه الأصولى البارع ، الدكتور عبد الكريم العلوى فى فاتحة هذه الأحاديث ، بما لا مزيد عليه .

وأستاذن فى أن أعرض وجهة نظر فى مذهب الصحابى أو الصحابية فيما فيه مجال للرأى ؛ فان التحقيق عند بعض العلماء . أن الصحابى مع مكانته وسبقه ليس معصوما . بحيث يكون اجتهاده وقوله حجة ملزمة . وانما يكون قوله قولا له مكانته ، بحيث لا يقدم أحد من الفقهاء على مخالفته الا اذا كان عنده دليل يؤيده . قرر ذلك بعض العلماء وعبر عنه الامام الشوكانى بقوله :

ان الله — سبحانه — لم يبعث الى هذه الأمة الا نبيا واحدا . هو محمد عليه الصلاة والسلام ، والقول بالزام الفقهاء من بعد عصر الصحابة بآرائهم الفقهية ، ولو وجد عندهم ما يدعو الى مخالفتها ، صعود بمكانتهم العلية ، الى مكانة أعلى هى مرتبة النبوة والعصمة والتبليغ عن وحى السماء .

ياصاحب الجلالة :

لقد فتحتم أبوابكم وبلادكم للتعريب ، لمجلة اللسان العربى . وكنتم رائد هذه الحركة الاسلامية العربية المباركة . والرائد الذى لا يكذب أهله . وهذا يدعونى الى أنَ أتوجه بالأمل الصادق ، الى صاحب اللسان العربى المبين ، أن يتزعم هذه الجهود ويرعاها ، ويتابعها . ويبارك مسيرتها فى الداخل والخارج بحيث تكون اللغة العربية لغة كل مسلم ، تتساوى وتتوازى ان لم تتقدم على اللغة القوميه ، فى الشعوب غير العربية . حتى تصبح هذه الشعوب عربية بلسانها ، بعد أن صارت مسلمة بدينها ولقد قال أحد القادة العسكريين المعاصرين : ان اللغة الانجليزية قد عمت بلاد العالم ، وفرضت نفسها بقيادة الأسطول الانجليزى .

ولسيادتكم أن تنادى : ان اللغة العربية ينبغى أن تعم جميع البلاد الاسلامية طوعا ، على مختلف المستويات الثقافية ، بقيادة القرآن الكريم . وتوفيق رب العالمين .

والقرآن العربى هو الذى يقوم اللسان العربى ، ويثرى المتعلم بالألفاظ الفصيحة ، والأساليب البليغة ، والحكم الغالية ، والخبر الصادق عن الماضى والحاضر والمستقبل ، فهو جامع دينى ، وجامعة الهية حرة مفتوحة لكل من يتقدم اليها بلا قيد ولا شرط ولا مجموع ، جامعة لا تعتمد على الكتاب الجامعى وحده ، وانما تضيف الى ذلك جميع وسائل الاعلام الحضارية ، وتنتقل الى طالبها فى بيته ، بالليل والنهار .

ومن خير الوسائل لتعليم اللغة العربية ، قاموس عربى بالألفاظ القرآنية ، والأساليب القرآنية ، وبذلك يجمع الدارس بين الحسنيين تعلم العربية ، وحفظ القرآن الكريم .

وصفوة الصفوة التى يضمها مجلسكم الطاهر . تصلح لأن يكون منها جبهة برعايتكم

ترعى هذه الغاية وتتابعها ، جبهة أشمل وأوسع مما بدأتموه بالأمس القريب بين علماء المغرب والسنغال . ويكون للقاء المغربى السنغالى فضل السبق والريادة .

ولقد ذهب المحققون من الفقهاء الى وجوب تعلم العربية على كل مسلم ومسلمة . بقدر طاقته . حتى يستطيع أن يقرأ ويحفظ ما يصحح به صلاته اليومية المتجددة .

كما اشترط بعض فقهائنا الكبار فى صحة خطبة الجمعة التى تشترط لصحة صلاتها أن تكون باللغة العربية ولو فى البلاد غير العربية .

وهذا يستلزم خطيبا قادرا على مراجعة القرآن والسنة والتراث الاسلامى . حتى يستطيع أن يزود سامعيه بالحكمة والموعظة الحسنة .

كما يستلزم مصلين قادرين على الانصات له والاستماع اليه . والفهم لما يقوله . حتى يستفيدوا من الخطبة الجامعة ، فى المؤتمر الأسبوعى للقرية أو الحى أو المدينة .

ولكل حكم فى شريعة الاسلام حكمه . وهذه الحكمة فى اشتراط الخطبة بالعربية . ولو كان المصلون غير عرب ، تنادى بدلالة الاشارة واللزوم التى يعرفها الأسلوب العربى ، وجرى عليها الاجتهاد الفقهى ، بتعلم العربية لجميع المسلمين ، حتى يصبحوا عربا مسلمين ، وحتى يلتقى عندها الأفراد والجماعات ، والدول الاسلامية ، وتتحقق وحدتهم الفكرية ، وتزول حواجز اختلاف اللغات من أمامهم .

أما هذه الصورة الموجودة فى البلاد الاسلامية غير العربية ، خطيب يقرأ الخطبة العربية ، والمصلون لا يعرفونها ، ثم يترجم لهم معانيها . فهى طريقة مقبولة كحكم وقتى ينبغى أن تزول بانتشار العربية ، فمن المطلوب اسلاميا أن تنتهى هذه الطريقة من أزمان .

بل ان بعض فقهائنا قد اشترطوا فى عقد الزواج أن يتم باللغة العربية لمن يعرفها دون غيرها من اللغات وبلفظ الزواج العربى وما فى معناه من الألفاظ العربية .

ثم قرر المحققون وعلى رأسهم الفقيه الاسلامى الأكبر ابن تيمية الذى أحيا فى عصره فريضتى الجهاد والاجتهاد . كراهة التخاطب بين المسلمين بغير اللغة العربية الا لضرورة أو حاجة تدعو الى ذلك .

وقد سبقتنا الى ما ترجونه وترعونه أفغانستان فى عصر مضى ، أيام المد الاسلامى القوى القادر على حماية نفسه من خصومه وأعدائه ، فكانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية ، الى أن حكمها شعوبى ينتصر للقومية على حساب الدين .

وقد استجابت باكستان من قديم لدعوة اقبال بأن تصبح اللغة العربية لغة رسمية للبلاد كما قررت الجامعات والمعاهد العلمية هناك التوسع فى تدريس المناهج العلمية باللغة العربية

ياصب العقل المستنير والقلب الكبير :

ان الاستعمار اللغوى والثقافى والقانونى هو أخطر أنواع الاستعمار ، لأنه يستعمر العقل واللسان ، وبه يتحول المستعمر بارادته ورضاه الى متابعة مولاه ، فعلينا أن نطارده فى كل مكان وزمان .

واذا كانت الدول الكبرى تبلغ بها حساسيتها الى رفض دخول بعض كلمات أجنبية فى لغتها الى درجة أن الدولة الفرنسية قررت فى السبعينيات معاقبة كل موظف يستخدم فى

مكاتبة رسمية كلمة من الانجليزية أو الايطالية مع ما بين هذه الدول من صداقة وجوار وسوق مشتركة ومع ما بينهم من تعاون الأنداد . والى درجة أن من قادة هذه الدول الأوربية من يمتنع فى اصرار عن التحدث بغير لغته . ولو كان على علم بها . فأولى بنا نحن أن نتخذ هذه المواقف . أولى لنا فأولى . ثم أولى لنا فأولى .

ياصاحب المهابة العلمية

مع ظروف الاستعمار العسكرى المباشر من الدولة التى كانت لا تغيب الشمس عن امبراطوريتها . والتى استطاعت أن تجند أبناء الدول المستعمرة . للدفاع عن استعمارها ، يسرنى أن اقول : ان وزارة الخارجية البريطانية كتبت عن وفد مصر المدنى الذى لم يكن وراءه جيش ولا شعب مسلح يسانده والذى ذهب يطلب الاستقلال من ممثليها ، وهم سعد زغلول . وعبد العزيز فهمى . وعلى شعراوى . أن شعراوى هذا كان لا يتكلم الا بالعربية . مع قدرته فى الانجليزية . واعتبرت مذكرة الخارجية البريطانية هذا مظهرا من مظاهر التعصب العربى المقوت . أما هم اذا تكلموا بلغتهم . ولم يتكلموا بغيرها . واذا فرضوها علينا فرضا . فان هذا يكون مظهرا من مظاهر التحضر الأوربى .

ونأتى الى عبد العزيز فهمى . وله مع اللغة العربية قصة تاريخية ، هى أنه لما رأس محكمة النقض والابرام وكانت تسمى بذلك فى وقته ؛ استمع الى محام شرعى أزهرى . يترافع فى احدى القضايا مستندا الى قواعد الدلالات الأصولية اللغوية العربية ، كدلالة العبارة ودلالة الاشارة ودلالة الفحوى ،ودلالة الاقتضاء . ودلالة مفهوم المخالفة ، ودلالة مفهوم الموافقة والى الترجيح بينها عند المعارضة . بكلام قوى مقنع . لفت نظره ، فسأله . وأين أجد ذلك لأتعلمه . فقال له :

فى كتب أصول الفقه فى الأزهر وأرشده الى بعض المراجع الميسرة ، فتعلمها وضمنها أحكامه ، فكان بسبب ذلك أقوى قضاة مصر وأشهرهم ، كانت شهرته القضائية أكثر من شهرته السياسية ، وكانت أحكامه مدرسة لغيره من القضاة ، بينما كانت آراؤه السياسية محل خلاف .

وكان هذا سببا مباشرا لادخال مادة « أصول الفقه » فى مناهج كليات الحقوق ، وعن طريق

اللغة العربية لغتنا الإسلامية

هذه المادة نقل الحقوقيون قواعدها الى دراساتهم وتطبيقاتهم فى النصوص القانونية الوصفية .

وأما زعيم مصر سعد زغلول . ابن الأزهر ، شقيق القرويين والزيتونة فقد كان سلاحه الأوحد فى تعبئة الشعب المصرى من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب . هو مادرسه فى الأزهر .

اللغة العربية التى كان بها وفيها أخطب الخطباء . وعلم المنطق . وعلم الجدل وأدب البحث والمناظرة . الذى جعل كلماته أقوى من أسلحة العدو وجبروته . والتى فرضت على انجلترا أن تنفيه عن وطنه . كما فعلت فرنسا

مع زعيمنا الأشرف ، وبطلنا المسلم العربى الشجاع ، والدكم العظيم ، جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه ، وكان هذا وذاك ضريبة الاستقلال ،فرضها الاستعمار ظلما وعدوانا .

ولهذا لم يكن عجيبا أن يمسك سعد وهو رئيس للوزراء . وفى وجود الاستعمار وجيوشه وطواغيته أن يمسك بأطباق قدم له فيها الطعام . فى مآدبة أقامها له أحد وزرائه . فيرمى بها فى النيل المبارك . لأنه وجد عليها اسم وزارة الأشغال باللغة الانجليزية . وأمره. أن يستبدل الذى هو خير بالذى هو أدنى . وأن يكتب الاسم باللغة العربية بدل الانجليزية .

ومما يدعو ويلح فى ضرورة انتشار اللغة العربية بين المسلمين ، أنهم حين يتجمعون فى موسم الحج استجابة للأمر الالهى الحكيم ،

وآذان ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، يعقد مؤتمر سنوى جامع ، لا يتغير زمانه ولا مكانه فى التاسع من ذى الحجة . وفى عرفة . فالحج عرفة ، وفى جوار البيت الحرام ، ليعالجوا فيه قضاياهم . ويشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله . ثم ليتابعوا هذه المؤتمرات عاما بعد عام ، بخطة متتابعة ، وخطى رشيدة ،

ومنهج علمى اسلامى . يتشاورون ثم يصدرون التوصيات والقرارات من الأمة الاسلامية ، الملزمة لأفرادها . حكاما ومحكومين . فالشورى فى شريعة الاسلام لازمة وملزمة ، اذا اتبعت فيها القواعد الشرعية وفى كل عام جديد يبحثون فيما جد ، ويتابعون ما صدر من توصيات سابقة ، ما الذى نفذ منها ؟ وما هى العقبات الطبيعية أو المصطنعة التى منعت تنفيذ أى توصية أو قرار ، فيذللونها ، وهكذا عاما بعد عام .

يدعو هذا المؤتمر ويستلزم ويؤكد أن تكون لغة مؤتمرهم هى لغتهم الأولى ، لغة الاسلام بدل هذه الصورة الحالية ، التى يلتقون فيها هناك ، فلا يستطيعون التفاهم بلغة واحدة ،فى المؤتمر أو فيما حوله ، وفيما بعده وفيما قبله حين التزاحم فى الطواف أو فى السعى أو فى الصلاة . أو فى الطريق العام وحين يريد أحدهم

أن يأمر بمعروف واجب ، أو أن ينهى عن منكر حرام ، أو يريد أن يشكو أحدهم الى نفسه ، أو يحول بين حاج وآخر يعتدى عليه . والعلاج الأوحد هو الانتقاء عند لغة الدين ، لغة الاسلام . اللغة العربية . لغة الأدعية العربية المأثورة . التى يرددها بعضهم وراء المدعى . من غير ادراك لمعانيها .

وقد بذلت الحكومة السعودية أقصى طاقتها فى تيسير أمر الحج . حتى يحقق حكمته . وعلى سائر الدول أن تعاونها فى ذلك . ولعله مما ينبغى عمله أن تنبه الحجيج الى معرفة اللسان العربى . ولو فى حده الأدنى . وأن تجعل لمن يستجيب أولوية على غيره فى اداء فريضة الحج .

ان للغة العربية خصوما فى داخل البلاد العربية والبلاد الاسلامية وخارجها . تعرفهم بسيماهم . حين يسألون الناس الحافا وصفاقة. هجر اللغة العربية . وبصفة خاصة اللغة الفصحى . الجامعة للعرب . بدل اللهجات المحلية المفرقة . بدعاوى كاذبة وفاضحة ومفضوحة .

ومن هؤلاء كاتب فى لبنان العربى الشجاع . ممن لا يرجون للاسلام وقارا . ولا للغته انتشارا ، حيث توقع من سنين طويلة . أن اللغة العربية ، ستزول من الوجود بعد ثلاث سنوات ، لتحل محلها لغة لبنانية جديدة ،تكتب بحروف لاتينية ، فهلك هو ، وبقيت اللغة العربية بحروفها العربية ، وشكلها العربى الذى يضبط اعرابها والنطق بها ، أسهل وأدق من ضبط الحروف اللاتينية ، ذلك أن الله ـ بقدرته وحكمته ـ هو الذى يصونها ، بصيانة القرآن الكريم ، المكتوب بالحروف العربية ، وبالشكل والضبط العربى . والذى لا نملك تبديله ولا تعديله ، ولا تعريضه لاختلاف الأفكار والأمزجة ، وتبين للناس أن هذا التوقع من صاحبه وهم من الأوهام ، ينضم الى وهم القضاء على المسلمين فى لبنان ، لحساب غيرهم .

وهذا يذكرنى بندوة عقدتها منظمة حقوق الانسان العربى . واتحاد المحامين العرب ، وعبثت فيها قوى الالحاد والانحلال فى العالم العربى ، وهى قليلة العدد الى حد كبير ولكنها منظمة ، تحاول أن تظهر القلة بمظهر الكثرة ، وقد استجبت لدعوتهـ . وألقيت أول بحث فيها ، وتتالت الأبحاث والمناقشات . فوجدت :
الملحد الذى يدعو صراحة الى البدء كنقطة نظام عنده ـ من الميثاق البشرى الذى أصدرته هيئة الأمم المتحدة . وهجر كل ما عداه ، وما سبقه من مواثيق . ولو كانت فى القرآن الكريم والسنة المطهرة .
ووجدت واحدة تدعو الى سيادة المرأة على الرجل فى الأسرة الاسلامية .

ووجدت من يدعو الى فتح الباب أمام المرأة المسلمة ، لتتزوج بغير مسلم ، ومن يدعو الى الغاء تعدد الزوجات الى أربع ولو وجدت دواعيه . وكان فى دائرة الحلال الطيب،

الذى أشار اليه القرآن فى قوله : «فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ » مفضلا تعدد الخليلات الى مالا نهاية ، على تعدد الحليلات فى ظل الرحمن ،مع أن القضاء فى أوربا استقر على الاعتراف بالخليلة ، وأعطى لها حقوق الحليلة، وسوى بين ابن الحرام وبين ابن الحلال ، وأعطاه جميع حقوقه ، وسماه الابن الطبيعى . وحكم للخليلة بتعويض اذا هجرها خليلها . وتضررت من ذلك . فماذا بقى ؟

ولما لم تمكن المنصة الملحدة من الرد على كل ما يثار . ومع استمرار هذا الهراء . تذكرت قول الله تعالى : « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِى آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » الآية ٦٨ الأنعام .

« وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا » .

وانصرفت من الاجتماع . لألتقى مع الأستاذ الكبير فتحى رضوان . رئيس المؤتمر ، ورئيس المنظمة . ولأسلمه خطابا بما حدث . ووجدت أنه عند حسن ظنى به . وأن الأمر تم بعيدا عنه .

أيها الأخ الأشرف والمشرف :

ان معاداة الاسلام والعربية حتى فى أوطانها قديمة وليست مستحدثة . فمن قديم نادى أفراد من هيئات المنتفعين بالغزو الثقافى ، وممن لاغيرة لهم على أوطانهم وخصائصها ، وممن ربط الاستعمار مصالحهم الوقتية به ، فاستجابوا لذلك . وربطوا به مصالحهم وجعلوا هذه المصالح أبدية . نادى هؤلاء الافراد بأن اللغة العربية هى المسئولة عن تخلفنا . وأنها ستموت . وماتوا وأصبحوا ترابا . وما ماتت . وصح فيهم قول القائل .

اذا ذهب الحمار بأم عمرو
فلا رجعت ولا رجع الحمار

ومن أكثر من ثمانين سنة . وفى أشد عهد الاستعمار . قررت نظارة المعارف فى مصر الغاء تدريس اللغة العربية من كلية الهندسة . ونشرت الأهرام القاهرية هذا الخبر . وعقبت عليه بأن نظارة المعارف لو عملت برأيها كله . لألغت اللغة العربية من سائر أقطار الدنيا . لا من مصر وحدها . مادامت لم تتشرف بأن تكون لغة سعادة وزيرها . وكان وزيرا مفروضا على مصر . بقوة الاستعمار وجبروته .

وأعود الى اللغات الأجنبية ومزاحمتها فى تبجح للغة العربية . فى بيتها وفى جامعاتها ومدارسها واعلامها وأسواقها ، بوسائلها العلنية والسرية ، بحيث حجبت اللغة العربية

حجب نقصان أحيانا ، وحجب حرمان أحيانا ، كمـــا يحجب المتبنى الدعى الدخيل الوارث العاصب ، صاحب التركة كلها .

مع أن جامعة الدول العـربية أوصـت فى احدى حلقاتها بتدريس العلوم باللغة العربية ، هذا علاوة على أنه ضرورة قومية فانه ضرورة علمية أيضا . وذلك لأن القارىء يسـتوعب بلغته (لغة الأم) أكثر مما يمكن أن يستوعبه باللغة الأجنبية ، مهما تكن معرفته بتلك اللغة . يضـاف الى أن الفكر الأصـيل لا يخلق فى الأمة الا اذا كانت تعلم وتتعلم بلغتها . وتكتب وتؤلف بلغتها أيضا . ولنا شواهد على هذا من العرب وغيرهم من الأمم قديما وحديثا ، وقد

وصل العرب الى حضارة ومدنية انسـانية فى وقت لم تكن فيه أوروبا شـيئا مذكورا . فلما كانت اشترطت على أبنائها النابهين أن يتعلموا اللغة العربية . لنقل الحضارة العربية كشرط للحصول على « العالمية » الدكتوراه .

ثم تأتى بنت الشاطىء . شـاطىء افريقيا عند دمياط . الأسـتاذة الدكتورة عائشـة عبد الرحمن . أستاذة اللغة العربية فى جامعة عين شمس . وأسـاتذة التفسـير فى جامعة القرويين . وأستاذة الدراسـات العليا فى دار الحـديث الحسنية . فتعلق على مثل هـذا بقولها : لقد بدأت القصة بعزل لغتنا عن العلم ثم الدعوة الى هجـر لغتنا . واسـتعارة الانجليزية أو الفرنسية للعلوم الحديثة . وكأن هاتين اللغتين وحدهما دون الألمانية أو الروسية أو اليابانية مثلا هما المفتاح السـحرى لكنوز العلم . وانتهت القصة بكتب فى موسكو فى علم غزو القمر . فأين نحن من البداية والنهاية ؟!

لقد قلت : ان الأمر قد وصـل فى بعض البلاد العربية والاسـلامية الى أنها توفد أبناءها وبناتها الى الدول الأوربية ، للحصول على العالمية « الدكتـوراه » من الجامعات الأجنبية فى اللغـة العربية وفى القـراءات القرآنية . وفى العقيدة والفلسفة الاسلامية ، وفى التفسير والحديث . وفى أصـول الفقه ، وفى .. وفى .. ليعودوا بعـد ذلك . ويلقنوا أبناءها وبناتنا تلك التهم والشبه حول التراث الاسـلامى فى كل ذلك ، والتى لا عمل لأكثر الأسـاتذة المستشرقين . أو الأساتذة العـرب الا هذه الشبهات الكاذبة الملفقة . طلبا لدنيا يصـيبونها أو امرأة يتزوجونها أو .. أو .. وما أكثر الأوأوات عندى . وما أكثر الآهات عندى وعند كل غيور . وكفى هـذا ، ويضيق صدرى . ولا ينطلق لسانى .

ونحن كعرب ومسلمين نصر على ألا تتجاوز اللغات الأجنبية حاجاتنا اليها ، بحيث يتعلمها بعد اللغة العربية ، والتمكن منها ، من يكون فى حاجة اليهـا ، أو من يكون الوطن فى حاجة الىدراسته لها وبقدر الحاجةفقط ،والضرورات والحاجات تقدر بقدرها ، ولست عدوا لهـذه اللغات فقد درست منها الفرنسية ، وضـاعت منى مع الزمان لعدم الاسـتعمال ، وتعلم اللغات الأوروبية والآسـيوية والأفريقية كلها من الواجبات الدينية الكفائية التى لايسـقط الاثم عـن المجتمع الاسلامى الا اذا تعلم هذه اللغة وتلك من يسد حاجة الدولة والشعب .

زكريا البرى

وهكذا يتسنى للجسم أن يحتفظ بماء حياته أكبر مدة ممكنه الى أن يتمكن من تناول الماء .

والهرمون الآخر يدعو الى انقباض الرحم ويساعد على عملية الولادة كما يؤدى الى انقباض عضلات الثدى ويساعد الجنين على الرضاعة دون مجهود كبير من ناحيته .

ويحتوى دم الانسان كله على خمسة جرامات (جرام / اللتر) والجلوكوز هو الوقود المفضل لدى أنسجة الجسم بل هو الوقود الوحيد للمخ ، ومع أن كل ما بالدم من السكر لا يكاد يفى حاجة الجسم مدة ربع ساعة الا أن نسبة السكر فى الشخص السليم تبقى ثابتة ويتم ذلك بواسطة توازن ديناميكى دقيق وشديد بين كمية الجلوكوز الذى تستهلكها الأنسجة وكمية الجلوكوز التى ترد الى الدم . ويقوم الأنسولين بتنشيط استهلاك السكر كما أنه يكبح صناعة السكر فى الكبد وتتناسب الكمية مع كمية السكر الموجود فى الدم تناسبا طرديا .

ويقوم الكورتيزول بوظيفة مضادة لوظيفة الانسولين فهو ينشط صناعة السكر فى الكبد كما ينشط الكبد كى تصب فى الدم مقادير زائدة من السكر وبالاضافة الى ذلك فهو يكبح استهلاك الأنسجة للسكر محتفظا به للجهاز العصبى ، وبذلك يمنع نقص سكر الدم . وكلا الهرمونين يفرز بدقة وانتظام والا ظهر البول السكرى والسكر فى الدم .

ويفرز نخاع الكظرية (هرمون الأدرينالين) الذى يقوم بوظيفة التعبئة العامة التى تجعل الجسم أشد قدرة على القيام بمجهود عنيف وهو يفرز فى كثرة الانفعالات النفسية .

وبهذه القطرة فى بحار العلوم المترامية الأطراف يتبين لكل ذى بصيرة عظمة الخالق وتدبيره اللطيف وقدرته غير المحدودة ، وما أزكى قول الله تعالى :

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك » .

صدق الله العظيم

الانفطار آية (٦ الى ١٢)

حفيد أبي لهب

بين المناقب والمثالب

للأستاذ السيد حسن قرون

هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب ، واسم أبى لهب عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمه بنت العباس ابن عبد المطلب فهو هاشمى الابوين .

وكان أبو لهب وضىء الوجه . ولكن العباس كان أسمر سمرة شديدة من جهة جدة لــه كانت حبشية ــ كما يقول أبو الفرج فى كتاب « الأغانى » وهو شاعر يذكر اذا ذكر شعراء بنى هاشم . وكان له جرأة واقدام وله مواقف سياسية تعرض لولاة عثمان بن عفان رضى الله عنه ونال منهم فعاقبه هو ومن تابعه . ثم شايع على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكـان له صحبة حسنة معه . وقبل أن أتعرض لشعره وموقف الشعراء منه أود أن ألقى ضوءا على أسرته من عهد النبوة حتى أصل اليه . لأن الفخر والمثالب تدور حول جده أبى لهب ومناوأتــه لابن أخيه خاتم الأنبياء والرسل محمــد ﷺ وكان أبو لهب أول مـن هاجم النبى حـين اعلن رسالته ودعا قومه الى الاسلام .

يروى ابن سعد فى الطبقات الكبرى عن ابن عباس قـال : لما أنزلت : « **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** » صعد رسول الله ﷺ على الصفا . فقال : « يامعشر قريش » .

فقالت قريش : محمد على الصفا يهتف ، فأقبلوا واجتمعوا . فقالوا : مالك يامحمد ؟

قال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونى » ؟

قالوا : نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط قال . « فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » . يـابنى عبد المطلب ، يـابنى عبد مناف ،يابنى زهرة ــ حتى عدد الأفخاذ من قريش ــ ان الله أمـرنى أن أنذر عشـيرتى الأقربين . وانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة .

حفيد أبى لهب

ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا لا اله الا الله .

قال : يقول أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ » السورة كلها : ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

« تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ • مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَاكَسَبَ • سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ • وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ • فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ » وسميت السورة سورة « المسد » •

ويذكر ابن سعد أهل العداوة والمباداة لرسول الله فيذكر أبالهب فى المقدمة . وبعد أن يعدد أعداءه من قريش يقول : « والذى كان تنتهى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم أبو جهل ، وأبو لهب ، وعقبة بن أبى معيط • »

وعجيب أمر أبى لهب فقد شذ عن جميع بنى عبد المطلب وبنى هاشم فكان يحارب الرسول حربا نكراء ، كان من جيرانه وكم عانى النبى منه ، فكان هو وزوجه أم جميل بنت حرب ابن أمية ينغصان عليه حياته بالقاء الشوك والقاذورات أمام داره . وقد يعبثان بطعامه • والرواة يذكرون أنه كان يتتبعه فى المواسم حين يعرض نفسه على القبائل ، فينقض ما أبرم ويشوه ما أحسن تقديمه .

فيحكى ربيعة بن عباد الديلى يقول : انى لمع أبى رجل شاب أنظر الى رسول الله صلى عليه وسلم يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضىء الوجه ذو غديرتين يقول : انه صابى كاذب ، يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب ، ويذكرون عنه أنه قال : ان كان ما يقول ابن أخى حقا فانى أفتدى نفسى يوم القيامة من العذاب بمالى وولدى ، فأنزل الله تعالى : «مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَاكَسَبَ» وقوله تعالى « سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ » •

وقالوا عن امرأته انها كانت تعاونه فى الايذاء فكانت تمشى بالنميمة وتحمل الشوك لتضعه فى طريقه •

قال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة فقالت : لأنفقنها فى عداوة محمد . وعن أسماء بنت أبى بكر قالت : لما نزلت « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ » أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ابن أمية ولها ولولة وفى يدها فهر « حجر ملء الكف » وهى تقول :

مذمما أبينا • ودينه قلينا • وأمره عصينا •

ورسول الله جالس بالمسجد ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله ، قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك ،فقال رسول الله ﷺ : انها لن ترانى ، ثم وقفت على أبى بكر ولم تر الرسول فقالت : يا أبا بكر ، انى أخبرت أن صاحبك هجانى • قال : لا ورب الكعبة ما هجاك فولت وهى تقول : قد علمت قريش أنى ابنة سيدها (١) •

---

(١) رفضت أم حكيم بنت عبد المطلب هذا الفخر •

ويرى بعض كتاب السيرة فى عصرنا هـذا أن موقف أبى لهب يوصف بالنفاق ، فهـــو لايغمه نجاح ابن أخيه ولكنه يخاف عـــداوة قريش ومـن ورائهـا العـرب على أسرتـه واستئصالها ، وهذا الكلام مردود بما فعـل أبو لهب مع ابن أخيه دون حاجة الى نفاق أو مجاملة،فقبل أن يعلن الرسول نبوته أصهراليه بزواج ابنيه عتبة وعتيبة رقية وأم كلثوم ، فلما دعـا الى الاسـلام طلق ابناه بنتى محمـد صلوات الله عليه ، ولم تكن قريش فى حـال عـداء له ، وما الذى يدعـوه أى أبا لهب لأن يتبع الرسول حيث ذهب فى المواسم ، كـان يكفيه ألا يدخل فى دينه .

وحين انتقلت الدعوة الى يثرب « المدينـة المنورة » وأصبح ابن أخيه بين قوم ينصرونه ويعزرونه لم لا يهـدأ ويكتفى بالمقـال دون الفعال ؟ فلما جاءت غزوة بدر أرسل بدلـه « العاص بن هشام بن المغيرة » لـدين على العاص له ، وانظر اليه حين جاءت الأخبـار بهزيمة قريش فى بدر كيف ثـار ولم يقبل أن يسر أحد بتلك الهزيمة ، يقول أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غـلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الاسلام قـد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس بن عبد المطلب وكتم اسلامه ، وأسلمت أم الفضل وأسلمت — يقول هذا والعباس أسـير بين أسرى بدر — وتحدث الناس بنصر المسلمين . يقول : وأقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس عـلى طنب (١) من حجرة زمزم ، فكان ظهـره الى ظهرى فبينما هو جالس اذ قال الناس : هـذا أبو سفيان بن الحارث قد قدم ، فقال أبو لهب يابن أخى ، أخبرنى كيف كان أمر النـاس ؟ قال : والله ما هو الا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا ، يقودوننا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك مالمت الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض والله ما تليق شيئا (٢) ولا يقوم لها شىء . قال أبو رافـع : فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت : تلك والله الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهى ضربـة شديدة ، وثاورته (٣) فاحتملنى فضـرب بى الأرض ، ثم برك على يضربنى — وكنت رجلا ضعيفا — فقامت أم الفضل — زوج العباس ابن عبد المطلب — الى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته فشجت رأسه شـجة منكرة وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده ، فقام موليا ذليلا ، فوالله ما عاش الا سبع ليـال حتى رماه الله بالعدسة (٤) فقتلته .

أفهذا الرجل الهائج لسماع هزيمـة قريش نعده مجاملا ليتقى استئصال بنى عبد المطلب؟ انه عدو الله ورسوله .

قال علماؤنا فى شأنه حين تعرضـوا لشرح سورة المسد : وفى هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة ، فانه منذ نزل قولـه تعالى : « سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُـهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَـدٍ »

(١) حافة (٢) ما تليق شيئا = لا تبقى على شىء .
(٣) ثاورته = قاومته . (٤) العدسة = بثرة مثل الطاعون كانت تخشاها قـريش .

حفيد أبى لهب

فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الايمان لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لاباطنا ولاظاهرا لا مسرا ولا معلنا فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة :
أكيل السبع من أبناء أبى لهب :

مكثت زمنا طويلا وأنا آخذ بالرواية التى تقول ان أكيل السبع هو «عتبة بن أبى لهب» ثم أجد لعتبة بنين وحفدة منهم صاحبنا الفضل ابن العباس الذى يدور حوله البحث . تقول الرواية ان عتبة طلق ابنة النبى ﷺ

فوقف عليه وقال : أشهد من حضر انى قد كفرت بربك وطلقت ابنتك . ولم يكن قد دخل بها وهى رقية فتزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه . فدعا النبى على عتبة . ويقول أبو الفرج :

وذكر أن عتبة بن أبى لهب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد أنزل عليه : **«وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ»** فقال : أنا أكفر برب النجم اذا هوى

فقال النبى : « اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك » . قال ابن عباس : فخرج عتبة الى الشام فى ركب فيهم هبار بن الأسود حتى اذا كانوا بوادى الغاضرة — وهى مسبعة — نزلوا ليلا فافترشوا صفا واحدا . فقال عتبة بن أبى لهب أتريدون أن تجعلونى حجرة أى ناحية ، لا والله لا أبيت الا وسطكم . فبات وسطهم . قال هبار : فما أنبهنى الا السبع يشم رءوسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فأنشب أنيابه فى صدغيه ، فصاح : أى قوم ، قتلنى ، قتلنى فأمسكوه فلم يلبث أن مات بين أيديهم .

وفى كتب السيرة أن عتبة ومعتبا أتى بهما عمهما العباس بن عبد المطلب الى النبى بعد فتح مكة فأسلما وفرح بهما النبى ﷺ ويزيد ابن سعد فى الطبقات أنهما حضرا غزوة حنين وثبتا مع رسول الله ﷺ . فماذا أصنع ؟

بالرجوع الى النقل من « الروض الأنف » وجدت الحقيقة سافرة : وهى أن أبا لهب له أبناء ثلاثة عتبة وعتيبة ومعتب : والذى دعا عليه الرسول هو « عتيبة » وهو الذى كانت تحته أم كلثوم وطلقها يوم طلقت رقية من عتبة وهو الذى جرى منه ما استحق أن يصيبه من دعاء الرسول . أما عتبة ومعتبا فأسلما — كما قدمنا — ولهما عقب .

أبو لهب وأبو جهل :

قلت فى صدر البحث ان أشد الناس عداوة للرسول بمكة ثلاثة منهم أبولهب وأبوجهل .وقد تحدثت عن أبى لهب . وانما أذكر أبا جهل لشبهه بأبى لهب من حيث أنهما يعاير بهما من أتوا بعدهما وعداوة أبى جهل كبيرة وحسبه أنه قتل فى غزوة بدر كافرا ولم يتراجع عن كفره

حتى ساعة الموت . وقد كان بنو مخزوم يسخر بهم بأفعاله ونكر لقبه « أبو جهل » وليس له شاعر يدافع عنه من قومه . أما أبو لهب فحفيده « الفضل » له لسان وبيان . واليك بعضا مما قيل :

روى المبرد فى كتابه « الكامل » أن رجلا جالس أقواما من بنى مخزوم فأساءوا عشرته وسعوا به الى معاوية بن أبى سفيان فقال :

شـــقيت بكم وكنت لكم جليســـا
فلســـت جليس قعقـاع بن شور
ومـن جهـل أبـو جهـل أخـوكم
غـزا بـدرا بمجمـرة وتور (١)

وقعقاع بن شور رجل مـن شيبان كان اذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه جعل لـه نصيبا فى ماله وأعانه على عدوه وشفع له فى حاجته ، وغدا اليه بعد المجالسة شاكرا له حتى شهر بذلك ؛ وفيه يقول القائل :

وكنت جليس قعقاع بـن شـور
ولا يشـقى بقعقـاع جليس
ضحوك السـن ان أمـروا بخـير
وعنـد السـوء مطراق عبـوس

وقال رجل من بنى مخزوم للأحوص بن محمد الأنصارى الشاعر ليؤذيه : أتعرف الذى يقول :

ذهبت قريش بالمكـارم كلهـا
واللـؤم تحت عمـائم الأنصـار؟

فقال الأحوص : لا أدرى . ولكنى أعرف الذى يقول :

النـاس كنـوه أبـا حـكم
واللـه كنـاه ابـا جهل
أبقت رياسـته لأسـرته
لـؤم الفروع ودقـة الأصـل

وهذا الشعر لحسان بن ثابت . والبيت الذى انشده المخزومى للأخطل .

هذا ما نال بنى مخزوم من أبى جهل بعـد أن ذهب لما أعد له من عذاب اليم . فما الذى أصاب الفضل بن العباس بن عتبة من جـده أبى لهب ؟ .

كان الفضل يعتقد فى نفسه أنه جمع الشرف والنسب والحسب ، من جميع الأطراف الزاكيـة فأبوه وأمه يرجعان فى النسب الى عبد المطلب ابن هاشم ويجمع الى ذلك نسب أمية فاحدى جداته أم جميل بنت حرب بن أمية وشرف أمية فى الجاهلية عرف فى « حرب » وأبنائه ، لذلك كان الفضل يعلن فخره فى النادى وفى الطريق وحين يستقى .

ويذكر الرواه أنه مر بالأحوص وهو ينشد وقد اجتمع الناس عليه فحسده . فقـال لـه يا أحوص انك لشاعر ولكنك لاتعرف الغريب ولا تعرب فقال الأحوص : بلى والله ، انى والله لأبصر الناس بالغريب والاعراب ؛ فأسألك . قال : نعم :

مـاذات حبل يراهـا النـاس كلهم
وسط الجحيم فلا تخفى على أحد ؟
كل الحبـال حبـال الناس من شعر
وحبلها وسط أهل النـار من مسد ؟

وحين قال الأحوص : أسألك ؟ ظن الفضـل انه يسأله فى الغريب والاعراب ، ولكن الأحوص كان خبيث اللســان فذهب به الى أم جميل زوج أبى لهب وهى من مفاخره فذكر مثالبها من سورة المسد ، فهى « **حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ** » فماذا كان رد الفضل ؟ قال :

ماذا أردت الى شـتمى ومنقصـتى
وما أردت الى حمـالة الحطب ؟

---

(١) بمجمرة وتور = المجمرة بكسر الميـم الموقد والتور اناء يوضـع فيه الماء والمعنى أنه ناعم لا يصلح للقتال .

حفيد أبي لهب

ذكــرت بنت قــروم ســادة نجب
كانت حليلــة شــيخ ثاقب النسب

وما يقوله الفضل ليس فيه الا أن حمالــة الحطب من سادة زوجت نسيبا فاق الأقران ، وليس له قدرة على نقض ما سجله القــرآن الكريم .

ويذكر صاحب الأغانى أن الحزين الدئلى مر بالفضل يوم جمعة ، وعنده قوم ينشدهم فقال له الحزين : أتنشــد الشــعر والنــاس يروحون الى الصلاة ؟ فقال له الفضل : ويلك ياحزين ، أتتعرض لى كأنك لا تعرفنى ؟

قال : بلى والله ، انى لأعرفك ويعرفك معى كل من قرأ « تبت يدا أبى لهب » ولم يسكت عند هذا القول بل هجاه بقوله :

اذا مــــا كنت مفتخرا بجـــــد
فعرج عــن ابى لهب قليــــــلا
فقد أخزى الالـــــه أبـــاك دهــرا
وقلـــد عرســه حبـــلا طويــلا

وهو شعر يرتكن على معنى مكين ، ولكن كل هذا لم يردعه ولم يمنعه من الفخــر ، ومــن مفاخره التى تعد له وعنيت بهــا كتب الأدب قوله :

وأنـــا الأخضر (١) مــن يعــرفنى
أخضر الجلــدة مــن بيت العــرب
مــن يســاجلنى يســاجل مــاجدا
يملأ الــدلو الى عقــد الكرب (٢)
انمــا عبــد منــاف جــوهر
زيــن الجــوهر عبــد المطلب
كل قوم صــبغة مــن فضـــة
وبنــو عبــد منــاف مــن ذهب
نحــن قــوم قــد بنى اللــه لنــا
شرفــا فــوق بيوتات العــرب
بنبى الله ابنى عمــه (٣)
وبعبــاس بن عبد المطلب

ويشرح المبرد « المساجلة » بقوله : وأصــل المساجلة أن يستقى ساقيان فيخرج كل واحد منهما فى سجله « دلوه » مثل ما يخرج الآخر فأيهما نكل فقد غلب ، فضربته العرب مثــلا للمفاخرة والمساماة وبين ذلك الفضل بن العباس ابن عتبة بن أبى لهب فى قوله :

من يساجلنى يســـاجل ما جدا
يمــلأ الدلــو الى عقــد الكــرب

ويقال ان الفرزدق مر بالفضل وهو يستقى وينشد هذا الشعر . فسرا الفرزدق ثيابه عنه أى خلع ثيابه ثم قال : انا أساجله ثقة بنسبه فقيل له : هذا الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب فرد ثيابه عليه وقال :

ما يساجلك الا ... وذكر كلمة قبيحــة والمراد أنه لا يفاخره أحد فقد جمع المجد من أطرافه .

موقفه من بنى أمية .

ولكنه اذا خاطب بنى أميــة تراه منصــفا

(١) الاخضر = الاســود . (٢) الكرب = حبل يشد فى طرف الرشــاء الى عرقوة الدلو ليكون هــو الذى يلى الماء فلا يعفن الرشــاء . (٣) ابنى أبى طالب جعفر وعلى رضى الله عنهما .

يغلب على بيانه العقل والنظرة السليمة ، وان كنت تستشف من شعره المرارة والشجن وهو فى شعره الذى سنقدمه يدعو الى التمهل فى الخصومة والبعد عن الاثارة والهياج ، ولو استخدم هاشموأمية منطقه لما سالت دماء ولا بعثرت أشلاء ولما قتل الحسين وحفيده ثم قتل ابراهيم الامام العباس ،ولكن التنافس بين الأسرتين اللتين ترجعان الى أب وأم كان شديدا وعجيب أمرهما فلقد ولد هاشم وعبد شمس والد أمية من بطن واحد ، فرحمهما وشيجة وليس بعد هذا قرابة ، وأنا لا أرجع تعقل الفضل فى حديثه عن العداوة لأن جدته أم جميل بنت حرب بن أمية ، وانما أرجع ذلك الى وجدان الشاعر وبعد نظره فى قراءة الأحداث ، وأظنه لو عاش حتى ذهب ملك بنى أمية لما رضى بالقتل الجماعى لبنى العمومة يقول الفضل بن العباس بن عتبة يخاطب بنى أمية :

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا
لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا
لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم
وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
مهلا بنى عمنا عن نحت أثلتنا (١)
سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا
الله يعلم أنا لا نحبكم
ولا نلومكم أن لا تحبونا
كل له نية فى بغض صاحبه
بنعمة الله نقليكم وتقلونا

وظاهر هذا الشعر يعطى انطباعا مريرا من البغض والكراهية ، ولكن بتأمله يبين لك التحسر على الاختلاف والشقاق وامتشاق السيوف واسالة الدماء ، فالبيت الأول فيه دعوة الى الرفق وكرر مهلا للتأكيد ولست مع القائل بأن البيت فيه تهكم على بنى أمية بدليل أنه يختمه بالنهى عن التحدث عما مضى وانقضى .. والنهى فى أول البيت الثانى يفيد التيئيس حتى يكف بنو العم فيزول الغم ، ويكرر مهلا فى البيت الثالث ليبعدوا عن نهش الأعراض والنداء « بنى عمنا » والأمر سيروا رويدا » كل ذلك برهان صدقه الى دعوته لترك الخصام .. وهو لا يطمع فى حبهم ولا يلومهم لأنهما سيان فى الحب والكره ، أما البيت الأخير فالشراح يشرحونه هكذا « انما جعل بغض كل طائفة منهم للاخرى نعمة من الله تعالى ، لأنهم مع التباغض يتفرقون وفى تفرقهم صلاح لهم وفى قرب بعضهم من بعض مضرة عليهم » أما أنا فأرى أن كل فريق له اتجاه فى البغض ، فعداوة أمية منافسة لبنى هاشم وذلك أن سيادة هاشم تأكدت على يد عبد المطلب ، وكان معاوية بن أبى سفيان يقول : ان بنى هاشم أعظمنا واحدا يعنى « عبد المطلب بن هاشم » ومنذ وفاة عبد المطلب وبنو أمية ولا سيما حرب يعملون جاهدين على منافسة أقرب الناس اليهم وهم بنو هاشم ، وكانت فرصتهم مواتية فى « حرب الفجار » فقد ظهروا فى منزلة الرياسة بنشاط حرب بن أمية وبنيه واخوته فقد كانوا المحاربين والمتكلمين عن قريش ، والداعين الى السلم

(١) الأثلة = الشجرة العظيمة .

حفيد أبى لهب

بعد القتال الذى استمر أربع سنوات . وعرفت كنانة جهود حرب فى تلك الحروب ، وقد حضر هذه الحرب محمد ﷺ وهو دون العشرين من عمره حين كان ينبل لأعمامه . وقد غاظ أحد أعمام النبى وهو الزبير بن عبد المطلب ما جرى من تلك الحرب وأنها تزرى بشأن قريش والبيت الحرام فدعا الى « حلف الفضول » ليمنع الظلم وليسود الأمن فى مكة وقد نجح فى دعوته •• وظهرت النبوة فى بنى هاشم فكان المجد المؤثل والسماء التى لا تطاولها سماء فالمنافسة حدثت بتلك النعمة . والصورة المثلى فى تقرير المعنى . بنعمة الله التى حبانا الله اياها حسد تم وبغيتم فجازيناكم بغضا ببغض وعداوة بعداوة •

ولقد كان أبو طالب يفخر بعبد مناف فى الجاهلية وفى الدفاع عن ابن أخيه النبى المرسل ولكنى لم أر هاشميا يفخر بعبد مناف بعد قيام الدولة الاسلامية وحاضرتها المدينة ، وبقى بنو أمية يفخرون بعبد مناف ولا يذكرون أمية،

لأن عبد مناف يجعلهم فى مصاف بنى هاشم ، وبنو هاشم وان اعتزوا بعبد مناف فعندهم مجد مجدد فى هاشم وعبد المطلب والرسالة الا شاعرهم الفضل بن العباس فوجدناه يقول:

انما عبد مناف جوهر
زين الجوهر عبد المطلب

وعبد مناف محظوظ فقد بقى الملك فى بنيه منذ عثمان بن عفان رضى الله عنه الى سقوط خلافة بنى العباس فى مصر على يد سليم الاول سنة ٩٢٣ هـ ــ وان تنافس أبناؤه شرقا وغربا على مدى ذلك التاريخ الطويل •

وبيت الفضل :

كل له نية فى بغض صاحبه
بنعمة الله نقليكم وتقلونا

هو الذى دعانى الى ذلك الشرح الطويل . وقد يجد غيرى تفسيرا مريحا لذلك البيت الذى جاء نتيجة لأبيات الشاعر • لكن الشاعر كان له فخر آخر . هو فخره بأبى الحسن على بن أبى طالب كرم الله وجهه •

يروى ابن عبد ربه فى « العقد الفريد » : قدم الوليد مكة ــ الوليد هو ابن عبد الملك وكان خليفة ــ فجعل يطوف بالبيت والفضل بن أبى لهب ــ هكذا كتب اسمه ــ يستقى من زمزم وهو يقول :

يأيها السائل عن على
تسأل عن بدر لنا بدرى
مردد فى المجد أبطحى
سائله غرته تضى

فلم ينكر عليه أحد » •

يعلن ذلك فى الوقت الذى كان فيه بنو أمية فى غاية البغضاء لعلى بن أبى طالب يلعنونه

على المنابر ويحاربون من يذكره مهما دنا أو بعد ولو أنكر الوليد انشاده لأسمعه الفضل ما يكره ، ولكانت مساجلة تشفى صدور قوم مؤمنين •

وفى هذا الصدد يذكر الرواة أن ابنا لحمزة ابن عبد الله بن الزبير انتقص عليا فقال له أبوه : يابنى ، انه والله ما بنت الدنيا شيئا الا هدمه الدين وما بنى الدين شيئا فهدمته الدنيا ، أما ترى عليا وما يظهر بعض الناس من بغضه ولعنه على المنابر ، فكأنما والله يأخذون بناصيته رفعا الى السماء ، وما ترى بنى مروان وما يندبون به موتاهم من المدح بين الناس فكأنما يكشفون عن الجيف .

فعلى عند الفضل وعند جميع العرب بدر منير وبدرى كان فارس غزوة بدر ، وأبطحى من مواليد بطحاء مكة وهى فخر « كعب بن لؤى » سكان البطحاء .. وعلى عندهم ولده هاشم مرتين مرة من أمه « فاطمة بنت أسد بن هاشم » ومرة من أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم ، وبذلك فخر « النفس الزكية » على المنصور سنة ١٤٥ هـ .

وخلاصة القول أن الفضل بن العباس كان يفخر ولا ينكر فخره أحد الا أن الشعراءكانوا يغمزونه بما سجله القرآن على جده وجدته فى سورة المسد . ولكن هذا لم ينزل من قدره ، وانما صور مآل من عادوا الله ورسوله وقد توفى سنة ٩٥ هـ ـ ٧١٤ م

رحم الله الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب فلقد كان سياسيا وشاعرا من الشيعة فى الدهر الأول .

السيد حسن قرون

مفاتيح من المفاتيح

للأستاذ أحمد عبد الله باجور

يتداول بعض المسلمين كتاب (مفاتيح من المفاتيح) طبع مطابع الدجوى وهو كتاب يقــوم بتوزيعــه بعض المواطنين هدية •

جمع بين دفتيه الكثير من الآيــات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والكثير من أقوال السلف ، وأهل التصوف •

والقارىء يجد فى الكتاب الكثير مما خرج عن المنهج الاسلامى المطلوب كما جاء فى كتــاب ربنا ، ووضحه رسولنا ــ صلى الله عليــه وسلم ــ •

ويمكننا أن نلخص بعض ما جاء فى الكتــاب على الوجه الآتى

(أ) بالنسبة للآيات القرآنية :

خرج الكتاب فى بعضها عن الهدف الأسمى الذى من أجله أنزل القرآن الكريم الذى هو كتاب الله حيث أعطى عدة آيات عنوانا : آيات الحرب •• وكان ينبغى عدم التسرع فى اختيار عنوان بهذه الطريقة ، فان فيهــا شيئا من الخروج •

(ب) بالنسبة للسنة النبوية :

حشد جامعا الكتاب الكثير من الأحــاديث النبوية الشريفة بعضها من الصحاح والحسان وفيها الكثير من أحاديث الديلمى (١) وغـيره مما يحتاج الى مراجعة ودقة حتى يتضــح للقارىء درجة الحديث ، وأكثر الأحاديث فى

(١) بالنسبة لاحاديث الديلمى ، راجــع كتــاب الفتاوى الحديثية لابن الصلاح

الكتاب غير معزوة الى مصدر أصلا ، وبعضها معزو الى كتب ليست من كتب السنة ، وهذا أمر يحتاج الى نظر ودقة بالنسبة للأحاديث النبوية التى تعتبر المصدر الثانى بعد القرآن الكريم ، ومما يدل على عدم الدقة فى الكتاب وخلط الحديث بغيره ماجاء فى ص ٦١ سطر ٩ .

تحت عنوان صلاة الاستخارة قال : ومن الثابت قولهم : « لا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار » ولا نعرف ما المراد من قوله «ومن الثابت قولهم ... الخ » مع العلم بأن هذا الحديث رواه الطبرانى فى الصغير ومن طريقه القضاعى من حديث عبد القدوس بن حبيب عن الحسن عن أنس مرفوعا .

وقال : بعد ذكر عدد من الأحاديث وفى الباب : عن أنس ، وجابر ، وابن عباس وعلى ويتأكد بعضها ببعض ... أ هـ .

المقاصد الحسنة للسخاوى ص ٣٦٦ رقم ٩٥٤ و ص ٢٢٢ حديث رقم ٥٠٨ ، ولا أريد الاطالة على القارىء الكريم .

(ج) فى الكتاب الكثير من السجع الذى قد يتناوله .

وقد نهى رسول الله ﷺ (١) ، ولو جاء هذا الكلام الذى يقصد منه جامعا الكتاب تعظيم الله وتمجيده غير مسجوع لكان أولى وأفضل .

(د) أورد جامعا الكتاب الكثير من أقوال السلف والصوفية ، وهى تحتاج الى تمحيص ودقة نظر وبعد فهم ، وتحتاج الى وقفات عند قراءتها لما فيها من مخالفات ، وقد يغيب فهم الكثير منها على كثير من الناس ، وقد تحدث لبعض القراء حيرة فى تفكيرهم واضطرابا فى النظرة الى دينهم .

ولذلك أرى أن الكتاب كان فى حاجة الى مراجعة علمية دقيقة فان منهجه ــ من الاسلام ــ محدود .

والله أعلم .

أحمد عبد الله باجور

---

(١) راجع صحيح مسلم ج ٢ ص ١٣١١ طبعة الحلبى

أنباء وآراء

الدين الاسلامى مادة أساسية

فى مدارس ألمانيا الغربية

قررت بعض الولايات الالمانية جعل مادة الدين الاسلامى أساسية بمدارسها ، وذلك بعد ازدياد عدد الطلاب المسلمين بالمدارس الألمانية .

وبدأت ولاية هامبورج فى استقدام عدد من مدرسى الدين الاسلامى من تركيا ، فقد بلغ عدد الطلبة المسلمين من أصل تركى خمسين ومائة ألف طالب ، وبلغ العدد الاجمالى للطلبة المسلمين من جنسيات مختلفة فى ألمانيا سبعمائة ألف طالب .

بنك اسلامى فى أمريكا

تتم الآن الخطوات التنفيذية للاعلان عن انشاء أول بنك اسلامى فى الولايات المتحدة الامريكية .

أعلن الدكتور جاك برزنجى أحد مؤسسى البنك . أن العقبة التى واجهت اقامة مؤسسة مالية اسلامية فى أمريكا كانت عدم فهم الحكومة الامريكية لمبادىء العقيدة الاسلامية التى تمنع التعامل بالربا « الفائدة » .

يدير البنك الجديد مجلس ادارة يتكون من خمسة أشخاص من بينهم خبيران أمريكيان تعينهما الحكومة الأمريكية الفيدرالية لمراقبة عمليات البنك .

يتوقع خبراء الاقتصاد الاسلامى أن ينجح المشروع فى فتح المجال أمام توسع البنوك الاسلامية داخل السوق المالية الامريكية فسيكون بامكان البنك فتح الحسابات وقبول ودائع المسلمين الأمريكيين الذين لا يريدون ايداع أموالهم فى المصارف التجارية العادية التى تتعامل بالربا .

إعداد : أحمد عبد الرحيم السايح
محمد صلاح الدين حيدر
عز العرب عبد الوهاب جرد

اختفاء الجرائم بعد تطبيق الشريعة

فى باكستان

أعلن الشيخ محمد عبد القادر أذاد رئيس مجلس علماء باكستان : ان تطبيق الشريعة الاسلامية فى باكستان حول المجتمع من الفوضى الى النظام ، ومن الفقر الى الغنى ، ومن الجريمة الى الاعتدال .

وقال : ان تطبيق الشريعة الاسلامية جاء بنتائج طيبة انعكست بصورة مباشرة على الوضع الاجتماعى العام والحالة الاقتصادية للبلاد . واضاف يقول : ان معدل الجريمة شهد انخفاضا كبيرا خلال السنوات الست الماضية التى شهدت تطبيق الشريعة الاسلامية حيث اختفت جرائم السرقة والزنا التى كانت تزعزع الاستقرار .

٢٠٠ مصرف اسلامى فى الهند

أعلن فضيل أحمد القاسمى مدير جمعية علماء الهند ان عدد المصارف الاسلامية . وصل الى مائتى مصرف اسلامى موزعة فى أنحاء الهند .

واضاف مدير جمعية العلماء يقول : ان البنك الاسلامى الذى يجمع هذه المصارف قام خلال عام واحد باعطاء سلف للمواطنين المسلمين بلغت أربعين مليون روبية هندية ، وبلغ عدد المستفيدين ستة وثمانين ألف شخص .

وقال : ان البنك قام ببناء المستشفى المدنى للعيون بمدينة (ديويند) وبلغت تكاليف انشائه مليونا وخمسين ألف روبية هندية .

أنباء وآراء

ويقول مدير جمعية علماء الهند : ان بداية انشاء المصرف الاسلامى فى الهند كانت فى ١١ سبتمبر سنه ١٩٦١ حيث قام بتأسيسه الشيخ أسعد المدنى رئيس جمعية علماء الهند ، ورأس مال البنك يلغ فى ابداية تسعمائة روبية هندية فقط ٠

وأهداف البنك هى بناء مجتمع أسلامى سليم من شوائب الربا المحرمة ، ومسح دموع المسلمين المنكوبين والمحرومين عن طريق تسليفهم قروضا غير ربوية ، وتعويد المسمين توفير المال وصدهم عن التبذير، وانشاء أقسام الدراسات الفنية الدينية لتدريب الجيل المسلم الجديد فى المجالات الفنية الحديثة ، وتهيئة الفرص العديدة للعمل الجاد والحياة الفضلى٠ والبنك يعتمد فى مشروعاته الاجتماعية على التبرعات المادية من المسلمين القادرين ٠

الكويت تمنع اللحوم غير المذبوحة شرعا

أصدرت بلدية الكويت قرارا بحظر استيراد اللحوم والدواجن غير المذبوحة على الطريقة الاسلامية يسمح فقط باستيراد اللحوم والدواجن المزودة بشهادة رسمية من المراكز الاسلامية الموجودة فى الدول الاجنبية والمعتمدة فى بلدية الكويت وأى لحوم غير مزودة بهذه الشهادة تعتبر غير صالحة للاستهلاك ٠

الغاء تراخيص الخمارات فى المحلة الكبرى

أصدر المجلس المحلى لمدينة المحلة الكبرى قرارا بالغاء تراخيص جميع الخمارات والحانات التى تقدم فيها الخمور وكذلك (الغرز) والمقاهى التى يثبت أنها تقدم المخدرات ٠

اعتمد المجلس المحلى لمحافظة الغربية قرار مجلس مدينة المحلة الكبرى وتدور الآن مناقشة بين أعضاء المجلس المحلى للمحافظة لتعميم هذا القرار على جميع مدن الغربية ٠

مشروع قانون بمنع الخمر يناقشه مجلس الشعب

أحيل الى لجنة الاقتراحات والشكاوى بمجلس الشعب اقتراح بمشروع قانون يمنع الخمر ويوجب اقامة حد الشراب ٠ لدراسته فى بداية الدورة البرلمانية ٠ يقع المشروع فى تسع عشرة مادة ويقضى بأنه يمنع شرب الخمر ويحرم تعاطيها وحيازتها واحرازها وصنعها وانتاجها وجلبها واستيرادها وتصديرها والاتجار فيها واعطاؤها واهداؤها وترويجها ونقلها والدعوة اليها والاعلان عنها ٠ وأن كل مسكر خمر سواء أسكر قليله أو كثيره وسواء كان خالصا ام مخلوطا ٠

الدين مادة أساسية بكل المراحل

طالبت لجنة التعليم بالحزب الوطنى فى

اجتماعها برياسة الدكتور أحمد سلامة نائب رئيس جامعة عين شمس بضرورة الاهتمام بالتربية الاسلامية فى جميع مراحل التعليم ، وادخال مادة الدين وحفظ القرآن الكريم كمادة أساسية بحيث يتم حفظ جزء كامل من القرآن الكريم فى كل سنة دراسية .

التشريع الاسلامى على مائدة

وزراء العدل العرب

أوصى وزراء العدل بالدول العربية خلال اجتماعهم الأخير بضرورة تشجيع الدراسات والبحوث المتعلقة بالشريعة والقانون والقضاء بالتعاون مع الجامعات والمعاهد والمراكز الاسلامية والعلمية .

أعلنت ذلك أمانة مجلس وزراء العدل العرب وذكرت فى بيانها أن الهدف الاساسى من ذلك هو ابراز ما يشتمل عليه التشريع الاسلامى من تكامل وخصائص ، وايجاد المناخ الملائم لتنمية العقل العربى فى مجالات التشريع والقضاء .

١٤ اسرة امريكية تدخل فى الاسلام

أفادت الانباء أن أربع عشرة اسرة أمريكية فى « لوس انجلوس » بولاية كاليفورنيا الامريكية . قد اعتنقوا الاسلام جميعا وآلوا على أنفسهم أن يكونوا ركيزة للدعوة الاسلامية فى كل أرجاء الولايات المتحدة الامريكية ايمانا منهم بتعاليم هذا الدين الحق .

افتتاح مسجد روما

أعلن المركز الثقافى الاسلامى فى العاصمة الايطالية أن المسجد والمركز الاسلامى فى روما سوف يفتحان قبل نهاية العام القادم وقد أقام المركز الاسلامى احتفالا دينيا بمناسبة مرور سنة كاملة على بدء العمل فى بناء المركز .

كلية طب الاسكندرية تمنح الماجستير لطالب

حول بحثه عن اهمية الوضوء

فى ازالة الميكروبات

* ناقشت كلية طب الاسكندرية رسالة الماجستير التى حصل بها الطالب محمد سليم على درجة الماجستير بامتياز كما اختيرت الرسالة بحثا فى جلسات المؤتمر الطبى الأسلامى الدولى الذى سيعقد فى شهر ديسمبر المقبل بمبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة .

وقد أثبت البحث اختفاء الميكروبات بالكامل عند أكثر من ٤٠٪ من المصلين فى حالة القيام بالوضوء فى المواقيت المحددة للصلاة .

اختار الباحث مائتين من طلبة الكلية الذين تطوعوا لخدمة هذا البحث وقسمهم الباحث الى مجموعتين : الأولى تداوم على الوضوء لتأدية الصلاة والأخرى لا تؤدى الصلاة وقام بدراسة شكل الأنف من الخارج والداخل وتحديد المحتوى الميكروبى فى الحالتين .

أنباء وآراء

وقد أظهرت نتائج البحث أن الوضوء وسيلة صحية سليمة لطهارة الأنف من الميكــروبات وبالتالى حماية جسم الانســان من الامراض الميكـــروبية وخــلو ســطح الأنف الداخلى والخارجى من الدهنيات وخلو الشعيرات مــن الأتربة والقشور •

وقام الباحث باجراء بحث تكميلى آخر على مجموعة مــن المصلين لمعرفــة فترة وجــود الميكروبات بالانف وأخذت مسحات طبية مــن الأنف بعد الوضوء بساعة وبساعتين وبثــلاث ساعات وبأربع ساعات فثبت أن الانف تعــود الى حالتها من التلوث الميكروبى بالتــدريج •

بعد أربع ساعات مــن الوضــوء ويعتبر ذلك أقصى موعد للوضوء الثانى على الأكثر بــين الصلوات الخمس •

وقد أشرف على الرسالة الأستاذ الدكتــور مصطفى شــحاته أستاذ الأنف والدكتــوره عواطف عواد أستاذ الميكــروبات بجامعــة الاسكندرية وتكونت لجنة المناقشة بالاضــافة اليهما من الدكتور محمود البــدراوى أستاذ الإنف والأذن بجامعة القاهرة والدكتور فــايز الابراشى بطب الاسكندرية •

(ترميم مسجد ابى الذهب)

*** تقوم حاليا هيئة الآثار المصرية بمعالجة وترميم مســجد أبى الــذهب بحى الأزهــر بالقاهرة •**

ويساهم فى المشروع الذى تشرف عليــه الهيئة اكثر من ٥٠٠ طــالب مــن الجامعات والمعاهد والمدارس ويتقاضى الطالب مكافــاة يومية قدرها خمسة جنيهات نظير القيــام بالأعمال الفنية ودهان المشربيــات الخشــبية وتركيب السقالات ومن المنتظر أن تنتهى هذه الأعمال فى نهاية الشهر الحالى •

منطقة القاهرة الأزهرية تحتفل

بختام الموسم الثقافى

*** أقامت منطقة القاهرة الأزهرية حفــلا سنويا بمناســبة ختــام الموســم الثقــافى والاجتماعى والرياضى وذلك بقاعة الاحتفالات بمجمع المعاهد بمدينة نصر •**

من خير ما كتب

للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام

الاستاذ / أنيس منصور

انا واحد من الذين تعلموا فى «كتاب القرية» .. والكتاب هو المدرسة البدائية التى تسبق المدرسة المنظمة .. وفيه تعلمنا تحسين الخطوط والحساب ، واولا ، وقبل كل شىء : حفظ القرآن الكريم وتلاوته وأحيانا تجويده .

وعندما أقارن بين الكتاب والمدرسة الآن ، لا أجد وجها للمقارنة . فعدد تلامذة الكتاب قليلون جدا . ولا يوجد الا مدرس واحد ، وجو الكتاب غير مريح وغير صحى ولكنه قائم على الانضباط التام والتفرغ الكامل للدروس.

ولم يكن آباؤنا يقبلون أى عذر لنا اذا شكونا أن الجلسة على الأرض غير مريحة ، أو سيدنا ، أى المدرس ــ يكلفنا بكنس الارض أو غسل الأطباق ، أو جمع الحطب من الحقول ، بل انهم يرون فيها دروسا عملية فى الطاعة والتعاون والتواضع . وتطبيقا للمثل القائل : من علمنى حرفا صرت له عبدا ــ فما بالك بالذى علمك أن تحفظ القرآن الكريم ؟!

ولابد أن الذين يحنون الى أيام الكتاب ، يتطلعون الآن بحسرة الى هذه الاعداد الهائلة فى الفصول والقاعات والمدرجات .. حيث تستحيل العلاقة بين المدرس والطالب .. وتستحيل الفائدة أيضا .

فالحياة شاقة وأكل العيش مر : مر للآباء الذين يدفعون الكثير من أجل الدروس الخصوصية ، ومر أيضا للمدرس الذى يشقى ويتعذب ليلا ونهارا فى كل مكان .. فالمرارة على ألسنة الجميع : طلبة ومدرسين ومسئولين عن التعليم واصلاحه والتربية وشمولها والثقافة وعمقها ومستقبل مصر .

ولا أمل فى انقاص عدد المتعلمين ، ولا فى الزحام وتوفير المواصلات ولكن لابد أن نتعاون جميعا على تخفيف كل هذه الويلات .

من خير ماكتب

لابد أن يساعد الآباء أولادهم ، وأن تساعدهم الاذاعة والتليفزيون • فمن غير معاونة البيت لا أثر للمدرسة • ومن غير انضباط المدرسة لا فعالية للبيت • وليس من العدل أن نتهم المدرسين وحدهم ، ولا أولياء الأمور وحدهم أيضا •

فان كان لوم ، فليشمل الجميع • وان كان اصلاح ، فليساهم الجميع •• والا فلنبك على الكتاب الذى كان والذى يستحيل أن يكون ! •

السيد/نيل كينوك زعيم حزب العمل البريطانى

حتى تكسب أفريقيا الحرب ضد المجاعة مطلوب من الغرب تخفيف أعباء ديونه وفوائدها

بعد رحلة استطلاعية الى أفريقيا ، عاد نيل كينوك زعيم حزب العمال البريطانى ، الى لندن ليكتب لصحيفة الاوبزرفر المقال التالى :

يكاد كل الأوربيين العاملين فى برنامج الاغاثة العاجل لدول أفريقيا المنكوبة بالجفاف يجمعون على أن معونات الغذاء لا تكفى وحدها أبدا لحل المشكلة • فشعوب هذه الدول ــ كما قال لى أحد البريطانيين ــ تريد طعامها من الأرض وليس من السماء •

وكانت المجاعة الرهيبة التى قتلت الملايين من أبناء أفريقيا جنوب الصحراء قد بدأت منذ عشر سنوات كاملة • وكان واضحا حينذاك أن قبائل افريقيا السوداء تتجه بسرعة نحو الموت جوعا مع حيواناتها بسبب الجفاف وتصحر الارض الزراعية ومنذ ذلك الحين مات الملايين بالفعل ، وبقيت ملايين أخرى تنتظر الموت بسبب المجاعة والامراض وسوء التغذية والفقر •

والسؤال الملح الآن هو كيف نوقف هذه المأساة ؟ والاجابة الواضحة على هذا السؤال تأتى من أثيوبيا ، وكينيا ، وتنزانيا ، وهى أننا لا يمكن أن نوقف المجاعة فى المستقبل الا اذا قمنا اليوم بانفاق مزيد من الاستثمارات على انتاج الطعام •

وقد اعترفت منظمة الوحدة الافريقية خلال قمتها الاخيرة فى أديس أبابا بأن ثمة أخطاء قد تم ارتكابها فى الماضى وأن الدول الافريقية مطالبة بمضاعفة ما تنفقه على الاستثمار فى قطاع الزراعة فى الوقت الراهن وفى المستقبل، وأنه لابد من توفير الاستثمارات وتوجيهها الوجهة الصحيحة • وهذا هو لب المشكلة والحل •

وفى مناقشة مع الدكتور والتر لوسيجى مفوض اليونسكو فى مشروع الاغاثة الكينى وصف لى كيف أن عمليات حفر آبار المياه فى شمال كينيا قد حولت قبائل البدو الى الاستقرار والزراعة • وان جفاف هذه الآبار التى أقيمت دون تخطيط محكم قد حول الأرض مرة أخرى الى صحراء جرداء أو أحراش لا تجود الا بالنباتات السامة •

وتبدو مشكلة التصحر مشكلة غير قابلة للحل • ولكن الناس يقومون بجهود مستميتة لغزو هذه الصحارى وزراعتها • وفى كينيا بدأت هذه الجهود تؤتى ثمارها بالفعل وان كانت لاتزال بعد ثمارا محدودة •

والمشكلة الجوهرية فى هذا الصدد هى أن جهودغزو الصحراء تحتاج الىأموال والأموال لا تأتى الا مكبلة بشروط عديدة يضعها صندوق النقد الدولى • وهذه الشروط هى الآن المعوق الأساسىلجهود غزو الصحراء ومحاربةالمجاعة فى أفريقيا • ان برنامج المعونات والقروض الذى ينفذه صندوق النقد الدولى فى العالم الثالث يبدو كأنه مكبل بقيود حديدية صارمة تفقده الكثير من جدواه • فطبقا للشروطالتى يضعها الصندوق يتعين على الفقراء أن يفقروا أنفسهم أكثر عن طريق خفض الانفاق وخفض قيمة عملتهم حتى يثق الاغنياء فى قدرتهم على رد ما يأخذونه من قروض •

أى أنه يتعين على الحفاة أن يقفوا على أطراف أحذيتهم « التى لا وجود لها » حتى يمكنهم الحصول على ما يحتاجونه من قروض • ويتضح مدى غباء مثل هذا البرنامج فى بلد مثل تنزانيا • فقد تراكمت الديون ، وتوقفت المشروعات الجديدة حتى تستجيب الحكومة التنزانية لشروط صندوق النقد الدولى • والى أن يتم استئناف حصول تنزانيا على القروض والمعونات ستظل عاجزة عن تحديث أساليب انتاج الغذاء • ولن تستطيع تنزانيا أن تطعم شعبها وتزرع محاصيل للتصدير الا اذا تمكنت من تحديث أساليب الانتاج • وبدون زراعة محاصيل التصدير لن تتمكن تنزانيا من توفير العملات الصعبة اللازمة لدفع فوائد ديونها القديمة والخروج من القائمة السوداء التى أعدها صندوق النقد الدولى للبلدان العاجزة عن السداد •

وهكذا تدور تنزانيا فى دائرة مفرغة سببها شروط صندوق النقد الدولى •

والنتائج واضحة دون لبس حيث توقفت مشروعات تنزانية عديدة بسبب نقص التمويل ، وبعض هذه المشروعات لا صلة له بالزراعة ولكن توقفه — على أية حال — يرجع الى شروط صندوق النقد الدولى وهى شروط يضعها الصندوق لحساب الاغنياء وضد مصلحة الفقراء •

والحقيقة أن الصندوق بهذا الشكل يتصرف طبقا لمعادلة خاطئة من أساسها لأن انتعاش اقتصاديات الفقراء ضرورى لاستمرار تقدم الاغنياء •

لقد قال لى الرئيس التنزانى جوليوس نيريرى ان بلاده تطلب المعونات من أجل تحديث قطاراتها • بينما مصانع القطارات فى بريطانيا تغلق أبوابها ، وتحتاج الى مدرسين بينما يعانى الخريجون فى بريطانيا من البطالة ، ويريد شعبها الدواء ، بينما عمال صناعة الأدوية فى بريطانيا يضربون عن العمل •

واستطرد نيريرى قائلا انه حقيقة لا يفهم لماذا تدفع بريطانيا أجور أناس لا يصنعون الأشياء التى تحتاج اليها أفريقيا •

والحقيقة الواضحة أن البطالة فى البلدان المتقدمة مرتبطة بتراكم الديون والمجاعة فى البلدان الفقيرة • وأن معونات التنمية يجب

من خير ما كتب

أن تكون التزاما أخلاقيا من دول الشمال الغنى تجاه دول الجنوب الفقير لأنها ضرورية لحياة الطرفين معا .

فالشمال والجنوب يمكنهما الانتعاش معا ولكن كل منهما سيكون عرضة للتدهور اذا عاش بمعزل عن الآخر .

وفى بريطانيا على سبيل المثال انخفضت نسبة معونات التنمية التى تقدمها لدول العالم الثالث لتصبح ٣٣ من مائة فى المائة من دخلها القومى بعد أن كانت قد وصلت قبل ست سنوات فقط الى ٥٢ من مائة فى المائة .

والمطلوب من بريطانيا أن تخفف عبء الديون وفوائدها المتراكمة عن كاهل أفريقيا .. وما هو مطلوب من بريطانيا مطلوب أيضا من كل الدول المتقدمة ومن كل مؤسسات الاقراض العالمية وعلى رأسها صندوق النقد الدولى .

والمطلوب من بريطانيا كمثال أيضا أن تعمل على زيادة معونات التنمية التى تقدمها لدول العالم الثالث لتصبح ٧ من مائة فى المائة عن دخلها القومى تنفيذا لتوصية لجنة برانت الشهيرة فى هذا الصدد .

ان انفاق مائة مليار دولار على معونات التنمية فى عشر سنوات سيؤدى الى زيادة الدخل القومى للدول النامية على منتجات الدول المتقدمة أو معناه أيضا زيادة فرص العمل أمام المتعطلين فى الدول المتقدمة والقضاء بالتالى على ماتعانيه من بطالة خانقة . وهذه المائة مليار دولار لا تساوى سوى عشر ماينفقه العالم على التسلح فى عام واحد .

ان اجراس الخطر تدق للجميع « فلو استمرت معونات التنمية فى السنوات الخمس القادمة على حالها الراهن من حيث الحجم والشروط والتوجيه فلن تتوقف المعاناة فى الجنوب والشمال على السواء بل قد تزيد الى حدود لا يمكن أن يتحملها الجميع » .

عبد الفتاح السيد عبد السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى السادة راغبى الاشتراكات فى

مجلة الأزهر

* تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات على العنوان التالى :

مؤسسة الأهرام – شارع الجلاء – القاهرة ·

وفيمايلى قيمة الاشتراكات :

* جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك سنويا

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى

بالبريد الجوى

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها ·

* باقى دول العالم

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة ·

فهرس العدد

الموضـــوع	الصـــفحة

Mourning shows how the Prophet (prayers and peace upon him) was deeply concerned in his call and how he is grievous and sorry for those who are overburdened and do not believe in the statements of Heaven and the words of Allah. Mourning accompanied the Prophet (prayers and peace be upon him) because he was sent as mercy for all humans. He was careful to call and expound, and was anxious more about those who remained to oppose the call to Allah and achieve the mercy. No one endured sufferings and agonies as the Prophet did. Allah relieved and eased his soul as the Holy Quran stated:

> " Is he, the evil of those deeds is made fairseeming unto him so that he deemth it good (other than Satan's dupe) Allah verily sendeth whom He will astray and guideth whom He will, so let not they soul expire in sighings for them Lo ! Allah is Aware of what they do".

(Surat The Angels or The Creator XXXV, 8)

Callers for Islam are in need of mourning in deep concern about those who go astray by guiding them and illuminating their path.

To Be Continued

within thyself humbly and with owe below thy breath at morn and evening and be thou not of the neglectful."

(Surat, The Heights, VII, 205)

Remembering Allah keeps man in contact with his Cherisher and safeguards him against all evils and loneliness. It prevents depression and man's inner fears.

Confidence in Allah's support and care comes as a result of deep faith in His power, His finality of will and His control of all creation. Owing to this confidence, Allah has executed His promise and has given victory to His Servant (Mohammad) and He has defeated the hosts of infidels. Confidence in Allah makes man indifferent to what people may plot against him because man knows well that the will of Allah is powerful and Allah will provide him with support and truimph.

The Prophet was so confident of his Lord's aid that he said to his companion Abu-Bakre when they were in the cave on their way to Al-Madinah during Hijrah what the Holy Quran reported:

"Grieve not ! Allah is with us, then Allah caused His peace of reassurance to descend upon him and supported him with hosts Ye cannot see, and made the word of those who disbelieved the undermost, while Allah's word it was that became the suppermost, Allah is Mighty Wise."

(Surat, The Repentance IX, 40).

inviting distinctions were offered him to give up his call for Allah, but he refused and insisted on keeping on his struggle to make people convict and adhere to Islam, to the worship of Allah. He exerted all his efforts by performing all kinds of worships and sacrifices to satisfy that purspose to obey the cherisher and to beg His pardon and countenance. With this unique love for Allah the Prophet Mohammad has been ordained the final success and perpetual truimph.

All believers have to follow the example and the morals, to express their deep love and devotion to Allah, by honest genuine obedience and the struggle for that cause.

Longing for meeting Allah with content of soul is a demand of great importance. It roots from our profound love to the Creator. Longing for Allah and seeking His pleasure , mercy , and bounty are the yearning desire of a true believer. In the hereafter, the challenge of judgement is beyond man's ability. It is the Divine pardon that ultimately crowns all others matters, if it is earned. If man knows what awaits him in the hereafter he will vie for pardon, and for forgiveness from Allah and long for eternal guidance.

Remembering Allah includes frequent glorification,celebrating His praise in commemoration, performing prayers and reciting the Holy Quran. The Prophet (prayers and peace be upon him) guided Muslims to practice all sorts of remembering Allah in all activities in life and at all times of day and night, and to perform their worldly duties with sincere devotion to attain supreme success.The Holy Quran states:

" And do thou (O Mohammad) remember the Lord

Thought distinguishes man above all creations and leads him to knowledge and mental inertia which guide him to belief in Allah and the use of his mental faculties. The Quranic verses praised highly those who understand and think highly in the creation of the Almighty Allah. The Quran stated:

> "Behold! in the creation of the heaven and the earth, and (in) the alteration of night and day are indeed signs (of His sovereignty) from men of understanding. Men who celebrate the praises of Allah standing, sitting and reclining and consider the creation of the heavens and the earth (and say) Our Lord! Thou createdst not this in vain, glory be to Thee ! Preserve us from the doom of fire."

(Surat Al-Imran, III, 190-191).

The Prophet (prayers and peace be upon him) used to meditate and think of the truth. His long meditation and thought led him to the source of the true faith. This basic fundamental is that there is no deity save Allah who created the whole universe and who will reward mankind on the day of resurrection.

Love is an original and essential neccessity the real faith in Allah. The Prophet (prayers and peace be upon him) loved Allah with all the noble and supreme meanings of love. He devoted his body and soul for the sake of serving Allah and His call. He proved his love in an outstanding and admirable manner. Wealth, high rank,/majesty and all

Knowledge brings man closer to the Almighty Allah and imposes upon him sincere worship. In Islam, knowledge is an attribute of Allah and in an Islamic atmosphere it means reading, uttering and remembering Allah's attributes. It is part of the object of the divine Message. The mission of the Prophet of Allah as defined by the Quran is education and purification.

Allah says in the Holy Quran what means:

> " Our Lord! and raise up in their midst
> a messenger from among them who shall rehearse
> thy signs and teach thy revelation, and shall
> instruct them in the scripture and in wisdom
> and shall sanctify them. For thou, only Thou,
> art the exalted, the wise."

(Surat Al-Baqara II, 129)

The knowledge suggested by the Quran and Sunnah is knowledge in all aspects, and of everything beneficial in the physical and metaphysical worlds and in the sphere of faith and morals. Therefore, knowledge is the Muslim's capital. It is the source of all human understanding and progress. It is the origin of true faith.No one knows Allah as the Prophet (prayers and peace be upon him) did, he was the closest creature to Allah and the most fearful of Him and this was the most profitable capital.

MANNERISMS OF ISLAM

Part 1

BY: NASR ELDIEN ABDEL-FATTAH SHOLKAMY

Praise be to Allah and prayers and peace be upon the Imam of the pious our Prophet Mohammad and upon his Kins, Companions, Followers and Callers for his message till the day of judgement.

Islamic ideology and mennerisms at their climax are rooted to certain attributes which are the fruits of the true understanding of Islamic concepts and ideals. These mannerisms are essentially learned from the conduct and teachings of the Prophet (prayers and peace be upon him).

These mannerisms indicate that knowledge is the Muslim's capital; thought is the source of his belief; Love is his way and rule; longing is his vehicle; Remembering Allah is the companion in life; Confidence is his treasure; Mourning is his mental state.

These short eloquent statements provide the overall description of the way of life of a true Muslim. They indicate the fundamental elements of true Islamic thought and true understanding.

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramdan Albooty
7th., Edition, 1977.
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition.
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah.
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot.
Mouassasa Al-Risalah.
Beirut, 1981.

Rudwan meaning the "Fealty of God's good pleasure" was a wonderful demonstration of moral and material strength, a true victory as ordained by Allah in the words of the Holy Quran.

> "God's good pleasure was on the beleivers when they swore fealty to thee under the tree; He knew what was in their hearts, and He sent down tranquility to them, and He rewarded them a speedy victory".

(Surat Al Fat-h, XLVIII , 18)

Prayers and peace be upon our magnanemous Prophet.

References:

1. Alsira Alnabawiah
3rd. Edition 1981.
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library. Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah.
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library-Cairo Printed 1980.

his companions to proclaim fealty and acquiescence. to confront the enemy with no retreat. All the Muslims present proclaimed fealty except one man Al-Gad Ibn Qais. This proclamation of fealty is known as the fealty of Al-Rudwan under the tree. Koraysh became highly concerned about this fealty, and sent fifty men commanded by Mikrez Ibn Hafs to approach the Muslim camp and chance any advantage. They were all taken prisoners by Muslims headed by Mohamad Ibn Maslamah. News then reached the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) that Osman Ibn Affan was not killed but was certainly alive.

The leaders of Koraysh deputised Suhayl Ibn Amre to negotiate suspension of hostilities with Muslims, with instructions that Muslims do not enter Macca the particular year. When the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) saw Suhayl , he announced to his companions that Koraysh would not send that man except to discuss peace terms. The conclusions of the peace discussions stipulated several important terms between the Muslims and Koraysh. This treaty is known as the Truce of Al-Hadaibiah. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was unwilling to give Koraysh any pretended excuse for violence in the sacred land or during the sacred months. On the other hand, Koraysh had learnt through six long years of bitter experience that their pomp and power were crumbling, and that Islam was growing solid and strong with its moral values and spiritual forces; highly reflected in its potency of organisation and resistance that was inherent in its leadership and infrastructure . The great willing enthusiasm with which the Muslims entered the covenant of fealty in great multitudes united in their devotion to their faith and their great leader; was evidence of the reverence of Prophethood, and the great powers he (prayers and peace from Allah upon him) commanded even in a worldly sence.

The covenant of fealty known in Islamic literature as Baiat Al-

adamant and genuinely faithful in their obediance and protection of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The Muslims had offered a wise plan that Koraysh should accept.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) sent Girash Ibn Umaiah Al-Khuzaay to Koraysh riding a camel. Koraysh killed the camel and tried to kill the man, but he managed to escape back to the Muslims. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) summoned Omar Ibn Al-Khattab to send him as his envoy to Koraysh. Omar answered that he had no one of his clan in Macca to offer his protection, and that Koraysh carried for him an intense hatred; a matter opposing his qualifying to be the appropriate delegate. However, Osman Ibn Affan had Kinsmen in Macca, was highly respected and emotionally accepted by Koraysh was certainly more qualified as a delegate. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) accept the logic reasoning of Omar Ibn Al-Khatab; and sent Osman Ibn Affan to the leaders of Koraysh to inform them that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and his companions were not out for war, but came to visit the Kaba in Umra and to show respect and high reverence to the sacredness of the Holy shrine of Kaba. When Osman Ibn Affan entered Macca he was met by Abban Ibn Said Ibn Al-Aas who offered his safeguard and protection till he delivered the message he carried to the leaders of Koraysh. They would allow him to make Tawaf around the Kaba (circumrotate) if he so wished. Osman Ibn Affan refused to make Tawaf before the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) did. Koraysh imprisoned Osman Ibn Affan, and the news reached the Muslims that Osman Ibn Affan was killed on the hands of Koraysh. At this stage, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) declared that they would not depart till they challenge and confront Koraysh in combat.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him)called upon

the arrow in the channel of water. This made the well give affluent flow. The man who stuck the arrow was Najaiah Ibn Jundab the cattle driver.

After the Muslims settled down at the location, a man from Khuzaah named Budayle Ibn Warkaa with few others came to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) , and inquired about his real purpose and intentions.

The answer was that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) came to visit the Holy Kaba by performing Umra in deep respect and reverence to the sacredness of the place. The Muslims were not out for battle, and Koraysh should not interfere between the Muslims and the rest of the Arabs. If the Arabs defeat the Muslims, Koraysh will serve its ends, and if the Muslims are victorious, Koraysh may acclaim Islam or fight the Muslims if they so choose from a position of strength. When these statements reached the heads of Koraysh, they swore that the Muslims will not be allowed into Macca under any condition. They further sent Mikraz Ibn Hifs Ibn Al-Akhiaf, followed by Hulays Ibn Alqama, and both men returned to Koraysh with the same words previously reported. Then they sent Urwah Ibn Massoud Al-Thaqafy who told the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) that Koraysh was all out in arms utterly refusing to allow Muslims to enter Macca for any purpose even to perform Umra; and that the group of old grey haired companions would not stand a battle with Koraysh. Few words of reproach and hostility were exchanged between Urwa and Abu Bakre Al-Sidiq; and Al-Mughira Ibn Shuba hit the hand of Urwa several times as the latter touched the beard of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) during their conversation. Urwa Ibn Massoud finally returned to Koraysh and informed that they must debate the matter, for the Muslims were unyielding in their intentions, and were sincerely

ded to go out to Macca to perform Umra by visiting the Holy Kaba and pay tribute to its sacredness; and was not going out for battle. By Arab custom and traditions at the time, every Arab was entitled to visit the sacred Kaba unarmed, and fighting of any kind was prohibited during the sarcred months which included the month of Zu-Al-Qida. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) announced his intentions and summoned Muslims at Al-Madinah and the Arab clans around fearing that Kuraysh would confront him in battle or prevent him from visiting the Kaba. He marched out from Al-Madinah followed by fifteen hundred Muslims and some Arabs. He dressed for Umra, and drove with him the cattle for sacrifice (Al-Hadii) to make people know the reality of his intentions. He appointed Numailah Ibn Abdullah Al-Laithy to minister Al-Madinah . The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) took his wife Um Salamah to accompany him. He ordered that no weapons should be carried except swords in their sheaths.He sent Bishre Ibn Sufian Al-Kabi ahead of him to obtain information on Koraysh.

The expedition marched out south to reach Ussafan on the road to Macca where Bishre Ibn Sufian met them. He addressed the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) with the information that Koraysh was gathered and rallied to prevent by force if necessary the entrance into Macca and the performance of Umra of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and his companions. After much consultation and deliberation, the final decision was to proceed forward. A man from Bani Aslam lead them through another way other than the usual , an isolated rough track through the valleys till they reached the far side of Al-Hudaibiah, where they finally settled on an expance of land. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) instructed his companious to ask mercy and forgiveness from Allah. The well at which they settled had little water, and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him)took one of his arrows and asked his companions to stick

THE FEALTY OF AL-RUDWAN

BY:- DR. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D. PhD.

In the Name of Allah Most Gracious Most Compassionate.

Six years have elapsed since the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the early pioneers of the Muhagereen left their homeland in Macca and made Hijrah to Al-Madinah. During those years the Muslims were bitterly engaged in a perpetual continuous struggle and armed combat with Koraysh, the Jews, the Confedrates and many Arab tribes. During that time, they also sustained an active progress of self education, discipline, society structure and spiritual elevation. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him)was the master, the instructor, the messenger of Allah; ordained to establish the word of Allah as supreme and highest. The Holy Quran and the Honourable tradition were the source of reference. By the end of six years, came the beginning of a new era in the life of the Muslims at Al-Madinah. This was the era of the manifestations of dominance and primacy.This era started with the consequences of the events that took place at Al-Hudaibiah.

In the month of Zu Al-Qida of the sixth year after Hijrah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) declared that he deci-

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٢٣ / ٩٠٥٥٠٦
● صورة الغلاف



المركز الاسلامى بماليزيا

بسم الله الرحمن الرحيم

حتى يتم للفكر سداده

من توجيه المولى ـ سبحانه ـ اذا أردنا لأنفسنا تفكيرا سديدا لا ينخسه الفساد ، ولا يعدل بالفكر الى اضطراب ، عظته سبحانه :

« قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ : أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا . »

وكانت الآية الكريمة ـ ومازالت ـ تحثنا على النأى بالفكر عن « الجماعة » حتى نخلص الى تفكير سديد ، يصحبه برهان مستقيم ، ينتهى الى نتيجة فاصلة لازيغ فيها ولا بطلان .

من أجل ذلك :

نستصحب الكتاب العزيز لنرى ـ فى ضوئه المناعة من الضلال والحصانة من الزلل .

الجزء الثانى * السنة الثامنة والخمسون
* صفر ١٤٠٦ هجرية * ١٩٨٥ ميلادية *
* أكتوبر / نوفمبر

حتى يتم للفكر سداده

وحسبنا — لهذه القضية — مراجعة واعية لمادتى : « كثير » و « أكثر الناس » بهذا القرآن العظيم ، لنعلم اذا أردنا فكرا واعيا لماذا نصون الفكر عن « الجماعة » ونلتزم فيه بأنفسنا فقط ، فان زدنا فمع « الأمين المختص » .

قال تعالى : « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » .

هنا يعطينا هذا الكنز الخالد احصاء للصفات الغالبة على أكثر الناس ، فاذا مضينا الى تصنيفها حظينا بخلاصة كفيلة — باذن الله — أن تقودنا الى رشاد لا نضل بعده أبدا ، اذ العطاء هنا من خالق الانسان وصانعه ، العليم بمدى مقدوراته ، وما خفى من تكوينه ، البصير بمعارج تفكيره اذا سما ، وبمدارك انحرافه اذا هوى ، « وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » فاطر ١٤ .

فأما « الكثير » فيقول عنه العزيز الحكيم :

«وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ » المائدة ٦٦ .

وأما «أكثر الناس » فعنهم يقول — جل شأنه :

« .. بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ » الأنبياء ٢٤ .

« .. وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ » المؤمنون ٧٠ .

« وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ » (١) الأنعام ١١٦ .

وبعد :

فما أجل عظة الله — سبحانه ، وما أعظم سدادها للفكر .. والعمل .

« وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا. وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا »(١).

د. على أحمد الخطيب

---

(١) خرص — بابه نصر خرص الشيء : حزره وقدره بالظن ، ويأتى اللازم منه بمعنى : كذب .
(١) النساء ٦٦ — ٦٨ .

مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر

هذا يوم النصر

بيان من فضيلة الإمام الأكبر عن العدوان

هذا يوم النصر

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

صدق الله ربنا اذ قال :

« إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ » ..

وهذا جيش مصر وشعب مصر نادوا فى مثل هذا اليوم من عام ١٩٧٣ (الله أكبر) فكان الله معهم بالنصر والتأييد ، فانسابت المياه بين أيديهم ، وتحت زوارقهم سلاحا هادرا ، يمهد الأرض ، ويثبت منهم الأقدام ، فكان الاقدام من جيش مصر وشعب عزم على تطهير الأرض وحماية العرض .

كان الاقدام من شعب وجيش تمثل نصر الله لرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم بدر وهم فى قلة من العدد والعدد وكان نصر الله لهم بأسلحة أخرى أمضى من السيوف : « **إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ** » ..

لقد من الله على مصر ــ فى مثل هذا اليوم ــ فقد ربط على قلوب المقاتلين فتقدموا ظاهرين ، وعبروا الهزيمة فرحين مستبشرين بنصر الله يقولون بأفواههم وقلوبهم : « **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** » .. وكان الله معهم ، مع جيش مصر وشعب مصر ، فثبت منهم

القلوب والأقدام فكان الاقدام من رجال لم يهابوا الموت .وما ناموا على ضيم : وما رضوا بالعار ، بل صبروا وصابروا وثابروا يستوعبون أسلحتهم وتدريبهم ، حتى كان النصر لهم ، وكان الله معهم : « **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** » ..

ان النصر فى هذا اليوم وما بعده نعمة من الله تذكر فتشكر طلبا لاستدامتها : « **لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** » والشكر لا يكون الا بطاعة الله ، واتباع شريعته ، لا مجرد قول لا يصدقه العمل .

فى هذا اليوم أقدم كل التحية والتكريم لقواتنا المسلحة : جنودا وضباطا وقادة وللقائد الأعلى الرئيس محمد حسنى مبارك ، الذى قاد معركة الجو وحمى العبور الى النصر .

لنتوجه الى الله فى صلواتنا بالشكر . ولنعاهد ربنا وأمتنا على أن نحفظ ديننا ونعمل بشرع الله : « **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ** » ..

ولنؤمن بأن الغلاء ابتلاء . وان أضفينا عليه أسماء وأوصافا تخدع بها أنفسنا : « **إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ** » ..

علينا أن نواجه الغلاء بالانتاج والعمل والكف عن الاسراف ، وعلينا التوسط فى الأمور دون اسراف أو تقتير : « **وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** » .

« **وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** » ..

فبالشكر تدوم النعم . وبالجحود والنكران تحل النقم : « **بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** » .. فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ..

لقد حاربنا فى مثل هذا اليوم باسم الله : (الله أكبر .. فكان النصر ، فوجب أن نستديم النصر بالشكر .. وهذا يكون بطاعة الله والتزام أحكام شريعته أفرادا وجماعات فى بيوتنا ، فى أعمالنا ، فى شوارعنا .. فى كل مجالات حياتنا : « وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » ..

بيان من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن

العدوان على منظمة التحرير

فى تونس وحوادث لبنان

جاءت الأنباء بهذه الغارة الوحشية ، بل والهمجية على مقر المنظمة الفلسطينية فى تونس ، وكأن العالم قد سادته الفوضى ، وكأن هذه المنظمات الدولية لا وجود لها ، ثم وكأن العرب والمسلمين بوجه عام لا وجود لهم ، وكأنهم فقدوا مقوماتها كامة تربو على الألف مليون ينتشرون فى أنحاء الأرض ،وكأنهم تخلوا عما عرفوا به من النجدة والشجاعة والغيرة على حماية الأرض والعرض .

ان الذراع الطويلة التى طوتها حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣ بل كسرتها هذه الحرب المجيدة لاسيما بعد أن التف العرب والمسلمون وشدوا من أزر مصر وجيش مصر . هذه الذراع : بدأت تمتد بل وتشتد متجاوزة الحدود والسدود اذ لم تكتف بهذه المجازر والحرب التى أثارتها وأذكتها فى لبنان فاقتتل أبناؤه وصاروا وقودالحرب ضروس يذكيها هؤلاء الأعداء ، أعداء الله وأعداء الناس ، وبكل أسف يشارك فى اذكائها وفى تفريق كلمة العرب والمسلمين ، بل واشعال النار هنا وهناك قوم من العرب انحسرت من قلوبهم خصائص العرب الأصلية من الوفاء لأمتهم وأرضهم ودينهم .

أيها العرب .. أيها المسلمون :

ان الله سبحانه يناديكم فى القرآن فيقول : « انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) ..

« فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » ..

أيها العرب ــ أيها المسلمون :

كيف استكنتم الى الذلة ورضيتم بالهوان ..

كيف ارتضيتم أن تمتد هذه الذراع الى تونس لتضرب الفلسطينيين هناك وتطاردهم بعد أن طردتهم من أرضهم وأسروا المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ..

كيف هذا والقرآن يقول : « وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ » .

هل تنتظرون من الدول الأخرى حمايتكم والثأر لكم ؟ .

لقد جربتم ما فعل هؤلاء منذ كانت مشكلة فلسطين .. فهم الذين غرسوا هذا السرطان فى قلب العرب والمسلمين ..

أيها العرب ــ أيها المسلمون :

لا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ، نار الذلةوالضياع والاستعباد والقهر فى الدنيا تلحقكم وتصيب أجيالكم . ونار الآخرة لأنكم فرطتم فى أوطانكم ، وتفرقتم شيعا وأحزابا ، تتقاتلون ،وتتقاذفون بالتهم حتى هان أمركم على عدوكم فامتدت ذراعه تطاردكم فى أوطانكم ليست المجاورة له فحسب ، بل كانت هذه المهانة أن تضرب المنظمة الفلسطينية فى تونس العربية المسلمة .

أيها المتقاتلون فى لبنان : قفوا صفا واحدا ووجهوا أسلحتكم الى صدور عدوكم الذى هان عليه أمركم ، فتجاوزكم الى تونس يعربد فيها وينشر الخراب والقتل والدمار .

أيها المقاتلون من ايران : انكم تقاتلون اخوتكم فى الاسلام ، وهذا عدو الاسلام والمسلمين الذى قال الله فيه : « لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ».. أوقفوا هذه الحرب ووجهوا جهودكم وجيوشكم الى تحرير المسجد الأقصى . الى القضاء على هذه الذراع التى تطاولت وأفسدت . وأشاعت الحرب والدمار والقتل فى بلاد العرب والمسلمين .. أين جامعة الدول العربية ؟ أين منظمة المؤتمر الاسلامى ؟

انى أقترح دعوة هاتين المؤسستين للاجتماع فورا .. اجتماعا مشتركا لاتخاذ موقف محدد تجاه هذا العدوان . موقف يرفع الهامة ويحفظ الكرامة .

وينهى هذه الخلافات بين الحكومات لتقف صفا واحدا : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ) .

أيها العرب — أيها المسلمون :

قديما قيل : ما حك جلدك مثل ظفرك ، فتول أنت جميع أمرك : فلا تنتظروا أن يحميكم غيركم .

خذوا حذركم فان فيما حدث نذير خطير .. واذا لم تتجاوزوا خلافاتكم وجمعتم شملكم تخطفتكم الأحداث وتكثرت عليكم الحوادث .

احرصوا على الموت توهب لكم الحياة .

تناصحوا وواجهوا هذا الخطر مجتمعين .

واذكروا قول القائل :

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا

واذا افترقن تكسرت آحادا

وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

وها هى الذئاب قد كشرت عن أنيابها ، فقفوا فى وجهها بكل قوة ، متحدين واستعينوا بالله وأحزموا أمركم ، وتجاوزوا المخذلين والمعوقين واحصروهم ، والله غالب على أمره والله معكم ولن يتركم أعمالكم :

« وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » ..

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

دراسات إسلامية

صنع الله في القلب

افتراءات المستشرقين على شخصية الرسول
صلى الله عليه وسلم

من أعلام القضاء في دولة الإسلام

الإعجاز الطبي في القرآن الكريم

صنع الله في القلب

القلب هو دعامة الجسم ، وقوام الحياة ، وعضلاته يتصل بعضها ببعض في مدمج خلوى لا تفصل بين خلاياه جدر خلوية Cellwalls **كما هو معروف بين خلايا الحيوان والنبات** Animal and Plantcells .

ولعل هذا التكوين الخاص للعضلة القلبية Heartmuscle قد جعلها مؤهلة تماما للعمل كوحدة واحدة asone unit يتواتر ايقاعها بقوة وانسجام،لا اراديا un volun taty والعضلة القلبية شديدة النشاط ، ، موفورة القوة ، دائمة العمل ، دائبة الحركة ، لا تكل ولا تمل ، لا تسأم ولا تهرم ، كما لا يتأثر انقباضها تأثرا بينا بالتخدير الكلى General Anaethesiaوقد ثبت أن فيها نوعا من المقاومة لمرض السرطان ، ولعل النوع الوحيد الذى يحدث فى القلب ويصادفنا انما هو ذلك الورم الحادث فى الأذين الأيسر والذى يسمونه Leftatrial myxoma

وقد جعل القرآن الكريم القلب فى الواقع محورا لكثير من الأشياء مسئولا عنها منوطا بها .

قال تعالى : ــ « **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** » الحج ٢٢ / ٤٦ .

ونستنبط من الآية الشريفة أن العمى المذكور فيها ليس حقيقيا ، فليس هو عمى البصر ، انما يقصد به عمى البصيرة ، فمن كان أعمى القلب لا يعتبر ولا يتدبر ، وقد ذكر سبحانه وتعالى « الصدور » للتأكيد ونفى توهم المجاز .

قال قتادة . البصر الناظر جعل بلغة ومنفعة ، والبصرالنافع فى القلب .

وقال مجاهد : لكل عين أربع أعين ، يعنى لكل انسان أربع أعين : عينان فى رأسه لدنياه ، وعينان فى قلبه لآخرته . القرطبى ١٢ /٧٧ ــ

يقول تعالى أيضا : ــ « **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ**

للدكتور السيد الجميلى

الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ » آل عمران ٣/٧ .

والمقصود من زيغ القلوب فى هذه الآية الشريفة انما هو الجور والحيف والظلم ، فيقال : زغت عن الحق وقوله : (زاغت الأبصار) اذا عدلت وجنفت عن الحق وعن النهج يقول الامام القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن : (٤ / ١٣) ط . دار الكتب المصرية : —

« زاغ يزيغ زيغا ، اذا ترك القصد ، وهذه الآية تعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل ، وصاحب بدعة ، وان كانت الاشارة بها فى ذلك الوقت الى نصارى نجران » أهـ . بتصرف . فالقلب هو محل الزيغ ، ومناط الاستقامة ، فان فيه تجتمع الأمور بنقائضها ، ونواقضها ، والمعصوم من عصم الله تعالى .

***

قال تعالى : « إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ » ق (٥٠ / ٣٧) والمقصود بالقلب فى الآية انما هو الفهم والعقل ، لأن القلب — عند القدماء — هو موضع العقل فكنى به عنه . راجع الدر المنثور للسيوطى (٦ / ١١٠) وغريب القرآن ص ٤١٩ . والقرطبى (١٧/٢٣) بتصرف .

قال الضحاك : العرب تقول ألقى فلان سمعه اذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب . مختصر ابن كثير (٣/٣٧٨) .

ويقول سفيان : « لا يكون حاضرا وقلبه غائب » أهـ .

قال الراغب : مرض القلب هو الرذائل الخلقية كالجهل والجبن والنفاق والبخل ، وهى تمنع من ادراك الفضائل كما يمنع المرض البدن من العمل ، وهذا المرض يمنع من كسب سعادة الآخرة .

ومرض القلب ورد فى ثلاث آيات فى القرآن الكريم هى على التوالى : —

— « إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ » الأنفال (٨/٤٩) .

— « لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا » الأحزاب (٣٣ / ٦٠) .

ـــ « وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا » الأحزاب (٣٣ / ١٢) •

وفى الآيات الثلاث عطف « **الذين فى قلوبهم مرض** » على « **المنافقون** » ويدل العطف على تغير المعنى لما يقتضيه ذلك ، من ثم فان هذا المرض غير النفاق ، وقد أتى المرض على المعنى الأصلى من غير تجويز فى آية الشعراء ، أما سائر الآيات الأخرى فيأتى فيها المرض بدلالة مجازية على فساد القلب •

وقد ذكر الامام الفخر الرازى فى تفسيره الكبير (٢٥ / ٢٣١) فى تفسير الآية الثانية : ـــ « وعد الله نبيه أن يخرج أعداءه من المدينة وينفيهم على يده ، اظهارا لشوكته » أه •

ومن يتأمل القلب على الطبيعة سواء كان قلب انسان أو قلب حيوان ثم أعمل العقل والفهم فى شىء من التفكر والتدبر •••• من يتأمل ذلك يرى من عوالم الحق ، وحسن صنعه ، ودقة اتقانه فى هذا الشلو ذلك العضو الذى ينطق بالاعجاز والعظمة ، على صغر حجمه ••• يرى فيه مالا يحد من طاقات « فسيولوجية » رهيبة وصبر على العمل المتصل الدائب المستمر من غير تعب أو كلل ومهما قيل فى أمر هذا القلب : (فسيولوجيا) أو (هستولوجيا) أو (باثولوجيا) فان العزم يقصر ، والبيان لا يكتمل والبلوغ لا يوفى لأنه موضوع كبير يقتضى استيعابه وضع أسفار ومجلدات شتى فى كل جزئية من جزئياته التى يتعثر فى بلوغ مراده منها كثير من المتخصصين ، وأرباب هذه الصنعة المتفرغين لها الدارسين لشتاتها •

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجلى بصائرنا ، وينقى قلوبنا ، وأن ينعم علينا بسحائب رحماته ، وموالاة أوليائه ، وأن يجمعنا بالصالحين فى عرصات القيامة وأن نلتقى بأحبتنا فى دار الكرامة حيث يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ، أجرا تاما غير منقوص •

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ••

د• السيد الجميلى

الهدية والرشوة

للدكتور محمد محمود شعبان

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله : صلى الله عليه وسلم : « تهادوا ان الهدية تذهب وحر الصدر ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شق فرش شاة » رواه الترمذى والامام أحمد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه — قال : قال رسول الله : ﷺ : «لعن الله الراشى والمرتشى فى الحكم » رواه الترمذى وأحمد والحاكم

وعن ثوبان — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش الذى يمشى بينهما » رواه احمد .

قال فى مختار الصحاح : الهدية واحدة الهدايا .

يقال : أهدى له واليه : والتهادى أن يهدى بعضهم الى بعض .

وفى الحديث : « تهادوا تحابوا » .

وأما الهدى فهو : ما يهدى الى الحرم من النعم قال تعالى . « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ** » المائدة

وقال تعالى : « **فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** » البقرة .

وقال فى مختار الصحاح عن الرشوة : الرشوة : بكسر الراء وضمها والجمع : رشا بكسر الراء وضمها وقد : رشاه : من باب عدا و «ارتشى » أخذ الرشوة و « استرشى » فى

الهـدية والرشـــوة

حكم طلب الرشوة عليه و « ارشاه » أعطـاه الرشوة •

الهدية هى : كل ما يقدمه الانسان لأخيـه الانسان من طعام أو شراب أو لباس عن طيب نفس ومحبة صادقة وأخوة صافية وتعاون على البر والتقوى •

وهى من سنن النبيين وقد كان رسول ﷺ يقبل الهدية ويهدى لغيره •

فعن عائشة رضى الله عنهـا قـالت : « ان رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها» البخارى أى يعطى المهدى له مثل هـديته أو أكثر •

والهدية الى الأقارب والجيران والأصدقاء جائزة شرعا لأنها تجلب المودة والمحبة وتزيد فى العلاقة الصادقة بين النـاس وتذهب ما فى الصدور من الحقد والحسد والغيظ ومن هنـا حث عليها رسول الله ﷺ •

فقال « تهـادوا ان الهـدية تذهب وحـر الصدر » : وفى رواية تذهب بالسخيمة : رواه الترمذى : ووحر الصدر انما هو الغل الـذى فى الصدور •

وأما السخيمة : فهى السواد الذى يعـلق بالقدر والمراد تذهب بالسواد الـذى يدخل على القلب من أثر الغل والحقد •

والهدية تزيل الفوارق بين الناس وتجعـل المهدى اليه ينظر الى المهدى نظـرة احترام وتقدير واكبار واعجاب وتجعله يحافظ عليـه وعلى ماله ومصالحه لأنه يعتقد بأن المهـدى صاحب نفس عالية محبة للخير مؤمنة بالتعاون بين الناس وكأنه مشترك معه فى ماله •

ولذلك قال الغزالى ـــ رحمه اللـه تعالى ـــ اذا اشتريت فاكهة فاهد لجارك منها فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا تجعل ولدك يخرج بهـا ليغيظ بها ولده : وليفعل ذلك ابتغـاء مرضاة الله تعالى • ومحبة فى فعل الخير ومن هنـا أثنى القرآن الكريم على الأنصار ـــ رضى الله عنهم.

فقال تعالى : **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** » سـورة الحشر •

وينبغى الا يستقل المهـدى الهـدية لأن رسول الله ﷺ قال : لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرش شاه : رواه البخارى والمراد بـه اللحم الذى بين ظلفى الشاة وهى قطعة رقيقة جدا •

وعن أنس بن مالك ـــ رضى الله عنه ـــ قال: قال رسول الله ﷺ « تهادوا فان الهدية تذهب بالسخيمة ولو دعيت الى كراع لأجبت • ولو أهدى الى كراع لقبلت » رواه البيهقى •

ولكن ليست الهدية فى كل الأحوال جائزة فقد قرر جمهور العلماء بأن الحاكم والقاضى ورئيس العمل لا يجوز له أن يقبل الهدية لأنها تجعله يفرط فى مصالح المسلمين • وربما يقضى لمن أهدى اليه مع علمه بأنه لا حق له فى دعواه أو يعطيه حقا ليس له فيكون بذلك قد ظلم فى حكمه وربما يدخل فى عداد من جار فى حكم وظلم فتحل عليه اللعنة •

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لعن الله الراشى والمرتشى فى الحكم » • رواه الترمذى وأحمد •

وقال ابن مسعود — رضى الله عنه — من شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يدفع بها ظلما فأهدى له فقبل فذلك السحت فقيل له ما كنا نرى السحت الا الأخذ على الحكم قال : الأخذ على الحكم كفر •

وعلى هذا ذكر العلماء بأنه لا يقبل القاضى هدية أجنبى لم يهد اليه قبل القضاء لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هدايا الأمراء غلول » رواه البخارى •

وفى رواية : « هدايا العمال غلول » رواه أحمد : وفى رواية « هدايا العمال حرام كلها » ولأن الظاهر من هذه الهدية انما هو للقضاء له فكان القاضى آكلا بالقضاء فأشبه الرشوة •

وذلك بخلاف من جرت عادته بمهاداته قبل القضاء لأن الظاهر أنه جرى على عادته حتى لو زاد على العادة أو كان له خصومة لا يقبلها ولما روى عن ابن سعد الساعدى — رضى الله عنه قال : استعمل النبى ﷺ عليه وسلم : رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية • على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدى الى •

فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فانى استعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول هذا لكم وهذا هدية أهديت الى أفلا جلس فى بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته ان كان صادقا ، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء • أو بقرة لها خوار • أو شاه تيعر • ثم رفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه فقال : اللهم هل بلغت » متفق عليه •

فليحذر الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم من الحكام والرؤساء من قبول الهدايا المقنعة ممن يريدون ابطال حق أو احقاق باطل •

وليتأمل كل واحد من هؤلاء فيما فعله أبو بكر — رضى الله عنه — بعد ماقدم له عبده قدحا من لبن فشرب منه فسأله عن مصدر هذا اللبن فقال انى عملت عملا لجماعة فى الجاهلية فأعطونى اياه فما كان من أبى بكر رضى الله عنه الا أن تقايا ما شرب من لبن عملا بقول رسول الله ﷺ « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » رواه الطبرانى •

الهدية والرشوة

وأما الرشوة فهى : ما تدفع من مال وغيره للحاكم أو للرئيس بنية التوصل الى ابطال حق أو تحقيق باطل .

والفرق بينها وبين الهدية النية والقصد .

فالقصد من الهدية استجلاب المودة والمحبة ونزع ما فى النفوس من حقد وحسد وضغينة وغرس التعاون بين الأفراد والجماعات لاصلاح الحال وتوكيد الروابط .

أما الرشوة فالقصد منها : التوصل الى ابطال حق أو احقاق باطل وبذلك تنطبق اللعنة على من فعل هذا .

كما ورد عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش » .

ولقد انتشرت الرشوة فى عصرنا هذا ولم تفد القوانين الوضعية فى منعها وتحريمها وعدم التعامل بها .

فيا أولياء الأمور ينبغى أن تعالجوا هذا المرض الخطير الذى سرى فى الأمة حتى كاد يفتك بها وبروحها وأخلاقها ودينها .

واستمعوا الى ما رواه أبو هريرة — رضى الله عنه — عن رسول الله ﷺ حيث يقول : « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وأن لكل ملك حمى ألا وان حمى الله فى أرضه محارمه ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب متفق عليه .

اللهم بصرنا بأمور ديننا ودنيانا وارزقنا رزقا حلالا طيبا مباركا فيه : وابعد عنا السحت والحرام والشبهات آمين.

محمد محمود شعبان

إفتراءات المستشرقين

على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

للدكتور أحمد عبد الحميد غراب

منذ عدة سنوات نشرت مجلة أرابيا ARABIA التى تصدر بالانجليزية فى لندن (عدد أكتوبر ١٩٨١) مقالا عن المستشرق البريطانى مونتجمرى وات بعنوان : «المسيحى ذو التعاطف غير العادى مع الاسلام » .

والمقال بقلم « ماليزروثفن » ، وهو كاتب ايرلندى يعمل بنشاط فى ميدان الغزو الفكرى ضد المسلمين ، عن طريق الكتابة فى عدة صحف ومجلات انجليزية .

وقد تعرضت لهذا المقال — فور نشره — بالدراسة النقدية المتصلة ، وذلك فى محاضراتى عن « المستشرقين والاسلام » لطلاب التخصص فى الدراسات الاسلامية بكلية الآداب جامعة بايرو — نيجيريا .

ورأيت اليوم أنه من الخير أن أنشر هذا البحث الموجز عن موضوع ذلك المقال ، حتى لا ينخدع جمهور القراء المسلمين عن حقيقة الاستشراق والمستشرقين .

يبدأ المقال بأن يصف المستشرق بأنه قسيس يجمع بين الالتزام بالمسيحية ، والصلة الوثيقة بالمسلمين ، والاتصاف بالموضوعية العلمية فى دراسته للاسلام . ويحاول المقال أن يظهر المستشرق على أنه « استثناء مشرف » من القاعدة العامة وهى تعصب المستشرقين ضد الاسلام .

وكان هذا المستشرق يعمل أستاذا ورئيسا لقسم الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة أدنبرة لمدة خمسة عشر عاما حتى استيداعه سنة ١٩٧٩ . وقد قام خلال هذه الفترة بتدريس الاسلام ، دينا وتاريخا ، لعدة أجيال من الطلبة ، وكثير منهم مسلمون (عرب وباكستانيون) .

ويدعى المقال أن من بين تلاميذه « شيخ

أزهر » (سابق) . من هو ؟ الا يذكر المقال أي اسم .

ومن الواضح أن الهدف هو التهويل من شأن المستشرق « العلامة » وأستاذيته حتى لأساتذة المسلمين ! .

ويزعم المقال أن نتائج جهود هذا المستشرق — التى لم يسبق اليها — فى دراسته لمناطق مجهولة (من التاريخ الاسلامى والسيرة) قد أصبحت لا يستغنى عنها ، فلا يستطيع أحد يريد أن يفهم التاريخ الاسلامى والدور الذى تلعبه الأفكار الدينية فى خلق البناء الاجتماعى أو تعديله أن يستغنى عن مؤلفاته .

ويذكر المقال من بين المؤلفات التى كتبها المستشرق لجمهور القراء كتابا بعنوان :

محمد — صلى الله عليه وسلم — الرسول والسياسى .

MUHAMMAD PROPHET AND STATFSMAN

واذا رجعنا الى هذا الكتاب فسيتضح لنا أن وصف المستشرق فى هذا المقال بالموضوعية العلمية ، وبالتعاطف « غير العادى » مع الاسلام — انما هو خداع متعمد للمسلمين ، قصد به اخفاء حقيقة الاستشراق وأهدافه بوجه عام ، وايهام المسلمين أن « بعض » المستشرقين — على الأقل — قد بدأوا يغيرون موقفهم ، ويشعرون بالتعاطف مع الاسلام . والحقيقة أنهم فى تعصبهم « ملة واحدة » ، وان اختلفت وسائل ودرجات هذا التعصب .

وللتدليل على هذه الحقيقة يكفى أن نقرأ من الكتاب المذكور الفصل الأخير بعنوان : « تقييم » ط. جامعة أكسفورد ١٩٦٤ ص ٢٢٩ — ٢٤٠) فنجد أن المستشرق «المتعاطف» يسأل هذا السؤال :

كيف نحكم على محمد — صلى الله عليه وسلم — ؟ أبمقاييس عصره وبلده ؟ أم بأكثر الأفكار استنارة فى الغرب اليوم؟

وفى جوابه على هذا السؤال يقرر أن أعمال محمد — صلى الله عليه وسلم — التى لا يقبلها الغرب الحديث لم تكن موضع نقد خلقى من معاصريه . فمن وجهة نظر عصره لا يمكن تأييد اتهامه بـ « الغدر » أو بـ « الشهوانية » ، لأن معاصريه لم يجدوا فيه مطعنا أخلاقيا من أى وجه .

ويشير المستشرق بـ « الغدر » الى سرية عبد الله بن جحش رضى الله عنه فى رجب من السنة الثانية للهجرة . وأن قتال المسلمين للمشركين فيها كان انتهاكا للشهر الحرام (أى غدرا) .

وقد كفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم الرد على ما أثير بسبب هذه السرية وذلك فى قوله تعالى : « **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** » (البقرة ٢ : ٢١٧) .

ومن الواضح ان اضطهاد المشركين للمسلمين

واخراجهم من ديارهم ومن المسجد الحرام وصدهم عن سبيل الله ومحاولاتهم ردة المسلمين عن دينهم — كل أولئك شر من القتال فى الشهر الحرام ، لأنه فتنة « والفتنة أكبر من القتل » .

ويشير المستشرق بـ « الغدر » كذلك الى مصير بنى قريظة ، (١) وما نالهم من عقاب رادع جزاء وفاقا لنقضهم العهد ، وائتمارهم مع الكفار أثناء غزوة الاحزاب للغدر بالرسول والمسلمين وهم محاصرون بالمدينة فى موقف من أشد المواقف هولا على المؤمنين كما قال تعالى : **إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا** » (الأحزاب ٣٣ : ١٠ — ١١) .

ويشير بـ « الشهوانية » الى زواجه صلى الله عليه وسلم — بالسيدة زينب بنت جحش (٢) رضى الله عنها مع أنه يعترف بأن هذا الزواج قصد به التشريع لتحريم التبنى الذى كان سائدا فى الجاهلية ، كما قال تعالى : « **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا** » (الأحزاب ٣٣ : ٣٧) .

ويقرر المستشرق أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — فى عصره وجيله — يعد مصلحا اجتماعيا ، وذلك لأنه وضع نظاما جديدا للضمان الاجتماعى (أى الزكاة) وأقام بناء جديدا للأسرة ، وكلاهما كان تقدما كبيرا عما كان عليه العرب قبل الاسلام .

بل يعد محمد — صلى الله عليه وسلم — بمقاييس عصره كذلك — مصلحا أخلاقيا ، وذلك لأنه — كما يزعم المستشرق — أخذ أفضل مافى أخلاق البدو وتبناها للمجتمعات المستقرة ، وبذلك وضع اطارا دينيا واجتماعيا لحياة كثير من الناس من أجناس مختلفة .

وينتهى المستشرق الى أن يصف الرسول — صلى الله عليه وسلم — بأنه مصلح اجتماعى وأخلاقى ، ولكن بمقاييس عصره وبيئته فقط ، أى بمقاييس العرب الوثنيين والبدو قبل الاسلام ، أى أنه مصلح اجتماعى

---

(١) للتفاصيل راجع د . محمد سعيد رمضان البوطى : فقه السيرة ط . ثامنة بيروت ١٤٠٠ / ١٩٨٠ ص ٣٠٤ وما بعدها .

(٢) ان الرد بالتفصيل على الاتهام بـ « الشهوانية » .. (وهو الاتهام الذى يردده المستشرقون) يخرج عن نطاق موضوعنا ويكفى أن نتساءل : كيف يكون « شهوانيا » من اقتصر على زوجة واحدة اكبر منه سنا وذلك طيلة شبابه حتى بلغ الكهولة ؟ ثم لم يكن كل زواج له بعد ذلك الا وسيلة لنشر الاسلام وتطبيق تشريعاته ؟ وكيف يكون « شهوانيا » من أصبح فى المدينة سيد الجزيرة ومكن الله له فى الارض ومع ذلك رفض حياة الترف وآثر حياة الزهد وما عند الله على ما عند الناس .. ثم امر بتخيير زوجاته بين الرضى بحياته هذه او الطلاق؟ كيف يكون هذا الانسان العظيم والرسول الكريم « شهوانيا » ؟ وراجع د . محمد حسين هيكل : حياة محمد ﷺ الفصل ١٧ وسعيد حوى : الرسول صلى الله عليه وسلم ثانية بيروت ١٣٩١ـ١٩٧١ ص ١٥٦ — ١٧٤

افتراءات المستشرقين

فى اطار هذا التحديد ، وليس رسولا من عند الله .

ويتعرض لموقف المسلمين من رسولهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأنهم يرونه مثلا أعلى فى السلوك الأخلاقى لكل البشر (أى فى كل زمان ومكان) . ولكن المستشرق يرى أن كل ما قاله المسلمون عن رسولهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا الشأن لم يقنع الا قليلا من غير المسلمين ، وأن المسلمين لن ينجحوا فى اقناع المجتمع الدولى والغرب المسيحى « المستنير » بأن رسولهم مثل أعلى فى المجال الأخلاقى .

والمستشرق يتجاهل أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ولا يزال الأسوة الحسنة للملايين من المسلمين طوال أربعة عشر قرنا على مر الزمان فى عصور وبيئات مختلفة .وأنه كان ولا يزال مثلا أعلى فى السلوك الاخلاقى لمستويات متنوعة من البشر : من العامة والخاصة ، والعلماء والفلاسفة ، والمجاهدين والدعاة من كل الأجناس . وتكفيه شهادة ربه :

« وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » (القلم ٦٨ : ٤) .

وفى رأى المستشرق أن الصفات الشخصية التى أعانت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على نشر الاسلام هى ثلاث صفات رئيسية :

١ ـ موهبته كعراف SEER : أى مقدرته على استبصار الأسباب الرئيسية للتخلف الاجتماعى فى عصره ، وعبقريته فى التعبير عن هذا الاستبصار بصورة تثير السامع من أعماق كيانه . وهو يشير بهذا الى القرآن الكريم ، ويرى أن القارىء الأوربى ينفر منه ، ومع ذلك فهو كتاب يناسب حاجات وظروف عصره (فقط !) .

ومن الواضح أن المستشرق ينكر أن القرآن وحى من عند الله . وسنعرض لهذا الانكار فيما بعد .

٢ ـ حكمته كسياسى : يقرر أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ذا نظر بعيد كمخطط وكمصلح اجتماعى . وهذا يتضح من التوسع السريع لدولته فى المدينة ، حتى أصبحت ـ بعد زمن قصير ـ « امبراطورية » عالمية . ويتضح كذلك من تكييف مؤسساته الاجتماعية (أى مؤسسات الاسلام) للتطبيق فى بيئات كثيرة متنوعة ، واستمرار هذا التطبيق حتى الآن .

٣ ـ مهارته فى الادارة : وتتجلى هذه المهارة فى اختياره للرجال الذين تعهد اليهم الأعمال الادارية اليومية ، وذلك لأن المؤسسات السليمة والسياسة الحكيمة لا تؤثران كثيرا اذا كان التنفيذ خاطئا أو ضعيفا . وقد خلف محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ دولة ذات ادارة قوية .

ثم يتساءل المستشرق « المتعاطف » : هل كان محمد نبيا ؟ .

وكما أصدر حكمه من الناحية التاريخية فهو الآن يحاول أن يصدر حكما آخر من الناحية العقائدية أو الدينية .

فى اجابته على هذا السؤال يزعم المستشرق أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم كان يتمتع

بما يسميه « الخيال المبدع »

CREATIVE IMAGINATION

وهو فى هذه الخاصة يشارك غيره من الفنانين والشعراء والكتاب ذوى الخيال المبدع ، فكل هؤلاء يعبرون بالصيغ الحسية (أى بالصور والقصائد والتمثيليات والروايات) كما يشعر به كثير من الناس ، ولكنهم لا يستطيعون التعبير عنه بأنفسهم ، ومن ثم فان الانتاج العظيم للخيال المبدع يتميز بنوع من « العالمية » ، لأنه يعبر عن مشاعر ومواقف جيل كامل من الناس .

ويرى المستشرق أن الأنبياء والزعماء الدينيين ذوى النبوءات (؟) يشتركون مع الفنانين والشعراء والكتاب فى خاصية الخيال المبدع ، ومن ثم يعلنون أفكارا تتصل بأعمق التجارب الانسانية وأكثرها تركيزا ، مع الاهتمام الخاص بحاجات العصر والجيل .

وعلامة النبى العظيم — فى رأيه — هى ما تحدثه « أفكاره » من جاذبية عميقة (أى تأثير عميق) عندأولئك الذين وجهت اليهم هذه الأفكار .

ويتساءل المستشرق : من أين تأتى هذه الأفكار ؟ .

ويشير الى رأى من يقولون بأنها تأتى من اللا وعى ، والى رأى من يقولون بأنها تأتى من الله (وهؤلاء هم المؤمنون بأديان الوحى). ويرى هو أنها ربما تأتى من تلك الحياة داخل الانسان التى هى أكبر منه ، وهى غالبا تحت مستوى الوعى ، ولها صلة بالله .

ويقرر المستشرق انه ليس هناك بالضرورة ما يحتم أن تكون كل أفكار الخيال المبدع صادقة وصحيحة . ويتساءل : ما القول فى تلك الأفكار التى ينتجها الخيال المبدع وهى كاذبة أو غير صحيحة ؟ .

وهنا يعرض المستشرق للمقارنة ، فيذكر أن الخيال المبدع عند هتلر كان على درجة كبيرة من التطور ، كما كان لأفكاره تأثير واسع (على الجماهير) ، ولكنه يعتقد أنه كان مصابا بالعصاب (الاضطراب العصبى) ، وأن الالمان الذين اتبعوه الى درجة التعبد قد أصابتهم عدوى ذلك العصاب .

ومن الواضح أن المستشرق يحاول هنا — فى خبث — أن يقارن الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — وما أوحى اليه من الذكر الحكيم بهتلر وما عرف عنه من هستيريا كانت تؤثر فى الجماهير .

فأى « تعاطف » هذا ؟ بل أى أمانة ؟ وأى انصاف ؟.

ويزعم المستشرق أن « أفكار » محمد — صلى الله عليه وسلم — التى أنتجها « خياله المبدع » كانت — الى حد كبير — حقيقية وصحيحة . ولكن هذا لا يعنى — فى زعمه — أن كل ما فى القرآن صحيح ، فبعض « الأفكار » القرآنية حقيقية وصحيحة ، وبعضها الآخر ليست كذلك (؟!) .

وهناك نقطة تبدو فيها « الأفكار » القرآنية — فى زعم المستشرق — غير حقيقية وغير صحيحة ، وهى الفكرة القائلة بأن الوحى (أى ما يسميه هو انتاج « الخيال المبدع ») هو أسمى وأوثق من الطرق الانسانية العادية

كمصدر للحقيقة التاريخية . وهنا يشير الى عدة آيات قرآنية تؤكد أن الله يوحى الى رسوله بأنباء الغيب كقوله تعالى :

« تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا » هود (١١ : ٤٩) .

ويقول انه يقبل أن « الخيال المبدع » يمكن أن يقدم تفسيرا جديدا وأكثر صدقا للأحداث التاريخية ، ولكنه لا يقبل أن يكون « الخيال المبدع » مصدرا للحقيقة التاريخية المجردة (أى مصدرا للانباء بالغيب من حقائق التاريخ ! ويزعم أن هذا مبالغة وكذب (!!) .

وهذه النقطة ــ كما يؤكد المستشرق ــ ذات أهمية خاصة بالنسبة للمسيحيين ، وذلك لأن القرآن ينكر قتل عيسى عليه السلام أو صلبه ، ويعتقد المسلمون أن هذا الانكار أهم من الشواهد التاريخية التى تقول بصلب المسيح .

(الواقع أنه ليس هناك « شواهد تاريخية » موثوق بها عن صلب المسيح . والروايات التى وردت فى الأناجيل الأربعة عن قصة الصلب تتضارب تضاربا شديدا ، حتى ليعجب الانسان كيف تختلف هذه الأناجيل فى أصل هام من أصول ديانتهم ، ولو صح أنه أصل لكان اهتمامها به متساويا أو متقاربا .

وقد أورد بعض الباحثين أربعة وثلاثين وجها من التضاد بين نصوص الأناجيل حول موضوع الصلب (١) . ولا شك أن هذا يسقط قيمة الاستدلال بهذه النصوص . ويؤكد أن انكار القرآن لما زعمه اليهود من قتله أو صلبه هو حق لا شك فيه) .

ويزعم المستشرق أن هدف القرآن من هذا الانكار هو أن ينفى ادعاء اليهود قتله أو صلبه ، ليجردهم مما يرونه انتصارا لهم . وهذا زعم واضح البطلان .

فقد كرر القرآن الكريم وصم اليهود بأنهم كانوا يقتلون أنبياءهم بغير حق . فلماذا يستثنى المسيح من بين هؤلاء الأنبياء ؟ مع أن قتله أو صلبه ــ لو كان أيهما قد حدث ــ يعد بلا شك وصمة عار تضاف الى سجل اليهود المخضب بدماء الأنبياء والآمرين بالقسط من الناس .

ويزعم المستشرق كذلك أن المبالغة فى دور الوحى قد أدت الى نتائج أخرى ، ومنها المبالغة فى اسهام العرب فى الثقافة الاسلامية على حساب الأجناس الأخرى المتحضرة التى اعتنقت الاسلام فى مصر وسوريا والعراق وايران .

---

(١) قارن مثلا : مرقص ١٥ : ٤٠ ــ ٤١ ، متى ٢٧ : ٥٥ ــ ٥٦ (وايضا ٥١ ــ ٥٣) . لوقا ٢٣ : ٤٤ ــ ٥٠ ، يوحنا ١٩ : ٢٥ ــ ٢٩ . وراجع د . أحمد شلبى : المسيحية : (ط . ثانية القاهرة) ص ١٢٣ . والاستاذ عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء ص ٤٢٣ ــ ٤٤٨ .

وأخيرا يتساءل المستشرق مرة أخرى : هل كان محمد نبيا ؟

ويجيب بأنه كان رجلا نشط عنده « الخيال المبدع » على مستويات عميقة ، وأنتج « أفكارا » ذات صلة بالمسائل الرئيسية فى الوجود الانسانى ، ومن ثم كان له تأثير واسع ، ليس فقط فى عصره ، بل وكذلك فى العصور التالية .

ويمضى المستشرق فيقرر أنه بالرغم من أنه لم تكن كل « الأفكار » التى أتى بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - حقيقية وصحيحة - فقد استطاع أن يقدم للملايين من الناس دينا أفضل مما كانوا عليه قبل أن يصبحوا مسلمين .

ومما سبق يتضح أن المستشرق ينكر - (كما ينكر جميع المستشرقين) أن القرآن وحى من عند الله .

وفى مواضع أخرى من كتابه (١) يتخذ هذا الانكار الصورة المتفق عليها بين جميع المستشرقين ، وهى أن القرآن يعتمد كثيرا على الأخذ من العهدين القديم والجديد (أى ما يشمل التوراة والانجيل) .

وليس هنا مقام الرد بالتفصيل على هذا الزعم . ويكفى لتفنيده أن القرآن الكريم قد أتى بالعقائد والأصول العامة التى أتت بها كل رسالات التوحيد الموحى بها من قبله ، كما قال تعالى :

« مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ » (المائدة ٥ : ٤٨) .

ولكن الكتاب العزيز يختلف عن الكتب السابقة من عدة أوجه من أهمها :

١ - أن الكتب السابقة أنزلت على رسل بعثوا لأقوامهم خاصة ، بينما أنزل القرآن للناس كافة .

٢ - أن الكتب السابقة (وبخاصة التوراة والانجيل) قد حرفت تحريفا خطيرا ، بينما حفظ الله تعالى كتابه من كل تحريف .

وهذا الوجه الثانى فى غاية الأهمية بالنسبة لموضوعنا ، فقد أكد القرآن الكريم ، تحريف أهل الكتاب للتوراة والانجيل ، وذلك فى آيات عديدة ، منها على سبيل المثال قوله تعالى :

« فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ » (البقرة ٢ : ٧٩) .

« مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ » (النساء ٤ : ٤٦) .

« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (آل عمران ٣ : ٧١) .

وكذلك نعى القرآن الكريم على أهل الكتاب

---

(١) راجع ما كتبه تحت عنوان : « تأثير اليهودية والمسيحية » (فى القرآن) ص ٣٩ - ٤٦ وكذلك ص ١٥ ، ١١٢ .

انحرافهم عن عقيدة التوحيد الى عقائد باطلة ، كعقيدة التشبيه عند اليهود ، وعقيدة التثليث عند النصارى .

كما نعى عليهم ما ترتب على انحرافهم فى العقيدة من انحرافهم فى العبادة والتشريع والأخلاق ، وذلك لأنهم « **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَٰهاً وَاحِداً** » (التوبة ٩ : ٣١) ، وأحلوا ما حرم الله من الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، واتصف اليهود خاصة بنقض العهد وقسوة القلوب وقتل الأنبياء بغير حق .

فكيف يعقل — بعد هذا كله — أن يأخذ القرآن الكريم عن تلك الكتب التى أعلن تحريفها ؟ وعن أولئك الذين حرفوها ؟ .

وتحريف التوراة والانجيل ، وخلو القرآن من التحريف ، حقيقة لا يؤكدها القرآن فحسب بل يؤكدها كذلك العلماء الباحثون فى الأديان حتى من غير المسلمين ، وقد أسلم بعض هؤلاء بعد اهتدائهم لهذه الحقيقة . وقد بين العالم الفرنسى موريس بوكاى (١) بكل وضوح الأخطاء العلمية العديدة التى وردت فى التوراة والانجيل نتيجة تحريفهما ، وكذلك بين بكل وضوح خلو القرآن الكريم من هذه الأخطاء واشتماله على كل ما أثبت العلم الحديث صحته بعد مرور أربعة عشر قرنا على نزوله على رجل أمى لم يقرأ كتابا ، ولم يدرس علوما ولم يدخل جامعة .

فكيف يقبل عقلا أن ينقل القرآن كثيرا من تلك الكتب « كما يزعم المستشرقون » ثم لا ينقل عنها ولو خطأ واحدا ؟ ولايأتى الا بالحق الذى لاشك فيه ؟

أليس هذا وحده دليلا على أنه وحى من الله وانه «**لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**» (فصلت ٤١ : ٤٢) .

ونعود الى المقال فنجده يذكر أن المستشرق البريطانى قام كذلك بدراسة (مقارنة) عن فلسفة الدين ، وأنه مدين فى هذه الدراسة — وبخاصة فى تحليله لوظيفة الدين — لعلماء الاجتماع الدينى وبخاصة ماكس فيبر (١٨٦٤ — ١٩٢٠)واميل دور كايم (١٨٥٨ — ١٩١٧) وكلاهما ملحد منكر لوجود الله ولحقيقة الوحى والنبوات ، ومع ذلك لايعتبرهما المستشرق من أعداء الدين !

ومن المعروف عن« اميل دوركايم » بوجه خاص أنه لا ينكر وجود الله وحقيقة النبوات فحسب ، بل ينكر كذلك ثبات المبادىء الاخلاقية والاجتماعية ، ولا يرى فى الدين (أى دين) الا أنه ظاهرة اجتماعية بشرية لا علاقة لها بوحى السماء ، لأنها من آثار « العقل الجمعى » التى تفرض وجودها على الأفراد ، بل وتلغى

---

(١) فى كتابه : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة : الترجمة العربية ط . رابعة دار المعارف القاهرة ١٩٧٧ ص ١٧ — ٢٢ ، ٣٩ — ١٣١ ، ١٣٥ — ٢٥٤ .

شخصية الفرد ووعيه وارادته الغاء كامـــلا والفرد الممتاز ــ نبيا كان أم مصلحا ــ ما هو الا معبر عـن الاتجاهـات الاجتمـاعية لهذا « العقل الجمعى » •

ويذكر المقال أيضا أن المستشرق البريطانى قـد أثرى دراسـة السـيرة بالمعلـومات الاقتصادية والاجتماعية ، ولهذا السبب فقـد أثنى عليه المستشرق الفرنسى مكسيم رودنسون وهو يهودى ماركسى ألف هو الآخـر كتـابا عن محمد ﷺ ترجم ونشر بالانجليزية (ط • رابعة سلسلة بنجوين لندن ١٩٨٣) وهـو مشحون بالافتراءات الحاقدة على الرسـول الكريم ﷺ ورسالته وشخصيته • ومعظم هذه الافتراءات مستمدة من التفسير المادى للتاريخ عند « كارل ماركس » من ناحية ، ومن التحليل النفسى (الجنسى) للانسان عند « سيجموند فرويد » من ناحية أخرى • وكلهـا افتراءات ساقطة مبتذلة ، نعف عن مجرد ذكرها فضـلا عن الرد عليها •

وبعد ، فرسولنا الكريم ﷺ قد عصمه الله من الناس ، وهو الصادق المصدوق ، بشهادة ربه ، وشهادة التاريخ ، وشهادة الملايين الذين آمنوا به وصدقوه فى مشارق الأرض ومغاربها فلا يحتاج الى شهادة مستشرق مـوتور ، ولاتنال منه أكاذيب حاقد مغرور •

وانما أردنا أن نبين للمخدوعين من المسلمين أن المستشرقين ليس بينهم منصف ، فضلا عن « متعاطف » •

فهم جميعا ــ وبـلا اسـتثناء ــ ينكرون الوحى ، ويكذبون الرسول ﷺ ويطعنون فى سيرته وسنته وشخصيته •

وهم يسلكون الى ذلك مسـالك مختلفـة ، ويتخذون أساليب متعددة ، ولكنها جميعـا تنبعث عن حقد دفين على محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى النور الذى أنزل معه :

« يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » (الصف ٦١ : ٨)

د • أحمد عبد الحميد غراب

جعفر الصادق

وماذا يقول علماء الغرب عن ريادته الفكرية والعلمية

ان اضاءة التاريخ الاسلامى ، والكشف عن أصول حضارة الاسلام ، وتجلية الفكر العلمى والروحى والتقدمى لأئمة الاسلام ، ودراسة حياة أعلام المسلمين دراسة منهجية قائمة على حقائق التاريخ ، لهو فرض على كل قادر عليه ، مستطيع له ، وواجب محتوم على العلماء والمفكرين المسلمين .

فتقديم الاسلام فى صورته الحضارية واجب الجيل نحو أجيال الشباب المسلم ، الذى بعدت حياته عن مصادر الفكر الاسلامى وفى تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى ، وحياة أئمة الاسلام الكثير من المفاخر التى يقف الانسان أمامها مذهولا .

واذا كان علماء الاستشراق فى أوربا قد عنوا عناية كبيرة بالكشف عن أصول حضارة الاسلام ، فما أجدرنا — نحن العلماء من أبناء المسلمين — بأن نجرد القلم للاسهام فى هذا الواجب المحتوم بحظ من الحظوظ ، على قدر ما نستطيع .

والغرب الذى قد طالما أفاد من علوم الشرق وحضارته ، وانتفع بها ، والذى تعد مدنيته مدينة للمدنية الاسلامية منذ عهد طويل بديون كثيرة لا يفوت علماؤه أن يبينوا كيف عملت الحضارة الاسلامية أعمالا جادة من أجل التقاء الحضارات ، وامتزاج الثقافات والافادة من كل ما وصلت اليه الانسانية فى تاريخها الطويل من أجل رفاهية الانسان ، واستمرار التقدم ، ومن أجل التعرف الى مقومات التقدم والنهضة والمعرفة ، والحصول عليها ، وبلوغ الغاية فى سبيل ذلك كله .

فليس اذن أمام الجامعات العربية الا أن تسير فى الطريق ، وتؤدى ما عليها نحو العلم نفسه ونحو الاجيال القادمة التى تريد أن تعرف كل حقائق التاريخ ودروسه ومعجزاته ومنجزاته خلال العصور السالفة .

وأمامنا الآن جامعة استراسبورغ الفرنسية التى قامت بعمل جليل من أجل خدمة الدراسات الاسلامية والشرقية . فها هى ذى تخرج بين

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

الحين والحين ومنذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادى حتى اليوم العديد من البحوث القيمة التى تتميز بالعمق والموضوعية حول الشئون الاسلامية والشرقية .

ومن أجل هذه البحوث التى قامت بها الدراسات الأكاديمية التى ألقيت فى الدورة العلمية المعقودة فى شهر مايو سنة ١٩٦٨ ، عن التاريخ العلمى والحضارى للامامية ، وحياة الامام جعفر الصادق وفكره ، ولقد شارك فى هذه الدورة أكثر من عشرين عالما من أعلام المستشرقين والعلماء فى الجامعات الاوربية وشاركهم علماء متخصصون من جامعات لبنان وايران .

وقد نشرت هذه البحوث الاكاديمية دار المطبوعات الجامعية الفرنسية فى باريس عام ١٩٧٠ .

وقام بنقلها الى اللغة الفارسية بتصرف ذبيح الله منصورى .

ثم قام بنقلها من الفارسية الى العربية أستاذ كبير متخصص فى الدراسات الشرقية والاسلامية وفى تاريخ الشرق الأوسط وحضاراته ، وهو الدكتور نور الدين آل على وراجع هذه الترجمة علم من أعلام الترجمة فى عالمنا العربى هو الأستاذ وديع فلسطين .

ثم نشرها على نفقته الحاج العالم محمد قبازرد . وكان لى شرف تقديم هذه الدراسات الى قراء العربية ، والى الباحثين والمتخصصين فى كل مكان من الشرق أو الغرب على السواء .

— ٢ —

والامام الصادق جدير بعناية الباحثين والدارسين ، فهو عبقرية اسلامية كبيرة ، وهو امام من أئمة الاسلام العظام .

وان القارىء لهذه الفصول ليقف أمام صفحاتها المضيئة مذهولا حقا ، ولسوف يجد نفسه أمام عظمة هذه الروح العلمية ، التى انعكس ضوؤها على هذه الدراسات ، فكان من وراء ذلك عالم فسيح كشف عنه هؤلاء العلماء وبدا فى صدر هذه الصور الرفيعة صورة الامام جعفر الصادق ، مشرقة شامخة بفكره الرفيع وبشخصيته الجليلة المهيبة ، وبحكمته الصادقة وتجاربه الواسعة فى فهم الحياة والناس .

وتجلت عظمة هذه الشخصية فى عظمة هذه البحوث ، فكان من وراء ذلك كله حقيقة رائعة لم نكن نعرف عنها شيئا ، حقيقة هذا العقل العظيم الذى بنى للانسانية وللانسان أروع ما يمكن أن يبنيه من أصول حضارة الدنيا ورفاهيتها .

واذا ذكرنا الامام الصادق ، ذكرنا أرفع منقبة ، وأجل مأثرة ، وأعظم شخصية من الشخصيات الرائدة فى تاريخ الفكر الاسلامى

جعفر الصادق

والحضارة الاسلامية ، وفى نشأة المذاهب الفقهية التشريعية لأئمة علماء المسلمين .

وحدث عن الامام الصادق ولا حرج ، حدث عن سليل بيت النبوة ، ووارث فضائلها ومناقبها ، ومفاخرها وعلومها وحكمتها .

حدث عنه فى ورعه وزهده وفى دينه وتقواه وفى علمه وفقهه ، وفى عراكه للأحداث ونضاله للخطوب وفى مجابهته الظلم ومقاومته للطغيان وفى خبرته بالحياة ، ومعرفته العميقة بالزمان وناسه ، وفى حبه للسلام ، وكراهيته لاراقة الدماء ، بل فى كل محمدة من المحامد يذكر بها الناس ويعرف بها عظماء التاريخ .

جعفر الصادق .

ابن الامام محمد الباقر .

ابن السجاد زين العابدين على بن الحسين

ابن امام الشهداء الحسين .

ابن الامام على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه .

سلسلة رفيعة من النسب النبوى الشريف ، وما أجل وأكرم ، وما أرفع وأعظم هذه السلسلة الذهبية النبيلة من سلاسل النسب فى تاريخ الاسلام والمسلمين . أنذكر جده الأعلى رسول الله ، وخاتم النبيين ، محمد صلى الله عليه وعلى آله أجمعين .

أم نذكر الامام الأكبر ، ابن عم رسول الله صلوات الله عليه ، على بن أبى طالب .

أم نذكر جده زين العابدين ، على بن الحسين « ٣٨ — ٩٤ هـ » الذى كان أعلام المسلمين يقولون عنه : انه سيد الناس .

والذى كان الامام ابن شهاب الزهرى (١٢٤ هـ) يقول فيه : « ما رأيت أفقه من زين العابدين » .

ويقول عنه كذلك : ما رأيت قرشيا أفضل منه .

ويقول عنه أيضا : ما رأيت هاشميا أفضل من على بن الحسين ولا أفقه منه .

والذى قال عنه الامام الشافعى : هو أفقه أهل المدينة .

أم نذكر أباه الجليل ، الامام محمد الباقر (٥٧ — ١١٤ هـ) ، الذى قال عنه الامام التابعى الجليل ، الحسن البصرى (١١٠ هـ) ذلك الذى يشبه كلامه كلام الانبياء » .

أم نذكر جدته الكبرى سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء ، بنت رسول الله وزوج الامام على ، والتى قال فيها شاعر الاسلام ، محمد اقبال :

هى بنت من ؟
هى زوج من ؟
هى أم من ؟
من ذا يدانى فى الفخار أباها ؟

أرفع نسب ، أنبل وراثة ، أكرم بيت ، أشرف أبوة وأمومة ، اعظم عشيرة ونجار فى الاسلام .

على أن أم الصادق أيضا هى بنت القاسم ابن محمد بن أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه .

وماذا نقول فى الامام الصادق جعفر ، وقد قال عنه الامام مالك رضى الله عنه (١٧٩ هـ): « ما رأت عين ، ولا سمعت اذن ، ولاخطر

على قلب بشر ، أفضل من جعفر الصادق فضلا وعلما ، وعبادة وورعا » .

وماذا نقول عن الصادق ؟ الذى تتلمذ عليه الامام أبو حنيفة (١٥٠ هـ) وعلى أبى حنيفة تتلمذ مالك (١٧٩ هـ) ، وعلى مالك تتلمذ الشافعى (٢٠٤ هـ) ، وعلى الشافعى تتلمذ الامام أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ). وبذلك يكون الصادق امام الفقهاء وأستاذهم بلا استثناء .

كما تتلمذ على الصادق كذلك أربعة آلاف من الرواة ، وكتب عنه أربعمائة كاتب وحسبك من تلامذته أبو حنيفة ، ومالك ، وسفيان بن عيينة ، وسواهم .

وكان الامام الصادق يجيد عدة لغات من بينها الفارسية لغة (جدته شهريانو بنت كسرى يزدجرد بن شهريار) التى تزوجها الحسين بن على ، رضى الله عنه ، فكان له منها ابنه زين العابدين .

كما كان الصادق كذلك يجيد السريانية والنبطية .

ولقد كانت معارف الامام الصادق واسعة فى : الطب والكيمياء وعلوم الهيئة والنجوم وعلوم الفيزياء والفلسفة والجغرافيا .

وقد سمع عن كتاب «المجسطى» لبطليموس فى درس والده ، كما سمع نظرية بطليموس عن (كروية الأرض) ، وخطأ بطليموس فى رأيه بوجود حركتين للشمس .

وقد درس الامام الصادق علوم الطب لتلاميذه فى مدرسته ، التى كانت أول مدرسة فى الاسلام . كما فند الصادق أيضا القول بالعناصر الأربعة ، وكان أول من اهتدى الى (الاكسجين) . وكانت له نظريات حول (أشعة النجوم) ، وحول الزمان والمكان ، وحول الضوء ، وحول نشأة الكون ، وحول حقائق كثيرة فى الفكر والدين والحضارة والحكمة والفلسفة والطبيعة والبيئة والتاريخ وغيرها مما سبق فى كثير منه علماء الغرب المعاصرين .

وكان شعار مدرسة الصادق حرية الرأى والفكر ، وقد دونت العلوم فى عصره الذى كان عصر انبعاث لحركة التجديد فى تاريخ العالم الاسلامى . وكان الصادق ينهى عن المغالاة فى العقيدة وعن الخلاف ، وعن العزلة .

بل ان الصادق كذلك هو مؤسس العلوم العرفانية والروحية فى الاسلام ، وكان أول من دعا الى (المذهب التجريبى) ، وأخذه عنه تلميذه (جابر بن حيان) أول كيميائى فى المسلمين . والصادق أيضا أول من رصد جائزة أدبية فى تاريخ العرب .

وكان أديبا بليغا ، وأدبه وحكمته جديران بالدراسة والبحث .

هذا هو الامام الصادق ، كما يراه المستشرقون وعلماء الغرب ، وهذا هو البحث الأكاديمى الرائع الذى يعد من أعمق البحوث العلمية الجامعية فى السنوات الأخيرة .

— ٣ —

وشخصية الامام الصادق شخصية جليلة متميزة من بين الشخصيات الاسلامية الكبيرة

جعفر الصادق

فى القرن الثانى الهجرى ، قرن تأسيس الحضارة الاسلامية الزاهية .

ولقد عاش الصادق فى عصر الطغيان السياسى الكبير ، الذى سادت فيه دولة بنى أمية ، وتبعتها دولة بنى العباس ، حيث أسرفوا جميعا فى اضطهاد آل البيت وتعقبهم بالقتل والتشريد والحبس والنفى والمصادرة ، خوفا من نفوذهم الروحى الشعبى الكبير ومن وثوبهم الى الخلافة وطلبهم لها .

وكان الصادق عميق الفهم لعصره ومجتمعه وللناس من حوله ، فاستطاع أن يحفظ على نفسه حياته ، وان يبقى عليها حتى لايراق دمه بيد الأمويين أو العباسيين من بعدهم .

وكان يكره السياسة والتطلع الى مافى أيدى الحاكمين ، يرى الغنم والسلامة فى البعد عن ذلك كله . وحاول الخلفاء — أمويين وعباسيين — أن يجروه الى أرض المعركة للقضاء عليه وسفك دمه ، فما استطاعوا الى ذلك سبيلا . ولم يستطيعوا كذلك الامساك بأى خيط يدل على تطلعه الى الخلافة ، أو على اشتراكه فى أية مؤامرة على الدولة ، أو زعامته لأى تنظيم ، أو تشجيعه لخارج على الخلافة .

وحين انتصر أبو مسلم الخراسانى فى القضاء على دولة بنى أمية كتب الى الامام الصادق يقول له : « انى قد أظهرت الكلمة ، ودعوت الناس الى الانصراف عن بنى أمية والى موالاة أهل البيت فان رغبت فلا حزن عليك » .

فرد عليه الامام : ما أنت من رجالى ، ولا الزمان زمانى .

لقد كان الصادق بحق يكره أن تمس كرامة الانسان كما كان يكره اراقة الدماء ، وكان عميق الفهم لطبيعة نفوس الحاكمين ، يرى أن الحمق كل الحمق ، انما هو فى التطلع الى ما فى أيدى الحكام من شئون الحكم .

وان تربية الاجيال من شباب الامة أهم بكثير جدا من التطلع الى زعامة سياسية أو دنيوية .

وكان الامام يحاول جهده ابعاد آل البيت عن حمق التردى الى حافة الهاوية والى منازعة الحكام خلافة المسلمين . وكان من رأيه دائما البعد عن السياسة ، والانصراف الى العلم وحلقاته وحدهما . وبذلك نجا وسلم من المؤامرات والفتن والأحداث .

هذا هو الامام الصادق ، رحمه الله .

وهذه هى شخصيته .

وتلك هى البحوث القيمة التى تناولت الصادق من جميع جوانب حياته والتى تحدث فيها كبار العلماء من مختلف الجامعات فى أنحاء العالم .

ولا ريب أن هذا البحث جدير بالاهتمام والتقدير ، لأنه يؤرخ عصر الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى ، عصر نشوء المذاهب الفقهية فى الاسلام .

رحم الله الصادق الامام ، وأجزل له الأجر والثواب . فى دار رحمته ، دار البقاء والخلود

د . محمد عبد المنعم خفاجى

الإسلام والمسلمون في الصين

للدكتور عبد الودود شلبي

هذا الشرق الأقصى .

اى سحر تحتويه هـذه الكلمـات الآسرة ؟ .

بل أى خطر يكمن فى الولوج الى هذا العالم بأسراره الغامضـة ، وأنـواره العجيبة الباهرة ؟ .

لقـد هام « جـوته » الشـاعر الألمانى الفيلسـوف بهذا الشرق فكتب فيـه أجمـل قصائده .. هناك فى ظل النقاء والصـدق .. تطيب لى الرجعى الى نشـأة الانسـانية الأولى ..

الى الأزمان التى تلقى فيها بنو الانسـان كلمة الحق . منزلة من الله بلسـان أهـل الأرض .

أريد التملى من عصور الفطـرة بأفقها المحدود .

أريد معاشرة الرعـاة فى المنتجعـات والاسترواح فى ظلال الواحات . والارتحـال مع القوافل متجرا فى الشـيلان . والبن . والمسـك .. طارقا كـل درب من البـوادى والحضر .. بينما يترنم الحادى على ظهـر « برذونة » بأناشيد صاغها من ضوء القمـر ليوقظ بها النجوم الوسنى . ويرهب بها قطاع الطريق .. ولا بأس بالرعود كلهـا ترعد .. وبالسماء تتجاوب أقطـارها بالبرق .. فـان الغيث المنهمر لهابط بهذا الغبار المثار على وجه الأرض طينة مخضلة ..

وسرعان ما تنبعث الحياة .. فاذا كل شىء فى كل ناحيـة ينتعش ويترعرع .. واذا كـل شىء يخضر وينضر ... (١) .

(١) الشرق والاسـلام فى نظر « جوته » عبد الرحمن صدقى — المكتبة الثقافية ص ١٠١- ١٠٢ .

هذه الصورة الأخاذة الموشاة بعبق التاريخ والجمال والسحر . لم تكن غريبة عنى منذ درجت فى طريق المعرفة . بل منذ كنت حدثا صغيرا يتعلم فى « كتاب القرية » حيث كان المثقفون من طلبة الأزهر يتبادلون قراءة صحف « الجهاد » و « المصرى » . بالاضافة الى جريدة « الأهرام » التى كان اقتناؤها خاصا بـ « العمدة » و « تجار القطن » و « صراف القرية » ... !

كانت كلمة « الصين » مألوفة ... وتكرارها دائم على الألسنة : فقد فرضت الصين وجودها واسمها على كل « طبق » يقدم فيه الطعام .. بل فى كل قدح من القهوة يقدم الى الضيوف الكرام .. ! .

وكيف لا تكون « الصين » فى قريتنا مشهورة .. وفيها العشرات من أساتذة الأزهر وعلمائه الذين يرددون كل يوم تلك الحكمة المأثورة « اطلبوا العلم ولو فى الصين » وسواء أكان ذلك قولا مأثورا . أو حديثا نبويا . فقد ترك هذا كله فى خيالنا أثرا يشدنا الى هذا البلد البعيد من أقطار الشرق ، وأشعل فينا جذوة العلم المقدسة الى حين التحاقنا بحلقات الدرس والعلم .

ان أسماء مثل « شنغهاى » و « بكين » و « كانتون » والنهر الأصفر .. ونهر اللؤلؤ ونهر « التنين الأسود » والحرب بين اليابان والصين .. و « شيانج كاى شيك » .. لم تكن غريبة على مسامعنا فى هذه الفترة المبكرة من العمر .. كانت أحداث الحرب اليابانية الصينية من أهم الأخبار فى صحيفة « المصرى » اليومية .

ولا أزال أذكر حتى هذا اليوم صور المعارك الطاحنة التى كانت تدور بين الصين واليابان فى هذه الفترة من أواخر الثلاثينيات فى الصفحات الأولى من هذه الصحيفة . كما لا أزال أذكر التحليلات السياسية لأسباب هزيمة الصين فى هذه الحروب وكيف لعب « الأفيون » دوره فى انهيار هذه الامبراطورية الشاسعة بملايينها الهائلة . بل كيف حاول الغرب الاستعمارى ـ بقيادة بريطانيا ـ تخدير هذا المارد العملاق حتى لا يفيق من نومه لحظة واحدة .

تقول كتب التاريخ : (١) .

كان الأفيون يأتى من فارس وبلاد الهند الى التجار الانجليز فى ميناء كانتون .

وقد ذكر الممثل البريطانى فى كانتون ، فى عام ١٨٣٦ ، أنه كان « أهم جزء من تجارة وارداتنا » .

وكان التهريب يتم بتشجيع وبمشاركة من جانب « جمعية التجار » وبعض الموظفين الصينيين .

وفى عام ١٨٣٩ رغبت حكومة الصين فى أن تطبق اجراءات المنع بشكل فعال . ولا شك

(١) الشرق الاقصى : دكتور جلال يحيى ، ص ٥٠ وما بعدها طبعة القاهرة .

فى أنها كانت ترغب فى أن تظهر للتجار الانجليز أنها قادرة على القيام بردود فعل تجاه المحاولات التى كانت تهدف اقتحام بلادها .

واستخدم المندوب لين LIN الذى أرسل خصيصا من بكين وسائل نشطة : فطالب التجار باعطاء الوعد كتابة بوقف استيراد الأفيون ، وهدد بتنفيذ حكم الاعدام فى أولئك الذين لن يحافظوا على هذا التعهد ، وأمر بالاستيلاء على المخزون منه ، واعدامه ، بعد أن حاصر المراكز التجارية وحاول « تشارلز أليوت » ممثل الحكومة البريطانية أن يتفاوض ، ولكن بدون جدوى ، ورفض لين الاستماع لأى شىء .

فقررت الحكومة الانجليزية فى شهر أكتوبر ١٨٣٩ . وطبقا لرأى « أليوت » القيام بعملية تدخل مسلحة . ولقد لاحظ « بلمرستون » أنه كان من حق الحكومة الصينية ، بدون شك ان تمنع استيراد الافيون . ولكنه لم يكن من الممكن قبول أن تقوم السلطات الصينية — وبعد أن كانت قد تحملت وجود هذه التجارة لفترة طويلة — باستخدام وسائل العنف ، والمستخدمة بدون تمييز ضد كل التجار الانجليز — المتهمين أو غير المتهمين بالتهريب .

وكانت هذه وجهة النظر التى دافع عنها يوم ١٩ مارس ١٨٤٠ أمام مجلس العموم ورغم احتجاج جلادستون — عن سبب تركهم الهند تصدر الأفيون — حصلت الحكومة — وبالكاد ، على الأغلبية . وهكذا تمت موافقة البرلمان على ارسال الحملة .

ولقد استمرت « حرب الأفيون » ثمانية عشر شهرا . وبعد ان كان الانجليز قد أملوا فى أول الأمر فى نجاح عملية بحرية — ضرب القلاع الموجودة عند مصب نهر سى كيانج — اضطروا الى نقل العمليات الى منطقة يانج تسى ، واستخدام فرقة انزال . ولقد استولوا على شنغهاى فى شهر يونيو ١٨٤٢ ، ثم استولوا بعد شهرين من ذلك على نانكين ، دون صعوبة كبيرة .

وكانت معاهد نانكين — التى أنهت يوم ٢٦ أغسطس ١٨٤٢ هذه الحرب بين انجلترا والصين — لا تشتمل أية فقرة تتعلق بمسألة الأفيون ، والتى كانت هى سبب هذا الصدام . ولكنها سوت المسائل المتعلقة بالمبدأ ، والمسائل العملية ، والتى كانت تتعلق بحقوق الممثلين الدبلوماسيين الانجليز ، والتجار الانجليز .

وكان التجار البريطانيون قد أصروا على ضرورة الحصول على نظام يخلصهم من المعوقات التى كانت تفرض على نشاطهم التجارى . وكسبوا هذه المسألة والى مدى بعيد . ولم يعد ميدان التجارة الانجليزية محددا بميناء كانتون وحدها . بل شمل خمسة موانى صينية بعد ذلك هى :

كانتون . وشنغهاى ، وآمون ، وفوتشيو ، ونينج بو .

فى زيارتى الأخيرة الى بريطانيا قدر لى أن أنزل فى فندق قديم قريب من جامعة لندن اسمه RUSSELL HOTEL

لقد تراءت لى فى أبهاء هذا الفندق وقاعاته

صور غلاة الاستعماريين من أمثال «دزرائيلى» و « جلادستون » و « تشرشل » وأن الهجوم على معظم بلاد الاسلام ، والشرق خطط له فى هذا الفندق ، وتصورت الأدميرال « سيمور » الذى أطلق مدافعه على مدينة الاسكندرية يقف شاهرا سيفه على ظهر البارجة قبل التحرك ••• !

لقد كان شغفى بالتاريخ باعثا على استقصاء الحقائق عن هذا الفندق • وعن استكشاف غوامض الأحداث بين جدرانه التى يستحيل أن تنطق •• !

كان الشاعر الانجليزى « كيبلنج » يرى أن الشرق شرق • وأن الغرب غرب • وأنهما لن يلتقيا • وانما يمكن لهذا اللقاء أن يتحقق بقوة البوارج •• وغزو الجيوش فقط ••• وقد تحولت هذه المقولة أو النبوءة الى واقع فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين •

وكان هذان القرنان من أسوأ قرون التاريخ سوءا على البشرية التى لا تزال تئن من آثار ما حدث فيهما الى اليوم •

قبل هذين القرنين كانت العلاقات بين الشعوب ميسرة وسهلة •

فالرحالة المغربى « ابن بطوطة » : جال فى مشارق الأرض ومغاربها دون عقبة •

و « ماركو بولو » الايطالى فعل ما فعله ابن بطوطة ، حتى السفاح البرتغالى « ماجلان » فعل بالعالم الاسلامى ما فعل بينما كان دليله فى رحلته المشئومة رجل مسلم اسمه « أحمد بن ماجد » من سلطنة عمان ومسقط •

كان طريق الحرير SILKRD ومضيق باب المندب ، ومضيق مالقا فى جزر الملايو كانت كل هذه الطرق • وكل هذه المضايق تقع فى بلاد الاسلام الذى أبت سماحته ان يمنع من العبور أى أحد ••• ، وكان للمسافرين وعابرى السبيل — فى حضارة الاسلام — من الاكرام والرعاية ما يستحيل مثله فى أفخم فندق •

وكان من أهم الرحلات التى قام بها «مصرى» الى الشرق الأقصى هذه الرحلة العجيبة التى قام بها صحفى غيور مسلم اسمه على أحمد الجرجاوى « صاحب جريدة « الارشاد » ففى

يوم ٣٠ يونيه ١٩٠٦ سافر هذا الصحفى المسلم الى اليابان — ولأول مرة — لحضور مؤتمر الأديان الذى دعا اليه امبراطور اليابان آنذاك ••

« ويعتبر على احمد الجرجاوى أول داعية مسلم قام بالفعل بنشر الاسلام فى اليابان واذا قلنا أن عمر الاسلام ١٤ قرنا من الزمان • فان لليابان ظلت ١٣ قرنا لا تعرف شيئا عن الاسلام • ولم يدخل الاسلام خلال هذه القرون الثلاثة عشر سوى مسلم واحد فقط فى أواخر القرن الماضى •

ومن رحلة الجرجاوى الى اليابان فى عام ١٩٠٦ بدأ نور الاسلام يشرق على بلاد الشمس المشرقة •

وصل انجرجاوى الى ميناء يوكوهاما اليابانى ومنها انتقل الى طوكيو وأقام فى اليابان كما يقول فى كتابه (الرحلة اليابانية) ٣٢ يوما زار فيها ٤ مدن يابانية هى طوكيو ويوكوهاما واوزاكا وكيوتو عاصمة اليابان القديمة •

كانت طريقة الجرجاوى للدعوة الى الاسلام طريقة فريدة • فقد استأجر فى طوكيو منزلا من رجل يابانى من كبار تجار طوكيو • وكان الجرجاوى قد شرح له الاسلام ودعاه ، لاعتناقه فاعتنق الاسلام وخصص منزله للدعوة الى الاسلام وكان مع الجرجاوى داعية هندى مسلم يتحدث العربية والانجليزية • وكان الجرجاوى قد التقى به ضمن الوفود التى حضرت لحضور مؤتمر الأديان فى طوكيو •

وكان الجرجاوى يدعو اليابانيين الى هذا المنزل ويكتب ما يريد من معلومات عن الاسلام باللغة العربية — ثم يقوم الهندى المسلم بترجمتها من العربية الى الانجليزية ويقوم اليابانى المسلم فى النهاية بترجمتها من الانجليزية الى اليابانية •

وبدأت أفواج اليابانيين تتجمع فى ذلك المنزل وكانت تدور بعد ذلك مناقشات

عديدة حول الاسلام • وكما يقول الجرجاوى : « وكان كل من وردت عليه شبهة فى موضع يرسلها الينا كتابة • وكنا نجيب عنها أيضا كتابة » •

وقد عقد الجرجاوى فى طوكيو ١٨ جلسة لشرح الاسلام لليابانيين • اعتنق بعدها الاسلام ١٢٠٠٠ اثنا عشر ألف يابانى كما يقول :

ويؤكد ذلك بأنه مستعد لتحديد أسمائهم فى هذه البلاد (١) •

ويقول الجرجاوى أيضا : « غادرنا بلاد اليابان بعد أن قضينا بها اثنين وثلاثين يوما •

وبعد أن قمت بمهمتى وبعد أن صرفت من جيبى الخاص ما قدرنى الله تعالى عليه بدون التماس مليم واحد من أحد من الناس سواء كان فى مصر أو الخارج وهذه يدى شهيدة على بذلك •

وقد كتب الأستاذ الجرجاوى يقول فى مقدمة كتابه عن سبب هذه الرحلة فقال :

ان للعادة حكما لا يمكن الخروج عنه وقد سن الأدباء قديما سنة احتذى مثالها ونسج على منوالها من جاء بعدهم من أهل حرفتهم • ومن تلك العادات وهاتيك السنن أن يؤلف العالم والكاتب فى فنون شتى مؤلفات برسم بعض الأكابر والأعيان وليس لهم حظ ما فى الفوائد المادية اللهم الا اذا سعت اليهم بنفسها وانما جل قصدهم من تأليف الكتب برسم الاعيان زيادة الاعتناء بها لدى الكافة وان كانت فى الدرجة القصوى من البلاغة

---

(١) مذكرات خاصة بالاستاذ محمود الشريف •

وجلالة الموضوع والذى قوى عندهم العزيمة على التأليف اقبال الأكابر على مطـــالعة المؤلفات المفيدة فى الأوضاع الجميلة .

هذا كتاب : « قلائد العقيـان » للفتح بن خاقان ألفه برسم الخليفة المتوكل : وكتـاب « العقد الفريد » للملك السعيد .

وكتاب « الهدية الســعيدية فى الحكمة الطبيعية » ألفه الامام محمد فضـل الحـق الخير آبادى وأهداه الى مليك بـلاده محمـد سعيد خان بهادر .

ولو أردت احصـاء المؤلفات المهـدأة الى الأمراء وأهل الفضل والأدب لغلطت فى العـد وضاع الحساب .

هذا وانى وضعت هذا السفر فى رحـلتى الى بلاد اليابان وأودعته من أخبار تلك الأمـة الراقية ما تغنى مطالعته عن النديم والسـمير ومن أشياء شاهدتها فى ذهابى وايابى فى البلاد الأخرى رأيت من اتمام الفائدة ذكرها فى هذه الرحلة .

وحسبى شرفا أنها رحلة أول مصرى وطئت قدمه تلك الأرض من قديم الزمـان الى الآن وقد اتبعت سنة أولئك المؤلفين ولكن رأيت أن أهدى رحلتى الى كل عـالم وأديب فى مصر خصوصا الناشئة الحديثة التى هى موضـع آمال الأمة .

وهنا مقصد آخر أرى من الضرورى الالماع اليه . وهو أننا أصبحنا فى عصر تتسابق فيـه الأمم الى احراز قصب السبق فى ميـدان الحضارة فأجدر بالشبيبة المصرية أن تطالـع مثل هذه الرحلـة ليروا أن فى الشرق أمـة فى الثلاثين ربيعا من سنى حياتها الجديدة تنظـر اليها الأمم الأخرى نظرة الاجلال والاعتبـار حتى اذا قرأوا مالم يصل الى علمهم عنها دبت فى نفوسهم الحمية فنزعـوا رداء الكسـل .

وقالوا حى على خير العمل . فاذا عرف هـذا علم أننى لم أتحمل الاخطار ووعثاء الاسفار ولم أعتمد فى الانفاق الا على الخلاق الا لأجل نفع بلادى وخدمة دينى وجامعتى فهـذا أول مبرر لوضع هذه الرحلة .

هذه الرحلة اليابانية المباركة . قلما يسمع بها أحد هنا فى مصر .. بل اننا لا نجد لمثـل

هذه الرحلة نظيرا عند بعض الرواد والمكتشفين ممن حاولوا ارتياد بعض الآفاق فى أفريقيـا وآسيا .

وربما تكون رحلة أستاذنا الكبير العلامـة الشـيخ ابراهيم الجبـالى الى الهنـد فى الثلاثينيات ـــ احدى المحاولات التى لم يقدر لها النجاح حين سافر على رياسة وفد مـــن العلماء لدراسة أوضاع « المنبوذين » فى الهند وامكانية دخولهم فى الاسلام وبالطبع فـــان الاستعمار البريطانى والارساليات المسيحية بادرت باتخاذ كل الوســائل لافشــال هـذه المحاولة التى كان من الممكن أن تحدث تغييرا هائلا لصالح الاسلام والمسلمين فى شـبه القارة الهندية قبل التقسيم .

وقد كان بين الأستاذ الأكبر الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى ـــ والعلامة الدكتـور محمد اقبال ـــ مكاتبـات كثـيرة حـول هذا الموضوع .

.. ولكن « الصين » كانت بعيدة عن هـذه المحاولات الارتيادية . ولم يكن الاهتمام بها داخلا فى اطار الاهتمامات الخارجية للأزهر . ولم يحدث هذا الاهتمام والالتقاء الا فى بداية الثلاثينيات ، وقبل الحرب العالمية الثانيـــة بسنوات .

لقد بدأ المصريون يتعرفون على الصين من خلال طلابها الذين حضروا الى مصر للالتحاق بالأزهر الشريف ، وكـانت معرفتى بهـؤلاء الطـلاب ــ فى معهـد القـاهرة الأزهـرى العريق ــ حيث كانوا يقيمـون فى الطـابق الأرضى فى العمارة التى تشغلها حاليا « كليـة المعاملات » والتى كانت واحدة مـن ثـلاث عمارات كان يشغلها معهد القاهرة آنذاك . كما سافر الى الصين كل من صاحب الفضيلـــة الشيخ محمد فليفل ، وفضيلة الشـيخ سيد الدالى لدراسة أحوال المسلمين هناك .

هل تكفى كل هذه الصور للتعـرف عـلى الصينيين والصين ؟

من المستحيل أن نقرر ذلك عن بلـد تبلـغ مساحته أكثر من أربعة ملايين وثلاثمائة ألف ميل ويبلغ عدد سكانه أكثر مـن ألف مليـون نسمة ، وينقسم اداريـا الى اثنتين وعشرين ولاية والى خمسة أقاليم مستقلة اسـتقلالا ذاتيا . (١)

وفوق هذا كله فانك تجد « الصين » فى كل مكان من شرق آسيا . وغربها وجنوبهـــــ فى « تايـــلاند » وفى « هونج كونج » وفى « مانيلا » أو « آمان الله » قبل أن تغير على يد الأسبان الى اسمها الحالى المعروف .

كما نجد الصينيين والصين فى «سنغافورة» وفى « ماليزيـــا » وفى « برونـــاى » وفى « اندونيسيا » حتى فى أقصى الجنوب بمدينة « سيدنى » باستراليا تقابلك ــ قبل عبـور جسرها الشهير ــ مدينة خاصة هى المدينـــة الصينية .. بل فى داخل « سيدنى » نفسـها وبجوار المسجد الذى كنت أخطب فيه فى حى سرى هيلز SURRY HILLS يكون الصينيون أغلبية ساحقة من معظم السـكان فى هذه المنطقة .

وفى ابان الثورة الثقافية . بدأت شـعوب هذه المنطقة تشعر بالخطر . وتتوقع الكارثة . وتنتظر قدوم الجيش الأحمر فى أية لحظة .. وسواء أكانت هذه التوقعات صحيحة .... أم كاذبة . فان الخوف من الصين أصبح علامة مميزة وظاهرة واضحة لدى كل الحكومات فى المنطقة .

وفى لقاء مع أحد علماء المسلمين فى احـدى هذه العواصم المسلمة أخذ الشيخ يحدثنى عن يأجوج ومأجوج وعن الخطر الأصفر ، وعـن السدين اللذين بناهما الاسكندر الأكبر وعـن التتار وهجومهم المنتظر ... ، ... ، ...

---

(١) القاموس السياسى : احمد عطية ــ حرف الصاد ــ طبعة القاهرة ١٩٨٠ .

وبدأ الشيخ يحوقل ، وكأنما حانت منيتــه فجلس يستعيذ بالله ويستغفر • (١)

كانت الثورة الثقافية ، وما صــاحبها مــن أعمال وحشية وهمجية جريمة فى حق الصــين نفسها ، قبل أن تكون خطرا على جيرانها •

وقد أعطت (الثورة الثقافية) وما صاحبها من تجاوزات لا انسانية كل المبررات لخصوم الصين وأعدائها • وقد أدى ذلك الخوف مــن الصين الى ثورات شعبية ــ ضد الصينيين ــ فى كثير من دول شرق آسيا ، ربما كان أهمهــا وأخطرها ماحدث فى اندونيسيا ، وكيف مثــل بالصينيين والشيوعيين فى أعقاب المذبحة التى دبرها الشيوعيون لجنرالات الجيش بقيــادة الزعيم الشيوعى الأندونسى « أديث » •

وفى الصين نفسها • هدمت المساجد وأحرقت الكتب الاسلامية وسيق العلمــاء والأئمة الى المصانع للعمل فيها بالقهر والقوة (٢) •

كما انعكس صدى هذه الثورة على المسلمين فى الدول الشيوعية المجاورة فأبيد ثلثا المسلمين فى « كمبوتشيا » وكان الاعدام يتم بطريقــة مبتكرة • حيث يوضع المسلم فى كيس مــن « النايلون » ويظل معلقا فيه بعد احكام اغلاقه لمدة طويلة •

وقد رأيت ــ ولازلت محتفظا بما رأيت ــ فى صــحيفة ســيدنى مورننج هيرالد SYDNEY MORNIN HERAID هرما يبلغ ارتفاعه خمســة عشر مترا ــ مــن جماجم الشــهداء والقتلى الذين تــولت عصــابة « خميروج » قتلهم وابادتهم •

كانت نهاية عصابة الأربعة GANOG OFFOUR حدا فاصلا بين الصين الدموية الرهيبــة وبين الصين الدولة المتحضرة الحديثة •

لقد أسدل الستار ــ بعد القضاء على هــذه العصابة ــ على فترة مظلمة من تاريخ هــذه الدولة •

وفى الوقت الذى فتحت فيه نوافذها عــلى دول العالم ، وفى الوقت الذى توقفت فيه عن التدخل فى شئون غيرها من الدول • وفى الوقت الذى أدركت فيه مسئوليتها تجاه شعبها الذى أرهقته المجاعات والمحن •

لقد تغير وجه الصــين تغــيرا كامــلا •• فالوداعة والابتسام يحــلان مكان العبــوس

---

(١) ياجوج وماجــوج لم يثبت من هم • وان قال بعض المفسرين انهم من التتار الذين ساحوا فى البلاد الاسلامية فخربوها ودمروها • ومما يجعل هذا الراى مقبولا : ان بعض الرحالــة الاجانب عثروا على سد من الحديد قريب من مدينة « ترمذ » وانه قد يكون السد الذى بناه ذو القرنين « فى ظلال القرآن » « سورة الكهف » .

(٢) لقــد اعادت الحكومة الصينيــة فتح المساجد ، وأمرت باصلاح ما خرب منها ومنحت المسلمين حرية واسعة ، وقد رايت هذا وسمعته من العلماء والائمة .

كما اثلج صدرى ما نشرته صحيفة « الصين اليوم » التى تصدر باللغة الانجليزية فى بكين ان الحكومة الصينية تمنح الطلبة المســلمين فى جامعاتها مبلغا اكبر من غيرهم حيث انهم لا ياكلون لحم الخنزير الرخيص الثمن ، والذى ياكلــه غيرهم .

التقليدى فى وجه القادة وفى وجه الساسة ، وفى وجه الاقتصاد • وفى وجه الشعب الذى كان محروما حتى من التوجع والألم حتى لا يظن به الضعف فى مواجهة امبريالية امريكا التى وصفها « ماوتسى تونج » بأنها نمر من الورق •

فى • بكين •• وفى كانتون •• وفى فندق جبل العطر THEFRAGRANT HQTEL

وفى محلات الصداقة
THEFRIEND SHAPSHOPS

كنت أظن هذه الفنادق وهذه المخازن مخصصة للأجانب فقط • ولكن هذا الظن يتلاشى عند أول خطوة تخطوها داخل أى محل أو فندق • فالأدوات الكهربائية • ولفائف التبغ الأجنبية والكوكاكولا والمرطبات العالمية الشهيرة كلها متاحة لأى صينى من أى طبقة وبسعر فى متناول يد أى عامل أو أية عاملة •

لقد سقطت القيود •• وانفرجت فى سور الصين العظيم أبواب للدخول والخروج •

وخرج الشعب الصينى من السجون •

كنت مشوقا الى زيارة الصين بعد أن زرت معظم بلاد الشرق الأقصى التى تحيط بها من الشرق الى الجنوب ••

وكانت أمنية غالية لا تتحقق مالم تكن هناك فرصة من تلك الفرص التاريخية التى ينـدر حدوثها فى زماننا العجيب وكانت زيارة الصين نفسها ضربا من المحال كالعنقاء والخل الوفى الذى تتحدث عنها الأساطير •!

ولقد أتيحت لى هذه الفرصة على يد وزير الأوقاف الصديق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور ، فقد حرص على تمثيل الأزهر فى رحلته التى تمت بدعوة من حكومة الصين لزيارة المسلمين فى هذا البلد الذى يحرص على مودة العرب والمسلمين •

كانت رحلة تاريخية بكل المقاييس • كرما وحفاوة ، وكان الأزهر على لسان كل الناس مسلمين وغير مسلمين ••

كما كانت هذه الرحلة امتدادا لرحلة أخرى قديمة قام بها الأستاذ المرحوم الشيخ / أحمد الباقورى قبل عشرات السنين •

وبعد •••

فماذا عن الاسلام وكيف وصل الى الصين ••• ؟

وماذا عن المسلمين ومكانتهم فى بلد تتكون مساحته من أكثر من أربعة ملايين وثلاثمائة الف ميل ••• ؟

وماذا عن عدد المسلمين فى البلد الأكثر من بليون ••• ؟

ثم ماذا عن الصين نفسها بعد « الثورة الثقافية » • وبعد وفاة « ماوتسى تونج » وبعد القضاء على عصابة الأربعة وبعد الانفتاح على العالم الذى اذهله وفاجاه هذا التطور السريع فى الصين ؟

فى مقالاتنا الثلاث المقبلة اجابات عن كل هذه الأسئلة ••• بمشيئة الله •

د • عبد الودود شلبى

من أعلام القضاء في دولة الإسلام

أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم

علم من علماء الاسلام فى العصر العباسى الأول ، رفع العلم قدره وأعلى الفقه شأنه من تلميذ فقير تعهده أستاذه حتى وصل به الى وظيفته السامية ومنصبه الرفيع فى دولة الاسلام قاضيا لثلاثة من خلفاء بنى العباس هم المهدى والهادى ثم هارون الرشيد الذى حظى عنده بالتكريم والاجلال حتى كان أول من لقب فى عصره « بقاضى القضاة فى الاسلام » .

ذلك هو القاضى أبو يوسف يعقوب بن ابراهيمبن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبته الأنصارى . وكان لجده سعد بن حبته صحبة مع رسول الله ﷺ وهو مشهور فى الأنصار بأمه وهى حبته بنت مالك من بنى عمرو بن عوف (١) .

كيف كانت نشأته

كانت نشأته الأولى فى الكوفة ثم سكن فى مدينة بغداد وتتلمذ على المشاهير من فقهاء عصره وهم عطاء بن السائب وأبى اسحق الشيبانى وسليمان التيمى ويحيى بن سعيد الانصارى والأعمش ، وهشام بن عروة ومحمد بن اسحق بن يسار وجالس محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى والليث بن سور ثم جالس أبا حنيفة النعمان وتفرغ له (٢) .

صفاته

كان شديد الاقبال على العلم وافر الذكاء متصفا بالوفاء عظيم الفطنة ما أن اختلف الى مجلس الامام أبى حنيفة النعمان حتى شمله بالرعاية واتخذ منه ابنا وتلميذا وجعله مقدم حلقته وكاتبها والأمين على مسائلها وكان ذا حافظة قوية فى حديث رسول الله ﷺ فقد كان يسمع المحدث فيحفظ منه خمسين أو ستين حديثا ثم يقوم ويمليها على الناس ، وأحيانا كان يحفظ الأحاديث التى نسيها رواتها وتأويلاتها (٣) .

---

(١) كتاب وفيات الأعيان لأبى العباس شمس الدين بن خلكان ـ الجزء الخامس .
(٢) المرجع السابق .
(٣) كتاب الأئمة الاربعة للدكتور مصطفى الشكعة .

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

لقد رعاه أبو حنيفة رضي الله عنه وتعهده فأحسن تأديبه كما أحسن تعليمه وأوصاه بأنفس الوصايا فعمل بها ومن ثم خرج الى الحياة العامة والخاصة علما من أعلام العلم واماما من أئمة الحديث وقاضيا من أعدل القضاة وعينا من أعيان دولة بنى العباس واليه يرجع الفضل فى نشر مذهب الامام أبى حنيفة (٤) .

شىء من وصايا الامام أبى حنيفة

الى أبى يوسف :

هذه الوصية التى سنذكرها اشتملت على كل جوانب النصح التى يمكن أن يوصى بها أب ابنه أو أستاذ تلميذه ويمكن تقسيمها الى عناصر متنوعة لما تضمنته من نصائح غالية ومواعظ حسنة .

ففيما يتعلق بالعلاقة بالسلطان

يوصى أبو حنيفة تلميذه يعقوب بقوله

« وقر السلطان وعظم منزلته واياك والكذب بين يديه ، ولا تدخل عليه فى كل وقت وفى كل حال ما لم يدعك لحاجة علمية ، فانك ان أكثرت الاختلاف اليه تهاون واستخف بك وصغرت منزلتك فى عينيه فكن كما أنت من النار تنتفع بها وتتباعد عنها ولا تدن منها فانك تحترق وتتأذى منها ، فان السلطان لايرى لأحد ما يرى لنفسه .

وعن حاشية السلطان يوصيه فيقول

« ولا تواصل أولياء السلطان وحاشيته بل تقرب اليه فقط وتباعد عن حاشيته ليكون محلك وجاهك باقيا » .

وفى شئون العلم مع

السلطان يوصيه فيقول

واذا رأيت من سلطانك مالا يوافق العلم فاذكر ذلك له مع طاعتك اياه فان يده أقوى من يدك .

تقول له : أنا مطيع لك فى الذى أنت مسلطن فيه على غير أنى أذكر من سيرتك مالا

(٤) كتاب علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الاسلامى للمرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف .

يوافق العلم . وأفعل ذلك مرة أومرتين ليعرف منك الجد في الدين والحرص في الأمر بالمعروف أما اذا كان مبتدعا فناظره ولو كان سلطانا واذكر له ما يحضرك من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فان قبل ذلك منك والا فاسأل الله أن يحفظك منه » .

وفي التعامل مع العامة ينصحه فيقول

« ولا تتكلم بين العامة الابماتسأل عنه ، واياك في الكلام في المعاملة والتجارة الا بما يرجع الى العلم كي لا يوقف منك على رغبة في المال فانهم يسيئون الظن بك ويعتقدون ميلك الى أخذ الرشوة منهم وبسط اليد اليهم .

ولا تضحك ولا تتبسم فيما بين العامة ولا تكثر الخروج الى الأسواق ولا تكلم الصبيان المراهقين . ولا بأس أن تكلم الأطفال وتمسح رءوسهم .

ولا تمش في قارعة الطريق مع المشايخ من العامة فانك ان قدمتهم أزرى ذلك بعلمك وان أخرتهم ازدرى بك من حيث أنهم أسن منك فان النبي ﷺ قال (من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا فليس منا) (٥) .

وفي نطاق النشاط العلمي يوصيه فيقول

« واياك أن تكلم العامة في أصول الدين وعلم الكلام فانهم قوم يقلدونك فيشتغلون بذلك ، ومن جاءك في المسائل فلا تجب الا على سؤاله ، ولا تضم اليه غيره فانه يتشوش عليه جواب سؤاله .

ولا تعرض عن العلم وان بقيت عشر سنين بلا كسب ولا قوت فانك اذا أعرضت عنه كانت معيشتك ضنكا على ما قال الله تعالى :

« ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا » (٦)

وأقبل على تلاميذك كأنك اتخذت كل منهم ابنا وولدا لتزيدهم رغبة في العلم . ناقشك من العامة والسوقة فلا تناقشه فانه يذهب ماء وجهك . ولا تحتشم أحدا عند ذكر الحق ولو كان سلطانا » .

وفي مجال الوعظ والحض على العبادة

« وأكثر ذكر الله تعالى فيما بين الناس ليتعلموا ذلك منك . واتخذ لنفسك وردا خلف الصلوات تقرأ فيه القرآن وتذكر الله تعالى وتشكره على ما أودعك من الصبر وما أولاك من النعم واتخذ لنفسك أياما معدودة من كل

(٥) رواه أبو داود والبخاري في الادب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن .

(٦) سورة طه ١٢٤ .

شهر تصوم فيها ليقتــدى غـيرك بك فى ذلك ولا ترض لنفسك من العبادات بما ترضى بــه العامة » .

واذكر الموت واستغفر لأسـاتذتك ومــن أخذت عنهم العلم وداوم على تلاوة القـرآن واكثر من زيارة القبور (٧) .

مدى ما كانت عليه مكانة أبى يوسف

عنـــد الخليفة هارون الرشيد

تكاد تجمع الأخبار على أن الرشيد كـان يكرمه ويجله ، وأنه كان عنده محظيا مكينا ذلك أن الخلفاء والحكـام لا يجلـون العلمــآء لعلمهم وحسب وانما يجلونهم اذا مـا كانوا صادقين مع أنفسهم صـادقين مـع النـاس مترفعين عن الصغار بعيدين عـن النقـائص رافضين للنفاق .

كيف كان قضـاء أبى يوسف

كان أبو يوسف عادلا فى حكمه حازمـا فى قضائه ذكيا فى الخروج مـن المـآزق التى يتعرض لها رجال القضاء وخاصة اذا كـانت تلك القضايا ذات صلة بالخليفة أوذى سلطان يحكى أنه لما خوصم الخليفة الهادى فى بستان له وشهد الشهود لصالح الخليفة سأله الخليفة عن حكمه فى تلك القضية فأجابه أبو يوسف بأن خصم أمير المؤمنين يسـألنى أن أحلف أمـير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق فقال لــه الهادى وترى ذلك ؟

فقال : قد كان ابن أبى ليلى يراه

فقال الخليفة فى الحال وقد فهم مقصد أبى يوسف « أردد البستان عليه فى الحال » . أى للخصم . وهكذا لم يداهن أبو يوسف الخليفة فيحكم له ظلما وانما تصرف بذكاء وأصـــدر حكما عادلا لصالح أحد الرعايا ضد الخليفة(٨)

مثالمـن فتـاويه

كان لأبى يوسف فتاوى كثيرة ومثيرة لكنها جميعها كان مصدرها كتاب الله وسنة رســول الله ﷺ أو الاجتهاد السليم والقياس الدقيق فى ضوء الكتاب والســنة ومــن أطـرف تلك الفتاوى فتواه التى أفتاها للخليفـة هـارون الرشيد عندما اختلف مع زوجته الأثيرة لــديه السيدة زبيدة بنت جعفر فحلف عليها يمينـا بالطلاق ألا تبيت ليلتها فى بلد يدخل فى ولايته ومقتضى اليمين آنذاك هو طلاقها من الخليفة فلقد كانت دولة الاسلام التى يتولى أمورهـا هارون الرشيد شاسعة الأرجاء واسعة الأنحاء ولم يكن فى الاستطاعة أن تغـادر السـيدة زبيدة مملكة الرشيد قبل قدوم الليل .

وفزع رجال البلاط العباسى الى أبى يوسف حتى ينظر فى هذه المشكلة لعله يجد لها حـلا

(٧) كتاب الأئمة الأربعة للدكتور مصـــطفى الشكعة .

(٨) كتاب اخبار القضاة لوكيع محمد بن خلف ابن حيان ــ الجزء الثالث .

ولشد ما دهشوا عندما ذكر لهم أبو يوسف الحل فى يسر وسرعة اذ أمر أن تبيت السيدة زبيدة فى المسجد لأنه ليس لأحد فى العالم ولاية على المساجد ولو كان الخليفة هارون الرشيد نفسه وهذا ما قرره الاسلام من حكم نص عليه كتاب الله وذلك فى قوله تعالى :

« وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا » (٩) ٠

وبناء على هذه الفتوى الصريحة حملت زوج أمير المؤمنين الى مسجد بغداد حيث قضت ليلتها فى أكرم بيت وأطهر مكان ساهرة ساجدة بعيدة عن كل ولاية الا ولاية الخالق الأعظم رب السموات والأرض وما بينهما ٠ وبهذه الفتوى لم يقع يمين الطلاق عليها من زوجها الرشيد (١٠) ٠

الكتب التى ألفها أبو يوسف

ترجم المؤرخون لأبى يوسف نحوا من سبعة عشر كتابا هى :

١ ــ كتاب الصلاة
٢ ــ كتاب الزكاة
٣ ــ كتاب الصيام
٤ ــ كتاب الفرائض
٥ ــ كتاب البيوع
٦ ــ كتاب الحدود
٧ ــ كتاب الوكالة
٨ ــ كتاب الوصاية
٩ ــ كتاب الصيد والذبائح
١٠ كتاب الغصب والاستبراء
١١ ــ كتاب اختلاف الأمصار
١٢ ــ كتاب الرد على مالك بن أنس
١٣ ــ كتاب الجوامع
١٤ ــ كتاب الآثار
١٥ ــ كتاب الرد على ابن أبى ليلى
١٦ ــ كتاب الرد على سير الأوزاعى
١٧ ــ كتاب الخراج

وهذه الكتب جميعها هى فى حكم المفقودة باستثناء الكتب الأربعة الأخيرة وهى كتاب الآثار وكتابه فى الرد على ابن أبى ليلى وكتاب الرد على سير الأوزاعى وكتابه فى الخراج (١) ٠

لمحة عن كتاب الخراج

كتاب أبى يوسف فى الخراج هو فى الحقيقة رسالة كتبها عن مسائل كان الخليفة هارون الرشيد كلفه بالاجابة عنها فى مسائل الخراج والعشور والصدقات والجاليات فسجلها وأجاب عنها مسألة مسألة مدعما اجاباته بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأفعال

(٩) سورة الجن ١٨ ٠
(١٠) كتاب الأئمة الأربعة للدكتور مصطفى الشكعة ٠
(١١) المرجع السابق ٠

الصحابة وآراء أستاذه الامام أبى حنيفة ، كما تكلم عن الغنائم وما عمل به فى السواد وحرر فصلا فى الجزائر فى دجلة والفرات والغروب وفصلا فى أرض الشام .

والكتاب يعتبر ثروة فقهية نفيسة ومفخرة للتشريع الاسلامى حول كل ما يتعلق بأمور الخراج وما يتصل به من قريب أو بعيد فهو فى الحقيقة كتاب فقه وحديث ومحاسبة وقانون واجتماع وفكر وأدب وجغرافيا ورحلات وبحث وحوار (١٢) .

وجاليات جمع جالية وهى الجزية المفروضة على أهل الذمة لان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أجلاهم عن جزيرة العرب تنفيذا لأمر النبى ﷺ قبل وفاته ... (أنظر لسان العرب الجزء ١٨ فصل الجيم حرف الواو والياء) .

وفاة أبى يوسف

عاش ابو يوسف تسعا وستين سنة هى الفترة ما بين سنة ميلاده سنة ١١٣ هـ وبين سنة وفاته سنة ١٨٢ هـ ورغم ماعرف عنه من الأجتهاد وتحرى العدل فى أحكامه فقد أثر عنه أنه قال يوم وفاته . اللهم انك تعلم أنى لم أجر فى حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمدا ، ولقد اجتهدت فى الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك ﷺ وكل ما أشكل على جعلت أبا حنيفة بينى وبينك وكان عندى والله ممن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه (١٣) .

رحم الله القاضى أبا يوسف فلقد كان درة القضاة فى دولة الاسلام ، ووسام شرف فوق جبين علمائها لما اتصف به من نزاهة وصدق وعفة وأدب وخلق ودين ومروءة وعلم مع طهارة العرض وحسن السمعة وجلال التاريخ قال تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » (١٤) .

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

---

(١٢) المرجع السابق .
(١٣) كتاب وفيات الأعيان لأبى العباس شمس الدين بن خلكان ـ الجزء الخامس .
(١٤ سورة فاطر ٢٨.

المؤتمر الإسلامي الدولي حول
الإعجاز الطبي في القرآن الكريم
ودور الأزهر فيه

انعقد فى القاهرة المؤتمر الاسلامى الدولى حول الاعجاز الطبى فى القرآن فى الفترة من ٩ : ١١ محرم ١٤٠٦ هـ (٢٤ ـ ٢٦ سبتمبر ١٩٨٥ م تحت رعاية سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية .

ورياسة فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

ويعتبر هذا المؤتمر خطوة مباركة لفتت الأنظار الى بعض ما فى القرآن من ابداع واعجاز فى ميدان الطب ، ونافذة جديدة للتعرف على الله من خلال العلم المرتكز على كلمات الحق تبارك وتعالى ، وفصلا واسعا من فصول الهداية الى الاسلام .

ولا عجب فى هذا ولا غرابة .. فلقد توج هذا المؤتمر باسلام واحد من كبار العلماء الباحثين الذين حضروا اليه ، وساهموا فيه بأبحاثهم ، وهو مستر آرثر اليسون أستاذ الهندسة الألكترونية والكهربائية بجامعة « سيتى » بلندن ، والرئيس السابق لجمعية الدراسات النفسية والروحية البريطانية .

وقد أشهر هذا العالم الكبير اسلامه رسميا أمام فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه وسمى نفسه « عبد الله اليسون » وأعلن أمام فضيلة الامام بأنه سيكون جنديا مخلصا من جنود الاسلام الداعين اليه . والمدافعين عنه كما أعرب عن سعادته بانضمامه الى الأسرة المسلمة والمجتمع الاسلامى . وأشاد بالاسلام كدين يلائم الفطرة السليمة ، ويحث على العلم والبحث والمعرفة .

ولقد وصل عدد الأبحاث التى قدمت لهذا المؤتمر اكثر من مائتى بحث من علماء ينتمون أو يمثلون ٢٨ دولة من مختلف أنحاء العالم ،

دارت أبحاثهم حول علوم الأجنة والتشريح ، والوراثة ، والخلية ، والأمراض الجلدية والتناسلية ، والعقم . وأمراض النساء . وطب

للشيخ مهدى عبد الحميد مصطفى

الأطفال ، والرضاعة الطبيعية ونحو ذلك .

بالاضافة الى بعض الموضوعات الطبية المعاصرة ، مثل : الدبن الشرعى ، والموت ، والأبحاث التجريبية للأدوية على البشر ، ونقل الأعضاء والدم ، والتلقيح الصناعى ، والمشاكل التى تواجه الطبيب المسلم عند استخدام الأساليب الطبية الحديثة .. وغير ذلك .

ولقد أقيم هذا المؤتمر — كما جاء على لسان أمينه الأستاذ الدكتور محمد حسن الحفناوى نتيجة الدراسات الطبية المتعمقة التى كشفت النقاب عن أسرار الخلق المذهلة .

تلك الصحوة الاسلامية الرائعة التى شهدتها المؤتمرات الطبية أخيرا . واهتمام كبار العلماء فى مختلف أنحاء العالم بالدراسات القرآنية بعد أن تبينت لهم اشارات علمية معجزة فى آيات الذكر الحكيم .

وكيف لا ؟ وقد قرر المجلس الأعلى لعلوم التشريح والأجنة تغيير المصطلحات العلمية المتداولة فى علم الأجنة . واستخدام المعانى اللفظية القرآنية لهذه الأطوار لما بها من دقة واعجاز .. ولقد حمل هذه المهمة على عاتقه ثمانية من كبار العلماء الدوليين ، أحدهم : العالم الأمريكى «كيث مور » الذى شارك فى هذا المؤتمر ، وصاحب المؤلفات الكبيرة والعالمية فى علم الأجنة .

وروعى فى أبحاث هذا المؤتمر أن تكون متفقة مع الاشارات العلمية التى أوردها الذكر الحكيم ، دون مغالاة فى اخضاع النص للنظرية لأن العكس هو الصحيح فالقرآن الكريم لا يتناقض أبدا مع الحقائق العلمية وعندما تخالف النظرية النص القرآنى فلا بد وأن تكون هذه النظرية خاطئة ، أو بها قصور وتحتاج الى اعادة نظر .

ولقد سلطت الأضواء على هذا المؤتمر وأبحاثه . وتناقلت أنباءه وسائل الاعلام المختلفة فى الداخل والخارج . ولكن ربما مما لا يعرفه الكثيرون دور الأزهر الشريف فى قيام هذا المؤتمر ونجاحه .

والحقيقة أن هذا المؤتمر قد تبنى فكرته منذ البداية الأزهر الشريف ممثلا فى شيخه فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على

جاد الحق شيخ الأزهر .. حيث عرضت عليه فكرة هذا المؤتمر على أن تقوم به نقابة أطباء القاهرة ، ولكن فضيلة الامام نصح بتوسيع القاعدة لهذا المؤتمر لتكون اطار النقابة العامة للأطباء وليست نقابة أطباء القاهرة وحدها ،

وهذا قد أسهم بلاشك فى تضافر الجهود وتعدد وتنوع الأيدى العاملة فى صرح هذا المؤتمر .

كما كان لفضيلة الامام الأكبر دوره الكبير فى السعى لدى الجهات المختصة والمسئولة فى الداخل والخارج لمساندة هذا المؤتمر وتدعيمه .

وكان من نتيجة ذلك مشاركة عدد كبير من الهيئات العربية والاسلامية فى هذا المؤتمر ،

وكانت رعاية سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية لهذا المؤتمر عاملا فى نجاحه والاقبال عليه .

ولقد كانت بحوث المؤتمر تحت الرقابة من الناحية الشرعية حيث روجعت بحوثه بمعرفة لجنة من أساتذة كليات جامعة الأزهر

المتخصصين فى علوم الشريعة والقرآن للوقوف على مدى موافقة الأبحاث لما ارتكزت عليه من آيات القرآن الكريم .

وكذلك شارك خمسة وعشرون عالما من الأساتذة والأساتذة المساعدين والمدرسين بكلية طب الأزهر فى أبحاث هذا المؤتمر ، حيث قدموا خمسة وعشرين بحثا حول : خلق الانسان ، والطب الاسلامى ، والطب النفسى ، والتربية الاسلامية للطفل ، وتنظيم النسل بين الفقه الاسلامى والطبى ، ومشروعية نقل وزرع

الأعضاء ، وختان الذكور ، وختان الاناث ، والأمعاء ، والنباتات الطبية ، والتنفس ، وأثر الثقافة الاسلامية فى بناء الطبيب المسلم ،

والاخصاب الصناعى ، والبنان ، والأمراض الجلدية الناتجة عن الكحول ، والعورة فى الاسلام ، والقرآن المكين وحول قول الله

« وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ »

والعظام . وغير ذلك من الأبحاث .

وقد أوصى فضيلة الامام الأكبر المؤتمرين فى جلسة المؤتمر الافتتاحية بالاستفادة بما فى القرآن من آيات الله فى الكون والانسان ، ليأخذوا الضياء من هدى السماء ، وقال فى كلمته :

ان انعقاد هذا المؤتمر الكبير الذى يشارك فيه وفود العالم الاسلامى ، لهو دعوة للالتفاف حول مائدة القرآن ، لناخذ منه الهداية والعبرة والمعرفة .

وصدق الله العظيم :

« إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ » .

فالقرآن دستور يحقق خيرى الدين والدنيا معا ، ويحث فى توجيهاته على التمسك بما يحقق للانسان سلامته النفسية والجسمية والعقلية ٠٠ فهو خير للانسانية جمعاء ٠٠ان أحدا لا ينكر الحقائق التى أوردها القرآن الكريم ، والتى أوضحتها وفصلتها الأبحاث والتجارب العلمية الحديثة ٠

والقرآن دعانا إلى ما يسمى فى الاصطلاح العلمى بالطب الوقائى ، وذلك بما شرعه من الطهارة والنظافة وأدب الطعام وعدم الاسراف فيه ، واعتزال النساء فى المحيض وغير ذلك كثير وكثير ٠

وقد حث الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ على التداوى ، وذلك فى معنى قوله : « تداووا ، فان الله خلق الداء والدواء ، فاذا صادف الدواء الداء تحقق الشفاء » فهذه دعوة اسلامية للانسانية ، تحث على استخدام الطب والأخذ بالاسباب توصلا الى الشفاء ٠

كما أعرب فضيلة الامام الأكبر عن تمنياته بنجاح المؤتمر والاستفادة بما جاء به من أبحاث ٠٠ وطالب باسم الأزهر والمسلمين الى الالتفاف حول مائدة القرآن ، لأنها مائدة الله ٠

ومن هنا نرى دور الأزهر فى انعقاد هذا المؤتمر ونجاحه واضحا وملموسا وفعالا ، مما جعل المؤتمر يقدم شكره فى جلسته الختامية أول ما يقدم الى الأزهر الشريف معترفا بفضله ودوره العظيم ٠

كما أبرزت توصياته حتمية الرجوع الى الأزهر الشريف فى الأبحاث الطبية التى ترتكز على المعانى القرآنية ٠

وهكذا يبقى الأزهر قائدا ورائدا حتى فى مجالات العلوم الانسانية ٠

مهدى عبد الحميد مصطفى

قرارات وتوصيات المؤتمر

قرر أعضاء المؤتمر ارسال برقية شكر وتقدير الى السيد محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية على قبوله شمول المؤتمر برعايته .

يقرر المؤتمر ان العلم بما كشف عن حقائق علمية اخبر عنها القرآن والسنة قبل أربعة عشر قرنا ليؤكد أن الاسلام هو الدين الصالح لكل زمان ومكان .

اولا ــ توصيات عامة :

١ ــ يوصى المؤتمر بانشاء هيئة عالمية لتطوير وتمحيص ونشر أبحاث الاعجاز العلمى فى القرآن واصدار الدوريات وارسال الوفود عن طريق الأزهر الشريف ــ ورابطةالعالم الاسلامى ــ والمنظمة العالمية للعلوم الطبية الاسلامية ونقابات أطباء مصر وجمعياتها الطبية وكافة الهيئات الأخرى المهتمة . وأن تقوم هذه الهيئة بعقد مؤتمرات دولية عن الاعجاز الطبى كل ثلاث الى خمس سنوات بواسطتها أو بواسطة احدى هيئاتها .

٢ ــ التوصية بانشاء هيئات من السادة علماء الشريعة والطب المهتمين بالدراسات ذات العلاقة وذلك فى كافةالدول الاسلامية .

٣ ــ تبادل الوفود والأبحاث بين العلماء المسلمين ودعم الاهتمام الدولى العلمى الطبى بالدراسات القرآنية ذات العلاقة .

٤ ــ تدعيم الاتصال بالجمعيات والهيئات التى تعمل فى مجال الطب الاسلامى فى أنحاء العالم وربطها بالمؤسسات الشرعية فى الدول الاسلامية .

٥ ــ التوصية بالتزام الدول الاسلامية بعمل دليل طبى اسلامى للأدوية الخالية من الكحول والمواد المحرمة الأخرى ، وحث شركات الادويـــة العـالمية لانتاج هــذه الأدوية .

ثانيا ــ فى مجال التعليم الطبى :

١ ــ حث الجامعات على تسجيل رسائل الدراسات العليا فى كليات الطب والعلوم فى مجال الموضوعات ذات العلاقة بالقرآن الكريم والسنة وعلاقاتهمـا بالعلوم الحديثة كما توصى وزارة التربية والتعليم باعــادة النظـر فى المنـاهج العلمية التى يتنافى أو يتعارض بعضها مع حقـائق القـرآن الكـريم كالأحياء وغيرهـا .

٢ ــ يوصى المؤتمر جميع المؤسسات والهيئات العلمية بتنشيط حركة التأليف والترجمة والنشر وبصفة خاصة تعريب الطب وسائر العلوم ويناشـد المؤتمر أن تتخذ الخطوات الايجابية لتعليم الطب باللغة العربية .

٣ ــ يوصى المؤتمر الدول الاسلامية بدعم المؤسسات المعنيــة بأبحـاث الاسلام والعلوم التجريبية فى شتى المجالات ويؤكد المؤتمر على توصــيات المؤتمرات الطبية الاسلامية السابقة .

٤ ــ يدعو المؤتمر جميع المؤسسات التعليمية فى العــالم الاســلامى الى اعادة صياغة مناهجها بما يتوافق وحقائق هذا الدين عقيــدة وشريعة والعمـل على تنقية هذه المناهج من مظاهر التناقض بين العلم والدين والاستفادة مما ثبت من الاعجاز القرآنى والسنة فى العالم .

٥ ــ الاستفادة من المنهج الاسلامى فى مجــال الصحة والطب فى تطوير التعليم الطبى ومناهج الدراسة بكليات الطب فى البلاد الاسلامية مع نشر أوجــه الاعجاز القرآنى بين هيئات التدريس . وقد وضعت بين يدى المؤتمر وثيقــة الكويت المسماة الدستور الاسلامى للمهن الطبية والتى اعتمـدها المؤتمر الأول للطب الاسلامى الذى انعقد بالكويت سنة ١٤٠١ هـ الموافق ١٩٨١ م

ثالثا ــ فى مجال اداب مزاولة المهنة :

١ ــ الاستعانة بالآداب والأخلاقيات المستقاة من القرآن الكريم والسنة المشرفة فى تطوير لوائح آداب مزاولة المهنة بما يسهم فى ايجاد مستوى ملائم لمزاولة المهنة بالصورة التى تخدم البشرية .

٢ ــ العمل على أن يكون قسم الأطباء من هدى القرآن والسنة وتعميمه فى كافة البلدان الاسلامية .

رابعا ــ فى مجال متابعة اعمال المؤتمر :

١ ــ نشر الأبحاث التى أقرت وتوزيعها على كافة المؤسسات العلمية الاسلامية وغيرها .
وغيرها .

٢ ــ متابعة استمرارية البحوث فى مجال هذا المؤتمر .

٣ ــ اصدار دورية طبية لنشر كل مستحدث فى التقدم الطبى والعلمى والذى له علاقة باعجاز القرآن الكريم .

أمين عام المؤتمر

أ ٠ د٠ محمد حسن الحفناوى

رئيس لجنة التوصيات

أمين عام نقابة **الاطباء**

د٠ عبد الفتاح **شوقى**

الفتاوى

إعداد
الأستاذ عبد الحميد شاهين

س : من السيد / ع ٠ م ٠
ابو الذهب ٠٠ أسيوط ٠

رجل أخذ من آخر أوقية من الفضة منذ خمسين عاما ، ثم أراد أن يردها اليه اليوم ٠٠٠ فهل يدفع قيمتها اليه بسعر اليوم أو بالسعر الذى كان يوم أخذ هذه الأوقية ؟ ٠

ج : اعطاء أوقية الفضة لآخر ، اما أن تكون على سبيل القرض أو الوديعة . والوديعة اذا لم تكن نقدا يجب ردها بعينها . وان كانت نقدا وجب رد مثلها ٠٠٠ . أما القرض فان كان عينا وجب رد مثله . وان كان نقدا وجب رد مثله أيضا عند الجمهور . وأجاز بعض العلماء رد قيمته قبل يوم طلبه وقبل يوم سداده ٠
وعليه فيجب رد أوقية من الفضة مثل التى أعطيت له ٠

س : من السيد / د ٠ ف ٠ المسكين ٠
الواحات ٠

هل الدعاء يبطل الصلاة أم لا ٠٠ ؟

ج : ان الصلاة دعاء : فالفاتحة دعاء : وورد أن الدعاء مستحب وقت السجود . فأقرب ما يكون العبد الى ربه وهو ساجد ، والقنوت دعاء ٠٠٠ ولكن بشرط ألا يكون الدعاء بمحرم ٠ وأن يخلو من خطاب الآدميين ٠

س : من السيد / م ٠ م ٠ ناصف
القاهرة

تقدمت لخطبة فتاة واشترطت عليها أن تكون محجبة ، وبناء عليه تقدمت

شبكة ذهبية عبارة عن اربع أساور ومصحف ، وسلسلة ، ودبلة ، تقدر بمبلغ ألف وسبعمائة جنيه مصرى (١٧٠٠ جنيه) .. وسافرت الى السعودية ثم عدت فوجدت الشرط لم يتحقق وهو الحجاب . وبناء عليه تم فسخ الخطبة .. فما حكم الشبكة ؟.

ج : الشبكة جزء من المهر ، والمهر لا تستحقه المخطوبة الا بالعقد عليها ، ومادامت الخطبة قد فسخت فان الشبكة جميعها ترد الى الخاطب ، ولا شيء للمخطوبة فيها لأنها أجنبية .

س : من السيد / ح . ق . البرنس البحيرة .

ما حكم الشرع فى رجل طلق زوجته بعد العقد عليها وقبل الدخول بها بقوله لها : أنت طالق ، ويريد أن يدخل عليها ؟

ج : بقوله لزوجته غير المدخول بها هذه : أنت طالق يقع به طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى ، لا تحل له الا بعقد ومهر جديدين وبرضاها ، على أن تكون معه على طلقتين .

س : من السيدة / ا . ح . الصورانى .

تزوجت ابنتى من مصرى مسلم ، وقد سمح لها بالسفر الى بلد عربى منذ مايو سنة ١٩٨٤ هى وأولادها ، ولم ينفق عليهم جميعا من هذا التاريخ حتى الآن ، فقامت الزوجة برفع دعوى أمام القضاء يطلب الطلاق غيابيا لعدم الانفاق .

فهل يعد طلاق القاضى لها غيابيا طلاقا شرعيا صحيحا ؟ .

ج : اذا صح قولها : فى أن ابنتها رفعت دعوى أمام القضاء لطلب الطلاق بينها وبين زوجها بسبب عدم الانفاق عليها وعلى أولادها ... فاذا طلقها القاضى أصبح الطلاق واقعا شرعا ، وجاز لها الزواج من آخر بعد انقضاء عدتها منه شرعا .

س : من السيدة / س . م . المنصورة .

توفى رجل عن : زوجة ، بنتين ، اخوة أشقاء ، اخوة لأب . فمن يرث ومانصيبه.

ج : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث . وللبنتين الثلثان فرضا لعدم وجود من يعصبهما وللاخوة الأشقاء الباقى تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .. ولا شىء للاخوة لأب لحجبهم بالاخوة الأشقاء .

س : من السيد الدكتــور / محمــد فائق الطويجى ·

توفيت امرأة عن : اخوة لأم ذكــور واناث ، وأخ لأب ، فمــن يرث ومـــا نصيبه ؟ ·

ج : للاخوة لأم الثلث فرضا لعدم وجود من يحجبهم يقسم بينهم للذكر مثل الأنثى ، والباقى للأخ لأب تعصيبا ·

والله أعلم ··

عبد الحميد السيد شاهين

طرائف

قالوا .. عند الوفاة

عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ :
وددت أن أخرج منها كفافا كما دخلت فيها ، لو أن لى اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع » .
عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه .

اللهم انك أمرتنى فقصرت ، ونهيتنى فعصيت ، وانعمت على فافضلت ، فان عفوت فقد مننت ، وان عاقبت فما ظلمت الا أنى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله .

هشام بن عبد الملك : «جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء ، وترك لكم ما جمع ، وتركتم عليه ما حمل ، ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له .

أبو الدرداء :
ياليتنى كنت شجرة تعضد وتؤكل ثمرتى ولم أك بشرا .

متى تجب الجنة ؟

من ملك نفسه حين يرغب .
وحين يرهب .
وحين يغضب .
وحين يشتهى .

أنواع الظلم

ظلم لا يغفره الله ، وظلم لا يتركه الله ، وظلم لا يعبأ الله به شيئا .
فأما الظلم الذى لا يغفره الله فهو الشرك به .
وأما الظلم الذى لا يتركه الله فمظالم العباد بعضهم بعضا .
وأما الظلم الذى لايعبأ الله به فظلم العبد ما بينه وبين الله تعالى :

تأثير الغنى والفقر فى الاخلاق

كتب عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ـ رضى

مواقف

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الله عنه ـ الى عامله على العراق أبى موسى الأشعرى يقول له:

لا تستقضين الا ذا حسب ومال ، فان ذا الحسب يخاف العواقب ، وذا المال لا يرغب فى مال غيره •

وروى عن بعض سلفنا الصالح قوله :

انى وجدت خير الدنيا والآخرة فى التقى والغنى ، وشر الدنيا والآخرة فى الفجور والفقر •

وقال بعض الشعراء :

ولم أر بعد الدين خيرا من الغنى
ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

إبن المقفع يصف صديقا له

وصف ابن المقفع صديقا له فكان مما وصفه به قوله : كان لى أخ أعظم الناس فى عينى ، وكان رأس ما عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه ، وكان لا يتأثر عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة •

وكان خارجا من سلطان لسانه ، فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يمارى فيما علم ، وكان أكثر دهره صامتا ، فاذا قال بز القائلين •

وكان لا يلوم أحدا فيما يكون العذر فى مثله حتى يعلم ما عذره •

وكان لا يشكو وجعه الا عند من يرجو عنده البرء ، ولا يستشير صاحبا الا أن يرجو عنده النصيحة •

وكان لا يتبرم ولا يتسخط ، ولا يتشكى ولا يشتهى ، ولا ينتقم من العدو ، ولا يغفل عن الولى ، ولا يخص نفسه بشىء دون اخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته •

فعليك بهذه الأخلاق ان أطقتها ولن تطيق ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع •

دعاء

اللهم اجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، اللهم اجعلنا سلما لأوليائك ، حربا على أعدائك ، اللهم انا نحب بحبك من أحبك ، ونعادى بعداوتك من عاداك •

من أعلام الأزهر

عبد المتعال الصعيدى

العالم الأديب المصلح

٢

تعددت مؤلفات الأستاذ الصعيدى ، وتنوعت موادها ، اذ كان ملما بنواحى الثقافة الاسلامية فى أظهر ميادينها ، وله فى كل مادة درسها ودرسها رأى يجمع الطريف الى التليد ، لقد ألف الأستاذ فى التشريع الاسلامى وفى الأدب العربى وفى التاريخ الاسلامى كما وقف على نشر بعض كتب التراث ، وقام بالتعليق عليها ، موجزا تارة ، ومسهبا تارة أخرى ، ومحاولة استقصاء كل ما كتب الأستاذ من مؤلفات مما يضيق به هذا المجال ، وهذا غير مقالاته التى لم تجمع فى كتب خاصة وهى كثيرة كثيرة • لأن الأستاذ كان مجادلا مقاولا ما يكاد يطالع فى صحيفة علمية بحثا ذا أهمية ، حتى يلهمه من الخواطر ما يدفعه الى التعليق ، وقد جادل كثيرا من أعلام العصر على صفحات الرسالة نذكر منهم الأساتذة عبد الحميد العبادى وعباس محمود العقاد وزكى مبارك ومحمد أحمد الغمراوى ، وعلى عبد الواحد وافى وغيرهم ، وليس الجدال ذا بال اذا لم يكن فى مسائل جوهرية ، وكان صاحبه ضليع الرأى ثاقب النظر فسيح الصدر ، وهكذا كان الأستاذ الصعيدى فى أكثر ما خاض •

ونبدأ بالالمام ببعض بحوثه فى مسائل التشريع الاسلامى ، اذ جال جولات موفقة فى ايضاح محامد الشريعة • وبيان مرونتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، وله كتاب « مستقل تحت عنوان (فى ميدان الاجتهاد) بدأه ببحث شائق هادف عن ضرورة الاجتهاد فمسائل التشريع ، بعد أن أوصدت القرون المتأخرة بابه ، وأفتى علماؤها بوجوب التقليد نظرا لغياب المجتهد ، فبين أن باب الاجتهاد كان مفتوحا فى عهد السلف ، وفى ميدانه ظهرت آراء السابقين من أئمة المذاهب الدينية، ثم أنشئت المدارس الفقهية الرسمية ابتداء من سنة ٤٥٠ هـ كالمدرسة البيهقية والمدرسة العيدية بنيسابور والمدرسة النظامية ببغداد ، فحددت المذاهب التى لا يجوز أن ينظر الطلاب

للدكتور محمد رجب البيومي

فى غيرها ، فكان ذلك خطوة أولى فى التضييق التشريعى ، وحين جاء صلاح الدين الى مصر بنى المدرسة الناصرية سنة ٥٦٦ والمدرسة الصلاحية سنة ٥٧٢ وخصهما بتدريس الفقه على مذهب الشافعى وحده ، ثم رأى أن ينشىء مدرسة ثالثة لتدريس الفقه الحنفى ، فلما كانت سلطنة الظاهر بيبرس فى عصر المماليك عين قضاة للمذاهب الأربعة ، وجعل الدروس الفقهية لا تحيد عنها بحال فى كل مدارس القاهرة والاسكندرية وغيرهما .

يقول الأستاذ الصعيدى « وفى هذه المدارس أقفل باب الاجتهاد ، وقبرت المذاهب الفقهية عدا المذاهب الأربعة ، وقد كانت هناك مذاهب كثيرة لأهل السنة والجماعة بقى بعضها الى القرنين السابع والثامن ، ومن هذه المذاهب مذهب البصرى والثورى ولم يعمل بهما أمدا طويلا لقلة أتباعهما ، ومذهب الأوزاعى وقد بطل العمل به بعد القرن الثانى للهجرة ومذهب أبى ثور وقد بطل العمل به بعد القرن الثالث ، ومذهب ابن جرير الطبرى وقد بطل العمل به بعد القرن الرابع ، ومذهب الظاهرى وقد طال أمد العمل به حتى القرن الثامن) .

وهذا القول يدل على أن هذه المذاهب الفقهية قد درست قبل انشاء المدارس ، ولم يتح البقاء لغير المذهب الظاهرى بعد انشائها ! فقول الأستاذ ان انشاء المدارس الفقهية ابتداء من سنة ٤٥٠ قد أضعف ميدان الاجتهاد حيث فرض التدريس بمذهب خاص ، لا يخلو من نظر ، اذ أن هذه المدارس المندرسة لم تكن ذات أتباع ومؤلفات حينئذ ، وانما كان الذيوع لغيرها ، واذا كان من الفقهاء من تعصب لمذهبه ، فمنهم لا محالة من خلا من روح التعصب ، ونظر فى آراء المذاهب السائدة ، وقام لديه ترجيح ما يختار واذا كان منشئو المدارس من الحكام والوزراء قد فرضوا مذهبا فقهيا خاصا بالتدريس ! فلم يمنعوا فقهاء غير هذه المدارس من التأليف الفقهى كما يشاءون ! ولم يمنعوا الاجتهاد فى حدود المذهب أو خارجه كما يقال ، ولكن جمود الفقهاء على المتوارث من الأقوال فى العصور المتأخرة قد أوقف النماء الفكرى لمسائل الفقه ، اذ لم نجد غير أفراد قلائل شاركوا بالرأى الصائب فى مسائل التشريع ، ونحن الآن فى القرن العشرين نرى الداعى

عبد المتعال الصعيدى

ملحا ملحا فى وجوب النظر الفقهى المطلق دون تقييد بمنحى خاص الا بالدليل الواضح من كتاب الله وسنة الرسول ، وما يتسع به المجال من القياس ! وقد دعا الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى الى ضرورة الاجتهاد ، ولاقى من المعارضين حملات كثيرة ساعدت الصحف المغرضة على اثارتها ، ولكنه وجد من أبناء الأزهر من أيدوه وآزروه ، وكان الأستاذ الصعيدى فى طليعة هؤلاء المؤيدين ، ولكنه عارض الأستاذ المراغى حين ألف لجنة الفتوى بالأزهر وحدد لها محيط الافتاء حين فرض أن تجيب اللجنة طالب الفتوى على المذهب الفقهى الذى يحدده المستفتى فاذا لم يعين مذهبا خاصا أجابته بحكم الله المؤيد بالأدلة من غير تقييد بمذهب من المذاهب الشرعية » .

يقول الأستاذ الصعيدى تعقيبا على ذلك ما فحواه ، ان الخضوع لارادة المستفتى فى تحديد مذهب خاص غير وارد اذ على اللجنة أن تفتى بما يترجح لديها دون اعتبار آخر ، فاذا ثبت لديها بالدليل ترجيح حكم على حكم هتفت به دون رعاية لميل خاص . ثم أفاض الأستاذ فى الحديث عن أصول الاجتهاد ، وهى معروفة مشتهرة ودعا الى تأليف موسوعة جامعة لمسائل الفقه فى شتى المذاهب الاسلامية دون الاقتصار على المذاهب الأربعة ، لتكون هذه المسائل قريبة من الأفهام ، ومجالا للترجيح والنقد ، مما يعد خطوة أولى لفتح باب الاجتهاد ! ثم أنهى البحث معترفا بأنه انسان يخطىء ويصيب ، ويقدم الرأى ليتداوله الناقدون من المتخصصين .

وبعد هذا التمهيد الداعى للاجتهاد ، كتب الأستاذ فصلا عن الحجاب فى الاسلام ، اذ اعتنق بعض زعماء المنبوذين فى الهند دين الاسلام لمناداته بالمساواة ، ووقف أتباعهم مترددين أمام ما يدعونه من فرض الحجاب على المرأة المسلمة ، واهتمت مشيخة الأزهر حينئذ بتصحيح الرأى فأصدرت فتوى قالت فيها باجماع الأئمة على أن الوجه والكفين ليسا بعورة ، وليس على المرأة من بأس أن تزاول أعمالها خارج بيتها ، وأن تمارس مهنا لكسب قوتها على شريطة ألا تظهر ما يثير العاطفة من جسمها ، فالاسلام لم يفرض على المرأة أن تعيش كما تعيش الأنعام أو أن تسجن كما يسجن المجرمون ، ولكنه على العكس أمر ان تحضر الصلوات فى المساجد فى صفوف خلف الرجال وأن تشهد اجتماعات المسلمين العامة فى الأمور الهامة ولم تمنع قط من ابداء الرأى فيها ، هذا بعض ما جاء بتقرير مشيخة الأزهر ولكن بعض الكتاب قد عارضه فى الصحف ، فرأى الأستاذ الصعيدى أن يفرد بحثا شافيا مسهبا فى مسألة الحجاب ينحو فيه منحى الفتوى الأزهرية الصائبة ، فيذكر الآيات القرآنية الخاصة بزوجات النبى ﷺ مبينا أن المقصود من حجاب أمهات المؤمنين ابتعادهن عن الأنظار فحسب ، ولا حرج عليهن فى الخروج للحج ، ولا أن يبلغن أحكام الرسول لمن سأل عنها ، ونقل من النصوص الكثيرة الشافية ما يثبت ذلك عن جزم ويقين مستشهدا بأحداث التاريخ فى مسألة الجمل وموقف السيدة عائشة رضى اللهعنها من سيدنا

عثمان ، فاذا خلص من ذلك تحدث عن غير أمهات المؤمنين من النساء فذكر أن الحجاب غير مفروض عليهن ، واستشهد بمواقف الصحابة والتابعين من زوجاتهم ، موضحا أن بعضهم قد حاول حجابهن بحكم الغيرة الشخصية لا بحكم الدين ، وأن منع المانع كان لأسباب خاصة لا لأمر دينى ، واستشهد بما رواه عبد الرازق عن معمر عن الزهرى أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت تحت عمر بن الخطاب وكانت تشهد الصلاة فى المسجد ، وكان عمر يقول لها : والله انك لتعلمين أنى ما أحب هذا فقالت والله لا أنتهى حتى تنهانى ، قال عمر : فانى لا أنهاك ، فلقد طعن عمر يوم طعن وانها فى المسجد ، وبعد استشهاد متعدد بالأحداث والمواقف قرر الأستاذ أن المرأة المسلمة فى حل من هذا النقاب الذى فرض عليها فى دينها فاذا شاءت سترت وجهها ، واذا شاءت تركت وجهها بلا نقاب .

وقد دعا بعض المتسرعين الى مساواة المرأة بالرجل فى الميراث ، والقى محاضرة متهافتة تدل كما ادعى على الظلم التشريعى فى عدم المساواة ، ونشرت الصحف ما قال المحاضر ، وعقبت بما يدل على التأييد من نفر لا يسرهم ان يلتزموا وجه الحق . افتتانا بما درسوه فى أوربا ، وتحدث بعض الناس عن المواريث فى الاسلام حديث من يوقف التشريع موقف الاتهام اذا قيس بقوانين الغرب ، فرأى الأستاذ الصعيدى أن يفرد كتابا مستقلا عن الميراث فى الاسلام وفى غيره من الشرائع المعاصرة فقام بدراسة مقارنة تكشف الغشاء عن عيون يملؤها الظلام ، وقد راج الكتاب فى مناسبته ، وتعددت طبعاته فى زمن يسير اذ صادف وعيا حيا من القراء ، وقد بدأه المؤلف بتفصيل شاف لأحكام الميراث فى الفقه الاسلامى وانتقل فى الفصل الثانى الى المواريث فى الشرائع القديمة فتحدث عن قوانين المصريين القدماء ، والعرب فى الجاهلية ، واليونان فى أثينا ، والرومان فى ايطاليا ، واليهود فى كتبهم المقدسة ، وجاء الفصل الثالث ليتحدث عن المواريث فى الشرائع الحديثة ، ومن بينها القانون الفرنسى الذى يراه المحاضر مثلا أعلى فى التشريع ، وبعد أن تقرر ذلك ، وعرف القارىء منحى الأمم من قديمة وحديثة فى اتجاهها الميراثى ، جاء الفصل الأخير ليقيم الموازنة العادلة بين الاسلام وغيره فى هذا الباب ، وقد امتد نطاق الموازنة ، فشمل حق الارث ، والتسوية بين الذكور والنساء والتسوية بين الاخوة والأبوين ، والتسوية بين الاخوة ، وحلول أولاد الوارث محله ، وتوريث ولد الزنا وتوريث المختلفين فى الدين ، وحجب البنات بالأبناء ، وحجب الأصول والحواشى بالبنات ، وحجب الجدود بالاخوة ، وحرمان الحمل من الارث ، واباحة مال من لا وارث له ، وتعليق الارث على القضاء ! ولكل مسألة من هذه المسائل تعليلها العقلى ، ودليلها الشرعى من نصوص الكتاب والسنة مقارنة بغيرها فى المواريث الوضعية ، وهذه دراسة مقارنة ناجحة ، من الخير أن تعم جميع الأبواب الفقهية فيتجرد نفر من الدارسين الى عقد مقارنات دقيقة بين الشرائع والقوانين ،

مظهرين وجهة الاسلام فى منحاه التشريعى وهذا ما تحقق بعضه فى نطاق محدود نرجو له أن يمتد ويستزيد ان شاء الله ٠

واذا كان الصعيدى يتابع ما يدور من نقاش علمى فى الصحف ، ويسهم فى ابداء الرد فى حوار لا ينقطع ، فانه لا محالة قد يتعرض لبعض الخطأ فيما يقول ، لأن الكمال لله وحده ، وقد فتحت جريدة السياسة الأسبوعية سنة ١٩٣٧ صدرها لمناقشة مسألة الحدود فى الاسلام ، وغلا بعض الكاتبين ، فردد ما يقوله أذناب المستشرقين عن قسوة الحدود كقطع يد السارق ورجم الزانى ، بينما جوبه بردود حاسمة تنفى مظنة هذه القسوة ، لأن الشرائع الوضعية جميعها توجب القصاص ، وتحكم بالقتل على القاتل ، كما تحكم به على من يتجسس لحساب دولة أخرى ، أو ينهض بثورة مسلحة ضد الحاكم ، فاذا كان حكم الاعدام مشروعا فى حالات كثيرة ، دون أن يزعم أحد أنه مثل للقسوة المفرطة ، فان الحكم بالرجم وقطع اليد مشروع اذا وجه لمن يستحقه ! وفى غمرة هذا النقاش بدا للأستاذ الصعيدى أن يشير الى رأى فى الحدود ، قد احتاط له كل الاحتياط ، وأعلن أنه يعرضه للبحث فحسب ، لأنه يحتمل الصواب والخطأ ، يقول الأستاذ عن رأيه الجديد ٠

« وانى ألجأ الى عرضه على الناس رأيا لا يظهر فيه ترجيح « لناحية اثباته أو نفيه ، بل أتركه لمن يتناوله بالبحث من أهله على صفحات السياسة ، وقد أخوض فى ذلك مع من يخوضون فيه اذا رأينا ما يستدعى هذا منى ، ولا أريد الا أن أعرض فكرة سنحت فى النفس لأعرف رأى الباحثين فيها وأعلم صوابها من خطئها » (١)

أما لباب الفكرة فهى أن قول الله عز وجل **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم »** وقوله تعالى : **(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدةولا تاخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)**

هذان الأمران الكريمان قد يكونان للاباحة لا للوجوب ، بمعنى أن يكون القطع فى السرقة أقصى عقوبة فيها ، فيكون الطرف الأعلى فى حدها ، ويجوز العدول عنه فى بعض الحالات الى عقوبات أخرى رادعة وان كانت أحق منه، ثم استشهد بعدة وقائع عدل فيها عن تنفيذ حد السرقة لبعض الظروف ٠

هذا ما عرضه الأستاذ على الباحثين ليتبين خطأه من صوابه ، فهو لا يجزم بالصواب بل يتقدم مستفهما مستوضحا ، واذا كان

البقية صفحة ٢٥٥

---

(١) قضية مجاهد فى الاصلاح ص ١٣٦ ٠

شعر وشعراء

إشراف: د. حسن جاد

الله أكبر

"نجاة شاور" الروح الشاعرة

خواطر اسلامية

للأستاذ محمد صيان الدين

أيسام خسفا جائرا ويضام ... من كان منهج عيشه الاسلام

أتضيق أرض الله وهى رحيبة ... بالمسلمين وانهم لكرام

فى كل ركن من بلاد الله مذبحة ... يشيب لها فتى وغلام !

شحذ الأباطرة الطغاة لها المدى ... ان الدماء لدى الطغاة مدام

ملكوا زمام المسلمين فأخضعوا ... أمما لها فوق السها أقدام

وتحكموا بالجور حتى يطفئوا ... حقدا له بين القلوب ضرام

فقراهم للجائعين تعلة ... وسقاؤهم للظامئين جهام

الأرض مائدة تفيض بخيرها ... قد حازها بيد الدهاء لئام

فيها لكل ذوى أنتحال مرتع ... وبنو الحنيفة حولها أيتام

قد حل طيبها لاجناس الورى ... لكنها للمسلمين حرام

ما بالهم يتكففون القوت من ... اعدائهم فى طيه الآلام

وهم الذين تبوءوا الارض التى ... تجرى بها الأنهار والأنسام

وكنوز باطنها نضار سائل ... وأديم ظاهرها جنى وطعام

يتسولون العلم وهو تراثهم ... قد ضيعوه وحازه الأقوام

وارحمتاه لأمة قد طالما ... خفقت لها فى عزة أعلام

الله عـــدل فى الخليقة انمـا الا | نســـان فى نزواتـه ظـلام
فالمسلمون غثاء سيل أغـرموا | بالغث مـن متـع الحياة وهـاموا
وتقاعسـوا عـن كل مكرمـة لهم | واستعذبوا صاب الخنوع ونامـوا
ميـدانهم عنـد النفيـر مـلاعب | وسيوفهم فى الفاشيات كـلام
باللـه أنى يسـتقيم لأمــة | أمر وقـد فتكت بهـا الأسقام
ماعز فى الـدنيا سفيه خـائر | بل راشـد زاكى الفؤاد همـام
لا لا تلومـوا المعتـدين وانما | لوموا الذين على الهوان أقامـوا

ان كـان حـراس الحمى متواطئين فمـا عـلى اللص المغيـر مـلام

شر الـوريث مفـرط فى تـالد | خشعت أمـام جلاله الأيـام
يـامعشر الاسلام ان عـدوكم | سهران لا يغفو وليس ينـام
متسـتر خلف الـدمى فى كفـه | للمسـلمين أسنة وسـهام
من كـل معتـل الفـؤاد مسخر | يضـفى عليه بريقـه الاعـلام
فهـراؤه فـوق المنابر حكمـة | تثرى العقـول وهذره الهـام
ليهز بالقـول الأثيم عقيـدة | غراء قـد أوحى بهـا العلام
وكأنمـا فقـه الأئمة والثقـا | ت استعجمت عن كشـفه الأحكام
فأتى ربيب الجاحدين مسفهـا | ما اسـتنبط العلمـاء والأعـلام
يـارب أيـة فتنـة تلك التى | حارت أمـام ضبابهـا الأفهـام
لكن نـور الحق لا يخبـو وان | غشاه مـن ذرو الصـغار رغـام
فله رجـال يكشـفون ضـياءه | فى كـل حين للعيـون عظـام
هل يكشـف الغمم النوازل بالحمى | الا عليم مـؤمن وحسـام ؟

الله أكبر

للأستاذ أحمد قاسم أحمد

حين أسعى للصلاة ... أبتغي روح الحياة
أبتغي طوق النجاة ... أبتدي لقيا الإله

قائلا : « الله أكبر »

حين أرنو للأفق ... قد تغطى بالشفق
وأراه يأتلق ... اذ بصوتي ينطلق

عاليا : « الله أكبر »

حين أغدو في البكور ... وأرى سرب الطيور
في صفوف كالسطور ... يهتف القلب الذكور

قائلا : « الله أكبر »

عندما يأتي الأصيل ... وأرى الشمس تميل
أرقب اللوح الجميل ... فإذا قلبي يقول

هاتفا : « الله أكبر »

حين ألقى الكائنات ... غاديات رائحات
في مراء باهرات ... أجتليها معجزات

قائلا : « الله أكبر »

حين أصغي للصغير ... قد تولاه السرور
ضاحكا .... مثل الزهور ... أكبر المولى القدير

قائلا : « الله أكبر »

عندما يشفى المريض ... أو أرى الروض الأريض
ناظما أحلى قريض ... أسمع الكون العريض

صيحتي : « الله أكبر »

نجاة شاور

الروح الشاعرة

بقلم: جليلة رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

•• واني لحريصة على (اسم الله) أستهل به هذه الكلمة التى أقدم بها الى القراء شاعرة مؤمنة بالله •

واسم الله يشيع فى شعر « نجاة شاور » حتى لأتخيلها راكعة أو ساجدة ، ضارعة ، مبتهلة •

فاذا خرجت من بيتها الهادىء فعلى بركة الله • واذا أجادت عملها فبفضل من الله • واذا عادت الى صغارها فالحمد لله • واذا ألمت بها الحيرة لجأت الى الله ، ومشت بالقلم فوق الورق ، ترفع شكايتها اليه :

« أنا جئت ياربى اليك •• جعلت وجهك قبلتى
وطرقت بابك فى خشوع كى تبدد حيرتى
وبسطت كفى نحو عرشك ، هل قبلت شكايتى ••؟ »

انه ليسعدنى أن أقدم الى القارىء أول ديوان للشاعرة نجاة شاور ليرى فيه فيض الالهام ، ونبض الأحلام ، وحنان الأم ، ووفاء الزوج ، وحب الوطن ، وقداسة الفداء ، وعذوبة التأمل فى الطبيعة حين تزاوج بينها وبين الناس ، ولنستمع اليها فى قصيدة « صلوات صامتة » :

« فى الهزيع الأخير والليل ساج
وقلوب أحلامها نشوانة
والسكون الرهيب يضفى على الـ
كون خيالات شوقه الظمآنة ••

حتى اذا فرغت من الخيال اتجهت الى الواقع :

« بعد حين يطالع الناس فجر
فى صفاء على الربا الولهانه

سيعود الضجيج يملأ حيى
فى ازدحام ونورة ملآنه
هكذا المرء فى الحياة جهاد
وعراك وصحوة فتانه
ثم موت وغفوة وفناء
ثم بعث وعزة أو ٠٠ مهانة
يوم لا ينفع الأنام شفيع
غير من جاز فى الحياة امتحانه

وهكذا كل شىء فى شعرها ينتهى الى الله ٠ ينتهى الى يوم الوقوف بين يديه سبحانه ٠٠ ولأن (نجاة) تباشر فى الحياة تربية النشء وامتحانه ٠

فقد عقدت للعباد نفس الامتحان ، وطوبى لمن « جاز فى الحياة امتحانه » ٠٠

ولعلك تلاحظ أيها القارىء ، أن شاعرتنا تنتمى الى الرومانسية ، والخيال المجنح ، وأنها تهيم بالطبيعة منذ الطفولة ، فالماء ، والخضرة ، والليل ، وحفيف الورق ، والنسيم الحالم النشوان ، والترعة السمحة السمراء ٠٠ كل هذه المفاتن صادفت فى نجاة موهبة الشعر ، فأعطتها كل هباتها ، أعطتها قيثارة الشاعر فغنت : ٠٠

النسيم الحالم النشوان يهفو فى خفر
أنا أهواه بما يحمل من نفح عطر
وبما يطرب سمعى من أهازيج الشجر

***

وهنا بالحب كم همت بلحن الساقيه
وأنا الطفلة ألهو فوق تلك الرابيه
أرضع الحسن وأحبو بين هاتيك الصور

وليس فى وسعى أن أقدم اليك ــ أيها القارىء ــ هذا الديوان بالمعنى الكامل للكلمة ٠ ولكنى أحاول فى الحقيقة ، أن أقربه اليك ، لأقدم من خلاله صاحبته ، قبل أن تلتقى بها على صفحاته ، ولكن الشاعرة أغنتنى عن كل عناء فى هذه المحاولة ، فقدمت نفسها بنفسها ، حين قالت فى قصيدة « أنا روح شاعرة » :

أنا لحن نابض فيه المعانى الزاخرة
أنا تغريد والهام ونفس طاهره
أنا شوق وحنين ٠ أنا عين ساهره
أنا همس أنا نجوى أنا روح شاعره

ومهمتى هنا أن أقول لك : « وأنا أشهد بذلك ٠٠

واذا كان قد حلا للبعض أن يرى أن : « أعذب الشعر أكذبه » ، فأنا أقول لك صادقة : ان نجاة شاور قد وصفت نفسها فى هذه الأبيات وصفا صادقا أمينا ٠ فهى كأم عين ساهرة ، وهى كزوجة نفس طاهرة ، وهى كشاعرة تغريد ونجوى ٠ وهى أولا وأخيرا روح شاعرة ٠٠ هى العين الساهرة على

طفلها ، حتى قبل أن يجيء ، ولنستمع اليها فى قصيدة « الى خطيبى » :

غدا سوف يجمعنا عشنا
ترفرف فى جانبيه المنى
تموج ستائره الناعمات
اذا ما النسيم هفا لينا
وفى كل ركن ترى جنة
تهز المشاعر من حولنا

***

وطفل صغير سيحبو هناك
أناديه هيا وقبل أباك
أنا الام غذيت طفلى الصغير
وعلمته كيف يهوى رؤاك
هو ابنى ورمز هوانا النضير
واشراقة حلوة .. من سناك

ثم تنتقل بنا الشاعرة الى عشها الحبيب وقد

أصبحت زوجة وأما لزهرتين ، وتحرك الثالث جنينا .. تتمنى أن يكون ذكرا هذه المرة .. فتخاطبه فى مناجاة جنين هى أعذب ما نظمته من القصائد :

تسمعت نبضك فى مهجتى
وصور لى خاطرى منظرك
تخيلت رسمك بين الشغاف
وسيما ، ذكيا .. فما أنضرك

وفى سؤال رقيق مشحون بالتمنى تسأل الله : ..

واسأل ربى ما نوعه
ترى يا الهى ماذا يكون ؟
أطفل حبيب مع الزهرتين
يعطر بيتى بسحر البنين ؟

وتعود فتخشى أن تتحدى مشيئة الله : —

وكل الذى قد وهبت جميل
فهذى « صفاء » وتلكم « سناء »
لأجلهما قد عشقت الحياة
وأرجو « تنوع » هذا العطاء

***

والشاعرة كزوجة تظل مشبوبة العاطفة لا تشغلها زهور الحديقة عن البستانى،وحسبنا أن يغيب الزوج عن بيته أياما ، فيهولها الفراغ ، ويثور عليها كل شىء فى البيت ، **فتهتف :**

كل ركن فى منزلى مشتاق
وبقلبى تلهف واحتراق
الفراغ الرهيب يملأ ذاتى
والسكون القتال والأشواق
رب بيتى ياواحة فى حياتى
طاب فيها الجنى وطاب المذاق

والآن .. يسعدنى أن أتحدث عن شاعرتنا كمواطنة مصرية فى وطنها العربى الكبير .

ولكنى لن أطيل ، فهو حب كبير كبير ، أتركه لك لتلتقى به ، أو ليطل عليك من خلال القصائد الحرى ، التى يزدان بها الديوان .. حسبى

نجاة شاور الروح الشاعرة

أن أقول لك ان الشاعرة تعيش أحداثنا التاريخية ، تعيش باحساس فلسطين السلبية ، وتذكر القدس والمسجد الأقصى وحياة اللاجئة :

المسجد الأقصى هنالك والبقاع الطاهره
والهيكل القدسى يوحى بالمعانى الزاخرة
والكرمة الولهى تعذبها الدموع الثائرة
والبرتقال قد ارتمى فوق الغصون الصابره

أجل .. البرتقال الأشم الذى كان يتعالى فى أجواء بستانه ، قد انتهى الى الارتماء فوق صدور الأمهات الصابرات ، أى « الغصون الصابره » .. ولكن نجاة ، كعهدى بكل مواطن أبى ، تسترد روح الكفاح والثورة والأمل ، فتقول على لسان الفدائية :

نغم الثورة فى سمعى وما أحلى النغم
مفعم بالويل ، بالحقد ، بثار المنتقم
لا أبالى النار والاعصار يغلى بالحمم
فالدم الفوار فى صدرى نار ليس دم
كل آمالى وأحلامى على درب الكفاح
لحنها المشبوب ممزوج بأنات السلاح

ولعل قصيدة حرب وسلام تصور أصدق تصوير موقف كل عربى وعربية من قصة السلام ، الذى نتبناه ، وقصة الحرب التى خضناها ، وسنخوض غيرها اذا تعذر السلام المنشود ، والملاحظ فى هذه القصيدة أن الشاعرة تجيد فن الاقتباس من الذكر الحكيم :

اذا جنحوا نحو شط السلام
فسارع الى السلم واجنح لهـا
ومـادام حقى يرد الى
سأترك حربا وأهوالهـا
ولست أخاف اقتحام الردى
وانى أزلزل زلزالهـا
وانى صنعت أسود الحروب
واطلقت للحرب أبطالها
واشعلت نارا تشيب الوليد
وأخرجت الأرض أثقالها

وقبل أن أهم بمصافحة الشاعرة ، أحب أن أعرض هنا للون جديد من الشعر ، لم أكن أتصور أنها تجيده ، فهى هنا فى هذه القصيدة الخفيفة الظل والروح ، تدافع عن سمرة لونها ، فى ظرف ومرح :

أجل سمراء سمراء
ولون السمر اغراء
تألق فيه ماء النيل
ان النيل ارواء
شعاع الشمس غذانى
كأن الضوء صهباء
فصار اللون خمريا
له بالسحر ايحاء
وتزعم أنه عيب ؟
فعينك أنت .. حولاء !

وبعد ... أرانى راضية عن نفسى بعض الرضى ، لأنى استطعت أن أؤدى بعض واجبى نحو شاعرة أصيلة وأن تواصل (نجاة شاور) المزيد من التغريد ، فى ديوانها الثانى ، الذى نأمل أن نراه فى القريب ، وأن نرى فيه وثبة جديدة ، تضيف الى الشعر العربى ثروة جديدة ، يسجلها تاريخ الفن لحساب الشاعرات .

جليلة رضا

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الأرصاد الجوية وحل المشاكل البيئية

الإعجاز العلمى في القرآن الكريم

أ.د. محمد جمال الدين الفندى

العمق السادس من أعماق الاعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز عمق يضع حدا لعبادة أجرام السماء أو التقرب بها من الخالق سبحانه جل شانه .

والناحية العلمية فى هذا العمق انما تتجلى فى اظهار حقيقة أمرها أى أجرام السماء مهما عظم شأنها وتعددت منافعها وتجلى بهاؤها ، مثل : الشمس والقمر والكواكب السيارة والنجوم وتجمعاتها وما تصوره الانسان منذ القدم من أشكال مواقعها كالبروج .

وفى هذا المقال سوف نفسح المجال للحديث عن الشمس التى هى من منن الخالق القدير لتكون مصدر الطاقات على الأرض . فهى التى كونت الفحم الحجرى وهى التى رسبت البترول ، كما أن طاقتها تدفع بالرياح فى مسالكها ، وأشعتها تضىء الأرض بضوء النهار .... :

« وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ »

« وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى إِلَى أَجَلٍ مسمى

ويظن البعض خطأ ان الشمس ثابتة لا تتحرك ، وأن الارض وحدها هى التى تدور من حولها ، الا ان الواقع هو أن الشمس تجرى ومعها سائر أفراد المجموعة الشمسية داخل الطريق اللبنى ، كما أنها تدور وتلف حول مركز المجرة بسرعة فائقة .

وتضىء الشمس القمر ليعكس أشعته الفضية على الأرض ، وهى الأشعة التى طالما

سحرت أعين الناس ببهائها وتغنى الشعراء بجمالها ، وعبد فريق من الناس القمر ، كما استخدم التقويم القمرى فى حساب الشهور والسنين .

ويضع القرآن الكريم حدا لتقديس أجرام السماء ، أو التقرب بها من الخالق ، فيقول مثلا فى سورة الأنعام الآيات (٧٦ — ٧٨) :

« فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي هَـٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ » .

وتشير الآيات الكريمة الى منطق ابراهيم عليه السلام عندما استنكر عبادة أجرام السماء واستبعد ربوبيتها .

ويقول الخالق القدير كذلك فى سورة فصلت الآية (٣٧) :

« وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّـهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ » .

والمعنى ان من دلائل قدرته سبحانه وتعالى — الليل والنهار — والشمس والقمر ، وعليكم ان لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله وحده الذى خلقهن ان كنتم حقا تعبدون الله وحده .

ومن وجهة نظر العلم هناك للشمس قصة ، شأنها فى ذلك شأن سائر المخلوقات فى هذا الوجود ، فهى تولد وتشب ثم تهرم لتموت أو تموت قبل أن تهرم ، وبموتها تنتهى قصة المجموعة الشمسية كما نعهدها الآن ومن بين أفرادها الأرض التى نعيش عليها .

وأصل مادة الشمس من الغاز الكونى ، وهو الأيدروجين الذى يتحول داخل الشمس على التدريج تحت تأثير الضغوط والحرارات العالية الى العناصر المختلفة ابتداء من غاز الهيليوم وذلك بالالتحام النووى ، مما يجعل الشمس أشبه شىء بمعمل ضخم متفجر كالقنبلة الايدروجينية التى تحول قبضة جاذبيتها العالية دون انفجارها وتناثر مادتها فى خضم الفضاء الكونى .

وهكذا تظل الشمس مصدرا للحرارة والضوء لأهل الأرض ، سخرها الله تعالى دون مقابل أو أجر لعلهم يشكرون .

ويقدر عمر الشمس الآن « من معدلات تحول الايدروجين فيها الى هيليوم ... »

بنحو عشرة بلايين سنة . أما عمرها الكلى المقدر لها اذا بقيت على حالها فهو ٥٠ بليون سنة . ومعنى ذلك ان الشمس لا تزال فى مستهل حياتها ، الا أنها قد تنفجر فجأة لاختلال اتزان الطاقات المتولدة فيها والمنطلقة من سطحها الى خضم الفضاء الكونى ، وعندئذ تنتهى قصتها وقصة سائر أفراد مجموعتها ، كما تنتهى الحياة على الأرض مهما بلغت من من ازدهار :

« .... حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ... » ــ يونس (٢٤) .

ومعنى (أو) فى قوله تعالى (ليلا أو نهارا) هو العطف بمعنى (ليلا ونهارا) ، ذلك لأنه عندما يكون نصف الكرة الارضية المواجه للشمس نهارا يكون نصفها الآخر ليلا . وهذا تعبير معجز علميا كذلك .

وحقيقة ضوء النهار انه « كما سبق أن وضحنا فى مقال آخر » ناجم عن تشتت أو تناثر ضوء الشمس فى الطبقة السطحية من غلاف الأرض الجوى المرتفع الكثافة نسبيا ولا يتجاوز سمك هذه الطبقة ولا يزيد على نحو ٢٠٠ كيلو متر فوق سطح الأرض ،وهى بذلك انما تمثل طبقة رقيقة من الجو تواجه الشمس دائما ، وتنسلخ . من باقى الغلاف الجوى المظلم بطبيعته ، بل ومن الفضاء الكونى المعتم والممتد الى ماشاء الله ، بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس لتبقى دائمة أبدا مواجهة للشمس التى هى مصدر الضوء :

« وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ » يس (٣٨) ، واستخدام كلمة (نسلخ) فيه اعجاز علمى واضح اذ ينسلخ النهار من الليل كما نسلخ جلد البعير من جسم البعير مثلا .

ومن نعم الله علينا أن جعل ضوء النهار يقبل من كل الاتجاهات بسبب تشتت أو تناثر الضوء فى الطبقة السطحية من غلاف الارض الجوى .

وعلى ذلك نستطيع أن نضىء غرفنا بضوء النهار أثناء النهار بمجرد فتح نوافذها ، حتى ولو لم تكن تلك النوافذ تواجه الشمس ولا تدخلها أشعة الشمس المباشرة .

الطاقة الشمسية :

ظلت الطاقة الشمسية قبل عصر العلم « عملة صعبة » لا سبيل الى صرفها على هيئة صورة من صور الطاقة التى يستغلها الانسان مثل الكهرباء الا عن طريق التعرض المباشر لحرارة الشمس طلبا للدفء مثلا . وظلت مملكة النبات وحدها هى التى تختزن أو تدخر

ضوء الشمس أثناء النهار بواسطة اليخضور أو الخضر أو « الكلوروفيل » ، وذلك على هيئة خشب ، أو سكر ، أو زيوت ، أو نشا :

« وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا » .

الأنعام (٩٩) .

فبواسطة الخضر ، حسب تعبير القرآن الكريم ، وفى ضوء الشمس « وهو طاقة أقل بقليل من نصف الطاقة الكلية التى ترسلها الشمس الى الأرض » يحول النبات ، عن طريق تفاعلات كهرضوئية ، ثانى أوكسيد الكربون الذى فى الهواء الى مواد عضوية . فالمعروف علميا أن ثانى أوكسيد الكربون الذى يمتصه النبات من الجو أثناء النهار يتحد مع ايدروجين الماء الذى يمتصه النبات من التربة (الأرض) بعد أن يتحلل هذا الماء الى عنصرية الايدروجين والاوكسيجين . ويخرج الأوكسيجين الى الجو لينقيه ولكى يستنشقه الانسان ومملكة الحيوان . وعلى هذا النحو تتم عملية « التمثيل الكلوروفيلى » وبها يتكون الخشب ، والنشا ، والسكر ، .....

كما قدمنا ، وبهذه الوسيلة يختزن أو يدخر ضوء الشمس ، اما على هيئة وقود كالخشب ومنه الفحم ، أو على هيئة غذاء ومنه النشا والسكر :

« الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ » .

يس (٨٠) .

أما الطاقة الحرارية التى ترسلها أو تصرفها الشمس فهى تعادل نحو ٤٦ فى المائة من الطاقة الكلية للاشعاع الشمسى . وتصل هذه الأشعة الى سطح الارض وتسبب تسخينه وتبخير الماء من الأسطح المائية ، وبذلك تتحول الى طاقة حرارية تصاحب تيارات الهواء الساخن أو تيارات البحر الدافئة ، أو تتحول الى طاقة وضع كما هو الحال فى مساقط المياه والشلالات ويحاول الانسان فى هذا العصر استغلال هذه الطاقات .

وعلى وجه التقريب يتحول نحو ثلث أشعة واشعاعات الشمس الحرارية التى تصل سطح الأرض الى حرارة يستغل جزء كبير منها فى تبخير الماء من أسطح البحار والمحيطات. وتحمل الرياح تلك الأبخرة الى مناطق اثارة السحب حيث تتكاثف الى نقط من الماء أو بللورات من الثلج تبعا لدرجات الحرارة السائدة فى تلك الطبقات . وعندما تدأب الرياح على تلقيح السحب المثارة وامدادها ببخار الماء وبنوى التكاثف مثل أملاح البحار ومنها ملح الطعام ينهمر المطر الذى يجرى ماؤه فى الأنهار أو يغذى المياه الجوفية ، ثم يسرى الى البحر ليعيد الكرة من جديد :

« وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ »

الحجر (٢٢)

البقع الشمسية وظاهرة الفجر القطبى :

تنفجر من الشمس براكين جبارة وتنبثق نافورات عظمى من غازات ملتهبة ومتأينة تندفع الى خضم الفضاء الكونى عبر ملايين من الكيلو مترات . ومن هذه الانفجارات ما يعرف باسم البقع الشمسية ، وهى أعاصير جبارة فى جو الشمس ، يبلغ قطر الاعصار منها نحو ٥٠ ألف كيلو متر ، أى أنها يمكن ان تبتلع الارض وما عليها .

وعندما تصل تلك الجسيمات ذات الطاقات العالية . « والتى تكون نوعا رئيسيا من الأشعة الكونية » الى جو الارض الخارجى يعمل مجال الأرض المغناطيسى « الذى ينتشر من حول الارض ويضرب نطاقا حاميا ودرعا واقيا لها » ويحول دون وصول تلك الأشعة الفتاكة بصفة مباشرة الى سطح الأرض ، بل يجعلها تحيد فى مسارها وتتركز فوق القطبين حيث تحدث سلسلة من التفريغات الكهربائية تعرف أضواؤها باسم (الفجر القطبى) .

ويبدو الفجر القطبى فى السماء على هيئة ستائر من الضوء المختلف الألوان ، أو قد يبدو على هيئة نوافذ ذات أضواء رائعة فى كبد السماء ، فلا يغيب جمالها عن ذاكرة من يراها طوال حياته .

وتقل فرصة مشاهدة الفجر القطبى بالبعد عن القطبين حتى أنه فى مناطق الشرق العربى مثلا يكاد لايرصد الفجر القطبى الا مرة واحدة كل ١٠٠ عام ، ولهذا ربما أطلق عليه خطأ اسم « ليلة القدر » التى وصفت على هذا النحو بأنها طاقة من النور ترى فى كبد السماء !

وبطبيعة الحال أنوار ليلة القدر هى أنوار أخرى الهية لا دخل للفجر القطبى بها :

« إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ . وَمَآ أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ . لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ » . القدر (١ — ٣)

وفى أى مكان على الأرض تشرق وتغرب الشمس كل يوم من وفى مواقع مختلفة ، وذلك كما هو معروف فلكيا بسبب ميل محور دوران الأرض :

« فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ » — المعارج (٤٠) — .

اذا الشمس كورت :

ليست الشمس صادقة التكوير ، بل هى فى الواقع على هيئة سحابة غير منتظمة الشكل والذى نراه منها مكورا هو كرة الضوء . ولا تكون هذه الكرة سطح الشمس الخارجى ولكنها توجد فى الداخل . وسوف تمر الشمس بعدة مراحل تنتهى بتكويرها وهو مستقر أمرها . ويشير القرآن الكريم الى ذلك فى اعجاز أخاذ اذ يقول :

١ ـ « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » •
التكوير (٧ أ) •

٢ ـ « وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ••• »
يس (٣٨)

واعلم أيها القارىء أن الشمس سوف تظل على حالها مادام هذا النظام الشمسى قائما ، وبذلك تظل الحياة على الأرض يانعة مزدهرة ينعم بمفاتنها الانسان ويتفنن فى الاستمتاع بها على النحو الذى نرى جانبا منه الآن •

ولكن الثابت فلكيا أن الشمس سوف تتمدد أو تنفجر فجأة ، وبذلك تملأ الفضاء الكونى الذى من حولها ، وتصل الى حيث تسبح الأرض ويدور القمر • وقد حدث أن انفجرت شمس (أو نجم بعيد) ورصده الفلكيونى منذ نحو ٣٠٠ سنة فأحرق كل ما يدور فى كنفه وملأ الفضاء من حوله بنيران مستعرة •

ويعبر القرآن الكريم عن هذه الحقائق فى اعجاز رائع اذ يقول فى سورة يس مشيرا الى عدم جواز انفجار الشمس أو تمددها ليصل جسمها الى حيث القمر طالما بقى نظامنا الشمسى قائما فيقول :

« لَا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ »

وعندما يشاء الخالق القدير انهاء أمر المجموعة الشمسية ، ومن ثم انهاء الحياة على الارض ، سوف يوحى الى الشمس فتتمدد أو هى تنفجر فجأة بسبب لا نعرفه ولا نحسبه وعندها تملأ الفضاء والسماء بغازاتها الملتهبة فلا يستطيع الانسان الفرار الى مكان آخر رغم وفرة ما يكون تحت يديه من سفن الفضاء والصواريخ التى يصنع أنواعا منها فى هذا العصر ، والواقع أن كلمة (غاز) هى لفظ افرنجى يقابلها بالعربية لفظ « دخان » •

ويقول القرآن الكريم :

١ ـ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ••• »

الدخان (١٠)

٢ ـ « فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ »
القيامة (٧ ـ)•

وهذا لون من ألوان الاعجاز بالاخبار بالغيب العلمى وحقائقه •

ومن الواضح أن جمع الشمس والقمر الذى لا يبعد عن الأرض الا بنحو ٣٥٠ الف كيلو متر •

سوف لا يكون بخروج الشمس عن مسارها ولكن بتمددها • ثم تعود الشمس بعد كل ذلك وتنكمش وتتحول الى « قزم أبيض » صادق التكوير وهو مستقرها ، والله تعالى أعلم •

للحديث بقية

جمال الفندى

الأرصاد الجوية
وحل المشاكل البيئية

للدكتور ربيع سيد فولى

تزداد المشاكل البيئية تعقيدا يوما بعد يوم نتيجة لأمور متعددة منها التقدم الصناعى والتكنولوجى ، والانفجار السكانى ، وتطور وسائل المواصلات المختلفة والتقفز فى رحاب الفضاء ، وانشاء محطات القوى النووية ... الخ .

وأهم هذه المشاكل البيئية :

تلوث الهواء .

وتلوث المياه .

وتلوث التربة .

والتأثيرات المختلفة لكل منها على صحة وسلامة الانسان والكائنات الحية الأخرى .

ويتلوث الهواء نتيجة لتسرب الغازات المختلفة والمواد الصلبة التى تتواجد مع (عوادم) السيارات والطائرات ، والتى تنتج عن الصناعات والأنشطة المختلفة للانسان .

ويجب علينا أن نهتم اهتماما بالغا بالمحافظة على نقاء هذا الهواء الذى نستنشقه لأن الملوثات الجوية (غازية أو سائلة أو صلبة) تضر بصحة الانسان وسلامته وتضر بالكائنات الحية الأخرى ضررا بليغا قد يؤدى الى الوفاة (تحت ظروف جوية معينة) من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الانسان لا يمكنه البقاء بضع دقائق بدون هواء .

هذا ويتوقف نقاء الهواء الجوى ليس فقط على معدلات انبعاث الملوثات الجوية من مصادرها المختلفة ومعدلات نفاذها ولكن أيضا على كفاءة عمليات انتقال وانتشار هذه الملوثات فى جو الأرض (أى على محصلة

العمليات الديناميكية والحرراية والتفاعلات الكيماوية والفوتوكيماوية التى تتم بالنسبة

للملوثات الجوية منذ انبعاثها من مصادرها وحتى نفادها) .

وسنوضح فيما يلى الدور الهام الذى تؤديه الأرصاد الجوية فى المجالات المختلفة (زراعية - صناعية - تخطيطية - صحية .. الخ) ، ومساهمتها فى حل بعض المشاكل البيئية فى هذه المجالات .

فى مجال الزراعة :

من المعروف جيدا أن العوامل الجوية تؤدى دورا هاما فى مجال الزراعة اذ أنها تؤثر على مراحل نمو النبات المختلفة وكذلك على أمراض النبات وحشراته وعلى صحة حيوانات الزراعة وانتاجها ، وفى النهاية يصل تأثير العوامل الجوية والعوامل المناخية على انتاجية الفدان .

ومن معرفتنا الدقيقة للتغيرات التى تحدث فى العوامل الجوية والعوامل المناخية فى كل منطقة ، وبالتعاون مع خبراء الزراعة يمكننا

تحديد أنسب الأوقات للزراعة والرى والحصاد بالنسبة لكل محصول وفى كل منطقة وكذلك وقاية المحاصيل من العوامل الجوية غير الملائمة مثل الصقيع حيث يمكن مقاومته بواسطة الرى أو التدفئة ومكافحة أمراض النبات وحشراته فى الأوقات المناسبة التى تعتمد على الأحوال الجوية .

ولذلك فانه من الضرورى ان نعمل على تضافر الجهود بين خبراء الزراعة وخبراء الأرصاد الجوية باستخدام كل الامكانيات المتاحة للتوصل الى نتيجتين هما : -

(أ) زيادة جودة نوع المحاصيل المختلفة ،

(ب) رفع مستوى معدل انتاج الفدان لكل محصول وذلك نظرا لما لهذه النتائج من أهمية بالغة فى تحسين مستوى الصحة العامة لأفراد الشعب وتغطية ما نحتاج اليه وتقليل الواردات ما أمكن ذلك وكذلك زيادة الصادرات

لبعض المحاصيل وهذا بالطبع يؤدى الى زيادة النقد الأجنبى الذى نستطيع الاستفادة منه فى حل مشاكل أخرى .

فى مجال الثروة المائية :

نظرا للتفاعل المستمر الذى يحدث بين الغلاف الجوى والمحيطات والبحار والأنهار فانه ينتج عن ذلك أن تتغير درجة حرارة الماء فى الطبقة العليا من الأسطح المائية المختلفة تبعا لتغير درجة حرارة الهواء الجوى الملاصق لهذه الأسطح ، وكذلك تتوقف درجة ملوحة المياه على معدل سقوط الأمطار ،

وتصل أيضا بعض الملوثات الجوية الضارة الى هذه الأسطح المائية بفعل العوامل الجوية.

وبذلك يمكننا استنتاج أن تركيب الطبقة العليا (٥٠ ــ ١٠٠ متر) من مياه المحيطات والبحار يتوقف على التغيرات التى تحدث فى العوامل الجوية والعوامل المناخية ، وكذلك تركيز الملوثات الجوية التى قد تصل الى

الأسطح المائية بفعلها ، أى تركيب الطبقة العليا من الغلاف المائى يتوقف على تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى .

من ذلك يتضح أن تأثير العوامل الجوية لا يقتصر على غذاء الانسان من النباتات والحيوانات بل يمتد هذا التأثير أيضا الى الأسماك والكائنات البحرية الأخرى عند انتقالها من مكان الى آخر نتيجة للتغيرات التى تحدث فى درجة الحرارة ، وقد ثبت أن كميات

الأسماك فى مياه الشواطىء تتوقف على هذه التغيرات التى تحدث فى درجة الحرارة وكذلك ملوحة المياه التى تتوقف بدورها على معدل سقوط الأمطار .

أى أن العوامل الجوية والعوامل المناخية تؤثر على الثروة المائية ومعرفتنا الدقيقة للتغيرات التى تحدث فى هذه العوامل تمكننا

ليس فقط من المحافظة على ثروتنا المائية ولكن أيضا من تنميتها .

فى مجال تخطيط المدن :

يتناول علم تخطيط المدن كثيرا من المشاكل المعقدة المختلفة فى كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والهندسية والصحية ، ونظرا لأن هذه المشاكل ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا فانه يجب علينا معالجتها مجتمعة وايجاد الحلول المناسبة لها .

عند تخطيط مدينة يجب عدم اغفال أهمية دور الأرصاد الجوية لأن العوامل الجوية تؤدى دورا هاما فى كيفية انتشار الملوثات الجوية (سواء كانت صلبة أو سائلة أو غازية) فى طبقة الغلاف الجوى القريبة من سطح الأرض وكذلك انتقال هذه الملوثات الضارة من منطقة الى أخرى سواء كانت هذه الملوثات ناتجة عن مصادر داخل المدينة أو خارجها .

ومن الممكن الاستفادة من المعلومات والدراسات المناخية لأية منطقة وكذلك الدراسات والبحوث الخاصة بمقدرة الغلاف الجوى على انتشار الملوثات الجوية المختلفة عند تخطيط مدينة ما .

وعلى وجه التحديد :
يمكننا تحديد أنسب المواقع للمدن الجديدة وتحديد اتجاهات الطرق الرئيسية والفرعية

لها ، والارتفاع الأمثل للمبانى ... الخ .

بحيث يكون تأثير التلوث الجوى الناشىء عن الأنشطة المختلفة للانسان أقل ما يمكن على صحة وسلامة الانسان والكائنات الحية الأخرى .

وبالاضافة الى ذلك فقد وجد أن أخذ العوامل الجوية والمناخية فى الاعتبار عند تصميم المبانى يؤدى الى توفير ١٠ ــ ٣٠ ٪ من تكاليف التبريد والتسخين وللتوصل الى نتائج أفضل يجب وجود تعاون وثيق بين مهندس البناء وخبراء الأرصاد الجوية لاستغلال المعلومات الفنية والدراسات والبحوث المناخية بأنسب الطرق .

وسنتحدث فى المقالة المقبلة باذن الله تعالى عن دور الأرصاد الجوية فى مجالات : الصناعة والطاقة ، والمواصلات الجوية والبحرية والبرية ، وتخطيط حركة مرور المركبات ، وحل بعض المشاكل البيئية فى هذه المجالات .

د. ربيع سيد فولى

مجلة الأزهر من خمسين عاما

دحض مفتريات المستشرقين

للأستاذ محمد فريد وجدى

دائما أبدا سيظل الدين الاسلامى المستهدف موضـع البحث بين المثقفين الباحثين من ابناء الغرب والشرق على السواء ·

وهذا شأن كل عظيم · ومطمـع كل طالب ومطمح كل راغب وأمـل كـل باحث ·

ربما لاتســاع ساحته أو امتـداد مساحته · أو لكونه الدين الذى لم يلبس نفسه ثوب التعالى بل تعامل مع الناس على أنه الأب والأخ والصـديق فدخل فيه الناس افـواجا عن اقتنـاع وحب وطواعية واختيار · مما ولد عن البعض — من غير أبنائه — أحاسيس متباينـة ونوازع شتى ورغبات لا يعلم خبـاها الا الله الـذى « يعلم خائنـة الأعين وما تخفى الصدور » ·

وأمام معادلة صعبة أو رآها المنكرون صعبة نشط البحث لحل هذه المعـادلة :

هناك امتداد للاسلام لا يتـوقف ·

وليس هناك منظمة مالية أو حكوميـة أو أهليـة تدفع بـه فكيف تأتى هـذا المد ··· ؟ ! ·

ودخل الاستشراق الميدان أمـلا فى سـد الطريق فخاب فاله وخبا ضـوؤه وانتشر الاسـلام ·

يقول الأسـتاذ :

نشر بعض المستشرقين كتابا فى أوروبا ألموا فيه بذكر ابراهيم — عليـه السـلام — ، واستطردوا من ذلك الى التعرض لما ورد عنه فى القرآن الكريم ، مما خيل اليهم أنه يصـح

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

أن يعتبر شبهات على كتاب الله فيما ذكروه عن والد ابراهيم ، وصلة ابراهيم بولده اسماعيل — عليهما السلام — ، وعن بنائهما الكعبة ، وعن نسبة العرب الاسماعيلية الى الى هذا النبى الكريم الخ • ونحن نلخص تلك الشبهات ، ثم نكر عليها بالرد ، احقاقا للحق ، وازهاقا للباطل ، فنقول :

قال هذا المستشرق ما ملخصه :

١ — ان ما ورد من اسم والد ابراهيم فى القرآن ينافى ما ورد عنه فى التوراة ، فان القرآن أسماه (آزر) والتوراة دعته (تارخ) •

٢ — ان شخصية ابراهيم مرت فى القرآن بدورين ، فقد ذكر عنه فى أولهما بالسور المكية أنه رسول كسائر الرسل ، أرسل لقومه المعاصرين له ، ولم يذكر له صلة باسماعيل ، وصرح فيها بأن العرب لم يرسل اليهم قبل محمد — صلى الله عليه وسلم — من نذير ، ولم يذكر عنه فى هذا الدور أنه أول بان للكعبة ، ولا أنه أول المسلمين •

فلما انتقل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة تغيرت الحال ، فجاء ذكر ابراهيم فى السور المدنية مشفوعا بأنه مؤسس ملة لا يرغب عنها الا من سفه نفسه ، وأنه حنيف مسلم ، وأنه هو الذى بنى الكعبة ومعه ابنه اسماعيل •

قال : وسر هذا التطور أن محمدا كان قد اعتمد على اليهود فى أول أدوار دعوته للاسلام بمكة ، فلما لم ينصروه التمس نصيرا غيرهم بتلك الدعوى •

فهداه ذكاؤه الوقاد الى اعلان أن ابراهيم أب للعرب ، فخلص بذلك من يهودية عصره ، الى يهودية ابراهيم نفسه ، تلك اليهودية التى يزعمون أنها أساس للاسلام الذى انتدب لنشره •

فلما أصبحت مكة تشغل جل تفكير الرسول ، نسب الى ابراهيم اقامته لبيت الله الحرام بمكة •

هذه شبهات أولئك المستشرقين ، ونحن نكر عليها بالدحض بحسب ترتيبها فنقول :

أما عن الخلاف الموجود بين القرآن والتوراة فى اسم والد ابراهيم ، فلم يجعله خلافا غير هذا المستشرق ، اذ لم يعلنه أحد قبله ، وكان أحق بهذا الاعلان وبالطنطنة به اليهود المعاصرون للنبى — صلى الله عليه وسلم — ، فانهم كانوا أحرص الناس على ابطال دعوته ، وصرف الناس عن رسالته • وكانوا من أجل ذلك يترصدون لجميع ما يبدر منه من أقوال وأفعال ، ليتخذوا من بعضها وسائل للارجاف ، وذرائع للخلاف • فلو كانوا رأوا فى مسألة والد ابراهيم وجها لاثارة شبهة لملأوا الجو بها اعتراضا ، ولاتخذوها تكأة

قوية لهم للتشكيك فى القرآن . فأما وقد مرت عليهم هذه التسمية ولم يتشبث بها أى معترض ممن كانوا يناوئون رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فمعنى ذلك حتما أنها لا تستدعى أقل التفات ، ولا تثير أوهى شبهة .

فلقد مرت على وجود هذه التسمية أحقاب متطاولة ، واحتدم الخلاف كثيرا فى أدوار شتى بين المسلمين واليهود ، فى الدين ، وفى الكتاب الذى جاء به محمد — صلى الله عليه وسلم — ، وتهيأت ظروف كثيرة للارجاف والتشنيع من المنافقين واليهود ، كل هذا حصل ولم يستطع أحد من هؤلاء الخصوم العتاة أن يتمسك بما يسميه المستشرق اليوم خلافا بين القرآن والتوراة .

أفلا يدل هذا قطعا على أن كلمة (آزر) كانت تطلق فى ذلك العهد وقبله على (تارخ) اطلاقا صحيحا شائعا بين العرب واليهود ، فهو اما أن يكون لقبا عرف به والد ابراهيم ، أو صفة غلبت عليه فجرت مجرى العلم ؟ .

ان هذا المستشرق يفترض أن محمدا كان يعتمد فى نشر الاسلام على يهودية ابراهيم المزعومة ، فهل يعقل أن يخطىء فى اسم أبيه وهو بين ظهرانى ألوف مؤلفة من اليهود ، وفى أيديهم التوراة مترجمة الى العربية ، وذكر ابراهيم ذائع بينهم كل الذيوع ، ويسهل عليه أن يعرف اسم أبيه من أى طريق شاء ؟ .

هذا ما يتعذر فهمه كل التعذر ، ويسوغ لنا أن نقول : انه ليس لهذه الشبهة قيمة على الاطلاق .

فلننظر الآن فى بقية ما نشره ذلك المستشرق من الشبهات ، وهو أن شخصية ابراهيم قد مرت بدورين : فاعتبر أولا واحدا من المرسلين، ، ولم تذكر له صلة باسماعيل ، وصرح القرآن بأن العرب لم يرسل اليهم قبل محمد — صلى الله عليه وسلم — من نذير ، ولم يذكر عنه أنه أول بان للكعبة ، ولا أنه أول المسلمين . فلما انتقل النبى — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة تغير ذلك كله ، فاعتبر ابراهيم حنيفا مسلما ، وعد مؤسسا لملة لا يرغب عنها الا من سفه نفسه ، وأنه بنى الكعبة مع ابنه اسماعيل ، الخ .

رتب هذا المستشرق هذه الخيالات يقصد من ورائها أن يقول فى صراحة : ان القرآن الكريم ليس من كلام الله وانما هو من وضع محمد — صلى الله عليه وسلم — ، وأنه قد اتخذ فيه ما رآه من ضروب السياسة ومصلحته الشخصية أمام العرب « كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » ! .

ونحن نقول : ان هذا الكلام قد أملاه على قائله جهل بحقيقة الاسلام ، وخبط فى تاريخ أدواره ، وغفلة عن الأصول التى بنى عليها من أول يوم ايحائه .

وقبل أن نعرض لبيان هذه الشئون نتصدى لبناء هذه الشبهة ، فنبين تفكك أجزائها ، وتداعى أركانها ، ونثبت أنها أسست على جهالات تاريخية لا تغتفر لكاتب .

فأما أن القرآن جعل ابراهيم واحدا من المرسلين ، مثله كمثل سائر النبيين ، فهذا لا علاقة له بأحد دورين دخلت فيهما

شخصيته ، ولكنه وصفه الملازم له فى جميع الأدوار ، فكل مسلم من أول وجود الاسلام الى اليوم يقول بذلك ولا يعدوه الى غيره ، فان كان لابراهيم شأن فى تاريخ الاسلام غير ما لاخوانه من الرسل ، فذلك لأنه الجد الأول لفريق كبير من العرب ، ومؤسس البنية التى كانوا جميعا سواء الاسماعيليون منهم والقحطانيون يحجون اليها فى كل عام مرة ، وكان يدين بدينه منهم رجال كانوا موزعين فى جميع قبائلهم .

والعرب أجمعون بفريقيهم قبل الاسلام كانوا يعتقدون أن بيت الله الحرام بناه ابراهيم وابنه اسماعيل ليقيما فيه الصلاة .

هذه كانت عقيدة العرب فى الجاهلية ، ولذلك اتخذوا هذه البنية بيتا مقدسا يحجون اليه فى كل عام مرة ، ولم يختلف أحد منهم فى شخصية بانيها ، وقد اختلفوا فى كل شىء حتى فى أسماء معبوداتهم الا فى نسبة هذه البنية الى ابراهيم واسماعيل . وليس فى الأمر نفسه ما يوجب العجب من أية ناحية حتى يتخذ منه الناقدون المعاصرون شبهة على القرآن الكريم ، فالمسألة أصبحت بعد هذا البيان تنحصر فى هل نزل ابراهيم عليه السلام بلاد العرب ؟ فالعرب يقولون : نعم ، وبنى فيها هذا البيت الذى نحج اليه ، واليهود الذين يعتمد المستشرقون على كتابهم يوافقون العرب على ذلك ، ويعينون المكان الذى نزل فيه وأودعه امرأته هاجر وابنه منها اسماعيل (راجع التوراة ، الفقرة الثامنة عشرة من الاصحاح الخامس والعشرين ، والفقرة العشرين من الاصحاح الحادى والعشرين) .

هذا كله كان يعرفه العرب الجاهليون واليهود النازلون بين ظهرانيهم ، أفيعقل أن ينسب الى الاسلام أنه مخترع هذه القصة ؟ واذا عقل بعضهم هذه الشبهة ، فهل يعقل معها أنه هو الذى وضعها فى التوراة نفسه ؟ !

وما معنى قول هذا المستشرق : ان القرآن فى أول أمره لم يصرح بصلة ابراهيم باسماعيل ؟ أفكان منه هذا الصمت لأن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يجهلها وهو بمكة مع وجودها فى التوراة وشيوعها على ألسنة اليهود هنالك ؟ .

غريب أمر هذا المستشرق ! يزعم أن القرآن فى أول عهده وفى سوره المكية لم يصرح بصلة ابراهيم باسماعيل ، مع أنه قد ذكر تصريحا فى احدى تلك السور المكية وهى سورة ابراهيم ، فقد قال الله تعالى فيها على لسان ابراهيم : (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**) . فعلى أى أساس شيد هذا المستشرق زعمه الذى زعمه غير جهله بالسور المكية وما ورد فيها ؟ أيعقل أنه كان يطنطن بدعواه هذه ويقيم عليها تلك المفتريات التى رتبها عليها اذا كان قد وقع نظره على سورة ابراهيم المكية ووجد فيها صراحة صلة ابراهيم باسماعيل ؟ .

نحن نعلم أن من المستشرقين من يفترى الكذب على الاسلام ، ولكنا كنا نظن أنهم

يستحيون من نفى شىء ذكر صراحة فى كتابه الكريم .

أما قوله : وقد صرح القرآن بأن الله لم يرسل الى العرب رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم مستندا الى مثل قوله تعالى : (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُم مِن نَذِيرٍ مِن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) فليس بصحيح ، لأن المراد من مثل هذه الآية أن الله لم يرسل الى تلك الطبقة من العرب المستعربة رسولا قبل محمد ، ولم يقصد بما قاله فى أمثال هذه الآيات نفى ارسال أى رسول الى العرب فى كل الأجيال على الاطلاق ، فقد ذكر القرآن الكريم نفسه فى نصوص صريحة بأنه أرسل هودا ــ عليه السلام ــ الى بنى عاد ، وصالحا الى بنى ثمود ، وجميع هؤلاء العرب من طبقة العرب البائدة .

وقد صرح القرآن الكريم أيضا بأن اسماعيل رسولا نبيا . وليس بخاف أنه نشأ فى بنى جرهم الذين أصهر اليهم ؛ فنشأت من هذا الاختلاط طبقة العرب الاسماعيلية الذين منهم قريش وربيعة ومضر وغيرهم ، فكان اسماعيل عليه السلام موجودا فى أول أدوار تكوين تلك الطبقة .

وأشار الكتاب الكريم الى أن رسالته خصت عشيرته الأقربين ، فكان يأمرهم بالصلاة والزكاة ومكارم الأخلاق ، ولم يكلف أن تعدو رسالته تلك العشيرة ، فلم يكن مبشرا ونذيرا عاما ، وعلى رأس انقلابات كبيرة كما كان شأن محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وقد دل التاريخ على أنه منذ أن نشأت القبائل العدنانية الى عهد خاتم النبيين لم يرسل الى العرب نذير قبله ــ صلى الله عليه وسلم ــ . فما ذكره القرآن صحيح وموافق للتاريخ العام كل الموافقة ، ولا تناقض فيه من أية ناحية من نواحيه .

أما قول ذلك المستشرق : ان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يعتمد فى قيام أمره على يهود مكة ، فليس بصحيح ، ولا يوجد فى الكتاب ولا التاريخ ما يثبته ، فلم يوجه اليهم الدعوة مرة واحدة ، ولم ينقل أنه كان يجتمع بهم يشاورهم فى أمر الدعوة الاسلامية . والذى ورد فى الكتاب أنه فى أول أمره أمر أن يدعو الى دينه سرا ، ثم بأن ينذر عشيرته الأقربين ، ثم أمر باعلان دعوته ، فعاداه قومه ولهذا السبب ، وعملوا على ابطال أمره ، ولم تذكر اليهود فى تلك الأدوار ولا مرة واحدة ، ولم يبين لنا ذلك المستشرق نوع تلك المساعدة التى كان يرجوها منهم:أهى مساعدته فى نشر الدعوة ولم يوجه اليهم الخطاب مرة واحدة ، أم اعانته بالقوة ولم يكونوا ذوى عدد يخشى لهم بأس فى وسط تلك القبائل القوية ، بل ما كانوا يغنون عن أنفسهم فيها ؟!

ان الله لم يصارح أحدا بالعداء فى القرآن الكريم كما صارح اليهود ، فكيف يتملقهم محمد ويستعين بهم ! اللهم ان هذه أقوال ملقاة على عواهنها ، وليس فيها ظل من التحقيق العلمى .

اذا كان هذا الأمر صحيحا ، أما كان الواجب أن يرد فى القرآن الكريم مايستوجب عطفهم ، ويستنزل جنوحهم ، من التنويه بسلامة عقائدهم ، أو الاشادة بذكر قرابتهم ؟ فكيف ذلك وهو يقول بأن الكتاب لم يعلن أبوة ابراهيم للعرب الا فى المدينة ، أليس كان أولى أن يكون هذا وهو بمكة يستميح فيها عون اليهود ، من أن يكون بالمدينة وهو يصارحهم فيها العداء ، ويكشف عن سيئاتهم ؟ أليست هذه شبهة مفككة الأوصال ، منحلة العرى ، داحضة من نفسها دحوضا لا قيام لها بعده ؟ ! .

ثم قال ذلك المستشرق : انه لما يئس من اليهود وجه وجهه شطر قوم آخرين . فمن هم أولئك القوم الآخرون ؟ النصارى ، ولم يكونوا بذوى عدد فى بلاد العرب ، ولا يأبهون لقرابة العرب الى ابراهيم وابنه ، ولا بأنهما هما اللذان بنيا الكعبة ؟ أم كان أولئك القوم الآخرون هم أهل المدينة ، وقد كانوا من القبائل اليمنية الذين نزحوا بعد سيل العرم الى بلاد العرب ، وكان لا يعنيهم من أمر ابراهيم شيئا ؟ أم كانوا أولئك الأفراد الذين كانوا يدينون من العرب بدين ابراهيم ، وكانوا نفرا يعدون عدا موزعين فى القبائل ، ولا تجمعهم جامعة فى طول بلاد العرب وعرضها ؟ أم كانوا قوما آخرين لا نعرفهم ولا يعرفهم التاريخ نفسه ؟ .

لقد تبين القارىء من كل مامر أن هذه الشبهات التى أوردها ذلك المستشرق لا تقوم على أساس مطلقا ، وما أملاها عليه الا الخيال المحض ، وارادة الغض من كرامة الاسلام بمثل هذه الأقوال الفارغة .

وقد غفل هذا المستشرق عن أمر جلل ، وهو ما بنى عليه الاسلام من أصول عالية ، وما أقيم عليه صرحه من وطائد عالمية راسخة .
ان الاسلام لم يعتمد فى قيامه على تأليف شعب مختار تستند أبوته الى شخصية ممتازة ولكن رمى الى تأليف أمة عالمية تذوب فيها الجنسيات والفوارق الاجتماعية ، باسنادها الى الأبوة العامة المتفق عليها ، وهى أبوة آدم فقال تعالى مخاطبا الناس كافة :

« يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

أما عن الاعتزاء الى الشخصيات الممتازة ، والأبوات الماجدة ، فقد قال الله تعالى :

« أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

فالاسلام يسوى فى الحق بين من كان أبوه ابراهيم الخليل أو محمدا خاتم النبيين وبين من كان أبوه عبدا أسود أو من لا يعرف له أب أصلا ، فليس هو بالدين الذى بنى أمره

على هذه الشئون التى لو راجت فى زمان محدود ، أو لدى طائفة معينة فى دور من أدوار عقليتها الساذجة ، فلا تروج فى كل زمان ومكان ، ولا لدى الأقوام الذين ارتقت عقولهم ويعدون أمثال هذه الأمور حاطة بكرامة الاجتماع .

الاسلام دين شرع للناس كافة: أبيضهم وأسودهم ، عربيهم وأعجمهم ، فسوى بينهم مساواة لا محل فيها لأبوة ممتازة ، ولا لأصل ما جد ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لقد أزال الله عنكم دعوة الجاهلية واعتزازها بالأنساب ، كلكم من آدم وآدم من تراب » .

وقد رمى الى تأليف أمة عالمية ذات دين موحد ، لا هو دين ابراهيم ولا دين نوح ، دين الله نفسه ، القائم على الفطرة التى فطر الناس عليها،وعلى العقل والعلم ، فقال تعالى:

« أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ » وقد قرر الله فى غير آية أن الاسلام هو الدين الأول الذى أوحاه الله الى أول رسول ، فقال تعالى : « شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا » .

فاذا كان الكتاب يقول عن الاسلام بأنه دين أبيكم ابراهيم فلذلك ، لا باعتبار أنه أول من جاء به ، فان عبارة الآية السابقة تمنع ذلك ، ولكن باعتبار أنه كان أكبر ممثليه فى العالم . واذا كان الكتاب قد صرح بأن ابراهيم أول المسلمين ، فذلك بمعنى أنه فى مقدمة من دان بالاسلام ، لا بمعنى أنه واضعه أو أول من تلقاه عن الله تعالى . وذلك على حد قول الله تعالى : « قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ » فمعناه أن محمدا يبادر الى عبادته ، لا أنه أول من قام بعبادته من الناس أجمعين .

فالاسلام كما ترى لا يقوم على أمثال هذه الأصول التى أتعب ذلك المستشرق نفسه فى تخيلها ، ولكنه يقوم على أصول عالمية عامة ، لم تقم على مثلها أمة الى اليوم ، وتعترف أرقى فلسفة بانها اكمل الأصول وأولاها بالاجلال . وهو فى كل أوامره ونواهيه ينحو هذا النحو العالمى العام ، ويحطم فى سبيل ذلك جميع الفوارق الاجتماعية التى أقامتها جاهلية الشعوب ، وروجتها عصبية القوميات فى أدوار التاريخ . وليس بين هذا الاسلام وبين أن يكون دين العالم كله ، الا أن تعرفه الأمم حق معرفته ، واذ ذاك يصبح الاسلام الدين البشرى العام ، فيتحقق معنى قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » .

« وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ » .

محمد فريد وجدى

اللغة والأدب والنقد

من روائع تراثنا المخطوط "غراس الأساس"

الصيغ التي تأتي بمعنى "مفعول"

التصوف كما عرفته الثقافة الإسلامية

من روائع تراثنا المخطوط

غراس الأساس

للحافظ ابن حجر العسقلاني

❋ (بعض) كلفتني مُخ البعوض : أى الأمر الشديد .

❋ (بعق) تبعق المطر وابتعق : انفتح بشدة . وانبعق (١) فلان بالجود : أكثر . وانبعق عليهم (٢) الخوف : فاجأهم .

❋ (بعل) بعل النخل : فحلها . وبعل الدار : ربها .

❋ (بغث) خرج فلان فى البغثاء (٣) : أى أخلاط (٤) من الناس .

❋ (بغض) يقولون : أنعم الله بك عينا ، وأبغض بعدوك عينا (٥) وبغض جده (٦) : اذا عثر .

❋ (بغل) اشترى بغلة حسنة : أى جارية . وفى بيت فلان بغال . واشتريت من بغال اليمن (ولكن بغالى (٧) الثمن . ونكح فلان فى بنى فلان (٨) فَبَغَّلَ أولادهم : أى هجنهم .

❋ (بغم) امرأة بغوم : رخيمة الصوت ، وباغمها : غازلها .

❋ (بغى) بغى الجرح : ترامى الى الفساد . وبغت السماء : ألح مطرها . والفرس له بغى فى عدوه : أى مرح .

❋ (بقع) سنة بقعاء ، وعام (٩) أبقع : لعام الجدب (١٠) وابن بقيع (١١) وهو باقعة من البواقع للكيس الداهية من الرجال ، شبه بالطير الذى يرد البقع ، وهى المستنقعات ، دون المشارع (١٢) خوف أن يصاد . وفلان حسن البقعة عند أميره : أى المنزلة .

❋ (بقل) بقل وجه الغلام اذا بدا نباته ، وبقل ناب البعير : طلع .

---

(١) فى الاساس هذه الزيادة .
(٢) فى الاصل المخوف .
(٣) فى الاصل : فى البغيا .
(٤) فى الاصل : أحلاط .
(٥) فى الاصل : أبعد الله بعدك عينا .
(٦) فى الاصل وبعض بالعين .
(٧) فى الاصل : بغال .
(٨) الزيادة من الاساس .
(٩) فى الاصل : وعالم ابقع .
(١٠) فى الاصل : الجذب بالذال .
(١١) ابن بقيع : هو الكلب ، وفى الاساس : وتشاتما فتقاذفا بما أبقى ابن بقيع .
(١٢) فى الاصل الشارع .

تحقيق الدكتور
توفيق محمد شاهين

* (بقى) ركبوا المبقيات : أى الخيل التى لا تخرج ما يحيدها من الجرى (١) وناقة مبقية : لا تعطى الدرّ كله .

(بكأ) بكؤت العين . قل ماؤها . وركيّ بَكِيّ : قليلة الماء . وعيون بكاء : قليلة الدمع . وألسنة بكاء : قليلة الكلام . وأيد بكاء : قليلة العطاء . وأبكأ فلان : صار قليل الخير .

* (بكر) بكّر بالصلاة : صلاها أول وقتها . وبكر إلى الجمعة : خرج اليها سابقا . وابتكر الشيء (٢) : أخذ أوله . وابتكر الفاكهة : أكل باكورتها . وابتكر الجارية : افتضها . وابتكر الخطبة:سمع أولها . ونخلة باكرة وبكور : تبكر بحملها . وغيث باكر وبكور : وقع فى أول الوسمىّ . وأشد الناس بِكْرٌ بن بكرين (٣) . وضربة بِكْر : لا تثنى . وما هذا الأمر منك بِبِكْر (٤) ولاثنيّ : أى لا أولا ولا ثانيا . وكرم بكر : حمل أول حمله .

* (بكع) كلّمتهُ فبكعنى بجواب خشن . وخشيت (٥) أن يبكعنى بما أكره . وأصل البكع : الضرب الشديد .

* (بكى) بَكَتِ السحابة فى أرضهم : سكبت الماء .

* (بلج) صَباحٌ أبلج والحق أبلج . ويقال للرجل الطلق:وجه الكريم أَ بْلَج ولو كان أقرن . وبلجت به الصدور : إذا فرحت (٦) . تقول : ثلج (٧) به صدرى وبلج بعد ما حرج (٨) .

* (بلد) ان لم تفعل كذا فهى بلدة بينى وبينك : أى قطيعة ، والمعنى : أباعدك ويفصل بيننا بلدة من البلاد . ويقال للمتلهف تَبَلَّدَ : أى ضرب بلدته ، وهى صفحة راحته على صدره . وبلدت الجبال : تلاصقت فى رأى العين من ظلمة الليل (٩) .

* (بلط) انها لحسنة البلاط : اذا جردت واعترضه اللصوص فأبلطوه : أى تركوه على ظهر الغبراء ولم يبقوا له شيئا .

* (بلع) بلّعنى ريقى : أى أمهلنى أقول وأفعل . وقدر بلوع : كبير تبلع ما يلقى فيها

* (بل) بلّوا أرحامكم . وبلّك الله بابن (١٠)وما أحسن بلّة لسانه : اذا وقع

---

(١) فى الاساس : ركبوا المبقيات ، وجنبوا المنقيات : أى تجنبوا ذوات النقى التى لاتغلب .
(٢) زيدت الشيء من الاساس لايضاح المعنى .
(٣) فى الاساس : بكر ابن بكر .
(٤) فى الاصل : ميكر .
(٥) فى الاصل : وحسبت .
(٦) فى الاصل : اذا افرجت .
(٧) فى الاصل : بلج وبلج .
(٨) عبارة الأساس : تقول ثلج به صدرى وبَلِج من بعد ما حرّ وحرج ص ٤٩ .
(٩) عبارة الاساس : تقاصرت فى رأى العين من ظلمة الليل .
(١٠) فى الاصل : بلل الله بابن .

غراس الأساس

على مخارج الحروف ولا تبلّك (١) عندي بالّة : أي لا يصيبك عندي خير • وابتل فلان وتبلل: حسن حاله • وطويته على بلّته : أي على فساده (٢) ، وأصله السقاء يطوى وهو مبتل فيعفن •

– (بلم) (٣) المال بيننا شق الأُبْلُمَة : أي سواء (٤) ، وهي خوصة المقل •

❋ (بله) هو في شباب أبله وعيش أبله يراد : غفلة عن الطوارق • ومنه : هو في بلهنية من عيشق • وجمل أبله : لا يتحاش عن حمل ثقل • وفلان يتبله في المفازة : أي يتعسف من غير هداية ولا مسألة •

❋ (بلو) بلوت الشيء شممته •

❋ (بنق) جعبة مبنقة : زيد في أعلاها (٥) •ومشية مبنقه : متسع (٦) وطريق مبنق : واسع • ومفازة مبنوقة بأخرى : موصولة (بها) •

❋ (بنن) أبنوّا بالمكان : أقاموا به • وأصله ما يحدث فيه من بنّة نعمهم (٧) ثم كثر حتى قيل لكل اقامة ابنان • وأبنت السحابة : اذا دامت أياما •

❋ (بنى) بنى على أهله : دخل (عليها) ، وأصله : أن المعرس (٨) كان يبنى على أهله خباء ، فقالوا : بنى بأهله : أى أى أعرس بها ، واستبنى فلان وابنتى : (اذا أعرس) ، استبنى على ظهر : تزوج وهو مسافر على ظهر فرسه أو جمله • وبنى مكرمة وابتناها وهو من بناة المكارم • وملعون من هدم بنيان الله : أى ماركبه الله وسواه •

وبنى الأكل فلانا وبناه : اذا سمّنه • وجمل مبنى : سمين • وبنى له الراعى سناما (٩) وبنى كلاما وشعرا ، وهذا كلام حسن المبانى • وبنى على كذا : احتذاه • وبنى فلان على الحرم : لبث عليه • وكل شيء صنعته فقد بنيته • وطرحوا له بناء ومبناة وهى النّطع ؛ لأنه كان يتخذ منه القباب • وألقى (فلان) بوانيه : اذا أقام • والبوانى : ضلاع الصدر • وبنى البيت على بوانيه : أى على قواعده • واسْتَبْنَتِ الدارُ : تهدمت و "بت البنا •

وطلع ابن : (وهو) الصبح • وصادوا بنا فى الماء : الغراس (١٠) • وابن جلا : الرجل المشهور • وابن ليلها : الرجل المنكر • (١١) وابن أقوال : للذى يكثر الكلام • وابن أحذار : للحَذِر • وابن الفلاة:ملازمها (١١)

---

(١) فى الاصل : لايبلك •
(٢) فى الاصل : على فساد •
(٣) عدها الاساس مع مشتقاتها حقيقة لا مجازا •
(٤) فى الاساس : المال بيننا وبينك شق الأبلمه •
(٥) فى الاساس : زيد فى أعلاها شبه بنيقة لتتسع •
(٦) فى الاصل : متسع
(٧) فى الاصل : من بنة يعمهم •
(٨) فى الاصل : العروس •
(٩) فى الاساس : وبناه : اذا سمنه •
(١٠) فى الاساس ، وهى الغرانيق •
(١١) فى الاساس وابن ليلها وابن ليلتها : لصاحب الأمر الكبير •

وابن البلدة : الملك (١) • وابن الطـــود : الصدى • وابن البليدة : الحرباء •

وخذ بابنى مِلَاطَيْه : وهما عَضُـــدَاه (٢) والملاطان : الجنبـــان (٣) وهذه من بنـــات فكرى •

وغلبتنى بنات الصدر : الهموم • وبنـــات الليل : الصوادق الأحلام (٤) وبنات الدهر : النوائب (٥) وبنات السحاب البرد • وبنـــات المِعَى : البعر •

[ونزلت بنابنات بئس] (٦) وهى الدواهى • وبنات غيْر •• وهى الأكـاذيب • وبنــــات المثال : النساء •

والمثال : الفراش • وبنات الليـــل : المنى • وبنات طارق ، وبنات الملوك ، وبنات صهّال : الخيل (٧) وبنات شحّاج (٨) : الخيـــل • وبنات الدوّ (٩) وبنات صـــعدة وبنـــات أخــدر : حمر الـــوحش • وابن المسرة : الريحان • وابن المزنة : المطر • وابن طامر : البرغوث • وذهبوا فى بنيات الطريق •

❊ (بوأ) الناس فى هذا الأمر بواء : أى سواء • وأجابوا عن بواء واحد : أى نسق (١٠) وفلان طيب الباءة : للعفيف الفرج • وطيب الباءة : وهى المنزل • ورحب المباءة : السخى • وقرأ كتاب الباه : اذا كان كثير الجماع •

❊ (بـــور) بارت البياعات : اذا كسدت • وبارت الأيم (١١) : لم يُرْغَبْ فيها، وبـــارت الأرض : اذا لم تزرع • وأرض بوار • وبر لى ما عند فلان : أخبر •

❊ (بوق) فلان ينفخ فى البـــوق : إذا كذب • ونطق بوقها : أى باطلا • وتبـــوّق فلان • تكذب • وتبوّق الدبا (١٢) فى الماشية : كثر فيها •

❊ (بهج) رأيت (١٣) ناقة لها ســـــهام مبهاج ،وأسنمة مباهج : ســمان (١٤) •

❊ (بهر) قمر باهر : اذا عظم ضـــوؤه وغطى ضوء الكواكب • وطاول صـــاحبه فبهره : أى أعلاه البهر • وبهرت الســـيف فيه فما حاك (١٥) فيه : أى بالغت فى الضرب به • وقطع الألم أبهره : أى أهلكه ، والأبهر عرق مستبطن الصلب ، اذا انقطع لم يبـــق صاحبه •

❊ (بهرج) كلام بهرج ، وعمل بهـــرج ، وكذا كل موصوف بالرداءة • ودم بهـــرج : هدر (١٦) وبهرج بهم الطريق : اذا أخـــذ فى

---

(١) فى الاساس : ابن الفلاة ، وابن البلد ، وابن البليدة : وهو الحرباء •
(٢) فى الاصل : وابناء ملاطفة :العضدان ، ثم بياض بعد ذلك •
(٣) زيادة من الاساس لتوضيح المعنى •
(٤) فى الاساس : بنات ليله : صـــوادق ، وهى احلامه •
(٥) فى الاصل : وبنات (ثم بياض) الدواهى •
(٦) مابين المعقوفتين من الاساس •
(٧) فى الاساس : بنات طارق : اى بنات الملوك ، وقد ملك بنات صهال ، وبنات شحاج : أى الخيل والبغال •
(٨) فى الأصل : سحاح •
(٩) فى الأصل : بنات الدر بالراء •
(١٠) أى لم يختلف جوابهم •
(١١) الأيم : من لا زوج لها ، وكان الرســـول ﷺ يتعوذ من بوار الأيم •
(١٢) فى الأساس : الوباء •
(١٣) فى الأصل : زايت •
(١٤) لأن البهجة من السمن •
(١٥) فى الأصل : فما سناك •
(١٦) فى الأصل : هذر بالذال •

غراس الأساس

غير الحجة • وماء مبهرج : مهمل •

* (بهظ) (١) بهظني هذا الأمر ، وأمر باهظ (٢)

* (بهل) رجل باهل : متردد بغير عمل • وراع باهل يمشي بغير عصا • وابتهل : تضرع واجتهد •

* (بهم) أمر بهم ومبهم ، وأبهم عليّ الأمرُ واستبهم : أشكل • وكلام مبهم : لا وجه له •

واستبهم عليهم : ارتج • وصوت بهيم : لا ترجيع فيه •

* (بهى) حلب اللبن فعلاه البهاء : أى وبيص الرغوة •

* بيت) بيت الرجل : يطلق على امرأته ، قال الشاعر :

هنيئا لأرباب البيوت بيوتهم
سوى بَعْلِ جُمْلٍ لا هنيئا له جُمْلُ

وبات فلان : اذا تزوج فدخل • وبنى عليه بيتا : أعرس • وتزوجت على بيت : أى على فرش (٣) يكفى البيت •

* (بيض) يحوط بيضة الاسلام ، وبيضة قومه • وباض بنى فلان وابتاضهم : دخل فى بيضتهم وأوقعوا بهم فباضوها : أى استأصلوا : بيضتهم ، وباضت الأرض : أنبتت الكمأة وهى بيضة الأرض •

ويقال : أذل (٤) من بيضة البلد • وباض الحر :اشتد • وبيضة القيظ وبيضاء القيظ : صميمه بين (٥) طلوع سهيل والدبران • وبايضنى فلان : جاهرنى : مأخوذ من بياض النهار • وفرس ذو بيض : وهى غدد تحدث فى المشاعر (٦) وبيضة الخدر (٧) ، وبيضة الحجال ، [وفى مثل كانت] (٨) بيضة العُقْر : الأخيرة • ولا يزايل سوادى بياضك أى (شخصى) شخصك : وبيض الاناء : ملأه وفرّغه •

وفى مثل : (سدّ ابن بَيْضٍ الطريق) •

* (بيع) باع فلان على بيعك ، نزل بواديك : أى قام مقامك • وما باع على بيعك أحد : أى ما ساواك • وجارية بائعٌ : أى نافقة : كأنها تبيع نفسها ، كما يقال : ناقة تاجرة • وباعه من السلطان : وَشَى به • وباع دنياه بآخرته : استبدلها •

يتبع

د• توفيق شاهين

---

(١) المادة كلها فى الأصل بالطاء ، والصحيح الظاء •
(٢) فى الأصل : باهط بالطاء •
(٣) فى الأصل : على فرس •
(٤) لأن الكماة لا قوة لها •
(٥) فى الأصل : ومن طلوع •
(٦) فى الأصل : أشاعره •
(٧) فى الأصل : الحذر •
(٨) الزيادة من الاساس •

من أعلام الأزهر
بقيه

الصواب قد جانبه فان من الحكمة أن نبين له وجه الخطأ كما طلب ، ولكن لجنة علمية شكلت لدحض المقال ، وهذا هو الواجب ! على حين شكلت لجنة أخرى من كبار أساتذة الأزهر ، والقائمين على أمره لمحاكمته وانتهت الى أن يحرم من الترقية خمس سنوات ، وأن ينقل من التدريس بكلية اللغة العربية بالقاهرة الى القسم العام بطنطا ! وكان الحكم بالأغلبية لا بالاجماع ، ويخيل الى أن الرد الفقهى بايضاح وجه الخطأ كان كافيا ، لأن الباحث مستفهم يطلب وجه الصواب ، وليس مصرا على رأى ارتآه ، وقد نشط فريق من علماء الأزهر لدحض ما يراه الأستاذ الصعيدى ، وكان من أقوى الردود مانشره الأستاذ محمد الخضر حسين بمجلة الهداية الاسلامية (١) حيث جزم بأن الأمر للوجوب الدائم لا للندب ، وأتى بأدلة قاطعة من منطوق كتاب الله ، وأقوال الكبار من أهل التفسير ! وفيما كتب محمد الخضر رضى الله عنه وأمثاله مقنع للأستاذ الصعيدى ! وتحقيق لما طلب من ابداء الرأى •

وكان صدور الحكم بمنع الترقية ، والنقل الى القسم العام بطنطا مصدر كدر للأستاذ ، ولكنه لم يحل دون مشاركته الرأى فى المسائل الدينية على صفحات الجرائد والمجلات ، فان انتاجه العلمى قد ازداد وانتشر وكانت مجلتا الرسالة والسياسة الأسبوعية وجريدتا البلاغ وكوكب الشرق ميدانا فسيحا لأفكاره ، حتى تهيأ له أن يجمع من ثمار هذه الحقبة كتبا شتى فى التاريخ الاسلامى ، والأدب العربى ، والنحو والبلاغة ، ثم أعيد ثانية الى كلية اللغة العربية بالقاهرة ، فزاول نشاطه العلمى مع طلابه الكبار ، ومما يذكر له أنه كتب بحثا شافيا عن سر تحريم لحم الخنزير بعددين من مجلة الرسالة صادف قبول المنصفين ، وترجمه أحد الباحثين الى اللغة الأوردية ليقرأه المسلمون فى الهند ، كما كتب عدة فصول نحوية يرد بها على مشروع لجنة القواعد العربية فى تيسير النحو ، وامتد بحثه الى تقييم كل ما كتب عن النحو ، فى مجال التيسير المعاصر فناقش آراء الأساتذة ابراهيم مصطفى وأمين الخولى وأعضاء لجنة التيسير ، ونشر كتابا مستقلا يجمع هذه المناقشات ، مضيفا اليه آراءه الخاصة فى تذليل النحو ، وهذا الكتاب يسمى (بالنحو الجديد) •

د• محمد رجب البيومى

(١) مجلة الهداية الاسلامية محرم سنة ١٣٥٦ •

الصيغ التى تأتى بمعنى "مفعول"

للدكتور محمد محمد محمد سعيد

مما هو معلوم أن اسم المفعول من الثلاثى يأتى على زنة « مفعول » .

وهناك صيغ كثيرة تخالف صيغة «مفعول» فى الوزن ولكنها تدل دلالتها ولذلك تعد منها مثل :

١ ــ فعيل بفتح الفاء وكسر العين ، وهذه الصيغة كثيرة فى كلام العرب كقتيل بمعنى مقتول وذبيح بمعنى مذبوح ، وكحيل بمعنى مكحول ، وحبيب بمعنى محبوب وأسير بمعنى مأسور ، وطريح بمعنى مطروح .

ويستوى فى هذه الصيغة المذكر والمؤنث ان علم الموصوف ، تقول : امرأة جريح ورجل جريح .

فان لم يعلم الموصوف بأن استعمل استعمال الأسماء لحقتها التاء خوف اللبس نحو عندى ذبيحة ورأيت جريحة .

قال سيبويه : « وأما فعيل اذ كان فى معنى مفعول فهو فى المؤنث والمذكر سواء ، وهو بمنزلة فعول ولا تجمعه بالواو والنون ، كما لا تجمع فعول ، لأن قصته كقصته واذا كسرته كسرته على فعلى ، وذلك قتيل وقتلى وجريح وجرحى وعقير وعقرى ولديغ ولدغى ، وسمعنا من العرب من يقول : قتلاء يشبه بظريف لأن البناء والزيادة مثل بناء ظريف وزيادته .

وتقول شاة ذبيح ، كما تقول : ناقة كسير وتقول : هذه ذبيحة فلان وذبيحتك ، وذلك أنك لم ترد أن تخبر أنها قد ذبحت ألا ترى أنك تقول ذلك وهى حية ، فانما هى بمنزلة ضحية » (١) .

---

(١) انظر الكتاب ٣ـ٦٤٧ .

فان كانت «فعيل» بمعنى فاعل لحقتها التاء الفارقة نحو رحيم ورحيمة وكريم وكريمة وقد تلحق التاء فعيلا بمعنى مفعول حملا على « فعيل » بمعنى فاعل لشبهه به لفظا ، فقد قال العرب : سنة حميدة وخصلة ذميمة ، كما حمل « فعيل » بمعنى فاعل على « فعيل » بمعنى مفعول فى التجرد من التاء كما فى قوله تعالى « قال من يحيي العظام وهى رميم »(١)

« فعيل »

بمعنى مفعول بين القياس والسماع

اتفق العلماء على أن « فعيل » تأتى بمعنى مفعول بكثرة .. الا أنهم اختلفوا .. هل يكتفى بالمسموع .. أم يقاس عليه ؟

اكتفى ابن مالك بما سمع ومنع القياس عليه فلا يقال : ضريب بمعنى مضروب ولا عليم بمعنى معلوم والى ذلك أشار بقوله :

وناب نقلا عنه ذو فعيل
نحو فتاة أو فتى كحيل

أى ناب عن بناء وزن مفعول فى الدلالة على اسم المفعول من الفعل الثلاثى ذو فعيل أى صاحب هذا الوزن وذلك نحو كحل عينه فهو كحيل ... وهو كثير فى كلام العرب ، والمراد بقوله : نقلا : أى فيما نقل لا فيما قيس .

وقال ابن الناظم : « ينوب عن مفعول « فعيل » مثل كحل عينه فهو كحيل وقتله فهو قتيل وطرحه فهو طريح وجرحه فهو جريح وذبحه فهو ذبيح بمعنى مكحول ومقتول ومطروح ومجروح ومذبوح ، وهو كثير فى كلام العرب ، وعلى كثرته لم يقس عليه باجماع »(٢)

فابن الناظم يكتفى بالمسموع ... ويقول القياس مرفوض بالاجماع ، وفى قوله هذا نظر لأن والده « ابن مالك » قال فى التسهيل : عند ذكره نيابة « فعيل » عن مفعول :

« وليس مقيسا خلافا لبعضهم » (٣) أى ابن مالك هو الذى حكم بمنع القياس مع اعترافه باجازة غيره له .

ومن العلماء من قال : « فعيل » بمعنى مفعول مقيس فى كل فعل ليس له « فعيل » بمعنى فاعل كجريح وقتيل ، ولا ينقاس فى الأفعال التى يأتى منها « فعيل » بمعنى فاعل مثل رحم وعلم وسمع وشهد ، لأنهم قالوا رحيم وعليم وسميع وشهيد بمعنى راحم وعالم وسامع وشاهد .

٢ ــ **فعل** بكسر فسكون كقطف (٤) بمعنى مقطوف ، وطحن بمعنى مطحون ومنه المثل « اسمع جعجعة ولا أرى طحنا » (٥) أى شيئا

---

(١) سورة يس الآية ٧٨ .
(٢) شرح الألفية لابن الناظم ص ١٧٢ .
(٣) التسهيل لابن مالك ص ١٣٨ .
(٤) القطف : ما قطف من الثمرة ، والعنقود ساعة يقطف ، و : اسم الثمار المقطوفة .
(٥) اللسان : طحن .. والطّحن : الدقيق .

الصيغ التي تأتي بمعنى "مفعول"

مطحونا ، وذبح بمعنى مذبوح كما في قوله تعالى «وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ» (١) وحمل بمعنى محمول ، والقد بمعنى مقدود وبسط بمعنى مبسوط ، تقول : هذه يد بسط أي مبسوطة مطلقة ، وقرىء : وقالت (٢) اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه بسطان » بكسر الباء (٣) والعرب تقول :

ألق أخاك بوجه مبسوط وبوجه بسط بكسر الباء وضمها ، وعلم بمعنى معلوم كما في قوله تعالى « وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ » (٤) أي معلومه •

٣ ــ فعل بفتح الفاء وسكون العين نحو خلق بمعنى مخلوق كما في قوله تعالى : « إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ » (٥)

وقوله تعالى : « هَذَا خَلْقُ اللَّهِ » (٦) أي مخلوقه ، ولفظ بمعنى ملفوظ وصيد بمعنى مصيود ، وضرب بمعنى مضروب كما في قولك هذا درهم ضرب الأمير أي مضروبه • قال سيبويه : « وقد يجيء المصدر على المفعول •• كقولهم الخلق انما يريدون المخلوق ، ويقولون للدرهم ضرب الأمير ، انما يريدون مضروب الأمير » (٧) •

ومنه غزل بمعنى مغزول ، وجد بمعنى مجدود ، تقول هذا رجل جد أي مجدود محظوظ •

قال الجوهري : تقول جددت يافلان أي صرت ذا جد فأنت جديد حظيظ ومجدود محظوظ (٨) •

ومنه ضعف بمعنى مضعوف •

قال الفراء : « والعرب تقول للضعف مضعوف ، وليس له عقد رأي ومعقود رأي فيجعلون المصدر في كثير من الكلام مفعولا » (٩) •

٤ ــ فعل بفتحتين كما في قولك نفضت الورق أو الثمر من الشجرة اذا أسقطته ، فالورق أو الثمر نفض بمعنى منفوض ، وفي اللسان : النفض بالتحريك : ما تساقط من الورق والثمر وهو فعل بمعنى مفعول •

ومثل ذلك خبطت الورق من الشجر فهو خبط فعل بمعنى مفعول ، وفي اللسان •••وفي حديث تحريم مكة والمدينة نهى أن تخبط شجرها •• وهو ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها ، واسم الورق الساقط : الخبط بالتحريك فعل بمعنى مفعول وهو من علف الابل ، ومن هذا الباب جنى كما في قوله تعالى:

---

(١) سورة الصافات ١٠٧ •
(٢) سورة المائدة ٦٤ •
(٣) معاني القرآن للفراء ١ـ٣١٥ وفيه قرأ عبد الله : « بل يداه بسطان » بكسر الباء وضمها •
(٤) سورة البقرة ٢٥٥ •
(٥) سورة ابراهيم ١٩ •
(٦) سورة لقمان ١١ •
(٧) الكتاب ٤ـ٤٣ •
(٨) الصحاح : جدد ، والجد : الحظ والبخت•
(٩) معاني القرآن ٢ـ٣٨ •

« وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ » (١) ومنه قبضت المال، فالمال قبض بمعنى مقبوض ، وحسبت المال بمعنى عددته فهو حسب أي محسوب معدود قال ابن منظور (٢) « والمعدود محسوب ، وحسب أيضا وهو فعل بمعنى مفعول مثل نفض بمعنى منفوض » • ومن هذا الباب قنص وجزر وسلب وجلب وولد وعدد بمعنى مقنوص أي مصيد ، ومجزور أي مذبوح ومسلوب ومجلوب ومولود ومعدود ، وحفر بمعنى محفور ، وقد قيل للبئر التي حفرها أبو موسى الأشعري قرب البصرة : حفر وهي ركايا احتفرها على حادة الطريق من البصرة الى مكة والقلم الذي يكتب به فعل بمعنى مفعول ، ولهذا لا يسمى قلما الا بعد البرى ، وانما سمى قلما لأنه قلم مرة بعد مرة ، ويسمى قبل البرى قصبة ، ونزح بمعنى منزوح ، تقول : هذه بئر نزح أي لا ماء فيها فهي منزوحة •

قال الفراء : ويقولون للجلد مجلود (٣) •

وقال سيبويه : وقد يجيء المصدر على المفعول وذلك قولك لبن حلب انما تريد محلوب (٤) •

٥ ــ فعل بفتح فكسر نحو كذب بمعنى مكذوب في قوله تعالى : « وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ » (٥) •

قال الفراء : « معناه مكذوب والعرب تقول للكذب مكذوب » (٦) •

وقال ابن منظور : قال أبو القبلي : بدم كذب •• هذا مصدر في معنى مفعول ، وقال الزجاج : أي ذي كذب والمعنى دم مكذوب فيه • (٧) ومنه زين تقول : رجل زين أي مبتلى بين الزمانة ، والزمانة : العاهة ، فعيل بمعنى مفعول ، والجمع زمنى مثل جريح وجرحى وكليم وكلمى (٨) •

٦ ــ فاعل نحو دافق بمعنى مدفوق كما في قوله تعالى « خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ » (٩) ، قال الفراء : « والعرب تقول هذا ليل نائم وسر كاتم وماء دافق فيجعلونه فاعلا ، وهو مفعول في الأصل ، وذلك أنهم يريدون وجه المدح أو الذم (١٠) ، فيقولون ذلك لا على بناء الفعل ، ولو كان فعلا مصرحا لم يقل ذلك فيه ، لأنه لا يجوز أن تقول للضارب مضروب ولا للمضروب ضارب ، لأنه لا مدح فيه ولا ذم » (١١) •

وقال أيضا : « أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم ، أن يجعلوا المفعول فاعلا اذا كان في

---

(١) سورة الرحمن ٥٤ •
(٢) اللسان : حسب •
(٣) معاني القرآن ٢ـ٣٨ •
(٤) الكتاب ٤ـ٤٣ •
(٥) سورة يوسف ١٨ •
(٦) معاني القرآن ٢ـ٣٨ •
(٧) اللسان : كذب •
(٨) اللسان : زمن •
(٩) سورة الطارق ٦ •
(١٠) أي أن من سنن العرب أن يجعلوا ما هو مفعول فاعلا عند ارادة المدح أو الذم •
(١١) معاني القرآن ٣ـ١٨٢ •

مذهب نعت كقول العرب هـذا سر كاتم وهم ناصب وليل نائم ... » (١) .

وعاصم بمعنى معصوم كما فى قوله تعالى : « لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ(٢) » ومن هذا الباب قول الخطيئة : (٣)

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

أى المطعم المكسو .

ومنه قولهم طريق شارع وطريق قاصد بمعنى مشروع ومقصود ، ومكان عامر بمعنى معمور ، وغامر بمعنى مغمور ، وهو ضد العامر (٤) ، وراضية بمعنى مرضية كما فى قوله تعالى « فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ » (٥) .

٧ ـــ فعال بكسر الفاء نحو كتاب بمعنى مكتوب ، وفراش بمعنى مفروش وبساط بمعنى مبسوط واله بمعنى مألوه معبود ، وركاز بمعنى مركوز وهو المال المدفون ، ولفافة بمعنى ملفوفة .

٨ ـــ فعلة بضم فسكون نحو سبة (٦) وضحكة (٧) .. وهزأه أى مسبوب ومضحوك عليه ومهزوء به .. فى الأمثلة السابقة

وما أشبهها دلت صيغة « فعلة » على المبالغة والتكثير .

وقد تأتى بمعنى اسم المفعول دون مبالغة نحو نسخة ـــ بمعنى منسوخ وأكلة (٨)

بمعنى مأكول ومضغة بمعنى ممضوغ وغرفة بمعنى مغروف ، قال تعالى : « إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ » (٩) وقبضة بمعنى مقبوض وهو ما قبضت عليه من شىء يقال : أعطاه قبضة من سويق أو تمر أى كفا منه .

٩ ـــ فعل بضم الفاء والعين تقول هذا باب فتح أى واسع مفتوح ، وهذا باب غلق (١٠) أى مغلق ، وهذه قارورة فتح وهى الواسعة الرأس وما ليس لها صمام .

١٠ ـــ فعول بفتح الأول نحو ركوب وركوبة بمعنى مركوبة وهى الناقة التى تركب كما فى قوله تعالى : « وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ » (١١) وقرأت السيدة عائشة رضى الله عنها : فمنها ركوبتهم .

---

(١) معانى القرآن ٣ـ٢٥٥ .
(٢) سورة هود ٤٣ . وانظر معانى القرآن للفراء ٢ـ١٥ ، والبيان فى غريب اعراب القرآن للانبارى ٢ـ١٦ .
(٣) من قصيدة له يهجو فيها الزبرقان بن بدر
(٤) اللسان : غمر ، والغامر من الارض والدور : خلاف العامر وهو فاعل بمعنى مفعول .
(٥) سورة الحاقة ٢١ .
(٦) السبة : العار و : من يكثر الناس سبه .
(٧) الضحكة : من يكثر الناس الضحك منه .
(٨) الأكلة والاكلة كاللقمة واللقمة يعنى بهما جميعا المأكول .
(٩) سورة البقرة ٢٤٩ ، الغرفة : المرة الواحدة والغرفة بالضم اسم للمفعول منه لأنك ما لم تغرفه لا تسميه غرفة ، انظر البحر المحيط ٢ ـ ٢٦٥ .
(١٠) باب غلق : مغلق وهو فعل بمعنى مفعول ، اللسان : غلق .
(١١) سورة يس ٧٢ .

قال الفراء وابن جنى (١) وأبو حيـان : قرأ الجمهور ركوبهم وهو فعول بمعنى مفعول كالحلوب .... وهو مما لا ينقاس .. وقـرأ أبى وعائشة ركوبتهم بالتاء وهى فعولة بمعنى مفعولة والركوب : المركـوب من الـدواب وغيرها ، والركوبة : المخصصـة للركـوب ، ويقال : طريق ركوب أى مسـلوك ممهـد ، وتقول هذه ناقة حلوب وحلوبة أى محلوبة : ولبوس بمعنى ملبوس ومنه ما أنشـده ابن السكيت لبيهس الفزارى .

البس لكـل حـالة لبوسـها
أمـا نعيمهـا واما بوسـها (٢)

ويدخـل فى هذا البـاب رسـول بمعنى مرسل (٣) كما فى قوله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ » (٤) .

وكقوله تعالى : « قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ » (٥) .

١١ ــ فعال بضم الأول نحو جذاذ بمعنى مجذوذ أى مقطـوع قال تعـالى : « فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ » (٦) وحطام بمعنى (٧) محطوم أى مكسـور ؛ وركام بمعنى (٨) مركوم أى مجمـوع قـال تعـالى : « ثم يـؤلف بينـه ثم يجعلـه ركاما »

١٢ ــ فعل بضم الفاء وسكون العين نحـو سؤل بمعنى مسئول ونكـر بمعنى منكـور ، وعرف (٩) بمعنى معروف .

د. محمد محمد سـعيد

---

(١) أنظر معانى القرآن ٢ـ٣٨١ ، والمحتسب ٢ـ٢١٦ ، والبحر المحيط ٧ـ٣٤٧ .
(٢) البوس مخفف من البؤس وهو ضد النعيم .
(٣) أى فى الدلالة على المفعولية على الرغم من أن وزن مرسل مفعل .. لا مفعول ، لأن الفعـل أرسل .
(٤) سورة ابراهيم ٤ .
(٥) سورة الأعراف ٦٧ .
(٦) سورة الأنبياء ٥٨ ، وفى البحـر المحيط ٦ـ٣١٩ ، أى فجعل الأصنام جذاذا أى مفكـوكة الأجزاء .
(٧) الحطام : ما تكسر من اليبيس .
(٨) شىء ركام : بعضه على بعضـه ، وقال الجوهرى .
(٩) العرف والعارفة والمعروف واحد : ضد النكر وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن اليه ، والعرف والمعروف : الجود .

التصوف

كما عرفته الثقافة الإسلامية

اذا بحثت عن كلمة « تصــوف » أو « صوفيه » أو متصوفه فى الكتب الادبيه والتاريخية التى ألفت فى العصر العباسى الأول لم تجدلها ذكرا .

وتجد الجاحظ فى « البيـان والتبيين » وفى الجزء الثالث منه يعقد فصلا بعنوان « باب الزهد » وفيه طائفة من أقوال الزهاد تنبع من التعاليم الاسلامية لا تخرج عما فى الكتاب والسنة ، وكذلك ما يجىء فى كتاب « الكامل » للمبرد وفى غيرهما مثل الطبقات الكبرى لابن سعد وغيره . والجاحظ توفى سنة ٢٥٥ هـ والمبرد توفى سنة ٢٨٥ هـ لكن ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » والمتوفى بقرطبة سنة ٣٢٨ هـ يروى « لمساور الوراق » وهو ممن يروى عنهم الجاحظ ــ قوله فى أهل التصوف ولم يروه الجاحظ . قال مساور :

« تصوف » كى يقـال له امين
وما معنى التصـوف والأمانة ؟
ولم يـرد الاله بـه ولـكن
أراد به الطـريق الى الخيـانة

وهذا الشعر هجاء لمن تصوف .. وقد كان التصوف قبل هذا الشعر يسمى زهدا ، عرفه الصحابة رضى الله عنهم لأنهم كانوا زاهدين فى الدنيا راغبين فى الآخرة امتثالا لما حفظوا من القرآن الكريم وسمعوا من عظات رسول الله وهو القدوة الحسـنة فى الزهد ، ومن الصحابة من غلا فى الزهد الى درجة الشكوى من زهده مثل الصحابى القرشى « عثمان ابن مظعون» والأنصارى «أبى الدرداء» ولكن النبى ﷺ أنكر عليهما موقفهما وهداهما الى الحنيفية السمحة ، وبين لهما الزهد كما يراه الاسلام . ولكن هذا لم يمنع بعض التابعين من الغلو فى الزهد ، فظهر جيل زاهد مثل «مطرف بن عبد الله الشخير» المتوفى سنة ٨٨هـ ولأبيه صحبة بالنبى . ومن كلامه : «لاتنظروا الى خفض عيشهم ولين ثيابهم ولكن انظروا الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم »وصديقه «عامر بن عبد القيس » الذى نفاه والى البصرة الى الشام بأمر عثمان رضى اللـه عنه ، لأنه لا يأكل اللحم ولا يتزوج ولا يقبل الأعمال أى

للأستاذ السيد حسن قرون

الوظائف ، وهو القائل حين نفى : «ما آسى من العراق الا على ثلاث : ظماء الهواجر ، وتجاوب المؤذنين ، واخوان منهم الأسود ابن كلثوم » .

ولما جاء العصر العباسى وامتزجت الشعوب الاسلامية بعضها ببعض بالتزاوج والتعامل والاختلاط نشأ مجتمع مسلم لا يتميز فيه جنس عن جنس وكثرت الأموال ببغداد ، وظهر الغنى الفاحش يقابله الفقر المدقع فكان أن برزت طائفة من الزهاد ينعمون على الأثرياء انغماسهم فى اللهو واللعب وظهر شعراء يمثلون مذهب الزهد على رأسهم « أبو العتاهية » توفى سنة ٢١١ هـ .

وكان « فضيل بن عياض التميمى » معاصرا له مخلصا فى زهده مسلما وجهه لله وهو محسن له مكانته بين العامة والخاصة وعند الخلفاء توفى ١٨٧ هـ . قالوا : كان فى أول أمره قاطع طريق يتخذ من النهب والسرقة مرتزقا . وذات يوم تسلق بيتا ليسرق فسمع قارئا يتلو : « **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ** » آية ١٦ من سورة الحديد . فقال وهو راجع عما نوى . لقد آن . ومن هنا اتخذ الزهد مذهبا ، وغلا فيه حتى عرف به وصار له تلاميذ على مذهبه . قال بعضهم : ومن يومه عرف الزهد باصطلاح جديد هو « التصوف » و « الصوفية » .

ويروى الجاحظ عنه أنه قال لسفيان الثورى : دلنى على جليس أطمئن اليه .

قال : هيهات تلك ضالة لا توجد ، والسؤال والجواب يدلان على غلو فى العبادة وضعف ثقة فى الناس والدنيا لم تخل يوما من الأطهار الأخيار الذين يخشون الله فى الليل والنهار . ولكن ماذهبا اليه لم ينكره أحد فهو سلوك خاص بهما ولا يجلب لغيرهما ضرا . ولكن التصوف حين صار « علما » تؤلف فيه المؤلفات وتقنن له المصطلحات مثل الحقيقة والطريقة والمجاهدة والتجلى والقطب خافه المثقفون من الشعراء والمفكرين وأساء الظن به الفقهاء وراحوا يفندونه ويبينون خطره على الناس .فرأينا « ابن القارح » يكتب الى « أبى العلاء المعرى » فى شأن التصوف ويجيبه أبو العلاء فى « رسالة الغفران » يقول ابن القارح فى رسالته : حدثنى أبو على الفارسى قال : رأيت « الحلاج » واقفا على حلقة « أبى بكر الشبلى » وأبو بكر يخاطبه : « أنت بالله ستفسد خشية » ومعناها بموقفك ستفسد الشعور بخشية الله . فنفض الحلاج كمه فى وجهه وقال :

يا سر سر يدق حتى
يجل عن وصف كل حى

وظاهـراً باطنـــا تبدى
من كـل شيء لكـــل شي
يا جملة الكل لست غـيرى
فمـا اعتـــذارى اذا الى

وهو يعتقد أن العارف من الله بمنزلة شعاع الشمس منها بدأ والينها يعود ومنها يســـتمد ضـوءه . وهذا ما يعـــرف بمذهب الحلول . ويستمر ابن القارح فى رسالته قائلا : وحرك أى الحلاج يوما يده فانتثر على قوم مسك ، وحرك مرة فانتثر دراهم . فقــال له بعض من حضر ممن يفهم : أرنى دراهم معروفة أومن بك وخلق معى ان أعطيتنى درهما عليه اسمك واسم أبيك . فقال : وكيف هذا وهذا لا يصنع ؟ قال : من أحضر ما ليس بحاضر صنع ما ليس بمصنوع ؛ يريد أن يوهم الناس أن له كرامات كما للرسل معجزات ، وقد راجت هذه المقولة عند بعض الصوفية .

يقول بن القارح : فلما شاع أمره ، وعرف الســلطان خبره على صــحة وقع بضربه ألف سوط وقطع يديه ثم أحرقه بالنار فى آخر سنة تسع وثلثمائة .

ومساق كلام ابن القارح يبين عن تحــامل عليه وتشف فيه : لأنه كان يعتقــد أن هــذا المنطق الذى ينتحله الحلاج خطرا على الاسلام ومن ثم يروى شعرا لشاعر معاصر له اســمه «طاهر» يقول فى ايراده أنشدنى الطاهر لنفسه .

أرى جيل التصــوف شر جيل
فقل لهم واهمــون بالحلــول :
أقال الله حين عشــــقتموه
كلوا أكل البهائم وارقصوا لى ؟

فأجابه شيخ المعرة فى رسالة الغفران اجابة فيها العطف على الحــــلاج والزراية بمذهب المتصوفة فى زمان الحلاج يقول : وكم افترى على الحلاج والكذب كثير الخلاج « المنازعة » وجميع ما ينسب اليه مما لم تجر العادة بمثله فانه المين الحنبريت « الكــذب الخــالص » لا أصدق به ولو كريت (نعست) ومما يفتعل عليه أنه قال للذين قتلوه : أتظنون أنكم اياى تقتلون ؟ انمــا تقتلون بغلة « المادرائى » وأن البغلة وجدت فى اصطبلها مقتولة . وفى الصوفية الى اليوم (كان أبو العلاء كما جاء فى الغفران يملى الرسالة سنة ٤٢٤ هـ) من يرفع شانه ، ويجعل مع النجم مكانه . وبلغنى أن « ببغداد » قوما ينتظرون خروجه وأنهم يقفون بحيث صلب على دجلة يتوقعون ظهوره .

وهذا الكلام شبيه بما يقوله غلاة الشيعة من أن المهدى المنتظر « محمد الحسن العسكرى » سيخرج اليهم من حيث اختفى فهم ينتظرونه أمام السرداب الذى اختفى فيه كل ليلة ، ونحن نشتم من كلام أبى العلاء الســخرية بهــذا العمل .

وقد عقد ابن خلدون فى مقدمته فصلا كبيرا عن التصوف اتخذ فيه أسلوب المؤرخ والمقرر مما تناول فيه معنى التصوف وطريقة القــوم ومدى فهم مؤلفاتهم وأفكارهم ، وأنكر مانسب من التناسخ والحلول ووحدة الوجود بمعنى انه لايوافق من يهدف بمثل هذا المنطق، ويدير الحديث عن الاسم واشـــتقاقه وينقل عن القشيرى أن الصوفية لا تعرف اللغة العربية اشتقاقه لا من جهة « الصــفا » ولا من جهة « الصفة » ويعود ابن خلدون ليقول : والأظهر عندى ان قيل بالاشتقاق أنه من الصوف ، فهم

فى الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس فى لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف .

ويقول عن طريقتهم ان أصلها كلها محاسبة النفس على الأفعال والتروك . ولو سلكوا هذا المسلك وقالوا به لكان ضربا من النصح والارشاد ، ولكنهم جعلوه علما له قواعده ومصطلحاته مع أنه وجدانى لاتستطيع وضع قواعد له .

وابن خلدون — وفد على مصر فى أوائل عهد المماليك البرجية « الجراكسة » وأولهم الظاهر برقوق وابنه فرج ، وكانت للصوفية مكانة كبيرة ، بنيت لهم الدرر وحبست عليهم أوقاف ، وصار لهم تراث من ابن الفارض وأبى الحسن الشاذلى وتلميذه أبى العباس المرسى والبوصيرى ولكل منهم ضريح يزار — تعرف عليهم فقرأ كتبهم فوجد منها ما يتحدث عن الكون وخالقه وصلة الانسان بربه .

وينقل عن « الفرغانى » قوله فى مقدمة شرحه قصيدة ابن الفارض : ان الوجود كله صادر عن صفة « الوجدانية » التى هى مظهر « الأحدية » وهما معا صادران عن الذات الكريمة التى هى « عين الوحدة » لا غير .

ويسمون هذا الصدور بالتجلى ، وأول مراتب التجليات تجلى الذات على نفسه وهو يتضمن الكمال بافاضته الايجاد والظهور لقوله فى الحديث الذى يتناقلونه : « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفونى ».

وما من شك فى أن هذا جاءهم من اطلاعهم على أقوال فلاسفة اليونان الذين يقولون بالعقل الجوهر وترتيب الكائنات . أى وحدة الوجود.أما الحلول فقد جاءهم من اختلاطهم بغلاة الشيعة القائلين بالهية الأئمة ، فالامام المعصوم يحل فيه الاله ولا يكون غيره اماما الى أن يموت فيحل فى غيره ، ومن هنا قال الصوفية « بالقطب » الذى لا يساويه أحد فى مقامه فى المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورثه آخر من أهل العرفان . أنكر هذا القول الفقهاء ورأوه خروجا على الدين . وابن خلدون لا يرى لهذا الكلام أصلا يعتمد عليه لأنه ترجمة عن أحاديث الوجدان فهو من الأمور الخطابية التى لا تثبت عند اقامة البرهان .

أرأيت كيف زايل هذا المذهب ما جرى عليه زهاد الأمة الاسلامية فى العصر الاسلامى والعصر العباسى الأول ؟

لقد كان الزهد الطاعة والخشية والايمان الصادق وتغليب دعوى الآخرة على مظاهر الحياة الدنيا ، وأقوالهم كانت صادرة من قلوب عامرة بتقوى الله بعيدة عن الفلسفة التى لا تقوم على أساس .

على أن أناسا من الفقهاء الذين نعتز بعلمهم قد رضوا بالصوفية طريقة ، مبتعدين عن الشرين : الحلول ووحدة الوجود منهم الشيخان الجليلان : محمد الأمير والشيخ أحمد الدردير . فترى الأول يعظم ابن الفارض ويراه سيده والأخير الدردير عقد فصلا فى آخر كتابه « الشرح الصغير » فى الفقه المالكى كان عنوانه « خاتمة » جاء فيها حديث عن الصوفية هذا نصه :فأهل الشكر صفوة الله تعالى اصطفاهم وخلصهم من كدر القلب ، ويقال لهم « صوفية » من صفا يصفو اذا خلص : أو من « صوفى » اذا صافاه غيره ، أو نسبة للبس

الصوف ، لأنه شأنهم تباعدا عن الترفه . قال أبو العباس المرسى :

الصوفى مركب من حـروف أربعة ، فالصاد صبره وصدقه وصفاؤه ، والواو وجده ووده ووفاؤه ، والفاء فقـده وفقره وفناؤه ، واليـاء للنسبة اذا تكمل نسب الى حضرة مولاه .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ليس معنى قولهم لا يكـون الصوفى صـوفيا حتى لا يكتب عليه كاتب الشمال شيئا عشرين سنة أن لا يحصل منه ذنب ، بل كلما أذنب تاب قبـل مضى مدة الامهال (حددها الشيخ الصـاوى بست ساعات) أى أنه لا قرار له على المعصية ، فهؤلاء أهل الشكر من عباده وهم المقربون .

ومع أن كلمة صوفى لا يعرفها على رضى الله عنه ولم تذكر الا فى شعر مساور الوراق زمن الجاحظ الا أن الكلام يصلح لكل مسلم يخاف ذنبه ويستغفر ربه كلما وقع فيـه .

وأنا أعتقد أن الشيخ الأمير والشيخ أحمـد الدردير لا ينظرون الى التصوف نظرة فلسفية ولا يأخذان من جوانبه الا ما كان عليه السلف الصالح من الاستجابة لقوله تعالى : « **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** » .

كما أعتقد أن التصوف اليوم عاد من تبعه ، ولم يبق من البـدع الا الذكر والاحتفـال بأصحاب الأضرحة .

ولا يفوتنى فى هذا المقـام أن أذكر رأى الأستاذ عباس محمود العقاد ، فقد أذاع فى الاذاعة المصرية بحثا كأنه رد على ما جاء فى مقدمة كتاب اسلامى ترجمة أحد براهمة الهند حيث شجع غاندى مثل هـذه الترجمة ورآها نافذة على الأديان وخير ما قالته .. « وألا نظل كتلك الضفدعة التى تظن فى بئرها أن الكون كله ينتهى عند جدرانها فلا يخطـر لنا أن ديانتنا وحدها هى التى تحتـوى الحقيقة كلها وأن ماعداها زيف وباطل » .

رضى العقاد عن اهتمـام « المهاتما غاندى » بالتصوف الاسـلامى حين نقل اليه باللغـة الانجليزية بترجمة كتاب عبد الله الأنصارى الا أن غاندى فى رأى العقاد لم يفرق بين الصوفية والانقطاع عن الدنيا . فان الاسـلام يتسـع للصـوفية ولكنـه لا يحض على الانقطاع عن الدنيا . فلارهبانية فى الاسلام كما هو معلوم وكذلك لا يجب للمسلم أن ينسى نصـيبه من الدنيا لأنه مأمور بذلك فى القرآن الكريم .

ووجد العقاد مجالا للقول فبين أن الصوفية عرفت فى الهنـد وفى الديانة المسـيحية وفى الاسلام . وقارن بين الجميـع وخرج بـأن المسيحية والديانة الهندية أخرجت أعدادا من الرهبان والنساك أكثر ممن أخرجه الاسلام من الزهاد المنقطعين عن الدنيا لكن من حيث الأقوال والآراء فان صوفية الاسـلام تربو أقوالهم وما خلفـوه من كتب على كل من الديانتين . ان صح الجمع بينهما وكعادة العقاد فى كتاباته من التقنين والجمع بين أن الصوفية من حيث الموضوع نوعان : نوع العقل والمعرفة ، ونوع القلب والرياضة . وأنها من حيث موقعها من الدنيا كذلك نوعان : نوع يتخطاها وينبذها ، ونوع يمشى فيها ويصل منها الى الله وينأى من الخلق الى الخالق جل وعـلا .

وكل هذه المذاهب عرف فى الاسـلام على

أيضا ، فمن الصوفية العقليين طلاب المعرفة ، من يحسب فى عداد الفلاسفة الأفذاذ ، ولا نعرف فى عقول الفلاسفة عقلا يفوق عقل الغزالى فى قوة التفكير ، ولا نعرف موضوعا من موضوعات الحكمة الالهية لم يلتفت اليها محيى الدين بن عربى ، وقد قيل : ان ذا النون المصرى كان فى طبقة جابر بن حيان فى علوم الكيمياء ؛ وانه كان من الباحثين فى طلاسم الآثار الفرعونية • وهؤلاء الصوفيون العقليون يذهبون بالعقل الى غاية حدوده ولا يتهيبون الشكوك والاعتراضات بل يقولون بلسان الغزالى : أن الشك أول مراتب اليقين ولكنهم متى بلغوا بالعقل غايته ملكتهم نشوة الوجدان فأسلموا أمرهم كله الى الايمان •

أما الصوفيون القلبيون فهم يلتمسون المعرفة المباشرة برياضة النفس على قمع الشهوات وعندهم أن شهوات الانسان هى الحائل بينه وبين النور • وعلى هذا فالاسلام لا يرفض رياضة القلب . وانما يرفض مذهبين منتشرين فى الصوفية على عمومها : ينكر مذهب الحلول كما ينكر المذهب القائل بوحدة الوجود ؛ فلا يقر الاسلام مذهبا يقول بحلول الله فى جسد انسان . ولا يقبل مذهب القائلين بفناء الذات الانسانية فى الذات الالهية واذا تحدث المتصوف المسلم عن الفناء فسره بفناء الشهوات أو فناء الأنانية وحلول محبة الله محلها من القلوب والأرواح • ولا يقر الاسلام مذهبا يقول بوحدة الوجود أو يقول بأن الله هو مجموعة هذه الموجودات وأن الكون كله بسمائه وأرضه ومخلوقاته العلوية والسفلية هو الله • واذا أجاز المسلم المتصوف معنى من معانى الوحدة الوجودية فهى عنده وحدة الفضائل الالهية ووحدة التوحيد • وقد يوفق الصوفى المسلم بين الظاهر والباطن ، فيقول : ان الشريعة من غير الحقيقة رياء وكذب ، وان الحقيقة من غير الشريعة اباحة وفسوق•ولم لا يكون المتصوف المسلم كما قال « الزهرى » توفى سنة ١٢٤ هـ: « الزاهد من لم يغلب الحرام صبره ، والحلال شكره » •

ويدعو بدعاء « عبد الله بن مسعود » الصحابى القانت : « اللهم وسع على فى الدنيا وزهدنى فيها ، ولا تزوها عنى وترغبنى فيها»

وقد سحت معك سياحة غير طويلة فيها اشارات الى التاريخ ومقالات القوم والدارسين لها والمقدمين لأقوالها وجعلت ختامها مناقشات العقاد لما دبجه غاندى • ولك أن تراجع ما كتب حديثا فى شأن التصوف الاسلامى وهى كتابات فيها غذاء للعقل والروح معا •

وللعقاد شعر يدل على مذهبه فى الحياة ؛ ويدلنا على ثقافته فى التصوف وعمقه فيه قال :

زاهد الهند نعى الدنيا وصام
انا أنعاها ولكن لا أصوم
طامع الغرب رعى الدنيا وهام
انا أرعاها ولكن لا أهيم
بين هذين لنا حد قوام
وليلم من كل حزب من يلوم

الا تراه ينطق عن حكمة تنبع من تعاليم الاسلام ؟

السيد حسن قرون

أنباء وآراء

التطبيق الفورى للشريعة ضرورة

دعا فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر السابق الى المسارعة فى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ، وأكد أنه لا مجال للتزرع بتهيئة المناخ ، فالمناخ اليوم مهيأ تماما لاستقبال حكم الله .

كما دعا الأمة الاسلامية حكومات وشعوبا الى المسارعة فى التوجه نحو الاسلام والاستمساك بتعاليمه السمحة ، وقال : ان التراخى فى تطبيق الشريعة الاسلامية من شأنه أن يحدث فتنا وفسادا كبيرا فى الأرض .

ترجمة الأحاديث النبوية الى اللغة الانجليزية

يجرى حاليا اعداد ترجمة شاملة للأحاديث النبوية الشريفة الى اللغة الانجليزية ضمانا لمواجهة حملات التبشير فى افريقيا وأمريكا . ودعم البرامج الدينية لخدمة المسلمين . ويشرف على الترجمة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة .

وقف التراخيص لمحلات الخمور ، ومنع لعب القمار

قررت محافظة أسوان عدم تجديد الرخص لمحلات ومستودعات الخمور فى مختلف مدن المحافظة .

يشمل القرار عدم السماح للمحلات الأخرى غير المرخص لها ببيع الخمور ضمن السلع الأخرى ، على أن يقتصر تقديم الخمور فى الفنادق السياحية فقط .

ومن ناحية أخرى قرر المجلس التنفيذى للمحافظة منع لعب القمار فى الأماكن العامة تتولى جهات الأمن بالمحافظة تنفيذ القرارين اعتبارا من تاريخ صدور القرارين .

يابانيون يعلنون اسلامهم

أشهر أحد عشر يابانيا اسلامهم أثناء انعقاد المؤتمر السنوى لجمعية « مسلمى اليابان » .

قررت الجمعية ايفاد عدد من الطلبة المسلمين اليابانيين الى مصر لدراسة العلوم الاسلامية ألف نسخة من الترجمة اليابانية لمعانى القرآن واللغة العربية ، كما قررت طبع ثمانية عشر الكريم ، وافتتاح فصول لتعليم اللغة العربية .

المؤتمر الأول للصحة النفسية

يعقد بمدينة لاهور الباكستانية فى الخامس من ديسمبر ١٩٨٥ م المؤتمر الأول للجمعية الاسلامية العالمية للصحة النفسية . يناقش المؤتمر دور المسجد فى وقاية وعلاج الادمان .

إعداد : أحمد عبد الرحيم السايح
محمد صلاح الدين حيدر

ويحضره عدد من العلماء المهتمين بالطب النفسى ٠

منع التعامل مع شركات الخمور

أصدر وزير المالية الكويتى تعليمات مشددة الى مكتب الاستثمار الكويتى فى لندن بالتخلى عن أسهم احدى الشركات المنتجة للخمور واجبار المكتب على طرح أسهم الشركة للبيع ٠

وكان مكتب الاستثمار الكويتى فى لندن قد اشترى أسهم شركة الخمور بأربعة عشر مليونا من الجنيهات الاسترلينية ٠

وقال وزير المالية الكويتى ان المكتب يجب أن يكون أكثر حكمة فى تعاملاته الاستثمارية مستقبلا حيث انه طبقا للشريعة الاسلامية لا يجوز تعاطى الخمر أو الاتجار فيها ٠

التوسع فى انشاء المراكز الاسلامية

أوصى الملتقى التاسع عشر للفكر الاسلامى ـ الذى عقد مؤخرا فى الجزائر ـ بالتوسع فى انشاء المراكز الاسلامية فى الخارج لرعاية المسلمين ٠ وطالب الملتقى بانشاء منظمة اسلامية مستقلة فى كل شىء تعنى بشئون الجاليات الاسلامية وحقوق الاقليات وارسال مشاهير الدعاة والعلماء اليهم فى زيارات وجولات لشرح شعائر الاسلام وتعاليمه والتوسع فى تخصيص منح الجامعات والدارس فى البلاد الاسلامية ٠

من مكتب فضيلة الدكتور وكيل الأزهر صدر القرار رقم ٧٥٤/٧ لسنة ١٩٨٥ م ٠

بندب الشيخ فتح الله ياسين جزر للقيام باعمال مدير عام الادارة العامة للبحوث والنشر والترجمة بمجمع البحوث الاسلامية اعتبارا من أول سبتمبر سنة ١٩٨٥ م ٠

فى مقال « رسم المصحف » لفضيلة الشيخ ابراهيم عطوة عوض والمنشور فى عدد ذى الحجة سنة ١٤٠٥ هـ من « مجلة الأزهر » وقع خطأ مطبعى فى كتابة الآية الكريمة رقم ٤٧ من « سورة الذاريات » فى قوله تعالى من الآية « بأييد » فقد سقطت الباء التى تلى الألف وفقا للرسم الاملائى الحديث ٠

وقد سبقت الآية الكريمة للنص على فضل زيادة الياء ـ التى حذفت ـ بعد الألف وأن لها صلة بزيادة فى المعنى ، كما أن المقال كله ينتصر للحفاظ على الرسم العثمانى ٠

احمد قاسم أحمد ـ قنا

من خير ما كتب

للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام

شيخ الأزهر يتحدث عن تطبيق الشريعة الاسلامية

مازال الحديث متصلا عن تطبيق الشريعة الاسلامية .. بل وتتسع دائرته ويكثر أطرافه يوما بعد يوم .

وللحقيقة فلا خلاف عند أحد حول ضرورة الاحتكام الى شريعة الله فى كل شىء .. وانما يرى البعض توقيتا لبدء التطبيق يختلف عن توقيت الآخرين .

ولكل رأى وجاهته مع توفر صدق النوايا عند أصحابه .. ولأهمية الموضوع فقد بدأ « الأهرام » منذ أكثر من شهرين فى نشر العديد من المقالات التى تعبر عن كلا الاتجاهين أو الرأيين من حيث التوقيت .. كما نظم الأهرام منذ شهر ندوة للغرض نفسه ينشر آراء المشتركين فيها تباعا .

وقد أدلى فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بحديث لجريدة المدينة المنورة والتى تصدر فى جدة تناول فيه عددا من الموضوعات الهامة التى تستحوذ على اهتمام الناس هذه الأيام وكان موضوع الشريعة من بين هذه الموضوعات .

قال فضيلة الامام الأكبر :

ان الأزهر يواصل دعوته الى تطبيق الشريعة الاسلامية ويؤازر كل الجهود التى تبذل فى ذلك وأن تطور الحياة القضائية ونظمها سواء فى مصر أو فى العالم كله ، يستوجب أن توضع الأحكام الشرعية فى نسق قانونى خاص قد ألفه الناس فى هذا العصر وهذا هو ما يعنيه الناس بوضع قوانين مستمدة من الشريعة الاسلامية يمكن للقضاة أن يطبقوها فى الخصومات التى ينظرونها .

وأضاف فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر أنه منذ سنوات قامت فى مصر حركة تبتغى وضع مشروعات لهذه القوانين ، وتم فعلا وضع عدة مشروعات لقوانين أساسية :

كالقانون المدنى وقانون العقوبات والقانون التجارى وقانون المرافعات وغيرها وهناك قوانين لا تزال فى طور الاعداد وكل هذا توطئة للتطبيق الفعلى لهذه القوانين بعد أن تأخذ حظها من الدراسة المتأنية على أن الأمر لا يفهم منه أن مصر بعيدة عن الحكم الاسلامى .

فالقانون المدنى الحالى أكثر مواده متوائمة مع أحكام الاسلام لا يخرج منها سوى تلك

المواد التى تبيح الربا •• وهذا أمر يمكن علاجه فى المشروع الذى تم اعداده •

وكذلك فان قانون العقوبات الســارى الآن والقوانين التى ألحقت به تدخل جميعها فى باب « التعازير » الشرعية •• فقط تنقصها الحدود وهذا ما تم فى المشروع الذى جرى اعداده •

الأستاذ / أحمــد زين

« بلا مشــاكل »

ونحن نبدأ عاما هجرياجديدا نبتهل الى الله أن يطهر العالم الاسلامى من النفاق وســوء الأخلاق وهذان هما أســاس تحول العــالم الاسلامى الى التأخر والى ما نحن فيه •

فالنفاق أبعدنا عن الحق فضــاعت كلمتــه وقربنا من الباطل فعلت رايته وجعلنا نفعل كل ما يغضب الله ناسين أن الله يسمع ويرى •

وقادنا النفاق الى الكذب لنرضى من نظــن أنهم أصحاب النفوذ وقادنا الكذب الى الافتراء لنتهم الناس بالباطل ونلصق اتهامات ظالمــة للأبرياء •

وهكذا انقلبت الموازين كلها ولم يعد هنــاك ميزان يحكم العالم الاسلامى بل أصبح الهوى هو الذى يحكم وهو الذى يقول كلمته وأصبحنا برر ما نفعله خطأ ونلبس الزيف ثوب الحق •

واليوم ونحن نبدأ عاما هجريا جديدا تتطلع الى الله أن يخلصنا من النفاق الذى ملأ القلوب وندعو الله أن يضع فى نفوسنا المقاييس الحقيقية للدينا لنعرف أن كل شىء فيها ذاهب وأنهــا طالت أو قصرت هى سنوات معدودة فلا تغرنا الدنيا والمنصب والجاه ونجرى وراء البــاطل

يارب •• علمنا الحقيقة فى أن كل شىء زائل وكل سلطان ذاهب واذا ابتليتنا بالخير فكــن رحيما بنا حتى لا يغرنا ما أعيت ونظلم ونتكبر ونتجبر وننسى الحق وننسى أن النعمة منك وأن الفضل لك •

من ذكريات العبور

الأستاذ / سليمان عبد الحميد عبد الله

عبورنا فى العاشر من رمضان السادس مــن اكتوبر له ذكرياته الأصيلة وآثاره العظيمة •

فلقد كنا قبل العبور يخيم علينــا اليــأس ونشط اعلام اسرائيل يثبط الهمم ويعلن للعالم أجمع بأن اسرائيل قوة ضاربة وجيشها لا يقهر وبخط بارليف اعتقدوا أنهم بهــذا الحصــن لا يصل اليهم أحد « **وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ** » •

وركنت اسرائيل الى قوتها الظــاهرية وزين الشيطان لقادتها موسوسا لهم قائلا « لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جارلكم : مصداقــا لقوله تعالى :

(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) •

وفى لحظات العبور تجلت ارادة الله وتوكــل القواد والجنود على الله ورفعوا شعار « الله أكبر » تحوطهم عناية الله وأمدهم بجند من عنده

فهرس العدد

REFERENCES:-

1- The Holy Quran.
   By: Marmaduke Pickthall.

2- Scientific methods between Islam and modern civilization.
   By Dr. Abdul Haleem Mahmoud 1397.
   Al-Azhar magazine, Safar.

3- Message of peace a treatise on Islam.
   Part 2, The Prophet Mohammad. 1398.
   Al-Azhar Magazine, Shawwal.

4- Mohammad the Prophet of Islam.
   By: Abd Assamii Al Misry.

5- Morals and transactions in Islam.
   By: Dr. M. Abdel-Monaim El-Gammal.

6- Worship in Islam.
   By: Dr. M. Abdel-Moniam El-Gammal.

****

st also be constant and perpetual in an unending struggle to attain chastity and correctness. The life of the Prophet (prayers and peace be upon him) is characterised by a constant struggle and challenge; a performance of the highest degree of self discipline to reach the distinguished rank of spiritual elevation and sublimation to be qualified in the Holy Quran as the most highly praised. Struggle encomposses all the qualities demanded by the Muslim, with the understanding that such qualities cannot be achieved except by struggle. In fact the true understanding of life is the struggle it requires to attain descency, respect, honour, preservation and emancipation.

How far away nowadays are all human societies from these concepts. How diverted and disrupted humanity is. How disintegrated, degenerated and diseased is man now. How far away are we from the correct healthy patterns of life. The remedial measures are there, and the elements of healthy decent life are within other hands; yet we contradict, argue, and afflict; and man remains the easy obedient tool to the devil and satan, performing deeds and actions that even animals restrain from doing.

Let us all pray for redemption and forgiveness, let us all learn and heed the elements of the correct path. All hail to thee our magnanemous Prophet Mohammad (prayers and peace be upon him).

The acceptance of content and poverty should arise from the realisation that the life of man on earth is transit, and can be lived in any manner as long as dignity, honour, and the bare essentials are preserved. This brings up the subject of the outlook of the Muslim to life. Islam advocates that life should not be the only matter of concern to a Muslim. This life on earth is transient and temporary; while the life in the hereafter is permenant and lasting. Therefore, the question is which of the two lives requires the real concern of man and his efforts ? This life on earth should be given only the efforts it merits, and the remainder should be directed to develop and cultivate for the harvest of the hereafter. To attain such capacity of action and ability of performance, the power of Faith, and the potency of piety must prevail in the heart and mind of man. The realization of Truth becomes the fountain of support; the precursor of Faith, and Faith is the womb of piety. The three dimensions for the cultivation of asceticism and austerity of man in his life on earth.

These elevated and graceful qualities of human behavior are achieved with obedience and self discipline. Obedience to Allah the Creator, to His words of instruction, and obedience to the directions of the Prophet (prayers and peace be upon him). obedience is the proof of total submission and ideal obligation. There is nothing that excells obedience to Allah and his Messengers. The Prophet (prayers and peace be upon him) was a supreme example of perfect obedience and preached that to his companions; a matter that formulated coherance of structure in the Islamic society. The Holy Quran directs Muslims to obey Allah, His Prophet, and men of jurisdiction among them.

Struggle formulates the widest spectrum of the efforts of man in life, it is the supreme function of human existance. Man should struggle against his own whims and devilish thoughts to purify his soul and attain sublime attributes. Satan is a constant companion of man, and therefore man's struggle to follow the correct path mu-

ing the endless more and more. The Prophet (prayers and peace be upon him) was always most content with the minimal of requirements of food, clothing, habitation and all life's demands. He that could attain all he desired, yet he was humble and content,never abused what he had, and never went beyond the limits of equity. He was never haughty or arrogant, and never looked for appearances of magnificence or distinction. He prevented his companions from standing up in respect for him as he came upon them. He addressed them repeatedly saying " Do not flatter me, I am the subject of Allah and His Messenger" The faculty of content is a characteristic of the spirit, while the body is always in demand; a demand that is beyond satisfaction. Because of this Islam teaches man to develop the qualification of content by having authority and control over the demands of the body when they exceed the needs.

Poverty with dignity is advocated by Islam not in liking of poverty but in accepting it without shame or self degredation. The Prophet (prayers and peace be upon him) lived a life of dire poverty always possessing much less that his needs and requirements. The honourable Sunnah describes his state of poverty in the words of Aysha (blessings from Allah be upon her), said, " A month or two might elapse without fire kindled in the Prophets hearth"." never did the family of the Prophet eat their fill of barely bread for three full days in succession". Several other statements related by the Prophet's wives indicate how very poor he lived. The extreme poverty in which the Prophet (prayers and peace be upon him) is not dictated upon Muslims, but they are encouraged to enjoy the fruits of life. However, poverty and poor people should be looked upon with great respect, and dignity, and practical objective sympathy. Public social wellfare systems are fundamental essential aspects of Islam called "Zakat"; besides the practice of charity is greatly encouraged. Poverty in Islam is considered with great prestige, much pride, and true respect.

and suffered from hunger and thirst but he was the most patient and tolerant of men. Aysha (blessings from Allah be upon her) says "Never was the Prophet inclined to retribution for any harm done to him unless the limits of Allah were violated; he did not smite anything save in the cause of Allah or strike a woman or a servant all his life". Patience essentially means the acceptance of fate brought about by Allah unto man. Whatever is brought about by Allah unto man is essentially good and should be accepted with patience and understanding inspite of its outward meaning. The Prophet (prayers and peace be upon him) and all messengers and Prophets and Callers for the Worship of Allah before him practiced very extreme patience in their lives. The ultimate outcome of patience is always success, and man must develop the art and understanding to dress himself with patience in order to survive the various material and psychologicalafflict   of life. This is what Islam teaches and advocates, in order that man may attain the inherent quality of strength.

Content is certainly the inexhaustable wealth of man and the root of his happiness. The worldly needs and requirements of man to maintain decent life are basically very limited. Also the greater part of such requirements are satisfied except when there is some major disorder in the socio-economic or government to affect the basic requirements in the life of the society; in a Muslim society or any other. With these basic needs ensured, content should prevail, but it is always covetousness and lust for more that spoil the balance, attaining these aims on the expence of others. Very few attain it through ligitimate channels, and then the whole balance is disrupted. In a well balanced society where the essential needs and requirements of man are satisfied, content is certainly advocated, and is certainly the inexhaustable wealth and root of happiness. It is only when greed, covetousness, gluttony, and want of riches, rank, and power that man becomes unhappy, his satisfaction is unlimited always seek-

knowledge to strengthen belief in Allah therefore becomes the weapon of the Muslim. Islam in its scientific approach is wider, more accomodative and by far more penetrative than modern scientific civilization. It differs basically in its intentions, purpose, motives and objectives; it combines the elements of modern science with the organs of experimental and spiritual knowledge. It relates all creation to the supreme powers of the Creator; and the more we learn, the more we bow and prostrate in recognition of the fact, the more.solid our belief and faith. Human knowledge is meaningful only in conjunction with Divine Widom; and best knowledge of science is when associated with piety to Allah; and the most knowledgable and learned are the most pious and conscious of Allah. With such understanding, all search in science is fruitful. The scientific methods of search as adopted by modern civilization were originally quoted from Islamic principles, as acknowledged by Rogers Bacon the founder and true father of modern methods. Scientific search as it stands today is void of the spiritual element, it seeks to establish independence on its own principle, neglecting the reality and origin that all creation is subject to the Divine Law and Power of Allah.

Patience is the inherent quality of man's real strength. The teachings of the Holy Quran have on repeated occasions advised patience as an essential requirement in man's life.It is the shield and armour to face difficulties, affliction, disease, distress, misfortune, fear, hunger, or loss of life or property. The Prophet (prayers and peace be upon him) was known to be of utmost patience. True worship demands patience. The worldly life of man also demands patience. The life of the Prophet (prayers and peace be upon him) gives us superb illustrious examples of his utmost patience. The Prophet's tooth was broken and his face lacerated at Uhud. He lost his Kins and was often exposed to murder and insolence. He was mocked and wounded by the tribe of Thaqif,

THE MANNERISMS OF ISLAM

(PART II)

BY: NASR ELDIEN ABDEL-FATTAH SHOLKAMY.

Praise be to Allah, and prayers and peace be upon the Imam of the pious our Prophet Mohammad and upon his Kins, Companions, followers and callers for his message till the day of judgement.

Islam is known to be a way of life in which man conducts himself in such manner and attitude to excell in all performance. Besides the religious rights that Islam dictates, there are other characteristic traits that attribute quality of manner and grace of behaviour and depth of perception to man when he distinguishes with such features. Islam advances and promotes several of these characteristic traits; some have been discussed in a previous article such as Knowledge, Thought, Love and Longing for Allah, Remembrance of the Creator, Confidence in the All Mighty, and Mourning in face of the day of judgement. Several other of these Islamic mannerisms are worthy of mention. Science is the weapon of man; Patience is the inherent quality of strength; Content is the inexhaustable wealth; Poverty with dignity is human pride, Faith and Piety is power; Truth is reality of support; Obedience is honour, and Struggle in life is man's most Supreme function.

Science is the search into all creation and the intricate balance of the universe. Nothing is really and truely rich except the inexhaustable wealth of nature - Allah's creation - We see only the surfaces, but in reality she is a million fathoms deep. Science to seek

ple with reality and truth of faith, and infilterating into the depths of human nature.

It was in the latter months of the sixth year that the obligation of pilgrimage (Hajj) was prescribed upon Muslims to perform.

Prayers and peace be upon our magnanemous Prophet.

References:

1. Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981.
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library. Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah.
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library-Cairo Printed 1980.

4. Hayyat Mohammad
   Mohammad Hussein Heikal
   Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
   Text, Translation and commentary
   Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
   Dr. Mohammad Ramdan Albooty
   7th., Edition, 1977.
   Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
   Imam Ismail Ibn Katheer
   Revised by Mustafa Abdel-Wahid
   Vol. 2, 1983 Edition.
   Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
   Ibn Qayem Al-Gouziah.
   Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
   and Abdel-Quader Al-Arnaoot.
   Mouassasa Al-Risalah.
   Beirut, 1981.

thee, and guide thee on the straight way. And
that Allah may help thee with powerful help.
It is he who sent down tranquility in the hearts
of the believers, that they may add faith to their
faith. For to Allah belongs the forces of heavens
and earth, and Allah is of infinite knowledge and
wisdom.

(Surat Al-Fat-h, XLVIII, 1-4).

This Sura from the Holy Quran is referred to the treaty of Al-Hudaibiah, being revealed soon after the return of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to Al-Madinah By this treaty and its consequences, the pagans of Koraysh in Macca recognised at last after many years of unrelenting conflict with Islam, that Islam has grown to become an equal if not a superior challenging power. That in reality the gates were now wide open for the free spread of Islam throughout the whole Arab land.

After the events of Al-Hudaibiah, and during the remaining time of the sixth year after Hijrah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) decided to send written messages with envoys to the heads of states, calling them to Islam. Dihyah Ibn Khalifah Al-Kalbi was sent to the Roman King; Abd- Allah Ibn Huzafah Al-Sahmi to the Emperor of Persia; Hatib Ibn Abi Baltaa to Al-Muqauqas head of copts in Egypt; Shugaa Ibn Wahb to Al-Harith Ibn Abi Shamre Al-Ghasani in Syria, Saleet Ibn Amre Al-Amri to Huza Ibn Ali Al-Hanafi King of Al-Yamama; and Amre Ibn Umayah Al-Damri to king Al-Nagashi of Etheopia. A total of six delegates with six messages to six heads of states calling them to Islam. Some of these messages were accepted with polite deliberation and thought; while others were received with malignant rejection and stubborn conciet. History remains to reveal how Islam came to encompass these territories and much more, invading the hearts and minds of peo-

When the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was àt Al-Madinah, a man called Abu Basir Utbah Ibn Ussaid Al-Thaqafy managed to escape from Koraysh to the Muslims at Al-Madinah. Koraysh sent two men to bring him. According to the terms of the treaty of Al-Hudaibiah, Abu Basir was sent back to Macca with the two men. On their way at Tha Al-Hulayfa, Abu Basir managed to kill one of the men, and the other escaped to report the matter to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Abu Basir returned to Al-Madinah where he realised that he will be sent back to Koraysh again. Recognizing the situation, Abu Basir went out of Al-Madinah to the sea coast. Abu Gandal Ibn Suhayl Ibn Amre again escaped from Koraysh and joined Abu Basir. Several other Muslim captives also made their way to Abu Basir after escaping from Koraysh in Macca, knowing that if they went to Al-Madinah, they would be returned to Koraysh.At the coast, a group of Muslim runaways from the atrocity of Koraysh in Macca, gathered where they threatened the trade convoys of Koraysh travelling north. Koraysh appealed to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him)to call upon the Muslim group at the coast to join the Muslims at Al-Madinah in safe conduct inspite of the terms of the treaty.According to the request of Koraysh, this particular clause of the treaty of Al-Hudaibiah was cancelled and any individual reaching the Muslims at Al-Madinah could remain without being wanted by Koraysh.

The treaty of Al-Hudaibiah ultimately resulted to the full benefit and advantage of Muslims. It was the prelude of a manifest overwhelming triumph arising from wisdom, devotion, faith, patience and cool courage. In the text of the Holy Quran, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was promised the grandeur of a notable victory, and the magnificence of elevation.

> " Verily we have granted thee a manifest victory
> that Allah may forgive thee thy faults of the
> past, and those to follow, fulfil his favour to

As the whole party was about to move north to Al-Madinah after the events at Al-Hudaibiah, a group of Muslim women from Koraysh came to join with the Muslim party. According to the treaty of Al-Hudaibiah, they should be sent back to Koraysh. However, on this occasion Quranic revelation directed the exact action to be taken in this situation, and specified the patterns of social and matrimonial relations between believers and unbelievers (Muslims and Pagans).

> " O ye who believe ! when there come to you believing women refugees, Examine and test them: Allah knows best as to their Faith: If Ye ascertain that they are believers, then do not send them back to the unbelievers. they are not lawful wives to the unbelievers, and the unbelievers are not lawful husbands to them. Pay to the Unbelievers what they have spent. And there will be no blame on you if you marry them on payment of their dower to them. And hold not to your guardianship unbelieving women: ask for what you have spent on their dowers, and let the unbelievers ask for what they have spent. Such is the command of Allah: He judges between you. Allah is full of knowledge and wisdom."
>
> (Surat Mumtahana, LX, 10)

The rest of the Sura indicates directions on how women entering Islam should pledge themselves when they come from pagan society. When these pledges are sincerely given for future conduct, acceptance into Islam is open. All past actions and conduct are forgiven in sincere repentance. Allah is oft-Forgiving, Most Merciful.

dividual. On the other hand, converts into Islam from Koraysh when returned to Koraysh would certainly act as centres of influence for Islam, and Allah will provide patience and support for them. When the treaty was concluded, it was witnessed by Abu Bakre, Omar Ibn Al-Khattab, Abdel Rahman Ibn Aof, Abd Allah Ibn Suhayl Ibn Amre, Saad Ibn Abi Waqas, and Ali Ibn Abi-Taleb as writer of two munuscripts of the treaty. When the treaty was finalised, the Arab tribe of Khuzaah acclaimed alliance to the Muslims, and the tribe of Banu Bakre acclaimed alliance to Koraysh.

After the treaty of Al-Hudaibiah was signed, Abu-Gandal the son of Suhayl Ibn Amre appeared cladded in chains escaping from Koraysh. when the father saw the son, he took hold of hi , and dragged him back to Macca saying that the agreement was signed. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) approached Abu Gandal and said " A treaty has been signed, and we must remain true to what we have promised. Have patience Abu Gandal, and Allah shall be your support and savior". The man was taken back to Koraysh in Macca.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him)announced to his group to cut their hair and sac[illegible] the cattle to satisfy the rights of ending Ihram (the dress for Umra or Hajj). The men were heavy and very reluctant, since they were gravely depressed by the terms of the treaty, believing that they should have been allowed to make Tawaf around the Kabba or battled their way to do that. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him)complained their reluctance to his wife Um Salamah. She advised that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) should go out and without addressing one word to anybody; should sacrifice his cattle and cut his hair as the final acts of ending Ihram. When the Prophet (prayers and peace upon him) did what Um Salamah advised him to do, everybody followed his example by sacrificing and cutting their hair, in order to end the Ihram.

est to Abu Bakre. Receiving no acceptance of his protest from Abu Bakre, Omar protested to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), who told him "I am the Messenger of Allah, I shall not disobey, and Allah shall not abondon me". Omar Ibn Al-Khattab continued to repent and regret that incidence of the protest.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) called Ali Ibn Abi-Taleb to write the terms of the truce, and dictated him to write - "In the name of Allah most Gracious most Merciful", Suhayl Ibn Amre objected and said " If I believe that, I would not appose you, but write; In your name O God; The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) instructed Ali Ibn Abi-Taleb to write what Suhayl dictated, and continued to dictate " This is Mohammad the Messenger of Allah and His Prophet made peace with Suhayl Ibn Amre". Again Suhayl objected and said"If I confess that you are Allah's Prophet, I would not be your enemy, but write your name and that of your father". The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) dictated "This is what Mohammad Ibn Abd-Allah agreed with Suhayl Ibn Amre." The terms of the peace treaty were concluded. The treaty stipulated: (1) That there was to be peace and suspension of hostilities between the Muslims and Koraysh for ten years. (2) That any Arab tribe at large or any individual was free to join either party or make an alliance with the party of choice. (3) That if any person from Koraysh joined tha Muslims, he (or she) should be returned to Koraysh; but if any Muslim were to go to Koraysh, he should not be returned to the Muslims (4) That the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and his party were not to enter Macca that year, but that they could enter unarmed the following year. The third item of this treaty appeared unreciprocal, however, it was in reality to the great advantage of Muslims as explained by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). It is highly improbable that any Muslim would be an apostate or renegade from Islam to paganism; and if it ever happens, Muslims were better off without that in-

THE TRUCE OF AL-HUDAIBIAH

BY. DR. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D. PhD.

In the Name of Allah most Gracious most Merciful.

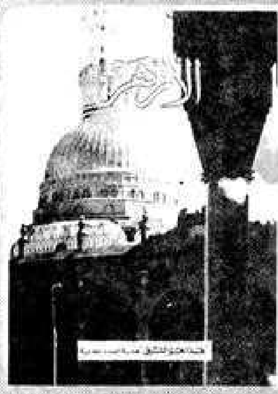
The fealty of Al-Rudwan caused great concern among the leaders of Koraysh; they realised that the Muslim group gathered at Al-Hudaibiah were very serious in their demands. Koraysh was also very certain that the Muslims would defend their cause and stand very firm and solid in support of their faith, and as directed by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Based on such consideration,Koraysh was very reluctant to confront Muslims in armed combat; they prefered to give the matter some deliberation and negotiations to serve their ends in preventing the Muslims from entering Macca. Koraysh certainly feared armed combat with Muslims to save themselves the possibility of indignant defeat. They delegated Suhayl Ibn Amre, a man reputed for his capacity of diplomatic negotiations and shrewdness; with instructions to discuss armistice terms with Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) on condition that Muslims do not enter Macca that year.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and Suhayl Ibn Amre carried out long discussions and were ready to write down the terms of the truce. At this stage, Omar Ibn Al-Khattab feeling that Muslim rights were undermind and compromises and concessions were given placing Muslims in undersize position, declared his prot-

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
• صورة الغلاف



المسجد النبوى الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مع ربيع التاريخ

كان ربيع الحيـاة ٠٠ !

ربيعُ الحياة الذى دام زهوُه ، وزها ضوؤُه فأخرج الصالحين من الظلمات الى النور ، وأتاح للمؤمنين نعيم الخلد أبد الآبدين ٠

فى الربيع من التاريخ كان ربيع الحياة السرمدى ، ربيعُ الروح الذى سبغ الكون :

بمولد سيدنا رسول الله ، محمد بن عبد الله خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، ودعوة ابراهيم ، وخير الخلق وسيدهم أجمعين ٠

وبمولد الرسالة التى عرف بها المؤمنون ربهم ،وقرت به أعينهم فرضى عنهم ورضوا عنه . ذلك هو النبى الكريم ، رحمة العالمين ٠

٥

مع ربيــع التاريخ

طب القلوب ودواؤها ..

وعافية الأبدان وشفاؤها .

اختار الله ــ سبحانه ــ له مكة مولدا ، فدرج عليها محبا لهـا مبغضا لكل نزواتها .

واختار الله ــ سبحانه ــ له مكة مبعثا ، فنادى ــ فى رباها وأســواقها وحشرها وجمعها : **« لا اله الا الله ، وحده ، لا شريك له »** .

فلماذا مكة بالذات ؟ .

انما كانت مكة لأنها عاصمة الجزيرة التى اجتمع بها أديان الخلق جميعا .

ولو بعث ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الصين ، أو فى أوربا لما التقت به ــ حيا ــ هذه الأديان التى صُرِعَتْ بباطلها تحت قدميه :

"فمن الألف الثالثة إلى الالف الثانية من قبل الميــلاد أقام فى تلك الجزيرة أناس من أتباع كل عقيدة دينية عرفت فى تلك العصور".

أقام فيها من الهند البوذيون والزُّطُّ والمِيدُ والسيابجة والأحامرة ، والتكاكرة والبياسرة بمختلف أديانهم ولغاتهم الهندية .

وسَكَنَها الأساورة من الفرس بمجوسيتهم وأقاموا فيها أكثر من مملكة،وحل بها الرومان فى جالية ضخمة ، ومثلهم اليونان ، ويحفظ التاريخ من مستعمراتهم « أنبلونة » على مقربة من ساحل "عسير" أو ساحل الحجاز شمال جدة ، وشادوا قديما امبراطوريتهم بــ « تدمر » وبنوا معابدهم الوثنية .

وحَلَّ بها أهل الكتاب من العبرانيين سبط راحيل من نحو عام ١٢٢٥ ق .م ونزلها النصارى ، فحلوا بها شــمالا وجنوبا ، وشادوا لهم بها ملكا وأديرة،وماج هذا الخليط بوثنية هاجت حتى أحاطت بالكعبة .

هنا كان محمد النبى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ليتصــدى لأقــوى مواجهة تشترك فيها أديان الأرض جميعا ، وليقيم على أنقاضها دينه الــذى جعله الله للناس أجمعين .

وثبت دين الله ــ سبحانه ، وتلاشى الزور تحت قدمى رســوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وطهرت مكة إلى الأبد .

فياله من ميلاد عظيم لم تعرف البشرية له نظيرا ..

د/ على محمد الخطيب

مع المؤتمر العالمى الرابع
للسيرة والسنة النبوية





كلمات الافتتاح

١٩ من صفر ١٤٠٦هـ - ٢ من نوفمبر ١٩٨٥م

المتحدثون

حسب ترتيب الكلمات

فضيلة الشيخ
عبد الله الأنصارى

فضيلة الأستاذ
الدكتور محمد السعدى فرهود

فضيلة الأستاذ الدكتور
الحسينى عبد المجيد هاشم

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق

السيد الرئيس
محمد حسنى مبارك
رئيس جمهورية مصر العربية

على مدى اربعة عشر قرنا يمتد خلالها الاسلام شرقا وغربا لا عن قوة مادية ، ولا اغراء أو اكراه ، يحمل هذه العقيدة المستقيمة والشريعة السمحة على لواء رفعه رسول الله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتم النبيين والمرسلين ورحمة العالمين الذى طبعه الله على صدق القول وأمانة التبليغ وجمع له ميثاق النبيين ·

فكان الايمان بالقرآن جزءا من الايمان بالاسلام ·

وكان الايمان بحديثه ﷺ الجزء المتمم لعقيدة الاسلام ·

وأمام ما طرأ فى هذا القرن ،وبخاصة فى هذه الأيام من الخوض الآثم ، والجهل الأليم فيما يخص رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة وسيرة اندفع العلماء المتخصصون إزاء هذه البلوى يبينون آثامها الشريرة

فعقدوا لذلك مؤتمرات أربعة آخرها هذا المؤتمر الذى شهدته القاهرة فى أحضان الأزهر الشريف برعاية الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية وحضوره،وتم فيه لقاء هؤلاء العلماء رُكَّعًا سُجَّدًا ظهر الجمعة ١٨ من صفر ١٤٠٦ ــ أول نوفمبر ١٩٨٥ ·

وخطبهم الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر من فوق منبره وحمل الأثير كلماته الى العالم كله ·

خطبة الجمعة

التى ألقاها

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا. قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا •

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له بيده ملكوت كل شىء واليه المرجع والمآب •

وأشهد أن محمدا — رسول الله أرسله الله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا •

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين • وعلى آله وأصحابه ومن تابعهم باحسان الى يوم الدين •

اما بعد :

فقد قال الله سبحانه فى القرآن الكريم

« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » •

أيها المسلمون :

هذه آية من كتاب ربنا رسمت لنا طريقا مستقيما لا عوج فيه ولا أمتا ، من اتبعه سلم وغنم ، ولم تتشعب به المسالك • هذا الطريق يقوم على أمرين :

أولهما : طاعة الله بالعقيدة الصحيحة والعمل الصالح والسلوك المستقيم وذلك بأداء فرائض الله ، وبالتزام سنن رسول الله وبالبعد عما نهى عنه الله ، واصلاح النوايا واخلاصها لله ، اذ الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى •

وثانيهما : الاحساس بالمسئولية يوم يقوم الناس لرب العالمين ، أو متى قدر الانسان المسلم أنه مسئول وان أعماله مسجلة ، وأنه لو استقام على الطريق كانت مثوبته من الله جزاء لما قدم من أعمال صالحات ، وان حاد عن هذا الطريق وأتبع نفسه هواها ،هوت به عن مقام الصالحين ، وسلكته فى مكان

خطبة الجمعة

المفسدين الذين أسرفوا فى الآمال والأمانى وأعرضوا عن آيات الله ، فكانوا من الخاسرين .

ولقد كان من رحمة الله أن أرسل الى الناس رسلا يهدونهم الى هذا الطريق المستقيم ، ويحذرونهم من الغواية والضلال ، وتتنوعت الرسالات وتتابعت ، حتى تهيأت الانسانية للرسالة الخاتمة ، المؤكدة لما جاءت به الرسالات السابقة من أصول العقيدة ، مصححة لمسارها ، موضحة لمعالم هدى الله للناس بما يتناسب مع ما صار عليه المجتمع الانسانى ، وكان هذا القرآن حجة الله على الناس وكلمته اليهم ، مبينا صحيح العقيدة ، مؤصلا المنهج التشريعى معلما للناس كيف يسوسون أمورهم ، وكيف يبنون حياتهم ويعمرون هذه الأرض منتفعين بكل ماسخره الله وخلقه لسعادتهم .

« إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا » .

نعم كانت هذه الرسالة الخاتمة كما قال الله « **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** » .

وقد واجه الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، وهو يبلغ هذه الرسالة الى الناس ، المصاعب ، والمتاعب ولكنه صابر وثابر فبدا بتأسيس العقيدة ، اقامة للبناء على قواعد راسخة .

وهكذا ينبغى أن نقتدى بالقرآن وبسنة الرسول — صلى الله عليه وسلم وسلوكه فى الدعوة الى الله ، فنؤصل فى المسلمين قواعد الاسلام ، عقيدة وشريعة حتى يعرفوا الفرائض ويتمرسوا على أدائها .

ان الاستقامة على الطريق الواحد تأخذ بيد المسلمين الى أن يكونوا أمة واحدة وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

علينا أن نميز الخبيث من الطيب فى قولنا وأعمالنا ؛ وأن نحذر المغالاة فى الدين ، والتزيد على ما شرع الله وبينه الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، فان هذا من قبيل الخروج عن الطريق المستقيم الذى ابتغاه القرآن ، واتبعه رسول الله عليه الصلاة والسلام .

علينا أن نحذر الفرقة والانقسام امتثالا لقول ربنا « **وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** » فانه متى تشعبت بنا السبل ، اختلفنا ، وتخلفنا ، ولعل هذا هو ما يمثل حال الامة الاسلامية اليوم ، فهذه الحروب الدائرة قد استحكمت ، والعرقية قد برزت ، والاقليمية قد سيطرت دون وفاء حتى بحقوق الجوار التى شرعها الاسلام وأوصى بها خير الانام محمد عليه الصلاة والسلام .

أيها المسلمون :

ان من سمات هذا الدين أنه يدعو الى السلام ويحث عليه قال الله سبحانه : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** » •

وسلم مع النفس فتحجبها عن الشرور والآثام وتلزمها بطاعة الله امتثالا لأمره وترقبا لأجره وطلبا لرزقه •

« **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** » •

« **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** » •

وسلم مع الأسرة : المجتمع الصغير لكل انسان ، فيرعى شئونها ، ويدبر أمور معيشتها بالكسب الطيب الحلال ، ويربى أفرادها على الاستقامة على أمر الله « **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** » •

وسلم مع الجيران فى السكن ، وفى العمل ، كل من ينطوى تحت اسم الجار ، كما أمر الله فى آيات القرآن •

وسلم مع الناس جميعا ، حتى تسعد الانسانية بالدخول فى دين الله أفواجا ، وحتى يكون المسلمون فى توادهم وتراحمهم أسوة لغيرهم من الأمم • كما كانوا يوم أن التزموا بكتاب الله وسنة رسول الله •

ان هذا السلم الذى يدعو اليه الاسلام مآله وثمرته الأمن على النفس والمال والعرض وسائر الحقوق ، وبه يسعد الناس أفرادا وجماعات •

ولقد قرر الاسلام عدة ضمانات لتوفير الأمن والسلام :

ففى طريق الدعوة قال : « **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** » •

ونهى عن كل ما يثير الحفيظة ، ويفضى الى القطيعة من السخرية والاستهزاء ، والهمز واللمز وسوء الظن والتجسس • وعد ذلك فسوقا يتنافى مع الايمان وفضائل الاسلام •

ولقد حث الاسلام على المودة والرحمة والتعاطف والتعاون على البر والتقوى ، ونصرة المظلوم ورد الظالم عن ظلمه ، واغاثة الملهوف ومعونة المحتاج ، واصلاح ذات البين ، مشيدا بفضل من يأخذ بزمام المبادرة من المتخاصمين فيبدأ بالكلام وبالسلام • ففى المروى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قوله :

« لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » •

وقوله : – صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » •

⑤ خطبة الجمعة

وقوله : عليه الصلاة والسلام « لا يـؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

عبـاد اللـه :

لقد ظل المسلمون فى قوة ووحدة وقت أن كانوا عاملين بهذه الوصايا مثـابرين عـلى الاستمساك بها ، فاقتدى بهم غـيرهم ، لم يفرضوا دينهم وشريعتهم على الناس قسرا ، ولكنهم عرضوها ، فاستجاب المنصفون ودخل الناس فى دين الله أفواجا . وحـين انصرف المسلمون عن كتاب ربهم ونسوا سنة رسولهم، وقع اليأس بينهم ، وشاع اليأس فى قلوبهم ، واحتدمت الخلافات فتفرقوا أحزابا متناحرة، بل ومتشاجرة متقاتلة حتى تسلط عليهم غيرهم تارة باحتلال بلادهم وانتهـاب خـيراتهم ، وأخرى باذاعة الأفكار والمذاهب التى أوهنت بنيانهم وزلزلت أركانهم ، **وعبدوا أربـابا أطاعوهم من دون الله الذى أنزل اليهم كتابا هاديا وبعث رسوله مبشرا ونذيرا .**

ترك بينهم أصلين أساسين فيهما السعادة فى الدنيا والآخرة فقال : « **تركت فيكم أمرين لن تضـلوا ما ان تمسـكتم بهما كتـاب الله وسنتى » .**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

وحياتكم فى العودة الى كتاب ربكم وسنة رسولكم ، واحذروا ما يراد بكم ويساق اليكم من فكر شارد تحادون به الله ورسوله .

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ولا يكن أمركم عليكم غمة ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون . أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ، وأدعو الله امتثالا لأمره ويقينا بوعده فى قوله « ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » .

كلمات الافتتاح

كلمة فضيلة الشيخ عبد الله الأنصارى

ممثل الوفود

سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية

أخى الفاضل سماحة الشيخ جاد الحق على جاد الحق الامام الاكبر شيخ الأزهر الشريف.

ـ اخوانى الأفاضل العلماء والوزراء والحاضرون .

احييكم بتحية الاسلام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وأبدأ القول بما بدأ الله به .

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله ألف بين قلوب المؤمنين ، والزمهم كلمة التقوى (١).

الحمد لله : شرفنا أن هدانا لهذا الدين القويم ، وجعلنا من أمة سيد المرسلين ، وهيأ لنا التعارف والتآلف ، لنجتمع على نور الاسلام ، وهدى القرآن الكريم ، وصلاة ربى وعظيم تسليماته على الذى أمره الله بتبليغ الرسالة ، وخصه بالذكر الحكيم ، وعلى آله وصحبه أئمة الخير ، ونجوم الهداية وسلم تسليما كثيرا ، وبعد .

فهنا على ثرى مصر ، وهى الكنانة التى تحفظ فيها سهام الدين ، ويرفع فيها منار العالمين ، وتربى على أرضها أجيال المسلمين ، وتصان فيها علوم الحق والصدق واليقين .

هنا على أرض مصر ، وهى البلد الدين الطيب ، والشعب الخلوق ، الذى علم الدنيا كيف يكون الكفاح فى كل ميدان ، وصان الحضارة الإسلامية من أن تنال من مغول أو تتار أو صليبيين ، ووقف شعبها يحول بين ايدى العابثين بمبادىء الانسانية وبين أفكارهم وانحرافاتهم ووضح قيم الاسلام الرفيعة ، فضمد بذلك جراح الأمة ، وأنار لها الطريق .

هنا نلتقى ، لنسلم الأمانة للأمناء على حضارة الاسلام وتاريخه .

الى هنا قدمنا لنسلم المسئولية للربان الذى قاد سفينة التعليم الدينى أكثر من ألف عام .

الى هنا جئنا لنلقى العبء على أقوى من يستطيع تحمله ، بجهاز متكامل وجامعات متخصصة ، وتيار علمى دافق .

ثبت للاحداث ولم يكترث بها ...

---

(١) اقيمت جلسة الافتتاح بقاعة « الامام محمد عبده » بجامعة الازهر بالدراسة صباح السبت ١٩ من صفر ١٤٠٦
٢ من نوفمبر ١٩٨٥

٥

كلمة الشيخ الأنصاري

وزلزل النوازل ولم يتزلزل بها ...
وأدار دفة التاريخ ربانا ماهـرا ، خبيرا ، لم يبال بأنوائها أبدا .
ما أشرف الغرض الذى من أجله اجتمعنا ..
وما أنبل الغاية التى عليهـا التقينـا ..

أيها الاخوة الأفاضل :

ان هذا المؤتمر الذى نتشرف اليـــوم بحضورنا فيه له تاريخ جدير بالذكر : —

فقد انعقد المؤتمر الأول فى اسـلام أبـاد بباكستان عام ١٣٩٦ هـ .

وانعقد المؤتمر الثانى فى استانبول بتركيـا عام ١٣٩٧ هـ وفى كلا المؤتمرين كان تحت اسم (مؤتمر السيرة النبوية) .

وفى حفل الختام للمؤتمر الثـانى بتركيـا دعونا لعقد المؤتمر الثالث فى دولـة قطـر :
على ضوء ما كنا نعلم من طمـوح أمـيرنا المفدى وغيرته وكرم هوايته لتأييـد العلم ، واعلاء الحق ، ونشر سـيرة سـيد الخلـق أجمعين ، فاستجاب المؤتمر مشكورا للدعوة ، وقمنا بتشكيل لجنة تحضيرية له ، واستقدمنا للمشورة بشأنه خبراء من جهات متعـددة ،

وكان من المفروض أن يعقد فى العام التـالى (أى عام ١٣٩٨ هـ) الا أننا فضـلنا التريث والتؤدة ، حتى يكون العمل متقنا ، ومحققـا للغاية التى من أجلها دعونا له ، وقد استكملنا ولله الحمـد ما استطعناه .

وكان أول ما فكرنا فيـه أثنـاء اجتمـاعات اللجنة التحضيرية ، أن تضاف السنة النبوية للسيرة فى البحوث ، وقد جـاء ذلك فى وقت كانت تتعرض فيه السنة الشريفة لهجمة غادرة من قوم أبرزوا عداءهم لها ، فوقفـوا لهـا بالمرصاد ، يشككون فيها تارة ، ويطعنـــون فى أســـانيدها تارة أخـرى .. كل ذلك كان قصدهم عداء للحق وتقليلا من مقام السـنة المطهرة ، وحربا على الله ورسوله ، وشـاء الله أن يبطل أعمالهم — وينصر سنة نبيـه — صلى الله عليه وسلم — فصدق فيهم قول القائل :

كنـــاطح صـــخرة يوما ليوهنهـا
فلم يضرهـــا وأوهـى قرنـه الوعل

« وَيَأْبَى اللَّـهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَــرِهَ الْكَافِرُونَ »

من هذا المنطلق — الحريص — سرنـا فى المؤتمر الثالث وحددنا الأبحـاث واستكتبنـا العلماء .. وجاءت بعد ذلك ثمـار الجهـود يانعة — ولله الحمد — تدل على خصـوبـة العقل المسلم ، وصفاء قريحته ، وانقـــاد ذكائه .. وجاءت أبحاث السنة معـــادلة لأبحاث السيرة ، وكأنما هما فرسـا رهـان ، ولا شك أن الرسول — صلى الله عليه وسلم قـد أعطى القرآن ومثله معه ، وأنزل عليـه الذكر ليبين للناس ما أنزل اليهم .

واجتمعنا فى دوحة قطر ..على ضفاف الخليج فى غرة محرم الحرام عام ١٤٠٠ هـ للهجرة .
وكان مؤتمرنا — ولله الحمد والمنة — خصبا بعلمائه ورجاله ثريا بأبحاثه التى قدمت فيـه

وقد بلغت سبعة وسبعين بحثا ، بينت بوضوح وجلاء ثراء السنة ، وشمولها وكفايتها والسيرة ووضوحها •

كل ذلك كان بفضل الله ، ثم بفضل الجهود التى بذلت من العلماء الأجلاء ، وقد طبعنا البحوث بعد ذلك فى سبع مجلدات ، قدمناها لكثير من علماء الأمة للانتفاع بها ، وها نحن أولا نقدمها لمن لم يحصل عليها : هدية من هذا المؤتمر المبارك •

ولقد كان من المفروض أن يعقد المؤتمر الرابع قبل اليوم بأعوام عديدة ، ولكن حالت ظروف وظروف دون انعقاده ، وكم سعينا وحاولنا فى ذلك مرات ومرات اذ كان من المفروض أن يعقد فى غير مصر ، ولكن شاء الله تعالى ألا يعقد الا فى مصر ، وأراد الله أن تفوز أرض الكنانة به •• وهى الدولة المضيفة لمؤتمركم الآن •

وهكذا دائما مصر فى كل حال ، هى البلد المنقذ وأزهرها الشريف هو دار العلم ، أرفع منار فى الأرض بعد الحرمين الشريفين ، له المجد والبطولة والتاريخ المجيد والعلم والهدى القويم ، قد شع منه النور •• وملأ عطره أرجاء الشرق والغرب •

أيها الاخوة الأفاضل : ـــ

لا أحب الاطراء ـــ ولا أجيده ـــ ولكنها الحقيقة تتفجر من وجدانى اذ كان على أن أسرد تاريخ مؤتمركم هذا بعد أن ناء كاهلى بحمله ما يقرب من سبع سنوات ، وكنت أخشى أن أفارق الدنيا قبل أن ينعقد هذا المؤتمر ؛ ولكنى اليوم والحمد لله ، مطمئن النفس ، هادىء البال ، مرتاح الضمير ، وأنا أسلم الأمانة الى الأخ الفاضل الجليل سماحة

الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشريف •

والأزهر كما هو معلوم خير من يحمل الأمانة ويحافظ عليها وهو والحمد لله قلعة الاسلام منذ ألف عام •

أيها الاخوة الأكارم : ـــ

اننى ـــ نيابة عن الاخوة الأجلاء أعضاء الوفود ـــ أتقدم بالشكر الجزيل الى الحكومة المصرية ممثلة فى قائدها سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك •

والى الأزهر الشريف ، لرعاية هذا المؤتمر ، الذى ندعو الله له بالتوفيق والسداد •

كما أشكر لاخوانى الأفاضل العلماء أعضاء اللجنة التحضيرية وهم الجنود المجهولون فى هذا المؤتمر ، ولكل اخوانى من العلماء الذين كان لهم جهد فى عقده •

كما أشكر كل اخوانى العلماء الذين استجابوا للحضور ، راجيا من الله أن يحقق الأمل المرجو منه ، لخدمة السيرة والسنة النبوية الشريفة •

ومن هذا المكان ـــ نتوجه الى الله ـــ بالدعاء أن يحقق الآمال وأن يوحد كلمة الأمة الاسلامية ـــ على الخير والرشد والنصر ، وأن ينقذها من هذا التية المهلك الذى تتردى فيه ، وأن يسخرها لتحكم الشريعة الاسلامية

كلمة الشيخ الأنصارى

فى مهماتها ، وأن يهيىء لقادتها البطانة الصالحة لتسير على النهج القويم والهدى ــ المستقيم .

وانى أحمل الاخوة والعلماء الأجلاء أمانة الى حكوماتهم ، والى الجهات التى قدموا

منها ، بأن يكونوا رسل خير ورشد . فان الرائد لا يكذب أهله ، ولابد للحقيقة من

لسان صدق .. لينطق بها ، وأنتم أيها الاخوة الأجلاء أحق الناس بهذه المنزلة . السامية .

أيها الاخوة ــ أننى بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن رئيس وفد قطر الشيخ محمد بن حمد آل ثانى وزير التربية والتعليم ــ أنقل اليكم جمعيا تحيات سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ــ أمير دولة قطر ، وسمو ولى عهده الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ، والشعب القطرى ، راجيا من الله تعالى لنا ولكم التوفيق والسداد .

وأختم كلمتى .

مرة أخرى مكررا الشكر لمصر ولقائدها الرئيس محمد حسنى مبارك ، ولأزهرها الشريف ــ والله من وراء القصد ، هو مولانا ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الدكتور محمد السعدى فرهود

رئيس جامعة الأزهر

سيدى يارسول الله

السلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وصلى الله عليك فى الأولين .

وصلى عليك فى الآخرين .

وصلى عليك الى يوم الدين .

يا من بعثك الله رحمة للعالمين ، وأرسلك للناس كافة بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

فبلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، وأقمت الحجة ، ورسمت للناس المحجة .

سيدى يارسول الله .

ماذا أقول فى هديك وهو من هدى الله .

ماذا أقول فى منطقك وما تنطق عن الهوى .

« إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى » .

ماذا أقول فى أدبك وقد صنعك الله على عينيه .

ماذا أقول فى سيرتك « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » .

ماذا أقول ... وان فى سنتك لرسوما للشريعة وأصولها وأحكامها وآدابها .. لو اجتمع الانس والجن على ان يعرضوا آفاقها لطال عليهم الأمد ، وان كان البحر الزاخر لأقلامهم هو المدد .

ولكنها عجالة الكلمة الجامعة ، باسم هذه الجامعة ، التى تقوم على الدعوة وأصول الدين بما يجب لها من النبوغ والانتشار ، وتحمل عبء الشريعة الحاكمة بما يجب لها من الحجية والاحتكام ، وتعنى العناية الكاملة باللسان العربى ، لسان القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فضلا عن علوم الدنيا التى دعانا الدين الى تعلمها والاستفادة منها .

سيدى يارسول الله .

أمرتنا بتعاهد القرآن ، وقلت فى ذلك فيما أخرجه الشيخان : (تعاهدوا هذا القرآن ، فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من صدور الرجال من الابل فى عقلها) .

فأرشدتنا الى خيرى الدنيا والآخرة ، وهديتنا الى الاعتصام بكتاب الله ... « وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » .

وأرشدتنا — ياسيدى يارسول الله — الى ان (هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه) ، فأرشدت الى خير كثير ، وان من يقاوم يسر هذا الدين يقاوم طبيعة الأشياء .

كلمة الدكتور فرهود

وهذا بيان للمتشددين الذين يرهقون أنفسهم وأقلامهم باسم هذا الدين ، ناسين أو متناسين ، أن المنبت المجهد نفسه فى السير لا يقطع أرضا ولا يبقى ظهرا ، وأنه — حتى فى الطاعة والعبادة — عاجز عن استقصاء الغاية .

وأكدت — ياسيدى يارسول الله — مبدأ المسئولية الذاتية أمانة فى أعناقنا ، وذلك فيما قلت — وقولك الحق — : (كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .. فالامام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته .... والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته .. والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهى مسئولة عن رعيتها .. الحديث .. فرسمت لكل فرد فى الهيئة الاجتماعية أن يؤدى دوره المنوط به كما يجب الأداء ، وأن يخلص فيه كما ينبغى الاخلاص ، وأن يتحمل تبعاته ، كما يلزم التحمل ، فلا تفلت من مسئولية ، ولا هروب من واجب ، ولا تراجع عن مواجهة أعباء الحياة .

أرسيت — ياسيدى يارسول الله — مبادىء التعاطف الاجتماعى ، والتكافل الاجتماعى ، والعدل الاجتماعى ... وما تزال ترتسم أمامنا كلماتك الخالدة الموجهة : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

(المسلم أخو المسلم .. لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره) .

(كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه) .

(من كان عنده فضل مال فليعد به على من لا مال له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له) .

(يا أيها الناس .. ان ربكم واحد .. لافضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود — الا بالتقوى) .

(انما أهلك من كانوا قبلكم أنهم اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ... والذى نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) .

بذرت — ياسيدى يارسول الله — بذور السلوكيات السوية فى العلاقات العامة ، نتوخى أسباب التواد والتواصل والتآلف والمحبة .. ما أحوج الناس الى أن يعوها ويحفظوها ، ويعرفوا لها حقها .

أو لست القائل (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا .... ولا تؤمنوا حتى تحابوا .. أولا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم .. أفشوا السلام بينكم) .

أولست القائل : (حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام .. وعيادة المريض ... واتباع الجنائز ... واجابة الدعوة .. وتشميت العاطس)

أولست القائل : (كل معروف صدقة .. وان من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق) .

أولست القائل : (مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) .

أولست القائل : (لا يحل لمسلم أن يهجر

أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا — وخيرهما الذى يبدأ بالسلام) •

أولست القائل : (دع ما يريبك الى مالا يريبك) •

أقمت — ياسيدى يارسول الله — مبدأ الاقتصاد والاعتدال على أساس مكين من فكر هذا الدين ، الذى رضيه الله للناس دينا ، وما نزال نحفظ — ياسيدى يارسول الله — وصاياك : (كل ، واشرب ، والبس ، وتصدق •• فى غير سرف ولا مخيلة) •

(ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه •• بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه •• فان كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه ، وثلثه لشرابه ، وثلث لنفسه) •

(خذ من صحتك لمرضك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن حياتك لموتك) •

أعليت — ياسيدى يارسول الله — من قيمة العمل والعمل اليدوى ، وغرست محبة السعى لتحصيل الرزق ، وعلمتنا أنه (ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده) •

وانه (اذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة يغرسها ، فليغرسها) • وسيظل سعيك أنت — ياسيدى يارسول الله — لرزقك

والحصول على قوت يومك نبراسا ، يضىء حركتنا فى الحياة •

دعوت — ياسيدى يارسول الله — الى تحرى السلامة ، حتى فى الطب الوقائى وضعت هذا الدستور :

(اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها) •

وفى الطب العلاجى : (ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء) ، فاذا صادف الدواء الداء كان الشفاء باذن الله •

حتى الصغار ، أدبتهم — ياسيدى يارسول الله — بأدب الاسلام •

(ياغلام •• سم الله • وكل بيمينك ••• وكل مما يليك) •

(مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين • واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع) •

سيدى يارسول الله •

هذا قليل من كثير ، وغيض من فيض ، وقطرة من محيط سنتك الشريفة وسيرتك الطهور ••• وفيها عصمة من الفتنة ، وأمان من الزيغ •• وفيها — لمن اهتدى — خير الزاد ، من الهدى والرشاد •

وصدق الله — ياسيدى يارسول الله — اذ يقول لك : (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) •

فاللهم اجعلنا ممن تبين وتفكر •

السيد الرئيس

السادة أعضاء المؤتمر

أسأل الله أن يحفظ علينا — وعليكم — نعمه ظاهرة وباطنة •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

فضيلة الأستاذ الدكتور

كلمة الحسينى عبد المجيد هاشم

وكيل الأزهر وأمين عام المؤتمر

أيها السادة الفضلاء :

مرحبا بكم يا أحباب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وسيرته العطرة وسنته الشريفة ، فى رحاب الأزهر الشريف .

مع الله والملائكة نحتفل بالرسول — صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » .

يقول الله تبارك وتعالى « مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » ولنا فى رسولنا — صلى الله عليه وسلم — أسوة حسنة .

قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » .

ولا يتأتى لنا أيها المؤمنون أن نتأسى به وأن نطيعه الا بمعرفة سيرته العطرة طهرا وصفاء ونقاء وسماحة ووفاء وشجاعة ورحمة وحكمة وأمانة وعدلا ونبلا .

ولا يتأتى أن نطيعه الا اذا عرفنا ما قال وما فعل وما أقره — صلى الله عليه وسلم — أن نعرف سنته الشريفة قولا وعملا وتقريرا .

والواقع أن سيرته — صلى الله عليه وسلم — جزء من سنته ، وأن السنة كما عرفها علماء الحديث : أقوال النبى — صلى الله عليه وسلم — وأفعاله وتقريراته وأوصافه الخلقية والخلقية ، قبل البعثة وبعدها فهى علمه وتعامله .

ورسالة الأزهر الشريف تتركز فى العناية بالسنة الشريفة ، والسنة كمصدر التشريع ، وهى تفسير وبيان لكتاب الله تبارك وتعالى ، أنها التفسير بالمأثور للقرآن الكريم .

وتفسير القرآن الكريم بالرأى ماهو الا ثمار للتفسير بالمأثور عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وصحابته والتابعين لهم باحسان .

لقد قام الأزهر الشريف على كلياته الأصلية

الثلاث : كلية أصول الدين لدراسة الحديث سندا ومتنا ، دراية ورواية وتفسيرا لكتاب الله تبارك وتعالى .

وكلية الشريعة لفهم فقه كتاب الله وفقه سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم .
وكلية اللغة العربية لفهم أسلوب القرآن والسنة لغة وبلاغة كما يقول أمير الشعراء

لرسول الله — صلى الله عليه وسلم .
فما عرف البلاغة ذوبيان
اذا لم يتخذك له كتابا

وانتشرت العناية بالسنة فى كليات الازهر جميعا نظرية وعملية . ان الازهر الشريف ينشر سنة الرسول — صلى الله عليه وسلم — طاهرة مطهرة فى رحاب جامعات مصر والعالم الاسلامى .

ان حول رحاب الجامع الأزهر الشريف أروقة الشوام والمغاربة والحجاز والهند والأتراك وغيرهم ، وتطورت الأروقة الى مدينة البعوث الاسلامية العالمية التى تضم طلاب مائة دولة من المسلمين يتعلمون فى رحاب

الأزهر ويتفقهون فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم .

كما أن الأزهر يرسل علماءه الى قارات الدنيا لينشروا نور القرآن ونور السنة .
ولقد شاع فى وقتنا الحالى ما يعرف بترشيد

الانفاق ، ومع ذلك كله حتى الدول الغنية منه ولكن حكومة مصر بزعامة رئيسها المبارك رأت أن الارشاد والترشيد فى زيادة ميزانية المنح

الدراسية لطلاب العالم الاسلامى عناية بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ، وزيادة العلماء المبعوثين الى العالم لنشر رسالة الاسلام

على حساب الازهر الشريف وزيادة ميزانية

تحفيظ القرآن الكريم فى الكتاتيب والمعاهد الابتدائية الازهرية واعتماد منحة شهرية للطالب فى التعليم الابتدائى .

كما أقامت مطبعة تابعة للازهر تقوم على طبع المصحف الشريف وكتب السنة المطهرة .

أيها السادة : ان كتب علوم الحديث التى ألفها علماء الأزهر قديما وحديثا — تغطى العالم الاسلامى كله ومايزال يعم نفعها والانتفاع بها مثل كتاب فتح البارى شرح صحيح الامام البخارى لابن حجر العسقلانى ، وتدريب الراوى للامام السيوطى ، وشرح السنة وعلومها للبخارى ، والدمياطى والعدوى والسبكى ، والشيخ عبد الله الشرقاوى والامام الشافعى وغيرهم رضى الله عنهم جميعا .

وحمل اللواء فى العصر الحديث شيخ المحدثين الشيخ أحمد شاكر صاحب تحقيق مسند الامام احمد ومحقق رسالة الشافعى ، وجامع الترمذى والساعاتى وصاحب الفتح الربانى . والمطيعى مكمل المجموع للنواوى ، ومحمد ابن أبى شهبة صاحب السيرة فى ضوء الكتاب والسنة ودفاع عن السنة وللشيخ محمد أبو زهو وكتابه الحديث والمحدثين ، وعبد الوهاب عبد اللطيف محقق التراث وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الاحاديث

كلمة الدكتور حسين هاشم

الموضوعة والسماحى صاحب علوم الحديث رواية ودراية ، والشيخ أحمد بن الحافظ للسنة

والشيخ منصور على ناصف صاحب كتاب التاج الجامع للاصول .. والشيخ عبد الغنى عبد الخالق صاحب شرح البخارى ، والمحدث محمد فؤاد عبد الباقى الذى فهرس كتب السنة وحقق الكثير منها وسابق المستشرقين فى علم الفهرسة وشيخنا حسنين مخلوف صاحب تحقيق كتاب الشفا ، وغير هؤلاء من العلماء والاعلام .

ياعلماء الأزهر وطلابه لاتتمثلوا بقول الشاعر :

اولئك أبائى فجئنى بمثلهم
اذا جمعتنا ياجرير المجامع

ولكن قولوا :

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى
ونفعل مثل ما فعلوا

وفى مجمع البحوث الاسلامية يحقق كتاب جمع الجوامع للسيوطى وكتاب جامع الاحاديث وكلاهما موسوعة فى السنة .

ويحقق جامع المسانيد للحافظ ابن كثير والترتيب الفقهى للجامع الصغير للسيوطى

والترتيب الفقهى لذخائر المسانيد ، ودائرة معارف السنة الشريفة، وجامع الصحاح للسنة.

وفق الله علماء السنة فى العالم كله لخدمة سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — المنيرة للوجوه ، المنورة للقلوب ، الهادية الى الصراط المستقيم .

يا علماء المسلمين :

لو أن شوقيا رآكم ههنا
وسنا الحديث بكم يعم الأزهرا
ووفودكم من كل فج أشرقت
حول النبى محمد خير الورى
ونضارة الاسلام فوق جباهكم
لأعاد قولا فى المحافل قد سرى:

قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا
وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واخشع مليا واقض حق أئمة
طلعوا به زهرا وماجوا أبحرا
رسا باروقة الهدى فأحلها
فرع الثريا وهى فى أصل الثرى
حتى ظننا الشافعى ومالكا
وأبا حنيفة وابن حنبل حضرا

كلمة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

ورئيس المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية

حضرات السـادة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وبعـد :

فهذا يوم من أيام الله المباركة ، نفتتح فيه أعمال المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة . الذى تفضل السيد الرئيس محمد حسنى مبارك برعايته منذ أن عرضت على سيادته قبول استضافته ، وشرفه اليوم بالحضور مفتتحا لأعماله ومشاركا فى الترحيب بأعضائه وضيوفه .

وباسمكم أتقدم الى السيد الرئيس بالشكر والتقدير ، وأدعو الله أن يوفقه والعاملين معه ، وأن يوفقنا جميعا لكل عمل جليل يخدم قضايا الأمة الاسلامية .

ولا شك أن مصر بحضارتها العريقة وتاريخها الطويل وأزهرها الشريف محط الآمال ومطمح الانظار .

ولقد كانت منذ أن دخلت فى الاسلام مركز انطلاق الدعوة الاسلامية وانتشارها فى أفريقيا ، وعبرت الى أوروبا التى اقتبست العلم والحضارة من علوم وحضارة المسلمين فى الأندلس .

ان مصر تشعر بعظم المسئولية ، وثقل التبعة ، وهى برجالها ورئيسها وأزهرها لا تألو جهدا فى القيام بأعباء هذه المسئولية نحو الأمة الاسلامية .

السيد الرئيس :

حضرات السادة :

ان هذا المؤتمر حلقة فى سلسلة المؤتمرات العالمية التى عقدت فى العالم الاسلامى ، والتى مارست مدارسة السيرة والسنة النبوية الشريفة ، أملا فى استخلاص دواء لأدواء المسلمين ومشاكلهم المعاصرة .

والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون الى عقد المؤتمرات المتتالية لبحث قضاياهم السياسية والاقتصادية والثقافية والتشريعية والاجتماعية وغيرها مما تموج به أحداث الحياة .

والاسلام ذلك الدين القيم الشامل المنظم

كلمة الإمام الأكبر

لكل مجالات النشاط الانسانى ، يبارك ويشجع هذه المؤتمرات التى تطرح فيها القضايا ويجرى التشاور فى الحلول لها ومواجهتها برأى جماعى من ذوى الخبرة والاختصاص : (**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**) ..

نعم : ليست هذه المؤتمرات فكرة طارئة على المسلمين :

فقد فرضها الاسلام فى عبادته ، ففى الصلاة سنت صلاة الجماعة ، وفرضت صلاة الجمعة أسبوعيا وفرض الحج سنويا ، وما ذلك الا قصدا — والله أعلم — الى تزكية النفس ثم تقوية الرابطة بين المسلمين ، وتأكيد الشعور بالوحدة على الرغم من تنائى الديار واختلاف الألوان • والألسنة والعادات •

وحين فرض الله الحج كواحد من أهم هذه المؤتمرات الاسلامية قصد به — الى جوار العبادة والنسك — شهود المنافع العديدة فى مجال السياسة والثقافة والاقتصاد وسائر المجالات التى عبر عنها القرآن الكريم

بكلمة جامعة هى قول الله سبحانه : (**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**) •

واذا كنا نحن المسلمين لم نستثمر هذه الاجتماعات واللقاءات الجماعية المفروضة من الله فى التشاور لبحث قضايا الأمة الاسلامية لنخرج فيها برأى خالص لله •

اذا كنا لم نعمل لذلك كما عمل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكانت خطبته فى حجة الوداع مبينة لكثير من أحكام الاسلام وقواعده ، وكما عمل أصحابه من بعده ، والسلف الصالح من قادة وعلماء الاسلام الذين كانوا ينتهزون موسم الحج للاستزادة من العلم بلقاء العلماء ومحاورتهم ، لا صلفا ومراء وانما طلبا للعلم وحقائقه •

أقول : اذا كنا فى هذا العصر ، ومنذ أن انصرفنا عن تقاليد أسلافنا ، انبهارا بما أوفد الينا من مظاهر وأفكار نبتت فى غير بيئة الاسلام ، كان علينا أن نستدرك ما فات بهذا المؤتمر وأمثاله ، نتدارس فيه كتاب ربنا وسيرة وسنة نبينا ، ونسترشد بهما فى مواجهة قضايانا ورأب ما تصدع فى بنيان الأمة وصفوفها •

السيد الرئيس :

أيها السادة :

ان من أهداف هذا المؤتمر وما سبقه — الى جانب تقوية الروابط وتأكيد الوحدة الاسلامية — العمل على ايجاد وسيلة قوية تصد العدوان الفكرى ضد السنة النبوية وسيرة المصطفى — صلى الله عليه وسلم — بوجه عام وأصول الاسلام بوجه خاص هذا العدوان الذى يتولى كبره الملحدون الذين يغلفون أفكارهم ويشيعونها بأساليب باهرة وماكرة ، فيلبسونها ثوب الاسلام وما هى من الاسلام فى شىء •

بل ان من أولئك الملحدين من يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب فصاروا أخطر على مستقبل المسلمين لضآلة المعرفة الصحيحة لحقائق الاسلام وأباطيل

خصومه ، وليس أشد ايذاء للمجتمع الاسلامى من هؤلاء الذين مردوا على النفاق فاتخذوا الاسلام شعارا لا دينا يؤمنون به ، ويعملون بشرعه ، واحتلوا فى الفكر المعاصر مكانا أو مكانة واغتر الناس بما يقولون فاتبعوا باطلهم بعد أن غابت عنهم الكلمة الراشدة والنصح السديد ، والعرض الجديد لسيرة وسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

لقد ذهب نفر من هؤلاء الذين تلونت ألسنتهم ، بعد أن تلوثت أفكارهم ، الى اثارة الغبار حول بعض الاحاديث النبوية الصحيحة، تحكيما لفكرهم الذى يقصر — دون شك — عن استكشاف حكم النبوة ، بل غاب عن أولئك الناس قول الله : (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ**) .

وقول القائل :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

حضرات السادة :

ان المسلمين فى حاجة الى البصر بأمور العصر وأساليبه حتى لا يظلوا مستهدفين للغزو من كل جانب ، لاسيما بعد أن صار العالم بأجهزته وأدواته السمعية والبصرية وغيرها تسرى فيه الافكار مع تنفس الهواء ، تغزو العقول دون حجاب أو حدود .

أن الناس من حولنا ينظرون الينا وينتظرون انهم يرقبون كل تجمع اسلامى ويترقبون ما تسفر عنه المؤتمرات ، وان علينا فى هذا المؤتمر ، بل فى سائر المؤتمرات أيا كانت مهامها ومستواها ألا نقنع بموقف الدفاع عن ديننا وثقافتنا وكياننا كأمة ، بل لابد من خطوة ايجابية نطارد بها الفكر الوافد الشارد الذى أضل شبابنا ومزق وحدتنا .

نعم : نطارد الأفكار التى تهدم قيمنا ، وتهزم ذاتيتنا بايضاح قيم الاسلام الثابتة فى القرآن والسنة ونشر تاريخه وحضارته ، قياما بواجب الدعوة الى الخير امتثالا لأمر الله : (**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**) .

ان الأمل معقود على هذا المؤتمر أن يجلو للناس سيرة رسول الله وسنته ويقدم من ذلك زادا طيبا يعمق الايمان والاسلام وييسر الافادة من هديه ويتحصن به ضد المحاولات الخبيثة التى تريد أن تسلبه شخصيته .

ولا شك أن دراسة السيرة والسنة دراسة استهداء هى دراسة للقرآن الكريم ، فالرسول — صلى الله عليه وسلم — كان خلقه القرآن .. عاش به ومعه ، تلقيا ، وحفظا ، وتلاوة ، ثم شارحا وموضحا ومتدبرا لآياته ، ومبلغا اياه للناس ومنفذا لشرعه .

ولقد كان القرآن هو المستهدف الأول بالغزو الفكرى ، وكم من سهام اليه صوبت ، وشباك حوله نصبت ، ولكن المسلمين وقفوا ضدها ، وردوها على أعقابها ، وصدق الله : (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) .

ولكن أعداء الله لم ييأسوا فعادوا يمارون فى السنة ويحاولون النيل منها : حجية ومكانة وثبوتا ، بل وفهما حيث راحوا يعرضونها على عقولهم ويشككون فيها استنادا الى ما جاء

كلمة الإمام الأكبر

فى بعض كتب السيرة من واقعات مدسوسة وفى بعض كتب السنة من أحاديث موضوعة ، والى أن من السنة ما يتعارض مع علم اكتسبوه من ثقافات وفلسفات دخيلة ، أو علم لم يصل بعد الى مرتبة الحقيقة العلمية ، وانما مجرد أفكار مازال فى طور التحضير والتفكير •

وواجب هذا المؤتمر أن يوجه جهده الى كبح هذه المحاولات استمرارا لوقفات العلماء المتتالية فى الدفاع عن السنة ، واتصالا لحلقات علوم السنة التى تتنوع وتتزايد تبعا لما ظهر من حقائق علمية لم تكن معلومة لدى علماء الحديث السابقين •

حضرات السادة :

سيعرض على المؤتمر الموقر بحوث متنوعة ، أفادت اهتمام العلماء والباحثين بالسنة ، ولعل بعض ما أثير فى هذه البحوث سبقت دراسته أو عرضه ، ولا ضير فى ذلك : ففى الاعادة افادة ، وقد تكون بعض البحوث فى حاجة الى مزيد من الدراسة فلا يكن فى الصدور منها حرج •

وأنصح بتقديم الأهم على المهم ، والجديد المفيد ، فان الأمة فى حاجة الى تثبيت الدين واشاعة اليقين • ومواجهة محدثات الأمور بالأحكام المستمدة من كتاب الله ومن سيرة وسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم —•

ان الأمة تسمعكم وتنظر اليكم ، وتنتظر أن تربطوا حاضركم بماضى سلفكم الزاهر فى التحقيق والتدقيق فى السنة والسيرة وعلومها، ولكن بأسلوب العصر وأدوات العصر تأكيدا لحيوية الاسلام وخصوبة قواعده وأصوله •

ان انصهار أفكار وآراء هذا الجمع الكريم من المؤتمرين لابد وأن يثرى علوم السنة ويذب عنها بالمنهاج القويم والرأى المستقيم •

أيها السادة :

ان مجمع البحوث الاسلامية فى الأزهر الشريف : قام ويقوم بجهد كبير نحو السنة النبوية ، ولا شك أنه سيعمل معكم ومن خلال مؤتمركم على اظهار الوجه المشرق للاسلام ، وسيحمل توصياتكم ومقرراتكم باذلا كل جهد فى تنفيذها وابلاغها الى الناس جميعاً ، قياما بواجبه نحو الدعوة الاسلامية حتى يسلم الأمانة الى مؤتمركم العالمى الخامس — ان شاء الله — بفضله تعالى وبعونه •

السيد الرئيس :
حضرات السادة :

باسم الأزهر : طلابه المصريين والوافدين ، وعلماء معاهده وجامعته وبعوثه التى زادت على خمسة آلاف عالم الى انحاء العالم الاسلامى •

باسم هؤلاء جميعا وباسمى : أرحب بكم وأدعو الله لمؤتمرنا هذا بالتوفيق فى أداء مهامه •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

السيد الرئيس

كلمة محمد حسنى مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية

فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر .
علماء مصر الاجلاء .
ضيوف مصر الموقرين الفضلاء .

بنى وطنى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحية لكم جميعا فى فاتحة ملتقاكم الكريم من أجل السنة المطهرة والسيرة العطرة ، ودعاء الى الله سبحانه أن يكون هذا الملتقى العلمى الجليل بداية مرحلة مباركة لمسيرة الفكر الاسلامى الرائدة نحو تجلية أعظم لحقيقة الاسلام الخالدة ، تلك الحقيقة التى تربط المخلوق بالخالق ، وتصل الارض بالسماء وترسم للانسانية كل مافيه خير الفرد وسعادة الجماعة .

ولاشك أن مما يسعد القلب ويبعث الامل أن يعقد فى مصر وفى هذه الآونة بالذات هذا المؤتمر العالمى الرابع للسنة والسيرة ، أما مصدر السعادة فلأن المكان هو مصر العزيزة لا علينا وحدنا لأننا بنوها بل على العالم الاسلامى كله ، .

مصر العزيزة لأنها أرض الأزهر الشريف ، أرض الازهر الشريف قبلة المسلمين العلمية ، وأقدم جامعة فى العالم قامت على رعاية الاسلام ونشر علومه ، وتخريج علمائه ودعاته واهتم علماؤها منذ مئات السنين بالسنة المطهرة والسيرة العطرة .

وأما مبعث الأمل فلأن الزمان هو تلك الفترة الحرجة من تاريخ أمتنا الاسلامية وهى فترة تشهد على الساحة ما يوجب اعمال الفكر والعودة الى الأصل وجمع الكلمة والاعتصام بحبل الله فلعل اجتماعكم هذا أيها العلماء الأجلاء يكون خطوة مباركة على الطريق ، طريق التلاقى الاسلامى ، والتضامن الايمانى فى ظل حياة اسلامية حقة تقوم على الاخوة والتآزر والمحبة والسلام ، بل لعل مؤتمركم هذا يأخذ على عاتقه ضمن مهامه العلمية العديدة محاولة العمل على وقف نزيف الدم بين المسلمين ، فالحرب بين دولتين اسلاميتين لا يجنى أحد منها الا ما يضعف القوى ويعوق التقدم ويزهق الأرواح ويجلب الدمار والشقاء وكل ذلك يرضى الشيطان ويشمت الأعداء .

ولن يكون مسعاكم فى تلك المحاولة المباركة بعيدا عن مهمتكم فى مجال الحديث أو خارجا عن روح جدول أعمالكم فى نطاق السيرة ، ففى

كلمة الرئيس مبارك

أحاديث رسولنا العظيم ـ صلى الله علية وسلم دعوات متكررة تؤكد « أن المسلم أخ المسلم » وتوجب أن « يحب المسلم لأخيه مايحب لنفسه » وتوضح أن دماء المسلمين محرمة عليهم كحرمة بيت الله فى الشهر الحرام كما أن سيرة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ تنطق صفحاتها بكل مايدعو الى التسامح والمحبة ودفع السيئة بالحسنة كما تصور تلك السيرة العطرة مايجب أن تكون عليه العلاقات بين المسلمين من نبذ للخلاف وطرح للشقاق وأخذ بكل مايجمع الكلمة ويوحد الصف ويبعث القوة ويحقق الاعتصام بحبل الله •

أيها العلماء الأجلاء ان مؤتمرا علميا يعقد من أجل حديث رسول الله وسيرته لهو انجاز علمي يستحق من أعدوا له ومن شاركوا فيه ومن قاموا عليه كل تقدير وثناء ، فحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المصدر الثانى من مصادر شرعنا الاسلامى الحنيف وهو المنبع الطهور الذى يلى كتاب الله عز وجل ففى الحديث الشريف تفصيل المجمل وتحديد المطلق وبيان مايحتاج الى بيان •

وقد أحسن بعض العلماء المحدثين حين قال بلغة أصحاب القانون ان الحديث الشريف هو المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم ، ولهذا كان اهتمام مؤتمركم بحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عملا جليلا ، نرجو أن يرد الأمر الى نصابه ويوضح الحق لهؤلاء هؤلاء الذين يتوهمون أنه لاحاجة للمسلمين الى السنة بناء على مايزعمون من أن فى كتاب الله مايغنى عن الحديث •

وقد نسوا أو تناسوا أن كتاب الله نفسه يطالبنا أن نأخذ بالحديث وأن نعتمد على السنة وذلك ليتحقق فهمنا الصحيح للقرآن الكريم وليكون عملنا بناء على توضيح السنة تطبيقا سليما لمادعا اليه كتاب الله المقدس •

وحسبنا هنا قول الله مخاطبا نبيه « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » •

فبيان الرسول هو السنة ، واننا تبين لنا لنأخذ بما بين ونعتمد عليه لا لنهمله ونتنكر له وفى هذا يقول ربنا فى كتابه العزيز « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا » •

أما سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهى الصورة المثلى والنموذج الأرفع لما ينبغى أن تكون عليه حياة المسلم بل لما يجب أن تكون عليه حياة الانسان فتجلية هذه السيرة والكشف عن جوهرها وتقديم حقيقتها للمسلمين وللعالم من حول المسلمين انما هو تجلية للحق ، وكشف عن جوهر الخير ، وتجسيد للمثل الأعلى ، وفى ذلك دعوة للمسلمين وللناس أجمعين الى أن يتجهوا الى طريق النجاة ، الذى ينقذهم من التخبط فى متاهات توشك أن تسلم الانسانية كلها الى الضياع •

ثم ان سيرة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ تتألق بأسمى القيم الحضارية التى سبق بها الاسلام ونبى الاسلام أرقى النظم وأعظم المصلحين •

وحسبنا أن نعرف أن تلك السيرة وهى

تجسد قيم الاسلام وتنبض بروحه وتطبق مبادئه قد أرست مبدأ حرية الانسان وسوت بين أجناس البشر وأكدت سيادة القانون وشرعت الشورى وحكمت العدل ودعت الى التكافل الاجتماعى وأوجبت احترام العقل واعلاء العلم وتقدير العمل .

كما أرست دعائم الحق والخير وكل الفضائل التى من شأنها أن تصون كرامة الانسان وتجعل حياته جديرة بمن قال عنه الله « إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » وحسبنا هنا على سبيل المثال أن نتذكر أن سيرة الرسول قد أدانت التفرقة العنصرية وألغت التمايز بين الأجناس والالوان منذ أكثر من أربعة عشر قرنا بينما لم تعرف الحضارة الحديثة ذلك وتؤصله الا بعد الحرب الكبرى الثانية حين أعلنت الأمم المتحدة ميثاق حقوق الانسان .

اننا معشر المسلمين نحتاج أول ما نحتاج الى تمثل تلك القيم التى جسدتها سيرة الرسول – عليه الصلاة والسلام – ، نحتاج الى تمثل تلك القيم والسير على منهاجها وخاصة فى تلك المرحلة من تاريخنا التى نحتاج فيها الى مايعيد الينا القوة ويشحذ منا الارادة ويعيننا على مايواجهنا من تحديات .

ان سيرة نبينا – صلى الله عليه وسلم – تشرق بأروع صور التشبث بالمبدأ والتضحية فى سبيل الحق والشموخ أمام أعتى المغريات والصبر حيال أقسى المثبطات ، وما أروع موقف الرسول العظيم يوم رفض الملك والمال وكل ماعرضت قريش عليه حين وسطت عمه على أمل أن تثنيه تلك المغريات عن رسالته .

أجل ما اروع موقفه الشامخ وما أخلد قوله الباقى « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

ثم ما أروع موقفه وقد لقى الأذى الأليم من أهل الطائف حين ذهب اليهم عارضا دعوته شارحا رسالته فما كان منهم الا أن أغروا به السفهاء والصبية يصيحون به صيحات الجهالة ويقذفونه بالبذاءة والحجارة ، .

أجل ما أروع موقفه حين ذلك وما أخلد قوله مناجيا ربه « اذا لم يكن بك غضب على فلا أبالى » .

كما تضىء تلك السيرة العطرة بأنبل مواقف التسامح والرحمة والعفو عند المقدرة .

وحسبنا هنا أن نتذكر موقفه بعد فتح مكة وقد مكنه الله ممن عذبوه وقاطعوه وأخرجوه ومثلوا بأصحابه بل نازلوه ونازلوهم مرات بعد الهجرة وقاتلوه وقاتلوا المسلمين فى بدر وأحد والخندق .

حسبنا هنا أن نتذكر موقف الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – حين قال لقريش وقد مكنه الله منهم « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

أيها العلماء الأجلاء فليبرز مؤتمركم الموقر هذه القيم وليعرف الناس بها وليدعهم الى السير على ضوئها ففى ذلك دفعة لمجتمعنا الى النهل من رصيد حضارته الثرية والاعتماد على ركائز قيمة الانسان الايجابية ، وهكذا تضيفون الى الدراسات الاكاديمية دفعة علمية يحتاج اليها عالمنا الاسلامى فى ظروفه الراهنة البالغة الحساسية .

أيها العلماء الأجلاء اننا وكل العالم الاسلامى معنا ، اننا ننتظر مايسفر عنه

◉ كلمة الرئيس مبارك

مؤتمركم الموقر من انجازات علمية ملحة ،
فنحن أولا فى أمس الحاجة الى موسوعة للسنة النبوية الشريفة تضم الأحاديث الصحيحة التى يمكن أن يعتمد عليها ويعمل بمقتضاها دون اختلاف أو تضارب أقوال .

وان علماء الاسلام والحمد لله قد بلغوا مرتبة من العلم يستطيعون معها أن يحققوا ويوثقوا ويؤصلوا وان يقدموا للمسلمين مايباعد بينهم وبين مايجر الى البلبلة أو يعطى فرصة للتشكيك .

ونحن ثانيا فى أمس الحاجة الى موسوعة للسيرة المطهرة نعرضها عرضا علميا دقيقا يصونها من كل ماهو مجاف للحقيقة وما لايدخل فى دائرة التاريخ النبوى الصحيح وبهذا ترد الشبهات المغرضة وتسقط كل المفتريات الكاذبة وتخلص السيرة من الاضافات الساذجة التى تمس حرمة صاحبها عليه الصلاة والسلام .

ثم نحن أخيرا ننتظر عملا علميا مكملا للموسوعتين المأمولتين وهو تقديم ما تطرحه السنة وما تمثله السيرة من قيم اسلامية ومبادىء انسانية يمكن أن تكون فى بيانها لمحكم كتاب الله ، يمكن أن تكون الدستور الاسلامى فى الأخلاق والسلوك والتعامل ، وكل صنوف العلاقات بين الناس ، وذلك بقصد أن يشبع هذا الدستور ويعمق الاحساس به ويعم الاخذ بمبادئه حتى يكون المنطلق أعادة بناء الانسان المسلم والمجتمع ، وحتى نأخذ مكاننا الحضارى الذى أراده الله حين استخلف الانسان على الارض وحتى نحقق ما جاءت به رسالة محمد العظيم — صلى الله عليه وسلم الذى تجتمعون لدراسة سنته والاهتداء بسيرته .

سدد الله خطاكم وأمدكم بروح من عنده .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قام بجمع الكلمات :

عمر بسطويسى . شعبان كشك محمد ايمن محمود الجندى

مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر

لا يذهب العرف بين الله والناس

المخدرات بكل أنواعها حرام

لا يذهب العرف

بين الله والناس

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ :
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

كان موقف مصر واقبالها على انقاذ الباخرة الايطالية بركابها من بنى الانسان بهذا الوصف الانسانى دون نظر الى جنس اولون أو لغة أو دين .

موقف الوفاء للانسانية .

لم تسال مصر حين أقدمت وأقبلت على هذا العمل الانسانى من اين هؤلاء الركاب ؟ .

والى من ينتسبون من دول العالم ؟ .

هل هم من الأصدقاء أو من غير الأوفياء ؟ .

أقدمت مصر وأقبلت لأنها لا تعرف الجبن ولا الخيانة فى الأعمال الانسانية .

انها : مقدامة انها انسانية ، انها الوفاء .. لما قطعت وتحملت من وعود وعهود .

انها مصر التى نولى رئيسها أمام العالم كله مهمة انقاذ هذا العدد من الناس وأعادهم آمنين سالمين الى أوطانهم .

انها مصر التى : آمنت بقول الله سبحانه : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** » .

انها مصر التى : آمنت بقول الله « **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** » .

انها مصر تفعل الخير لذات الخير ، تبتغى وجه الله الذى آمنت به وتوكلت عليه ، وتتبع سنة رسول الله محمد — صلى الله عليه وسلم — الذى مرت عليه جنازة انسان لا يعرفه فوقف فقيل له انها جنازة يهودى فقال : — صلى الله عليه وسلم « أليست نفسا » •

انها مصر التى : تقول لهؤلاء الذين غررت بهم قوتهم ، أن يستعرضوها ويستعملوها ضد طائرة مصرية مدنية لم تحارب ، ولم تقاتل ، ولم تحمل اثما ولا وزرا الا أنها حملت مختطفى الباخرة الى أهلهم لمحاكمتهم وضعا للأمور فى نصابها ، واحتراما لعهد قطعته •

انها مصر التى تقول لهؤلاء انكم بعملكم أعلنتم أنكم لا وفاء لكم ولا عهد ولا ثقة فى ذمتكم ، وأنكم تخليتم عن الانسانية أو تخلت هى عنكم اذ لم تجدكم أهلا لها ، حيث غاضت من قلوبكم الرحمة ، وفاض منها الحقد على أناس يطلبون حقوقهم ، ويحاولون العودة الى وطنهم •

ان الانسانية بلا أخلاق ولا قيم عودة الى الحيوانية التى كان يظن أنها تهذبت لدى بنى الانسان ، فاحتكموا الى العقل والرحمة والوفاء بالوعد والوقوف عند العهد •

لكن مصر ورئيس مصر لن ياسف ويأسى لانه قدم باسم مواطنيه خدمة انسانية ، بانقاذ أربعمائة انسان من الدمار والهلاك ليس فيهم مصرى واحد • ولكنها تشهد التاريخ وأمم الأرض أن ما حدث كبيرة من الكبائر ، واعتداء على هيبة دولة وحقوق شعب •

ان هذا الذى استهوته قوته وعضلاته • فذهب يستغلها فى خرق القوانين والأعراف الدولية سيعرف يوما ما أنه لطخ وجه شعبه بعار أبدى ، وان انصياع القوى لحكم القانون كان أكرم له ولشعبه •

ان هذا الحادث الذى وقع للطائرة المصرية المدنية لم يجهض ما قدمته مصر ، ولم يهل عليه التراب ، فغدا يفيق المجتمع الدولى المتفرج على هذه المهزلة ، ويحزم أمره ، اذ أن كل عضو فيه صار عرضة لمثل هذا العمل غير الشريف وغير النظيف •

ولا ينبغى أن نضيع وقتنا — نحن المصريين ، بل نحن المسلمين بوجه عام — فى الرضوخ لآثار هذا الفعل الشائن بل علينا أن نعمل على أن نكون مستعدين لدفعه ، بل وللرد عليه بالحكمة ، والعمل الدءوب •

أن نأخذ وضعنا القوى المتحد فى بلادنا ـ مصر ـ وفى سائر البلاد الاسلامية ، علينا أن نوقف هذه الحروب المستعرة التى يقتل فيها العربى أخاه وجاره العربى ، والمسلم أخاه المسلم فى غير فائدة أو مغنم ، اذ بهذه الحروب استنزف شبابنا فى القتل والقتال واستنزفت أموالنا فى جلب أسلحة القتال والتخريب لا دفاعا عن بلادنا ولا حماية لكرامتنا فى كل مكان ، وانما اضعافا لبنيان هذه الأمة ، وتفريقا لصفوفها .

ما أظن أن هذا الحادث كان يقدم عليه من فعلوه لو أن أمتنا واحدة موحدة متوافقة متآلفة ، كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالسهر والحمى .

علينا أن نواجه هذا الحادث بالعمل والانتاج لنستغنى عن الاستدانة والمعونات التى أذلت هاماتنا ، وأضعفت همتنا ولا ننسى تلك الحكمة القائلة « الدين غم بالليل وذل بالنهار » . علينا أن نقبل على أعمالنا وأن نشجع الانتاج الوطني فى كل شيء ونكتفي به ، مهما كان فانه يغنينا عن السؤال

علينا أن نوقف الاسراف والترف فى كل شيء فى الأكل فى الملابس فى الاستهلاك بوجه عام .

علينا أن نصلح من أنفسنا ، وأن نعاون الدولة على الاستغناء عن الاستدانة والقروض . بل علينا أن نفتح باب التطوع والتبرعات للتخلص من هذه المديونيات التى شجعت هؤلاء الدائنين على الاستهانة بنا وبكرامتنا لدرجة التعدى على الطائرة المصرية التى تحمل أخوة لنا تعهدنا بحمايتهم وتسليمهم لقادتهم لمحاكمتهم ، ولم يمكنونا من الوفاء بالوعد .

ثم أين صورة العالم الانسانى فى كل مواقفه من هذا العمل اللا انسانى واللا أخلاقى الذى أقدمت عليه هذه الدولة التى تحمل علم الحرية والتقدم والقوة فى العالم .

هل هذه هى الديمقراطية ؟ .

هل هذه هى المدنية ؟ .

هل هذه هى القوة حقا ؟ .

واذا خلا الجبان بأرض .. طلب الطعن وحده والنزالا

ان الأزهر يدعو الأمة العربية والاسلامية الى اعادة النظر فى مستقبل صلاتها وعلاقتها بهؤلاء المعتدين على أرضها وعلى أخوتها ، هؤلاء المحابين

لهذه الجرائم الانسانية الذين عاونوا ويعاونون ، بل يشاركون فى الاعتداء علـى العرب والمسلمين فى كل مكـان .

ان الأزهر يدعو المجتمع الدولى عامة ، والاسلامى خاصة أن يزأر فى وجه هذا العمل القبيح وأن يدينه بقـوة وشـدة ، ويدعو جميع الهيئات الرسمية ، والشعبية فى مصر والبلاد العربية والاسلامية أن تكتب الى كافة الجهـات والمؤسسات الدولية والشعبية ، منكرة ، محتجة على هذا العمـل الـذى دل على أن من أمروا به ونفـذوه قد تخلت عنهم الانسـانية ، وان سـكنوا القصور وملكوا الفضـاء .

وان الأزهر الشريف ليبعث الى السيد الرئيس محمـد حسـنى مبـارك تقـديره لما قدم من جهـد انسـانى ، ويقول له ولمصر كلهـا :
(لا يذهب العـرف بين الله والنـاس) .

واننا يجب أن نعمل على الاستقلال الاقتصادى والتخلص من المديونية . وأن نعتصم بالاسلام ، ونلتزم بأخلاقياته ، حتى نخرج من هذه الضائقة التى حاقت بنا واستحكمت حلقاتها ايمانا بوعد الله « **وَلَـوْ أَنَّ أَهْـلَ الْقُرَى آمَنُـوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَـا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** » .
وأنتم يارجال القانون أين أقلامكم وحكمكم على هذا الذى وقع لطـائرة مدنية مصرية أعلنوه للنـاس مسببا مؤيدا .

وأنتم أيها الصحفيون املأوا أنهر الصـحف بالتشهير بهذا الجرم وبيـان فظاعته واستهانته بالمجتمع ولا تهملوا ذلك .

وأعلنوا للدنيا جميعا أن هذا عار وشنار على من أقدم عليه ، وأن مصر لن تغفر له ما فعل ضد أمنها وكرامتها ، وأنه ليس من الشجاعة أن تهـاجم مسالما لا يحمل سلاحا ولا يبتغى من مسـعاه شرا .

لا تنسوا أيها المسلمون فى كل مكان وأيها المصريون بوجه خاص هذا الحادث حدثوا عنه أولادكم وليدونه مؤرخوكم ، ولنعـرف أن من رضى وسـكت عن الاسـاءة توالت عليه الاساءات والنكبات ، وفقد كرامته ولسـنا ممن يرضـون بالهـوان .

« وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ » .

أعلنوا أنكم دائما مع الانسانية دون تعصب للون ولا لجنس ولكنكم مع هذا ضد الهمجية والعدوان انكم توقرون القوى لا خوفا ورهبة وانما خلقا وتدينا وترحمون وتعاونون الضعيف ، وتقولون الحق .

وأنكم أصدقاء لمن يحترم صداقتكم ويحذر غضبتكم ، فما كنا ظالمين ولا معتدين .

« إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ » .
« ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » .

جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

المخدرات بكل أنواعها حرام

ولا ثواب فى الصدقة بمالها

أجرى الحديث
الأستاذ حسن علام

* **أجمع فقهاء المذاهب الاسلامية على تحريم المخدرات بكافة أنواعها وزراعتها وترويجها وتهريبها والاتجار فيها وتعاطيها سواء كانت خاما أو مصنعة ، وعلى تجريم كل من يقدم عليها بأى صورة من الصور ، ومكافحة هذه السموم القاتلة والقضاء على أوكارها ، وضرورة الارشاد على كل من يتداولها ، وهذا (الارشاد هو ما سماه الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ٠**

أكد ذلك فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى حديثه الهام « لآخر ساعة » تناول فيه حكم التشريع الاسلامى على عدد من الحالات والقضايا الهامة حول : « المخدرات والسموم البيضاء مثل الهيروين والكوكايين » ومنها رأى الدين فيمن يؤدى الصلاة وهو تحت تأثير المخدر ، وموقف الربح الناتج عن التعامل فى المواد المخدرة ، وهل يجوز التصدق منه ، وموقف من يتعاطى المخدرات للعلاج ، وحكم من يتواجد فى أماكن يجرى فيها تعاطى المخدرات بأنواعها المختلفة ..

كان السؤال الأول لفضيلة الامام الأكبر :

* **اذا كان التشريع الاسلامى يحرم المخدرات .. فما هو حكمة تحريمها ؟**

– المصلحة التى ابتغاها الاسلام وتضافرت عليها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تهدف الى المحافظة على أمور خمسة يسميها فقهاء الشريعة الاسلامية الضرورات الخمس وهى :

الدين ، والنفس ، والمال ، والعقل ، والنسل .

واذا كان من الضروريات التى حرص الاسلام على المحافظة عليها حفظ النفس وحفظ العقل ، فانه فى سبيل هذا حرم (الموبقات والمهلكات) المذهبات للعقل والمفسدات له ، فان أحدا من الناس لا يشك فى أن سعادة الانسان رهينة بحفظ عقله ، لأن العقل كالروح من الجسد ، به يعرف الخير من الشر ، والضار من النافع ، وبه رفع الله الانسان ففضله وكرمه على كثير من خلقه وجعله به مسئولا عن عمله ، ولما كان العقل بهذه المثابة ، فقد حرم الله كل ما يوبقه أو يذهبه حرمة قطعية ، ومن أجل هذا حرم تعاطى ما يؤدى بالنفس وبالعقل من (مطعوم أو مشروب) ، ومن ذلك ما جاء فى شأن أم الموبقات والخبائث ، الخمر ، فقدثبت حرمتها بالكتاب والسنة والاجماع ، ففى القرآن الكريم قوله تعالى « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ** » .

ومدلول لفظ الخمر فى اللغة العربية والشريعة الاسلامية كل ما خامر العقل وحجبه ، كما قال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فى الحديث المتفق عليه ، دون النظر الى المادة التى تتخذ منها اذ الاحاديث الشريفة الصحيحة الواردة فى الخمر ناطقة بهذا المعنى (كل مسكر حرام) .

واذا كانت الشريعة انما أقامت تحريمها للخمر على دفع المضار وحفظ المصالح فانها تحرم كل مادة من شأنها أن تحدث هذه الاضرار ، سواء كانت مشروبا سائلا أو جامدا مأكولا أو مسحوقا أو مشموما ، ومن هنا لزم ثبوت حكم تحريم الخمر لكل مادة ظهرت أو تظهر تعمل عملها ، يدل على ذلك قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كل مسكر حرام » ، اذ لم يقصد الرسول بهذا الا أن يقرر الحكم الشرعى وهو أن كل ما يفعل بالانسان فعل الخمر يأخذ حكمها فى التحريم والتجريم .

واذا كانت المخدرات كالحشيش والأفيون والهيروين والكوكايين وغيرها من المواد الطبيعية المخدرة ، وكذلك المواد المخلقة المخدرة تحدث آثار الخمر فى الجسم والعقل بل أشد ، فانها تكون محرمة بحرفية النصوص المحرمة للخمر وبروحها وبمعناها ، التى استمدت منها القاعدة الشرعية التى تعتبر من أهم القواعد التشريعية فى الاسلام ، وهى دفع المضار وسد ذرائع الفساد .

ومع هذا : فقد أخرج الامام أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه عن أم سلمة (رضى الله عنها) قالت :

« نهى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن كل مسكر ومفتر » ، والمفتر كما قال العلماء كل ما يورث الفتور والخمول فى أعضاء الجسم ، وقد نقل العلماء اجماع فقهاء المذاهب على حرمة تعاطى الحشيش وأمثاله من المخدرات الطبيعية والمخلقة (المصنعة) ، لأنها جميعا تودى بالعقل وتفسده وتضر بالجسم والمال ، وتحط من قدر متعاطيها فى المجتمع .

التحريم شامل للمخدرات

والتحريم شامل لكل أنواع المخدرات مادام تأثيرها على هذا الوجه ، القليل منها والكثير ، وقد ذهب بعض الفقهاء الى وجوب (حد) متعاطى المخدرات كشارب الخمر تماما ، لأنها تفعل فعلها بل وأكثر منها ، بل قال ابن تيمية :

ان فيها (المخدرات) من المفاسد ماليس فى الخمر ، فهى أولى بالتحريم ، ومن استحلها وزعم أنها حلال فانه يستتاب ، فان تاب والا قتل مرتدا ، لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين .

فالمخدرات بكافة أنواعها وأسمائها مسكرة ، وان كل مسكر من أى مادة حرام ، وهذا الحكم من القرآن الكريم ومن سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وبذلك يحرم تعاطيها بأى وجه من وجوه التعاطى من أكل أو شرب أو شم أو حقن لأنها (مفسدة) ، ودرء المفاسد من المقاصد الضرورية للشريعة حماية للعقل والنفس ، ولأن الشرع الاسلامى اعتنى بالمنهيات ، وفى هذا يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — :

« اذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه » .

*** ما هو حكم من يتعامل فى المخدرات سواء بالزراعة أو التهريب أو الاتجار ؟! .**

ويقول الامام الأكبر :

ـــ المخدرات بكافة أنواعها وأسمائها محرمة قطعا بدخولها فى اسم الخمر والمسكر ، والشريعة الاسلامية اذا حرمت شيئا على المسلم حرمت عليه فعل الوسائل المفضية اليه ، وهذه القاعدة مستفادة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وكل الوسائل المؤدية الى ترويج المخدرات محرمة سواء كانت زراعة أو انتاجا أو تهريبا أو اتجارا ، فالتعامل فيها على أى وجه مندرج قطعا فى المحرمات باعتباره وسيلة الى المحرم ، ففى هذه الوسائل اعانة على المعصية ، والله سبحانه نهى عن التعاون فى المعاصى كقاعدة عامة فى قوله تعالى (**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**) .

وفى انتاج المخدرات بأنواعها ، والاتجار فيها وتهريبها وزراعة أشجارها اعانة على تعاطيها ، والرضا بالمعاصى ، معصية محرمة شرعا قطعا ، لاسيما وأن هذه الوسائل مؤداها الى تهيئة هذه السموم المخدرة للتداول والانتشار بين الناس ، فهى حرام حرمة المخدرات ، لأن الأمور بمقاصدها .

صلاة المخدر باطلة

*** وماذا عن الذى يؤدى الصلاة وهو تحت تأثير المخدر ؟**

يجيب فضيلة الامام الأكبر :

وصف ابن تيمية المخدرات وأثرها فى متعاطيها فقال :

(وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد) .

ويقصد بالديوث الذى لا يغار على أهله !

والمخدرات بأنواعها تسكر وتخدر وتفتر ، ولذلك يكثر النوم لمتعاطيها ، ومن أجل تأثيرها واصابة عقل متعطايها ، فانه لا يحسن المحافظة على وضوئه ، فتنفلت بطنه دون أن يدرى أو يتذكر ولهذا أجمع فقهاء المذاهب على أن من نواقض الوضوء أن يغيب عقل المتوضىء بجنون أو صرع أو اغماء ، وبتعاطى

ما يستتبع غيبة العقل من خمر أو حشيش أو أفيون أو غير هـذا من المخـدرات المغيبات ، ومتى كان الشخص مخدرا بتعاطى أى نوع من المخدرات غاب عقله وانعدم تحكمه وسيطرته على اجزاء جسمه وفقد ذاكرته ، فلم يعد يدرى شيئـا وانتقض وضوؤه وبطلت صـلاته وهو بهذه الحالة ، ولا فرق بين مخدر وآخر .

*** ما رأى فضيلة الامام الأكبر فى الربح النـاتج عن التعامل فى المـواد المخـدرة .. وهل هـو حرام ؟**

ـ من الأصول الشرعية فى تحريم بعض الأموال قول الله تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)** أى لا يحل لأحدكم أخذ وتناول مال غيره بوجه باطل ، كمـا لا يحل كسب المال من طريق باطل أى محـرم .

وأخذ المال أو كسبه بالباطل على وجهين :

* أخذه على وجه غير مشروع :

كالسرقة والغصب والخيانة .

* بطرق حظرها الشرع :

كالقمار أو العقود المحرمة كمـا فى الربا ، وبيع ما حرم الله الانتفـاع به كالميتة والدم والخمر المتناولة والمخدرات ، هذا كله حـرام .

وترتيبا على هذا يكون الربح والكسب من أى عمل محرم حرام .

وفى هذا أيضا قال العلامة ابن القيم (قال جمهور الفقهاء اذا بيع العنب لمن يعصره خمرا حرم أكل ثمنه ، بخلاف ما اذا بيع لمن يأكله ، وكذلك السـلاح اذا بيع لمن يقاتلبه مسلما حرم أكل ثمنه ، واذا بيع لمن يغزو فى سبيل الله فثمنه من الطيبات) .

وبهذه النصوص نقطع بأن الاتجار فى المخدرات محـرم وبيعهـا محرم وثمنها حـرام وربحهـا حرام ، لا يحـل للمسـلم تنـاوله ، حتى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما نزلت آية تحريم الخمر **(إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ)** ، أمر أصحابه باراقة ما عندهم من خمور ومنعهم من بيعها حتى لغير المسـلمين ، بل ان أحد أصحابه قال ان عندى خمرا فقال له ـ صلى الله عليه وسـلم ـ :

ـ « أهرقها » ، فلو جاز بيعها أو حل الانتفاع بثمنها لأجاز لهذا الصحابى بيع الخمر التى يملكها الايتام لانفاق ثمنها عليهم .

مـال المخـدرات حـرام

*** هل يجوز التصدق بالأموال الناتجة عن التعامل فى المواد المخـدرة ؟**

ـ فى القرآن الكريم قول الله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**) ، وفى الحديث الشريف الذى رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليـه وسـلم ـ قال : (ان الله تعـالى طيب لا يقبل الا طيبا ، ان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر بـه المرسـلين) فقـال : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا** » .

وفى الحديث الذى روى عن أبى هريرة أن رسـول الله قـال : (من كسب مالا حراما فتصـدق به لم يكن له أجره) .

فهذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة قاطعة فى أنـه لقبـول الاعمال الصـالحة عنـد الله من صـدقة وحج وعمرة وبنـاء المسـاجد وغير هـذا من أنواع القربات لابد وأن يكون ما ينفق فيها حلالا خالصا لا شـبهة فيه ، واذا كانت الأدلة المتقدمة قد أثبتت أن ثمن المحرمات وكسبها حرام فـلا يحل أكلهـا ولا التصديق بها ولا الحج منها ولا انفاقها فى أى نوع من أنواع البر ، لأن الله طيب لا يقبل الا الطيب ، بمعنى أن منفق المال الحرام فى أى وجه من وجـوه البر لا ثواب له فيما أنفق ، لأن الثواب جزاء القبول عند الله ، والقبول مشروط بأن يكون المال طيبا .

*** ما هو جواز التداوى بالمحرم ، كمن يتعاطى المخدرات للعـلاج ؟**

ـ الاسلام حرم مطعومات ومشروبات صونا لنفس الانسـان وعقله ورفع هذا التحريم فى حالة الضرورة ، فقال تعالى فى الآية ١٧٣ من سورة البقرة (**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**) .

لقد اختلف الفقهاء فى جواز التداوى بالمحرم والصحيح من آرائهم هـو ما يلتقى مع قول الله فى الآية السـابقة ، بملاحظة أن اباحة المحـرم للضرورة مقصورة على القدر الذى يزول به الضرر وتعود به الصحة ويتم به العـلاج ، وقد اشترط الفقهاء الذين أباحوا التداوى بالمحرم شرطين :

* أن يتعين التـداوى بالمحرم بمعـرفة طبيب مسـلم خبير بمهنة الطب معروف بالصدق والأمانة والتدين .

* ألا يوجد دواء من غير المحرم ليكون التداوى بالمحرم متعينا ، ولا يكون القصد من تناوله التحايل لتعاطى المحرم ، وألا يتجاوز به قدر الضرورة .

البقية ص"٣٦٩"

دراسات إسلامية

أن دعوة ابراهيم وبشارة عيسى

سيدنا محمد بن عبد الله
صلى الله عليه وسلم وفضائله

النبى محمد كيف واجه اليهود فى المدينة ؟

أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى

حديث شريف

« رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » البقرة ١٢٩ .

« وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » . الصف ٦ .

البيان

كان ابراهيم واسماعيل يرفعان قواعد البيت الحرام قائلين « رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

وقد طلبا فى الآية الأخيرة أن يبعث فى ذريتهما رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وقد أجاب الله دعاءهما فبعث فى أهل الحرم — وهم من ذرية ابراهيم واسماعيل — بعث فيهم رسولا منهم — هو محمد — صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم الى الاسلام ، فأصبحوا بنعمة الله مسلمين طاهرين ، وبذلك تحققت دعوة ابراهيم واسماعيل بجزأيها .

١ — أن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة لله .

٢ — وأن يبعث فيهم رسولا منهم يكون سببا فى اسلامهم ، بأن يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، ولهذا قال : « أنا دعوة ابراهيم » ولعل الاقتصار على دعوة ابراهيم لأنه هو الذى كان يدعو ، أما اسماعيل فكان يقول (آمين) .

ومع كون الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، بعث فى ذرية ابراهيم واسماعيل استجابة لدعوتهما ، فرسالته عامة للانس والجن ، بدأت فى الأميين من ذريتهما ، وانتقلت منهم الى سواهم على أيديهم وبسواعدهم مؤيدين بنصر الله ، قال تعالى فى سورة الجمعة « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ

فضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

رَسُولاً مِنهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ • وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » والمراد بهؤلاء الآخرين الناس كلهم من بعد العرب الذين بعث فيهم محمد — صلى الله عليه وسلم — كما قال مجاهد •

وقال ابن زيد ومقاتل بن حيان : هم من دخل فى الاسلام بعد النبى — صلى الله عليه وسلم — الى يوم القيامة •

ومما جاء فى عموم رسالته للناس جميعا « وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ كَافَّةً » •

وفى عموم رسالته للجن قوله تعالى « وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ. قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ • يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ • وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ »

بشارة عيسى بالنبى فى القرآن

جاء فى سورة الصف قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام « وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » •

وأحمد من أسمائه ﷺ ، فقد صح عنه أنه قال « لى خمسة أسماء ، أنا محمد وأحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى تحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب » •

وفى حديث لمسلم بسنده عن أبى موسى الأشعرى قال « كان رسول الله ﷺ يسمى نفسه أسماء ، فيقول : أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة ، ونبى الرحمة» الى غير ذلك مما جاء فى السنة من أسمائه الكثيرة •

بشارة عيسى بالنبى فى انجيل برنابا

تعددت بشارة عيسى بالنبى فى انجيل برنابا ومن ذلك قوله فى الفصل السابع عشر « ولكن سيأتى بعدى بهاء كل الأنبياء والأطهار ، فيشرق نورا على ظلمات سائر ما قاله الأنبياء ، لأنه رسول الله » ٢٢ ، ٢٣ •

وفى الفصل السادس والثلاثين « وقد جاء الأنبياء كلهم الا رسول الله الذى سيأتى بعدى ، لأن الله يريد ذلك حتى أهيىء طريقه » ٦ .

وفى الفصل التاسع والثلاثين « فلما انتصب آدم على قدميه رأى فى الهواء كتابة تتألق كالشمس ، نصها لا اله الا الله محمد رسول الله ، ففتح حينئذ آدم فاه وقال : أشكرك أيها الرب الهى ، لأنك تفضلت فخلقتنى ولكن أضرع اليك أن تنبئنى : ما معنى هذه الكلمات « محمد رسول الله » فأجاب الله : مرحبا بك ياعبدى آدم ، وانى أقول لك : انك

أول انسان خلقته ، وهذا الذى رأيته انما هو ابنك الذى سيأتى الى العالم بعد الآن بسنين عديدة ، وسيكون رسولى الذى لأجله خلقت كل شىء ، متى جاء سيعطى نورا للعالم ، الذى كانت نفسه موضوعة فى بهاء سماوى ستين ألف سنة قبل ان أخلق شيئا ، فضرع آدم الى الله قائلا : يا ربى هبنى هذه الكتابة على أظفار أصابع يدى ، فمنح الله الانسان الأول تلك الكتابة على ابهاميه ، على ظفر ابهام اليد اليمنى مانصه « لا اله الا الله » وعلى ظفر ابهام اليسرى ما نصه « محمد رسول الله » تقبل الانسان الأول بحنو أبوى هذه الكلمات، ومسح عينيه وقال : بورك ذلك اليوم الذى سيأتى فيه الى العالم وقد تضمن هذا النص أن نفس محمد كانت فى بهاء سماوى — أى نور سماوى — ستين ألف سنة قبل خلق الله الأشياء ، ولعله يشير الى هذا ما جاء فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنه قال : « ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء ، ومن جملة ما كتب فى الذكر وهو أم الكتاب أن محمدا خاتم النبيين »

ومن أعجب تصريحات السيد المسيح فى تعظيم سيدنا محمد ما نقله عنه الحوارى برنابا فى انجيله — فصل ١٢ — فقرات ١٠ — ١٣ — حيث قال « فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ فى اليهودية يصرخ : أعدوا طريق رسول الرب ، كما هو مكتوب فى أشعيا ثم قال « أجاب يسوع : ان الآيات التى يفعلها الله على يدى تظهر أنى أتكلم بما يريد الله ، ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه ، لأنى لست أهلا لأن أحل ربا طات جرموق رسول الله الذى تسمونه مسيا الذى خلق

قبلى ، وسيأتى بعدى ، وسيأتى بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية » وهذا التصريح الأخير موافق لما جاء فى آخر حديث مسلم : من أن محمدا « خاتم النبيين » ولما جاء فى قوله « وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » فانه اذا كان خاتم النبين فلا يكون لدينه نهاية . كما جاء فى الفقرة السابقة من انجيل برنابا .

وفى بقاء الاسلام الى قيام الساعة يقول ﷺ فى الحديث الصحيح « ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة » .

عموم بعثة محمد فى انجيل برنابا

جاء فى الفصل الثالث والأربعين من انجيل برنابا ، ابتداء من الفقرة (٩) ما يلى :

« وهكذا لما أراد الله أن يخلق كل شىء من

نفس رسول الله الذى لأجله قصد الى خلق الكل،لكى تجد الخلائق فرحا وبركة،بالله،ويسر رسوله بكل خلائقه التى قدر أن تكون عبيـدا لله » ثم قال « الحق أقول لكم : ان كل نبى متى جاء فهو لأمة واحدة فقط علامة رحمـة الله لهم ، ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشـعب الذى أرسلوا اليه ، ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده ، فيحمـل خلاصا ورحمة لأمم الأرض الـذين يقبلـون تعليمه ، وسيأتى بقوة على الظالمين ، ويبيـد عبادة الأصنام ، بحيث يخرس الشـيطان ، لأنه هكذا وعد الله ابراهيم : فانى بنسـلك أبارك كل قبائل الأرض » .

واذا كان انجيل برنابا قد سمى خاتم النبيين بمحمد تارة ، وبمسيا تارة أخرى ، فقد جاء فى نسخة أخرى للانجيل باسم (أحمد) فقد نقل الشيخ محمد بيرم عن رحالة انجليزى أنـه رأى فى المكتبة البابوية بروما نسـخة مـن الانجيل بالقلم الحميرى قبل بعثته ﷺ وفيها يقول المسيح « **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ** » .

التبشير به فى التوراة

جاء فى الاصحح الثامن من سفر التثنية ــ من العهد القديم ــ خطابا لموسى عليه السلام « وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم وأجعل كلامى فى فمه ، يكلمهم بكل شىء آمره به ، ومن لا يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنـا الذى أنتقم منـه ، فـأما النبى الذى يجترىء على بالكبرياء ، ويتكلم باسمى بما لم آمره به ، أو باسم آلهة أخرى فليقتل ، واذا أحببت أن تميز بين الصادق والكاذب فهـذه علامتك ، أن ما قاله ذلك النبى باسم الـرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسـه ، وكذلك لا تخشاه » .

وجاء فى القرآن ما يوافق هـذه البشرى ، وذلك فى قوله تعالى فى سورة الحاقة « **وَلَـوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ·لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ·فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْـهُ حَاجِزِينَ** » .

وقد مكث النبى ﷺ يدعو الى الله ثـلاثا وعشرين سنة ، عصمه الله فيها ممن يريدون قتله ، وفاء بوعده سبحانه « **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** » .

وجـاء فى الاصـحاح م ٢ من التثنيـة عدد ٢ على لسان موسى عليه السلام ما يلى « جاء الرب من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فـاران ، ومعـه ألـوف الأطهار ، فى يمينه سنة من نار ، أحب الشعوب جميع الأطهار بيده » هذا ما قاله مـوسى فى وصيته قبل موته ، وقد رمز بمجىء الرب مـن سيناء الى مجىء شريعته تعالى على يد موسى وباشراقه من ساعير الى ظهورها من ساعـير على يد عيسى عليه السلام ، ورمز باستعلائه من جبال فاران الى ظهور شريعته فى بـلاد العرب ، على يد نبينا محمد صلى الله عليـه وسلم ، ومعه ألوف الأطهار من أصـحابه ،

أنا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى

ورمز بالسنة من النار ، الى أنه ﷺ هـــاد للناس وسراج منير ، كما جاء فى قوله تعـــالى

« يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا • وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا »

ويجوز أن تكون رمزا الى شدته على الشرك والمشركين •

وقد جاء فى وصـف النبى وأصـحابه فى التوراة والانجيل قوله تعالى فى آخر ســورة الفتح « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » •

نبوءة أشعياء

سفر أشعياء من أسفار العهد القديم ، وقد جاء فى الاصحاح ٢١ فقرة /١٣ « وحى مـــن جهة بلاد العرب ، فى الوعر تبيتين ياقوافـــل الدادانيين ، هاتوا ماء لملاقاة العطشـــان ، وخبزة للهارب من أمام السيوف ، ياسكـــان التيمن ، قال الرب : تفنى جبابرة قيدار » •

فالوحى من جهة بلاد العـــرب فى الوعـــر صريح فى صدق نبوة محمد ﷺ فانه بعث فى أرض مكة الجدباء ، وقوله « هاتوا ماء لملاقاة العطشان وخبزة للهارب » اشارة الى هجـــرة الرسول من مكة الى المدينة أرض الماء والطعام وأهلها هم سكان التيمن والتفاؤل والخـــير ، فقد انتصر بهم الاسلام وعز أمره ، وجبابرة قيدار اشارة الى الجبارين من ذرية قيـــدار أحد أولاد اسماعيل ، وقد توعدتهم البشـــارة بالفناء ، وهذا ما حدث ، فقد قضى الاســـلام على دعاة الوثنية الجبارين من أحفاد اسماعيل فى الجزيرة العربية ، وقد ترجم سفر أشعياء الى اللغة الأرمنية القسيس أو سكان الأرمنى وطبع سنة ١٧٣٣ بمطبعـــة أنتونى بورنلى ،

ويوجد فى الفصل ٤٢ هذه الفقرة « سبحوا لله تسبيحا جديدا ، وأثر سلطته عـــلى ظهـــره واسمه أحمد » والمراد من أثر ســـلطته الذى على ظهره خاتم النبوة الـــذى يشـــبه « زر الحجلة » كما جاء فى صحيح البخارى وغيره، وبالجملة فان ســـفر أشـــعياء بـــه كثير مـــن البشارات الصريحة ببعثة الرسول ﷺ فمتى يفيق المعرضون عن الحق ، ومتى يشرح الله صدورهم للاسلام ، ليكـــونوا على نور مـــن ربهم •

مولد محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ

فى صبيحة اليوم الأغر الثانى عشر من ربيع الأول وبعد حادثة الفيل بخمسين يوما ،استقبل الزمان محيا طفل وسيم يسر مرآة القلـــوب ،

ويؤنس وجهه الأرواح ، ويقر سناه العيون .
ولم يكن فى جملة مستقبليه والده عبد الله فقد رحل الى ربه والحبيب فى بطن أمه ، فأقبل على دنياه يتيما ، ثم لم تنبث أمه الشابة النسيبة أن لحقت أباه ، فنشأ فاقد الأب ثاكل الأم ، ذلك الوليد الذى عنيناه — هو محمد رسول الله .

والأيتام عادة لا يقام لهم وزن ، ولا يهتم لهم بتربية ، وبخاصة من حرموا الأمهات ، منهم فينشئون على أخلاق ليس لها ضابط ، ولا يتجهون فيها غالبا الى الكمال ، لحرمانهم عطف الأباء وحرصهم على تجميل سجاياهم ، ولفقدهم حنان الأمهات وفائق رعايتهن .

لكن محمدا اليتيم ﷺ لم يكن على أى نحو من الضياع والحرمان ، فان العناية الالهية أدخرته أزلا ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين ،

وهاديا للعالمين ، ورافعا لواء التوحيد والأخلاق الفاضلة بين الناس أجمعين .

فلذا كفلته بأجمل رعاية ، وربته على أكمل المناهج ، وسلكت به سبيلا من الأخلاق بليغ الاستقامة ، ينتهى بصاحبه الى تحمل أعظم التبعات ، فنشأ فى صباه وفى شبابه على أعلى مستوى من المعايير الخلقية ، فى صفاء النفس وطهارة الضمير ، وعلو الهمة وكمال السلوك ، فما حدثت منه كبوة ، ولا حدثته نفسه العظيمة بصبوة ولا بنبوة ، حتى شرفه الله بالنبوة والرسالة للعالمين .

وكان صاحب الذكرى العطرة رفيع الحسب عظيم النسب ، جليل الأرومة طاهر الأصول ، اذ تبرأ نسبه الشريف من سفاح الجاهلية ، ولم يعرف لوليد مثل آبائه الغر الميامين فى عوالى الهمم ومحاسن الشيم .

عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم الى أن ولدنى أبى وأمى ، ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء » .

وفى صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال ﷺ : « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

وبعد فهذا محمد رسول الله ، الذى يحتفل العالم بذكرى ميلاده الشريف ، أعادها الله على المسلمين باليمن والاقبال ونفع المسلمين بالاقتداء بسنته ، وجمعهم على كلمة سواء ، حتى يحققوا قول الله تعالى « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » .

مصطفى محمد الحديدى الطير

سابقة الإلهام في تسمية النبي "صلى الله عليه وسلم"

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي على القرني

كثيرا ما يعد الآباء لأبنائهم قبل ولادتهم أسماء يسمونهم بها ـ ذكورا كانوا أو اناثا ـ ويتخيرون هذه الأسماء وفق بطولات رائعة أو شخصيات لامعة أو معان راسخة في أذهانهم يأملون أن تظهر في أبنائهم .

وأحيانا ترتبط تسمية الأبناء عند ولادتهم بموافقات لا تخطر على بال ، كأن يطرق الباب عند حالة الولادة طارق اسمه « سعد » فيسمى المولود بهذا الاسم على سبيل التفاؤل والاستبشار .

وربما رسخ في ذهن بعض العامة أن صاحب الاسم المألوف لا يكتب له العمر الطويل فيعمدون الى أسماء غير مألوفة يسمون بها أبناءهم حتى يضمنوا لهم طول البقاء .

والعصبية الجاهلية القديمة كانت تمنح العبيد أسماء حسانا وتحرم الأبناء ذلك ، حتى قيل لأحدهم : لم تسمون أبناءكم حربا وكلبا وصخرا وتسمون عبيدكم بلالا ورباحا ومسرورا ؟

فقال : لأنا نسمي أبناءنا لأعدائنا ونسمي عبيدنا لأنفسنا .. وهو تعليل تمليه الجاهلية وتدفع اليه العصبية .

ومن النادر أن يكون الالهام الفطري الذي يكاد أن يكون من املاء الغيب وراء الاسم الذي يختاره الانسان لمولوده .

وما وافق هذا الالهام الفطري معنى رائعا وأملا منتظرا كما وافق اسم النبي ﷺ حين اختار له جده عبد المطلب بن هاشم هذا الاسم العظيم « محمدا » .

واسم « محمد » مشتق من الحمد على وزن مفعل . قال «ابن دريد» في كتابه «الاشتقاق» الذي شرح فيه نسب النبي ﷺ :

« لما ولد النبي ﷺ أمر عبد المطلب بجزور فنحرت ، ودعا رجال قريش ، وكانت سنتهم في

المولود اذا ولد فى استقبال الليل كفأوا عليه قدرا حتى يصبح ، ففعلوا ذلك بالنبى ﷺ فأصبحوا وقد انشقت هذه القدر وهو شاخص الى السماء ، فلما حضرت رجال قريش وطعموا قالوا لعبد المطلب : ما سميت ابنك هذا ؟ قال سميته محمدا قالوا : ماهذا من أسماء آبائك ؟ قال : أردت أن يحمد فى السموات والأرض •

وصدق حدس « عبد المطلب » وجاء حفيده محمودا فى الأرض والسماء ، ووافق اسمه ما سطره القلم فى الأزل ونطق به القرآن الكريم على لسان « عيسى ابن مريم » عليه السلام « **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** » الصف

ويؤيد هذا القول مارواه « ابن سعد » فى طبقاته عن « أبى جعفر محمد بن على » قال :

« أمرت آمنة وهى حامل برسول الله ﷺ أن تسميه أحمد » •

وروى « ابن سعد » كذلك أنه لما ولدت « آمنة » أرسلت الى « عبد المطلب » فجاءه البشير وهو جالس فى الحجر معه ولده ورجال من قومه فأخبره أن «آمنة » ولدت غلاما ، فسر ، وقام هو ومن معه ، فدخل عليها ، فأخبرته بكل ما رأت وما أمرت به ، فأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، قال :

الحمد لله الذى أعطانى
هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان
أعيذه بالله ذى الأركان
حتى أراه بالغ الأركان
أعيذه من شر ذى شنآن
من حاسد مضطرب العنان

وأيا كان مصدر التسمية ، فان الجد باجابته على سائله كان ذا فراسة صادقة تفرسها فى حفيده العظيم الذى احتفى به وأحبه وقدمه على سائر ولده ، فقد رأى فيه صورة أبيه الحبيب الذى كان أثيرا لديه ، وافتقده فى غيبة عنه ، وهو قريب عهد بعرسه التى ما كادت تفرح بقربه حتى جاءها نعيه وفى أحشائها منه جنين كان يرتقب رؤية والده •

اسم محمد فى الجاهلية

ولم يكن هذا الاسم رائجا فى الجاهلية ، وان كان قد تسمى به بعض نفر . قال الرواة فى تعليل تسميتهم به : أن آباءهم كانوا يطمعون أن يكون كل منهم نبى آخر الزمان ، يدل على ذلك ما أورده « ابن الأثير » فى كتابه « أسد الغابة » فى ترجمة « محمد بن أحيحة ابن الجلاح » قال : قال « عبدان » :

« بلغنى أن أول من سمى محمدا محمد بن أحيحة ، قال : وأظن أنه أحد هؤلاء الذين ذكروا فى حديث محمد بن عدى ـ يعنى الذين سموا فى الجاهلية محمدا حين سمعوا أنه يبعث نبى من العرب اسمه محمد ، فسمى جماعة منهم أبناءهم به رجاء أن يكون هو النبى المبعوث ـ والذين سموا محمدا نفر منهم : « محمد بن

سابقة الالهام فى تسمية النبى "صلى الله عليه وسلم"

«سفيان بن مجاشع» و «محمد بن البراء» و «محمد بن أحيحة» و «محمد بن حمران بن مالك الجعفى» و «محمد بن خزاعى» «محمد بن عدى بن ربيعة» .

وفى ترجمة «محمد بن عدى بن ربيعة» يقول «محمد بن عدى» ـ فيما يرويه «ابن الأثير» فى أسد الغابة :

أخبرنى أبى عدى بن ربيعة قال : خرجت أنا وسفيان بن مجاشع بن دارم ، ويزيد بن ربيعة ابن كابية وأسامة بن مالك نريد «ابن جفنة»، فلما قربنا منه نزلنا الى شجرات وغدير فأشرف علينا ديرانى (١) ، فقال : انى أسمع لغة ليست لغة أهل هذه البلاد . فقلنا : نعم نحن قوم من مضر . قال : أى المضريين ؟ قلنا : من خندف . قال : انه يبعث وشيكا نبى منكم ، فخذوا نصيبكم فيه تسعدوا فقلنا : ما اسمه قال : محمد . قال : فاتينا «ابن جفنة» فقضينا حاجتنا من عنده ، ثم انصرفنا ، فولد لكل منا ابن فسماه محمدا ـ أخرجه ابن منده وأبو نعيم ـ

وهذا الخبر يشير الى البشارات التى أرهصت بمولد النبى ﷺ وقدمت لبعثه ، ودلت عليه ، وأثارت الأذهان الى الرسالة الخاتمة التى أظهر الله بها دينه على الدين كله .

أسماء أخرى :

وللنبى ﷺ أسماء أخرى لايد للبشر فيها ، ووردت بها الأخبار الصحيحة . فقد روى «أحمد» فى مسنده عن «حذيفة» قال : بينما أنا أمشى فى طريق المدينة اذا رسول الله ﷺ يمشى فسمعته يقول «أنا محمد وأنا أحمد ونبى الرحمة ونبى التوبة والحاشر والمقفى ونبى الملاحم» .

وروى «أحمد» كذلك و «مالك» و «الترمذى» و «النسائى» عن «محمد بن جبير بن مطعم» عن أبيه عن النبى ﷺ قال :

«ان لى أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا الماحى الذى يمحى بى الكفر وأنا العاقب» والعاقب الذى لا يعقبه أحد أى لا نبى بعده .

والعلم من هذه الأسماء هو الأول والثانى وما بعدهما صفات له ﷺ، وقد تغلب الصفة على صاحبها فتصبح علما عليه ، كما غلب لقب الصادق والأمين والمصطفى وغيرها من الالقاب والصفات وهكذا غلب لقب الصديق على «أبى بكر» والفاروق على «عمر» رضى الله عنهما حتى صار اللقب علما على صاحبه .

وهناك أسماء أخرى ذاعت للنبى ﷺ مثل «طه» و «يس» وتبرك الناس بتسمية أبنائهم بها كما سموا بمحمد وأحمد ومحمود ومصطفى .

(١) يبدو انه نسبة الى (الدير) فهو اما راهب او عالم من أهل الكتاب ..

وقد قال « سعيد بن جبير » فيما أورده « القرطبى » عنه : ان « يس » اسم من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم ، ودليله « إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ » واستشهد عليه بقول « السيد الحميرى » :

يانفس لا تمحضى بالنفس جاهدة
على المودة الا آل ياسين

وقال « القرطبى » فى « طه » : « قيل هو اسم للنبى ﷺ سماه الله تعالى به كما سماه محمدا .

وروى عنه — صلى الله عليه وسلم — انه قال :

ان لى عند ربى عشرة أسماء ، فذكر أن فيها « طه ويس » وقال أيضا :

ذكر « الماوردى » عن «على » رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله تعالى أسمانى فى القرآن سبعة أسماء : محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله » .

كنية الرسول

أما كنيته فهى « أبو القاسم » وقد نهى النبى — صلى الله عليه وسلم — أن يجمع الانسان بين اسمه وكنيته ، فقال : فيما رواه « ابن سعد » فى طبقاته عن « أبى هريرة » رضى الله عنه أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال :

« تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى ، فاننى أبو القاسم » .

وروى « أنس بن مالك » رضى الله عنه أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان بالبقيع فنادى رجل : يا أبا القاسم ، فالتفت اليه النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال الرجل : لم أعنك ، فقال — صلى الله عليه وسلم — : سموا باسمى ولاتكنوا بكنيتى .

وقد ثبت أنه سمى باسمه بعض أبناء أصحابه وأن أصحابه سموا أبناءهم باسمه تبركا . فقد روى « ابن الأثير » — فى ترجمة « محمد بن أنس بن فضالة الأنصارى — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قدم المدينة وهو ابن اسبوعين فأتى به اليه فمسح رأسه ودعا له بالبركة وقال : سموه باسمى ولا تكنوه بكنيتى — أسد الغابة حـ ٥ ص ٨٠ —

وذكر أيضا فى ترجمة « محمد بن ثابت بن قيس » أنه ولد على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأتى به أبوه رسول الله ﷺ فسماه « محمدا » وحنكه بتمرة .

وزيد فى رواية أخرى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال :

اذهب به فان الله عز وجل رازقه » . أسد الغابة حـ ٥ ص ٨٢ .

وقد ذكرت الروايات أن هناك من سموا محمدا وكنوا أبا القاسم ، وعدهم « الزبير بن بكار » عن « محمد بن الحسن » قال :

« المحمدون الذين اسمهم محمد وكناهم

سابقة الالهام فى تسمية النبى "صلى الله عليه وسلم"

أبو القاسم هم : « محمد بن طلحة ، ومحمد بن على ، ومحمد بن الأشعث ، ومحمد بن سعد » وزاد « الواقدى » : محمد بن جعفر بن أبى طالب ، ومحمد بن أبى بكر .

ولعل هذا التجاوز لمزيد فضل لهم ولآبائهم، أو لأن النهى الذى ورد بعدم التكنية لاينصرف الى التحريم .

والمعروف ان « محمد بن طلحة » أبوه « طلحة بن عبيد الله القرشى » وهو من السابقين الى الاسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وحين ولد محمد حمله أبوه الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فمسح رأسه وسماه محمدا ونحله كنيته ، وحين كبر لقب بالسجاد لكثرة صلاته وشدة اجتهاده فى العبادة .

« ومحمد بن على » هو ابن الامام « على كرم الله وجهه » المعروف بمحمد ابن الحنفية روى « ابن سعد » فى طبقاته فى ترجمته عن « منذر الثورى » قال : سمعت « محمد ابن الحنفية » قال : كانت ــ أى كنيته بأبى القاسم ــ رخصة لعلى ، قال : يارسول الله ان ولد لى ولد بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال :

نعم ..

« ومحمد بن الأشعث » هو ابن الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندى » و « محمد بن سعد » هو ابن « سعد بن أبى وقاص » أحد السباقين الى الاسلام والمشهود لهم بالجنة ..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

سيدنا محمد بن عبد الله

صلى الله عليه وسلم وفضائله على الإنسانية

للأستاذ الدكتور
رءوف شلبي

١ ــ نسبه الزكى وخصائصه :

محمد بن عبد الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هــو :

محمد بن عبــد الله بن عبــد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصى ، بن كــلاب ابن مرة ، بن كعب بن لؤى بن غــالب ، بن فهر بن مالك بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، ابن مدركة ، بن الياس ، بن مضر ، بن نزار ، ابن معد بن عدنان (١) ٠

وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهمــا قال :

خير العرب مضر ٠

وخير مضر عبد مناف ٠

وخير عبد مناف هاشم ٠

وخير بنو هاشم بنو عبد المطلب ٠

والله ما افترق فرقتان منذ خلق آدم الا كنت فى خيرهما ٠

ويشهد لهذا الحديث قوله ــ صلى الله عليه وسلم ٠

ان الله اصطفى كنانة من ولــد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى هاشما من قريش ، واصطفانى من بنى هــاشم ٠

ومدلول هذه النصوص أن الذين يدرسون خصائص زعماء التاريخ يجدون سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فى الذروة من كل معايير الشرف والكمــال الانسانى ٠

ذلك : لأنه صلى الله عليه وسلم ولــد من نكاح ولم يولد من سفاح فى سلسلة طويلة من

(١) راجع تكملة النسب الى آدم فى كتــاب المغازى لابن اسحق طبع تركيا تحقيق الاستــاذ محمد تيسير الله ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م ٠

تقلب الأجداد والأباء وقيمة هـذه الخاصـية

أن السوية فى بشريته صـلى الله عليه وسلم ممتدة فى كل أرومته .

فلم تحمل عاملة من عوامل الوراثة الا نقاء فى طهر وأصالة فى محتد مؤثل ، سليم صحيح .

وأن هذا المحتد الذى جاء منه سـيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يغادر جوار بيت اللـه العتيق منذ كان جده الاكبر ابراهيم واسماعيل عليهما السلام .

ومفهوم هذا الجوار أن اللـه تبارك وتعالى قد ارتضى سدنة بيته العتيق : أول بيت وضع للناس مثابة وأمنا من أنقى الأرومات البشرية التى استحقت أن تكـون سلسلة نسـب لآخر الأنبياء وخاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم.

فهى أرومة مرضى عنها من الله جل جلاله.

ومن القيم النبيلة العليا لخاصية هذا النسب أن الجوار الى بيت الله العتيق مكنهم مـن المحافظة على مواريث الأنبياء الأول فمازالت الأخلاق الكريمة والحنيفية السـمحة تمثـل سلوكا وخلقا فطريا فى سلسلة النسب الـزكى حتى كانت النبوة الخاتمة متممة لمكـارم هذه الأخلاق .

واذا كانت هذه القيمة من خاصية النسـب الزكى فان مدلولها جد دقيق فيمـــا يتعلق بمستقبل الدعوة الى الله .

فانها تصدر عن طبع سوى ، وخلق رضى منذ الأجداد والآباء الأول .

فاذا ماشهد المجتمع لسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم بأنه الامين من قبل البعثة فقـد شهدوا لسوية محتده فى ماضى التاريخ فـانه بذاته الشريفة وسويته البشرية من قبل أن يكون نبيا جديرا بأن يكون هو وحده فى المجتمـع العربى الجاهلى القديم بأنه وحده (الأمين).

فهى شهادة عليهم وشهادة له بأن الوحـى اليه ليس بدعا من الأمر لأنه متصف بجليـل مكارم الأخلاق وأنه كذلك ثمرة لسوية من وراثة كامله الطهر والنقاء وقد خصها الله بجـوار بيته العتيق وحفظ بها أصول مكارم الاخلاق وبقية مما ترك آل ابراهيم واسماعيل من ملامح الحنفية الغراء .

كذلك يلحظ الدارسون فى هذا النسب سمو الخصائص النفسية والملكات الروحانية فقـد عرف عن سلسلة آباء محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنهم ـ :

ـ فى جوار البيت العتيق .

ـ وأنهم حافظوا عـلى ملة ابراهيـم وأسماعيل .

ـ وانهم كانوا اهل رياسة وشرف ولواء .

ـ وانهم اهل المكرمات والنجدة والسخاء .

ـ وأنهم أهل العدل والانصاف .

فاذا ماحضر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ معهم حلف الفضول الذى انعقد لرد المظالم الى أهلها كان ذلك موحيا بأنه الأصلح لتحمل رسالة القيم العليا للبشرية ، واذا ما حكمـه أهله فى وضع الحجر الأسود يوم اقتتلوا عليه كان ذلك ارهاصا بقبول حكومته وعدله .

وهذا يشير الى أن استقرار الامور فى الدول لايتم الا اذا كانت الثقة مطلقة فى ولى أمـر المسلمين ولن يكون له تلك الثقة الا اذا كان على

مثل هذا المنوال السوى النقى الرضى .
ولقد شهد بهذا المستوى الأجل لسيدنا محمد — ﷺ —علماء التاريخ القديم والحديث :
يقول هرقل لأبى سفيان قديما : سألتك عن نسبه ؟
فذكرت : أنه فيكم ذو نسب . وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها .
ويقول واحد من علماء البوذية :
انى لأجد فى رسول الاسلام خلالا وأخلاقا جمة وخصالا كثيرة لم أرها مجتمعة فى تاريخ العالم الانسانى لواحد فى آن واحد .
فقد كان ملكا دانت له أوطانه كلها يصرف الأمر فيها كيفما يشاء ، وهو مع ذلك متواضع فى نفسه يرى أنه لايملك من الأمر شيئا وأن الأمر كله بيد ربه .
وتراه فى غنى عظيم : تأتيه الابل موفورة بالخزائن الى عاصمته ، ويبقى هو مع ذلك محتاجا ولا يوقد فى بيت من بيوته نار لطعام طوال أيام كثيرة .
وتراه قائدا عظيما يقود الجند القليل العدد الضعيف العدد فيقاتل بهم ألوفا من الجند المدجج بالأسلحة الكاملة ثم يهزمهم شر هزيمة وتجده محبا للسلام مؤثرا الصلح ويوقع شروط المعاهدة على القرطاس بقلب مطمئن وجأش هادىء ، ومعه ألوف من أصحابه كل منهم شجاع باسل وصاحب حماسة وحمية تملأ جوانحه .
ونشاهد بطلا شجاعا يصمد وحده لآلاف من أعدائه غير مكترث بكثرتهم ، وهو مع ذلك رقيق القلب ، رحيم رءوف متعفف عن سفك قطرة دم .
وتراه مشغولا بجزيرة العرب كلها بينما هو لايفوته أمر من أمور بيته ، وأزواجه ، وأولاده ولا أمر من أمور الفقراء والمساكين ، ويهتم بأمر العالم كله .
وهو مع هذا متبتل الى الله منقطع عن الدنيا فهو فيها وليس فيها لأن قلبه لايتعلق الا بالله وبما يرضى الله (١) .
واذن فما ردده بعض المستشرقين وعلماء الفكر الغربى عكس هذه الحقيقة التاريخية انما هو محض هوى وافتراء شهوة ليس معها دليل .
لقد عثر « در منجم ، واخطأ ، جيبون ، وآسف مستر موبر ، وافك مسيو ، جاستون » عندما راحوا يكيلون انهامات شرعها لهم من قبل الأب « لامانس » ذلك المفترى على العلم والتاريخ ولا يستحى من تبجحه اذ يلقى القول على عواهنه دون احترام لقيم العلم والأخلاق التى يجب أن يتحلى بها الباحثون .
ولله رد المخلصين من علماء الغرب الذى فطنوا لحقيقة النبوة والاسلام فأعطوا الحقوق لأصحابها من أمثال : مسيو اتين دنييه ، وجارودى ، وموريس بوكاى واللورد هدلهى والقسيس الاندونيسى انطوانيس موقار .. الخ .
من أولئكم الذين بحثوا بحيدة صادقة فهداهم الله الى نور الحقيقة وصدق الله العظيم .

(١) الرسالة المحمدية ص ٨٧ ومابعدها .

« فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ » .

٢ ـ البيئة والرسالة :

ولد سيدنا محمد ـ ﷺ ـ ونشأ فى بيت بنى هاشم .

وهو بيت مشهور بالامتياز فى : الاعتدال والعدل ، ورجاحة العقل وعلو الهمة ، ومحبة رد المظالم الى أهلها ، والعطف على أبناء السابلة .

وكان فيهم : الحجابة والسقاية ، وعقد لواء الحرب ، وهم سادة العرب ، ورؤساء الشورى .

وكانت مكة تعج بالخليط من العبادات .

ـ لقد كان فيهم الحنفاء الذين استقاموا على الفطرة فلم يميلوا الى عبادة وثن أو صنم ولا أحبوا يهودية ، ومالوا الى نصرانية بل تركوا أنفسهم يوحدون الله على ملة باقية من آثر سيدنا ـ ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ـ .

وهؤلاء كان لهم ضوء نير مؤنس فى صحارى مكة وبطحاء العرب كلهما .

ـ وكان مع هؤلاء الحكماء الذين استشارهم الناس فى مدلهمات أمورهم فعرفوهم بمكارم الاخلاق وحسن المشورة وصدق سداد الرأى .

وكان هؤلاء الحكماء على شىء من الذمة فى مراعاة الاخلاق والقيم التى تؤهل الناس لاستقبال متمماتها من مكارم الأخلاق الاسلام .

وكان لهم ارهاص بظهور نبى فى العرب يهدى الى سواء السبيل .

ـ ومع الذين كانوا يتخذون من الأصنام زلفى الى الله نشأت فكرة البحث عن العدل فى الدين الحق المستقيم وكان من آثر هذه الفكرة ظهور عقلية علمية فى البحث المنصف .

فكان ورقة بن نوفل الذى راح يبحث مع جماعة مثله عن الدين الصحيح فتعلم العبرانية وقرأ التوراة والانجيل وكانا الى هذا الوقت بالعبرانية فى بلاد العرب فعرف منهما أن نبيا قد قرب زمانه فانتظر حتى ظهرت النبوة فى بيت بنى هاشم فتمنى أن يكون جذعا اذ يخرج القوم صاحب الرسالة سيدنا محمد ـ ﷺ ـ فهكذا قرأ ورقة فى مصادر الوحى الأولى .

ـ ومع هذه النزعات التعبدية كان فى القوم حرية تعبير تحميها دساتير الصحراء ، وتاريخ العروبة وطبيعة القوم ، وكل دعوة صادقة فى حاجة الى حرية التعبير القائم على البرهان الساطع ، والدليل المكين بعيدا عن الجدل والمراء والسفسطة .

ـ ولهذه الحرية امتازت الجزيرة العربية بحرية الحل والترحال ، والاتصال ، وكانت النجدة فيهم ثمرة من ثمار هذه الحرية لتأمين الطريق ، وغوث الملهوف فكانت فيهم همم عالية ، وأخلاق رفيعه .

وقد نشأ سيدنا محمد ـ ﷺ ـ فى هذه البيئة لا يؤثر فيها عليه مؤثر ، ولايربطه بها نظام مقيد فقد عاش يتيما فى عطف جده ثم انتقل الى كنف عمه أبى طالب : فكانت طفولته فى أحضان جده وللجد حنين ورقة على الحفيد تغذيها حنايا الحنين الى الولد الفقيد .

فقد ترعرع ـ ﷺ ـ محفوفا بعطف عطوف ندى رقيق ثم كبر يافعا فى كنف عم شهم معروف بالسيادة والكرم وقد حماه الله من

أن يشترك مع القوم فى شىء من عاداتهم التى لاتتفق مع رسالته فى المستقبل ولذا لم نشهد من القوم عليه الا ما سمعناه عن تشريفهم أنفسهم بأنهم لقبوه بالأمين فصدقوا أنفسهم بما علموا من أمره منذ صغره (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) فتلك رعاية الله لنبيه منذ كان فى بنى هاشم ٠

ثم لما اشتد ـ ﷺ ـ أعطى المثل فى العمل والكفاح ٠

لقد فتح باب الحركة بدل الجدل العقيم منذ رعى الغنم لأمه حليمه وهو ابن أربعة أعوام فلما كان شابا رعاها لقريش على قراريط ثم تاجر لسيدة قريش أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وأرضاها فكانت له بعد ذلك خير معين حتى جاءه الحق فأقسمت له انك لنبى هذه الأمة وصدقتها ورقة ٠

وطلع محمد بن عبد الله ـ ﷺ ـ على الدنيا كلها بالرسالة التى كانت رحمة للعالمين ٠

٣ ـ فضائله على الانسانية :

الذين يقرأون تاريخ القرن السابع الميلادى يقفون على حقيقة مرة حيث يجدون الصراع المحتد بين الأمم ، والدول المستبدة على جاراتها بل وعلى شعوبها ، وتلك المؤسسات العسكرية والفلسفات الظالمة التى ألغت كرامة الانسان وحولته الى فرع من التجارة النافعة فكان الرق والاستعباد ، والافساد وتاه الطريق من أصحاب العقائد ، وبيعت الجنة بأوهام نفر لم يسعفه وحى ولا صحبه نبى ٠٠ فلم يعد :

ـ أمر العقيدة معروفا ٠

ـ ولا سبيل الأخلاق معهودا ٠

ـ و لاقيمة الانسان مفهومه ٠

ـ ولا للروح والمادة من آصرت معلومة ٠

فقد اختلطت الأمور وأظلمت الحياة ظلمة قاتمة حتى كان الوحى الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليقدم الفضائل الاسلامية الى البشرية كلها ، وكان فى مقدمة هذه الفضائل هذه المكرمات الانسانية ٠

العقيدة البسيطة الواضحة :

لقد عجب المجامع المسيحية بلغط باهظ الانفلات من دقة الوحى والنص المقدس فيما يتعلق بالعقيدة تتغالوا وقالوا كلاما لم يتفقوا عليه الى يومنا هذا فمن هو عيسى عندهم :

أهو ابن الله ٠

أهو بعض من الاله ٠

أهو ناسوتى أم لاهوتى

أله طبيعة أم طبيعتان ٠

أله مشيئة أم مشيئتان ٠

وكيف ولد ؟

أنبثق كالنور

أم خرج كالماء من الميزاب ٠

أم ولد كما يولد الأطفال جميعا ٠

وروح القدس كيف جاءت ؟؟

أمن الأب وحده أم من الابن مع الأب ٠٠ الخ ٠

قضايا كثيرة لاتقل عن فساد النقاش الذى أثاره بوذا مع التلاميذ فى محاوراته ، ولاتقل عن الطبقية الهندوسية التى جعلت من بعض البشر آلهة تعبد ومن بعضهم نجاسة تحرم ٠

فجاء محمد - ﷺ - وصحح هذا الركام بأسلوب سهل ومنطق بسيط قوى تقبله الفطرة « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ » فانهى الصراع فى هذه القضية وتقبل المنصفون الى يومنا هذا هذه العقيدة بعقل منصف وشعور مرهف وقلب مصدق .

وقد انصاع لهذه العقيدة فى العصر الحديث أفذاذ وكبار أمثال مسيو جارودى ، والرسام الفرنسى العالمى دنييه ، والصحفى الفرنسى جينو والصحفى النمساوى محمد أسد . (ليوبلد فاس) وصدق الله العظيم .

« لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ . رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً . فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ » البينة .

وكان الانبياء جميعا يبعثون الى أقوامهم خاصة حسب نصوص كتبهم المقدسة فلم يبعث عيسى الا الى خراف بنى اسرائيل الضالة ومن قبل سيدنا يونس « وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ » .

الا أن محمدا - ﷺ - بعث كافة للناس بشيرا ونذيرا .. لأنه جاء ليصحح مسار اتباع الأنبياء الذين أفسدوا العقيدة الصافية التى بلغها الرسل عن الحق فبدلها الاتباع بقصد أو بدون قصد .

ولقد ارتبطت هذه العقيدة بالرحمة فالله هو الرحمن الرحيم ومحمد - ﷺ - أرسله الله رحمة للعالمين فيقول الله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » الانبياء .

وهذه الأمة هى أمة الرحمة : الراحمون يرحمهم الرحمان .

وفى حديث آخر يقول النبى ﷺ لاتنزع الرحمة الا من قلب شقى ..

أما الأديان الأخرى فان الرحمة فيها تبدو خافتة فقد كانت كثرة القرابين الى (الفيدا) أو الأصنام ماهى الا محاولة لارضاء الآلهة الغضبى .

فتعاليم العقيدة الاسلامية أفاضت على البشرية بسمة الرحمة والعطف والحنان وأبعدت عنهم فكرة الغضب الالهى وعصمتهم من الوقوع فى لجاج وراثة المعصية .

- الأخلاق ..

لقد أنقذ سيدنا محمد - ﷺ - مجال الاخلاق من مهاترات الفلاسفة الى التخلق السلوكى العملى ، وربط القيم الأخلاقية بقيم العقيدة . وجعل ميزان الأخلاق هو سمو الطاعة لله تعالى :

(اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) حديث شريف .

لقد كان السفوسطائيون لا يؤمنون بحقيقة ثابتة فتفشى بهم انحلال وفوضى ضيعت القيم والأخلاق .

فلما جاء الفلاسفة من بعد أن اختلفوا فى موازين الأخلاق من عالم المثل الى عالم الوسط الذى لا ميزان له ولا رابط ولا معيار بدليل أن الفلاسفة خرجوا على أنفسهم يتهاجمون

فاستحكم الشجار بين اللذة والسعادة والمادية والروحانية واختلفت النظرة الى الباعث هل هو باعث ذاتي أو موضوعي أقصير أو طويل .. الخ .

فجاء سيدنا محمد ـ ﷺ ـ ونقل مجال الأخلاق من النظريات الفلسفية الى حقيقة التوجيه بالوحى المعصوم وأن ميزان العمل الصالح هو الايمان بالله والاخلاص فى العمل.
﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾(البقرة) .

العلم :

وكان الجهل يسود الحياة فجاء محمد ـ ﷺ ـ وأعلن هل يستوى الظل والحرور ؟ هل يستوى الأحياء والأموات ؟
كذلك ..
« لاَ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ » .

وجعل المنزلة العليا عند الله للمؤمنين والذين يعلمون « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » .

لقد أعلن سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك أن أكبر خطر على الأمة هو الجهل ولذلك كان أول ما نزل عليه (اقرأ) التى تفيد نقلة البشرية من الجهل الى العلم فأول العلم القراءة قبل الكتابة ، فالطفل يقرأ أولا ثم يكتب ثانيا .

وتلك آية اعجاز لسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

كرامة الانسان :

كان الفلاسفة يقررون أن الرق وضع فطرى وأنه من وجود طبقة من الرقيق للعمل الاقتصادى .

وكانت بعض الديانات والسياسات تقسم الناس الى طبقات كانت أوربا تقسمهم الى طبقة النبلاء والأمراء ، والقساوسة والى طبقة الجند والى طبقة الزراع والتجار ثم طبقة العبيد الأرقاء .

وكانت الهند تجعل طبقة للالوهية ، وأخرى للعسكر وثالثة للتجار ، ورابعة للمنبوذين الأنجاس .

وهكذا انحلت قيمة الانسان ، وفسدت معانى الكرامة الانسانية فجاء محمد صلى الله عليه وسلم وأخرج الناس من هذه الظلمات،وأعلن :

ـ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى » (الحجرات) .

ـ « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً » (الاسراء) .

وكان هذا الاعلان فى وقت اشتدت فيه عداوة الكفار للمسلمين ، وراح الكفار يؤذون المسلمين بانواع شتى من التعذيب .

ومع هذا فان محمدا ـ ﷺ ـ يعلن أن كرامة الانسان كله محفوظة لأنه خلق الله ولأن الأصل فى الخلقة واحد : من ذكر وأنثى، فمن غير محمد ﷺ كان يستطيع أن ينهى

حقارة الانسان التى لصقها الفلاسفة والساسة بالجنس البشرى ؟ .

انه يعلن : فك رقبة :

ويجعل من بيت مال الدولة جزءا لتحرير العبيد ويدعو بكل ثقة وقوة الى فك الأسير وعتق الرقبة .. ليحرر جزءا من البشرية بأسلوب لا يحدث خللا فى المجتمع ولا انتكاسة فى شريحة هذا الجزء من بنى البشر .

نبى الدنيا والآخرة :

تعبت البشرية من ارهاق التركيز من أجل الخلاص من الآلام لقد أرهقت الاديان الوضعية اتباعها فى متاهات «الزفانا» ، والولادة الثانية حتى انتهت بهم الجينية الى أن أفضل وسائل

السعادة هى الانتحار وكانت اليوجا العمل السلبى الذى يؤدى فيه صاحب عبادة « منترا » صلواته الخرافية ليسعد روحه بعيدا عن ضغط المادة .

ولقد كانت المسيحية مفرطة حيث ورثت البشرية ذنب آدم المزعوم وأفسد اليهود بماديتهم طعم الحياة حتى وقع الكاتبون فى خطأ علمى اتهموا اليهودية بالمادية المفرطة والمسيحية بالروحانية المفرطة مع أن الواقع الفعلى ليس كذلك لكلتا الديانتين .

وجاء الاسلام ليعلن :

— أن آدم تاب الى الله وقبل الله توبته فانتهت خرافة الخلاص والخطيئة الموروثة .

— وأن التوبة والاستغفار تكفر الذنوب : « فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا » .. (نوح) .

— بل ان الاسلام ليعلن نداءه الخالد للذين اسرفوا على أنفسهم ليستغفروا ربهم : « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (الزمر) .

بل ان هذا النداء ليضعه الاسلام موضع التنفيذ فى سورة التوبة .

« لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » .

« وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » (التوبة).

فيخلص سيدنا محمد — ﷺ — البشرية من أرق الخطيئة ومن ثقل الاثم ، ولهذا فهو يدعو دائما الى التفاؤل ويكره الناس فى التشاؤم وكان دائما حريصا على أن ينهى أمته عن الطيرة وكان يعلمهم حب الفأل الحسن .

ومن أقواله المأثورة : « بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا » .

« طوبى لمن كان مفتاحا للخير ومغلاقا للشر » .

وبهذا يهيء سيدنا محمد – ﷺ – المسلم ليستقبل الحياة بالعمل الصالح الذى سيكون له من المستقبل البعيد مدخرا نفيسا فى يوم لا تنفع فيه شفاعة ولا يؤخذ من أحد عدل .

فيربط بذلك سيدنا محمد – ﷺ – بين طرفى الحياة التى يعيشها المسلم الحياة الدنيا : وهى حياة العمل الصالح وتقبل التكاليف الشرعية بقبول حسن .

وحياة الآخرة : حياة الجزاء والنعيم المقيم ويجعل من كلتا الحياتين رابطة فى ميثاق خالد أعلنه منذ العهد المكى : « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (الانعام) .

اذن ليس هناك انفصام بين الحياة الدنيا ، والحياة الآخرة ولا هناك انفصال بين حياة الروح ومطالبها المادية فالكل عملة واحدة ذات وجهين هى الحياة الاسلامية فى صورتها الروحية والمادية ، وصورتها الدنيا ، وصورتها الأخروية .

انها الماضى المدخر للمستقبل المترقب الذى لا يغنى فيه والد عن ولده ولا مولود عن والده شيئا وذلك فضل جليل تقدره الانسانية الراقية فى التصور والتفكير لسيدنا محمد – ﷺ – الذى حماها من شرور الانفصام الشبكى بين الروح والمادة والدنيا والآخرة .

العمل لا المراد :

لقد تعبت صماخ أذن البشرية من هرطقات « أنطاكية » ونيقية ، وخلقدونية .. وبلغ الجدل مبلغا قريبا من الهزل أيهما أكبر الأب أو الابن ؟ أو بعبارة أخرى أيهما أولا : البيضة أم الفرخة .

والحضارات لا تقوم على النقاش والمراد والجدل بل تقوم على البناء والعمل والجد والنشاط .

وجاء سيدنا محمد – ﷺ – وقلب منهج القرن السابع فحرم المراد .. والجدل وجعله من صفات المنافقين ، وأكد أنه الداء الوبيل الذى يطيح بالأمم والحضارات وفاجأ البشرية بمنهج عملى :

– عملى فى منهج التفكير .

« قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ » .

وهذا التجرد عمل وجدان شاق ، وهو أصل للتحرر من الانانية ، والعرقية والعنصرية وأساس أصيل للموضوعية الصادقة .

– الهجرة عمل :

وأمر المسلمين بالهجرة الى الحبشة وهى حركة توسيع لرقعة انتشار الدعوة .

وراح يعرض نفسه على القبائل فى مواسم الحج .

كما سافر الى الطائف فى رحلة عمل شاقة .

ولم يكن لقاؤه بأهل يثرب فى لقاءات العقبة الا عملا سياسيا من الدرجة الرفيعة كان من أثره بناء الدولة الاسلامية أثر الهجرة الى طابة .

لقد ترك رسول الله – ﷺ – قريشا فى لججها ومرائها ، وأسئلتها وراح يعمل فوضع بذلك مبدءا أساسيا فى العمل الحضارى أن

الحضارة الجادة هى التى تقوم على العمل والبناء وليس الكلام والجدل والمراء •

ولذا حذر — ﷺ — من الغفلة والركود فقال — ﷺ — :

أخاف على أمتى من بعدى ثلاثة :

ضلالة الهوى

واتباع الشهوات فى البطون والفروج

والغفلة بعد المعرفة •

(رواه الطبرانى)

أخاف على أمتى ثلاثة :

زلة عالم

وجدال منافق بالقرآن

والتكذيب بالقدر

(رواه الطبرانى)

ولما أكثر نصارى نجران النقاش معه ﷺ أنهى الموقف بأسلوب علمى فقد دعاهم الى المباهلة وهى حركة اجتماع كل طرف مع عشيرته والتوجه الى الله أن يهلك الكاذب فخاف النصارى لأنهم يعلمون أنه حقا رسول الله الذى بشر به عيسى ابن مريم •

ولقد نشطت الحضارة الاسلامية يوم أن اتخذت من الاسلام أسلوب لنشر مبادئها وأخلاقياتها فلما ركنت وركدت وتحولت الى سفسطة وجدل : انماعت الأمة وضعفت وتمزقت •

ولن يصلح هذه الامة الا بعودتها الى مبادىء الاسلام التى جاء بها سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم فهو بعث رحمة الله الى العالمين •

•• حتى الحيوان •

ومن عظمة الحضارة التى بناها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم — أنها شملت الحيوان الأعجم •

فقد أوصى — صلى الله عليه وسلم — بالذبيحة ألا ترى السكين وهى تشحذ وأن يريحها القصاب حين يذبحها يقول — ﷺ — :

واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته •

ويعلن — ﷺ — : ان امرأة دخلت النار لأنها حبست هرة لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض •

وأن رجلا غفر الله له لأنه سقى كلبا شربة ماء فهل فى تاريخ الحضارات كلها مثل هذا المستوى الرفيع من الرحمة التى شملت مع الانسان والحفاظ على كرامته الشفقة بالحيوان •

لئن كان فى العصر الحديث شىء من ذلك فانما هو فقط من تعاليم الاسلام التى جاء بها محمد — ﷺ — • ثم نقلها طول اليد عن تركات الاسلام الحنيف •

العدل فى الحرب :

كانت الحروب قديما وحديثا لا تعرف الا لغة التدمير والتخريب ولايدفع الى الحروب قديما أو حديثا الا التوسع السياسى أو لحل أزمة اقتصادية عن طريق الاستيلاء على أرض ذات كنوز أو ميناء على شاطىء نهر •

وفى سبيل ذلك تأخذ الحرب مداها ومجراها حتى يتحقق الهدف المنشود •

فلما جاء محمد ﷺ حدد استراتيجية الحرب •

ـ أنها فى الحفاظ على مبادىء الدولة وتعاليمها وأملاكها ورعاياها •

ـ وفى تأديب ناكثى العهود والمواثيق •

ـ وفى ضرب التجمع الذى يريد أن يعتدى •

ـ وفى الدفاع عند هجوم الأعداء وفى كل ذلك وضع تشريعا :

ـ لاتقتل امرأة ولا طفل ولا شيخ ولا راهب يعبد فى صومعته •

ـ ولايهلك حرث ولانسل •

ـ ولا يقتل أسير •

ـ ولا يرفض طالب أمان •

ولم يضع محمد ـ ﷺ ـ السيف لنشر العقيدة بل أنه أغمد السيف عند لظى الحرب لمن يريد أن يتعلم الاسلام •

« وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ » التوبة •

فالدائرة العسكرية محددة بالعمل العسكرى لا يتعدى ذلك الى آمن ولا مدنى ولا متعبد ولا حقل ولا مدرسة ولا تقوم حرب للثأر أو الانتقام أو الرغبة فى توسع سياسى بل لتلك الأهداف التى تحددت سابقا •

كما أوصى بالأسير خيرا حتى يفدى أو يمن عليه المسلمون بالفكاك •

ومنع استرقاق الأسير الا فى الحالات المماثلة فالمعاملة بالمثل تقتضيها ظروف كثيرة عندما تركب بعض الدول رأسها بالعناد والصلف •

والذين يشاهدون الحروب فى العصر الحديث حيث تقضى على الأخضر واليابس ولا تترك مدرسة ولا مصنعا ، ولا طفلا ولا شيخا •

يدرك المدى الذى قدمه سيدنا محمد رسول الله ﷺ من منحة رحيمة للبشرية وهو يحدد اطار الحرب من أجل السلام وفى الحديث الشريف •

(تألفوا الناس وتأنوهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم فما على الأرض من أهل بيت مدر ولا وبر الا تأتونى بهم مسلمين أحب الى من أن تأتونى بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم) •

(رواه ابن منده)

وآية الاعجاز فى ذلك أنه ﷺ استطاع أن يربى جيشا يطبق هذه التعاليم فى لحظة الحماس الدافق ؟

•• تكلم بعض قليل جدا من جوانب جمة وضخمة من المنح والفضائل التى قدمها سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى البشرية كافة : مسلمهم وغير مسلمهم على السواء لأنه بعث رحمة للعالمين •

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ••

دكتور / رءوف شلبى

خصائص أفضل الخلق
وأشرفهم محمد سيد الأنام صلى الله عليه وسلم

خص الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ بخصائص وفيرة ، جعلته أفضل الخلق على الاطلاق ، وأرفع الناس درجة ، وأقربهم زلفى ، وأكرمهم منزلة عند من يعلم السر وأخفى . وفضله على خاصته وأحبابه . وأعلى فى الدارين مقامه حتى قرن اسمه باسمه ، وذلك وايم الحق تشريف ليس فوقه زيادة لمستزيد .

وهاك من الدلائل اللائحة ما يشهد على ذلك :

(أ) أقسم الله بحياته ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى قوله تعالى (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) (١) . والاقسام بحياته يدل على شرف حياته وعزته عند الله العزيز الحكيم

(ب) أوتى صلوات الله عليه الكتاب العزيز وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب وحفظ الله كتابه المنزل عليه من التبديل والتحريف . فقال جل شأنه : (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (٢) .

وقال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٣) .

فلم يستطع أحد تغيير حرف منه ، مع تضافر طوائف الملاحدة ومن نحا نحوهم على ابطاله أو افساده ، فلم يجدوا الى ذلك سبيلا .

أضف الى ذلك أن الله تعالى يسر حفظه لتعلميه . قال تعالى : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) (٤) . وما عرف ذلك لكتاب غيره ، وهو كتاب مشتمل على جميع ما اشتمل عليه التوراة والانجيل والزبور . وفضل بالمفصل والمثانى والسبع الطول .

أما المفصل فآخره (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

---

(١) سورة الحجر آية ٧٢ .
(٢) سورة فصلت آية ٤٢ .
(٣) سورة الحجر آية ٩ .
(٤) سورة القمر آية ١٧ .

للشيخ إبراهيم عطوة عوض

النَّاسِ) (١) . وأوله ــ على ما رجح النواوى ــ سورة الحجرات .

والمثانى هى فى الفاتحة ، كما جاء فى البخارى من حديث أبى هريرة .

وأما السبع الطول : فأولها البقرة وآخرها الأنفال ، وبراءة جميعا لأنها كسورة واحدة . ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة ، أو هى من البقرة الى الأعراف ، والسابعة سورة يونس.

(جـ) انقطع الكهنة عند مبعثه ، كما انقطع استراق السمع . وفى هذا قضاء على الدجل والشعوذة ، وأماتة الشرك الخفى .

(د) حوت الكتب القديمة السابقة ــ من البشائر بنبوة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ مالا سبيل الى انكاره .

(هـ) أخبر الله جل شأنه أنه وملائكته يصلون على النبى . وأمر المؤمنين بالصلاة والتسليم عليه ــ وليس هناك شرف ورفعة فوق هذا ، فالعناية الأزلية القديمة أفاضت عليه الرحمة ، والملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم يلهجون بالاستغفار له . والمؤمنون يضرعون به الى الله العلى الكبير .

(و) أثنى الله تعالى على خلقه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال سبحانه : **(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)** (٢) وهذا غاية الثناء .

(ز) أخذ الله تعالى الميثاق على النبيين : آدم فمن بعده ــ أن يؤمنوا به وينصروه . قال تعالى : **(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ)** (٣)

ففى هذه الآية من التنويه بسيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ والتعظيم لقدره ماليس وراءه غاية .

(ح) تصرمت معجزة كل نبى وانقضت ، ومعجزة سيد الأولين والآخرين وهى ــ القرآن الكريم ــ باقية الى يوم الدين .

(ط) اختصه الله جل شأنه بخمس لم يعطهن أحد من خلقه ، تأمل ما رواه جابر عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال :

« أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى : كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل حيث كان ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة » رواه البخارى .

(١) سورة الناس آية ١ .
(٢) سورة القلم آية ٤ .
(٣) سورة آل عمران آية ٨١ .

خصائص أفضل الخلق وأشرفهم سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم

ومن رواية الامام أحمد : « أعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتى — فهى لمن لا يشرك بالله شيئا » .

وفى حديث مسلم : « أعطيت ستا بزيادة — أعطيت جوامع الكلم وختم بى النبيون » .

(ى) آتاه الله الكمال فى الخلق والخلق ، والأقوال والأعمال ، فجمله بالسكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم ، وكساه حسن القبول . فاستمال القلوب ، وانقادت النفوس لموافقته ، وثبتت على محبته ومناصرته ، وأمده برجاحة العقل ، وصدق الفراسة ، ومنحه زهدا فى الدنيا واعراضا عنها ، واكتفاء بالبلاغ عنها . وتواضعا للناس وهم له اتباع ، وخفض الجناح لهم وهو فيهم مطاع ، ووهبه الحلم والوقار . فما هزه طيش ، ولا استفزه خرق. وأفاض عليه العلوم الجمة الباهرة ، والحكم البالغة . وجعله أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا ، وأوجزهم كلاما ، وأجزلهم ألفاظا .

— ما عاب قط انسانا ولا سب انسانا . وكان — صلى الله عليه وسلم — يقول : « ان المؤمن لا يكون سبابا ولا لعانا ولا طعانا » .

(ك) شريعته — صلى الله عليه وسلم — أكمل من جميع شرائع الأمم المتقدمة وأتمها احاطة بمصالح الدنيا والدين .

فقد كانت شريعة موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام شريعة شدة وقهر بسبب ما عليه الاسرائيليون من تمرد ومعصية بقتل أنفسهم أعنى قتل الذين عبدوا العجل منهم ، وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر وغيرها من الطيبات . وحرمت عليهم الغنائم ، وعجل لهم من العقوبات ما عجل . وحملوا من الآصار والأغلال ما لم يحمله غيرهم . وكان موسى عليه السلام من أعظم خلق الله تعالى هيبة ووقارا — وأشدهم بأسا وغضبا لله تعالى ، وبطشا بأعداء الله . وكان لا يستطاع النظر اليه ، ولم يسلم — مع ذلك — من أذى بنى اسرائيل .

أما عيسى عليه السلام فكان فى مظهر الجمال . وكانت شريعته فضلا واحسانا ، لا يقاتل ولا يحارب . تأمل قول الانجيل : (من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ، ومن نازعك ثوبك فأعطه رداءك) .

وأما محمد — صلى الله عليه وسلم — فكان مظهر الكمال الجامع للقوة والعدل والشدة فى الله ، واللين ، والرأفة ، والرحمة .

فشريعته أكمل الشرائع ، وأمته أكمل الأمم ، وأحوالهم ومقاماتهم أكمل الأحوال والمقامات.

ولذلك أتت شريعته بالعدل فرضا ، وبالفضل ندبا ، وبالشدة فى موضع الشدة ، وباللين فى موضع اللين : فتذكر تلك الشريعة الظلم وتحرمه ، والعدل وتأمر به ، وتندب اليه .

تأمل قوله تعالى : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) (١) فهذا عدل .

(١، ٢، ٣) سورة الشورى آية ٤٠ .

وقوله تعالى : (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ (٢) فهذا فضل ٠

وقوله تعالى : (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (٣)٠

وهذا تقبيح للظلم وأهله ٠

وقوله تعالى : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ) (٤) ٠

وفى هذا ايجاب للعدل وتحريم للظلم ٠

وقوله تعالى : (وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ) (٥) ٠

وهذا ندب الى الفضل ٠

حرمت الشريعة السمحة كل خبيث وضار ، وأحلت كل طيب ونافع ، فالتحريم على أمة محمد رحمة ٠ وعلى من كان قبلهم لم يخل من عقوبة ٠ تمشيا مع كل حال بما يناسبها ٠ سنة الله فى خلقه ــ ولن تجد لسنة الله تبديلا قال تعالى : « فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ » (٦) ٠

(ك) وهذه أمة محمد جعلها الله خير أمة أخرجت للناس ٠ فكمل لهم من المحاسن ما فرقه فى الأمم ٠ كما كمل لنبيهم الكريم من المحاسن ما فرقه فى الأنبياء قبله ٠ وكما كمل فى كتابهم من المحاسن ما فرقه فى الكتب قبله ، فأتباع محمد هم المجتبون ٠

قال تعالى : (هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (٧) ٠

(م) لا تكد تخلو سورة من القرآن الكريم من ذكره صلوات الله عليه بتنويه أو تفضيل ٠

ان الله سبحانه وتعالى أرسل محمدا رحمة للعالمين ، وبعثه داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ٠ وأنزل عليه الفرقان فيه تبيان كل شيء ترغيبا وتحذيرا ، وشرح له صدره ، ورفع له ذكره ٠ وبذلك فضله على الانبياء والمرسلين تفضيلا ، وشرفه عليهم تشريفا ٠

ولا يتسع المقام لاستقراء الآيات الدالة على مناقبه ومفاخره ٠ فقد أفرد لذلك بعض المؤلفين المتقدمين والمتأخرين كتبا استوعبت جميع ما ورد فى القرآن من هذه الآيات ٠ كالامام القاضى عياض فى كتابه ــ الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى ــ ، والامام الحافظ شهاب الدين القسطلانى فى كتابه ــ المواهب اللدنية للمنح المحمدية ــ واختصره العارف بالله يوسف بن اسماعيل النبهانى ٠

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليما عدد ما وسعه علم الله العظيم ٠

(٤ ، ٥) سورة النحل آية ١٢٦ ٠

(٦) النساء ١٦٠ ٠

(٧) سورة الحج آية ٧٨ ٠

النبي محمد صلى الله عليه وسلم

كيف واجه ضغائن اليهود في المدينة بحزمه وحسن سياسته؟

لما أشرق الاسلام بنوره على جزيرة العرب، وبدأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدعو الى عقيدة التوحيد الخالص توقع المسلمون أن يكون اليهود « وقد كانوا يزعمون أنهم من ذرية اسرائيل واتباع موسى عليه السلام » عونا لهم فى حرب الوثنية المخرفة[1] وتدعيم عقيدة التوحيد خصوصا وأن لهم [illegible] بالكتب الالهية القديمة والف بأحاديث أم سنين السابقين .

وهذه المشاعر الطيبة من جانب المسلمين أسهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تتمشى مع الوحى النازل عليه يؤسسها ويؤكدها قول الله تعالى .

« وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ » (٢) .

وقوله جل شأنه :

« وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ » (٣) .

اليهود يخلفون حسن الظن بهم :

لكن لم تمض أيام على وصول رسول الله ﷺ وصحبه الى المدينة المنورة واختلاط المسلمين باليهود من سكانها حتى شرع أولئك اليهود يحرجون صدورهم ويعينون عليهم ، ولو أنهم اكتفوا بعدم اجابتهم دعوة الاسلام واصرارهم على ماهم عليه من الجحود ولم يزيدوا على ذلك لتركهم المسلمون وشأنهم دون أى مواجهة أو حرب ضدهم .

الا أنه خلال صدام الاسلام بالشرك فوجىء المسلمون بانضمام اليهود بعواطفهم وألسنتهم ودعاياتهم ضد رسول الله – صلى الله عليه وسلم وضد المسلمين ، فتنزل الوحى ينذر هؤلاء اليهود بسوء المنقلب ويذكرهم بما وقع للمشركين فى غزوة بدر وذلك فى قوله تعالى :

« قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ

---

(١) اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام .

(٢) سورة الرعد الآية ٤٣ .

(٣) سورة الرعد الآية ٣٦ .

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ • قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ » (١)

يهود بنى قينقاع يعتدون على عرض واحدة من المسلمين :

وفى فرحة المسلمين بغلبتهم على المشركين فى غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هجرية لم يستطع يهود بنى قينقاع وقد كانوا يقيمون فى المدينة أن يكتموا حقدهم على الاسلام وغيظهم من انتصار المسلمين فتعمدوا خدش عرض سيدة مسلمة كانت تحاول بيع شىء من حليها فى سوق اليهود لأنها لما قامت من السوق انكشفت سوءتها بفعل بائع الحلى نفسه دون أن تدرى أو تحس بفعله فأثار ذلك غضب رجل من المسلمين فقام لتوه بقتل ذلك اليهودى فشدت اليهود على المسلم فقتلوه وعندئذ وقعت الحرب بين المسلمين وهؤلاء اليهود من بنى قينقاع ففرض الرسول — صلى الله عليه وسلم — الحصار وأحكمه عليهم خمس عشرة ليلة حتى اضطروا الى التسليم فسمح لهم بالخروج من المدينة فرحلوا منها بعيدا الى أذرعات ببلاد الشام حيث هلك أكثرهم (٢) •

كعب بن الاشرف اليهودى يذهب الى مكة ويحرض المشركين بها على حرب المسلمين :

كان كعب بن الأشرف سيدا من سادات اليهود وأمه من بنى النضير أكله الحقد على المسلمين خصوصا بعد انتصارهم الكبير فى غزوة بدر فسافر من المدينة الى مكة يواسى مشركيها المهزومين ويحرضهم على ادراك ثأرهم من المسلمين بحرب يشنها المشركون على النبى — صلى الله عليه وسلم — والمسلمين ، ثم عاد الى المدينة سافر العداوة بعيد الجرأة حتى انه صاغ قصائد الغزل فى بعض نساء المسلمين ومما يؤسف له أن هذا اليهودى لما سئل بمكة من قبل أبى سفيان بن حرب أدين المشركين أحب الى الله أم دين محمد وأصحابه وأيهم أهدى فى رأيه وأقرب الى الحق أجابه بقوله (**أنتم أهدى منهم سبيلا**) •

فأنزل الله على رسوله قرآنا يفضحه وينعى عليه قوله الشائن وذلك فى قوله سبحانه

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا • أُولَئِكَ

(١) سورة آل عمران ١٢ — ١٣ •
(٢) كتاب موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية — السيرة النبوية المطهرة تأليف الدكتور احمد شلبى نشر مكتبة النهضة المصرية •

الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا) (١) .

ولقد أهدر النبى — ﷺ — دمه وبقتله لـزم اليهود حدودهم بعض الوقت فلم يتجرأوا على المسلمين بالسب وظهر كأنهم لن يمالئوا على الله ورسوله مشركا أو عدوا لهم (٢) .

غدر يهود بنى النضير بعد غزوة أحد :

ذلك أن النبى — ﷺ — ذهب الى منازل بنى النضير ليستعين بهم فى دية قتيلين صرعهما أحد المسلمين بطريق الخطأ فلما فاوضهم رسول الله — ﷺ — أظهروا الرضا بمعونته فجلس الى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا لكنهم تآمروا عليه وكلفوا واحدا منهم يدعى عمرو بن جحاش بالقاء حجر الرحى عليه وحين أوشك اليهود على انفاذ مكيدتهم ألهم الله رسوله — ﷺ — بالخطر المدبر له فنهض سريعا من جوار البيت الذى اضطجع الى جداره وقفل راجعا من منازلهم ، ثم أرسل اليهم مـن يأمرهم بالخروج من المدينة ولما رفضوا فرض الحصار على مساكنهم وأمـر بتقطيع نخيلهم وكان ذلك سنة أربع للهجرة فوقـع الرعب فى قلوب اليهود وأعوانهم من المنافقين فوافقوا على الخروج من المدينة فأذن لهم رسول اللـه — ﷺ — بالجلاء عن ديارهم ولهم ما حملت ابلهم من أموال ما عدا السلاح (٣) ، وفى هذه المعركة نزلت سورة الحشر بأكملها وفى صدرها ما يشير الى هذه المعركة قال تعالى :

(هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَاظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ • وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) (٤) .

كما فضح جل شأنه حلفـاء اليهود مـن المنافقين الذين حاولوا ممالأتهم لكنهم فشلوا جميعا وذلك فى قوله تعالى :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ • لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا

---

(١) سورة النساء ٥١ — ٥٢ .
(٢) كتاب فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى نشر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد .
(٣) المرجع السابق وكذلك موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية السيرة النبوية العطرة للدكتور احمد شلبى وكتاب نهاية الارب فى فنون الأدب — الجزء السابع عشر لشهاب الدين احمد النويرى .
(٤) سورة الحشر ٢ — ٣ .

﴿ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (١) .

اليهود يقومون بتأليب قبائل العرب مجتمعة على حرب المسلمين :

كان لغلبة المسلمين على المشركين وطردهم ليهود بنى قينقاع ويهود بنى النضير من المدينة أثر بالغ على باقى قبائل اليهود مما دفع نفرا من زعمائهم الى الكيد للمسلمين وتأليب قبائل العرب عليهم فذهب وفد منهم على رأسه حيى بن أخطب اليهودى الى قريش بمكة يستنفرونهم لحرب رسول الله — ﷺ — ثم توجه ذلك الوفد الى أعراب غطفان يؤلبون على حرب المسلمين ونتيجة لسعاية أولئك اليهود الدنيئة أقبلت جموع غفيرة من تلك القبائل وقد أربى عددها على عشرة آلاف مقاتل بغية استئصال المسلمين والقضاء عليهم .

فرأى رسول الله ﷺ أن أنجع وسيلة لصدهم هو حفر خندق حول المدينة وكان ذلك بعد مشورة من الصحابى النابه سلمان الفارسى رضى الله عنه .

وشارك صلوات الله وسلامه عليه صحابته فى العمل فيه رغم ما كانوا يعانونه من برد الشتاء وضائقة فى الأقوات فصمدوا لجيوش العرب حتى انكشفت عنهم تلك الغمة ورجع الاحزاب أدراجهم تجرجر أذيال الخيبة والهزيمة لانهم عجزوا عن اقتحام الخندق وخشوا ان طال حصارهم للمدينة أن تفاجئهم ريح عاصف أو سيل جارف فلا تجديهم خيامهم التى نصبوها قريبا من الخندق فتيلا (٢) وفى ذلك أشار القرآن الكريم الى تلك الغزوة بقوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا . مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا . لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (٣) .

يهود بنى قريظة ينقضون معاهدتهم مع المسلمين خلال غزوة الاحزاب :

كان بين المسلمين وبين يهود بنى قريظة عهد ألا يعينوا على المسلمين خصما واستمروا فى وفائهم لذلك العهد حتى بعد مرابطة الاحزاب حول المدينة لكن لسوء طالعهم جاءهم حيى بن أخطب ذلك اليهودى الحاقد على الاسلام والمسلمين والذى أفلح فى تأليب قبائل العرب على المسلمين ، ومازال بنى قريظة يشجعهم ويزين لهم نقض عهدهم مع المسلمين حتى مزقوه وأعلنوا انضمامهم الى أحزاب

---

(١) سورة الحشر ١١ — ١٢ .

(٢) كتاب سيرة الرسول للدكتور محمد الطيب النجار مدير جامعة الأزهر السابق مكتبة الجامعة الازهرية .

(٣) سورة الاحزاب ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

المشركين وتأكد ذلك لسعد بن معاذ زعيم قبيلة الاوس من الانصار عندما جاءهم يستوثق من وفائهم فتبين له غدرهم مما أثار القلق فى نفوس المسلمين الا أن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو الواثق بربه راح يثبتهم ويبشرهم بالنصر وانفراج تلك الغمة ويعلمهم من الدعاء ما يقوى به عزائمهم ، فعندما سألوه هل من شىء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال : (نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا) (١) .

ولما انفضت حشود الأحزاب من حول المدينة أصبح أولئك اليهود من بنى قريظة أشبه بالمجرم الذى ثبتت ادانته يرقب بوجه كالح قصاص العدالة فيه ، لذلك فان المسلمين لما أمرهم الرسول ـ ﷺ ـ بغزوهم احتشدوا سريعا حول حصونهم وحاصروهم خمسا وعشرين ليلة حتى أوشكت على السقوط وعندئذ رأوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ زعيم قبيلة الأوس من الانصار والسابق الاشارة اليه وقد كان حليفا لهم فى الجاهلية فرأى أن يقتل رجالهم وتسبى ذراريهم وتقسم اموالهم وأقر النبى ﷺ حكمه وتم تنفيذه فيهم جزاء خيانتهم وغدرهم (٢) .

يهود خيبر يعيدون الكرة فيتصلون بقبائل غطفان فى محاولة منهم لحرب المسلمين :

ما أن عاد المسلمون من غزوة الحديبية آخر السنة السادسة للهجرة حتى تكشف لهم ما بيت يهود خيبر من تواطؤ مع قبائل غطفان فتوجهوا سريعا فى المحرم من السنة السابقة الى خيبر لكسر شوكة اولئك اليهود وقبل ان ينضم اليهم أعراب غطفان فاحتمى أولئك اليهود بحصونهم المشيدة لكن المسلمين شنوا عليها هجماتهم فبدأت تتداعى تحت وطأتهم حصنا بعد حصن ولما أيقن اليهود بالهلكة ولم يروا محيصا من الاستسلام نزل كبيرهم وكان يدعى ابن أبى الحقيق وعرض الصلح على أن يجلوا من أرض خيبر ولهم ما حملت ركابهم وللمسلمين سائر ما بقى على ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئا (٣) .

ثم جاء باقى يهود خيبر تعرض على رسول الله ـ ﷺ أن يعاملهم بالنصف فى زراعة الأرض فوافقتهم الا أنه لم يجعل ذلك على الابد خشية عبثهم بل قال لهم : (أن شئنا أن نخرجكم أخرجناكم) (٤) .

ولما ثبتت قبلهم بعض الجرائم فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخرجهم هم ويهود المناطق الأخرى وأجلاهم عنها بعد

---

(١) حديث حسن أخرجه الامام أحمد وابن أبى حاتم فى تفسيره من حديث أبى سعيد الخدرى .
(٢) كتاب سيرة الرسول للدكتور محمد الطيب النجار مدير جامعة الازهر السابق .
(٣) عن موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية السيرة النبوية العطرة للدكتور احمد شلبى .
(٤) كتاب فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى .

ن دفع لهم قيمة نصيبهم من الثمر (١) .

وقد أشار القرآن الكريم الى هـــذا الجزاء العادل على أولئك اليهود نتيجة غدرهم وسوء طويتهم فى قوله تبارك وتعالى :

(وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا . وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) (٢) .

ماذا كان من يهود وادى القرى وفدك وتيماء :

دعا رسول الله ﷺ يهود وادى القرى الى الاسلام وأخبرهم أنهم ان أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله فلما رفضوا نشبت بينهم وبين المسلمين معركة محدودة انتهت بانكسار اليهود وسقوط الوادى عنوة فى يد المسلمين وتركهم المسلمون يعملون فى الأرض على نظام خيبر أى على نصف الثمر ونصف الارض وأما يهود فدك فانهم سارعوا يطلبون الأمان كما استسلم للمسلمين يهود تيماء فتركهم المسلمون على نظام خيبر السابق الاشارة اليه (٣) .

وهكذا انتهى تاريخ اليهود بطردهم من جزيرة العرب جزاء حقدهم على المسلمين وتظاهرهم مع الوثنية ضد الاسلام .

الأسباب التى دفعت اليهود الى معاداة الاسلام والمسلمين :

من المقطوع به أن اليهود كانوا على يقين بأن الله سيبعث فى آخر الزمان نبيا يقيم الله به الدين الصحيح — والعقيدة السليمة ، هذا النبى هو محمد — ﷺ — الذى بشرت به التوراة وحددت صفاته ومكان مبعثه فعن عطاء ابن يسار أنه قال (لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة فقال أجل والله انه الموصوف فى التوارة ببعض صفته فى القرآن) : (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وحرزا للأميين ، أنت عبدى ، ورسولى ، سميتك المتوكل ليس بفظ ، ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ، لن يقبضه الله

---

(١) عن موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية السيرة النبوية العطرة للدكتور احمد شلبى وكذلك كتاب الاموال لابى عبيد القاسم ابن سلام .

(٢) سورة الاحزاب ٢٦ — ٢٧ .

(٣) عن موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية — السيرة النبوية العطرة للدكتور احمد شلبى .

حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله الا الله ، ويفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما وقلوبا غلفا) [(١)] .

لقد كان اليهود يطمعون أن يكون هذا النبى الذى بشرت به التوراة من بينهم وكان بينهم وبين الأوس والخزرج فى الجاهلية صراع دائم فاذا ما خذلوا أمام عدوهم استفتحوا عليهم بهذا النبى الذى قرب وقت مبعثه ، ولما تعرض رسول الله ـ ﷺ ـ فى موسم الحج لنفر من أهل المدينة وكانوا من قبيلة الخزرج ودعاهم الى الاسلام ومعاونته فى تبليغ رسالة ربه قال بعضهم لبعض انه : للنبى الذى كانت تعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فآمنوا به وصدقوه .

أما أهل الكتاب من اليهود فقد كفروا به وهم على يقين برسالته حسدا من عند أنفسهم لأنه خرج من العرب أبناء اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ولم يخرج منهم وهم كما يقولون ذرية يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام .

وتحدثنا كتب التاريخ والسيرة النبوية أن الصحابى الجليل معاذ بن جبل وقد كان من أنصار المدينة قال لليهود : (يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقالوا : ما جاءنا بشىء نعرفه وما هو بالذى كنا نذكره لكم) [(٢)] وفى هذا يقول الله تعالى :

(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ • بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ) [(٣)] .

ولقد زاد حقد اليهود حينما رأوا الاسلام ينمو نموا واسعا فى أقصر مدة عرفها تاريخ الأنبياء ، فاليهود يعرفون كيف تعثرت اليهودية

(١) صحيح البخارى .

(٢) موقف اليهود من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بحث للدكتور محمد حسين الذهبى ضمن كتاب محمد طبع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ربيع الاول سنة ١٣٩٤ هـ .

(٣) سورة البقرة ٨٩ ـ ٩٠ .

وجمدت على من يزعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام ، وكيف حوربت النصرانية حتى فقدت

رجالها الاول وعلى راسهم المسيح عليه السلام كما فقدت كتابها المقدس وهو انجيل المسيح فى زحمة الاضطهادات التى وقعت عليها (١) .

ولكن الاسلام كان شيئا غير ذلك فكتابه قرآن محفوظ ضمن الله صيانته وحفظه أبد الدهر الى يوم القيامة قال الله تعالى :

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٢) .

وانتصار صاحب الرسالة محمد — ﷺ — بدأ يتحقق فى حياته وبعد سنين قليلة من بدء

دعوته وبخاصة عندما تمت الهجرة الى المدينة فانطلق الاسلام شرقا وغربا وشمالا وجنوبا

يقرع أسماع القبائل وظهر الطريق ممهدا للنجاح الكامل فدانت لسلطان الاسلام جزيرة العرب بأكملها ودخل أهلها فى دين الله أفواجا وما كان ذلك الا مقدمة للزحف السريع لدعوة

الاسلام فى رحاب العالم الواسعة فاعتنقت الأمم والشعوب عقيدته وهذا ما تم فى عهد الخلفاء الراشدين من بعده (٣) .

وبعد :

فهكذا كان موقف اليهود المكابرة والعناد والخصام والحرب من الاسلام ونبى الاسلام — صلى الله عليه وسلم — (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (٤) .

(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٥) .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

---

(١) كتاب مقارنة الاديان — النصرانية — تاليف الدكتور احمد شلبى .
(٢) سورة الحجر ٩ .
(٣) عن موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية — السيرة النبوية العطرة للدكتور احمد شلبى .
(٤) سورة التوبة ٣٢ .
(٥) سورة يوسف ٢١ .

دراسة مفتوحة

حول رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة

كتب الأستاذ « حربى على عبد الكريم الجندى » الى المجلة بعنوان « لا يرى النبى ـ صلى الله عليه وسلم » فى اليقظة .

وانطلاقا من النفى الذى صدر به المقال كتب يقول :

•• « ان هذه المسألة من بدع علم الكلام التى لم يتكلم بها الصدر الأول من الأمة ، ولا من بعدهم من أعلام الأئمة ، ولا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد ، ولا يتعلق بها أمر من الأمور الدينية » .

نقول : هذا القول من السيد « الجندى ـ مذهب معروف فى الصد عن دراسة ما يجد من شئون على المسلمين ، وهو من جانب الدين غير صحيح ، والدين منه براء ، فليس اقحام السلف ـ رضوان الله عليهم ـ لمنع الدراسة مما يقره السلف رضوان الله عليهم ، ثم ان كثيرا من الأئمة الكبار تناولوا المسألة وكتبوا فيها (١) .

وكم من مسألة جدت ما كانت على عهد السلف الأول فتناولها العلماء يحلون حلالها ويحرمون حرامها والا فلم كان الاجتهاد ؟! .

أليس يتجه الى أمور جديدة تحل على المسلمين ويريدون بشأنها كلمة الدين ؟! .

ألم يأن الأوان لمواجهة الأمور مواجهة علمية دون اللجوء الى هذا الأسلوب ؟ .

ثم أورد سيادته خبرا يقول :

« أنا فى قبرى حى طرى ، من سلم على سلمت عليه » .

وأخذ فى مناقشة هذا الخبر ، والله أعلم به ، غير أن الذين كتبوا بمجلة الأزهر فى موضوع « أيرى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقظة » لم يعتمدوا على هذا الخبر ، وانما اعتمدوا على حديث صحيح أورده الامام البخارى والامام مسلم والامام

---

(١) راجع المقالات بمجلة الازهر للشيخ سليمان امام الصغير بعدد رمضان ١٤٠٤ ص ١٤٢٩ وفى عدد ذى القعدة ١٤٠٤ ص ١٨٦٠ وفى عدد ذى الحجة ١٤٠٤ ص ٢٠٢٨ !

إعداد
التحرير بالمجلة

أبو داود ـ يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى » صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

ثم خرج عن « الموضوع » ـ كما هى العادة ـ ليناقش موضوع زيارة مقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ثم قال ـ متفقا ـ مع الباحثين السابقين فى كونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيا حياة برزخية ـ وان اختلف معهم فى موضوع الرؤية فى اليقظة ... قال :

فرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد موته حى ، أكمل حياة يحياها انسان فى البرزخ ، ولكنها حياة خاصة لا تشبه حياة الدنيا ، ولعل مما يشير الى ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

ما من أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام . رواه أبو داود عن أبى هريرة واسناده حسن وهو مخرج فى الأحاديث الصحيحة ـ ٢٢٦٦ (١).

وعلى كل حال فان حقيقتها لا يدريها الا الله سبحانه وتعالى ، ولذلك فلا يجوز قياس الحياة البرزخية أو الحياة الأخروية على الحياة الدنيا ، كما لا يجوز أن تعطى واحدة منها أحكام الأخرى ، بل لكل منها شكل خاص وحكم معين ، ولا تتشابه الا فى الاسم ، أما الحقيقة فلا يعلمها الا الله تبارك وتعالى .

فأما بشأن موضوع الرؤية فى اليقظة ، وهو ما ينكره الكاتب فقد قال فيه الامام السيوطى فيما أورده الامام الشنقيطى ـ قال .

وممن حقق الصواب فى هذا المقام الجلال السيوطى وألف فيه رسالة سماها (تنوير الحلك فى امكان رؤية النبى والملك أطال فيها بذكر الأدلة والوقائع التى وقعت لأكابر السلف من ذلك .. وقال فى آخر الرسالة : فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم حى بجسده

وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء فى أقطار الأرض وفى الملكوت وهو بهيئته التى كان عليها قبل وفاته ولم يتبدل منه شىء وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم . فاذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد اكرامه برؤيته رآه على

---

(١) التوسل للالبانى .

ذراسة مفتوحة

هيئته التى هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعى الىالتخصيص برؤية المثال .. ثم قال : وهذا هو الحق عند العلامة المحقق شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمى .

واليك ما اختاره فى ذلك فى فتاويه الحديثية بلفظه قال جامعها — وسئل — نفع الله به — هل يمكن رؤية النبى — صلى الله عليه وسلم فى اليقظة ؟ فأجاب بقوله : أنكر ذلك جماعة وجوزه آخرون وهو الحق فقد أخبر بذلك من ولايتهم من الصالحين بل استدل بحديث البخارى (من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة) أى بعينى رأسه — وقيل بعين قلبه واحتمال ارادة القيامة بعيد من لفظ (اليقظة) على أنه لا فائدة فى التقييد حينئذ لأن أمته كلهم يرونه يوم القيامة من رآه فى المنام ومن لم يره فى المنام .

ويقول الشنقيطى : اذا علمت ما قررناه من امكان رؤيته — صلى الله عليه وسلم — فى اليقظة كرامة لبعض خواص أكابرّ الأولياء . اذ لم يرد شىء صحيح من الأدلة يناف ذلك بل ظواهر الأحاديث تدل على جوازه ولا تمنع وقوعه كما تقدمت الاشارة اليه من كلام ابن حجر الهيثمى وغيره — فاعلم أن فائدة حصول ذلك انما تعود غالبا على الرائى فقط . ولا يجوز أن يثبت بها حكم شرعى كائنا ما كان ندبا كان أو غيره من سائر الأحكام الشرعية كما تعطيه قواعد الشرع المعلومة .. آ هـ زاد المسلم جـ ٣ ص ١٧٨ الى ص ١٩٠ .

وأمام النص الشريف : « فسيرانى فى اليقظة » .

يقول السيد « الجندى » :

وقال ابن أبو جمرة فى تعليقه على الأحاديث التى انتقاها من صحيح البخارى : هذا الحديث يدل على أنه ، من رآه — صلى الله عليه وسلم — فى النوم فسيراه فى اليقظة ، وهل هنا على عمومه فى حياته وبعد مماته ، أو هذا كان فى حياته ؟

وهل ذلك لكل من رآه مطلقا أو خاص بمن فيه الأهلية والاتباع لسنته عليه الصلاة والسلام ؟

ثم قال : اللفظ يعطى العموم ومن يدعى الخصوص فيه بغير مخصص منه — صلى الله عليه وسلم — فمتعسف آهـ كلام ابن أبى جمرة من الحاوى للسيوطى جـ ٢ .

فنقول : لقد ثبت التخصص فان قوله ﷺ خاص بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه ، وان النبى ﷺ قال ذلك لأصحابه رضى الله عنهم ، لمن آمن به فى حياته ولم يره » .

وما ساقه دليلا على قوله لاحجة له فيه ، ثم هو مخصص بحال واحدة ، والحديث الشريف عام ، قال السيد « الجندى » :

ومما يؤيد هذا التخصص ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم بن كليب :

حدثنى أبى قال : قلت لابن عباس رضى الله عنهم رأيت النبى — صلى الله عليه وسلم — فى المنام • قال : صفه لى ، قال ذكرت الحسن بن على فشبهته به • قال : قد رأيته وسنده جيد •

وواضح من الحديث أن والد عاصم — وهو كليب بن شهاب — رأى رسول الله — فى منامه فهل يعتبر تشبيهه — رسول الله ﷺ بالحسن بن على — رضى الله عنهما — رؤية لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى اليقظة حتى يمكنه اعتبار ذلك تخصصا بالصحابة ؟ !!

ثم ليس من البحث العلمى استخدام أسلوب السب فيما نقله السيد الجندى حين كتب « ومن زعم من جهلة الصوفية ••• الخ

فان القارىء يستطيع أن يعود الى أعداد مجلة الأزهر ليرى أكثر من عالم من كبار الأئمة قال بالرؤية فى اليقظة ونبرأ الى الله أن نقول عن أحدهم : أنه جاهل ، أو أن نرميه بوصف باطل •

ثم بعد :

فليس من باب البحث العلمى الاقتصار على عالم بعينه أو عالمين فى مجال البحث العلمى ، فالعلم ميدان •

أهله وخبراؤه كثير وليس وقفا على عالم بعينه أو عالمين •

نسأل الله السلامة

اعداد التحرير بالمجلة

لا : بل يرى النبى صلى الله عليه وسلم

يقظة بعد وفاته

أقول : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما روى البخارى ومسلم وأبو داود .

(من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى) .

كلمات هذا الحديث تدل بوضوح ودون لبس أو صرف لمعانيها الحقيقية على أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يرى بعد وفاته وأن رؤيته يقظة ممكنة وليست مستحيلة يراه من هم أهل لذلك دون غيرهم كما بين ذلك بقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى) أى أثناء الرؤية فى الدنيا .

ولكن الذين استعصت عليهم الرؤيا مناما يرون أن الرؤيا لا تكون يقظة فى الدنيا لهم ولغيرهم . وأنها فى الآخرة فقط .

وأدلتهم على ذلك أنهم بشر وأن الذين يقولون انا نرى النبى ــ صلى الله عليه وسلم مناما ويقظة هم أيضا من جملة البشر ،

ولا فضل لأحد ممن يدعون أنهم يرون النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أحد ممن لم يروه ، وقاسوا التقى بالغوى والصديق بالزنديق ، وأخذوا بأول الحديث (من رآنى فى المنام) وتركوا آخره (فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى) فصار الحديث على رأيهم ــ باعتبار أوله دون آخره ــ (من رآنى فى المنام) لا يفيد معنى يحسن السكوت عليه لأنك ان جعلت أول الحديث من قبيل المبتدأ فلابد للمبتدأ من خبر ولا خبر فى الكلام تتم به الفائدة .

وان جعلت أوله من قبيل الشرط والجزاء فقد وجد الشرط دون الجزاء وصار الكلام غير مفيد كذلك .

وان جعلت عجز الحديث متمما لأوله ليفيد فائدة يحسن السكوت عليها لئلا يكون الكلام لغو أفاد الحديث جواز رؤيته ــ ــ صلى الله عليه وسلم يقظة بعد وفاته لأن

لفضيلة الشيخ
سليمان إمام الصغير

رؤيته — صلى الله عليه وسلم — يقظة مترتبة على رؤيته مناما ، وبذلك يسلم لنا دليلنا .

والحديث الشريف موضع البحث والاستدلال يوضح أن رؤية اليقظة انما هي في الدنيا ، وأن الدنيا وقتها ومكانها الذى يستطيع الشيطان أن يلعب فيه لعبته ويقوم فيه بوظيفته فيتمثل بصورة من يستطيع أن يتمثل بصورته ، أما في الآخرة فانه لا حول له فيها ولا طول وهو فيها سجين ومسئول مقهور ولا قدرة له على التمثيل بشيء ما .

والموقف في الآخرة موقف جزاء وليس موقف اغراء وابتلاء وقصر رؤيته يقظة — صلى الله عليه وسلم — على الآخرة لا معنى له فكل الناس يرونه هناك لا فرق بين مؤمن وكافر ولا بين من رأوه في الدنيا ، ومن لم يروه من أمته ومن غير أمته .

قال تعالى (**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**) . ١٤٣ من سورة البقرة .

وقال تعالى (**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا**) ٤١ من سورة النساء .

والقول بأن رؤيته — صلى الله عليه وسلم يقظة لاتكون الا في الآخرة لا يصار اليه الا بدليل قطعي من الكتاب والسنة ، ولا دليل على ذلك من الكتاب والسنة .

وتخصيص رؤية اليقظة بالآخرة يأباها متن الحديث (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي) فانه لا تخصيص فيه بجعل الرؤيا في الآخرة فقط .

وليس في نصوص السنة ما يساعد على تخصيص رؤية اليقظة بالآخرة دون سواها .

وبذلك يظل الحديث على اطلاقه من حيث أنه — صلى الله عليه وسلم — يراه يقظة بعد

وفاته من هم أهل لرؤيته ممن شـاء الله لهم ذلك دون غيرهم ، وقد ذكرت فيما كتبته فيما مضى أقوال السابقين وبينت ما رأيته صـوابا حسب مطالعاتى واستقرائى لأحـوال بعض من رأوه ــ صلى الله عليه وسلم ــ منـاما ويقظة ممن صانوا أنفسهم عن حب الظهـور وعن لغو الحديث ومن رأوه ــ صلى الله عليه وسلم ــ حجة على من لم يروه ومن تعلمـوا وعلموا وتذوقوا طعم العلم حجة على من لم يعلم ولم يتذوقوا للعلم طعما .

قال تعالى (**فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**) ٦٤ ، ٦٥ من سـورة الكهف .

فهل عدم علم موسى عليه السلام ابتـداء بما كان لدى الخضر على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسـلام من علم آتاه الله ايـاه ينفى ما أجراه الله على يد الخضر عليه السلام من أمر السفينة والغلام والجدار ومن قـوله لموسى عليه السـلام ابتداء (**إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**) ٦٧ من سورة الكهف .

ليس عدم العلم بشىء ما ــ ماضيا كـان أو مستقبلا ــ ينفى وجوده فى ذاته فعـدم رؤية أناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى يقظة ــ لا يدل على أن غيرهم لم يروه أو أنه لا يرى .

قال تعالى (**فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**) ١٠ من سورة الطلاق .

والله الموفق للصـواب واليه المـرجع والمآب (١) .

سليمان امام الصفير

(١) وبعد : فان مجلة الازهر لاتزال ترحب بمن يتناول هذا الحديث الشريف تناولا موضوعيا .

ولكن مع التقدم العلمي في كيمياء الدواء لم تعد حاجة ملحة للتداوي بالمواد المخدرة المحرمة شرعا لوجود البديل الكيمائي المباح .

حكم المجالسة للمدمنين

*** ما هو حكم الشخص الذي يرتاد أماكن تعاطي المخدرات بأنواعها ، رغم أنه لا يجاري المدمنين في التعاطي ؟**

وقال الامام الأكبر :

ــ كرم الله الانسان ونأى به عن مواطن الريب والمهانة وامتدح عباده الذين تجنبوا مجالس اللهو واللغو ، فقال سبحانه : (**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**) ، وفي الحديث عن الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه : « استماع الملاهي معصية والجلوس عليها فسق » .

وروى أبو داود في سننه عن ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ قوله : (نهى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر) .

والمستفاد من هذه النصوص أنه يحرم مجالسة مقترفي المعاصي أيا كان نوعها ، لأن في مجالستهم اهدارا لحرمات الله ، ولأن من يجلس مع العصاة الذين يرتكبون المنكرات يتخلق بأخلاقهم السيئة ويعتاد ما يفعلون من مآثم كشرب المسكرات والمخدرات ، كما يجرى على لسانه ما يتناقلونه من ساقط القول ، ومن أجل البعد بالمسلم عن الدنايا وعن ارتكاب الخطايا كان ارشاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) للمسلمين في اختيار المجالس والجليس في قوله (انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك اما أن يحذيك (يعطيك) ، واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحا خبيثة) .

وفي هذا الحديث الشريف دعوة الى مجالسة الصالحين واهل الخير والمروءة ومكارم الاخلاق والورع والعلم ، وفيه النهي عن مجالسة أهل الشر والبدع والفجار الذين يجاهرون بارتكاب المنكرات وشرب المسكرات والمخدرات ، لأن القرين ينسب الى قرينه وجليسه ويرتفع به وينحدر وتهبط كرامته بدناءة من يجالسهم .

لهذا فانني أدعو المسلمين وبالذات الشباب منهم الى الابتعاد عن مجالس السوء وتعاطي المخدرات .

من علوم القرآن الكريم

الإعجاز

(٧)

للدكتور أحمد ابراهيم مهنا

ذكرنا – فيما سبق – أن القرآن الكريم لخص حياة الانسان فى هذه الدنيا فى آيات ثلاث هى قول الله تبارك وتعالى :

« هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا » .

« إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » (١).

وقد أتبع ذلك بتلخيص حياته فى الآخرة – تبعا لشكره أو كفره – فى قول الله سبحانه :

« إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا . إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا » (٢) .

ولقد قضت رحمة الله ألا يحرم انسانا خلقه من رزقه فى هذه الدنيا كما قضت حكمته الا يكره الناس على الايمان به ، ولو شاء لفعل ، وصدق سبحانه فى قوله للرسول – صلوات الله وسلامه عليه – :

« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » (٣) .

---

(١) سورة الانسان : الآيات ١ – ٣ .
(٢) سورة الانسان : الآيتان ٤ ، ٥
(٣) سورة يونس : الآية ٩٩ .

وهذا منتهى العدل ، فقد قال فى كتابه :

« إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ » (١) .

وقال :

« تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ » (٢) .

والابتلاء يستلزم الاختيار وحرية الارادة ، ومن هنا كانت ارادة الانسان أساسا لعطاء الله له ، يقول جل شأنه :

« مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ » (٣) .

وغنى عن البيان أن ارادة الانسان تبدأ بتكليفه وتنتهى بموته ، وبالموت تنتهى دنياه ويطوى سجل أعماله ، وتبعا لما سجل له يكون مآله فى الآخرة .

والآخرة — فى اصطلاح القرآن الكريم — تقابل الدنيا :

ففى الدنيا عمل ولا حساب ، وفى الآخرة حساب ولا عمل .

والدنيا فانية وكل ما فيها هالك ، والآخرة باقية دائمة فاما نعيم دائم واما عذاب مقيم .

وقد عنى القرآن ببيان حقيقة الدنيا حتى لا يغتر الانسان بزخرفها ، نقرأ من ذلك قول الله سبحانه :

« إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (٤) .

وقوله جل شأنه :

« وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا » (٥) .

---

(١) سورة الانسان : الاية ٢ .
(٢) سورة الملك : الآيتان ١ ، ٢ .
(٣) سورة الشورى : الآية ٢٠ .
(٤) سورة يونس : الآية ٢٤ .
(٥) سورة الكهف : الآية ٤٥

وكما عنى ببيان حقيقتها ، عنى بالمقارنة بينها وبين الآخرة فى قول الله عز وجل :

« وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ »(١)

يقول الامام ابن كثير فى تفسير هذه الآية :

« يقول الله تعالى مخبرا عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها وأنها لا دوام لها ، وغاية ما فيها لهو ولعب ، وان الدار الآخرة الحياة الدائمة الحق الذى لا زوال له ولا انقضاء بل مستمرة أبد الآباد » . أهـ .

ويبين الله فى كتابه أن الحياة الدائمة التى لا زوال لها ولا انقضاء ليست من لون واحد ، لأنها حصاد ما قدم الناس فى دنياهم ، وليسوا سواء ، فمنهم من أحسن ومنهم من أساء ، يقول سبحانه :

« اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ » (٢) .

والقرآن لا ينسب الآخرة الى من خسرها ولا يضيفها اليه ، وانما هى لمن عمل لها واستحق ثواب الله فيها ، يقول الحق سبحانه :

« تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » (٣) .

ويقول : « ... وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ » (٤) .

وبالرغم من أن ظاهرة الموت حقيقة لا يحوم حولها شك ، فان تعلق الانسان بالدنيا ورغبته فى التمتع بما فيها تنسيه ذلك ، ومن هنا كان تنبيه القرآن له فى قول الله تعالى :

« كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ »وقد تكرر ذلك فى أكثر من موضع (٥) .

وكان تأكيده على ذلك بعد أن ذكر تطور الانسان فى بطن أمه وخروجه الى الحياة — فى قوله جل شأنه :

« ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ » (٦) .

وفى خطابه للرسول صلوات الله وسلامه

(١) سورة العنكبوت : الآية ٦٤ .
(٢) سورة الحديد : الآية ٢٠ .
(٣) سورة القصص : الآية ٨٣ .
(٤) سورة الزخرف : الآية ٣٥ .
(٥) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ سورة الأنبياء : الآية ٣٥ سورة العنكبوت : الآية ٥٧
(٦)) سورة المؤمنون : الآية ١٥ .

عليه فى قوله عز وجل : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ » (١) .

وقوله :

« وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ . كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ .. » (٢)

وكان تحذيره من أن يسرح بالانسان خياله فيظن أنه يستطيع الفرار من الموت وذلك فى قول الله سبحانه :

« أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ... » (٣) .

والموت سر من أسرار الله ، فليس هناك مخلوق يعلم — عن نفسه أو عن غيره — متى يموت أو كيف يموت أو أين يموت ، وصدق الله فى قوله :

« وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ... » (٤) .

وفى قوله :

« ... وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ... » (٥) .

وبموت الانسان ينقطع عمله وتنتهى فترة ابتلائه ، وبانتهاء دنياه تبدأ آخرته فقد ورد أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم قال : « من مات فقد قامت قيامته » .

وقد يظن البعض أن الفترات الزمنية بين موت الانسان ويوم الجزاء وقت طويل ؛ فقد يكون ذلك فى حسابنا وتبعا لمقاييسنا فى الدنيا ، أما بعد الموت فالأمر مختلف ويوضح هذ قول الله تبارك وتعالى :

« وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ... » (٦) .

وقوله جل شأنه حكاية عن أصحاب الكهف عندما بعثهم :

« قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ... » (٧) .

مع أنهم :

« لَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا » (٨) .

والايمان باليوم الآخر عنصر من عناصر الايمان المطلوب فى الدنيا والمقبول عند الله ؛ ومن دراسة القرآن الكريم نستطيع أن نقول :

ان الايمان باليوم الآخر صنو للايمان بالله سبحانه وتعالى ، فلا نكاد نقرأ آية يذكر فيها الايمان بالله نفيا أو اثباتا الا ونجد الايمان باليوم الآخر مقرونا به ؛

---

(١) سورة الزمر : الآية ٣٠ .
(٢) سورة الأنبياء : الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .
(٣) سورة النساء : الآية ٧٨ .
(٤) سورة آل عمران : الآية ١٤٥ .
(٥) سورة لقمان : الآية ٣٤ .
(٦) الروم : الآية ٥٥ .
(٧) سورة الكهف : الآية ١٩ .
(٨) سورة الكهف : الآية ٢٥ .

اقرأ ــ إن شئت ــ قول الحق تبارك وتعالى :

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ » (١) .

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا ... » (٢) .

« .. وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .. » (٣) .

« ... ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... » (٤) .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... » (٥) .

« وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ... » (٦) .

« وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ... » (٧) .

« ... فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... » (٨) .

« إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ... » (٩) .

« أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... » (٣) .

« قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ... » (٤) .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٨ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٦٢ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٢٣٢ .
(٥) سورة البقرة : الآية ٢٦٤ .
(٦) سورة النساء : الآية ٣٨ .
(٧) سورة النساء : الآية ٣٩ .
(٨) سورة النساء : الآية ٥٩ .
(٩) سورة التوبة : الآية ١٨
(١٠) سورة التوبة : الآية ١٩ .
١١ سورة التوبة : الآية ٢٩ .

« لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ .. (١)

« إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ... » (٢) .

« الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... (٣)

« لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... » (٤) .

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ .. » (٥) .

والنظر الفاحص يزيد صاحبه يقينا بأن الايمان باليوم الآخر لا يفترق عن الايمان بالله ، لأنه يؤكد حكمته ، وانه لم يخلقنا عبثا ، وأن عدله لابد أن يتحقق ، وقد أراد سبحانه ألا يكون فى الدنيا حساب ، ووضح هذا فى أكثر من آية فى القرآن الكريم ، يقول سبحانه :

« أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ » (٦) .

ويقول :

« وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ . أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ » (٧) .

ويقول جل شأنه :

« أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ .

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (٨) .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٤٤ .
(٢) سورة التوبة : الآية ٤٥ .
(٤) سورة النور : الآية ٢ .
(٥) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .
(٦) سورة الأحزاب : الآية ٢١ .
(٧) سورة المؤمنون : الآيتان ١١٥ ، ١١٦ .
(٨) سورة ص : الايتان ٢٧ ، ٢٨ .
(٩) سورة الجاثية : الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

ويقول عز وجل : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين • مالكم كيف تحكمون » (١) •

هذه التفرقة بين المتقين والفجار ــ وهى لا تكون الا بعد الموت ــ تستلزم المبعث والاعادة الى الحياة ، وهذه قضية ضل بسببها كثير من الناس اذ أنكروا ذلك ورأوه شيئا بعيدا عن أن يتحقق ، وحكى القرآن قولهم •

« أ إذا كنا عظاما ورفاتا أ إنا لمبعوثون خلقا جديدا » (٢) •

وقولهم :

« أ إذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد » (٣)

وقولهم :

« أ إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أ إنا لمبعوثون. أو آباؤنا الأولون !!! » (٤) •

وكما حكى القرآن قولهم رد عليهم وناقشهم ولفت النظر الى أن الذى خلق بدءا لا يعجزه أن يعيد ما خلق لأن الاعادة أهون من البدء يقول سبحانه :

« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » (٥) •

وعندما جاء أحدهم بعظم رم وفتته بين أصابعه وقال لرسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه : هل يعيد ربك هذا • نزل الوحى بقوله تعالى :

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم • قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » (٦) •

وردا على هؤلاء الذين قالوا :

« أ إذا كنا عظاما ورفاتا أ إنا لمبعوثون خلقا جديدا » •

أوحى الله الى رسوله بقوله :

« قل كونوا حجارة أو حديدا • أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة ... » (٧) •

وتعجبا من هؤلاء الذين يستبعدون البعث واحياء الموتى على من خلق العالم كله سمواته وأرضه نقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

---

(١) سورة القلم : الآيتان ٣٥ ، ٣٦ •
(٢) سورة الاسراء : الآية ٤٩ •
(٣) سورة ق : الآية ٣ •
(٤) سورة الصافات : الآيتان ١٦ ، ١٧ •
(٥) سورة الروم : الآية ٢٧ •
(٦) سورة يس : الآيتان ٧٨ ، ٧٩ •
(٧) سورة الاسراء : الآيات ٤٩ ــ ٥١ •

« أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِىَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (١) .

وزيادة فى ايضاح القضية ينبه القرآن على أن احياء الموتى لا ينبغى أن يكون غريبا على من يرى الأرض الميتة يحييها الله فتهتز وتربو وتعطيه مما تنبت ما يقيم به حياته ، نقرأ فى ذلك قول الله جل شأنه :

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِى الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (٢) .

وقوله سبحانه :

« وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ » (٣) .

ورحمة من الله بعباده وضع أمامهم حقيقة ما ينتظرهم من هول ليحصنوا أنفسهم قبل أن يفاجئهم فيقول عز وجل :

« يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ » (٤) ..

ثم يناديهم جميعا ويقيم لهم الدليل على أن بعثهم حقيقة لا مراء فيها ، وما ينبغى أن يكونوا فى ريب من ذلك ، ويعدد لهم مظاهر قدرته فى أنفسهم وفى الأرض التى يعيشون عليها ، وكلها تؤكد ما أنذرهم به ، يقول سبحانه :

« يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ .

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِى الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى الْقُبُورِ » (٥) .

الحديث موصول ..

---

(١) سورة الأحقاف : الآية ٣٣ .
(٢) سورة فصلت : الآية ٣٩ .
(٣) سورة يس : الآية ٣٣ .
(٤) سورة الحج : الآيتان ١ ، ٢ .
(٥) سورة الحج : الآيات ٧،٥ .

الإسلام والمسلمون في الصين

كيف وصل الإسلام إلى الصين؟

للدكتور عبد الودود شلبي

٢

هناك مئات الكتب والمراجع التى كتبها رحالة ومؤرخون ، ورجال دين غير مسلمين حول هذا الموضوع .

وهناك سفراء ودبلوماسيون وقادة وفاتحون قدر لهم السفر الى الصين فى فترات متقطعة منذ عدة قرون ، وبالطبع فانه من المستحيل أن نلم بكل هذه الكتب والمراجع لنرى ماذا كتب فيها عن انتشار الاسلام والمسلمين فى الصين.

وقد أغنانا عن هـــذه المراجعة والتحقيق المرحوم « شكيب أرسلان » فى بحوثـــه وتعليقاته على كتاب «حاضر العالم الاسلامى» الذى كتبــه المستشرق الامــريكى « لوثروب ستودارد » LOTHROP STTODDARI

كما أن المستشرق البريطانى السير توماس أرنولد THOMAS ARMLOD . غطى ـــ فى كتابه « الدعوة الاسلام » هذا الموضوع تغطية كاملة تفى بالمراد من هذا البحث .

كما سيكون لرحالتنا الكبير « ابن بطوطة » دور كبير فى سياق الكتابة والعرض ، هـــذا بالاضافة الى مراجع أخرى سنشير اليها عند الحاجة من التفصيل والشرح .

ومن المصادفات العجيبة .. أننى فى الوقت الذى بدأت فيه كتابة هذا المقـــال (١) كانت الاذاعات الأجنبية تتحدث عن زلزال وقـــع فى منطقة الحدود الغربية الشمالية من الصين .

لقد وقر فى نفسى على الفور أن هذا الزلزال وقع فى المنطقة الاسلامية ، وبالذات فى مقاطعة « سنكيانج » التى قضينا فيهـــا ثلاثة الأيام ضيوفا على حاكمها المسلم اســـماعيل أمانى محمد ونائبه يوسف محمد .

ان ولاية ســـنكيانج تعادل مساحتها سدس مساحة الصين ، وسكانها جميعا من المسلمين ، ولا تزال الحروف العربية مستعملة فى لغـــة السكان المحلين .

كيف وصل الاسلام الى هذه الآفاق البعيدة من الشرق ؟

بل كيف ارتفع صوت الأذان على قمم الجبال

---

١ ـــ وقع هذا الزلزال فى السابع من شهر ذى الحجة ١٤٠٥ هـ الموافق ٧ اغسطس ١٩٨٥ م .

فى « كانسو » و « سنيانج » ؟

يقول المرحول الإمير شكيب أرسلان : « ... والاسلام قديم بالهجرة فى بلاد الصين يذكر الصينيون أن أول ظهوره بين ظهرانيهم كان لعهد السلطان « تايتسونغ » وذلك فى القرن السابع للمسيح وأن أول داخل من المسلمين الى تلك الديار رجل من عصبة النبى يقال له ابن حمزة جلا الى الصين بثلاثة آلاف مهاجر ونزلوا فى « سنغان فو » وأنه جاء على أثرهم مسلمون آخرون من طريق البحر وأقاموا بجهات يونان .

ولم أجد الى الآن فى الكتب التى طالعتها من كتب العرب أثرا لقصة ابن حمزة هذا ولا مايوافقها وانما روى المسعودى فى تاريخه قصة تحكيها من بعض الوجوه نؤثرها بالاختصار :

وهى أن رجلا من قريش من ولد هبار ابن الاسود ، خرج الى مدينة سيراف ، وكان من أرباب ألبصيرة وذوى الاحوال الحسنة ، ثم ركب منها فى بعض مراكب بلاد الهند ، ولم يزل من مركب الى مركب ، ومن بلد الى بلد ، الى أن انتهى الى بلاد الصين الى مدينة « خانقو » ثم دعته همته الى أن سار الى ديار ملك الصين .

وكان الملك يومئذ بمدينةعمدان وهى من كبا

مدنهم فأقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر أنه من أهل بيت نبوة العرب ، فأمر بعد هذه المدة الطويلة بانزاله فى بعض المساكن وازاحة العلة بما يحتاج اليه . وكتب الى الملك المقيم بخانقو يأمره بالبحث عنه ، ومساءلة التجار ، وعما يدعيه من قرابة نبى العرب « صلى الله عليه وسلم » فكتب صاحب خانقو بصحة نسبه ، فأذن له بالوصول اليه ووصله بمال واسع وأعاده الى العراق .

ويظهر من كتب العرب أن أول صقع عرفوه من بلاد الصين هو كاشغر ؛ وذلك منذ سنة ست وتسعين للهجرة اذ غزاها قتيبة بن مسلم الباهلى فى خلافة الوليد بن عبد الملك الاموى .

قال ابن الاثير الجزرى فى تاريخه انه سار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند فلما عبر النهر استعمل رجلا على معبر النهر ليمنع من يرجع الا بجواز منه ، ومضى الى فرغانة وأرسل الى شعب « عصام » من يسهل الطريق الى كاشغر ، وهى أدنى مدائن الصين فغنم وسبى وأوغل حتى بلغ قرب الصين ، فكتب اليه ملك الصين أن ابعث الى رجلا شريفا يخبرنى عنكم وعن دينكم .

فانتخب قتيبة عشرة رجال لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح فأمر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشى وكان منهم هبيرة ابن مشمرج الكلابى فقال لهم اذا دخلتم عليه فأعلموه أنى قد حلفت أنى لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبى خراجهم .

فساروا وعليهم هبيرة فقال لهم ملك الصين قولوا لصاحبكم ينصرف فانى قد عرفت قلة أصحابه والا بعثت اليكم من يهلككم .

قالوا : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون :

وأما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فأكرمها القتل لسنا نكرهه ولا نخافه .

وقد حلف أن لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية .

فقال : فانا نخرجه من يمينه ونبعث تراب أرضنا فيطأه ونبعث اليه بعض أبنائنا فيختمهم ونبعث اليه بجزية يرضاها .. ثم أجازهم وبعث بما ذكر الى قتيبة فقبل الجزية وختم الغلمان وردهم ووطىء التراب .

ولا شك أن الاسلام كان قد دخل فى البلاد منذ ذلك الوقت وكثرت أتباعه ومازالوا على نمو وازدياد يلحظ ذلك من تضاعيف الحوادث المذكورة فى تواريخ العرب فقد ذكر ابن الأثير أنه فى سنة أربع وستين ومائتين ظهر ببلاد الصين انسان لا يعرف جمع غمارا من العامة وأهل الشر وقصد بهم مدينة خانقو وحاصرها قال وهى حصينة ولها نهر عظيم وبها عالم كثير من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس وغيرهم من أهل الصين .

هذا فى القرن الثالث للهجرة وأما بعد ذلك فترى الأخبار عن مسلمى الصين كثيرة : نقل الامام أحمد القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ عن الشريف حسن بن الجلال السمرقندى وكان من السفار وممن جال الآفاق ودخل الصين وجاب آفاقه وجلس خلاله أنه قال أن من عجائب ما رأى فى مملكة القان « أى الخان » أنه مع كفره فى رعاياه من المسلمين أمم كثيرة وهم عنده مكرمون محترمون ومتى قتل أحد الكفار مسلما قتل القاتل الكافر وأهل بيته ونهبت أموالهم وان قتل مسلم كافرا لا يقتل به بل يطلب بديته ودية الكافر عندهم حما لا يطلب بغيره .

ولم يدخل الاسلام بيت الملك فى تلك البلاد الا ما كان ببلاد المغول فى ذرية جنكيزخان وفى « كاشغر » (١) .

ولا تختلف رواية سير « أرنولد » كثيرا عما كتبه الامير أرسلان الا أنها تزيدنا ايضاحا عن كثير من الأحداث التى مر بها الاسلام فى طريق رحلته الى الصين .

كما تؤكد — هذه الرواية — قوة الاسلام فى رسالتين بعث بهما الشاة « رخ بهادر » الى امبراطور الصين .

يقول توماس أرنولد : « فى القرن السادس الميلادى كانت بين الصين وبلاد العرب تجارة هامة عن طريق سيلان ، وفى بداية القرن السابع كانت التجارة بين الصين وبين فارس وبلاد العرب لا تزال واسعة الانتشار ، حيث كانت مدينة سيراف ، الواقعة على الخليج الفارسى ، هى السوق الرئيسية للتجار الصينيين .

وقد ورد ذكر العرب لاول مرة فى التواريخ الصينية فى ذلك الوقت الذى ابتدأ فيه حكم دولة تانج (٦١٨ — ٩٠٧ م) ، وتشير هذه التواريخ الى نشأة القوة الاسلامية فى «مدينا» كما تتحدث بايجاز عن التعاليم الدينية للعقيدة الجديدة .

١ — كاشغر — احدى الولايات الصينية .

أما تاريخ كوانجتنج KWAMGTUNG فيذكر قدوم اول من جاء من المسلمين الى الصين على النحو الآتى : « فى عهد دولة تانج » وفد على كنتن CANTON عدد كبير من الغرباء من مملكة أنام ANNAM وكمبوديا CAMBODIA ومدينا وبعض بلاد أخرى .

وكان هؤلاء الغرباء يعبدون الله ، وليس لهم فى معابدهم تمثال ولا صنم ولا صورة ، وكانت مملكة مدينا قريبة من مملكة الهند ، وفيها نشأت ديانة هؤلاء الغرباء التى تختلف عن ديانة بوذا .

وكانوا لا يطعمون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر ، ويعتبرون الذبائح التى لا يذبحونها بأيديهم طعاما نجسا ، ويطلق عليهم الآن اسم هوى هوى HUI - HUI ... ولما استأذنوا الامبراطور وحصلوا منه على اذن بالاقامة فى كنتن ، بنوا دورا جميلة من طراز يختلف عن ذلك الذى كان فى بلادنا .

وكان من الشائع بين مسلمى الصين أن أول من دعا الى الاسلام فى بلادهم أحد أخوال النبى ، وكانوا يعظمون قبره المشهور فى كنتن (١) ، الا أنه لا يوجد لهذه الاسطورة أى سند تاريخى ويظهر أنها نبتت فى زمن متأخر ، ولا شك أن ظهورها كان نتيجة لرغبتهم فى أن يربطوا تاريخ الدين فى بلادهم ، ما أمكنهم ، بعصر النبوة ـ ذلك الذى كان مصدرا خصبا للأساطير فى البلاد النائية عن مراكز التاريخ الاسلامى أما فيما يتعلق بوجود مسلمين فى الصين ، وعلى الأخص وجود تجار منهم فى الموانىء ، فى عهد دولة «تانج» ، فهناك الدليل الواضح على ذلك .

اذ يقول المؤرخ الصينى لهذه الفترة (٧١٣ ـ ٧٤٢ م) أن برابرة الغرب دخلوا المملكة الوسطى جماعات ، كالطوفان ، جاءت من مسافة تبعد ألف فرسخ على الاقل وأتت من أكثر من مائة مملكة تحمل معها كتبها المقدسة كأنى الجزية فأخذت هذه الكتب ووضعت فى بهو فى القصر الامبراطورى ، خصص لترجمات الكتب المقدسة والكتب القانونية .

وقد تمخضت فتوح المغول عن حركة هجرة واسعة النطاق هاجر فيها المسلمون على اختلاف قومياتهم من عرب وفرس وأتراك وغيرهم الى الامبراطورية الصينية .. فجاء بعضهم الى الصين تجارا أو صناعا وجنودا ـ أو مستعمرين وجىء بآخرين أسرى حرب . واستقر عدد كبير منهم فى هذه البلاد بصفة دائمة ، وتطوروا الى طائفة كبيرة مزدهرة ،

وقد تقلد عدة مسلمين مناصب رفيعة تحت امرة حكام المغول . مثال ذلك ، عبدالرحمن الذى أختير سنة ١٢٤٤ رئيسا على بيت مال الدولة ، وخول حق تقدير الضرائب المفروضة على الصين .

وكذلك عمر شمس الدين المشهور بالسيد الاجل وكان من أهالى بخارى ، عهد اليه قوبيلاى خان ، عندما اعتلى العرش سنة ١٢٥٩ ، فى ادارة بيت مال الامبراطورية ، ثم أصبح حاكما ليونان YUNNAN ، بعد أن فتحت هذه الولاية وضمت الى الامبراطورية الصينية، ومات السيد

١ ـ اسمه سعد بن ابى وقاص وقد حققنا هذه القصة حين زيارتنا الى قبره هناك ، ونفينا أن يكون هو سعد ابن ابى وقاص .

الأجل فى سنة ١٢٧٠ وترك بعد وفاته شهرة بأنه كان حاكما فطنا عادلا ، اذ بنى فى مدينة يونان معابد لأتباع كنفشيوس بقدر ما بنى فيها من المساجد •

وقد مثلت ذرية السيد الأجل دورا هاما فى توطيد دعائم الاسلام فى الصين فكان حفيده الذى حصل من الامبراطور فى سنة ١٣٣٥ على الاعتراف بأن الاسلام «هو الدين الحق الخالص» — وهو اسم ظل الاسلام يحمله حتى يومنا هذا — وأذن الامبراطور فى سنة ١٤٢٠ لشخص آخر من سلالة السيد الأجل بأن يبنى مساجد فى العاصمتين ، ستيا نفو SI - NGAN - FO ونانكن NAN - KIN •

وقد اتخذ مؤرخو الصين ، فى عهد قوبيلاى خان ، من عدم تعيينه موظفين من الصينيين بدلا من الترك والفرس ذريعة للشكوى من هذا الملك • وانجذب أمثال هؤلاء الترك والفرس الى شمال الصين ، لما كان يشغله السيد الأجل من مكان رفيع ، ولما أوجدته فتوح المغول من تيسير فى الصلة بين الصين والغرب •

ومن المحتمل أن تكون هذه الجماعات الاسلامية المتفرقة التى تكاثرت فى معظم ولايات الصين بنسبة كبيرة ، قد أخذت تتكون نتيجة لهذه الهجرات • وقد لاحظ ماركوبولو MARCO POLO الذى تمتع بعطف قوبيلاى خان ، وعاش فى الصين من سنة ١٢٧٥ الى سنة ١٢٩٢ وجود مسلمين من جهات شتى من يونان •

ويقول مؤرخ معاصر لماركوبولو ، انه فى بدايه القرن الرابع الميلادى ، كان جميع سكان تاليفو TALIFV حاضرة يونان من المسلمين •

ويظهر أن المسلمين فى الصين كانوا حتى ذلك العصر يعدون طائفة أجنبية ، ولكنهم بعد زوال دولة المغول فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى ، لم يلقوا زيادة جديدة من الخارج نتيجة لسياسة العزلة التى اتخذتها حينذاك الحكومة الصينية •

ولما كان الأمر على هذا النحو ، من انقطاع الصلة بينهم وبين اخوانهم فى الدين الذين يقيمون فى أقطار أخرى ، أخذوا فى معظم بقاع الامبراطورية يتحولون شيئا فشيئا الى الاندماج فى العامة من أهالى البلاد ، وذلك بالزواج من نساء صينيات ، وتعود عادات أهل الصين وأخلاقهم •

وقدم اليهم مؤسس دولة منج MING الجديدة ، وهو الامبراطور هنج وو HUNG WU كثيرا من الامتيازات •

وتدل كثرة المساجد التى بنيت على انتعاشهم خلال الفترة التى قضتها هذه الدولة فى الحكم (١٣٦٨ — ١٦٤٤ م) •

وقد نمى ملوك هذه الدولة صلاتهم الودية بأمراء المسلمين الذين كانوا يقيمون على حدود الصين الغربية كما أكثروا من تبادل السفراء مع الامراء التيموريين ويعتبر أحد هؤلاء ذا أهمية فى تاريخ نشر الدعوة الاسلامية ، وهذا هو الشاه رخ بهادر ، الذى انتهز سنة ١٤١٢ فرصة قدوم سفير صينى الى قصره فى سمرقند وضمن رده على الامبراطور الصينى دعوة الى الاسلام ، وذلك بأن أرسل مع رسوله ، الذى

صحب السفراء الصينيين فى عودتهم رسالتين ، كانت أولاهما باللغة العربية ، ، وهذا نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم ٠٠ لا اله الا الله محمد رسول الله ٠

قال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله ، لا ينصر من خذلهم ولا يطاع من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك ٠ لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم وذريته ٠

قال : كنت كنزا مخفيا فاحببت أن أعـرف فخلقت الخلق لأعرف ، فعلم أن حكمتـــه جلت قدرته ، وعلت كلمته ، من خلق نوع الانسان ، ايثار العرفان ، واعلاء أعلام الهدى والايمان وأرسله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، ليعلم الشرائع والأحكام ، وسنن الحلال والحرام ٠

وأعطاه القرآن المجيد معجزة ، ليفحم بـه المنكرين ، ويقطع لسانهم عند المنازعة والخصام وأبقى بعنايته الكاملة ، وهدايته الشـاملة ، آثاره الى يوم القيامة ، ونصب بقدرته فى كـل حين وزمان ، وفرصة وأوان ، فى أقطار العالمين من الشرق والغرب والصين ذا قدرة وامكـان ،

وصاحب جنود مجنده وسلطان ، ليروج أسواق العدل والاحسان ويبسط على رءوس الخـلائق أجنحة الامن والأمان ، ويأمـرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر والطغيان ٠ ويرفع بينهم أعلام الشريعة الغراء ، وأزاح من بينهم الشرك والكفر بالتوحيد فى الملة الزهراء ٠ فوفقنا الله تعالى بسوابق لطفه ، ولو احق فضله ، أن نسعى فى اقامة قوانين الشريعة الطاهـــرة ، وأدامة قواعد الطريقة الزاهرة ٠

وأمرنا بحمد الله أن نفصل : بين الخلائق والرعايا ، فى الوقائع والقضايا ، بالشريعـــة النبوية ، والاحكام المصطفوية ، ونبنى فى كل ناحية : المساجد والمدارس ، ونعمر الخوانق والصوامع والمعابد ، كى لا يندرس أعـــلام العلوم ومعالمها ، وينطمس آثار الشريعـــة ومراسمها ، لأن بقاء الدنيا الدنية وسلطنتها واستدامة آثار الحكومة وايالتها باعانة الحق والصواب واماطة أذى الشرك والكفر عن وجه الارض ، لتوقع الخير والثواب ٠

فالمرجو والمأمول من ذلك الجانب وأركـان دولته ، أن يوافقونا فى الأمور المذكـــورة ويشاركونا فىتشييد قواعدالشريعة المعمورة »٠

أما الرسالة الأخرى التى كتبت بالفارسية فالدعوة فيها الى اعتقاد الاسلام أكثر صراحة وليس فيها التنميق البلاغى الـــذى رأيناه فى الرسالة العربية :

« لما خلق الله الأعظم ، بحكمته البالغـــة وقدرته الكاملة ، آدم (عليه السلام) جعـل بعض أبنائه أنبياء ورسلا ٠ وأرسلهم الىالخلق يدعونهم الى الحق وأنزل على بعض هـؤلاء الانبياء كابراهيم وموسى وداود ومحمد (عليهم الصلاة والسلام) ـ كتابا ، وعلمهم شريعة ٠

وأمر أهل زمانهم أن يتبعوا شريعة كـل منهم ودينه ، ودعا هؤلاء الرسل جميعا الناس الى دين التوحيد وعبادة الله ، ونهوا عن عبادة الشمس والقمر والنجوم ، والملوك والاصنام ، ومع أن كلا من هؤلاء الرسل كانت له شريعـة خاصة ، فانهم كانوا جميعا متفقين على توحيـد

الله الأعظم ، ولما صار أمر الرسالة والنبوة الى محمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) نسخت كل الشرائع الأخرى • وهو نبى آخر الزمان ورسوله ، وواجب على العالم بأسره • أمراء وسلاطين ووزراء وأغنياء وفقراء وصغارا وكبارا ــ أن يعملوا بشريعته ، وأن يتركوا كل الملل والشرائع السابقة •

هذه العقيدة الصادقة الصحيحة تسمى الاسلام • ومنذ سنوات خلت ، تهيأ جنكيزخان للقتال ، وأرسل أبناءه الى بلاد وممالك مختلفة ــ فأرسل جوجى خان الى حدود سراى ، وقرم ودشت قفجاق ، حيث أسلم بعض الشاهات ، من أمثال أوزبك وجانى خان وأرس خان ، وعملوا بشريعة محمد (عليه الصلاة والسلام) وأصبحوا بذلك مسلمين وانتقلوا الى الدار الآخرة سعداء بشرف الاسلام •

ومن هؤلاء الملك الصادق غازان والجايتوا سلطان والشاه سعيد الحظ أبو سعيد بهادر ــ وغيرهم بعدهم حتى ولى العرش والدى المكرم أمير تيمور كوركان •

وقد عمل والدى كذلك بشريعة محمد (عليه الصلاة والسلام) فى كل البلاد التى حكمها ، ونعم المسلمون ، طوال عهده ، برخاء شامل ،

والآن وقد انتقلت الى يدى ، بلطف الله وفضله ممالك خراسان وما وراء النهر والعراق وغيرها وغيرها ، فان حكم البلاد فى كافة أرجاء المملكة بموجب الشريعة المطهرة النبوية ، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر • وأبطل يرغو وزالت قواعد جنكيزخان •

ومنذ ذلك الحين صار يقينا ومحققا أن الخلاص والنجاة فى يوم القيامة ، والسلطان والدولة فى الدنيا ، سببها ايمان الفرد واسلامه وعناية الله تعالى ، ومن الواجب علينا أن نعامل رعيتنا بعدل وانصاف •• وانى لأرجو بفضل الله تعالى وكرمه أن تعملوا أنتم أيضا بشريعة محمد رسول الله (عليه الصلاة والسلام) ، وأن تقووا الاسلام فتنالوا بدلا من سلطان الدنيا سلطان الآخرة » •

* *

وليس ببعيد أن تكون هاتان الرسالتان قد خلقتا القصة ، التى نشأت فى عصر متأخر ، والتى روت أن أحد أباطرة الصين قد تحول الى الاسلام •

وقد روى هذه القصة ، مع غيرها من القصص تاجر مسلم يدعى سيد على أكبر ، قضى سنوات قليلة فى بكين ، فى نهاية القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ، ويتحدث

عن عدد كبير من المسلمين الذين كانوا قد استقروا فى الصين ، فكان فى مدينة كنجنفو KENJANVF عدد كبير يبلغ ثلاثين ألف أسرة من المسلمين ، فلم يؤدوا الضرائب ، وتمتعوا بكرم الامبراطور الذى منحهم هبات من الأرض ونعموا بالحرية المطلقة فى اقامة شعائر دينهم الذى كان الصينيون ينظرون اليه نظرة احترام وتقدير ، وترك أمر التحول الى الاسلام حرا •

وكان فى العاصمة نفسها أربعة مساجد كبيرة وما يقرب من تسعين مسجدا غيرها فى الولايات

الأخرى من الامبراطورية ، وقد بنيت كلها على نفقة الامبراطور (١) •

وفى هاتين الرسالتين اللتين ذكرهما توماس أرنولد دليل على مدى ما وصل اليه الاسلام فى الصين وبلاد ما وراء النهرين ، وفى هاتين الرسالتين أيضا ألف آية وعلامة على هيبة الاسلام ونفوذه فى أنفس الحكام والمؤمنين •• على أنه بالرغم من هذا كله •• فان « ريح الاسلام » لم تكن كلها رخاء •• بل تعرض الاسلام والمسلمون — فى فترات متقطعة — للاضطهاد والكبت ، ولعبت الفتن دورها فى افساد العلاقة بين المسلمين وأباطرة الشعب ، كما حدثت ثورات محدودة أوقفها الاتزان والعقل •

غير أن هذه النكسات الطارئة لم تحل بين الاسلام وتغلغله فى كل صقع من أصقاع الصين وليس — من المحتمل (٢) — أن يكون مسلمو الصين الذين نعموا بالحرية الدينية ، وبحماية بعض الأباطرة قد تجردوا من نشر تعاليم الاسلام •

بل اننا نجد فى عهد الامبراطور كين لنج KIEN LUNG دلائل واضحة على عطفه على المسلمين وذلك بأن رفع شأن اثنين من بيكوات الأتراك كانا قد ساعدا مساعدة فعالة على اخماد ثورة فى الشمال الغربى من الامبراطورية ، وفى كاشغر ، كما أظهر عطفه ببناء قصورهم فى بكين ، وكذلك شيد مسجداً ليصلى فيه بيكوات الأتراك الذين يزورون القصر الامبراطورى ، وليصلى فيه أسرى الحرب الذين جىء بهم من كاشغر الى العاصمة وكان بين هؤلاء الأسرى فتاة جميلة أصبحت جارية للامبراطور ، ونالت حظوة عنده •

ويقال انه فى سبيل حبها بنى هذا المسجد تجاه قصره مباشرة ، كما بنى قبة فى فناء قصره ، فتمكنت الجارية من أن تشاهد منها أبناء وطنها وهم يصلون ، وأن تشاركهم فى عبادتهم • وقد بنى هذا المسجد من سنة ١٧٦٣ الى سنة ١٧٦٤ ، وهو يحتوى على نقش مكتوب بأربع لغات ، كتب الامبراطور نفسه النص الصينى من هذا النقش •

وبعد أن قمع الثورة فى زنجاريا ZUNGARIA نقل اليها هذا الامبراطور نفسه فى سنة ١٧٧٠ عشرة آلاف مهاجر عسكرى من جهات أخرى من الصين ، وتبعتهم أسرهم وغيرهم من الناس ليعمروا البلاد • ويقال أنهم جميعا أدخلوا فى دين المسلمين الذين كانوا يقيمون فيما حولهم على أنه ليس لدينا ما نذكره عن مثل هذا التحول الاجتماعى الى الاسلام ، هل حدث أيضا فى بقاع أخرى من الامبراطورية ؟ ولكنه من العسير — وان كان عدد السكان فى تلك الولايات التى استقر فيها المسلمون الغرباء أكبر منه فى سائر الولايات — ان نفسر وجود عدد كبير من الأهالى المسلمين فى كل ولاية من ولايات الصين بأنه انما يرجع الى الهجرات الأجنبية ونمو السكان نموا طبيعيا •

وفى أثناء المجاعة التى خربت ولاية تشنتنج

---

١ — الدعوة الاسلام • سير توماس ارنولد ص ٣٣٠ وما بعدها •

٢ — المصدر السابق ص ٣٤١ •

CHANTONG اشترى المسلمون ما يربو على عشرة آلاف من هؤلاء الاطفال •• وتزوج المسلمون بالصينيات واشتروا لهن الدور ، وأقاموا فى المدينة أحياء مستقلة ، بل قرى بأكملها ، وحصلوا شيئا فشيئا على مثل هذا النفوذ فى جهات عدة ، حتى أنهم لم يتيحوا لأى شخص لا يذهب الى المسجد أن يعيش بين ظهرانيهم •

ويمثل هذه الوسائل تضاعف عددهم الى حد كبير ، خلال القرن الماضى » (١) •

* *

وقد يكون من المناسب ــ لتسليط مزيد من الضوء علـى انتشار الاسلام وتغلغله بين الصينيين ــ أن نسير مع شيخنا (ابن بطوطة) فى تجواله وترحاله داخل الصين (٢) •

« •••• ركبت النهر على العادة نتغدى بقرية ونتعشى بأخرى الى أن وصلنا بعد سبعه عشر يوما الى مدينة « الخنساء » واسمها على نحو اسم الخنساء الشاعرة ولا أدرى أعربى هو أم وافق العربى وهذه المدينة أكبر مدينة رأيتها على وجه الارض طولها مسيرة ثلاثة أيام يرحل المسافر فيها وينزل وهى على ما ذكرناه من ترتيب عمارة الصين كل أحد له بستانه وداره وهى منقسمة الى ست مدن سنذكرها

وعند وصولنا اليهاخرج الينا قاضيها أفخر الدين وشيخ الاسلام بها وأولاد عثمان بن عفان المصرى وهم كبراء المسلمين بها ومعهم علم أبيض والأطبال والأنفار والأبواق وخرج أميرها فى موكبه ودخلنا المدينة وهى ست مدن على كل مدينة سور محدق بالجميع فأول مدينة منها يسكنها حراس المدينة وأميرهم •

حدثنى القاضى وسواه أنهم اثنا عشر ألفا فى زمام العسكرية وبتنا ليلة دخولنا فى دار أميرهم فى اليوم الثانى دخلنا المدينة الثانية على باب يعرف بباب اليهود ويسكن بها اليهود والنصارى والترك عبدة الشمس وهم كثير وأمير هذه المدينة من أهل الصين وبتنا عنده الليلة الثانية وفى اليوم الثالث دخلنا المدينة الثالثة ويسكنها المسلمون ومدينتهم حسنة وأسواقهم مرتبة كترتيبها فى بلاد الاسلام وبها المساجد والمؤذنون سمعناهم يؤذنون بالظهر عند دخولنا ونزلنا منها بدار أولاد عثمان ابن عفان المصرى وكان أحد التجار الكبار استحسن هذه المدينة فاستوطنها وعرفت بالنسبة اليه وأورث عقبه به الجاه والحرمة وهم على ما كان عليه أبوهم من الايثار علـى الفقراء والاعانة للمحتاجين ولهم زاوية تعرف بالعثمانية حسنة العمارة لها أوقاف كثيرة وبها طائفة من الصوفية ، وبنى عثمان المذكور المسجد الجامع بهذه المدينة ووقف عليه وعلى الزاوية أوقافا

البقية ص "٤٣٥"

١ ــ اى القرن الثامن عشر .

٢ ــ رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ .

الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

الرحمة المهداة

لنور محمد — رحلة إلى فجر النور

بمناسبة المولد النبوي

مولد النبى صلى الله عليه وسلم

الرحمة المهداة

شعر: جليلة رضا

يس .. والقرآن فى يمناكا   صان الاله كتابه .. ورعاكا

من قبل خلق الخلق نادى « فليكن »   وأُمِرْتَ .. فاسْتُدعيت فى دنياكا

ومضى الزمان .. وجئت تنقذ أمة   لولاك .. كيف مصيرها .. لولاكا

لله مولدك الكريم بمشرق   شق الظلام .. ليكتسى .. بسناكا

جملت بك الدنيا .. باطهر ما اجتلى   راء جمالا باسما ضحاكا

والكون فيك غدا ربيعا صافيا   والطير فى ترتيلها .. نُسَّاكا

وشَبَبْتَ يالك من يتيم ناهض   يطأ الصخور ويعبر الأشواكا

وهداك ربى .. فاستقيت من الهدى   خُلُقًا سَمَا ..وتجاوز الأفلاكا

يا أعزل الكفين بارزت العدى   بالعقل .. سيفا باترا فتاكا

لا تستلين ولا يروعك كيدهم   اذا أضمروا لك فى الظلام هلاكا

رضت الأمور دقيقها وكبيرها   ونشرت عدلا .. ها هنا .. وهناكا

دانت لك الدنيا .. ولكن .. لم ترد   بالزهد .. لا مُلْكًا ولا .. املاكا

الا بقايا من عشاش .. فى الثرى   تنبى الغريب بان ذا .. مأواكا

وَغِنًى عن الدنيا الرحيبة كلها   بكنوز قلب .. يرفض الاشراكا

لى يارسول الله همسة خافق   كم تاق أن يَخْطُو[1] وراء خطاكا

أنا اذ قرأتك : سيرة وضاءة   أدركت معنى الخير فى .. معناكا

لم أخش ـ مثلك ـ بعد ربى ـ فى الدنى   لم أهو ـ بعد الله ـ مثل هواكا

انى اتخذتك واحة .. فى ظلها   أستاف عطر الدين من مغناكا

وبرغم ما أصبو إليه من التقى   أنا لست ، ياخير الأنام ، ملاكا

يا موئل الملهوف يوم بلائه   كن لى شفيعا فى رحاب سماكا

(١) بإهمال أن وهو وارد فى الفصيح ... مجلة الأزهر

نور محمد

للدكتور حسن جاد

طاف بالمشرقين نور (محمد)   فشدا الطير فى الرياض وغرد

وتهادى فى الكون موكب ذكرى   كل عام جمالها يتجدد

يقبس الشرق نفحة من سناها   فيفاديه كل مجد مُحَسَّد

كلما أظلم الطريق أضاءته ، وشَعَّتْ على الدجى فتبدد

هكذا فلتعِزَّ ذكرى نبى   من يصن عهده يعز ويسعد

ياربيع الوجود عيدك روح   تتسامى على الربيع المنضد

لبس الكون فيه حلة بشر   وصفا الجو بعد ما كان أربد

وسرت فى النفوس هزة فخر   ومشت فى الصدور نشوة سؤدد

ايه يا منقذ الأنام من الجهل ، وياخير من هداهم وأرشد

ولد النور مذ ولدت فدكت   شرفات الطغيان من كل معبد

تمشت هداية الله فى الارض كنور الصباح ساعة يولد

ضل من صد عن هداك وأعمى   عينَه عن ضياء نورك وارتدّ

كم حملت الأذى جهادا وماتنؤت باعبائه ، وذو العبء يجهد

وسلكت الأمور سلما وحربا   فى اصطبارٍ فَذٍّ وعزم موطد

بين سيف من منطق الحق هاد   وسلاح على الضلال مجرد

عجبا للذى يغالط فى الحق ، ومن يسلك الحقيقة يهتد

سخروا منك يا أعز أمانى الأرض بل أنت للسموات فرقد

لو سلكت السبيل للحجر الصلد بدعواك ما تابى وفند

واذا جئته : أتشهد بالله وأنى رسوله قال : اشهد

يا امام الجهاد قم فانظر اليوم ترى الحرب للمطامع تقصد

حشدوا للدمار كل سلاحٍ   وتجنوا على الضعيف المصفد

طمع ساقهم الى الحرب بَهْمًا   ومن الحرب ما يذم ويحمد

ولو ان الشعوب أصغت الى الدين لما بات فى الشعوب مسود

شرعة تكفل الحقوق وتحمى   من شرور الطغيان كل مهدد

لو اتوها لضمدت كل جرح   ولضمت من شملهم ما تبدد

رحلة إلى فجر النور

بروحى ووجدانى وفيض مشــاعرى سريت الى أم القــرى بخــواطرى

بفجــر شــفيف النـور يومض بالسنا وينفح مبهــور الحيــاة بعــاطر

وقلبى مشــوق فى الضـلوع مجنــح بوجــد وتهيــام ودمــع محــاجر

تخطيت أبعــاد القرون لأجتــلى محيــا وليــد مــاله مــن نظائــر

بــواد جــديب بين صـم جــلامد وفــج قصى عن عميــر الحــواضر

رأيت وليــد الدهــر بين لفــائف يشــع جـلال القدس منه لنـاظرى

فكبرت مبهــورا ، ورحت مجــاهرا بمــا جاش فى قلبى وعمــق سرائرى

« لقــد قــارب الانسـان غاية رشده ليحيــا بعقل للحقيقــة يــاصر »

ولاحت بآفاق الــوجود طــلائع لفجــر جديد للنبــوة ســافر

وعمــا قليــل يسـطع النــور باهرا ليكشــف للانســان رحب المعــابر

ويغــزو قلــوب العــالمين بعــدله ويجتــاح أوكــار الظــلام المــدابر

أيــدرى الــورى أن الوليد هو الذى تزف به الركبــان أسمى البشــائر ؟

تنادى به أهــل الكتــاب مسـبقا بــوحى رأوه فى صـحيح المصــادر

للأستاذ محمد صان الدين

به يختم الرسل الكرام الى الورى ... ويَكْمُلُ للتوحيد أوْ فى العناصر

فلا رب للكون الرحيب سوى الذى ... بَرَاهُ بأيد دون ريب مخامر

ولا عدل فى الدنيا بغير عقيدة ... مقدسة فيها حياة الضمائر

وراحت عيون العارفين تُشِيمُهُ ... عسى أن ترى الآيات عِبْرَ الظواهر

وقد جاء مبعوث العناية ناطقا ... بآى كتاب بالبواهر زاخر

تباركت يارب العباد منحتهم ... دواء لأدواء النهى والبصائر

وأنزلت نورا ليس يخبو .. رحمةً ... بعبد شقى فى الضلالة سادر

وفى عالم ضل السبيل فلم يزل ... يخب بأرض التيه بين دياجر

الا يارسول الله نورك ساطع ... يجلى السراط المستقيم لحائر

طلعت على الدنيا فمذ ذاك لم يغب ... سناك وإن تجحدْهُ عينُ مكابر

ويأيها الانسان داؤك طبه ... هنا فى كتاب الله جَمِّ الذخائر

تجلت به الأقدار .. فضلا ورحمة ... عليك ، وقد شارفت هول المصائر

اذا أنت طوعت الحياة لهديه ... ظفرت بفيض للسعادة غامر

والا .. فسر أنى أردت مضللا ... بتلبيس مختل العقيدة خاسر

بمناسبة المولد النبوى

للاستاذ محمد أحمد التاجى

يرغو بأعماقى ، ويصخب فى دمى | صوت تأبى أن يبوح به فمى
وصوت حبيس فى الضلوع كأنه | سر الليالى فى ضمير الأنجم
اصغى له فأكاد أنكر مسمعى | أعزيف جن عربدت فى أعظمى ؟
ام رجة الاعصار يجتاح المدى | قصفا وعصفا أم فحيح الأرقم ؟
ريعت لها خلف الضلوع خواطرى | وتفجرت حمما غضابا فى دمى
ايه بنات الشعر هيا مزقى | هذا الجدار من السكون وحطمى
هاتى غناء أو بكاء اننى | قد ضقت ذرعا باليراع الابكم
وبدمعة وقفت على أجفانه | حيرى ، وشر الدمع ما لم يسجم (١)
هذه دواعى القول حولك جمة | ضاقت بها الدنيا ، ولم تتكلمى !
هلا نظرت الشرق كيف تجرأت | فيه الذئاب على عرين الضيغم
صرعت مهابته ولم يصبح سوى | جسد لأنياب الردى مستسلم
ما بين ماض كان يوما للضحا | عرشا ، وبين الحاضر المتجهم
ذعرت خطاه ، وما التقاعس شيمة | ياشرق للعربى أو للمسلم
عهدى به حر الارادة والخطا | ندبا متى دعت العلا لم يحجم
يأبى فراديس الجنان مذلة | ويخوض باسم المجد قاع جهنم
واذا المروءة صوحت أغصانها | ظمأ ، سقاها عن سخاء بالدم

واليوم ـ ياللعار ـ صار فروقة … بسوى عروبته يلوذ ويحتمى

انى لأخجل حين أذكر من أنا … وأكاد أعذر فى الشماتة لومى

سيقال · لو أن المؤرخ منصف … هذى الشعوب ليعرب لا تنتمى

رضيت من الاسلام ظاهر لفظه … ومن العروبة لهجة المتكلم

أنا لا أصدق ما أرى · أفنائم … أنا ؟ لا · فتك يدى وذلك مرقمى

ماذا أرى عبر السماء ؟ أواقع ؟ … ياليته فى العين محض توهم

أحقيقة أن البغاث تجرأت … وسطت على افق النسور الحوم

رزء أصاب من القوافى مقتلا … وأشل أجنحة الخيال الملهم

ياروض لا تهتف ويا صبح اتشح … ثوب الحداد وياكواكب أظلمى

حتى أرى الأعداء غرقى فى الدم … حتى أرى العلياء باسمة الفم

أنا لا ألومك يازمان فان من … يلقى الضوارى أعزلا لم يسلم

نحن الألى جنحوا لأجنحة الكرى … والدهر لم يفتأ عدو النوم

الكون غاب · والحياة تنافس … والحق للظفر المخضب بالدم

فاذا نزلت الغاب تنشد مغنما … وغفلت فيه كنت أول مغنم

كنا سنام الدهر ، كنا هامه … واليوم صرنا منه دون المنسم

صرنا عبيد المال باسم حضارة … حمقاء لم تؤمن بغير الدرهم

صرنا عبيد الغيد أقصى همنا … لو تحت أقدام الغوانى نرتمى

حتى جعلنا الغانيات كواكبا … ومباذل الأخلاق رمز تقدم

لعب الغرور بنا زمانا مثلما … لعبت بغى بالغبى المغرم

واذا استذلت آمة شهواتها … جمدت فلم تنهض ولم تتقدم

هذى ليالينا وتلك حياتنا … أوهام عرس فى حقيقة مأتم

ياشرق عذرا حين أقسو ناصحا … فالنصح للأحرار ليس بمؤلم

خدعوك بالملق الرخيص وأسرفوا … حتى شربت السم باسم البلسم

ياشرق لا ترهب سهام نصائحى … لن يفزع الأبطال وقع الأسهم

ياشرق لا تقنط اذا اعتكر الدجى … فالفجر خاتمة الصراع المظلم

من أعلام الأزهر ٣

عبد المتعال الصعيدى

رأى الأستاذ الصعيدى أن يبتعد عن مسائل التشريع بعض الوقت ، فاتجه الى البحوث الأدبية ، وبدأ بدراسة جادة عن الكميت بن زيد الأسدى وهاشمياته قال فى مطلعها أن فى الأدب اجتهادا لم يغلق بابه كما أغلق فى الفقه والعلوم الشرعية .

ولهذا امتازت بحوثه وتدفقت فى غزارة حتى صار شغل الأستاذ فى معهده ، وللطالب فى مدرسته ولو أن غير الأدب من العلوم كان له حظ الاجتهاد ، لم يصر الى هذا الجمود الذى صرف الناس عنه ، وجعلهم يكرهون النظر فيه ويخشون ما يصيبهم من العنت اذا خرجوا عن مألوفه ، وصرح الكاتب بأن له حاجات فى هذا الاجتهاد المطلق ، اذ يحن اليه ويتوق دائما أن يأتى بالجديد ، ولا يجد مثل الأدب فى رحابة صوره ، واتساعه للاجتهاد ، وعدم ضيق أهله بما يبتكره الباحثون من قضاياه ، فمعالجة مسائله تسلى النفس شيئا مما يصيبها من أذى الناس وجحود الفضل مع ظهوره للعيان .

هذه نفثة حرة تدل على مايزدحم فى صدر الكاتب من شجون ، بعد مالاقاه فى قضية الحدود ، ولم يكن اهتمامه بالبحث الأدبى جديدا عليه ، فقد كتب من قبل مؤلفين جيدين عن عدى بن زيد ، وعن أبى العتاهية وللأستاذ مقياس أدبى يؤثره فى تفضيل شاعر على شاعر ، فهو يحرص على شرف الغرض ، وسمو المعنى ، اذ لا يرى لقضية الفن وجها للاصابة ، فالشاعر انسان ممتاز ذو رسالة خلقية ينهض بالقيام بها مبشرا ذوى النفوس

الفاضلة بما يهتف من معان انسانية ترتفع بالقارىء احساسا وادراكا ، أما الذين يرضون شهوات النفس بالحديث عن الخمر والهجاء والغزل الفاحش ، فهم ، فى رأى الأستاذ — لا يسمون الى مرتبة ذوى القيم من الشعراء وقد عورض الكاتب فى اتجاهه اذ تصدى له من نقل عن كتب السالفين أن الشعر شعر فى حد ذاته ، وأن الشاعر ليس نبيا أو واعظا ، واضطر الأستاذ الصعيدى أن يكتب مقالا تحت عنوان (مقاييس الشعر) يختار فيه من أقوال السالفين ما يؤيد منحاه ، ليعلم ناقده أن الرجل يفىء الى سلف فى نهجه .

يقول الأستاذ الصعيدى : وقد وضعنا للشعر مقياسا عاما يتفاضل فيه القول باعتبار نبل أغراضه وشرف مقاصده ، قبل أن يتفاضل بجمال ألفاظه ومعانيه ، ووازنا بهذا المقياس بين امرىء القيس وعدى بن زيد فى كتابنا

للدكتور محمد رجب البيومي



(زعامة الشعر الجاهلى) وبين أبى العتاهية وبشار وأبى نواس فيما كتبناه بمجلة الرسالة الغراء عن أبى العتاهية، فخرجنا من هذا المقياس بتفضيل عدى بن زيد على امرىء القيس، وتفضيل أبى العتاهية على أبى نواس، ولكن جمهرة أدبائنا لا يوافقونا على هذا المقياس، وينكرونه علينا أشد الانكار، وهم معذورون لأقوال يعرفونها، وقد حملنى ذلك على تقييد كل ما أراه يؤيد وجهتى فى مطالعاتى) ثم أخذ يعرض من الأقوال ما يؤيد منحاه.

لقد درس الأستاذ عَدِيَّ بن زيد لطلابه فى تخصص المادة بالأزهر مقارنا بامرىء القيس فأورد ما اتفق فيه الشاعران من النشأة، فامرؤ القيس أمير، وعدى ابن ملك،

وكلاهما ترفع عن المديح والاتجار بالشعر، وكان له منزلة فى عشيرته، ولكن عديا نشأ فى فارس وشاهد من ألوان الحضارة ما لم يشهد امرؤ القيس. ودرس الأديان واعتنق النصرانية فأمدته بمعان طيبة فى الرحمة والعدالة وترقب المصير. واتساع الأفق اذ كان ينظر الى الكون نظرة شاملة تتحدث عن المبدأ والعاقبة، ويؤدى رسالة الحكيم الناصح للانسانية كيلا تنزلق الى مهاوى الرذيلة، واتساع النظرة الانسانية فى هذا الوجود امتياز يحسب لصاحبه، لاسيما اذا كان ناصح ملوك. وأستاذ فكر، ولعدى فى التذكير بالنعيم العابر، والتحذير من البهرج الزائف درر ينفخ بها العقل المتأمل، وقد وقف وقفات مستعبرة يودع فيها الشموس الآفلة، والنجوم الهاوية، والأكاسرة الذين دوخوا العالم.

ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصَّبا والدبور

وهذا الأفق المترامى ليس لامرىء القيس، ومن الذين ناهضوا رأى الأستاذ الصعيدى فى

◄

عبد المتعال الصعيدى

منحاه الدكتور زكى مبارك والأستاذ محمود الخفيف والأستاذ محمد على غريب ، حيث امتد النقاش حول مجال الترجيح عند الصعيدى على صفحات المجلات دون أن يرجع الباحث عن وجهته ، اذ عمد بهذا المقياس الى دراسة أبى العتاهية ليفضله على زميليه الكبيرين بشار وأبى نواس ، نعرض الى مظاهر التجديد الشعرى فى مطلع العصر العباسى

من ناحية الأغراض والمعانى والتراكيب ، ليثبت فضل أبى العتاهية ، وكانت الأغراض فى رأى الكاتب موضع تبريز أبى العتاهية ، اذ ساعد على نشر الثقافة الاسلامية بما ضمن

شعره من روائع الحكم ، والدعوة الى الارتفاع عن مهابط النفوس ، والبعد عن العبث والمجون اللذين كانا أبرز سمات بشار وأبى نواس ، هذا الى سهولة ميسرة تجعل شعره مقتحما صوالا على النفوس ، وهكذا انتصر الكاتب لمنحاه فى اصرار وتأكيد .

واذا كان عدى يحتل الزعامة الشعرية فى العصر الجاهلى عند الأستاذ ، وكان أبو العتاهية يمثل الزعامة الشعرية فى مطلع العصر العباسى ، فقد اختار الناقد شاعرا من

طراز صاحبيه يمثل الزعامة الشعرية فى العصر الأموى ، وهو الكميت بن زيد الأسدى اذ خلص شعره لمحاربة الفجرة من الطغاة ، والظلمة من الحاكمين ، ونأى بالشعر عن أن

يكون موطنا للاستجداء فى مدائح تساق الى غير من يستحق ، واذا كان الذائع أن جريرا والأخطل والفرزدق قد تسنموا زعامة الشعر فى عهد بنى مروان فان الصعيدى ينكر هذه الزعامة على قوم أخذوا يهبطون فى النقائض الى دركة السفلة من الرعاع ، حين تقاذفوا بالأوضار متحدثين عن معان هابطة تشين صاحب البيان ، فالغلو فى الهجاء لدى هؤلاء جعلهم شاتمين منحدرين ، بحيث تصبح أشعارهم معرة للأدب العربى اذا ترجمت الى لغة غير لغة العرب ، أما الكميت فقد دافع عن فضائل الأمة الاسلامية ، ودعا الى اقامة العدل واشاعة الحرية ، وتوجه بمدائحه الى قوم لا يملكون الجزاء المادى ، كما يتوجه أرباب المآرب عن قصد مريب ، لقد توجه بمدائحه الى آل بيت رسول الله ، يذكر فضائلهم ، ويرجوهم لساعة حاسمة تطوى دياجير الظلم ، وتنشر أنوار الحق ، وقد استوفى الصعيدى فى حديثه عن الشعراء الثلاثة جانب الاستشهاد ، لأن دواوين هؤلاء الشعراء تفيض بما ينشد من مثل . ولعل مما يؤيد وجهة الناقد ، أن هؤلاء الثلاثة ليسوا نظامين يسوقون العظة بألسنة الخطباء ، ولكنهم فى صميم مواهبهم شعراء أصلاء ، وما انحدر بالشعر المثالى عن أوجه غير نفر من النظامين نسجوه نسج المتون العلمية فجاء جامد الروح ، ميت النسيم ، أما عدى وأما الكميت وأما أبو العتاهية فشعراء أصلاء .

ظل الأستاذ معتزا بمقياسه الخلقى للعمل الأدبى لا ينهنه من عزمه اعتراض .

وقد قامت معركة أدبية حول قيمة الأدب الجاهلي بين الدكتورين أحمد أمين وزكى مبارك على صفحات مجلتى الرسالة والثقافة ، وذهب الدكتور مبارك مذهبا مشتطا حين بالغ فى الزراية على منحى الدكتور أحمد أمين اذ رمى الشعر الجاهلى بالمادة والبعد عن سبحات الروح ، وكان فى ذلك موضع الاقتداء لمن أتى بعده من شعراء الاسلام وبنى أمية والعباس ممن هووا بأغراض الشعر الى أرض المادة ، فانبرى ، الأستاذ الصعيدى يؤيد الأستاذ أحمد أمين ويعلن أن مقياسه الأدبى يسير مع منطق صاحب فجر الاسلام ، ويعارض منحى صاحب النثر الفنى ، واستشهد بأبيات مادية لديك الجن ، وأبيات خلقيه لمعن بن أوس ليرتفع بالثانية على الأولى (١) لأن الشعر فى مذهبه يجب أن يسمو بالنفوس ، والقضية ذات حجم كبير ، ولاشباعها المسهب مجال آخر .

فاذا تركنا بحوث الأدب الى ميدان البلاغة فاننا نجد للصعيدى جهدا بلاغيا غير منكور ، فقد شرح كتاب الايضاح للقزوينى فى أربعة أجزاء ، كما حقق كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، وأفرد مؤلفا خاصا ببحوث البلاغة سماه (البلاغة العالية) فاذا نظرنا الى شرح الايضاح وقد سماه « بغية الايضاح » فاننا نجده استوفى ما يتطلب من الشرح والنقد والتعليق والأسئلة الهادية الى تطبيق المادة ، ولكننا نجد الأستاذ فى مقدمة الكتاب يذكر أن كتاب الايضاح ينتمى فى البلاغة الى مدرسة عبد القاهر ، وهذا ما نخالفه كل المخالفة لأن الكتاب يسير فى ضوء المفتاح للسكاكى ، وان اعترف القزوينى بأنه رجع الى عبد القاهر وأفاد منه ، ثم نخالف الأستاذ مرة ثانية فى مقدمة كتابه حين قرر أن السكاكى يعد الى حد ما من تلاميذ مدرسة عبد القاهر ، ولكنه كان ناقدا ولم يكن أديبا اذ لو كان السكاكى من مدرسة عبد القاهر ما تحجرت البلاغة هذا التحجر الذى وضح فى كتب المتأخرين ممن داروا فى فلك السكاكى . ونخوض فى حديث معاد لو ناقشنا هذه القضية ، لأن الأمر أوضح من أن يشار اليه ، وقد كان السكاكى عالما لا ناقدا ، فكيف خلع عليه الأستاذ صفة الناقد بمعناه الأدبى المعروف لدى الجرجانى والآمدى وابن الأثير وعبد القاهر وابن رشيق وأضرابهم من مشاهير النقاد ! والبون بين هؤلاء والسكاكى بعيد بعيد،لاسيما وقد اعترف الأستاذ فى المقدمة نفسها أن العجمة غالبة على أسلوب السكاكى ، وهو ذو غموض وتعقيد وضعف فى التأليف ، ومفسد لملكة البلاغة . وضرره أكبر من نفعه ! أجل ، سجل الأستاذ هذه المآخذ كلها على كتاب المفتاح للسكاكى واعترف بها فى وضوح ، فكيف يعد السكاكى مع ذلك كله الى حد ما من مدرسة عبد القاهر ؟! .

(١) مجلة الرسالة العددان ٣٦٥ ، ٣٢٦ سنة ١٩٣٩ م

عبد المتعال الصعيدى

وكتاب سر الفصاحة أقرب الى البلاغة الناصعة من كتابى المفتاح والايضاح ، وقد أنصف الأستاذ الصعيدى صاحبه ، وقدم كتابه بمقدمة حافلة ، ولكنه قال فى خاتمتها ان أسلوبه العلمى أقرب الى أسلوب المتأخرين من أسلوب عبد القاهر ، فاذا كان الأستاذ يقصد بالمتأخرين تلاميذ السكاكى ومن ترسموا خطوه ، ففى كلامه نظر يحتمل النقاش ، لأن ابن سنان اذا لم يرزق ديباجة عبد القاهر فقد رزق ذوقه ، وحسن اختياره ، وبعده عن التعقيد والغموض فهو ينادى الجرجانى من مكان قريب ، أما كتاب البلاغة العالية فهو يجمع بين تاريخ البلاغة وأهم مسائلها ، وصاحبه ذو احاطة واجتهاد .

ولا يجوز لنا أن ننسى آثار الأستاذ فى التاريخ الاسلامى فقد كتب مؤلفا عن رسول الله ، ومؤلفا عن الدولة الاسلامية فى عهد الخلافة الراشدة ، نكتفى بالاشارة اليهما لنتحدث ببعض التفصيل عن كتابه الرائع (القضايا الكبرى فى الاسلام) حيث سطر مجلدا ممتازا يعرض ما اختاره من أعظم القضايا فى التاريخ الاسلامى مبتدئا بعهد الرسالة النبوية ومنتهيا بقضية الشعر الجاهلى فى العصر الحديث ، وبينهما صور قوية مما جرى على مسرح الأحداث فى العالم الاسلامى فى وقت يمتد الى أربعة عشر قرنا ! وللرجل اجتهاداته الكثيرة ، التى تنبىء عن بصر ناقد ، وتغلغل عميق .

ففى قضية بنى قريظة ناقش من عارضوا الحكم من المستشرقين حين رأى سعد بن معاذ أن يقتل الرجال ، وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء ، اذ ذهبوا الى أن الحكم يطبع بالقسوة .

وقد قال المؤرخون ان سعدا نزل على حكم التوراة التى يدنيون بها ، وهى تقضى بذلك ، فليس لهم أن يخرجوا عن قانون يؤمنون به ، وهو قول له وجهة نظره ، ولكن الأستاذ الصعيدى ذكر تعليلا قويا حين نص على أن بنى قريظة ليسوا أسرى حرب ، حتى نرمى الحكم بالقسوة ، ونميل الى جانب العفو ، لأن الرسول عفا عن بنى النضير وبنى قينقاع، وهم زملاؤهم دون أن يتعرضوا للقتل ، ولم ينفذ فيهم حكم التوراة .

أما بنو قريظة فقد قارفوا الخيانة العظمى حين تحللوا من عهودهم السياسية وانضموا الى الأعداء ، فلم يكونوا فى المبدأ أعداء يعاملون معاملة الأسرى ، ولكنهم خونة أمنهم المسلمون لما بينهم من العهود فانتهزوا محنتهم الخطيرة وغدروا بما اتفقوا عليه ، وكل الشرائع الوضعية تنفذ حكم الاعدام فى الخائنين . وفى حادث الافك ذهب الأستاذ الى أن رسول الله لم ينفذ الحد ــ حد القذف ــ على أحد ، لأن التشريع لا يعمل به فى الأحداث الماضية . بل يعمل به فيما يستجد ، ونقل نصوصا عن الماوردى وابن حجر تدل على أن الحد لم يقم لأن الحد لا يجب الا ببينة أو اقرار ، ولم يثبت أحد هذين ! فالأراجيف قد انتشرت ، وعزيت الى أناس فأنكروا ،

وحامت الشبه عليهم فتنصلوا ولم يقروا ، فاذا أضيف الى ذلك أن حكم القذف لم يكن مقررا من قبل ، فوقف العقوبة متوقع ! وقد نص عليه جماعة من الأئمة .

وفى الحديث عن قتل الحجاج لسعيد بن جبير ، ذهب الأستاذ الى أن العالم الكبير قد استحق القتل لخروجه عن الجماعة ، وعدم اعترافه بالخطأ حين طلب منه ذلك ، وقد شارك

من قبل فى أعمال الحجاج السياسية مؤيدا وجهة الدولة الأموية ، وما كان له أن يفعل ذلك ، والحق أننا لا نميل الى رأى الأستاذ فى ذلك ، لأن المشاركة فى الأعمال السياسية من عالم كبير مثل سعيد بن جبير تعين على دفع الطغيان ، وتقف دون تجاوز الحدود ، واذا كان الحسن البصرى قد اعتزل الحاكمين ، فله رأيه الذى لا نلزم به سعيدا كما حاول الصيدى أن يلزمه بمسلك زميله ، والخروج على الحاكم الظالم أمر مشروع ، فكيف يكون موضع اتهام لسعيد من الأستاذ .

اما رأى الأستاذ الصعيدى فى قضية الشعر الجاهلى فقد جاء دقيقا واعيا لأنه أثبت القصد الجنائى الذى حاولت النيابة العامة نفيه ، كما ورد على قول رئيس النيابة « أن الكتاب يصور رأى عالم باحث ، ومن حقه أن ينشره بين الناس » فقال الأستاذ ان الكتاب لم ينشر بين المثقفين ليعرفوا حقه من باطله ، ولكنه قرر على طلاب لم يبلغوا مبلغ الحكم الأدبى بالصواب والخطأ ، وهؤلاء يتطلبون كتبا صحيحة الأفكار بريئة من الارجاف بالمقررات الدينية والتاريخية ، فاذا ألقى استاذ على طلبته قضايا لم تثبت صحتها فهو متهم ! وهذا حق .

هذا بعض ما يقال فى بعض ما كتب الأستاذ الصعيدى ، ومجال الاحاطة هنا متعذر .

فرحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه أحسن الجزاء .

د. محمد رجب البيومى

طرائف

تحذير من الله

« وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ »

« وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا »

نصيحة

من نصب من نفسه للناس اماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ·

وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ·

ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم ·

قالوا ..

* أبلغ الناس أحسنهم لفظا وأسرعهم بديهة ·

* اذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ، ودوام عهده ، فانظر الى حنينه الى أوطانه ، وشوقه الى اخوانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه ·

* اذا كان الرأى عند من لا يقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لاينفقه ضاعت الأمور ·

* بئس الزاد التعدى على العباد ·

* الزهد فى الدنيا مفتاح الرغبة فى الآخرة ، والزهد فى الآخرة مفتاح الرغبة فى الدنيا ·

* لكل امرىء فى ماله شريكان : الوارث والحوادث ·

* يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم ·

* ما أكثر العبر وأقل الاعتبار ·

دواء هاضم

أهدى يوما صديق لعبد الله بن عمر — رضى الله عنهما — وعاء مملوءا ·

ومواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

فقال ابن عمر : ما هذا ؟

قال الصديق : دواء عظيم جئتك بـه من العراق .

قال ابن عمر : وما يطيب هذا الدواء ؟

قال الصديق : يهضم الطعام .

فابتسم عبد الله ، وقال لصاحبه :

يهضم الطعام ؟ انى لم أشبع من طعام قط منذ أربعين عاما .

أوْحَشُ المَـوَاطِـن

أوحش(١) ما يكـون ابن آدم فى ثلاثـة مواطن : يوم ولادتـه ، ويوم موتـه ، ويوم بعثه .

لذلك قال الله ــ تعـالى ــ فى حق سـيدنا يحيى ــ عليه السلام ــ : « وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا »

يارب

اذا اعطيتنى جاها	فلا تأخذ تواضعى
واذا أعطيتنى قدرة	فـلا تأخذ عفوى
واذا أعطيتنى قـوة	فـلا تأخذ عقلى
واذاأعطيتنى مـالا	فـلا تأخذ سعادتى

راحـــة

راحة الجسم فى قلة الطعام .
وراحة الروح فى قلة الآثام .
وراحة القلب فى قلة الاهتمام .
وراحة اللسان فى قلة الكلام .

دعـــاء

رب اغفر وارحم واهدنى السبيل الأقوم .
رب اغفر وارحم انك أنت الأعز الأكرم .

مولد محمد خاتم المرسلين

للأستاذ محمد فريد وجدى

« يارحمة للعالمين . وهاديا للضالين . وإماما للخاشعين المتبتلين . ونورا من الله هدى به أمة . فأزال غمة . وأقام ملة . بعد ما لقيت من عنت الكفار . وأذى المشركين وكيد المنافقين . وعناد الفاسقين ، أغْرَوْا بك سفاءهم وانت ايها الصادق الأمين تقول بلسان المحب الحنون « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » .

ولأن الله يريد أن يظهر هذا الدين على الدين كله . منحك من رجاحة العقل والقدرة على الصبر . وثاقب الفكر للوصول بهذا الدين الى حيث أراد الله فبلغت الرسالة وأديت الأمانة وكانت رسالتك هى الخاتمة وكنت أنت الخاتم» .

قال الأستاذ :

مصداقا لقوله تعالى : « **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** »

اننا معشر المسلمين نستقبل هذا العيد فى كل عام بقلوب يعمرها الحب والاكبار لصاحبه — صلى الله عليه وسلم — ، فنحتفل به فى مشارق الأرض ومغاربها ، لما حصلنا بهديه من هداية ، وما بلغنا من كرامة ، وليس العهد الذى يكون فيه هذا اليوم عيدا للبشرية كافة ببعيد .

فان العقل الذى أطلقه محمد — صلى الله عليه وسلم — من اساره ، والعلم الذى حرره من ربقته ، لا يفتآن يعملان ، على غير قصد منهما ، على لفت الأنظار الى النور الذى جاء به . ومتى أتما العمل الذى بدآه من القاء نير التقليد الأعمى عن الأعناق ، ورفع حجاب التعصب المذموم عن الصدور ، وازالة غشاوة الجهالة الوراثية عن العيون ، تجلت للناس الآية الكبرى من آيات الروح المحمدية العالمية ، فوجد الناس أنفسهم مسلمين ، ولسان أمثلهم يقول كما قال العبقرى الألمانى (جوت) قبل نحو قرن من الزمان « اذا كان

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

الاسلام هو هذا فنحن أذن فيه » .

نعم : ان العالم بفضل تحرره من الوراثات والتقاليد ، وامعانه فى النقد والتمحيص ، يتمشى على غير قصد منه الى الاسلام بخطوات متزنة ثابتة ، لا توجد قوة فى الأرض ترده عنه ، الا اذا انحل عصام المدنية ، وارتكست الجماعات الانسانية عن وجهتها العلمية . هذا اجمال يحتاج لبيان ، فاليك :

قذف بالانسان الى هذا العالم جاهلا به غاية الجهل ، عميا عن أسراراه كل العماية ، ولولا أن الخالق جل شأنه أوجده حيث الماء والنبات لمات ظمأ وسغبا ، ولولا أنه منحه معارف ضرورية يستطيع بها أن يهرب من الضوارى التى كانت تتعقبه ، ويحتمى من العوارض الطبيعية التى كانت تنصب عليه ، لما أمكنه أن يبقى أكثر من أيام معدودة ، ولكنه وهب عقلا ليس لسلطانه حد يقف عنده ، فأخذ يستهدى بنوره يسيرا يسيرا حتى استطاع أن يأمن شر العوادى ، وأن يجتمع على أمثاله ، وأن يكتشف أوليات العلم ، ومبادىء الحكمة ، ثم ما برح يرقى حتى أسس الأمصار ، وأوغل فى المعارف ،

وسخر قوى الكون ، وسبر مساتير الوجود ، واخترع الآلات المعجبة ، وهو اليوم يحدث نفسه بالصعود الى الكواكب ، وكشف عالم الروح ، والتحكم فى نواميس الحياة .

هذا كله مشاهد محسوس لا يحتاج لتدليل ولكن الذى يحتاج لتنبيه هو أن الانسان فوق كل ما يحصله من علم ، وما يكتشفه من مستور ، يزداد معرفة بما يجب أن يكون عليه الدين الحق ، وما يلزم أن تؤخذ به النفس من الآداب القويمة ، وما ينبغى أن يقيمه لتوثباته من المثل الأعلى للانسانية الصحيحة .

فى أثناء تمشى الانسان فى هذه السبيل الأدبية ، تحت ضوء العلم والفلسفة ، تسقط فى نظره ، الواحدة بعد الأخرى ، جميع الأوهام الموروثة ، والتعصبات التقليدية ، فيرى الخضوع لها عارا عليه ، وسقوطا لكرامته ، ويعمل على تطهير قلبه منها ، واجتثاث جذورها المنبثة فى أقصى ثناياه ، عادا ذلك من متممات وجوده الأدبى .

فتكون النتيجة الحتمية من وراء هذه المحاولات الثقافية فى هذه الناحية تأسس الأصول الآتية :

(**أولا**) زوال آثار الوراثات الدينية .

(**ثانيا**) انمحاء التعصب المذموم للعقائد الباطلة .

(**ثالثا**) قيام النظر العقلى مقام التقليد الأعمى .

(**رابعا**) قبول كل عقيدة تسلم من النقد وتنهض بها حجة .

(خامسا) الميل الى ايجاد زمالة عامة بين الناس كافة ، ومحاربة كل العقائد المفرقة للأمم ، والجاعلة اياها شيعا .

(سادسا) الاتجاه الى نصب العلم فاروقا بين الحق والباطل ، بغير اعتداد برأى أية طائفة من الطوائف أو فرد من الأفراد .

هذه الأصول الستة لا محيص من تولدها كثمرة طبيعية للثقافة العصرية . وقد تولدت فعلا وصارت جزءا من الدستور العلمى لدى ألوف من المشتغلين بجميع الفروع العلمية ، وليس بينها وبين أن تصبح عنصرا رئيسيا من عناصر العقلية الأوربية الى أن تنتشر فيها المبادىء الفلسفية ، وهى لا تزال بعيدة عن الدهماء لأسباب اقتصادية ، ولكن لابد من بلوغها هذه المنزلة بعد قرنين أو ثلاثة .

فاذا بلغ العالم هذه المرتبة من التعقل ، والخلاص من آثار الوراثة ، ثم لاح له أن ينظر فى الأديان التى يعتبرها اذ ذاك بقايا أثرية للعقلية البشرية ، تبين له أنه فى صميم الاسلام ، وأنه فى جهاده العلمى الطويل كان يعمل لاقامة دولته ، واعلاء كلمته ، وهو يتوهم أنه يهدمه فيما يهدم من العقائد الباطلة ، والوساوس المعطلة .

هذا مصداق الآية القرآنية التى أتينا بها فى صدر هذا البحث . وكما جاءت الحوادث مصدقة لقوله تعالى : « **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا الآية** » ، وقد كانوا يعبدون الله سرا ويخشون أن يتخطفهم أعداؤهم ويمزقوهم شذر مذر ، فآتاهم الله خلافة الأرض ، وجعل دينهم ظاهرا على الأديان كلها ، كذلك ستصدق الحوادث ما وعد الله به من أنه سيرى الناس آياته فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أن هذا الدين هو الحق ، وقد ظهرت بوادر ذلك فى أقوال الكثيرين من كبار العلماء فى الغرب ، وقد رأى بعضهم أن أوربا قد لا يمضى عليها قرنان حتى تكون قد اتخذت الاسلام دينا .

لو كان أحد المسلمين قال هذا القول لاعتبر منه مبالغة فى التفاؤل ، ولكن الذى قاله الكاتب الفيلسوف الأرلندى (برناردشو) ، وهو لم يقله ليهزأ به قارئوه ، ويحسبوه من سقطاته ، ولكنه قاله بعد اقتناع به ، وأى شىء يعد بعيدا فيه ؟ أليست الأصول الستة التى أثبتناها هنا ، وهى أخص نتائج الدستور العلمى ، هى نفسها أخص أصول الاسلام ، بل هى معناه وروحه ، والموجب لجعله دينا للعالمين كافة فى كل زمان ومكان ؟

لقد كلف الاسلام كل داخل فيه أن يكون متجردا من كل ما يربطه بالماضى من دين ووراثة وتقليد ووهم وخيال ، وأن يقبل عليه خالى القلب من كل صورة ذهنية ، ورأى

سابق ، على مثال ما يكون عليه الطفل ساعة تضعه أمه .

فاذا تمت له هذه التصفية ، ولقن أمور الدين ، أمر أن يتعقلها ، وأن ينظر فى أدلتها ، ونهى أن يأخذ بها تقليدا مهما كانت مكانة الرجل الذى يقلده ، وكلف أن يتأمل فيما نصبه الله فى الكون من معالم الحق ، وأن يدرسها دراسة المتتبع لأسرار الخلق ، مخضعا كل ما يحصله لأدق أساليب التمحيص والتحليل ، حتى لا يتورط فى الأخطاء فيضل ويضل ، وهو مسئول عن كل ما يسخره فى هذا السبيل من حواسه ومشاعره ، ومحاسب حتى على جيشات خواطره . وانا لمقتبسون لك آيات من الكتاب تريك مكان هذه الأصول منه ، فاليك :

قال الله تعالى فى ماهية الدين الحق : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » .

وقد شرح النبى ــ صلى الله عليه وسلم هذه الفطرة ، فقرر أنها مثل الحالة التى يكون عليها الطفل ساعة ميلاده ، فقال : « كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ، أى أن كل مولود يولد على الدين الحق المطلق ، ولكن أبويه ينقشان فى عقله من الصور ما يغيران به هذه الفطرة السليمة لتعلق به فلا يستطيع عنها حولا .

وقال تعالى فى ذم اتباع الظنون والأوهام : « إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ » وقال : « وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا » .

وقال تعالى فى النهى عن اتباع الهوى : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ » .

وقال فى وجوب اقامة سلطان العقل : « أَفَلَا تَعْقِلُونَ » وكرر ذلك فى آيات كثيرة بألوان مختلفة عشرات من المرات .

وقال تعالى فى دم الذين لا يعرفون للعقل حقه : « إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ » .

وقال : « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » .

وقال : « وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ » وقال : «وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ » .

وقال تعالى فى المسئولية الشخصية ، وفى عدم جواز الاعتماد على الغير : « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ » .

وقال : « وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى • وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى • ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى » .

وقال : « وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن

نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ (أى فداء) » .

وقال تعالى فى ذم التقليد الأعمى : « وقالوا (أى يوم القيامة) رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا » وقال : « إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا (أى يوم القيامة) مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ » .

وقال تعالى فى وجوب طلب الدليل القاطع على كل عقيدة ، وفى النعى على الذين يعتقدون تقليدا بغير حجة : « وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ » .

وقال فى وجوب تقاضى الدليل من كل صاحب قول : « قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » .

وقال فى تسفيه أحلام الذين يجمدون على ما ورثوه من آبائهم من الأباطيل : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ ، قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ » .

وقال : « بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ » .

هذا دستور دينى جاء به محمد ــ صلى الله عليه وسلم فى زمن لم يكن فيه لدستور أيا كان نوعه دولة فى الأرض ، لا من الناحية السياسية ، ولا من الناحية العلمية . أما من الناحية الدينية فقد كان لا يعرف أحد أن للاعتقاد دستورا قط . فكان الناس من أمر السياسية غرقى الى يآفيخهم فى حكومة الفرد ، لا يعرفون لهم حقوقا عليها ، ولا وجودا معها . بادت دساتير اليونان والرومان قبل عهد البعثة المحمدية بأكثر من ألف سنة ، فكانت الأمم تجهل أنها كانت لها جمهوريات ومجالس نيابية ودساتير مدونة . وكانوا من أمر العلم فى غيهبة مظلمة لا يعرفون له حفظة غير زعمائهم الدينيين ، وناهيك بهم وفى هذا الموطن .

أما أمر الدين فكان دستوره عندهم : « اعتقد وأنت أعمى » ، كما قاله العلامة لاروس فى دائرة معارف القرن التاسع عشر . أما هذا معقول وهذا غير معقول ، وهذا يحتاج لدليل ، فعبارات كانت تجر الى النار المحرقة فى تنانير أعدت لذلك .

جاء محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بذلك الدستور الدينى والناس قاطبة على ما وصفنا من العمايات المتراكبة بعضها على بعض ، وقد جمدوا على ما كانوا عليه حتى صار حالا ملازما لهم لا يتصورون الحياة على حال غيره ، بل ولا يحبون أن يسمعوا داعيا يدعوهم الى نقيضه ، واذا أقدم على ذلك وصموه

بالجنون • وقد حكى الله ما قالوه للنبى – صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى النور ، فقال تعالى : « وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ » •

وقالوا : « أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ » ؟ فرد الله عليهم بقوله : « أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ » •

فاذا كانت ثمرة هذا الدستور الالهى فى البقعة الفسيحة من الأرض التى استولى عليها المسلمون فى أول الاسلام دخول أمم برمتها فيه ، بغير اجبار ، بل بغير دعاية منظمة ، والعقول لم تصقلها العلوم ، والنفوس لم توقظها الشكوك ، فماذا ينتظر أن يكون عليه حال العالم المتمدن اذا عرف الاسلام حق معرفته ، وتبين الناس أنه لاينطبق على الدستور العلمى فحسب ، ولكن أصوله الأولية هى ذلك الدستور نفسه ، بالغا أكمل ما يمكن أن يصل اليه من السمو والاحاطة بكبريات الأمور وصغيرياتها ، بحيث لا تفلت منه حتى همسات السرائر ، وحركات الضمائر ؟ •

العالم المتمدن يحاول حل مسألة الدين :

قد يقول معترض : انكم تنفقون أوقاتكم فى الكلام عن العالم المتمدن من ناحية الدين ، على حين أنه قد فرغ منها ، ولم يعد يخطرها بباله ، وقد محض نفسه للبحوث المادية ، وتسخير قوى الكون لحياته الدنيوية •

الحقيقة أن المعترض غير مصيب فيما يقول ، فان العالم المتمدن اليوم أشغل ما يكون بالمسألة الدينية من جميع نواحيها ، فان كان لابد من الاستشهاد بأقوال أقطابه ، فاليك ما كتبه الأستاذ (هنرى بيرانجيه) فى المجلد الرابع والعشرون من مجلة المجلات الفرنسية ، قال :

« ان المسألة الدينية أهم ما يشغل العالم المتمدن اليوم ، لأن مستقبل الأمم المتحضرة يتوقف على حلها » •

ثم قال :

« اذا كان النقد التاريخى قد حطم كل الأشكال المتحجرة فى الأديان ، فانه لم يستطع أن يعدو على العاطفة الدينية ، بل اعترف باستمرارها وشيوعها فى كل دور من أدوار التاريخ ، ورأى أن كل تلك الآلهة المختلفة المتعاقبة ، تشهد بأن الانسان مفطور على الاعتقاد بالله رغم أنفه • ففى كل جهة وكل زمان قد شوهدت حاجة الانسان الى الدعاء والعبادة والتضحية فى أخس الأديان الوثنية ، كما هى فى أرقى المذاهب الروحانية • هذه هى الشرارة البسيكولوجية (النفسية) التى استخلصها من رماد العصور الماضية ، تاريخ المقارنة بين الأديان ، فمن المحال أن يطفئها ، ولكنه سينقلها الى المستقبل » •

ثم قال :

« اننا نأمل الوصول الى حل المسألة الدينية ، وبخاصة لأن الديانة الفطرية قد ولدت منذ مائة عام ، ودرست بواسطة بعض كبار الفلاسفة الفرنسيين ، فجان جاك روسو ، ولمرتين ، ولامنيه ، وميشليه ، وكينيه ، كانوا من كبار المبشرين بهذه الديانة الجديدة •

وقريب منا ارنست رينان ، وجيو ، وشوريه ، وسبتييه ، قد أمدوها بقوة جديدة عظيمة » .

نقول : ما هى هذه الديانة الفطرية التى يعتقد المفكرون فى الغرب بأنها الديانة العالمية العلمية المستقبلة ؟ .

نأتيك بها عن لسان أحد كبار أشياعها وهو الفيلسوف (كارو) فقد قال فى كتابه : (البحوث الأدبية على الزمان الحاضر) :

« أصول الديانة الطبيعية هى الاعتقاد بوجود اله مختار خلق الكائنات وعنى بها ،

وهو متميز عن العوالم الكونية وعن النوع الانسانى ، ووجود روح للانسان متصفة بالادراك والحرية ، ومحبوسة فى هذا الجثمان المادى أمدا لتبتلى فيه . وهذه الروح تستطيع بارادتها أن تطهر هذا الجثمان وتنقيه ، اذا عرجت به نحو السماء ، ويمكنها ان تسفله باخلادها الى المادة الصماء ، والاعتماد المطلق

بسمو العقل على الحس ، ووضع الحرية الخلقية التى هى ينبوع وأصل جميع الحريات تحت سيطرة الاعتدال ، واعطاء الصفات الفاضلة اسمها الحقيقى وهو الامتحان والابتلاء ، وتحديد غرضها الصحيح، وهو التخليص التدريجى للنفس من

علائق الجسم ، والتهيؤ لساعة الموت بالزهادة . وأخيرا الاعتراف بناموس الترقى ، ولكن بدون فصل ترقى الانسان فى مدارج

السعادة المادية عن العواطف الفاضلة التى هى وحدها تبرر تلك السعادة » .

انتهى

نقول : هل يعنى كل هذا الجهد الجاهد من الفلاسفة والمفكرين غير محاولة الرجوع لدين الفطرة ، تحت تأثير حوافز من أنفسهم ، ومن تجلى آيات الله لهم ، فى الآفاق المحيطة بهم ، مصداقا لتلك الآية الكريمة ؟ .

فالدين الفطرى آت لا محالة ، مثله كمثل كل ما يدعو الى وجوده القلب والعقل ، والدين الفطرى هو الاسلام بنص كتابه ، وبموجب أصوله ، فاذا آنس الناس تلكئوا فى التمشى اليه ، فذلك أمر طبيعى ، لأن أكثر الناس عوام يجمدون على ما ورثوه ، ويستميتون فى تأييده وان كانوا لا يعقلونه ، ولكن بوتقة الوجود دائبة على صهر العقول جيلا فجيلا ،

ونفى الكدر العالق بها طبقة بعد طبقة ، والحقائق فى الوقت نفسه تزداد ذيوعا بينهم ، فلا يزال الأمر جاريا على هذه الوتيرة حتى لا يبقى فى الناس من يعتقد مالا يعقل ، واذ ذاك تحل الروح الاسلامية فى العالم بكل ما قامت عليه من أصول عقلية ، ومبادىء علمية ، فيتحقق أعظم اصلاح عالمى يتمناه المصلحون فى العصر الراهن .

فى ذلك اليوم لا يستطيع مفكر كالأستاذ (هنرى بيرنجيه) المتقدم ذكره أن يقول : « لما كانت الأديان ليست بشىء غير مظاهر رمزية للعاطفة الدينية فستتلاشى الأديان آجلا أو عاجلا ككل الآثار الانسانية ، ولكن

تلك العاطفة لن تتلاشى أبدا الا مع الانسـان نفسـه » •

نعم لا يستطيع أن يقول ذلك ، لأنه يجـد الدين الأخير منها ، هو تلك العاطفة نفسها ، كما ينص عليه كتابه فى قوله : « **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** » ، ويجد أن كل ما تسـتدعيه تلك العاطفة الدينية من معتقدات وعبـادات ومعاملات ، مشروط فيه الرجوع به الى حكم العقل والعلم ، لا الى تحكم الهوى والجهل •

فكل حق وهدى وعلم وخير وترق : فهـو فى شرعة هذا الدين الفطرى دين ؛ وكل بـاطل وضلال وجهل وشر وتدل ، فهـو فى شرعتـه كفر •

هذا هو الدين الذى جاء به محمد ــ صلى الله عليه وسلم دينا عاما للبشر كـافة ، فهل تجد محيصا للبشر عنه ؟

كيف يعقل ذلك والفطرة أساسه ، والعقـل نبراسه ؟ وهل للبشر محيد عنهما مهما حاولوا ذلك وتكلفوه ؟ فان كان فى العالم أصلان كلمـا أمعنت فى البعد عنهما ، ازددت قربا منهما ، فهما للفطرة والعقل •

أفلا يحق لنا بعد هذا أن نقول : ان اليوم الذى يحتفل فيه العالم أجمع بميلاد خـاتم المرسلين ليس ببعيد ؟ •

فاللهم صل وسلم وبارك على محمـد فى الآخرين ، كما صليت وسـلمت وباركت على ابراهيم فى الأولين ، انك حميد مجيد ! •

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب تفسير العلوم والمعانى المستودعة فى السبع المثانى

وهو تفسير لفاتحة الكتاب للتجيبى

إن مكتبة الأزهر الاسلامية تزخر بكثير من الكتب النادرة فى التفسير للقرآن الكريم ، لأنه من أهم ما يشغل عقول المفكرين والباحثين .

ومازال أولو الفضل من أهل العلم يقدحون أذهانهم لاجلاء بعض المعانى وما يحويه الكتاب الكريم من درر يسعد بها الانسان فى الدنيا والآخرة .

من العلماء الذين استقرأوا وفهموا حتى وصلت عقولهم الى الادراك العلمى الشيخ أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبى (٢) ، أبو العباس بن الأقليشى .

عالم بالحديث . أصله من « اقليش » بالأندلس ولد ونشأ فى دانية . ورحل الى المشرق . فجاور بمكة سنين ، وعاد يريد المغرب فتوفى بقوس من « صعيد مصر » سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) .

من كتبه (النجم من كلام سيد العرب والعجم) و (الغرر من كلام سيد البشر) و (ضياء الأولياء) عدة أجزاء و (الكوكب الدرى) فى علم الحديث وغير ذلك .

قال عنه صاحب « نفح الطيب » من غصن الأندلس الرطيب جـ ١ ص ٦٢٥ . انه عرف بابن الاقليشى وهو صاحب كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم ـ صلى الله عليه وسلم ـ عارض به كتاب القضاعى .

وقد سمع من أبيه وأبى بكر أبى العباس بن عيسى ـ وتلمذ له . ورحل الى (بلنسيه) فأخذ العربية والآداب عن أبى محمد البطليوسى .

وسمع الحديث من صهره أبى الحسن طارق بن يعيش . والحافظ أبى بكر بن العربى . وأبى الوليد بن خيره . وابن الدباغ . ولقى بالمرية أبا القاسم بن ورد ، وأبا محمد عبد الحق بن عطية وولى الله سيدى أبا العباس بن العريف . وكان عالما عاملا متصوفا شاعرا مجودا مع التقدم فى الصلاح والزهد والعزوف عن الدنيا وأهلها والاقبال على العلم والعبادة .

وكان يضع يده على وجهه اذا قرأ القارىء فيبكى حتى يعجب الناس من بكائه ، وكان

---

(١) الكتاب موجود بمكتبة الازهر برقم خاص ٢٥٥ وعام ٤٢٥٣ علم التفسير .

(٢) الاعلام للزركلى جـ ١ ص ٢٤٣ .

للأستاذ محمد عميرة على

الناس يدخلون عليه بيته والكتب عن يمينه وشماله . وقد وصف غير واحد امامه وعلمه وورعه وزهده . ومن شعره :

أسير الخطايا عند بابك واقف
له عن طريق الحق قلب مخالف
قديما عصى عمدا وجهلا وغرة
ولم ينهه قلب من الله خائف
تزيد سنوة وهو يزداد ضلة
فها هو فى ليل الضلالة عاكف

وكتابنا الذى نقدمه لقرائنا اليوم كتاب (تفسير العلوم والمعانى . المستودعة فى السبع المثانى — وهو تفسير لفاتحة الكتاب .

قال مؤلفه رحمه الله فى أوله : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . وآتاه السبع المثانى والقرآن العظيم صراطا واضحا ومنهجا . وجعل له بأنواره من كل مشكل مخرجا وصلواته عليه فهو الذى ابتعثه نورا ساطعا فى الدجا وسراجا منيرا .

أما بعد : فان كتاب الله العظيم وذكره الحكيم المنزل على نبيه الكريم . وهو الضياء الذى ينبغى لكل مسلم أن يستضىء بأنواره والظل الظليل الذى يجب على كل موقن أن يتبع مواقع آثاره . وان الذى يعين على فهمه وتحصيل مكنون علمه تفسيره وشرحه . وقد حرك الآن خاطرى رب الأرباب أن أفسر منه فاتحة الكتاب لأنها سورة يربو فضلها على الحصر والحساب، وتوجب لعارفها أطمع الثواب وأنجح المثاب . وحسبك ماورد فى فضلها فى الذكر الحكيم وعلى لسان النبى الكريم . هذه السورة العظيمة سماها رسول الله ﷺ « ام القرآن » وفاتحة الكتاب» « والسبع المثانى » « والقرآن العظيم » .

فاما تسميتها ام القرآن ففى الحديث الصحيح عن النبى عليه الصلاة والسلام (كل صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج) .

وأما تسميتها فاتحة الكتاب فقوله — صلى الله عليه وسلم — « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » .

وأما تسميتها السبع المثانى والقرآن العظيم فقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الصحيح « هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيت » .

وبعد أن تكلم فى تسمية سورة الفاتحة مستشهدا بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قال : أول آية من هذه السورة اختلف فيها الصحابة والتابعون والفقهاء والاصوليون والعادون .

فذهب ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم من الصحابة الى أن أول آية منها « بسم الله الرحمن الرحيم » وبه يقول مكحول وطاوس وعطاء وابن المبارك وغيرهم

وهو مذهب الشافعى وابن وهب المالكى وطائفة كثيرة والى هذا ذهبت طائفة من أهل النظر من الاصوليين . واحتجوا بأن القراءات السبع وردت تواترا وثبتت ثبوتا لازما وقد أسقط بعض القراء السبعة (بسم الله الرحمن الرحيم) من سائر سور القرآن حاشى « الحمد لله رب العالمين » فانه أجمعوا على اثباتها وهذا يدل على أنه آية منها ، واحتجوا بحديث أم مسلمة أنها قالت كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته آية آية يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد الله رب العالمين » وهذا الحديث صحيح وأما العادون للآية فمن جعل قوله تعالى « صراط الذين أنعمت عليهم » الى آخر السورة آية . جعل بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب .

وقال عبد الرازق فى مصنفه قرأها علينا ابن جريج بسم الله الرحمن الرحيم . آية . الحمد الله رب العالمين . آية . الرحمن الرحيم آية . مالك يوم الدين . آيه . اياك نعبد واياك نستعين . آية . اهدنا الصراط المستقيم . آية ، صراط الذين أنعمت عليهم الى آخرها آية .
وأما من قال ان أول آية من هذه السورة الحمد لله رب العالمين ، وأن بسم الله الرحمن الرحيم ليست آية منها فهو مذهب مالك والأوزاعى والطبرى .

ومذهب من عد قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آيتين لأن فاتحة الكتاب سبع آيات بلا اختلاف

واختار القاضى أبو بكر الباقلانى هذا المذهب ونصره ورأى مذهب مالك أقوى المذاهب ، وهذه مسألة قد طال فيها الكلام بين العلماء وتكاثرت الحجج والأدلة بينهم فيها . والصحيح أنها مسألة اجتهاد وأنها موكولة الى النظر . الخ

واسترسل المصنف فى سياق الآراء التى أوردها العلماء فى حكم من عد بسم الله الرحمن الرحيم آية أو أنها غير آية .

وأما قوله الرحمن الرحيم اسمان من أسمائه تعالى مشتقان من الرحمن ورحمة الله تعالى تكون صفة ذاتية . وتكون صفة فعلية ، فان كان معنى الرحمن ارادته فيض الخير على عباده كانت الرحمة صفة ذاتية . وان كانت الرحمة نفس الفيض والانعام كانت صفة فعلية ولله تعالى فى ذاته رحمة واحدة أزلية هى صفة له ذاتية ترجع الى ارادته الانعام والاحسان قبل ايجاد الموجودات ثم أوجد الانعام والاحسان على ما اقتضته ارادته السابقة فكان الانعام الموجود بعد ان لم يكن هو نفس الرحمة الفعلية وتتكاثر رحمات الله تعالى فى الوجود بتكاثر انعامه واحسانه .

ولذلك ورد فى الصحيح عن رسول ﷺ أن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء الى الأرض . فجعل منها فى الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض ، فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة . فهذه المائة الرحمة هى الرحمات المخلوقة منها فى الأرض واحدة أظهرها فى الدنيا

بين عباده ، وتسعة وتسعون فى الآخرة ، ثم تتصل هذه الرحمة الدنيوية بالرحمات الأخرية فيكون مائة على عدد درجات الجنة ، فاذا رحم بهذه الرحمات المخلوقة عباده بالآخرة كشف بهم الحجاب عن ذاته حتى يروا رحمته الذاتية التى وسعت كل شيء كما وسع علمه كل شيء ، كما قال تعالى نقلا عن ملائكة الكرام «رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا» الى آخر ماذكر فى هذا المقام .

وقوله تعالى الحمد لله رب العالمين . هذه هى الاولى من فاتحة الكتاب عند مالك رحمه الله والأوزاعى والطبرى وهو مذهب القاضى الباقلانى وهى الآية الثانية عند الشافعى وجماعة من العلماء فأما قوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » فان الحمد موضوع اللسان كلمة أريد بها الثناء والمدح فقول العرب حمدت فلانا أحمده اذا أثنيت عليه مدحته ، فالحمد لله ثناء لله تعالى من الله تعالى ومدح لذاته من نفسه . وهو أيضا تعليم منه لعباده كيف تمدحونه وتثنون عليه ، فأما كون الله تعالى حامدا لنفسه فان ذلك يرجع الى كون ذاته مستحقة للمدح والثناء بما لها من الجلالة فى ذاتها وما استحقت من الصفات المقدسة والأسماء وما أبدع من موجودات الأرض والأسماء وما يثبت فى الوجود من السراء والضراء فهو المحمود من نفسه لنفسه على كل حال والغنى عن حمد كل حامد بلسان مقال أو حال فحمده لنفسه هو بكلامه القديم فى أزله فحمد نفسه لوحدانيته برأته عن الانداد والأضداد والشركاء والأولاد كما قال تعالى « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ » الى آخر ما ذكر فى هذا المعنى .

وقال فى قوله تعالى « الرحمن الرحيم » ان هذه الآية هى الثانية عند مالك بن أنس رضى الله عنه ، ومن قال بقوله . وهى الآية الثالثة عند الشافعى رضى الله عنه — وجماعة من العلماء ولكل قائل بمذهب من هذين المذهبين حجة بكل حجج .

وقد ذهب المحتج للشافعى ومن قال بقوله والمنتصر له والرد على مخالف مذهبه فى قوله تعالى « الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم بعد ان قال بسم الله الرحمن الرحيم الى ما سيأتى بيانه بعد اذ ذهب بعد أهل النظر من اهل الخطابة الى تقوية حجة مالك فى قوله ان بسم الله الرحمن الرحيم ليست آية من الحمد لله بقوله تعالى « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم » وقال : لو كانت بسم الله الرحمن الرحيم آية من الحمد لله رب العالمين لم يكرر الرحمن الرحيم مرتين والقرآن أفصح الكلام لأنه تنزل بأفصح لغات العرب والعرب لا تكرر الكلام مثل هذا التكرير ، فاستدل بهذا على أن بسم الله الرحمن الرحيم ليست آية من الحمد لله .

وفى قوله تعالى « مالك يوم الدين » هذه الآية الثالثة على مذهب مالك ومن قال بقوله وهى الآية الرابعة على مذهب الشافعى وأكثر العلماء وثبتت القراءتان مالك يوم الدين ،

وملك يوم الدين ، ثبوتا متواترا ومن العلماء من استحسن قراءة « ملك يوم الدين » لقوله تعالى «لمن الملك اليوم» ولأن كل ملك مالكا وليس كل مالك ملكا . يقول فلان ملك البلدة ومالكها وتقول مالك الثوب ولا تقول ملكه ، فعلى هذا يكون الملك أعم من المالك ، واختار أبو حاتم قراءة مالك ورآها أجمع من ملك لأنك تقول ان الله مالك الناس ومالك الطير ومالك كل شىء من الأشياء ونوع من الأنواع ، ولا يقال الله ملك الطير ولا ملك الريح ونحو ذلك انما يحسن مالك الناس ، وأما يوم الدين فهو يوم الحكم والجزاء والحساب والفصل والقضاء ، وقد وصف الله هذا اليوم فى كتابه بأوصاف كثيرة ، وعدد المصنف علامات ومشاهدات يوم القيامة.

وقال فى « اياك نعبد واياك نستعين » هذه الآية الرابعة عند مالك رحمه الله ومن نحى نحوه والآية الخامسة عند الشافعى وغيره . وهى التى قال فيها النبى عليه الصلاة والسلام . فاذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله تعالى فهذه بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل . معناه أن عبدى توجه الى بالعبادة وسألنى العون عليها فعبادته متقبلة . فالعبادة وصف العبد والعون من الله تعالى للعبد فلذلك قال فهذه بينى وبين عبدى .... الخ .

وأما قوله تعالى « أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » هذه ثلاث ايات عند مالك ومن قال بقوله وهما آيتان عند الشافعى وطائفة من العلماء ، واحتج مالك بقوله عليه الصلاة والسلام حاكيا عن الله تعالى فهؤلاء بينى وبين عبدى وهؤلاء انما يكون للجمع والثلاثة جمع ، واحتج للشافعى بأن الاثنين أول الجمع . وقوله تعالى « أهدنا » هو سؤال ورغبة من العبد لربه فى الهداية وقد أمر الله كل مكلف أن يسأله الهداية الى الصراط المستقيم . الى آخر ما ذكر من الشرح .

وختم المصنف كلامه بقول المصلى (آمين) بعد خاتمة فاتحة الكتاب فقال : معناه اللهم استجب لنا دعاءنا الذى دعوناك به فى قولنا « أهدنا الصراط المستقيم » صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين « ولذلك قال الله تعالى فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل فانما وقع تأمينه على هذا السؤال . وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا قال أحدكم آمين قالت الملائكة فى السماء آمين فوافقت احداهما الأخرى غفر له ماتقدم من ذنبه » .

والنسخة فى مجلد بقلم مشرقى قديم بخط خالد بن عمر ٦٢٧ هـ فى ١٠٥ ورقات ومسطرتها سبعة عشر سطرا .

أيها القارىء الكريم : ان الكتاب الذى نقدمه اليك نسخة فريدة من المخطوطات النادرة بمكتبة الازهر الشريف هو بمثابة الارشاد والتنويه عن هذه الكنوز التى تزخر بها المكتبة ، ونقدم اليك خلاصة لموضوع الكتاب حتى تضع يدك على شىء قد يكون خفى عليك أو غاب عن ذهنك ، فنعطيك الوسيلة وعليك التمام الى الغاية التى تريدها وينشدها كل باحث أو محقق .

محمد عميرة على

اللغة والأدب والنقد

الفصل بين المتلازمين
في النحو العربي

الصحافة الإسلامية في مصر

الفصل بين المتلازمين في النحو العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

« وبعد »

فهذا بحث أقدمه — بمشيئة الله — لقراء العربية ، وموضوعه :

« الفصل بين المتلازمين في النحو العربي »

وأعني به على سبيل المثال لا الحصر ،الفصل بين الصلة والموصول — الفصل بين العدد ومميزه — الفصل بين المتضايفين . الفصل بين فعلى التعجب ومعمولهما — الفصل بين ما وفعل التعجب — الفصل بين نعم وفاعلها — الفصل بين من التفضيلية وأفعل التفضيل — الفصل بين الصفة والموصوف .

وبعد هذه العجالة أعود فأفصل القول فيما أجملته فأقول وبالله التوفيق .

أولا : الفصل بين الصلة والموصول :

اعلم وفقني الله وإياك — أن الموصول لا يتم الا بصلته ومن ثم لا يجوز الفصل بينهما بأجنبي ، أعني بما ليس من الصلة — وقد جوز بعض النحاة الفصل بينهما : بمعمول الصلة ، وبالجملة الاعتراضية ، وبجملة القسم وبجملة الحال ، وبالنداء فمن الفصل بمعمول الصلة قولهم : (جاء الذى زيدا ضرب) .

ومن الفصل بالجملة الاعتراضية قول الشاعر :

ماذا — ولا عتب في المقدور — رمت أما
يكفيك بالنجح أم خسر وتضليل

ففي هذا البيت فصل بين (ذا) و (رمت) بقوله : (ولا عتب في المقدور) لأن فيه توكيدا لمضمون الجملة الموصول بها . ولكن ينبغي أن نلاحظ أن (ذا) من قوله (ماذا) لا تتعين أن تكون موصولة بل تحتمل أن تكون (ماذا) كلها استفهامية ، وعلى هذا فلا شاهد في البيت .

ومثال الفصل بجملة القسم قول جرير (١):

ذاك الذى وأبيك تعرف مالكا
والحق يدفع ترهات (٢) الباطل

ففصل بالقسم الذى هو (وأبيك) بين الذى وصلته ، لأن فيه تأكيدا .

---

(١) شرح ديوان جرير ص ٤٣٠ — تاليف الاستاذ محمد اسماعيل عبد الله الصاوى — الشركة اللبنانية للكتاب — بيروت — لبنان .

(٢) الترهات : جمع ترهة كقبرة وهى : الاباطيل المزخرفة او التى لا نظام لها .

للدكتور حمدى عبد الحميد المقدم

ومثال الفصل بجملة الحال قول الشاعر :

ان الذى وهــو مثر لايجود حــر
بفــاقة تعتريـــــه بعــــد اثراء

ففصل بجملة الحال وهى قوله (وهـــو مثر) بين الموصول وصلته • قال ابن مالك : والجملة الحالية أولى ألا تعـــد أجنبيا ، وكذا النـــداء الذى يليه مخاطب ، كقول حسان بن ثـــابت يرثى سعد بن معاذ رضى الله عنه (١) :

وأنت الذى ياســعد أبت بمشهد
كريم وأثواب الســـيادة والحمد

ففصل بين الموصـــول وصلته وهى (أبت) بالنداء ، وهو ياسعد •

* قال ابن مالك : فان لم يكن مخاطب عد الفصل أجنبيا ولم يجز الا فى الضرورة كقول الفرزدق :

تعش فان عـــاهدتنى لا تخـــوننى
نكن مثل مـــن يـــاذئب يصطحبان

« ملاحظة » : ان كان الموصول (أل) فان الفصل بينه وبين صلته لا يجوز بحال مـــن الأحوال لا بأجنبى ولا بغيره ، لأنها كجزء من الصلة ، وكذا الموصول الحرفى ، لأن امتزاجه بصلته أشد من امتزاج الاسم بصلته (٢) •

ثانيا : الفصل بين العدد ومميزه

اعلم أن العدد مع المعدود ككلمة واحدة ، ألا ترى أن العدد عشرين مع مميزه بمنزلـــة رجل ورجلان ، ولو وجدوا لفظا دالا عـــلى المعدود مع العدد كمـــا فى المفـــرد والمثنى لم يحتاجوا الى العدد ، ومن ثم لا يجوز الفصل بينهما الا فى الضرورة كقـــول العبـــاس بن مرداس •

عـــلى أننى بعـــدما قـــد مضى
ثـــلاثون للهجـــر حـــول كميـــلا

وقول الآخر :

فأشهد عند الله أن قد رأيتهـــا
وعشرون منهـــا اصبعا من ورائيا

وقول جرير (٣)

فى خمس عشرة مـــن جمادى ليلة
ما أســـتطيع على الفراش رقادى

---

(١) أنظـر الديوان ج١ ص ٤١٥ تحقيـــق د• وليد عرفات دار صادر بيروت ١٩٧٤ م •

(٢) أنظر فى هذه المسألة شرح جمل الزجاجى لابن عصفور ج١ ص ١٨٦ تحقيق د• صـــاحب ابو جناح سنـــة ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م وهمـــع الهوامع للسيوطى ج ١ ص ٨٨ الطبعة القديمة ، وشرح الكافية الشافية تحقيق د• عبد المنعم هريدى ١ ــ ٣٠٨ دار المأمون للتراث •

(٣) شرح الديوان ص ١٢٢ وروايتـــه : (لى خمس ••• ما استطيع) •

الفصل بين المتلازمين

ولعلنا نلاحظ أن الفصل بين العدد ومميزه فى الأبيات الثلاثة كان بالجار والمجرور والظرف •

ومن المعلوم أن الظرف والجار والمجرور يتوسع فيهما مالا يتوسع فى غيرهما •

« ملاحظة » كل مقدار مع مميزه لا يفصل بينهما نحو (رطل زيتا) ، لأنه هو بدليل اطلاق أحدهما على الآخر (١) •

ثالثا : الفصل بين المضاف والمضاف اليه

زعم كثير من النحويين أنه لا يفصل بين المضاف والمضاف اليه الا فى الشعر خاصة ، لأن المضاف اليه منزل من المضاف منزلة جزئه، لأنه واقع موقع تنوينه فكما لا يفصل بين أجزاء الاسم لا يفصل بينه وبين ما نزل منزلة الجزء منه ، وهو قول البصريين •

وذهب الكوفيون الى أنه يجوز الفصل بينهما فى غير الشعر • ولما أراد المتأخرون من النحاة أن يفصلوا فى هذه المسألة نظروا الى الأدلة التى ورد فيها الفصل بين المضاف والمضاف اليه فوجدوا بعض هذه الأدلة كلاما لا ضرورة فيه كقراءات رويت فى بعض آيات القرآن الكريم •

وكأحاديث رويت عن النبى ﷺ وهو أفصح العرب •

وكعبارات رواها الأثبات عمن شافهوهم من العرب المحتج بكلامهم ، فلم يستطيعوا الا أن يجعلوا مسائل الفصل بين المتضايفين على ضربين :

ضرب يجوز فى سعة الكلام ، وذلك فيما وجدوا له دليلا فى الكلام المنثور ، أو وجدوه شائعا فى شعر الشعراء المعروفين مع أن له تعليلا صحيحا يجرى على ما عهد فى كلام العرب وحصروا هذا القسم فى مسائل ثلاث :

والثانى : ضرب لا يجوز فى سعة الكلام ، وانما يحتمل منه ما ورد فى الشعر ، ويعتبر ضرورة من ضرورات الشعر ، وهو ما لم يجدوا له دليلا فى غير الشعر الذى لم يعرف قائله ، أو عرف ولكن التعليل الذى يسلكه فى مسالك الكلام العربى غير متوافر فيه ، وحصروا هذا القسم فى أربع مسائل • وهذا ما سوف أوضحه فى هذا البحث •

فأقول : اعلم أن مسائل الفصل بين المتضايفين فى السعة ثلاث : —

احداها : أن يكون المضاف مصدرا والمضاف اليه فاعله والفاصل مفعوله كقراءة ابن عامر(٢) « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » (٣) برفع (قتل) على أنه نائب فاعل (زين) ونصب (أولادهم) وجر (شركائهم) فقتل مصدر مضاف ، وشركائهم مضاف اليه من اضافة المصدر الى فاعله ، وأولادهم مفعول به ، والذى حسن الفصل فى

(١) انظر فى هذه المسألة : الهمع ١ـ٢٥٤ والدرر اللوامع ١ـ٢١٠ ، وشرح الكافية للرضى ٢ـ٩٦ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٤ـ١٣٠ ، وشرح جمل الزجاجى ٢ـ٣٥ ، والمقتضب للمبرد تحقيق د• محمد عبد الخالق عضيمة ٣ـ٥٥ ، ٥٦ وشرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك ص ٥٣٢ تحقيق عدنان عبد الرحمن الدورى ط ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م •

(٢) انظر حجة القراءات للامام أبى زرعة ص ٢٧٣ تحقيق سعيد الافغانى •

صحة الكلام هنا ثلاثة أمور :

الأمر الأول : كون الفاصل فضلة لكونه مفعولا به وذلك مسوغ لعدم الاعتداد به .

الأمر الثاني : كون هذا الفاصل غير أجنبى لتعلقه بالمضاف .

الأمر الثالث : كونه مقدر التأخير من أجل أن المضاف اليه مقدر التقديم بمقتضى الفاعلية المعنوية ، فسقط بذلك قول الزمخشرى فى كشافه « وأما قراءة ابن عامر فشىء لو كان فى مكان الضرورات وهو الشعر كان سمجا مردودا فكيف به فى الكلام المنثور ، فكيف به فى القرآن المعجز بحسب نظمه وجزالته » (١)

ويقول أبو حيان فى البحر المحيط ٤/٢٣٠ : « وأعجب لعجمى ضعيف فى النحو يرد على عربى صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها فى لسان العرب فى غير ما بيت وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا وغربا .

وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم . ولا التفات أيضا لقول أبى على الفارسى : هذا قبيح قليل الاستعمال ولو عدل عنها « يعنى ابن عامر » كان أولى ، لأنهم لم يجيزوا الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف فى الكلام ، مع اتساعهم فى فى الظروف ، وانما أجازوا فى الشعر » .

وجاء فى النشر فى القراءات العشر ٢/٢٦٣ ــ ٢٦٤ : « قلت : والحق فى غير ما قاله الزمخشرى ونعوذ بالله من قراءة القرآن بالرأى والتشهى ، وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد فى الكتابة من غير نقل ؟ .

بل الصواب جواز مثل هذا الفصل ، وهو بين المصدر وفاعله المضاف اليه بالمفعول فى الفصيح الشائع الذائع اختيارا ، ولا يختص ذلك بضرورة الشعر .

ويكفى فى ذلك دليلا هذه القراءة الصحيحة المشهورة التى بلغت حد التواتر . كيف وقارئها ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة كعثمان بن عفان وأبى الدرداء ــ رضى الله عنهما .

وهو مع ذلك عربى صريح من صميم العرب فكلامه حجة ، وقوله دليل ، لأنه كان قبل أن يوجد اللحن ويتكلم به ، فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن ... الخ » .

المسألة الثانية : أن يكون المضاف وصفا والمضاف اليه مفعوله الأول والفاصل اما مفعوله الثانى ، كقراءة بعضهم (٢) « فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلِهِ » (٣) بنصب وعده ، وجر رسله .

وقول الشاعر :

مازال يوقن من يؤمك بالغنى
وسواك مانع فضله المحتاج

فسواك مبتدأ ، ومانع خبره وهو اسم فاعل مضاف الى مفعوله الأول وهو (المحتاج)

(٢٦)

---

(١) الكشاف ٢ــ٥٥ دار الكتاب ــ بيروت .

(٢) اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الاربع عشر ص ٢١٧ .

(٣) ابراهيم ــ ٤٧ .

الفصل بين المتلازمين

وفضله المفعول الثانى ، وفصل به بين المضاف والمضاف اليه ، والأصل : وسواك مانع المحتاج فضله واما ظرفه ، كقوله عليه الصلاة والسلام : « هل أنتم تاركو لى صاحبى » (١) فقوله : « تاركو » اسم فاعل مضاف الى مفعوله وهو « صاحبى » بدليل حذف النون ، ولى جار ومجرور فصل به بين المضاف والمضاف اليه •

ومن المعلوم أن الجار والمجرور عديل الظرف ، والاصل : هل أنتم تاركو صاحبى لى

وقول الشاعر :

فرشنى بخير لا أكونن ومدحتى
كناحت يوما صخرة بعسيل (٢)

ففى هذا البيت فصل بين المضاف وهو قوله « ناحت » والمضاف اليه وهو « صخرة » بالظرف •

المسالة الثالثة : أن يكون المضاف غير مشبه للفعل ، والفاصل قسما ، كقولك : « هذا غلام والله زيد » بجر زيد باضافة الغلام اليه وفصل بينهما بالقسم حكاه الكسائى ، وحكى أبو عبيدة قال : « سمعت بعض العرب يقول : ان الشاة لتجتر فتسمع صوت والله ربها » ففى كل واحد من العبارتين الفصل بالقسم كما ترى ، ولهذا جعلها محققو النحاة المتأخرين مما يجوز فيه الفصل بين المضاف والمضاف اليه فى سعة الكلام •

ثم اننا نعلم أن جملة القسم مما يكثر دورها فى الكلام حتى انهم ليغتفرون الفصل بها بين الحرف ومعموله كما فى قول حسان ابن ثابت :

اذن والله نرميهم بحرب
تشيب الطفل من قبل المشيب

ومن أقوى ما يستدل به على جواز الفصل بين المتضايفين بجملة القسم فى سعة الكلام أنهم جوزوا الفصل بها بين الاسم الموصول وصلته كما تقدم ، وشأن الموصول مع صلته كشأن المضاف والمضاف اليه •

وبعد أن انتهيت من مسائل الفصل فى السعة بين المتضايفين • أتحدث عن المسائل الأربع الباقية التى تختص بالشعر :

احداها : الفصل بالأجنبى ، ونعنى به معمول غير المضاف ، فاعلا كان الأجنبى كقول الأعشى (٣) •

أنجب أيام والداه به
اذ نجلاه فنعم ما نجلا

فقوله : (أنجب) فعل ماض ، ووالداه فاعله ، وبه متعلق بأنجب ، وأيام ظرف زمان متعلق بأنجب وهو مضاف واذ مضاف اليه ، والداه فاصل بين المضاف والمضاف اليه وهو أجنبى من المضاف ، لأنه معمول لغيره ، وأصل ترتيب البيت هكذا :

---

(١) هذا جزء من حديث رواه ابو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ واللفظ فى صحيح البخارى فى فضائل ابى بكر الصديق رضى الله عنه ـ أنظر ارشاد السارى شرح صحيح البخارى ٦ ـ ٨٨ •

(٢) رشنى : فعل أمر أصله قولهم « راش السهم يريشه اذا الزق عليه الريش وفى ذلك قوة للسهم » • العسيل : مكنسة العطار •

(٣) الديوان ص ١٧١ •

أنجب والداه به أيام اذ نجلاه فنعم ما نجلاه

أو كان الفاصل مفعولا ، كقول جرير (١) •

تسقى امتياحا ندى المسواكَ ريقتها

كماتضمن مـاء المزنة الرصَفُ (٢)

ففى هذا البيت فصل بين المضاف وهو قوله (ندى) وبين المضاف اليه وهو قوله (ريقتها) بأجنبى غير معمول للمضاف وهو قوله (المسواك) فانه مفعول لتسقى •

أو ظرفا ، كقول أبى حية النميرى :

كما خط الكتاب بكف يوما

يهودى يقارب أو يزيل

ففى هذا البيت فصل بين المضاف وهو « كف » والمضاف اليه وهو « يهودى » بأجنبى من المضاف ، وهو قوله « يوما » فانه ظرف لقوله « خط » ، وأصل البيت :

كما خط الكتاب يوما بكف يهودى • ونظير هذا البيت قول ذى الرمة (٣) •

كأن أصوات من ايغالهن بنا

أواخر الميس أصوات الفراريج (٤)

ففى هذا البيت فصل بين المضاف وهو قوله « أصوات » وبين المضاف اليه وهو قوله « أواخر الميس » بالجار والمجرور وهو قوله « من ايغالهن بنا » والجار والمجرور عديل الظرف •

المسألة الثانية : الفصل بفاعل المضاف ، كقول القائل :

ما ان رأينا للهو من طب (٥)

ولاعد منا قهر وجدُ صب

ففى هذا البيت أضاف « قهر » الى مفعوله وهو « صب » ، فصل بينهما بفاعل المصدر وهو « وجد » •

المسألة الثالثة : الفصل بنعت المضاف ، كقول معاوية بن أبى سفيان — رضى الله عنه —

نجوت وقد بل المرادى سيفه

من ابن أبى شيخ الأباطح طالب (٦)

ففصل بين المضاف والمضاف اليه وهما « أبى وطالب » بنعت المضاف وهو « شيخ الأباطح » •

المسألة الرابعة : الفصل بالنداء ، كقول الفرزدق •

اذا ما — أباحفص — أتتك رأيتها

على شعراء الناس يعلو قصيدها

ومثله قول بجير بن زهير بن أبى سلمى

وفاق كعب بجير منقذ لك من

تعجيل تهلكةٍ والخلد فى سقر

---

(١) شرح الديوان ص ٣٨٧ •

(٢) امتياحا : مصدر امتاح ، وأصل معناه غرف الماء ، وأراد به هاهنا : الاستياك — الندى : البلل — الريقة : الرضاب ، وهو ماء الفم — الرصفة الحجارة المرصوفة ، وماء الرصف : هو الماء الذى ينحدر من الجبال على الصخر •

(٣) الديوان ص ١٠٥ ط الاولى ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م •

(٤) الميس : شجر تعمل منه الرحال — الايغال : الابعاد فى السير ، يقال : أوغل فى الارض اذا أبعد فيها •

(٥) عدمنا — فقدنا — قهر : غلبة — الوجد : شدة الحب — والصب : من الصبابة وهى رقة الشوق وحرارته •

(٦) المرادى : هو عبد الرحمن بن عمرو الشهير بابن ملجم — الاباطح جمع بطحاء والمراد بها مكة ، لان طالبا كان شيخ مكة ومن أعيان أهلها •

الفصل بين المتلازمين

فان قوله « وفاق » مضاف الى « بجير » وقد فصل بينهما بالمنادى ، وأصل نظم الكلام: وفاق بجير ياكعب منقذ لك من تعجيل تهلكة والخلد فى سقر •

والنداء مما يكثر دوره فى الكلام كالقسم ، وقد فصلوا به بين الموصولوصلته ، كما ذكرت سابقا ، كقول حسان بن ثابت يرثى سعد بن معاذ — رضى الله عنه •

وأنت الذى يا سعد أبت بمشهد
كريم وأثواب السيادة والحمد (١)

رابعا : الفصل بين فعلى التعجب ومعمولهما

اختلف النحاة فى الفصل بين فعلى التعجب ومعمولهما بالظرف والمجرور حال كونهما متعلقين بالفعل الدال على التعجب ، فمنهم من منع ، ومنهم من أجاز •

فالمانعون يحتجون بضعف هذا الفعل لأنه غير متصرف فلزم طريقة واحدة وصار حكمه كحكم الأسماء •

والذى يجيز يحتج بأن الفصل قد جاء فى الحرف نحو « ان بك زيدا مأخوذ » مع أن الحرف أضعف من الفعل فالأولى أن يجوز ذلك مع الفعل • فان قيل : ان الحرف قد خرج من الباب الأضعف الى الباب الأقوى لشبهه بالفعل • وفعل التعجب خرج من الباب الأقوى وهو الفعل الى الباب الأضعف وهو الحرف •

فالجواب : ان فعل التعجب قوى الأصل ، لأنه فعل ، و « ان » ضعيفة الأصل لأنها حرف ، فلا أقل من أن يكونا فى رتبة واحدة • والرأى الذى أميل اليه أن الفصل بينهما وبين المعمول بالظرف والمجرور جائز ، وذلك لتوسعهم فيهما ولأنه حكى من كلام العرب نحو « ما أحسن بالرجل أن يصدق » وما أقبح به أن يكذب ، وقول عمرو بن معد يكرب : لله دربنى سليم ما أحسن فى الهيجاء لقاءها وما أكرم فى اللزبات عطاءها ، وما أثبت فى المكرمات بقاءها ومما ورد منه فى النظم قول القائل :

خليلى ما أحرى بذى اللب أن يرى
صبورا ولكن لا سبيل الى الصبر

وقول العباس بن مرداس :

وقال نبى المسلمين تقدموا
وأحبب الينا أن تكون المقدما

وقول أوس بن حجر (٢) :

اقيم بدار الحزم مادام حزمها
وأحر اذا حالت بأن أتحولا

وقول عمر بن أبى ربيعة (٣) :

---

(١) انظر فى هذه المسألة : التصريح على التوضيح للشيخ خالد الازهرى ٢—٥٧ ، والمقتضب ٤—٣٧٦ ، والكتاب لسيبويه ١—١٧٨ ، ١٧٩ تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ، وعمدة الحافظ وعدة اللافظ ص ٤٩٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٣—١٩ ، ٢٣ ، وشرح جمل الزجاجى لابن عصفور ٢—٦٠٤ ، ٦٠٥ ، والانصاف فى مسائل الخلاف للشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد المسألة رقم ٦٠ ، وأوضح المسالك للعلامة محمد محيى الدين عبد الحميد ج٣ ص ١٧٧ ط الخامسة دار الجيل بيروت •

(٢) الديوان ص ٨٣ تحقيق محمد يوسف نجم الطبعة الثانية دار صادر بيروت •

(٣) الديوان ص ٤١٢ تحقيق وشرح محمد محيى الدين عبد الحميد الطبعة الثانية — مطبعة السعادة عام ١٩٦٠ م •

فصدّت وقالت : بل تريد فضيحتى
واحبب الى قلبى بهـــا متغضبا

وقول عبد الله بن سبرة حين قطعت يده فى الغزو فعبر عنها بالجار

وى لُمّ جـارٍ غداة الروع فارقنى
أهون علىّ بــه إذ بان فانقطعـا

فان لم يتعلق الفصل بهما فلا يجوز اتفــاقا للفصل بين المعمول وعامله الضعيف بالأجنبى ، فلا يجوز « لقيته فما أحسن أمس زيدا » على أن يتعلق أمس بلقيت وكذلك يمتنع الفصــل بهما اتفاقا لو تعلق الظرف والمجرور بمعمول فعل التعجب نحـو « ما أحســن معتكفــا فى المسجد » و « أحسن بجالس عندك » فلا يجوز أن تقول :

« ما أحســن فى المسـجد معتكفــا » ولا « أحسن عندك بجالس » ، لئلا يلزم الفصل بين العامل ومعموله بمعمول معموله ٠

وكما وقع الخلاف بين النحاة فى الفصل بين فعلى التعجب ومعمولهما بالظرف والمجـرور حال كونهما متعلقين بفعلى التعجب وقــع الخلاف بينهم أيضا فى الفصــل بينهما بغـير الظرف والمجرور ٠ فمن النحــاة مـن أجـاز الفصل بالنداء واستدل على ذلك بقول على بن أبى طالب ــ كرم الله وجهه ــ ، وقد مر بعمار فمسح التراب عن وجهه : « أعزز على أبــا اليقظان أن أراك صريعا مجدلا » ٠ وأجاز ابن كيسان الفصل بينهما بلولا الامتناعية نحــو « أحسن لولا بخله بزيد » ٠ ومنعهما ابــن هشام حيث يقول فى أوضحه : « وكــذلك لا تقول : ما أحسن ياعبد الله زيدا ، ولا أحسن لولا بخله بزيد » وأجاز الجرمى وهشـــام الفصل بالمصدر نحو « ما أحسن احسانا زيدا» ومنعه الجمهور لمنعهم أن يكون له مصــدر ٠ وأجازا أيضا الفصل بالحال نحو « ما أحسن راكبا زيدا » ، أو « أحسن راكبا بزيـد » ٠ ومنعه الجمهور ، لأن الفصل بالحال يفتقر الى دليل (١) ٠

خامسا : هل يجوز الفصل بين ما وفعــل التعجب

للاجابة على هذا السؤال أقول :

لا يجوز الفصل بين (ما) وفعل التعجب بغــير (كان) من أخواتها ، لأنها أم الافعال لاينفك فعل من معناها أما (كان) الزائدة فيجوز ٠

الفصل بها نحو « ما كان أحسن زيدا » ، ومنه قول عبد الله بن رواحة يخاطب النبىعليه الصلاة والسلام ٠

ما كان أسـعد من أجـابك آخــذا
بهداك مجتنبا هــوى وعنــادا

ومن ثم يقول ابن عصفور فى مقربه (٢) « ويجوز زيادة كان بين ما والفعل الــذى فى موضع خبرها فتقول » : « ما كــان أحســن زيدا » اذا أردت التعجب مما وقع وانقطع ، وهذه فائدة الفصل بكان ٠ فان أردت التعجب مما وقع ولم ينقطع لم تدخل كان » ٠

ويقول ابن مالك فى عمدته « والسبب فى زيادة كان الاعلام بأن معنى أفعل المتعجب به ماض لا حاضر ، وقد يكون مستقبلا لا حاضرا

---

(١) انظر فى هذه المسألة التصريح ٢ـ٩٠ ـ اوضح المسالك ٣ـ٢٦٣ ـ همع الهوامع ٢ـ٩١ ٠ المقتضب ٤ـ١٧٨ ـ شرح المفصــل ٧ـ١٥٠ ـ شرح الكافية للرضى ٢ـ٣٠٩ ـ شرح الاشمونى ٣ـ١٩ ـ عمدة الحافظ وعدة اللافظ ص ٧٤٧ ـ شرح الالفية لابن الناظم ص ١٨٠ ـ المقــرب لابن عصفور ١ـ٧٦ ٠

(٢) المقرب ١ـ٧٥ بتصرف ٠

فيبين بزيادة « يكون » كقول الشاعر :

صدقت قائل ما يكون أحق ذا
كهلا ببذّ أولى السيادة يافعا

أراد : صدقت وأنت يافع من قال وأنت صغير ما أحق هذا فى الكهولة أن يفوق السادة » وقد حكى الأخفش (١) زيادة أصبح وأمسى بينهما فى قولهم : « ما أصبح أبردها وما أمسى أدفاها » وهذا شاذ يحفظ ولا يقاس عليه .

قال الرضى (٢) « ولا يقاس (يكون) على (كان) فى الفصل بينهما خلافا لابن كيسان .

سادسا : هل يجوز الفصل بين نعم وفاعلها ؟

اختلف النحاة فى ذلك ، فذهب الجمهور وابن أبى الربيع الى أنه لا يفصل بينهما بظرف ولا بغيره .

وقال الكسائى : يجوز الفصل بمعمول الفاعل ، نحو (نعم فيك الراغب) .

قال أبو حيان (٣) : وفى الشعر ما يدل له ، قال يزيد بن عبد شمس الطائى :

فبادرن الديار يَزِفْنَ فيها
وبئس من المليحات البديل

قال أبو حيان : وورد الفصل بينهما بإذن ، كقول القائل :

أروح ولم أحدث لليلى زيارة
لبئس اذن راعى المودة والوصل

سابعا : هل يجوز الفصل بين « من » التفضيلية وافعل التفضيل ؟

للاجابة على هذا أقول : ان حق المفضول المجرور بمن أن يقع بعد (أفعل) لأنه متمم لمعناه كما يتمم المضاف بالمضاف اليه والموصول بصلته ، وحقه أيضا ألا يفصل بينهما بمخبر عنه بأفعل ، ولا بخبر لأفعل .

ومن ثم يقول الرضى فى شرح الكافية : « ويجب أن يلى من التفضيلية أفعل التفضيل ، لأنها من تمام معناه ، أو يلى معموله (٤) » فقوله : (أويلى) معموله دليل على أنه يجيز الفصل بينهما بمعمول أفعل ، كقول القائل

فانا رأينا العرض أحوج ساعة
الى الصون من ريط يمان مسهم (٥)

وكذلك أجاز الفصل بينهما بلو وفعلها نحو قولك : وهى أحسن لو أنصفت من الشمس » وكان ابن مالك يذهب الى أنه يجوز الفصل بينهما بالتمييز والظرف والجار والمجرور والنداء ولو ، ومن ثم يقول فى عمدته (٦) : وفصلهما بتمييز وظرف وعديله ونداء ولو جائز » فالفصل بالتمييز وعديل الظرف كقول الراجز :

لاكلة من اقط بسمن (٧)
الين مسا فى حشايا البطن

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٧ـ١٥٢ .
(٢) شرح الكافية للرضى ٢ـ٢١٦ .
(٣) شرح الكافية للرضى ٢ـ٣٠٩ .
(٤) همع الهوامع ٢ـ٨٥ بتصرف ، والدرر اللوامع ٢ـ١١١ .
(٥) الريطة : الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ـ والمسهم : المخطط .
(٦) انظر شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ص ٧٧٣ ، وشرح الكافية الشافية ٢ـ١١٣١ .
(٧) الأقط : شىء يتخذ من اللبن فيصير جبنا معقودا .

منيثر بيات (١) قداد خشن (٢)

ومن الفصل بالجار والمجرور قوله تعالى : « النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ » (٣) .

وقوله تعالى : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » (٤) .

وقد جاء الفصل بينهما بظرفين فى قول كثير :

منيعُ الدار أشجع حين يبلى
لدى الهيجاء من ليث بغاب

وقد اجتمع أربعة فصول فى قول الشاعر :

مازلت أبسطَ فى عض الزمان يدا
للناس بالخير من عمرو ومن هرم

ومن الفصل بالنداء قول جرير (٥) :

لم يلق أخبث يافرزدق منكم
ليلا وأخبث بالنهار نهارا

ومن الفصل (بلو) قول الشاعر :

وَلَفُوكَ أطيبُ لو بذلت لنا
من ماء موهبة على خمر (٦)

ثامنا : الفصل بين الصفة والموصوف

اعلم أن الصفة والموصوف شىء واحد ، لأنهما لعين واحدة،

ولما كانت الصفة والموصوف شيئا واحدا ذهب الأبدى الى أنه لا يجوز الفصل بينهما (٧) .

واذا كان الأبدى يرى هذا فان ابن عصفور جوز الفصل بين الصفة والموصوف بجمل الاعتراض حيث يقول فى مقربه ١/٢٢٨ « ولا يجوز الفصل بين الصفة والموصوف الا بجمل الاعتراض ، وهى كل جملة فيها تسديد للكلام نحو قوله تعالى : « وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ » ويقول ابن عصفور فى شرحه لجمل الزجاجى (٨) : « ولا يجوز فيما عدا ذلك الا فى ضرورة شعر ، نحو قو الشاعر :

أمرّت من الكتان خيطا وأرسلت
رسولا الى أخرى جريا يعينها (٩)

ففى هذا البيت فصل بين (رسول) وبين صفته وهى (جرى) بالمجرور .

ومن المعلوم لنا أن الظرف والمجرور يتوسع فيهما مالا يتوسع فى غيرهما لكثرة دورهما فى الكلام . وذهب أبو حيان الى أنه يجوز الفصل بين النعت والمنعوت بالفاعل وبالجملة المفسرة ، وبالخبر وبالمبتدأ وبمعمول الصفة ، وبالاستثناء ، فمن الفصل بالفاعل قوله تعالى (١٠) : «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ » يقول أبو حيان فى البحر المحيط ٤/٢٦٠ « جاز الفصل بالفاعل بين الموصوف وصفته ، لأنه ليس بأجنبى ، اذ قد اشترك المفعول الذى هو الموصوف والفاعل فى العامل ، فعلى هذا

(١) يبرييات : نسبة الى يثرب .
(٢) خشن : ذميمات الحال .
(٣) الاحزاب ـ ٦ .
(٤) ق ـ ١٦ .
(٥) شرح الديوان ص ٢٣٢ .
(٦) موهبة : نقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء ليبرد .
(٧) الأشباه والنظائر للسيوطى ٢ـ٢٢١ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .
(٨) شرح جمل الزجاجى ١ـ٢٢١ بتصرف .
(٩) أمرت : فتلت ، والحبل المرير : المشدود ، الجرى : الرسول لجريه فى أداء رسالته .
(١٠) الانعام ـ ١٥٨ .

الفصل بين المتلازمين

يجوز : ضرب هندا غلامي التميمية » ومن الفصل بين الموصوف والصفة بالجملة المفسرة قوله تعالى : ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ .

يقول أبو حيان في البحر المحيط ٣/٤٠٩ – ٤٠٧ « فالجملة من قوله (ليس له ولد) صفة لامرىء ، وفيه دليل على جواز الفصل بين النعت والمنعوت بالجملة المفسرة في باب الاشتغال .

ومن الفصل بين الصفة والموصوف بالخبر قوله تعالى (١) : « ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ » .

يقول أبو حيان في البحر ٢/٢٧٧ « فالحى : صفة للمبتدأ (الله) أو بدل منه ، أو من (هو) أو خبر لمحذوف ، أو مبتدأ خبره (لا تأخذه سنة) وأجودها الوصف ، ويدل عليه قراءة من قرأ (الحى القيوم) بالنصب ، اذ لو لم يكن وصفا ما جاز القطع ، ولا يقال : فصل بين النعت والمنعوت بالخبر ، لأن ذلك جائز حسن تقول : زيد قائم العاقل » ومن الفصل بين الصفة والموصوف بالمبتدأ قوله تعالى (٢) : « ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ » فقوله (فاطر) صفة لله . ولا يضر الفصل بين الموصوف وصفته بالمبتدأ (٣) ومن الفصل بين الصفة والموصوف بمعمول الوصف قوله تعالى(٤) : « ﴿ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ » ففى هذه الآية فصل بين الصفة والموصوف بمعمول الصفة ، وهو (علينا) (٥) ومن الفصل بالاستثناء قوله تعالى (٦) « ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ » يقول أبو حيان في البحر ٣/٤١٨ « قرأ ابن أبى عبلة (غير) بالرفع ، وأحسن ما يخرج عليه أن يكون صفة لقوله (بهيمة الأنعام) ولا يلزم في الوصف (بغير) أن يكون ما بعدها مماثلا للموصوف في الجنسية ، ولا يضر الفصل بين النعت والمنعوت بالاستثناء ، وخرج أيضا على الصفة للضمير في (يتلى) .

وذهب السيوطى في الهمع ٢/١١٦ « الى أنه يجوز الفصل بين الصفة والموصوف بجواب القسم نحو قوله تعالى : « ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ » .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (عالم) بالخفض . جعلوه صفة لله ، المعنى : الحمد لله عالم الغيب . ويجوز أن يكون صفة للرب في قوله : (﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾) وحينئذ يكون قد فصل بين الصفة والموصوف بجواب القسم .

وبعد . فهذا قليل من كثير أسال الله أن ينفع به ، انه نعم المولى ونعم النصير .

د. حمدى عبد الحميد المقدم

---

(١) البقرة .
(٢) ابراهيم – ١٠ .
(٣) البحر ٥–٤٠٩ ، واملاء ما من به الرحمن ٢ – ٦٦ .
(٤) ق – ٤٤ .
(٥) البحر ٨–١٣١ وهمع الهوامع للسيوطى ٢ – ١١٦ بتصرف .
(٦) المائدة – ١ .

مع رسالة جامعية

الصحافة الإسلامية في مصر

في القرن التاسع عشر

للباحث : سامي الكومي
إعداد : عاطف زهران

نوقشت فى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر رسالة الدكتوراه المقدمة من الباحث سامى عبد العزيز الكومى من قسم الصحافة والاعلام وموضوعها « الصحافة الاسلامية فى مصر فى القرن التاسع عشر » باشراف الأستاذ الدكتور أحمد حسين الصاوى استاذ الصحافة بكلية الاعلام جامعة القاهرة ، وشارك فى المناقشة الأستاذ الدكتور محمد سيد محمد أستاذ الصحافة بكلية الاعلام والأستاذ الدكتور مصطفى رمضان أستاذ التاريخ بكلية اللغة العربية • والأستاذ الدكتور سعد ظلام عميد الكلية والمشرف على قسم الصحافة والاعلام •

وفى ختام المناقشة منح الباحث درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى •

وقد علل الباحث لاختياره هذا الموضوع بشدة الحاجة فى ميدان الدراسات الاعلامية لمثل هذه الدراسة • فقد وضعت رسائل فى شتى أنواع الصحافة فى هذه الفترة : فكاهية وفنية وزراعية وعسكرية ونسائية • ولكن ميدان الصحافة الاسلامية ظل بكرا — على حد تعبيره فى المقدمة — فكان فى حاجة الى من يرتاده ، لذا كانت هذه الدراسة التى تناولت الصحافة الاسلامية تاريخا وفنا وفكرا • كان هذا هو السبب الأول الذى حدا بالباحث لهذه الدراسة •

أما السبب الثانى فهو ما رآه من أن دراسة الصحافة الاسلامية ضرورية لدراسة الفكر الاسلامى الحديث فى مصر ، هذا الفكر الذى يعتبر المنبع الأصيل للفكر المصرى بعامة •

واتخذ مجال دراسته الصحافة الاسلامية المتخصصة • والصحافة العامة حيث درس الموضوعات الاسلامية فيها فى ذلك القرن •

ونهج المنهج التاريخى فى بحثه مستفيدا ومحللا وقارئا ومتابعا للصحف التى صدرت فى هذه الفترة — خاصة وعامة — محللا لاتجاهاتها وأهم القضايا التى اشتغلت بها • وكانت هى

مرجعه الأول والأهم • ثم رجع الى الكتب التى كتبت عن الصحافة فى ذلك القرن • والكتب التى أرخت لتلك الفترة عموما •

وفى المقدمة عرف الصحافة الاسلامية بأنها :

« تزويد جماهير القراء ــ بصفة عامة ــ بحقائق الدين الاسلامى المستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم بصورة مباشرة او غير مباشرة ، وبشكل منفصل أو مرتبط بأمور الحياة من خلال صحيفة دينية متخصصة أو موضوعات دينية متخصصة فى صحيفة عامة يحررها كاتب لديه معرفة متعمقة وواسعة فى الموضوع الذى يتناوله تمكنه من أن يبصر الناس فى شئون عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم ، ويعمل على تكوين رأى عام صائب يعى الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها » ص•ب من المقدمة •

أما عن سبب تخصيص القرن الماضى بالدراسة فلظهور أهم حركات الاصلاح الاسلامى فى العصر الحديث المتمثلة فى حركة جمال الدين الأفغانى وتلميذه الامام محمد عبده فى تلك الفترة •

« وقد آمن الأفغانى بدور الصحافة فى الدعوة لأفكاره لفهم الاسلام على الوجه الصحيح » المقدمة ص•ج •

وتحوى الدراسة خمسة أبواب كل باب يضم عدة فصول :

*** الاتجاه الاسلامى فى الصحافة العامة :**

موضوع الباب الأول هو الاتجاه الاسلامى فى الصحافة •• وانقسم الى فصلين :

أولهما : للصحافة العامة •

وثانيهما : للمتخصصة •

عرض فيهما للصحف التى صدرت فى زمن الدراسة • وتحدث عن نشأة كل صحيفة وعن المشرفين عليها والقضايا التى اهتمت بها •• فبدأ أولا بالصحافة العامة •

*** الوقائع المصرية :**

صدر العدد الأول منها فى ٣ ديسمبر ١٨٢٨ ــ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٤٤هـ • وقد برز الاتجاه الاسلامى فيها على فترتين :

الأولى : حين تولى الاشراف عليها رفاعة الطهطاوى •

والثانية : عندما تولى رئاسة تحريرها الشيخ محمد عبده • ص ٢ •

وتمثل الاتجاه الاسلامى فى ناحيتين . محاربة البدع والخرافات • بعث اللغة العربية والدفاع عنها ضد محاولات القضاء عليها •

والصحيفة لم تكن تهتم باللغة العربية فى أول عهدها • بل كانت تنشر باللغة التركية وتترجم الى العربية فى الجهة اليسرى من الصفحة •

فغير الطهطاوى الوضع وجعل العربية هى اللغة التى تحرر بها الجريدة • واهتم بنشر المواد الأدبية •(١)

الا أن هذا الوضع تدهور بعد حين • الى أن عين الشيخ محمد عبده محررا بها سنة ١٨٨٠ • وما لبث أن عين رئيسا لتحريرها • فكان العصر الذهبى للجريدة •

---

١ ــ الرسالة ص ٦ عن د. ابراهيم عبده تاريخ الوقائع المصرية •

* **روضة المدارس :**

صدر العدد الاول منها فى ١٥ من المحرم ١٢٨٧هـ — ١٧ من ابريل ١٨٧٠ ٠

وهى صحيفة مدرسية تعليمية ٠

تجلى الاتجاه الاسلامى فيها من دعوتها الى الاجتهاد والتجديد ، ودحض شبه التعارض بين الدين الاسلامى والاكتشافات الحديثة ، واحياء الكتابة والنشر للسيرة النبوية بمناهج جديدة ٠٠ الى غير ذلك من القضايا الاسلامية٠

* **صحافة النديم :**

عبد الله النديم نابغة الخطباء والكتاب فى عصره ٠ كما يصفه الشيخ رشيد رضا فى مجلة المنار ٠ وهو من الذين تصدوا فى كتاباتهم لدعوات القضاء على الفصحى بقوة فى الحجج وعمق فى الايمان بلغة القرآن ٠ وقد كانت تلك الدعوات حامية يوم أصدر صحيفة «الأستاذ»٠ والنديم هو الذى دعا لانشاء مجمع اللغة العربية ٠ ليحول أعضاؤه بين اللغة العربية وموتها ٠

وأصدر صحيفتين :

(التنكيت والتبكيت) ٠ صدرت فى يونيه ١٨٨١ حتى اكتوبر من السنة نفسها ٠

و (الأستاذ) صدرت فى أغسطس ١٨٩٢ وتوقفت فى يونيه ١٨٩٣م ٠

* **جريدة المؤيد :**

أصدرها الشيخ على يوسف فى الثامن من ربيع الأول ١٣٠٧هـ — الأول من ديسمبر ١٨٨٩ — وهو من أئمة الصحفيين فى ذلك العصر — لما رأى الاستعمار قد اتخذ بعض الصحف وسيلة لتأييد مصالحه ، والعدوان على الاسلام مثل جريدة (المقطم) التى انتشرت بدرجة كبيرة ٠

فصدرت المؤيد لتسفيه « المقطم » ٠ ومحاربة الاحتلال ٠

وصارت المؤيد أطول الصحف اليومية دواما فى القرن الماضى ٠ ومن أطولها عمرا وأجلها خطرا ٠٠ ص ٣٤ ٠

ومن القضايا الاسلامية التى عنيت المؤيد بها : الاسلام والرق ، والدفاع عن عروبة الجزائر واسلامها ، ورد الشيخ محمد عبده على (هانوتو) ومقالات الكواكبى عن طبائع الاستبداد ٠

* **مصباح الشرق :**

أصدرها ابراهيم المويلحى فى ١٤ من ابريل ١٨٩٨ ٠ حين رأى الصحافة على كثرتها قد حادت عن الدرب ، واهتم أصحابها بجمع المال ٠ وانسلخت عن رسالتها التى يجب الا تغفل عنها :

« وما الجرائد شهد الله الا وسيلة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وذريعة الى اقامة الحق ومحق الباطل ، وتبين النافع وتعريف الضار »(١) ٠

وقد ساهم المويلحى فى الرد على (هانوتو) فنشر مقالا بعنوان (جهاد الأقلام) ٠

١ — عن افتتاحية مصباح الشرق — العدد الاول ٠

ثانيا : الصحف الاسلامية

❊ العروة الوثقى :

صــدرت فى ١٣ من مارس ١٨٨٤ ــ ١٥ من جمادى الأولى ١٣٠١ هـ أصــدرها الأفغــانى والشيخ محمد عبده فى باريس • وصدر منهــا ثمانية عشر عــددا • كان آخرها بتــاريخ ١٦ اكتوبر ١٨٨٤ كان من أبرز أغراضها ما أوجزته فى أول عدد منها :

١ ــ بيان الواجبات على الشرقيين التى كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف •

٢ ــ اشراب النفوس عقيدة الأمل فى النجاح وازالة ما حل بها من اليأس •

٣ ــ الدفاع عما يرمى به الشرقيون عموما والمسلمون خصوصا من التهم •

٤ ــ دعوتهم الى التمسك بالأصول التى كان عليها آباؤهم •

٥ ــ اخبار الشرقيين بما يهمهم من حوادث السياسة العامة والخاصة •

٦ ــ تقوية الصلات بين الأمم الاسلامية ، ومناصرة السياسة الخارجية العادلة •

هذا الى جانب الهــدف الأهم وهو مقاومة الاستعمار • ص ٦٧ •

❊ مجلة الاسلام :

صــدرت فى غرة رمضــان ١٣١١هـ ــ ٨ من مارس ١٨٩٤م •• وهى مجلة شــهرية حررها أحمد الشــاذلى الأزهــرى • واهتمت بشرح أحكام العبادات أكثر من غيرها • وقــد نشرت رسائل جيدة حــول القرآن والســنة والعلم الحديث ، وحثت على دراسة العلوم الطبيعية، ومعرفة أسرار الكون •

وفى بداية سنة ١٨٩٧ توسعت المجلة فى نقل الموضوعات الاسلامية عن الصحف الأخرى • خاصة ما يتصل بفكرة الجامعــة الاســلامية وأحوال المسلمين فى العالم • ص ٨٣ •

❊ مجلة المنار :

أصدرها الشيخ رشيد رضا فى ٢٢ شــوال ١٣١٥هـ ــ ١٥ من مــارس ١٨٩٨م وكــانت « صوتا صارخا بلسان عربى مبين • ونداء حق يقرع مع سمع الناطقين بالضاد مسامع جميع الشرقيين لتوقظهم من نوم كالموت أو الاغماء ، وتنبههم الى التقدم الذى ينبغى أن يلحقــوا به » كما قال فى العدد الأول منها • ص ٨٩ من الرسالة •

وعملت على اصلاح العقيدة ومحاربة البدع والخرافات واصــلاح التعليم والدفــاع عن الفصحى • وكانت ذات أثر كبير على المصريين وعلى العرب والمسلمين فى بقــاع اســلامية كثيرة •

❊ مجلة الحياة :

أصدرها محمد فريد وجدى فى يونيه ١٨٩٩ حتى ١٩١٥ • وهى بداية جهود فريد وجدى فى الصحافة الاسلامية •

وكانت له كتابات ضــافية يرد فيها عــلى الغرب وفلاسفته المنكرين لحقوق المسلمين ، وفضائل الاسلام • وكانت له شهرة بالاطلاع على ثقافة الدين وثقافة العصر الحديث • كما قال عنه العقاد •(١)

---

١ ــ الرسالة ص ١٠٥ عن كتاب حياة قلــم لعباس العقاد ص ٤٨

❋ **الصحافة الاسلامية والدعوة :**

وقد تحدث الباحث فى الفصل الثانى عن :

أولا : دور الصحافة الاسلامية فى التفقيه والارشاد الدينى وأوضح جهودها فى بيان الأحكام الاسلامية فى العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق استنادا الى القرآن والسنة الشريفة . وتحدث فيه عن فتح باب الاجتهاد والتجديد وتفسير القرآن وتعليم العبادات والمعاملات والأخلاق الاسلامية والنهوض بالخطابة فى المساجد ، والدعوة الى الاسلام خارج مصر . واصلاح التعليم فى الأزهر .

ثم تلا ذلك بحديث عن جهود الصحافة فى محاربة البدع والخرافات بين فيه دورها فى مواجهة الفهم الخاطىء لعقيدة القضاء والقدر والتصدى لانحرافات ما انحرف من الطرق الصوفية ، ومعالجة عيوب المجتمع المصرى .

❋ **الاسلام والحضارة الغربية :**

أما الباب الثالث فقد خصه بموضوع : « الاسلام والحضارة الغربية » تحدث فيه عن أهم قضايا الصراع بين الحضارة الغربية والاسلام كما ظهرت على صفحات الصحافة فى تلك الفترة .

وأهم القضايا التى تبرز ذاك الصراع هى : العلمانية ، وتغريب التعليم ، والقضاء على الفصحى .

فبين الباحث أن الصحافة قد تصدت للفكر العلمانى ابان ظهوره فى مصر . وبين أن العلمانية نبت غريب لا يمكن غرسه فى المجتمع المصرى .

وبعد ذلك أبرز موقف الصحافة من تغريب التعليم ، وكيف حذرت من انتشار مدارس الجاليات الأجنبية والارساليات التبشيرية فى مصر ، ودعت الى اصلاح التعليم حتى يكون أساسا لاصلاح الأمة .

وفى مسألة العامية والفصحى أكد أن الحفاظ على العربية الفصحى كان أحد أهداف الصحافة الاسلامية . تلك الصحافة التى تصدت لثلاث دعوات استعمارية بهذا السبيل هى :

استبدال الفصحى بالعامية .

وجعل الانجليزية لغة رسمية تستخدم فى التعليم ومصالح الحكومة والقضاء .

وكتابة العربية بحروف لاتينية .

فأبلت الصحافة بلاء حسنا لابطال تلك الدعوات .

وخاضت معارك كبيرة ضد العلمانيين التغريبيين حين دعوا الى اماتة الفصحى لغة القرآن ولغة التراث العربى والحضارة الاسلامية فى أزهى عصورها .

وليس من المنتظر ولا المتصور أن تسكت الصحافة الاسلامية أمام هذه الدعوات « التى تهدف الى اقتلاع الحضارة الاسلامية من جذورها ، لتصبح مصر تابعا للحضارة الغربية، لأن اللغة العربية هى رباط المصريين بالقرآن الكريم وكتب التراث » ص ٢٣٦ .

❋ **المقتطف والعامية :**

تتبع الباحث هذه الدعوة ــ الى العامية ــ فوجد أنها بدأت على صفحات المقتطف التى دعت الى العامية ، لأن لغة العرب هى سبب تأخر المصريين . وذلك أن هناك فجوة كبيرة بين اللغتين ــ العامية والعربية ــ والبعد بينهما كالبعد بين الفرنساوية والانجليزية .

أو بالأحرى كالبعد بين اللاتينية والايطالية(١)

وقد تبنت المجلة هذه الدعوة حينا . فلما سكتت عنها تبنتها مجلة أخرى تسمت باسم (الأزهر) ولم يكن للأزهر بها شأن مطلقا ورأس تحرير هذه المجلة مهندس الرى الانجليزى (وليم ولكوكس) سنة ١٨٩٣ . وسخرها لهذه الدعوة من أول أعدادها . يوم نشر محاضرة كبيرة كان قد ألقاها فى نادى الأزبكية . بعنوان (لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن ؟)(٢) .

وبعد اغلاق ولكوكس لمجلته لشدة ما نابها من هجوم شديد على دعوته ظهرت بعد خمس سنوات كراسة مجهولة المؤلف مطبوعة تدعو الى استعمال العامية ، وزادت على الدعوات السابقة فطالبت بكتابة العامية بحروف لاتينية، وزعم مؤلفها المجهول أن لذلك فوائد أربع أو غوائل أربع كما أطلق عليها ـ ساخرا ـ الشيخ رشيد رضا الذى رد عليها بمقالين طويلين على صفحات المنار . العددين السادس والسابع بعنوان :

(صدمة جديدة على اللغة العربية) .

وتعرض الباحث بعد ذلك لموقف الصحافة الاسلامية من التغريب الأخلاقى الذى جاء نتيجة الاحتكاك مع الأجانب الوافدين مما نجم عنه تقليد المصريين للأجانب فى عادات ضارة فحاربت هذه الصحافة ذلك الاتجاه ، ودعت الى الأخلاق الاسلامية القويمة .

* الصحافة والحركة الوطنية :

فى الباب الرابع تحدث عن الصحافة الاسلامية والحركة الوطنية وانصب الحديث فيه على الجهاد الوطنى والفكر السياسى لحركة الأفغانى فى الاصلاح الاسلامى . وعن أثر صحافة تلاميذ الأفغانى فى الحركة الوطنية ثم عن الدعوة الى الشورى ومقاومة الاستبداد . بعد نفى الأفغانى من مصر . وبينت أن الشورى واجب اسلامى ، ودعمت الحركة الوطنية فى طلب الدستور والحكم النيابى . ثم ختم الحديث ببيان موقف هذه الصحافة ودورها فى مقاومة الاحتلال الانجليزى .

وخص بالحديث صحيفة العروة الوثقى مع الاشارة الى الصحف التى سبقتها أو أعقبتها فى هذا الميدان .

* الصحافة والاحتلال :

منى المصريون بالاحتلال فى الربع الأخير من القرن الماضى ، وكان على الصحافة أن تؤدى واجبها فى ايقاظ الوعى الوطنى وتنمية الشعور بالجهاد ضد المحتل .

لكن العكس هو ما حدث فى بعض الصحف . « فشاعت فى السنوات الأولى من الاحتلال الدعوة الى الاستكانة والرضا بالأمر الواقع . « وظهرت صحف : البرهان والزمان والصادق وغيرها تؤيد الاحتلال ، وتدعو الى تسليم أمور

١ ـ انظر الرسالة عن مجلة المقتطف فى نوفمبر ١٨٨١ ـ اللغة العربية والنجاح .

٢ ـ للاستزادة انظر مجلة الأزهر عدد شوال ١٤٠٤ هـ فقد نشرت دراسة وافية عن هذه المجلة مبينة محاولاتها الخبيثة فى هذا الهدف .

البلاد للانجليز • وتطالب بالضرب على يد كل من يقاوم سلطاتهم » (١)

وكان من الضرورى أن يعلو صوت الصحافة الاسلامية لدرء الخطر القادم من أرض الوطن •• من ذيول الاستعمار • وكان لزاما على الاسلاميين والوطنيين أن يبعثوا الأمل فى نفوس القانطين ، ويبطلوا دعاوى الاستكانة والرضا بما هو كائن • فكان للعروة الوثقى فى هذا الميدان نصيب كبير اذ جعلت أول أغراضها انقاذ مصر والسودان من الاحتلال الانجليزى • ص ٣٦٩ •

وقد تحدث رشيد رضا عن جهد المجلة والقائمين عليها بخصوص هذا الجانب فقال ان الافغانى والشيخ محمد عبده قد جاهدا فى سبيل انقاذ مصر والسودان من الاحتلال البريطانى جهادا لم تسم الى مثله همة أحد • ص ٣٨٠ •

وقد ربطت (العروة الوثقى) بين مقاومة المستعمر وبين عقيدة الجهاد الاسلامية • فاقرأها حين تصف خائن الوطن تقول :

لسنا نعنى بالخائن من يبيع بلاده بالنقد ، ويسلمها للعدو بثمن بخس أو غير بخس — وكل ثمن تباع به البلاد فهو بخس — بل خائن الوطن من يكون سببا فى خطوة يخطوها العدو فى أرض الوطن وهو قادر على زلزلتها ، ذاك هو الخائن فى أى لباس ظهر ، وعلى أى وجه تقلب •• ص ٣٨٣ •

ولم يطق الاحتلال رؤية هذه المجلة تتداول بين المصريين أو غيرهم فهى ذات أثر غير حميد بالنسبة له ولمصالحه فى البلاد • فتشددت السلطات الانجليزية فى منع دخول المجلة مصر والهند • ولم تلبث أن توقفت •• ولكن الرسالة لم تتوقف • فقد هم بها مواطنون شرفاء موالون لوطنهم ولدينهم •

✻ الجامعة الاسلامية والعروبة :

كان ذلك هو الموضوع الأخير فى هذه الدراسة • ونرى فيه كيف نشأت الدعوة للجامعة الاسلامية ، وما كان لها من مضمون سياسى ومضمون حضارى ، وكيف تبنى السلطان عبد الحميد الثانى هذه الدعوة ، ووجهها وجهة أخرى لتثبيت دعائم حكمه الاستبدادى ، ثم تتبع الباحث هذه الدعوة فى صحف تلاميذ مدرسة الأفغانى • وأعقب ذلك بحديث عن العروبة ، فتحدث عن ارهاصات هذه الفكرة فى الصحافة آنذاك • وهى الفكرة التى بذرها الأفغانى ، وظهرت فى صحف تلاميذه من بعده •

✻ نتائج الدراسة وتوصياتها :

وفى النهاية استخلص الباحث بعض النتائج نذكر منها :

١ — انظر ص ٣٦٦ من الدراسة نقلا عن عبد الرحمن الرافعى • مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ص ١٧٤ .

أولا : ان الاتجـاه الاسلامى قـد برز فى الصحافة المصرية فى القرن التاسع عشر • حيث أفسحت الصحف العامة صـفحاتها للقضـايا والموضوعات المتصلة بالفكر الاسلامى • كمـا صدرت فى هذا الميدان صحف متخصصة •

ثانيا : ان معظم الذين قامت عـلى أكتافهم نهضة الصحافة ــ العامة والاسـلامية ــ من علمـاء الـدين الاسـلامى أو ذوى الثقـافة الاسـلامية كالطهطـاوى ومحمـد عبـده وعبد الكريم سلمان وأحمد الشاذلى الأزهرى، وعلى يوسف ورشيد رضا وغيرهم •

ثالثا : ان المناظرات التى قامت على صفحات تلك الصحف بين علمـاء الدين ودعـاة الفكر العلمانى أثرت الحياة الفكرية فى تلك الحقبة ، لأنها سخرت أقلام الكتاب الاسلاميين لبيـان جوهر الاسلام الحق •

رابعا : أن الفكر المصرى الحـديث لا يمكن دراسته بمنأى عن دراسة الاتجـاه الاسلامى فيه ، كما أن دراسة هذا الاتجاه غـير ممكنة بدون تتبعه فى الصحافة المصرية لأنها هى التى اشتملت على تفاصيله الكثيرة •

وختم الباحث رسالته بهاتين التوصيتين ، فقال :

أولا : لقد كانت الصحافة من وسائل الاتصال التى تمخض عنها العصر الحديث وكان طبيعيا أن يستخدمها الدعاة مما يلقى عـلى عـواتق المؤسسات القائمة بالدعـوة ــ وفى مقدمتهـا الأزهر ــ مسئولية تقييم هذه الصحافة بدراسة انتشارها ومادتها وتأثيرها ، ومسئولية تقويمها بأمدادها بالمعلومات الصحيحة ، واعانتها على أداء دورها بتوفير الامكانيات العلمية والماليـة وارشادها الى الصواب •

ثانيا ضرورة المحافظـة عـلى الصـحف الاسلامية التى صدرت فى القرن الماضى فقـد أصاب البلى كثيرا منهـا • ويمكن تصـويرها بواسطة (الميكروفيلم) والحصول عـلى نسخ جديدة منها وذلك بواسطة لجنة تضم مختصين فى ترميم المطبـوعات والصـحافة والتـاريخ الحديث • وبهذا نصون صـفحات من تاريخ الأمة •

عاطف زهران

الإسلام والمسلمون في الصين - بقية

عظيمة وعدد المسلمين بهذه المدينة كثير وكانت اقامتنا عندهم خمسة عشر يوما فكنا كل يوم وليلة فى دعوة جديدة ولا يزالون يختلفون فى أطعمتهم ويركبون معنا كل يوم للنزهة فى أقطار المدينة وركبوا معى يوما فدخلنا الى المدينة الرابعة وهى دار الامارة وبها سكنى الأمير الكبير « قرطى » ولما دخلنا من بابها ذهب عنى أصحابى ولقينى الوزير وذهب بى الى دار الأمير الكبير قرطى فكان من أخذه الفرجية التى أعطانيها ولى الله جلال الدين الشيرازى ما قد ذكرته .

ان ما ذكره ابن بطوطة من حفاوة بالغة قوبل بها فى كل مكان ذهب اليه تذكرنا بتلك الحفاوة

التى قوبلنا بها من الاخوة الصينيين فى « كانصو » و « سنكيانج » و (كانتون) .

(و بكين) ... هناك فى مدينة « لانشو » عاصمة ولاية « كانصو » ... وعلى شاطىء

« النهر الأصفر » الذى يطلقون عليه (أبو الصين) صعدنا الى مسجد « تونكانى » الواقع على شاطىء هذا النهر ....

وكانت المفاجأة التى لم تخطر لنا على بال حتى

بل مذ فارقنا أرض مصر .. صفان من صغار أطفال المسلمين وقفوا يستقبلوننا بالتكبير والهتاف النابع من القلب .

وبلغة عربية واضحة بدءوا ينشدون نشيد الاسلام الأول الذى استقبل به « الانصار » قدوم الرسول الى المدينة « طلع البدر » ....

لقد خنقتنا العبرات ، وطفرت من أعيننا الدموع ، وطغى هذا المشهد الايمانى على الجميع فلاذوا بالتأمل والصمت .

* *

كانت « عمامة » الشيخ الدكتور الطيب النجار شارة المجد والفخار فى هذه الرحلة انه

الازهر الشريف ... شرف المسلمين فى أى مكان من الدنيا .

بل هى أخوة العقيدة التى يرى فيها — المستشرق الالمانى بول شميث — قوة الاسلام

أو قوة الغد .. وجاءت حفاوة الصين — حكومة وشعبا — مصداقا لهذه العاطفة التى سعد بها كل أعضاء الوفد .

وعلى العرب والمسلمين أن يعيدوا النظر فى علاقاتهم مع الصين فى ضوء هذه الحقيقة

التى تؤكد عمق هذه الصلة التاريخية بين الصين وبين المسلمين العرب ..

أن « صين اليوم » « صين » أخرى غير الصين — التى أثارت عند الكثيرين الفزع والرعب . انها « صين » جديدة تفتح قلبها وذراعيها لمن يبادلها الاخاء والمودة والحب ..

أنباء وآراء

اعداد : احمد عبد الرحيم السايح
متولى الجرجاوى

طالب فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى تصريح له : الصحف الاسلامية بالتصدى لظاهرة الاعتداء على الشريعة الغراء ، ودحض الأفكار المناهضة لها ومناقشة أصحابها وبيان الرأى الاسلامى الصحيح تجاه هذه الأفكار الهدامة .

وكان أحد الكتاب قد شن حملة واسعة النطاق فى جريدة الاهرام ضد الشريعة الاسلامية وأحكامها وادعى أن المطالبة بتطبيقها أمر دخيل على التدين المصرى ويجب مقاومته .

قال فضيلة الامام الأكبر : اننا لن نستطيع أن نوقف الاقلام ، ولا أن نصادر الأفكار ، ولا أن نمنع الصحف من الكتابة . لأن هذا يتعارض مع حرية الصحافة . ولكننا نطالب الغيورين على الاسلام بدحض هذه الأفكار عن طريق الوسائل الاعلامية المختلفة وخاصة الصحف والبرامج الاسلامية لمنع البلبلة لدى الشباب . وأضاف فضيلة شيخ الأزهر قوله :

« اننى تصديت بنفسى من قبل لهذه الأفكار ونشرت مقالات فى بعض الصحف بينت فيها وجه الاسلام الصحيح ، وأن الشريعة الاسلامية الغراء ستظل صالحة لكل العصور .

ألف وخمسمائة يدخلون فى الاسلام

أعلن ألف وخمسمائة شخص الاسلام فى ولاية صباح احدى ولايات ماليزيا . وذهبوا الى المجلس الاسلامى فى الولاية وهم يرددون : لا اله الا الله . محمد رسول الله . وأقام المجلس الاسلامى فى ولاية صباح احتفالا كبيرا بهذه المناسبة حضره رئيس الوزراء ووزير الشباب والرياضة فى الحكومة المركزية . وعشرات من المسئولين فى الدولة الذين هزهم الحدث الكبير ، وأتوا ليشدوا على أيدى المسلمين الجدد متمنين لهم

التوفيق فى ظل الاسلام .

وسيعد المركز الاسلامى فى الولاية دورات خاصة لتحفيظ القــرآن الكـريم ، وشرح الأحاديث النبوية للمسلمين الجـدد الـذين اقبلوا جميعا على الاشتراك فى هذه الدورات وحفظ القرآن الكريم .

قرية هندية تضم ٦٠ ألف شخص تشــهر اسلامها

أفادت وكالات الأنباء أن ستين ألف شخص هم سكان قرية « ميناكشيبورام » قد دخلـوا فى الاسلام وقالوا : لا اله الا اللـه محمـد رسول الله .

ونشرت صـحيفة « تـايمز أوف انديا » تقريرا خاصا عن المسلمين قالت فيه :

ان عدد كبيرا من أهل البلاد دخل الاسلام حاليا وذلك فى مديرية « وارنس ومرزابور » فى ولاية « اترابراديش » وأن الاســلام ماض فى الانتشار بسرعة .

كبير القساوسة يعلن اسلامه

أعلن كبير قساوسة البروتستانت فى كوريا الجنوبية اسلامه خلال ندوة أقيمت فى مدينة « بوسـاى » بكوريا الجنوبية . اشترك فيها عدد كبير من علمـاء المسـلمين . وقال كبير القساوسة ـ وكان اسمه المسـتر سـين . وأصبح اسمه بعد اسلامه (عمر ياسين) :

ان الاسلام شغله منذ فترة طويلة ، وأنــه لم يعد أمامه الا الجهاد فى سبيله بعد أن تأكد أنه الحق . وكان (عمر ياسين) رئيسا لأربع عشرة كنيسة وأســتاذا لمـادة اللاهـوت بـ (بوساى) بكوريا الجنوبية . وقد أسلم معه واحد من كبار العلماء البوذيين ومن أكبر دعاة البوذية هنــاك . ويدعى (عمـر كيم) بعد أن أجرى أمام العلماء المسلمين مناظـرة عامة فى مقارنة الأديان ..

الاقتصاد الأسلامى والمجتمعـات النـامية

أعلن المفكر الفرنسى رجاء جـارودى : أن الفكر الاسلامى يعطى القـدوة الكـاملة فى تحقيق العدالة الاجتماعية فى المجتمعـات ، وأنه يمكن للدول الاسـلامية أن تأخـذ من القرآن والسنة النبـوية الشريفـة قـواعد اقتصادية سليمة ، يمكنها انقاذ المجتمعـات النامية من الاقتراض ويشجعها على العمل ، وأنه يمكنها أيضا من التصدى للغزو الثقـافى التبشيرى الغربى .

وقال جارودى ـ فى الندوة التى عقـدتها المنظمة الاسلامية بالجزائر مؤخرا : ان الفكر الاسلامى يتضمن أسس التصدى للانحراف الناشىء عن محـاولات الثقـافة الغربية فى المجتمعات الاسلامية .

من خير ما كتب

١٧ برنامجا دينيا فى اذاعة باريس

قررت اذاعة الجالية العربية والاسلامية فى باريس تقديم سبعة عشر برنامجا دينيا يوميا • وتقوم الاذاعة بنقل صلاة الجمعة من مكة المكرمة مباشرة بالأقمار الصناعية ، واستضافة علماء من الدول الاسلامية لالقاء الدروس الدينية مباشرة باستخدام الأقمار الصناعية •

منظمة اسلامية للمرأة المسلمة

تبحث اللجنة المكلفة من قبل وزراء خارجية الدول الاسلامية فكرة انشاء (منظمة دولية للمرأة المسلمة) فى اجتماعاتها فى العاصمة الباكستانية التى تعقد قريبا • وكان مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى عقد فى

مدينة (دكا) قبل عامين قد أوصى بتشكيل لجنة لبحث هذه الفكرة ومهمة اللجنة صياغة

أهداف المنظمة — المزمع انشاؤها — بحيث تتناسب مع دور المرأة المسلمة الذى حدده الاسلام • ووفقا للشريعة الاسلامية •

تشكيل هيئة اغاثة اسلامية

أعلن فى لندن عن تشكيل هيئة اسلامية خيرية فى مدينة « ليستر » تهدف الى دعم المسيرة الاسلامية ومساعدة الأيتام والأرامل واغاثة العائلات المنكوبة ، بخاصة فى المناطق التى دمرتها الصهيونية أو الشيوعية • تهدف الجمعية الى تحقيق مشاريعها فى كل مكان من لبنان وأفغانستان والهند وأوغندا لايواء أبناء الشهداء والأيتام ولتعليمهم وتربيتهم فى ظل القرآن الكريم •

الدكتوراه الفخرية للرئيس الباكستانى

منحت جامعة الأزهر الدكتوراه الفخرية فى العلاقات الدولية الى الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق •

وقد أقيم بهذه المناسبة احتفال كبير بقاعة الامام محمد عبده فى يوم الأثنين الموافق ٢١ من صفر سنة ١٤٠٥ هـ ٤ من نوفمبر سنة ١٩٨٥ م ، حضره فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر وعدد كبير من علماء الأزهر والوفود الاسلامية المشاركة فى مؤتمر السيرة والسنة النبوية •

فَرْش الجامع الأزهر

قرر الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق، تقديم هدية من السجاد الباكستانى لفرش الجامع الأزهر هدية من الشعب الباكستانى الى الشعب المصرى •

بيان من المجلس الأعلى للصحافة

أصدر المجلس الاعلى للصحافة فى اجتماعه فى ٢٩ / ١٠ / ١٩٨٥ م برياسة الدكتور صبحى عبد الحكيم رئيس المجلس البيان التالى :

تدارس المجلس الاعلى للصحافة بجلستيه المعقودتين فى ١٢ ، ٢٩ أكتوبر ١٩٨٥ ما توجه به السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى خطابه برشيد فى ١٨/٩/١٩٨٥ بشأن حرية الصحافة وتدعيمها وبعد أن تدارس المجلس أحكام الدستور وأحكام قانون نقابة الصحفيين وسلطة الصحافة وميثاق الشرف الصحفى ، وورقة العمل المقدمة فى هذا الشأن من أمانة المجلس وبعد أن استمع المجلس لكافة آراء أعضائه قرر ما يلى :

اولا :

يسجل المجلس للصحافة المصرية مواقفها الوطنية والقومية ودورها التاريخى الرائد واسهامها البناء فى خدمة الوطن والأمة العربية ويقدر جهود العاملين بالصحافة المصرية صحفيين واداريين وعمالا .

ثانيا :

يؤكد المجلس على أن حرية الصحافة هى أقوى ركائز الديمقراطية ويدعو الصحفيين والكتاب الى بذل المزيد من العناية والجهد فى تدعيم المقومات الأساسية للمجتمع : اجتماعية كانت أو خلقية أو اقتصادية ، ويدعوهم الى الوفاء بما التزموا به من موضوعية ومن مراعاة لحرمة الحياة الخاصة للمواطنين جميعا مع الارتفاع بلغة الجدل السياسى الى مرتبة الحوار الأخوى دون تجريح أو عنف ، ويستنكر كل تجاوز لنصوص قانونى نقابة الصحفيين وسلطة الصحافة ، ميثاق الشرف الصحفى فى هذا الشأن .

ثالثا :

يؤكد المجلس على حق المواطنين فى الرد على ما ينشر فى الصحف وينوه بأن استخدام هذا الحق لا ينتقص من حرية الصحافة ويدعو الصحف الى تمكين المواطنين من استعمال هذا الحق دون الالتجاء الى التقاضى .

رابعا :

يعد المجلس تقريرا دوريا كل ثلاثة أشهر حول ملاحظاته على الممارسة الصحفية .

والمجلس الأعلى للصحافة لعلى ثقة من أن جميع المشتغلين بالصحافة حريصين على احترام وتنفيذ قانونى سلطة الصحافة ونقابة الصحفيين وميثاق الشرف الصحفى نصا وروحا .

مِن خير ما كُتب

عبد الفتاح السيد عبد السلام

وَاعتصِمُوا بِحبلِ اللهِ جميعًا وَلا تفرقوا

فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا »

ما أشبه الليلة بالبارحة ، فقد كان اليهود فى المدينة المنورة فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم يحاولون الدس والوقيعة بين المسلمين • ولم يكتفوا بذلك فقد نقضوا العهد معه وتحالفوا مع قريش ضده ، وحاولوا قتله بالقاء حجر عليه ووضعت امرأة يهودية السم فى كراع الشاه •

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستكن لمؤامرتهم ، ولم يضعف امام حصونهم وقلاعهم بل جهز لهم جيشا قويا مزودا بالعقيدة والايمان فمزقهم شر ممزق ، وسقطت خيبر أعظم قلعة لليهود آنذاك وأخرجهم الرسول من ديارهم •

وعادت الذئاب اليهودية من جديد تكشر عن أنيابها ، ويمتد ذراعها الى احفاد الابطال الاوائل الذين لقنوهم دروسا لا تنسى ولم تقم لليهود قائمة الا فى غيبة الأمة الاسلامية الواحدة •

* واذ بالعالم الاسلامى يفاجأ بأن اسرائيل تضرب منظمة التحرير فى قلب العاصمة تونس وهى بهذا العمل اللا انسانى تريد أن تظهر للعالم بأن ذراع اسرائيل مازال طويلا يمتد الى أى مكان من الدول العربية والاسلامية •

وكأن المنظمات الدولية لا وجود لها • ثم وكأن العرب والمسلمين بوجه عام لا وجود لهم وكأنهم فقدوا مقوماتهم كأمة تربو على الالف مليون وينتشرون فى أنحاء الأرض ، وكأنهم تخلوا عما عرفوا به من النجدة والشجاعة والغيرة على حماية الأرض والعرض •

* ان الذراع الطويلة التى طوتها حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣ بل كسرتها هذه الحرب المجيدة — لا سيما بعد أن التف العرب والمسلمون وشدوا من أزر مصر وجيش مصر•

هذه الذراع : بدأت تمتد بل وتشتد متجاوزة الحدود والسدود ان لم تكتف بهذه المجازر والحروب التى أثارتها وأذكتها فى لبنان فاقتتل أبناؤه وصاروا وقودا لحرب ضروس يذكيها هؤلاء الاعداء ، أعداء الله وأعداء الناس ، وبكل أسف يشارك فى اذكائها وفى تفريق كلمة العرب والمسلمين ، بل أشعل النار هنا وهناك قوم من العرب انحسرت من قلوبهم خصائص العروبة الاصيلة من الوفاء لأمتهم وأرضهم ودينهم •

أيها العرب •• أيها المسلمون :

ان الله سبحانه يناديكم فى القرآن فيقول :

« انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » •

« فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » •

أيها العرب •• أيها المسلمون :

كيف استكنتم الى الذلة ورضيتم بالهوان؟ كيف ارتضيتم أن تمتد هذه الذراع الى تونس لتضرب الفلسطينيين هناك وتطردهم بعد أن طردتهم من أرضهم وأسروا المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين كيف هذا والقرآن يقول :

« وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ » ؟

هل تنتظرون من الدول الاخرى حمايتكم والثأر لكم ؟

لقد جربتم ما فعل هؤلاء منذ كانت مشكلة فلسطين •• فهم الذين غرسوا هذا السرطان فى قلب العرب والمسلمين •

أيها العرب •• أيها المسلمون :

لا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار •

نار الذلة والضياع والاستعباد والقهر فى الدنيا تلحقكم وتصيب أجيالكم ، بنار الآخرة لأنكم فرطتم فى أوطانكم ، وتفرقتم شيعا وأحزابا • تتقاتلون وتتقاذفون بالتهم حتى هان أمركم على عدوكم فامتدت ذراعه تطردكم فى أوطانكم ليست المجاورة له فحسب • بل كانت هذه المهانة أن تضرب المنظمة الفلسطينية فى تونس العربية المسلمة •

أيها المتقاتلون فى لبنان : قفوا صفا واحدا ووجهوا أسلحتكم الى صدور عدوكم الذى هان عليه أمركم فتجاوزكم الى تونس يعربد فيها وينشر الخراب والقتل والدمار•

من خير ما كتب

أيها المتقاتلون من ايران انكم تقاتلون اخوتكم فى الاسلام ، وهذا عدو الاسلام والمسلمين الذى قال الله فيه :

« لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا » .

أوقفوا هذه الحرب ووجهوا جهودكم وجيوشكم الى تحرير المسجد الاقصى ، الى القضاء على هذه الزراع التى تطاولت وأفسدت وأشاعت الحرب والدمار والقتل فى بلاد العرب والمسلمين .

أين جامعة الدول العربية ؟

أين منظمة المؤتمر الاسلامى ؟

انى اقترح دعوة هاتين المؤسستين للاجتماع فورا اجتماعا مشتركا لاتخاذ موقف محدد تجاه هذا العدوان موقف يرفع الهامة ويحفظ الكرامة . وينهى هذه الخلافات بين الحكومات لتقف صفا واحدا :

« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ » .

أيها العرب .. أيها المسلمون قديما قيل :

ماحك جلدك مثل ظفرك ، فتول أنت جميع أمرك : فلا تنتظروا أن يحميكم غيركم . خذوا حذركم فان فيما حدث نذير خطير..واذا لم تتجاوزوا خلافاتكم وجمعتم شملكم تخطفتكم الأحداث وتكاثرت عليكم الحوادث .

احرصوا على الموت توهب لكم الحياة .

تناصحوا وواجهوا هذا الخطر مجتمعين . واذكروا قول القائل :

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا
واذا افترقن تكسرت آحادا

وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

وها هى الذئاب قد كشرت عن أنيابها ، فقفوا فى وجهها بكل قوة متحدين ، واستعينوا بالله واحزموا أمركم ، وتجاوزوا المخذلين والموقين واحصروهم ، « وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ » « وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ »

« وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » .

مـن هـدى القـرآن

الجهاد ماض الى يوم القيامة .. هكذا قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمعركة بين الكفر والالحاد من ناحية وبين الاسلام وجنوده ستظل مستمرة حتى يظهر الله هذا الدين وهذه سنة الحياة .. أن يظل الخير والشر متصارعين حتى يأتى أمر الله .

أعداء الاسلام يتربصون به فى كل مكن .. وهم عندما يحاربون الاسلام يحاربونه بكل وسيلة والذى يجرى فى الساحة الاسلامية واضح لا يحتاج الى تعليق .. ان المسلم يقتل أخاه فى العراق وايران ولبنان بتدبير من قوى الظلام والالحاد .. وتبدو المعركة أحيانا سافرة بلا أقنعة كما يحدث فى أفغانستان وتبدو مقنعة كما يحدث فى السودان ولبنان وايران ولكن الباعث واحد .. والهدف واحد .. والمدبر واحد .. مع اختلاف بسيط فى أدوات التنفيذ .

ان الأمة الاسلامية نائمة .. غارقة حتى أذنيها فى معارك وهمية ، مع أن عدوها هو عدو الله واضح للعيان .. وعليها أن تجمع شتاتها وتتدبر أمرها وتأخذ بهدى نبيها ، والا فان ما ينتظرها لا يخطر على بال .. فقد اتحدت قوى الظلام كلها . ولعل آخر مخترعات أعداء الاسلام هو ما يصدرونه الآن الينا من الهيروين والكوكايين وكلها أدوات فعالة لتدمير شباب هذه الأمة واغراقه فى بحور النسيان .. الشباب درع هذه الأمة .. وهو الذى وقف وقفة شامخة ضد جحافل التتار والصليبيين ثم الصهيونية العالمية .

والنفاذ الى الشباب لا يأتى الا من بابين خطرين لابد من اغلاقهما فورا هما :

ـ باب أفلام الجنس الذى بدأ ينتشر حتى فى حوارى الريف المصرى وهذه ظاهرة خطيرة جدا .

ـ باب المخدرات الجديدة البيضاء التى تسحق الشباب وتحوله الى حطام لا يقوى على شىء .

الأستاذ / أحمد زين

بـلا مشـاكل

فى هذه الأيام كثرت قضايا من يسمونهم أهل الفن ..أو نجوم السينما ، قضايا مخدرات .. وفضائح أخلاقية .. الى آخر ما نقرأه ونسمعه بين الحين والآخر .. مما يدل على أن المسالة تجاوزت حد الهواية الى حد الاحتراف .

ولست أدرى ماذا يريد هؤلاء الناس .. الا أن يكون الرزق الذى يأتيهم من كل مكان وبلا حساب .. معه اللعنة تصاحبه .. بحيث تجعله يذهب كما جاء .. ويضر ضررا بليغا .

وهؤلاء الناس يراهم شبابنا على الشاشة .. وفى « التليفزيون » .. وفى المسرح .. وهم فى شهرتهم هذه يدفعون عددا من الشبان والشابات الى تقليدهم .. سواء من ناحية الاعجاب .. أو من ناحية مجرد

من خير ما كتب

محاولة التقليد . وهم بواسطة التليفزيون خاصة يدخلون كل بيت .. ويعيشون فى مخيلة الملايين من الناس .. وكان من المفروض عندما ظهرت هذه القدوة السيئة بينهم .. أن

يحاسب على الأقل الذين قاموا بها .. فان لم تحاسبهم نقاباتهم .. « وتشطبهم » من عضويتها .. فعلى الأقل تحاسبهم أجهزة الاعلام المسئولة .. وتمنعهم من الظهور فى التليفزيون .. ويواجههم الرأى العام بمقاطعة أفلامهم لأنهم يقدمون القدوة السيئة فى المجتمع . ولكن للأسف الشديد لم يحدث شىء من هذا .. بل العكس وقفت النقابات معهم تدافع عنهم وعن تصرفاتهم غير الأخلاقية .. وفتح التليفزيون ذراعيه لهم .. ليعرض أفلامهم على الناس .. وكأنما الخلق السىء والقدوة غير الصالحة لا تستحق الردع والعقاب والمجتمع اذا فقد قيمه ..

فقد كيانه ووجوده .. ولذلك فانه حتى فى المجتمعات التى ينتشر فيها الفساد أكثر مما ينتشر فى مجتمعاتنا .. فانه عادة يكون

حساب .. وحساب عسير اذا ظهر هذا الفساد علنا .. ويحس الناس جميعا أن مسئولياتهم أن يحافظوا على القيم فى

مجتمعهم .. وأن واجبهم يحتم عليهم أن يواجهوا أية قدوة سيئة ليس بالوساطات والمحسوبية .. واخفاء الحقائق .. ولكن بصراحة الحق .. وقوة الخلق التى تساوى كثيرا .. وكثيرا جدا بالنسبة للشباب على

الأقل .. كم أتمنى أن تقوم نقابة الممثلين وغيرها من أجهزة الرقابة .. بمواجهة الذين ظهر انحرافهم ممن يسمونهم نجوم الفن ..

مواجهة حقيقية .. وأن تمنعهم من العمل .. لنحس جميعا أن هناك فى هذا المجتمع قيما لابد أن تحترم .. وان هناك من يقفون أمام القدوة السيئة ليواجهوها .

ما أحوجنا الى موقف شجاع بعيد عن المصالح الذاتية .. والوساطات والمحسوبيات وما أحوجنا الى الجد ولكننا نهزل فى كل شىء .

الأستاذ / أنيس منصور ..

مواقف

جاءك فلسطينى ونظر اليك بكل حيرة ويأس ووضع ساقا على ساق وأسند رأسه بكفه وقال : من فضلك أريد أن أعرف باعتبارك عربيا هل لدى الفلسطينيين أى أمل فى العرب ؟ .

فاذا ظهر عليك الخجل والاعياء و « القرف » فاستعرت منه اليأس وحاولت أن تجيب ، منعك هو قائلا ، أريد أن تساعدنى فى تكوين عبارة واحدة أقولها لابنى عن مستقبله .. فبالله عليك ما الذى أقوله له ؟ .. هل من هدف العرب أن يتوه الفلسطينيون كما تاهت اسرائيل أربعين عاما فى سيناء ؟ .

لقد تحقق لنا ذلك .. فهل يحدث بعد ذلك

لياسر عرفات ما حدث لموسى عليه السلام : أن يرى أرض كنعان ويموت ولا يدخلها .

من المؤكد أن هذا ما سوف يحدث له .. فهل أقول لابنى فليصبر ثلاثة آلاف سنة أخرى حتى نعود الى أرضنا فى فلسطين .. أو تعود الينا أرضنا ..

ويعود الأخ الفلسطينى يتساءل :

هل مكتوب علينا أن نضيع بين العشرين دولة أخرى .. ان اليهود لم تكن لهم دولة وقد عرضوا عليهم أماكن كثيرة فى افريقيا وفى أمريكا وفى استراليا . ولكنهم أصروا على أرض فلسطين . فهل نستطيع أن نصر نحن على ذلك ويصر كل العرب على غير ذلك .. نحن نجاهر بآمالنا ، والعرب يخفون يأسهم .

ولابد أن يخرج ورقة من جيبه مطبوع عليها : لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس .

وما مات حق وراءه مطالب .. ومستحيل اليوم ممكن غدا .. ونابليون .. ماذا قال ؟. قال : لا شىء مستحيل .

ولابد أن تقديم هذه الورقة سببها : الضيق بالكلام يقال وتسمعه ، أو لا تسمعه .. ولما لم يجد موقفا نبيلا يظهر فيه شجاعته ، عاد الى بيته ليقتل (١) نفسه بشجاعة — ويترك التاريخ كرة عند قدمى ابنه ، أو كرة أرضية على رأسه ! .

وكتب الأستاذ مصطفى أمين فى بابه اليومى « فكرة » بجريدة الأخبار يقول: اجتمع علماء المسلمين فى القاهرة ، وأتمنى أن تكون قراراتهم أفعالا لا كلاما .

أتمنى أن يشرحوا للعالم وللمسلمين حقيقة الاسلام .

فالاسلام دين الحرية لا دين الاستبداد .

دين الاسلام لا دين التناحر والاقتتال دين العفو لا دين الانتقام .

والقرآن هو أول كتاب مقدس تضمن حقوق الانسان ، انتصر للضعفاء ضد الأقوياء ، تضامن مع المظلومين والمقهورين ضد الطغاة والمستبدين .

لعن الاسلام المسلمين الذين يقتلون المؤمنين ، ورفض أن تعلن دولة مسلمة الحرب على دولة مسلمة ، وهو يرفض خطف الطائرات والسفن وخطف الرجال والنساء .

وأوصى الاسلام جيوشه أن ترحم الأسير فى الحرب .

ودعا الى ديمقراطية حقة ؟ مما جعل امرأة تعترض خليفة المسلمين فى المسجد وتقول له : أخطأت يا أمير المؤمنين ، فيعترف أمير المؤمنين أن المرأة على صواب .

وطالب الاسلام أقارب الحكام أن يكونوا مثلا فى التقوى والصلاح . وقد قال رسول الله ﷺ « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

٥

---

(١) بل يعود ليرفع وجهه الى السماء فعند الله مالا يخطر على قلب بشر .. مجلة الازهر

من خير ما كتب

وجعل الاسلام من حق الشعب أن يسأل الحاكم من أين لك هذا ؟

وقصة المسلم الذى اعترض الخليفة سيدنا عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — لأن ثوبه أطول شبرا من ثياب جميع المسلمين ، وأثبت سيدنا عمر أنه اقترض هذا الجزء من ثوب ابنه .

الاسلام ليس دين عدوان ، ولا هو دين عنف ولا يقبل الديكتاتورية ، ويرفض الطغيان ، ويسوى بين الناس كأسنان المشط ، ويعطى للفقراء حقهم ، وينص أن مساعدة المحرومين والمسحوقين هى الطريق الى النعيم .

ان الصورة التى يرسمها الأجانب اليوم للاسلام صورة مزعجة ، تشوه جمال الدين ، وتجعلنا نبدو فى صورة قطاع الطرق ، وهواة بطش وعنف وارهاب والدين الاسلامى برىء من كل هؤلاء ، فهو دين المتحضرين لا دين المتوحشين دين التقدم لا دين الرجعية .

دين الحب لا دين الكراهية والحقد والبغضاء .

ان أول من يشوه الاسلام هم بعض المسلمين .

انتهت احدى دور النشر بقطر عربى من طبع « الماسونية فى المنطقة ٢٤٥ » .

يحمل الكتاب دراسة مفصلة عن الماسونية فى هذه المنطقة التى تشمل ما اصطلح عليه حديثا بدول الشرق الأوسط مع المام بتاريخها معرجا على أسرارها الخفية ونواديها كالروتارى ، والليونز والسروبتمست وشهود يهوه .. الخ .

ويكاد الكتاب أن يحصر أعضاء أندية الروتارى بهذه المنطقة الخاضعة من حيث التقسيم للروتارى بمدينة ايفانستون بولاية الينوى ، وعرج الكاتب الى الأندية التابعة لنادى الروتارى بنفس المنطقة ، وما ينال كل عضو نشط ماليا فيها من ميدالية تضعه بينهم فى مركز مرموق .

الفتاوى

إعداد
الأستاذ عبدالحميد شاهين

س : من السيد / ع.ج ــ بحيرى ــ شبرا

١ ــ طلقت زوجتى مرتين متفرقتين بقولى لها : أنت طالق . وراجعتها فى كل مرة فى العدة .

٢ ــ ومرة ثالثة حصل شجار بينى وبينها وأنا مريض نتيجة عمليات أجريت لى ، هى استئصال المرارة والحصوة نتيجة المخدر الذى أخذته مما جعلنى أنفعل من أبسط الأمور وأثور ولاأستطيع التحكم فى أعصابى كما تفيد التقارير الطبية ــ وأثناء ذلك قلت لها : أنت طالق فما الحكم ؟

ج : اليمين الأول والثانى يقع بهما طلاق ، وحيث ان الحالف راجعها فى كل مرة أثناء العدة فان الرجعتين صحيحتان .

واليمين الثالث مادام الحالف مريضا نتيجة العمليات التى أجريت له لا يستطيع التحكم فى أعصابه عند الغضب ويخرج عن ارادته نتيجة الانفعال كما يفيد التقرير الطبى الصادر من مستشفى أبو النجا شبرا الخيمة ــ فان الطلقة الثالثة لا يقع بها طلاق ــ وذلك على مذهب ابن قيم الجوزية .

س . من السيد/م.ب. على ــ الغربية

توفيت امرأة عن : أختين شقيقتين ، وابن عم أبيها ، عمتين شقيقتين . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأختين الشقيقتين الثلثان ــ لعدم من يعصبهما أو يحجبهما يقسم بينهما بالتساوى ، والباقى لابن عم أبيها تعصيبا ... ولا شئ للعمتين الشقيقتين لأنهما من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

س : من السيد / م.أ ــ سالم أسيوط

توفى رجل عن : زوجة ، بنتين من زوجة متوفاة ، ابنى ابن عم شقيق . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنتين الثلثان فرضا لعدم وجود من يعصبهما يقسم بينهما بالتساوى ، والباقى لابنى ابن العم الشقيق يقسم بينهما بالتساوى .

والله أعلم ..

فهرس العدد

الشعر والشعراء

اللغة والأدب والنقد

قسم الانجليزى

مراجعة وعناوين داخلية
عبد المنعم ابراهيم مهنا

the right word", the word of solid unchallanged truth, let us learn and teach the knowledge that formulated the essential elements for the dignity and wellfare of mankind. Let us search for solutions to prevent further decay and disruption of our society. Let us learn the reality of our faith, and construe the constitution of the Islamic Shariah to serve our needs.

-Taken from an article by Shiekh Gad Al-Haq Aly Gad Al-Haq.
-Published in Al-Azhar Magazine, Vol, 57, No.12 (Zu Al-Hijja) Page 1915).

The public should be addressed with constructive assessment of issues; the implementation of the laws of Islamic Shariah must be preceded by preparations that are necessary for successful application. Every facet and element of Islamic Shariah requires paving the ground for its implementation. Before the abolition of interest rates, it is necessary to evaluate them first in our current dealings and find alternatives that conform with the Shariah in order to avoid confusion and jeopardy of economic structure and mutual dealings with others. We must be true in word and earnest in advancing advice. It should be well understood that Islamic Shariah requires disciplined self conduct, this being the responsibility of the individual. The proper Islamic culture and up-bringing of children and youth is the responsibility of the parents. Bribery, corruption, robbery and deliquances must be resisted and erradicated from society. Hard work and efficient performance are mandatory for progress. It is certainly the duty of the state to extablish healthy systems of government. Nothing can save this nation except that which has saved its beginning, namely, the Holy Quran and the Sunnah. The whole nation at large bears the responsibility, individuals and state alike, a kind of task that requires proper understanding and enforcement.

The news media is particularly called upon to "come to the right word" to respect the public interest and work hard for its wellfare. Do not poison and corrupt the elements cementing the nation, do not demolish the values, do not dissolve or fake the foundations of the Shariah. Under the ceiling of Islamic Sharia Muslims have survived in stability and content committed to their duties and rights. The duty of all should be to restore to this nation its spiritual and psychological tranquility. What is presented to the public in the daily press should be objective, educational and instructive based on sound reason and honest logic. Islamic teachings should be well understood, adopted, propagated and highly supported. Let us "come to

the People's Council who have been elected by the people and deputised to reign over the safeguards of the nation. These members will sooner or later be questioned by the public, however, such questioning should not take a shameful style to avoid undermining our status of reputation, stability and security. On the other hand, the public demand for putting the Islamic Shariah into practice, should not be met with such frantic shrieks and biased arguments opposing the Islamic Shariah and qualifying it as unacceptable and incompatible with modern age and present so called civilization . Those men who carry the banners of opposition against the implementation of Islamic Shariah are actually harming their own purpose by hurting the deep sentiments and feelings of muslims in matters of high sensitivity pertaining to Islamic sacred priorities. They agitate Islamic emotions with profane words devoid of grace or piety to Allah, inconsiderate and disrespecting the dignity of the public. They fail to understand that injuries of the sword can heal,but injuries of the tongue do not heal.

Yes " come to the Right Word"; the Muslim public must be persuaded of the inevitable implementation of the Islamic Shariah, whether instantanously or in due time. Any delay in implementation must be fully and reasonably justified. Do not oppose or antagonise the Shariah of Islam with malignant unfounded illiterate and unlearned criticism. Do not abuse or slander the distinguished men, the predecessors and masters of Islamic Theology whose efforts must be acknowledged praised and recognised in the science of fundamentalling,catagorising and referencing of the very massive bulk of Islamic literature. The affluent flow of aggravating incrimination against Islamic Shariah that appears in the daily press; intentionally planned against Islam, or as a result of ignorance and sterility of thought must be completely stopped. Both suppositions are utterly condemned. People, as said in ancient times are hostile to what they are ignorant of.

and the path of Allah. This went further to become an intentional and planned twisting, distorting and falsifying the genuine authentic concepts and understandings of Islam. Some writers and speakers went in their transgression beyond the limits of logic and reason; to claim that the Islamic laws of Shariah were markedly complex and stiff, and were inapplicable and unsuitable to modern life with its diversties and sophisticated civilisation.

Writers also quarreled and disputed over the manner and urgency of application of Islamic Shariah. Should it be immediate with frantic rallys and demonstrations or should it be achieved quietly, gradually, rationally and with no violence. Marching of the masses, street demonstrations and emblems stuck on vehicles have nothing to do with the propagation of Islam or the application of its principles. The laws of Islam are not bounded or timed only to the age of prophecy or to the reign of the Khalifas as wise successors. Islam in essence constitutes a creed and a Shariah. It is a faith to mankind that establishes a balance of perfect equilibruim between secular and spiritual matters; Islam will dominate as such as long as Muslims adhere and remain faithful in peity to Allah, preserving His commandments, reciting the Quran and practicing its instructions.

The People's Council in collaboration with learned men of Shariah discussed (in Egypt) the methods of standardistation of current laws and purifying them from what was not conforming with the Islamic Shariah. These men spent time and effort to a good purpose which was accepted and indorsed by men loyal to public interest, identity and future, since the Egyptian nation is looked upon as pioneers and leaders of Arab and Muslim world.

The slowing down and delay in the constitutional measures to sanction the amendment is the sole responsibility of the members of

This whirlpool of anarchy puzzles even men of widom and knowledge. What then can be said of this generation which desires to return to the self and to acquire an identity derived only from Islam, from its features and physiognomy. Islam which calls for justice, science and education: Islam which bridges the gap between socially seperated classes: Islam which aims to culture the individual , the groups and the nation: Islam which cares for social and individual security and peace, creating both harmony and intimacy among the various sets of the public: Islam which opposes and rejects segregation because of poverty, colour or creed, and prohibit religious persecution: Islam which forbids cheating and fraudulence in transaction and contracting: Islam which encourages progressive opulence of human life with security and safety : Islam which prescribes certain codes that regulate the relation of the Muslim individual with Allah; such regulations are not at all subject to personal interpretations: Islam which differentiates between lawful and unlawful, virture and vice, right and wrong in all aspects of human life: Islam which is the creed based on tolerance, exoneration, and forgiveness : Islam is in reality the purity of the inner self and the mastery in conduct and appearance.

The question now is, has Islam as shown in the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet (prayers and peace be upon him) become an issue to argue over and disagree about; not with the purpose of understanding, but with insolence and discourtesy ? Has Islam and the laws of Shariah become the target of an avalanche of unfounded anger and criticism without comprehension or understanding of what Islam really is or what the laws of Shariah really mean ? This neurotic excitment has isolated the issue away from the correct path-the issue of the impelmentation of the Islamic laws of Shariah. It has turned the whole matter into frank antagonistic rejection of proper conduct

COME TO THE RIGHT WORD.

BY
MAGDY ABDEL-HAMEED BASHEER

The implementation of the laws of Islamic Shariah has become a very contraversial matter subject to shrills and loud voices, that it appeared to be diverting from the proper aim, and going astray from logic discussion. The whole issue of argument has turned into a heated stimulating debate congested with antagonistic and conflicting views. Within this arena, some writers emerged who invented slogans and coined words and imposed them on the public to accept forged ideas, and intrigued people to harken what they say and to read what they write.

These writers licensed themselves as Islamic writers and thinkers to be able to sell their own false ideas and thought under the guise of Islam. They also revive the argument over Islam and Secularism. Does Islam imply a religion and a state; or is it only a religion imposing the worship of Allah and has nothing to do with people's life on earth?.

All this resulted in confusion and disharmony in the understanding of Islamic principles, concepts, and its fundamental branches.

battle between a powerful Jewish community with all the means of strength and mastery,and an outnumbered contingent of Muslims taking the initiative of attack; was certainly most dramatic to observe closely and await its consequences. These consequences would certainly reflect on the historical outcome of the whole peninsula. For such considerations , the march of Muslims to conquer Khaybar was certainly a very crucical event.

When the Prophet (prayers and peace form Allah upon him) settled matters at Khaybar, the return to Al-Madinah was very eventfull. Three of the most renowed leaders of Koraysh had arrived to Al-Madinah and proclaimed their Islam. These men were Khaled Ibn Al-Waleed Al-Makhzoumy, Amre Ibn Al-Aas Al-Sahmy, and Osman Ibn Talha Al-Abdary. History records that these men lived to achieve very distinctive roles in Islamic History.

Prayers and peace be upon our magnanemous prophet.

the emigrants and gave them shares form the spoils taken from Khaybar after taking the consent of the Muslims.

After the conquest of Khaybar, the Muslims marched on to Fadek, which was a group of independent settlements inhabited by Jews with small numbers of Arabs form Bani Murra,and from Bani Saad Ibn Bakre. There was no fighting and they negotiated peace terms to give the Muslims the royalty of an annual divident. The Jewish community resident in Taimaa mediated similar peace terms with the Muslims as those of Fadek. The Muslims moved next to Wadi Al-Qurra where the Jewish inhabitants refused to accept the proposed peace terms. Hostilities started and after brief fighting, the Jews lost eleven men,they surrendered. The same peace terms as those of Khaybar were agreed upon.

This triumphant expedition and the suppression of Jewish influence was a major achievement, and a salient accomplishment. The nature of the conquest of Khaybar differs from all previous military actions of Muslims in the fact that it was the first Muslim expedition in which the Muslims took the initative without being attacked, and without even any sign of apparent intention of attack on the part of the Jews. However, the march on Khaybar aimed basically to spread and propagate Islam,and certainly to safeguard the security of Muslims against any insurgent action on the part of the Jews,which was highly expected. The massive consolidated manpower and wealth of the Jews at Khaybar was against the logic defence strategy of Muslims. The inbred antipathy and hatred of the Jews to Muslims, and their well reputed nature of hypocricy, artful deception, and masked fraudulence; all this demanded suitable deterent action on the part of Muslims. The march to Khaybar,Fadek, Taimaa, and Wadi Al-Qurra was closely observed by all the tribes in the Arab peninsula particularly the west of the peninsula. This contest in

In the fortifications of Al-Kathibah,the Muslims found great numbers of fighting equipment;and also a script of the Torah (old testment) which was returned to the Jews well preserved . The only man killed after agreement on the terms was Kenanah Ibn Abi Al-Haqiq because he denied the possession of the jewelry of Huaii Ibn Akhtab which was found in his possession. The total number of deaths among Muslims was estimated to be fifteen men, and the Jews lost ninety three men. During the aftermath of the conquest of Khaybar, a Jewish woman Zainab Bent-Al-Harith wife of Sallam Ibn Mishkum invited the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to eat barbecued lamb in which she put poison. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) chewed a peice and quickly threw it away rejecting its taste. The woman was then questioned about this act of dishonesty , and answered "If you were not a prophet, we would all get rid of you; and if you were a prophet, you would not be harmed".She was pardoned at the start;but when Bishre Ibn Al-Barraa Ibn Maroor died poisoned from eating the meat,she was ordered to death. However,several authors of authority relate that she was not ordered to death but set free. The Prophet (prayers and peace form Allah upon him) distributed the spoils of battle among the Muslim warriors, a share for each man, two shares for a horse, and therefore three shares for a man and his horse. Among the prisoners of Al-Kathibah was Safyia daughter of Huaii Ibn Akhtab the leader of Bani Al-Nadhir. She proclaimed Islam ,and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) married her, and granted her freedom for her dowry. She lived to be a very sincere muslim and a faithful devoted wife.

Before the Muslims left Khaybar,Gaffar Ibn Abi-Taleb and the Muslim emigrants to Etheiopia returned after ten years absence;among them were Moussa Al-Ashary and his people. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was highly pleased to welcome Gaffar and

of large quantities of foods particularly dates of which they ate some and left the rest.

The Jews retreated to the other fortifications and were ardently followed by Muslims. At Al-Shaq, the Jews put up a fierce resistance but were eventually defeated after being besieged for three days. The Muslims found large numbers of earthenware pottery, and copper and brass utensils, some of which was washed and used for cooking. The Jews again had to retreat to their last complex of fortifications, namely, that of Al-Kathibah . This major fortification consisted of three bastions Al-Qamos,Al-Wateeh and Al-Sulalem, all amidst great expanses of land. After the Jews retreated from the fortifications of Al-Natah and Al-Shaq ,their only final stand was to be at Al-Kathibah where all the Jews consorted strongly and certainly very determined to push the advancing Muslim forces back and defeat them. On the other hand, the Muslims commanded by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) were also certainly confident and fully resolved to gain final victory and thereby complete the conquest of Khaybar with all its fortifications. The Muslims besieged all the complex of fortifications, more intense was the siege of Al-Qamos , for a period of approximately one month. Then everything collapsed, Al-Qamos surrendered, and was quickly followed by the surrender of Al-Wateeh and Al-Sulalem. The Jews negotiated with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) for complete capitulation and to remain on the cultivation of the land,giving the Muslims half the yield of harvest. These terms were acccepted,and Abdullah Ibn Rawahah was charged with the acquisition of the share of Muslims from the yield of harvest every year. He divided the harvest into two equal lots allowed them (the Jews) to choose their half. This procedure conforms with Islamic codes particular to this type of transaction.

upon him) decided to march against the Jews at Khaybar. All authors agree that the march against Khaybar took place during the month of Al-Muharam of the seventh year of Hijrah. Fourteen hundred men and two hundred horsemen accompained the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in the rally against Khaybar, specifically those that had attended at Al-Hudaibiah . Twenty women wives of some companions also accompained the expendition including Um Salamah Wife of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Al-Madinah was ministered by Sabba Ibn Arfatah Al-Gaffari.

At the outskirts of Khaybar, the Muslims made camp away from the throwing distance of the nearest fortification. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) supplicated to Allah for support, mercy, blessings, and victory; and further gave counsel and advice to his companions. The challenge of the nearest fortification started in the morning as was the usual custom of the Prophet (prayers from Allah upon him). There is no exact agreement between the various chroniclers as to the precise order by which these fortifications were challenged and overtaken. However, all authorities agree that after two days, no progress was made under Abu Bakre and Omar Ibn Al-Khattab; and the Jews were determined to make a stiff stand. At this stage orders were given to stop cutting the palm trees which had been started to frighten the Jews into surrender, and avoid bloodshed. Muslims advanced to storm the fortification, lead by Aly Ibn Abi-Taleb whom the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had specifically chosen to command the combat party on that day. Ali Ibn Abi Taleb was successful and the Muslims on that day captured the first of the several fortifications and bastions at Khaybar. This initial victory opened the way to the capture of the rest of the fortifications of Al-Natah which comprised three small bastions namely Naim, Al-Saab, and Qilla. During the engagement, Marhab the well known Jewish leader was killed by Ali Ibn Abi Taleb. The Muslims took possession

and Al-Snaq Each of these separately situated fortification was divided into smaller bastions. It was estimated that the number of men at arms with complete fighting equipment at Khaybar at that time exceeded twenty thousand men. Khaybar is situated about ninety miles north east of Al-Madinah, and was considered the stronghold of the Jews in the Arab peninsula particularly after the exist of the Jewish clans of Bani Qaynuqa,Bani Quraizah, and Bani Al-Nadhir from Al-Madinah. The fortifications at Khaybar were supplemented by large expanses of agrarian land which the Jews very industriously exploited and utilized.

Eversince the Hijrah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from Mecca, and his arrival at Al-Madinah, the Jews have been continuously deterring his efforts,conspiring to kill him scheming to create feuds and antagonism among Muslims, slandering, plotting, and living the role of hypocrites . Above all, they continually supplied the Arab clans with money, arms, and men to wage war against Muslims. This inherent trend of policy on the part of the Jews towards Muslims is ingrained and rooted in the psychological structure of Jewish leaders of all times; coining themselves through hatred, intrigue, and contrairty as the traditional classical enemies of Islam and Muslims. They remain as such up to present times. At Khaybar,the Jews motived and supplied Arab clans to challange the Muslims at Al-Madinah into battle ,thereby jeopardizing the the stability of Muslim presence at Al-Madinah. At that time, the Jews were contriving with the Arab clan of Khataffan to attack the Muslims after their return from Al-Hudaibiah to Al-Madinah.

The defence strategy of the Muslims necessitated that they must attack the Jews at Khaybar in a final round to save themselves from the continuous active belligerence of the Jews. After the Muslims returned from Al-Hudaibiah, the Prophet (prayers and peace form Allah

THE CONQUEST OF KHAYBAR

BY

Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, PhD

In the Name of Allah Most Gracious Most Compassionate

The fealty of Al-Rudwan and the truce of Al-Hudaibiah certainly anchored the stability of Muslim identity and established its recognition. Islam itself as a creed of faith was by that time maturing into a multidisciplinary religion to encompass all aspects of human life; and enable man, through its concepts and teachings to ascend to high ranks of refinement and cultivation. Legislative ordinances were prescribed by the revelation of the Holy Quran so as to formulate a totalitarian system of constitutional function. This fulfillment necessitated the establishment of territorial safeguards on the one hand; and on the other ,it required individual self exertion and strife whose resultant efforts always aimed at propagation of Islam and pan-Islamization.

The truce of Al-Hudaibiah served to suspend the long-lived hostilities between Muslims and Kuraysh. However ,to the Muslim community at Al-Madinah, there remained yet another enemy of people who harbored within themselves an obstinate repungent slithering antipathy to Islam. These people were the Jews who were at that time consorting in very great numbers at the grand settlement of Khaybar. They lived in three major large fortifications Al-Natah,Al-Kathibah

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة والسنة

وهذا الجيل ..!!

ليس يستطيع باحث معاصر أن يقوم بجهد فى السيرة النبوية أو السنة الشريفة دون أن يعتمد على بحوث السابقين .

ومهما حاولنا حصر جهد أولئك الأعلام السابقين فى الميدانين فانما نخوض سبيلا الى المحال ، فهم علام تجاوزوا الآلاف المؤلفة عددا ، وتفننوا فى الدرس والتحصيل والتفصيل ليبقى للسنة الصحيحة والسيرة الشريفة امتيازهما بالاشراق الأصيل على أرفع مستوى من المحق والصقل والجودة ، حتى لقد عنوا — فيما عنوا — بالخبر الموضوع فحصروه مادة وحصروه رجالا .

* الجزء الرابع * * ديسمبر / يناير ١٩٨٥ م ١٩٨٦ *
* ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ * السنة الثامنه والخمسون *

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
• صورة الغلاف



جانب من المسجد الوطنى بكوالالمبور

وهذا أبو الحسن على بن محمد بن عراق الكتانى « ٩٠٧ هـ ـ ٩٦٣ هـ » توج فرعا منها ببحثه الجليل « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة » فوضع فيه معجما ضم ـ بين دفتيه ـ ثمانين وسبعمائة وألف وضاع كذاب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدأه بالهمز وختمه بالياء •

وليس يستطيع مسلم مسئول أن يقف من السيرة والسنة على تُكْلان بهذا الماضى المجيد ، فان الحرب ضروس ، ولا حيلة لمسلم فى غير الذود عن دينه ، وأى حجة له أو عذر أمام الله ، وقد بَلَّغَهُ ـ سبحانه ـ أمرَ الكافرين والملحدين وأعداء الدين ، فقال تعالى :

« وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا » فالمسلم الحق هو الذائد عن دينه الحامل سلاحَهُ بكافة ضروبه الى يوم الدين ، لا يُلقى السلاح أبـــــدا •

لذا كان مؤتمر السيرة والسنة فى كل دوراته ، ليقدم مادتهما الشريفة بمستوى "مدارك العصر"، وليذود عن حوض هذا الدين كل ما يَجِدّ من فتن ، فهو صلة الماضى وسلاح الحاضر •

ومن أروقة المؤتمر العالمى الرابع للسيرة النبوية والسنة الشريفة نقدم للقراء باقة من بحوثه، آثرنا فى أكثرها أن نقدم عرضا موجزا للبحث ثم نختار منه أحد فصوله ليقرأها القارىء كما دونها صاحبها دون اختصار منها ، وقليل جدا هى البحوث التى قدمتاها باختصار لما يتحمله حجم المجلة ، وقد راعينا أن تكون الباقة شاملة تحيط القارىء علما بفضل هذا المؤتمر وما أدَّى من واجب •

وسيقوم الأزهر الشريف ـ كعادته فى كل مؤتمر ـ بطبع هذه البحوث للانتفاع بها على مستوى العالم الاسلامى كله •
نسال الله تمام التوفيق ••

الدكتور على أحمد الخطيب

أعمال المؤتمر العالمي الرابع

للسيرة والسنة النبوية

شيخ الأزهر في المؤتمر الصحفي

بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر

« افتتح الامام الأكبر أعمال المؤتمر الرابع العالمي للسيرة والسنة النبوية بمؤتمر صحفي عقده بادارة الأزهر ظهر الخميس ١٥ من صفر ١٤٠٦/٣١/١٠/١٩٨٥ ، وقد حضره لفيف من رجال الصحافة والاذاعة والتليفزيون .. قال فضيلته :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

تعلمون أن المؤتمر سيبدأ بعون الله تعالى عقب صلاة الجمعة غدا في الجامع الأزهر الشريف وسيحضر الصلاة السيد الرئيس محمد حسني مبارك والمسئولون أيضا وسيحضر أعضاء المؤتمر والمدعوون الى حضور المؤتمر والصلاة ، ثم يبدا المؤتمر فعلا بافتتاحه في صباح السبت من الساعة العاشرة صباحا ، سيتحدث في المؤتمر سماحة الشيخ عبد الله الأنصاري رئيس المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية الذي انعقد في قطر في سنة ١٩٧٩ بوصفه كان رئيسا أو مازال رئيسا للمؤتمر الثالث ، وبوصفه ممثلا للوفود الحاضرة لهذا المؤتمر ، ثم كلمة السيد الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر ، ثم كلمة السيد الاستاذ الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم وكيل الأزهر وأمين عام المؤتمر ، ثم كلمة شيخ الأزهر ، ثم كلمة السيد الرئيس محمد حسني مبارك وبهذا ينتهي حفل الافتتاح (١) ، ثم يعقد المؤتمر جلسة مسائية قد تمتد الى جلستين للبدء في مناقشة بعض البحوث المقدمة في جلسة عامة ولينظم المؤتمر عمل اللجان ويختار رؤساءها ومقرريها لتستمر اللجان في الانعقاد لعرض الموضوعات أو البحوث المقدمة وهي قرابة المائتي بحث ومازال بعض البحوث ترد للآن ، هذه البحوث صنفت لتوزع على أربع لجان تنعقد صباح كل يوم في مبنى جامعة الدول العربية في فترتين متلاحقتين في الصباح وبعضها في المساء أيضا ، سيكون للوفود المشتركة يوم الاثنين زيارة لبعض الآثار الاسلامية في القاهرة في الصباح ، وتكون الجلسات مسائية ، سيحضر

بعض الوفود المشتركة حفل تسليم شهادة الدكتوراه للسيد الرئيس ضـــياء الحق يوم الاثنين صباحا فى جامعة الأزهر •

البحوث تناولت عدة جوانب للسيرة والسنة الشريفة واجهت الرد عـــلى ما وجه الى السنة فى الأيام الأخيرة وربما فى السنوات الاخيرة من نقد فى بعض نصوص الحديث ، هذه البحوث واجهت الرد على كل ذلك وستكون أمام اللجان المتخصصة لفحصها فنيا واجازتها •

الوفود المشتركة تمثل جميع الدول الاسلامية وبمعنى أوسع تمثل جميع الشعوب الاسلامية والأقليات سواء فى أوربا أم فى أمريكا ، كل الأقليات التـى أمكن التوصل اليها دعى ممثلوها فى هذا المؤتمر ، تبلغ جملة المدعوين من خارج جمهورية مصر العربية حوالى ثلاثمائة مدعو •

المؤتمر يمثل ظاهرة طيبة بالنسبة للأمة الاسلامية ، فانه لم يتخلف أو يعتذر وفـد من الوفود وانما كل الوفود الممثلة للشعوب قد استجابت كذلك البحـوث فانها واردة من كافة الشعوب الاسلامية تقريبا أكثرها باللغة العربية وفيها ما ورد باللغة الانجليزية أو الفرنسية •

المؤتمر يعد ظاهرة طيبة لوحدة المسلمين ونرجو الله سبحانه أن يكـــون فاتحة خير لجمع كلمتهم حول قضاياهم سواء القضايا الثقافية وغيرها •

وهذه البحوث أرجو أن تكون منهجا للدارسين فى الدراســـات العليا فى

موضوعاتها التخصصية ، وأن تكون موجهة لهم لمعالجة المشاكل الفنية فى التأليف ، لأن السيرة فى ذاتها ، السيرة الشريفة والسنة الشريفة ليست موضوع مشـكلات وانما من المعلوم أن كتب السيرة فيها بعض الأخبار غير الصحيحة ، وكتب السنة فيها بعض الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة وان كان قد نبه عليهـا فى كثير مـن المؤلفات المتخصصة لكنها تحتاج الى ابراز ، والى ارشاد للقارىء العادى ، لأن القارىء المتخصص هو الذى يستطيع أن يدرك بمعـاييره الفنيـة الأخبـــار الصحيحة والأحاديث الموضوعة •

ستكون هناك متابعة بعد انتهاء المؤتمر لأعماله ولتوصـــياته وقراراته بمعرفة الأمانة العامة لهذا المؤتمر اذ تستمر مســـئولة عن أعماله حتى تسليم العمل للمؤتمر الخامس ان شاء الله •

المؤتمر العالمى الرابع

للسيرة والسنة الشريفة

شهدت القاهرة انعقاد المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة الشريفة فى الفترة من ١٨ – ٢٤ من صفر سنة ١٤٠٦ هـ الموافق ١ – ٧ من نوفمبر سنة ١٩٨٥ م تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية الذى تفضل بمشاركة الوفود فى أداء صلاة الجمعة بالجامع الأزهر الشريف ، ثم بتشريفه حفل افتتاح المؤتمر بقاعة الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر ، وتوجيه خطاب تضمن جوانب عديدة من سيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صاحب السيرة العطرة والسنة الشريفة •

فكان بحق حدثا عظيما ، وعملا جليلا مفيدا ، آخذ بلب كل مسلم ، وتعلق بـه فؤاد كل مؤمن فى مشارق الأرض ومغاربها ، مما جعل أنظار المسلمين – كل المسلمين – تتجه الى مصر ، مصر الاسلام – مصر الايمان ، مصر الأزهر •

وقد عقدت جلسات المؤتمر لمناقشة بحوثه فى قاعات جامعة الدول العربية باشراف ورياسة فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مما كان له الأثر الطيب فى تحقيق ماتصبو اليه قلوب المؤمنين ، وأفئدة المسلمين فى كل مكان من أرض الله •

ومنذ اعلان مصر استضافتها لهذا المؤتمر والبحوث ترد من جميع البلاد العربية والاسلامية ، حتى بلغت ثمانية ومائتى بحث منها مائة وخمسة وتسعون بحثا باللغة العربية والباقى بلغات مختلفة انجليزية – وفرنسية – وتركية •

وقد تناولت هذه البحوث جوانب شتى من سيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسنته الشريفة ، فقد كانت بحوث المؤتمر تدور كلها حول السنة والسيرة الشريفتين فأما مايختص بالسنة فقد تجاوز مائة بحث تناولت مكانة السنة

للأستاذ فتح الله ياسين جزر

ومنزلتها فى الاسلام ، وعلاقة القرآن الكريم بالسنة ، والاسلام والعلم «والكمبيوتر» وحفظ السنة ، واستخدام الحاسب الآلى فى بناء موسوعة للسنة وشمول الرسالة الاسلامية وكمالها ، ومستقبل الانسانية فى ظل الاسلام ، والأدلة العقلية على نبوة محمد ﷺ والتصوير الفنى للدعوة الاسلامية وبيان طبيعة ومعايير العلاقات الدبلوماسية فى الاسلام ، والاحتكاك بالثقافات المعاصرة كما شملت الحديث عن الحدود فى الاسلام وأدب الحرب ومواجهة التحديات كما تحدثت عن العهود والمواثيق ، ومدى أهمية الشورى فى الاسلام •

كذلك تناولت عداء المستشرقين للرسول صلى الله عليه وسلم — وفندت مزاعمهم ، ودحضت مفترياتهم ، وكشف تعصبهم •

كما أوضحت الكيفية التى قامت عليها فلسفة الاسلام ، وأثر الرسالة فى سعادة البشرية ، والحضارة الانسانية والمعاملات المعاصرة •

وقدمت دراسة واعية متأنية عن كثير من أئمة الحديث ورجاله وكتبهم ؛ كالامام البخارى والامام مسلم ، وأبى داود ومالك بن أنس وكتابه الموطأ ، وأحمد بن حنبل ومسنده •

وكشفت النقاب عن الجهود التى بذلت لحفظ السنة الشريفة وخدمتها فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وأثر الرحلات فى طلب الحديث ، وكشف ما وضع فيه •

وأوضحت أسرار الطب النبوى وأثره فى حياة الفرد والجماعة من حيث العلاج والوقاية ، ورسمت منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان الطريق لحفظ صحة الشعوب والأفراد على أحدث نظام توصلت اليه مدنيات هذا العصر وحضاراته •

وفيما يختص بالسيرة ، فقد بلغت بحوثه مائة بحث ، شملت جوانب مختلفة نجملها فيما يلى :

١ ــ تحدث جانب منها عن شمائل الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصفاته واخلاقه وسلوكه ومعاملاته وحياته وشخصيته ومعيشته ، وتواضعه •

٢ ــ وتحدث آخر عن علاقته بعشيرته وأهل بيته ، وحكمة تعدد أزواجه ، وتفنيد اباطيل المستشرقين ، والرد على كل شبهة أثاروها أو فرية روجوها •

٣ ــ كما تحدث عن عظمة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى تحمله للشدائد ، وتجشمه للصعاب ، فى سبيل ابلاغ دعوة ربه ، ونشر دينه ، والارتقاء بأمته ، والسمو بقومه وعشيرته ،فجمعها من شتات وتمزق ، ووحدها بعد تنازع وتفرق ، فكانت ــ بايمانها خير أمة أخرجت للناس •

٤ ــ وتناول بعض البحوث موضوع البشارات بالنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الكتب السابقة وموقف الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من التفرقة العنصرية التى يعانى منها كثير من البلاد المتحضرة فى عصرنا الحالى ، فقد أكد ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص لكل الناس ولجميع الأجناس تنفيذا لما أنزله الله فى كتابه الكريم **« أن اكرمكم عند الله اتقاكم »** ولما روى عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ « الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى والعمل الصالح •

٥ ــ وتحدث عن اهتمام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالأسرة وأثرها فى بناء الأمة ومالها من حقوق ،وما عليها من واجبات ، وبخاصة تربية الناشئة والعناية بهاء ، وكذلك توجيه الشباب الى ما ينفعهم وينفع أمتهم دينا ودنيا •

٦ ــ كذلك تحدثت عن بداية الوحى وكيفيته وأهدافه وظروفه وأنواعه وكتابه ، وتكريم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى اسرائه ومعراجه وابتهاج

الأمة بما فرض فيه من صلاة يعرج فيها المؤمن الى ربه خمس مرات كل يوم وليلة •

٧ ـ كما تحدثت عن الهجرة النبوية الشريفة ، وكيف كانت منطلقا الى النصر ؟ فضلا عما فيها من دروس وعبر ، كان لها الأثر الفعال فى انتشار الدعوة الاسلامية فى جميع البلاد والأمصار ٠

٨ ـ وختام المطاف حديث عن الكتب والسفراء الذين بعثهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الملوك والحكام ، يدعوهم فيها اياهم وشعوبهم الى عبادة الله الواحد الأحد ، والدخول فى دين الاسلام ٠

وبعد ٠٠

فهذه لمحة خاطفة عما تضمنته بحوث السنة الشريفة والسيرة العطرة ، سطرتها اقلام كبار العلماء ومفكرى الاسلام من كافة الأقطار الاسلامية ، الذين بينوا بوضوح وجلاء ثراء السنة وشمولها وكفايتها واستيعابها لجميع متطلبات الحياة ٠

ونسال الله التوفيق الى سواء السبيل ٠

رحمة الرسول والرسالة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق - شيخ الأزهر

يدور البحث حول عناصر ثلاثة : رحمة الرسول · رحمة الرسالة اثر الرحمة فى بناء المجتمع ·

وتحت العنصر الأول نرى القرآن الكريم يزكى ذلك فيمن أدبه ربه فاحسن تأديبه فى قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وقوله ـ عز من قائل ، فى وصف مصطفاه : (حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) ·

كما نلمح صدق رحمته من واقعات حياته فقد اعتذر عما بدر ممن تصدوا لدعوته وآذوه وقال راجيا لهم الخير : اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون بل انه دعا لبعضهم ولم يرض بابادتهم قائلا : أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله·

أما رحمته بالمؤمنين فحدث عنها ولاحرج وأحاديثه صلى الله عليه وسلم تؤيد ذلك : « لا تنزع الرحمة الا من شقى » ـ « من لايرحم لا يرحم » ـ « الراحمون يرحمهم الرحمن » ·

وفى ذروة هذه الرحمة رحمته صلى الله عليه وسلم بالصغار وبالحيوان فقد خفف من صلاته حتى ترجع أم مقتدية به الى ابنها الذى بكى ، وبشر بالجنة رجلا سقى كلبا فحفظ عليه حياته وأمر بالرفق حتى فى القتل والذبح ·

ومن خلال العنصر الثانى ـ رحمة الرسالة : نحس اليسر وعدم التكليف بما لا يطاق فما خير فى أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما · كما نجد أن قواعد المعادلات رحيمة لا غل فيها ولا استغلال وانما تعاون وتساند فى مواجهة متطلبات

الحياة وبعد عن الغش وتطفيف الكيل ونهى عن الاحتكار ، وقمة الرحمة نلمسها فى الاجتماع فى شأن المرأة وفى شأن اليتامى وفى الصلة بين الحاكم والمحكوم وفى الرحمة والبر بذوى القربى وفيما ينبغى أن يكون عليه المجتمع •

ويتناول البحث فى عنصره الثالث ــ أثر الرحمة فى بناء المجتمع •

مايترتب على الرحمة من تآلف ومودة وجمع للقلوب على المحبة والتعاون وما أعده الله للرحماء من جزاء • كل هذا فى سرد مشوق أخاذ وقد اخترنا من البحث فصلا عن الرحمة فى المعاملات الاقتصادية.

وبالله التوفيق ••

فى المعاملات الاقتصادية

جاءت قواعد المعاملات فى الاسلام رحيمة ميسرة ، لاغل فيها ، ولا استغلال تقوم على التعاون والتساند فى مواجهة متطلبات الحياة

فكانت الدعوة الى العمل والكسب الطيب مقرونة بالصلاة ، وكثيرا ماجاء الحث على العمل قرين الايمان ، ووصف العمل فى القرآن بالصالح ، لا يعنى التمحض للعبادة المفروضة فحسب ، بل يعنى كل عمل يصلح به العامل ومجتمعه •

من هذه الآيات قول الله سبحانه :

« وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى » (١) •

وقوله سبحانه : « وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى » (٢) وقوله تعالى :

« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً » (٣) •

وقوله تعالى :

« فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (٤) •

وفى النهى عن المعاملات المحرمة قال الله سبحانه :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (٥)

قال فى تفسير المنار : « فمن رحمة الله واحسانه الى خلقه أن حرم الربا ولعن آكله

(١) من الاية ٨٨ من سورة الكهف •
(٢) من الاية ٨٢ من سورة طه •
(٣) من الاية ٩٧ من سورة النحل •
(٤) الاية ١٠ من سورة الجمعة •
(٥) الاية ١٣٠ من سورة ال عمران •

ومؤكله وكاتبه ، وشاهديه ، وأعلن من لم يتركه بحربه وحرب رسوله ، ولم يجيء مثل هذا الوعيد في كبيرة غيره . ولهذا كان من أكبر الكبائر » .(١)

وعن ابن مسعود أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لعن آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه » رواه الخمسة وصححه الترمذي . غير أن لفظ النسائي : « آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه » اذاعلموا ذلك ملعونون على لسان محمد ـ صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة » (٢) .

وقوله تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا » (٣) .

وقول الله سبحانه :

« وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (٤) .

قال في تفسير المنار (٥) عن الآية الأولى في قوله : « إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا » أي انه كان بنهيه اياكم عن أكل أموالكم بالباطل ، وعن قتل أنفسكم رحيما بكم ، لأن في ذلك حفظ دمائكم وأموالكم التي هي قوام مصالحكم ومنافعكم ، فيجب أن تتراحموا فيما بينكم ، ويكون كل منكم عونا للآخرين على حفظ النفس ، ومدافعة رزايا الدهر .

ونجد النهي عن أكل الأموال بالباطل في الآيتين المتلوتين آنفا شاملا لما جد ويجد من صور الباطل وطرقه في انتهاب الأموال وأكلها والتحايل على ذلك ، حفاظا على الحقوق ورحمة بأصحاب الأموال ، بل وبالمعتدين عليها بالأكل بالباطل اذ أنهم بهذا يعرضون أنفسهم للعذاب الذي هو نقيض الرحمة التي أسبغها الله على المؤمنين في تشريعه الحكيم ، كما يعرضون المجتمع لفقدان الثقة في التعامل واضطراب أمور المال بين أفراده .

ولقد شرع الله الجزاء على اقتراف جرائم الأموال ، فكان حد السرقة المقرر في قول الله تعالى : « وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (٦)

وذلك العقاب محوط بالضمانات التي تمنع سوء التطبيق ، وحتى يكون ضمانا لحفظ الأموال وردعا لمن لا يحترم حقوق الغير وحرمة أمواله .

---

(١) جـ ٤ ص ١٢٦ .
(٢) نيل الاوطار للشوكاني جـ ٥ ص ٢٠١ .
(٣) الآية ٢٩ من سورة النساء .
(٤) الاية ١٨٨ من سورة البقرة .
(٥) جـ ٥ ص ٤٥ .
(٦) الاية ٣٨ من سورة المائدة .

وقول الله سبحانه :

« وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (١) ·

ويكاد المفسرون يتفقون على أن الغلول من الحاكم ــ فى معانيه المختلفة التى تشتمل كل صور أخذ ما ليس بحق من المال العام أو الخاص ــ كبيرة من الكبائر ، وذلك رحمة وبرا بالرعية ، وحرصا على اقرار الحق والعدل فى المجتمع (٢) ·

وفى باب التعامل التجارى كان الاسلام رحيما فنهى عن الغش رحمة بالمتعاملين ·

روى أبو هريرة أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا ، فقال : « ماهذا ياصاحب الطعام ·؟ قال : أصابته السماء يارسول الله · قال : « أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس · من غشنا فليس منا » (٣) ·

كما دعا الى العدل ونهى عن التطفيف فى الكيل والميزان فقال الله سبحانه :

« وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ · الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ · وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ · أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ · يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » (٤)

ذلك توجيه قرآنى حتم ملزم للناس كافة حتى يستقر التعامل فيما بينهم على نحو تسوده العدالة والرحمة ، فلا تظالم ولا بخس فى الاثمان والأشياء « وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » (٥)

---

(١) الاية ١٦١ من سورة ال عمران ·
(٢) تفسير الطبرى جـ ٧ ص ٣٤٨ ــ ٣٦٥ والقرطبى جـ ٤ ص ٢٥٤ ــ ٢٦٢ وابن كثير جـ ٢ ص ١٣٠ ــ ١٣٦ وتاريخ الطبرى جـ ٤ ص ٢١١ ·
(٣) رواه مسلم ــ رياض الصالحين ص ٥٧٦ ·
(٤) الايات من ١ ــ ٦ من سورة المطففين ·
(٥) الاية ٨٥ من سورة هود ·

من آية السيرة النبوية

في هذا البحث أراد فضيلة الدكتور أن يذكر بعضا من سيرة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم من بعده وماطرأ عليها من تطورات ومانالها من ظلم واضطهاد ، وكيف صمدت لكل هذه الكوارث وخرجت منها ظافرة منتصرة ، فهذه الأحداث التي واجهها المسلمون في مختلف جوانب الأرض وفي شتى الأزمنة كانت صورا مكررة مما أصاب المسلمين الأولين . وان اختلفت مظاهرها في لون الاضطهاد ونوع التعذيب وكثرة عدد المعذبين ، وقد مات الكثير في سبيل هذه العقيدة ولكن العقيدة نفسها لم تمت .

ثم تكلم عن أبعاد البحث في السيرة النبوية حيث قال :

لا تقاس سير العظماء بالأحداث التي مرت بهم في حياتهم ، أو بما كان منهم من تصرفات ازاء هذه الأحداث . وانما تقدر سير العظماء بما تركوا من آثار في تاريخ الانسانية وبما يكون لمبادئهم وأعمالهم من توجيه وتطوير في حياة الأجيال التي تأتي بعدهم وهناك عظماء أصحاب مبادىء فكرية وفلسفات ميزانها حياة الناس واحترام العدالة ، أو سبر أغوار النفس الانسانية وأسرار السلوك البشري وما الى ذلك .

وقد عمرت الدنيا منذ بدايتها برسل الله الذين هذبوا غرائز الناس وكفكفوا من وحشيتهم . ولم يبق من الديانات السماوية سوى الديانات السماوية الثلاث: الموسوية — والمسيحية — والاسلام ، ولكل من موسى وعيسى أنباء مقطوع بصحتها وله بجانبها كثير من الأباطيل ولست أعني ما يضاف لكل منها من أحداث أو صفات وخوارق ، فهذا مالا يخلو منه تاريخ أي عظيم ، ولكن أعني ما يتصل بالعقيدة وطبيعة الرسالة .

وقد سلمت السيرة المحمدية من هذا الخلط ، وهي الوحيدة التي سلمت ، ولقد عاش رسول الله — صلى الله عليه وسلم بشرا من الناس لايمتاز الا بوحي الله اليه ، ولم تعتمد رسالته على الخوارق التي تبهر الناس وتحيرهم ، وحين

للدكتور عبد الجليل عبده شلبي

طلبوها منه قال « سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا » « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ » .

ومات رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كما يموت الناس جميعا وبقيت رسالته كاملة ، وبقى القرآن ومعجزاته الكبرى سليما كما أوحى اليه ، وقد كافح فى سبيل دعوته ما عاش وبقيت رسالته تمتد ماشاء الله لها أن تمتد .

ونقدم للقارىء من البحث الفصول التالية :

من خصائص الدعوة الإسلامية

للدعوة الاسلامية خصائص تميزها من الديانتين السابقتين كما لها خصائص تميزها عن سائر الديانات الأخرى .

ومن أبرز خصائصها أنها تقوم على التوحيد المطلق ، فالله المعبود الخالق اله واحد ليس هناك آلهة متعددة-اله للنور وآخر للظلام ، أو اله للرياح وآخر للأمطار أو ما الى ذلك ، وليس سبحانه صاحبة ولا ولد ، «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ» — وبهذا اختلف مع المسيحية التى تجعل الله واحدا مكونا من ثلاثة ، وتجعل له ولدا يساعده ويقوم بجانبه .

وليس بين الله وبين مخلوقاته واسطة ، فحيث هو — سبحانه — مطلع على كل شىء يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ثم هو قادر على كل شىء ، — فعال لما يريد — فهو ليس بحاجة الى وسيط بينه وبين مخلوقاته ، ولا الى مساعد له ابنا أو غير ابن وهو اله الناس جميعا ليس اله أمة معينة ولا شعبا دون شعب .

والناس كلهم سواء ، عند الله — لا فرق بين أبيض وأسود ، فالله لا ينظر الى ألوان الناس جميعا ليس اله أمة معينة ولا شعب قلوبهم ، ولذا أكرمهم عند الله أتقاهم .

هذه مبادىء معروفة ، ولست أذكرها للتعريف بها وانما أذكرها لأبين بعد مالها من أثر فى سير الدعوة الاسلامية .

الإسلام واليهودية

يقف اليهود ــ منذ حلول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ المدينة الى اليوم موقف المعادى للاسلام . دخلت قلة منهم الاسلام ، وأدركت أن نبى الاسلام هو النبى المبشر به ، ووقف أكثر اليهود معاندين صادين عن الاسلام متقولين على نبيه ما استطاعوا أن يتقولوه ، وعملوا جهدهم على الايقاع بين الأنصار ، كما بادروا الى نقض عهدهم مع المسلمين من بعد ميثاقه . وكانت هناك طائفة ثالثة جنحت الى النفاق وقصصهم معروف ، ولا يكف اليهود ، وخصوصا المستشرقين منهم عن طعن الاسلام والنيل منه .

والذى يعنينا هنا هو أن نكشف جانبا من جوانب الفرق بين الديانتين ، وما تصوره النصوص المقدسة من تصور الاله . فالقرآن الكريم يذكر أن موسى نبى من أنبياء الله الذين قص الله على محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ كثيرا منهم ، وذكر قصة ميلاده وحياته فى مصر ، وأنه اذ رجع الى مصر لاستنقاذ بنى اسرائيل من فرعون وآله اذ كانوا يسومونهم سوء العذاب دعا فرعون الى عبادة الله رب العالمين ، وقال له انه ربكم ورب آبائكم الأولين . وقد ذكرت قصته فى القرآن اجمالا وتفصيلا أكثر من عشرين مرة ، وكانت هذه الدعوة موضحة فيها .

ففى سورة والنازعات .. « فَقُلْ هَل لَكَ إِلَى أَن تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى » وفى سورة الشعراء .. « قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ . قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ .

فموسى اذا دعا فرعون أن يتزكى ، ودعاه الى عبادة رب العالمين جميعا ، رب السموات والأرض وما بينهما . ولكننا نقرأ فى سفر الخروج هذه النصوص من حديث الله لموسى بعد خروجه من عند حميه يترون (شعيب) وبعد أن رأى النار فى حوريب وهو متجه الى مصر : ص ٧/٤ ــ ١٠ انى قد سمعت مذلة شعبى الذى فى مصر ، وسمعت صراخهم .. فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين ، وأصعدهم من تلك الأرض الى أرض .. تفيض لبنا وعسلا ، الى مكان الكنعانيين والحيثيين والآموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين .. فالآن هلم فأرسلك الى فرعون وتخرج شعبى بنى اسرائيل من مصر ص ١٨/٤ ــ .. تدخل أنت وشيوخ بنى اسرائيل الى ملك مصر وتقولون له : الرب اله العبرانيين التقانا فالآن نمضى سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب الهنا .. الخ » .

ويتكرر فى هذا السفر : يقول الرب اله العبرانيين .. أطلق شعبى ليعبدونى .

ففى هذه النصوص نرى أن الله اله العبرانيين ، وأن بنى اسرائيل هم شعبه ، وأن قربانهم اليه كان فى البرية بعد مسيرة ثلاثة أيام من مصر . ــ فليس اذن اله الناس جميعا وليس الناس كلهم لديه سواء ــ وفى السفر نفسه يعلم الله موسى أن يقول لفرعون ص ٤/٣ : « فتقول لفرعون هكذا يقول الرب : اسرائيل ابنى البكر » .

هذا سر تكون الاسرائيلين ، ونظرتهم الى أنفسهم نظرة تعال وكبرياء . واعتبارهم الآخرين أتباعا لهم . ثم احتكارهم ديانتهم لأنفسهم ، فهى ــ لذلك ــ ديانة شعب ممتاز يسمو على الشعوب الأخرى . ولو أن الديانة اليهودية كانت ديانة مبشرة ما أغرت الناس بالدخول فيها ، لأن الذى يقبلها ويقرها من غير الشعب الاسرائيلى يقر ويعترف على نفسه بالتبعية لهذا الشعب ، وليست تبعية سياسية أو ظرف طارىء ، ولكنها تبعية أبدية أقرها قانون السماء . وغنى عن القول أن هذا الاقرار لم يكن من شريعة موسى فى شىء ، وانما هى تعاليم وضعها رجال الدين لظروف وأسباب خاصة ، والوصايا العشر التى هى أهم آثار موسى ــ عليه السلام ــ لم تسلم من النقد الكثير(١)،ولعلها هى الأثر الوحيد الذى يكون قد بقى من آثار موسى ، ولكنها ذكرت مرتين فى سفر الخروج تختلف كل منهما عن الأخرى ، ثم ذكرت مرة ثالثة فى سفر التثنية وقد رتبها عالم اللاهوت الكبير ولها وزن well hausen ترتيبا آخر حسب أهميتها فى نظره .

فهاتان نقطتان جوهريتان من مسائل الخلاف بين الاسلام واليهودية ، فضلا عن تجسم الاله وتلبسه صفات البشر .

الإسلام والنصرانية

كان بين الاسلام والنصرانية عداء قديم أيضا ، ومباهلة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفد نجران معروفة مشهورة . ويتركز الخلاف بين الاسلام والمسيحية فى ثلاثة مسائل ، هى بنوة المسيح لله ، وكون الاله الخالق مكونا من أقانيم ثلاثة ، وصلب المسيح .

وينكر بعض المسيحيين قصة المباهلة كما ينكرون حديث هرقل ، ولا يؤثر هذا على الاسلام فى شىء ، الا أن المبشرين هنا وهناك يهمهم اخفاء هذين الحدثين .

والمشكلة الكبرى التى يتحدث عنها كتاب التاريخ والباحثون فى أصول المسيحية هى وضع الأناجيل وأعمال الرسول بولس.ص١٢ فالأناجيل فى جملتها عرض لحياة المسيح ــ عليه السلام والأحداث التى مرت به حتى نهاية حياته ، والمعجزات التى جاءت على

(١) انظر فى هذا ص ١٧ وما بعدها من كتاب « التوراة » للدكتور فؤاد حسين على .

يديه ، تم أخيرا محاكمته وصلبه ، ثم قيامه من قبره ومقابلة حوارييه .

لقد كانت الأناجيل فى القرن الثانى الميلادى تزيد على مائة وعشرين انجيلا (١) فانتخبت الكنيسة منها هذه الأربعة ، ورفضت الأناجيل الأخرى ، ثم كشف حديثا انجيل برنابا ، وهو يخالف الأناجيل الأربعة ، وفى ترجمته وتحقيقه رأى الدكتور خليل سعادة أن صاحب الانجيل ليس هو برنابا الحوارى — أو على الأقل تشكك فى نسبته بينما يطمئن الشيخ رشيد رضا الى صحة هذه النسبة . وهذا الخلاف ليس بذى أثر كبير فهو يعكس على أى حال فكرا مغايرا لما قامت عليه المسيحية من صلب المسيح . ومن أسس العقيدة الأخرى .

تعرضت الأناجيل الأربعة المختارة لنقد كثير لما بينها من اختلافات فى بعض معجزات المسيح ، وفى حادث صلبه وقيامه من قبره بعد صلبه ، وفى العشاء الربانى .. وهى مسائل جوهرية فى كيان المسيحية ، من هنا يبدو تزعزع الثقة فى الأناجيل أولا وأنها ليست الأساس المقدس الذى تعتمد عليه الكنيسة ، ولكنه هو النص الذى ارتضته الكنيسة ، ولعلها عدلت فى الأناجيل التى اختارتها .

والحديث عن الأناجيل ذو طول واستفاضة (٢) .

أما بالنسبة لأعمال الرسول بولس — فهو بحق أبو المسيحية ، وقد ادخل عليها تعديلات وأفكارا مرجعها ثقافته هو السابقة على دخوله المسيحية ، واستعارته من الفلسفة اليونانية والفكر اليهودى ما جعل مسيحيته الجديدة دينا جديدا يختلف عما جاء به المسيح . والحديث عن بولس وأعماله ورءاه ، مما ينكره كثير من مفكرى المسيحية (٣) .

يعوز المسيحية اذا سند سماوى تقوم عليه ، وكثير من تعاليمها لا يوثق به .

وقد وضع باحثون كثيرون كلا من موسى وعيسى — عليهما السلام — موضع الانكار وليس فقط موضع الشك .

هنا تبرز ميزة الاسلام . لا يستطيع أحد أن ينكر وجود محمد — صلى الله عليه وسلم — أو يشك فيه والقرآن الكريم كله من عند الله قرىء على أصحاب رسول الله — وحفظ فى الصدور ودون فى الصحف ، وهو بهذه الثقة يثبت وجود موسى وعيسى ، ويقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ، وقصصه حق لامرية فيه ، فهو بحق مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه ، ليس فى القرآن تضارب ، ولم يضع

---

(١) الانجيل كلمه يونانية معناها البشارة . وفى الحديث عن اضطرابها وتضاربها — انظر W. D. Darines Inruitaton To the Now Tesament — دراسة للاناجيل ص ٧٥ وما بعدها .

(٢) انظر الفصل الذى خصصه العقاد لدراسة الاناجيل فى عبقرية المسيح .

(٣) the outfine of modern Belief .

منه شيء ، ولم يعتمد الاسلام على المعجزات والخوارق ، تلك التى تبهر مشـــاهديها وتستهوى ألبابهم ، ثم لا يكون لها أى تأثير على الأجيال التى تأتى بعد ، بل تكون بمدرجة الشك والنكران ، والمعجزة التى يعتمد عليها الاسلام هى القرآن وهو معجزة خالدة لـــدين خالد •

واذ أعلن نبى الاسلام أنه بشر لا يميـــزه عن الناس الا الوحى لم يكن فى الاسلام رجل دين يملك التصرف فى ذنوب الناس ، وهـــذا موضع ذو أهمية فى الفرق بين الدينين ، ص ١٢ فقد فسد رجال الدين المسيحى ففسد الدين وانفض أتباع الكنيسة ، هذا لأن رجال الدين المسيحى تحل فيهم روح المسيح أو روح الله ، كمــا كان المسيح نفسه يجمع بين البشرية والالهية،ففساد الشخص الذى له هذه الصفة يستلزم فساد العقيدة فيه (١) ، ولكن اذا فســد رجل الدين الاسلامى ففســـاده عائد عليه • ويبقى مستند الاســـلام الــذى لا يفسد ولا يتغير •

وقد يضيف كتاب الســيرة النبوية خوارق وأحداثا نادرة الى تـــاريخ نبى الاســـلام ، فاذا افترضنا أنها كاذبة فان هـــذا لا يضر ، لأنها معجزات لا يتوقف عليها الدين فى شيء ، ان مستنده هو هذا الكتاب الحكيم ، ورأيت المستشرق الاسكوتلاندى « مونتو جومـــرى وات » يستهل كتابه « محمد » بمـــا جاء فى كتب السيرة عن لقائه بحيرا الراهب فى شيء من السخرية ، فلما فرغ من قصها قال هكـــذا يعتقد المسلمون ؟ ونحن لا يضـــيرنا أن تكون القصة باطلـــة أو موضـــوعة ، فهى لا علاقة لها بحقيقـــة الرســـالة ولا بأسس الاسلام ، ولكن يجب أن ننظر اليها من زاوية ليست قليلـــة الأهمية ، فهى تنم عمـــا كـــان بين اليهود ودعوة الاسلام ونبى الاسلام من عداء ، والأشعار والأحاديث الموضوعة لها ، رغم بطلان نصها — دلالات جانبية لا ينبغى أن تغفل ، لأن واضعيها أرادوا بها أن تعبر عن شيء واقع • وكتاب السير المحدثون يتحاشون ذكر المعجزات المادية لرسول الله — صـــلى الله عليه وسلم — وكتبهم مع خلوها من هذه المعجزات تبدى شخصيته •

أسباب دخول المسيحيين الإســـلام

يلاحظ أن دخول المسيحيين الاســـلام لم ينقطع فى أى عصر ولا فى أى بلد ، ونجد الآن فى العواصم الأوربية الكبرى وفي الأخـــرى الأمريكية أفرادا وجماعات يدخلون الاسلام ويتركون المسيحية التى ولـــدوا عليها • ولا يقف هذا عند دهماء النـــاس بل نجد مفكرين كبارا ومثقفين يقبلون على الاســـلام بعـــد دراسة وروية ، والذين أتيح لهم ان يدرسوا اللغة العربية أو أن يعيشوا زمنا بين المسلمين يدخلون الاسلام عن اقتناع ذاتى وأدلـــــة ودراسة • ص ١٩ ومع هذا مـــن النـــادر

(١) See Religicus Le aders. P 13

جدا أن نجد مسلما تنصر أو ترك دينه الا أن يكون ذلك عن اكراه أو اغراء للسذج قليلي الحظ من الثقافة والتفكير •

واذا دحض توماس آرنولد فكرة الاكراه وأنكرها قال انه لابد من تلمس بواعث أخرى ، ولكنه أبدى أسفهلقلة الأخبار التى يركن اليها فى هذا • ولم يجد مناصا من اللجوء الى الحدس والتخمين ، وقد استنتج هو أولا أنه كان من الحتم أن يكون ثم مفكرون دينيون هداهم تفكيرهم الى قبول الاسلام • لأن العصر كان حافلا بالتأمل الدينى ، وأنه خلال القرن الثامن الميلادى كان فى بلاد فارس مسيحيون يعتقدون أن المسيح لم يكن الا بشرا رسولا ورجلا عاديا كسائر الأنبياء • فكان موقفهم الدينى أشبه بالاسلام منه بالمسيحية • وكان من الصعب على النساطرة هناك أن يردوهم الى حظيرة المسيحية الكاثوليكية فكان ذلك مما جعلهم يؤثرون الاسلام •

وينقل آرنولد فى الوضع نفسه عن لاهوتيين كبار ، أن انقسام المسيحيين على أنفسهم وكثرة خلافاتهم حول مسائل مبهمه زعزع عقيدة أتباعهم • فالأرثوذوكس والنساطرة وأتباع أوطيخوس واليعاقبة ، كل يضطهد الآخر ويسفه رأيه ، ولعل بعضهم أن يكون قد فرح بوقوع خصمه تحت يد المسلمين ليستريح من جدله مما نفر الناس منهم جميعا فليس عجيبا أن يدخلوا فى دين الاسلام أفواجا بل كان العجب لو أنهم لم يتلمسوا لهم ملجأ روحيا ينجون به من هذه المهاترات التى لا تعرف اللين •

ونقل آرنولد أيضا عن كيتانى .Caetani ان السفسطة المذهبية التى جلبتها الفلسفة اليونانية أشعرت الناس باستياء من العقيدة المسيحية • لأن الثقافة الهيللينية عقدت المسيحية البسيطية وملأتها بشكوك وشبهات زعزعت أصولها فى عقول الناس ، ص ٢٠ وكأن عقيدة الاسلام السهلة مغرية لدرجة لم تستطع المسيحية مقاومتها • وهذا سر ارتماء الشرق فى أحضان الدين الجديد (١) •

وقد أفاض عالم الأديان تايلور Canm Tylor فى توضيح هذا الموقف • وهو يسمى الاسلام اليهودية المهذبة ، ذلك لأنه يدعو الى عبادة اله واحد كما تفعل اليهودية ولكن كتابه (القرآن) خال من

البقية ص ٥٦٠

(١) انظر فى ذلك كله ـ الدعوة الى الاسلام ص ٨٨ ـ ٩١ •

صلى الله عليه وسلم

حياة الرسول

قبل البعثة

للدكتور عبد الرءوف محمد عثمان

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ٠

ويعد :

فان البعثة المحمدية هى اعظم حدث فى تاريخ البشرية : لأن الله ـ سبحانه ـ ختم بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنبياءه ، وبرسالته أديانه ، وأعلن فى كتابه قوله ـ تعالى : « إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ » ٠

ولقد لزم من ذلك أن يتضمن هذا الدين مايكفل سعادة الانسان فى دنياه وفى اخراه ، وأن تكون شريعته صالحة لكل زمان ومكان ، وأن يكون ناسخا لما قبله من الأديان يستبقى منها ما يصلح ، ويلغى ماسواه ٠

لهذا اهتم الباحثون بسيرة صاحب هذه الرسالة ـ صلى الله عليه وسلم ـ اهتماما بالغا قبل البعثة وبعدها ٠

أما اهتمامهم قبل البعثة فلأن أعداء الاسلام من المستشرقين وغيرهم حاول النيلمن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتقليل من شانه بالادعاء أنه لم يكن أهلا لحمل ـ الرسالة ٠

وقد كان هذا الادعاء نتيجة لسوء طويتهم ثم سوء فهمهم لجوانب شخصيته المتميزة ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وسوء نيتهم بالتشكيك فى نواحى عظمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٠

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

وقد حاول الباحث فى بحثه : « حياة الرسول قبل البعثة » بالاعتماد على الوقائع الدامغة ، والحقائق الثابتة أن يصل الى هدفه المنشود ومن أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — كان أحق أهل الأرض جميعا باسناد الرسالة اليه ، وانه استمر فى حملها بكل الصدق والصبر والاخلاص ، الى أن لقى ربه — صلوات الله وسلامه عليه — راضيا مرضيا .

قسم الباحث بحثه الى ثلاثة فصول :

أولا : حياة العرب قبل البعثة .

ثانيا : مكة وابراهيم واسماعيل .

ثالثا : مولد النور « محمد قبل البعثة » .

أما عن حياة العرب قبل البعثة فقد اشار الباحث الى أن موقع شبه الجزيرة العربية الجغرافى جعلها فى مأمن من الغزو الدينى : مسيحية الروم ، ومجوسية الفرس ، وترامى أطرافها وماتعيشه من جدب لعدم وجود انهار بها جعل الحياة فيها غير مستقرة ، ثم تحدث عن تاريخ اليمن وحضارتها ، وما كان يعيش أهلها فيه من أمن واطمئنان ورغد فى العيش مستشهدا بما جاء عن ذلك فى القرآن الكريم فى سورة « سبأ » وختم فصله الأول عن موقف الرجل العربى من الديانات المختلفة واصراره على وثنيته والاعتزاز بقبليته موضحا ان مكة كانت كعبتها مثابة للناس وأمنا ، فاليها تشد الرحال ، وتشخص القلوب والأبصار ، كما أن موقعها المتميز فى طريق التجارة بين الشمال والجنوب جعلها عاصمة لشبه الجزيرة العربية قبل الاسلام .

وفى الفصل الثانى تحدث الباحث باستفاضة عن مكة وابراهيم واسماعيل وقصة مجىء سيدنا اسماعيل الى هذا المكان القفر الموحش ، وكيف وليت خزاعة أمر مكة وظلت تتوارث هذا الشرف حتى آل الأمر الى قصى بن كلاب .. الجد الخامس لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — . وعن أبناء عبد مناف ، وتفكير عبد المطلب فى البحث عن بئر زمزم ، وعن النزاع الذى شب بينه وبين قريش ونذره ذبح أحد أبنائه قربانا للآلهة ان رزق بعشر من البنين موضحا قصة الفداء ، وكيف نجى الله والد الرسول — صلى الله عليه وسلم — من الذبح .

وتحدث عن عام الفيل . ودفاع الله عن بيته ودحر غزاته وهزيمتهم شر هزيمة ، وبلوغ عبد المطلب سن السبعين من عمره وتفكيره فى زواج ابنه عبد الله ،

وقد كان فتى بهى الطلعة تتمنى الزواج منه كل فتيات قريش فقد أصبح اسمه على كل لسان بعد ان افتداه والده بمائة من الابل ، وقد اختار عبد المطلب لولده (آمنة بنت وهب) أشرف النساء نسبا وأعلاهن حسبا لتكون أما لخير الخلق أجمعين ، وقد تزوج عبد الله بآمنة ولم تمض شهور على هذا الزواج حتى مات عبد الله وهو عائد من الشام عند يثرب أثناء زيارته لأخواله هناك واتماما للفائدة نقدم للقارىء من البحث فصل : محمد قبل البعثة ..

محمد قبل البعثة

يتم بعد وفاة (عبد الله) ولادة ابنه (محمد) الذى فرح به جده عبد المطلب فرحا غامرا وحمله بين يديه ودخل به الى الكعبة وأطلق عليه اسمه بها تبركا وتيمنا .

وفى اليوم السابع لمولد المصطفى ﷺ أمر عبد المطلب بجذور فنحرت ، ودعا رجالا من قريش فطعموا وسألوه عن سبب تسميته لحفيده بمحمد تاركا أسماء آبائه وأجداده ، فرد الجد العجوز قائلا : أردت أن يكون محمودا فى الأرض والسماء انتظرت آمنة مجىء المراضع من بنى سعد لتدفع بوليدها لاحداهن كعادة أشراف مكة حينئذ فى ارسالهم الى البادية ليكونوا أصلب عودا وأنضر شبابا وأقوى صحة فلا يعودون الا فى الثامنة أو العاشرة من عمرهم .

وفى انتظار المراضع دفعت آمنة بالطفل الى (ثويبة) جارية عمه (أبى لهب) .

ومع أن (ثويبة) لم ترضعه الا أياما فقد ظل يحفظ خير الود ويصلى من أجلها حتى ماتت فى السنة السابعة من الهجرة .

حليمة

جاءت المراضع وأعرضن عن اليتيم ، وقصدن الأبناء الذين لهم آباء موسرون وكانت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية فيمن أعرض ولكنها فى النهاية لم تصب طفلا غنيا كزميلاتها من المرضعات ، فلما أجمع القوم على الرحيل من مكة ، قالت لزوجها : والله انى لأكره أن أعود بغير طفل ، والله لأذهبن الى ذلك اليتيم ولآخذنه ، فأجابها زوجها : لا عليك فا فعلى .

محمد فى البادية

وأقام محمد بالصحراء عامين ترضعه (حليمة) وتحضنه ابنتها (الشيماء) ، ويجد محمد فى هواء الصحراء وخشونة البادية ما يسرع به فى النمو ويزيد فى وسامة خلقه وحسن تكوينه ، فلما أتم العامين وآن فصاله ذهبت به حليمة الى أمه ، ثم عادت به مرة ثانية الى البادية تحقيقا لرغبتها .

وفى هذه الفترة وقبل أن يبلغ الثالثة وبينما كان يلعب بعيدا عن الدار مع أخيه الطفل والقوم غافلون عنهما اذ عاد أخوه السعدى يعدو مسرعا ويقول لأبيه وأمه هلك والله أخى القرشى فقد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه .. ويروى عن

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

حليمة أنها قالت عن نفسها وزوجها : فخرجت أنا وأبوه نجرى فوجدناه قائما ممتقع الوجـه فأخذته الى صدرى وقلنا له : مالك يـابنى ،

فقال : جـاءنى رجـلان عليهما ثيـاب بيض فأضجعانى ثم شقا بطنى ، فالتمسا فيه شيئا لم أدر ما هو ، ورجع الجميع بعـد ذلك الى الخباء .

وهذه القصـة قـد أسرف المستشرقون فى التلاعب بمدى صدقها وشوهوا صورتهـا واتخذوها مجالا للسخرية من رسول المسلمين وليس هناك مجال البحث فيما ذهبوا اليه من افتراءات وأكاذيب .

وأقام محمد فى بنى سعد حتى الخامسـة من عمره ينهل من جو الصحراء الطلق الفسيح روح الحرية والاستقلال بالنفس ، ويتعلم من هذه القبيلة لغة العرب فى أعظم صفائهـا ونقاوتها حتى لقد كان يقول من بعد لأصحابه (أنا أعربكم ، أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد بن بكر) .

عودة محمد الى أمه

عاد محمد بعد هذه السنوات الخمس الى أمه ، ويقال ان حليمة التمسته وهى مقبلة به على أهلـه فلم تجـده ، فأتت عبـد المطلب فأخبرته أنه تاه منها بأعلى مكة ، فبعث بمـن يبحث عنه حتى رده عليه ورقة ابن نوفل .

كفالة جده له وحبه إياه

كفل عبد المطلب حفيده (محمدا) وأغـدق عليه من حبه وأسبغ عليه كامل عنايته ، فكان لا يرضى له الا القرب منه مما لا يتاح لأولاد عبد المطلب نفسـه وكان يصـحبه تيمنـا للاستسقاء عندما ينقطع المطر ويعم الجدب .

وزاد من اعزاز الجـد لحفيـده أن آمنـة خرجت بابنها الى المدينة لترى الغلام فيهـا أخواله من بنى النجار وأخذت معها فى هـذه الرحلة جاريتها « أم أمين » فلما كانوا بيثرب قامت آمنة بشرح كامل للغلام عن المكان الذى مات فيه أبوه ثم المكان الذى دفن فيه فكـان هـذا أول معنى لليتم انطبع فى نفس الصبى ولعل أمه قد حدثته طويـلا عـن هذا الأب المحبوب والزوج الكريم الذى فارقها بعـد مقامه معها بزمن يسير ليموت بين أخوالـه فى يثرب .

موت آمنة

ولقد كان النبى الكريم يقص على أصحابه حديثا كله حب ووفاء ليثرب التى تحوى قبور كثير من أحب الناس اليه .

مكثت آمنة وولدهـا بيثرب شـهرا ثم اعتزمت بعده الرحيل الى مكة ، فلما كانت فى الطريق الى مكة عند مكان يـدعى بالأبـواء مرضت مرضا شـديدا لم تلبث بعـده حتى لحقت بالرفيق الأعلى ودفنت هناك .

وعادت جاريتها (أم أيمن) بالطفـل الى مكة منتحبا وحيدا يشعر باليتم ويحزن لفقد

والدته .. لقد كان منذ أيام يسمع من آمنة أنات الألم لفقد أبيه وهو مايـزال جنينا فى بطنها ، وها هو ذا يرى بعينيه كيف ماتت أمه فى لحظات .. فكيف يحتمل كل هذا العناء ؟؟

ومع أن جده عبد المطلب قد ضاعف من حبه له ورعايته اياه الا أن ذكرى اليتم الأليمة كانت تأخذ عليه جوانب نفسه فهو لا يستطيع أن ينسى .

ثم جاءت الطامة الكبرى ومحمد فى الثامنة بموت جده فى الثمانين .. فحزن عليه مثل ما حزن على أمه حتى كان دائم البكاء كلما ذكر هذين العزيزين الكريمين .

محمد فى كفالة عمه

وانتقل محمد بعد موت جده الى كفالة عمه أبى طالب الذى أحبه كل الحب ، وأسبغ عليه من واسع رحمته وعنايته وقدمه على أولاده، وكان يجد فيه من النجابة والذكاء والخير وطيب النفس ما يزيده به تعلقا .

لقد اصطحبه أبو طالب معه فى تجارته الى الشام وهو فى الثانية عشرة من عمره ، وفى الطريق اليها التقى بالراهب « بحيرى » الذى رأى فيه علامات النبوة فنصح أبا طالب بأن يحافظ عليه ويبعده عن اليهود حتى لا يقتلوه اذا رأوا فيه تلك العلامات قائلا له « ارجع بابن أخيك ، واحذر عليه من اليهود ، فانهم ان عرفوه قتلوه » .

حرب الفجار

وحدث أن وقعت حرب الفجار اثر قتل البراض بن قيس الكنانى لعروة الرحال بن عتبة الهوازنى بعد أن استأثر بقافلة النعمان ابن المنذر من الحيرة الى عكاظ .

وقد ظلت هذه الحرب أربع سنوات تلتهب ثم تنطفىء حتى انتهت بالصلح بين القبيلتين هوازن وقريش على أن يعد كل طرف قتلاه فمازاد منهما يأخذ من الطرف الآخر دية القتلى الزائدين .

وقد سميت حرب الفجار بهذا الاسم ، لأنها كانت فى الأشهر الحرم وقد اشترك فيها رسول الله قبل البعثة وكان يجمع السهام التى تقع من هوازن ويدفعها الى أعمامه وبنى قومه ليردوها الى نحور خصومهم من هوازن .

محمد يرعى الغنم

كان أبو طالب الذى كفل محمدا بعد موت عبد المطلب ــ فقيرا كثير العيال وكان يعانى من ضيق ذات اليد مع أنه كان مطالبا بالكثير بسبب واجباته التى تفرضها عليه رفادة وسقاية الحجيج .

لهذا لجأ محمد لرعى الغنم يلازمها طوال اليوم فوديان مكة ثم يعود بها آخر النهار وقد نال منه التعب فما كان يجد وقتا لحياة اللهو والعبث مع أقرانه من أهل مكة الى جانب أنه كان عزوفا بطبعه عن ممارسة هذه الحياة فقد علمه رعى الغنم وجلسته الطويلة معها وحيدا من الناس أن يتأمل وأن يفكر وأن يقارن وأن ينظر حوله وفوقه مندهشا لعظمة هذا الكون البديع .

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

لقد كان محمد منذ نعومة أظفاره بعيدا عن حياة الترف والمجون تواقا الى الكمال والبعد عن كل ما يشين النفس أو يذهب العقل ٠

ولهذا كان جديرا ــ لسلوكه الطيب ورجولته وصدقه وحسن سيرته وأمانته ــ بلقب (الأمين) الذى دعاه به أهل مكة جميعا وأجمعوا على تسميته به ٠

نشأة نبى

وحياة التفكير والتأمل وما يستريح إليه من عمل بسيط كرعى الغنم ليست بالحياة التى تدر على صاحبها مالا ، أو تفتح أمامه بسطة فى الرزق ، أوسعة فى العيش ٠٠ وما كان محمد يهتم لذلك أو يعنى به ، وقد ظل طول حياته أشد الناس زهدا فى الحياة ٠٠ أليس هو القائل « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع » ؟ أليس هو الذى عرف عنه فى كل حياته حرصه على شظف العيش ودعوة الناس الى الاستمتاع بخشونة الحياة « اخشوشنوا فان النعمة لا تدوم » ؟ ٠

ولقد كانت لذته الأثيرة فى الاستمتاع بما فى الكون من جمال ومن دعوة للتأمل ، هذه اللذة التى لا يحسها الا القليلون وقد زكى ذلك الزهد فى أعماقه منذ نعومة أظفاره : موت والديه ثم موت جده ٠

شىء واحد حوله للتجارة وصرفه عن رعى الغنم الذى كان يحبه ويؤثره على كل ما عداه هو سعى أبى طالب لا شراك محمد فى التجارة حتى لا يكون عبئا عليه وحتى يصبح ميسور الحال عن طريق التجارة لا عن طريق رعى الغنم ٠

لقد سعى أبو طالب الى خديجة يرجوها لتستأجر محمدا فى تجارتها على أن تعطيه أربعة أبكار ، وكانت تعطى من تستأجره بكرين ، فقالت له خديجة : لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا ، فكيف وقد سألته لحبيب قريب ؟

وعاد أبو طالب لمحمد قائلا له : هذا رزق ساقه الله اليك ٠

محمد فى تجارة خديجة

خرج محمد فى تجارة خديجة مصطحبا معه غلامها (ميسرة) ، وقد كانت هذه الرحلة خيرا وبركة على خديجة وعلى محمد فقد أجاد فيها البيع والشراء ، وعاد بالربح الوفير ، ورأى من شئون البلدان التى مر بها ، والأديان التى سمع عنها وقابل رجالها ما جعله يتركها جميعا الى الفطرة السليمة الحنيفة ويعبد الله وحده ٠

وعاد محمد الى مكة واستقبلته خديجة أعظم استقبال بعد أن روى لها خادمها « ميسرة » ما رآه من عظمة محمد ورقة طبعه واكتمال شمائله وحسن معاملته وجمال نفسه ، فيما جعلها تزداد تعلقا به وحبا له وهى فى سن الأربعين وقد ردت قبله عظماء مكة وأشرافها ، وتمنت لو تصبح زوجة لهذا الانسان الكريم ٠

زواج محمد من خديجة

ولقد تزوجها محمد بعد أن أصدقها عشرين بكرة ، وانتقل الى بيتها ليبدأ معها صفحة جديدة من الزوجية السعيدة فهو شاب لم يعرف نزوات الشباب من قبل .. لقد تزوج الآن وهو فى الخامسة والعشرين فليبادل محبوبته الحب الخالص وليرزقها الله البنين والبنات .

وكان محمد وسيم الطلعة ، ربعة فى الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير ، ضخم الرأس ، شعر غزيز ، شديد السواد مبسوط الجبين ، واسع العينين أدعجهما ، تشوب بياضهما فى الجوانب حمرة خفيفة ، وتزيد من قوة جاذبيتهما ونظرتهما أهداب طويلة ، مستوى الأنف دقيقة ، مفلج الأسنان كث اللحية ، طويل العنق ، عريض المنكبين ، أزهر اللون ، يسير ملقيا جسمه للأمام ، مسرع الخطو ثابته ، على ملامحه سيماء التفكير والتأمل ، فى نظرته سلطان الآمر الذى يخضع الناس لأمره .

وقد استمر محمد — بعد زواجه من خديجة فى علاقته بالناس وكلهم يغبطه على فوزه بخديجة ، ولكن هذه الزيجة زادته جاها بينهم ولكنه ظل على تواضعه الذى هو سمة بارزة فيه لا تتبدل ولا تتغير ، فلقد كان على عظيم ذكائه حسن الاصغاء الى محدثه لايلوى عن أحد وجهه بل يلتفت اليه بكل جسمه وجوارحه وكان قليل الكلام ، كثير الانصات والتأمل ، وان كان لا يأبى أن يشارك فى مفاكهة لطيفة أو مزاح مقبول فكان محمد يمزح ولا يقول الا صدقا .

وأصيبت مكة بسيل جارف تصدعت بسببه أركان البيت الحرام والكعبة .

إعادة بناء الكعبة

وكانت قريش من قبل السيل تنظر فى تسقيف الكعبة ورفع بابها حتى لا يدخلها الا من تريده وحتى لا تكون نهبا للسارقين لما تحتويه من نفائس .

ولكن قريشا كانت تخشى أن هى شيدت بنيانها وسقفها أن يصيبها من رب الكعبة المقدسة شر وأذى ، وتصادف أن رمى البحر اذ ذاك بسفينة قادمة من مصر مملوكة لتاجر رومى اسمه « باقوم » فحطمها ، وكان باقوم هذا على شىء من العلم بالتجارة ، فلما سمعت قريش بأمره خرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش الى ميناء جدة فابتاعوا السفينة من الرومى ، وكلموه أن يقدم معهم الى مكة ليعاونهم فى بناء الكعبة ، وقبل « باقوم » ، وكان بمكة قبطى يعرف نجر الخشب وتسويته ، فوافقهم على أن يعمل معهم ويعاونه « باقوم » .

وشرعوا فى بناء البيت ، ولكن القوم خشوا ان هم هدموا ما تبقى من بعد السيل أن يصيبهم أذى ، ولذا فقد بدأ الوليد بن المغيرة بالهدم ، فلما رأوه قد أصبح سليما لم يمسه ضرر ، قاموا بالهدم معه ، ثم شرعوا بعد ذلك فى البناء على القواعد بعد أن جلبوا الحجارة من الجبال المجاورة ، وتم الأمر على ما يرام وظل الأمر ميسورا حتى جاء زمن وضع الحجر الأسود فى موضعه .

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

وهنا تناحرت القبائل كل منها تريد أن تنال هذا الشرف وتحالف بنو عبد الدار وبنو عدى على أن يحولوا بين أية قبيلة وهذا المجد العظيم وأقسموا على ذلك جهد أيمانهم حتى قرب بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما وأدخلوا أيديهم فيها توكيدا لأيمانهم ولذلك سموا : « لعقة الدم » .

محمد الأمين والحجر الأسود

فلما رأى أبو أمية بن المغيرة المخزومى ما صار اليه أمر القوم وكان أسنهم ، وكان فيهم الشريف المطاع الذى لا يعصى له أمر قال لهم : اجعلوا الحكم فيما بينكم لأول من يدخل من باب الصفا .

فلما رأوا محمدا أول من دخل قالوا : هذا الأمين رضينا بحكمه ، وقصوا عليه قصتهم ، واستمع الأمين لهم وقد رأى الشرر يتطاير من أعينهم، ففكر قليلا ثم قال لهم :هلم الى بثوب فأتوه به ، فنشره ، وأخذ الحجر فوضعه بيده فى وسطه ، ثم قال : ليأخذه كبير كل قبيلة بطرف من أطراف الثوب ، ثم حملوه جميعا الى ما يحاذى المكان الذى سيوضع فيه ، ثم تناوله محمد من الثوب ووضعه فى موضعه .

وبذلك انحسم الخلاف ، وانفض الشر ، وأتمت قريش بناء الكعبة .

رزق الله محمدا من زوجه خديجة البنين والبنات ، وكانت خديجة الزوجة الصالحة الولود الودود التى وهبت نفسها فأنجبت له من الأبناء : القاسم وعبد الله ، ومن البنات زينب وأم كلثوم وفاطمة ورقية.

فقد محمد أبناءه الذكور واحدا بعد الآخر مات القاسم وعبد الله .. ثم مات ابراهيم ولده من مارية القبطية فحزن عليهم أشد الحزن .

وقد عنى محمد بتزويج بناته : فزوج كبراهن « زينب » من أبى العاص بن الربيع ابن عبد شمس .

وزوج رقية وأم كلثوم من عتبة وعتيبة ابنى عمه أبى لهب ، وانفصلتا عن زوجيهما بعد الاسلام حيث تزوجا من عثمان بن عفان واحدة بعد الأخرى .

محمد فى الغار

كان من عادة العرب اذ ذاك أن ينقطع مفكروهم للعبادة زمنا من كل عام ، يقضونه بعيدا عن الناس فى خلوة ، يتقربون الى آلهتهم ، ويتوجهون اليها بقلوبهم يلتمسون منها الخير والبركة ، وكان هذا الانقطاع يسمى : التحنف أو التحنث .

وقد وجد فيه محمد معينا على التفكر والتأمل وطمأنينة وشفاء لنفسه الشغوفة باستلهام ما فى الكون ومن يكون خالقه ؟ ، وكان بأعلى جبل حراء غار على بعد فرسخين من مكة ، فكان يذهب اليه طوال شهر رمضان من كل عام ، يقيم به مكتفيا بالقليل من الزاد، ممعنا فى التأمل ، بعيدا عن ضجيج الناس وصخب الحياة ، ملتمسا الحق والحقيقة .

هدى الرسول صلى الله عليه وسلم

فى تكوين الأسرة

للدكتور توفيق محمد شاهين

استهل فضيلة الدكتور بحثه ببيان أن الأسرة عماد المجتمع وأن الفرد عماد الأسرة ، وأن الاسلام لم يدخر وسعا فى تدعيم كيان الأسرة وذكر ماورد فى كتاب الله حيث قال الله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام أن الله كان عليكم رقيبا » ثم ذكر فضيلة الدكتور فى بحثه أيضا أن الزواج أساس الأسرة فى الاسلام ، بما يتفرع عنه من بنين وحفدة ومايكثر من صداقات وصلات ، ومايربط من أسر وعائلات ومن هنا كانت عناية الاسلام به عظيمة تقديرا للفطرة البشرية ٠

لذلك ندرك مغزى الدفع القوى فى توجيه الرسول — صلى الله عليه وسلم — حين يحث على الزواج ومقاصده حيث يقول : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة — « أى القدرة على تحمل أعباء الزواج وتكاليفه » — فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ٠

كذلك ذكر فضيلة الدكتور اطلالة على ما كان من الزواج قبل الاسلام ٠ كما جاء فى البخارى عن السيدة عائشة رضى الله عنها ٠

* فقد كانت المرأة تنكح للاستبضاع ، بأن يرسل الرجل امرأته بعد طهرها الى شخص نجيب — فى نظره ليواقعها رجاء نجابة الولد ٠

٥

* وكان هناك نكاح البغايا ، أصحاب الرايات ، يستقبلان كل باغ وراغب من طلاب الفجور ٠

* وكان هناك نكاح الرهط من الرجال مجتمعين لامرأة واحدة ، ولهـــا أن تنسب ولدها لأيهم ٠

* وكان هناك نكاح البدل : بأن ينزل كل زوج عن زوجته للآخر ٠

* وكان هناك نكاح الشغار : بأن يتزوج كل من الرجلين ابنة الآخر بــلا صداق على سبيل البدل ٠

* وألفوا نكاح المقت : بأن يتزوج أكبر الأبناء زوجة أبيه بعد وفاته ٠

ولكن الاسلام ثبت للزواج القاعدة الصالحة ، بعدما أخلى أرضـــيتها من الشوائب والأوضار، وأرشد الى درجات السمو فى المقاصد ليتسامى اليها الانسان٠

ويروى عن أبى هريرة أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول :

« تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ٠٠ فاظفر بــذات الدين تربت يداك » ٠

كما تكلم فضيلة الدكتور عن تعدد الزوجات فقال :

أن تعدد الزوجات كان معروفا قبل الاسلام ، وحدثنا التاريخ عنه مع بعض أنبياء الله تعالى : كابراهيم ، ويعقوب ، وداود عليهم السلام ٠ وعرفته المسيحية

فى القرون الوسطى ، ثم حثت الكنيسة على الابقاء على زوجة واحدة ،

وجاء الاسلام فأقر من صور الزواج أزكاها عند الله والناس وأباح أكثـــر من زوجة ٠٠ عندما يكون هناك داع ــ لا على سبيل الالتزام ــ بشرط العدل ٠٠ ونختار من هذا البحث القيم الفصول التالية :

الزواج أساس الأسرة في الإسلام

تتكون الأسرة وتنمو فى الاسلام من الزواج ، بما يتفرع عنه من بنين وحفدة ، وما يكثر من صداقات وصلات ، وما يربط من أسر وعائلات ، ومن هنا كانت عناية الاسلام به واحترامه عظيما ، تقديرا للفطرة البشرية ،

وتنظيما لطبيعة الانسان فى شقيها المادى والروحى ، وتحقيقا لوسطية الاسلام ، حتى لا تكون هناك ازدواجية متنافرة بين الروح والمادة أو عدم اتزان وانسجام فيما بينهما ، أو طغيان لجانب على حساب الآخر فيختل ميزان التعادل ويتعطل معه سير الحياة ، أو تسير بشق لا لايمكنها معه مواصلة السير بيسر فى مشوارها الشاق والطويل • فكان لابد من الزواج فى رفقة سعيدة تذلل الصعب وتعين على لأواء الطريق •

ولذلك ندرك مغزى الدفع القوى فى توجيه الرسول — صلى الله عليه وسلم — حين يحث على الزواج ومقاصده ، حيث يقول : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة — أى القدرة على تحمل أعباء الزواج وتكاليفه — فليتزوج ،

فانه أغض للبصر وأحصن للفرج • ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء « أى حافظ وواق » متفق عليه • اذ فى الزواج السكن النفسى والروحى قبل السكن الجسدى

واحباط كل ما يسرع بثورة الغريزة نحو التدنى والافساد • وفى حديث آخر يجعل الزواج نصف الدين ، ليرفع من منزلته حيث يقول : « اذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين ، فليتق الله فى النصف الثانى » • رواه البيهقى • والزنا فى الاسلام حرمه الله تحريما قاطعا ، انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا •

ومن ثم فالزواج انسانى المقصد فى معناه قبل أن يكون التقاء جسد بجسد ، وعلى قدر مراعاة هذا المعنى يكون حظ الزوجين من الأنس والسكن والهناء •

والزواج بهذا مرغوب شرعى ، قبل أن يكون مطلوبا جسديا •• وهنا ندرك تهديد الرسول — صلى الله عليه وسلم — لمن يعرض — قادرا عن الزواج ، حين يقول : « من كان موسرا لأن ينكح ، ثم لم ينكح فليس منى » • رواه الطبرانى والبيهقى • اذ بالزواج تنتظم الفطرة الخاصة ، وبه يسمو الانسان عن مراتع الحيوانية فى تلبية تلك الفطرة ، وحتى يكون امتداده بعد انتهاء أجله فى نسله وعقبه ،

واستمرار بقائه وذكره وخلود حياته •• وكان لذلك دعاء الأنبياء والصالحين : « **رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ** » • وكان العمل الصالح امتدادا للانسان بعد رحيله ممثلا فى دعاء ولده الصالح له •

فقد اخرج الطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى فى سننه عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول : يارب أنى لى هذه ؟

فيقول : باستغفار ولدك لك » وفى رواية « بدعاء والدك لك • وفيما روى عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – فيما رواه البخارى ، عن

النبى – صلى الله عليه وسلم – فى قولـه : يتبع الرجل يوم القيامة من الحسنات أمثـال الجبال ، فيقول : « أنى لِى هذا ؟ فيقـال • » باستغفار ولدك لك » •

وحتى لو سبقه نسله وعقبـه الى الـدار الآخرة ، فهم شفعاؤه ورحمة له : روى أحمد

والطبرانى ، عن معاذ – قال : قال رسـول الله – صلى الله عليه وسلم – : « ما مـن

مسلمين يتوفى لهما ثلاثة من الولد الا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته اياهم •

قالوا : يارسـول الله ، واثنان ؟ قـال : أو اثنـان • قالوا أو واحد ؟ قال أو واحد •

ثم قال : والذى نفسى بيده ، ان السقط ليجر أمه بسريره الى الجنة اذا احتسبته » •

وقد تثار شبهة بأن الـزواج عـرف قبـل الاسلام ، فلا مزية فى ذلك – ولكنا اذا عرفنا

أن الاسلام فى هديه يثبت الأصل الصـالح كقاعدة ويبقيها ، ويهذب ويوجـه الحـركية

ويراعيها •• •• ندرك سمو التشريع الاسلامى وصلاحيته لكل زمان ومكان ، ومواءمته لطبيعة الانسان كانسان •

رعاية الإسلام للأسرة سابقة على الزواج

ولأهمية تركيب الأسرة وبنائها على أسس متينة طيبة ، نجد أن – عناية الاسلام امتدت بنظام تكوينها قبل الزواج ، ليكون الصـلاح ثمرة طبيعية لهذه العناية المبكرة بالأسرة :

فيحث الاسلام – عند التفكير فى بنـاء الأسرة – على تخير نوعية الزوجة ، أو الوعاء الذى سيكون امتدادا للزواج ، فيحث عـلى اختيار ذات الدين قبل كل اعتبار دنيـوى جرت العادة باعتباره عند الاختيار ، وهنـا نضمن نوعية الأم المسلمة كنموذج سـوى لـمدرسة وتخريج أجيال ، ونموذج لنوعيـة

سلوك ممتاز فى الحياة يعين على تحمل تبعات ومشقات الحياة ، وهنا يقوم بناء الاسرة على منطق الود والطهر والسكن والحب ، لا عـلى منطق الصفقة والطمع : فيروى عن الرسـول – صلى الله عليه وسلم – كمـا جـاء فى المجازات النبوية قوله : « تخيروا لنطفكم » ، وعلل ذلك شراح الحديث بأن العرق دسـاس فهو يرث الغث ، كما يرث الثمين • ويؤيد ذلك

أيضا حديث الرسـول : «ألا أخبركم بخـير ما يكتز المرء له : المرأة الصالحة ، اذا نظـر

اليها سرته ، واذا غاب عنها حفظتـه ، وان أمرها أطاعته ، وقوله : «تزوجـوا الـودود والولود فانى مكاثر بكم الأمم » ، بل يجعلها الرسول الأكرم من خيرى الدنيا والآخـرة :

« أربع من أعطيهن فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة قلب شاكر ، ولسان ذاكر ، وبدن على البلاء صابر ، وزوجة لا تبغيه حوبا (ظلما ولا اثما) فى نفسه وماله » .

وبهذا المنظور والتوجيهات الحاسمة ، يصبح فى منطقة الوعى عند الاختيار ، فيعتصم عند الاختيار بالدين ، لا بالعوارى الزائلة

والعارضة عند اختيار شريكة الحياة ، حين يهدف الى السكن وطهر العلاقات ودوام العشرة . وهنا ندرك حسم التحذير النبوى ،

كما جاء فى المجازات النبوية : « اياكم وخضراء الدمن . قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء ». صدقت يارسول الله ، حين حذرت من مراعاة الجمال وحده دون مراعاة التربة الصالحة .

وعلى الجانب الآخر نجد عناية الاسلام بضرورة اختيار الزوج الأمثل فى خلقه ودينه قبل أى اختيار آخر ، حتى لا يكون هناك صراع وتنافر بين الزوجين ، أو يظهر فى

حياتهما ما يكدر صفو حياتهما ، وحتى لا تجد الزوجة نفسها فى براثن من لا يرعى فيها الا ولا وذمة ، ولا يقيم للشرف والفضيلة

معنى ، فتفقد طهارتها واستقامة خلقها ان طاوعته ، أو تحطم حياتها ان هى ناوأته وعارضته حين لا تشاركه غيه واثمه وخبثه بما

يجترحه من سيئات . لذلك يوصى رسولنا الأعظم بأنه « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، الا تفعلوا تكن فتنة فى

الأرض وفساد كبير .» كما يرى ابن حيان من قول الشعبى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — بأن : « من زوج ابنته من فاسق فقد قطع رحمها » . فالبنت أوثق عرى الرحم ، ولكن بسوء اختيار الوالد يقطع رحمها .. وعلى هذا الأساس وهذا النهج الكريم تزوج أسامة بن زيد — وهو مولى تبناه رسول الله — من فاطمة بنت قيس الفهرية ، كما تزوج بلال بن رباح بأخت عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم . (جاء ذلك فى زاد المعاد لابن القيم ج : ٤) .

وسأل رجل الحسن — رضى الله عنه ، فقال : قد خطب ابنتى جماعة فممن أزوجها ؟ قال : ممن يتقى الله ، فان أحبها أكرمها ، وان أبغضها لم يظلمها (احياء علوم الدين للغزالى ج:٢) .

وهناك تفصيل فى رواية مسلم : ان فاطمة بنت قيس أخبرت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : ان معاوية بن أبى سفيان وأبا جهم خطباها ، فقال لها الرسول : أما أبوجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه . وأما معاوية فصعلوك لا مال له ، انكحى أسامة بن زيد « ومعنى هذا الحديث : أن أبا جهم يضرب

النساء . وهذا خلق بغيض فى الاسلام ومعاوية صعلوك (أى فقير ، كما هو معنى اللفظة فى صدر الاسلام) ، فلا بأس باختيار المال مع الدين ، ويبقى ترجيح الرسول واقتراحه لدين أسامة . ولأن الزوجة وعاء . ومدرسة أولى ، والبنين والأحفاد ملاصقون

لها بشدة منذ اللحظة الأولى وفى فترات الحضانة والارضاع والتدريب على التلقى •• كانت عناية الرسول — صلى الله عليه وسلم — بضرورة اختيار الزوجة الدينة ، والقويمة السلوك ، لتحقق صبغة الزواج من أنه ميثاق غليظ •

عناية الإسلام بالأسرة بعد الزواج

حين تصبح الأسرة أمرا قد تحقق فعلا ، فان الاسلام يجعل لها حقوقا وواجبات من نوعيات محددة بحدود الحل والحرمة فى الاسلام • وننبه مبدئيا الى أن الاسلام قد سوى فى الاعتبار البشرى بين الذكر والأنثى،

وفى شئون الدنيا والدين ، فكلا الزوجين راع وكلاهما مسئول عن رعيته • وعلى أن اعتبار المساواة الصحيحة بين الزوج وزوجه فى الحقوق والواجبات ، انما هى فى حدود ما يحفظ للرجل كرامته واعتباره ، وفى مراعاة ما تراعى فيه المرأة وطاقتها واستعدادها

ولذا يقول الله تعالى : « وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ » البقرة ٢٢٨ • فلهن حسن المعاشرة وكفالة الحق المادى والمعنوى ، وتبادل الرأى والمشورة ،

مع مراعاة جانب الحب والاعزاز والتضحية والايثار • وبذلك يصبح البيت المسلم جنة وارفة الظلال ، قوامه العدل والرحمة ، والمنطق والتعقل ، وجدرانه قوية التحصين

فى الداخل والخارج،وآمنة من عوامل الزعزعة والأثرة والازعاج ؟ الذى يسبب التلاشى والزوال من التعرض للاهتزاز • وفى خطبة النبى — صلى الله عليه وسلم — فى حجة الوداع ، خير هاد الى بيان هذه الحقوق ، اذ يقول :

« أما بعد ، أيها الناس فان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا : لكم عليهن الا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن الا يأتين بفاحشة مبينة •• فان فعلن فان

الله قد اذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح •• فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن

لانفسهن شيئا وانكم انما اخذ تموهن بأمانه الله ،واستحللتم فروجهن بكلمات الله ،فاعقلوا أيها الناس قولى فانى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا : كتاب الله ، وسنة نبيه » •

وتشير أحاديث رسول الله الى ما عليه طبيعة المرأة وتكوينها النفسى والجسمى ، بما تحتاج بسببه الى الرعاية والرفق ،

واحتمال مالا يرضاه الزوج أحيانا ، يقول عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ،

واستوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع ، وان أعوج شىء فى الضلع أعلاه ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج

فاستوصوا بالنساء خيرا . «وفى بعض الروايات» : « المرأة كالضلع ان أقمتها كسرتها ، وان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج » . (متفق عليه) . ومن ثم كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصبر على مراجعة أزواجه فى الكلام له ، وهجر الواحدة منهن الى الليل . فضلا عن أن أمر المرأة دائر بين الحمل والولادة والحضانة والرضاعة ، وهذا

أمر يرهقها كثيرا ، ويأخذ وقتها ، فيكفيها اذن ما تلاقيه من رعاية المنزل وتدبير شئونه ،

والعناية بأولادها ، ولابقائها فى هذه الدائرة ــ وما أوسعها ــ جعل الاسلام القوامة للرجل وفضله بدرجة ، مراعاة لطبيعة تكوينه ،

واستعداده للكفاح وكسب العيش . ولو جعل الاسلام ذلك الى المرأة لأجحف بها ، وزاد من أعبائها . ولو أخلى الرجل من هذه

المسئولية ، فماذا يكون عمله ووظيفته اذن كرجل عليه السعى وكسب ما به قوام الحياة ؟ ! .

يقول الأستاذ الأكبر شلتوت فى كتابه (الاسلام عقيدة وشريعة) : « والحق الذى تهدى اليه الفطرة فى شأن الزوجين :

هو ما قضى به ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين على وابنته فاطمة : قضى على ابنته بخدمة البيت ورعايته ، وعلى زوجها بما كان خارجا عن البيت من عمل . فعليها تدبير المنزل ورعاية الأطفال وعلى زوجها السعى والكسب .. فكل منهما يمد يد المساعدة لصاحبه فى عمله اذا دعت ضرورة ، وهو نوع من

التعاون الذى أمر به الاسلام وحث عليه فى كل مجتمع ، « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ » (المائدة ٢) .

ويقول : ليس من احسان العشرة ان يحمل كل منهما صاحبه مالا طاقة له به ، وليس احسان العشرة خاصا باجابتها له اذا دعاها ،

ولا باطعامها اذا جاعت (فقط) ، وانما حسن العشرة معنى لا يجهله أحد ولا يعجز عنه أحد . فهو بالنظرة وبالخطاب ، وهو معنى ينبعث من قلب الرجل بروح المودة والمحبة ،

فيملأ قلب المرأة غبطة وسرورا . وكذلك العكس .

الأسرة المسلمة وتنظيم أو تحديد النسل

البنون والحفدة زينة الحياة الدنيا ، وثمرة الزواج ، وامتداد للانسان من بعده .

ومتى ربوا تربية سليمة اسلامية ، ومتى امتدت اليهم عناية الدولة .. أصبحوا قوة للوطن ، ونفعا للامة ، وعونا على الخير وعدة للحياة الطيبة .

الا أن بعض الآباء ــ أحيانا ــ يجعلونهم شغلهم الشاغل ، ويتلهون بهم عن المفروض والواجب ، فلا يبادرون الى الجهاد متى دعا

داعيه ، ولا ينفقون فى سبيل الله اذا نادى مناديه . وهنا يكون غم الدنيا وهم الآخرة ،

ويكون من الأولاد والأزواج عدو ظاهر أو خفى ، فى هذه الحال الطارئة ، ومن هنا نفهم قول النبى العظيم : « الولد ثمرة القلوب ، وانهم مجبنة مبخلة محزنة » .. وهذا ناشىء عن انحراف فى التوجيه واساءة فى فهم طبيعة الحياة ، وغفلة عن وصايا الاسلام وانعدام التدريب النافع ليكونوا مصدر خير وقوة .

واذا كان الانسان مجبولا على حب أبنائه وحفدته ، وبقائه وذكره .. فان هموم الحياة ولأوائها أحيانا ، أو أنانية الانسان ، قد تكون مدعاة للتفكير أو العمل للتقليل من عددهم ، حين يصبحون عبئا ثقيلا لا يعين عليه أثرياء الأمة ، أو تغفل الحكومات حسن التدريب والتوجيه للوافدين الجدد ، فلا يكونون عونا لها ، ولا سندا لأنفسهم ، ولا نافعين لغيرهم ، ومن هنا يتجه التفكير وتثور المناقشات حول تحديد النسل أو تنظيمه وهذه المسألة بحثها الفقهاء بسعة وتفصيل قديما وحديثا .

ولعدم تحديد المفاهيم بين (تحديد النسل ، وتنظيم النسل) تكون المناقشات حادة أحيانا وبعيدة عن مجال النزاع ، ومن ثم فلابد من تحرير مجاله أو تحديد المفاهيم اولا .

وهذه عجالة فى الموضوع ، ومن شاء مزيدا من البحث فيراجع (الاسلام عقيدة وشريعه) للامام المرحوم الشيخ شلتوت وغيره من كتب الفقه .

فاصدار قانون بتحديد النسل بمعنى ايقافه تماما لا يقول به عقل ولا تقبله امه تريد لنفسها العزة والبقاء والرخاء . أما تنظيمه فى فترات معينة ، أو اباحته لاعذار ومبررات خاصة لبعض الاشخاص فهذا يمكن مناقشته وبحثه :

فمن العلماء من يبيح تنظيم النسل . لأن الولد حق أبيه . ولا تمنع الاباحه الا بنص أو كراهة الباعث ولا نص ولا قياس يمنع من ذلك ، فالأمر إذن باق على الاباحة ، ودليلهم الحديث الذى رواه جابر عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « كنا نعزل على عهد رسول الله ، والقرآن ينزل » . أى ولم نُنْهَ عن ذلك .

ومن العلماء من حرمه ، لأن الولد حق الوالدين والمجتمع ، وكل مجتمع بحاجة الى مدد من المواليد تدرب وتعلم لشد الأزر ، وتكون الساعد وعامل الرخاء والأمن . ولحديث الرسول « تناكحوا تكثروا » وللمباهاة يوم القيامة بكثرة الأتباع ولقوله — صلى الله عليه وسلم — : « من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا » وسئل الرسول عن العزل ، فقال « ذلك الوأد الخفى » . وقال ابن عباس . هو الوأد الأصغر .

ولكن ورد على هذه الأدلة ما يوهنها : بأن المراد بالكثرة : الكثرة القوية العاملة لا الخاملة ونقول : هذا واجب الحكومات لا الوالد ولا الوالدان — وبأن المراد بقوله : « ليس منا ». أى ليس على طريقتنا الكاملة، لانفى الايمان.

وقياس ابن عباس رده الامام على — رضى الله عنه — بقوله : لا تكون موءودة الا بعد سبعة أطوار ، وتلا قوله تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ »..

الآيات ١٢ و ١٣ و ١٤ من المؤمنون.

وهناك رأى ثالث : يرى تنظيم النسل جائزاً لظروف خاصة وأعذار تبيح ذلك لبعض الافراد ، لا لكل الجماعة . فهناك أمراض موروثة أو متنقلة ، وهناك ضعف الزوجة عن تحمل الانجاب الكثير المتوالى أو حين يرضعن أولادهن (وفى هذا خطر على صحة الوالدة والرضيع) .

•• ومن قواعد الشريعة السمحة : « الضرر مدفوع بقدر الامكان » . (وكل هذه الأسباب وغيرها من الأعذار القوية تبيح منع الحمل مؤقتا ، شريطة ألا يعم ذلك الأمة كلها وألا يعمم بقانون .

ولا شك أن هذا الرأى يتمشى مع حق الوالدين والأمة فى الولد من ناحية ، والمحافظة على كثرة قوية عاملة ناهضة تعلى من شأن الأمة ، وترفع من قدرها ، حين يكون الأبناء ، عامل قوة وعون على اتساع العمران ورقى الحياة ، ولا يمكن ذلك الا بكثرة معدة ، هيأت لها حكوماتها وسائل التربية والتعليم والتقويم والاعداد ، والا كانت مسئولة عن الكثرة الهزيلة التى تحيط بها الأعداء احاطة السوار بالمعصم ، ولا تستطيع الدفاع عن نفسها ، لأنها كثرة كغثاء السيل هباء لا نفع فيها .

الطب النبوى

بدأ الباحث حديثه بأن من المعجز حقا أن نرى شخصا أميا ينشأ بين قوم أميين لم يقرأ ولم يكتب ولكنه يضع اللبنات الأساسية فى بناء الحضارة الانسانية ، كما يضع الأصول للعلوم التى تعود فائدتها على البشرية انه محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اصطفاه الله واجتباه ثم بين : ان طول العمر له اثر عظيم فى سعادة الانسان ، وكلما طال عمر الانسان كثر عمله ، واطلع على احوال الدنيا وتقلباتها ، وأفضل سعادة الانسان فى هذه الحياة ان يعيش صحيح البدن معافى فيه ، كما يقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من اصبح معافى فى بدنه ، آمنا فى سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

وقد قسم الباحث المرض الى قسمين :

---

١ ـ مرض القلب وهو نوعان :

(ا) النوع الأول : مرض شبهةوشك وهو المراد بقوله تعالى : « وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ . وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ. أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » .

(ب) النوع الثانى : مرض شهوةوهو المراد بقوله تعالى :

« يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا »

٢ ـ المرض الثانى هو مرض الأبدان ويقتضى نوعين من الطب :

(ا) الطب الوقائى : وهو العنايةبالأفراد ، والمجتمعات لمنعهم من الوقوع

فضيلة الشيخ
منصور الرفاعى عبيد

فى المرض ومنه ما يسمى (بالحجر الصحى) ٠

(ب) الطب العلاجى : وهو الذى يهتم بعلاج المريض حسب حاله ٠

ولقد كان من هدى النبى ـ صلى الله عليه وسلم التداوى فى نفسه ، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه ٠

« قال أسامة بن شريك : أتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه كأن على رءوسهم الطير فسلمت ثم قعدت ، فجاء الأعراب من ها هنا ، وهاهنا ـ فقالوا : يا رسول الله ، أنتداوى ؟ فقال : « تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له دواء غير داء واحد هو « الهرم » ٠

وتحدث عن العلاج بالأدوية الروحية فبين : أن القرآن الكريم : هو كتاب الله المنزل من علياء السماء ليكون مصدر تشريع للأمة الاسلامية لا ليكون حجابا تحت ابط الانسان ولا ليوضع فى محل ليكون مصدر رزق ٠

ومن رحمة الله بنا أن جعل فى القرآن شفاء لعلل تصيب أجسامنا لأنه خالقنا واعرف بأحوالنا ثم قال « وينفسح الاستشفاء بالقرآن عند الايمان به »٠

لذلك ثبت عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ التداوى بالعبادة والاستشفاء بالقرآن ٠

والخلاصة أن هذا البحث شرح بوضوح أن الاسلام أمر بالتداوى ، ونهى عن التداوى بما حرم الله ، وذكر أن عسل النحل ذو فائدة عظيمة ه وبين علاج كثير من الامراض كدواء العين والصرع ، والعلاج بالأدوية الروحية والعلاج بالاعشاب وذكر بعض نصائح الحكماء ، وعلينا أن نلتزم برأى أهل الخبرة فى زماننا هذا ٠

لذلك نعرض من نصوص هذا البحث فصل « تحريم ما يضر بالصحة العامة » ٠

تحريم ما يضر بالصحة العامة

(أ) في المأكل والمشرب :

نهى الاسلام الانسان عن الاسراف في الأكل لأنه يضر بالمعدة ويربكها ، وطب الأبدان ناتج أصلا من المعدة لأنها بيت الداء : « ولذلك يقول الله تعالى : « **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا** » سورة الاعراف الآية ٣١ وحثنا على مضغ الطعام جيدا حتى لا يكون هناك طعام يصل الى المعدة بلا مضغ فيصاب الانسان بالتخمة التى ان بقيت فى الجوف قتلت . ولذلك قالوا : « ادخال الطعام الى الطعام مهلكة » . وقد جاء فى كتاب «العقد الفريد» قيل لأعرابى : هل اتخمت قط ؟ قال : لا لأنا اذا طبخنا أنضجنا . واذا مضغنا دققنا . ولا نكظ المعدة ولا نخليها « وقد سئل حكيم ؟ ما هو الداء الدوى ؟ قال : ادخال الطعام على الطعام هوالذى يفنى البرية ويهلك السباع فى جوف البرية . وقيل لآخر : ما تقول فى دخول الحمام ؟ قال : لا تدخله شبعانا ، ولا تغش أهلك سكرانا ، ولا تقم بالليل عريانا . ولاتقعد على الطعام غضبانا . وارفق بنفسك يكن أرخى لبالك . وقلل من طعامك يكن أهنأ لنومك .

وقد روى الترمذى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه .. حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه . فان كان فاعلا لا محالة : فثلث لطعامه .. وثلث لشرابه .. وثلث لنفسه « ومن المعلوم أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ رد الطبيب الذى أهدى اليه من مصر وقال : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع . واذا أكلنا لا نشبع » .. ولقد كان من عادة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حبس النفس على نوع واحد من الأغذية لا يتعداه الى سواه . وكان لايعيب طعاما قدم اليه . وكان يحب الحلواء والعسل . وكان يجلس للأكل متوركا على ركبتيه . ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى تواضعا لربه واحتراما للطعام . وهذه الهيئة أنفع هيئات الأكل . وأفضلها . لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعى الذى خلقها الله سبحانه عليه . وأردأ الجلسات للأكل الاتكاء على الجنب . فان المرىء وأعضاء الازدراد تضيق . والمعدة لا تكون على وضعها الطبيعى لأنها تنعصر مما يلى البطن بالأرض . ومما يلى الظهر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات النفس . روى ابن ماجة فى سننه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى أن يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه .. وكان يأمر بالعشاء ولو بكف من تمر . ويقول كما ذكره الترمذى « ترك العشاء مهرمة » وذكر أبو نعيم كما جاء فى سنن ابن ماجة أنه كان ينهى عن النوم على الأكل . ويذكر أنه يقسى القلب . وبهذا يوصى الأطباء لمن أراد حفظ الصحة أن يمشى بعد العشاء خطوات ولو مائة خطوة . ولم يكن من هديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يشرب على طعامه . وكذلك يوصى الأطباء عقب الرياضة .

كما كان من هديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه يتنفس أثناء الشراب ثلاثا . ويقول انه أروى وأمرأ وأبرأ أروى أى اكثر

ارواء • وأمرأ أى أكثر تلذذا به • وأبرأ أى أكثر علاجا وأسرع شفاء •

وروى البيهقى عن النبى — صلى الله وسلم — قوله : « اذا شرب أحدكم الماء فليمص الماء مصا • ولا يعب عبا فان الكباد من العب » •

كما أمر — صلى الله عليه وسلم — بتغطية الاناء التى فيها الماء حتى لايتسرب اليها الحشرات الضارة •

وقد سئل حكيم : ما تقول فى شرب الماء ؟ قال هو حياة البدن وبه قوامه ، ينفع ما شرب منه بقدر الحاجة وشربه بعد النوم ضرر • قيل فما تقول فى الشراب ؟ قال أطيبه أهنؤه وأرقه أمرؤه • وأعذبه أشهاه ، لا تشربه صرفا فيورثك صداعا ، ويثير عليك من الأدواء •

ان التوجيه النبوى يعطينا الصورة الكاملة ان نبى الاسلام حث اتباع دينه ، والذين يعتنقون مبادىء رسالته أن يعملوا على حفظ صحة أبدانهم وقوة عافيتهم ، وغاية الانسان من ذلك حراسة البدن ليظل قويا يؤدى العبادات وينطلق فى المجتمع بهمة لأداء الواجبات التى كلفه بها الاسلام •

(ب) والاسلام فى سبيل الحفاظ على صحة الانسان حرم عليه تناول أكل الميتة ، والدم ولحم الخنزير ، ليبقى الانسان على نضارته يتمتع بعافيته ووجاهته •• وقد حرم الاسلام على الانسان ذلك لما ثبت طبيا : انها تضر بالجسم • وتنشر الخلايا الحية الفتاكة بداخله وحرم كذلك أكل لحم كل ذى مخلب لأنها تعيش على أكل الجيف • فيكون فى جسمها خلايا وبائية تصيب الانسان بالأمراض القاتلة • يقول الله تعالى : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ » سورة المائدة الآية ٣

ويقول الله تعالى :

« قُل لَّا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ » الانعام الآية ١٤٥ •

(جـ) حرم عليه كذلك من المشروبات ما يكون سببا فى ضعف صحته وحجب عقله ، وطمس القيم الأخلاقية العالية فيه خاصة « الخمر والمخدارت » وما يشتق منهما

وقد قدر الأطباء أن الخمر تصيب المدمنين عليها بالتهاب مزمن فى الأعصاب والكلى • وتسبب للمدمن تصلب الشرايين • وضعف القلب يقول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ • إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ » •

منصور الرفاعى عبيد

صلى الله عليه وسلم

الرسول

وموقفه من التفرقة العنصرية

بدأ المؤلف بحثه بتقسيمه الى شقين :

الشق الأول : التفرقة العنصرية وما أصاب البشرية بسببها فذكر ان التفرقة العنصرية أصابت البشرية بأسوأ شر اذ سلبت من الكثير منها الحق فى الحياة الكريمة ومالهم من حقوق وجعلتهم أدنى مرتبة من الحيوانات .

وضرب المؤلف لنا أمثلة بالهند حين غزاها الآريون فوضعوا نظاما نسبوه ظلما الى الدين ، وفى فارس كان يفصل النبلاء عن الشعب حدود محكمة ، وكان التمييز يظهر جليا فى المركب والملبس والمسكن ، كما أن الرومان اتخذوا العنصرية مبدأ لهم وبنوا قوانينهم عليها .

وفى أوربا الحديثة أخذ نظام العنصرية من اليونان والرومان ، وقد حاول ارسطو أن يؤصل مبدأ التفرقة ،فنادى بنظرية احد فيها ان جماعات معينة من الناس تولد حرة بالطبيعة ، وأخرى تولد عبيدا ولأفلاطون نفس الاتجاه .

ان أول ركن من أركان الاسلام هو « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله »
شهادة لله بالوحدانية ولمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرسالة .

الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف أنقذ البشرية مما حل بها من التفرقة العنصرية

للدكتور بركات عبد الفتاح دويدار

كما يذكر الباحث أيضا أن اليهـود يرون فى أنفسهم شعب الله المختـار ، ولايجوز مساواتهم ببقية بنى آدم .

وكذلك نادى المسيحيون بالتفرقة العنصرية ، كما جـاء مفكـرو العصر الحديث ليؤصلوا الظلم ، وقد ازدادت نظريات العنصر واللـون انتشـارا منـذ بداية استعمار افريقيا واكتشاف امريكا .

أما الشـق الثـانى مـن البحث فيتناول : الرسول ــ صلى الله عليـه وسلم ــ وكيف أنقذ البشرية مما حـل بها فقد جاء الاسلام يدعو لعبادة اله واحد لا شريك له ، وذكـر أن النـاس جميعا متساوون :

أصلهم واحد ، ولا فضـل لعـربى على أعجمى ولا لأبيض عـلى أسود الا بالتقوى .

وبذلك أبطل الاسلام الدعـوة الى التفرقة العنصرية .

فالصلاة يقف فيها الجميع بين يدى الله سواء ، والحج كذلك فلا مكان للتمييز بين لون وآخر أو جنس وآخر .

وفى خاتمة البحث يعرض المؤلف لشهادة الأعداء للاسلام من أمثال « فيليب حِتّى » « وجوستاف لوبون » وغيرهم واليكم الشق الثانى من البحث :

والتوحيد الذى يرضاه الاسلام هو التوحيد الخالص الذى لايشـوبه شرك فإن المسلم يقرأ بفاتحة الكتاب فى ركعة صلاته وفيها يردد « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » ويعلم ان كل ما سوى الله ضعيف فهو يقرأ فى القرآن الكريم قوله تعالى :

الرسول - صلى الله عليه وسلم ومواقفه من التفرقة العنصرية

« قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا » (١) .

كما يقرأ قوله تعالى « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » (٢)

فالله وحده هو الخالق وهو الرازق بيده مقاليد الأمور ، وهو المستحق للعبادة وجميع المخلوقات هى خلق الله وهى محتاجة اليه لا يملك واحد منها لنفسه نفعا ولا ضررا ، وليس لأحد فضل فيما هو عليه من صورة أو صحة أو مرض ، ان كل ما هو فيه انما هو من الله حتى الرسل لا يملكون لأنفسهم شيئا يقول تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم « قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ » (٣).

وكل مدع بعد ذلك فضلا لنفسه على نفسه أو على أخيه انما هو واهم نسى مبدأه ومعاده.

وبذلك يصل المسلم بالتوحيد الخالص الى أن كل شيء بيد الله سبحانه لا شريك له فى ملكه ، ولا معين له فى صنعه ، خلق العباد كما أراد ، اذا رب العالمين واحد .

هذه هى أول خطوة فى حياة المسلم .

بعد ذلك ينتقل الى الخطوة الثانية وهى :

أصل البشرية واحد فأبوهم آدم وآدم من تراب قال تعالى :

« خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا » (٤) .

كما قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » (٥) .

كما قال تعالى :

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا » (٦) .

الكل يرجع الى آدم . اذا من ناحية الأصل لا فضل لأحد على أحد فلو كان فى العالم الآن الف جنس مثلا فانه كلما رجعنا الى الوراء سيقل العدد حتى يصير الأصل واحدا هو آدم .

هذا بالنسبة للاصل وأما بالنسبة للصورة التى عليها الانسان هى كذلك من صنع الله سبحانه وتعالى بقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ » (٧) .

---

١ — سورة الاسراء آية ٥٦ .
٢ — سورة فاطر آية ١٥ .
٣ — سورة الأعراف آية ١٨٨ .
٤ — سورة الزمر آية ٦ .
٥ — سورة النساء آية ١ .
٦ — سورة الأعراف آية ١٨٩ .
٧ — سورة الانفطار آية ٦ — ٨ .

فعدلك بالتخفيف ، يعنى فى أى صـــورة شاء.

واذا كان هناك من يعتقد أن اللون يدل عـلى الرفعة أو الانحطاط ، فانه يبين أن الاختلاف ليس دليلا على ما يزعمون به هو دليـــل على قدرة الله سبحانه وآية من الآيات قال تعالى :

« وَمِنْ آيَاتِـهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ » (١) .

فالألوان مختلفة أسود وأبيض وأحمر ... الخ وكذلك الألسنة ومما روى فى معنى هـذه الآية :

اختلاف ألسنتكم : النغمة والصوت حتى لا يشتبه صوتان من أخوين لأم وأب وألوانكم : الصور حتى لا يشتبه النـاس فى المعـارف والمناكح » (٢) « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ » بكسر اللام يعنى جميع العلماء (٣) .

فالذى جعل هذا الاختلاف بين الأخوين من أب وأم دون أن يدل على أصالة نسب أحدهما وحقارة نسـب الآخر . هو الـذى جعـل الاختلاف الموجود بين بنى آدم دون أن يدل ــ كذلك ــ على أصالة جنس وحقـارة جنس آخر وهذا الاختلاف آية من آيات الله يعرفها للعلماء ويدركونها .

وكون الاختلاف دليـلا على عظمة اللـــه سبحانه بينه فى آيات أخر قال تعالى :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَـاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » (٤)

الثمرات مختلف ألوانها ، والجبال مختلف ألوانها ، والدواب والانعام مختلف ألوانها . واللون فى كل هذه لا يدل على رفعـة ولا انحطاط . بل دليل على عظمة الله سبحانـــه كذلك الناس .

هذا ما يدركه العلماء الذين يدركون من ذلك عظمة الخالق هؤلاء العلماء هم الذين يخشون الله سبحانه .

واذا فالذين يجعلون من ألوان الناس دليلا على وضاعة هذا وأصالة ذاك ليسوا من العلم فى شىء .

ثم كيف يليق بهم أن يحملوا الانسان وزر عمل لم يقم هو به ، ان العدل هو فى ســؤال الانسان عن عمل ارادى قد عمله ، فيعاقب أو يثاب عليه أما لونه فانه لا اختيار له فيه فـلا يعاقب ولا يثاب من أجله .

---

١ ــ سورة الروم آية ٢٢ .

٢ ، ٣ ــ تفسير الماوردى .

٤ ــ سورة فاطر ايتا ٢٧ ، ٢٨ .

أثر الرسالة الإسلامية

فى الحضارة الإنسانية

أبو الحسن الندوى غنى عن التعريف فى مصر وخارج مصر ، فهو عالمى بفكره وطبعه يعرفه العالم الاسلامى كواحد من رجاله ، تعرفه المجامع العلمية فى العالم كله كواحد من روادها ومن المهتمين بالحضارة الانسانية وهو نفسه وأن كان ولد وعاش فى الهند الا أن فكره يكره للمسلم القيود والحواجز السياسية المصطنعة فهو يرى أن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ويساير الركب البشرى حيثما اتجه وسار بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ويفرض على البشرية اتجاهه

ويملى عليها ارادته لانها أرادة الاصلاح والرشد فانه صاحب رسالة وصاحب العلم اليقين ولأنه المسئول عن هذا العالم وسيره واتجاهه وأبو الحسن الندوى بهذا الفكر الموجه أصبح العالم وطنه وميدانه أيضا لأن الاسلام عقيدته والاسلام عقيدة عالمية أثرت الانسان ونقلته من الجاهلية الآثمة وعلمته وسقته معانى الرحمة والطهارة والعفة والحنو على العالم كله وخسر العالم كله فى اليوم الذى تخلى فيه المسلم عن القيادة واهتزت ثقته بنفسه بل وصل به الأمر الى أن أصبح عالة يتطفل موائد الحضارة المادية التى انتكس العالم بها وعاد الى الجاهلية فالجاهلية عنده ليست فترة ما قبل البعثة فقط ولكنها طابع روحى وعقلى معين يمكن أن يظهر من جديد اذا سقطت القيم الأساسية للبشرية تلك القيم التى رسمها القرآن الكريم وسوف تحل محلها قيم بشرية مصطنعة وتلك هى الجاهلية التى يعيشها العالم اليوم فروحها كما يقول اقبال « ما عادت عفيفة ولا طاهرة » فهو مؤمن بأنه لن يقيل العالم من ثمرة النكسة الجاهلية الا الاسلام وأن هذه فرصة نادرة للمسلم لكى يعود ويمتلك زمام القيادة من جديد فالحضارة الغربية ظهر افلاسها جليا واضحا والساحة مهياة لظهور الاسلام والاسلام بطبيعته عقيدة ديناميكية متحركة تلقى التبعة على معتنقيها : تبعة التبليغ والسلوك ، تبعة

لسماحة الشيخ
أبو الحسن الندوى

الوصاية على البشرية وتبعة القيادة والتوجيه فى الأرض لهذه القطعان الضالـة وهدايتها الى الطريق القويم بالرسالة المحمدية ·

فهل المسلم قادر أن ينهض بهذا الدور الآن ·

هل عنده الثقة بنفسه على النهوض بهذه التبعة ؟ أم أنه قد أصابه الوهن ؟

أم انه لابد أن يمارس المسلمون العمل باسلامهم أولا حتى يقدموا للعالم نموذجا قويا مقنعا ، فالعالم يتخذ من فشل المسلمين سياسيا واقتصاديا دليلا وأقعيـا على عدم صلاح الاسلام لقيادة المسلمين بله العالم كله ·· !!

بينما تراجع العالم كله عن عقائده ومقدساته حين كان المسلمون يعملـون باسلامهم ويتقدمون للناس وهم صورة حية لهذا الاسلام بيسر عقيدتهوطهارة معاملته وبالأمن الجميل الذى يغمر به الناس ·

وأبو الحسن الندوى فى بحثه الذى بين أيدينا يلقى ضوءا مبهرا على معطيات هامة ومنح أساسية اسلامية غالية كان لها الدور الاكبر فى توجيه البشر وأصلاحه·

ولنترك العلامة الندوى يقدم لنا بأسلوبه الرشيد أولى المعطيات والمنح للرسالة الاسلامية التى أرسل الله ــ سبحانه ــ بها أكرم خلقه وأحبهم أليه محمدأ صلى الله عليه وسلم :

عقيدة التوحيد النقية الواضحة

نتناول منحة الاسلام الأولى ومأثرة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ الكبرى ، وهى أنه منح الانسانية عقيدة التوحيد الصافية الغالية فهى عقيدة ثائرة معجزة متدفقة بالقوة والحياة مقلبة للأوضاع ، مدمرة للآلهة البـاطلة ، لم تنل ولن تنال الانسانية مثلها الى يوم القيامة·

الشرك والوثنية وأثرهما فى حياة الانسان

هذا الانسان الذى يحمل دعاوى فارغـة ومزاعم جوفاء من الشعر والفلسفة والسياسة والاجتماع ، والذى استعبد الأمم والبـلاد مرارا كثيرة ، والذى حول الاحجار الصـماء

(١) سورة الحج ــ ٧٣ ·
(٢) راجع « الهند القديمة » لمؤلفه ار ، سى ، دت
(R. C. Dutt)
Ancient India, Yol. III P : 276 (1891)

& L.S.S.O Malley,
Pepular Hindulsm — The Religion of Moses Gambridge (1035) · 6Z

ازهارا عبقة فيحاء ، وفجر الأنهار من بطـون الجبال ، والذى ادعى الربوبية أحيانا ، هذا الانسان كان يسجد لأشياء تافهة لا تضر ولا تنفع ولا تعطى ولا تمنـع ، « وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ » (١) ، وكان يركع أمـام أشـياء صنعها بنفسه ويخافها ويرجو منها الخـير ، انه لم يخر ساجدا للجبال والأنهار والأشجار والحيوانات والأرواح والشياطين ، وسـائر مظاهر الطبيعة فحسب ، بل سجـد للحشرات والديدان أيضـا ، وقضى حيـاته كلهـا بين هواجس ووساوس ، وبين أخيلة وأوهـام ، وأمان وأحلام ، كانت نتيجته الطبيعية الجبن والوهن ، والفوضى الفكرية والقلـق النفسى وفقد الثقة وعدم الاستقرار ، وامتازت الهند البرهمية بصفة خاصة ــ بكثرة المعبـودات والآلهة والالهات ، وقد بلغت الوثنية أوجهـا فى القرن السادس ، فبلغ عدد الآلهة فى هـذا القرن ٣٣٠ مليون (٢) ، وقد أصبح كل شىء رائع وكل شىء هائل وكل شىء نافع الها يعبد .

عقيدة التوحيد وأثرها فى الحياة

فأغناه ــ صلى الله عليه وآله وسـلم ــ بعقيدة صافية نقية سهلة سائغة ، حافزة للهمم باعثة للحياة ، فتخلص من كل خوف ووجـل وصار لا يخاف أحدا الا الله ، وعلـم علـم اليقين أنه وحده هو الضار والنافع ، والمعطى والمانع ، وأنه وحده الكفيل لحاجات البشر ، فتغير العالم كله فى نظره بهذه المعرفة الجديدة الاكتشاف الجديد وصار مصونا عـن كل نوع من العبودية والرق .

صدى عقيدة التوحيد فى العالم وأثرها فى الديانات

انها البعثة المحمدية التى اتحفت الانسانية بهذه التحفة النادرة ــ عقيدة التوحيد ــ التى كانت مجهولة مغمورة ، مظلومة مغبونة ، أكثر من أى عقيدة فى العالم ثم ردد صداها العالم كله وتأثرت بها الفلسفات والدعوات العالميـة كلها فى قليل أو كثير .

ان بعض الديانات الكبيرة التى نشأت على الشرك وتعدد الآلهة ، وامتزجب به لحما ودما اضطرت فى الأخـير الى أن تعترف ــ ولـو بصوت خافت وهمسة فى الآذان ــ بأن اللـه واحـد لا شريك لـه ، وأرغمت على تـأويل معتقداتها المشركة تأويلا فلسفيا ، يبرئها من تهمة الشرك والبدعة ، وتجعلها متشابهة بعقيدة التوحيد فى الاسلام ، وبدأ رجالها وسدنتهـا يستحيون من الاعتراف بالشرك ويخجلون من ذكره وأصيبت هذه الأنظمـة المشركة كلهـا « بمركب النقص » والشعور بالصغار والهوان (Inferiority Complex) فكانت هذه التحفة أغلى التحف التى سعدت بها الانسانية بفضل بعثته ــ صلى الله عليه وآله وسلم .

أثر عقيدة التوحيد الإسلامية فى الهند

يقول الباحث الهندى المعروف K.M. Panikkar وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الأسلامية فى عقلية الشعب الهندى ، ودياناته :

« من الواضح المقرر أن تأثير الاسلام فى الديانة الهندوكية كان عميقا فى هذا العهد « الاسلامى » ان فكرة عبادة الله فى الهنادك مدينة للاسلام ، ان قادة الفكر والدين فى هذا العصر وان سموا آلهتهم بأسماء شتى ، قد دعوا الى عبادة الله ، وصرحوا بأن الاله واحد وهو يستحق العبادة ، ومنه تطلب النجاة والسعادة ، وقد ظهر هذا التأثير فى الديانات والدعوات التى ظهرت فى الهند فى العهد الاسلامى كديانة « Bhagti » ودعوة « كبيرداس » (١) و (٢) .

وكذلك الشأن مع الفرقة التى تسمى السيخ (Sikhs) والتى أدت دورا خطيرا فى المجال السياسى والعسكرى ، والاجتماعى فى المجتمع الهندوسى العام ، فما يثبت من تاريخ هذه الطائفة أن الغاية الرئيسية لنشوء هذا المذهب فى الديانة الهندوكية ، انما كانت تطهير العقائد الدينية ، وأن منشىء هذه الديانة « بابا نانك » كان قد تأثر بتعاليم الاسلام ، وكان قد تلقى دراسة فى اللغة الفارسية والدين عن رجل مسلم معروف بالصلاح اسمه سيد حسن ، وكان موضع عنايته وعطفه ، وقد ذكرت أسماء أخرى من شيوخه وأساتذته المسلمين ، يبلغ عددهم الى ستة أشخاص ، ويروى أنه زار الحرمين الشريفين ، وقضى أياما فى بغداد ، وكانت له صلة خاصة بالشيخ فريد من كبار مشايخ الطريق فى بنجاب ، وكان « بابا نانك » يركز فى دعوته وتعليمه على عقيدة التوحيد والمساواة البشرية ، واجتناب عبادة الأصنام والوثنية .

أثرها فى العالم المسيحى

يقول الأستاذ أحمد أمين :

« ظهر بين النصارى نزعات يظهر فيها أثر الاسلام ، من ذلك أنه فى القرن الثامن الميلادى أى فى القرنين الثانى والثالث الهجريين ظهرت فى سبتمانيا (Septimania) حركة تدعو الى انكار الاعتراف أمام القسس ، وأن ليس للقسس حق فى ذلك وأن يضرع الانسان الى الله وحده فى غفران ما ارتكب من اثم ، والاسلام ليس له قسيسون ورهبان وأحبار ، فطبيعى أن لا يكون فيه اعتراف .

وكذلك كانت حركة تدعو الى تحطيم الصور والتماثيل الدينية (Iconoclast)

◄

(١) شاعر متصوف ينتقد المجتمع الهندى ويدعو الى الاصلاح ، اختلف الناس فى ديانته .

(٢) سبتمانيا مقاطعة فرنسية قديمة فى الجنوب الغربى لفرنسا على البحر الابيض المتوسط .

ذلك أنه فى القرن الثامن والتاسع للميلاد أو القرن الثالث والرابع الهجرى ، ظهر مذهب نصرانى يرفض تقديس الصور والتماثيل ، فقد أصدر الامبراطور الرومانى « ليو » الثالث أمرا سنة ٧٢٦ م ، يحرم فيه تقديس الصور والتماثيل ، وأمرا آخر سنة ٧٣٠ م بعد الاتيان بهذا وثنية ، وكذلك كان قسطنطين الخامس و « ليو » الرابع على حين كان البابا جريجورى الثانى والثالث وجرمانيوس بطريرك القسطنطينية والامبراطورة ايرينىمن مؤيدى عبادة الصور ، وجرى بين الطائفتين نزاع شديد لا محل لتفصيله ؛ وكل ما نريد أن نذكره أن بعض المؤرخين يذكرون أن الدعوة الى نبذ الصور والتماثيل كانت متأثرة بالاسلام ، ويقولون : ان كلوديوس Claudius أسقف تورين « الذى عين سنة ٨٢٨ م وحول ٢١٣ هـ » والذى كان يحرق الصور والصلبان وينهى عن عبادتها فى أسقفيته ، ولد وربى فى الأندلس الاسلامية ، وكراهية الاسلام للتماثيل والصور معروفة ، روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : « قدم رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — من سفر ، وقد سترت سهوة بقرام (١) فيه تماثيل ، فلما رآه هتكه، وتلون وجهه ، وقال يا عائشة ! أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله ، قالت : فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين والأحاديث فى هذا الباب مستفيضة .

وكذلك وجدت طائفة من النصارى (٢) ، شرحت عقيدة التثليث بما يقرب من الوحدانية ، وأنكرت ألوهية المسيح عليه السلام (٣) .

ويمكن لمن يطالع تاريخ أوربا الدينى وتاريخ الكنيسة النصرانية أن يتلمس تأثير الاسلام العقلى فى نزعات المصلحين والثائرين على النظام الأسقفى السائد ، أما دعوة « لوثر » الاصلاحية التى ظهرت فى القرن السادس عشر المسيحى ، فقد ظهرت فيها انعكاسات خفيفة لتعاليم الاسلام ودوره فى الاصلاح كما تظهر انعكاسات لضوء مكان بعيد تخرق أشعته الحجب الكثيفة الحاجزة من خضوع عقلية القرون المتوسطة للمثل القديمة ، وضغط الكنيسة ، كما يقول الكاتب المسيحى الفاضل « J.Bass Mullinger »

(٤) ولشدة نفوذ بولس (Paul (A.D. 65 - 10) ...... على النصرانية وخضوعها لأفكاره وتفسيره للعقيدة النصرانية كما يقول ارنست دى بنسن (Ernest De Bunsen)(٥)

وتنطوى البروتستانية التى تزعمها لوثر على أفكار تحريرية فى الأمور الدنيوية والدينية

(١) السهوة : النافذة بين الدارين ، والقرام : الستر .

(٢) Haines' Christianity and Islam in Spain, P. 116.

(٣) ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥ .

(٤) راجع دائرة معارف بريطانيا ، مقال ج باس مولنجر عن « مارتن لوثر » .

(5) Islam Or True Christianity, Ernest De Bunsen.

وكذلك فى اعطاء الفرد حرية التقدير ، والحكم على الأمور وفى التسامح الدينى ، وهذا مضاد للتقليد ، وللسلطة الدينية ، والروح البروتستانية فى مسئولية الفرد تجاه الله وحده وليس تجاه الكنيسة .

لماذا أخفقت هذه الجهود

ولم تأت بالنتيجة المطلوبة ؟

ولابد هنا من تنبيه على حقيقة خالدة أثبتها تاريخ الديانات وقررتها نفسية الأمم وهو أن الحركة الاصلاحية الثورية الجذرية فى ديانات أصيبت بتحريف أو انحراف جذرى ــ مهما بلغ القائمون بها والدعاة الى هذه الحركة من الاخلاص والجهد ــ اذا لم تقم بانفصال واضح عن هذه الديانات المنحرفة أو المحرفة، والتبرؤ منها ، وبقيت هذه الفرقة مندمجة فى مجتمعها الدينى الكبير ، الذى أنكرت على عقائده الرئيسية الأساسية ، وأخذت بمبدأ التسامح الذى لا مساغ له ، كان مصير هذه الفرق والدعوات الذوبان فى هذه الديانة أخيرا وذهبت كل المساعى والجهود التى قام بها زعماء هذه الحركات الاصلاحية والثورية أدراج الرياح، وهذا شأن الحركات الثورية فى الديانة المسيحية وحركات الدعوة الى التوحيد والمساواة البشرية التى نشأت فى الهند ، وأشرنا اليها .

ولذلك كان موقف الأنبياء السابقين وموقف الدين الاسلامى واضحا صريحا لا لبس فيه ولا غموض ، قويا لا ضعف فيه ولا تردد ، قد تجلى ذلك فى قول سيدنا ابراهيم عليه السلام والمؤمنين معه للمشركين فى عصرهم الذى نقله القرآن :

« قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » (١) .

ولم يكن ذلك مقصورا على عصر أو مجتمع بل وصى بذلك ابراهيم أتباعه وخلفه وراءه ، يقول القرآن :

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِى بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ، إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ . وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢) .

وبفضل ذلك بقى الاسلام دينا واضحا معينا محافظا على روحه وتعاليمه الى هذه الساعة « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ » .

وهكذا يمضى العالم الفذ فى بحثه هادئا مقنعا عملاقا حتى يصل الى آخر المعطيات والمنح ويالها من تسمية عذبة أصيلة نرجو أن

(١) سورة الممتحنة ــ ٤ .

(٢) سورة الزخرف ٢٦ ــ ٢٨ .

تشرب فى قلوب المسلمين حتى تغسل كدر مركبات النقص التى سادت مصطلحات حياتنا الفكرية واليومية .

الوحدة العقائدية الحضارية العالمية

الوحدة العقائدية :

وأخيرا لا آخرا ، تلك الوحدة العالمية التى لم يشهد التاريخ مثلها فى السعة والعمق والمتانة فى أدوار الحضارة البشرية والمجتمع الانسانى المختلفة ، وهى التى قامت — ولاتزال قائمة — على أساس وحدة العقيدة وهى عقيدة التوحيد ، والايمان بنبوة محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — والحياة بعد الموت — ووحدة النظرة الى الظواهر الكونية والقدرة الالهية وتعليلها وتقسيم ماهية الأشياء وقيمتها على أساس الايمان بالله وغاية الخلق والتكوين وكون هذه الحياة محدودة عارضة والايمان بالقيم والمثل التى دعا اليها الاسلام ومثلتها أسوة الرسول — صلى الله عليه وآله وسلم — وحياة الصحابة والجيل المثالى الأول على تفوت وتنوع فى التمسك بها ، والاستقامة عليها بتنوع تقتضيه الفطرة الانسانية ، ، واختلاف العصر والبيئة والتربية ، والمؤثرات الخارجية ولكن القدر المشترك بين المجتمعات الاسلامية فى كل عصر بعد ظهور الاسلام ، أبرز شكلا وأكبر حجما وأعمق جذورا من كل قدر مشترك بين أجزاء أمة واحدة وأتباع ديانة واحدة .

الوحدة الحضارية

ثم الوحدة الحضارية — الى حد بعيد — على أساس الأحكام الشرعية والتعاليم الخلقية — على اختلاف فى المستويات ومدى العمل بهذه الأحكام والتعاليم — اختلاف لا مفر منه مع اختلاف طبائع الشعوب التى دانت بالاسلام وطبائع البلاد والعصور ، ونظم الحكم — ولكنها حضارة تمتاز بالطابع الاسلامى الخاص، فهى حضارة تتميز فى العقيدة بالتوحيد ، وفى الاجتماع ، باحترام الانسانية والمساواة بين أفرادها ، وفى دائرة الأخلاق والمنهج ، بتقوى الله — اذا قورنت بالحضارات الأخرى — والحياء والتواضع ، وفى ميدان الكفاح بالسعى للآخرة والجهاد لله ، وفى ساحة الحرب بالرحمة والعاطفة — اذا قورنت بالحضارات المادية المعاصرة — وفى الحياة الفردية والمنزلية بالعناية البارزة « بالطهارة » وهى أخص من النظافة التى تلتقى عليها الحضارات الراقية والمجتمعات السلمية .

انها حضارة عجنت مع اسم الله ومراقبته وصبغت بصبغة الله ، وقامت على أساس الايمان ، فلا يمكن تجريدها عن الطابع الدينى واللون الربانى والروح الايمانى ، وكل ما عارض ذلك من عصبية قومية وحمية جاهلية ، وحرب عنصرية ونهامة مادية ، واستهتار خلقى أو فوضوية اجتماعية ، فهو شىء طارىء عليها ، وافد أو مستورد من الخارج ، أو من رواسب البيئات والمجتمعات التى انتقل منها العنصر الاسلامى ، أو بسبب

ضعف الثقافة الاسلامية وقلة الاشتغال بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ومصادر الاسلام الأصيلة الأولى ، فى هذه البلاد •

ولذلك استمرت جهود الاصلاح والتجديد ومحاربة الفساد ، والبدع وآثار الجاهلية فى تاريخ الشعوب والبلاد الاسلامية استمرارا لم يعرف مثيلها فى تاريخ الأمم والديانات غير الاسلامية ، وكتب لها من النجاح والانتصار ما لم يعرف لمحاولات الاصلاح والتقويم فى تاريخ أمم وديانات أخرى (١)• وذلك لمطابقة هذه الجهود لجوهر هذه الأمة وروحها ونفسيتها ، وتعبيرها عن الأسس والمبادىء التى قام عليها كيان هذه الأمة وانبثق عنها تاريخها وامتدادها •

بعد ما شرحناه من عطاء الاسلام الحضارى وما أتحف به الحضارة الانسانية من منح ومواهب ، وما حققه من نجاح وانتصار فى انقاذ الحضارة البشرية من الانهيار والانتحار ، ومكنها من التقدم والازدهار ، لابد من تقرير حقيقةتاريخية خالدة ، وهو أن عمل التأثير فى الحضارة الانسانية واستعراضها بعد آونة وأخرى من جديد ، وتطعيمها بالقديم الصالح والجديد النافع ، والحيلولة بينها وبين عناصر التدمير والابادة والاتجاهات المفسدة الهدامة يجب أن يدوم ويستمر •

ثم استطرد الباحث الى تقرير حقيقة علمية قال :

وحقيقة علمية تاريخية أخرى ، وهى أن الأمة الاسلامية لا تستطيع أن تقوم بدور التأثير فى الحضارة الانسانية وتوجيهها ، اذا كانت متطفلة على مائدة الحضارات الأجنبية ، تغرف من بحرها وتغوص فى موجتها الى الآذان ، انها لا تستطيع أن تسترعى انتباها فضلا أن تحمل الشعوب الأخرى على تقليدها ، الا اذا كانت مؤمنة عميقة الايمان بأن حضارتها مستقلة ذات شخصية خاصة ، ربانية سماوية ، صالحة لكل زمان ومكان ، قائمة على أسس متينة ، مستفادة من الكتاب والسنة ، منبثقة من الهدايات الربانية والتعاليم النبوية • للطهارة والعفة فيها تصور خاص ، فليست الطهارة فيها مرادفة لكلمة « النظافة » وليست العفة فيها يكفى فيها الابتعاد عن الجنايات الخلقية فحسب بل هى أوسع معنى وأكثر شمولا واحتواء ، وأن حياتها لا تنسجم مع الحضارة الغربية التى نشأت واختمرت تحت ضغط عوامل تاريخية خاصة ، وفى بيئة كانت تتحكم فيها المادية ويسود عليها — فى فترات كثيرة وطويلة — العداء للدين ، والثورة على الأخلاق والقيم ، وكما يقول أحد خبراء هذه الحضارة وتاريخها (الدكتور العلامة محمد اقبال) بايجازة : « ان روح هذه المدنية (الغربية) ما عادت عفيفة طاهرة » (٢) •

---

(١) راجع مقدمة الجزء الاول من سلسلة كتاب « رجال الفكر والدعوة فى الاسلام » ، واقرا امثلة هذا النجاح فى اجزائها الاربعة •

(٢) ليراجع للتفصيلى فصل « اهمية الحضارة الاسلامية والحاجة اليها » فى كتابنا (العقيدة والعبادة والسلوك) ص ١٩٨ — ١٩٩ •

الدعوة الإسلامية

طبيعتها وشمولها لكافة شئون الدين والدنيا

هذا البحث محاولة لالقاء الضوء على ما أتت به الرسالة الخاتمة من تعاليم وآداب تصلح للقيادة البشرية والاصلاح ، وتنظيم المجال المادى الذى طغى على كافة الجوانب الاجتماعية وينقسم الى جزئين :

(أ) طبيعة الدعوة :

ويبين فيه المؤلف أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — جاء بالقرآن الكريم وبه الكثير من التعاليم التى تخدم العقل وتقدر العلماء ، والقرآن — كدعوة — قائم على أساس توحيد الخالق وتنزيهه سبحانه عما لايليق به .

والاسلام — كدعوة — قد كرم الانسان على غيره من المخلوقات .

ويستمر المؤلف فى عرض تعاليم الاسلام ، وبيان موقف الدعوة الاسلامية بالنسبة لما سبقها من شرائع قد نصت جميعها على توحيد الله .

وعن « العقيدة وعدم اقرارها للاكراه » نجد المؤلف يأتى بآيات ليدلل بها على هذا المبدأ الاسلامى يقول تعالى (فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ : إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ..) فالله سبحانه وتعالى لو أراد أن يجعل ايمان الناس عن كره لجبلهم عليه ، ولكنه سبحانه قد ميز الانسان عن الملائكة فى الاعتقاد عن طريق الفكر والتدبر .

وبما أن الدعوة الاسلامية ترفض (الاكراه) ، فهى أيضا ترفض (التوبة تحت ضغط) فيقول : انه لا توبة نتيجة اكراه أو مشاهدة العذاب ، يقول تعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن » ..

للدكتور عبد الله عبد الحي محمد

(ب) خصائص الدعوة الاسلامية :

ذكر الباحث للدعوة الاسلامية عدة خصائص هامة تميزها عن غيرها ، عرضها المؤلف على نحو مفصل ، نجملها فيما يأتى :

١ ــ الدعوة من حيث مصدرها ٠ هى تشريع الهى : وفيها يتحدث عن اختلاف مصدر الدعوة الاسلامية عن الدعوات الأخرى ذلك أن مصدر الدعوة الاسلامية هو الله تعالى ، بدليل أن قانونها ثابت وهو القرآن ٠

٢ ــ وعن الشمول يذكر المؤلف أن النظم الاسلامية مستمدة من الشريعة الاسلامية ، وهى بذلك تكون قد تفردت بخاصية وهى أنها من صنع الله ، ولذا فهى تختلف عن تلك النظم الأخرى الموجودة فى الشرق والغرب رأسمالية كانت أو اشتراكية ، فالدعوة الاسلامية تعتمد على الكتاب والسنة كمصدرين رئيسيين ٠

٣ ــ فأما عن عموم الدعوة فيقول المؤلف : كما جاءت الدعوة الاسلامية شاملة للتعاليم لكل شئون الحياة وتمشيا مع التطور فى الوجود ــ فقد جاءت عامة أيضا لكل البشر باقية فيهم الى قيام الساعة وتحت هذه الخاصية يعرض الباحث لشهادات الباحثين من غير المسلمين بعموم الدعوة مثل سير توماس أرنولد ٠

٤ ــ وعن الجزاء الذى يصيب المرء يقول المؤلف ان الشريعة الاسلامية تتميز بأنها لاتقف عند مجرد النص على الثواب والعقاب ، ولكنها مع ماتسوقه من نصائح فانها تبرز الجزاء على العمل ثوابا أو عقابا بتفاوت درجته حسب العمل ٠

كما ان مايفعله الناس فى الدنيا يكون جزاؤه فى الدنيا والآخرة ، الا أن أكثره فى الاخرة ٠

وترغيبا فى الكف عن المخالفات يذكر المؤلف أن الدعوة الاسلامية أقرب بان المرء لو أجرم ثم تاب توبة نصوحا نجا من عقاب الآخرة ٠

واليكم من البحث حديث الباحث عن الشمول :

الشمول

اذا نظرنا الى النظم الاسلامية الصحيحة التى استمدت كل ما آتت بـه مـن الشريعة الاسلامية نجد أنها تختلف عن كل ماعداها من النظم الاجتماعية فليست واحدة من تلك النظم الاجتماعية التى سادت فى الغرب والشرق كما أنها ليست خليطا منها أو من بعضها ، مع مـا

أخذت له تلك النظم من أسماء مختلفة وقد تفردت النظم الاسلامية بتلك الخاصية لأن التشريع قد أتى اليها من صنع الله الذى قد وضع للوجود شريعة كاملة منذ نشأتها •• تلك الشريعة التى تعتمد أساسا على الكتاب والسنة وهما المصدران الرئيسيان فى ذلك •• وفى ظل تلك التعاليم الاسلامية الصحيحة تم نمو الجماعة الاسلامية ووجدت ارتباطات العمل والانتاج والحكمة وقواعد الآداب الخاصة بالفرد والجماعة ومبادىء السلوك وقوانين التعامل وسائر متطلبات المجتمع التى تحدد نوعه وترسم له طريق النمو والتطور • وبهذا التحديد تختلف التعاليم الاسلامية التى أبرزت المجتمع الاسلامى فى شكل قد غاير كل ما كان فى واقع الناس من نظم اجتماعية أخرى كانت تتأثر دائما بكل ما يقع من صراع

بين الطبقات بسبب اختلاف وجهات النظر بينها — فاتجاه — الرأسمالى غير اتجاه الشيوعى غير اتجاه الاشتراكى مما يؤثر بطبيعة الحال فى القوانين والحكومات والأفكار الاجتماعية ذاتها والأخلاق التى تسود بين الناس فى شتى المجالات (١) •

فمن هذا نجد الفرق واضحا بين نشأة النظم الاجتماعية وتطورها وبين التشريع الاسلامى الذى وضعت قواعده ونظمه وكل ما يدير شئون المجتمع الاسلامى — من الشريعة الحقة الثابتة ولابد لأهمية هذا الفرق من وضعه فى الاعتبار لأن به يتحقق لنا أن المجتمع لم يكن هو صانع الشريعة كما زل كثير من الباحثين فى هذا المضمار وانما الشريعة هى التى صنعت المجتمع الاسلامى فهى التى حددت

سماته ومقوماته كما أنها هى التى وجهته وطورته ومن ناحية أخرى لابد أن نضع فى الاعتبار أن الشريعة الاسلامية ليست مجرد استجابة للحاجات المحلية الموقوتة كما هو الشأن فى النظم والمذاهب الاجتماعية التى هى من فكر الانسان انما أتت فى دقة ومرونة وشمول لتطوير البشرية كلها وقد أتى هذا الشرع السماوى بحيث أنه كلما مر الزمن وتقدم الناس فى المعرفة كانوا أقرب اليه وأعظم ملاءمة له وفهما لما فيه خير وسعادة وتلك مميزات ذات أثر هام فى تحديد تلك الخصائص للدعوة الاسلامية ولمجتمعها الاسلامى الذى يؤسس ويقوم على تعاليمها بحيث يأخذ طابعا يتميز به على سائر المجتمعات الأخرى •

ان مهمة التشريع الاسلامى فى المجتمع الاسلامى والتشريع هو المظهر لتطور المجتمع لأنه تنمية مستمرة لهذا التطور ينبغى أن تظل محكومة بأصل ثابت (الكتاب والسنة) •

وبهذا القيد يكون التشريع الاسلامى دائما

---

(١) نحو مجتمع اسلامى بقلم سيد قطب ص ٦٢ وما بعدها •

فى كل ما يقدم لمجتمعه محكوما بأصله الثابت وهو الكتاب والسنة (١) .

ولا يقال ان المجتمع الاسلامى كان ينحرف عن هذا الخط فى بعض المناسبات هنا أو هناك فان ذلك الانحراف عندما يقع انما يكون نتيجة لتأثر ذلك المجتمع الاسلامى بما دخله من مبادىء تخالف مبادئه وتغاير الخصائص التى امتاز بها عن غيره أو بعوامل أخرى ترجع الى الافراد الذين لهم كلمة التوجيه والتأثير فى هذا المجتمع ومع ذلك فان هذا كله يعد طارئا

على طابع النظام الاسلامى الصحيح وفى الوقت نفسه لايغير من قاعدته الأصلية طالما أنه يأخذ الوصف الصحيح للمجتمع الاسلامى كما مر ذكره بنظام شريعته الواضحة الثابتة . (٢)

مغالطة

قد يقال هل من الصالح للجنس البشرى أن يظل تطور مجتمع من المجتمعات ونموه مقيدا بأصل ثابت فى حين أن حاجات الناس تتنوع وتتغير من آن لآخر فى كل مجالات المجتمع مع أنها فى هذا تحتاج الى مبادىء جديدة وشرائع كذلك تتلاءم مع ماجد وتتناسب كل مما سيأتى .

وللرد على تلك المغالطة ينبغى أن نعرف هذا الأصل الثابت الذى تقدم ذكره ومدى شموله لأصول الحياة وأيضا اننا نحتاج الى موازنات موضوعية بين مبادىء ذلك الأصل الثابت وشموله لتلك الأصول الكلية للحياة كما نحتاج من جهة أخرى الى موازنة بين تلك المبادىء الثابتة التى أخذت من هذا الأصل والمبادىء الاخرى التى عرفتها البشرية حتى اليوم فاذا اتضح من تلك المعرفة وهذه الموازنات أن مبادىء الدعوة الاسلامية موضوعة فى أصلها للاستمرار والتجديد وأنها ماتزال أفضل وأسبق ، وأن غيرها من سائر النظم التى عرفتها البشرية وحكمت بها مختلفة ولم تقدم للمجتمع كل ماتحتاجه فحينئذ لا يكون الثبات عيبا وانما يكون ميزة لأن به يوزن هذا التقدم المستمر حتى لا يخضع للأهواء والنزوات ، ولذلك حذر الله نبيه من اتباع أهواء المنحرفين بعد أن أمره بالسير على ما أوجبه عليه فقال تعالى : « وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ .. »

---

(١) الاسلام عقيدة وشريعة للامام الشيخ محمود شلتوت ص ٤٨٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ وكتاب نظرات القرآن للاستاذ الشيخ محمد الغزالى ص ١٦٤ وما بعدها وكتاب نحو مجتمع اسلامى للاستاذ سيد قطب .

(٢) نفس المرجع السابق .

أضواء على

أول هجرة في الإسلام

فى السنة الخامسة للبعثة النبوية هاجر كثير من المسلمين الى الحبشة والى تلك الهجرة أشار القرآن الكريم فى سورة النحل «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٠ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» ٠

ووضع هذه الهجرة فى مكانها الصحيح من التاريخ محتاج الى جهود الباحثين المسلمين او المنصفين من غير المسلمين وذلك لجلاء الغوامض من احداثها وللرد على من فى قلوبهم مرض من المستشرقين ومن حذا حذوهم من الكتاب المسلمين عن قصد أو عن غير قصد ٠ هؤلاء الذين أخذوا يتشككون فيها بالرغم من أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قد بين السبب الذى من اجله نصح أصحابه بالهجرة الى الحبشة فى قوله لهم : (لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ٠ وهى ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه) ٠

وبنظرة فاحصة الى هذا الحديث نجد ان اختيار الرسول للحبشة يرجع الى أمرين :

الأول : أن ملكها عادل لا يظلم عند أحد ٠

والثانى : أنها ارض صدق تدين بالنصرانية على عكس المناطق الأخرى التى تخيم عليها الوثنية ٠

ومع جلاء ذلك فقد ذهب أحد الباحثين الى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - توقع ان يكرم النجاشى المهاجرين املا فى الاستعانة بهم على احتلال مكة أو سواها من بلاد العرب خاصة وان الاحباش كانت لهم مطامع سابقة فى بلاد العرب ٠ كما يشكك البعض فى عدم وجود نجاشى حبشى بهذا الاسم ٠

إعداد الدكتور
محمد عبد الفتاح عيال

وينتهى الباحث الى أن حرية الكلمة مكفولة للجميع ولكن من الواجب علينا كمسلمين أن نتصدى للشبهات ونردها بمقنع الحجج ما استطعنا الى ذلك سبيلا •

وقد قسم الباحث بحثه الى فصول أربعة :

الأول : يبين دافع الهجرة •

والثانى : يوضح أسباب اختيار الحبشة بالذات •

والثالث : يتحدث عن موقف قريش من هذه الهجرة •

والرابع : يتناول المكاتبات المتبادلة بين النبى — صلى الله عليه وسلم — وبين النجاشى ومناقشة مسألة اسلامه •

ونسوق للقارىء فصلا من هذه الفصول الأربعة ••

أسباب الهجرة إلى الحبشة دون غيرها من البلاد

يقول ابن هشام (١) : « فلما رأى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، لمكانه من الله ، ومن عمه ابى طالب ، وانه لا يقدر على أن يمنعهم (يحميهم) مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : « لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » ويفهم من هذا القول : أن السبب الأساسى لوقوع الاختيار على الحبشة هو ملكها العادل بالاضافة الى أنها أرض صدق •

وكانت العلاقة بين الحبشة وقريش قد موقف أبرهة العدائى من مكة ، لأن الأحباش تحسنت بعد الجفاء الذى نشأ بينهما بسبب بعد طردهم من اليمن على يد الفرس لم يفكروا فى تكرار هذا العمل العدوانى ، كما لم يكن أمامهم الا الاعتماد على أهل مكة كوسيط

(١) السيرة النبوية جـ ١ ص ٣٤٣ •

أضواء على أول هجرة في الإسلام

تجارى ، بسبب عداء الفرس للأحباش وحلفائهم الروم من ناحية (١) ، وانهيار شأن تجار اليمن (٢) من ناحية أخرى • ومن دلائل تحسن هذه العلاقة اكرام النجاشى للمهاجرين المسلمين الى بلاده ، وطمع وفد قريش فى أن يسلم النجاشى لهم هؤلاء المهاجرين لما حاولت قريش الانتقام من المسلمين فيما بعد • ويقول عروة بن الزبير (٣) : « ان أرض الحبشة كانت متجرا لقريش يتجرون فيها ، ويجدون فيها رقاعا (متسعا) من الرزق ، وأمنا ومتجرا حسنا » •• كما تبدى كثير من المصادر العربية معرفة دقيقة بأرض الحبشة ، تشير الى أسماء بعض العرب الذين عقدوا معاهدات تجارية مع ملوكها منذ أقدم العصور ، كما تروى أقاصيص عن تجار عرب حازوا ثقة السكان هناك (٤) وقد تعرف النبى — صلى الله عليه وسلم — صفات النجاشى المعاصر له ، وأهمها : « انه لا يظلم عنده أحد » مما كان يتناقله تجار مكة عنه وقتذاك ، كما أن قصة أهل الأخدود التى وردت فى سورة البروج (٥) قد أعادت الى الأذهان موقف الأحباش بعد غزوهم اليمن حين حرصوا على الدفاع عن المسيحيين من أهلها ضد جبروت الملك الحميرى اليهودى يوسف ذى نواس (٦) ويقول دروزه (٧) : « وسورة البروج هى أول سورة احتوت اشارة الى فتنة المؤمنين والمؤمنات •• وان روح آياتها واكتفائها بالاشارة الخاطفة الى أصحاب الأخدود يلهم ان سامعى القرآن من العرب كانوا يعرفون حادث الاخدود وفتنة الناس به عن دينهم من دون ذنب الا الايمان بالله ، وانه كان يثير فى نفوسهم الامتعاض والنقمة • ولذا أشير اليه فى مطلع السورة تمهيدا وتنديدا بالذين ارتكبوا مثله من زعماء قريش فى حق الذين آمنوا بالنبى فى مكة » •

أما كون الحبشة أرض صدق فيعنى به أهلها كانوا من الكتابيين • ولا شك فى أن النبى

---

(١) احتكر الفرس التجارة الشرقية المارة ببلادهم وبخاصة تجارة الحرير وكانوا يحصلون عليها ضرائب باهظة ، ولم يسمحوا بوصولها الى يد الروم وحلفائهم من الاحباش الا بأثمان غالية جدا ، وهذا ما قوى مركز مكة التجارى لدى الروم وحلفائهم (انظر احمد ابراهيم الشريف : مكة والمدينة ص ١٦٣ — ١٦٤ •

(٢) ادى وقوع اليمن تحت نير الاحتلال الحبشى ثم الفارسى وقيام الخلافات الداخلية فيها الى فقدان قدرة اليمنيين على النهوض بدورهم الذى اضطلعوا به قرونا طويلة فى نقل التجارة العالمية ، حتى تضاءل شان تجار اليمن واكتفوا بالتجارة مع قريش وكان قصاراهم أن يبيعوا بضائعهم لتجار مكة اذا قدموا من الشمال (انظر احمد ابراهيم الشريف : مكة والمدينة ص ١٥٤ — ١٥٦) •

(٣) انظر الطبرى : تاريخ الامم جـ ٢ ص ٣٢٨

(٤) انظر عون الشريف قاسم : دبلوماسية محمد : ص ٧٢ •

(٥) يقال ان هذا الملك اليهودى لم يكتف بالتنكيل بنصارى اليمن على النحو المذكور ، وانما أرسل الى الى ملك الحيرة يطلب اليه ان ينكل بنصارى بلاده مثلما فعل هو بنصارى نجران (جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٢ ص ٤٦٤ ، عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب ص ٥٥ — ٥٦) •

(٦) سيرة الرسول ﷺ ص ٢٣٥ •

(٧) عماد الدين خليل : دراسة فى السيرة ص ٢٧٩ — ٢٨٠ •

ـ صلى الله عليه وسلم كان يرى فى أهل الكتاب الحلفاء الذين يؤيدون ما يقول ، ويؤمنون بالحق الذى يدعو اليه ، فهم الذين وصفهم القرآن الكريم بأنهم : «وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ» ، ولذا وقف عليه السلام منهم منذ البداية موقف المسالم المتحبب فى مكة ، المتحد معهم فى الأهداف والمبادىء المحترم لأنبيائهم وكتبهم • وقد بادله هؤلاء ـ فى الاجمال ـ موقف العطف والتأييد ، وظلوا كذلك الى آخر العهد المكى ، بل ان كثيرا من الكتابيين استجابوا للدعوة الاسلامية واعتنقوها ، ففى سورة الاعراف (آية ١٥٧) نجد أن فريقا من النصارى واليهود فى مكة وجدوا صفات النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مطابقة لما فى أيديهم من أسفار التوراة والانجيل فآمنوا به واتبعوه ونصروه ، فاستحقوا التنويه الذى احتوته الآية المذكورة • ولقد ذكرت روايات السيرة النبوية وكتب التراجم أسماء كثير من الكتابيين الذين اندمجوا فى الدعوة بمكة تحمل طابع الأسماء النصرانية ، كما أن بعض الروايات ذكرت قدوم وفد نصرانى الى مكة بعد البعثة مستطلعا نبأ النبى العربى وأعلن ايمانه (٤) •

وقد نصح النبى ـ صلى الله عليه وسلم المسلمين بالهجرة الى الحبشة دون غيرها من الممالك المسيحية لأسباب كثيرة من أهمها : وجود ملك عادل لا يظلم أحد عنده ، وما علق بأذهان العرب من انتصار الأحباش لأصحاب الأخدود ، ولسهولة الوصول اليها بحرا مقابل نصف دينار للشخص الواحد (١) •• ومساعدة الرياح الموسمية لهذا السفر البحرى فى ظروفه (٢) على عكس بلاد الشام التى كان يحكمها هرقل وقتذاك وهو امبراطور متجبر اضطهد رعاياه من المسيحيين المخالفين له فى المذهب ، بالاضافة الى أن السفر اليها من مكة برا كان يتطلب نفقات كثيرة ومشقة كبيرة •

أما بالنسبة للحيرة فقد كان السفر اليها أيضا شاقا ومكلفا ، فضلا عن أنها كانت عندما بعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قبضة ملوك الفرس الذين كان على رأسهم كسرى ابرويز (٥٩٠ ـ ٦٢٨ م) ولم يكن هذا الرجل منصفا عادلا ، بدليل أن النبى حين أرسل كتبا الى الملوك المعاصرين له فيما بعد يدعوهم الى الاسلام رد معظمهم ردا حسنا مهذبا على عكس ابرويز الذى مزق الكتاب وأظهر البغض للنبى ـ صلى الله عليه وسلم •

أما اليمن فكانت خاضعة أيضا وقتذاك لحكم الفرس ، كما كان التنافس فيها على أشده بين اليهودية والمسيحية ، وهو التنافس الذى تأثر حينذاك بالصراع القائم بين القوتين

---

(١) احمد الشريف : مكة والمدينة ص ٢٧٢ •
(٢) مكة والمدينة ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ •
(٣) سيرة الرسول ص ٢٣٩ •

أضواء على أول هجرة في الاسلام

الكبريين ، اذ آزر الفرس اليهودية هنــاك نكاية فى المسـيحية دين عـدوتها الـدولة البيزنطية ولم يكن يهود اليمن ومسـيحيوها على استعداد فى تلك الظروف ــ لاسـتقبال منافس ثالث يتمثل فى المسـلمين الراغبين فى الهجرة من مكة •

واذا تركنا الممالك المسيحية المذكورة جانبا واتجهنا الى القبائل العربية لنـرى مـدى استعدادها لتلقى المسلمين المهاجرين ، نجد أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم لم يكن ليغامر بارسال المسلمين الى أى منها ، لأن الـوثنية كانت غالبة على معظم هذه القبائل ، ولا يتوقع أن يجد المسلمون لديهم تعاطفا مـع الدعـوة الاسلامية ضد قبيلة قريش الوثنيــة • هـذا فضلا عن أن قريشا كانت مرتبطة مع كثير من هذه القبائل بالمصاهرات والمحالفات أضف الى ذلك أنها كلها كانت تخطب ود قـريش التى كانت تشرف على الكعبة وتقـدم التسهيلات للحجاج من سقاية ورفادة • وكـانت هـذه القبائل تفد سنويا للحج الى مكة وللتجـارة فى أسواقها التى اكتسـبت وقتذاك شـهرة عالمية ، ولذلك فمن الطبيعى أن تسـتجيب لقريش بتسليم المسلمين الخارجين عليهـا اذا مالاذوا بأى منها •

كذلك لم تكن مدن الحجاز مهيـأة فى ذلك الوقت لقبول هجرة المسلمين اليها ، فيثـرب كانت تمزقها الخلافات الداخلية ، ويقـوم الصراع فيها على أشده بين قبائلها ، هذا الى علاقات قريش التجارية المتينة مع بطـونها ، وخيبر كانت مدينة يهودية ، وكـان أهلهـا وقتذاك منصرفين الى مصالحهم راغبين عـن الدخول فى عداء مع القبائل العربية (١) • كما أن الطائف كانت لها علاقة وثيقة بقـريش ، ومن دلائل هذه العلاقة الوطيـدة أن أهلهـا خذلوا النبى ــ صلى الله عليه وسـلم حين هاجر الى الطائف يلتمس النصرة منهم والمنعة بهم من قريش ولم يكتفوا بذلك ، بل طلبـوا منه مغادرة الطائف على الفور ، وحرضـوا غلمانهم وسفاءهم على رميه بالحجـارة حتى سال الدم من قدميه ، وبعثـوا الى قـريش يسـتعدوها على النبى ويعلموها بخبـر هذه الهجرة وأهدافها ، فلم يتمكن من دخوله مكة الا فى جوار المطعم بن عدى • كما أن عروة ابن مسعود الثقفى قدم من الطائف الى مكة على رأس رجال من ثقيف لمؤازرة قريش ضد المسلمين ، وذهب هذا الرجل بنفسـه لمقابلة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالحديبية سنة ٦ هـ فى محاولة لاقناعه بعدم دخول مكة وأداء العمرة فى العام المذكور ــ هذا فضـلا عن أن كثيرا من القرشيين كانوا يستثمرون أموالهم بالطائف ، بدليل أن النبى ــ صـلى الله عليه

---

(١) لما تلا جعفر بن ابى طالب صدرا من سورة مريم أمام النجاشى ، فكـر ثم قـال : « ان هـذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكلة واحدة » (انظر تهذيب ابن هشام ص ٧٦) •

وسلم ـ لما قفل راجعا منها ، مال الى بستان على مشارفها كان مملوكا لعتبة وشيبة الأمويين وهما من أعيان مكة •

يضيف بعض الكتاب عوامل أخرى كان لها أثرها ـ من وجهة نظرهم ـ في اختيار النبى ـ صلى الله عليه وسلم للحبشة بالذات كمهجر للمسلمين وقتذاك • فيقول أحمد الشريف (١) :

ان الرسول صلى الله عليه وسلم توقع أن يلقى المهاجرون ترحيبا من ملك الحبشة أملا في أن يتمكن بمساعدتهم من التدخل في شئون مكة الداخلية ، وبخاصة وأن الحبشة تطمع ومنذ أجيال في فتح مكة بلاد العرب ولها محاولات سابقة في هذا الصدد وفعلا لقى المهاجرون احتفاء وحسن معاملة من النجاشى• كما أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أراد أن يلفت نظر قريش الى أن عدوانها على المسلمين قد يضطرهم الى الالتجاء الى قوة خارجية ربما تتدخل لحمايتهم ، فتتعرض مكة لغزو أجنبى أو تتعرض للأضرار بمصالحها الاقتصادية • ولذلك فان من مصلحتها أن تهادن المسلمين وتوقف عدوانها عليهم • ويقول محمد دروزه (٢) : ان المسلمين ـ عن طريق هجرتهم الى الحبشة بالذات ـ يكسبون حليفا قويا تجمع بينهم وبينه الصلات الدينية، والمشركون يقع في نفوسهم شيء من الخوف والتوجس والجنوح الى الارعواء بسبب توثق الصلة بين المسلمين وهذا الحليف القوى •

على أن السبب في اكرام النجاشى للمسلمين المهاجرين الى الحبشة ورعايته لهم يرجع الى كونه ملكا عادلا بطبيعته من ناحية ، ولأنه رأى في مبادىء الدعوة الاسلامية اتساقا مع مبادىء المسيحية الجوهرية من ناحية أخرى (٣) •• ولا يرجع الى رغبته في الاستعانة بهم على القيام بأية مشروعات استعمارية لمكة أو غيرها من بلاد العرب ، اذ لم يشر أى مصدر ـ على مبلغ علمى ـ بأن الأحباش فكروا في بسط نفوذهم على مكة أو غيرها من جزيرة العرب طوال العهد النبوى ، فهم بعد فشل مشروعهم الحربى لهدم الكعبة وطردهم على يد الفرس بعد ذلك من اليمن لم يفكروا ـ كما يذكر أحمد الشريف نفسه (٤) •

في تكرار هذا العمل العدوانى ، وتحسنت العلاقة بينهم وبين أهل مكة الذين قاموا بدور الوسيط التجارى ، اذ لم يكن بوسع الأحباش أن يتبادلوا التجارة مع الفرس الذين تحكموا في التجارة الشرقية وكانت علاقاتهم سيئة بالروم وحلفائهم الأحباش • وفي أيام البعثة النبوية كانت علاقة مكة مع الحبشة علاقة وطيدة ، وكان تجار قريش على صلة دائمة وعلاقات

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٥٨ ـ ١٥٩ •
(٢) الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢٠٨ •
(٣) بين الحبشة والعرب ص ٧٣ •
(٤) احمد الشريف : مكة والمدينة ص ١٥٧ ـ ١٥٨ •

أضواء على أول هجرة في الإسلام

طيبه مع هذه البلاد وقد ظلت العلاقة الطيبة قائمة بينهما بعد ذلك بمدة طويلة •

كما أن القرآن الكريم أشار فى سورة الفيل المكية الى أن الله تعالى أنزل سخطه على أصحاب الفيل الذين حاولوا العدوان على مكة ، وبسط نفوذهم عليها ، والمقصود بهؤلاء جيش أبرهة الحبشى ، ولذلك لا يعقل أن يرضى المسلمون عن قيام الأحباش بمحاولة مماثلة ناهيك عن مساعدتهم على القيام بها ، ومن الطبيعى أن المسلمين تطلعوا منذ فجر دعوتهم الى أن تكون مكة مدينة اسلامية لا هيمنة فيها الا للاسلام ، ولذلك لا يمكن أن يجول بخاطر النبى ﷺ أن النجاشى سيكرم المهاجرين المسلمين الى بلده من أجل أن يساعدوه على التدخل فى شئون مكة الداخلية وبسط هيمنته عليها ، وانما بنى النبى ﷺ اختياره للحبشة بالذات على أساس أن ملكها — كما سبق ذكره — عادل بطبيعته من ناحية ومسيحى من ناحية أخرى • وقد كان النجاشى عند حسن ظن النبى به ، لأنه أكرم المهاجرين ، كما لم يستجب الى قريش حين بعثت بوفدها اليه فيما بعد يطلب منه تسليم المسلمين المهاجرين للعودة بهم الى مكة ، وذلك على الرغم من الهدايا التى كان يحملها هذا الوفد اليه والى كبار الرجال المحيطين من حوله ، كما لم يأبه بما كان يمكن أن يترتب على موقفه المذكور من آثار على دور مكة كوسيط تجارى تحتاج اليه الحبشة •

وان صح أن النبى ﷺ أراد من توجيه المهاجرين الى الحبشة بالذات أن يدخل فى روع قريش أن المسلمين يمكن أن يؤلبوا الحبشة على معاودة غزوها لمكة ، فان ذلك كان على سبيل المناورة فقط حتى يقع فى نفوس المشركين شىء من الخوف فيجنحوا الى مسالمة المسلمين وعدم ايذائهم • ولكن يبدو أن كلا من الحبشة ومكة وقتذاك كان لا غنى لأحدهما على الآخر، فالحبشة بعد عدائها مع الفرس كانت فى حاجة الى مكة كوسيط تجارى ، كما أنه ليس من مصلحة مكة أن تقطع علاقتها التجارية مع الحبشة ، لأنها لو فعلت ذلك لأضرت بمصالحها ولذلك استمرت العلاقة التجارية بين الطرفين رغم أن النجاشى أكرم المهاجرين وأبى أن يستجيب المطالب وفد قريش بصددهم • كما أن المشركين لم يجنحوا الى كف الأذى عن المسلمين فى مكة على الرغم من توثق الصلة بين النبى ﷺ وملك الحبشة القوى ، بل على العكس أنهم بالغوا فى ايذائهم للمسلمين • يقول ابن سعد (١) « لما بلغ قريشا فعل النجاشى لجعفر بن أبى طالب وأصحابه واكرامه اياهم كبر ذلك عليهم وغضبوا على رسول الله ﷺ وأصحابه ، وأجمعوا على قتل رسول الله ، وكتبوا كتابا على بنى هاشم ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم » •• ومن الثابت تاريخيا أن هذا الايذاء الشديد الذى وقع على المسلمين حملهم فى النهاية على الهجرة من مكة الى يثرب ، فى الوقت الذى كان جعفر بن أبى طالب وفريق من الذين هاجروا معه الى الحبشة لا يزالون يقيمون لدى النجاشى •

يقول عبد المجيد عابدين (١) « ولا شك أنه كان قد تراءى الى المسلمين أن ــ الأحباش قد قاموا بحماية المسيحيين فى اليمن من عدوان اليهود،وأنهم جردوا حملة للقضاء على الوثنية فى الحجاز لهذا آثر المسلمون اللجوء الى بلاد الحبشة لعل الأحباش يستطيعون أن يقوموا بحمايتهم من عبدة الأوثان ومن اليهود كما حموا المسيحية وجردوا على الوثنية حملة من قبل ».

على أن تجريد الأحباش حملة على الحجاز لم يكن بقصد القضاء على الوثنية ، فلو صح ذلك لا متدح القرآن الكريم ما فعلوا ، ولكن سورة الفيل تشير بوضــــوح ــ على النحو السابق ذكره ــ الى أن الله أنزل سخطه على أبرهة الحبشى وجنوده أصحاب الفيل والحق أن الحبشة لما استولت على اليمن « لم تستطع أن تقوم بدور كبير فى التجارة التى أصبح نقلها يتم على أيدى التجار المكيين الذين أصبحوا الوسطاء المسيطرين على قوافل التجــارة الخارجية ، كما كفل لهم قيام البيت الحرام واقرار هدنة الأشهر الحرم وقيام الأسواق فى منطقة مكة المسيطرة عــلى تجارة شــبه الجزيرة العربية الداخلية . وقــد فكر حاكم اليمن الحبشى أبرهة أن ينافس مكة فى هــذه المكانة لعله ينتزع منها السيطرة على التجارة الداخلية فأقام كنيسة فى صنعاء حرص عــلى أن تكون غاية فى الفخــامة والروعــة ليجلب اليها العرب للحج والمتاجرة . ولكن عمله هذا باء بالفشل الذريع ، لأن البيت الحرام كــان محل تعظيم العرب جميعا اذ هو البيت الذى بناه ابراهيم واســماعيل اللذان يرد العــرب أنسابهم اليهما . وقد دعا الفشــل واحتقــار العرب للكنيسة التى أقامها أبرهة الى قيــامه بحملة ضد مكة لتدمير البيت الحرام فتســقط بذلك مكانتها الدينية . ومن ثم تذهب مكانتها بين العرب من ناحية ، وليسيطر على هــذه المحطة التجارية من ناحية أخرى ، وذلك ليتم اتصال الحبشة عبر الطريق البرى بحليفتهــا بيزنطة التى كانت تسيطر على بلاد الشام (٢)

هذا فضــلا على أن المســلمين فى الســنة الخامسة للنبوة لم يكــونوا فى حاجة الى أن تحميهم الحبشة من اليهود . لأ نهؤلاء ــ كما سبق التنويه اليه ــ كانوا من أهل الكتــاب المتعاطفين مع الدعوة الاسلامية ضد الوثنيين. وقد استمر هذا التعاطف طوال العهد المكى ، ولم يحدث التصادم بين المسلمين واليهود الا فى يثرب . وهنــاك لم يحتج المســلمون الى الحماية من اليهود أيضا ، حيث لم يجــدوا صعوبة فى التغلب عليهم .

---

١) بين الحبشة والعرب صـ ٧٣

٢) احمد الشريف : مكة والمدينة صـ ١٥٧/١٥٨

دور السنة النبوية

فى تشكيل اتجاهات الرأى العام

يرى الباحث أنه من الأهمية بمكان ان يعمل الخبراء والباحثون على دراسة كيفية تشكيل اتجاهات الجماهير وان يعكفوا على أستكشاف الطرق التى يتم بها تكوين الرأى العام ٠

والعوامل التى تؤدى الى تكوين الرأى العام كثيرة ومتشابكة ـ ويركز بعض الباحثين على عامل بعينه أو آخر ٠ فمنهم من أكد على عملية الوراثة فى تكوين الرأى العام ٠ ومنهم من أكد على أهمية العوامل الاقتصادية « كماركس » ومنهم من اهتم بالدوافع الجنسية « كفرويد » واهتم آخرون بدور العرق أو الغرائز أو الموقع الجغرافى أو التكنولوجيا ٠ أو غيرها من العوامل ٠

ويحاول البعض الأخر ان يتناول عملية تكوين الرأى العام بصفة كلية شاملة دون التركيز على بعض العوامل المحددة ، وبيان دورها مجتمعة أو منفردة ٠

والواقع أن عملية تكوين الرأى العام من العمليات المعقدة التى تمتد جذورها فى مجالات مختلفة من الوراثة والبيئة فهناك النواحى الجسمية التى تؤثر فى عقلية الفرد وأفكاره والعوامل الوراثية والعوامل النفسية والبيئة ٠٠ الخ ٠

الا أن بعض الباحثين والمفكرين والمهتمين بدراسات الرأى العام ٠ قد اتفقوا على أن الرأى العام يتم تشكيله نتيجة عدة عوامل هى :

١ ـ الاعلام والدعاية ٠
٢ ـ النشأة والبيئة والبيت ٠
٣ ـ نوعية الثقافة ٠
٤ ـ الدين ٠
٥ ـ الزعماء السياسيون ٠
٦ ـ المصلحون الاجتماعيون ٠

للدكتور محيى الدين عبد الحليم

٧ ــ التجارب الماضية للأمــة ٠
٨ ــ حملات الهمس والشائعات ٠
٩ ــ التعليم والتربية ٠
١٠ ــ الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ٠
١١ ــ التوارث الحضارى للأمة بجميع أنواعه ٠
١٢ ــ المشكلات والأحداث اليومية بجميع انواعها ٠

واذا كانت هذه العوامل تؤدى دورا مؤثرا فى تكوين الرأى العام ٠ الا أن هناك عوامل أخرى على درجة عالية من الكفاءة والمقدرة على التأثير ٠ ومن أبرز هذه العوامل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ولها الدور المؤثر فى اتجاهات الرأى العام المسلم ٠

ويتناول البحث دور السنة النبوية فى تشكيل اتجاهات الرأى العام ، وتقدم منه النص التالى :

ترجع أهمية السنة النبوية وقدرتها الكبيرة فى تشكيل الآراء وتكوين الاتجاهات إلى الحقائق التالية :

تأكيد القرآن على مكانة السنة

أولا : أن القرآن يؤكد على مكانة الســــنة ودورها فى تشكيل الاتجاهات وأبرز الحق جل وعلا فى مواضع كثيرة من آيات القرآن الكريم المنزلة والتى وردت أيضا فى سنة رسول الله ﷺ) من أقوال وأفعال فى توجيه الجماهير المسلمة وبالتالى فى تكوين آرائهم بصــــورة تتسق وتتكامل مع ما ورد بكتاب اللـــه لا تختلف أو تتناقض مع ما جاء به أو تخرج عن مضمونه فى كثير أو قليل ٠

ولم تكشف الدراسات والأبحاث العلميـــة الموضوعية التى أجريت فى هذا الصدد عن أى نوع من الخــلافات الظاهرة أو الباطنـــة بين ما تضمنه القرآن الكريم وما جاءت له ســـنة

رسوله صلى الله عليه وسلم .

كما أن القرآن الكريم حث الجماهير المسلمة على اتباع سنة نبيهم والسير على منهاجه يؤكد ذلك قول الحق جل وعلا فى هذا الصدد

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) وفى هذا أمر صريح من الله عز وجل للمسلمين لا يحتمل تأويلا ولا مجال فيه لجدل أو اجتهاد .

وهذه الآية تؤكد أن سنة رسول الله (ﷺ) تمثل رافدا رئيسيا من روافد العلم والادراك للرأى العام المسلم وبالتالى فانها تترك آثارها القوية فى نفوس الجماهير وعقولهم تلك الجماهير المطالبة بالالتزام بكل ما جاء به رسول الاسلام — صلى الله عليه وسلم — والعمل وفقا لما أمرهم به والبعد عن كل مانهاهم عنه .

ومن يخالف هذا الأمر أو يخرج عن هذه القاعدة فانه بذلك يعصى الله وهو ما يحرص كل مسلم على الابتعاد عنه وفى هذا ما يكفى لتشكيل الاتجاهات والتأثير على السلوك الجماهيرى نحو أى موقف والادلاء بأى رأى

نحو أى مسألة . ان الجماهير ستحرص بالضرورة على التعبير عن آرائها موافقة أو رفضا انطلاقا من هذه القاعدة حتى تأتى آراؤها انسجاما مع سنة نبيها طالما هى تحرص على التمسك بهذه السنة والعمل وفق ما جاءت به والالتزام بتعاليمها .

ذلك أن الرسول (ﷺ) كان فى جميع أحواله وفى كل ما يصدر عنه او ينطق به من اقوال او تصرفات يمثل القرآن الذى نزل عليه ويعكس مبادئه وقد عبرت السيدة عائشة رضى الله عنها عن هذه الحقيقة فى كلمتها المأثورة الجامعة المانعة تعبيرا دقيقا حين سئلت عن خلق الرسول (ﷺ) فقالت : « كان خلقه القرآن » .

وهكذا يثبت القرآن حجية السنة فهى مشتقة منه والنبى (ﷺ) هو الناطق بحكمه والمبين لما فيه والمكمل لشرع الله تعالى .

التزام الرسول صلى الله عليه وسلم بأوامر الله بدقة متناهية وأمانة كاملة

لم تأت أوامر الله جل وعلا لجماهير المسلمين بطاعة رسولهم والالتزام بسنته من فراغ ولكن لعلمه جل وعلا بأن رسوله (ﷺ) سوف يلتزم بأوامر ربه متجنبا كل ما نهى عنه

لا يتخلف قط عن التصدى لحمل أمانة الدعوة مهما كلفه ذلك من مشقة وعناء وهو الذى قال لعمه كلمته المشهورة حين حاول أثناءه عن مسئولية الدعوة تحاشيا لنقمة قريش عليه « والله يا عمى لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر

ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

وقد أكد الحق سبحانه وتعالى هذه الحقيقة فى كتابه الكريم حين قال : عن رسوله « **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ**

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ أى أن الله لا يتسامح معه • وهو نبيه المصطفى ـ اذا حاول ادعاء اى قـول من الأقوال او زاده أو أنقصه أو بالغ او ضخم فيه أو افترى على الله الكذب • وهذا يؤكد لنا المنزلة التى تتبوؤها سنة رسول الله (ﷺ) أن نبى الاسلام فى كل خطوة يخطوها او حلمه ينطق بها أو ايماءة أو تلويحــه بيديهـا ملتزم بأوامر الله مبتعد عن نواهيه وهـذا يعنى ان سنته لابد أن تأتى متوافقة تماما لشريعه الحق

منسجمة مع كلماته المقدسة محققـة أغراضـه فالسنة هنا تتضافر فى غرس اتجاهات ذهنيـة ونفسية فى عقول وقلوب الجماهير المسلمة بمـا يترجم مبادىء وتعاليم القرآن •

ومن خلال هذا المنظار ـ منظـار السـنة النبوية ـ ينظر الرأى العام المسلم الى مختلف الأمور ويتعامل مع متغيرات الحياة ، فما يتوافق مع السنة فهو الحق بعينه وما لا يتفق معها فهو الباطل دون شك ـ فالرأى العام المسـلم يثق تماما فى أن محمدا (ﷺ) لن يسير على غير هدى القرآن أو ينهج نهجا يخالف ما تضمنته آية من آياته • وحين تعرف الجماهير المسـلمة هـذه الحقيقة فانها بلا شك ماضـية خلف رسـولها متتبعة آثاره سائرة على هداه عن قناعة ورضا وبالتالى فلن تخالف له رأيا أو تعصى لـه أمرا ولكن آراءه هى آراؤها وتعاليمه هى منطلقها للتفكير والتعبير والسلوك •

كمال النبى صلى الله عليه وسلم فكرًا وقولاً وسلوكًا

تؤكـد الحقائق التاريخيـة الثابتة والعلمية الدقيقة والدينية والراسخة أن رسول الاسلام

صلوات الله وسلامه عليه كان نموذجا فريدا فى صفاء الروح وسمو الأخلاق وعفة اللسان تشهد بذلك الأربعون عاما التى عاشها بين قومه قبل البعثة والتى تشهد بها أعداؤه وأصدقاؤه بأنه رجل جبل على الصـدق والأمانة والصـلاح والاستقامة والايثار والسمو النفسى والروحى وغير ذلك من الخصال الحميدة التى لازمته منذ مولده وحتى وفاته والذى يعجز هـذا البحث عن حصرها فلم يعرف عنه أنه ارتكب فى حياته فاحشة أو أساء معاملة عبد أو نافق سـيدا أو داهن غنيا أو حالف ظالما أو كذب أو خان بل كان الأمين الصادق بغير منازع •

وحين بعثه الله وحمله أمانة الدعوة كان لهـا أهلا وتحمل من عنت القوم وقسوتهم ما ينوء بحمله بشر مثله ومع ذلك صـبر وثابر وكافح حتى حقق فى عشرين عاما من حياته ما عجزت عن تحقيقه جهود المصلحين عـلى مر التاريخ رغم الظروف الصـعبة التى كانت تحيط بـه والفترة الزمنية المحددة التى عاشها نبيا ورسولا والأخطار الهائلة التى تعرض لها ويؤكد القرآن الكريم أن رسول الله ﷺ لا ينطق الا صدقا ولا يتكلم الا وحيا وبالتالى فان كلامه يتسـم

بالكمال وقد أجمل الله تعالى كمال الرسول ﷺ فى كلمات دقيقة حين قال : « **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى** » (سورة النجم الآيات من ١ ــ ٥) وفى هذا ما يكفى الجماهير المسلمة لتعلم أن رسولها ونبيها معصوم من كل خطأ ، محاط برعاية ربه وعنايته ، فكل ما يصدر عنه محكوم بوحى من الله فلا كلمة ينطقها ولا عمل يؤديه ولاشاردة ولا واردة الا لحمكة أرادها الله .

وحين يعرف المسلمون ذلك يزدادون تمسكا بسنة نبيهم وتشبثا بآرائه وكلما زاد ايمانهم زاد يقينهم بذلك ، ينظرون الى ما يعرض عليهم وما يتعرضون له فى حياتهم من هذا المنظار فما ينسجم معه فهو صحيح وما يتناقض معه فهو خطأ . تتكون آراؤهم وتتشكل اتجاهاتهم وتصطبغ حياتهم وفق ذلك ، وتتكون الصور الذهنية فى رؤوسهم وفقا لما قال أو نصح رسول الله وبالتالى تترسخ لديهم اتجاهات معينة حول القضايا التى تواجههم بما يتلاءم وسنة النبى ــ ﷺ ــ ويظهر الرأى العام المسلم معبرا عن هذه الاتجاهات ومترجما لها بعد اقتناعه بأنها متماثلة مع آراء نبيهم الذى اسبغ الله عليه نعمة الكمال .

سنة الرسول مكملة لآيات الله ومفسرة وشارحة

جاءت سنة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مكملة لايات الله مفسرة لها شارحة لمعانيها تؤدى الأحاديث النبوية دورا كبيرا فى تفسير المعانى التى وردت فى القرآن الكريم وقد جعلها العلماء فى المرتبة الثانية بعد القرآن ويؤكد أحمد أمين المكانة البارزة ــ التى تحتلها السنة النبوية التى تتلو مكانة القرآن الكريم اذا أدركنا أنها جاءت مجملة أو مطلقة أو عامة ولا يختلف عامة المسلمين وخاصتهم فى أن السنة هى المفصلة لمجمل القرآن والمبينة لما يحتاج الى بيان فهى التى تخصص علمه وتبسط ما فيه من ايجاز قال تعالى : « **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** » (النحل آية ٤٤) .

فالقرآن الكريم لم يبين على سبيل المثال تفاصيل الصلاة التى أمر الله بها مجملة فلم يذكر عدد الصلوات وكيفيتها وأوقاتها فجاءت السنه المحمدية فوضحت كل ذلك ، وكذلك لم يبين القرآن لنا متى تجب الزكاة ولم يحدد نصابها ولا مقدار ما يخرج منها وفى أى شىء تجب وعلى من تجب فجاءت السنة فبينت كل ذلك . وفى السرقة قال تعالى : « **وَالسَّارِقُ**

وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » ولم يبين لنا ما السرقةوما النصاب الذى يجب الحد فيه وما المراد بالأيدى ومن أى موضع يكون القطع فجاءت السنة المحمدية فحددت كل ذلك وحين حرم القرآن الخمر جاء الحديث الشريف فبين ما المراد بالخمر وأى المقادير يحرم شربه ونحو ذلك .

كذلك حدثت حوادث وخصومات قضى فيها النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالحديث لا بالقرآن فكان قضاؤه فى ذلك تشريعا ، فكل ما قاله النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو فَعَلَهُ أو حَدَثَ أمامه واستحسنه كان تشريعا ومتى ثبت ذلك عن رسول الله كان من القوة بمنزلة القرآن : الا انه قل أن يثبت ثبوتا لا يحتمل الشك وكان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يجتهد برأيه حيث لا يكون وحى ، وانه كان احيانا يخطىء فى رأيه بدليل أنه قد عوتب على سبيل المثال فى أسرى بدر حين قال الله تعالى : « مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ » (الانفال آية ٦٧)وكان قد أشار عليه عمر بقتلهم ولو كان حكمبمقتضى الوحى ما عوقب،وباستعراض سنة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ سنجد أنه قد وردت أحاديث الاحكام كثيرة فى كل الانواع التى ورد فيها القرآن الكريم وقد عنى العلماء بجمعها وترتيبها ترتيبا فقهيا ومعنى هذا أنه لولا السنة النبوية لترتب خطر عظيم على التشريع منه على سبيل المثال الا تفهم الصلاة والزكاة والحج وغيرها من الفرائض المجملة فى القرآن التى تولتها السنة بالبيان الا على القدر اللغوى منها ، فيفرض من الصلاة فى اليوم ركعتين بزعم (ما لم يكن فى كتاب لله فليس على فرضه) وبهذا تسقط الصلاة والزكاة التى تتواتر لدى السلف الصالح فرضها حتى أصبح العلم بها من ضرورات العلم بالدين .

ولأحاديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أهمية كبرى فى فهم معانى القرآن والكشف عن الأحكام المنطويةفىنصوصه العامةوقواعده الكلية ، والارشاد الى الكثير منها ، ولولاه لبقى مجهولا لنا خافيا علينا . ان عدد آيات القرآن الكريم يبلغ ست آلاف ويصل عدد الآيات المتعلقة منها بالاحكام نحو مائتى آية فى حين أن مجموع أحاديث الاحكام يبلغ نحو أربعة آلاف حديث والحديث يبين أحكام القرآن من تفصيل المجمل وتوضيح المشكل وتخصيص العام وتقييد المطلق (١) .

فالقرآن الكريم على الرغم من قداسته ومكانته الكبيرة فى نفوس الجماهير الا أن دوره فى تشكيل الاراء يقتصر على الأمور المجملة أما السنة فسوف تحدد لهذه الجماهير بصورة شاملة القنوات التى سيلتزمون بالسير فيها . ومن هنا يأتى اسهامها الفعال فى تكوين الاتجاهات بصورة تفصيلية .

١ ــ عفيفى عبد الفتاح طبارة :
روح الدين الاسلامى ، ص ١٦ بيروت
دار العلم للملايين ، ١٩٧٧ ،ص ٩ ، ٤٠ ، ٤٨ .

أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم شعارات لثورة الإسلام

يعتبر الدكتور عبد اللطيف حمزه — ونحن نتفق معه فى ذلك أن كل حديث من أحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — كان بمثابة شعار لثورة الاسلام • ووظيفة الشعار فى كل ثورة هو تلخيص العمل الذى جاءت من أجله هذه الثورة ونشر الأفكار التى نادت بها ، وعليها يعتمد الزعماء فى اذكاء شعور الجماهير وفى اقناعهم بالدعوة الجديدة ، وتحوى كتب الاحاديث الاصليه كل ما يسعى المسلم لمعرفته ويرغب فى التزود به وهو مالا نستطيع حصره•

وفى الحقيقة أن الحديث النبوى يحمل قيمة أو معنى فى كلمات دقيقه بسيطة شامله جامعة مانعة تعبر عن العرض المتصور بوضوح كامل من غير لبس او غموض او خروج عن المعنى وقد عبر الرسول — صلى الله عليه وسلم — عن هذه الحقيقة فى حديثه عن نفسه الدى قال فيه (أوتيت جوامع الكلم)،(انا أفصح العرب بيد أنى من قريش) •

فاذا كانت الحرب والعداوة والانتقام والثأر هى السمة السائدة بين العرب ثم ياتيهم الرسول بقيمه جديدة حاملا شعار السلام والمحبه والالفه عاملا على الحفاظ على وشائج القربى بين الجماهير فى حديثه الذى قال فيه :

« يايها الناس افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » (١) •

فان هذا الحديث يصوغ بذلك ثورة الاسلام على البغضاء والكراهية ويرسخ معنى جديدا ينعكس بعد ذلك على آراء الجماهير وسلوكهم نحو هذا المعنى الذى جاء به •

وحين حمل شعار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجعله فريضة من الفرائض الاسلامية مشددا النكير على من يتخاذل أو يتقاعس عن أداء هذه الفريضة فى حديثه الذى قال فيه (والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم) •

فانه بذلك يرسخ مفهوما اسلاميا ويزرع اتجاها جديدا ويحمل الجماهير المسلمة مسئولية درء الشر مهما بلغت قوته وزرع الخير مهما كانت التضحيات ، وهو خط ثابت رسخه الرسول — صلى الله عليه وسلم — لهذه الجماهير عليها الا تتقدم أو تتأخر عن هذا الخط أبدا حرصا على ارضاء ربها وعلى تنفيذ تعاليم دينها وكلما تفهمت الجماهير هذه الحقيقة كلما أخذت على عاتقها أداء هذا الواجب وفق هذا المفهوم •

---

١ — رياض وصالحين :
ص ٣٤٤ •

السنة النبوية تحدد أسلوب الدعوة إلى الله وتضع القواعد العملية للإعلام عن الإسلام

اذا كانت سنة رسول الاسلام ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد اشتملت على العديد من الأمور التى تهم الجماهير المسلمة وان تناولها لمنهج رسول الله فى حقل الدعوة قد اشتمل على استراتيجية اعلامية شاملة فى هذا المجال ذلك أن المهمة الاعلامية تأتى على رأس المهام التى حملها محمد بن عبد الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على عاتقه وحقق بها انجازات شهد له بها العلماء والمفكرون فى هذا الصدد وأكدتها دائرة المعارف البريطانية بقولها :

« ولقد أنجز الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى عشرين عاما من حياته ما عجزت عن انجازه قرون من جهود المصلحين اليهود والنصارى على الرغم من السلطة الدينية التى كانت تساعد جهودهم وعلى الرغم من أنه كان أمام الرسول تراث أجيال من الوثنية والجهل والخرافات واضطهاد الضعفاء وكثرة الحروب بين القبائل ومئات من الشرور الاخرى (١)» .

ولم يحقق الرسول كل هذه الأهداف فى هذا الزمن القياسى الا من خلال المهمة التى أوكله الله اياها والحياه الاعلاميه الحافله التى عاشها وحقق فى غضونها منجزات هائله فى حقل الدعوه الاسلاميه وتحقيقا للمهمه التى كلفه بها ربه وهى مهمه اعلاميه بالدرجة الاولى (٢) .

ولا يخفى ما للرسالة الاعلامية الاسلامية من تاثير فعال فى تشكيل الاتجاهات وتكوين الآراء لدى الجماهير المسلمة ، ذلك ان الرسالة تنفذ الى عقول هذه الجماهير ونفوسهم دون ما عوامل وسيطة تحول بين هذه الرساله وقوة تأثيرها بخلاف الرساله الاعلامية التى تحوى مضمونا اقتصاديا أو سياسيا عاما والتى تجعل الانسان يكيف تفكيره بما يمكنه من أن يرفض للحياة بل قد لا يعرض الانسان تفكيره لهذه المعلومات التى تتضمنها اذا لم تتفق مع نظرته للحياة بل قد لا يعرض الانسان تفكيره لهذه الرسالة ابتداء . وقد يدركها ويفهمها بالصورة التى تتفق مع نظرته للحياة فيما نسميه بالادراك الانتقائى .

فى حين أن الرسالة الاعلامية الاسلامية يكيف بها المسلم تفكيره وينظم مدركاته وفق ما جاءت به هذه الرسالة .

من هذا المنطلق تأتى قوة تأثير أقوال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأفعاله لتشكل آراء واتجاهات الجماهير المسلمة بالصورة التى وردت فيها . الا اذا أسيء أو حرف من هذه الاحاديث شيء .

---

١ ــ حافظ محمود : الاعلام العربى والاعلام الصهيونى .
القاهرة . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٣ ص ٥١ .

٢ ــ محيى الدين عبد الحليم : الاعلام الاسلامى وتطبيقاته العملية ط ٢ .
القاهرة . مكتبة الخانجى ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٨ .

السنة النبوية
ومكانتها فى الشريعة الإسلامية

فى هذا البحث يحاول المؤلف أن يبين مدى ارتباط السنة النبوية ومكانتها بالشريعة الاسلامية ، مارا بمحاولات الاعداء للنيـــل من الاسلام عن طريق التشكيك فى السنة النبوية وبخاصة لأنها مبينـــة ومفصلة ومكملة لتلك الشريعة •

ثم يقف المؤلف وقفة يبين من خلالها محاولات اعداء الاسلام محاربة السنة النبوية بقصد اضعاف الثقة بها فى نفوس المؤمنين ، فيذكر لنا المؤلف محـــاولات بعض المستشرقين من أمثال جولد زيهر وبروخمان ومن سلك مسلكهما من العرب سواء بحسن نية او بسوئها ويقول المؤلف ان هؤلاء وجهوا سهامهم بوجه خـــاص لابى هريرة ظنا منهم انهم بهذا يكونون قد قضوا على قسم كبير من الشريعـــة الاسلامية بالتشكيك فى مسنده •

كما عرض المؤلف لمحاولاتهم لانشاء فرق كفرقه « القرانيين » اى الــذين يعتمدون على القران وحده ، على غرار فرقة اليهود « القرائين » التى تعتمد على التوراة وحدها •

ولكون هذا الاتجاه الفاسد ليس حديثا ، فقد أورد الكاتب كتابا للامـــــام الشافعى « الأم » فى الرد على طوائف فى عهده كان بعضها لايعترف بالسنة كلها •

وبشىء من التفصيل يتعرض الكاتب (المؤلف) للرد على هؤلاء مبينــــا أن العلماء قد وضعوا مقاييس دقيقة لتمييز الاحاديث الصحيحة من غيرها ، كـــذلك هذا ، ولا تعد السنة أصـــلا من أصـــول الاسلام الا اذا تعلقت بأمر من أمور الدين ، أمـــا اذا تعلقت بـــأمر مـــن أمـــور الدنيـــا فان الرســـول ـــ صـــلى الله عليـــه وســـلم يتحدث فيه برأيه لا بوحى من الله عز وجـــل ، وقد صرح الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك فى حديث « تأبير النخل » ، فقد أخرج مسلم فى صحيحه عن رافع بن خديج رضى الله عنـــه

للدكتور على عبد الواحد وافى

حددوا مقاييس الرواة من عدالة وضبط .

ـ بعد أن يخلص المؤلف من عرض علماء الحديث فى وضعهم للمقاييس وتنقيتهم للأحاديث ومدى حرصهم وتشددهم فى قبول أى حـديث ، ينتهى الى فساد ما اعتمد عليه أعداء السنة .

وفى الجزء الثانى من البحث يجيب المؤلف على سؤال هام هو : متى تكـون السنة أصلا من أصول الشريعة الاسـلامية ؟؟ .

بمعنى هل كل مايتحدث به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم يعد من أصول الشريعـة ؟؟

يقول الباحث : هذا لا يكون الا اذا تعلقت السنة بأمور الدين ، أما اذا تعلقت بأمور الدنيا فان الرسول يتحدث فى الامر برأيه لابوحى من الله عز وجل ويستشهد المؤلف بحديث « تأبير النخل » ، لتأكيد وجهة نظره ومن خـلال حديث المـؤلف واجابته يفرق بين أمور الدين وأمور الدنيا وفى معرض الحديث عن بشرية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول المؤلف ان المسلمين كانوا فى أشد الحاجة الـى طريق عملى كهذا (يقصد تأبير النخل) لتأكيد بشريته ، وحتى لايذهبوا فى شأنه الى ما ذهب اليه النصارى فى نبيهم .

ونقـدم للقارىء من البحث اجابة الباحث عن هذا السؤال :

قال : «قدم المدينة رسول الله ـ صلى اللـه عليـه وسـلم ـ وهم يأبـرون النخل (أى وأهلها يأبرون النخل ، وأبر الزرع والنخـل يأبره بضم الباء وكسرها أبرا وابارا لقحـه وأصلحه ، وأبره بالتشديد مبالغة ، أى يلقحون أعذاق اناث النخل بطلع ذكورها) ، فقال عليه

السنة النبوية ومكانتها في الشريعة الإسلامية

السلام : ما تصنعون ؟ فقالوا : شيئا كنا نصنعه في الجاهلية ، فقال لعلكم لو لم تصنعوه لكان خيرا ، فتركوه ، فنفضت النخل (يقال نفضت النخلة حملها اذا ألقته من آفة بها • والمعنى نفضت زهرها بدون أن يستحيل بلحا ، فلم تثمر) ، فذكر له ذلك (أى بلغه هذا الخبر) • فقال : انما أنا بشر • اذا أخبرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، واذا أخبرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر » • وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها : « اذا أخبرتكم بشيء من أمر دينكم فانما هو بوحي ، واذا أخبرتكم بشيء من أمر دنياكم ، فانما أنا بشر ، وأنتم أعلم بأمور دنياكم » • ورواه موسى بن طلحة عن أبيه مرفوعا بهذا النص : « ان كان ذلك ينفعهم فليصنعوه ، فانما ظننت ظنا : فلا تؤاخذوني بالظن • ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به ، فاني لا أكذب على الله » •

وتفسير ذلك ، بحسب ما يظهر في بادىء الرأى ، أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما هاجر من مكة ، وهو بواد غير ذي زرع ولا نخيل ، الى المدينة وهي بلد ذات زرع ونخيل وشجر وبساتين ، وجد أهلها يلقحون اناث النخيل بطلع ذكورها • ولعله لنشأته بمكة لم يكن قد رأى ذلك من قبل ، ولم يكن يعرف علته ، فسألهم عما يحملهم على هذا العمل وعن أغراضه • فلم يشرحوا له الحقيقة العلمية أو التجريبية التي يقوم عليها ، وهي أن زهر أنثى النخل لا يثمر الا اذا لقح بطلع ذكر النخل (وشجرة أنثى النخيل مستقلة عن شجرة الذكر ، فلابد في الغالب لكي تلقح من تدخل العمل الانساني) • واكتفوا بأن قالوا ما معناه ان هذا العمل قد وجدنا عليه آباءنا فسرنا عليه • ولعلهم قد اختاروا هذا النهج في الاجابة ليتركوا للرسول عليه الصلاة والسلام الحرية في تقرير ما يراه ، وحتى لا يظهروا بمظهر المتمسك برأى أو المتعصب لعمل فظن الرسول عليه الصلاة والسلام أن عملهم هذا ليس مبنيا على أساس علمي ولا تجريبي ولا يستهدف أية غاية ، وأنه ضرب من العبث وينطوى على اسراف في الوقت والمجهود وبذل لهما فيما لا يجدى ، وأنه مجرد اتباع لما ألفوا عليه آباءهم • فقال « لعلكم لو لم تصنعوه لكان خيرا » • فظنوا أن هذا توجيه لهم الى الطريق الأمثل ، وهم كانوا من أشد الناس امتثالا لأوامر الرسول — صلى الله عليه وسلم — وتوجيهاته • أو لعلهم ظنوا أنه ستحدث معجزة للرسول عليه الصلاة والسلام فتثمر نخلهم بدون تلقيح ، فتركوا التلقيح ، فألقت نخيلهم التي لم تؤبر براعمها قبل أن تتفتح وتستحيل بلحا ، وكان لابد أن يحدث هذا لعدم تلقيحها بطلع الذكور ، فأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام بما حدث ، فقال لمن أخبروه بذلك أن ما أتحدث عنه من أمور الدنيا فانما أتحدث فيه برأيي ومبلغ خبرتي وتجاربي ، وقد تكونون أعلم مني بأمور دنياكم ، وقد يكون لكم في أمر ما من هذه الأمور خبرات وتجارب لم يتح مثلها لمثلي ، ومن هذا القبيل ماحدثتكم عنه في صدد تأبير

النخل ، ولكن اذا أخبرتكم بشيء من أمـور دينكم فانني لا أنطق فيه عن هوى ولا عـن رأى ، وانما هو وحى يوحى الى ، فلا يسعكم الا الايمـان به وامتثال أوامره واجتنـاب نواهيه .

ويستفاد من ذلك أن ليس كل ما يتحـدث عنه الرسول عليه الصلاة والسلام يكون بوحى من السماء ويكون من صحيح رسالته ، وأنه لا يكون كذلك الا اذا اتصل بأمر من الأمـور التى سماها أمور الدين .

لا شك أن فمقدمة أمور الـدين جميـع ما يتعلق بشئون العقائد السمعيات والعبادات كذات الله وصفاته والرسـل والأنبيـاء والملائكة والجن والبعث والنشور والحساب والجنة والنار والصلاة والزكاة والصـوم والحج .. وهلم جرا ، فجميع ما تحدث بـه الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بهذه الشئون انما تحدث عنه بوحى من السـماء ، لأنه من صميم الدين من جهة ، ولأنه لا مجال فيه للرأى من جهة أخرى . ولا شك كذلك أن من أهم أمور الدين جميع ما يتصـل بتنظيم العلاقات التى تربط الأفراد بعضـهم ببعض وتربط الجماعات بعضـها ببعض . فـان الاسلام لم يجىء لتصحيح عقـائد النـاس وتوثيق العلاقات التى تربطهم بربهم فحسب ، وانما جاء ذلك لتنظيم العلاقات التى تربطهم بعضهم ببعض ، بل ان هذه الأمور التى يطلق عليها اسم « الشريعة » فى مقابل ما يطلـق عليه اسم « العقيدة » هى من لب الدين ومن أهم الأغراض التى يرسل من أجلها الرسل ، فمع أنها أمور انسانية تتصـل بشـئون الجماعات والأفراد فى الحياة الدنيا ، فـان الدين يشرف على تنظيمها ويضع ما ينبغى أن تسير عليه من منـاهج . وذلك كالأحكـام الخاصة بالمعاملات الاقتصـادية وشـئون السياسة والأسرة والقضـاء والحـدود والعقوبات والتعزير والأخلاق .. وهلم جراء فجميع ما تحدث به الرسـول عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بهذه الشئون انما تحدث عنه بوحى من السماء ولتبليغ رسالة الله الى الناس ، وأحكامه فى هذه الشئون أحكام قطعية دائمة ، جعلها الشارع جل وعلا صالحة لكـل زمان ومكان ، فلا يجوز للبشر النظر فى تعديلها ولا فى استبدال أحكام أخرى بها ، وان كـان يجوز لهم القياس عليها والاجتهاد فى نطاقها فيما لم يرد بشأنه نص صريح من الشارع .

ذلك من الأمور التى يشترطها العلماء لجـواز الاجتهاد فى شئون الدين .

وأما نغمة التحرر من الاحكام التى جاءت بها السنة النبوية الشريفة فى بعض المعاملات بمقولة أنها من أمـور الدنيـا التى يجوز لنا استحداث أحكام وضعية بشأنها وأن أحكامها قد وضعت لعصور غير عصورنا ، وهى النغمة التى أخذ يرددها بعض الشـيوخ فى العصر الحاضر ، زاعمـا أن العبـارة التى وردت فى الحـديث الـذى نحـن بصـدده وهى قـوله عليـه السـلام : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » تبرر ما يذهب اليه ، أقـول أن هذه النغمة نغمة آثمة هدامة مبدلة لكلام الله ، قد سار أصحابها فى اتجاه المبشرين ومن اليهم ممن يكيدون للاسـلام ، ويـودون لو يصدون أهله عن تعاليمه .

حفظ السُنة النبوية

مقـــدمة

بين فضيلة الدكتور فى هذا البحث أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ السنة النبوية الشريفة واستدل على ذلك بدليلين :
الاول : أن الله تعالى أخبر بأن السنة مبينة للقرآن الكريم فى

قوله تعالى :

« وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ » •

والدليل الثانى : قوله تعالى « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ • فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ • ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » •

ثم بين فضيلة الدكتور أن هناك حوافز لحفظ السنة كما أن هناك حواجز هيأها الله لحماية السنة والدفاع عنها •

فمن ذلك قول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين » •

وقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها وأداها فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه » •

وقوله عليه الصلاة والسلام (اللهم أرحم خلفائى) قيل : ومن خلفاؤك يا رسول الله •

قال : الذين يروون أحاديثى ويعلمونها للناس •

وعن الحواجز التى هيأها الله لحماية السنة والدفاع عنها يقول فضيلته : انها تتمثل فى تغليظ الكذب على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ والتحذير من ذلك ، ماروى مسلم فى صحيحه بسنده عن المغيرة رضى الله عنه قال : سمعت

للدكتور محمد السيد ندا

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن كذبا على ليس ككذب على أحد فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

وحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

ومن الحواجز القوية التى وضعها الاسلام لحماية السنة مما ليس منها رد رواية الفاسق ، والتحذير من قبول روايته ويدل على ذلك قول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُم نَادِمِينَ » .

وقوله تعالى : (وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ) وقوله تعالى (مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ) .

وقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم (يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بمالم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لايضلونكم) .

وقوله عليه الصلاة والسلام « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع » .

ولقد أوضح فضيلة الدكتور فى هذا البحث الكثير ولضيق مكان النشر ولطول البحث نذكر منه بعض الفقرات ليعرف القارىء شيئا عن حفظ السنة النبوية وليعلم أن السنة النبوية ظلت محل عناية المسلمين واهتمامهم حتى وصلت الينا بحمد الله سالمة نقية برغم أنف الحاقدين وكيد الماكرين ، واليكم من البحث بعض ما أشرنا :

الحوافز على حفظ السنة

ويمكن تلخيص الحوافز التى هيأها الله لهم لتدفعهم الى تحصيلها والقيام بنشرها فيما يلى : ــ

١ ــ ادراكهم أن الاسلام سبيل سعادتهم، وشعورهم بالحاجة الى معرفة السنة وحرصهم عليها لتصحيح عبادتهم والوقوف على أمور دينهم الذى هو سبب سعادتهم فى دنياهم وآخرتهم .

٢ ــ فرط حبهم لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم لدرجة انه فاق حبهم له حبهم لآبائهم وأولادهم بل وأنفسهم تصديقا لقوله

عليه الصلاة والسلام (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين) .

فان هذا الحب كان يدفعهم الى التردد على مجلسه حال حياته لمطالعة أنواره والاستماع بعذب حديثه . وترديد ما يسمع منه والتغنى بذكره :

فمن أحب شيئا أكثر من ذكره .

كما كان هذا الحب يدفعهم الى تتبع أخباره . وتقصى أحواله عند تعذر اللقاء به لسفر ونحوه فى حال حياته . أو لتوديعه الدنيا وانتقاله الى الرفيق الأعلى بعد مماته اذ لا سبيل الى تخفيف لوعة الحب فى هذه الحالة الا باستنشاق أخباره واستقصاء أحواله ، وتشنيف المسامع بعذب حديثه ولله در من قال :

حدث وشنف بالحديث مسامعى
فحديث من أهوى حلى مسامعى
لله ما أحلى مكرره الذى
يحلو ويعذب فى مذاق السامع
بسماعه نلت الذى أملته
وبلغت كل مطالبى ومطامعى

ولا عجب أن يبلغ حبهم لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — هذا الحد فانه سبب سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، وهاديهم الى ما فيه خيرهم وصلاحهم فى دينهم ودنياهم

قال الله تعالى : (قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) وقال تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)

حواجز حماية السنة

أما الحواجز التى هيأها الله لحماية السنة والدفاع عنها فتتمثل فيما يلى :

١ — تغليظ الكذب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والتحذير من ذلك :

روى مسلم فى صحيحه بسنده الى المغيرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : (ان كذبا على ليس ككذب على أحد : فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) قال النووى فى هذا الحديث : انه حديث عظيم فى نهاية الصحة . وقيل : انه متواتر وذكر أبو بكر البزار فى مسنده أنه رواه عن النبى — صلى الله عليه وسلم نحو أربعين صحابيا وحكى الامام الصيرفى فى شرحه لرسالة الشافعى رحمهما الله تعالى أنه روى هذا الحديث أكثر من ستين صحابيا . وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن منده عدد من رواه فبلغ سبعة وثمانين . وذكر بعض الحفاظ أنه روى عن اثنين وستين صحابيا وفيهم العشرة المشهود لهم بالجنة قال : ولا يعرف حديث اجتمع على روايته العشرة الا هذا . ولا حديث يروى عن أكثر من ستين

صحابيا الا هذا ، بل قال بعض العلماء : رواه مائتان من الصحابة • ثم لم يزل فى ازدياد ، وقد اتفق البخارى ومسلم على اخراجه فى صحيحهما ، ثم قال النووى بعد أن ساق كلام العلماء فى درجة هذا الحديث وعدد رواته وبعد أن شرح بعض مفرداته : (انه يشتمل على فوائد وجمل من القواعد منها : تعظيم تحريم الكذب عليه — صلى الله عليه وسلم — وأنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ، ولكن لا يكفر بهذا الكذب الا أن يستحله ، هذا هو المشهور فى ذلك من مذاهب العلماء)

والمقصود من هذا أن تغليظ الكذب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم وتشديد عقوبته فى مقدمة العوامل التى كانت تدفع المسلمين الى تحرى الصدق فى رواية الحديث وتحاشى الكذب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خوفا من الوقوع فى هذا الوعيد

ولذا كانوا يجتهدون فى حفظ الحديث وضبط ألفاظه • ولا يقدمون على روايتها الا اذا كانوا متأكدين من صحة مايقولون ، وكان كثير منهم يتحاشى كثرة الرواية خوفا من ذلك ،

وقد قرر كثير من العلماء أن من كذب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عمدا فى حديث واحد فسق وردت رواياته كلها وبطل الاحتجاج بها جميعها حتى لو تاب وحسنت توبته•لا فرق فى ذلك بين ما يتعلق منها بالأحكام ومالا يتعلق بها كالترغيب والترهيب والمواعظ •

٢ — رد رواية الفاسق والتحذير من قبول روايته يدل على ذلك قول الله تعالى :

(يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) فهذا المبدأ الاسلامى من الحواجز القوية التى وضعها الاسلام لحماية السنة مما ليس منها اذ المراد بالنبأ الخبر ، وهو نكرة فى سياق الشرط فيعم كل خبر سواء أخبر به عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أو عن غيره ، بل يدخل فيه ، الخبر المتعلق برسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل الخبر المتعلق بغيره لما يترتب على الكذب عليه — صلى الله عليه وسلم — من المفاسد وطمس معالم الاسلام ، ولذا كان

الكذب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم من أفحش الذنوب وأعظمها جرما وأشدها عقابا كما سبق ومما جاء فى التحذير من قبول رواية الفاسق قول النبى — صلى الله عليه وسلم : : (من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) •

٣ — اشتراط العدالة فى الرواية لقول الله تعالى : (وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنكُمْ) •• وقوله : (مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ)

وهذا وان كان واردا فى الشهادة فانه يشمل الرواية من باب أولى لأن الرواية فيها شهادة وزيادة ، لأنها تتضمن شيئين • الشهادة بأن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال كذا ، أو فعل كذا وأخبار الناس بذلك ونشره فيما بينهم ، هذا الى جانب ما للخبر عنه من الأهمية •

السُّنَّةُ المحمدِيّة

كتابتها وتدوينها وتصنيفها

يحتوى البحث على النقاط التالية :

١ ــ المقــدمة •
٢ ــ الفرق بين الكتابة والتدوين والتصنيف •
٣ ــ مرحلة الكتابة •
٤ ــ الكتابة بين النهى عنها واباحتها فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين •
٥ ــ الجمع بين القائلين بالنهى عنها واباحتها •
٦ ــ مرحلتا التدويين والتصنيف •
٧ ــ أوائل المدونين •
٨ ــ سمة التدوين والتصنيف •
٩ ــ السنة فى القرن الثالث الهجرى •

ذكر فضيلة الدكتور فى هذا البحث أن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ أصول ديننا الاسلامى من كتاب ومن سنة ، وذلك فى قوله سبحانه «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» •

فهيأ سبحانه للقرآن الكريم كل أسباب الحفظ والسلامة ، وكذلك هيأ للسنة كل أسباب الحفظ والبقاء ، بيد أن أعداء الاسلام يحاولون التشكيك فى ثبوت السنة من جهة كتابتها فيدعون ــ زورا ــ أنها لم تكتب الا فى نهاية المائة الاولى من الهجرة •

ثم ذكر الباحث الفرق بين الكتابة والتدوين :

للدكتور

عبدالمهدي بن عبدالقادر بن عبدالهادي

وفهم المعاصرون ــ العامة وبعض الخاصـــة ــ خطأ أن التدوين هو الكتابة وعليه فان السنة ــ كما فهم المعاصرون من كلام السابقين ــ ظلت محفوظـــة فى الصدور لم تكتب الا فى نهاية القرن الأول الهجـرى فى عهد الخليفـة عمر بن عبد العـــزيز .

ولذا يقول الجزائرى : ولما توفى النبى عليه الصلاة والسلام بادر الصحابة الى جمع ماكتب فى عهده فى موضع واحد وسموا ذلك المصحف ، واقتصروا عـلى ذلك ولم يتجاوزوه الى كتابة الحديث وجمعه فى موضوع واحد كما فعلوا بالقرآن ، ولكن صرفوا هممهم الى نشره بطريق الرواية .

كما نذكر تعريفا موجزا للكتابة والتدوين والتصنيف :

١ ــ الكتـــابة :

قالوا فى اللسان « كتب الشىء يكتبه كتبا وكتابا وكتابة وكتبه خطه » فكتابة الشىء خطه .

٢ ــ التـــدوين :

قال فى اللسان « والديوان مجتمع الصحف » وقال فى تاج العروس « وقـد دونه تدوينا جمعه وعليه فالتدوين هو جمع الصحف المشتتة فى ديوان ليحفظها » .

٣ ــ التصنيف :

قال فى اللسان : والتصنيف : تمييز الاشياء بعضها من بعض ، وصنف الشىء ميـز بعضـه من بعض ، وتصنيف الشىء جعله أصـنافا » واليـكم من البحث الفصول التالية :

السنة المحمدية

مرحلة الكتابة

امتثالا لقول الله عز وجل : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ » (١) .

وقوله تعالى : « مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » (٢) .

وقوله تعالى : « وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ » (٣) .

حرص الصحابة على السنة كل الحرص فحفظوها وما غابوا عنه سألوا من حضره ، وبكل ما علموا عملوا . لكن لما كان الذهن قد يغفل والذاكرة قد تعيى ، اتجهوا الى كتابة السنة فى صحف ، فلما اطلع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنكره وأمرهم أن يمحوا كل ما كتبوا « من كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه » (٤) .

وذلك حرص منه ـ صلى الله عليه وسلم على القرآن المصدر الأول للشريعة ، والذى يختلف عن السنة فى كونه لا تجوز روايته بالمعنى ، فعمل على أن تتوافر الجهود لكتابة القرآن وحده ، أما السنة فعلى الأذهان أن تتحرك لتحفظها ولا خوف عليها فالرسول بينهم موجود ، ولفظها غير متعبد بتلاوته ، وغير معجز ، وتجوز روايته بالمعنى .

وفى نهيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن كتابة السنة أمان من اختلاط القرآن بالسنة ، فأسلوب القرآن وان كان يختلف عن أسلوب البشر ، الا أن العرب كانوا لم يدركوا ذلك بعد ولم يتمرسوه ، فليظل القرآن فى ساحة الكتابة وحده حتى تفهم الأذواق طبيعته ، وتدرك البون بينه وبين أسلوب البشر ، فاذا ما فهموا أسلوب القرآن وأصبح من الثابت أنه لن يختلط بغيره فلتوجه الجهود لكتابة السنة أيضا فهى المصدر الثانى للتشريع الاسلامى . وهنا يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « قيدوا العلم بالكتاب » « استعن بيمينك » .. الخ النصوص التى ستأتى ـ ان شاء الله تعالى ـ بعد قليل فى « الرخصة فى الكتابة » .

بيد أن النصوص التى صرحت بالنهى عن الكتابة فى أول الأمر ظلت محفوظة ، ونقلها السلف على أنها جزء مما تلقوه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والنصوص التى حثت على الكتابة محفوظة أيضا ، وهذا ما أوهم الاختلاف والتناقض بين النصوص .

---

١ ـ سورة الحشر ، آية : ٧ .
٢ ـ سورة النساء آية : ٨٠ .
(٣) ـ سورة النجم آية : ٣
(٤) ـ أخرجه مسلم فى الزهد ، باب التثبت فى الحديث وحكم كتابة العلم ٨٤٧/٥ والدرامى فى المقدمة ، باب « من لم ير كتابة الحديث » ٩٨/١ . وابن عبد البر فى « جامع العلم » ٧٦/١ والخطيب فى تقييد العلم ص ٢٩ ، ٣٢ .

الرخصة فى الكتابة

١ ــ روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتنى قريش ، وقالوا تكتب كل شىء سمعته من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بشر يتكلم فى الغضب والرضا ؟ فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأومأ بأصبعه الى فيه وقال : اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منه الا حق (١) .

٢ ــ روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « ما من أصحاب النبى ــ صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه منى الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب (٢) .

٣ ــ عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : « قيدوا العلم ، قلت : وما تقييده ؟ قال : كتابته (٣) .

٤ ــ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم « قيدوا العلم بالكتاب » (٤) .

٥ ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رجل يشهد حديث النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا يحفظه فيسألنى فأحدثه فشكا قلة حفظه الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال له النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « استعن على حفظك بيمينك » (٥) يعنى الكتاب .

٦ ــ روى عن رافع بن خديج أنه قال : قلنا يارسول الله انا نسمع منك أشياء أفنكتبها ؟ قال : اكتبوا ولا حرج (٦) .

---

١ ــ أخرجه الحاكم ١/١٠٤ ، ١٠٥ وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وأخرجه ابو داود فى العلم باب كتابة العلم ١٠/٧٩ والدارمى باب من رخص فى كتابة العلم ١/١٠٣ ، وهو فى تقييد العلم ص ٧٤ ، ٨٢ ، وجامع بيان العلم ١/٨٥ ، والمحدث الفاصل ص ١٦٤ .

٢ ــ أخرجه البخارى فى العلم باب كتابة العلم ١/٢٠٦ ، والترمذى فى العلم باب الرخصة فيه ــ اى كتابة الحديث ــ ٧/٤٢٩ وقال حسن صحيح ، واحمد فى مسنده ٢/٢٤٨ ، والدارمى باب من رخص فى كتابة العلم ١/١٠٧ وهو فى جامع بيان العلم ١/٨٤ ، وتقييد العلم ٨٢ ، ٨٣ .

٣ ــ أخرجه الحاكم ١/١٠٦ وانتقده الذهبى بان ابن المؤمل ضعيف ، وذكره فى مجمع الزوائد ١/١٥٢ وعزاه للطبرانى فى الكبير والاوسط ، وفيه عبد الله بن المؤمل وثقة ابن معين وابن حيان وقال ابن سعد : ثقة قليل الحديث ، وقال الامام أحمد : أحاديثه مناكير . وهو فى تقييد العلم ص ، والمحدث الفاصل ص ٣٦٤ .

٤ ــ أخرجه فى المحدث الفاصل ص ٣٦٨ وتقييد العلم ص ٧٠

٥ ــ أخرجه الترمذى فى العلم باب الرخصة فيه ٧/٤٢٧ وقال : ليس اسناده بذاك القائم وهو فى التقييد ص ٦٥ .

٦ ــ ذكره فى مجمع الزوائد ١/١٥١ وعزاه للطبرانى فى الكبير ، وفيه ابو مدرك عن رفاعة بن رافع وعنه بقية ولم أر من ذكره . وهو فى تقييد العلم ص ٧٢ .

٧ ــ عن ابى هريرة رضى الله عنه أن خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه فأخبر بذلك النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فركب راحلته فخطب فقال : ان الله حبس عن مكة القتل ــ أو الفيل شك أبو عبد الله ــ وسلط عليهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، ألا وانها لم تحل لأحد قبلى ولم تحل لأحد بعدى ألا وانها حلت لى ساعة من نهار ، ألا وانها ساعتى هذه حرام لا يختلى شوكها ولا يعضد شجرها ولا تلتقط ساقطتها الا لمنشد فمن قتل فهو بخير النظرين اما أن يعقل واما أن يقاد أهل القتيل فجاء رجل من أهل اليمن

فقال : اكتب لى يارسول الله . فقال : اكتبوا لأبى فلان ، فقال رجل من قريش الا الأذخر يارسول الله فانا نجعله فى بيوتنا وقبورنا فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الا الا ذخر .

الكتابة بعد عصر التابعين

وعلى أى وجه اعتبرنا آراء الصحابة والتابعين فان هذا الاختلاف قد زال بعد عصر التابعين ، وأجمع المسلمون على جواز الكتابة .

يقول الحافظ العراقى (١) اختلف المسلمون والتابعون فى كتابة الحديث .. ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف » .

وكذا قال عياض (٢) «وابن الصلاح»(٣).
وقال السخاوى (٤) : « لكن الاجماع منعقد من المسلمين ــ كما حكاه عياض ــ فى المائة الثانية ــ كما زاده الذهبى ــ على الجواز بعدهم أى بعد الصحابة والتابعين بالجزم فى حكايته بدون تردد بحيث زال ذلك الخلاف كما أجمع المتقدمون والمتأخرون على جوازها فى القرآن » .

مرحلتا التدوين والتصنيف

وهاتان المرحلتان شبه متداخلتين ، وأن كانت أولاهما أسبق ، وتبدأ مرحلة التدوين حينما أصدر عمر بن عبد العزيز أمره الى عماله على الأمصار : « انظروا حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم فاجمعوه (٥) . وكان فيما كتب الى أهل المدينة : « انظروا

(١) فتح المغيث ٢/١٧
(٢) الالماع ١٤٧
(٣) المقدمة ص ٢٠٤
(٤) فتح المغيث ٢/١٤٢
(٥) قال فى الفتح ١/١٩٥ رواه ابو نعيم فى تاريخ اصبهان .

حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فانى خفت دروس العلم وذهاب أهله (١) .

وكما وجه كتبا الى الأمصار فلقد وجه كتبا الى الأئمة الأعلام فكتب الى أمير المدينة أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو الذى قال فيه مالك : « لم يكن عندنا أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان قاضيا ولاه عمر ابن عبد العزيز وكتب اليه أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن .

والقاسم بن محمد فكتبه له ولم يكن على المدينة أمير غير أبى بكر بن حزم وكان قاضيا : وجه اليه كتابه وفيه : « اكتب الى بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم وبحديث عمرة — بنت عبد الرحمن ابن سعد (٢) — فانى خشيت دروس العلم وذهابه « وفى رواية أخرى : « أنظر ما كان من حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أو سنة ماضية أو حديث عمرة فاكتبه فانى خفت دروس العلم وذهاب أهله (٣) .

وكتب أيضا الى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، المتوفى سنة (١٢٤ والذى قال فيه أبو الزياد : « كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما احتج اليه علمت أنه أعلم الناس (٤) . كتب اليه يأمره بجمع السنن ولذا قال : « أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها فى دفاتر فبعث الى كل أرض له عليها سلطان دفترا (٥) .

وما أن صدر هذا الأمر من الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الا شمر الأئمة عن ساعد الجد ، فلقد آن أوان جمع السنة بعد أن كانت مبعثرة صحيفة هنا وصحيفة هناك ، أحاديث يحفظها هذا وأحاديث يحفظها ذاك . وهذا الجمع وهذا التدوين كثيرا ما تمنوه وكثيرا ما آملوه فبدأ جمع الصحف ونسخها وارسال النسخ الى الخليفة ومن لم يكتب فقد كتب . ومن عنده صحف نسخ منها ما يرسله الى الخليفة . والخليفة يرسل الى كل مصر دفترا ، وشهدت فترة خلافة عمر بن عبد العزيز ثم ما بعدها حركة علمية فى ميدان السنة أسفرت عن كتابة السنة وجمع كل ما كتب — وهو ما يعرف بالتدوين — ثم تبويب وتصنيف هذا الجمع من الحديث .

ومما يجدر التنبيه اليه أن فترة خلافة عمر ابن عبد العزيز لم تكن انطلاقا فى عالم التدوين فقط ، بل كانت مع ذلك انطلاقا فى عالم التحديث والرواية ، فأمر الأئمة أن يحبسوا مجالس التحديث فى المساجد ، فعن عكرمة قال : « سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز يقول : أما بعد فأمر أهل العلم

---

(١) سنن الدارمى ١/١٠٤ التقييد ص ١٠٦
(٢) ترجمتها فى التهذيب ١٢/٤٣٨
(٣) تقييد ص ١٠٥
(٤) جامع بيان العلم ١/٨٨
(٥) جامع بيان العلم ١/٩١

أن ينشروا العلم فى مساجدهم فان السنة كانت قد أميتت .

سمة التدوين والتصنيف فى هذه المرحلة

عند بدء العلماء فى التدوين دونوا حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقط ، اذ كان من كلام الخليفة اليهم : « ولا يقبل الا حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (١) .

فلما كان عصر التصنيف والذى لا يزال الى الآن ، أخذ أشكالا مختلفة بدأت بأنه ضم المرفوع والموقوف والمقطوع من الحديث فدون الأئمة أقوال الصحابة وأقوال التابعين مع حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يتضح ذلك من موطأ الامام مالك وكانوا يؤلفون كل باب على حدة ، ومنهم من ألف فى كل الأبواب ، ومنهم من اقتصر على أبواب الأحكام فقط ، وظل الأمر على هذا ـ جمع أقوال الصحابة والتابعين مع حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى نهاية القرن الثانى (٢) .

السنة فى القرن الثالث

فلما كان القرن الثالث رأى بعض الأئمة أن يفرد حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة وهو ما يعرف بالمسند ، فصنف عبيد الله بن موسى العبسى الكوفى مسندا . وصنف مسدد بن مسرهد البصرى مسندا ، وصنف أسد بن موسى الأموى مسندا ، وصنف نعيم بن حماد الخزاعى عن نزيل مصر مسندا ، ثم اقتفى الأئمة بعد ذلك اثرهم . فما من امام من الحفاظ الا وصنف حديثه على المسانيد كالامام أحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه ، وعثمان بن أبى شيبة وغيرهم من النبلاء ، ومنهم من صنف على الأبواب وعلى المسانيد معا كأبى بكر بن أبى شيبة (٣) ، وظل البعض الآخر من الأئمة على طريقة التدوين على الأبواب وكثر التدوين فى هذه الفترة واتخذ نظما وأسماء مختلفة منها « السنن ، المصنف ، المعجم ، الجامع ، الأطراف ، المستدرك ، المستخرج (٤) .

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم .

١ ـ أخرجه البخارى ١٩٤/١ .
٢ ـ ٣ هدى السارى ص ٦

٤ ـ راجع فى ذلك الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة « للكتانى » .

مفتريات غربية ضد الاسلام

للدكتور مرعى مدكور

الدولة الاسلامية واضحة المعالم فى تعاملها مع غير المسلمين وغير العرب فهى تقوم على التسامح وعلى عدم الاكراه فى الدين غير أن المفترين فى أجهزة الاعلام من غير المسلمين أشاعوا ضد الاسلام افتراءات كثيرة خاصة فى البلاد غير الاسلامية حتى لا يدخل هذا الدين قلوب أهلها وبخاصة فى أفريقيا هذا فى الوقت الذى حرصوا فيه على تحسين صورة دينهم وليس هذا بجديد فالافتراءات ضد الاسلام ونبيه موجودة منذ قديم •

ومن دعاواهم ان الاسلام قام على حد السيف ، وانه أورث المسلمين التخلف وانه دين العرب فقط ، وانه أبقى على الرق فى البلاد التى فتحها المسلمون ، وأنه لم ينتشر الا فى البلاد التى يقل مطرها عن عشر بوصات أى فى نطاق قوافل الابل

وقد اتجه هؤلاء المغرضون اتجاها خبيثا فحاولوا تشويه صورة الاسلام بتشجيع الحركات الخارجة على الاسلام والتى لا تمثله فى شىء •

ومن هذه الحركات : القاديانية ، البابية ، البهائية وغير ذلك من اتجاهات تمثل اكبر عبء على الاسلام كما عمل المغرضون — الى التقليل من شان المسلمين سواء على المستوى المعرفى أو الاستراتيجى أو حتى على المستوى الكمى • وعملوا على اذكاء الفتن بين المسلمين وباعدوا بينهم •

والأدهى والأمر من ذلك أن الاوربيين اتخذوا (المصادر) العربية لأغراض هجومية ضد العرب واثارة الرأى العام ضدهم فقد اتخذ أعداء الاسلام من القرآن مدخلا للتشويه تحت شعار ترجمة هذا الكتاب العظيم وبعد أن سرد السيد الباحث

مثالب أعداء الاسلام وافتراءاتهم رأى أن الحاجة ماسة الى يقظة الاعـــلام الاسلامى وفطنته لما حيك ويحاك ضد الاسلام وأن الحاجة تلح وتفرض اخراج (موسوعة اسلامية) موثقة تكون تحت يد كل متخصص وتضم كل شىء عـــن المعارف من وجهة نظر اسلامية لتصحيح ودحض وجهة النظر الغربية خاصة وأن دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف السوفيتية قد اكتظتا بالمغالطات وتضع بين يدى القارىء جزءا من البحث ٠

نموذج من المفتريات ضد الاسلام ٠

« ٠٠ فموسوعه : دائرة المعارف البريطانية Encyclopedia Britannica والتى تعد من أشهر دوائر المعارف العالمية ، حتى فى أحدث طبعاتها ، مليئة بالافتراءات على الاســـلام وعلى رسولنا الكريم ، فهى تذكـــر : « أن القرآن الكريم يتألف أساسا من كلام محمد » و « أن المسلمين يعبدون محمـــــدا » ٠٠ ! وخطورة هذه الموسوعة أنها معـــروف عنهـــا الدقة والعلمية ، وهذا يزيد من خطورة الأمر ويتطلب ذلك مخاطبة القـــائمين على أمرهـــا لاستقاء معلوماتهم عن الاسلام من المسلمين أنفسهم حتى لا تكون اعلاما مضادا للاسلام فى العالم كله (١) ٠

أما « دائرة المعارف الســـوفيتية » (٢) : الطبعة الثانية ، المجلد ١٧ ، فقد جاء فيهـــا من الصـــفحات ٥١٦ ــ ٥١٩ عن الاســـلام أنه : « شأنه شأن جميع الأديان يلعب دورا رجعيا ، اذ أصبح أداة فى أيدى الطبقـــات المستغلة لكبح الطبقة العاملة روحيا ، وقـــد نشأ الاسلام نتيجة لنمو مجتمـــع طبقى بين العرب ومن قيام مجتمـــع طبقى فى جـــزيرة العرب ٠٠ « وتقـــول نفس الموســـوعة عن القرآن : فى المجلد الثانى عشر بالصـــفحة ٥٦٤ : « القرآن : الكتاب المقدس الأساسى للمسلمين ، مجموعة من المواد الدينية المذهبية

---

١ ــ لم تقتصر الموسوعة البريطانية على تشويه دين المسلمين ، بل امتد هذا التشويه الى تاريخ المسلمين ايضا ، فذكرت فى المجلد الثامن عشـــر وعـــلى الصفحة ١١٤٨ ، عـــن مـــدينة الرملـــة الفلسطينية : الرملة مدينة اســـرائيلية وهى تعنى بالعبرية (رمـــلا) ، وان اغلب سكانها من اليهود الذين هاجروا من شمال افريقيا ومن آســـيا والاتحاد السوفيتى ومصر ، واول من انشأ المدينة هو الفاتح العربى السلطان سليمان ١٧١٦ م ٠٠ فى حين ان التاريخ يذكر ان مدينـــة الرملـــة فلسطينية حتى احتلالهـــا يوم ١١ ابريل ١٩٤٧ ، وان اول من اسس المدينة هـــو الخليفه الاموى سليمان بن عبد الملك الذى كان خليفة للمسلمين من سنة ١٧١٥ حتى ٧١٧م ٠٠

٢ ــ محمود عثمان ، **الفكر المادى الحـــديث وموقف الاسلام منه** (القـــاهرة مكتبه الانجلو المصرية : ١٩٧٧) ص ٢٨٠ ٠

والأسطورية والقانونية ، وقد وضع القرآن وشرع خلال حكم ثالث الخلفاء العرب ، عثمان » (١) ، أما النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتقول عنه ، فى المجلد ٢٨ ص ٥٩٩ ، « أنه أعظم المرسلين وخاتمهم ، وهو عربى نشأ فى مكة ، وأبعد ما أمكن الوصول اليه مما كتب عن سيرة محمد كتب فى النصف الثانى من القرن الثامن ، كتبه جامع للأساطير نشأ فى المدينة يدعى ابن اسحق ويشمل هذا الكتاب قدرا من الأساطير والخرافات وفى كتب السيرة الأكثر حداثة طمست هذه الأساطير تماما صور محمد التاريخية ، وحتى يومنا هذا مازالت سيرة محمد تستند على المعلومات شبه الأسطورية الواردة فى القرآن » (٢) .

واستمرت الدعاوى المناهضة للاسلام فى العمل على تشويهه بكافة الوسائل خاصة فى البلاد غير الاسلامية .

فمن دعاوى هؤلاء أن الدين الاسلامى أبقى على الرق وأن المسلمين اتخذوا من البلاد التى فتحوها أرقاء لهم ، وروجوا لهذه المقولة فى أفريقيا خاصة ، وتجاهلوا أن الانجيل لم يرد به نص صريح يحرم الاسترقاق وأن « بولس » قد أوصى الأرقاء فى رسالته الى أهل « أفسس » بآسيا الصغرى أن يطيعوا أسيادهم كما يطيعوا السيد المسيح ، وجاء آباء الكنيسة فأقروا الاسترقاق ومنهم البابا جريجوريوس الأكبر .. فى حين أن الاسلام لم يرض عن هذا الوضع المهين ـ وكان الرق سائدا فى الجزيرة العربية وفى غيرها ـ فحصر مصدر الاسترقاق فى الحرب فقط ، بشرط أن تكون حربا قانونية منظمة يسبقها الانذار والاشهار ، وأن تكون مع القوم الكافرين ، ثم أعلن الاسلام فى وضوح : أنه لا فضل لعربى على أعجمى أو أبيض على أسود الا بالتقوى » وعمل تضييق المسالك التى تؤدى الى الرق ـ الحرب فقط ـ وتوسيع المنافذ التى تؤدى الى الحرية ، ومنها : (٢) أنه جعل العتق كفارة لبعض ما يرتكب من الأخطاء والتقصير ، كما خصص الاسلام بعض مال الزكاة لعتق العبيد والاماء : « **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ** » وغير ذلك .. فى حين أن الذين يروجون أن الاسلام دين الرق قد جعلوا افريقيا ساحة لجلب الرقيق منذ أن حلت البرتغال بالقارة وتبعتها أسبانيا وانجلترا والولايات المتحدة ، حتى ان الدولة الأخيرة ـ الولايات المتحدة ـ التى ترفع شعار « الحرية والمساواة » لم يلغ الرق بقانون فيها الا فى أبريل ١٨٦٥ (٤) .

---

١ ـ نفس المرجع السابق ، ص ٢٨١

٢ ـ نفس المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .. وانظر: الحسانى حسن عبدالله ، تلك هى المسألة ، مجلة (الثقافة) ، العدد التاسع ، يونيه ١٩٧٤م ص ٤٩ .. وانظر : لوتسكى ، تاريخ الاقطار العربية ، ترجمة عفيفة البستانى (موسكو ، معهد الاستشراق : بدون تاريخ) ص ٩٦ ..

٣ ـ جون هنريك كلارك وفينسنت هاردنج ، تجارة الرق والرقيق ، ترجمة مصطفى الشهابى ، سلسلة كتاب الهلال ، العدد ٣٦٢ ، فبراير ٩٨١ ، ص ١١

٤ ـ نفس المرجع السابق ، ص ٢٥ ..

المستشرقون والوحي المحمدي

يهدف البحث الى مراجعة بعض المستشرقين في «الوحي المحمدي» من خلال كتب ثلاثة هي :

١ ـ تاريخ الادب العربي حتى نهاية العصر الاموي ـ المستشرق لم يذكر اسمه ـ ويهتم بما ورد في فصلين فيه خاصين بالقرآن الكريم وبالحديث النبوي الشريف .

٢ ـ دراسات قرآنية للمستشرق : جون وانتر بيرج .

٣ ـ كلام الله والحديث النبوي في العصر الاسلامي المبكر للمستشرق د/وليم جراهام والمراجعة لهذه الكتب الثلاثة تجرى على النمط الآتي :

(أ) سرد مفتريات المستشرقين على ما يتعلق بالقرآن الكريم من زعمهم أن القرآن ليس من عند الله وانما هو من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وايهامهم الناس أنه استقاه من مصادر أخرى ففي نظرهم أن قصة بدء الخلق أخذت من التوراة وان أساليب بعض آي القرآن نَحَتْ نحو سجع الكهان . وان بعض التشريعات أخذت طابع الوصايا العشر الواردة في العهد القديم .. الخ .. ذلك مما يهدف الى هدم أساس كتاب الله العظيم والتهوين من شأنه .

(ب) ذكر مقالاتهم في الحديث الشريف وما تقولوا به على هذا الاثر العظيم من أنه من وضع أصحاب المذاهب والفرق بهدف تبرير الاحكام وتأييدها ، وان تقسيمه الى قسمين حديث قدسي ، وحديث نبوي هو من عمل أصحاب المذاهب أيضا بهدف شدة الجذب والتأثير بالنوع الأول .

ووضعا للأمور في نصابها واحقاقا للحق والنصفة تصدى صاحب البحث لهذه المفتريات ورد كيد المغرضين الى نحورهم في بحث علمي منهجي ينأى عن التعصب ويتحلى بحسن المناظرة وقد اخترنا من البحث الفصل الآتي ليظهر للقارىء قوة هذا الدين ومدى ما يدبرله وبالله التوفيق .

للدكتور محمد عبد الرءوف

خلاصة أقوال المستشرقين في الحديث والرد عليهم

وخلاصة أقوال المستشرقين من جولد زيهر وشاخت وأضرابهما أن الاحاديث فى جملتهـا موضوعة ملفقة اخترعت لتبرير ما وصلت اليه المذاهب الاسلامية من أحكام والفرق من أفكار وآراء ،وفيما يبدو لى أن الغربيين الذين أولعوا بالدراسات الاسلامية ــ الا من عصمه الله منهم وفتح بصيرته على الحق ــ أرادوا أن يفرضوا على الاسـلام ما حـدث للكتب المقدسة الأخرى ، فكما اسـتغرقت كتابتهـا مئات السنين فلم لا تكون النصوص الاسلامية المقدسة كذلك ؟ ففكروا وقـدروا وخاضـوا وخمنوا واتخذوا من حـرية البحث وادعـاء الموضوعية مبررا لمواقفهم وأحكـامهم على تاريخ الفقه الاسلامى وتطوره .

وليت شعرى ، لو سلمنا بأن ابتكار الكثرة الغالبة من الأحاديث كـن لتبرير الأحكـام وتأييدها ــ كما يدعى المستشرقون ــ أفليس العكس ، وهو أن تكـون الكثـرة الحـديثية صحيحة وكانت مصدرا للاحكام وسـبقتها حيث تلقيت من الرسول وحفظت فى الصدور والسطور منتقلة من جيل الى جيل بالطـرق التى فصلها المحـدثون ــ أليس ذلك أمـرا محتملا وممكنا كذلك ؟ فلم اذن نرجح الاحتمال الأولمع أنه هو الاحتمال الأبعد ومبنى عـلى الحدس والتخمين ؟ لقد كان للنبى ــ صـلى الله عليه وسلم ــ آلاف الصحابة وكلهم أحبوه أكثر مما كانوا يحبون أنفسهم ، وكـل لقيـه وسمع منه ، وفى أقوى الاحتمالات تحدث عنه وروى له ، وكان التابعون ومن تبعهم لا يقلون حبا لرسول الله أو تلهفا لسماع أخباره والعلم بأحواله وحفظ كلماته والحرص على اتبـاع سنته ، وباتساع الرقعة الاسلامية عقب وفاته عليه الصـلاة والسـلام وشـموخ دولـة الاسلام جدت•أمور ومسائل ومشاكل كان لابد من معالجتها والبت فيها على ضوء القـرآن والسنة ، كمـا أدرك ذلك الأستاذ كولبسـون نفسـه ، وعليه فقد كانت هنالك دوافع قوية لرواية الحديث وحفظه ، من حب لرسـول الله والحاجة الماسة للرجـوع الى السـنة لادراك أسرار القرآن وللتوصل الى ما تحتاجه الأمة من الأحكام .

ثم ان هذه الأجيال الاسـلامية الأولى معروفة بورعها وتقواها وصلاحها وخشـيتها من الله تعـالى ، فكيف نسىء بهم الظن الى هذا المدى البعيد وننسب لهم الكذب حتى على الله ورسوله وعلى هذا النطاق الواسع ثقـة بتخمينات جولد زيهر وخطرفة مريديه ؟ هذه الأجيـال الأولى هى التى فتـح الله عليهـا

فسيطرت دولتهم باسم الله على العالم شرقا وغربا فنشروا فى الأرض الأمن والعدل والسلم والرخاء والعلم والنور لآماد طويلة ، فكيف تسود جماعة كذابة مموهة تغش وتكذب على ربها ونبيه وتقوم على التلفيق والوضع ؟ ولقرون طويلة ؟ ولو كان الوضع — أى وضع الأحاديث واسعا على هذا النطاق بين المذاهب كلها بحيث يعرف أصحاب كل مذهب عن الآخرين أنهم يضعون أحاديث لا أصل لها ليروج كل مذهبه أو رأيه فلا شك أن يصبح الوضع عبثا ولا طائل تحته لتأييد رأى مذهب أو آخر •

ولقد سهرت هذه الأجيال الأولى من علماء المسلمين الزاهدين الليالى الطوال ، وتحملوا فى رحب أهوال الأسفار البعيدة ومخاطر الطريق والمشاق المضنية فى طلب العلم وتحصيله وتنقيحه ، وما كان طلب العلم فى تلك الأزمنة فى الأغلب وسيلة للرزق ولا تقاضى هؤلاء العلماء أجورا أو مكافات على تآليفهم وبحوثهم ، ولو كانوا فى جملتهم وضاعين كذابين ما كانت لهم هذه الروح الوثابة المشرقة والعزم الصارم فى صبر وتحمل لما لاقوا فى سبيل العلم من مشاق وحرمان ومتاعب •

على أنه اذا اتصل الاسناد وكان رواته ممن تنطبق عليهم الشروط المشددة لصحة الحديث فلم لا يدل ذلك على غلبة الظن بصحة الحديث ؟ أعنى متن الحديث مادام لا يتعارض مع نفسه ولا مع ما هو أشد ثبوتا منه ولا مع العقل ولا مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة وكان خاليا من الشذوذ والعلل القادحة ؟ •

ومع كل ذلك هل تجاهل العلماء المسلمون الحاجة لتقييم النص واقتصروا — كما ادعى المستشرقون — على تقييم الاسناد وحده ؟ كلا ، انهم ما نهضوا لنقد الاسناد واحتلوا الجهد الجبار فى تقييم رجال الحديث وألفوا المراجع الطوال الا من أجل خدمة المتن ، وكان من العوامل التى شحذت الهمم لجمع الصحاح والمسانيد والسنن حرصهم على تمييز الغث من الثمين وذلك بتقييد الصحيح وما هو محتمل للصحة مما هو منكر أو مرفوض ، وهم الذين رفضوا الأحاديث التى فيها رأوا اشتبه بالزيغ أو الميول الطائفية وهم الذين حاولوا حصر الأحاديث الموضوعة حرصا على سلامة الأحاديث الصحيحة أو محتملة الصحة وذلك قبل ظهور جولد زيهر ولا منس ومرجلوموث وأضرابهم فى الميدان ، وهم الذين أصروا لقبول الحديث على سلامته من التعارض الداخلى والتعارض مع ما هو أقل منه صحة وثبوتا •

أما تعليل الدكتور كولسون لما حسبه ترددا من جانب علماء المسلمين للتعرض لنقد الحديث بأنهم كانوا ينظرون الى المتن نظرة تقديس بما أن مصدره فى اعتقادهم هو الوحى — فهو تخيل مرفوض ، لأن النص

لا يكتسب قدسية وجلالا مالم تثبت أو تترجح صحته على الأقل ، وعليه فالمتن معرض للتشريح والنقد والتحليل والرفض حتى تثبت صحته ، هذا اذا كان ما ذكره كولسون صحيحا من أن المسلمين يلبسون متن الحديث هالة من القدسية بحيث يهابون تعريضه للنقد والتحليل ، ويظهر أن الدكتور كولسون لم يسمع بنقد بعض الأحاديث ـ أى متونها ـ مما ورد فى صحيح الامام البخارى نفسه فى السنوات الأخيرة ونشرت هذه الانتقادات والردود عليها فى الصحف السيارة على نطاق واسع ولا أذكر أحدا ممن اعترض على الانتقادات الواردة احتج بقدسية هذه النصوص بحيث لا يسوغ التعرض لها بالنقد العلمى النزيه .

أما ما زعمه الدكتور ويليام جراهام من أن النصوص الدينية الاسلامية كانت دلها مختلطة وينظر اليها نظرة واحدة متساوية فى العصر المبكر من تاريخ الاسلام حتى ستفتلت المادة القرآنية وتبلورت منفصلة عن غيرها فى القرن الثالث أو بعده ثم بدأ الحديث القدسى يتميز عن القرآن . منذ القرن السادس فانما ذلك خرافات تشبه شطحات جون وانزبيرج وتتعارض مع الواقع التاريخى الثابت بالاجماع والتواتر اليقينى على أن القرآن الكريم كله كان معروفا ومتلوا ومكررا من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وأمام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وعلى سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقته الأجيال حفظا وتلاوة وكتابة حتى يومنا هذا ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » .

ويبدو أن هؤلاء القوم لا يعتمدون الا على المشاهد أو الملموس المحسوس ، وبالتالى يعتبرون بداية تاريخ كتاب بتاريخ كتابته التى تصل الى أيديهم ، ولا يلقون بالا لأهمية التلقى المباشر من الشيخ الموثوق به الذى يخشى الله الى مريده الذى يأتمنه ويثق به ، كما أنهم غافلون عن مبلغ قوة الذاكرة الخارقة لدى القرون الاسلامية الأولى الذين ماكانوا يعتمدون على مفكرات ولم تكن حياتهم تعانى ما يعانيه الناس فى العصور الحاضرة من قلق وضوضاء وتقلبات وتغيرات سريعة ، فكانت أذهانهم صافية وذاكرتهم جد واعية ، وليعلم هؤلاء أن الاعتماد الشرعى فى تلقى الكتاب الكريم انما هو على الطريق الشفهى أولا وبالذات والمصحف مساعد ومذكر ، هكذا حفظ القرآن المجيد منذ العصور الأولى وسيحفظ الى يوم الميعاد ان شاء الله ، فلا مجال للتشكيك فى سلامته وكماله منذ العصر الاسلامى الأول كما هو على حاله اليوم .

على أننا اذا تأملنا بدقة فى تفاصيل نقد هؤلاء المستشرقين لوجدناها فى الأغلب ان لم تكن كلها واهية لا تعتمد على سند سليم ، بل نجدها أحيانا مدلسة تعتمد على بساطة

أكثر القراء ، ولنضرب مثلا على ذلك بجدل الأستاذ جوسف شاخت ونقده للاسناد الذى يصفه علماؤنا بالسلسلة الذهبية ، فيعتمد شاخت فى نقده لهذا الاسناد على مقارنة تاريخى وفاة نافع الأستاذ ومالك الناقل عن نافع ، ثم يقفز من ذلك الى الحكم بأن مالكا ما كان له أن يتحمل الحديث عن نافع حتى مات نافع ، مع أن المعهود فى هذا الشان هو مقارنة تاريخ ميلاد التلميذ بتاريخ وفاة أستاذه ، ولئن توفى نافع عام ١١٧ ﻫ فقد ولد مالك على الأكثر عام ٩٧ ﻫ ، والأرجح انه ولد عام ٩٣ بل قيل : انه ولد عام ٩٠ فالأرجح أن عمر مالك عند وفاة نافع كان أربعة وعشرين عاما بل قيل : انه كان سبعة وعشرين ، وعلى الأقل — وهو المرجوح — كان عمر مالك عشرين عاما عند وفاة نافع ، وكانا يسكنان بالمدينة المنورة ، وعليه فان زعم الأستاذ شاخت بأن مالكا لم يكن ليتحمل الحديث بعد — قول مرفوض •

وليت شعرى لو كانت هنالك رواية تحط من شان الاسلام أو تخدش شخص نبيه الكريم رواها صبى معتوه دون سن الرشد لتشدق بها المستشرقون وبرروا سلامتها وصحتها ودافعوا عنها بأنها لو لم تكن صحيحة لما نفذت خلال صفوف المعارضين ولما عاشت الى عصرنا هذا

مرآة السيرة النبوية - بقية

الخلط والارتباك ، ويرى ان انتشار الاسلام وتغلبه على المسيحية بكل هذه السرعة لا يحتاج الى تفكير ، لأن أئمة اللاهوت فى أفريقية وفى الشام كانوا قد استبدلوا بديانة المسيح عقائد ميتافيزيقية معقدة لم تفهم لدى سواد الشعب ، ولم يروا سلاحا يحاربون به الفساد المستشرى — دينيا واجتماعيا — الا بتمجيد العزوبة والتسامى بالبكورة الى مرتبة الملائكة ، فجعلوا اعتزال العالم هو الطريق الى القداسة • والقذارقصفة لطهارة الرهبنة، وكان الناس فى الواقع مشركين يعبدون الشهداء والقديسين والملائكة •• ومن الناحية الاجتماعية كان الأثرياء مترفين يشيع بينهم الفساد • والطبقة الوسطى مرهقة بالضرائب وليس للأرقاء أمل فى حاضرهم ولا مستقبلهم • فأزال الاسلام بعون من الله ذلك كله (٢) •

وأفاض تيلور أيضا بعد ذلك فى وصف تعاليم الاسلام • وقضائها على الجهل والخرافة

---

(٢) انظر الاسلام فى القرن العشرين ص ٣٢ ط دار الهلال •

الى السـادة كتـاب مجلة الأزهر

نرجو الاحاطة بأن ادارة المجلة ليست لها خزانة خاصـة بها ، لذا ترجو ادارة المجلة السادة الأفاضل كتابها أن يتعاونوا معها فى تسـلم مكافآتهم من خزانة الأزهر بادارة الأزهر فى الفترة من ٢٠ الى ٢٥ من كل شهر عربى ، واننا اذ نشكر لهم هذا التعاون لنرجو سيادتهم الحرص على ذلك حتى لا تتكبد المجلة ما تنوء به .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لـدى قطـاع الاشتراكات :

مؤسسة الاهرام ـ شـارع جـلاء ـ القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

* جمهورية مصر العربية

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »

١٥ خمسة عشر دولارا او مايعادلها .

* باقى دول العالم .

٣٠ ثلاثون دولارا او مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

التصوير الفنى للدعوة الاسلامية في صدر الإسلام

مقـــدمة :

للدعوة الاســـلامية أدعيـــاء كثيرون يهرفـــون بما لا يعرفون . زادهم من العلم ما طرق آذانهم مصادفة مـــن أحاديث العامة في مجالسهم .

الى جانب ما يســتمعون اليه من جمل متناثرة في الاذاعــة والتليفزيون فالدعوة الاسلامية بالنسبة اليهم بضاعة موقفهم منها موقف التاجر ينظر اليهـا بمنظار الربح والخسارة ومن ثم كثرت اللافتات الاسلامية وكثر حولها البغاة .

لقد كانت البعثة المحمــدية الى ـجانب كونها حدثا دينيا ـ حدثا اجتماعيا وفكريا وسياسيا وأدبيا تتناول بالرعاية والتوجيه والتأثير كل مظاهر الحيــاة ، وانعكس كل ذلك على الأدب ، وبخاصة على الأدباء الذين حملوا لواء الدعوة .

وقد كان للأدب في العصر الاسلامى أدوار ثلاثة .

كان في أولاها استيعابا نفسيا أكثر منــه انتاجيا فنيــا .

وفي ثانيها كان اهتمامه بالتعبير البيــانى عن الاحساس الــدينى القرآنى والنبوى والخطابى .

وفي الطور الثالث أتاح الاسلام للشعر أن ينطلق في حدود ما رسمه له بعد أن زوده بمآثر الاسلام .

ولقد تعددت أغراض الشــعر في العهد النبوى غير أن أبرز تلك الأغراض يتمثل في موضوعات : العقيدة ، والجهاد ، والأخلاق ، والهجرة ، وحرب الردة .
واليكم فصلا من هذا البحث :

للدكتور حسن الفاتح قريب الله

دور الإسلام في صياغة الأدب

وفي الطور الثالث من أطوار الحركة الأدبية أتاح الاسلام للشعر أن ينطلق في حدود ما رسمه له ، بعد أن زوده بزاد فكرى ، وبقيم ومثل من بينها وحدة الاله والتقوى منه ، والخضوع المطلق له ، والتقيد التام بما جاء في كتابه ، والوفاء بالوعد والصبر في الشدائد والحلم المطلق مع من أحب أو كره ، والعفو عند المقدرة ، والعفة واخضاع المنافع الشخصية والقبلية لمنافع الدين ، وأوامره ، وعدم التفاخر والتكاثر وتجنب الكبر والعظمة والانصهار الكامل في بوتقة الدين كل ذلك انطلاقا من مثل هذه النصوص القرآنية والنبوية .

١ ـ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١) .

٢ ـ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (٢) .

٣ ـ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٣) .

٤ ـ الم . ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) .

٥ ـ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ (٥) .

٦ ـ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (٦) .

(ب) / ١ ـ المؤمنون اخوة تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

(١) سورة البقرة الآية ١٧٧ .
(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٣) سورة المؤمنون الآيات ١ ـ ٥ .
(٤) سورة البقرة الآيات ١ ـ ٤ .
(٥) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .
(٦) سورة المؤمنون الآية ٩٦ ، سورة فصلت . الآية ٣٤ .

التصوير الفنى

٢ ــ ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى •

٣ ــ من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية ، أو يدعو الى عصبية أو ينصر عصبية ، فقتل ، قتل قتلة جاهلية •

أضف الى ما تقدم أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قد أهدر دماء الجاهلية حتى لا تكون مطلبا دائما للثأر ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، بعد ما كان بين المكيين والمدنيين من عداء •

هذا واعتمادا على ماتقدم من أسس ، وبناء على استحسانه عليه الصلاة والسلام للشعر الخير (١) وبناء على الاذن الصريح منه للشعراء بالمنافحة عنه ، وعن رسالته اليهم (٢) بعد استثناء القرآن الكريم لبعضهم من زمرة الغاوين الذى ورد ذكرهم فى آية (**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**) (٣) ــ بعد كل ما تقدم **انطلق الشعراء يشيدون بالدين الاسلامى ويعبرون فى صور بيانية رائعة عن كنه دعوته ويثنون** فى أساليب بيانية رفيعة على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته ، **ومقتفى أثره ، مجسدين المعانى السامية التى استقوها من كتاب الله ، وسنة رسول الله** ــ **صلى الله عليه وسلم** ، واضعين بذلك أنموذجا رفيعا لما يجب أن يكون عليه الشاعر فى المجتمع الاسلامى •

هذا وما ان المجتمعات لا تتبدل اخلاقها ، ويتغير سلوكها ونهجها بين يوم وليلة • فقد راعى عليه الصلاة والسلام الفترة الانتقالية التى يمر بها المجتمع من حالته التى كانت له

فيها قيم ، ومثل وتاريخ ، الى حالة أخرى تغيرت عليه فيها الى حد كبير تلك المثل واختلفت القيم وتبدل تبعا لذلك التاريخ واختلفت النظرة لأهداف الحروب وغاياتها ووسائلها • كما راعى أيضا التدرج فى سير

المجتمع نحو الغاية التى ينشدها له ، ومن ثم وجه شاعره حسان بن ثابت بأن يخاطب القوم بما يفهمون ويجاريهم بالسنان التى منها يخافون ، وحيث أن سلاح الهجاء بتجسيد الهنات كان أمضى الأسلحة ضدهم آنذاك فقد قال له عليه الصلاة والسلام : اهجهم (**يعنى المشركين**) ومعك

جبريل روح القدس ، وألق أبا بكر يعلمك تلك الهنات كما قال له أيضا ولعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك : **اهجوا قريشا فانه**

---

(١) العقد الفريد جـ ٣ صفحه ٣٨٠ فما بعدها •

(٢) يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما يمنع الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بالسنتهم • كما يروى انه قال لحسان ابن ثابت : اهجم (يعنى قريشا) ، فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام ، اهجهم ومعك جبريل روح القدس ، والق ابا بكر يعلمك تلك الهنات (العمدة جـ١ صفحة ١٢) وراجع ايضا ترخيص الاسلام للمسلمين للدفاع عن أنفسهم بالاسلوب الشعرى فى كتاب العقد الفريد جـ ٣ صفحة ٣٩٥ فما بعدها •

(٣) سورة الشعراء الآية ٢٢٤ •

اشد عليها من رشق بالنبل(٤) •

ولما كان حسان قد أدرك ما يريده منه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد قال وأشفى فنال بذلك ثناء الرسول عليه الصلاة والسلام واعجاب الوفود (٥). •• بل ان الرسول عليه الصلاة والسلام زوجه اكراما لـه ، بسيرين أخت مارية القبطية أم ولده ابراهيم رضى الله عنه ، كما وهبه قصرا بالمدينة ، كان أبو طلحة قد وقفه على آل محمد (٦) صلى الله عليه وسلم •

لقد كان منهج حسان فى الشعر يقوم على بتر عدوه من الشجرة القرشية ، ويجعله فيها طائرا غريبا ، يلجأ اليها كعبد ، أو دعى : أو متبنى ، أو يجعله غصنا مريضا هشا •• ثم يعمد الى أطرافه غير القرشية فيسدد اليه السهام من خلالها ، كما يعرى أخلاق المشرك، وعرضه ، فيجعله موطنا للجهل واللؤم والبخل والجبن والفرار من ساحات الخلق مثل انقاذ الأحبة من وهدة الموت فى المعارك • وكان أكثر ما يذكر من ذلك موقعة بدر وهزيمه قريش فيها (٧) •

بمثل هذا الشعر عبرت الحركة الاسلامية جسر المرحلة الانتقالية ، لتقيم ثم بناءها الشعرى ، على الأسس التى اختارها لها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم •• وقد كانت هذه الحركة من الحزم والصلابة على الحق بحيث لم تسمح لأى فرد حتى لحسان نفسه بأن يعود الى الماضى بعد أن اجتازه ، فيغزاه اعراض الناس بلسانه • يروى ان حسان بن ثابت رضى الله عنه كان قد شارك بشعره فى الفتنة التى نشبت بين الانصار والقرشين فآلم ذلك خليفة المسلمين سيدنا عمر رضى الله عنه ، فمشى نحوه ، وأمسك باذنه يجره اليه ، وهو يقول : أرغاء كرغاء البعير (٨) •

الخلاصة :

نخلص مما تقدم ، بأن الاسلام لم ينزل الادب منزلة الترف أو اللهو وانما طوعه ليكون وسيلة من وسائل التماسك الاجتماعى ، الذى دعا اليه ، فخرج به عن مفهومه الجاهلى ، الى مفهوم اسلامى ، لم يكن للعربى به سابق عهد أو خبرة •

---

(٤) الحديث أخرجه الشيخان فى صحيحهما ، والطيالسى وأحمد فى مسنديهما ، والطبرانى فى المعجم الصغير ، ص ٢٢ ــ ٢٠٧ والخطيب فى تاريخه ، ١٤ ــ ٢١ من حديث البراء بن عازب بلفظ « اهج المشركين فان جبريل معك » ، وراجع دلائل الاعجاز للجرجانى صفحة ١٣ • .
والاغانى جـ ٤ ص ٨ ــ ٩ طبع بولاق وسيره ابن هشام ص ٩٢٤ ــ ٩٢٨ طبع اوروبا وتاريخ الطبرى جـ ١ ص ١٧١٠ والطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ٤٠ طبع بيروت •

(٥) عيون الاثر لابن سيد الناس جـ ٢ صفحة ٢٠٤ ــ ٢٠٥ ، وصحيح مسلم جـ ٧ صفحة ١٦٥

(٦) المجتمعات الاسلامية فى القرن الاول صفحة ٣٢٢ •

(٧) حنا الفاخورى : تاريخ الادب العربى صفحة ٢٣٢ •

(٨) الاغانى طبع دار الكتب جـ ٤ صفحة ١١٤ وفى العمدة صفحة ١٠ ارغاء كرغاء البكر •

التصوير الفني

على أن موقف الاسلام من الشعر كان قسيما لموقفه من فنون الأدب الأخرى من خطابه ورسائل ، وقصص ، وأمثال ، فقد أهدر الاسلام منها جميعا الجانب الأناني ، والقبلي ، وسخرها لتكون وسيلة من وسائل نشر الدعوة الاسلامية ، والاعلام الداخلي ، والخارجي ، بفكر الاسلام وعقيدته وتشريعاته وأخلاقه ٠

بذلك رفع الاسلام قيمة الأدب بكل فنونه فجعله اطارا انسكبت فيه صور الفكرة الاسلامية ، ومادة عبرت به عن جوهرها الفكرى ومنازعها الوجدانية ومسالكها الخيرة ويكفى انه اذا ذكر الأدب فى العصر الاسلامى ، ذكرت معه كل قيم الاسلام الرفيعة ، التى مثلت للناس به ، وعرضت لهم بألفاظه ، وصورت أمامهم بأساليبه وسيقت نحوهم فى مسالكه الفنية الرائعة الباهرة ٠

هذا وقد أعقب طور اهتمام المسلمين بالشعر أطوارا فنية أخرى ، كان بعضها يعنى بترتيل القرآن ، وبموسيقى الشعر ، وتحسين ادائه عبر الأصوات المرددة له (١) مضافا الى ذلك ما ظهر فى العصور المتأخرة من النحت والنقش والرسم والتصوير ٠ على أن الذى

يهمنا هنا أن نحدد فى جلاء بعض ألوان الشعر وأغراضه فى العصر الاسلامى الأول كما نشير فى ايجاز لمساهمات الشعراء فى المسيرة الأدبية الجديدة ، دون مراعاة لقلة ما أنتجوه أو كثرته ، اذ المهم عندنا الآن هو الروح الجديدة التى سادت مجتمع الشعراء ، والفن البيانى البديل ، الذى انتشر بينهم ، فأصبح بذلك أنموذجا أدبيا لغيرهم وتصويرا فنيا يقتفى نهجه سواهم ٠

---

(١) راجع ما جاء عن السماع مدحا وذما فى العقد الفريد ج ٤ صفحة ٩٠ فما بعدها ٠

التفسير الإعلامي للسيرة النبوية

للدكتور عبد العزيز شرف

*** كانت السيرة النبوية ومازالت مصدر الهام للأعمال الأدبية والفنية على توالي العصور .**

وفي هذه الدراسة يتناول الباحث الأعمال التي تناولت السيرة النبوية في محاولة لاستقراء خصائص الشخصية الاسلامية كما تمثلها الوجدان الاسلامي وعبر عنها شعرا ونثرا .

في الأدب الفصيح وفي الأدب الشعبي على السواء .

ان الوجدان الاسلامي طالما لجأ الى السيرة النبوية ولاسيما في أوقات المحن ليؤكد على هذه الخصيصة الاسلامية في السيرة العطرة ذلك أن الملاحم الشعبية الباقية من الحضارة السمحية تطالعنا بسمة أصبحت جزءا لا يتجزأ من حرفة الشاعر الشعبي وهي أنه يبدأ حديثه أو شعره على آلته الموسيقية بالصلاة على النبي وهي ظاهرة لا تحتاج في تحليلها الى كثير من التأمل خاصة اذا عرفنا أن الصلاة على النبي تكون دائما بصفة مميزة هي نبي عربي أو سيد ولد عدنان وتفسيرها في ايجاز أن الوجدان الشعبي قد نزع الى التذكير بالعروة الوثقى بينه وبين هذا المثل الأعلى في الحياة الانسانية وهذه العروة الوثقى هي العروبة والاسلام .

والسيرة النبوية تمثل القاسم المشترك الأعظم بالنسبة للشخصية الاسلامية ذلك أن السيرة النبوية تمثل قيما حضارية مشتركة لها تأثيرها على السلوك الاجتماعي للشعوب الاسلامية المختلفة .

والى جانب ما تحققه السيرة النبوية من وظائف في تطهير النفوس وتهذيبها وما قامت به من تحرير للمجتمع العربي من الشوائب والمفاسد الى جانب هذا كله نجد الاسلام قد وضع الأسس للتاريخ المجيد للأمة الاسلامية وما تتمتع به من مقومات .

(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) •

(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) •

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) •

هذه الآيات واضحة الدلالة على أن الاسلام خلق هذه الأمة الاسلامية ورفع مكانتها بين الأمم وشرفها بهذه الرسالة السماوية وأعطاها من تراث العلم والمعرفة ما تستطيع أن تقف به بين الأمم مفاخرة معتزة وخلق الاسلام الأمة الاسلامية بتوحيد قبائلها وفض منازعاتها وتوحيد جهادها ورسم أهدافها لخير المسلمين وخير البشرية •

واذا كانت الشخصية العاقلة هى بوجه عام السمات النفسية والاجتماعية والحضارية لأمة ما ، وتتسم بثبات نسبى ويمكن عن طريقها التمييز بين هذه الأمة وغيرها من الأمم فان دراسة الأعمال الأدبية التى تناولت السيرة النبوية تطلعنا على عدد من خصائص الشخصية الاسلامية المثلى وهى تؤكد التكامل الانسانى فى صاحب السيرة ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، من ذلك ما جاء فى كتاب الشفاء نفس المقدمة يقول المؤلف عن أوصاف ــ محمد صلى الله عليه وسلم •

ان خصال الجمال والكمال فى البشر نوعان ضرورى دنيوى اقتضته الحياة وضرورتها •

ومكتسب دينى وهو ما يرجو به فاعله القربى الى الله تعالى ثم هى على فئتين أيضا منها ما يخلص لأحد الوصفين وما يتمازج ويتداخل فأما الضرورى المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان فى حياته عليه الصلاة والسلام من كمال خلقه وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته من غذاء ونوم وملبس ومسكن •

وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق والفضائل الشرعية من الدين والعلم والحلم والرحمة وحسن الخلق والمعاشرة •

والى القارىء فصلا من البحث :

الصعوبات التى تواجه التفسير الاعلامى

على أن التفسير الاعلامى للسيرة العطرة ، يواجهه صعوبات خاصة ، ترجع الى أن المواقف التاريخية تكون على النقيض من المواقف التى لا يمكن التحكم فيها بصورة صناعية ،كما يحدث فى احدى العمليات أو أخذ المختبرات الكيميائية ــ ذلك أن المواقف التاريخية « لاتكرر نفسها بالضبط تماما بحيث تسمح بصياغة قوانين وصفية دقيقة يمكن بدلالتها تفسير أثر ما ، والتكهن به فى ثقة تامة فمن المحال علينا أن نعاين الأحداث التاريخية الماضية معاينة مباشرة ، ذلك أن ما قد حدث وما أدى الى حدوث تلك الأحداث لابد من استنتاجه من أشتات أدلة

وشواهد جزئية لا يمكن الاعتماد عليها فى كثير من الأحوال ، ومن المحال اجراء التجارب على السلوك البشرى ، الشامل على أى نطاق واسع أجل ان التجارب توضع موضع الاختبار كما يحدث فى نظام جديد للحكم ، أو أسلوب جديد من الفن ، ولكن ذلك لا يكاد يتم بأية حال تحت ظروف مقننه : تسمح بالتحليل الموضوعى للأسباب والنتائج بالمقارنة مع مجموعة ضابطه ، وان ما تتسم به الاحداث الثقافية من تنوع هائل وتعقد جسيم يجعل من العسير تمييز مافيها من تكرارات دقيقة . وتبدو الظاهرات الثقافية كأنما هى تغير سلوكها على الدوام ثم ان تغايرات مجهولة لا يمكن التنبؤ بها لا تفتأ على الدوام تقلب تنبؤاتنا رأسا على عقب .

ونظرا لقلة مالدينا من القوانين المفسرة الكافية ذهب بعض أصحاب النظريات من العلماء الى أن التفسير الكامل الوحيد لحادثة معينة هو الوصف الكامل لجميع الاحداث السابقة ، وهو أمر محال بطبيعة الحال وكثيرا ما حذرنا الفلاسفة من أن الحادثة أو الحالة لا يتم تفسيرها تماما بمحض تعقب تكوينها ، وخاصة عن طريق تتبع سلسلة مساعدة من الأحداث المؤدية الى الحادثة أو الحالة الراهنة .

واذا كان من المتفق عليه ان التفسيرات الكاملة والمؤكدة والنهائية « مستحيلة فى التاريخ كما هى مستحيلة فى العلم والفلسفة.

فان التفسيرات الجزئية والمؤقتة والاختبارية ليست مستحيلة وهى أشق فى نظريات التاريخ منها فى العلوم ، الدقيقة ومن ثم وجب ان تكون متواضعة فيما تدعيه من دعاوى ومع هذا القدر من التحذير تصبح الفروض التفسيرية ممكنة فيما يتعلق بالتاريخ الثقافى بما فى ذلك تاريخ الفنون ، قدر ما هى ممكنة فى المواطن الأخرى من العلوم الاختبارية ، حيث يمكن اختبارها شيئا فشيئا على ضوء المعطيات الاخبارية ثم تدعيمها أو اضعافها أو تصحيحها . ذلك أن تفسيرا صادقا وان يكن جزئيا ــ على حد تعبير توماس مونرو (١٣) ــ يعتبر خيرا من لا شىء اذا لم تعده خطأ وأنه كل التفسير وأنه التفسير الضرورى والواف .

والاسلام فى تجدده ، وانطلاقه ، وامتداده ليس الا تفسيرا حقيقيا للطبيعة المتجددة والطبيعة الممتدة فى الحياة ، فالله جل شأنه قد مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ، كما قال فى محكم آياته . والله لم يجعل الليل سرمدا ولم يجعل النهار سرمدا ولكن جعلهما موصولين امتدادا وانطلاقا الى أبد الآبدين ، ولو وقف الكون عند نهار دائم وحسب ، وليل دائم وحسب ، لكان ذلك جمودا لا تصح به الحياة ولا يصح عليه الأحياء .

والاسلام من طبيعته التجديد وليس من طبيعته الجمود ، وآية ذلك دعوته الى العلم وحثه عليه ، وقد أعلى الاسلام من شأن العلم ، ولم يساو بين عالم وغير عالم ، لأنه يريد للناس أو الانسانية أن يتجددوا مع الحياة ولا يقفوا بها عند حد معين .

ولعل ايراد بعض آيات من مادة (العلم) فى القرآن ليساند هذه القضية فالقرآن :

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) ويقول (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) ويقول (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ) .

ويقول وزاده بسطة فى العلم ويقول (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

فالعلم متغير ، متجدد قابل للتطور والارتقاء ، وليس كذلك العبادات ومن هنا كانت دعوة الاسلام الى العلم لأنها دعوة الى التجدد فى الحياة .

وليس المقصود بالعلم هنا هو علم الدين كما فهمه بعض الجامدين من المسلمين وجاراهم فيه خبثاء المستشرقين ، والباحثين فى الاسلام من . أمثال (سيكار) الفرنسى الذى ملا مجلة مراكش الكاثوليكية فى الثلاثينيات من هذا القرن بادعاءات وطعون فى الاسلام زعم فيها أن الاسلام لم يدع الى العلم بمفهومه العامولكنه دعا الى علم الدين ، وذلك ليجرد الاسلام من فضيلة الدعوة الى العلم مطلقا والحث عليه .. ونسى المسكين الحديث النبوى : (اطلبوا العلم ولو فى الصين) فلو كان العلم هنا دينيا ما دعا النبى الى طلبه فى الصين لأن أهلها من عباد الأوثان وهذا الحديث مما رواه العقيلى ، وابن عدى والبيهقى وابن عبد البر عن أنس .

والاسلام فى دعوته الى التجديد والانطلاق فى آفاق الكون ، والنظر فى ملكوت السموات والأرض وعدم الجمود عند حد معين — لم يجر على سنن غريب عليه وليس منه .. فهو فى ذاته مجدد مصلح منذ أن دعا النبى الى سبيل ربه .. وهو أبو التجديد ورائده .. وخاصة فى شئون التشريع ، فقد أتى على نظم الجاهلية وأدخل عليها من التجديد والاصلاح ما جعله حريا بأن يوصف بالتجديد لا بالجمود .

واذا كان علماء الاعلام يذهبون — ونحن معهم الى أن الانسان كان يعيش خبرته الكلية المتكاملة الشاملة قبل ظهور اللغة الحديثة بحروفها الصوتية وبعد ظهورها تفجرت الانطباعات الكلية والمدركات للأشياء الى أجزاء مجردة فان السيرة النبوية فى نشأتها قد ارتبطت بالحضارة السمعية واتخذت مظهر الرواية والتلقين وكان الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبد الملك يوجهان أسئلة تاريخية الى الراوية المؤرخ عروة بن الزبير الذى كان يجيب عنها وخاصة ما يتصل بالسيرة النبوية من أحاديث جمعها ، وبلغ من اهتمام الخليفة الاموى العادل عمر بن عبد العزيز بالسيرة انه أمر الراوية : عاصم بن عمر بن قتادة وهو أنصارى من المدينة — أن يجلس فى مسجد دمشق ليحدث الناس بالمغازى ، والسيرة النبوية ومناقب أصحابه ، وقد توفى هذا

الراوية فى سنة ١٢٠ هـ أو ١٢٩ هـ وتتسم الحضارة السمعية بالتكرار و « الاعادة » وكانت القصيدة أول ما عرفه العرب وغير العرب من وسائل الاعلام ، وكانت الأداة الوحيدة للتعبير عن رأى القبيلة فى العصر الجاهلى ، فلما جاء الاسلام لعبت قصائد الشاعر الاسلامى (حسان بن ثابت) دورها فى مناصرة صاحب الدعوة ، ثم فى عصر بنى أمية وجد ما يسمى بالشعر السياسى ، وعلى الشعراء السياسيين من أمثال جرير والفرزدق والأخطل ، والراعى وذى الرمة اعتمد خلفاء بنى أمية فى كثير من قضاياهم السياسية ، ثم فى العصر العباسى ظهرت عصبية من نوع آخر ، اسمها الشعوبية وحلت محل العصبية القبلية ، كما ظهرت فى العصر العباسى عصبيات من نوع ثالث هى العصبيات المذهبية .

ثم فى عهود الخلافة الفاطمية والسلطنة الأيوبية أو عهد المماليك وهى العهود التى شهدت الحروب الصليبية كان للشعر المكان الأول فى ميادين الاعلام والدعاية ، وبالشعر كما بالسيف نجح الفاطميون ، فى مصر وبالشعر كما بالسيف نجح صلاح الدين وأولاده فى محاربة الصليبيين وفى التغلب عليهم وطردهم من البلاد الاسلامية ، وبقيت للقصيدة الشعرية مكانتها ووظيفتها السياسية والاجتماعية الخيرة نسمع صوت الشاعر الى جانب صوت الصحفى .

ولقد كان لقصيدة حسان بن ثابت أثرها فى اعتراف « تميم » بأن محمدا عليه الصلاة والسلام موحى اليه وثانيا بهذا الدين الذى يدعو اليه .

والحق أن حسان كان آية من الآيات التى أيد الله بها رسوله — صلى الله عليه وسلم — فقد كان المشركون أهل لسن وفخر وهجاء وقد حاربوا الرسول بهذا السلاح ، فكان لابد له أن يعد لهم شاعرا سليط اللسان قوى البيان سريع العارضة ، وقد كان لمعسكر المسلمين شعراؤه ، ولابد أن يكون الكثير منهم قد تطلع لهذا الشرف السامى ، ولكن الرسول — عليه الصلاة والسلام — بثاقب نظره .

ندب حسان لهذا الثغر من ثغور الدعوة ، فحسان أنصارى ، والانصار قد نصروا رسول الله بسيوفهم ، فهم أجدر أن ينصروه بألسنتهم ، وهو من بنى النجار — ذؤابة الخزرج — وهو شاعر ناضج معروف المكانة ، وقد كمل رسول الله — صلى الله عليه وسلم ناحية النقص فى عدته الهجائية ، فعهد الى أبى بكر أن يحدثه حديث القوم وأيامهم واحسابهم ، وقد ظهر أثر ذلك كله فى شعر حسان ظهورا لم يخف على فطانة قريش ، فقالت بعد سماع حسان :

هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبى قحافة .

ولقد سر النبى — صلى الله عليه وسلم لهذا التوفيق الذى أصاب شاعره فكان يستنشده ويطيل الاستماع اليه ثم يقول

٥

« لهذا أشد عليهم من وقع النبل وروى أنه قال « أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأخشن (وأمرت حسان بن ثابت فشفى واستشفى .

وواضح من المواقف التى وقفها حسان وأمثاله انه كما كان للدعوة شعراؤها المؤمنون بها المنافحون عنها فلقد كان لها كذلك اعداؤها ممن اتخذوا يكيدون لها شعرا مثل امية ابن ابى الصلت ، وكعب بن الأشرف وعبد الله ابن الزبعرى والحارث بن هشام وغيرهم .

واذا كان لهؤلاء وأولئك مواقفهم الشعرية بعد فتح مكة ، فقد كان لهم قبل الفتح .

ففى موقعة بدر الكبرى — مثلا — حيث كان نصر المسلمين رائعا مؤزرا يقول حسان بن ثابت :

سرنا ، وساروا الى بدر لحينهم
لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم اسلمهم
ان الخبيث من والاه غرار
وقال : انى لكم جار فأوردهم
شر الموارد فيه الخزى والعار

ويمضى شعر المسلمين يسجل على قريش بغيها وبطرها الذى سجله القرآن من قبل ، فقال كعب ابن مالك :

عجبت لأمر الله والله قادر
على ما اراد ، ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقى معشرا
بغوا ، وسبيل ، البغى بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم
من الناس ، حتى جمعهم متكاثر

وشاعر يهودى قد ملىء قلبه غيظا وحقدا على محمد — صلى الله عليه وسلم — ودعوته ، وقد رأى فى موقعة بدر سوءا عليه وعلى قومه ، وعلى دياره فى يثرب وما حولها فيذهب الى مكة مستنهضا قريشا مستثيرا ، لياخذوا بثارات قتلاهم فى بدر فيقول :

طحنت رحى بدر لمصرع اهله
ولمثل بدر نستهل وندمع
قتلت سراة الناس حول خبائهم
لا تبعد وان الملوك تصرع
نبئت ان الحارث بن هشامهم
فى الناس يبنى الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وانما
يحمى على الحسب الكريم الأروع

ومهما كان القول من جوانب شعراء المسلمين ، او شعراء المشركين فقد كان لواء الشعر معقودا على حسان ، حيث كان يضرب بشعره فى مقاتل قريش ، ويحشد كل امكانياته البيانية فى اطار ايمانه المنيع العميق ، وحبه للرسول — صلى الله عليه وسلم — .

ويبدو أن حسان كان قد غطى كل احداث عصر الرسول — صلى الله عليه وسلم — شعره بجانب ما نظم من مناقضات يرد بها على شعراء المشركين ، كما فعل فى رده على ابن الزبعرى او الأعشى بن زرارة التيمى حليف بنى نوافل بن عبد مناف ، فقد كان كلاهما يبكى على بدر ويتحسر على مقتل كبار رجالات قريش .

الكمبيوتر

حافظ عصرنا ودوره فى تصنيف السنة ودراستها

للدكتور عبد العظيم الديب

تناول الباحث موضوعه ــ بعد مقدمة طيبة اشتملت على التحية والأمل ــ فى ضوء الأفكار التالية

بذور المشروع وجذوره ·

مشروعات أتت ثمارها ·

فكرة عامة عن الجهاز ·

امكانات الجهاز ·

مراحل العمل ·

قائمة كتب الرجال والعلل ·

كتب السنة المشرفة ·

ثمار وآمال ·

الاجتهاد وشروطه ·

محاذير وعقبات ·

الخاتمة

ونقدم للقارىء فصلا من هذا البحث يعطى فكرة عن امكانات هذا الجهاز ·

إمكانيات الجهاز

يقوم هذا الجهاز بوظيفتين خطيرتين : ــ

أولاهما : تخزين المعلومات بكميات هائلة فى حيز ضيق ، والاحتفاظ بها فى مأمن من كل خطر ، ثم تقديمها وقت الحاجة ، فى دقة ، وسرعة وسهولة ويسر ، مع الاختيار منها حسب رغبة المتعامل معه ·

ثانيهما : تحليل المعلومات ، وتصنيفها ، والاستنتاج منها ، وابداء الآراء ــ فى أعقد الأمور وأخطرها بناء على الاستفادة بالمعلومات السابقة عنده ·

وسنحاول أن نبين دوره فى كل من الناحيتين ، فى موضوعنا : ــ

أولا : من ناحية القدرة على الاستيعاب والتخزين : ــ

ان الاسطوانة الممغنطة الواحدة فى حجم مجلد : جزء واحد من (فتح البارى) مثلا تسع خمسة وسبعين مليون حرف (٧٥٠٠٠٠٠٠) ــ فاذا قدرنا أن متوسط الكلمة خمسة حروف فمعنى ذلك أنها تسع ١٥٠٠٠٠٠٠ (خمسة عشر مليون كلمة) ·

الكومبيوتر حافظ عصرنا

ـ فاذا اعتبرنا متوسط سعة الصفحة الواحدة نحو ٥٠٠ (خمسمائة) كلمة بملاحظة أن الكتب القديمة تتكدس فيها الكلمات بصورة أكبر من الطبعات الحديثة فتكون سعة

الاسطوانة $\frac{١٥٠٠٠٠٠٠}{٥٠٠}$ = ٣٠٠٠٠ أى ٣٠٠٠٠ صفحة (ثلاثين الف صفحة) .

ـ فاذا قدرنا أن متوسط المجلد الواحد ٥٠٠ صفحة (خمسمائة صفحة) فتكون سعة

الاسطوانة $\frac{٣٠٠٠٠}{٥٠٠}$ = ٦٠ مجلدا .

وهذه هى الاسطوانة المتاحة حاليا لدى مركز الكومبيوتر بالجامعة .

فاذا علمنا أن جهازا واحدا يمكن أن يلحق به اكثر من (صندوق) اسطوانة بحسب سعة المكان ، أدركنا أن جهازا فى حجرة معتادة ٣ × ٤ متر يمكن أن يسع خمس اسطوانات على خط واحد ، أى تكون جاهزة للتعامل معها والبحث فى محتوياتها فى وقت واحد .

واذا علمنا أن الاسطوانة منها أنواع تسع الواحدة ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ (ثلثمائة مليون حرف) بحسب نوع الصندوق الخاص بها .

اذا علمنا ذلك كان معناه أن هذا الجهاز قادر على استيعاب ٢٤٠ مجلدا (مائتين وأربعين مجلدا) فى اسطوانة واحدة ، فاذا أضيف اليه أربع وحدات تخزين أخرى ، كان قادرا على استيعاب ١٢٠٠ مجلد ، وقادرا على التعامل معها فى وقت واحد .

وفى تقدير تقريبى للكتب الواردة فى الرسالة المستطرفة فى كتب السنة المشرفة وجدتها نحو ألف كتاب (بتقدير أن فى كل صفحة نحو عشرة كتب) بعضها رسائل صغيرة ، وبعضها مجلدات كبار) .

معنى ذلك أن طاقة التخزين المستوعب المستقصى ميسورة مقدورة ان شاء الله .

تخزين المخطوطات بصورتها :

وهناك طريقة يمكن بها تخزين المخطوطات بصورتها بحيث يظهر النص على شاشة (الكومبيوتر) مصورا ، فيكون أسهل وأضبط ، وأسرع ، حيث لا تتكلف وقتا فى قراءة المخطوطة وفك عباراتها ، لأن ذلك سيكون عسيرا على الطابع حيث لا خبرة له فى هذا المجال . وهذا أمر سهل ميسور ، فهناك كثير من البنوك الآن تضع صورة توقيع العملاء فى الكومبيوتر ، وتستدعيها عند مراجعة التوقيع وتدقيقه .

وفى كثير من المراكز الصناعية الكبرى يوضع فى (الكومبيوتر) الرسوم والخرائط وتصميمات الأجهزة والآلات ، ومخططات تفصيلية للعلاقة بينها .

وسيكون وضع المخطوطات بصورتها أمام الباحثين ميسرا مقابلتها ومعرفة فروقها ، ومراجعتها على الأصل والمصادر التى اعتمد عليها المؤلف ، وبالتالى تصحيحها وتحقيقها .

وهنا يكون تخزين المخطوطات (بالعنوان) لا (بالمحتوى) بمعنى أننا نستدعى صفحاته

حسب الأرقام أو حسب عناوين الفهرس •

فاذا تم الضبط والتحقيق ، يمكن أن يعاد تخزينها على أساس المحتوى •

سرعة العطاء

هذه القدرة على التخزين والاستيعاب ، توازيها قدرة على العطاء والجواب ، فيستطيع الجهاز أن يعطى الاجابة بسرعة عجيبة تصل الى $\frac{1}{1000}$ من الثانية (جزء من ألف من الثانية) وذلك بظهورها على الشاشة •

القدرة على الطباعة

أما الاجابة المطبوعة (والتى يعتبرها مصممو هذه الأجهزة بطيئة) فقد نراها نحن أبعد من الخيال ، ذلك أن سرعة الآلة الطابعة الملحقة بالجهاز تعطى ١١٠٠ سطر (ألف ومائة سطر فى الدقيقة الواحدة) سعة كل سطر نحو ٢٥ كلمة ، وهذا القدر يوازى أكثر من عشرين صفحة بحجم الطباعة المعتادة ، أى أن الجهاز قادر على أن يعطينا مجلدا فى خمسمائة صفحة فيما بين ثلث ونصف ساعة •

الإجابة على البعد

ان هذا الجهاز قادر على الاجابة عن بعد بواسطة ترتيبات معينة تسمح بتوصيلة بالتليفون ، فيطلب صاحب التليفون ما يريد من معلومات ، فتتقدم له بنفس السرعة تقريبا ويحصل على ما يريد من بيانات أو احصاءات ومعلومات من مكانزها بدون واسطة ، وتصله حيث هو •

التحليل والتصنيف والاستنتاج

هذه هى الوظيفة الثانية التى يقوم بها الجهاز ، والتى ننتظرها منه فى مجال أبحاثنا ، ويقينى أن الجهاز قادر على أداء هذا الدور ، وليس هذا جموحا فى الأمل ، أو خيالا فى الطموح ، فالحقائق المؤكدة التى نراها أمامنا تشهد بذلك وتؤكده ، ويكفى أن نعرف أن هذا الجهاز يقود الطائرات ذات المهمات الخطيرة فى أعلى طبقات الجو ، ويحسب لكل ظرف حسابه ، فيوجه الطائرة ارتفاعا وانخفاضا ، •••••• الخ •

بل ان الأعجب من ذلك قيادة مراكب الفضاء ، ومتابعتها ، وتوجيهها وتعديل مسارها ، بل واصلاح العطب بها ، حتى انه لتجرى عمليات نقل صمامات وتشغيل مفاتيح ، ولحام كسور ، ووصل أجزاء ، كل هذا بتوجيه من الكومبيوتر •

ولعل الجميع يوافقنى أن هذه الأعمال اشد تعقيدا ، وأصعب تنفيذا من الحكم على الحديث وبيان درجته ، بعد امتلاك كافة المعلومات والمصادر التى يبنى الحكم على اساسها •

وربما كان العائق الوحيد فى سبيل ذلك هو وجود المبرمج المختص المتمرس فى مثل هذه الأمور ، وفى هذا النوع من الدراسات •

الشــورى فى
السنة والسيرة النبوية

فى بداية البحث يتعرض المؤلف الى مدى اهتمام القرآن الكريم بالشورى ، وكيف أن القرآن قد جعل الشورى أمرا واجبا ، ويستدل المؤلف بالآية الكريمة من سورة آل عمران بقـول الحـق سـبحانه مخاطبا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ».

ومن خلال قوله تعالى « وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ » .

ويرى أن ذكر صفة الشورى بالجملة الخبرية أبلغ فى الثبوت والوجوب ، ويقول المؤلف ان الله سبحانه وتعالى فى الآية قد حدد الصفة الأساسية التى تميز المؤمنين بقوله سبحانه : « وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ » .

ثم يكشف لنا عن سر اهتمام القرآن الكريم بالشورى ويرجعه الى اهميـة صفة الشورى فى حياة الفرد وشئون الجماعة . ثم ينتقل الى اثر الشورى على الأمـة الاسلامية مبينا أثرها فى الحكم وكيف أنها ضمان لاستقراره وأمنـه وأنها تذكير للأمة بانها صاحبة السلطان وتذكير لولى الأمر بأنه الوكيل فى ممارسة السلطة ثم يثير نقطة رئيسية فى بحثه ، هى مدى تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم للشورى كمبدأ اساسى تطبيقا كاملا فى مختلف الشئون العامة والخاصة ، وحرصه الشديد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الاستشارة فى كل صغيرة وكبيرة مما لم يرد بشأنها وحى السـماء .

ويضرب الأمثال لتغلغل الشورى فى مختلف المنـاحى فى الصـدر الأول ، فبالنسبة لشئونه صلى الله عليه وسلم اتى المؤلف بحادثة الافـك مبينا كيف ان الرسول صلى الله عليه وسلم استشار على بن ابى طالب واسامة بن زيد فى فراق اهلـه .

للدكتور عبد الحميد إسماعيل الانصاري

وعن شئون الرسول صلى الله عليه وسلم العامة والسنة العملية أورد المؤلف أمثلة كثيرة من الغزوات عرضها حسب ترتيبها بدأها بغزوة بدر فأحد والخندق ... الخ .

وعرض المؤلف مواقف الشورى فيها من الرسول وعدد مرات الشورى فى الغزوة الواحدة ، واذا كان للرسول مشاوراته فى الغزوات فان له فى غير الغزوات أمثلة تعرض لها مؤلف البحث أيضا وأورد نماذج منها مشاوراته صلى الله عليه وسلم حول انشاء المنبر يوم خطب الى جذع شجرة فى المسجد يوم الهجرة ، وأيضا مسألة الآذان .

وبعد تطبيقات الشورى فى السنة العملية ، سواء فى الغزوات أم غيرها ينتقل المؤلف الى ايراد أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم — يبين بها أهمية الشورى والحث عليها ووجوب تمسك المسلمين بها ، وبها ينتهى البحث .

ونعرض نموذجا من البحث يتناول الشورى فى الشئون العامة فى بعض الغزوات . قال الباحث ..

وأما فى الشئون العامة فهى كثيرة ومن الأمثلة على ذلك مشاوراته — صلى الله عليه وسلم — فى الغزوات ونذكرها بالترتيب التالى : —

(أ) غزوة بدر : فى السنة الثانية من الهجرة :

شاور الرسول — صلى الله عليه وسلم — أصحابه فى هذه الغزوة ، أربع مرات .

(أ) شاورهم — أولا — فى الخروج للعير ابتداء حين بلغه اقبال ابى سفيان ، فتكلم ابو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقام سعد بن عبادة فقال : أيانا تريد يارسول الله ؟ والذى نفسى بيده ، لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها الى برك الغماد لفعلنا (٢) .

(ب) وشاورهم — ثانيا عندما خرجت قريش لتدافع عن عيرها .

اذ أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — لما وصل — الصفراء — وبلغه أن قريشا قصدت بدرا وأن أبا سفيان نجا بمن معه ، فاستشار الناس فقام أبو بكر فأحسن ، ثم

(١) فتح البارى ١٠ / ٨٣ ، ٨٣ و ٨ / ٤٤٦ وأحكام القرآن لابن العربى ١/ ٢٩٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ١٢٤ ، ط دار الفكر بيروت ١٣٩٢ هـ .

قال عمر فأحسن ، ثم قام المقداد ، فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله به فنحن معك ، والله لا نقول كما قال قوم — اذهب أنت وربك فقاتلا — ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك (١) .

(هـ) وشاورهم فى المنزل يوم بدر :

فقد ثبت فى السير أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لأصحابه أشيروا على فى المنزل ، فقال الحباب بن المنذر لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — « أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله ، فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال : فان هذا ليس بمنزل ، انطلق بنا الى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ماوراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون (٢) .

(د) وشاورهم فى أسارى بدر :

وكان المسلمون قد قتلوا من قريش سبعين وأسروا سبعين ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأبى بكر وعمر : ما ترون فى هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يانبى الله هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للاسلام . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قلت : لا والله يا رسول الله ما أرى الذى رأى أبو بكر ولكن أرى ان تمكننا فنضرب أعناقهم ، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكنى من فلان — نسيبا لعمر — فاضرب عنقه ، فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها .

فهوى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت (٢).

٢ — غزوة أحد (فى السنة الثالثة من الهجرة).

وسببها أن قريشا قدمت للانتقام مما حصل لها فى بدر . ونزلت ببطن الوادى من قبل أحد وكان الرسول — صلى الله عليه وسلم — قد رأى رؤيا ، فلما أصبح قال : رأيت البارحة فى

---

(١) فتح البارى ٨ / ٢٩٠ ووقع عند مسلم وغيره أن سعد بن معاذ هو الذى قال ما قاله المقداد ، ولكن المحفوظ ان الكلام المذكور للمقداد .. وأن سعد بن معاذ انما قال : « لو سرت بنا حتى تبلغ برك الغماد لسرنا معك » لان سعد بن معاذ لم يشهد بدرا ، وان كان يعد فيهم لكونه ممن ضرب له بسهمه . ويمكن الجمع بأن النبى صلى الله عليه وسلم استشارهم مرتين ، الاولى وهو فى المدينة ، وذلك بين فى رواية مسلم . والثانية بعد أن خرج كما فى هذه الرواية ، هذا ما ذكره الحافظ فى الفتح ، وراجع البداية والنهاية ٣ / ٢٦٢ ، وسنن البيهقى الكبرى ٧ / ١٠٩ .

(٢) احكام القرآن : ابن العربى ١ / ٢٩٩ وفى البداية والنهاية ٣/ ٢٩٦ روى ابن اسحاق عن رجال من بنى سلمة انهم ذكروا ان الحباب هو الذى اشار بالرأى ابتداء .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٦ / ٧٦ ، عون المعبود ٧ / ٣٥٤٥ ، تحفة الاحوذى ٧ / ٣٧ .

منامى بقرا تذبح ، والله خير وأبقى ، ورأيت سيفى ذا الفقار انقصم من عند طيته — أو قال به فلول — فكرهته ، وهما مصيبتان ، ورأيت انى فى درع حصينة ، وأنى مردف كبشا ، قالوا : وما أولتها قال : أولت البقر بقرا يكون فينا ، وأولت الكبش كبش الكتيبة،

وأولت الدرع الحصينة ، المدينة .

ولكن النبى — صلى الله عليه وسلم — مع ذلك شاور أصحابه ، مبينا رأيه الخاص بالبقاء واذا دخل القوم أزقة المدينة قوتلوا ورموا من فوق البيوت . وان أقاموا خارجا أقاموا بشر مقام .

ولكن الاغلبية رأت الخروج لحجج متعددة منها شوقهم للقاء العدو ، وحتى لايقال عنهم انهم ضعفاء .

فلما صلى — صلى الله عليه وسلم — الجمعة ، وعظ الناس وذكرهم وأمرهم بالجد والجهاد ، ثم دعا باللامة فلبسها ، وأذن فى الناس بالخروج .

فقال ذوو الرأى منهم : أمرنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن نمكث بالمدينة،

وخشوا ان يكونوا استكرهوا الرسول — صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله : « ان شئت أن تقعد فاقعد ، فقال : ما ينبغى لنبى اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ، وقد دعوتكم الى هذا الحديث فأبيتم الا الخروج فعليكم بتقوى الله والصبر عند الباس اذا لقيتم العدو وخرج الرسول — صلى الله عليه وسلم — بأصحابه (١) .

٣ — غزوة الخندق (فى السنة الخامسة من الهجرة) .

وقد استشار الرسول — صلى الله عليه وسلم أصحابه مرتين : —

(ا) عندما أشار سلمان الفارسى على

النبى — صلى الله عليه وسلم — بحفر الخندق ، وقال : انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا (٢) .

(ب) شاروهم فى مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة :

فقد أرسل النبى — صلى الله عليه وسلم — الى عيينة بن حصن وهو يومئذ رأس المشركين من غطفان ، يقول له : أرأيت أن جعلت لك ثلث ثمار الانصار ، أترجع بمن معك ، من غطفان ، وتخذل بين الأحزاب ؟

فأرسل اليه عيينة : ان جعلت لى الشطر فعلت . فأرسل النبى — صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يستشيرهما فقالا يا رسول الله ان كنت أمرت بشىء فامض لأمر الله . فقال : لو كنت أمرت بشىء لم استأمركما ولكن هذا رأى أعرضه عليكما . قالا : فانا لا نرى أن نعطيه الا السيف فقال : نعم اذن .

(١) فتح البارى ٨ / ٣٤٨ المصنف لعبدالرزاق ٥ / ٣٦٤ ، تفسير ابن كثير ١ / ٣٩٩ ، البداية والنهاية ٣/ ١١ .

(٢) فتح البارى ٨ / ٣٩٥ .

وظيفة العقوبة

على ضوء أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية

فى ظلال السيرة العطرة ، وعلى هدى من السنة النبوية المطهرة .. وفى رحاب الأزهر الشريف .. فى ظلال الايمان وروض الكنانة .. تلاقت القلوب فتعانقت الاهداف .. وتعلقت الابصار بالقاهرة .. ارهف العالم الأسماع .. لقد تجمع العلماء من كل البقاع .. وفى المؤتمر الكبير .. فى مؤتمر السيرة والسنة الرابع تم تكنترى الا العمل بحثا ، ودرسا ، تنقيبا ، وفحصا .. توضيحا للمعالم وتنبيها للعالم .. توضيحا وتنبيها وتذكيرا .

توضيحا لمعالم السيرة وتنبيها الى مكانة السنة وتذكيرا بقول الحق سبحانه « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » التوبة ١٠٥ .

وها هو الدرب يبين .. والمعالم تتضح .. من خلال ما قدم للمؤتمر من ابحاث .

ولعل ابرز معلم من معالم الحياة الحرة الكريمة تلك التى أرسى الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ قواعدها .. لعل أرسخ هذه القواعد وأبرزها ما اشار اليه الرئيس محمد حسنى مبارك فى كلمة الافتتاح للمؤتمر : تطبيق الشريعة الاسلامية عملا لا قولا .. تنفيذا لا شعارا .

وفى سبيل هذه الغاية النبيلة كان البحث المقدم من الاستاذ الدكتور/ عبد الرحيم صدقى .

بعنوان : وظيفة العقوبة على ضوء أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية ويقع هذا البحث فى (٦٢) صفحة ، ويهدف الى : القاء الضوء على منطقية وعدالة العقاب فى الاسلام من خلال التعرض لوظيفة العقاب الدنيوى فى الحدود الاسلامية ، وبيان مرونة العقاب فى هذه الحدود كما يعرض الاستاذ الباحث لبعض التأملات الفلسفية حول ذاتية العقوبة ومدى صلاحيتها لتحقيق غايتها او صلتها بالغاية ، واستكمالا للموضوع عرج سيادته على التعزير للمصلحة العامة والتعزير

للدكتور عبد الرحيم صدقى

للمخالفات مبينا وظيفة كل وغايته ، وابان هذا العرض الفكر الجنائى فى الاسلام ان حدا أو تعزيرا لم يغفل سيادته أن ينوه عن التكفير مجيبا على سؤال مطروح : هل الحد يكفر الجرم ام لا ؟

تلك عجالة سريعة لموضوع له خطره وأهميته وحتى لايفوت القارىء الكريم الالمام بالتفاصيل نوجز أبرز الافكار التى قصد الاستاذ الباحث الى ابرازها والتاكيد عليها ومن ذلك :

ــ العقوبة لم تفرض لذاتها وانما فرضت لدرء مفسدة .

ــ حسن تطبيق الشريعة الاسلامية أدى الى تنفيذ السياسة التى يرمى اليها الشارع الحكيم .

ــ **اقسام العقوبات الثلاث** : الحدود ــ القصاص ــ التعزير : كل لا يتجزأ .

ــ اهتمام الفكر الجنائى الاسلامى بتضييق دائرة العقاب البدنى « المقدر » يعكس الاهتمام بالاصلاح والتهذيب ، وتحسين حالة المجتمع فى المستقبل وعدم الاقتصار على اقرار الواقع لذاته .

ــ لا يمكن للعقاب أن يحقق وظائفه وغايته بلا أصول ثابتة للمجتمع ، ومن ثم فان تفشى الفساد ، وتحكم الهوى والبعد عن المصلحة الجماعية يحكم على تنفيذ العقوبات بالفشل بل انها لتسىء الى الاسلام كما تضر بالمجتمع لأنها طبقت بعيدة عن مناخها .

وانطلاقا من هذه الأفكار يؤكد الباحث على أن العقوبات الاسلامية ليست غاية فى ذاتها بل هى محض وسيلة تهدف الى اسعاد البشرية وتحقيق العدل لاجتماعى ، وتقوم على احقاق الفضيلة العامة فى الراى الحر والعدل الاجتماعى ، ومن ثم فان تطبيق العقاب فى مجتمع لا فضيلة فيه ولا أخلاق ولا رايا حرا ولا عدلا اجتماعيا يعد ضربا من ضروب الظلم لا فائدة ترجى من ورائه .

تطبيق العقاب فى مجتمع هذا شانه يسىء الى حقيقة الشريعة الاسلامية ذاتها ، فالشريعة الاسلامية تسير وفق المبدأ : « الوقاية خير من العلاج » ولا تلجأ الى العقاب الا بعد استنفاد طرق الوقاية التى فرضتها على المسلم كالصلاة والزكاة والصيام .. وعليه فان الباحث لا يتصور

٥

وظيفة العقوبة على ضوء أحكام القرآن الكريم

تطبيق العقوبات الاسلامية فى مجتمع لايفرض الزكاة ولا يحاسب تارك الصلاة ويبيح الخمور ..

ومن ثم يوجب الباحث النظر الى الاسلام ككل لا يتجزأ .. ويرى ضرورة التطبيق للأحكام فى شتى المجالات من شخصية واجتماعية واقتصادية بل وسياسية الا أن سيادته يدعو الى التدرج فى التطبيق بدءا بالجنايات فى المرحلة الأولى وصولا الى الاصلاح الذى ينشده .

وعن وظيفة العقاب فى حد الزنا نرى الباحث يرد شدة العقاب فى جريمة الزنا الى أمرين :

١ ــ أنها تشكل تعديا صارخا على الحياء ، والحياء خلق الاسلام .

٢ ــ ارتكابها خفية وصعوبة ضبطها ما لم تكن فى مكان عام . وفى تنفيذ العقوبة جلدا أو رجما زجر للغير ، كما أن فى التغريب تطهير للجانى بابعاده عن مناخ الجريمة .

ويتساءل الكاتب : هل التكفير يعد غاية من غايات العقوبة فى حد الزنا ؟ .

وفى سبيل الاجابة على ذلك بين سيادته الفروق الجوهرية بين العقوبة والكفارة ، وبناء على هذه الفروق قرر أن تنفيذ عقوبة الزنا لا تعد من قبيل التكفير عن الذنب .. ثم قال : « على أن اعتراف الجانى فى جريمة الزنا يعد دليلا على توبته توبة نصوحا » .. وأضاف : ان غاية التكفير فى بداية الاسلام استهدفت أساسا معالجة بعض المشكلات الخطيرة كالرق ، كما استهدفت استقرار العبادات فى النفوس .

وعن مرونة العقاب فى حد الزنا أوضح الباحث أن من أبرز ملامح هذه المرونة امتداد المعالجة العقابية الى مرحلة التنفيذ ويتمثل ذلك فيما يلى :ــ

١ ــ فرار الجانى من ساحة التنفيذ يوقف تنفيذ العقوبة لأنه بمثابة الرجوع عن الاقرار .

٢ ــ عدم حضور الشهود واقعة تنفيذ العقوبة يوقف التنفيذ ، لأن حضور الشهود واقعة التنفيذ اشعار لهم بخطورة ما شهدوا عليه ، وعليهم أن يتحملوا وزر الشهادة .

ويختتم الباحث حديثه عن حد الزنا بالحديث عن ذاتية العقوبة ومدى صلاحيتها لتحقيق الغاية مقررا ما يلى :ــ

ــ المعاملة العقابية تتغير حسب طبيعة المجرم وآثار الجريمة الاجتماعية . فما يصلح عقابا لجريمة السرقة لا يصلح عقابا لجريمة الزنا ، **وعلى ضوء ذلك لا يجوز القياس بين الحدود .**

ــ مسايرة التطور تجيز امكانية تغيير وسيلة العقاب بالرجم بشرط ألا تمس كيفية تنفيذها .

وفى حديثه عن حد السرقة ركز على معانى الاصلاح فى حد السرقة والتى تمثلها فى :ــ

ــ أن عقاب السارق يتسم فى المقام الأول بالزجر ، والاسلام لم يترك الجانى بعد عقابه دون رعاية .

ــ الاسلام لا ينزل العقاب المحدد بالجانى فى حالة تفاهة القيمة المادية للمسروق وان عاقبه تعزيرا .

ـ اقرار العفو فى حالة رد المسروق قبل بلوغ الأمر للحاكم .

ـ قطع يد السارق علانية يؤدى بـه الى الابتعاد عن مكان الجريمة وبداية حيـاة جديدة .

ـ فى قطع يد السارق اشارة الى تحـذير الغير منه وتبصيرهم به وزجرهم عن الجـرم الذى عوقب عليه .

ـ عقوبة قطع اليد ذات غاية أساسية وهى استئصال العضو الذى مكن مـن الجـرم ، وفيه اقرار لرغبة الشريعة فى معاملة السارق بنقيض مقصوده .

وتظهر ملامح مرونة العقاب فى السرقة فى :

١ ـ أنها تولد حقا خاصا قبل رفع الدعوى فى حين أنها تعتبر حقا عاما بعد رفع الدعوى لولى الأمر .

٢ ـ الندب الى العفو عن الابلاغ قبل رفع الأمر الى الحاكم .

٣ ـ الأخـذ بظـرف الضرورة فالضرورة توقف تطبيق الحد .

٤ ـ ايقاف تطبيق الحد عندهروب الجانى بعد اعترافه فالهروب دليـل الرجـوع عـن الاقرار .

٥ ـ جواز العدول عن الاقرار ولو بعـد الحكم . فالفقه الاسـلامى عنى بتوخى الحقيقة العادلة قبل عقاب الجانى (فالشـك يفسر لمصلحة المتهم) كما أن الشريـعة تهتم بقيمة الشىء فى يد صاحبه لا قيمته فى يـد الجانى .

وعن وظيفة العقاب فى حـد القذف اكـد الباحث أن القذف فعل محدد الملامح واضح الألفاظ ، أما السـب فمتغير حسـب المكـان والزمان .. وعقاب حد القذف ليس بتكفـير عن ذنب والقصد منه حماية النسل ..

وأما عن أثر هذا الحد فى اصلاح الجانى فان ملامح الاصلاح تبدو فى : أن عقاب القـاذف يمنعه من العود بل ان القـاذف ولـو كـان صادقا يعزر حتى لا تشيع الفاحشة ، ومـن هذه الملامح : عدم الحد بالتعريض ، وعـدم خضوع الزوج عند قذفه زوجته لهذا الحـد بل يخضع لأحكام اللعان .

ولعل مرونة العقاب فى حد القذف تظهر فى :

١ ـ سهولة تنفيذه على الغنى والفقـير والشريف والوضيع .

٢ ـ اقرار عقاب تبعى آخر للقاذف يتمثل فى عدم قبول شهادته ما لم يتب .

٣ ـ مراعاة حالة الزوج المخدوع باقـرار حق اللعان له .

وتحت عنوان « ذاتية العقاب ومدى تعلقها فى غايتها يقرر الباحث ما يلى : ـ

ـ غاية العقاب فى حد القذف عدم اشاعة الفاحشة واقرار العفة والأخلاق فى المجتمع ، لذا لا يصح الصلح على مال .

ـ الفقه الجنائى الاسلامى يهتم بقـاعدة التناسب بين الجرم والعقاب كما يهتم بصفة المجنى عليه فى حد القذف .

أما عن وظيفة العقاب فى حد شرب الخمـر فقد بين الكاتب أن العقاب على شرب الخمـر يقوم على أساس النظرة الى آثار الجريمـة كمـا يدل على حرص الاسلام على سـلامة

وظيفة العقوبة على ضوء أحكام القرآن الكريم

البدن وصحة العقل ، ولقد كشف الطب الحديث صواب مسلك الاسلام فى تحريم الخمر اذ ثبت أنها تؤدى الى جوار مفاسدها الظاهرة – الى العقم ، وضعف النسل ، ومن ثم فان نظرة الاسلام لهذه الجريمة لا تقتصر على السكر البين فى الطريق العام •

ويضيف الكاتب :

ان حد شرب الخمر من الحدود الشرعية المحددة ولا يمكن اعتباره تعزيريا ، ذلك لأن جرائم التعزير قابلة للتغير أو التبديل أو الاباحة ، واعتبار هذا الحد تعزيريا قد يؤدى الى هذه النتيجة الشاذة وهى : اباحة شربها عبر الأزمان واختلاف المكان ••

كما يؤكد سيادته على أن العلم بحقيقة المادة المسكرة مع عدم الاكراه هو أساس العقاب فى حد شرب الخمر •

وأملا فى الاصلاح والصلاح وسيادة الأمن والأمان ينتقل بنا الباحث الى بيان وظيفة العقاب فى حد الحرابة متحدثا عن الاصلاح والردع فى هذا الحد قائلا :

الحرابة نقض لعهد الله مع العلم بفحواه ، وتعد من أخطر الجرائم بعد جريمة الردة ، اذ أنها تعنى الخروج عن نظام المجتمع الاسلامى •

لذا فان جانب الردع فيها يفوق جانب الاصلاح فى غالبية الأحوال ، ومن ثم اكتفى الاسلام بفكرة الاصلاح فى حالة واحدة وهى : حالة التوبة قبل القدرة على الجناة •

وعلى الرغم من غلبة جانب الردع على جانب الاصلاح فان هذه العقوبة لا تخلو من مرونة تتمثل فيما يلى : –

١ – تنوع العقوبة •

٢ – التدرج من الاصلاح للجانى الى الردع ، وفرق بين التدرج هنا وبين التدرج فى العقوبات التعزيرية ، اذ أن العقوبات التعزيرية تعتمد فى تنويعها على شخصية المجرم ، أما جرائم الحرابة فالعقوبات فيها لا تتغير عن الفعل الاجرامى الواحد من مجرم الى آخر •

وتحت عنوان « غاية التوبة فى حد الحرابة » بين الباحث أن الاسلام قد رفع العقوبة عن العائدين الى صفوف المجتمع قبل ضبطهم ، كما ذكر أن التوبة قبل القدرة على الجانى لا تحدث أثرها ولا تحقق فائدتها فى الاعفاء من العقاب الا اذا كان الجانى مبتدئا •

ولقد فرق الباحث بين القتل فى الحرابة ، والقتل قصاصا من عدة وجوه منها :

١ – عقاب القتل فى الحرابة يعتبر حقا عاما ، أما عقاب القتل قصاصا فيعتبر من قبيل الحق الخاص الا اذا وقع القتل غيلة •

٢ – عقاب القتل قصاصا يتطلب مباشرة الجانى للجريمة بنفسه بخلاف عقاب القتل فى الحرابة •

وفى حديثه عن الردة • يقول : ان العقاب الأخروى عن الردة هو الخلود فى النار ومن ثم فلا مجال لفكرة التكفير عن الذنب بالحد » وأضاف ••• ان عقوبة المرتد قد اتسمت بالاهتمام بعدم انزال العقاب الا لمن يثبت

عدم امكانية اصلاحه لاسيما بعد أن وضع الاسلام حكما خاصا بالاستتابة ، وتظهر أهمية الاستتابة فى القضاء على أسباب الارتداد ..

وبالتالى فان العقوبة على الردة ليست مقصودة لذاتها اذ تسبقها معالجة انسانية ..

فالاستتابة اجراء تحفظى من جانب الحاكم على المرتد .. أما التوبة قبل القدرة فى الحرابة فعمل ارادى ، وعلى هذا فان أولى درجات المعالجة الجنائية فى حد الردة تهتم باصلاح الجانى أخلاقيا ، وما الحبس فى فترة

الاستتابة الا مجرد اجراء تحفظى على الجانى لمنعه من اثارة الفتنة ، ومن ثم فانه لا يعد عقابا جنائيا .. فاذا ما فشل هذا التدبير الاجتماعى فلا مفر من البتر (الاعدام) .

ويمضى بنا الباحث لتأكيد أن وظيفة العقاب فى الحدود تعنى الاصلاح قبل العقاب .. فيبرز اهتمام الاسلام بالاصلاح قبل العقاب فى القصاص وذلك بذكره لأهم ملامح الاصلاح فى حد القصاص التى تتجلى فى !

١ ــ وضع الأحكام العملية التى تحقق عدم وقوع الجريمة كعدم توريث القاتل .

٢ ــ تقدير الدية بمبلغ لا يستهان به .
٣ ــ مراعاة القصد الجنائى للجانى .

٤ ــ عدم محاسبة الجانى الحدث .
٥ ــ ترك زمام الأمور بيد المجنى عليه أو أهليته .

كما بين الباحث أن قتل العمد كبيرة ولا مناص فيه كسائر الكبائر .

وأضاف اذا كانت مرونة العقاب سمة من سمات العدالة فان عدالة الاسلام قد تحققت

بتحقق المرونة فى حد القصاص وتظهر هذه المرونة فى :

١ ــ التفرقة بين القتل العمد وغير العمد .
٢ ــ قيام العقاب على فكرة الاشتقاق من نفس الجريمة .
٣ ــ تنوع المعاملة العقابية بين : قود ، ودية ، وعفو .

وفى الختام عقد الباحث مقارنة بين التعزير على المخالفة والتعزير للمصلحة العامة . وذلك بهدف توضيح موقع التعزير للمصلحة العامة من نظرية التعزير وفى هذا المجال قرر الباحث أن المعيار فى التعزير للمصلحة العامة : حفظ النظام الاجتماعى والأمن العام .. وأكد المؤلف أن التعزير للمصلحة العامة محدد بوصفه لا بعينه .

ومن ثم فهو محض استثناء على خلاف الأصل والاستثناء لا يتوسع فيه ولا يقاس عليه .

وبعد ..
فمعذرة لو اطلنا فى العرض أو اعرضنا عن بعض نقاط البحث . تلك التى نكون قد تركناها لمن شاء الرجوع الى أصول البحث هذا وبالله التوفيق ...

الإسلام .. والعلم

قال سبحانه وتعالى :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ » .

صدق الله العظيم

تقــــديم :

ان ديننا الحنيف وهو دين الانسانية باثرها الحريص على خيرها واسعادها ورفعة شانها قد دعا الناس بعد الايمان بالله تعالى وبرسوله محمد صلى اللـــه عليه وسلم الى أن يكونوا ايجابيين فى الحياة بالعلم والعمـــل والابتكار حتى لا يتخلفوا عن التقدم العلمى والحضارى .

قال تعالى « قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » .

وقدنوه القرآن الكريم بشأن العلماء ومالهم عند الله من منزلة رفيعة فقال تعالى « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »

للشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح

وقال صلى الله عليه وسلم « من اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن ارادهما معا فعليه بالعلم » .

وللعلماء العاملين فى الاسلام منزلة تلى منزلة الأنبياء . قال صلى الله عليه وسلم « العلماء ورثة الأنبياء » رواه ابو داود والترمذى .

والقرآن الكريم يقرر انا ويوضح أن الله تبارك وتعالى : ميز آدم عليه السلام على الملائكة بالعلم قال تعالى : «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

ويلاحظ من نصوص القرآن الكريم وأكثر نصوص السنة النبوية أن العلم يشمل كل علم نافع مفيد للامة فى شئون الدين والدنيا . قال تعالى « وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ »

ولم يجعل الاسلام العلم حكرا على طبقة أو طائفة أو فئة من الناس وانما جاء عاما وشاملا وداعيا الجميع الى العلم والمعرفة والتأمل والنظر فى الكون .

قال تعالى « أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ . وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ . وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ . رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ » .

ولقد سار المسلمون الأولون على هذا الطريق درسوا واجتهدوا فسادوا وتقدموا وأنشأوا حضارات رائعة أثرت فى حياة الانسانية كلها .

ومن أشهر علماء العرب بعد الاسلام : الحسن بن الهيثم فى علم الضوء وجابر بن حيان فى علم الكيمياء والخرازمى فى الرياضة والكندى فى الفلسفة والرياضيات والجاحظ

الإسلام .. والعلم

فى الحيوان والنبات وابو بكر الرازى فى الطب والخازن فى الميكانيكا •

وقد اشتمل البحث عن معلومات قيمة ومفيدة جمعت بين العلم القديم وبعض معلومات عن عصرنا الحاضر نختار منها للنشر فصل الاسلام « دين ودولة » •

الإسلام دين ودولة

ان الاسلام : ليس عقيدة دينية فقط ، ولا نظاما أخلاقيا فحسب ، بل هو دين ودولة : بكل ما تتسع له كلمة « دولة » من معنى ومدلول ، انه الشريعة التى أنزلت على معلم الانسانية ، ومنقذ البشرية : سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — ليقيم بناء عالميا انسانيا ، يسهم فى مد العالم : باشعاعات تضىء له الطريق : الى الخير والحق والهداية ، فهو دين عالمى ، لأن فى رسالته من التشريع العام والخاص : ما يجعلها صالحة للانسانية كلها : على مر العصور والأدهار •• يقول المفكر الانجليزى « جورج برناردشو » : « لقد وضعت دين محمد دائما : موضع التقدير والاجلال ، فانه أفضل دين متطور ، قادر على هضم جميع الديانات ، وهو الدين الوحيد : الذى ساوى بين الناس ، واننى أرى كثيرا من بنى وطنى : يدخلون فى هذا الدين ، وأرى أوربا داخلة فى هذا الدين ، شاءت أو لم تشأ ، فما أحوج العالم اليوم الى رجل فى مثل شخصية محمد ﷺ ، لينقذه من الحرب ويفديه بالايمان ، ويحييه بالعمل ، ويتبدل خوفه بالأمن ، ولا يفرق بين الأبيض والأسود ، ويجعل الفرصة المتكافئة : أساسا للحياة ، حقا انها كلمة انصاف ، بعيدة كل البعد عن التعصب المقوت ، أو المجاملة المكشوفة •

انه ليس هناك شىء لله وآخر للناس ، ولو كانوا عظماء ، لأن الكون كله لله ، والاسلام بطبيعته : يجعل الحياة كلها : متجهة نحو خالقها : فى اتباع هديه ، وابتغاء رضوانه ومثوبته ، والحياة الاجتماعية : كالحياة الفردية : تقوم على الهدى الالهى ، فى كافة أنظمتها ، لتسير على النهج الأقوم نحو الحياة الأفضل (١) •

وقد أدرك الغرب : ما للاسلام من قوة خارقة ، اذا ما حمله رجال مخلصون : يؤدون دور الاسلام ، بأمانة واخلاص •• وقد عبر عن هذا « باول شمتز » بقوله و « سيعيد التاريخ نفسه ، مبتدئا من الشرق ، عودا على بدء : من المنطقة التى قامت فيها : القوة العالمية الاسلامية فى الصدر الأول للاسلام ، وستظهر هذه القوة وجودها : اذا ما أدرك المسلمون : كيفية استخدامها ، والاستفادة منها ، وستقلب موازين القوى كلها ، لأنها قامت على أسس : لا تتوافر فى غيرها : من تيارات القوى العالمية » •• ويشيد بهذه القوة : : المفكر الانجليزى « جورج برناردشو » فيقول : « لا يساورنى أدنى

---

١ — ومض شبهات ومفتريات حول الاسلام .

شك : فى أن الحضارة التى يرتبط أجـزاؤها برباط متين ، وتتماسك أطرافها تماسكا قويا ، وتحمل فى طياتها : عقيدة مثل الاسـلام : لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب ، بل ستكون أيضا : خطرا على أعدائه •• مـن الممكن أن يعارض المرء فى هذا الرأى : بأن الاسلام فقد سيطرته : على بعض الأشياء المادية ، وخاصة ما يتصل بالحروب ، فهو لم يلحق بالتقـدم التكنولوجى الحديث •• لا أستطيع أن أدرك : لماذا لم يعوض الشرق الاسلامى : مـافاته فى هذا الميدان ؟ فلا تحتاج علوم الهندسـة الحديثة : الى طبيعة عقلية خاصة ، بل يتطلب الالمام بها والتفوق فيها : الى الخبرة وتوجيه الخبراء •• ومن الأمور المؤكدة : أنه غالبـا ما يحدث : أن تكون حضارة ذات منزلة عالية فى التقدم التكنولوجى : أقل درجة من حضارة أخرى لم يبلغ بعد تطورها : فى هذا المجال : ما بلغته الأولى •• » الى أن قال : « لمـاذا لا يتعلم العالم الاسلامى : ما تعلمنـــاه فى مجال التكنولوجيا •• وفى مقابل هذا : سيكون من الصعب علينا : استعادة التعاليم الروحية ، وهى من العوامل الأساسية لوحدة أوربيـة : التى فقدتها المسيحية ، بينما لم يزل الاسلام يحافظ عليها » (١) •

ويقول « اللورد : هيدلى » : « من عـدة سنين خلت : كان أحد أفكارى الرئيسية : هو كيف يمكن للاسلام : أن يتغرب ؟ يصـبح غربيا ، حتى يمـارس فى الأمم الغـربية ، وبعبارة أخرى : كيف يمكننـا نحن معشر الغربيين : أن نعد أنفسـنا ونفقـه معنى الاسـلام (٢) •

وهذا يعتبر بلا شك : اعترافا صريحـا من اللورد « هيـدلى » بصلاحية الاسـلام ، واقتنـاعا تاما منـه بما جاء فيه : مـن نظم وقوانين ، ومبادىء وتعاليم •• وأن الغرب أحوج ما يكون الى فهمها ، وتطبيقها عمليا ، ولا يكون ذلك : الا بأحد أمرين :

١ ــ اما بأن يتغرب الاسلام ، بمعنى أنه يترجم الى لغة الغرب : ترجمة سليمة صحيحة عن طريق المتخصصين فيه •

٢ ــ واما بأن الغربيين : يعدون أنفسـهم لفهمه : عن طريق تعلم اللغة العـربية ، حتى يتذوقوا حلاوته ، ويتشبعوا بما فيه : مـن حكم وآداب وتوجيهات رشـيدة ، تدفع بهم الى حياة العزة والكرامة •

وعندما يتحد المسلمون : وهم لا يقلـون عن ألف مليون مسلم ، ويرجعون الى دينهم ، ويطبقون شريعة الله ، ويستمدون العون من ربهم ، فانهم حينئـذ سـيقومون بواجبهم ، ويحررون بلادهم وشعوبهم ، وعندئذ يعتـز الاسلام وينتصر ، وتعلـو فى الأرض كلمـة الله •

---

١ ــ الاسلام قوة الغد صفحة : ٣٢٣ . ٢ ــ ايقاظ الغرب للاسلام .

الإسلام .. والعلم

عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا دبر : الا دخلت كلمة الاسلام : يعز عزيزا ، ويذل ذليلا ، أما الذين يعزهم الله : فيجعلهم من اهلها ، وأما الذين يذلهم : فيدينون لها » .

وفى رواية أخرى قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « ان هذا الدين : سيبلغ مابلغ الليل والنهار » .. وهذا التعبير صريح فى أن الاسلام : سيأتى عليه وقت يسود فيه العالم بأسره ، ويشع نوره فى كل بيت .. وصدق الله اذ يقول : « هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيد ارسل الله رسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ : بالعلم النافع والعمل الصالح ، فان الشريعة الاسلامية : تشتمل على شيئين : علم وعمل ، ليظهر هذا الدين القويم : على اهل جميع الأديان : من سائر أهل الأرض : من عرب وعجم ، وملبيين ومشركين .

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة " بقية "

وكان لا يطمع أن يجد فى كتب الأحبار والرهبان الحقيقة التى ينشدها بل يفتش عنها فى هذا الكون الفسيح ، وفى السماء ونجومها وشمسها وقمرها وفى الصحراء وقيظها وبردها ، وفى السماء صفوها وكدرها .. والنجوم تتلألأ بالليل فى ضوء درى ، والشمس تسطع بالنهار بلهيب محرق والكواكب معلقة فى الهواء بقدرة جبارة .

لحظات تأمل لاستكشاف الحقيقة ومعرفة أسرار الوجود فتسمو نفسه وتصفو ليتصل بهذا الكون ويخترق الحجب الى مكنون سره..

ثم يعود بعد رمضان الى بيته وزوجه وأسرته ، وكان كلما تكرر ذهابه للغار عاما بعد عام يزداد نضجا وتزداد نفسه أملا فى أن يهتدى وأن يصل الى شىء يهدى نفسه الحائرة .

ولقد بدأ يرى الرؤيا الصادقة التى هى كنور الصبح فى وضوحها وتحققها فآمن بأن قومه قد ضلوا سواء السبيل ، وأنه قد آن الأوان لأن يسود العدل وينير مسارب الظلام.

البعثة المحمدية

ثم فاجاه الملك جبريل فى الغار بقوله تعالى « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ » وانصرف الملك عنه بعد أن نفثت فى صدره .. وتتابع بعد ذلك الوحى ونزول القرآن الكريم وصار محمد رسولا من رب العالمين .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

صلى الله عليه وسلم

محمد
الرسول القدوة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر
بمناسبة مولد الرسول - صلى الله عليه وسلم.

كلمة فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمناسبة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

في ذكرى مولد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم نستذكر قول الله في شأنه في القرآن :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا • وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » •

« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ •• »

وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا » •

« قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » ••

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » ••

« وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » •

في ذكرى مولد الرسول نذكر بكتاب الله الذى أنزل عليه والذى قال الله فى شأنه :

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا » •

فى ذكرى مولد الرسول ينبغى أن نقتدى به فى خلقه ، وفى ايمانه وعبادته وفى حبه لله وللمؤمنين امتثالا لقول ربنا :

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » .

ينبغى أن نقتدى برسول الله فى سياسة الدين وسياسة الدنيا :

كيف واجه الصعاب ، وتغلب عليها ، كيف صابر وثابر حتى بلغ رسالته ، فتحول قومه من فرقة وتعصب وتفاخر بالأموال والأولاد الى أمة واحدة تنتسب الى الاسلام ، وتؤمن به ، وتقيم أوامره ، وتجتنب ما نهى الله عنه ، فأقام دولة وأحيا أمة فى زمن قصير — ثلاثة وعشرين عاما — لم ييأس ولم ييتئس بماووجهت به دعوته من نفورقومه به وايذائهم وحربهم اياه ، وانما فكر وقدر لكل أمر عدته وعتاده وكان حكيما فىدعوته ، حليما فىارشاده وهدايته ، يعتمد على الاقناع فى الردع عن المعاصى ، وكان الزجر عنها الوسيلة الأخيرة عند الاصرار عليها . جاءه أحد شباب المسلمين يستأذنه فى الزنا فبماذا أجابه : ؟ هل سبه وشتمه ، أو صفعه وقذفه . لا . لم يكن هذا خلقه ولا طريقه وانما كانت خطته تلك التى وضعها الله فى قوله :

« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » .

لقد دعا الشاب الى الجلوس بجواره ليحميه من ثورة من حوله ، ممن استمعوا الى قوله . ثم حاوره : أترضى الزنا لأمك ؟ فقال الشاب . لا : فقال الرسول وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم . أترضاه لأختك ؟ . فقال : لا . فقال الرسول : وكذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم . ومازال الرسول يعرض عليه قرابته من النساء ويقول له أترضى لهن الزنا ؟ وهو يقول : لا حتى أقنعه بأن ما طلبه اثم كبير فى حق المجتمع وكما لا يرضاه لنساء أسرته فان أحدا من الناس لايرضاه كذلك لنسائه . وانصرف الشاب تائبا عما نوى راغبا فى العفة مؤمنا بأن عرض الناس عرضه .

فى ذكرى مولد الرسول نذكر كيف عالج وواجه عسر المال ، وضيق الحال وارتفاع الأسعار هل كانت المواجهة بمزيد من السرف والاسراف والانفاق والاتلاف والاستدانة ؟. لا : انه — صلى الله عليه وسلم — واجه العسر بتدبير موارده ، وبالوقوف عند المقدور عليه ، دون المزيد مما فى أيدى الناس : فقال : « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » . متبعا ما أوصى به القرآن :

« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا » .

« وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا » ..

نذكر فى ميلاد الرسول كيف كان حريصا على العلم والتعليم ، حيث جعله تبعة ومسئولية ، ولم يجعل العلم من الكماليات ،

فأوجب على العالم أن ينشر علمه وأن ييسره لغيره فقال ـ صلى الله عليه وسلم :

« ويل للعالم من الجاهل حيث لم يعلمه » فلولا أن السعي بالعلم الى مستحقيه من الواجبات ما كان الويل للعالم أن ترك التعليم ، فالمؤاخذة انما تكون على ترك الواجب لا على اعمال التطوع .

ومن هنا كانت تبعة تربية الأولاد فى كل جوانب الحياة تقع أولاً على الآباء ذلك قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« وحق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه الا طيبا » . وقوله : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

فبذل الجهد للتربية قصدا الى اشباع الجوانب النفسية لدى الأولاد ونمائها حتى يشبوا على المودة وحسن المعاشرة ، والقدوة الحسنة فى التعامل أمر محمود بل مفروض ، واولى من الانصراف عن هذه المهمة الى جمع المال والممتلكات وتكديسها تركة زائلة اذا لم يحسن الاولاد استثمارها والانتفاع بها .

ذلك توجيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ـ

« ما نحل » اعطى « والد ولدا أفضل من ادب حسن » .

وهذا هو الرسول يعلم ابن زوجته أم سلمة . وقد كان فى حجره وربيبا له حين جلس يؤاكله « ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » .

هكذا كان معلما للسلوك والاداب فى كل شىء .

وليست تبعة تربية الأولاد مقصورة على الآباء ، فقد أوضح الرسول هذه التبعة ، بل التبعات بوجه عام فى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . الامام راع ومسئول عن رعيته والرجل فى أهله راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

لابد أن نعى هذه التبعات وأن نحملها عمليا ، والا فالنذر التى أطلت علينا خطيرة ، تهدد مجتمعنا بالتحلل والانحلال وموات الروابط الأسرية التى عنى الاسلام بتوثيقها وحث على الاستمساك بها .

لابد أن يحمل كل التبعة فى موقعه ، الآباء ، والأمهات والمدرسة ، والأطباء ، ورجال الدعوة والمهندسون ، كل الناس .

ان تقويم الفرد المسلم وتأكيد انتمائه للاسلام ايمانا وعملا ، وترسيخ القدوة برسول الله أمر حتمى حتى تستقيم سلامة الحياة ، ويتأتى هذا بالاهتمام بالتربية الدينية وتقويم السلوك والممارسة ، واعتبار ذلك واجبا فى الاسرة وفى المدرسة وفى الشارع ، ولا ننسى الحرص على اعداد المعلم على السلوك والقدوة الحسنة مؤمنا بواجباته ، حريصا على أدائها .

فى ذكرى مولد الرسول : نذكر أن من آداب الاسلام الحرص على ألا تشيع

الفاحشة ، كل الفواحش فاحشة القول ، فاحشة الفعل ، فاحشة النقل ، كل ما كان به التاثر وفيه التاثير على المجتمع كل ما كان مؤذيا للشعور أو مدارسة للجريمه أليس هذا هو مقتضى قول الله سبحانه :

«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » •

أليس هذا وعيدا لأولئك الذين يشيعون وينشرون ما يقع من جرائم خلقية وغيرها باذاعة تفاصيلها ونشرها على الملأ وما دروا أنهم يفتتحون بذلك مدارس للجريمة وطرق ارتكابها •

فى ذكرى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم أنصح وسائل الاعلام وعلى الأخص الصحف والمجلات التى يتداولها ويتناولها كل الناس من له حصانة وحماية ذاتية ومن ينساق وراء ما يقرأ ، أن يكفوا عن نشر الحوادث والجرائم الخلقية والجنائية بتفصيلاتها واجراءات ارتكابها ووسائلها وأن يستبدلوا بها موضوعات ارشادية للأفراد والمجتمع تنقذ الجميع من التردى فى المهالك والاضرار بأنفسهم ومجتمعاتهم فوق عصيانهم لربهم وجحودهم نعمه التى لا تعد ولاتحصى•

انها نصيحة يفرضها قول صاحب الذكرى ـ صلى الله عليه وسلم :

« الدين النصيحة : قلنا لمن يارسول الله : قال :

لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم •

نعم : ان من يقرأ الصحف والمجلات فى هذه الأيام الأخيرة ، وتتبعها لتفصيلات بعض الحوادث ومتابعتها لها قد يستقر فى نفسه أن المجتمع المصرى قد انفكت أواصره وانعدم فيه الوفاء والاخلاص ، وماتت فى أفراده وأسره تعاليم الاسلام وانفلت من كل الآداب والقيم ، وذلك أمر يشيع اليأس فى نفوس المصلحين والمربين ، ويشجع على التسيب والانفلات من القيم •

أكرر النصح لوسائل الاعلام أن تعنى بنشر واذاعة أخبار المصلحين والمجدين ، والناجحين فى أعمالهم من طلاب وتجار وعلماء فى كل فروع العلم والعمل لتكون القدوة فيهم حسنة ونافعة للناس جميعا فى الدين والدنيا ، وحفزا لغيرهم على الالتزام بالفضائل •

ان حصائد الأقلام كحصائد الألسنة مؤاخذ عليها من الله ومن الناس ولابد من وقفة مع النفس نصحح بها مسار حياتنا بكل شجاعة واقدام ، وألا نسىء الى الحرية بالفهم الخاطىء ، أو نظن أنها الاثارة ، وانكار الاحسان وطمس القدوة الحسنة فى المجتمع •

ان صاحب الذكرى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« •• واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش والمتفحش » •

ثم لنسمع قول الله : « لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ » ذلك لأن اظهار الفاحش من القول أو الفعل فاحشة أخرى ومن أجل هذا قال صاحب الذكرى ـ صلى الله عليه

وسلم ـ : « كل أمتى معاق الا المجاهرين وان من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله تعالى عليه فيقول : يافلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عليه » .

ويبين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ضرر اظهار الخطيئة والاعلان عنها فى قوله : « الخطيئة اذا خفيت لم تضر الا صاحبها وان ظهرت ـ فلم تغير ـ ضرت العامة » .

فى ذكرى مولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينبغى أن نأخذ أنفسنا بسنته فى أمور الدين والدنيا ، فيقتدى به الحاكم فى مسئولياته ، والعامل فى عمله أيا كان نوعه . فلقد كان يتفقد أحوال الناس ، ويعيش واقعهم ، ينصح المخطىء ، ويشجع المحسن ، ويدعو الى العمل الدينى والدنيوى اخلاصا لله وقياما بالواجب ، وينزل الى الأسواق ؛ فيرشد الناس الى الأمانة وينهاهم عن الخداع والغش فى المعاملات ها هو : ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمر بالسوق فيجد كومة من الطعام فيضع يده فى داخلها فتخرج عليها بلل من ماء ، فيقول ما هذا يا صاحب الطعام ، فيرد التاجر : أصابه المطر يارسول الله ، فيقول الرسول ناصحا موجها : فهلا جعلت ذلك ظاهرا يراه الناس : من غشنا فليس منا .

وها هو يسير بين نفر من أصحابه ، فيروا رجلا له نشاطه وقوته واقباله على عمله ، فأبدوا اعجابهم به وقالوا : لو كان جلده هذا وقوته فى سبيل الله فقال الرسول : « ان كان خرج يسعى لرزق ولده صغارا فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان » .

ألا يدلنا هذا القول الكريم على أن العمل عبادة ، العمل الطيب المباح الذى يكسب به العامل رزقا طيبا ينفع به نفسه ويرفع شأن أمته .

فى ذكرى ميلاد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نذكر أنه كان يعلم الناس أن يسألوا عن المفيد فى حياتهم ودينهم فها هو رجل يسأله متى الساعة « يوم القيامة » فيقول له : ماذا أعددت لها ؟

جواب يوجه الى العمل والى احسانه لينال مثوبة ربه ، ويصرف عن الاسترسال فى التساؤل عن أمر استأثر الله بعلمه ، فلا محل لاضاعة الوقت والجهد فى البحث عنه .

ولقد أثر عن الامام مالك قوله :

طلب العلم حسن جميل ، ولكن انظر الى الذى يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى فالزمه .

فى ذكرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نذكر أنه حذر من علم لا ينفع ومن كسب حرام ، فقد ثبت أنه استعاذ من علم لا ينفع ، وها نحن فى هذا العصر قد استبحنا الكثير من المحرمات باطلاق أسماء واستعمال أساليب حتى وقعنا فى نطاق قول الرسول :

« يأتى على الناس زمان يشربون الخمر ويسمونها بغير اسمها » .

وقوله : « يأتى على الناس زمان لا يبقى فيه أحد الا آكل الربا ، فمن لم يأكله أصابه من غباره » .

ها نحن قد استبحنا الخمر وغيرها مما حرم الله ، فجاءت المحن والأمراض بل وجاءت موجات من مسميات لسموم تسربت الى بلاد المسلمين لتهلك النسل ، وتشيع الخلل والانحلال ، وتقعد عن العمل داعية الى الكسل والتراخى ، وتبعث على الاجرام ونشر الجريمة ، وها نحن نكافحها بالندوات والخطب دون أن نأخذ أنفسنا باستئصال الأصل وتجريم أم الخبائث والمنكرات (الخمر) ونترك الحانات والبارات مفتحة الأبواب ليل نهار ، وهكذا نوقد النار ثم نحاول اخمادها ، فتلهبها الريح العاتية التى لا تبقى ولا تذر ، وقد قيل قديما الوقاية خير من العلاج .

فى ذكرى مولد الرسول — صلى الله عليه وسلم — ينبغى أن نستمع الى قوله :

« لكل دعامة ، ودعامة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار : « **لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** » وحين سأله أحد أصحابه : كيف يزداد عقلا ، ويزداد من ربه قربا قال : اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائضه سبحانه تكن عاقلا ، واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل فى آجل العقبى بها من ربك عز وجل القرب والعز » .

فى ذكرى مولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يجب أن تأخذ أمة الاسلام فى نفسها بكتاب الله وسنته فقد قال :

« تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى وألا تأخذ ببعض الكتاب وتعرض عن بعض فان هذه الأمة لا تصلح الا بما صلح به أولها القرآن والسنة » .

فاستمسكوا بالذى هو خير لتكونوا فى المكان والمكانة اللائقة بكم وبدينكم بين أمم الأرض ، ولا تكونوا عالة على غيركم فى علم وعمل ، وجدوا واجتهدوا ، واصبروا وصابروا وثابروا واعتصموا بحبل الله جميعا لعلكم تفلحون .

فى ذكرى مولد رسول الله أهنىء الأمة الاسلامية وأهنىء أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء المسلمين وأذكر بأن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع وليكن رسول الله القدوة فى الحكم والحكمة وجمع الكلمة والمؤاخاة بين المؤمنين واتلو قول الله .

« **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** » .

الشعر.. والشعراء

إشراف د. حسن جاد

محمد عليه الصلاة والسلام

ذات الصواري

ذات الصوارى

(معركة ذات الصوارى هى اول معركة بحرية انتصر فيها العرب المسلمون
بقيادة عبد الله بن أبى السرح على الروم الذين كان يقودهم قسطنطين بن هرقل ٠)

من هؤلاء على الخصم اغاروا ؟ — لهمو على اعصاره اعصار
نفضوا رمال البيد واستبقوا الى — متلاطم غامت به الاسرار
سيان عندهمو شراع جامح — فى اليم ، أو سرج علاه غبار

السيف والمجداف راض كليهما — عزم أصم وخافق صبار
وسواعد لا الموج عند لقائها — موج ، ولا الطود الأشم جدار
عرفت طريق الحق فهى فداؤه — والحق ترخص دونه الأعمار
يا من رأى العرب الميامين الخطى — لهمو بأوكار النسور مطار
البر طوع يمينهم شرفاته — والبحر دان سطره الجبار
« ذات الصوارى » ذاك يومك ملهم — هو للزمان وصانعيه فخار
تمضى القرون وللحوادث وقعها — والكامنات يثيرها التذكار
ما أنت ؟ ما عصف الرياح ؟ وفتية — لهم البحار الزاخرات مدار ؟
سدوا طريق الليل وانطلقوا الى — فجر تموج بساحه الأنوار
يتواثبون على الحبال كأنما — بزنودهم يتوثب التيار
ويسابقون ظلالهم من خفة — فيقال أبناء البداوة طاروا
ويغاصبون الموج حتى ينثنى — وبكل مائجة شجى ودوار
ويحددون على الخصم طريقهم — حين النجوم على الطريق تحار
تخذوا من الاسلام راية فتحهم — ومضوا يرف على الجباه الغار

العلم فوق سيوفهم متوثب — والجهل تحت سيوفهم ينهار
« ذات الصوارى » ما على ملامة — ان قصرت فى حقك الأشعار
جاوزت قمة ما أطيق بيانه — ولكل شىء قمة وقرار
ان يختلط زبد السنين فانما — يخفى النضار وتزدهيه النار
ما بال « قسطنطين » (١) فيك تشابهت — فى عينه الآصال والأسحار

شعر: عبد العليم القباني

لم يدر والاسطول يرسب تحته ... للقاع يطويه المدى القهار
كيف السبيل الى السلامة ، والمنى ... قيد ، وآساد الزمان سوار ؟
حتى اذا اسود الفضاء وخانه ... فى الروع قلب مرجف غرار

ترك السفائن تستقر على الثرى ... ومضى يخدد وجنتيه العار
قولى لقيصر : خل عنك لأمة ... شماء تحمى حوضها وتغار
لا للملوك شبابها وكفاحها ... لكن لترفع رأسها الأمصار

واهرب اذا ما شئت غير مدافع ... ان كان ينجى الظالمين فرار
ما عاد « بحر الروم » بحرك بعدما ... دكت على جنباته الاسوار
ان تمض فى ثوب العبيد فقد ترى ... ان المنية فوق ما تختار

لحقتك حيث ترى الأمان ولم تكن ... بالمتقنيك جزائر وبحار
امم العروبة ليس مجدك بالذى ... ينسيه ليل موغل ونهار

لا تغمضى عينيك عن لألائه ... من بعد ما نعمت به الأبصار
وخذى بحظك فى الحياة غانما ... بيديك حظك فى الحياة يدار
وتقدمى الركب الكبير الى مدى ... كالشمس تخشع دونها الأبصار

ودعى الهواجر تستظل بدربنا ... فلقد صحا وتنفس النوار
لا تقتليه فان صمتك قاتل ... ان الحياة تطلع وحوار
ويدان تستبقان ادراك المنى ... ومنى تطل وتجتنى وتثار

---

(١) قسطنطين قائد الاسطول الرومى وقد فر عقب المعركة متنكرا فى ثياب عبد حيث قتل فى صقلية بعد وصوله اليها .

محمد عليه الصلاة والسلام

شعر: علية الجعار

ما الجاه ما المال ما الابناء ما الخل … ما الروح ما القلب ما الإحساس ما العقل
انى أحب وحبى لا يعادله … فى معرض البذل اموال ولا اهل
دارى سأتركها خلفى وأتبعه … فكم بقرب حبيبى عالى يحلو

ورغم كثرة من هاموا به فانا … لا غيرة الهيت قلبى ولا غل
فنحن من حوله التفت مشاعرنا … تعب من فيض نور ماله مثل

محمد سيد الدنيا ورحمتها … من لفحة الكفر أنت الفىء والظل
أنت العظيم الذى رباه خالقه … أنت الرسول الذى ائتمت به الرسل

يا كلمة الحق باسم الله تطلقها … كأنما هى سيل او هى الطل
انت اليتيم الذى يمضى بكلمته … يقيم صرحا لها فى المهد كى تعلو

زيتونة هى فى الآفاق باسقة … أغصانها السلم والايمان والعدل

من زينتها النور يهدى الكون قاطبة … من بعد أن ساده العصيان والجهل
دين كريم واخلاق بعثت بها … حضارة لم تقم بالكون من قبل

يا لائمى فى الهوى من ذاك يفضله … هو التضحية والاقدام والنبل
من أخلص الحب مثلى راح يعطنه … من غير طه حبيبى للهوى أهل

السفور والحجاب

للشاعرة جليلة رضا

جاء فى تراث السلف الصالح أن « الربيع ابن خيثم » استأذن يوما على ابن مسعود رضى الله عنه فخرجت له جارية حسناء ، فغض عينيه ، فعادت وقالت لابن مسعود : — ان بالباب رجلا أعمى يقول : (أنا الربيع بن خيثم) .. فقال لها : — ليس الرجل بأعمى ، وانما غض بصره عما نهاه الله عنه .

وفيما ينبغى بالنسبة للنساء،روى أبو داود والترمذى عن أم سلمة رضى الله عنها « أنه بينما كانت أم سلمة وميمونة عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، أقبل ابن أم مكتوم ،

فدخل ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : — احتجبا منه .. فقالت أم سلمة :

يارسول الله هو أعمى لا يبصر .. فقال : — أفعميوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه ؟ .

فالمباح فيما أعلم هو جواز كشف الوجه والكفين فقط ، وللضرورة القصوى فحسب وكما روى عن عائشة رضى الله عنها وأرضاها ، أنها قالت : « ان أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، وعليها ثياب رقاق ، فقال لها : —

يا أسماء ، ان المرأة اذا بلغت المحيض ، لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفيه .

وجاء فى الكتاب العزيز « وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ » .

وقال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ »

يدل ذلك كله على أنه اذا كان التخصيص لأمهات المؤمنين ونساء آل بيت النبوة ، فانما هو من باب اطلاق الخاص ، مع ارادة العام من كل نساء المسلمين . فليس غض البصر والالتزام بآداب الاحتشام مقصورا أو مطلوبا من الرجال فقط ، بل انه مطلوب من النساء أيضا .. كما ورد فى الحديث النبوى الشريف عن ابن أم مكتوم ، السابق ايراده ، وبدليل قوله تعالى : « قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا

السفور والحجاب

مِنْ أَبْصَارِهِمْ ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ . ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ » .

هذا الى ما روى عن الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه فى (حلية أبى نعيم) أنه قال : « كنت ذات يوم عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وقال : « أى شىء خير للمرأة ؟ » وسكتنا جميعا ، ولما رجعت — أى رجع الى البيت — سألت فاطمة رضى الله عنها ، فقالت : — هو ألا ترى الرجال ولا يرونها » .. ثم أخبرت بذلك النبى — صلى الله عليه وسلم ، فقال : — « فاطمة بضعة منى » .

وأحب أن أقرر — بادىء ذى بدء — اننى مع الكاتب الاسلامى البليغ المغفور له « مصطفى صادق الرافعى » ، حين يقول : « لقد رق الدين فى نسائنا ورجالنا ، فهل كانت علامة ذلك الا أن كلمة (حرام وحلال)، قد تحولت عند أكثرهم وأكثرهن ، الى : (لائق و .. غير لائق) ثم نزلت عند كثير من الشبان والفتيات ، الى : (معاقب عليه قانونا ، ومباح قانونا) ثم انحطت آخرا عند السواد والدهماء الى : « ممكن وغير ممكن .. » ! وقوله بفصل : « تربية لؤلؤية » :

« .. وما هو الحجاب الا حفظ روحانية المرأة للمرأة ، واغلاء سعرها فى الاجتماع ، وصونها من التبذل الممقوت ، لضبطها فى حدود كحدود الربح من هذا القانون الصارم ، قانون العرض والطلب ، والارتفاع بها أن تكون سلعة بائرة ينادى عليها فى مدارج الطرق والأسواق : العيون الكحيلة ، الخدود الوردية ، الشفاة الياقوتية ، الأعطاف المرتجة .. » !! فليس الحجاب مضروبا على المرأة نفسها ، بل على حدود من الأخلاق أن يتجاوز مقدارها ، أو يخالطها السوء ، أو يتدسس اليها .. حين لا تطالع الرجال ولا تطمعهم . فهو — أى الحجاب — كالصدفة ، لا تحجب اللؤلؤة ، ولكن تربيها فى الحجاب تربية لؤلؤية .

وليس الحجاب فى القماش والكساء والأبنية ، لأن حجاب الأخلاق السوية شىء لا يصنعه الحائك والبانى والمتبدد ، ولكن .. تصنعه الشريعة والأدب ، والحياة الاجتماعية. وفى أوربا نفسها ، يشكو مفكروها من العاقبة الوخيمة لتوسيعهم دائرة الحرية لنسائهم حتى انتهين الى ما هن عليه الآن . فالتقدم

والرقى ، والمدنية لا تكون برفع الحجاب عن المرأة والزج بها فى معترك أتون الحياة اليومية الملتهب ، تزاحم وتختلط وتلهث من الجهد والاجهاد ، ولكن الترقى والمدنية الحقة فى أساليب النهوض بالصناعات والمبتكرات العلمية ، وتطوير وسائل وعدد الانتاج ...

الخ وليس فى سفور المرأة أو احتجابها . والكثرة السكانية الهائلة التى بلغت ذروتها فى شتى أقطار العالم ، كفيلة باستيعاب العمل للرجال جميعهم ، وحدهم فلا يبقى بينهم عاطل ، أو فى أسوأ الأحوال ، تبقى البطالة بنسبة أقل .. أما النساء ، فأكرم لهن

الا يدفعهم الرجال دفعا الى معترك الحياة الرهيب ، الذى أصبحنا نعانى منه الأمرين منذ لحظة فتح العين على نور الصباح ، الى لحظة اغلاقها فى رقاد الليل .. والسيدة عائشة — رضى الله عنها ، لم يمنعها تحجبها ، أن

تكون مرجع الصحابة فى علم الدين وأحكام الشرع ، وغيرها كثيرات فى تاريخنا الاسلامى المجيد فى مواقفهن الخالدة .. وقد آن للانسانية جمعاء ، أن تتدبر جيدا موقفها من المرأة على ضوء الآية الشريفة : « وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ » بعد أن كادت الأرض تضيق بالبشر ومركز المرأة ينذر بالخطر .

وفى ختام كلمتنا تلك ، كم أحب أن أسوق لشبابنا ، من الجنسين ، هذه القصة الرائعة من تراث آبائنا وتعفف الشباب فى العهود السوالف والتى زواها الأصفهانى فى موسوعته الأدبية الكبرى « الأغانى » عن اللقاء الذى تم بين (سلامة) جارية سهيل بن عبد الرحمن المغنية الحاذقة الشاعرة ، وبين العابد الناسك

عبد الرحمن بن أبى عمار .. فى نجوة من الآذان والعيون ، اذ قالت سلامة : — أنا والله أحبك .

فقال : — وأنا والله الذى لا اله الا هو ..

قلت : — واشتهى أن اعانقك واقبلك !

قال : — وأنا والله ! .

قلت : — فما يمنعك ؟ والله ان الموضع لخال ! .

قال : يمنعنى قول الله عز وجل :

« الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ » وأكره أن تحول مودتى لك عداوة يوم القيامة .

جليلة رضا

البيان الختامي

والقرارات والتوصيات للمؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر الشريف

المؤتمر العالمى الرابع
للسيرة والسنة النبوية الشريفة
المؤتمر العاشر
لمجمع البحوث الإسلامية
الأمانة العامة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

امـــا بعـــد :

فيقول الله تعالى :
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)·

ويقول : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا · يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) ··

ويقول : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) ··

ايمانا بدور الاسلام فى صنع الحياة المثلى للفرد والجماعة وللانسانية ، وانطلاقا من الحرص على دين الله ــ الاسلام ــ أن يبقى قوى البنيان صافى المنبع ، قامت المؤتمرات التى تستهدف هذا الغرض النبيل وتعمل على تحقيقه ، أداء للأمانة التى كلف بها المسلمون امتثالا لقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها وأداها كما سمع ، فرب مبلغ أوعى من سامع » ··

اذ هذه دعوة ، بل وتكليف من الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بابلاغ رسالته الى الناس كافة مع الضبط فى النقل والأداء ·

واستهداء بالقرآن الكريم وبسيرة وسنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قويت العناية بمدارسة السيرة والسنة ، وانعقدت لذلك المؤتمرات المتتالية ، التى كان هذا المؤتمر هو الحلقة الرابعة فى سلسلة مؤتمرات السيرة والسنة النبوية ، حيث انعقد فى مدينة القاهرة التى لها فى تاريخ الاسلام الدور الكبير ، وفى رحاب الجامع الأزهر الشريف الذى آلت اليه علوم المسلمين فى المشرق والمغرب ، وقام بحفظ السيرة والسنة النبوية ، وكان لعلمائه الحظ الأوفى فى التاليف والتصنيف فى هذا الشأن ·

البيان الختامي والقرارات والتوصيات للمؤتمر

وقد بدأ المؤتمر بصلاة الجمعة في الجامع الأزهر الشريف يوم ١٨ من شهر صفر سنة ١٤٠٦ هـ الموافق الأول من شهر نوفمبر ١٩٨٥م ، حيث حضر الصلاة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية ، مشاركا العلماء وممثلى الحكومات والشعوب الاسلاية الذين وفدوا للاشتراك فى هذا المؤتمر .

ثم افتتحت جلسته الأولى فى اليوم التالى بقاعة الامام الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر بحضور السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ورجال الدولة ، والوفود الممثلة للدول والشعوب الاسلامية ، وبعد تلاوة آيات من الذكر الحكيم ألقيت الكلمات من سماحة الشيخ عبد الله بن ابراهيم الأنصارى بوصفه رئيس المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية، وممثلا للوفود الحاضرة فى المؤتمر ، ومن فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر ، ومن فضيلة الأستاذ الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم ، وكيل الأزهر والأمين العام للمؤتمر ، ومن فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر .

ثم ألقى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية كلمته مرحبا بالمشاركين فى هذا المؤتمر ، داعيا الله أن يجعله بداية لرحلة مباركة لمسيرة الفكر الاسلامى نحو تجلية أعظم لحقيقة الاسلام التى تربط المخلوق بالخالق ، وترسم للانسانية كل ما فيه خير الفرد وسعادة الجماعة .

كما أعرب السيد الرئيس عن اغتباطه وسعادته لانعقاد هذا المؤتمر فى مصر وهى المكان العزيز على العالم الاسلامى كله ، بأزهرها الشريف ، الذى هو أقدم جامعه فى العالم قامت على رعاية الاسلام ونشر علومه ، واهتم علماؤه بالسيرة والسنة .

وأضاف سيادته أن انعقاد المؤتمر فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ الأمة الاسلامية مبعث أمل حيث يشهد الناس على الساحة ما يوجب أعمال الفكر والعودة الى الأصل ، وجمع الكلمة والاعتصام بحبل الله ، حتى يكون التلاقى الاسلامى والتضامن الايمانى ، فى ظل حياة اسلامية حقة ، تقوم على الأخوة والتآزر والمحبة والسلام .

ولعل مؤتمركم هذا يأخذ على عاتقه ، ضمن مهامه العلمية العديدة ، محاولة العمل علىوقف نزيف الدم بين المسلمين ، فالحرب بين دولتين اسلاميتين لا يجنى أحد منها الا ما يضعف القوة ويعوق التقدم ، ويزهق الأرواح ويجلب الدمار والشقاء وكل ذلك يرضى الشيطان ، ويشمت الأعداء ولن يكون مساعكم فى تلك المحاولة المباركة بعيدا عن مهمتكم فى مجال الحديث أو خارجا عن روح جدول أعمالكم فى نطاق السيرة .

ثم قال السيد الرئيس :

أيها العلماء الأجلاء : ان مؤتمرا علميا يعقد من أجل حديث رسول الله وسيرته هو انجاز علمى يستحق من أعدوا له ومن شاركوا

فيه ومن قاموا عليه كل تقدير وثناء . فحديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المصدر الثانى من مصادر شرعنا الاسلامى الحنيف .

ثم قال : أما سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهى السيرة المثلى والنموذج الأرفع لما ينبغى أن تكون عليه حياة المسلم ، بل لما يجب أن تكون عليه حياة الانسان .

ثم قال : أيها العلماء ، اننا وكل العالم الاسلامى ننظر الى ما يسفر عنه مؤتمركم ، فنحن أولا فى أمس الحاجة الى موسوعة للسنة النبوية الشريفة ، ونحن ثانيا فى أمس الحاجة الى موسوعة للسيرة العطرة ، ثم نحن أخيرا ننتظر عملا علميا مكملا للموسوعتين المأمولتين ، وهو تقديم ما تطرحه السنة وما تمثله السيرة من قيم اسلامية ومبادىء انسانية ، يمكن أن تكون فى بيانها لحكم كتاب الله الدستور الاسلامى فى الأخلاق والسلوك والتعامل وكل صنوف العلاقات بين الناس .

ثم بدأت لجان المؤتمر الأربع عملها حيث تدارست مقررات وتوصيات المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة ، ورأت فيها استعراضا معبرا عن حاجات المسلمين ، تتوافق وما تواترت عليه قرارات مجمع البحوث الاسلامية فى الأزهر الشريف فى مؤتمراته التسعة السابقة .

كما تدارست البحوث المقدمة لهذا المؤتمر فى جلسات متعددة ، طرح فيها السادة أعضاء المؤتمر مقترحاتهم فى موضوعات السيرة والسنة ، وفى الأحوال الجارية فى العالم الاسلامى الآن .

وكان من أبرز ما ناقشوه مسألة استمرار الحرب بين ايران والعراق ، وهما دولتان اسلاميتان متجاورتان ، واستبان مافى هذا من اهدار لقوة المسلمين ، واهلاك للأرواح والأموال ، الأمر الذى يتعين تفاديه ، وأن عبء هذا يقع على عاتق منظمة المؤتمر الاسلامى ، باعتبارها المنظمة الدولية لشعوب الأمة الاسلامية ، وباعتبار أن الدولتين من أعضاء المنظمة .

كما تدارس أعضاء المؤتمر المشكلة الفلسطينية وتاريخها وما آل اليه حال الشعب الفلسطينى ، سواء فى داخل فلسطين وخارجها ورأوا أنه يتعين البدار الى انقاذ الشعب الفلسطينى من محنته ومؤازرته ، ليعود الى وطنه ويقيم دولته .

كما نظر المؤتمر ما هو واقع على أرض لبنان من اقتتال أهله وانفراط وحدته ورأى حث الشعب اللبنانى على الخروج من فرقته واستعادة وحدته والسيطرة على أرضه .

كما نظر المؤتمر الى ما يلاقيه الشعب الأفغانى المسلم من تسلط دولة كبرى على أرضه وانتهاك استقلاله وسيادته ، وأنه مع قلة عدده وعتاده صامد يجاهد أعداءه .

فرأى دعوة الأمة الاسلامية الى مؤازرة هذا الشعب فى محنته ، ومعاونته فى جهاده .

وقد لاحظ المؤتمر أن وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية قد فتحت صدرها لبعض الكتاب الذين يحاولون صرف الأمة الاسلامية عن الالتزام بالسيرة والسنة النبوية وعن التنادى بتطبيق الشريعة

٥

البيان الختامي والقرارات والتوصيات للمؤتمر

الاسلامية في كل مجالات النشاط البشري .

فرأى المؤتمر نصح المسئولين عن وسائل الاعلام المختلفة في جميع الدول الاسلامية بالالتزام فيما يكتبون ويعرضون بالأحكام الصحيحة المستقاة من القرآن الكريم وسيرة وسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى يثبت الدين في نفوس النشء الاسلامي وتتوثق العلاقات في الأسرة والمجتمع .

ويقوى شأن المسلمين بوجه عام . اذ أن عقد هذا المجتمع لم ينفرط . ولم يقع في هذه الاختلافات الا عندما انصرف عن تعاليم الدين واستمع الى مثل هذه الأحاديث التي لاتحقق ما يأمله المسلمون من وحدة وقوة .

ورأى المؤتمر أن على أجهزة الاعلام المختلفة أن تفسح صدرها للكتاب الذين ينصحون الأمة ويدفعون الشبهات ويرشدون الى طريق الرشاد ، ويصلحون من أحوال الناس الاجتماعية ، موضحين مفاهيم الاسلام الصحيحة ، فيما ينفع الناس في معاشهم ومعادهم .

واذا كانت المؤتمرات العالمية الثلاثة للسيرة والسنة النبوية ، والمؤتمرت التسعة لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف قد اتخذت قرارات وتوصيات في المجالات الاسلامية المتنوعة ، بشأن السيرة والسنة النبوية بوجه خاص فان هذا المؤتمر بعد مناقشته لنحو مائتي بحث يركز على ما يلي :

١ — تاكيد التوصيات والقرارات التي أصدرتها المؤتمرات السابقة .

٢ — استنكار استمرار الحرب الدائرة بين الدولتين الاسلاميتين المتجاورتين — ايران والعراق .

ويأمل المؤتمر — بعد أن أبدت العراق على لسان المسئولين فيها الاستعداد للصلح — أن تستجيب ايران لوقف الحرب فورا والجلوس للصلح .

ويحث المؤتمر منظمة المؤتمر الاسلامي — بوصفها المنظمة الدولية الاسلامية — على العمل على انهاء هذه الحرب .

وفي حالة عدم الاستجابة الفورية لوقفها فان على المنظمة دعوة أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء الدول الاسلامية الى اجتماع عاجل لاتخاذ الاجراءات اللازمة لانهاء هذه الحرب تنفيذا لقوله تعالى :

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

٣ — يناشد المؤتمر الأمة الاسلامية : حكومات وشعوبا ، كما يناشد شعوب العالم عامةوحكوماتها والمنظمات الدولية مساندة

حق الشعب الفلسطيني في أرضه ووطنه واقامة دولته وعاصمتها القـــدس ، كما يناشـــد الفلسطينيين أن يجمعوا أمرهم ويعملوا عـلى استرداد حقهم بالوسائل المشروعة .

٤ ــ يناشد المؤتمر شعوب العالم وحكوماته والمنظمات الدولية مؤازرة الأفغان في دفـع العدوان الواقع على أفغانســتان ، وتأييـد كفاحها المجيد في صيانة استقلالها والتمسك بدينها .

٥ ــ يناشد المؤتمر الشـعب اللبناني أن يوقف القتال الدائر على أرضـه ، وتوحيـد كلمته حرصا على استقلاله وحريته ، وارتفاعا فوق الخلافات المذهبية والشخصية .

٦ ــ يرى المؤتمر أن الخلافات العربية هي في الحقيقة أساس ضعف العالم الاســلامي وفرقته ، ولهذا يدعو أصحاب الجلالة والفخامة والسمو : ملوك ورؤســاء وأمــراء الــدول العـربية الى أن يعملــوا على حســم تلك الخلافات ، حتى يعيدوا للأمة العربية وحدتها وقوتها وللاسلام عزته ومنعته .

٧ ــ لما كان لشئون المال والاقتصاد أهمية كبرى في استقلال الأمم ورفاهية شـــعوبها واستقرار الأمن فيها ، فان المــؤتمر يـدعو الشعوب الاسلامية وأولى الأمـــر فيهـــا الى المبادرة الى تنسيق الجهود والموارد والتكامل

في سائر الأمــور الاقتصــادية والتجــارية والانشائية والصناعية والخبرات اعمالا لقول

الله سبحانه وتعــالى « وَتَعَاوَنُـوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَـاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » .

٨ ــ لما كان لوسائل الاعلام المعاصرة أثرها وتأثيرها في المجالات الاقتصادية والاخبارية ونقل وشرح القضايا القومية ، فان المؤتمـــر يوصى الجهات المعنية بالاعلام على اختـلاف

وسائله في الدول الاسلامية بانشاء وكـــالة أنباء اسلامية عامة تكون أمينة وحفيظة عـلى قضايا وأخبار المسلمين مع تدعيم وكـــالات الأنباء المحلية وتبــادل البرامج في الاذاعـة المسموعة والمرئية لنشر الثقافة الاســـلامية بوجه عام والتعريف بالسيرة والسنة النبوية وما حوته من قيم ومثل اجتماعية وانســانية قام عليها المجتمع الاسلامي في عصـــــوره الأولى .

٩ ــ يوصى المؤتمر جهات البر في الــدول الاسلامية بتنسيق الجهود فيما بينهــا حتى يتكامل نشاطها ويمتد الى سائر المســلمين في كافة أنحاء العالم الاســلامي للاغــاثة ، وضرورة النظر في قيام هيئة دولية اســلامية لأعمال الاغاثة في العالم الاسلامي .

١٠ ــ يعلن المؤتمر تقديره لجهود الأزهــر الشريف في تقنين فقه المذاهب، واعداد مشروعات القوانين المستمدة من الشريعة الاســـلامية تيسيرا لتطبيقها ، والعمل بها في كل الشعوب الاسلامية ، ويدعو المسئولين الى المســارعة الى ذلك امضاء لحكم الله ورسوله واصلاحــا لمجتمعاتهم .

البيان الختامي والقرارات والتوصيات للمؤتمر

١١ ـ يؤكد المؤتمر ما جاء في خطاب السيد رئيس جمهورية مصر العربية محمد حسنى مبارك من ضرورة اخراج موسوعات في السنة والسيرة النبوية ، وما فيهما من قيم اسلامية ومبادىء انسانية تعتبر دستور الاسلام في الأخلاق والسلوك وكل صنوف الحياة ، ويحيل الاعداد لاخراج هذه الموسوعات الى مجمع البحوث الاسلامية في الأزهر الشريف ليقوم بالتشاور في شأنها مع الجهات المعنية في العالم الاسلامي .

١٢ ـ يوصى المؤتمر الجهات القائمة على شئون الدعوة الاسلامية بالتنسيق فيما بينها في الداخل والخارج .

١٣ ـ يحذر المؤتمر الشعوب الاسلامية من الدعوات المنافية للاسلام : كالبهائية ، والقاديانية ، والأحمدية ، ومناهضتها . ويحث الحكومات الاسلامية على تجريم المنتسبين الى هذه الدعوات .

١٤ ـ يحث المؤتمر جميع الأجهزة المعنية في الشعوب والحكومات الاسلامية على العمل على تكوين شخصية الطفل وتنشئته تنشئة اسلامية .

١٥ ـ العناية بالتربية الدينية في جميع مراحل التعليم ، ونشر الثقافة الاسلامية الصحيحة المستمدة من القرآن والسنة والسيرة النبوية بين جميع الفئات وبخاصة الشباب .

١٦ ـ العناية بالأقليات الاسلامية في العالم ، ومعاونتها على التعرف على أحكام الاسلام الصحيحة ، وما ينفعها في دينها ودنياها .

١٧ ـ تتبع كل ما ينشر عن الاسلام في الداخل والخارج ودراسته واتخاذ ما يلزم نحوه بالأسلوب المناسب .

١٨ ـ اعداد الدعاة وامدادهم بمايساعدهم على أداء مهامهم .

١٩ ـ تأييد ترجمة بعض كتب السيرة والسنة النبوية الى غير اللغة العربية على أن تتولى هذه المهمة هيئة اسلامية .

٢٠ ـ يوصى المؤتمر أجهزة الاعلام المختلفة والمسئولين عنها بالاهتمام بايضاح المفاهيم الاسلامية الصحيحة ، لتثبيت العقيدة وتقويم السلوك ، والامتناع عن كل ما يشكك في القرآن والسيرة والسنة النبوية ويصرف الناس عن الالتزام بأحكام الاسلام وآدابه وأخلاقه .

٢١ ـ المبادرة الى الاستفادة من القمر الصناعى العربى في التعريف بالاسلام بالسيرة والسنة النبوية والدعوة الى الالتزام بأحكام الدين ، وذلك باشراف منظمة المؤتمر الاسلامى أو هيئة اسلامية أخرى موثوق بها .

٢٢ ـ يشكل رئيس المؤتمر لجنة لابلاغ القرارات والتوصيات التى انتهى اليها هذا المؤتمر والمؤتمرات السابقة الى كل الجهات المعنية في الدول والشعوب الاسلامية ومتابعة

تنفيذها واعداد تقرير عنها يقدم للمـــؤتمر العالمى الخامس للسيرة والسنة النبـــوية ــ ان شاء الله ــ والذى يقوم رئيس المـؤتمر الحالى بالاتصال بالجهات المعنيــة بالــدول الاسلامية لاستضافته •

٢٣ ــ يأمل المـؤتمر أن تحظى قــراراته وتوصياته بالتأييد والقبول من أصـــحاب الجلالة والفخامة والسمو : ملوك ورؤســـاء وأمراء وقادة الرأى والفكر فى الأمة الاسلامية والعمل على تنفيـذها أخـذا بيـد الأمـة الاسلامية الى الصراط المستقيم ، الذى قال الله عنه : (**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُـونَ**) •

٢٤ ــ يوجه المؤتمر شكره الجزيل وتقديره البالغ لجمهورية مصر العربيــة ولرئيســـها فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك ، وللازهر الشريف لاستضافة هذا المؤتمر ورعايته •

(وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ) ••

وبالله التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ••

القاهرة فى يوم الخميس

شيخ الأزهر

٢٤ من صفر ١٤٠٦ هـ

ورئيس المؤتمر العالمى الرابع

٧ من نوفمبر ١٩٨٥ م

للسـيرة والسنة النبوية

جاد الحق على جاد الحق

نظرة فى كتاب أحكام التلاوة

للقرآن العظيم

مجهول المؤلف

قرر علماؤنا الماضون — رضى الله عنهم — أن العاقل اذ تأمل ما صح وثبت من عرضه — صلى الله عليه وسلم — القرآن على جبريل كل عام مرة ، وفى عام وفاته مرتين • مع ما روى من قراءته — صلى الله عليه وسلم — على ابى بن كعب (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا) •• السورة • وضح لك مشروعية القراءة على المشايخ ، واخذ الالفاظ عنهم بطريق المشافهة• فهو — صلى الله عليه وسلم — انما قرأ على ابى ليعلمه طريق التلاوة وترتيلها ، وعلى اى صفة تكون قراءة القرآن • ليكون ذلك سنة فى الاقراء والتعليم •

وقد وقع الأمر كذلك • فان الصحابة الآخذين للقرآن عنه — صلى الله عليه وسلم — عرض بعضهم على بعض • ثم وقع كذلك للتابعين وأتباعهم حتى اتصل الأمر الينا مسلسلا متواترا • ، فمن ابتدع — واجترأ — واجترأ بما تعلم من الكتب فقد أساء وخالف، وربما وقع فى أمر عظيم ، وخطر جسيم • والله أسأل العفو والعافية ، وسلوك سواء السبيل •

وفى شرح البخارى للبرماوى فى معنى مدارسة جبريل للنبى — صلى الله عليه وسلم — أن معناه : تعلم مخارج الحروف وكيفية النطق بها • وكذلك قال الكرمانى وعبارته : وفائدة درس جبريل تعليم الرسول تجويد لفظه ، وتصحيح اخراج الحروف من مخارجها • وليكون سنة فى حق الأمة ، لتجويد التلامذة على الشيوخ قراءاتهم •

ولامرية أنه كما يتعبد بفهم معانى القرآن واقامة حروفه على الصفة المتلقاة « عن أئمة القراء ، ومشايخ الاقراء المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية » العربية التى لا يجوز مخالفتها ، ولا العدول عنها • فمن أنف عن الأخذ عن أستاذ يوقفه على حقيقة ذلك مع تماديه على تحريف ألفاظ القرآن فهو عاص بلا شك ، وآثم بلا ريب • اذ صيانة جميع حروف القرآن عن التبديل والتحريف واجبة •

لا يقال ان وجوب التجويد على القارىء مقصور على ما يلزم المكلف قراءته من المفروضات • لأن علماء الاقراء وأعلام

عرض للشيخ

إبراهيم عطوة عوض

قرآن يقولون : لا رخصة في تغيير لفظ
ه •

وقد قال الله تعالى — مخاطبا لرسول الله
- صلى الله عليه وسلم — خصوصا ، ولأمته
رما (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) فلم يقتصر
بحانه على الأمر بالفعل ، حتى أكده
لمصدر ، اهتماما به ، وتعظيما له • ليكون
ونا على تدبر القرآن وتفهمه • وكذلك كان
- صلى الله عليه وسلم — يفعل •

وقد نعتت أم سلمة قراءته — صلى الله
يه وسلم — فقالت : « قراءة مفسرة حرفا
رفا » • رواه الترمذي •

وقالت عائشة : « كان — صلى الله عليه
سلم — يقرأ في العشاء « وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ »
ا سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه •
تفق عليه» • فقد كانت قراءته عليه الصلاة
السلام — ترتيلا ، لا هذا ولا عجلة • بل
اءة مفسرة حرفا حرفا • وكان يقطع قراءته
ية آية • ويمد عند حروف المد • وكان يتغنى
قراءته •

وقد روى في صحيح ابن خزيمة : من حديث
يد بن ثابت مرفوعا : « ان الله يحب أن
رأ القرآن كما أنزل » وقد كان عبد الله بن
سعود ممن أعطى في تجويد القرآن وتحقيقه
ترتيله — كما أنزل — حظا عظيما • والشاهد
لذلك قوله — صلى الله عليه وسلم — من
أحب أن يسمع القرآن غضا كما أنزل فليسمع
قراءة ابن أم عبد • يعني ابن مسعود •
وفي البخاري : « لما قرأ بكى — صلى الله عليه
وسلم — وقال أبو عثمان النهدي : صلى بنا
ابن مسعود المغرب فقرأ به (قُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ) ولوددت أنه قرأ بسورة البقرة — من
حسن صوته وترتيله •

ومن العجيب ما حكي في النشر عن الشيخ
تقي الدين بن الصائغ فقال ، وكان أستاذا
في التجويد : انه قرأ يوما في صلاة الصبح
(وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ) •
وكررها — فنزل طائر على رأسه يستمع
قراءته حتى أكملها — فنظروا إليه فاذا هو
هدهد •

فاذا انضاف الى اتقان معرفة المخارج
وصفاتها حسن الصوت ، وجودة الفك ،
وذرابة اللسان ، وصحة الأسنان ، كان غاية
في الاحسان • ولا يخفى أن النفوس لها حظ
من الأصوات الحسنة • فاذا جليت ألفاظ
القرآن العزيز بالأصوات الطيبة ، مع مراعاة
قوانين الترتيل على الأسماع تلقتها القلوب ،
وأقبلت عليها النفوس • وربما أثمر ذلك تدبر
آياته ، والتفكر في غوامضه ، والتبحر في

نظرة فى كتاب أحكام التلاوة

مقاصده . فيحصل له حينئذ الامتثال لأوامره والانتهاء عن مناهيه ، والرغبة فى وعده ، والرهبة من وعيده ، والطمع فى ترغيبه . وهذه فائدة مشروعية الانصاف الى التلاوة فى الصلاة وغيرها .

هذا : والكتاب الذى بين أيدينا لم يعرف مؤلفه — يقع فى ثمان وعشرين ومائة صفحة من القطع دون المتوسط . ومسطرته زهاء خمسة عشر سطرا . وقد تناول النقاط التالية :

١ — تعريف التجويد : موضوعه وثمرته ، حكمة تعلمه ، فضل تلاوة القرآن آداب تلاوة القرآن ، صفة تلاوة — صلى الله عليه وسلم — تعهد القرآن خشية النسيان ، تحسين الصوت بالقرآن .

٢ — الاستعاذة والبسملة ، الانصات ، مراتب التلاوة ، الترتيل والحدر والتدوير .

٣ — أحكام النون الساكنة والتنوين ، الاظهار ، الادغام بغنه وبلاغنه ، الاقلاب ، الاخفاء .

٤ — أحكام الميم الساكنة : الاخفاء ، الادغام ، والاظهار ، أحكام الميم والنون المشددتين .

٥ — المد وأقسامه : الواجب المتصل ، الجائز المنفصل ، المد العارض للسكون ، المد اللازم المثقل الكلمى ، المد اللازم المخفف الكلمى ، المد اللازم المثقل الحرفى ، المد اللازم المخفف الحرفى ، مد الصلة ، مد البدل ، مد العوض ، مد اللين . مد الفرق ، جدول بالمدود .

٦ — مخارج الحروف ، رسم الفم مع مخارج الحروف .

٧ — صفات الحروف : الصفات المتضادة . الهمس ، الجهر ، الشدة ، الرخاوة ، الاستعلاء ، الاستقبال ، الاطباق ، الانفتاح ، الذلاقة ، الاصمات ، الصفات التى لا ضد لها . الصفير ، القلقلة ، اللين ، الانحراف ، التكرير ، التفشى ، الاستطالة .

٨ — اللام فى لفظ الجلالة ، لام الفعل .

٩ — اللام القمرية واللام الشمسية .

١٠ — ادغام المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين .

١١ — أحكام الراء . التفخيم ، الترقيق ، الألفات العشر .

١٢ — الوقوف والابتداء ، الوقف التام ، الوقف الكافى ، الوقف الحسن ، الوقف القبيح ، رموز الوقف ، السكتات فى القرآن ، المقطوع والموصول . التاء المفتوحة والمربوطة ، رسم المصحف ، سجود التلاوة ، التكبير ، القراء والقراءات ، ختم القرآن ، دعاء ختم القرآن .

البقية صـ "٦١٨"

أنباء وآراء

اعداد : أحمد عبد الرحيم السايح

دور البنوك الإسلامية

عقد فى أواخر شهر صفر ١٤٠٦ هـ بجدة مؤتمر لعلماء الاقتصاد الاسلامى . حضره من مصر حسن عباس زكى الوزير الاسبق . وكان الغرض من المؤتمر تقييم اعمال البنوك الاسلامية خلال عشر سنوات مضت ، ودور البنوك الاسلامية فى (استراتيجية) التنمية والأخذ بيد الدول الاسلامية .

٥٦ شخصا يشهرون إسلامهم فى الأزهر

أشهر ٤٨ شخصا اسلامهم خلال الشهر الماضى أمام لجنة الفتوى بالأزهر . وعبروا عن سعادتهم الغامرة ، وارتياحهم النفسى لاعتناقهم الاسلام بعد معاناتهم من التخبط والضياع . من بينهم خمسة وعشرون مصريا وثلاثة وعشرون من جنسيات مختلفة كالفلبين وأمريكا وألمانيا الغربية واستراليا وبريطانيا وايطاليا واليابان وأسبانيا ويوغسلافيا وهولندا وتنزانيا والهند . بعض هؤلاء الذين اعتنقوا الاسلام شباب وأكثرهم فى العقد الخامس من العمر ويغلب عليهم طابع الثقافة والاطلاع . ومنهم أصحاب مراكز مرموقة فى بلادهم . وتقوم اللجنة بتزويدهم ببعض الكتب التى تساعدهم على معرفة أحكام الاسلام كما بلغ عدد الذين أشهروا اسلامهم فى الاسبوع الأول من اكتوبر ثمانية أشخاص .

صرح بهذا فضيلة الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر .

إسلام سكرتير التنظيم البهائى

اشهر زاهر قشيرى سكرتير تنظيم الشباب البهائى الذى حل عام ١٩٦٠ بقرار جمهورى .

أنباء وآراء

اشهر اسلامه أمام قاضى محكمة أم درمان الشرعية وغير اسمه الى محمد زاهر .

اشهر البروفيسور « آرثر اليسون » رئيس قسم الهندسة الكهربائية والالكترونية بجامعة « سيتى » البريطانية اسلامه فى ختام جلسات مؤتمر الاعجاز الطبى فى القرآن الكريم الذى عقد مؤخرا بالقاهرة . واعلن فى مؤتمر صحفى عقده مع الدكتور الأحمدى أبو النور وزير الأوقاف أنه اختار اسم (عبد الله اليسون) بعد دخوله فى الاسلام .

وكان « اليسون » يرأس (جمعية الدراسات النفسية والروحية) فى بريطانيا لمدة ست سنوات . وقاده عمله الى دراسة مقارنة الأديان المختلفة . ومن هنا بدأ يتعرف على الاسلام .

وقال الدكتور عبد الله اليسون : أنه قرر أن يقضى باقى عمره فى خدمة الدعوة الاسلامية ، وانشاء معهد لتدريس وتعليم القرآن الكريم بأسلوب عصرى .

حول التقويم الهجرى ومناهج المستشرقين

أوصت لجنة الحصر والتنسيق ومتابعة الاحتفال باستقبال القرن الخامس عشر الهجرى بعقد ندوة عربية اسلامية حول موضوع « التقويم الهجرى » وتنظيم احتفالات لاعلام الفكر الاسلامى ، وترجمة مجلد « مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والاسلامية » الذى صدر بتعاون مشترك بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربى لدول الخليج الى كل من الانجليزية والفرنسية . وأعلن الدكتور محمد الأحمدى الرشيد مدير عام مكتب التربية العربى لدول الخليج توصيات اللجنة التى تتضمن دعم جهود منظمة المؤتمر الاسلامى فى انشاء جامعات اسلامية وخاصة فى أفريقيا والتنسيق مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية خارج العالم العربى ، والعمل على مزيد من العناية بالمسلمين فى أقطار غير المسلمين ، وتزويدهم بمادة ثقافية اسلامية بصورة متواصلة . وطالبت اللجنة بدعم منزلة التعليم الاسلامى بمواده المختلفة فى مناهج التربية والتعليم فى البلاد العربية والاسلامية وجعله اجباريا ، وتقديم المساعدات المختلفة الى الدول والجهات الاسلامية ذات الامكانات المحدودة لمساعدتها على انجاز مشروعاتها الاسلامية الخاصة .

موريتانيا تسعى لتطبيق الشريعة الاسلامية

صرح الحاج محمد الغالى مستشار رئاسة الجمهورية الموريتانية ومدير مدارس الفلاح الاسلامية بموريتانيا : ان الحكومة الموريتانية تنتهج نهجا اسلاميا واضحا وفى سبيلها للوصول الى تطبيق كامل للشريعة الاسلامية فى موريتانيا .

قامت الحكومة بانشاء بنك البركة الاسلامى ليكون نواة لتغيير النظام

الاقتصادى من نظام ربوى الى نظام اسلامى صحيح • وقال مستشار الرئاسة الموريتانى ان المسلمين بخير وان الأفكار الشرقية والتيارات الغربية لم تستطع أن تؤثر فى أبناء شعب موريتانيا الذين يتمسكون بكل قوة بالكتاب والسنة •

إتحاد الجمعيات الإسلامية

اعلنت ثلاث وعشرون جمعية اسلامية فى « موريشيوس » عن تشكيل اتحاد تنسيق مستقل بينهم سمى «اتحاد جمعيات موريشيوس الاسلامية » للاهتمام بالقضايا الاسلامية التى تؤثر فى المجتمع المسلم فى الجزيرة • وقام الاتحاد بمقابلة رئيس وزراء موريشيوس حيث عرض عليه مطالب المسلمين الذين احتجوا على محاولة الحكومة وقف تقنين الشريعة الاسلامية فى موريشيوس وذكر مصدر مسئول فى الاتحاد ان رئيس الوزراء وعد أن يعامل المسلمين بانصاف وأن يتم تشكيل لجنة للنظر فى قوانين الشريعة الاسلامية يشترك فيها ممثلو الاتحاد •

حصر الكفاءات بالجامعات الإسلامية

تقوم رابطة الجامعات الاسلامية ومقرها المملكة العربية السعودية بحصر الكفاءات الفكرية فى الجامعات والمؤسسات الاعضاء فيها ، بهدف التعاون بينها فى مجال العمل الاسلامى ، وخدمة اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم والدعوة •

وجهت الرابطة دعوات لأعضاء هيئات تدريس الجامعات الاسلامية العربية وغير العربية للتعارف ، واعداد بطاقات تعريف لكل عضو تحدد درجته العلمية وتخصصه الأكاديمى والعلوم التى يقوم بتدريسها • وموقعه العلمى والقيادى داخل جامعته ومسئولياته العلمية والمؤتمرات التى شارك فيها والمؤلفات التى أنجزها والدراسات التى يعكف على اصدارها الآن واستعداده للقيام بأستاذ زائر •

مناهج موحدة

قرر المؤتمر الثانى للمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم الذى اختتم اعماله فى العاصمة الباكستانية اسلام أباد وضع مناهج موحدة للعلوم والتربية والثقافة فى المدارس الاسلامية فى شتى أنحاء العالم الاسلامى •

مركز اكسفورد للدراسات الإسلامية

تم فى لندن توقيع وثيقة تأسيس مركز اكسفورد للدراسات الاسلامية • وتنص لائحة المركز الذى سيكون تابعا لكلية « سينت كروس » على أنه سيقوم بتشجيع الفهم الأفضل للاسلام فى الغرب ، وتوثيق

التعاون بين الشعوب الاسلامية والشعوب التى تنتمى لديانات اخرى ·

ملاحظة : لن يكون - بحال - مثل هذا المركز فى خدمة الدراسات الاسلامية ·

المركز الإسلامى فى "بوجامبورا"

يفتتح المركز الاسلامى فى « بوجامبورا » عاصمة بورندى فى آخر هذا العام · بعد أن أوشك العمل فى بناء المركز على الانتهاء نتيجة لتبرعات الدول الاسلامية · وتقرر أن تكون الدراسة بالمركز مجانا ويلحق به مستشفى لعلاج المسلمين وغيرهم من الطوائف الأخرى بدون مقابل · تبلغ نسبة المسلمين فى بورندى حوالى ٣٥٪ وعددهم نحو مليون مسلم · ويتمسك المسلمون فى بورندى بشعائرهم الدينية وهم مرتبطون بالمساجد ارتباطا وثيقا · ويطلقون أسماء المساجد على الشوارع التى تقع فيها · وتلقى الدروس الدينية فى المساجد عقب كل صلاة · ويحضرها المئات من المسلمين الذين يستمعون للدروس الدينية التى يلقيها علماء من الأزهر ورابطة العالم الاسلامى ·

نشر اللغة العربية فى العالم الإسلامى

طالب الدكتور زكريا البرى وزير الأوقاف المصرى الأسبق فى دراسة أعدها عن نشر اللغة العربية فى العالم الاسلامى بعدم استخدام الحروف اللاتينية فى كتابة اللغة العربية · وقال : انه لابد من بذل الجهود لعودة اللغات الاسلامية التى كانت تكتب بحروف عربية وتحولت الى اللاتينية مثل اللغات التركية والأندونيسية والملاوية والسواحلية وأكد على ضرورة انشاء المعاهد المتخصصة فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها واعداد المعلمين فى هذا المجال وتشجيع زيارة أبناء الأقليات الاسلامية للبلاد العربية · كما طالب الدكتور البرى بانشاء جهاز مشترك متخصص برصد المنح والجوائز والحوافز المادية والمعنوية التى تشجع دراسة اللغة العربية ·

نظرة فى كتاب احكام التلاوة "بقية"

وبعد فهذا كتاب الفيناه سهل العبارة ، واضح الدلالة ، صيغ فى أسلوب سهل ، يعد ولا غرو حلية للناشئين ، وتحفة للمبتدئين ، وتتبعنا الأحكام التى أوردها فوجدتها من كلام المتقدمين · ولم أجد فيه خروجا عن كلامهم · بل جمع ما نسقه الأوائل ·

وهذا الكتاب ناهيك به من كتاب صاغه مؤلفه فى اسلوب صائغ ممتع جذاب ، وعبارته ميسرة تأخذ بالألباب · يسير القارىء له فى رياض رحبة الظلال ، دانية القطوف ، جميلة المرأى حلوة المذاق فجاز الله مؤلفه وناشره وقارئه خير الجزاء · فقد نصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ·

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمين وعلى آله واصحابه أجمعين ·

الفهرس

اســــم الموضوع	الصــــفحة

مراجعة وعناوين داخلية

الأستاذ / عبد المنعم ابراهيم مهنا — السيد عبد الفتاح خضير

المراجعون — متولى عبده الجرجاوى

الاساتذة : — أيمن محمود الجندى

محمد صابر البرديسى — اسامة عبد المنعم ابراهيم

6) "Aristotle et la notion de Creation" written by R. Jolivet in the periodical " Revue des sciences Philos. et theol.) Janvier et avril 1930 PP. 550 et 209-235.

7) Ibn Khaldun said that the science of Kalam includes proofs of religious beliefs by mental proofs, and answering the dissidents talking about the creeds of our fore fathers Salaf and the Sunnis, Introduction: The edition of Ibrahim Halim press of the Ministry of Education, Al Khahkeyeen Egypt. Chapter about "Kalam P. 545 old edition".

at " making all substances move in yearning for their prime mover,as ancient as they are"

Thus external reality in their system was considered not to be created, but existent by itself, independent of the knowing subject. Such was the most important characteristics of the Greek conception of reality, which in a conception based on fundamentals contrary to creed. It represents a frank trend towards giving priority to the knowing subject in the interpretation of existance without recognition of the reality itself.

To Be Continued

REFERENCES.

1) "The role of Arab and Muslim thinkers in philosophical thought". Essay No. 1 in "Essays on the originality of Muslim Thinkers by Dr. Fawkia Hussein Mahmoud, Cairo 1976.

2) Al-Bukhary. "Start of Creation", Vol. 4. P. 129 popular books, edition,issue No 2- Cairo 1968.

3) "Guidance to irrevocable proofs of the bases of belief by Al-Guwaini, P. 15, verified by Dr. Muhammed Yusuf Moussa et al. Cairo 1950.

4) "Glowing proofs of the bases of the creeds of the Sunnis and the Islamic groups" by Al-Guwaini, verified by Dr. Fawkia Hussein Mahmoud, the Egyptian company for publishing - Cairo 1965.

5) "The theory of the prime mover" P. 342- Aristotle: Fundamentals of the history of development by Werner Jeager.

revelation, using the reality of existing facts. Such sciences have always been very precise in the Islamic way of thinking. The science of Jurisprudence specifies the necessary details of people's lives, being illuminated and enlightened by the texts given through the revelation which render this science perfectly accurate. The methodology of the Muslim thinker in his study of the laws that govern reality, is a very distinct methodology, which reveals the natural laws that govern the components of reality.Such laws are uniform and consistent being ordained by Allah.

Muslim theology "Kalam" includes alien expressions pertaining to reality. A definition of the world is referred to by later theological thinkers (Khalaf) was that " The universe is composed of substances and accidents" However, the earlier theological thinkers (Salaf) had not used such alien expressions or concepts.

Such a definition of the world with such divisions imply that they are derived from concepts of Greek thought. This considers that such thought conceieves existing objects through purely intellectual categories and splits the physically existing objects into substance and accident, giving them separate existance leading to lack of unified identity. Such understanding contradicts the reality of the existing object as an entity and the image that our senses reflect of the world. The Greek thought considers that categories represent the fundamentals of knowledge and existance, and that substance is the essence of existance and the expression of the true nature of things.

This means that the Greek thought gives an apparent priority to substance, or intellectual existence over external existence. Greek thought, because of its fundamentals or principals tends to destroy the first impressions of external nature and to replace them by the idea of original substance or truth. The thought of Aristotle aimed

He who created all things, and ordered them in due proportion.

(Surat Al-Furqan, XXV, 2)

" If indeed thou ask them who has created the heavens and the earth and subjected the sun and the moon (to His law); they will certainly reply " Allah". How as they then deluded away (from the truth).

(Surat Al-Ankabut, XXIX, 61)

In the Honourable Hadith the Prophet (prayers and peace be upon him) said: " There was Allah (God) and nothing was with Him. His throne was on water, and He wrote everything in the Book, and created heavens and earth".

Such quotations from the Holy Quran and the Honourable Hadith; indicate that Allah (glorified be His name) has created everything, and has decided the fate of every being, and that there was nothing before creation other than Him. The external reality has its own existence, willed by Allah. Islamic sciences have depended on this concept to a large extent , and have never deviated from it. The sciences of the Quran and that of Hadith as well as all other sciences that tackle the different sides of the life of man and nature: (chemistry, physics, medicine, biology,...etc.) have faced external reality in a manner which acknowledges its independent existences,known to itself. The mind has to face this existence and recognise its experimental facts that depend on the study of existing bodies in their material form or real existence that can be evaluated and observed. The sciences of interpretation of the Quran explain the facts given to the Prophet (prayers and peace be upon him) through the

Sunna. That was the cultural climate when the Muslim thinkers encountered the Greek heritage. These sciences enabled all those who studied them to attain a degree of comprehensive and fine intellectual polish that was not attained by those who lived under other prevailing cultures. The strenght and influence of these sciences motivate the search into the two origins of Muslim heritage, namely the miraculous Quran, and the Sunna of the Prophet (prayers and peace be upon him). Such a look reveals the intricate features of the concepts that Allah meant to be guidance to the human being in his thought and work in general, and in his attitude towards external reality in particular. This attitude towards external reality is the theme of this essay.

If one looks into the text of the Quran and into the Hadith of the Prophet (prayers and peace be uopn him) , one finds numerous richly perceived statments which point the observer of the surrounding world to the recognition of Allah. The external real creation which every man perceives and by nature accepts as real, powerfully demonstrates the existance of the Creator.

In the Holy Quran it is stated:-

> " It is He who hath created for you All things that are on earth; moreover, His design comprehended the heavens, for he gave order and perfection to the seven firmaments, and of all things, He has perfect knowledge.
>
> (Surat Al-Baqara, II, 29)
>
> " He to whom belongs the dominion of the heavens and Earth: No son has he begotten, nor has He a partner in His dominion: It is

believe that Muslim thinkers in these fields have adopted Greek concepts, specially those of Aristotle.

The aim of this essay is to show the Islamic intellectual background behind the scattered words and intellectual divisions which are alien to Islamic thought. Therefore, it could be stated that Greek expressions were introduced in our heritage, as a cover of authentic and original Islamic concepts, and that these expressions were adopted and spread in accordance with the spirit of Islamic mental freedom (Samaha) by which one can accept what is not in contradiction to the Muslim Creed. The acceptance of Greek expressions was allowed in order to meet the demands and needs of people's intellects to acquire new concepts. These new concepts have been represented by terms borrowed from Greek culture in particular, which was the sole culture to attain a level that suited the depth of Islamic mentality living with Islamic concepts derived from the Quran and the Sunna. These Islamic concepts deal with both theoretical and practical aspects and are concerned with guiding legislation for the various patterns of an individual's life. This guiding legistation ensures complete comprehensive maturity in thinking and in action. Greek thought , however, represented only the maturity of one side of human understanding, that is the theoretical side.

Muslim thinkers begun looking into Greek thought, although they were aware of the fact that the premise of this alien thoughts was incomplete. Greek thought is incomplete, because it is a thought that is not concerned about relating theories to practice, and it doesn't recognise the existence of external objects in a way that is independent of the "knowing subject".

The Muslim thinkers had their own knowledge and sciences, in whose light they grew up. These were the sciences of the Quran and

Islamic Theology After the First Century of Hijra *

BY
Dr. Fawkia Hussein Mahmoud.

This treatise deals with the way modern researchers (Orientalists and Arabs)should understand the efforts of Muslim theologians after the first century of the Higra. This means that it deals with Islamic thinkers in one of the fields which are most receptive of innovated expressions namely; "Kalam" or "Muslim theology" and "Philosophy." However, the efforts of the "Mutakallemun" in their way of exposing their opinions about "reality" will be dealt with.

By "reality" is meant this existence, which is independent of a "knowing subject" i.e. external reality, the reality of physical entities surrounding man. Speaking particularly about this "reality" does not mean that other patterns of reality are less important. For simplification, external reality is taken as subject for this study. What will be achieved in this study represents the most important features of the attitude of Islamic thinkers towards the other different patterns of reality. The mere appearance of alien expressions in the fields of "Kalam" and "Philosophy" has led several people to

*Presented at Faculty of Divinity "First International Symposium on Islamic studies". Izmir 16-18 September, 1985.

result of an inbred and inherent sense of independence. self confidence, and freedom of opinion as taught by Islamic principles.

The principle of freedom of opinion and liberty of thought as an Islamic practice has been adopted in the most crucial matters, as those concerning the government of state. This is left to every individual Muslim to state his opinion in complete freedom. Freedom of opinion is also fully granted to men of science and theology to give their opinion in matters pertaining to every day practice of the various social and legislative matters of Islam. Each individual opinion is fully respected insofar that this opinion does not contradict any Quranic text nor any tradition of the Prophet (prayers and peace be upon him).

Freedom of thought and liberty of opinion is fully constituted within the general understanding of Islam. It is with this substance that Islam supervenes over all other religious creeds; and makes Islam suitable for all races, all ages and all places. In its completeness of all human legistative requirements, it demands no other complementary law beside it. It is absolutely just, and it is dominant by what is absolutely correct.

In a final statement it should be clear that freedom of opinion and liberty of thought does not in any way mean anarchy and chaos and a proper understanding Muslim will certainly utilize this right of freedom of thought and liberty of opinion in its proper and correct standing.

Abstracts taken from an original article be Shiek Sadek Ibrahim Argoon; published in the El AZHAR Magazine, volume 57, Page 2055, September 1985 (ZI El-Hijja, 1405 H).

tellegent understanding of Islam; the human mind in itself and by its own nature and intertia becomes a guardian over human actions and conduct. The growth of human understanding of Islam in that direction will provide strength and support and therefore continuity.

The early Muslims fully understood that principle and therefore gave full respect to freedom of opinion. This made them rise as a nation and spread their authority over an empire which could not have been achieved with imprisoned minds and chained thoughts.

It was the constant practice to discuss and debate all matters that were not governed by Quranic legislation. This practice complies fully with Islamic teachings as directed by the Quran and implemented by the traditions of the Prophet (prayers and peace be upon him). Such concepts of freedom of thought and liberty of opinion were transmitted and followed by his successors. Abou Bakre the first Khalifa of Islam addressed the people after being proclaimed as Khalifa and said "... I have been appointed to govern you and I am not your best..... If I perform well help me and assist me; and if I do wrong correct me and put me straight.". This statement means that the first Khalifa of Islam had in reality placed the actual government of people in their hands as their own responsibility. He established by that a very superior understanding and practice of freedom of thought, liberty of opinion, self dignity and individual respect; which integrated into concrete social solidity.

With the same understanding of the principle of freedom of thought and liberty of opinion, a man stands up amidst a gathering to address Omar Ibn Al Khattab by saying "... by Allah, if we observe in you any deviation from correctness. We will straighten you with our swords." Omar replies by praising Allah that in the society there are people who can straighten any deviation of Omar. Such incidences of frank and outward declaration of opinion is certainly a

mpatible with the capacity and social ability of the people. It is as if Allah has organised humanity through the various revelations into discrete groups by inspiring specific social contracts suitable for each individual group to comply with the nations place and position in life. When humanity had completed its reality and became mentally united with maturity of intellect; Islam supervened to direct its course and ascend with human nature from basic clay to spiritual elivation and purity that conform with the realistic qualifications of humanity. It is observed that the original legislations were addressed to a generation with limited understanding, and therefore prescribed for them specific limitations that were not generalized; because the human mind at the time was limited in conception unsuitable for a speech of a generality in nature.

However, when Islam came about, it addressed a human public mind after it became ready in its ability to understand a legislation constituting all aspects of human life. This came about because Islam refused any authority except that of the human mind. Islam in its teachings severely opposed and was very much against those who were mentally inert, and those who refused to activate their minds with the faculty of thought.

Islam desired through that refined principle to awaken the mind to perform its function and acquit the human self from the sickness of blind imitation. It aimed essentially to culture the mental faculty with the power of thought, self confidence, independence of opinion, and freedom of expression. This resulted in those who awakened their minds and pushed it into the kinetics of thought and in the understanding of cosmic creation.

Within the process of such mental activation and psychoenergetic function of the human mind which is gained by a proper and in-

FREEDOM OF OPINION IN ISLAM

BY:- ISMAIL MOUSTAFA KIRA

Democracy · that symbol which is frequently repeated among people and which is drawled by those individuals who want to enforce their opinion, but try to give it false flexibility and remove from it any signs of chauvinism or prejudice.

That symbol has already received a place in Islamic understanding fourteen centuries ago. In fact, it is a basic foundation upon which Islam was constructed. To those people who believe that they have the credit of setting that principle, we advance to them two quotations from the Holy Quran "... and consult them in matters " and their issues are subject to consultation among them". These two quotations are addressed to the Prophet (prayers and peace be upon him). These quotations are also addressed to Muslims at large as basic principles of their faith and one of the outstanding elements of its structure. They constitute an unchallenged axiom in Islamic theology that accredits freedom of thought and opinion insofar as this does not contradict a text from the Holy Quran or the Sunna.

Islam was prescribed as an eternal religon for all humanity, and was so meant to be the final phase of the long series of revelations in human history documented from Adam to Mohammad (prayers and peace be upon him). This phase of Islamic revelation constituted within the whole creed of Islam a complete set of legislations that are co-

Al-Gohrana after Hunain, and the fourth with his pilgrimage.

Prayers and peace upon our magnanimous Prophet.

References :

1) Alsira Albabawiah
3rd. Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawı
Puplisher, Dar Al Sharook ,Jeddah

2) Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohamad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial library, Cairo

3) Mashahid min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo - Printed 1980

4) Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrit, 1977, Cairo

5) The Holly Quran
Text, Translation and Commentary
Abdullah Ysuf Ali.

6) Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramandan Albooty
7th. Edition ,1977
Dar Al-Fikr, Cairo

7) Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol.2, 1983 ,Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8) Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut,1981.

(prayers and peace from Allah upon him), she lived for about fifty years after, and was burried at Saref.

The three days of Umra allowed by the truce of Al-Hudaibiah had ended the period of Muslims stay at Macca. However ,the Propbet (prayers and peace from Allah upon him) desired to make of his marriage to Maymounah a reason to remain longer in Macca in the hope that the hostile relations with Koraysh may be furhter subdued. This was not accepted by Koraysh; Suhayl Ibn Amre and Howaytib Ibn Abdel-Uzza refused the idea and addressed the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to leave Macca. The departure was immediately announced and the Muslims left Macca to return to Al-Madinah. Outside Macca at Saref, the Prophet (prayers and peace form Allah upon him) took Maymounah as wife. The whole party then left for Al-Madinah.

The repercussions of the Umra of Al-Qada and the implications it had on the traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) are very far reachings. This Umra certainly satisfied the Muslims after the rejection they faced at Al-Hudaibiah . It also had a great impact on the antagonistic psychology of the pagans of Koraysh after witnessing very closely the conduct of Muslims. Above all, this Umra of Al-Qada was a prelude to the future conquest of Macca.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) performed four Umras all during the months of Zu'Al-Qida. This one of Al-Qada was considered the second, since that on the previous year at Al-Hudaibiah was the first being forcely rejected by the pagans of Koraysh. The third from

his two thousand companions entered the courtyard of the Kaaba where he remained till noon prayers at which time Bilal Ibn Rabah mounted the top of the Kaaba and called the summons for prayers (Athan). The Muslims gathered behind the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to perform noon prayer, the first prayer to be performed at the Kaaba in proper and disciplined undertaking. The Muslims remained in Macca for three days as dictated by the terms of the truce of Al-Hudaibiah during which time they prayed regularly at the Kaaba, they visited their homes , and conducted themselves according to all the manners and demands of Islamic behaviour. All this was closely observed by the onlooking people of Macca astonished by the superb mannerisms of human eloquence, grace of performance ,and by the coherent fidelity of Muslims. This system of belief of humble unselfish nobility ,of supreme morality and chastity, of virtue and honour, of inherent piety and firm credence; brought up these men from earthly carnlity and wanton debauchery, to the highest ranks of purity, virtuous decency, and modest dignity.

Al-Abbas Ibn-Mutaleb, the uncle of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was married to Um-Al-Fadle Bent Al-Harith. Her sister Maymounah Bent Al-Harith Al-Hilaliah deputised Al-Abbas to act on her behalf in her affairs. Maymounah announced her Islam; and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) accepted to marry her on the advocacy of his uncle Al-Abbas. The marriage took place at Saref outside Macca after the Umra was completed and the departure of Muslims from Macca and Abu Rafie was left behind in Macca to accompany Maymounah to Saref. She was the last wife to the Prophet

estic spectacle of the solmn worshipful men treading through the city of Macca towards the Kaaba united into a common supernal unearthly ideal in self justification ; certainly had its effect and influence on the overlooking men of Koraysh. They certainly realised thatthis superb ideology of the new creed veritably constituted the elements of human excellence. However, inspite of all this overwhelming grandeur of credence and belief, the leaders of Koraysh blatantly alleged that the Muslims were burdened with worry ,distress and exhaustion. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) instructed all his companions to uncover thier right shoulder in a display of strength as they circumambulated around the Kaaba. This is done by placing the upper cloth of the Ihram under the right armpit and covering the left shoulder. Also ,the first three turns of the circumambulation around the Kaaba must be in trot. Such practice remains to be carried out by Muslims till now, and will remain to be observed as a tradition of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

Abdullah Ibn Rawahah advanced the procession and completed the formalities of the Umra with the Muslims surrounding and closely guarding and gathering around the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). They fulfilled the ordained promise, and within the depths of their emotions ,they were highly gratified to be in Macca. They moved from the Kaaba to Al-Safa and paced seven times between Al-Safa and Al-Marwah, then sacrificed their cattle after cutting their hair. By that all the ritual Ceremonies of the Umra were concluded. On the following day the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) with

and it was the time for the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to go to Maca to visit the Kaaba and perform Umra; as agreed upon in the terms of the truce. Preparations were made for the Umra, and two thousands men accompanied the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) including men from Al-Muhagereen and others from Al-Ansar. The only individual armour were the swords in in their sheaths. However, the possible betrayal on the part of Koraysh must be expected, and therefore Mohammad Ibn Maslamah was ordered in one hundred horsemen to advance the party as vanguard. The cattle for sacrifice was also driven along with the party. The extreme ecstacy and enchantment of Muslims as they travelled from Al-Madinah to Macca after those long years of absence from their birth place; was overwhelming and was the subject of their talks and conversations on their way to Macca. All the men that attended Al-Hudaibiah on the previous year were out on this expedition for Umra and also several others. Al-Madinah was ministered by Owayf Ibn Al-Adbat Al-Dawly or according to another reference by Abo Zar Al-Ghafary. This Umra is known as the Umra of Al-Qada (fulfillment), and is also known by another name as the Umra of Al-Qisas (retribution).

When koraysh knew that the Prophet (prayers and Peace from Allah upon him) and his companions were advancing to Macca, they evacuated the city to the neighbouring hills overlooking the Muslims marching into the sacred city to pay homage to the Kaaba and perform Umra . The columns in triumphant procession marched towards the Holy Shrine of Kaaba with jubilant exultant spirits announcing the answer to the call of Allah completing His promise to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The maj-

The Umra of Al-Qada

BY

Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, F...

In the Name of Allah Most Gracious and Compassionate.

After the conquest of Khaybar, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) returned to Al-Madinah. The impact of the Muslim triumph over the Jews at Khaybar was very significant and consequential, and urged several political, strategic, and economical implications; all of which were certainly in the support and favour of the evergrowing influence of the Muslims in the Arab peninsula. At Al-Madinah, the Muslims remained for seven months engaged in active deployment of contingents to various Arab clans who were perturbing the Muslims. The numbers and exact dates of these deployments is not known for certain ;however most authors agree that these deployments took place after Khaybar and before the Umra of Al-Qada. Among the well known deployments were that of Abi Bakre Ibn Abi Quhafa to Bani Fazarah;that of Omar Ibn Al-Khattab to Hawzan; that of Abdullah Ibn Rawahah to Yassir Ibn Rizam the Jew who was gathering men from Ghataffan;that of Bashir Ibn Saad to Bani Murrah ; and several other less pronounced deployments.

Now it was the month of Zu Al-Qida of the seventh year of Hijrah ,one year after the Truce of Al-Hudaibiah,

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

• صورة الغلاف



مسجد جامك بماليزيا

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة كلمة

وكم في رسم الكلمات العربية من قَصَص قصص ذكي طريف نتج عن جهد مخلص في التحري لخلاص الكلمة العربية لمعناها الذاتي فلا تلتبس بغيرها ، ولا تشبهها في رسمها حتى لا يقع ستار من غموض على الكلمة فيلحقها في كل مادة مكتوبة في فروع ثقافتنا العربية •

وما كنت أحسب – يوما – أن يقفز هذا القصص الى الصفحات الأولى حتى كان ما آل اليه أمر اللغة المؤسف فاذا كبار كتابنا يسرعون – من فزع عليها – الى أعمدتهم الخاصة بكلمات منذرة مستغيثة تنشد النجدة والخلاص •

* جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ * يناير / فبراير ١٩٨٦ م *

* السنة الثامنة والخمسون * الجزء الخامس *

قصـــة كلمـة

وكان من المؤلم أن أسمع – فى مناقشة رسالة علمية بقاعة جامعية – كلمة « مِائة » ينطقها الناطق مفتوحة « الميم » وذلك خطأ محض ؛ فقد وردت الكلمة بهذا الرسـم عينه فى الكتاب العزيز، وتلتها القرون الى يومنـا هذا مكسـورة الميم ، سواء فى ذلك « مـائة » و « مـائتين » وتلاوتهـا مفتـوحة لحن كبير •
وما هذه الألف بعد الميم إلا ألف زائدة "رسما" لا تنطق "لفظا"، وهى تماثل – فى زيادتها – الألف التالية – فى الفعل – لواو الجماعة •

* * *

ولكتابتها – بهذا الرسم – قصة •

كانت كلمات العربية من قديم ، والى زمن متصل بصدر الاسلام الى ما بعده تكتب بغير « نَقْط » ولا « شَـكْل » واستمر ذلك حتى يسر اللـه لهـا النقط ، وأثناء تلك الحقبة كان ينبغى الاحتيـاط الشـديد ليأمن القوم على الكلمـة ، وكانت كلمة « مِائة » لو كتبت – كما تنطق – « مِئَة » لأشبهت يومئذ الكلمـة : « فِئَة » اذ لا نقط يومها ولا شكل فاهتدى القوم الى وضع هذه الألف فى كلمة « مائة » فكانت فاصلا دقيقا بين الكلمتين ، ومن عجب أن الكلمتين وردتـا فى الكتاب العزيز وكل منهما "مفردة" تارة و"مثناة" أخرى فأحكمتـا فى القرآن الكريم – بهذا الرسـم •

وظل القوم على ذلك اتباعا للمصـحف حتى بعـد ورود النقط والشـكل •

فليت الجيل وما بعده يحفظ من الكتاب العزيز ما يحفظ عليه دينه وعروبته •

د. على أحمد الخطيب

دراسات إسلامية

من علوم القرآن الإعجاز

أولو الألباب

دعائم الإسلام

حديث القرآن عن يوم الدين

من علوم القرآن

للدكتور أحمد إبراهيم مهنا

ولقد كان حديث القرآن عن اليوم الآخر ـ والذى سيبدأ بالساعة والزلزلة ـ وما سيكون فيه سببا فى أن يسأل الناس « متى يكون ؟ » .

قالها المؤمن رجاء الاستعداد له ، وقالها الكافر زيادة فى انكاره وأغراقا فى استبعاده ، وكان جواب القرآن على هذا السؤال واضحا ومحددا ، انه سر من أسرار الله لا يعلمه الا هو ، يقول الحق تبارك وتعالى :

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (١) . ويقول :

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا

فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا

إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا » (٢) .

واليوم الآخر ، وهو يوم القيامة ، يبدأ بفناء العالم كله ، تنشق السماء وتنفطر ، فتكور الشمس وتفقد وظيفتها ، ويتبعها القمر فينخسف

---

(١) سورة الأعراف : الآيتان ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٢) سورة النازعات : الآيات ٤٢ ــ ٤٦ .

الإعجاز

٨

حديث القرآن عن يوم الدين

وتتناثر الكواكب وتتساقط النجوم ، أما الأرض فتتزلزل وتضطرب فتتفجر البحار وتضطرم نارا ، وتتفتت الجبال وتكون سرابا ، وتتبعثر القبور فتقذف بمن دفن فيها ، ويحشر العباد للفصل والحساب « **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ**

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ

وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (١) .

وعدل الله قضى :

« **أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** » (٢) .

وصدق الله حيث يقول

« **يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** » (٣) .

ذلك هو يوم الدين والذى لا يقضى فيه الا مالكه سبحانه كما قال : « **يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ** » (٤) .

وبعد

فهذه جولة فى حديث القرآن الكريم عن « يوم الدين » وكله من باب الغيب الذى لا سبيل الى العلم به الا ما ورد عن الحق

(١) سورة الزلزلة : الآيات ٦ — ٨ .
(٢) سورة النجم : الآيتان ٣٨ ، ٣٩ .
(٣) سورة غافر : الآيتان ١٦ ، ١٧ .
(٤) سورة الانفطار : الآية ١٩ .

سبحانه ، فالموت – وهو بدء الآخرة لكل مخلوق – غيب ، سواء أكان فى وقته أم فى مكانه أم فى كيفيته ، ووقت قيام الساعة غيب « لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً » ، والفترة التى تمر بين الموت وقيام الساعة غيب لا يعلم قدرها الا الله ، وما سيكون فى اليوم الآخر من مواقف كلها غيب .

وما أعد من أنواع النعيم للمؤمنين ومن أنواع العذاب للكافرين غيب وقد ورد عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه – وهو المبلغ عن ربه – قوله : « فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

والايمان بالغيب جزء من الايمان بالله لا ينفك عنه ، لأن الغيب الذى يجب الايمان به هو ما أخبر الله عنه مما غاب عنا ولا تصل اليه وسائل علمنا .

فاذا تساءلنا : هل حديث القرآن عن « يوم الدين » يمكن أن يصدر عن غير الله سبحانه وتعالى ؟

وبتعبير آخر : هل هناك من المخلوقين – من انس أو جن – من يستطيع أن يتحدث عن فناء العالم بانشقاق السماء وانفطار الأرض ؟

وهل هناك منهم من تخول له نفسه أن يقول انه سيضع الموازين القسط ليوم القيامة أو يدعى أنه أحصى لكل نفس ما قدمت فى دنياها لتحاسب تبعا له ؟

وهل منهم من يمكن أن يقول : انه أعد للطائعين نعيما وللعاصين عذابا ؟

واذا كان العالم المنظور والمشاهد فوق طاقة المخلوقين فى أكبر قدر منه ومحال أن يدعوا لأنفسهم نقيرا فيه فان عالم الغيب أبعد وأبعد ومحال أن يقرب أحد منهم من ساحته أو يحاول التحدث عنه من عند نفسه .

ان الذى تحدث عن « يوم الدين » وما سيكون فيه هو نفسه سبحانه الذى خلق العالم كله ، سمواته وأرضه ، وبيده مقاليدها ، وهو الذى نرى دلائل قدرته وبدائع حكمته فيما نرتع فيه من نعم نعجز عن احصائها ، واذا كان هو – وحده – الذى خلق فسوى ،وهو – وحده – الذى قدر فهدى ، وهو – وحده – الذى يحيى ويميت ، فهو – وحده – الذى يملك بقاء هذا العالم ، وهو – وحده – الذى يقدر مدة بقائه ، وهو – وحده – الذى فى قدرته أن يفنيه .

ومن رحمته أنه أنذر عباده به وبما فيه فى بيان واضح فقال وقوله الحق :

« وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (١) .

خلاصة

لقد عرضنا على القارىء نماذج من آيات القرآن الكريم فيما يتعلق بـ : الحديث عن الله وهو الخالق ومالك الملك .

والحديث عما سوى الله ، وهو الكون كله ومنه الانس والجن .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨١ .

والحديث عن الصلة بين الخالق والمخلوق ، وتتلخص فى قول الحق تبارك وتعالى : « **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** » (١) .

ثم الحديث عن « يوم الدين » .

وهى الأمور التى اشتملت عليها سورة الفاتحة وقد اعتبرها العلماء تلخيصا لما جاء فى كتاب الله .

كل ذلك بحثا عن وجه الاعجاز فى القرآن الكريم والأساس الذى بنى عليه التحدى الشامل للانس والجن على اختلاف عصورهم وعلى اختلاف ألسنتهم أنهم لن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وقد رأينا أن كل ما ذكر فكتاب الله انما يرتكز على الحقائق التى لا يصل اليها المخلوق بعلمه المحدود ، وعلى الامور التى تقع تحت قدرته ولا يمكن أن ينسبها الى نفسه أو الى غيره من المخلوقين .

انها حقائق تستلزم فى الحديث عنها العلم المحيط الشامل ، وتستلزم فى التأثير فيها القدرة النافذة والهيمنة التامة .

وأنى للمخلوق أن يكون كذلك فى علمه أو فى قدرته ؟

ولا نحسب أننا نبعد عن الصواب اذا قلنا : ان الذى نذهب اليه من أن وجه الاعجاز فى القرآن الكريم هو ما فيه من حقائق لا يصل اليها المخلوق بعلمه ، ومن أمور لا يستطيع أن يؤثر فيها بقدرته يتنق مع ما تقرره آيات القرآن نفسه .

فعندما حكى الله قول الكافرين عن القرآن فى قوله تعالى « **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** » (٢) .

أعقب ذلك بالرد عليهم فى قوله سبحانه . « **قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ... » (٣) .

وعندما حكى فى سورة هود قولهم إن رسول الله افترى القرآن رد عليهم فى تحد سافر بقوله عز وجل :

« **قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** » (٤) .

ثم قال سبحانه : « **فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ... » (٥) .

ومن المخلوقين يصل علمه الى علم من أنزل القرآن على رسوله فيأتى بمثله ؟ .

وعندما حكى قولهم « افتراه » فى سورة يونس كان الرد والتحدى : « **قُلْ فَأْتُوا**

---

(١) سورة الرعد : الآية ١٥ .
(٢) سورة الفرقان : الآية ٥ .
(٣) سورة الفرقان : الآية ٦ .
(٤) سورة هود : الآية ١٣ .
(٥) سورة هود : الآية ١٤ .

بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (١)

ثم قال عز وجل : « بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ »(٢)٠

فقصور علمهم كان السبب فى التكذيب بالقرآن ٠

فاذا قرأنا قول الله تبارك وتعالى : « وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (٣) ٠

زاد يقيننا بما ذهبنا اليه فوصف كلمات الله بالصدق وهو ما يوافق الحقيقة والواقع يؤكد علم قائلها بكل ما تقرر فيها ، ووصفها بالعدل يزيد ذلك تأكيدا ، فالعدل يتبع الحكمة التى لا يقرب ساحتها مجازفة ولا كذب ولا افتراء ٠

ولا غرابة فى ذلك فمنزلها على رسوله هو السميع العليم ٠

ولا نحب أن نختم هذا الحديث قبل أن نشير الى مسألة نراها ضرورية :

ان دراستنا للقرآن الكريم تبين لنا أن الله تبارك وتعالى قد تحدى كفار قريش أن يأتوا بحديث مثل القرآن عندما قالوا عن الرسول : انه تقوله ، جاء ذلك فى قوله تعالى : « أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ٠ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ » (٤) ٠

وعندما قالوا : انه افتراه تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات وجاء ذلك فى قوله سبحانه : « أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (٥) ٠

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله ، وذلك فى قوله جل شانه : « أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (٦) ٠

فى هذه المواضع الثلاثة كان التحدى ــ ولا شك ــ موجها الى كفار قريش ردا على ما صدر منهم من اتهام لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه بالتقول أوالافتراء ٠

بجانب ذلك نقرأ قول الله تبارك وتعالى :

« وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ٠ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن

---

(١) سورة يونس : الآية ٣٨ ٠
(٢) سورة يونس : الآية ٣٩ ٠
(٣) سورة الانعام : الآية ١١٥
(٤) سورة الطور : الآيتان ٣٣ ، ٣٤ ٠
(٥) سورة هود : الآية ١٣ ٠
(٦) سورة يونس : الآية ٣٨ ٠

تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّـارَ الَّتِى وَقُـودُهَا النَّـاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » (١) .

وقد نلاحظ أن الخطاب هنـا ليس خاصـا بكفار قريش ولا بغيرهم ، فهو خطـاب عام لجميع الناس عربا كانوا أو غير عـرب ، لأن المخاطبين فى قوله تعـالى « وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ ... الخ » هم الذين وجه اليهم النداء فى قوله تعالى : « يَآأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ... » (٢) .

وكل نداء فى القرآن بـ « يَآأَيُّهَا النَّـاسُ » يشمل جميع أفراد الانسان على اختـلاف ألسنتهم ، انه لا يختلف فى شموله عن قـول الله سبحانه « يابنى آدم » .

وقد نلاحظ كذلك أن التحدى الـذى وجـه لكفار قريش اقتصر فيه على أن يأتوا بمثـل القرآن أو بعشر سـور منـه أو بسـورة واحدة ، ولكن التحدى هنا يشمل أمرين :

أحدهما : أن يأتوا بسورة من مثله وهو يشمل التحدى بعشر سور .

أو بقرآن مثل القرآن ، وهو نفس ماوجه لكفار قريش .

وثانيهما : اعلان عجزهم المطلـق عن ذلك وهو قوله تعالى : «فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا » والخطاب مازال للناس جميعا بما فيهم كفـار مكة .

وهذا يطابق تماما المراد من لفظ « الانس » فى قوله تعـالى « قُـلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » (٣) .

فاذا جاز ان يقال : ان كفـار مكـة ــ وهم فصحاء العرب ــ عجزوا عن ان ياتوا بمثـل القرآن او بسورة منـه لسمو اسلوبه فى الفصاحة والبلاغة والبيان ، فما يجوز أن يقـال ذلك بالنسبة لغير العرب الذين شملهم التحدى والذين لا يعرفون اللغة العربية الـذى أنزل الله بها القرآن وهم بقية أفراد البشر .

هذا ونرجو أن نكون فى جانب الصـواب فيما قلناه ، من أن التحدى موجه الى أفـراد الانسان جميعاً ، وأن وجه الاعجاز فى القرآن الكريم هو تركيزه على الحقيقة فى كل صورها مما يستلزم العلم الشامل لما حضر وما غاب .

وامر آخر نرى أن ننبه عليه :

ان اقل ما تحدى به هو الاتيان بسـورة واحدة .

وما من سورة من سـور القـرآن الكـريم الا اشتملت على ما يعجز عنـه كل مخلـوق ، ومن اليسير على كل قارىء أن يجد ذلك بنفسه اذا انعم النظر فى كتاب الله .

وصدق الله العظيم فى قوله الكريم :

« وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِـن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّـذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِـيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ » (٤) .

تم البحث

---

(١) سورة البقرة : الايتان ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢١ .
(٣) سورة الاسراء : الآية ٨٨ .
(٤) سورة يونس : الآية ٣٧ .

مناظرة في الله

بين الخليل والنمروذ

حكى الله تلك المناظرة فى قوله تعالى :

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» ـ البقرة ٢٥٨ والآية مدنية «ألمتر» تعبير يدل على التعجب جاء فى صورة الاستفهام لانكار النفى وتقرير المنفى ، والمعنى : ألم تنظر أو ألم ينته علمك الى هذا الطاغوت الذى يتصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات نور الفطرة الى ظلمات الباطل حين تجبر وادعى الربوبية •

وقد اختلف فى وقت هذه المحاجة والمناظرة•

فقيل : انها كانت عند تكسير الأصنام ،وكان نمروذ سجنه ، ثم أخرجه من السجن ليحرقه وقبل الالقاء فى النار دار الحوار بينه وبين نمروذ •

وقيل : كانت المحاجة بعد الالقاء فى النار ونجاته منها •

واختلف فى مرجع الهاء فى قوله : أن آتاه الله الملك فقيل :

١ ـ هو ابراهيم عليه السلام والدليل قوله تعالى : « فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا » وعود الضمير الى أقرب المذكورين واجب ، وأقرب المذكورين ابراهيم •

٢ ـ أن الضمير عائد الى ذلك الانسان الذى حاجه ابراهيم ، وأصحاب هذا الرأى فسروا قوله تعالى فى آل ابراهيم : وآتيناهم ملكا عظيما » أن الله آتى آل ابراهيم الملك العظيم ولم يؤت ابراهيم ملكا •

أو أن المراد بالملك : التمكين والقدرة والبسطة فى الدنيا •

للأستاذ الدكتور
محمد محمد خليفة

ولقد حاج ذلك المحاج الذى آتاه الله الملك ابراهيم حين هز البطر المحاج ودفعه الى العتو وشدة اللجاج والمجادلة .

وقد أرسل الله الأنبياء ، وكلفهم بدعوة الناس الى عبادته ، وأول ما يواجه الداعية ما يطلب منه من اثبات اله لهذا العالم يدير شئون الكون وما فيه وكأن نمروذا سأل ابراهيم حين ادعى الرسالة : من ربك ؟

فقال له ابراهيم : ربى الذى يحيى ويميت بهذا قدم ابراهيم الدليل لمعرفة الله حيث ان الاحياء والاماتة لا يشارك فيهما أحد من أصحاب القدرة والسلطان ، والناس جميعا على اختلاف جاههم وسلطانهم عاجزون عن الاحياء والاماتة .

وقدم فى هذه الآية الحياة على الموت فى قوله : ربى الذى يحيى ويميت ، لأن الانسان يشاهد الحياة ، ويطلع على كل ما يجرى فيها، وهذا أمر لا ينكر ، ولهذا قدم الاحياء على الاماتة و « اذ » فى قوله : اذ قال ابراهيم نصب بقوله : حاج ابراهيم ، أو بدل من قوله: أن آتاه الله الملك اذا جعل بمعنى الوقت .

« قال » استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل : كيف حاجه فكان الجواب : قال أنا أحيى وأميت : أعفو وأقتل .

وقيل : انه دعا برجلين ، فقتل أحدهما ، وأطلق الآخر ، وقال أنا أحيى من أطلقته وأميت من قتلته .

وبعد أن ألقى نمروذ شبهته فى أنه يحيى ويميت عدل ابراهيم الى دليل آخر يفحم به نمروذا ، وانتقل ابراهيم من دليل الى دليل أقوى « قال ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب » .

وقوله : قال . استئناف كأنه قيل : ماذا قال ابراهيم ، وكان الجواب : قال « ان الله يأتى بالشمس من المشرق » الخ .

وقد قيل : ان هذه المناظرة وذلك الجدل كان بعد أن خرج ابراهيم من النار سالما وحفظه الله من الاحتراق .

وقد أدرك نمروذ أن من حفظ ابراهيم من النار يقدر على أن يأتى بالشمس من المغرب فلم يطلب من ابراهيم أن يأتى بها الهه من المغرب أو أن الله صرفه عن القول بأنه هو الذى يأتى بالشمس من المشرق فلم يدع ذلك « فبهت الذى كفر » أى بقى مغلوبا لا يجد جوابا ولا مقالا .

« والله لا يهدى القوم الظالمين » فهو لا يهدى من ظلموا أنفسهم فعرضوها للعذاب بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى سبيل النجاة أو الى الجنة .

ابراهيم يسأل ربه كيف يحيى الموتى :
قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة ٢٦٠ والآية مدنية •

العامل فى قوله : واذ ، اما أن يكون مقدرا تقديره : اذكر ، واما أن يكون : واذ قال ابراهيم معطوف على : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ » ، ويكون التقدير : ألم تر الى الذى حاج ابراهيم وألم تر اذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى •

و « أرنى » من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وطلبت مفعولا آخر بدخول الهمزة وكيف فى محل نصب على التشبيه بالظرف وبالحال ، والعامل فيها تحيى ، والاستفهام فى قوله : « كيف تحيى الموتى » عن هيئة الاحياء

وقد اختلف العلماء فى السبب الذى دعا ابراهيم عليه السلام الى سؤال ربه : أرنى كيف تحيى الموتى وكثرت رواياتهم فى ذكر السبب الذى دعا الى ذلك السؤال وبعض ما ذكر :

أن ابراهيم رأى جيفة مطروحة فى شط البحر تأكل منها دواب البحر والسباع والطيور ، فقال ابراهيم : رب أرنى كيف تجمع أجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر ، فقيل : أو لم تؤمن ؟

قال : بلى ولكن المطلوب أن يصير العلم بالاستدلال ضروريا •

« قال أو لم تؤمن » استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر تقديره : فماذا قال له الله حين سأله : أرنى كيف تحيى الموتى ، وكان الجواب قال « قال أو لم تؤمن » ، وقوله : أو لم تؤمن عطف على مقدر تقديره : ألم تعلم ولم تؤمن بقدرتى على الاحياء كيف أشاء حتى تطلب منى أن أريك ذلك •

والله يعلم أنه أثبت الناس ايمانا ولكن السؤال : ليجيب ابراهيم بما أجاب : ليطمئن قلبى لينتفع السامعون بذلك الجواب •

وقوله : أو لم تؤمن : استفهام للتقرير ، واللام فى قوله : ليطمئن قلبى متعلق بمحذوف تقديره : سألت ذلك ارادة لطمأنينة قلبى ، و « بلى » ايجاب لما بعد النفى والمعنى : بلى آمنت •

« قال » استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر تقديره : فماذا قال له الله ، وجاء الجواب : قال فخذ ، والفاء فى قوله : فخذ داخلة على جواب شرط محذوف تقديره : ان أردت ذلك

« فخذ أربعة من الطير » والطير : اسم جمع لطائر أو مصدر سمي به الجنس « فصرهن اليك » اضممهن اليك ليتأملها ويعرف أشكالها وهيآتها وألوانها وأحجامها حتى لا تلتبس بمثيلاتها من الطيور الأحياء ، وكانت تلك الطيور : طاووسا ونسرا وديكا وغرابا قيل : كان اختيار الطاووس ليشير الى ما فى الانسان من حب الزينة والجاه والترفع

والنسر اشارة الى الشغف بالأكل ، والـديك اشارةالى شدةالشغف بقضاء الشهوة والغراب اشارة الى شدة الحرص على الجمع والطلب .
« ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا »
وقد روى أنه أمر بأن يذبحها ، وينتف ريشها ويقطعها أجزاء صغيرة ، ويخلط ريشها ولحمها ودماءها ، ويمسك رءوسها ثم يفرقهـا عـلى أربعة جبال حوله ، وقيل سبعة جبـال بحيث يجعل على كل جبل جزءا من هـذا الخليط ، وقيل كانت الجبال حسب الجهـات : الشرق والغرب والشمال والجنوب .
« ثم ادعهن يأتينك سعيا » أى ناد وقل لهن تعالين ، والضمير فى قوله : ادعهن يعود عـلى الطيور لا على أجزائها .
وروى أنه حين ناداها تطاير كل جـزء الى الجزء الذى كان بجانبه حتى تكـاملت الجثث ثم تقدمت كل جثة الى رأسها ، فعاد الطير حيا بكل أجزائه ولحمه وشكله وريشه ودمه .
وكان سعيهن عدوا ومشـيا على أرجلهن ، وقيل : ان السعى هو الاشتداد فى الحركـة ، ومعنى ذلك أن تحرك الأجزاء كان شديدا حتى تم الاكتمال .
« واعلم أن الله عزيز حكيم » .
أى غالب على جميع الممكنـات حكيم عليم بكل شىء .

وبهذا حقق الله لابراهيم عليه السلام مـا سأل وأراه كيف يحيى المـوتى على أيسر مـا يكون حيث أراه عمليا كيفية احيائه للموتى ، وكيف يجمع الأجزاء وان كـانت ترابا اختلط مع تقادم العهد .
وسبحان الذى بعثها كمـا خلقها أول مرة .

اصطفاء الأنبياء :

قال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ »
آل عمران ٣٣ والآية مدنية اصطفى فى اللغة : اختار ، اصطفاهم : جعلهم صفوة خلقه .
وقد قال الله فى شأن موسى عليه السلام : « إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي » .
وقـال فى ابراهيم واسـحاق ويعقـوب : « وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ » .
وقيل : ان الله اصطفى آدم بأن خلقه بيده وأسجد له الملائكة وأسكنه الجنة واصـطفى نوحا فجعله أول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبله ترويج المحارم حراما فنسخ ذلك وحرم المحارم ، وجعل ذريته هم الباقين ، وحملـه على متن المـاء حين الطـوفان والمراد بآل ابراهيم : اسحاق ويعقوب والأنبيـاء من أولادهمـا .
والمراد بآل عمران عيسى عليه السلام وأمه مريم ابنة عمران التى ينتهى نسبها الى سليمان عليه السلام وينتهى نسب سليمان الى يعقوب واصطفاء عيسى ينتهى الى ابراهيم أما موسى ابن عمران ، فهو وان انتهى نسبه الى يعقوب الا أن بين عمران والد مريم وعمران والـد موسى ألف وثمانمائة سنة .
ومن العلماء من قال : المراد هنا :عمـران والد موسى وهارون فيكون المـراد مـن آل عمران : موسى وهارون ونسلهما من الأنبياء .

أهل الكتاب يحاجون فى ابراهيم :

قال تعالى :

« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ • هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ • مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ • إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ » آل عمران ٦٥ – ٦٦ – ٦٧ – ٦٨ والآيات مدنية •

لقد جادل اليهود والنصارى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى أمر ابراهيم وملته وشريعته فزعم كل فريق منهما أن ابراهيم عليه السلام كان على ملته ، حيث زعم اليهود أن ابراهيم دان باليهودية ، وزعم النصارى أنه دان بالنصرانية ، على حين أن اليهودية لم توجد إلا بعد نزول التوراة ، والنصرانية لم توجد الا بعد نزول الانجيل ، وبين ابراهيم وموسى ألف سنة ، وبين موسى وعيسى ألفا سنة ، فكيف يكون ابراهيم على دين لم يوجد الا بعده بألف أو ألفى سنة •

(أفلا تعقلون) أيها اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدل العجيب فاذا طعن هؤلاء أو أولئك فى ابراهيم كان قبل الاسلام بآلاف السنين فكيف يعقل أن يكون مسلما ؟ •

وجاءهم الرد من القرآن الذى أخبر أن ابراهيم كان حنيفا مسلما ، ولم يجىء فى التوراة ما ينص على أنه كان يهوديا ، وكذلك لم يجىء فى الانجيل ما ينص على أنه كان نصرانيا ، ولم يرد ذكر لابراهيم فى التوراة أو الانجيل •

(هاءنتم) اختلف فى ها فقيل : للتنبيه والأصل أنتم •

وقيل أصله : أأنتم قلبت الهمزة الأولى هاء والاستفهام للتعجب ومحاجتهم فيما لهم به علم هو ما قالوه : ان الشريعة التى جاءت بها التوراة والتى جاء بها الانجيل مخالفة للشريعة التى جاء بها القرآن •

(فكيف تحاجون فيما ليس لكم به علم) وهو ما تدعون أن شريعة ابراهيم مخالفة لشريعة محمد – صلى الله عليه وسلم •

(والله يعلم) كيف كانت الشرائع من حيث المخالفة والموافقة (وأنتم لا تعلمون) كيف كانت أحوال تلك الشرائع •

ثم أعلن تكذيب اليهود والنصارى فى دعواهم فقال : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) فأبطل بما لا يحتمل الشك ما ادعاه كل فريق من حيث يهودية ابراهيم أو نصرانيته ، ثم أعلن وأثبت دين ابراهيم فى قوله : (ولكن كان حنيفا مسلما) منقادا لله تعالى •

والحنيف : المائل عن الباطل وعن العقائد الزائفة الى الحق (وما كان من المشركين) وبهذه الصيغة نفى عن ابراهيم الشرك ، وفى

هذا الأسلوب تعريض باليهود الذين يقولون بالتشبيه ، وتعريض كذلك بالنصارى الذين يقولون بألوهية المسيح .

ان أولى الناس بابراهيم وأخصهم به هما فريقان :

أولهما : من اتبعه ممن سبقوا عهد محمد — صلى الله عليه وسلم — سواء كانوا فى عهد ابراهيم أو فى غير عهده من أولئك الحنفاء الذين كانوا فى الجاهلية ، واتبعوا ابراهيم وملته .

وثانيهما : النبى — محمد صلى الله عليه وسلم — وسائر المؤمنين برسالته .

هؤلاء وأولئك أولى الناس وأجدرهم بابراهيم (والله ولى المؤمنين) ينصرهم ويوفقهم ويكرمهم ، ويجازيهم بالحسنى وخص المؤمنين بولايته ليثبت ذلك الحكم لرسول الله امام المؤمنين .

الايمان بالله وما أنزل على الرسل

قال تعالى : « **قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** » آل عمران ٨٤ والآية مدنية .

لقد اخذ الله الميثاق على الأنبياء أن يصدقوا بالرسول الذى يصدق ما معهم ، وقد بين فى هذه الآية أن من صفات محمد — صلى الله عليه وسلم كونه مصدقا لما جاء به الأنبياء والرسل قبله ، فقال تعالى آمرا لرسوله — صلى الله عليه وسلم : قل آمنا بالله .

وقد خاطبه الله بلفظ الواحد : قل ليبين أنه ليس ثمت من مبلغ لهذا التكليف الا رسول الله ، وليظهر بذلك أنه مصدق لما جاء به الرسل ، وليس هذا التكليف من خواص الرسول بل هو لازم للمؤمنين جميعا أن يقولوا : آمنا) كما قال فى آية أخرى : **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**) .

وقدم الايمان بالله فى هذه الآية على الايمان بالأنبياء ، لأن الايمان بالله أصل الايمان بالنبوة ، وقدم الايمان بما أنزل علينا على الايمان بما أنزل على الرسل مع أن الايمان بما أنزل علينا متأخر زمنا عن ما أنزل على غيرنا ، لأن كتب الأنبياء حرفت عما أنزلت وبدلت ، فلا سبيل الى معرفة أحوالها الا بما أنزل على — محمد صلى الله عليه وسلم — ، فكأن ما أنزل عليه هو الأصل لما أنزل على سائر الأنبياء ولذلك قدم فى الآية وبينا فيما سبق أن اسماعيل واسحاق ويعقوب لم تنزل عليهم كتب ، بل أنزل على ابراهيم الصحف ، وهم عملوا وأتباعهم بما جاء فى صحف ابراهيم .

بقية صـ ٦٦٨

أولو الألباب

أولو الألباب : وهم أصحاب العقول السليمة ، التى يستعملونها فى مرضاة ربهم ، وفى رفعة شانهم ، وفى اسعاد بلادهم ووطنهم ، وفى حب الخير للغير ، وللمجموعة الانسانية من حولهم ، حتى يعيشوا مع الناس ، هنا وهناك ، فى أمن واطمئنان ، وسلام ووئام ، فتصفو حياتهم من جميع المكدرات ، وينصرفون فى وداعة وهدوء ، الى طاعة مولاهم ، يرجون رحمته ، ويخشون عذابه ، ويعبدونهجل علاه ، مخلصين له الدين . ويجعلون لهم أسوة حسنة ، وقدوة طيبة فى خاتم النبيين ، وامام المرسلين ، سيدنا ومولانا محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، والمصطفين الأخيار ، فى كل وقت وحين ، **ويكملون انفسهم بالوان المعارف ،** وضروب العلوم والفنون ، التى ترقى مداركهم ، وتنهض بمستواهم ، وترفع بين الورى من قدرهم ، فيعرفون مالهم ، وما عليهم ، **ويحبون لغيرهم مايحبون** لأنفسهم ويكرهون للناس ما يكرهونه لذواتهم ، ويعاملون سواهم معاملة طيبة ، **يذكرها** لهم عبر الأيام والسنين ، بالرضا ، والارتياح والاعجاب ، والمدح والتقدير ، والثناء المستطاب ، ويأخذون حقهم بلا زيادة عليه ، ويؤدون واجبهم من غير نقص منه ، وينظرون فى ملكوت السموات والأرض بعيون ملؤها العبرة والعظة ، ليصلوا من وراء ذلك ، الى وحدانية رب العالمين ، وقدرتهوعظمته ، وتدبيره عز وعلا ، وحكمته ومشيئته ، وأنه خلق فسوى وقدر فهدى ، وأخرج المرعى فجعله غثاء أحوى

وخلقنا وصورنا فى أحسن تقويم ، وأنعم علينا تفضلا وكرما ، بنعم كثيرة ، لو انقطعت عنا طرفة عين لكنا من الهالكين ، وأن أمره جل جلاله بين الكاف والنون ، فاذا أراد شيئا قال له كن فيكون ، ويعلم ما يسر الخلق وما يعلنون ، ولا تغيره الأيام ولا السنون ،

وكل المخلوقات قهر عظمته ، واليه الناس يرجعون ، وبين يديه — تباركوتعالى — يقفون وعلى ما قدموا فى دنياهم يحاسبون ، يوم تشهد على الناس فيه ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا فى حياتهم يفعلون ، وفى هذا اليوم العظيم ، يوفيهم السميع العليم ، دينهم

وجزاءهم الحق ، ويعلمون أن الله جل علاه ، هو الحق المبين ، خير الفاصلين ، وأسرع الحاسبين ، وأرحم الراحمين .

لفضيلة الشيخ
احمد على منصور

أولو الألبـــاب وعلمهم ..

وأولو الألباب ، يعلمون علـم اليقين ، أن الأدلة النقلية والعقلية ، أثبتت لله تعالى كـل كمال ، ونفت عنه سبحانه كل نقص فـان النقص لا يليق بذاته ، وأجازت فى حقه ،جلت حكمته ، فعل الممكن وتركه ، وأنـه ــ تبارك اسمه ــ أول بلا ابتداء ، وآخر بلا انتهـاء ، وظاهر فوق جميع الأشياء ، وباطن فلا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وأنـه الغنى عن جميع العالمين ، وأنهم فى أمس الحاجة إليه فى كل زمان ومكان ، وأنه جل جـلاله : اصطفى رسله من خلقه ، وأرسـلهم مبشرين ومنذرين ، وأوجب لهم كل كمـال بشرى ؛ ونزههم عن كل نقص انسانى ، وأجاز فى حقهم ما يجوز فىحق الناس،مما لايؤدى الىنقص فى مراتبهم العلية ، أو ينفر المبعوثين اليهم منهم وأن عددهم كثير ، لا يعلمه الا اللـه أحكـم الحاكمين . وأيقن أولو الالباب ، أننا سنرجع الى الله تعالى يوم الحساب ، للثواب والعقاب فآمنوا بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، ولـم يفرقوا بين أحد من رسله ، وراقبوا ربهم فى سرهم وعلنهم ، ونأوا بجانبهم عن المعـاصى فى جميع شئونهم ، وآخذوا من دنياهم لآخرتهم ، ومن شبابهم لكبرهم ، ومن صحتهم لمرضهم ، ومن فراغهم لشغلهم ، ومن غنـاهم لفقرهم ، وعاشوا عيش الزاهدين ، وعملوا عمل الصالحين وحكمـوا حكم العـادلين ، ويرفعون أكف الضراعة والابتهال الى أكـرم الأكرمين ، أن يوفقهم ، ويسدد خطاهم ، ويحقق آمالهم ، فى الدنيا وفى الآخرة أجمعين .

أولو الألباب فى القرآن الكريم .

ولقد أشاد الله عز وجل، بذكر أولى الألباب فى مواضع عدة من القرآن العظيم ، ففى الآية السابعة من سورة آل عمران ، يقول مولانـا وهو أصدق القائلين :

« هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْـهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَـرُ مُتَشَـابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِـهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَـابِ »

أولو الألباب

فقد أنزل الله القرآن المبين ، على الصادق الأمين ، وبه آيات أحكمت عباراتها ، وخلت من الاحتمال والاشتباه ، وفيه آيات أخر مشتبهات محتملات للتأويل ، والآيات المحكمات أم هذا الكتاب الكريم وأصله ، وتحمل المتشابهات عليها ، وترد كل حين اليها .

وأهل البدع ممن فى قلوبهم زيغ ، وميل عن الحق ، يتعلقون بالمتشابه ، المحتمل لما يذهبون اليه ، جريا وراء فتنة الناس فى دينهم واضلالهم وطلبا لتأويله على الوجه الذى يتمشى مع أهوائهم ، ولا يهتدى الى تأويله التأويل الحق الذى يجب أن يحمل عليه ، الا الله جل علاه ، والراسخون فى العلم ، الثابتون فيه ، المتمكنون منه ، العاضون عليه بالنواجز ، يقولون آمنا به وكل من محكمه ومتشابهه ، من عند ربنا العزيز الحكيم ، الذى لا يتناقض كلامه ، وما يذكر ويتعظ ، بكل ما تقع عليه عيونهم ، وتسمعه آذانهم ، الا أولو الألباب وأصحاب العقول السليمة الراجحة ، وفى هذا مدح لهم بالايمان الصادق ، والتسليم للخالق ، واعتقاد الحقيقة بلا تكييف ، ونقاء الذهن ، وسلامة الطبع ، وحسن المشاهدة والتأمل .

ومن الآية التسعين بعد المائة ، الى الآية الخامسة والتسعين بعد المائة ، بسورة آل عمران أيضا ، يقول مولانا وقوله الحق :

« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ • الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

•• رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ • رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ • رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ •

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ » .

ان فى ذلك لذكرى ..

ففى خلق السموات والأرض ، بهذا النظام المحكم البديع ، وفى توارد الليل والنهار ، على وجه ثابت ، لا يتغير ولا يتبدل ، دلالات واضحات ، على اله قادر عظيم ، عزيز حكيم ، سميع عليم ، لأصحاب الألباب والعقول الراجحة ، الخالصة عن الهوى ، خلوص اللب عن القشر ، فيرون أن العرض الحادث فى

الجوهر ، يدل على حدوث ذات الجوهر ، لأن الجوهر لا ينفك بحال عن العرض الحادث ، ومالا يخلو عن الحادث فهو حادث مثله ، وحدوث الجواهر والأعراض ، يدل على محدثها وهو تعالى قديم ، والا لاحتاج سبحانه الى محدث آخر ، الى مالا يتناهى ، وحسن صنعه تبارك اسمه ، يدل على علمه ، واتقانه عز شأنه يدل على حكمته ، وبقاؤه تعالى جده يدل على قدرته • ولهذا يقول نبينا ، صلوات الله وسلامه عليه : « ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها » •

وكان فى بعض الأمم السابقة ، من اذا عبد الله تعالى ثلاثين سنة ، أظلته سحابة ، فعبد رجل منهم هذه المدة ، ولم تظله تلك السحابة ، فأسف وظن بنفسه الظنون ، وأخبر أمه بما كان ، فقالت له لعلك فعلت فى مدة عبادتك ، ما حال بينك وبين اظلال السحابة لك •• فقال لها : ما أذكر أنى فعلت شيئا من ذلك — فقالت له لعلك نظرت الى السماء ذات يوم ولم تعتبر فقال لها لعل ذلك قد كان • فقالت له أمه : فما أوتيت الا من ذلك ، ولم تظلك السحابة بعد عبادتك هذه المدة ، الا لذلك السبب ، وفى ذلك ذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد •

أولو الألباب وذكرهم :

وأولو الألباب هم الذين يذكرون الله تعالى قائمين وقاعدين وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، وما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام ، وابداع صنعتها على ذلك النظام ، وما دبر فيها من الأسرار ، التى تكل عن ادراك بعض عجائبها الأفهام ، على الصانع العظيم ، وكبرياء سلطانه ، فالتفكر فى الملك والملكوت عبادة ، لأنه يذهب الغفلة ، ويحدث فى القلب الخشية ، وما جليت القلوب بمثل الأحزان ، ولا استنارت بمثل التفكر والتدبر • وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل مستلق فى فراشه ليلا ، اذ رفع رأسه فنظر الى السماء وما بها من نجوم ، وقال أشهد أن لك ربا وخالقا ، اللهم اغفر لى ، فنظر الله تعالى اليه ، فغفر له » •

ويقول أولو الألباب ، عند ذكر ربهم ، وتفكرهم فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا بغير حكمة ، بل خلقته لسر عظيم لتجعله مساكن للمكلفين ، وأدلة واضحة لهم على معرفتك ، وينزهونه سبحانه عن كل مالا يليق بجلاله ، ويسألونه أن يحفظهم من عذاب جهنم ، لأن من يدخل النار فهو هالك مفضوح ، وليس لأهلها أعوان وشفعاء لهم ، ويخولون دون وقوع العذاب بهم ، ويقر هؤلاء الأبرار ، بأنهم سمعوا الرسول الكريم أو القرآن الحكيم ، يدعوهم الى الأيمان بربهم العلى العظيم ، فآمنوا صادقين ، ويسألون مولاهم ، أن يغفر كبائرهم ، ويمحو صغائرهم ويتوفاهم مع عباده الصالحين ، وأن يحقق لهم ما وعدهم به منزلا على رسله ، من الثواب والنصر على الأعداء ، وألا يفضحهم يوم الحساب بين الأشهاد ، فانه سبحانه سميع الدعاء ، ولا يخلف الميعاد •

أولـو الألبـاب

ما أعــــده الله لهم :

ولقد استجاب الله تعالى لدعائهم ، وأنبأهم بأنه لا يضيع عمل عامل منهم ، من ذكر أو أنثى فبعضهم من بعض ، وكلهم بنــــو آدم ، أو بعضهم من بعض فى النصرة والدين ، فالذين يغادرون أوطانهم ، فارين بدينهم ، وأخرجــوا من ديارهم التى ولدوا فيها ، ويعطـــــون من حرمهم ، ويصلون من قطعهم ، ويتوبـــون الى الله تبارك وتعالى من ذنوبهم ، ويتوكلون عليه فى جميـــع أمورهم ، ويعتمدون عليــــه فى كل شئونهم ، ويفوضون اليه سبحانه كل ما يتصل بهم ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

وهؤلاء الصالحون الأبرار ، لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ، ومن صلح من آبائهم ، وأمهاتهم وأزواجهم وذرياتهــم ، والمـــلائكة يدخلون عليهم من كل باب ، فى قدر كل يـــوم وليلة ، ثلاث مرات بالهدايا ، وبشارات الرضا ويقولون لهم : سلام عليكم بما صبرتم ، على أمر الله تعالى ، وعن الشهوات ، ونعــم عقبى الدار الجنات ، وفيها النعيم المقيم .

وفى الآيتين السابعة عشرة ، والثامنة عشرة من سورة الزمر ، يقول الله جل علاه :

« وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَــــا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّــــرْ عِبَادِ ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ »

فالذين نأوا بجانبهم عن عبادة الشــــياطين ، وعبدوا الله رب العالمين ، تتلقـــاهم ملائكة الرحمن ، عند مفارقة أرواحهم لأبدانهم ، وعند الحشر مبشرين لهم ، بدخول الجنان آمنين ،

وبشر يا خير الورى هؤلاء المتقين ، الـــذين يستمعون القول ، فيتبعون أحسنه ، بأن يكونوا نقادا فى الدين ، يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل ، فاذا اعترضـــهم أمران واجب وندب ، اختاروا الواجب ، وكذا المباح والمندوب ، عمدوا الى الثانى ، حرصا عــلى ما هو أقرب عند الله ، وأكثــر ثوابـــا ، أو يستمعون القرآن الكريم وغيره ، فيتبعـــون القرآن الحكيم ، أو يستمعون أوامر الله تعالى فيتبعون أحسنها ، كالقصاص والعفو ، ونحو ذلك ، أو يستمعون لحديث القوم .

وفيه محاسن ومساوىء ، فيحـدثون بأحسن ما سمعوا ، ويكفون عما سواه ، وهؤلاء الأبرار ، هم الذين هداهم اللـــه عز علاه ، وأولئك هم أولو الألبـــاب ، وأصحاب العقول السليمة ، المنتفعون بها على الدوام . اللهم اجعلنـــا من أولى الألباب ، ووفقنا دائما للسداد والصواب وآتنا الحكمة وفصل الخطـــاب ، وحقق اللهم آمالنا فى الأولى والآخرة ، يا كريم يا وهاب ، وأنت أنت الله الســـميع المجيب .

أحمد على منصور

دعائم الإسلام

للأستاذ عبد المعز عبد الحميد الجزار

عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنهما ــ قال :

« سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » •

رواه البخارى ، ومسلم

ترجمة الراوى :

روى هذا الحديث صحابى جليل ، هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أحد العبادلة الأربعة ، وثانيهم ابن عباس ، وثالثهم عبد الله ابن عمرو بن العاص ، ورابعهم عبد الله بن الزبير • كان عبد الله بن عمر ــ رضى الله عنه ــ من فقهاء الصحابة الكرام ، ومفتيهم ، وزهادهم ، واعتزل الفتنة ، فلم يقاتل مع سيدنا على ، ولا مع سيدنا معاوية ، وكان ورعا ، تقيا ، وهو أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية •

ولد قبل البعثة بسنة ، ثم أسلم مع أبيه بمكة ، وهو صغير ، وقيل قبله ، وهاجر معه ، ونظرا لصغر سنه لم يشهد غزوة بدر ، ثم أجازه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى عام الخندق ، ومنذ هذه الغزوة لم يتخلف عن سرية من سرايا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم •

وصفه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالصلاح والتقوى حيث قال لشقيقته أم المؤمنين حفصة ــ رضى الله تعالى عنها ــ

دعائم الإسلام

« ان أخاك رجل صالح لو أنه يقوم الليل » فلم يترك عبد الله قيام الليل بعد •

قال جابر : « ما منا الا من نال من الدنيا ، ونالت منه ، الا عمر وابنه » •

وكان من أعلم الناس بالمناسك ، كثير الصدقة •

قال نافع : « أعتق ألف رقبة أو أزيد » •

وحج ستين حجة ، واعتمر ألف عمرة ، وحمل على ألف فرس في سبيل الله •

توفى سنة ثمان وخمسين بمكة عن ست وثمانين سنة ، ودفن بذى طوى في مقبرة المهاجرين • وقيل بفخ :

روى له ألف حديث وستمائة وثلاثون حديثا •

اتفق الشيخان منها على مائة وسبعين •

وانفرد البخارى بأحد وثمانين •

ومسلم بأحد وثلاثين (١) •

« الشرح »

هذا الحديث قبس من نور النبوة ، ومن هدى سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اشتمل على أركان الاسلام ، وقواعده ، ودعائمه ، وشبه الرسول الاسلام الذى هو تصديق وعمل ، وخضوع ، واستسلام ، عناصر وأصول هى منه ، بالبيت العظيم المحكم ، القائم على دعائمه المحتوية على الأحجار والأخشاب ، والرمل والأسمنت والحديد •• الخ •

وان هناك أشياء أخرى هى كالفروع من هذه الأصول مثل الجهاد فى سبيل الله لازم للعقيدة الخالصة ، لأنه دفاع عنها ، أو نشر لها • وما من مبدأ يملك النفس الا سخرها ، وسخر ما تملك فى سبيل خدمته ، وصيانته ، ونشره واذاعته •

وبعد هذا يستبين وجه الحصر فى أركان الاسلام الخمسة المذكورة ، لأن العبادة :

اما قولية : وهى الشهادة •

أو غير قولية ، وهى اما ترك وهو الصوم •

أو فعل وهو اما بدنى وهو الصلاة ، أو مالى وهو الزكاة أو مركب منهما وهو الحج •

(١) خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال للخزرجى ٢-٨١ ، أسد الغابة ٣-٢٤٠ ، العبر ١ - ٨٣ ، النجوم الزاهرة ١ - ١٩٢ ، طبقات الحفاظ للسيوطى ٩ نكت الهميات ١٨٣ •

« الشهادتان »

الدعامة الأولى للاسلام الشهادتان وهى اعتراف واقرار واعتقاد بأن الاله المعبود ، خالق السموات والأرض ، وجميع العالم واحد هو الله ، الواجب الوجود بيده وحده سبحانه الأمر والتدبير ، لا اله غيره ولا شريك له فى الملك قال سبحانه :

« قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١) ·

وقال رسول الله ـ ﷺ : « خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا الله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » (٢) ·

ومعنى أشهد أن محمدا رسول الله : أقر وأعترف وأعتقد بأن الله سبحانه وتعالى أرسل سيدنا محمدا ﷺ على حين فترة من الرسل ، الى جميع الخلق ، ليرشدهم الى الهدى ، ودين الحق ، ويرشدهم الى مصالحهم ويعلمهم الدين الحنيف ، وصدق الله اذ يقول

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا » (٣) وقال سبحانه « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » (٤) ·

وان الاعتراف بوحدانية الله تبارك وتعالى وبرسالته لمحمد ﷺ انما هو أساس الاعتراف بالحقائق النيرة المضيئة ، ولذا يجب على المرء أن يشهد بلسانه ، ويعتقد بقلبه بألا معبود بحق الا الله ، وأن محمدا مرسل من قبله لارشاد الخلق عامة الى ما فيه الصلاح والنجاة والسعادة فى الدنيا والآخرة ·

شروطهما :

يشترط فى أداء الشهادتين أن ترتب ألفاظهما وأن يتتابعا ، وأن يفهم معناهما مع انكار ما يخالفهما ، وأن يفهم لفظ : أشهد » فيهما ، والقطع فيهما ، ويجب أن يتلفظ بهما المرء فى عمره مرة لأن الغاية اعتقاد معناهما ، وأن الاكثار من ذكرهما محبوب ومرغوب فيه ·

أثر الشهادتين :

للشهادتين أثر عظيم فى تقويم الأخلاق ، وتهذيب النفوس ، وتعضيد الوحدة الاجتماعية اذ فى « شهادة أن لا اله الا الله » تحرير

(١) سورة الكهف الآية : ١١٠ ·
(٢) رواه الترمذى ·
(٣) سورة الاحزاب الآيتان ٤٥ ، ٤٦ ·
(٤) سورة الصف الآية ٩ ، وسورة التوبة الآية ٣٣ ·

للعقول من الخرافات والأوهام ، وتطهير

النفوس وتنقيتها من ضلال الشرك ، والارتفاع بها عن العبودية لغير الله ، ومنعها من الانحطاط الى عبادة غير الله من مخلوقاته وبها جمع القلوب على اله معبود واحد ، وتوجيه الوجوه الى قبلة واحدة ، ولهذا أثره الكريم في جمع الكلمة ، وتعاون الانسان وأخيه الانسان على الخير والفلاح .

كما أن في شهادة أن محمدا رسول الله ، والايمان برسالته ، والقرآن ، تقويما للاخلاق ، واصلاحا للنفوس ، والنظم الاجتماعية ، بدليل قول الله تعالى :

« **هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ** » (١) .

وصدق رسول الله ﷺ اذ يقول « انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » (٢) .

« إقامة الصلاة »

إقامة الصلاة : اتيانها بأركانها ، وشروطها والمواظبة عليها في أوقاتها ، لأنها عماد الدين ، ونور اليقين ، وركنه الركين ، والصلة بين العبد وربه ، لأنها اظهار الحاجة ، والافتقار الى الله بالقول والعمل ، وهي سلاح على أعداء الله ، واجابة للدعاء ، وبركة في الرزق ، قال عليه الصلاة والسلام : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات: اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط . فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » (٣)

وأيضا قال : « يا أبا هريرة: مر أهلك بالصلاة ، فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب » .

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها ، كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه ، فاذا حضرت الصلاة قام كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » .

وصدق رسول الله اذ يقول : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » اذ فيها راحة للأبدان ، وقبول الأعمال ، وأنها تشفع للمرء لدى ملك الموت ، وأنها سراج في قبر المسلم ، وتكون ظلا فوق صاحبها ، وتكون نورا بين يديه ، ووقاية له من النار ، وثقلا له في الميزان .

أثرها في النفس :

الصلاة طهرة للنفس من التكالب على الدنيا قال تعالى : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا**

(١) سورة الجمعة الآية ٢ .
(٢) رواه ابن سعد والبيهقي والحاكم والبخاري في الادب المفرد عن ابي هريرة ، الفتح الكبير ١ ـ ٤٣٧ .
(٣) ابن ماجه ١ ـ ١٤٨ كتاب الطهارة . الفتح الكبير ١ ـ ٤٧٨ .

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » (١)

قال حذيفة : كان رسول الله ﷺ اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة » وقال أبو الطفيل :

سمعت أبا بكر الصديق يقول : « يا أيها الناس قوموا الى نيرانكم فأطفئوها ، فان رسول الله ﷺ كان يقول : الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر ».

وقال بكر بن عبد الله : من مثلك يا ابن آدم اذا شئت أن تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : تسبغ وضوءك وتدخل محرابك » .

وقيل : كان الحسن اذا توضأ تغير لونه ، وارتعدت فرائصه ، فقيل له فى ذلك ، فقال:

حق لمن وقف بين يدى الله تعالى أن يصفر وجهه وترتعد فرائصه .

وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه اذا حضر وقت الصلاة تغير لونه فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قد جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، فلا أدرى هل أحسن أن أودى ما حملت أم لا » (٢) .

وبالجملة : فالصلاة تعود المؤمن على الصفاء ، والنقاء ، والاخلاص ، والابتعاد عن النفاق ، اذ يقرأ فيها القرآن ، وقلبه خاشع وذهنه حاضر ، فيتعلم من نوره ، ويهتدى بهداه ، ويستنير عقله .

اثرها فى الجسم : ان الصلاة تبعث فى جسم المصلى نشاطا ملحوظا لما تحتوى من القيام والقعود والركوع والسجود .

اثرها الاجتماعى : الصلاة تعود النفس على حب الطاعة ، وحب النظام وحب المساواة والحرية ولأهميتها كان آخر كلام سيدنا رسول الله ﷺ : الصلاة . الصلاة . ولهذا كانت الصلاة لا تسقط عن المؤمن بحال من الأحوال فى الصحة والمرض ، ولذا قدمت الصلاة فى الحديث على ما بعدها ، لأنها عماد الدين ، ولشدة الحاجة اليها لتكررها كل يوم خمس مرات . وقدمت الشهادتان عليها لأن بهما حصول الايمان ، الذى به ملاك الأمر وأصله ، اذ الباقى مبنى عليه وبه النجاة فى الدارين .

ممن تقبل الصلاة ؟ هل تقبل الصلاة من المرائى أو من يؤديها على وجه يشوبه التصنيع؟ انما تقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمة الله ، ولم يستطل على خلقه ، ولم يبت مصرا على معصيته وكلما ازداد العبد معرفة بالله — تعالى — كلما اعتنى بالتعظيم لأمره ونهيه، وكلما بعد عن حضرة الله كلما تهاون بفعل أمره واجتناب نهيه .

(١) سورة البقرة الآية ١٥٣ .

(٢) المجالس السنية للفشنى ٦٢ .

روى الحاكم وصححه مرفوعا : « من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فان الله — تعالى — ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه » (١) .

« ايتاء الزكـاة »

أردفت الزكاة للصلاة فى الحديث ، لأنها قرينتها فى اثنتين وثمانين آية من كتـاب الله تبارك وتعالى ، وكما أن الصلاة فيها تطهير للقلب ، وتهـذيب للنفس ، واتيانهـا الثمرة الطيبة للفرد وللجماعة فكذلك الزكاة فيهـا تطهير للمال ، وتنميته ودعم أواصر الدين ،

ورفع البؤس عن المعوزين والمحتـاجين ، وبأدائها تنتشر المحبة والوئام بين الجميع ،

كما أنها تطهر النفس من رذيلة البخل والشح ، وتعودها الخير ، وترفع مكانتهـا بين الخلق . تطبيقا لمبادىء الرحمة وتحقيقا للأخوة ومـن هنا اعتبرها الاسلام ركنا من أركانه ، وعمودا من عمده .

حج البيت

فرض الله الحج الى بيته الحرام فى البلد الأمين ، الذى نشأ فيه سيد العـالمين ، ونبت فيه هذ االدين على المستطيع من عبـاده كى يتعارف المسلمون المجتمعون من أنحاء العالم ببعضهم مهما اختلفت ألسنتهم وأجناسـهم وألوانهم تجمعهم عبادة واحدة فى أرض واحدة على دين واحد ، متجهين الى قبلة واحـدة .

الكل يقوم بأعمال كلها قربات مـن طـواف وصلاة وسعى ووقوف بعرفات ، وذكر وتهليل وتلبية وتكبير وفى هذا كمال العبودية ، ونهاية الاسترقاق بما اشتمل عليه من الأعمال التى لا تأنس بها النفوس .

وان فى الحج منافع كثيرة وعوائد جمة اذ فيه تذكر النشأة الأولى للاسلام ، والذكرى تنفع المؤمنين ، وتهذيب النفس بالسفر وبذلها المال ابتغاء مرضات الله ، ومفـارقة الأهـل والأوطان وتكبد المشقات طلبا لمثوبة اللـه ورضوانه ، وأنه يجتمع فيه المسلمون من كـل فج يتبادلون أنواع المحبة والمـودة يتحابون ويتآزرون ، ويواسون بعضـهم بعضـا ، فى صعيد واحد مخلصين لله النية آملين أن يتقبل الله منهم أعمالهم ، وبهذه المعرفة يقف المسلم على متطلبات أخيه فى الأقطـار المختلفـة ، والعلم أول خطوة الى العمل .

وقدم الحج فى هذه الرواية على الصوم كى تنشط النفس وترضى بما فيه من المشقة وبذل المال ، وفى رواية أخرى قـدم الصـوم لأن الصوم أعم وجوبا أو غير ذلك .

الدعامة الخامسـة : الصـوم

الصوم شرعـا : امساك عن مفطر بنيـة

(١) المجالس السنية للفشـنى ٤٢ ، نور الايمان ، الاربعين شرح النبراوى ٢٢ ، لطائف المنن للشعرانى ٦٧ .

مخصوصة جميع نهار قابل للصوم من مسلم عاقل مستطيع طاهر من الحيض والنفاس .

وفى الصوم تأديب للأبدان بالجوع والعطش ، وتطهير للمعدة مما علق بها من بقايا الطعام وينمى فى النفس الشعور بحال الفقير والمحتاج ، حينما يذوق ألم الجوع والظمأ يتذكرهم كما أن فى الصوم تشبيه بصفات الملائكة من ترك الطعام والشراب ، واللذة البهيمية وفيه قهر للشيطان واذلال لسلطته وابطال سطوته ففى الحديث « ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » (١) .

من الفوائد البدنية للصائم : فى الصوم صحة لبدن الانسان ، ودرء الأمراض عنه تصديقا لقوله ﷺ « صوموا تصحوا » وعن المقداد بن معد يكرب قال رسول الله ﷺ « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » (٢) .

من الفوائد المالية :

فى الصوم خفة المؤونة ، وتعويد للصائم على الاقتصاد من عدم الافراط فى طعامه وشرابه .

من الفوائد الأدبية للصائم :

فى الصوم ذل النفس وانكسارها وزوال البطر الذى هو مبدأ الطغيان وفيه صفاء القلب وتنور البصيرة ، ويقوى عنده الصبر على مقاومة آلام الجوع والعطش ، كما يعود الصائم على الأمانة والحياء والثبات وقوة العزيمة والمروءة والعفة والشجاعة وصون اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والشتم والسب وكف البصر عما حرم الله وصون النفس عن ارتكاب المحرمات . والاكثار من ذكر الله وتلاوة القرآن ، أخر الصوم عن الزكاة فى بعض الروايات وان كان أنسب بالصلاة لكونه بدنيا لأن اهتمام الشارع بالصلاة والزكاة أعظم ولذا ذكرهما فى القرآن كثيرا .

وان سأل سائل بأن ظاهر الحديث يقتضى حصول الاسلام الكامل لمن أتى بهذه الخمس ولو مرة واحدة لانه ليس فيه مايدل على عمومها فى الأزمان ولاتكرر وجوبها فيها .

فالجواب أن هناك أدلة مفصلة مقتضية لوجوب ما ذكر فى جميع الأزمنة كقوله ﷺ لمعاذ لما بعثه الى اليمن : أخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة الى غير ذلك من الأدلة (٣) .

وبعد فاللهم وفقنا لطاعتك وحسن عبادتك .
والله الموفق

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

(١) رواه الشيخان ورواه ابن ماجه فى كتاب الصوم ١-٥٦٦ .
(٢) شرح الاربعين للنبراوى ٢٢ ، ٤١ .
(٣) الفتح الكبير ٣-١٠٢ رواه الامام احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم .

وما أوتى موسى هو التوراة ، وما أوتى عيسى هو الانجيل ، وما أوتى النبيون على اختلاف عصورهم أمرنا أن نؤمن به ، لأن القرآن مصدق لما جاء فى الكتب التى لم تحرف والسبط : الحافد ، والأسباط : هم أولاد يعقوب الذين ذكر الله أممهم فى الأعراف فى قوله تعالى : « وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا » .

وقد عدى أنزل هنا بعلى وفى آية البقرة بالى ، لأن الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسول فجاء تارة بعلى وأخرى بالى .

وقيل : قيل أنزل علينا فى حق الرسول لأن الوحى ينزل عليه ، والينا فى حق الأمة لأن الوحى يأتى من الرسول وينتهى اليهم .

(لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ) اى أننا نعترف بانهم كانوا على دين واحد من حيث الدعوة والانقياد الى التكاليف ، أو لا نفرق بين أحد منهم بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) منقادون مستسلمون لحكمه وقضائه ، راضون بأمره .

وقيل : ان هذا الأسلوب يقيد الحصر والتقدير : له أسلمنا لا لغرض من طلب مال أو جاه أو سمعة وقد أخذ الله فى آيات سابقة الميثاق على النبيين أن يؤمنوا بالرسول محمد حين يجىء مصدقا لما معهم وأن ينصروه وفى هذه الآية : « قل آمنا » أخذ الميثاق على محمد — صلى الله عليه وسلم — بأن يؤمن بكل من أتى قبله من الرسل ، ولم يأخذ عليه الميثاق أن يؤمن بمن يجىء بعده وهذا دليل على أنه لا نبى بعده .

د. محمد محمد خليفة

دعم الإنتاج لا دعم الاستهلاك

دراسة فى قضية الدعم من وجهة النظر الإسلامية

أ . د / رءوف شلبى

« المؤمن ياكل فى مِعىً واحد والكافر ياكل فى سبعة أمعاء »

« حديث شريف »

ان قضية الدعم ينبغى الا تظهر فى المجتمع المسلم .. لان المجتمع المسلم مجتمع التآخى بمعنى أنه من بات شبعان وجاره جوعان وهو يعلم .. فليس منا كما جاء فى الحديث الشريف فرعاية الفقراء والمحتاجين أمر واجب شرعا .. ليس فقط بحكم شرعى بل بأصل فى العقيدة لقوله تعالى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » ولقوله تعالى «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » .

فلو أن التربية فى المدارس علمت الأطفال منذ الصغر العطف والشفقة والرحمة والانفاق .. لحولنا هذه التعاليم الى سلوك تطبيقى يصير بعد ذلك .. عادة ، ثم يصير عرفا اجتماعيا .

ولذا لما قال الله تعالى « **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ** » لم تكن عجيبة بعد تربية سلوكية للمسلمين دامت ، دحا طويلا من الزمن وظهر ذلك بوضوح فى المجتمع الاسلامى الاول حيث لم نجد فيه شبح رجلين ، عاطل أو شحاذ .

فالرسول ﷺ علم السائل أن يحتطب .. فخفف عن المجتمع عبئا نحو عاطل .. وأضاف اليه تنمية .. كذلك فان المجتمع نفسه فى صورة عبد الرحمن بن عوف عندما رفض أن يقسم المال مع الصحابى بيثرب واشتغل .. فكان من أغنى أغنياء المسلمين .. فمن عفّ أعفّه الله .

دعم الانتاج لدعم الاستهلاك

والرسول ﷺ كانت تأتيه أموال طائلة .. وأنزل الله حقا شرعيا فى الانفال والفيء .. ومن ذلك كان يقسمها على الفقراء والمساكين.. اذن مفهوم قضية الدعم لا ينبغى أن يظهر فى مجتمع فيه مؤاخاة وعطف وبذل وعطاء . ان قضية الدعم هذه ناشئة من تطبيق أنظمة اقتصادية لاتتلاءم مع البيئة الاسلامية .

ومع هذا فان الاسلام يوجب على رئيس الدولة أن يرعى المحتاجين والفقراء .. وأن يوائم بين الأثرياء والمساكين لأن النبى ﷺ فى تقسيم الغنائم فى خيبر ، أعطى المهاجرين الفقراء واثنين فقط من فقراء الانصار، ولم يعط الاغنياء .. وذلك لتنظيم الثراء فى المجتمع « كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ » .

أما الجانب التنموى من قضية الدعم .. فانه من الخطأ الاقتصادى والسياسى معا .. أن تجعل الدولة من نفسها بطلا لتحمل مشكلة الدعم .. فلابد من التنمية .. لأن الدعم بدون تنمية « كالبالوعة » يضيع كل ما ينزل فيها .. فحتى يكون للدعم أثر .. لابد من توجيه الشعب الى التنمية .. وهذا هو معنى الدعم الحقيقى .. هو دعم الانتاج لا دعم الاستهلاك .

والمجتمع الاسلامى ونحن منه يعرف أن الاكتفاء الذاتى مسألة أساسية فى التنمية .. والاسلام يحض على التنمية أكثر مما يحض على الاستهلاك .. وقد جعل الله المبذرين والمسرفين اخوانا للشياطين .. والشيطان صفة للتخريب والتدمير والاستهلاك ليس فيه شيء من صفة التنمية .. والتنمية أمرها سهل. لأنها عبارة عن كثرة فى الانتاج مع قلة فى الاستهلاك (الانفاق) .. يتطلب هذا من

الحكومة اغلاق الاستيراد فى جميع الكماليات وخاصة أدوات الزينة التى ننفق عليها ١٨ مليون دولار فى السنة. . وهذا لا يتأتى اقتصاديا وسياسيا .. الا اذا ارتفع حب الانتماء لمصر .. والتاريخ الاقتصادى القديم أثبت أن بعض دول أوربا فى القرن السابع والثامن عشر قد أغلقت جميع مجالات الاستيراد حماية لصناعتها .

أما اليوم فالقضية قضية كرامة الشعوب . وفتح باب الاستهلاك بناء على ثورة الشهوة يحيل الشعوب الى الذلة .. لذلك لابد من التنمية الانتاجية .. حتى يكون الدعم مقبولا ومعقولا فى اصلاح الحالة المعيشية .. ومن جانب آخر.. ينبغى الغاء جميع مظاهر التبذير فى الوزارات والمصالح الحكومية .. ويكون الالغاء بالغاء بنودها من الميزانية وتوجيه الدعم الى الطاقة الانتاجية .

وعلى وزارات الاوقاف والتربية والتعليم والشئون الاجتماعية والأزهر القيام بحملة ثقافية لتعليم الشعب كيفية الاعتماد على الاكتفاء الذاتى ومحاربة الشهوة .. واحترام الانتماء الى مصر وتاريخها والعمل على تقويتها ومحاربة الأعداء الذين يثيرون الشعب باسم الاقتصاد والتنمية الاقتصادية .

دور الشعب فى التنمية :

والاسلام حريص كل الحرص على الا تتحمل الحكومة الاسلامية وحدها مسئولية التنمية بل لابد من مشاركة جميع أفراد الشعب فى عملية التنمية ، يقول النبى — صلى الله عليه وسلم — : « على كل مسلم صدقة ، قيل : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : يعتمل بيديه ، فينفع نفسه ويتصدق ، قال : قيل له : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف

قال : قيل له : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : يأمر بالمعروف ، أو الخير ، قال : أرأيت ان لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر فانها صدقة » مسلم .

وتدفع السنة النبوية المطهرة جماعة المسلمين الى العمل بشتى الأسباب ففى مسلم عن أبى هريرة — رضى الله عنه قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان : فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » .

وهذا الانفاق الذى تحث عليه السنة لابد وأن يكون من عمل طيب ففى الحديث الشريف : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ما تصدق أحد بصدقة من طيب

— ولا يقبل الله الا . . الطيب — الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة ، فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه أو فصيلة » .

ومن جانب آخر : جانب التخويف من هول يوم القيامة فان الاسلام يدفع جماعة المسلمين الى العمل والبذل والتصديق .

يقول النبى — صلى الله عليه وسلم — من حديث عدى بن حاتم — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ما منكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة » .

وفى رواية أخرى : قال :

« ذكر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — النار فأعرض وأشاح ثم قال : اتقوا النار ، ثم أعرض وأشاح حتى ظننا أنه كأنما ينظر اليها ، ثم قال : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

رواه مسلم

وفى الطبرانى والحاكم باسناد صحيح :

« ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع الى جنبه » .

وفى المقابل فان الاسلام قد نهى عن البطالة وحذر من التمادى فى المسألة ففى مسلم : أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « لا تزال .. المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم » .

ويقول — صلى الله عليه وسلم — :

« مايزال الرجل يسأل النــاس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم ، ويقول أيضا صلى الله عليه وسلم : —

« من سأل الناس أموالهم تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل أوليستكثر .

ويضع الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — حلا لهؤلاء أصحاب المسألة فيقول :

« لأن يغــدو أحــدكم فيحطب على ظهــره فيتصدق به ويستغنى به من الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك فان اليــد العليا أفضل من اليد الســفلى ، وابــدأ بمن تعول » .

ويقول — صلى الله عليه وسلم — :

« لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب فيحملها على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل رجــلا يعطيه أو يمنعه » .

ولقد حذر القرآن الكريم من فوضى العمل الاقتصادى بالتبذير أو بالتقتير وأمر بالاعتدال فقال الله تعالى :« **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** » الاسراء .

وفى سورة الكهف دعوة الى مشاركة الشعب مع الحــاكم فى عمليــة التنميــة يقــول الله تعــالى : — « **قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِــدُونَ فِى الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَــرْجًا عَــلَىٰ أَن تَجْعَــلَ بَيْنَنَــا وَبَيْنَهُمْ سَــدًّا** » الكهف — ٩٤ .

فالنــاس بين الســدين أرادوا أن يظلــوا عاطلين بلا حركة ويستأجروا ذا القرنين بأجر نظير أن يعمل لهم سدا .

فرفض ذا القرنين لأن أصحاب المصــلحة والحاجة هم أولى الناس بالعمل فيها فقــال لهم : « **قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُــونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَــلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا . آتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّــدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْــرًا . فَمَــا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَــرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا** » الكهف ٩٧ .

اذن قضية الدعم قضية تسيل لعابا دفعت اليه ظروف سياسية يجب أن تنتهى وأن .. يشترك الشعب مع الحكومة فى عملية التنميــة عن طريق الدعم الانتاجى لا الاســتهلاكى ،

فان التقدم لا يتم الا عن طــريق زيــادة فى الانتاج بقوة عمل كبيرة وقلة استهلاك موزونة

فيكون بعد ذلك الرخاء والأمن وهى تجربة سيدنا يوسف ــ عليه السلام ــ فى مصر .

قال تعالى :

« قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ . ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ . ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ » ٤٧ ــ ٤٩ .

ففى الآية حكاية حل لمشكلة اقتصادية وقعت فى مصر وكان الحل عن طريق : ــ

(أ) التنمية بالزراعة .
(ب) اختزان المحاصيل الا القدر القليل الكافى .
(جـ) هذا المخزون أنقذ مصر فى السنوات العجاف .
(د) ثم فاض الخير وكثرت النعم .

وأساس حل المشكلة : العمل + الاقتصاد والتحسب ليوم المجاعة .

فاندفاع الناس الى قوة شرائية وتنعم فى كل شىء وانفتاح استهلاكى رغب الناس فى اقتناء أشياء حرموا منها زمنا طويلا هو الذى أحدث هذا الاضطراب الاقتصادى ، ولذلك اقترح : ــ

(أ) الحجر على استيراد كل سلعة لها نظير يصنع فى مصر .

(ب) رفع كفاءة الانتاج المحلى حتى يضاهى الانتاج الخارجى ليقتنع المستهلك المحلى بضرورة الاعتماد على البضاعة المصرية .

(جـ) تحويل المساحات الشاسعة فى الأراضى الصحراوية الى جمعيات اسكان بأجر زهيد .

(د) العمل على توسيع الرقعة الزراعية عن طريق استخدام كليات الزراعة فى الجامعات حسب خطة توضع .

(هـ) تحويل ورش كليات الهندسة والكليات المعملية الى مؤسسات انتاج قومى تساعد فى رفع المستوى الصناعى والكفاءة العمالية .

(و) عمل معسكرات عمل فى الاجازة الصيفية للطلاب اما فى عمليات استصلاح أرض زراعية أو تخطيط مدن جديدة أو اعمال نظافة المدن .. الخ أو شق الترع وتطهيرها .

(ز) الدعوة الى الاقتصاد فى الاستهلاك من جميع نواحيه وهى مهمة التربية فى المدرسة والجامعة .

(ح) الغاء جميع المصاريف الترفيهية فى الحكومة والقطاع العام .

هذا وبالله التوفيق ..

أ. د/روف شلبى
عميد كلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة

قتل المريض الميئوس منه

جريمة شنعاء

ما وقع حادث فى الغرب الا وترك صداه فى الشرق لأن وسائل الاتصال السريعة قد قربت بين الناس فجعلتهم كالأسرة الواحدة فى المكان الواحد ، وتناقل الآراء كتناقل الأحداث ، فاذا جدت حادثة اجتماعية ذات خطر فى بلد ما رن صداها فى كل بلد ، ووجدت من التعليقات المختلفة ميدانا لتقابل الآراء وتبادل الأفكار ، وفى هذه الآراء ما يقع موقعه من الصواب وفيها ما يتهور صاحبه مندفعا الى خطأ ظاهر العوار ، وعلى أصحاب الفكرة الاسلامية ان يقاوموا كل رأى يخالف ما يرونه ، لأن السكوت على الباطل شر عظيم .

لقد جرت فى محكمة (ليستر) بلندن قضية خطيرة شغلت الرأى العام الأوربى والأمريكى وانتقل دويها الى صحف البلاد العربية ، فسارعت الأقلام الى تحليلها ، واختلفت الآراء بازائها ، ومن حديث القضية أن الطبيب الانجليزى (ليونارد آرثر) المختص بطب الأطفال ، قد قدم الى المحاكمة بتهمة قتل طفل يسمى (جون بيرسون) باعطائه جرعة زائدة من دواء مخدر ، وقد ولد ذو عاهة جعلته بغيضا الى أمه اذ تأكدت تخلفه العقلى ، وعذابه الجسمى عندما تتفست به الحياة ، فشاورت زوجها فيما تعتقد أنه مأساة فوافقها على ضرورة التخلص من الطفل ، وتوسلا الى الطبيب كى ينهى حياته بأرحم السبل فمال الى رأيهما وكتب فى ملفه الطبى « ان أهل الطفل لا يريدونه » وأشار بالعناية العادية كيلا تبذل الممرضات جهدا فى سبيل شفائه كأى مريض تحرص المستشفى على شفائه ، فكان الممرضات لا يقمن بأى مساعدة جدية تتقدم به فى سبيل البرء وأهمل الطفل ، ووضع فى زاوية جانبية ليموت بهدوء ، وبدلاً أن يأخذ غذاءه الطبيعى كان الطفل المسكين يتناول كل أربع ساعات شرابا مخدرا قاطعا للألم من ناحية ولكنه يسبب فقد الشهية ، ويعرض الطفل الى الانحدار نحو العاقبة المحتومة فبدأ لونه يتغير ، فغاض الدم ، واستشعر صعوبة فى التنفس ، وهذا وحده ألم كبير فكيف يقال أن الطفل يموت دون ألم !! وفى الحالة الاعتيادية لحدوث الضيق التنفسى كان من الواجب أن ينقل المريض الى غرفة الانعاش ولكنه أهمل حتى لاقى مصيره المؤسف ، ووقع الطبيب على شهادة الوفاة قائلا أنها نتيجة الاصابة بالالتهاب الرئوى !

للدكتور محمد رجب البيومى

ولكن احدى الممرضات قد صرحت بالمأساة اذ تألمت وجدانيا لما نزل بالطفل المسكين ، واتصل النبأ باحدى الجمعيات الخيرية لمساعدة الطفولة فرفعت قضية تحاكم فيها الطبيب أمام دائرة (ليستر) اللندنية ، ودوى الخبر فى الصحف وتصارعت حوله الأقلام .

وقد تراجع الطبيب ليعلن انقاذا لسمعته أنه لم يتسبب فى قتل الطفل (جون بيرسون) ولكنه كان يعطى دواء ليخفف الألم فحسب لأن الطفل يعانى من صعوبات عضوية فأراد مساعدته ليستريح ، ثم توالت شهادات الممرضات ، فأعلن أن والدة الطفل رفضت تسلمه ، وأصرت على التخلص النهائى منه ، وأن الدكتور قد استجاب لها تحت شعور الشفقة ! لأنه ـ فى زعمه ـ (تأكد) أن بقاء الطفل وان امتد أعواما فلن يتجاوز مدى الطفولة . وسيقضى حياته تعسا بمرضه مؤرقا والديه دون جدوى فأشار بالتخلص منه دون أن يكابد ألما حادا ، كما ذكر الشهود من عارفى الطبيب أنه رحيم بمرضاه ، وليس من طابعه القسوة ! وتورط أحد الشهود فأشار الى تحليل صحفى لبعض العلماء يزعم فيه أن ما فعله الطبيب هو عين العطف ولا يتصل بالقسوة بحال ، لأن العمل على اراحة الميئوس من شفائه بالقتل المريح شفقة رحيمة ، ولو عاش المريض لصادف أهوالا أشد وستنتهى بموته لا محالة ! فأين هى القسوة اذن ! .

وعلى غير العادة فى صحف انجلترا نجد أن القائمين عليها لم ينتظروا حكم القاضى الفاصل ولكنهم فسحوا المجال لعرض الآراء المتقابلة وقد اتخذت وجهة الصراع العقلى اذ تحمس كل فريق لمتجاه ، فالذين رأوا أن الطبيب مصيب قد بالغوا فى تمجيده وارتفعوا بانسانيته الى مستوى خلقى ! ومعنى هذا أن الطبيب ليس مذنبا فحسب ، بل انه تجاوز الذنب الى مستوى مثالى أصبح فيه من ذوى الرحمة بالضعفاء وحين كثر اللجاج أثناء نظر القضية وجهت المحكمة تحذيرا الى صحيفة (الصاندى اكسبرس) التى هاجمت الطبيب بعنف ، اذ ترى المحكمة أن المتهم برىء حتى تثبت ادانته ، وحكم القاضى لم يصدر بعد ، وكان رد المحكمة باعثا لجدل آخر اذ انطلقت بعض الأقلام تشير الى أن المحكمة بهذا التحذير تنتوى وجهة الرحمة بالطبيب ، وهى اذن بذلك تعترف بحق القتل اذا كان المقصود به الشفقة !

أما نقابة الأطباء فقد انحازت الى جانب الطبيب فى مواجهة الرأى العام ، وأصدرت بيانا قالت فيه ان القانون البريطانى يسمح

للمتطرفين والمتعصبين بممارسة ضغوطهم على الاطباء لمنعهم من القيام بواجبهم الانسانى ، والأطباء يستشعرون الراحة لو تأكدوا أن المحاكم تعرف خطورة هؤلاء المتعصبين ، وتقدر خطر هذه الملاحقة ، التى تبعد الأطباء عن ممارسة واجبهم الانسانى !!

ولا يهمنا الآن أن نحبس أنفاسنا حتى نتلقى حكم القاضى ، بل يهمنا أن نقرر أن المحيط الأوربى فى منحاه الاجتماعى والثقاف صار من أكبر أسباب هذه البلبلة الفكرية التى جعلت أصحاب الأقلام يتخبطون ذات الشمال وذات اليمين تائهين ، لأن من يزعمون أنهم أساطين علم النفس وعلم الاجتماع قد اندفعوا الى تحبيذ سلوك الطبيب ، وفيهم من جعله مثالا للشفقة الانسانية ومن زعم أنه استطاع أن يكبت مشاعره الرحيمة ليحدث رحمة بالطفل حين يعمل على انقاذه من شقاء محقق !

وهذه البلبلة الفكرية المتخبطة بين اليمين والشمال لايمكن أن تقع فى محيط اسلامى يتقيد أصحابه بشريعة مثالية نزل بها الذكر السماوى ! لأن النصوص التشريعية وما يمت اليها من قياس واجماع تمنع اختلاف الآراء لى درجة التناقض ، وقد حرمت الشريعة الاسلامية على الانسان أن يقتل نفسه مهما اشتدت به الضائقة وتوقع أسود الخطوب ، يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه ، فسمه فى يده يتحساه فى النار خالدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يجا بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا أبدا » .

فاذا لم يكن للانسان أدنى حق فى أن ينهى حياته لأنه ليس المتصرف فيها بأمره فكيف يجوز لانسان آخر — طبيبا كان أو غير طبيب — أن يمنح هذا الحق فيقضى على مريض سىء الحظ بدافع مايسمى بالشفقة ! ومفاجآت الصحة والمرض فى الحياة تمنع هذا الدافع ، فكم من مريض توقع الناس مماته وقامت كل الدلائل على تحقق نهايته ثم دبت فيه الحياة دبيبا انتهى الى شفائه الذى وقف الطبيب عاجزا عن تحقيقه وقد صدق الشاعر حين قال :

لقد ذهب المثلى صحة
وصح السقيم فلم يذهب

فكما يذهب القوى الصحيح فجأة ، وقد نمت مظاهره عن نشاط وفتاء وحيوية ، فكذلك ينهض المريض فجأة وقد نمت مظاهره عن انحلال وتفكك وانهيار ! لأن خالق الناس يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وهو على كل شىء قدير .

واذا كان التاريخ يعيد نفسه ، كما مضى بذلك المثل السائر فانى أذكر أن الصحف المصرية قد خاضت منذ نصف قرن فى هذا الموضوع خوضا فكريا اذ فتحت مجلة (الدنيا المصورة مجلد سنة ١٩٣٠) صفحاتها للاجابة

عن سؤال (هل يجوز قتل المريض شفقة به) واتجهت أكثر الاجابة الى التحريم القاطع ، ولم تعدم الرأى الشاذ ، ولو شاء الله لجعل الناس أمةواحدة • فمن الردود المعتدلة ماذكره الطبيب الشهير الدكتور اسماعيل مرتضى حين قال :

« قد يتطرق اليأس عند بعض الناس فيظنون أن لا محل للرجاء مطلقا ، ويتمنون لو أنقذ الموت مريضهم مما يعانيه من الألم والعذاب ، فيكون ذلك قنوطا منهم • غير أن الطوارىء التى تفاجىء الحالات الميئوس منها ، قد تثير بظهورها العجب من رحمة الله التى تبدل اليأس رجاء ، والحزن فرحا ، فكثيرا مايشفى

المريض بمعجزة يحار لها الأطباء وكثيرا ما قرأنا وشاهدنا حالات السرطان نفسه وحالات بلغ فيها المرض مبلغ القنوط واليأس وعجز الطب ثم طرأت طوارىء خفية يعجز العلم عن تعليلها فمحت المرض محوا مدهشا وشفى المريض شفاء لايصدقه العقل) •

هذا الرأى السديد ، ظهر الى جواره رأى خائر سجله الدكتور أحمد ضيف حين قال « اذا نظر الانسان الى هذا الموضوع من غير ارتباط بقيود التقاليد والشرائع وأحكامها

يرى أن العمل بهذا الرأى (وهو قتل المريض) يتفق مع الرحمة بالانسان ويظهر لى أنه يجب أن يباح اذا استعصى على الطبيب تخفيف

الموت ، و لاأريد أن أتعرض للناحية الدينية فى قول الله (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) لأنى سأتجاهل ذلك مؤقتا ، ولكنى آسجل أن ذلك يتفق مع روح الرحمة بالانسان » •

وأول ما يعصف بهذا الرأى هو قول الدكتور أحمد ضيف انه لا يرتبط بالشرائع ، وانه يتجاهل النص القرآنى مؤقتا ! لأن الذى يتجاهل النص القرآنى ويعترف بذلك فى غير مواربة ، قد فقد الثقة من الناس ! والذين يتجهون وجهة الدكتور فى اباحة هذا الفعل من المسلمين لا يجرءون على القول بأنهم يتجاهلون النص مؤقتا ، ولكنهم يقفون أمام النص ويحاولون تأويله على وجه مريح ! ولسنا بذلك نؤيد منحاهم فى التأويل والتبرير ولكننا نستبشع أن يقول مسلم عن كلام ربه (سأتجاهل ذلك مؤقتا) فكيف اذا كان هذا المسلم يحمل دكتوراه وأستاذا فى جامعة !!

واذا كان الدكتور مرتضى قد ذكر أن بعض الحالات قد ييئس فيها الطبيب يأسا لا أمل

فيه ثم طرأت روح خفية يعجز العلم عن تعليلها فمحت المرض محوا مدهشا وشفى المريض شفاء لا يصدقه العقل ، اذا كان الدكتور مرتضى قد ذكر ذلك فان مجلة (الدنيا المصورة) التى تحمل هذه الردود قد نشرت فى العدد نفسه هذه النادرة •

« روت صحف برلين أن فتى أصابته غاشية لموت فى ١٧ يناير ، وأقيمت له مراسيم جنازة بعد أن فحصه الاطباء فحصا جيدا

قتل المريض جريمة شنعاء

وقرروا أنه جثة هامدة ، ثم وضع فى التابوت وسار به فى موكب الجنازة الى القبر ثم أنزل فى اللحد ، وفى هذه اللحظة قبل أن يهيلوا عليه التراب أفاق من غشيته ثم لم يستطع الحراك فى أول الأمر ولكنه تجمع واجتهد حتى استطاع أن يرفع غطاء التابوت ويخرج منه !

وهكذا عاد الميت الى منزله حيا مع من شيعوه الى قبره » .

فهذا انسان لم ييأس منه الطب فحسب ، بل خيل الى الاطباء أنه مات فعلا وسارت به الجنازة وحمل الى اللحد ثم أدركته رحمة الله فانتعش !

أفما يجوز لدى العقل أن يبرأ مريض يشكو ألما مهما قسا ذلك الألم واذا كنا نرى ذلك رأى العيان ، فما الذى يجعل الطبيب يبادر الموت مستعجلا اياه مع أن رسالته الحقيقية فى أن يبحث عن عوامل الشفاء .. أليس قتل المريض بحجة اليأس من شفائه جريمة نكراء !؟ .

دكتور / محمد رجب البيومى
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

*** تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :**

مؤسسة الأهرام ـ شارع جلاء ـ القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

*** جمهورية مصر العربية**

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

*** اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »**

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها .

*** باقى دول العالم .**

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

من الشرق إلى الغرب

الإسلام والمسلمون في الصين

الجذور التاريخية للمشكلة السودانية الجنوبية

أسطورة الإله المتجسد

الجذور التاريخية
للمشكلة السودانية الجنوبية

فى الزمن القديم ، أطلق المصريون على المنطقة الممتدة من أسوان شمالا حتى الشلال الثانى عند وادى حلفا جنوبا اسم « واوات » أما المنطقة الواقعة الى الجنوب من الشلال الثانى والتى تشمل معظم أجزاء السودان الشمالى ، فسميت « كوش » ثم أصبح هذا الاسم يطلق على المنطقتين معا ، أما اسم « النوبة » فحديث نسبيا ، ولم يستخدم الا منذ القرن الثالث الميلادى •

ولا يختلف السكان القدماء فى « كوش » أو « النوبة » عن المصريين منذ عصر ما قبل الأسرات ، كما أن الحضارة والديانة فى كليهما كانت متشابهة الى حد كبير منذ حضارة المجموعة الأولى (حوالى ٣١٠٠ ق ٠ م) ، واستمرت بلاد « كوش » مرتبطة بمصر الى العصر الحديث •

وجمهورية السودان بحدودها الحالية ، هى نتاج ادارى حديث بدأ مع القرن التاسع عشر ، وهى تمثل مساحة ضخمة من حزام السافانا الجاف • والمناطق شبه الصحراوية الممتدة فى عرض القارة الأفريقية •

وقد نشأت بالسودان مشكلة حديثة ، أساسها اعتقاد خاطىء مؤداه أن السودان يتكون من شعبين مختلفين هما شعب الشمال وشعب الجنوب ، ولكن الحقيقة أنه لا توجد حدود عرقية بين أبناء السودان جميعا ، بل ان كثيرا من القبائل الجنوبية مثل « الزاندى » « الأشولى » « واللاتوكا » « والتركانا » « والأنواك » وغيرهم منتشرون بين الشمال والجنوب ، كذلك القبائل الشمالية تنتشر وتتداخل أوطانها بين مديريات الجنوب الثلاث ، وهى . بحر الغزال والاستوائيه وأعالى النيل ، ويربط النيل وفروعه بين الشمال والجنوب فضلا عن الطرق البرية الكثيرة ، وقد مدت الحكومة مؤخرا خطا حديديا الى مدينة « واو » وبذلك تعددت وسائل الإتصال بين الشمال والجنوب •

وقبائل الجنوب لا تجمع بينها وحدة ثقافية ، بل تختلف لديها النظم والعادات والتقاليد واللغات •

ولذلك يمكن القول بأنه لا توجد حدود عرقية ولا حدود طبيعية تفصل الجنوب عن الشمال ، بل هى خطوط رسمتها دولة أجنبية لأسباب دينية وسياسية •

وثمة حقيقة يجب الاعتراف بها هى ان بعض ناطق الشمال تماثل الجنوب فقرا ، وبعضها الآخر أكثر من مناطق الجنوب تخلفا وفقرا ،

للدكتور عبد الله نجيب محمد

كما أن الشمال كان أسبق فى التطور والحضارة من الجنوب منذ عصور سحيقة .

اذن سكان السودان المعاصر جميعا قد نشأوا من اختلاط لا حدود له بين الزنوج والعرب وأبناء عمومتهم الآخرين من القبائل الحامية مثل « البجة » وغيرهم ، وقد بقيت لسكان الجنوب لغات أو لهجات شتى ، ولم تستطع واحدة من تلك اللغات أن تتغلب على الأخرى ومن ثم أصبحت العربية المحلية هى لغة التعامل والتفاهم الرئيسية بين شتى القبائل .

من كل هذا نخلص بأن شعب السودان الجنوبى لا يمثل مجموعا بشريا موحدا ولا ثقافة موحدة ، كما يفتقد العوامل الأخرى التى يمكن أن تجعل منه قومية خاصة .

كذلك يمكن القول بثقة ، بأن الفوارق بين الشمال والجنوب ليست كبيرة أو خطيرة مثلما يصورها بعض المغرضين من الكتاب ، بل من المقطوع به أن الهجرات الداخلية والتاريخ المشترك وعوامل أخرى عديدة قد جعلت من السودانيين جميعا شعبا واحدا متجانسا له مصير واحد وحدود واحدة وآمال واحدة وقومية متحدة .

وعندما فتحت أبواب السودان فى ظل الحكم المصرى ثم الحكم الثنائى ، للتأثيرات الخارجية ، اهتمت الدول الأوربية بالسودان، وأرسلت المكتشفين والمبشرين فى حماية الجنود المصرية والسودانية للعمل فى السودان الأمر الذى أثار كثيرا من الاهتمام بالهلال الخصيب الجيد الرى من البحيرات الاستوائية ، حيث طالب « ليفنجستون » بعد عودته لانجلترا عام ١٨٥٦ بفتح طريق التجارة وطريق للمسيحية عبر النيل (جراى ص ٧٩) .

وما كان الأمر يستقر للمبشرين الأوربيين فى جنوب السودان ، فى ظل الحكومة الحسنة الظن بالأوربيين ، حتى بدأ هؤلاء يخططون لعزل الجنوب السودانى عن الشمال ، ومن بين ما أشاعوه لدى الجنوبيين أن أهل الشمال المسلمين قد استغلوهم زمنا طويلا ، وتاجروا بهم ، وباعوهم فى الأسواق بيع الرقيق ، وأنهم يختلفون عرقيا عن أبناء الشمال العرب .

والحقيقة أن « الرق » بالسودان قد نشأ نتيجة للنظم القبلية والحروب المحلية التى كثيرا ما كانت تنشأ بين القبائل المختلفة فى

الجنوب والشمال على السواء ، ولم يتسع نطاق هذه التجارة الا بعد خضوع السودان للحكم الثنائى ، وفى ظل الادارة الأوربية ، وقد أشار كل من « جـراى » (ص ٤٥) والبروفسير ج • ن • ساندرسون ص ٦ الى هذه الحقيقة حيث كان التجار الأوربيون يقومون بحملات لصيد الرقيق وبيعهم ، وأقاموا محطات ببعض الجهات وخاصة فى الخرطوم لهذا الغرض ، وعلى هذا فان أكثر التجار كانوا يعتمدون فى تجارة الرقيق على الأوربيين ، الذين استخدموا ضروبا من القسوة والعنف لم يعرفها العالم من قبلهم لتحقيق أغراضهم ، وعلى هذا فليس صحيحا الادعاء بأن أبناء الشمال هم التجار الوحيدون للرق ، أو أنهمكانوا المسئولين عنها (جراى ٥٣) وثمة أدلة كافية على أن الاداريين الأوربيين كانوا من بين المساهمين الأوائل فى هذه التجارة الخاسرة فى السودان على وجه الخصوص وفى أفريقية كلها (جراى ٣٢ — ٣٣) •

ولقد استخدمت هذه الدعاية المغرضة ضد المسلمين مما أدى الى سوء الظن بهم ، وكراهية الجنوبيين لهم مع أن تجارة الرق الأوربية فى غرب أفريقية ووسائلهم البشعة واتجاههم أساسا لاسترقاق السود معروفة ومشهوره •

كان للسودان فى نظر المبشرين موقع هام على خريطة التبشير ، لأنهم اعتبروه مفترق الطرق بين غرب القارة وشرقيها وجنوبها ، كما كان من أغراضهم أيضا نشر (الكثلكة) فى أثيوبيا لفك ارتباطها بالكنيسة المصرية — وربطها باستراتيجية المسيحية العالمية ، وشجع محمد على باشا وخلفاؤه الارساليات فى مهمتها « الانسانية • ؟ » كما ادعوا ، فأنشئت المدرسة الكاثوليكية بالخرطوم فى عام ١٨٤٦ أنشأ البابا « جريجورى » السادس عشر المقر الرسولى لأفريقيا الوسطى بالخرطوم أيضا ، وامتد نشاطه الى « عندوكورو » عام ١٨٥٠ « وكاكا » ١٨٦٢ •

بعد ذلك خطط « الأوربيون » لابعاد مصر عن جنوب السودان ، ولما عين «غوردون» مديرا للاستوائية قام بتشجيع أعمال الارساليات وبذل لها العون المادى وغير المادى وبعد هزيمة المهدية عام ١٨٨٥ م أعيد فتح الجنوب للنفوذ الأوربى والارساليات التبشيرية على نطاق واسع ، وأضحى الجنوب منذ ذلك الوقت يتأثر بشدة بمجريات السياسة التبشيرية •

ففى عام ١٨٨٥ م تأسست ارسالية لذكرى « غوردون » بلندن ، وتأسست بعثة تبشيرية للسودان بألمانيا عام ١٩٠٠ م (ماكسويل ج • ب • نصف قرن • لندن ١٩٥٠ ص ٢٩)وهكذا فتحت أبواب الجنوب على مصاريعها أمام النشاط التبشيرى •

واتفقت الجمعيات الارسالية مع الحكومة على استبعاد النفوذ الاسلامى من أرجاء الجنوب على وجه السرعة (خطاب ونجت لمدير بحر الغزال فى ٣/٢/١٩٠٤) •

والوقوف أمام زحف اللغة العربية جنوبا واستبدالها بلغات محلية ، وجعل اللغة الانجليزية لغة التعليم والادارة •

وقد تم ذلك فى حدود عام ١٩١٨ (خطاب ونجت لمدير بحر الغزال فى ١٩٠٤/٣/٢) • وأصبحت هذه سياسة رسمية لانجلترا فى السودان ، وقررت الارساليات التبشرية فى المؤتمر الدولى الذى عقدته فى (أدنبره) عام ١٩١٠ م : أن السباق مع الاسلام بأفريقيا يجب أن يحظى بالأولوية على أية واجبات أخرى (أو لفريد الارساليات فى شرق أفريقية ص ٢٠٥) •

وعندما أنشئت قوة سودانية سنة ١٩١٧ ، ولاحظ الانجليز أثر أفرادها فى نشر الاسلام ، صدرت اليها الأوامر بمغادرة الجنوب فى ١٩١٧/١٢/٧ ، واقترح « أوين » تكوين فرقة من الجنوبيين المسيحيين (مقتطف نشر بكتاب كولنتز ص ٢٧) وكان « وينجت » يرى فى هذه الفرقة « ترياقا افريقيا مضادا لأى ثورة عربية قد تدور رحاها فى ربوع السودان » •

وهكذا غدت الانجليزية هى اللغة الرسمية فى جنوب السودان ، وتم وقف انتشار اللغة الرسمية فى جنوب السودان ، وتم وقف انتشار اللغة العربية فقام التمييز اللغوى بين الشمال والجنوب ، وانصرف التعليم التبشيرى فى الجملة صوب نشر النصرانية والعمل على الحد من انتشار الاسلام واللغة العربية ، والعمل أيضا على زيادة التخالف والفروق بين الشمال والجنوب (راجع خطاب جروف لمدير الاتصال العام — الخرطوم فى ٩/١٧ ١٩١٨ ، ساندرسون ، تطور التعليم فى جنوب السودان ص ١٠٦) •

وفى عام ١٩٢٠ كتب مستر ت • ر • وودلاند مدير منجلا يقول : « لقد حان الوقت لفصل هذه المديرية عن باقى أجزاء السودان (خطاب وودلاند للسكرتير الادارى فى ٢٩ / ٨ ١٩٢٠) •

وفى مذكرة قدمت للجنة « ملنر » وضحت تلك السياسة وضوحا تاما ، فى الخطوط العريضة التى تضمنتها حيث قررت :

أن الحكومة عازمة على استبعاد أى نفوذ للدين الاسلامى فى الجنوب ، بل واقترحت أن يوضع فى الاعتبار احتمال فصل جنوب السودان « الأسود » عن شماله « العربى » وربط الجنوب ببعض بلدان وسط أفريقية (د• عبد الرحيم • تطور السياسة البريطانية فى السودان ص ٧) ، وفى مذكرة أخرى اقترح اقامة الحدود بين الشمال والجنوب فى اتجاه خط ممتد من الشرق الى الغرب يتبع أنهار « البارو » و « السوباط » و « والنيل الأبيض » « وبحر الغزال » (السابق) واتخذت اجراءات أخرى عديدة لاستبعاد المصريين وأبناء الشمال وغيرهم من المسلمين عن الجنوب •

ولعله من الواضح أنه يمكننا أن نستخلص من تلك الأحداث والظروف الملابسة ، أن ثمة سياسة وضعها الغرب لفصل الشمال عن الجنوب منذ أمد بعيد وأن بذور الحركة الانفصالية الحالية قد تم غرسها والتخطيط لها منذ أمد بعيد • •

وقد أدرك أبناء الشمال أبعاد المشكلة ، وما يعانيه أبناء الجنوب لما وقر فى نفوسهم من سوء ظن وسوء فهم ، فعملوا على التفاهم معهم ، بل وقرروا منحهم الحكم الذاتى فى

بقية ص ٧٠٩

الإسلام والمسلمون فى الصين

٣ السؤال الصعب

كانت زيارتنا الى الصين زيارة تاريخية بكل مقاييس الكرم • والحفاوة ، لم يكن استقبالا قاصراً على المسلمين وحدهم ، بل كانت هذه الحفاوة وهذا الاستقبال سمة ظاهرة عند جميع من لقيناهم من المسئولين والشعب •

وفى كل مكان ذهبنا اليه فى الشرق أو الغرب، لقد سافرت الى أقطار كثيرة فى آسيا وأفريقيا وأوربا •• وشاركت فى مؤتمرات عديدة فى مختلف أطراف الدنيا • وأؤكد للمرة الثالثة • أن الأدب الصينى والكرم الصينى كانا فوق كل حد ، وتجاوزا أى تصور يخطر على بال احد•

ولما كان هدفنا هو الحقيقة ، وكشف اللثام عما يبدو غامضا فى نظر البعض • فلسوف تبقى هذه الحقيقة هى هدفنا الاسمى فى كل كلمة ، وسيبقى حرصنا على ــ علاقات ممتازة بين الصين وغيرها من الدول الاسلامية • غاية مقدسة •

لقد وقفت الصين ــ من ورائنا ــ فى كثير من قضايانا المصيرية ، وآخر هذه المواقف • موقفها من الغزو الروسى الهمجى لأفغانستان الضحية المسلمة •

وهى ــ أى الصين ــ اذ تفعل ذلك انما تفعله انطلاقا من سياستها التى تتبنى الدفاع عن الشعوب المقهورة أمام قوى البغى التى خربت العالم قرونا طويلة •

غير أن ذلك لا يمنعنا من مناقشة هذه القضية الهامة •

وبعبارة أكثر وضوحا قضية المسلمين وعددهم فى هذه الدولة •

وهذه المشكلة • مشكلة « العدد » أو «الرقم» أو « النسبة » من أهم المشكلات التى تواجه المسلمين فى كل دولة وبخاصة فى تلك الدول التى يحكمها « غير المسلمين » ممن تربوا فى أحضان الارساليات التبشيرية ــ كما هو الحال ــ فى معظم أقطار أفريقيا •

والأمر المعيب حقا : أن المسلمين أنفسهم لا يهتمون بهذه القضية ، بل يعيشون عالة على غيرهم فى هذه الاحصائيات الزائفة والمزورة •

بل ان الجامعات والمعاهد العلمية وكذلك أجهزة الاعلام فى الدول الاسلامية ــ تعتمد هذه الاحصائيات وتروجها دون وعى بما تحتويه من أكاذيب صارخة •

والسؤال الصعب بالنسبة لعدد المسلمين فى الصين هو : كم عدد المسلمين ــ فى هذه الدولة

للدكتور عبد الودود شلبى

العظمى ــ بالرغم من تواضع حكامهـا الذين يصرون على أنهم دولة نامية .

نعم : كم عدد المسلمين ؟ وهـل يختص الاسلام بقوميات معينة ؟ أم اختاره «المؤمنون» بصرف النظر عن انتمائهم لهذه القومية أو غيرها من القوميات المختلفة ؟

ان التقارير الرسميه تقول بأن المسلمين موزعون بين عشر قوميات هى قوميات :

« هوى »، « نعور » ، « قازاق »، «أوزيك»، « قرعيز » ، « تتار » ، « طاجيك » ، « سالا »، « تشيانغ » ، « باوان » .

ولكن من يقول ان الاسلام كان دين قوميات فقط .

ان الهداية الالهية ــ لاتعـرف اللون أو الجنس أو الطبقة .. والنور حين يشع لا يتوقف ضوؤه على جهة دون جهة .

والسؤال : مرة ثانية : كم عدد المسلمين فى الصين ؟ ثلاثة عشر مليونا ؟ ام عشرون مليونا أم سبعون مليونا أم مائه من الملايين ؟ .

كلها أرقام تتردد . فالرقم الرسمى يقول : ان عدد المسلمين هو ثلاثه عشر مليونا فقط .

بينما تقرر مصادر اخرى بأن عددهم يتجاوز أكثر من سبعين مليونا . ان لم يكن مائه مليون .

ولا فرار أو مناص أمام هذا التضـارب والتناقض من العودة الى التاريخ والاحصائيات أقصد الى ما كتب قبل قيام حكم « ماوتسى تونج » والى ما بعد انتهاء حكم « تشيانج كاى شيك » .

ان أى باحث فى هذا الموضوع لابد أن تنتابه حيرة شديدة . فلا هو مقتنع تماما بما يقال ولا هو قادر على تحديه . ولكن من العجيب انه قد صدر فى عام ١٩٣٥ م كتاب الصين السـنوى عن المطبعه التجاريه المحدودة فى « شنغهاى » وفى هذا الكتاب بيان بعدد المسلمين فى الصين وأنهم « خمسون مليونا » كما ان كتاب الصين السنوى الذى صـدر فى تايوان ١٩٦٣ م ــ ١٩٦٤ م يؤكد هذا الرقم الذى نشر قبل ذلـك بحوالى عشرين عاما .

على أن « تيرسان » صاحب كتاب (المحمدية فى الصين) (١) الواقع فى مجلـدين يحصى المسلمين بــ ٢٥ مليونا فى الصـين وكـذلك

---

(١) حاضر العالم الاسلامى جـ ٢ ص ٢٢٢

الجغرافى الشهير « اليزه ركلوس » يقول فى جغرافيته العامة ما يأتى :

« ان المسلمين لهم بال كبير فى المملكة الصينية وقد حزرهم « سكاتشكوف » بعشرين مليونا ولكن هذا العدد يظهر ضئيلا بالقياس الى أقوال مؤرخين آخرين من الصين ففى ولاية « كانسو » كان المسلمين هم الأكثرية كما أنهم كانوا فى كثير من نواحى شمالى الصين نحو ثلث السكان .

ويراهم الانسان أعلى درجة من سائر السكان واعز نفوسا واصرح نظرا وفى ولايات غربى الصين يتقلدون السلاح وهم لا يشربون المسكرات ولا التبغ ولا الأفيون فتجدهم أصح أجساما من أبناء الملل الأخرى .

ويوجد بينهم تضامن يجعلهم أسعد حالا وأعظم ثروة من غيرهم ويفرضون على جماعاتهم ضريبة معلومة نظير العشر من الدخل لأجل انفاقه فى مصالح الجماعه وهذا فى ولايات « كانسو » و « وشنسى » وفى بلاد « ينان »

عندهم مدارس يتعلمون فيها العربية ويفهمون معانى القرآن كما أن الصلاة هى فى كل مكان بالعربية وفى كانسو يوجد مئات من الجوامع

ثم ان التجارة فى الشمال تكاد تكون منحصرة فى أيديهم لاسيما تجارة المواشى فتجدهم هم الذين يميرون « باكين » وسائر المدن الشماليه الساحلية الخ » .

وقد همت مسألة اسلام الصين دول أوربا كثيرا لأنها توجست ولا تزال تتوجس خيفة من انتشار الاسلام فى الصين الى حد أن يصير هو الغالب على تلك المملكة التى عددها يزيد على أربعمائة مليون (١) فاذا قدر الله دخول هذه المئات من الملايين فى الاسلام حصل انقلاب فى وجه العالم .

وفى حديث نشرته جريدة « الاهرام » . أجرته هذه الجريدة على لسان محررها الشيخ عبد السلام العسكرى مع أحد مبعوثى الصين الى الأزهر دار هذا الحوار :

ما عدد المسلمين فى الصين ؟

وما عدد غيرهم من الطوائف الاخرى ؟

وهل هناك تنافس دينى بين المسلمين وغيرهم من تلك الطوائف ، ولأى سبب يرجع ذلك التنافس ، اذا كان موجودا ؟

قال : أما عدد المسلمين فى الصين فخمسون مليونا ، وعدد السكان أربعمائة مليون والمذاهب الدينية فى الصين متعددة كالكونفوشيسية فالبوذية فالمسيحية ومع ذلك فان أكثر أهل الصين لا دين لهم ، وهم يعبدون أشياء متعددة، كالجمال والنور والنار وبعضهم يعبد الماشية والدوأب ، وهناك مذهب دينى قليل الانتشار يسمى « التوصينية » نسبة الى رجل يقال له « لوتزا » وأصحابه هم المتصوفة المتقشفون

(١) كان هذا منذ خمسين عاما .. اما عدد سكان الصين اليوم فقد تجاوز الالف مليون .

الزاهدون الذين لا يتزوجون طوال أيام حياتهم، ولا ينظرون الى المرأة ولا يتصلون بهـا أى اتصال وانى أقرر لك أن بين المسلمين وبين أفراد الطوائف الاخرى تنافسا دينيا بعيد المدى شديد الأثر وذلك لأن الطوائف غير المسلمين تمقتنا وترمينا فى اعتقادنا الدينى ، وهـم متعصبون ضدنا كثيرا • ويرجع السبب فى أغلب المعارك الدموية الداخلية الى ذلك التعصب الدينى ولكن الأديان فى الصين أمام القانون سواء وحرية المعتقدات مكفولة والحكـومة لاتناصر طائفة على طائفة ولا تؤازر مذهبـا دون مذهب فهى لا دينية ولا تتبع خطط دين معين .

قلنا ــ وهل يوجد بين الموظفين فى الحكومة أفراد مسلمون وما هو عددهم ؟ •

قال ــ نعم يوجد بين الموظفين فى الحكومة أفراد مسلمون • منهم خمسة قواد فى الجيش ومحافظ لاحدى عواصم المقاطعات ، وبعضهم يشغل وظائف فى المجالس البلـدية والمحلية وبعضهم فى وظائف التدريس ، وهناك مسلمون كثيرون فى الجيش كجنود لأنهم مشـهورون بالشجاعة والاقدام • وأما فى الوظائف الملكة المدنية فعددهم قليل جدا •

قلنا ــ اليس هناك قانون عام للتجنيد ، وكيف تكون أكثرية الجنود من المسلمين مع أن القانون عام ينفذ على الجميع ؟ •

قال ــ المسألة نسبية • والقانون حقيقـة عام ولكن عدد المسلمين فى بعض المقاطعـات الصينية أكثر من عدد أية طائفة مـن الطوائف الأخرى لأنى اذا قلت لك أن عدد المسلمين فى الصين خمسون مليونا لوجب أن يكون عدد كل طائفة من بقية الطوائف الأخرى أقل من ذلك بكثير من خمسين دينا ومذهبا (١) •

وفى حديث آخر أجرته هذه الصحيفة كان هذا الحوار :

اسمى « واى ون كين » وترجمته بالعربية سعيد الياس وصناعتى عالم اسلامى وامام بلدى « تنسين » ومحرر جريدة تنسين وقـد سافرت من بلدى منذ عام وغايتى من هـذه السياحة الاطلاع على أحوال الاقطار الاسلامية والاستنارة بالأفكار الجديدة الموجـودة فى الشرق الأوسط والشرق الأدنى فزرت بـلاد الهند وها أنا فى مصر وسأزور سوريا والأناضول والاستانة ثم أعود الى وطنى » •

قلنا ــ ما عدد المسلمين فى بلادكم وما حالة تعليمهم وشئونهم الاجتماعية ؟

اجاب ــ يبلغ عدد المسلمين فى الصين نحـو سبعين مليونا وكلهم يقومون بواجباتهم الدينية وفى بلدى نحو أربعين مسجدا ومعظمهم يقرأون الكتب العربية بنطق صينى ما عدا * العلماء، الذين يتعلمون العربية منذ الصغر • ويؤدون الصلاة باللغة العربية • وتعدد الزوجات وان

---

(١) حاضر العالم الاسلامى جـ٢ ص ٢٦٥ •

يكن مباحا بالشرع فى الدين الاسلامى الا أنه مفقود من عاداتنا فلكل رجل امرأة واحدة بحكم عاداتنا والطلاق نادر جدا ويكاد يكون معدوما .

وقد درست فى صغرى وشبابى الفقه والحديث والسنة وعلوم الكلام والتصوف والتوحيد وآداب اللغة العربية .

سألناه — هل يوجد لبوذا وكونفوشيوس اتباع كثيرون فى الصين ؟

أجاب — ان بوذا متبع فى بلاد الهند فقط وذكره عندنا قليل أما كونفوشيوس فله أتباع كثيرون فى الصين ويطلق عليهم اسم « أصحاب كونفوشيوس » ولم يكن هذا الزعيم المصلح نبيا مرسلا ولم يقل بذلك هو نفسه أو أحد من أصحابه بل كان حكيما وكل تعاليمه خاصة بشئون هذه الدنيا وتدبير الامور المادية والسياسية والادارية وأصحابه ليسوا مقيدين بعبادة اله معين فهم يعبدون ما يشاءون كأجدادهم فيعبدون الأشجار والأنهار وبالجملة فانهم مشركون .

سألناه — وما حالة الصين منذ دخول الحكم الجمهورى فى البلاد ؟

أجاب — ان الشرق عامة محتاج الى حكم قوى يكون مصدره العدل والحكمة وحب الخير ولكن الحكام الذين من هذا القبيل لا وجود لهم فى هذا الزمان وأفضل مثال لهم الخلفاء الراشدون فى صدر الاسلام ونحن المسلمين فى الصين نعتقد فى أن الاسلام دين شورى وديمقراطى وقد جاء فيه « وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ » .

سألناه — هل حصل تقدم فى البلاد فى الاعوام الأخيرة ؟

أجاب — نعم فقد أبطلت عادات كثيرة من العادات الرديئة مثل تقييد أقدام الفتيات ومنعها من النمو ظنا بأن هذا أثر من آثار الجمال وأصبح هذا الفعل معاقبا عليه وبدأت بلاد الصين تشعر بوجودها القومى وتسترد المقاطعات التى كانت اغتصبتها منها بعض الدول الأجنبية وهى سائرة ببطء لأنها أمة عظيمة وملكها مترامى الأطراف (١) .

وفى لقاء ثالث مع محرر جريده « الجامعة العربيه » التى كانت تصدر فى مدينة القدس ، كتب محرر هذه الصحيفة يقول :

اغتنمت فرصة وصول الوفد الصينى المسلم الى القدس المؤلف من السيدين الحاج عبد الله الصديق جاوبين سكرتير مدرسة المعلمين الاسلامية فى بكين ومدير مطبعتها ومكتبتها ومحرر مجلة نضارة الهلال فى بكين ، والحاج عبد الرحيم ماسون تين امام جامع تونسيالو فى بكين ووكيل مدرسة المعلمين الاسلامية فيها . فتقدمت اليهما باسم جريد « الجامعة العربية » حيث يقيمان بالزاوية النقشبندية ملتمسا منهما

(١) المصدر السابق ص ٢٦٥ .

ان يتفضلا على قرائها بحديث عن رحلتهما وعن حالة اخواننا مسلمى الصين ، فأجابا ملتمسي بكل بشاشة وسرور .

وقد ازداد ابتهاجهما عندما أطلعتهما على العدد الاخير من الجامعة العربية المشتمل على مقال عن مسلمى الصين وبعض معلومات عنهم . والى القراء موجز الحديث الذى اشترك فيه السيدان المذكوران :

« غادر السيدان الحاج عبد الله الصديق جاوبين والحاج عبد الرحيم ماسون تين مدينة بكين عاصمة الصين السالفة فى أول شهر شعبان الماضى على رأس بعثة صينية مؤلفة من خمسة طلاب من مدرسة المعلمين الاسلامية فى بكين فوصلوا الى القاهرة فى الثالث من شهر رمضان المبارك ليدخلوا البعثة المذكورة فى الأزهر الشريف لتعلم العلوم الدينية الاسلامية والقرآن الكريم واللغة العربية » .

أما أعضاء هذه البعثة العلمية فهم : سعيد ونجش مين ، على خان خون كوى ، شعيب جنداى كوى ، اسماعيل ماجن بوم ، سليمان جنبنتو . وقد دخلوا فى الأزهر الشريف ولقوا كل مساعدة من الحكومة المصرية والشعب المصرى .

والسيدان المذكوران ينويان زيارة بلاد الحجاز لقضاء فريضة الحج ، وذلك من أسباب رحلتهم الرئيسية كما أن من أسبابها أيضا زيارة بيت المقدس والمدينة المنورة والتعرف على اخوانهم المسلمين فى هذه الأقطار والوقوف على أحوالهم .

ويبلغ عدد المسلمين فى الصين نحو خمسين مليونا وهم آخذون فى الازدياد بالتدريج وأكثرهم يقطنون فى الولايات الغربية والشمالية وفى ولاية « يوننان » فى الجنوب . أما حالتهم فحسنة وتقدمهم مطرد . وحالتهم المادية متوسطة وحالتهم العلمية بالنسبة الى أهل الصين عامة فى المقام الأول » .

ولتوضيح هذه الصورة ننقل هنا ما نشرته مجلة الهلال فى عددها الصادر فى أبريل ١٩٣٩ عن « العرب والاسلام فى العصر الحديث » تقول المجلة :

« .. الاسلام فى الصين قوة يعتد بها وله شأن عظيم ويبلغ عدد المسلمين حسب آخر احصاء نحو ٥٠ مليونا ينتشرون فى المقاطعات الشمالية وفى ربوع الصين من الجمعيات الدينية التى تسعى الى نشر الثقافة الاسلامية عشرات ومن المدارس الابتدائية الاسلامية هناك مئات وترى فى أعلى الصورة (١) كلية ومدرسة اسلامية فى مقاطعة يونان وفى الزاوية العليا صورة الجنرال المسلم « عمر باى جونغ سى » الذى يتولى رياسة أركان حرب القوات الصينية وهو الرئيس الأعلى للاتحاد الاسلامى العام وأقوى شخصية فى الصين بعد المارشال « شانغ كاى شيك » .

وقد أسس الجنرال عمر مدرسة حربيه قصر دخولها على الشبان المسلمين ويبلغ عدد طلابها الآن نحو ١٣٠٠ وقد اتصلت جمعية

(١) بالاشارة الى الصورة الموجودة فى المجلة .

الثقافة هناك بوزارة المعارف فى مصر وبمدرسة دار العلوم ويشرف على هذه الجمعية الاستاذ نور محمد يوسين الذى زار مصر لمناسبة عيد الزفاف الملكى وأكرم جلالة الملك فاروق وفادته وأحسنت جمعية الشبان المسلمين مثواه •

وقد تأسست فى مقاطعة « تسين نان » عام ١٩٢٧ مدرسة جيندا للمعلمين ويشرف عليها السيد عبد الرحيم ماسونغ تين الذى زار مصر عام ١٨٢٨ وعام ١٩٣٦ وعرض على مسامع المغفور له الملك فؤاد الاول حالة مسلمى الصين فتفضل رحمه الله باهدائه مجموعة قيمة من المطبوعات العربية كانت أساس « مكتبة فؤاد الأول بالصين » (١) •

***

مما تقدم نلاحظ أن الوجود الاسلامى فى الصين تحرك على الأرض الصينية من منطلقات ذات مسئوليات واضحة ومحددة لذلك ظل المسلمون الصينيون جزءا من الوجود الصينى وقد راعوا ظروف البلاد فى تعايشهم وممارستهم الحياتية المختلفة فعمقوا وجودهم وأثروا الحضارة الصينية بمعطيات اسلامية تشكل جزءا ملحوظا فى تراث الصين الحضارى وقد حقق لهم هذا السلوك المتوازن الاحترام ومكن من وجودهم فكانوا ومازالوا جزءا من الوجود القومى للصين • وكانت جميع مشاركاتهم وممارستهم تنطلق من هذا المفهوم القومى فى فترات الشدة والرخاء على السواء •

وان كان المجال لا يمكننا من الاستطراد التاريخيى فتكفى الاشارة هنا الى مبادرة الدكتور (٢) صن يات صن رئيس أول جمهورية صينية عام ١٩١٣ عندما اعتبر المسلمين أحد العناصر الخمسة التى تقوم عليها البلاد وأعطاهم حرية الاعتقاد وحفظ لهم حقوقهم المدنية ، ومن البديهى ألا يأتى هذا الاعتراف من فراغ بل جاء مكافأة لهم على موقفهم من الثورة والثمن الذى دفعوه بسبب هذا الموقف •

ولقد واصل المسلمون الصينيون دورهم الايجابى فى صراع الصين مع الاستعمار الغربى والقوى المضادة للثورة وقام تعاون وثيق بينهم وبين ماوتسى تونج الذى قال : « من المستحيل علينا أن نحقق رسالتنا ومهمتنا اذا لم نكسب المسلمين الى جانبنا ونضمهم الى جهتنا » •

ويؤكد خط سير الجيش الأحمر الذى انطلق من الجنوب واستقر فى الشمال الغربى وسط تجمعات المسلمين أهمية الدور الذى قام به المسلمون فى الثورة فوعد ماوتسى تونج المسلمين باقامة حكومة اسلامية مستقلة ذاتيا والغاء الديون والفوائد القديمة وحماية حرية العقيدة وحماية الثقافة والتراث الاسلامى وقد حرم جيش الثورة على جنوده من غير المسلمين أربعة أمور تحريما قاطعا :

(١) العدد الممتاز من مجلة الهلال الصادر فى شهر ابريل ١٩٣٩ عن « العرب والاسلام فى العصر الحديث » ص ١٠١ •

(٢) من كتاب « الثلوث الفكرى » حسن التل : ص ٣١١ ــ ٣١٢ طبعة عمان ــ الاردن •

١ ــ التزام المحاربين بعدم دخول المساجد .

٢ ــ عدم أكل لحم الخنزير أو نطق كلمة خنزير امام المسلمين .

٣ ــ عدم دخول أى بيت من بيوت المسلمين بغير استئذان فلا ينظر الى النساء ولا تنتهك حرمتهن بأى صورة .

٤ ــ عدم جمع تبرعات أو مصادرة ممتلكات المسلمين .

وواصل المسلمون الصينيون مواقفهم الوطنية فى مسيرة الثورة الصينية فكان موقفهم فى فترة المقاومة الصينية للاحتلال اليابانى كمواطنين ومقاتلين مشرفا وبرز من بينهم أبطال حققت بهم المقاومة انتصارات هائلة على المحاولات اليابانية اليائسة (١) .

وقد ذكرت مجلة « المسلمون » التى تصدر فى لندن تعليقا حول الزياره التى قام بها ــ فضيلة المرحوم الشيخ احمد حسن الباقورى الى الصين ننقله عن هذه المجلة بالنص (٢) « ويسوقنا الحديث فى زيارة الشيخ الباقورى للصين الى الحديث عن الدور الكبير الذى لعبه المسلمون هناك لتحرير بلادهم من الاستعمار اليابانى :

لقد حدث عام ١٩٣٧ أن دعا الزعيم الصينى « ماو » قواد جيش التحرير الى اجتماع عاجل قال فيه : ان شعبنا الكبير يضم حوالى ٣٠ مليون مسلم ومهمتنا الكبرى الآن هى أن نكسبهم الى جانبنا ، ونحن بغيرهم لا نستطيع أن نقيم قواعد للدفاع والهجوم تمكننا من القضاء على الاستعمار اليابانى ومعه جيش تشانج كاى شيك ، وأؤكد لكم أننا لن نحقق شيئا من أهدافنا الا اذا وقف المسلمون فى صفوفنا .

وكان من بين قواد جيش التحرير الذى كونه «ماو» بعض الضباط الشبان من المسلمين فكون منهم كتيبة للدعاية تولت الاتصال بزعماء العالم الاسلامى وقد أسفرت بسرعة عن اتفاق أذيع على أثره بيان على المسلمين جاء فيه :

« ان الاسلام فى خطر مادام هناك استعمار واستبداد ، وأن على المسلمين أن يشتركوا فى الجهاد ليحموا دينهم ويحفظوا ثقافتهم » واشترك المسلمون بعد ذلك فى معركة التحرير فى صفوف ماو ، ولما كتب لجيوشه النصر جعل من مبادىء القوات المسلحة الصينية هذه العبارة « المسلمون أخوة لنا فنحن جميعا أبناء الصين » .

ومن أعجب العجب أن تقع عيناى ــ مصادفة ــ على هذا النص العجيب فى كتاب « الرحلة اليابانية » الذى ألف منذ حوالى ثمانين عاما . وفيه يقول المؤلف :

« .. ومن الاسف الشديد الذى لا اسف بعده أن نحو الخمسين مليونا من المسلمين فى الصين لا يوجد بينهم علماء من الطبقة العالية ينفروهم عن هذه الخرافات والبدع وأن من التقصير الفاحش أن العلماء من المسلمين يعلمون بمثل

(١) المصدر السابق .

(٢) العدد الصادر فى ١١ ذو القعدة ١٤٠٥

هذه الأحوال ولا يؤلفون الوفود منهم للذهاب الى الصين وبث العقائد الصحيحة الدينية هناك .. » (١)

فاذا عبرنا الحدود من « سنتكيانج » أو التركستان الشرقية الى التركستان الغربية — فى الاتحاد السوفيتى — فسنرى أن مؤتمر الحزب الشيوعى الروسى عندما انعقد فى سنة ١٩٢٣ م وردت فقرة فى مقرراته تشير الى ثلاثين مليونا من المسلمين يعيشون فى الاتحاد (٢) السوفيتى . وهذه الثلاثون مليونا تجاوزت الآن الستين مليون نسمه . فماذا يمكن ان يقال عن الثلاثين مليونا من مسلمى الصين الذين كانوا موجودين قبل هذه الفترة ، لا يمكن أن يكونوا — اليوم — أقل من ستين مليونا على الأقل .. وهو رقم متواضع ومتساهل بالنسبة لاحصائيات أخرى تتجاوز هذا الرقم . فبأى الأرقام تأخذ من هذا الكم المتناقض والروايات المتضاربة ، والتفاوت الكبير بين الحدين الأدنى والأعلى . ان جميع الأرقام التى نشرت قبل قيام الثورة لا يقل أدناها عن خمسين مليونا — ولايزيد أكثرها عن مائة مليون مسلم .

وفى ضوء هذه الارقام يمكن أن نقرر أنه لا يمكن الاتفاق بين مختلف الأطراف على تزوير عدد المسلمين فى الصين — ومن الصينيين أنفسهم — وأن تنشر هذه الأرقام دون التعليق عليها من أى مسئول . فى حكومة « صن يات صن » أو « تشانج كايشيك » .

ثم ان الأرقام « الرسمية » لا تتفق مطلقا مع حجم الولايات الاسلامية فى الشمال الغربى للصين . فمساحة ولاية « سنتكيانج » فقط تعادل مساحتها سدس مساحة الصين وكان فيها — كما قيل — ١٢٫٠٠٠ أثنا عشر ألف مسجد وخمسة عشر ألف اماما وخطيبا .... وتكمن فى باطنها أهم ثروات الصين الطبيعية وتمتد حدودها — الى مسافات بعيدة مع حدود الاتحاد السوفيتى .

وفى ولاية « كانصو » وعلى بعد حوالى أربعين ميلا من عاصمتها « لانشو » توجد منطقة كاملة أطلق عليها اسم « مكة المكرمة » لكثرة ما فيها من مساجد ومعاهد .

وهذا الرقم الرسمى يتخلف كثيرا عن الرقم الذى ذكره الزعيم « ماو » ابان الثورة — حيث ذكر للمسلمين عددا هو ثلاثون مليونا ، وكان ذلك قبل انتصار الثورة ، ودخولها الى « بكين » ظافرة . ولو ارتضينا هذا الرقم واعتبرناه صحيحا مائة فى المائة . ثم تدرجنا مع الزمن فى تطور العدد السكانى للصين « الثورة » فلسوف يكون هذا الرقم ستين مليونا على الأقل مع الأخذ فى الاعتبار أن الزيارة السكانية — بين المسلمين — كما يقول بعض العلماء أكثر من غيرها بنسبة أربعة الى ستة .

وليس من المقبول — ولو شكلا — أن يكون للمسلمين فى تاريخ الصين هذه المكانة ، وهذا التأثير بحيث يصبح منهم الوزراء وقواد الجيش ، وحكام الولايات . ومنذ أيام الامبراطورية الى قيام الجمهورية على يد « صن يات سن » الى حكم « الثورة » على يد

(١) تأليف على الجرجاوى — القاهرة — ١٦٠٦

(٢) المصدر السابق .

« ماوتسي تونج » وأن تكون نسبتهم بالنسبة الى عدد السكان ما يزيد قليلا عن الواحد في المائة .

قد يكون الرقم الرسمي محتملا بالنسبة للقوميات المتمايزة . حيث يمثل المسلمون الاغلبية الساحقة بين هذه القوميات ولكن قصر الاسلام على القوميات المسلمة — في الأصل — تعسف يرفضه العقل ، والمنطق .

لقد ذكر بعض المؤرخين الصينيين : (١) أنه كان للمسلمين الصينيين — فيما مضى ٤٠٫٠٠٠ أربعون ألف مسجد كانت تقام فيها صلاة الجمعة ، كما كان ملحقا — بكل مسجد مدرسة لتعليم الدين واللغة العربية . ومثل هذا العدد من المساجد والمدارس لا يوجد الا في الدول ذات الغالبية المسلمة ، ولو طبقنا هذا الرقم على نظيره في البلاد ذات الأغلبية الاسلامية . فلسوف نجد أن هذا الرقم قريب من رقم عدد المساجد في مصر التي يبلغ عدد سكانها حوالي خمسين مليون نسمة .

ومن المنطق أيضا . الا نأخذ هذه الأرقام مسلمة كلها — نظرا لعدم وجود احصائيات وثيقة تصنف الناس حسب دينهم ومعتقداتهم . ولكن من المنطق أيضا . أن تقرر أن تحديد عدد المسلمين في الصين بـ ١٣ ثلاثة عشر مليونا — كما تقول الدوائر الرسمية — غير مقبول ولا منطقي أيضا . فليس من المعقول أن تكون احصائيات المسلمين في الصين قبل الثورة تتراوح بين الخمسين والمائة مليون . ثم تهبط التقارير الرسمية بهذا العدد الى ما يزيد عن العشر .

« .. عندما كتب أحد سفلة الكتاب الكفار في (مجلة الآداب الصينية) حكاية فكاهية بهيمية خلاصتها أن المسلمين لا يأكلون لحم الخنزير لأنهم أبناء الخنزير وطبعت المطبعة الحديثة بشنغهاي هذه الحكاية كتابا مستقلا ، فقام المسلمون فشنغهاي يتشاورون في الجمعية العلمية الاسلامية الصينية في هذا الأمر الخطير فاتفقوا على أن يقدموا احتجاجا على ادارة المجلة ، فوعد رئيس تحريرها أن ينشر في الجرائد اليومية المشهورة اعتذاره الى المسلمين ويصحح الغلط في الحكاية في العدد الأخير من نفس المجلة ويضمن الا يقع فيها مثل هذه الحادثة مرة أخرى ويحرق بحضرة المسلمين الباقي من العدد الذي فيه الحكاية ولكن المسلمين في بكين لم يقتنعوا بهذه التسوية ، فاجتمعوا وتشاوروا في لجنة الدفاع عن الاسلام . وفي أثناء الاجتماع قطع السيد الغيور « ليهيتين » سبابته فسال الدم فكتب بدمه هذه الكلمة : « دافعوا عن دينكم » فبلغت حماسة المسلمين الحاضرين ذروتها ، وغطت الغيوم سماء المجلس ، فتحالف الحاضرون أن يدافعوا عن دينهم الى النهاية مهما كلفهم الأمر ، وأجمعوا على أن يبرقوا الى المسلمين في البلاد كلها ويوفدوا أربعة مندوبين الى نانكين ليشكوا الى الحكومة الصينية المركزية ما في هذه الحكاية الخبيثة ، وقد شاركهم في ذلك المندوبون من قبل المسلمين في شنغهاي ، والرسائل البرقية

بقية ص ٧٧٧

(١) تقويم البلاد الاسلامية — المؤتمر الاسلامي — كراتشي ١٩٦٥ .

اسطورة الإله المتجسد

THE MYTH OF GOD INCARNATE

تتعرض المسيحية فى الغرب فى عصرنا الحاضر لنقد شديد • وقد يتبادر الى الذهن أن الذى يقوم بهذا النقد هم بعض أعداء المسيحية فى الغرب ، أو على الأقل فريق من غير المسيحيين هناك • ولكن الواقع غير ذلك •

فالذى يقوم بهذا النقد هو فريق من المسيحيين الغربيين أنفسهم وليس هذا الفريق من المسيحيين العاديين ، بل من العلماء البارزين ورجال الدين المتخصصين فى دراسة المسيحية وتدريسها بالجامعات •

ومن ثم فالنقد الذى نعرضه ونقيمه فى هذه الدراسة ليس نقدا عاطفيا أو خطابيا ، وإنما هو نقد علمى موضوعى (فى كثير من جوانبه)، قام به عدد من كبار علماء المسيحية المتخصصين فى علم اللاهوت ، وهو العلم الذى يبحث فى العقيدة المسيحية •

وقد ظهر هذا النقد فى كتاب بالانجليزيه من عشرة فصول بعنوان :

اسطورة الاله المتجسد

THE MYTH OF GOD INCARNATE

والكتاب يعالج عقيدة التثليث المحرفة ، ويركز بوجه خاص على مايترتب عليها من الزعم بأن عيسى (عليه السلام) إله متجسد ، أى أن الله — تعالى عما يقولون علوا كبيرا — قد تجسد فيه •

وقد اشترك فى تأليفه سبعة من أساتذة اللاهوت فى عدد من أشهر الجامعات البريطانية ونشر فى لندن لأول مرة سنة ١٩٧٧ ، وأعيد طبعه للمرة السادسة سنة ١٩٨١ (وهذه الطبعة الأخيرة هى التى اعتمدنا عليها فى هذا البحث)•

وقد أثار الكتاب عقب نشره لأول مرة عاصفة شديدة من الجدل العقائدى لم تعرف لها بريطانيا مثيلا منذ الستينيات ، كما أثار العديد من التعليقات العدائية فى معظم الصحف المسيحية ، وظهرت عدة كتب ومقالات تتناوله بالهجوم أكثر مما تتناوله بالنقد المتزن ، وطالب مجلس الكنيسة الانجليزية أن يستقيل معظم مؤلفى الكتاب من مناصبهم الدينية ، اذ يفهم من نقدهم لعقيدة التجسد أنهم قد خرجوا على المسيحية ، وان كانوا هم أنفسهم لايوافقون على ذلك •

للدكتور أحمد عبد الحميد غراب

وبالرغم من هذا فقد نجح الكتاب وأقبل عليه القراء اقبالا شديدا (١) .

ولعل من أهم العوامل فى الاقبال على الكتاب هو استعمال كلمة أسطورة MYTH فى عنوانه . فقد فهمها معظم الناس بمعناها الشائع فى اللغة الانجليزية وهو « خرافة » ويشير أحد مؤلفى الكتاب الى هذا المعنى فيقول : « ان الفهم الشائع للأسطورة أنه نوع من السراب ، شىء يقود الناس الى لضلال » (٢) .

ومقتضى هذا الفهم أن عقيدة التجسد المسيحية انما هى خرافة لاتتفق مع الحق ، ولايصدقها العقل ، بل هى فكرة مضللة للناس ومن ثم يجب رفضها .

وقد حاول معظم المؤلفين الدوران حول هذا الفهم الشائع ، فلجأوا الى معنى آخر للأسطورة وهو أنها تعنى التعبير التصويرى أو الرمزى عن فكرة ما ، لايمكن أن تفهم حرفيا على أنها حقيقة (٣) .

وأيا ما كان المعنى الذى يقصده هؤلاء المؤلفون فالنتيجة ـ فى نهاية الأمر ـ واحدة وهى التخلص من عقيدة التجسد لأنها ليست حقيقة ، ويستوى بعد ذلك أن تعتبر « خرافة » أو تؤول على أنها نوع من الرمز أو المجاز .

ومن العوامل الأخرى فى الاقبال على الكتاب أن معظم مؤلفيه من كبار الأساتذة الجامعيين ، وكبار رجال الدين المسيحى ، فى نفس الوقت :

فالأستاذ « موريس دايلز » هو أستاذ اللاهوت بجامعة أكسفورد ، وكان رئيسا للجنة من أهم لجان الكنيسه الانجليزية ، وهى لجنة العقيدة .

والدكتور « نينهام » هو أستاذ اللاهوت بجامعة كمبردج ، وله صوت مسموع فى مجالس الكنيسة الانجليزية .

والأستاذ هولدن هو عميد كلية ريبون ، وهى فى طليعة الكليات المتخصصة فى الدراسات اللاهوتية بانجلترا .

---

(١) للمزيد من التفاصيل عما اثاره الكتاب من جدل عقائدى راجع :
Michael Goulder (Edr.) : INCARNATION AND MYTH : THE DEBATE CONTINUED
(التجسد والاسطورة : المناظرة مستمرة)
SCM Lrd. London 1979. Foreward and PP. 1 – 16.

(٢) راجع : P. 16 H (الاسطورة فى علم اللاهوت)
Maurice Wiles : Myrk in Theology,

(٣) راجع Mausice Wiles : Ibid. P. 154.

والدكتور « جون هيك » كان أستاذا للاهوت بجامعة برمنجهام ، وهو معروف بالدفاع عن العقيدة المسيحية من خلال كتاباته الفلسفية (وهو المحرر العام للكتاب) •

والأستاذ « دون كيوبيت » ــ بالاضافة الى تدريسه اللاهوت بجامعة كمبردج ـ يعتبر المتحدث بلسان الكنيسة على شاشة التليفزيون•

فمؤلفو الكتاب اذن هم أساتذة ورجال دين يعدون « محافظين » ، ولايقاسون مثلا بأولئك «التقدميين » الألمان الثائرين على العقيدة المسيحية فى العصر الحاضر •

ومن اهم الأسباب فى نجاح الكتاب كذلك أنه يعالج موضوعا يلقى اهتماما كبيرا بين الناس ، ويعبر عن شكوك كثير من المسيحيين •

فان الشك فى العقيدة المسيحية المحرفة التى تزعم تاليه المسيح هو شك آخذ ينتشر فى السنوات الأخيرة بين المسيحيين الغربيين ، حتى المتدينين منهم • ولذلك كانوا ــ ومازالوا ــ يتلهفون على أن يجدوا من يعبر عن الشكوك التى تختلج فى نفوسهم حول المسيحية • ومن هنا كان اقبالهم على الكتاب كبيرا •

ومهما يكن فقد آثار الكتاب ــ كما رأينا ــ عاصفة شديدة من النقد والاحتجاج •

ولتهدئة هذه العاصفة قرر المؤلفون عقد ندوة فكرية تضمهم ونقادهم ومخالفيهم فى الرأى ، ليناقشوا المشكلة فى هدوء • وفعلا عقدت الندوة ــ بعد حوالى سنة من صدور الكتاب ــ برئاسة أستاذ فلسفة الأديان بجامعة اكسفورد (١) •

وكان من أهم الموضوعات التى أثيرت فى هذه الندوة ــ الى جانب الموضوعات الرئيسية للكتاب ــ السؤال التالى :

هل مازال مؤلفو الكتاب يعتبرون مسيحيين ؟ أم ينبغى اعتبارهم خارجين على المسيحية ؟

وقد اتهمهم خصومهم المحافظون ــ من البروتستانت والكاثوليك على السواء ــ بأنهم قد خرجوا على المسيحية كما هى معروفة عند جميع المسيحيين ، وذلك للأسباب التالية :

١ ــ أن ماكتبوه يودى الى تمزيق المسيحية تمزيقا تدريجيا من جميع جوانبها : مصادرها وعقائدها (ولاسيما فيما يتصل بصحة الانجيل وألوهية المسيح) •

٢ ــ أنهم أنكروا حقيقة « التجسد » ، أى أنكروا عقيدة من العقائد الأساسية فى الديانة المسيحية ، فهى القاعدة التى ينبنى عليها الايمان المسيحى ، ويتفرع عنها علم اللاهوت •

٣ ــ أنهم خالفوا العقائد الرئيسية كما اتفق عليها مجمع خلقيدونية (وهو المجمع الذى عقد سنة (٤٥١ م) وقرر أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين : انسانية وإلهية) •

٤ ــ أنهم أخرجوا للناس مسيحية غير المسيحية التى شب المسيحيون جميعا على

---

(١) عن هذه الندوة وما احدثه الكتاب من ردود فعل بوجه عام راجع :

Michael Gaulder (Edr.) : Ibid. PP.

اعتقادها . ومن التضليل أن تدعى « مسيحية » هؤلاء المؤلفين مسيحية .

ولكن المؤلفين — حتى الآن — مازالوا يعتبرون أنفسهم « مسيحيين » وان كانت مسيحيتهم من نوع مختلف .

المسيح بشر رسول .

ان التمهيد الذى كتبه محرر الكتاب وتحدث فيه باسم المؤلفين جميعا — ليلقى الضوء على أهم أهداف الكتاب .

يقرر هذا التمهيد أن من الواضح للمؤلفين — ولكثير من المسيحيين المعاصرين — أن المسيحية قد تعرضت خلال تاريخها الطويل للنمو والتغير المستمر ، وبخاصة فى عقائدها . ولذلك فقد تعرض علم اللاهوت فيها الى تطورات عديدة ، نشأت من أن الكنيسة قد مرت بفترات تاريخية متنوعة ، واستجابت لظروف ثقافية شديدة الاختلاف . والحقيقة هى كما قال الشاعر المسيحى ت . س . اليوت : « ان المسيحية تكيف نفسها دائما لشىء يمكن أن يعتقد » .

ففى القرن التاسع عشر ، واستجابة لتقدم المعرفة الانسانية بوجه عام ، وتقدم العلوم بوجه خاص — « تأقلمت » المسيحية الغربية فقبلت مبدأين جديدين عليها كل الجدة ، وهما :

١ — أن الانسان جزء من الطبيعة : أى أن الانسان نشأ فى اطار التطور لأشكال الحياة على الأرض .

(وقبول هذا المبدأ يدل على قبول المسيحية الحديثة لنظرية دارون فى التطور ، بالرغم من أن هذه النظرية تناقض عقيدة خلق الله للانسان مختلفا اختلافا جوهريا — بسبب ما نفخ الله فيه من روحه — عن الحيوان وعن المادة) .

٢ — أن العهد الجديد (الذى يبدأ بالأناجيل الأربعة) قد ألفه بشر مختلفون فى ظروف مختلفة بعد زمن المسيح عليه السلام . ومن ثم فلا يمكن أن تضفى عليه حجية الوحى الالهى .

ولكن تكيف المسيحية الغربية لقبول هذين المبدأين لم يتم الا بعد مقاومة الكنيسة مقاومة شديدة ، ولفترة طويلة للحقائق العلمية . ومازال لتلك المقاومة آثار سيئة حتى اليوم (وبخاصة فى الانفصام المعروف فى الغرب بين الدين والعلم) .

ومازالت المعرفة الانسانية والعلوم مستمرة فى النمو والتقدم بدرجة متزايدة ، ولذلك مازالت المسيحية تتعرض لضغوط شديدة ترغمها على الاستمرار فى عملية التكيف للظروف المتغيرة ، أى ان تكيف نفسها دائما لشىء يمكن أن يعتقد ، وبخاصة من جانب المسيحيين المعاصرين المتاثرين بشخصية المسيح ورسالته .

ولعل أهم مايجعل لهذا الكتاب قيمة علمية أن مؤلفيه مقتنعون تماما بأن تطورا هاما آخر فى العقيدة المسيحية ينبغى أن يحدث خلال هذا الجزء الأخير من القرن العشرين .

والحاجة الى هذا التطور تنبع من نمو المعرفة بأصول المسيحية ، وتشمل — كما يقرر التمهيد — الاعتراف بأن المسيح بشر ، وذلك كما وصف فى العهد الجديد بأنه « رجل قد تبرهن

من قِبَل الله » أي أيده الله بمعجزات « وآيات صنعها الله بيده » (١) •

وهذا الوصف يدل على أن المسيح بشر أرسله الله وأيده ببراهين المعجزات ، ليؤدى دوره (رسولا من الله) فى اطار الهدف الالهى من خلق الانسان •

ومعنى هذا — كما يؤكد الكتاب فى كل فصوله — أن تصور المسيح فى فترة متأخرة من رسالته إلها متجسدا (فى شكل انسان) — هذا التصور ليس حقيقة ، وانما ينبغى أن يفهم على أنه أسطورة ، أى مجرد طريقة رمزية للتعبير عن أهمية المسيح بالنسبة للمسيحيين •

ولذلك يدعو المؤلفون جميعا الى التخلص من عقيدة التجسد ، والابقاء عليها كأسطورة فقط • ويخالفهم فى هذا الموقف واحد منهم وهو « دون كيوبيت » فهو الوحيد الذى دعا الى التخلص النهائى من هذه العقيدة ، وعدم الابقاء عليها حتى كأسطورة (٢) •

والجميع يأملون بتأليف الكتاب تخليص تصور المسيحيين لله وللمسيح من التشويش والاضطراب •

وفيما يلى نتناول بالعرض والتقييم أهم الأفكار التى تتردد فى الكتاب عن عقيدة التجسد والتى تتركز فى ثلاثة فصول : فصلان يمثلان الاتجاه الى التخلص منها حقيقة والابقاء عليها أسطورة ، وفصل يمثل الاتجاه الى التخلص منها نهائيا •

**

المسيحية وعقيدة التجسد :

فى الفصل الاول من الكتاب يقدم المؤلف (٣) معنيين لعقيدة التجسد :

المعنى الأول (وهو المعنى العام) : أن المسيحية دين يقيم الانسان فيه صلته بالله عن طريق العالم المادى ، أى باضفاء المعانى الروحية على هذا العالم ، والقول بامتزاج « الربانية » بالبشرية ، ليس فى المسيح وحده، بل فى كل انسان •

والمعنى الثانى (وهو المعنى الخاص) : أن المسيحية دين عقيدته الرئيسية هى تجسد الله (تعالى عما يقولون علوا كبيرا) فى شخص فرد معين ، وهو عيسى بن مريم (عليهما السلام) •

والمعنى الثانى هو المعنى المعروف والشائع بين المسيحيين ، وهو يقرر أن عيسى (على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام) ذو شخصية فذة لانظير لها فى التاريخ الانسانى : فهو من ناحية بشر كامل البشرية ، ومن ناحية أخرى إله كامل الألوهية !!

---

(١) أعمال الرسل ٢ : ٢٢ وراجع أيضا مرقص ١٢ : ٢٨ — ٣٢ حيث يقول المسيح : « الرب الهنا رب واحد » (وأيضا ١٠ : ١٨) ومتى ٢١ : ١١ ، ٢٢ : ٨ ، ولوقا ١٣ : ٣٣ — ٣٤ . وحتى انجيل يوحنا ١٧ : ٣ — ٤ •

(٢) راجع :
Don Cujrilt : The Christ of Christendom P. 133 (مسيح العالم المسيحى)

(٣)
Mausice Wiles : Christianity Withovt Incarnaition
PP. 1 — 10 . (مسيحية بدون « عقيدة » التجسد)

ويتساءل المؤلف : هل هذه العقيدة (بالمعنى الثانى) ضرورية للمسيحية ؟ ألا يمكن أن تكون هناك مسيحية بدون هذه العقيدة ؟

ويشير الى أن أكثر المسيحيين يرونهـــا جوهرية ، ولايتصورون مسيحية بدونها .

ويبين أن هذا فهم خاطئ ، وأن عقيـــدة التجسد ليست جوهرية ولاضرورية ، فقـــد بنيت على فكرة خاطئة ، وهى أن عيسى ابن الله وأن الأب تجسد فى الابن ، ومن ثم فعقيـــدة التجسد خاطئة من عدة وجوه :

فأولا : ليس لها أصل صريح حتى فى الأناجيل التى ألفها البشر ، لأنها نشأت فى مرحلة متأخرة من ظهور المسيحية . ولذلك لانجد لها ذكــرا صريحا مباشرا فى الأناجيل الثلاثة الأولى (وهى أناجيل متى ومرقص ولوقا) . وحتى انجيــل يوحنا الذى يعد أقرب الأناجيل الى الاشـــارة الى عقيدة التجسد لايذكرها بالصـــورة التى عرفت بها فى العصـــور التالية لظهـــور المسيحية (١) .

وثانيا : أن مؤلفى الأناجيل لـــم يكتبـــوا أناجيلهم كشهود عيان للمسيح (يحدد الباحثون الفترة التى ظهرت فيها الأناجيل الأربعـــة ما بين حوالى سنة ٧٠ وسنة ١١٠ بعد زمـــن المسيح) (٢) . ومعنى هذا أنهم لم يكـــونوا مجرد نقلة يروون تعاليم المسيح كما سمعوها

ولم تكن لهم عقيدة واحدة تجمعهم ، وانمـــا كانوا مفسرين يعبرون عن أهمية المسيح بطرق شديدة الاختلاف (حسب اختلاف شخصياتهم واهتماماتهم) ، ويصفونه بألقاب شديدة التنوع ومنها : « النبى » و « ابن الانسان » و « كلمة الله » و « المخلص » . وقد بلغت هذه الألقاب ذروتها فى « ابن الله » .

* * *

ويؤكد الكتاب — فى فصل آخر (٣) — أن ألقاب عيسى (عليه السلام) فى العهد الجديد ولاسيما « المخلص » و « الرب » و « ابن الله » انما أخفاها عليه المسيحيون الأوائل ، ولم يدعها المسيح قط لنفسه .

وهذه هى الحقيقة التى أعلنها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا فى قوله تعالى :

« وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ .

---

(١) ورد فى هذا الانجيـــل : « والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لو حيد من « الا ب » يوحنا ١ : ١٤ .

(٢) راجع موريس بوكاى : **التوراة والانجيـــل والقرآن : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة** . الترجمة العـــربية لدار المعارف (ط . رابعة دار المعارف القاهرة ١٩٧٧) ص ٧٣ ، ٧٥ — ١٠٢ .

(٣) راجع : (تعدد الشهود)
Fronces Young : ((Acloud of Witnesses)) PP. 13 and 17.

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ » المائدة ١١٦- ١١٧

وثالثا : أنها عقيدة متناقضة .

فلم تنجح الكنيسة قط ــ رغم محاولاتها المتكررة خلال تاريخها الطويل ــ فى أن تقدم للناس صورة معقولة أو متناسقة أو مقنعة للمسيح على أنه بشر كامل البشرية ، و إله كامل الألوهية ، فى آن واحد .

وفى معظم محاولاتها نراها تضحى بانسانية المسيح (لتثبت ألوهيته) ، فنخرج فى النهاية بصورة للمسيح لا نكاد نتعرف فيها عليه كانسان !

ويستشهد المؤلف بأمثلة تاريخية تدل على اضطراب الكنيسة وعلماء اللاهوت فى تقديم هذه العقيدة للناس .

ومن أهم هذه الأمثلة ما يتعلق بصفات المسيح الانسان ، ولاسيما صفة الارادة وصفة العلم .
فمن حيث صفة الارادة يعود بنا المؤلف الى القرن السابع الميلادى ، حين نشأ نزاع بين المسيحيين حول ما اذا كان المسيح ذا ارادة واحدة (إلهية) ، أو ارادتين (إلهية وإنسانية)؟

وكانت الأغلبية فى جانب الرأى القائل بالارادتين ، مما يوحى على الأقل باعطاء بعض الأهمية للجانب الانسانى فى المسيح .

ولكن أصحاب هذا الرأى أصروا على أن طبيعة المسيح الانسان لا تحتوى على أى نقص مما تحتويه طبائع البشر ! وكذلك ارادته لا تحتوى على أى ضعف !

وأما من حيث العلم فقد أصر الجميع ــ حتى أصحاب الاتجاه الانسانى ــ على أن علم المسيح الانسان يشارك علم الله فى احاطته بكل شىء !

ويعلق المؤلف على اتجاه الكنيسة لتصوير المسيح بشرا وإلها فى آن واحد بأنه اتجاه لا يستند الى أى حجة معقولة ، ويؤدى الى نتائج لا يبررها أى دليل .

وينتهى الى التشكيك فى عقيدة التجسد ، وأنها تقول بكائن هو (إله ــ انسان) معا ، وأن مفهوم هذا الكائن لا يتصوره العقل فضلا عن أن يقبله .

* * *

ما البديل :

يتضح مما تقدم أن المؤلف يحاول أن يخلص المسيحية من عقيدة التجسد . ولكن ما البديل ؟

هل هو رفض عقيدة التثليث كلية ورفض

ما يترتب عليها من « تجسد » ؟ والرجوع الى عقيدة التوحيد ؟

كان ينبغى أن يكون جواب المؤلف على هذا السؤال : نعم . فمن الواضح أن ذلك هو الجواب الصحيح ، وهو النتيجة المنطقية التى ينبغى أن يقبلها كل من يرفض عقيدة التجسّد . وبديهى أن عقيدة التوحيد هى البديل الوحيد لكل عقائد الشرك والوثنية .

والبديل فى رأيه بايجاز : هو التخلص من التجسُّد كعقيدة ، والإبقاء عليها كأسطورة . أى لا ينبغى أن تفهم على أنها حقيقة ، بل تؤول على أنها نوع من التعبير المجازى أو الرمزى عن أهمية المسيح بالنسبة للمسيحيين . وبعبارة أخرى : أنه لا يقصد بها إضفاء الألوهية على المسيح بل مجرد تمجيده وتكريمه .

(ألا يكفى اصطفاء الله إياه رسولا الى بنى اسرائيل ، وأنه آتاه « الانجيل فيه هدى ونور » — ألا يكفى ذلك تمجيدا وتكريما ؟!)

عيسى والأديان العالمية :

فى فصل بهذا العنوان ، يعبر الكاتب (١) عن حيرة المسيحيين المعاصرين عند ما يحاولون الحديث عن عيسى الشخص الحقيقى التاريخى الذى عاش فى الجليل فى الثلث الأول من القرن الأول الميلادى .

ومن أهم أسباب هذه الحيرة أن الدراسة العلمية الموضوعية للعهد الجديد قد أثبتت أن الحقائق المتاحة عن عيسى هى حقائق قليلة ومبعثرة وغامضة ، وأن الخيال الفردى والجماعى قد لعب دورا كبيرا فى رسم « صور » المسيح عند المسيحيين عبر العصور .

ويرى الكاتب أن هذه الصور لا تمثل الحقيقة، بل تمثل عمليه إسقاط PROJECTION لتطلعات المسيحيين وحاجاتهم الروحية مختلفة باختلاف الظروف والحقب التاريخية .

وهذا ينطبق بوجه خاص على تصويرهم للمسيح على أنه « إله متجسد » ، وهى الصورة التى شاعت بين المسيحيين منذ حددها مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م .

وقرار هذا المجمع يصف المسيح بأنه « الابن الوحيد لله » وأنه ولد من أبيه قبل العوالم كلها وقبل كل زمان ، وأنه « ليس بمصنوع » أى ليس بمخلوق ، وأنه « إله حق من إله حق من جوهر أبيه » (؟ !) .

وهذا القرار يكفر كل من يقول بمرور زمان لم يكن عيسى موجودا فيه ، أو أنه خلق من

---

(١) John Hick : Jesus and The World Religions. P. 167.

لا شيء ، أو من جوهر غير جوهر الأب ، أو أنه قابل للتغير ..

ويستبعد الكاتب كل الاستبعاد أن يكون عيسى (عليه السلام) قد وصف نفسه بمثل هـــذه الأوصاف ، او فكر فيها ، أو علمها لأحد . ومن ثم يشك فى صحة ما نسب الى المسيح فى انجيل يوحنا من أقوال مثـــل : « أنا والأب واحد » (٢) و « لا (يستطيع) أحد أن يصـــل الى الأب الا عن طريقى » .

ويؤيد الكاتب شكه هذا بملاحظة أن انجيل يوحنا يختلف عن الأناجيل الثلاثة الأخرى (متى ومرقص ولوقا) فى أن وعظ المسيح فى هــــذا الانجيل يتركز حول المسيح نفسه ، بينما يدور وعظه فى الأناجيل الأخرى حول مملكة اللـــه .

ويتتبع الكاتب التطور الخطير الذى طـــرأ على وصف المسيح ، اذ تحول وصفه وقد شاع

هذا الوصف الأسطورى (منذ مجمع نيقية) حتى ورثه المسيحيون اليوم .

ويتساءل الكاتب عن هذه الأوصاف : أهى حقائق أم مجـــــازات ؟ أهى تعبر عن أحكام تقييمية أخلاقية ؟ أم تعبر عن التـــزام دينى باتباع تعاليم المسيح ؟ أتفهم معانيها حرفيا أم رمزيا أم أسطوريا ؟

ويؤكد أنه من الضرورى أن تثار هـــــذه التساؤلات (للوصول الى الحقيقة) عن اللاهوت المسيحى الذى يقول بطبيعتين للمسيح ، ذلك اللاهوت الذى تحدد فى نيقية فى عقيدة يقصد بها أن تفهم حرفيا .

ويلاحظ أن الكنيسة قد فشـــلت فى كل محاولاتها أن تقنع الناس بمسيح ذى طبيعتين، فظل هذا المفهوم متناقضا ولا معنى له :

فالقول بأن عيسى بشر وإله معا هو كالقول بأن الدائرة هى مربع أيضا ! أى قول متنـــاقض لا يقبله العقل .

ويرى الكاتب أن هذه العقيدة لا ينبغى أن تفهم حرفيا ، بل على أنها رمز لا يعنى أكثر من التعبير عن أهمية المسيح عند المســـيحيين والتزامهم بتعاليمه .

ويرى كذلك أن الفهم الحرفى لهذه العقيدة فهم خاطىء ، ولايتفق مع التطور العلمى فى العصر الحديث . وقد أدى هـــذا الفهم فعـــلا الى الصدام بين الكنيسة والعلم منذ القـــرن السابع عشر حتى الآن .

وينتقد الكاتب عقيدة أخرى ترتبت على عقيدة

---

(٢) يوحنا ١٠ : ٣٠

التجسد ، وهى اعتقاد المسيحيين أن خلاص البشر لا يتحقق الا عن طريق اتخاذ المسيح واسطة بينهم وبين الله • فالاعتقاد بهذه الوساطة يؤدى الى القول بان المسيحية وحدها — دون غيرها من الأديان — هى السبيل الوحيد للنجاة فى الآخرة • ويرى أن هذا الاعتقاد كان قليل الضرر عند ما كانت المسيحية والمسيحيين بين أتباع الأديان الأخرى ، ولاسيما مع وجود الصراع بين المسيحية والاسلام ، وتحالف المسيحية مع الاستعمار الغربى الحديث ضد اغلبية شعوب العالم من غير المسيحيين •

ولذلك يقترح الكاتب نوعا من العقيدة العالمية التى تحقق رؤية دينية شاملة للعالم كله ، وتنظر اليه كوحدة انسانية أمام الله • وفى الوقت نفسه تأخذ بعين الاعتبار ذلك التعدد بين الأديان على أنه يمثل طرقا كثيرة تؤدى كلها الى الله • ولهذا حاول الكاتب — كما يقول — أن يطور علما عالميا جديدا للعقيدة يشمل جميع الأديان (١)

* * *

اننا حتى لو افترضنا حسن نية الكاتب فى هذه المحاوله فمن الواضح أنه ضل الطريق :

فإذا كان يريد عقيدة عالمية صالحة للانسانية فى كل زمان ومكان فلا شك أنها عقيدة التوحيد الخالص ، التى لم تشبها هذه الأساطير والمتناقضات ، والتى تقبلها الفطرة السليمة ، ويصدقها العقل والحس والبصيرة والوجدان ، أى يشهد لها كل كيان الانسان •

والاسلام وحده هو الذى يقدم هذه العقيدة •

أما زعم الكاتب أن جميع الأديان الأخرى تؤدى الى الله الواحد فهو زعم ظاهر البطلان ، إذ كيف تؤدى الوثنية الى الله ؟ وكيف يؤدى الشرك الى التوحيد ؟ أليس هذا أشبه بقول المشركين عن أصنامهم : « **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** » (٢) ؟ وكيف يؤدى التحريف أو التأويل فى العقائد غير الاسلاميه ومصادرها الى رؤية الحق واتباع الهدى ؟ •

اذا كان الكاتب يبحث عن الهدى للانسانية كلها فهذا الهدى ماثل أمامه فى القرآن الكريم ، وهو الذى يحتوى على الوحى الصادق المعصوم الذى نزل على خاتم الأنبياء والمرسلين شاملا لكل ما أوحى الى الأنبياء من قبل ، ومنهم عيسى (عليه وعلى نبينا والأنبياء جميعا — لانفرق بين أحد منهم — صلوات الله وسلامه) •

فلماذا لا يتخذ هذا الكتاب العزيز الوسيلة الى وحدة الانسانية على الحق والهدى ؟ :

« **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** » (٣) •

---

(١) وذلك فى كتابه : **الله وعالم العقائد**
GOD AND THE UNIVERSE OF FAITH
(Macmillan , London 1973)

(٢) الزمر ٣/٣٩ •
(٣) الأنعام ١٥٣/٦ •

تطور صورة المسيح فى العالم المسيحى :

فى فصل من أهم فصول الكتاب يعالج كاتبه (١) هذا الموضوع علاجا تاريخيا فلسفيا يجمع بين العمق والطرافة .

يروى أن يوحنا الدمشقى (٦٧٥ — ٧٤٩ م) — وهو قسيس ومتكلم مسيحى عاش فى دمشق فى عصر الدولة الأموية — كان يؤيد تقديس الأيقونات (وهى تماثيل صغيرة للمسيح والقديسين) فقيل له : انها بدعة لم يرد ذكرها فى الكتاب المقدس . فأجاب بأن التثليث وتساوى الأقانيم الثلاثة فى الألوهية ووجود طبيعتين للمسيح — كلها عقائد لم يرد ذكرها فى الكتاب المقدس ، ولكننا نعلم بالضرورة أنها حقائق !

ولهذا مضى يوحنا يحث المسيحيين على التمسك بها « لأنها تقاليد محترمة ورثناها عن الآباء . فاذا ضاعت هذه التقاليد فان الانجيل كله يصبح مهددا بالضياع » !

ولم يقتصر استعمال هذه الحجة (حجة التقاليد) على يوحنا الدمشقى ، بل استعملها غيره من رجال الدين المسيحى ، مثل تيودور الاستدايت (٧٥٩ — ٨٢٦ م) .

ويرى الكاتب أن هذين المثلين يبرزان خاصة غريبة من خصائص المسيحية ، وهى مقدرتها على التبدل والتغير و « التكيف » والسرعة التى يتم بها قبولها للبدع ، وإضفاء الهيبة الدينية على هذه البدع ، حتى أن من يحاول انتقادها (أى انتقاد البدع) فانه يجد نفسه متهما من قبل المسيحيين بأنه مبتدع خطير بل وزنديق !

ويستشهد الكاتب بمثال آخر من عصرنا الحاضر :

وهو اعلان الكنيسة ثناءها ودفاعها عن الأسرة . حتى لتكاد تعتبر احترام الأسرة وأداء كل مسيحى لواجباته الأسرية — أول وأهم مبدأ فى الأخلاق المسيحية ..

ومع ذلك فالأسرة فى الانجيل لا تحظى بأكثر من اهتمام شكلى . بل ان المسيح نفسه (طبقا للاناجيل) ينتقد نظام الأسرة نقدا شديدا لأسباب دينية ، ويؤكد أن الدعوة الى مملكة الله هى دعوة تقع خارج وظائف الأسرة، وليس فى اطارها .

أما تمجيد الأسرة فهو اتجاه حديث ، أيدته الكنيسة (مجاراة للعصر) ، فلا يجرؤ قسيس معاصر أن يؤيد علنا آراء المسيح فى الأسرة (كما روتها الأناجيل) .

(ما يقوله الكاتب عن موقف المسيحية من الأسرة صحيح . راجع مثلا ما نسب الى المسيح من أنه قال : « ان كل أحد يأتى الى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته وأخواته لا يقدر أن يكون لى تلميذا » (٢) وأنه قال :

---

(١) راجع :
Don Cupitt : (The Christ of Christendom) P. 133

(مسيح العالم المسيحى)

(٢) لوقا ١٤ : ٢٦ .

« ما جئت لألقى سلاما بل سيفا ، فانى جئت لأفرق الانسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماتها . وأعداء الانسان أهل بيته » (١) . ومن المعروف أن المسيحية وبخاصة الكاثوليكية لا تشجع الزواج ولا الأخذ بأسباب قيام الأسرة وسعادتها ، بل تشجع الرهبانية والعزوبة ، واحتقار الجسد ، والزهد المطلق فى المال) .

التمرد على عقيدة التجسد :

يؤكد الكاتب ـ كزملائه ـ أن عقيدة التجسد لا تمت بصلة إلى جوهر المسيحية الأصلية (أى غير المحرفة) ، وأنها أضيفت اليها فى عصور لاحقة ، وتعرضت للتطور ، ثم أخذت تدريجيا فى الانهيار . ويشير الى أن هذا الانهيار داخلى ، أى يحدث بين المسيحيين أنفسهم . ويؤكد هذه الحقيقة فيعرض تاريخ التمرد على عقيدة التجسد ـ منذ القرن التاسع عشر ـ ليثبت أنها تنهار تدريجيا ، ليس بين المسيحيين « العقلانيين » فحسب ، بل بين كبار رجال الدين المسيحى أنفسهم .

الوثنية فى الفن والعقيدة :

يشير الكاتب الى ما ورد فى التوارة من تحريم اتخاذ الصور والتماثيل للعبادة (٢) ، وأن هذا التحريم كان مطبقا ومحترما بين المسيحيين الأوائل .

وعندما بدأ الفن المسيحى (رسم الصور ونحت التماثيل) يظهر فى القرن الرابع الميلادى ـ قوبل أول الأمر بمعارضة شديدة بين رجال الدين الذين استنكروا تصوير الصلب ، أو إقامة تمثيل وأيقونات فى الكنائس للمسيح أو للقديسين ، لأن كل ذلك يعد من مظاهر الشرك والوثنية .

ولكن ما لبث الفن المسيحى أن نشأ وتطور كجزء من عملية معقدة صبغت المسيحية كلها بصبغة وثنية فى عقيدتها وعبادتها ونظمها وتعاليمها الاجتماعية .

ويقرر الكاتب أن الفترة التى ظهرت فيها عقيدة التجسد هى نفس الفترة التى ظهرت فيها وثنية الفن ، ولاسيما ظهور أيقونات كثيرة للمسيح فى الكنائس (بقصد العبادة والتقديس) .

ويرى أن هذا التطور ـ بمظهريه فى الفن والعقيدة ـ قد تأثر بحاجات وضغوط سياسية فى الامبراطورية الرومانية (وظهر هذا التأثر كنوع من « تبادل المصالح » بين الكنيسة والامبراطورية) :

فعلم اللاهوت فى القرن الرابع كان يتبع خطى الفلسفة السياسية الهلينية فى نظام الحكم الملكى : فالله مدبر الكون ، كما أن الملك مدبر الدولة . والروح الالهى (الكلمة) تحل فى الملك وتعلمه أن يحتذى الفضائل الربانية وأن يكون راعيا صالحا لرعيته ، فيخلصهم من الذنوب ، ويقودهم الى مملكة السماء . فكان الملك فى هذه

(١) متى ١٠ : ٣٤ ـ ٣٨ .

(٢) راجع سفر الخروج ٢٠ : ٤

النظرية كأنه « إله متجسد » يقوم بمهام شبيهة بمهام المسيح ، ولاسيما بدور الوساطة بين الله والناس .

ومن جهة أخرى قدم (المسيح) للناس على أنه « امبراطور » عالمي ، أضفيت عليه ألقاب تشبه ألقاب الأباطرة الرومان . فالامبراطور الروماني كان يعتبر نفسه إلها وابن إله ! وقد وصف يوليوس قيصر بأنه إله من سلالة آلهة ! وأنه « مخلص » الانسانية (١) !

وفي مقابل ذلك أضفى المسيح المشروعية (الدينية) على الامبراطور ! ومنحت بالتدريج امتيازات مهمة لرجال الكنيسة تشبه امتيازات رجال البلاط الامبراطوري ، وتتمثل هذه الامتيازات في شاراتهم وأروابهم المزركشة الزاهية الألوان ! وحتى العبادة في الكنيسة استعارت كثيرا من الطقوس التي كانت متبعة في القصر الامبراطوري .

وكل هذا أدى الى تغيير الطريقة التي كان يقدم بها المسيح للناس في اللوحات الفنية والتماثيل :

فبدأ المسيح يظهر (في اللوحات والصور) كأنه حاكم متربع على عرش الكون ، واتخذ مظهر الامبراطور : على مفرقه التاج ، وعرشه مزين بالجواهر والحشايا الأرجوانية ! وقد أقبل الناس يقبلون يديه ورجليه ! وأحيط بالحاشية الملائكية . ولم يبق من المسيح « الحقيقي » الا وجهه الأسمر الملتحي ذو السحنة السامية ، وهو ينظر بحزن من مكانه الجديد المثير للسخرية !

وقد حدث ما يشبه ذلك لكل من له بالمسيح صلة : فبدت مريم في صورة الامبراطورة الأم ، وظهر الحواريون في هيئة أعضاء مجلس الشيوخ الروماني ، وأصبح الملائكة يمثلون حاشية الامبراطور ، بينما جاء القديسون للمثول بين يديه ، وتقديم القرابين إليه !

لقد استنكرت المسيحية القديمة الطقوس الامبراطورية ، ولكنها أخذت — منذ القرن الرابع — تتشكل في تلك الطقوس نفسها !

فلا عجب اذن أن يرى الأباطرة في اعادة تحديد العقيدة المسيحية (أي تغييرها من عقيدة توحيد الى عقيدة تثليث وتجسد ووساطة) أهمية سياسية قصوى ، (إذ أصبحت الكنيسة بهذا التغيير مسخرة لخدمة مصالحهم) . فلما حددت المسيحية تحديدا يرضيهم أيدوها بكل قوى الدولة . وبهذه الطريقة أسسوا نظاما سياسيا استمر (في أوروبا) بشكل أو بآخر حتى قيام الحرب العالمية الأولى .

* * *

الآثار السيئة لعقيدة التجسد :

يبين الكاتب هذه الآثار (وهي تدور حول التصور المنحرف لمفهوم الألوهية ومن ثم لمفهوم العلاقة بين الله والانسان) ويدلل على سوء هذه الآثار بأربع حجج :

١ — ان تأكيد هذه العقيدة بأن هناك وحدة

---

(١) راجع ايضا ص ٩٨— ١٠٠ من الكتاب

أبدية بين الألوهية والبشرية فى شخص واحد يؤدى الى الاعتقاد باستمرارية هذه الوحدة بين الله والعالم (مثل فكرة وحدة الوجود) . والقول بالوحدة بين الله والعالم يشوه رسالة المسيح :

فان حرية الانسان فى اختيار أفعاله (وبالتالى مسئوليته عنها) تقوم على مبدأ نادى به المسيح نفسه ، وهو الفصل بين ما هو إلهى وما هو بشرى ، وعلى تأكيده لحتمية الصراع بين القيم المتضادة : كالخير والشر ، والبر والاثم ، والعدل والظلم ، والربح والخسارة ، والحياة والموت ، والأمن والخوف ، والتبصر والحمق ..

ولكن عقيدة التجسد توحد بين هذه المتضادات ، وبهذا تلغى حرية الانسان فى الاختيار بينها (ومسئوليته عن هذا الاختيار) كما تضعف من تقديرنا للقيم المتميزة التى جاهد المسيح (عليه السلام) من أجلها .

لقد حولت هذه العقيدة فكرة الحرية الانسانية الى فكرة أخرى تؤكد الاستمرارية والطاعة ودكتاتورية السلطة (كما هو واضح فى السلطة البابوية التى تدعى العصمة) .

وعلى سبيل المثال : فإن مفهوم « الملك » فى المسيحية القديمة مختلف تماما ، بل ومتعارض أخلاقيا ، مع المفهوم الدنيوى « للملك » ولكن المسيحية (الرومانية) أزالت الفروق بين المفهومين : فأصبحنا نرى المسيح يتوج بيديه الامبراطور الرومانى ، ولا فرق بينهما فى المستوى إلا بمقدار درجة واحدة !

وفى عصر الأيقونات (منذ أواخر القرن الرابع الى نهاية العصر البيزنطى) أصبح المسيح والامبراطور فى درجة متساوية . وقد أعلن علماء الدين أنفسهم أن احترام أيقونة الامبراطور لا يقل عن احترام أيقونة المسيح !

وكذلك تغير مفهوم « السيد » LORD الذى يطلق على المسيح ، فقد كان مفهوما دينيا أخرويا فأصبح مفهوما « علمانيا » يؤكد السلطة الدنيوية . وبذلك أصبح المسيح قاعدة مذهبية للامبراطورية الرومانية ولسلطة الكنيسة ، وأضفى الشرعية على الأعراض الفانية فى الدنيا (أى السلطة الدنيوية العلمانية) .

وهكذا «كيفت» المسيحية عمدا لتصبح سلطة دكتاتورية مطلقة . وفقدت عقائدها وتعاليمها صبغة التوحيد الأصلية ، وتغلبت عليها صبغة العقلية اليونانية (الوثنية) ، وضاعت القيم (الدينية) التى تحدث عنها المسيح فى الانجيل (١) .

٢ ــ تدعى هذه العقيدة أن تجسُّدَ الله فى المسيح قد تمّ منذ الحمل به . وهذا يؤدى الى إلغاء كل جهاده (فى تبليغ الرسالة . أى لا يكون للمسيح الانسان أى فضيلة فى احتماله وصبره ومعاناته فى هذا التبليغ ، وتصبح كل جهوده لا قيمة لها .

٣ ــ أدّت هذه العقيدة ــ بسبب زعمها أن الله تجسّد فى المسيح ــ الى اتخاذ المسيح إلها

---

(١) راجع **يوحنا** ١٨ : ٣٣ ــ ١٩ : ١٦ ، متى ٢٠ : ٢٠ ــ ٢٨ ، **لوقا** ٢٢ : ٢٤ ــ ٢٧ .

يعبد مع الله أو من دون الله . وقد نشأ هذا الاتجاه الوثنى (الذى تمثل فى الصلاة للمسيح مباشرة وليس لله عن طريق المسيح كواسطة) بين خصوم مذهب أريوس (القـائل ببشرية المسيح ووحدانية الله تعالى) وذلك فى القرن الرابع الميلادى . وبالرغم مما لقيه هذا الاتجاه من معارضة شديدة فقد انتشر حتى صبغ المسيحية بصبغة وثنية واضحة .

ومن الأمثلة الحديثة على هذه الوثنية اتفاق المسيحيين (من جميع الفرق والمذاهب) على تكوين المجلس العالمى للكنائس على أساس عقائدى يعلن الاعتراف بعيسى « إلها ومخلصا » لا غير ! وبعد هذا الاعلان الذى صدر سنة ١٩٣٨ أصدر المجلس سنة ١٩٦١ إعلانا آخر يقرر اتخاذ عقيدة التثليث أساسا عقائديا للمجلس .

أن هذه المسيحية الوثنية يمكن أن تعد أصلا من الأصول البعيدة للكفر المعاصر ، وذلك لأنها حولت الناس من عبادة الله الى عبادة البشر . ولم تتورع هذه المسيحية أن تضفى على مريم لقب « أم الاله » وهو لقب يدل بوضوح على الكفـر .

سبحان الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا

٤ ـ أدت هذه العقيدة الى إعادة الفكرة الوثنية القديمة عن الله على أنه «انسان أعلى» SUBERHUMAN PERSON. وقد ساعد على ذلك صورة الاله (الأب ـ الابن) فى عقيدة التثليث المسيحية .

وقد انتشرت هذه الصورة البشرية للـه (سبحانه وتعالى) فى الأعمال الفنية المسيحية (فى الكنيسة الغربية) منذ القرن الحادى عشر . وفى كثير من هذه الأعمال يصور الله (سبحانه وتعالى) فى صورة انسان له ابن ، وهو أقصى ما وصلت اليه المسيحية الغربية من وثنية وشرك .

وأسوأ ما فى الأمر أن ظهور الله (سبحانه وتعالى) فى صورة انسان له ولد لم يعد يصدم شعور المسيحيين الغربيين حتى أولئك الذين بلغوا درجة عالية من الثقافة .

وهذا يمثل انهيار الدين (المسيحى) فى أهم معنى من معانى الدين وهو العقيدة .

وفى نهاية الفصل يدعو الكاتب الى أن تتخلص المسيحية من كل العقائد (الوثنية) التى علقت بها تحت ضغط الظروف التاريخية والسياسية (فى الامبراطورية الرومانية) ، ولا سيما عقيدة التجسد .

وبذلك تتمركز المسيحية حول عبادة اللـه وحده ، لا حول عبادة البشر .

ويلاحظ ـ كما أشرنا من قبل ـ أن هـذا الكاتب هو الوحيد الذى دعـا الى التخلص النهائى من عقيدة التجسد ، ولم يحـاول ـ كزملائه ـ الابقاء عليها حتى كأسطورة !

يتضح مما تقدم أن الحقيقة التى تـدور حولها معظم فصول الكتاب هى أن المسيح بشر وليس إلها .

وهذه الحقيقة هى التى تجعل لهذا الكتاب قيمة علمية ، ولكنها قيمة جزئية .

وذلك لأن المؤلفين اذ يقررون هذه الحقيقـة لا يمضون الى نهاية الشوط فيقبلون نتائجها

إنهم فى تقريرهم لهذه الحقيقة يصدرون عن رغبة عميقة فى مجاراة العصر ، وعن تأثر واضح بالضغط الذى يمثله تقدم العلم فى القرن العشرين .

فقد أثبتت البحوث العلمية الحديثة أن الكتاب المقدس بوجه عام ، والانجيل بوجه خاص ، ليس وحيا إلهيا ، وإنما هو من تأليف البشر فى عصور مختلفة .

كما رفضت هذه البحوث عقيدة التثليث ، لأنها تقوم على فكرة متناقضة ، لا يقبلها العقل ولا يقرها العلم ، وهى أن المسيح بشر وإله معا .

والنتيجة المنطقية لهذا كله أن المسيح عليه السلام ليس إلا بشرا رسولا ، وأن الله واحد لا شريك له .

والأمانة العلمية كانت تقتضى هؤلاء المؤلفين أن يعلنوا هذه الحقيقة كاملة ، وبلا تردد .

ثم كان عليهم أن يتخذوا خطوة أخرى تترتب منطقيا وخلقيا على إعلان هذه الحقيقة : وهى أن يؤمنوا بدين التوحيد ، وهو الاسلام .

فهم يعلمون تمام العلم أن تلك الحقيقة ، وهى أن المسيح بشر رسول وليس إلها ، قد أكدها القرآن الكريم فى العديد من آياته منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، ودعا المسيحيين الى قبولها .

ومهما يكن من أمر هذا الموقف ودوافعه فان الكتاب تظل له قيمته العلمية ، فهو يؤكد ــ بصورة واضحة ــ أن ما جاء به القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام هو القول الفصل ، لأنه الحق لا ريب فيه :

« ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ • مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ » مريم ١٩/ ٣٤ ــ ٣٥ .

أحمد عبد الحميد غراب

الجذور التاريخية للمشكلة السودانية - البقية

إطار السودان الموحد ، ولكن منظمة « الانيانيا » المتطرفة ، تقودها حربا مدمرة ضد السودانيين بما فيهم الجنوبيين المعتدلين ، وتشجعها فى ذلك « أثيوبيا » النصرانية وبعض الدول الغربية الحاقدة ،

مع أن المصلحة تقتضى الحل السلمى لمصلحة الجميع ، لأن الجنوب لا يمكنه الاعتماد على نفسه لفترة طويلة فهو مازال يعيش فى ظل الاقتصاد البدائى المعتمد على الاكتفاء الذاتى علاوة على ما بين قبائله من أوجه خلاف عديدة قد تسبب الصراع ويضيع الجنوب وتتمزق اواصر العلاقة الأبدية بين أبناء الشعب الواحد ، وهذا ما تبدو بذوره وعلاماته واضحة للعيان منذ الآن .

د. عبد الله نجيب محمد

من أعلام الأزهر

للأستاذ السيد حسن قرون

الشيخ أحمد حسن الباقورى ظاهرة أزهرية تسترعى الأنظار وتأخذ بالألباب ، والمتحدث عنه أو المسطر لحياته لابد أن ينظر الى أقواله وأعماله ، وقد تكون الأعمال أقوى أثرا وأبلغ ذكرا من بلاغة الكلام وفصاحة الكلمات ولكن الكتاب ومنهم النقاد ينظرون الى وثائق التاريخ أكثر من نظرتهم الى شامخ الأعمال ، والكلمة من الله « ايجاد وتكوين » ، والكلمة من البشر – فى أقوم مقصدها – « تصوير وتعبير » ، وشتان بين الخلق والتعبير عنه .

والشيخ الباقورى كان منهجه أن يكون عمليا – وان عرفناه صاحب لسان وقلم – فأدبه هادف ، فهو على مذهب « الفن فى خدمة المجتمع » .

وبعض الأدباء يرى أن يكون الفن للفن » ومن ثم يرضى الحكومات المذهب الأول ويزعجها ، وتغض الطرف عن المذهب الآخر .

وفى ضوء هذا القول نتحدث عنه ونعطى صورة عن منهجه قبل أن نخوض فى بحثه عن ذى القرنين (١) الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم وعنى به مولانا أبو الكلام آزاد ، ونقل بحثه الينا باللغة العربية الشيخ الباقورى والناس يعرفونه عالما وأديبا ومسئولا تولى كثيرا من المناصب كان أشهرها توليه وزارة الأوقاف ثم رياسة جامعة الأزهر وأخيرا الأمين العام لجمعيات الشبان المسلمين ، لكن الحديث عن طفولته وبدء ظهوره يأخذ قسطا قليلا من الاهتمام ، وأنا مع كثرة ما قرأت عنه وسمعت منه لم أعرف جذوره الا حين قرأت ما نشر من مذكراته فى مجلة « آخر ساعة » فى العدد ٢٦٥٤ – ٤ سبتمبر ١٩٨٥ التاسع عشر من ذى الحجة ١٤٠٥ هـ بعد وفاته .

قال عن نفسه :

انه ولد فى « باقور » واليها نسب وهى من قرى محافظة أسيوط سنة ١٩٠٩ فى ٢٦ مايو ، ولكن شهادة الميلاد تقول : انه ولد فى ٢٦ مايو ١٩٠٧ ، ويبين السبب فيقول : كان لى أخ ولد فى ٢٦ مايو ١٩٠٧ ومات أثر حقنة التطعيم بالجدرى ، فلما ولدت لم يشأ أهلى أن أعيد الكرة فى التطعيم ، فقالوا : لا داع لتسجيل واستخراج شهادة ميلاد واكتفوا بشهادة

---

(١) تقدم مجلة الازهر للكاتب – فى العدد القادم – بمشيئة الله – دراسة عن بحث فضيلة الشيخ الباقورى « ويسالونك عن ذى القرنين » فى باب « اللغة والادب والنقد » .

فضيلة الشيخ
أحمد حسن الباقورى

ميلاد أخى ، واعتبروها شهادة ميلادى .

ومن المذكرات نعلم أن نسبه من جهة الأب يتصل بالحسن بن على – رضى الله عنهما – وأن أمه حسينية ، فهو شريف الأبوين وفدت أسرته من « سوسة » من مدن « تونس » من شمال أفريقية ، ونـزلت تلك الأسرة بقـرية « دوينة » ثم انتقلت الى « باقور » وكلتـا القريتين من أعمال أسيوط .

وقد كان والده متصوفا ، وعلى قدر مـن العلم والمعارف الاسلامية ، ومن هنا رأى أن يعلم ابنه فى الأزهر ، وفى نهاية ١٩١٩ قـدم به الى أسيوط ليلتحق أحمد ابنه بالمعهـد الدينى فتم لـه مـا أراد . ومـن محاسـن المصادفات أن المعهد الدينى فى ذلك الحين كان فى شبابه ، وبه أساتذة لهم شأن فى العلم وفهم الحياة ، ذكـر منهم فى مـذكراته الشـيخ عبد الرحيم العـدوى ، والشـيخ محمـد عبد اللطيف دراز ، والشيخ عبـد الجليـل عيسى ، وكانوا روادا فى الأدب وشـئون الوطن وحب الحرية ، فكان لهم أكبر الأثر فى تكوينه الأدبى والوطنى ، وحسبك من تلك الصلات أنه أصهر فيما بعد الى أسـتاذه « الشيخ دراز » فتـزوج ابنته السـيدة « كوكب » .

والشيخ « عبد الجليل عيسى » معـروف للعالم الاسلامى بعلمه الواسع وتفسـيره للقرآن الكريم .

والشيخ « محمد عبد اللطيف دراز » لـه شهرته الواسعة فى عالم الوطنية فهو من زعماء ثورة ١٩١٩ وتولى بعض المناصب الكبرى فى الأزهر .

أما « الشيخ عبد الرحيم العدوى » فقـد يكون فى حاجة الى تقديم شخصيته للأزهريين وغيرهم ، وعلماء بنى عدى من واجبهم الكشف عن أعماله وبيان أفضاله ، أما أنا فـلا أعرف عنه الا أنه كان شاعرا ، وله قصائد فى مـدح النبى – صلى الله عليه وسلم – رائعة منهـا قصيدته التى كان مطلعها :

ياحادى العيس نعم العيس والحادى
ان زرت طيبة حيث المصطفى الهـادى

وطيبة هى « المدينة المنورة » على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

والعيس هى الابـل البيض التى يخـالط بياضها شىء من الشقرة .

من أعلام الأزهر

وكان الباقورى منذ طلب العلم تبدو عليه مخايل الذكاء والطموح وقد حباه الله فصاحة فى اللسان وصباحة فى الوجه ودماثة فى الخلق فأحبه زملاؤه وأعجب به شيوخه فقدموه وعنوا به •

وحدث أن احتفلت مصر فى « مدينة أسيوط » بتأبين الصحفى العظيم « أمين الرافعى » وكان رئيس الاحتفال — كما سمعت — « محمد نجيب الغرابلى باشا » عضو الوفد المصرى حين ذاك ، وقد اشترك معهد أسيوط الدينى بطالبين أحدهما الشيخ « أحمد حسن الباقورى » والآخر الشيخ « أحمد محمد مراد » — من رجال القضاء الشرعى فيما بعد — فألقى الشيخ الباقورى فى ثبات واعتداد بالنفس قصيدة عصماء نالت اعجاب المحتفلين ، وكانت باكورة نباهته وشهرته ، ولما جمع رثاء أمين الرافعى فى كتاب كانت قصيدة الباقورى من مواد هذا الكتاب •

وأتم تعليمه بالمعهد الدينى بأسيوط والتحق بالقسم العالى بالأزهر الشريف فى القاهرة فرافقته شهرته ونباهته ، فنال أرفع الدرجات وأكبر الشهادات الأزهرية ، ولم يتخرج فيه حتى قاد ثورة تحدث عنها التاريخ ، وكان رئيس اتحاد الطلاب •

وبعد أن نجح الأزهريون فى ثورتهم سنة ١٩٣٥ ولووا ، ذراع « الملك فؤاد » فأعاد اليهم شيخهم المفضل « الامام محمد مصطفى المراغى » أقيم احتفال أذيع من الاذاعة المصرية وكان أحد خطباء الحفل الشيخ أحمد حسن الباقورى •

يقول الدكتور طه حسين فى أحد كتبه : « والثورات تخرج المعادن النفيسة من الرجال والأبطال » ، ولقد صاغت الباقورى فى بوتقتها ثورة ١٩١٩ ، فقد طلب العلم حين قامت ، وأعجب بالزعيم سعد زغلول وهو البطل الأسطورى عند مصر وعند الباقورى ، رجل فى شيخوته يقوم بثورة ليعيد الى مصر شبابها ، هذا شىء كبير ، نظر اليه الباقورى وهو فى شرخ الشباب فكان مثله الأعلى ، لقد أطلع الأزهر سعدا فعليه أن يطلع غيره ، ليكن « أحمد حسن الباقورى » ، وقد جمع الباقورى الى موهبة الخطابة موهبة الشعر والكتابة ، فكان المجلى فى كل حلبة رهان •

أكبر الظن أنك ألمت معى بسطور من حياته الأولى وجهاده الوطنى وقيادته لثورة الأزهر على الملكية فى عنفوانها وبقى أن أشير الى منهجه فى الدعوة الاسلامية ورأيه فى المؤسسات القائمة بهذا العمل العظيم شرقا وغربا وفى مقدمتها أزهر مصر •

وللباقورى مؤلفات عدة ، ولكنى اخترت منها ما لم تذكره الصحف والمجلات وهو كتاب « **وَيَسْـــأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ** » •

تأليف أبو الكلام أزاد ، تقديم أحمد حسن الباقورى •

وينحصر حديثى فى هذا المقال عن ذلك التقديم ، فقد رأيت فيه الباقورى كما خلقه

الله صاحب رسالة ، وصـــاحب قلم ويحب لقارئه أن يخرج مما يقرأ بفائدة فهو يقول :

« لست أحب لك — أيدك الله — أن تقــرأ موضوعا انشائيا لا تخرج منه بطائل ، ولكننى أحب لك فائدة كلما كان الى فائدة سبيل » .

وعلى هذا النحو بدأ تقويم كتاب « مولانا أبو الكلام أزاد » وقد بدأ الكتاب بأنه تــولى وزارة الأوقاف فى السابع عشر مــن سبتمبر سنة ١٩٥٢ وقد أخــذ نفسه بتأييــد ثــورة يوليو :

يقول : ولم أكن فى وسعى أن أتخلى عن تلك الثورة ومناصرتها « وزعيم الثورة — جمــال عبد الناصر لا يفتأ يردد فى كل مدينة وقرية وفى كل حفل وناد : ارفع رأسك يا أخى فقــد مضى عهد الاستعباد ، لن أخادع ولن أضلل ، وعلى الاستعمار أن يحمل عصاه على كتفــه ويرحل ، والا فليقاتل دفاعا عن نفســه حتى الموت ، لا حرية مع الرشوة والاســتغلال ، مصر للمحكومين لا للحاكمين ، الثورة ضد كل خائن وخائر ، الديمقراطية هــدف الثــورة الأول على العرب والمسلمين أن يتحدوا لمحاربة عدوهم المشترك ، الحاكم أخو المحــكوم لا سيده » أعجبه كثائر تلك الشعارات الناصرية:

« من أجل ذلك كله مضيت غير مبــال نقد ناقد ولا سخط ساخط » والبــــاقورى غــير مسئول عمــا حدث بعد ذلك .

الى « باندونج » كان فى صــحبة الرئيس جمال عبد الناصر لحضور المؤتمر الآســيوى الأفريقى فى أندونيسيا ، وقد كــان من المقرر أن يستجيب الوفد فى طريقه الى أندونسيا — دعوات يزور فيهــا باكســتان فى عاصــمتها كراتشى ، وهندستان فى عاصمتها نيودلهى .

وقبــل أن يحــدثك عمــا حــدث فى تلك العواصم يلقى اليك بمعلومات يحسن الوقوف عليها :

فهو حريص على الافادة والاستفادة ورأيه فى بعض تلك الــدول ، فيفسر « نيــودلهى » قائلا كان العرب ينطقون هذا الاسم « دهلى » فكان من حقها أن تعرب « دهلى الجــديدة » ولكن التحريف البريطانى أصبح هــو العلم على هذا البلد .

ويصنع مع باكستان أكبــر مما صــنع فى نيودلهى ، فيقول لنا : ان باكستان لها معنى بخلاف المدن التى لا معنى لهــا ، فيــذكر أن الباكستانى يقول فى اعتزاز ان الكلمــة تعنى « الأرض الطهور » وربما زادك شرحا لمعناها فذكر لك أن هنديا جامعيا مســلما كــان فى انجلترا عام ١٩٣٣ — ابتدع هذا الاسم وكونه من حروف ومقطع يشير كل منها الى أســماء المقاطعات الهندية التى يكثــر فيهــا عــدد المسلمين ، والتى كان يراد للدولة الجديدة أن تتألف منها .

وبيان ذلك أن الباء مأخوذة من البنجاب ، والألف اللينة مأخوذة من باثان — مقاطعــة الحدود الشمالية الغربية — والكاف مأخــوذة من كشمير ، والسين مأخوذة من الســـند ، والمقطع تان مأخوذ من بلوخستان .

لكن باكستان حين قامت ١٩٤٧ بزعامة « محمد على جناح » كانت تضم مقاطعة « البنغال » فماذا يقول الباقورى فى أن باكستان ضمت اليها مقاطعة لم يدخل حرف منها فى الاسم ؟ .

يرى أن مؤلف الاسم « باكستان » كان ملهما ، أو ينظر الى الغيب من ستر رقيق ، فقد انفصلت مقاطعة « البنغال » وسالت الدماء الزكية فى سبيل الانفصال وسميت « بنجلادش » بزعامة الشيخ مجيب الرحمن ، ويأسف الشيخ الباقورى لما حدث لباكستان ، ويرجو لبينجلادش الاستقرار ، وهذا يدل على عاطفة نبيلة يكنها الشيخ لتلك الدولة المسلمة ويحزنه أن تقع الفتنة بين أبنائها — ولكنى أنا أرى أن البنغال داخلة فى تركيب الاسم ، فمن حروفها الباء كما هو الحال مع البنجاب — .

ولتلك المناسبة تحدث عن رجلين عظيمين من باكستان : شاعرها « محمد اقبال » ، ورئيسها الأول « محمد على جناح » وأطنب فى شمائلهما وثقافة كل منهما .

ومن كلماته الحسان فى انبهاره بشعر اقبال قوله : « وما نسميه نحن فلسفة اقبال هو فى الحقيقة قبس من النور الأعظم الذى يتوهج فى كل آية من كتاب الله .

وما نسميه نحن قوة مبدعة فى اقبال هو فى الحقيقة نفحة من نفحات الرسالة العظمى التى بعث الله بها نبيه — صلى الله عليه وسلم .

واذا كان الشعراء — كما يقولون — يستوحون شياطين الشعر فان اقبالا كان يستوحى النور الحق الذى قامت به السموات والأرض » بهذا السمو التعبيرى جاء وصف شعر اقبال على لسان الباقورى وقلمه .

وحين تحدث عن القائد الأعظم محمد على جناح أعجب بجوابه عن سؤال وجهه اليه الزعيم الكبير « مهاتما غاندى » قال غاندى يسأل : أريدك أن تبين فى وضوح الاختلاف بين المسلمين والهندوس اختلافا يسوغ اعتبارهما أمتين مختلفتين فى كل شىء كما يقضى بذلك النص فى قرار باكستان .

فأجابه القائد الأعظم قائلا : ان المسلمين جاءوا الى الهند غزاة ، وتجارا ، ومبشرين ، وجاءوا معهم بثقافتهم وحضارتهم فأقاموا امبراطورية قوية ، وأرسوا قواعد مدنية عظيمة ، وأعادوا بناء الهند وأصلحوا شئونها .. والمائة مليون مسلم فى الهند اليوم هم أكبر مجموعة من المسلمين فى مكان واحد ، فنحن — المسلمين — فى الهند أمة مستقلة بثقافتها ، ومدنيتها ، ولغتها وأدبها وفنها وأسمائها ، وقوانينها وعاداتها ، وتاريخها وطموحها — فنحن فى منطق كل شريعة وفى اعتبار كل قانون عالمى أمة مستقلة .

وقد أعجب الباقورى بهذا الجواب وأشاد به وجعله علامة شجاعة ، « ولا يقبلها الا منصف يؤثر الانصاف على كل أثير » .

ويتابع الباقورى حديث رحلته مع عبد الناصر الى باندونج فيذكر الحفل الذى أقامته حكومة باكستان تكريما لوفد جمهورية

مصر ثم سجل الخطاب الذى ألقاه السيد غلام محمد حاكم باكستان يومئذ وتوجه به الى الرئيس جمال عبد الناصر ، ولقد حرص الباقورى على تسجيله وتسجيل ما جاء عن الأزهر فى ذلك الخطاب .. يقول حاكم باكستان فى ذلك الزمان :

ان وراء شعب مصر ماضيا مجيدا ، وهم يمثلون حضارة من أقدم حضارات التاريخ .. كما أن مصر كانت دائما موضع التطلع اليها كمنبع عظيم من منابع العلوم والثقافة الاسلامية ، ذلك المنبع الذى تمثله الجامعة الأزهرية الكبرى ، والذى يرتوى منه العالم الاسلامى كله .

وجاء رد عبد الناصر حافلا بالشكر على الحفاوة .. ومنه :

« وانى لأشكر سعادتكم على ما تحدثتم به عن الأزهر الذى يسعدنى أن أذكر أنه ممثل خير تمثيل هنا ، بصديقى الشيخ الباقورى وزير الأوقاف الذى يشترك معنا فى بهجة وجودنا اليوم بينكم » .

ويعلق الباقورى على الخطابين تعليقا رائعا يبين فيه الجامعة الاسلامية والأخوة الخالدة التى تجمع المسلمين — على اختلاف مذهبهم — على تأسيس المؤتمر الاسلامى الذى يعمل على جمع الكلمة وتوحيد الصف والشتات .

ويبين فيه مكانة الأزهر وعطاءه للانسانية :

« فان الأزهر منذ كان يطارد الشك والحيرة فى مجتمع بنى الانسان ... ولقد استطاع الأزهر أن يجمع من حوله قوى كثيرة فى أمكنة مختلفة من شتى أنحاء العالم تحمل راية الحرية الحقيقية التى تقرر فى صراحة أن العبودية لغير الله ذل ، وأنها لا تلتقى مع الاسلام فى قلب مسلم ولو صلى حتى انحنى ، وصام حتى انبرى » ومع فضل الأزهر فى جميع العهود ورعايته حتى لغير المسلمين نجد من يجحد فضله وينكر حقه ، « يقول فيه حتى أعرف الناس به وأقربهم نسبا اليه ، وأبينهم نعمة منه ما قال مالك فى الخمر » .

واذا كان الأزهر مجحود الفضل من بعض الناس ، فلقد جحد بعض الناس فضل ابنه الباقورى ، وفى هذا الصدد يقول — وقد ذكره عبد الناصر فى خطابه ووصفه بصداقته فى حفل باكستان الذى ذكرناه آنفا .

ثم لما حاولت ادارة الاستعلامات جمع خطب وتصريحات الرئيس جمال فى خمسة أجزاء أخرجتها للناس لم تشأ أن تذكر هذه الفقرة الخاصة بى فى خطاب الرئيس ... وكأنى بالمواطن الذى نقل الخطاب عن الصحف مغفلا ما يتعلق بى فيه قد تصور عدم ذكره اياى قد يرمى بشخصى وتاريخى الى زوايا النسيان . والمعنى المؤسف الذى يشير اليه هذا التصرف فى حذف هذه الفقرة مع وجودها فى الصحف هو أننا فى شرقنا كثيرا مانسف فى تملق الحاكمين ولو انتهى بنا ذلك الى طمس معالم التاريخ » .

والشيخ الباقورى مع ذكائه غاب عنه ما كان يجب أن يكون ماثلا أمامه ، وهذا يقع

فى مصر وغيرها ، وأغلب الظن أنه عاش ورأى أن كتب التاريخ لم تذكر « محمد نجيب » على أنه أول رئيس لجمهورية مصر ، وقد قرأ فى الميثاق أن سعد زغلول ركب الموجة لا أنه زعيم ثورة ١٩١٩ — والمؤرخون يذكرون أن الفراعنة كانوا يفعلون ذلك فينسب بعضهم عمل الآخر لنفسه ، وهذا يدل على نقص البشر ، وتكالبهم على ترك الذكرى الطيبة بعد رحيلهم ، أما الذين يفعلون لغيرهم فقد وصفهم بأنهم متملقون •

وأكبر الظن أن هذا جرى حين وقعت الجفوة بينه وبين عبد الناصر بالدسيسة التى عرفت بعد خروجه من الوزارة ومعلوم للوفد الذى حضر الحفل ولكل من قرأ الصحف أن عبد الناصر أشاد به ، وأن كلماته عنه وجهت اليه أنظار جميع الذين انتظمهم الحفل من الرجال والنساء « فاتجهوا ينظرون الى ويحرصون على محادثتى تكريما للأزهر الشريف فى شخصى الضعيف » •

ويظهر أن اغفال كلمات الرئيس عنه دعته الى أن يسجل رحلته ولو بقلم غيره ، فنقل لنا فى هذا الكتاب ما كتبه الأستاذ محمد حسنين هيكل فى يومياته التى كان ينشرها فى جريدة أخبار اليوم ، وما كتبه هيكل فى هذا اليوم عن الحفل فى قصر الحاكم والمأدبة التى ضمت عليه القوم ونجوم المجتمع •

يقول هيكل :

ها هو ذا أمامى خريج الأزهر بالعمامة والكاكولة وقد تحول الى رجل صالون من الطراز الأول ، وانتهى العشاء وأسرعت متلهفا الى حيث كان وقلت له فى حماسة : تحياتى للأزهر » والمقال طويل وأنيق فاقرأه فى الكتاب من صفحة ٢١ الى صفحة ٣٥ •

مولانا أبو الكلام أزاد :

أما ما رآه حين زار مولانا أبو الكلام أزاد فيدل على عقلية تدرك النافع والضار ، ولا تهرب من الواقع ، بل تجعل الواقع — وان كان مرا — سبيلا أن تستخرج منه ما يحلو وينعش •

كان السبيل الى التعارف فى أول الأمر هو سفير الجمهورية المصرية ثم كان اللقاء بين الشيخ الباقورى يتم بمصاحبة أزهرى هندى له صلة بمولانا أبو الكلام أزاد ، ومولانا أبو الكلام وصفه الباقورى بالعلم الغزير والأفق الرحيب والبصر النافذ بشئون الدين والدنيا بجانب الاعتزاز بالنفس ، وهذا الاعتزاز يجعل زائريه يرونه جافيا غليظا •

ولكنك متى خالطته وجدته كما تحب وترضى ، ومولانا أبو الكلام له جهاد وطنى كبير فى سبيل تحرير الهند من الاستعمار البريطانى ، وكم لاقى من عنت فى السجون والمعتقلات والمحاكمة ، وبعد استقلال الهند سنة ١٩٤٧ لم ينضم الى الباكستان المسلمة ولكنه بقى هنديا فى الهند يتولى المناصب ، ويستظل بظلها •

البقية ص " ٧٢٥ "

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الإعجاز الطبي في القرآن الكريم ومرض الإيدز

تأملات في قانون الحياة

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

(٨)

العمق السابع للاعجاز العلمى فى القرآن الكريم :

يتلخص هذا العمق فى تعريف العلم الطبيعى ، وتحديده داخل اطار ما يشاهد ويرصد ويقاس أو يحسب .

ويقوم العلم الطبيعى على أساس تلمس الحقائق بالاختبار والرصد والقياس فى عالم الحس باستخدام الحواس أو ما يرقى الى مستوى الحس باستخدام الآلات أو الأجهزة ، مثل : المجال المغناطيسى الذى نتعرف عليه باستخدام الابرة الممغنطة ، ومثل الأشعة الكونية التى نتعرف عليها بعدادات « جيجر » ، ثم معالجة نتائج ذلك الاختيار والقياس الحسى باستخدام العقل .

أما عالم ما وراء الحس فلا دخل للعلم الطبيعى به مثل عالم الأرواح .

والدين هو الذى يبصرنا ببعض معالم عالم ما وراء الحس ويمدنا بكل الطاقات الروحية . وتشترك أسس المعرفة الدينية مع أسس العلم الطبيعى فى مبادىء أهمها :

(ا) شمول النظام فى الكون ، وثبوت هذا النظام بالنسبة لكل من المكان والزمان . وفى الحقيقة لولا هذا الشمول وذلك الثبوت ما كان هناك علم :

١ — « ... وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً . »
— الأحزاب (٦٢) —

٢ — « ... فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً .. »
— فاطر (٤٣) —

٣ — « ... وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ».
— فاطر (٤٣) —

(ب) ضرورة التثبت وعدم الركون الى مجرد التخمين ، ولهذا لا تعتمد حقيقة علمية الا بعد اختبارها وتمحيصها عمليا أو نظريا « حسابيا» أو بالوسيلتين معا :

١ — « وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ... »
— يونس (٣٦) —

٢ — « ... إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ » .
الانعام (١١٦) —

بقلم أ. د
محمد جمال الدين الفندى

٣ ــ « ... قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ».

ــ البقرة (١١١) ــ

وما من شك أن العلماء باتخاذهم الكون وما حوى من ظواهر ونواميس معلما لهم ، منه يستمدون الحقائق واليه يرجعون تلك الحقائق انما يعالجون ــ عن طريق الرصد والقياس ــ الأمور بطريقة معينة ضمنت لهم الحصول على أوصاف صادقة لما يرصد فى الطبيعة .

ومن الواضح أن الظاهرة الكونية هى ما يشاهد حدوثه فى الطبيعة ، أما « **الحقيقة العلمية** » فهى الوصف الصادق الأمين لأية ظاهرة ، أو حتى لأى جانب منها ، ويتوقف التعريف على هذا النحو على مدى الدقة التى نصف بها ما يحدث بالفعل . ولقد توصل الانسان الى الوقوف على العديد من « الحقائق العلمية » عن طريق الرصد والتجربة المعملية لما هو ظاهر فى عالم الحس أو ما يرقى الى مستوى الحس باستخدام الأجهزة أو الآلات التى يصنعها لهذا الغرض كما قدمنا .

« يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ » .

ــ الروم (٧) ــ

ومن أهم صفات الطريقة العلمية امكان اعادة خطواتها وعرضها من أجل التثبت من أية ظاهرة ، فالظواهر هى نهاية معرفتنا ــ العلمية بالحياة الدنيا ، وهى تخضع لناموس ثابت كما قدمنا لا يتغير ولا يتبدل بتغير الزمان والمكان .

ولا يتم قبول أية حقيقة علمية ونشرها فى المجلات العلمية المتخصصة ما لم يتم التأكد من صحتها وصحة كافة الخطوات التى اتخذت من أجل الوصول اليها ــ أى الى تلك الحقيقة ونحن ننادى بتفسير آيات كتاب الله فى ضوء هذه الحقائق فى أى فرع من فروع العلم مثل الفلك والفيزياء والطب .... وقد نادينا بذلك منذ أكثر من ثلاثين سنة .

القانون الطبيعى :

هناك عناصر مشتركة بين الحقائق العلمية المتعلقة بظاهرة كونية بالذات ، ومثل هذه العناصر المشتركة يمكن أن نستنبط منها طريقة من الطرق التى تسلكها الطبيعة ــ أو يسلكها

الكون ـــ ، ونحن نطلق عليها اسم « القـانون الطبيعى » • ولعله من الواضـح ان القانون الطبيعى انما يصف لنا نوعا من الانتظـــام الموجود فى الكون ، الا أنه لا يصل الى مستوى معرفة « لحقيقته المطلقة » •

وفى معنى آخر نحن نقــول ان القــانون الطبيعى هو مجرد وصف لسلوك الاجسام وما قد يحدث لها • فمثلا عندما صاغ « نيوتن » قانون الجاذبية ، لم يقل لنا ما هو سر تــلك الجاذبية أو حقيقة أمرها ، ولكن وصفها وعبر عنها نظريا بقانون رياضى باســتخدام بعض تصوراتنا التى على غـرار الـزمن « ن » ، المسافة « ع » ، والكتلة « ك » •

النظرية العلمية :

لنفترض جدلا أن لدينا مجموعة من الحقائق العلمية التى تم التسليم بصحتها بخصـوص ظاهرة كونية مثل الضوء ، فنقول فى سـلامة علمية أن الضوء ينعكس ، وينكسر ، ويتنـاثر أو يتشتت ، ويحيد •

وعندما نحاول الربط بين هـذه الحقـائق باستخدام قوى العقل نحصل على نظريـات خاصة بالضوء ،فنقول مثلا ان الضوء جسيمات غاية فى الصغر كما قال « نيوتن » ، أو نقول كذلك ان الضوء موجـات فى عـالم الأثـير أساسها « كهرمغناطيسى » كما قال «مكسويل» أو نجمع بين القولين أو النظريتين فنحصل على نظرية « الكم » كما قال « بلانك » •

لمثل هذه الأسباب لا تمثل النظرية العلمية حقيقة مطلقة ، ونحن لا نقحم النظـــريات العلمية فى تفسير آيات الذكـر الحكيم ، لأن النظريات عرضة للتبديل والتغيير كما قدمنا•

وحتى المبادىء والنظريات الاجتماعية التى ظهرت فى عصر العلم كانت قاصرة على حـل مشكلة بالذات وخلق مشـاكل أكبر فى نفس الوقت • ومنذ عشرات السنين كان علمـــاء الطبيعة يتكلمون كأنما كشـف علم الطبيعـة السر وأماط اللثام عن الأسس التى بنى عليها الكون وأصل تركيب المادة ، الا أن هذا الزعم تبدد ، ولم يعد أحد يزعم بأن علوم الطبيعة أعطت كلمتها الأخيرة على الرغم من اتســاع آفاق المعرفة اتساعا ينير السبيل الى التسليم بعظمة الخالق •

« **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ••• » فصلت (٥٣)•

ان التركيب الأساسى للمادة مازال مجهولا ، ومن المحتمل أنه لا وجود للجسيمات الأولية التى يكتشف عنها العلماء تباعا داخل الذرة ، بمعنى أن نهايتى البناء المادى للكون لا حدود لهما يمكن أن يدركهـا البصر سـواء فى ذلك النهاية الدنيا ممثلة فى اللبنات التى تبنى منها الذرة ، أو النهـاية العظمى ممثلة فى حـدود الكون وما نطلق عليه اسم أشـباه النجـوم « الكوازار » ، وهى مجرات تضـم بـلايين النجوم ومع ذلك تبدو من فرط بعدها أنهـا مجرد نقط مضيئة فى كبد السماء ولا نتعـرف عليها بالمناظير البصرية العادية ولكن بالمناظير الراديدمة :

« **فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ • وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ** » الواقعة (٧٥ ـــ ٧٦)•

وعندما نتذكر ذلك ونتمعن فى مضـمونه ، نستطيع فهم المراد من قوله تعالى :

« ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ » • الملك (٤) •

الكون ونماذجه :

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز :

« لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » •

ـ غافر (٥٧) ـ

وتعتبر المجرات بمثابة اللبنات الأولى المكونة للنظام الكونى • ونحن لانستطيع رصد الكون كله وذلك على الأقل لأننا نعيش فى داخله ، الا أننا نستطيع باستخدام الرياضيات وقوانين الطبيعة التى تعرفنا عليها ولها صبغة التعميم كما قدمنا أن نرسم نماذج لصورة الكون نطلق عليها اسم « النماذج الكونية »•

وفى واقع الأمر نجد تحت أيدينا مما يلزم استخدامه :

١ ـ الأرصاد الفلكية •
٢ ـ القوانين الطبيعية •
٣ ـ امكان تعميم تلك القوانين •

وأكبر ما يعترض سبيل هذه الدراسة المجرات والسدم البعيدة الضاربة فى أعماق الفضاء الفسيح ، ولا قيمة للأرصاد الخاصة بالنجوم والكواكب والمذنبات •• لأنها تعتبر بمثابة الجسيمات الصغيرة وتأثيرها محدود •

ومن الظواهر العامة التى تم رصدها للمجرات والسدم البعيدة أنها « بغض النظر عن أشكالها أو كتلها وأحجامها » موزعة بانتظام وتماثل تامين فى الفضاء ، وذلك على هيئة حشود أو عناقيد ذات رتب مختلفة ، وهى لا تتبع نظام « العشوائية » أى أنها ليست وليدة الصدفة ، بل هى نتاج نظام محكم ثابت وتدبير شامل تبعا لقوانين أو سنن لا مبدل لها

ومن الظواهر العامة الثابتة التى رصدت ان خطوط أطياف تلك المجرات والسدم كلها تكون مزاحة نحو الطرف الأحمر بمقادير تزداد بازدياد بعد المجرات عنا • ومعنى ذلك علميا أن جميع المجرات والسدم آخذة فى الابتعاد عنا وعن بعضها البعض بسرعات تتناسب مع أبعادها ، أى أن الكون الذى تم بناؤه بكل دقة وعناية فى حالة تمدد ، وذلك مصداقا لقوله تعالى :

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ » •
الذاريات (٤٧)

واذا ما تخيلنا شريطا سينمائيا كان ومازال يصور الأطوار التى مر بها الكون منذ نشأته الأولى ، ثم عرضنا هذا الشريط متراجعين الى الماضى ، نجد أنه فى النهاية وعند لحظة معينة كانت جميع المجرات والسدم متجمعة فى صعيد واحد صغير يطلق عليه العلماء اسم « البيضة الكونية » ويقدر الزمن الذى مضى منذ انفجار تلك البيضة تقديرا فلكيا بنحو خمسة بلايين سنة الا أن التقديرات بطرق أخرى تعطى أرقاما أكبر من ذلك •

ومهما يكن من شىء ربما نجد فى هذا كله تفسيرا أعم لقوله تعالى :

البقية ـ ص ٧٢٤

الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم

قال تعالى : « وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » الذاريات (٢١/٥١) ومعنى الآية الشريفة : وفى أنفسكم آيات وعبر من مبدأ خلقكم الى منتهاه ، أفلا تبصرون قدرة الله فى خلقكم لتعرفوا قدرته على البعث ؟ قال ابن عباس رضى الله عنهما : يريد اختلاف الصور ، والألسنة ، والألوان ، والطبائع ، والسمع والبصر والعقل •

راجع تفسير الخازن (٤ / ٢٠٣) وقال قتادة : من تفكر فى خلق نفسه ، ودقائق تكوينه عرف أنه انما خلق ، ولينت مفاصله للعبادة ، راجع القرطبى (١٧/ ٤٠) ط • دار الكتب ثم يقول القرطبى بعد ذلك : « قلت : كل ما ذكر مراد فى الاعتبار وما فى بدن الانسان الذى هو العالم الصغير شىء الا وله نظير فى العالم الكبير ، وذكرنا هناك فى تفسير سورة البقرة من الاعتبار ما يكفى ويغنى لمن تدبر » آ هـ •• بتصرف •

والسؤال الذى يتكرر بين الناس : هل مرض الايدز الذى ذاع وانتشر ، وتفشى هذه الأيام ، هل هو مرض حديث أضيف الى معجم الطب المعروف ، أم أنه مرض قديم تأخر اكتشافه الى هذه الأيام ؟؟

فاذا كان مرضا قديما فلم لم يرد ذكره مقرونا بوبائيات سابقة أو متوطنة Endemics or Epidemics.

اكتشف مرض الايدز عام ١٩٨١ م • وأصيب به اثنا عشر شخصا ، توفى نصفهم ، ولكن الفيروس المسبب له قديم الوجود •• والغريب من أمر هذا المرض أنه يحدث فى بعض الأحيان من غير مخايل أمراض تنذر بمقدمه ، أو أمارات تحذر منه •• وسبب هذا المرض اللعين المدمر فيروس دقيق الجرم صغير الحجم Virus يسبح فى سوائل الجسم المختلفة مثل الدم Blood ، والسائل المنوى Semen واللعاب Salivery Secretim والدموع •

كما تحدث العدوى بهذا الميكروب (الفيروس) خلال اللقاء الجنسى من الشخص المريض الى السليم ، وقد يكون ذلك باستعمال محقن واحد أو غير ذلك مثل القبلة العارمة بين المحبين والمظنون أن المصدر الرئيسى للفيروس هو نوع معين من القردة التى تعيش فى وسط أفريقيا ، ومنها ينتقل الى الانسان الذى تعضه •

ومجرد أن يسرى الفيروس فى الدم سرعان ما يستقر فى الكرات الدموية البيضاء المسماة بخلايا (ت) Tcells فيدمر الحامض النووى D.N.A الموجود بها والمسئول عن نقل الصفات الوراثية للانسان •

ومرض الإيـــدز

للدكتور السيد الجميلى

وهذه الخلايا البيضاء لها دورها فى مناعـــة الجسم ، ومن هذه الخلايا المناعية تخرج جحافل مقاومة الامراض المدافعة عن بدن الانسان •

ومعنى تدمير هذه الخلايا المناعية ، أن يقضى هذا الفيروس على كل مقاومة الجسم للامراض اذ يصيبه بالشلل والخور والفتور ازاء جيوش الأمراض العاتية •

وقد قدرت فترة الحضانة لهذا المرض ما بين عامين الى خمسة أعوام تقريبا ، وفترة الحضانة Incubation Peroid عبارة عن الفترة التى تمر من لحظة العدوى بالفيروس الى لحظة ظهور الأعراض الدالة عليه •

وأعراض الايدز تتلخص فى التضخم العام فى الغدة الليمفاوية Jeneralized Lymphadenopathy

وقد يستمر هذا التضخم شهرا كاملا ، مع ارتفاع حرارة الجسم والعرق الغزير ليـــلا ، وفقدان الشهية للأكل Loss of appetite هذا فضلا عن الاجهاد الشديد والاعياء ، والتعب لأقـــل مجهود ، مع صعوبة التنفس ووهن العضلات•

وتكتمل الصورة « الاكلينيكية » بظهور بقع بيضاء فى الفم من الداخل مع ظهـــور بثرات منتشرة هنا وهناك فى مختلف أنحاء الجسم •• مع الاصابة بالاسهال الشديد والسعال الجاف •

وقد اكتشف بعض الباحثين علاقة وارتباطا بين مرض الايدز وبين التهاب الكبـد الوبائى Infective hepatitis وقد قرر علماء الطب الأمريكان أنه من المرجح أن يجتاح وباء الايدز العالم فيصبح وباء عالميا مثله مثل وباء الكوليرا فى الخطورة ، والانتشار •

وقد انتشر المرض وزحف على رقعة واسعة من بلاد العالم ، فغزا الهلع والفزع معه ربوع أوروبا وأمريكا ، وغيرها من البلاد التى زارها المرضى أو حاملو الفيروس •

وقد علمنا أن أكثر من نصف المرضى يهلكون هلاكا محققا فيموتون من جراء تدمير جهـــاز المناعة فى أبدانهم •

والجدير بالذكر أن ممارسى البغاء ، ومحترفى الشذوذ الجنسى ، وعراة المنحرفين هم ضحايا هذا الوباء القتال •

وقد سارع العلماء الأطباء الباحثون لاجراء التجارب النافعة الى حد كبير يثير الدهشة ، فأفرغوا مجهودهم لمقاومة هذا الطوفان المغرق المدمر ، لكن النتائج غير مرضية تماما كما هـــو مرجو ، انما لا يزال الأمل قائما فى الوصـــول الى عقار يحسم المرض تماما ويقتل هـــــذا الفيروس الفتاك اللامرئى •

خواطر اســـلامية :

لا يجب أن نمر على هذا الحدث المروع من غير

◄

نظرة تفكير وتأمل متأنية ، فان فى هـــذا البلاء مجالا للاعتبار ، وهو أن الطب الحديث المتطور بأحدث الأدوات والآلات الدقيقة وقف مشدوها جامـــدا ازاء هذا الفيروس اللامرئى بالعين المجردة أو بالمجاهر والمكبرات العادية .

* ان أى قوة عاتية مدمرة غازية مهما كان مستوى استعدادها لا تستطيع أن تصـــل الى درجة نفاذ هذا الفيروس ومضائه .

* لا أعدو الحقيقة اذا قلت انه ــ أى مرض الايدز ــ عبارة عن قنبلة ذرية غير منظورة ..

* ان الزناة وممارسى البغاء هم حطب هذا الداء الوبيل .

*** انه يخاطب أهل الفطنة والزكانة قائلا : أريحوا أنفسكم وطامنـــوا من غروركم فان صحف الغيب فيهـــا أشياء وأشياء تجل عن الوصـــــف ، وتدق عن الفهم ، وانما يستأثر بها الحق جل شأنه رحمة بالعباد ، فما أوتيتم من العلم الا قليلا .**

سبحانك ربنا وسعت كل شىء رحمـــة وعلما فاكتبنا مـــع الشاهدين وآخـــر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

« السيد الجميلى »

الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم - بقية

« أوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَـرُوا أنَّ السَّـمَوَاتِ وَالأرْضَ كَانَتَا رَتْقَـا فَفَتَقْنَاهُمَا ....»

ــ الأنبياء (٣٠)

ان الآية الكريمة تحمل كثيرا من معـــانى العلم السليمة ، وهى ــ بذلك ــ عدق مـــن أعماق الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم سبق أن تحدثنا عنـــه .

ومن قواعد الكون المسلم بهـــا أنه يبـــدو متماثلا بالنسبة لأى راصد فى داخله ، أى أن الراصد عن سطح أرضنا يرى الكـــون علـــى نفس النمط الذى يراه راصد آخر على كوكب فى مجرة أخرى .

ومكونات الكون هى المادة والطاقة ، ومادة الكون فى حركات مستمرة ، وكل ما فى الوجود لا يعرف السكون .

أما حجم الفضاء الكونى فهو كبير جـــدا الى أقصى حد عندما يقـــارن بـــالحيز الذى تشغله المادة.

أما الفراغ خارج نطاق الكون فيعنى العدم بالنسبة للمادة والطاقة والزمـــن ولا توجد فيه أحداث . ويتم التفـــاعل بين المادة والفراغ عندما توجد فيه المادة من خلال ما يعرف علميا باسم المجـــال الذى يحول الفراغ الى فضاء ، واللـــه تعالى أعلم ، وللحديث بقية .

أ . د محمد جمال الدين الفندى

من أعلام الأزهر - بقية

زاره الباقورى ذات مرة فتطلع الى صور حكام الهند من البريطانيين تعلو جدران قاعة واسعة فى قصر أنيق تحيط به مروج خضر ، وتتراقص من حوله شجيرات صغيرة تزينها أزاهر تملأ الجو رائحة ذكية ، ونظر الرجل الى ضيفه فرأى أمارات الاستنكار على وجهه فالتفت اليه قائلا :

ان هذا الذى تعجب له وتكاد تصرخ باستنكاره هو جزء من تاريخنا نحن الهنود ، ولن يزول هذا التاريخ ان حططنا من الجدران هذه الصور . وأفاض فى البيان ، وبين أن بقاءها يذكر الأجيال بما كان .

وبينما كان أبو الكلام يشرح ويوضح والهندى الأزهرى يترجم كان الشيخ الباقورى يتمثل ما صنعته الثورة المصرية « فقد ضاقت صدرا بكل آثار الذين حكموا مصر من قبلها ،

فراحت حاقدة مغيظة تشفى غيظها هذا من قصورهم وقبورهم معا .. فى حين أن تلك الآثار لو بقيت كما بقيت آثار الأباطرة فى الصين وفرنسا ، والقياصرة فى روسيا وغيرها لكان ذلك أرضى للتاريخ وأشبه بالنظر البعيد، وأنفع للأجيال القابلة فى مجال العظة والأدكار » .

ومن هنا تطرق الباقورى الى الاستعمار وما يقابل به من بغضاء يحول بيننا وبين الانتفاع بعلمه وكشوفه واختراعاته ، ولم تنته الصداقة عند تلك الزيارات بل الود متصلا بين العالمين الكبيرين بالتراسل والمكاتبات .

يقول الشيخ الباقورى فى هذا الشأن .

ولقد كنت أكاتبه بعد عودتى الى القاهرة عقب الرحلة الطويلة التى بلغت فيها الصين لزيارة المسلمين ، وعشت فى ربوعها اكثر من ثلاثين يوما ، ولما عدت كان يسعدنى برسائله حتى رحل عن دنيا الناس .

ولقد طوفت بك مع فكر الباقورى نحو لدين والدنيا والناس ، وفى كل مواقفه تراه رجلا متزنا يصور الأمور بأسلوب مهذب يعتمد على ركن ركين من الخلق المتين القويم ،والأفق الواسع .

ويتحدث عن الأديان فيتسع صدره لتعاليمها مادامت فى رحاب التوحيد ، والاسلام عنده هو المهيمن والجامع لكل ما يفيد البشر ويرتفع بهم فى كل زمان ومكان .. والأزهر عنده — وان جحد فضله — هو الصورة المثلى لما أراده الله لخلقه من الهدى .

وهو رجل كريم حسن الصحبة لا ينسى جليسه ولا يترك صديقه ولا يغمط حق من خدم وطنه أو دافع عن كيانه .

رحمه الله ونفعنا بما خلف لنا من كتب وخطب وشعر .

السيد حسن قرون

بسم الله الرحمن الرحيم
«الٓمٓ ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين»

تأملات فى قانون الحياة

منذ ظهور شعاع الحياة الأول فى فجر البشرية ، والانسان تواق الى معرفة الحقيقة — وصياغة قانون للحياة يعينه على فهم قوانينها رغبة فى المعرفة بهدف الاستفادة من اكمانيات الحياة فى معيشته وأسباب حياته .

وفى هذا السبيل ، بدأ العقل البشرى رحلة خالدة فى هذا الكون بحثا وفكرا فى نفسه وفى الظواهر الكونية من حوله ، وكلما تصور أنه أصبح على وشك الوصول الى غايته ، وجد آفاقا جديدة للعلم لم يكن يتصورها عندما بدأ رحلته الخالدة على ظهر هذا الكوكب الذى نحيا عليه .

بدأ ينظر الى الأرض بما فيها من مواد وظواهر وكائنات وينتظر وحى السماء عسى أن يجد ضالته وبدأ يسجل ما يصل اليه من علوم بطرق تتسق مع امكانيات عصوره المختلفة ، ولكنه لازال الطريق الى الهدف لأنه كلما سار خطوة تشعبت أمامه المجالات التى تعينه على فهم « قانون الحياة » .

وحتى يسهل عليه البحث قام بتقسيم العلوم وأنواع المعرفة الى فرعين رئيسيين :

علوم طبيعية .
وعلوم انسانية .

وتعاملت العلوم الطبيعية مع الانسان — برغم أنه الهدف النهائى ، على أنه تركيبة محكمة من مواد لها قوانين المادة الطبيعية والكيميائية ، وفى سبيل ذلك لجأت الى دراسات فرعية فى علوم الطبيعة والكيمياء بفروعهما ثم اقتربت عدسات البحث الى « كيمياء الحياة » عن طريق الدراسات الخاصة بالنبات والحيوان وكل هذا يغذى أساسا — بفروعه وفروع الفروع — العلوم الطبيعية ، ومع تقدم الزمن نتج فى مجال العلوم الطبيعية لفيف قد لا يأتى عليه الحصر من أنواع المعرفة فى شتى المجالات : الطب والهندسة والزراعة والصيدلة والتجارة .

هذا خلاف العلوم الاساسية التى تغذى كلا من هذه المجالات وغيرها .

تحت كل عنوان من هذه الفروع يوجد حشد هائل لعناوين فرعية وتخصصات دقيقة

للدكتورة سعاد حسين البيلى

يتناول كل منها مجالا لخدمة هذا القسم من العلوم .

***

واذا ما انتقلنا الى فرع العلوم الانسانية ـ حيث الانسان هو المحور الأساسى للبحث ـ الانسان بكل ما فيه من مميزات دون سائر المخلوقات، من ارادة وفكر وحرية ورغبة ومقدرة على تغيير الظروف المحيطة به . ونظرا لاختلاف مقاييس البشر باختلاف الزمان والمكان فاختلاف القيم السائدة فى مجتمع دون آخر ، نجد أن العلوم الانسانية لا تتفق نتائج علمائها ـ بلتتباين تباينا ملموسا ، بخلاف العلوم الطبيعية ولا أدل على ذلك من هذا المثل البسيط :

فلو سألنا مجموعة من الدارسين فى دول مختلفة فى زمن واحد عن كثافة الماء عند درجة ٤ مئوية لكانت النتيجة ان كثافتها تساوى واحد ولا يختلف فى هذه القيمة اثنان . أما لو سألنا مجموعة أخرى من المهتمين بالدراسات الانسانية عن « معنى الحرية » لسمعنا عجبا ، كل يعرف « الحرية » بتعريف خاص يعكس القيم السائدة فى مجتمعه حين سئل .

وللمرة الثانية ـ تشعبت الدراسات الخاصة بالعلوم الانسانية ـ ونتج لفيف من أنواع التخصصات فى علم التاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع .... مع ما بين علماء هذه العلوم من اختلافات .

***

والآن فلنقف وقفة قصيرة لنتذكر أنه انما كان الهدف فى بداية رحلة العقل البشرى أن يصيغ قانونا عاما للحياة ونلجأ الى هذه الدراسات لتحقيق هذا الهدف ، ولكن وسط هذا الحشد الهائل لعناوين العلوم ـ وليس للمعلومات نفسها ضاع من أساتذة كراسى هذه العلوم الهدف الأول لرحلة العقل البشرى .

أسأل بالله من ذا الذى له القدرة على ضم وهضم هذه العلوم كلها فى عقلية واحدة ليجيبنا ـ فى النهاية ـ على سؤال البشرية :

ما قانون الحياة ؟

القانون الذى يتفق عليه عالم التاريخ وعالم الاجتماع وعالم النفس وعالم الطب والرياضة والفلك .... وغيرها وغيرها .

لست أتصور انسانا يستطيع أن يقوم بهذا الدور كذلك لست أتصور انسانا فى عالمنا اليوم يحمل هذه العقلية الفذة من بنى البشر بل يبدو

لى أن علماء هذه الفروع انفسهم انصرف كل منهم عن العمل لهذه القضية ان لم يتصـــور

— قصورا — أن بعض هذه العلوم يتناقض مع بعضها الآخر .

فاذا عدنا الى « ذلك الكتاب » الى القرآن الكريم وجدناه سجلا لكل « قوانين الحياة » بشتى ظواهرها الطبيعية والانسانية .... كيف هـــذا ؟

هل يختلف اثنان فى أن علم النفس : ليس له من قانون أبلغ من قـــول علام الغيوب :

« وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا » .

هل من قانون عام لعلم النفس أكثر عمقـــا من « لا اله الا الله » الذى سوى النفس وعلمها .... ولها الاختيار .

واذا ما تناولنا الطب ، أين دوره اذا صعدت الروح الى خالقها .... لا يوجد له دور ....

اذا مهمة الطب مرتبطة بدوران الروح فى الجسد فاذا انفصلت فهذا قول الحق تبارك وتعالى

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى » .

اليس قانون الطب « لا اله الا الله »
رب هذه الروح وعالم سرها الأعظم .
حتى أعقد العلوم الرياضـــية ....
أليس يجمعها جميعا قول الحق تبـــارك وتعالى :

« وَكُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ » .

فسبحان من أعطى هذا العطاء وجعل ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه كنز الكنوز .
اذا أردناه كنزا للعقل وجدناه
أو أردناه كنزا للروح وجدناه .

كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

د . سعاد البيلى

الشعر والشعراء

يشرف عليه الدكتور حسن جاد

إبنة الإسلام

أول منزل

يا شعر

ابنة الاسلام

يا ســـائلا عنى وعن آبائيـا — أو ليس اصـلى كالحقيقة زاهيا

انى ابنـة الاسلام أكـرم والد — حسبى من الدنيـا به نسبا ليا

* * *

فى الجاهليـة كنت كما مهمـلا — وأنوثتى عـار يسير ورائيـا

احيـا مضيعه الحقوق ذليلـة — أن لم يئـدنى فى الطفولة آليا

كفر وعصـيان وكبر جهـالة — فى أفق عمرى كان يجثم داجيـا

فرفعت كفى للسـماء لعلها تحنـو — وتشرق بالضـياء ســمائيا

حتى أضـاء الكون نـور محمـد — صلى عليـه الله نورا هـاديا

فتشـبثت روحى به وبدينـه — وتحطمت فى ظلـه أغلاليـا

وأعـزنى الاسـلام وارتفعت به — رأس وأرسى فى الحيـاة مكانيا

وبلغت رشـدى فى هدى أحكامه — أصبحت أعرف ما على وما ليـا

فرضت حقـوق فى الكتاب وكلها — تحمى حيـاتى أو تؤمن ماليـا

وتـاكدت بالـدين انسـانيتى — وبلغت فيـه منتهى أماليـا

* * *

شعر/ علية الجعار

ومضيت أستبق الرجال الى العلا ... لينير فجر الخالدين حياتيا

انى أنا أسماء حين تتبعت ... خطو النبى بغار ثور نائيا

حملت اليه الزاد فى جوف الدجى ... لم تخش ذئبا فى الفيافى ضاريا

قد آمنت بالحق ليس يخيفها ... يوما أبو جهل عتيا قاسيا

انى أنا ذات النطاقين التى ... كانت مثالا للبطولة عاليا

* * *

ونسيبة خاضت غمار الحرب فى ... أحد فكانت فيه سيفا ماضيا

كانت تذود عن النبى بروحها ... وتصد عنه مشركين عواتيا

فأنا نسيبة بنت كعب واسمها ... سيظل رمزا للشجاعة باقيا

* * *

يا سائلا عنى أنا بمحمد ... قد هذبت وتأثرت أخلاقيا

النبل والخلق العظيم صفاته ... ومن الرسول قبست كل صفاتيا

يا سائلا عنى وعن آبائيا ... انى أتيه على الزمان بجاهيا

فأنا ابنة الاسلام أكرم والد ... حسبى من الدنيا به نسبا ليا

أول منزل

للشاعر الدكتور
عزت شندى موسى

أفنيت فيك فتوتي ومراحى ... ونسيت بعدك بهجة الأفراح
بى من عهودك فى الشباب مشاهد ... ما عشت أذكرها .. نكأن جراحى
لم أدر أحداث الزمان وجورها ... أو أدر يوما غصة الأتراح
ورشفت فيك من الحياة رحيقها ... والعيش جد ميسر ومتاح
والنيل يجرى تحت بابك هادئا ... ويرن فيك ترنم الملاح
والماء يغسل جانبيك مطهرا ... ينساب بين زنابق وأقاحى
ويرف سرب الطير حولك شاديا ... يختال بين الزهر والأرواح

* * *

لم ألق يا مغناى مثلك منزلا ... عبق المساء معطر الاصباح
أو ألق للقمر المنير طلاوة ... فى غير ساحك يا منى الساح
طوفت ما طوفت بعدك .. لم أجد ... ركنا يظل كركنك الفياح
أو ألق فى دنياى ثغرا باسما ... يجلى الهموم .. كثغرك الوضاح
أو مر بى فى العيش عهد شائق ... عبر الحياة .. كعهدك اللماح

* * *

عفت المعالم منك يا مهد الصبا ... وأتت عليك يد الزمان الماحى
هدمتك بالأيدى المغيرة فكرة ... بعدت عن التنسيق والاصلاح
لهفى عليك .. وكنت مرتع بلبل ... حلو الغناء مغرد صداح

* * *

يا دار هذا العهد كان وسيلة ... للقرب والزلفى الى الفتاح
صاحبت فيك أخا له فى مهجتى ... حب الشقيق .. على هدى وصلاح
قاسمته حلو الحياة ومرها ... والعيش بين تعثر ونجاح
وبقيت وحدى فى الحياة مجاهدا ... يسعى الى الهيجا .. بغير سلاح

ياشعر

للشاعر: محمد صيان الدين

تردد باسماع الزمان رخيما — ورفرف على وجه الحياة نسيما
وطوف بآفاق الوجود مصورا — وترجم أحاسيس القلوب نظيما
ونور بوجدان الغواة بصائرا — ترى الحسن قبحا والحميد ذميما

* * *

ولوح برايات السلام على الورى — وكن لى صديقا فى الحياة حميما
أنيسا تناجينى بكل فضيلة — أكون بها خصب الفؤاد كريما
أيا شعر ٠٠ ان لم تنتصر لعقيدتى — وتجهر بها فى الناس كنت عقيما

* * *

رأيتك عند القانتين لربهم — ملاكا ، وعند الغافلين رجيما
ونظام هجر القول ليس بشاعر — وان هز أعطافا وصاغ نجوما (١)
سمو المعانى فى القريض منابع — تفيض بجدباء النفوس نعيما

* * *

وتضفى على الدنيا بهاء ورونقا — يضيآن من قدس الجلال حلوما
لهذا جعلت الشعر نايا أبثه — ترانيم قلب لا يزال صميما
يرى أن قول المرء فى كل حالة — يصير بديوان السماء رقيما

* * *

ومن يحظ بالذوق الرفيع فانه — يكون لسفساف القريض خصيما
فلا كان فن بالمجون مزخرف — ولا كان شعر يستبيح حريما (٢)

---

(١) هجر = هذيان ٠

(٢) حريما = الحريم المصان الممنوع ٠

قطوف دانية

فى الشعر الإسلامى

أجد لذة عظمى فى هذه الأيام ، عندما أطالع روائع الشعر الاسلامى ، وذلك لأننا أصبحنا فى حاجة ماسة الى التزود من ينابيعنا الأولى الصافية ، فى زمن رانت فيه على آفاقنا أحداث جسام ، تريد أن تعوق المسيرة الى الغد الأرغد ، والمستقبل الأسعد ، أو كما جاء فى فى التنزيل الحكيم : « يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » .

أكتب هذا الكلام وبين يدى ديوان الشاعر الاسلامى : محمد عبد المنعم ابراهيم المحامى ، الذى يسعدنى أن أجيل فيه نظراتى ، وهو يحمل عنوان :

« استشفاف الأدلة ، فى استشراف الأهلة » .

وهذا العنوان المسجوع ، قد يوحى للقارىء الكريم ، لأول وهلة ، أن صاحبه سوف يقدم مادة شعرية ذات صيغة تراثية ، احتذاء بالسلف الصالح الذين كانوا يميلون ، فى كثير من التصانيف ، الى ايثار اختيار مثل هذه العناوين .. الا أن الاستقراء لنصوص الديوان ، سرعان ما يكشف عن أصالة صاحبه ، واستقلال شخصيته ، لأن لديه ما يقوله ..

وكيف لا .

وللشاعر قصائد عديدة نظمها فى المعانى الدينية السامية ، وصدر فيها عن هتفات وجدانه ، بأسلوب يجمع بين الجزالة والرقة . وقد استمتعنا بمثل هذه القصائد ، لأول مرة ، حينما بدأ فى نشرها ، منذ أكثر من نصف قرن من الزمان ، بمجلاته التى كان يصدرها ويرأس تحريرها ، وهى مجلات :

« الجامعة الاسلامية » .

و « الأمانة » .

و « ربة البيت » ، وغيرها .

وكان يستكتب لمجلاته تلك أقلام طائفة من أعلام الفكر والأدب ، فى مصر وسائر أقطار الأمة العربية . ولا يضن بوقت أو مال أو جهد ، فى سبيل تقديم الزاد الرفيع ، لعشاق الكلمة المجنحة ، والبحوث الجادة الممتعة .

جولة مع الشاعر محمد عبد المنعم ابراهيم في ديوانه "استشراف الأهلة"

بقلم الدكتور مختار الوكيل



شىء من نشـاطه :

وشاعرنا محمد عبد المنعم ابراهيم — الى جانب دراسته القانونية المستفيضة ، قد عكف على قراءة واستيعاب العديد من دواوين فحول الشعراء ، فى شتى العصور ، كما عاش تأملات كبار الفلاسفة والمتصوفين ، بمداومة القراءة لهم ، والاستغراق العميق فيما يثيرونه من أقضية ونظريات ومجادلات ، وسياحات روحية وفكرية •• كما خاض شاعرنا تجربة اقتصادية طويلة ، حينما أنشأ الكثير من الشركات ، وأدارها بنجاح •• وفى مجال الخدمة العامة ، كان عضوا عاملا نشيطا فى مجلس ادارة جمعية (تدعيم) الأسرة ، وكان عضوا بأول جمعية أنشئت للوحدة العربية ، وأمينا عاما لأول هيئة أنشئت لتحرير الجزائر ، برئاسة الأمير « مختار الجزائرى » ، ووكيلا لهيئة الدفاع عن الأمير عبد الكريم الخطابى ، التى توجت مجهوداتها بافراج فرنسا عنه ، وعودته من المنفى ••

وبجانب ذلك كله ، كان وكيلا لجامعة أدباء العروبة ، وعضوا بمجلس ادارة المركز العام للشبان المسلمين ، ومديرا عاما له •

ومن مؤلفاته :

واذا كانت للشاعر مؤلفاته العديدة ، مثل : « الأمير عبد الكريم الخطابى » و « عصر الايمان » و « مبادىء المبادىء » و « أسئلة الأطفال » و « معتقدات قدماء المصريين » و « من جيل الى جيل » الخ •• فانه أصدر فى مجال الشعر ، دواوين : « وانشق القمر » و « غنوا معى للحب والحياة » و « من وحى الهجرة » و « الأم » ، و « الهمزية السنية فى مدح خير البرية » ••

وأخيرا ، توج هذا كله ، بديــوانه الأخـير ، موضوع كلمة اليوم : « استشفاف الأدلة فى استشراف الأهلة •• » ولا شك أنه قـد بذل جهدا كبيرا فى صياغة هذا العنوان الطريف ، ليكون أكثر دلالة على موضـوعه •• فهـو يعالج فى ديوانه هذا ما تزخر به الأشـــهر العربية من أحداث جسام فى تاريخ الاسلام ، وما وقع فيها فى عصر النبــوة ، والعصــــور التالية له ، من وقائع وغزوات وسرايـا •• وهذا فى تقديرى ، عمل جليل لم يســـبقه أحد اليه من قبل ، فيما أعلم •

وهو يتحدث عن الشهور العربية بعاطفـة جياشة ، تزف شعرا وجدانيا ينســاق الى نفس القارىء ، كالأمواج المناسبة فى ريث ، منوها بجلائل الأعمال والمـآثر ، التى تحلى بها كل شهر من هذه الشهور على حدة ، ابــان عصر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ••

فهى تموج بسرد واف للغـزوات والسرايا ، ووصف شامل لجهاد المسلمين فيها ببسالة تحت راية القرآن ، فمنها ، مثلا ، (غـزوة مؤتة) التى وقعت فى جمادى الأولى ، والتى خاضت فيها جيوش المسلمين معركة طاحنة ، ارتفـع فيها علم الاسلام عاليا خفـاقا ، وان انتهت باستشهاد الأبطال الثلاثة : زيد بن حـارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحـة •• وكانت هذه المعركة غير متكافئـة ، اذ أن عدد المحاربين من الروم بلغ مائة ألف جندى ، غير من ناصرهم ، فى مقابل ثـلاثة آلاف فقط من المسلمين المستبسلين •

وفى استشهاد جعفر بن أبى طالب ، يقــول شاعرنا :

وفى حــر القتـــال نرى كميـا
يراه المجـــد بالعليـــا قمينـا
فتى مــن آل طـالب ذو جـــلال
عليـــه مهـابة المستشهدينا

ويصور مراحل كفاحه الذى لا هوادة فيه ، برغم ما أصابه من بلاء عظيم ، بقوله :

اصـيب بقطـع يمنـاه •• ولكن
غـدت يســراه تقتحم الحصونا
وتتركه اليســار ! •• فلا يبـالى
ويمضى فى قتـــال الكافرينـــا
تلقفهــــا بيـــاقى منكبيـــه
هزبرا صـامدا فــذا أمينــا

ثم يشير شاعرنا الى امداد الله تعــالى لمقاتلى المسلمين بجند من عنده ، بقوله :

الله أرســـل للنبى ملائكـــا
الفـــا يحـارب كـل ملك مشركا
فـرت جموعهمـو •• وخلت هالكا
أو عاجزا ، من رعبـه •• متهالكا

وقد ضمن الشاعر فى احـدى قصـــائده عن شهر رمضان المبـارك ، قـواعد الـدين الحنيف ، فى بيتين ، همـا :

أرسى قواعـد دينـه فى خمســـة
يزهى بهـــا وجه الزمان ويفتخـــر
((الصوم)) و ((الحج))و((الصلاة))•• ثلاثة
وكذا ((الزكاة)) ، مع ((الشهادة)) ، للبشر

وان كان مثل هذا الشعر أقرب ما يكون الى نظم شعر المتون ، وشعر ألفية ابن مالك وغيرها ، الا أن حرص الشاعر على تدوين كل ما يعن له ويحرص على اثباته ، تجعلنا نتقبله بقبول حسن ، خاصة لأنه كان يبذل جهدا كبيرا لتطويع الشعر ، لأسماء الغزوات والسرايا ، وكذلك ما تم بشأن تحطيم الأصنام ، كقوله بقصيدة (شهر رمضان) :

ومضى بخير الجند حتى حطموا
ذل الجهالة فى خيالات البشر

«عزى» و «عرنة» ثم «مسخ يلملم»
و «سواع» و «الكفتين»٠٠والبدع الأخر

اما « مناة » فقد تولى امرها
سعد بن زيد وانتهى ٠ ٠ملك الحجر !

* * *

وفى قصيدة عن شهر رجب ، نراه يجنح الى سرد واقعة تاريخية ، يحفظها لنا التاريخ فى أنصع صفحاته ، لعمق مغزاها ودلالتها على ما يمكن أن تحدثه معجزة الايمان ٠٠ وذلك عندما أرسل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

(خالد بن الوليد) ، فى سرية ليحارب « أكيدر » فى حصن (دومة الجندل) وكان حصنا منيعا ٠٠ يقول الشاعر محمد عبد المنعم ابراهيم :

فقال ابن الوليد : وكيف أغزو
بقلة جيشى الحصن الحصينا ؟

وقال له الرسول مقال صدق
ــ وكان الله ما نحه اليقينا ــ

« أكيدر » سوف تلقاه بليل
بغير الحصن يجتاز الحزونا

ويسترسل الشاعر مصورا (أكيدر) وهو يسهر ليله ، يعب الخمر ، فى جو عابث صاخب ، فلفت ذلك نظر قطيع من البقر ، فأسرع نحو الحصن الغارق فى شعلة من نور ، فلما رآها أكيدر فرح فرحا شديد ، وقال : الليل خير الرازقينا ٠٠ وخرج يطاردها ٠٠ يقول الشاعر :

وحاول أن يسيطر فى عناد
على البقرات ٠٠ فانقلبت : كمينا !

فتجرى نحو (خالد) ٠٠ وهو يجرى
الى أن صار ماسورا مهينا

ونمضى مع الشاعر فى استعراض الشهور العربية ، الى أن نصل الى رحاب شهر شعبان ، حيث نجده يتحدث بعمق عن تحويل القبلة فى ذلك الشهر ، من بيت المقدس الى بيت الله الحرام ، فيقول :

شعبان يا شعبان أنسـ
ـت يشير شهر المعى

فيه تحول قبلة
من بيت مقدسنا العلى

للكعبة العظمى وقد
فرض الصيام على التقى

وكذا زكاة الفطر قد
فرضت ٠٠ لتطهير الغنى

والشاعر ينظر فى البيت الأخير ، لقوله تعالى : « **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** .. » •

ومهما يكن من أمر ، فان القارىء ، المتأنى ، لابد أن يلحظ أن الشاعر محمد عبد المنعم ابراهيم ــ بالتزامه بما يلزم فى نظمه ــ لم يكن بعيدا عن دفقة الالهام ، برغم ماتستلزمه الصنعة من تحكم فى المادة المتشعبة التى يتخذها مضمونا واطارا لصوره وأخيلته ..

فقد حافظ على الجرس وسلامة العبارة ، واختيار الألفاظ بعناية فائقة ، لتكون أكثر دلالة واشعاعا للمغذى الاسلامى العميق ، فى تلك القصائد الجياد ، وما تتضمنه من ذكريات غالية ، حافلة ، عن شهورنا العربية ، التى تمر بالكثيرين ، دون أن يلتفتوا الى روعة ما تفيض به من المفاخر والمآثر •

وعندى أن شعر هذا الديوان يقف فى صف مع عيون الشعر الاسلامى فى أزهى عصوره .. ولعل السبب فى ذلك أن الشاعر قد وجد (موضوعه) الذى انفعل به ، وعاش فيه •

والرأى عندى الذى أود ابداءه على هذا المنبر العالى ، منبر مجلة الأزهر الغراء ، أن أشعار هذا الديوان جديرة بأن يستوعبها ناشئتنا ، ليتمثلوا بها ويستوعبوا مضامينها ومزاياها لتكون لهم نبراسا وحبذا لو التفتت اليها أجهزة الاعلام ، من اذاعة ، وتليفزيون ، لاذاعة فلذات ومختارات منها ، لتجسيد الأمجاد التى يصورها هذا الشعر ، بأسلوبه السلس ، السهل ، الممتنع •

وصفوة القول ، أن شاعرنا فى مجموعته الشعرية الجديدة تلك ، لم يكن شاعرا فقط ، بل كان أيضا ، فى ثناياها ، باحثا ودارسا ومفكرا ، وكيف لا ، وهو من الجيل الشعرى الذى تلا جيل العمالقة : شوقى وحافظ ، وكان من أبرز شعرائه ، من أمثال : محمد الأسمر ، واحمد محرم ، والجارم ، والبزم ومحمود جبر ومحمود عماد وغيرهم من الشعراء الأعلام • وهو من أكثر شعرائنا وأدبائنا زهدا وبعدا عن الأضواء ، ورب ضارة نافعة ، فقد أفاده ذلك فى اختزان طاقته وموهبته ، وصياغة أفكاره على مهل ، بريث وأناة ، حتى جاءت ، كما نرى ، حافلة بالاشراق ، وعناصر التجربة الشعورية الوجدانية الحية ..

هذا وبالله التوفيق •

الشعاع المسموم

بقلم: أحمد مصطفى حافظ

بعد تدبر واستيعاب جولات الشاعرة جليلة رضا المتعمقة فى ثنايا شخصية وشاعرية الأديبة الراحلة: روحية القلينى .. أرى أن ما أبدته من أفكار وآراء — حول السفور والحجاب، بصفة خاصة (١) — لايزال بحاجة الى تعقيب واضافة .

وأود أن أقرر — بادىء بدء — أن المتأمل فى ثنايا ماكتب عن الأدب النسائى عامة — على قلته نسبيا — يجد أن دراسة الأستاذة جليلة رضا قد اتسمت بالدقة والانصاف .. وعسى أن يتاح للشاعرة جليلة نفسها . أن تظفر بمثلهما من نقادنا وباحثينا ..

وكيف لا ؟ .. وهى تمثل فى تقديرى، وتقدير كثير من الكرام الكاتبين . — كالدكتور محمد رجب البيومى وغيره (٢) أحد أضلاع المثلث الذهبى المتساوى الأضلاع . تقريبا ، فى الشعر النسائى المعاصر . الذى يضم — بالاضافة الى « جليلة رضا » كلا من الشاعرتين النابغتين الأخريين : نازك الملائكة . وفدوى طوقان . ولا ريب أن هذا المثلث الذهبى ، يعد بمثابة الثمرة الجنية . أو الامتداد الطبيعى . لابداع الشواعر الرائدات ، فى أدبنا المعاصر . بدءا من عائشة عصمت تيمور، وملك حفنى ناصف . ووردة اليازجى ، وأمينة نجيب . ومارى زيادة: « الآنسة مى » ..

ومرورا بالشواعر : جميلة العلايلى ، وسهير القلماوى . ورباب الكاظمى ، وانتهاء بروحية القلينى . وطلعت الرفاعى ، وملك عبد العزيز وسلمى الخضراء الجيوسى وشريفة فتحى وعلية الجعار ووفاء وجدى وحياة أبو النصر ونعمت عامر وغيرهن .

---

(١) وقد وفى الدكتور عبد الودود شلبى هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة ، بكتيب الهدية الملحقة بعدد مجلة الازهر الغراء ، الصادر فى جمادى الاخرة سنة ١٤٠٥ هـ ، الذى يحمل عنوان : « فى مسالة السفور والحجاب » فليرجع اليه من يشاء .

(٢) بمقال له بعدد مجلة الثقافة الصادر فى ابريل سنة ١٩٨٢ ، تحت عنوان « قراءة فى ديوان : (العودة الى المحارة » .) وكذلك كتابات الناقد الراحل مصطفى عبد اللطيف السحرتى ، المتعددة ، عن الشاعرة ودواوينها المختلفة .

السهام المسمومة

ولابد من وقفة مع بعض شواعرنا الرائدات لنتتبع رايهن فيما أثارته الشاعرة جليلة بشأن السفور والحجاب ، خاصة وأنهن قد عاصرن بداية انبثاق هذا الموضوع ، فى فجر القرن الحالى ، عندما أصدر « قاسم أمين » كتابيه المشهورين ، اللذين أحدثا دويا هائلا ، مازال صداه يتردد فى آفاقنا حتى اليوم . وهما يحملان عنوانى : « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » .

فها هى عائشة التيمورية تقول باعتداد وايمان راسخ :

بيد العفاف أصون عز حجابى
وبعصمتى .. أسمو على أترابى
ولقد نظمت الشعر .. شيمة معشر
قبلى .. ذوات الخدر والأحساب
فجعلت مرآتى : جبين دفاترى
وجعلت من نقش المواد .. خضابى

الى أن تقول :

ما عاقنى خدرى عن العليا .. ولا
سدل الخمار .. بلمتى ونقابى (١)

وقد أشارت ملك حفنى ناصف ، فى رثائها لعائشة التيمورية ، الى ايثار عائشة للحجاب ، بقولها .

هى الدرر المصون .. ببطن أرض
وقد كانت كذلك فى .. قناع

وقد أبدت « ملك » رأيها — نثرا — فى هذا الموضوع ، بقولها : « ان كثيرات من فتياتنا المتعلمات ، يحسبن أن الدرجة التى وصلن اليها ، تكفى لاعطائهن مطلق الحرية ، يجئن ويرحن وحيدات . وحوادث الفتيات المحزنة كثيرة جدا فى أوربا ، لأن الفتيات الطائشات ، يصدقن — لصفاء نيتهن — كل مدع لهن بالغرام (٢) ، وتساعدهن حريتهن المطلقة على مسايرة الفتيان ، ثم لا يلبث الرجال أن ينفضوا من حولهن ، ويتركوهن بين اليأس والعار ، وهما أمران : أحلاهما مر (٣) . » .

الى أن تقول : « يكفى تجنبا لمثل هذا الاختلاط المعيب ، أن أهله أنفسهم ، « تعنى الأوربيين » ، هم أول العائبين له .. والفتاة فى مثل هذه السن — ككل انسان — تطلب الحرية .. ويجب أن تتريض وتتخرج ، وهذان أمران لا أمنعهما عنها ، وانما أنصح للأمهات بأن يرافقنهن ، وللآباء أن يراقبوهن مراقبة لا تتمكن بها من الوجود مع غير ذى رحم محرم . » (٤)

وتؤكد ماتدعو اليه فى خطبتها تلك بقصيدتها المشهورة التى حفظناها فى طفولتنا ، ولم نعمل بها !! .. والتى تقول فيها :

مجد الفتاة .. مقامها
فى البيت .. لا فى المعمل
والمرء يعمل فى الحقو
ل ، وزوجه .. فى المنزل

---

(١) أنظر ديوانها : « حلية الطراز » ص ٢٦٥ .

(٢) ويحضرنى فى ذلك قول الشاعر محذرا :

غرها طول الثناء — والمديح المصطنع
صدقت أن الهوى — عذرها حين تقع !

(٣) انظر كتاب « آثار باحثة البادية » لمجد الدين حفنى ناصف ص ٩٦ .

(٤) المصدر السابق ص ٩٧ .

من للوليــــد يعينـــــــه
في لبســــه والمــــآكل ؟
من للرضــــــاعة والحضـــا
نـــة والفطـام ومـــا يلي ؟
من للمـريض يحـــوطه
أبـــدا بـــدون تململ ؟
يجـرى عـلى وصـــــف الطبيـــ
ـــــب .. على الطريق الأفضــل ؟

الى أن تقول :

لكن اذا دعت الضــــــرو
رة للخـــــروج فحيهـــــل
وتنكبى نهــج الزحـــــا
م وفضـــلى النهـج الخلى
لا تخضـــعى بالقـــول لا
تتبـــرجى .. لا ترفـــلى

وبعد ما سقناه ، نثرا وشعرا لباحثـــة البادية وعائشة التيمورية . نود أن نتوجـــه بالسؤال الى السافرات المتزينات المتعطرات ، لمعرفة رأيهن في الحـديث الشريف الذى رواه أبو هريرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا تمنعوا اماء الله مساجد الله ، ولكن ليخرجن وهن تفلات » اهـ

أى غير متطيبات ، لئلا يحركن الرجـــال بطيبهن .

وكذلك رأيهن في الحديث الشريف الاخـر ، الذى رواه ابن عمر رضى الله عنهما : «لاتمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن . » (١) ونحن اذا نظرنـــا اليوم حولنا ، تذكرنـــا على الفور مدى حاجتنا الماسة الى اعادة النظر لوضع الضوابط التى تكفل صيانة مكانة المرأة وخاصة بعد وقوع بعض الحوادث الشـــاذة الأليمة ، التى تفاقمت حتى وصلت الأزمـــة الأخلاقية فيها الى حـــد الخطف والنهب و.. الاغتصاب !

والرأى عندى أن الاجراء « البـــوليسى » وحده لا يكفى ، بل ينبغى أن تواكبه حملـــة تنوير وتبصير وتوعية . من أعلام الدعـــاة في الأزهر الشريف ، ومن جهـــابذة الكتـــاب والمصلحين الاجتماعيين ، لتذكيـــر النـــاس وتنبيههم الى ما تقضى به الشرائع السماويـــة في هذا الموضوع الحيوى الهام ، ورفـــع الغشاوة عن أعـــين الكثيرين والكثـــيرات .. ويحضرنى في هذا الشأن ، مقال بليغ للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى .. بعنـــوان : « عبرة من حياة أديب (٢) » ، تحدث فيـــه ، باسهاب ، عن المرحوم الدكتور منصور فهمى ورسالة الدكتوراه التى حصل عليها من جامعة السربون ، عن : « حال المرأة في الاســلام » صدر فيه ـــ أثناء دراسته بباريس عن تعاليم الاسلام ، ولكن .. بعد مسخها وتشويههـــــا هنالك !..

ثم أتاح الله له من بصره بالحق ، فتغيرت نظرته تماما الى المـــرأة ، في ظـــل المفـــاهيم الاسلامية الصحيحة ، ولم يعد الاســــلام في نظره ـــ كما يقول الدكتور البيومى : عـــامل

---

(١) ليس يكفى ـــ ابدا ـــ أن يســوق الـكاتب الحديث الشريف دون ذكر مصدره . وكم كررت المجلة هذا القول وحذرت منه فمعذرة اذا تسبب اهمال هذا الامر في عدم نشر المقال مطلقا .

(٢) منشور بعدد مجلة الازهر الصـــادر في جمادى الاخرة سنة ١٣٨١ هـ (نوفمبـــر سنـة ١٩٦١ م) .

السهام المسمومة

تحجر وجمود بل أصبح تهافت المرأة فى أوربا على الأعمال الشاقة ، مهزلة أليمة ، تهدم بناء الأسرة ، وتحول أمنها المنتظر ، الى اضطراب قلق ، لا بهجة معه ولا ارتياح !

ويبدى الدكتور منصور فهمى رأيه الصريح فى « مسئولية الفنون والآداب عن انحراف الشباب » بالندوة التى أقامها مكتب حماية الشباب مساء يوم ١٦ من يناير سنة ١٩٥٨ بقوله (١) :

« أن الذى ننكره هو ذلك الانحراف الشديد الذى جاءنا فى الزمن المنحرف ، واتبعناه ولم نقاومه فى الرسم العارى الخليع » .

« أهذا فن جميل ؟ ! .. وهل نحن لا ننظر للشهوات ولكن ننظر لجمال الجسم العارى ؟؟

« أين الحياء ؟ أين معنى الحياء ؟ .. وهو معنى جميل . اذا تجردت عنه الانسانية ، أو اذا تجردت عنه المرأة ، أو اذا تجرد عنه الشباب ؟ أو اذا تجرد عنه الشيخ — ذهب بأكبر قيمة من قيم الانسانية .. »

يقول :

« اننا لا شخصية لنا الآن ، فأذواقنا تتلون بهذا الذوق الأوربى المنحط المائع ، الذى يغزونا كل يوم .. من غير أن نتعلق بمثل لنا ، ومن غير أن نتعلق بماض نعتز به أو للانسانية أن تعتز به » .

وحسبنا ما أورده الامام الجليل أحمد بن حنبل فى مسنده ، من أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ، فمن غض بصره عن محاسن امرأة ، أورث الله قلبه حلاوة يجدها الى يوم يلقاه » ، كما ورد عنه — صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من نظر الى محاسن امرأة أجنبية عن شهوة ، صب فى عينيه الآنك يوم القيامة » والآنك : هو الرصاص المنصهر والعياذ بالله .

فالعين — حين تنظر آثمة الى المحرمات — تثير فى النفس الشهوات ، وتطلق الغرائز من عقالها .

وصدق (شوقى) حينما صور مراحل بدء تعلق الرجل بالمرأة ، والمرأة بالرجل بقوله :

نظرة .. فابتسامة فسلام
فكلام فموعد .. فلقاء !

فالأمر ، كما نرى ، قد بدأ بـ (نظرة) واحدة ، استحكمت وتمكنت .. وجنت !

البقية ص « ٧٦٠ »

(١) انظر كتيب « مسئولية الفنون والآداب — عن انحراف الشباب » الذى اصدرته ادارة الشئون العامة بوزارة التربية والتعليم « مكتب حماية الشباب » فى ٢٥ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ ص ٤٣ .

مجلة الأزهر من خمسين عاما

حكم الشرع فى المخدرات

لصاحب الفضيلة
الشيخ عبد المجيد سليم

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

سيظل الاسلام الى أن يرث الله الارض ومن عليها حربا على الرذائل ما ظهر منها وما بطن ٠ صيانة للمجتمع الاسلامى ووقاية له من التردى فى مهاوى الشرور والآثام ، وحماية له من كل الموبقات الاخلاقية على اختلاف أنواعها وفى مقدمتها المخدرات لذا جعل الاسلام من أهم أهدافه تطهير المجتمع من كل النقائض والموبقات بتشريعاته الحكيمة ٠ وتوجيهاته السامية الذين عملوا لحفظ النوع الانسانى من كل ما يناقض انسانيته أو يدنسها أو يتلفها ، فقدم العلاج لكل انحراف وأوجد الحلول لكل المشاكل النفسيه والخلقية والاجتماعية ٠

واليك بيان فضيلة الامام ٠٠

طلب سعادة مدير مكتب المخدرات من حضرة صاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية بيان حكم الشرع فى المواد المخدرة ، واشتمل السؤال على المسائل الآتية :

١ ــ تعاطى المواد المخدرة ٠

٢ ــ الاتجار بالمواد المخدرة واتخاذها وسيلة للربح التجارى ٠

٣ ــ زراعة الخشخاش والحشيش بقصد البيع أو استخراج المادة المخدرة منهما للتعاطى أو للتجارة ٠

٤ ــ الربح الناجم من هذا السبيل أهو ربح حلال أم حرام ؟

وقد أجاب فضيلته بما يأتى :

١ ــ تعاطى المواد المخدرة :

انه لا يشك شاك ولا يرتاب مرتاب فى أن

حكم الشرع فى المخدرات

تعاطى هذه المواد حرام ، لأنها تؤدى الى مضار جسيمة ومفاسد كثيرة ، فهى تفسد العقل ، وتفتك بالبدن ، الى غير ذلك من المضار والمفاسد، فلا يمكن أن تأذن الشريعة بتعاطيها مع تحريمها لما هو أقل منها مفسدة وأخف ضررا ، ولذلك قال بعض علماء الحنفية : « ان من قال بحل الحشيش زنديق مبتدع » ، وهذا منه دلالة على ظهور حرمتها ووضوحها . ولأنه لما كان الكثير من هذه المواد يخامر العقل ويغطيه ويحدث من الطرب واللذة عند متناوليها ما يدعوهم الى تعاطيها والمداومة عليها ، كانت داخلة فيما حرمه الله تعالى فى كتابه العزيز وعلى لسان رسوله ﷺ من الخمر والمسكر .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه « السياسة الشرعية » ما خلاصته : « ان الحشيشة حرام يحد متناولها كما يحد شارب الخمر ، وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد ، وأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهى داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظا أو معنى.

قال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه : يا رسول الله أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن : البتع وهو العسل ينبذ حتى يشتد ، والمزر وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد. قال : وكان رسول الله ﷺ قد اعطى جوامع الكلم بخواتمه فقال : « كل مسكر حرام » . رواه البخارى ومسلم : وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان من الحنطة خمرا ، ومن الشعير خمرا ، ومن الزبيب خمرا ، ومن التمر خمرا ، ومن العسل خمرا ، وأنا أنهى عن كل مسكر » . رواه أبو داود وغيره .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » وفى رواية « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » . رواهما مسلم .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر حرام ، وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام » . قال الترمذى حديث حسن . (والفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا . و لمعنى ما أسكر كثيره فقليله حرام).

وروى أهل السنن عن النبى — ﷺ — من وجوه أنه قال : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » وصححه الحفاظ .

وعن جابر رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى — ﷺ — عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر ، قال : أمسكر هو ؟ قال : نعم ، فقال : « كل مسكر حرام ، ان على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ، قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار » رواه مسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى — ﷺ — : « كل مخمر وكل مسكر حرام » رواه أبو داود (والمخمر ما يغطى العقل) .

والأحاديث فى هذا الباب كثيرة مستفيضة ، جمع رسول الله — ﷺ — بما أوتيه من جوامع

الكلم كل ما غطى العقل وأسكر ، ولم يفرق بين نوع ونوع ، ولا تأثير لكونه مأكولا أو مشروبا . على أن الخمر قد يصطبغ بها ، أى تجعل اداما ، وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب ، فالخمر يشرب ويؤكل ، والحشيشة تؤكل وتشرب ، وكل ذلك حرام . وحدوثها بعد عصر النبى — ﷺ — والأئمة لا يمنع من دخولها فى عموم كلام رسول الله عن المسكر ، فقد حدثت أشربة مسكرة بعد النبى — ﷺ — وكلها داخلة فى الكلم الجوامع من الكتاب والسنة » . انتهت خلاصة كلام ابن تيمية .

وقد تكلم رحمه الله عنها أيضا غير مرة فى فتاواه ، فقال ما خلاصته : « هذه الحشيشة الملعونة هى وآكلوها ومستحلوها ، الموجبة لسخط الله تعالى وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين ، المعرضة صاحبها لعقوبة الله ، تشتمل على ضرر فى دين المرء وعقله وخلقه وطبعه ، وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقا كثيرا مجانين ، وتورث من مهانة آكلها ودناءة نفسه وغير ذلك ما لا تورث الخمر ، ففيها من المفاسد ما ليس فى الخمر ، فهى بالتحريم أولى .

وقد أجمع المسلمون على أن السكر منها حرام ، ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فانه يستتاب ، فان تاب والاقتل مرتدا لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين . وان القليل منها حرام أيضا بالنصوص الداله على تحريم الخمر وتحريم كل مسكر / ا هـ .

وقد تبعه تلميذه الامام المحقق ابن القيم — رحمه الله — فقال فى زاد المعاد ما خلاصته :

« ان الخمر يدخل فيها كل مسكر ، مائعا كان أو جامدا ، عصيرا أو مطبوخا ، فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور — ويعنى بها الحشيشة — لأن هذا كله خمر بنص رسول الله — ﷺ — الصحيح الصريح الذى لا مطعن فى سنده ولا اجمال فى متنه ، اذ صح عنه قوله : « كل مسكر خمر » ، وصح عن أصحابه رضى الله عنهم الذين هم أعلم الأمة بخطابه ومراده بأن الخمر ما خامر العقل . على أنه لو لم يتناول لفظه — ﷺ — كل مسكر لكان القياس الصحيح الصريح الذى استوى فيه الأصل والفرع من كل وجهة حاكما بالتسوية بين أنواع المسكر ، فالتفريق بين نوع ونوع تفريق بين متماثلين من جميع الوجوه » ا هـ .

وقال صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام: « انه يحرم ما أسكر من أى شىء وان لم يكن مشروبا كالحشيشة » .

ونقل عن الحافظ ابن حجر « أن من قال ان الحشيشة لا تسكر وانما هى مخدر ، مكابر ، فانها تحدث ما تحدثه الخمر من الطرب والنشوة » . ونقل عن ابن البيطار من الأطباء « أن الحشيشة التى توجد فى مصر مسكرة جدا اذا تناول الانسان منها قدر درهم أو درهمين ، وقبائح خصالها كثيرة ، وعد منها بعض العلماء مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية ، وقبائح خصالها موجودة فى الأفيون ، وفيه زيادة مضار » ا هـ .

وما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما من العلماء هو الحق الذى يسوق اليه الدليل وتطمئن به النفس . واذ قد تبين أن النصوص من الكتاب والسنة تتناول الحشيش ، فهى تتناول أيضا الأفيون الذى بين العلماء أنه أكثر ضررا ، ويترتب عليه من المفاسد

حكم الشرع فى المخدرات

ما يزيد على مفاسد الحشيش كما سبق عن ابن البيطار ، وتتناول أيضا سائر المخدرات التى حدثت ولم تكن معروفة من قبل ، اذ هى كالخمر من العنب مثلا فى أنها تخامر العقل وتغطيه ، وفيها ما فى هذه الخمر من مفاسد ومضار ، وتزيد عليها بمفاسد أخرى كما فى الحشيش ، بل أفظع وأعظم كما هو مشاهد ومعلوم ضرورة . ولا يمكن أن تبيح الشريعة الاسلامية شيئا من هذه المخدرات ، ومن قال بحل شىء منها فهو من الذين يفترون على الله الكذب أو يقولون على الله مالا يعلمون .

وقد سبق أن قلنا ان بعض علماء الحنفية قال : « ان من قال بحل الحشيشة زنديق مبتدع » ، واذا كان من يقول بحل الحشيشة زنديقا مبتدعا ، فالقائل بحل شىء من هذه المخدرات الحادثة التى هى أكثر ضررا وأكبر فسادا زنديق مبتدع أيضا ، بل أولى بأن يكون كذلك . وكيف تبيح الشريعة الاسلامية شيئا من هذه المخدرات التى يلمس ضررها البليغ بالأمة أفرادا وجماعات ماديا وصحيا وأدبيا كما جاء فى السؤال ، مع أن مبنى الشريعة الاسلامية على جلب المصالح الخالصة أو الراجحة ، وعلى درء المفاسد والمضار كذلك، وكيف يحرم الله سبحانه وتعالى العليم الحكيم الخمر من العنب مثلا كثيرها وقليلها لما فيها من المفسدة ، ولأن قليلها داع الى كثيرها وذريعة اليه ، ويبيح من المخدرات ما فيه هذه المفسدة ويزيد عليها بما هو أعظم منها وأكثر ضررا للبدن والعقل والدين والخلق والمزاج ؟ هذا لا يقوله الا رجل جاهل بالدين الاسلامى أو زنديق مبتدع كما سبق القول . فتعاطى هذه المخدرات على أى وجه من وجوه التعاطى من أكل أو شرب أو شم أو احتقان ، حرام ، والأمر فى ذلك ظاهر جلى .

٢ — الاتجار بالمواد المخدرة واتخاذها وسيلة للربح التجارى :

انه قد ورد عن رسول الله — ﷺ — أحاديث كثيرة فى تحريم بيع الخمر ، منها ما روى البخارى ومسلم عن جابر رضى الله عنه أن النبى — ﷺ — قال : « ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » .

وورد عنه أيضا أحاديث كثيرة مؤداها أن ما حرم الله الانتفاع به يحرم بيعه وأكل ثمنه . وقد علم من الجواب عن السؤال الأول أن اسم الخمر يتناول هذه المخدرات شرعا ، فيكون النهى عن بيع الخمر متناولا لتحريم بيع هذه المخدرات ، كما أن ما ورد من تحريم بيع كل ما حرمه الله يدل أيضا على تحريم بيع هذه المخدرات . وحينئذ يتبين جليا حرمة الاتجار فى هذه المخدرات واتخاذها حرفة تدر الربح ، فضلا عما فى ذلك من الاعانة على المعصية التى لا شبهة فى حرمتها لدلالة القرآن على تحريمها بقوله تعالى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ » . ولأجل ذلك كان الحق ما ذهب اليه جمهور الفقهاء من تحريم بيع عصير العنب لمن يتخذه خمرا ، وبطلان هذا البيع لأنه اعانة على المعصية .

٣ — زراعة الخشخاش والحشيش بقصد البيع أو استخراج المادة المخدرة منهما للتعاطى أو للتجارة :

ان زراعة الحشيش والأفيون لاستخراج المادة المخدرة منهما لتعاطيها أو الاتجار فيها

حرام بلاشك ، لوجوه :

أولا : ماورد فى الحديث الذى رواه أبو داود وغيره عن ابن عباس عن رسول الله — ﷺ — « ان من حبس العنب أيام القطاف حتى يبيعه ممن يتخذه خمرا فقد تقحم النار » • فان هذا يدل على حرمة زراعة الحشيش والأفيون للغرض المذكور بطريق دلالة النص .

ثانيا : أن ذلك اعانة على المعصية ، وهى تعاطى هذه المخدرات أو الاتجار فيها ، وقد بينا فيما سبق أن الاعانة على المعصية معصية •

ثالثا : أن زراعتها لهذا الغرض رضا من الزراع بتعاطى الناس لها واتجارهم فيها ، والرضا بالمعصية معصية ، وذلك لأن انكار المنكر بالقلب الذى هو عبارة عن كراهة القلب وبغضه للمنكر فرض على كل مسلم فى كل حال •

بل ورد فى صحيح مسلم عن رسول الله — ﷺ — : « ان من لم ينكر المنكر بقلبه — بالمعنى الذى أسلفنا — ليس عنده من الايمان حبة خردل » • على أن زراعة الحشيش والأفيون معصية من جهة أخرى بعد نهى ولى الأمر عنها بالقوانين التى وضعت لذلك ، لوجوب طاعة ولى الأمر فيما ليس بمعصية لله ولرسوله باجماع المسلمين ، كما ذكر ذلك الامام النووى فى شرح مسلم فى باب طاعة الأمراء ، وكذا يقال هذا الوجه الأخير فى حرمة تعاطى المخدرات والاتجار فيها •

٤ — الربح الناجم من هذا السبيل :

قد علم مما سبق أن بيع هذه المخدرات حرام، فيكون الثمن حراما :

أولا : لقوله تعالى : « **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ** » أى لا يأخذ ولا يتناول بعضكم مال بعض بالباطل ، وأخذ المال بالباطل على وجهين :

الأول : أخذه على وجه الظلم والسرقة والخيانة والغصب وما جرى مجرى ذلك •

الثانى : أخذه من جهة محظورة كأخذه بالقمار أو بطريق العقود المحرمة كما فى الربا وبيع ما حرم الله الانتفاع به كالخمر المتناولة للمخدرات المذكورة كما بينا آنفا ، فان هذا كله حرام وان كان بطيبة نفس من مالكه •

وثانيا : للأحاديث الواردة فى تحريم ثمن ما حرم لله الانتفاع به كقوله — ﷺ — : « ان الله اذا حرم شيئا حرم ثمنه » • رواه ابن أبى شيبة عن ابن عباس •

وقد جاء فى زاد المعاد ما نصه : « قال جمهور الفقهاء : انه اذا بيع العنب لمن يعصره خمرا حرم أكل ثمنه ، بخلاف ما اذا بيع لمن يأكله ، وكذلك السلاح اذا بيع لمن يقاتل به مسلما حرم أكل ثمنه ، واذا بيع لمن يغزو به فى سبيل الله فثمنه من الطيبات ، وكذلك ثياب الحرير اذا بيعت لمن يلبسها ممن يحرم عليه لبسها حرم أكل ثمنها بخلاف بيعها ممن يحل له لبسها » اهـ •

واذا كانت الأعيان التى يحل الانتفاع بها اذا بيعت لمن يستعملها فى معصية الله على رأى جمهور الفقهاء وهو الحق يحرم ثمنها لدلالة ما ذكرنا من الأدلة وغيرها عليه ، كان ثمن العين التى لا يحل الانتفاع بها كالمخدرات حراما من باب أولى •

واذا كان ثمن هذه المخدرات حراما كان خبيثا ، وكان انفاقه فى القربات كالصدقات والحج غير مقبول أى لا يثاب المنفق عليه •

بقية ص ٧٥٦

طرائف

لو رتعت لرتعوا

حمل مرة الى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب مال عظيم من الخمس ، فلما نظر اليه قال :

ان قوما أدوا الأمانة فى هذا لأمناء . فقال له بعض الحاضرين : انك أديت الأمانة الى الله ، فادوا الأمانة اليك ، ولو رتعت لرتعوا .

حكم ..

* قال نصر بن يسار : « كل شىء يبدو صغيرا ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر . وكل شىء اذا كثر يرخص ، الا الأدب فانه اذا كثر غلا » .

* قال أبو عبيده معمر بن المثنى : قال لى أبى : « يا بنى » لا تردن على أحمق خطأ ، فانه يستفيد منك علما ويتخذك عدوا » .

* قال محمد بن عبد الملك الزيات : « احذر الصديق الجاهل أكثر من حذركم العدو العاقل فليس من أساء وهو يعلم أنه مسىء ، كمن أساء وهو يظن أنه محسن .

كعب بن لؤى كما وصفته أمه

قال لؤى بن غالب (جد النبى ــ صلى الله عليه وسلم) لامرأته : أى بنيك أحب اليك ؟

قالت : الذى اجتمعت فيه ثمان خلال : لا يخامر عقلَهُ جهلٌ ، ولا يخالط حلمه سفه ، ولا يلوى لسانه عى ، ولا يفسد يقينه ظن : ولا يغيره عقوق ، ولا يقبض يده بخل ، ولا يكدر صنعه مَنٌّ ، ولا يرد اقدامه جبن .

إعـــداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ومواقف

قال : ومن هــو ؟
قالت : ولدك كعب .

وصــيـة عـــــمـر إلى أحـــد ولاتـــه

كتب أمير المؤمنين عمــر الى ابى مــوسى الأشعرى عامله على البصرة :

« أما بعد : فان أسعد الرعاة عند اللـــــه من سعدت به رعيته ، وان أشقى الرعاة من شقيت به رعيته ، واياك أن تزيغ فتزيغ عمالك ، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة نظــرت الى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغى بذلك الســمن ، وانما حتفها فى سمنها ، والسلام » .

قـــالـــوا ..

* الراضى بفعل قوم كالداخل فيـــه معهم ، وعلى كل داخل فى باطل اثمان : اثم العمل به واثم الرضا عنه .
* أحسنوا فى عقب غيركم تحفظوا فى عقبكم .
* لو لم يتوعد الله على المعصية ، لكان يجب ألا يعصى شكرا لنعمه .
* أقل ما يلزمكم لله أن لاتستعينوا بنعمه على معاصيه .
* كفى بالقناعة ملكا ، وبحسن الخلق نعيما .
* من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة .
* من ظن بك خيرا فصدق ظنه .
* قطع العلم عذر المتعلمين .

دعـــــــاء

« أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خـــير الغافرين » .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب
دلائل الأحكام في علم الحديث

للشيخ بهاء الدين بن شداد

من العلوم التى عنى بها علماء المسلمين السنة النبوية الشريفة لأنها أدلة الاحكام وأصولها التى تجرى بمعرفتها طرق وأساليب البحوث الشرعية .

وقد زخرت بها كتبهم وتصانيفهم فمنهم من نبه على الصحيح منها والحسن والغريب ومنهم من لم يشر الى ذلك أو الى أى كتاب تضمنها ولم يشرح غريبها ولم ينبه على وجه الدليل منها .

ومؤلف هذا الكتاب جمع بين التنبيه على الحديث فى أى كتاب ذكر ومن اتفق على نقله من أئمة الحديث المشهورين ونبه على الصحيح والحسن والغريب وعلى اختلاف العلماء من الصحابة ومن بعدهم من المجتهدين فى أخذ الأحكام .

والمؤلف هو العالم الفاضل يوسف (٢) بن رافع بن تميم بن غبة الأسدى الموصلى ، أبو المحاسن ، بهاء الدين بن شداد مؤرخ من كبار القضاة .

ولد بالموصلسنة ٥٣٩ هـ عام١١٤٥ م ومات أبوه وهو صغير ، فنشأ عند أخواله (بنى شداد) جده لأمه ، فنسب اليهم .

وتفقه بالموصل ، ثم بغداد ، وتولى الاعادة بالنظامية نحو أربع سنين ، وعاد الى الموصل فدرس وصنف بعض كتبه .

---

(١) الكتابة بمكتبة الازهر رواق المغاربة رقم خاص ٦٢٣٢ وعام ٩٣٤١١ حديث .

(٢) الاعلام للزركلى ج ٩ ص ٣٠٦ .

عرض وتقديم
الأستاذ محمد عميره على

وسافر الى حلب ، فحدث بهـا وبدمشـق ومصر وغيرها ، ولما دخل دمشق ، كان السلطان صلاح الدين محاصرا قلعة « كوكب » فدعـاه اليه وولاه قضـاء العسـكر وبيت المقـدس والنظر على أوقافه ، واستصحبه معه فى بعض غزواته ، فدون وقائعه وكثيرا من أخباره .

ولما توفى صلاح الدين كان حاضرا ، وتوجه الى حلب لجمع كلمة الاخـوة أولاد صـلاح الدين وتحليف بعضهم لبعض ، ثم انصرف الى الى مصر لاستخلاف الملك العزيز « عثمان بن صلاح الدين يوسف » وعرض عليه الظاهـر صاحب حلب الحكم فيها .

وقال ابن النديم : كانت ولايته قضاء حلب ووقوفها سنة ٥٩١ هـ واسـتمر الى أن توفى فيها سنة ٦٣٢ هـ سنة ١٢٣٤ م وهـو شـيخ المؤرخ ابن خلكان .

من كتبه « النوادر السلطانية » « والمحاسن اليوسفية » فى سيرة السلطان صلاح الدين ، « ودلائل الاحكام » فى الحديث « وملجـأ الحكام عند التباس الأحكام» وله كتب أخرى.

وقال عنه صاحب كتاب غـاية النهـاية فى طبقات القراء الجزء الثانى ص ٣٩٥ انه نشأ بالموصـل وحفظ القـرآن ، ولـزم يحيى بن سعدون القرطبى فأحـكم عليـه القـراءات والعربية وسمع محمد بن اسماعيل العطاردى وأبا الفضل خطيب الموصل وجماعة ، ودخـل بغداد فسمع من شهدة وأبى الحسن القزوينى وأتقن العلوم وبرز فى مذهب الشافعى وعاد بغداد ودرس بمدرسة الكمال الشـهر زوردي بالموصل .

ووفد على السلطان صـلاح الـدين يوسف ابن أيوب فأقبـل عليـه وولاه قضاء العسكر وحضر معه فتح بيت المقدس وفوض اليه نظر مدرسته الصلاحية وتدريسها بالقـدس ، ثم ولاه قضاة حلب .

والكتاب الذى نقدمه اليوم (دلائل الأحكام فى علم الحديث) شرع المؤلف فى كتابه فقسمه الى عدة أبواب فى ثلاثة أجزاء بدأ بالطهارة ، والبيوع فالجنايات .

قال كتاب الطهارة وفيه أبواب .

الباب الأول فى الوضوء ، حديث فى فـرض الوضوء، عن أبى هريرة رضى الله عنـه قال . قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ » أخرجه الشيخان وأبو داود .

وعن ابن عمر قال • قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى ، غريبة قوله من غلول بضم الغين المعجمة ولام مضمومة وواو ولام، قال الهروى هو سرقة المال وأخذه خفية •

وقال الترمذى هذا الحديث أصح ما فى هذا الباب •

القول فى الأسباب الموجبة للوضوء :

السبب الأول :

خروج الخارج من السبيلين ينقض الوضوء على سائر صفاته •

وسئل أبو هريرة عن قوله « لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث » •

فقيل له ما الحدث قال : فساء أو ضراطا فأجاب بالأخف منه فنبه على الأعلى • ماذكره البخارى فى صحيحه واليه ذهب أكثر العلماء • وقال ربيعة اذا لم يكن معتادا لا ينقض الوضوء وبه قال مالك الا فى دم الاستحاضة •

السبب الثانى :

المذى وأفردناه بالذكر وان كان من جملة الخارج من السبيلين اتباعا لعادة أهل الحديث فانهم يفردونه بالذكر •

وعن على كرم الله وجهه قال : كنت رجلا مذاء وكنت أستحى أن أسأل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لمكان ابنته • فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال يغسل ذكره ويتوضأ وضوء الصلاة » ، وقال أيضا فى رواية : « توضأ وانضح فرجك » • ولفظ الموطأ فلينضح فرجه وليتوضأ وضوءه للصلاة ، ولفظ الترمذى عن على قال : سألت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن المذى فقال : « من المذى الوضوء ومن المنى الغسل » ، ذكر الحديث فى الموطأ وأخرجه البخارى •

قال غريبه : المذى بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وياء مخففة • وقد تشدد لغة ، والمنى مشدد الياء ، والودى بالدال المهملة مخفف الياء ، وتشديد الياء فى الودى • حكاها فى الصحاح يقال منيت وأمنيت وأمذيت ، والمنى : ما يخرج عند الجماع ، والمذى : ما يخرج عند المداعبة ذكره فى الغريب •

وقد رواه أبو داود عن المقداد وفيه أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم قال « يغسل ذكره وأنثييه » ورواه الترمذى عن أبى هريرة أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال « جاءنى جبريل فقال يامحمد اذا توضأت فانضح فرجك » قال الترمذى وضعفه البخارى وقال : راويه منكر • غريبه فانضح قال الجوهرى : النضح الرش وضبطه بسكون النون وفتح الضاد المعجمة وحاء مهملة يقل : منه نضحت الثوب أنضحه بكسر الضاد فى المستقبل •

السبب الثالث :

الصوت وهو الريح روى أبو هريرة قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

« اذا وجد أحدكم فى بطنه شيئا فأشكل عليه أخرج أم لا فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا » أخرجه أبو داود والترمذى •

وروى أبو هريرة أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم قال : « اذا كان أحدكم فى المسجد فوجد ريحا بين اليتيه فلا يخرج حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا » أخرجه الشيخان •

السبب الرابع :

النوم • وقد روى الترمذى عن عاصم بن بهدلة قال أتيت صفوان بن عسال فقال ما جاء بك قلت ابتغاء العلم قال : ان الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يطلب قلت انه جاءك فى نفس المسح على الخفين بعد الغائط والبول وكنت امرأ من أصحاب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأتيتك أسألك هل سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم فى ذلك شيئا ؟ قال نعم كان رسول الله يأمر اذا كنا سفرا أو مسافرين لا تنزع خفافنا ثلاثة ايام ولياليهن الا من جنابة لا من غائط وبول ونوم • أخرجه الترمذى وقال هذا حسن صحيح •

وهذا يدل بظاهره على وجوب الوضوء بمطلق النوم كما يدل أنه يجب بمطلق الغائط والبول وبه قال من الصحابة أبو هريرة وعائشة ومن التابعين الحسن واليه ذهب اسحاق •

وقال ابن عباس يجب الوضوء على كل نائم الا أن يكون قاعدا هكذا حكاه البغوى الا أن يكون قاعدا ، قال ووجهه حديث رواه الشافعى باسناده عن أنس قال : كان أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ينتظرون العشاء فينامون أحسبه قال : قعودا حتى تخفق رءوسهم ثم يصلون ولا يتوضئون ، وقال الثورى وابن المبارك وأحمد وأبو حنيفة اذا نام قائما أو راكعا لا وضوء عليه ، واحتجوا بحديث مرفوع الى علقمة عن ابن مسعود قال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ينام وهو ساجد ما يعرف نومه الا بنفخه ثم يقوم ويمضى فى صلاته •

السبب الخامس :

مس الفرج • عن بسرة بنت صفوان أنها سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : « اذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ » ذكره فى الموطأ وأخرجه أبو داود فى سننه والترمذى فى جامعه • لكن لفظ الترمذى فلا يصلى حتى يتوضأ •

وقال البخارى هو أصح شىء فى هذا الباب ، وظاهر الحديث ايجاب الوضوء لمس الذكر وقد صار اليه من الصحابة عمرو بن عمر وابن عباس وسعد بن أبن وقاص وأبو هريرة وعائشة وغيرهم من التابعين وكذلك المرأة اذا مست فرجها أو فرج غيرها • غير أن عند الشافعى لا ينقض الوضوء الا اذا مس بباطن كفيه وباطن أصابعه وقال الأوزاعى وأحمد اذا مسه بظاهر كفه أو بمساعده انتقض

وضوءه الى غير ذلك من الروايات التى أوردها .

وقال رحمه الله فى أسباب كثيرة منها . لمس المرأة ، ومما مست النار ، وأكل لحوم الابل ، وخروج الدم ، وساق لكل منها أدلة .

وانتقل رحمه الله الى الجزء الثانى من كتابه فى البيوع وقال : القول فى اباحة التجارة عن ابن عباس قال : كانت عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز ، أسواقا فى الجاهلية ، فلما كان الاسلام تآثموا من التجارة فيها فأنزل الله تعالى (**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ**) فى مواسم الحج وقرأ ابن عباس كذا رواه البخارى .

وعن أبى سعد الخدرى عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » أخرجه أبو عيسى وقال هذا حديث لا نعرفه الا من حديث الثورى عن أبى حمزة ، وأبو حمزة اسمه عبد الله بن جابر ، ثم ذكر حديثا فى كسب اليد .

عن المقدام بن معدى كرب صاحب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ انه حديث عن رسول الله أنه قال : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من عمل يده » قال : « وكان داود لا يأكل الا من عمل يده » أخرجه البخارى . ثم ذكر حديثا فى اتقاء الشبهات .

عن النعمان بن بشر قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول :ــ « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » أخرجه مسلم فى صحيحه والبخارى وأبو داود والترمذى .

ثم ساق حديثا فى كراهية ملازمة الأسواق وما يحذر منه التجار .

عن ابن مسعود الأنصارى قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « ليلينى منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثلثا واياكم وهيشات الأسواق » أخرجه مسلم . وقال فى غريبه قوله الاحلام وهو جمع حلم بكسر الحاء وسكون اللام وهو الاناة . قوله والنهى بضم النون هى العقول وأحدها نهية بضم النون اشتق من النهى لأن العقول تنهى عن القبح . وقوله هيشات الأسواق بفتح الهاء وسكون الياء وشين معجمة وألف وياء . قال الأصمعى الهيشة مثل الهوشة ومنه هاش القوم يهيشون هيشا اذا تحركوا وماجوا ويقال هاش القوم اذا اضطربوا ذكره الجوهرى .

وقال فى الحث على الصدق فى البيع حديث عن رفاعة بن رافع أنه خرج مع رسول الله ــ صلى الله عليهوسلم ــ الى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال يامعشر التجار فاستجابوا لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ورفعوا أعناقهم وأبصارهم فقال « ان التجار

يبعثون فجارا الا من اتقى الله وبر وصدق » أخرجه الترمذى .

وعنه أيضا أن النبى — صلى الله عليه وسلم — مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بلة فقال ما هذا ياصاحب الطعام . قال أصابته السماء يارسول الله فقال : « هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غش فليس منى » رواهما مسلم . واستطرد رحمه الله فى بيان أحكام البيع وشروطه .

وبدأ الجزء الثالث بكتاب الجنايات بالقول فى القصاص . ذكر حديثا فى تحريم القتل عن مسروق عن عبد الله قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » أخرجه الشيخان والترمذى ، وأورد حديثا آخر عن ابن عمر قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لا يزال المؤمن فى فسحه من دينه ما لم يصب دما حراما » أخرجه البخارى .

ثم أورد أحاديث فى قتل المسلم بالكافر نذكر منها :

عن قيس بن عباد طبطه المطالع فقال بضم العين وتخفيف الباء قال ومن عداه بالفتح قال انطلقت أنا والأشتر الى على كرم الله وجهه فقلت هل عهد اليك نبى الله — صلى الله عليه وسلم — شيئا لم يعهده الى الناس فقال لا . الا ماق كتابى هذا . قال مسدد فأخرج كتابا وقال : أحمد وكتاب فى قراب سيفه فاذا فيه » المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم ألا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهده ، من أحدث حدثا فعلى نفسه ومن آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » أخرجه أبو داود وقد روى من طريق آخر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مثل حديث على وختم المصنف كتابه بأحاديث فى شرائط قبول الشهادة .

فقال عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رد شهادة الخائن والخائنة وذى الغمرة على أخيه ورد شهادة القانع لأهل البيت وأجازها لغيرهم . أخرجه أبو داود فى سننه ، وقال فى الحديث ألفاظ وفوائد أما الألفاظ قوله وذى الغمر ضبطه بكسر الغين المعجمة وسكون الميم وهو الضغن والحقد ، والقانع لأهل البيت وضبطه بالقاف والألف والنون والعين وهو الساعى لهم . والمراد به فى الحديث المنقطع الى القوم يخدمهم فى حوائجهم فهو ينتفع بما يصل اليهم — وعلى هذه القاعدة قالوا لا يجوز شهادة أحد الزوجين للآخر وهو مذهب أبو حنيفة ، وأجازها الباقون .

وقال الناسخ انه وقع الفراغ من جمع الكتاب يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمانى عشرة وستمائة . والجزء الأول يقع فى ١٩١ ورقة ، والثانى فى ٩١ ورقة ، والثالث فى ٧٧ ورقة ، وكلها فى مجلد واحد بحالة جيدة مسطرتها ٢١ سطرا .

والله المستعان والموفق .

محمد عمره على

فقد روى مسلم عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : « ان الله تعالى طيب لايقبل الا طيبا ، وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا الآية » وقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ » .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء: يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك ؟ » .

وقد جاء فى الحديث الذى رواه الامام أحمد فى المسند عن ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : « والذى نفسى بيده لا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده فى النار ، ان الله لا يمحو السىء بالسىء ولكن يمحو السىء بالحسن، ان الخبيث لا يمحو الخبيث » .

وجاء فى شرح ملا على القارى للأربعين النووية عن النبى ــ ﷺ ــ : « أنه اذا خرج الحاج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز ــ أى الركاب ــ وقال لبيك ، ناداه ملك من السماء: لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك » .

فهذه الأحاديث التى يشد بعضها بعضا تدل على أنه لا يقبل الله صدقة ولاحجة ولا قربة أخرى من لقرب من مال خبيث حرام . ومن أجل ذلك نص علماء الحنفيه على أن الانفاق على الحج من المال الحرام حرام . وخلاصة ما قلناه :

أولا ــ تحريم تعاطى الحشيش والأفيون والكوكايين ونحوها من المخدر

ثانيا ــ تحريم الاتجار فيها واتخاذها حرفة تدر الربح .

ثالثا ــ حرمة زراعة الأفيون والحشيش لاستخلاص المادة المخدرة لتعاطيها أو الاتجار فيها .

رابعا ــ أن الربح الناتج من الاتجار فى هذه المواد حرام خبيث ، وأن انفاقه فى القربات غير مقبول بل حرام .

قد أطلت القول اطالة قد تؤدى الى شىء من الملل ، ولكنى آثرتها تبيانا للحق، وكشفا للصواب ، ليزول ما قد عرض من شبهة عند الجاهلين ، وليعلم أن القول بحل هذه المخدرات من أباطيل المبطلين وأضاليل الضالين المضلين ، وقد اعتمدت فيما قلت أو اخترت على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ، وعلى أقوال الفقهاء التى تتفق مع أصول الشريعة الغراء ومبادئها القويمة .

والحمد لله رب العالمين ، وهو الهادى الى سواء السبيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

عبد المجيد سليم
شيخ الأزهر الأسبق

اللغة والأدب والنقد

من روائع تراثنا المخطوط

غراس الأساس

بين الجاحظ وأبي حيان التوحيدي

تحليل لكتاب "الإسلام يتحدى"

غراس الأساس

من روائع تراثنا المخطوط

للحافظ ابن حجر العسقلانى

* (تأق) تئق الرجل : امتلأ غيظا • وفى المثل : أنت تئق وأنا مئق فكيف تتفق (١) •
وفرس تئق : ممتلىء جريا • وأتأق القوس : ملأها نزعا •

* (تبب) تب الرجل : اذا شاخ • واستتب الطريق : ذل وانقاد • واستتب له الأمر : استقام • والاستتباب يطلق على التمام ، لأن التباب يتبع التمام •

* (تبع) تُبَّع النحل : عظيمها (٢) تبعت الأغصان الريح • وفرس متتابع : معتدل الأعضاء • وتتابع الفرس : اذا استوى جريه • وغصن متتابع : معتدل • وتابع الرَّعْى (٣) الابل : سوى حلبها وسمنها •
وفلان يتابع الحديث : اذا أحسن سياقه • (٤) وتابعنا الأعمال فلم نجد أنجع من الزهد (٥) •

ومن اتبع على ملىء فليتبع : أى من أحيل فليحتل • وقرأ ابن عباس [آية] (٦) فلم يعرفها ابن عمر ، فقال : « أتبع يا ابن عباس » فقال : أتبعتك على أبى بن كعب » •

* (تبل) تباته فلانة : هيمته كأنها أصابته بتبل ، وهى الداهية• وقلب متبول وَتَبَلَهُمُ الدهر وأتبلهم • ودهر خابل (٧) تابل •وقَزَّح (٨) كلامه وتوبله •

---

(١) فى الاصل : أنت تئق وأنا متق فكيف تنق ، وهو تحريف •
(٢) أى يعسوبها الاعظم •
(٣) فى الاساس : المرعى •
(٤) فى الاصل بنيانه ، وفى الاساس سياقه •
(٥) هذا حديث أبى واقد الليثى ، ولفظه فى الاساس : (تابعنا الاعمال فلم نجد أبلغ فى طلب الآخرة من الزهد فى الدنيا) •
(٦) الزيادة من الاساس •
(٧) فى الاساس ودهر حابل • وفى صحاح الجوهرى : ومنه قول الأعشى :
ودهرمتبل خبل
أى يذهب بالاهل وبالولد ، يقال : تبلهم الدهر ، واتبلهم اى افناهم •

(٨) فى الاصل فرخ بالفاء ، وفى المعجم الوسيط : تقزح النبات بالقاء : تفرعت اطرافه شعبا كثيرة •
وفى الصحاح : توبله : جعل عليه التوابل (أى عذب شيق) • وفى المعجم الوسيط : ضمن كلام ما يشوق ويزيل السأم من فكاهة ولطف حديث •

تحقيق الدكتور

توفيق محمد شاهين

* (تجر) ناقة تاجرة : حسنة ناقة (١). ونوق تواجر وعليكم بالسلع التواجر ، وعليكم بتجارة الآخرة . وصفقته فى متجر الحمد رابحة .

* (تخم) فلان طيب التخوم : أى العروق .

* (ترب) تربت يداك : أى خابت وخسرت (٢) .

* (ترس) تترست بك من سهام ، وتترست بترستها : اذا سمنت (٣) وغاب ترس الأرض (٤) ، وواجهنا ترسا من الأرض ، وهو القاع الأملس من الأرض .

* (ترع) فتح ترعة الدار : أى بابها . وحجبنى التراع : أى البواب . وفى المثل : جاء القراع فرده الترّاع .

* (تعب) أمر تعب ، وأُتعِبَ العظم : اذا أُعنِتَ . وعظم متعب . وأتعب القتاد أى القدح : ملأه . والماء المتعب : المعتصر من الثرى .

* (تعس) جدنا تاعس ناعس .

* (تفح) ضربه على تفاحتيه (٥) وهما رأس الوركين فى الفخذين . وَلَطَمَتْ التفاحَ بالعناب (٦) .

* (تلع) ما يوثق بسيل تلعته : مثل للكاذب . والتلعة : مسيل الماء . وتلع النهار وأتلع : ارتفع .

* (تلو) ذهبت تلية (٧) الشباب : أى بقيته . وعليه تِلِيّة من الدين وتلى فلان على فلان : أى أحيل عليه (٨) والتلاء : الحوالة. وأتليت فلانا سهما : أى أجرته . وتلوت الابل : طردتها ، (٩) لأن الطارد يتبع المطرود.

* (تمر) تمر اللحم : قدده . ولحم متمّر ، وقد تتمّر . ونفسى تمرة بكذا : أى طيبة . وتمرة الغراب : كناية عن الشىء الفائق . نعمة لم تتمر : أى لم يبارك فيها .

* (تمك) شرف تامك ، وجمال (١٠) تامك . وأتمك الربيع سنامه (١١) .

* (تمم) تمّم على الجريح : اذا أجهز عليه . وتمّ على أمره : مضى عليه . وتمم على أمرك . وتمّ الى مقصدك . وتم تمامه .

---

(١) الزيادة من الاساس .

(٢) فى الاساس تربت يداك اذا دعوت ، كانك قلت : خبت وخسرت .

(٣) فى الاصل بترسها .

(٤) فى الاساس : وغاب ترس الشمس .

(٥) فى الاصل تفاحيه .

(٦) أى ضربن الخدود بالبنان .

(٧) فى الاصل تلبة .

(٨) أى اتبع عليه .

(٩) فى الاصل طرتها .

(١٠) فى الاساس : وانه لتامك الجمال

(١١) ارتفع .

* (تنأ) تنأ على أمر كذا : اذا قرّ عليه لازما له لا يفارقه .
* (توق) تاق الى الغاية : أسرع اليها وخفّ . وتاقت عينه بالدموع : بدرت بها . وتُق إليّ : أسرعْ .
* (تير) فرس تيار : يموج في عدوه . وقطع عرقا تيارا : سريع الجرية . ورجل تيّار تيّاه : يطمع طموح الموج (١) من تيهه .
* (تيس) تتايس الماء : تناطحت أمواجه وتايس فرسه (٢) : مارسه . وتيس البعير : ذلله (٣) . «وتيسي جعار» :

أى كوني كالتيس في حمقه (٤) ياضبع (٥)) « وعنزٌ استتيست » : مثل في ذليل عز .

* (تيم) تامت فلانة (٦) قلبه ، وتيمته فهو متيم ، وهو من التيماء وهو المفازة المضلة ، وقيل من التيمة وهي التميمة . والمعنى : علقت قلبه ، عن ابن الاعرابي .

(١) في الاصل المرح .
(٢) في الاساس : قرنه .
(٣) في الاصل دلله بالدال .
(٤) في الاصل في جهة .
(٥) الكلمة من الاساس .
(٦) في الاصل فلان بلا تاء .

السهام المسمومة - بقية

ومعظم النار من مستصغر الشرر كما يقول ابن المعتز :

متيم يرعى نجوم الدجى
يبكى عليه ، رحمة ، عاذله
عيني أشاطت (١) بدمي في الهوى
فابكوا قتيلا .. بعضه .. قاتله

ومما هو جدير بالذكر قبيل أن ننحى القلم أن الشاعرة جليلة رضا قامت من تلقاء نفسها،منذ سنوات عديدة،باعتزال المجتمعات والمحافل العامة وكذلك تقضي الشريعة حيث لا ضرورة وأطلقت على الديوان الذي يشتمل على نتاج فترة الاعتزال هذه ، اسم : (العودة الى .. المحارة) ، أي عودة اللؤلؤة الى محارتها .. وياله من معنى عميق وتشبيه بليغ ، لعله يغري الكثيرات بالاحتذاء والاقتداء .

وصفوة القول ، فان الانسان السوى، هو الذي يحرص على محاسبة نفسه قبل أن يحاسب بين يدى ربه ، عما قدمت يداه ، والمسئولية أولا وأخيرا مسئولية الرجال ، باعتبارهم « قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ (٢) » والله ولى التوفيق .

أحمد مصطفى حافظ

(١) اشاطت بدمه ، اى عملت على هلاكه وتعريضه للقتل .
(٢) النساء الآية ٣٤ .

بين الجاحظ وأبي حيان التوحيدي

للدكتور حامد ابراهيم الخطيب

لقد عرف التوحيدى ــ كثيرا ــ بالجاحظ الثانى[1] وهناك من يقول بأنه يقلد الجاحظ ، ويجرى على سننه .

ولقد عرفت أطرافا مما أحاط به من سياج الكراهية والاهمال ، خصوصــا ما كان من الصاحب ، وأبى الفضل بن العميد .

ولأنى أود ــ ابدا ــ أن أزيل عن صاحبى أوضارا علقت به ، وأن أكشف ــ دائما ــ عن قيمته ومكانته ، وقع فى روعى أن مقارنته بمثل هؤلاء تأتى الى بما أود وأريد . وخلف أولئك أردفت بالثعالبى ، لأنه مكثر فى الترجمات ومن سير الرجال ، ولصاحبى فى هذا الاتجــاه نهج خاص .

بين التوحيدى والجاحظ

الجاحظ « أبو عثمان عمرو بن بحر[2] » علم غنى عن التعريف ، بيانه يأخذ بكل لب ، ويشغل كل فكر ، وبابداعه يلهج كل لسان ، وهو صدر فى العربية علما وأدبا ، وبطريقته المتميزة يعرفه العلماء والأدباء ، ومن ثم أغرم بأعماله كل من جاء بعده ، وصار مغرى بطرائقه أغلب المنشئين ، ولقد يعجز عن مجاراته فى الحلبة جلة المبرزين ، سوى أن واحدا ــ على ما أعتقد ــ قد أعجب به أيما اعجاب ، وتأثر آثاره ، لكنه لم يفن ذاته فى ذاته ، ولم يذب فنه فى فنه ، بل ظل ــ رغم شديد اعجابه ــ صاحب نتاج يعرف به ، وكثيرا ما يتقدم ويتفوق ، ولست أعنى غير أبى حيان .

لقد كان الجاحظ عمدة فى جملة فنون ، أبان عن ذلك « أبو الفضل بن العميد » ، فقال :

ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس : أما الفقه فعلى « أبى حنيفة » (٣) ، وأما الكلام فعلى « أبى الهزيل » (٤) ، وأمــا

---

(١) يطلق ذلك ايضا على أبى الفضل بن العميد

(٢) ترجمته فى ١٢ ــ ٢١٢ من تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ١ــ١٩٤ من امالى المرتضى ، ١٦ ــ ٧٤ من معجم الادباء .

(٣) ابو حنيفة النعمــان بن ثابت ، كان مولى ابنى تيم الله خزازا يشتغل بتجارة الخز ، وكان ابوه قد اسر فى فتح كابل ، فجاء عبدا الى الكوفة لرجل من تيم فاعتقه ، وقد عرف بمذهبه ، توفى سنة ١٥٠ هـ .

(٤) ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف ، تلميذ عمرو بن عبيد ، ويعد المؤسس الحقيقى لعــلم الكلام ، كان مولى لقبيلة عبد القيس ، ولد سنة ١٣٥ وتوفى سنة ٢٢٦ هـ .

البلاغة والفصاحة ، واللسن والعارضة (١) ، « فعلى أبى عثمان الجاحظ » (٢) ، الذى يعده التوحيدى ممن تحسد عليهم الأمة العربية •

ولفرط ما جمع من عدة العالم ، واستعداد الأديب ، نعتوه بأجل ما ينعت به العالم ، ووصفوه بأحسن ما يوصف به الأديب •

ولسوف يدرك الممعن فى ثقافة التوحيدى والجاحظ ، أن كلا منهما ينهل من معين واحد ، أو يكاد ، وفى ذلك يستوى العربى والوافد ،

غير أن هذا الوافد لم يكن ليبلغ رشده ، ولا أن يهضم ابان عصر الجاحظ ، على حين أنه نهض نهضته ، واستقام مستويا على سوقه فى زمن أبى حيان ، واذا أضفنا الى نضج عصر التوحيدى واتساع روافده ما لدى صاحبنا من مقومات فكرية وفنية ، فلا مشاحة أن يكون نتاجه أكثر عمقا ، وأروع تنسيقا ،

ولاشك أن ضراوة ما واجهه التوحيدى من البأساء والضراء ، قد جعل عواطفه أشد صدقا، وأكثر تدفقا وتأثيرا من أبى عثمان •

ولئن كان الجاحظ أديبا فنانا ، لقد كان التوحيدى أديبا فنانا مفكرا فى آن — وان كتابا كالمقايسات قد سجل فكر العصر ، وأرخ لدقائقه العلمية ومجالس علمائه ، هذا الكتاب ، ربما لا نجد ما يناظره فى نتاج الجاحظ ، وبخاصة ما فيه من تسجيل لحشد هائل لأسماء الكتاب والعلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء ، وكثيرا ما يأتى بطرف مناظراتهم ومساجلاتهم ، وما كان يطرح فيها من الأسئلة والمناقشات ، وما يقال فيها من مختلف الاجابات ، حتى ليجد القارىء فيه ميدانا فسيحا لكل الفنون •

وحتى لو وجدنا لأبى عثمان أفكارا مماثلة فانها تتناثر فى أطواء أسفاره ، وليست فى نضوج ما أفرزه أبو حيان ، وليس ذلك يقلل من قدر الجاحظ وسبقه ، وجليل عطائه فى مختلف الميادين •

وليس بخاف أن التوحيدى قد تميز بمزج العلم بفن البيان ، مما سوغ لنا القول بأنه رغم حبه واعجابه الشديدين بالجاحظ لم يكن تابعا له تبعية مطلقة ، ولم يكن يترسم آثاره دون أن يعرف أو أن يقدر موقع خطاه ، بل انه عرف طريقا تميز به وتفرد ، وقد أشاع هو ذلك فى كل ما تناول من المعارف والعلوم •

لقد كان الجاحظ يعتنق الاعتزال ويدافع عنه ، وكان شديد الشغف بما فيه من اتجاهات وآراء ، وكان يلازم علماء هذا المذهب ، ويحرص حرصا على استيعاب آرائهم وأقوالهم ، وكان يهرع الى كل معتزلى يرى فيه قوة الحجة ، وشدة الحجاج والجدال ، ومن ثم كان أكثر تأثرا بأستاذه وأستاذ المذهب « النظام (٣) »

---

(٢) اللسن ، الفصاحة — والعارضة ، الصرامة وقوة الحجة •

(٢) ٦–٦٤ معجم الادباء •

(٣) ابراهيم بن سيار بن هانىء أبو اسحاق النظام ، كان أعظم تلاميذ الهذيل ، ترك البصرة الى بغداد وتوفى بها فى عنفوان الشباب ، وكان يقف حياته ضد الدهرية والديصانية ، برع فى الشعر والجدل ، وتوفى بين سنتى ٢٢٠ — ٢٣٠هـ

الذى كان أكثر شىء جدلا ، وسرى منه ذلك الى تلميذه « أبى عثمان » ، فكان محاورا مجادلا ، صاحب حجة تلزم الخصم بما يبتغيه ، كـأن يقول :

« قلت لأبى يعقوب الخريمى الشاعر : (١) من خلق المعاصى ؟ قال : الله . قلت : فمن عذب عليها ؟ قال : الله ، قلت : فلم ؟ قال : لا أدرى والله !! » (٢) .

والخريمى هذا كان من الجبـرية الذين يقولون : ان المعاصى مخلوقة لله ، ولا شأن للعبد بها . والجاحظ هنا يريد افساد مذهبه بهذا الكلام الذى يؤول الى نسبة الظلم لله ، فمادام هو الذى خلق المعصية ، والعبد لا شأن له بها ، ثم يعذبه عليها ، فهو معذب له على شىء لم يوجده ، ولم يتصل به ، فيكون ظالما له ، وفى هذا افساد لمذهب الخريمى ، وابطال لقـول معتقديه .

* * *

أما أبو حيان فانه — على ما يبدو — لم يتعمق الاعتزال بالقرار الذى كان عليه الجـاحظ . صحيح أنه ألم بكثير من أطراف المذاهب الفكرية المختلفة ، ومن بينها مذهب المعتزلة ، ولكنه لم يكن مغرقا فيه أو متعصبا له مثل أبى عثمان ، ولربما كان تعلق التوحيدى بالتصوف — وان قيل بتأخره — من أظهر ما بدا عليه أو مـال اليـه .

على أن عدم تمذهبه بمذهب معين قد هيأ له ألا يقف عند حد من حدود المعرفة ، وأتاح له ألا ينحاز الى فكر دون أن يأخذ من غيره بخط عظيم ، ومن ثم — صار حقا — يمثل ماوصلت اليه قمة النهضة فى شتى فروعها فى القـرن الرابع الهجرى ، الذى يعد مفخرة التـاريخ العربى على الاطلاق فى المعارف والعلوم ، على حين كان الجاحظ ممثلا لبداية البناء ، ولعل ذلك ينكشف لنا فى جانب من اتجاه كل منهما « فقد غلب الجاحظ فيما جمعه جانب الحيوان ، بينما غلب التوحيدى فيما جمعه جانب النقل العلمى » (٣) ، وتسجيل المحاورات والمناظرات ، وتاريخ الأحداث . ولئن بدأ الجاحظ أكثر تشـعبا وانطلاقا وتدفق ألفاظ ، لقد تفوق التوحيدى فى جزالة اللفظ ، واتساع العلم ، ودقة التعبير، لأن الجاحظ كان مسجل القرن الثانى ، وفى القرن الثانى كانت نشأة العلوم .

وأبو حيان كان مسجل القرن الرابع ، وفى القرن الرابع كان نضج العلوم ، وشتان بين علم ناشىء وعلم ناضج » (٤) ، نما فى زينته ، وطاول بروائعه أعناق السماء .

على أن القول بنضج القرن الرابع ، واستواء نتاجه دون النظر الى ما تميز به التوحيدى من خصائص نفسية وعقلية ومزاجية، سوف يجحف بحقه كثيرا ، لأن هناك غيره ممن عاصروا تلك النهضة ، ولمسوا ابداعها ، ولكنهم كانوا بمعزل عنها ، فلم يبد عليهم طابع العصر .

(١) اسحاق بن حسان ، ويكنى ابا يعقوب ، كان مولى ابن خريم ، وقد عمى بعد ما اسن ، وكان متصلا بمحمد بن منصور كاتب البرامكة .
(٢) ١ـ١٩٦ أمالى المرتضى .

(٣) مقدمة الحيوان للاستاذ عبد السـلام هارون .
(٤) مقدمة البصائر للاستاذين سيد صـقر ، واحمد امين ، ومقدمة الحيوان للأستاذ عبد السلام هارون .

وبرغم الاختلاف الواضح بين كل من الرجلين ــ الجاحظ وأبى حيان ــ فانه يجمعهما الترسل المنطلق ، والتوازن المنمق ، والهندسة الرائعة فى الأساليب ، والتفنن المتشعب فى طرق الموضوعات ، مع فتح السبل المتسعة التى يسيل منها ريق البيان ، غير أن « أسلوب الجاحظ كان مستحدثا لم يستحكم فى التجربة ، وكثيرا ما يشوب طريقته فى الكتابة الثرثرة والاستطراد الى حد الاملال » (١) ، ولقد أحب هذا فيه بعض من الناس ، ومن ذلك الملل المحبب قوله :

« جعلت فداك ، وأطال الله بقاك ، وأعزك وأكرمك ، وأتم نعمته عليك وأيدك . قد نسخت لك ــ أعزك الله ــ فى صدر هذا الكتاب قصيدة قيلت فى أبى الفرج ــ أدام الله عزه ــ ذكروا أن قائلها رجل يكنى أبا عثمان ، ولا أدرى أهو أبو عثمان هشام بن المغيرة ، أم أبو عثمان ابن عفان بن أبى العاص . ولا أدرى أهو أبو عثمان عنبسة بن أبى سفيان ، أم أبو عثمان سعيد بن عثمان ، ولا أدرى أهو أبو عثمان النهدى عبد الرحمن بن مل ، أم أبو عثمان ربيعة الرأى بن أبى عبد الرحمن ،ولا أدرى أهو أبو عثمان سعيد بن خالد بن أسيد ، أم أبوعثمان اسحاق بين الأشعث بن قيس ، ولا أدرى أهو أبو عثمان المنزر بن الزبير بن العوام ، أم أبو عثمان عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك .. والذى لا أشك فيه أنه لم يقرضها أبو عثمان عمرو بين حزرة ، ولا أبوعثمان عمرو المخلخل ولا أبو عثمان ابراهيم بن يزيد المتطيب ، ولا أبو عثمان سعيد بن حيان البزاز » (٢) ، فلمثل هذا كان قول آدم متز بأنه يثرثر لحد الاملال ، ولكنك قد تعجب بتلك البراعة ، وذلك الاطلاع الواسع الذى يأخذ بصاحبه الى الاطناب ، ، وربما يقع منه هذا دون أن يتنبه أو يشعر ، لفرط ما فى ذهنه من تراحم المعانى ، وتدافع المحفوظ . لقد نظر « الباقلانى » فى أعمال الجاحظ ، فكون له رأيا فيها ارتآه ، وسواء أسلم هذا الرأى أم أبطل ، فان مثله لم يرد فى أعمال أبى حيان ، ومن ثم يمكن الجزم بفضل التوحيدى على أستاذه الجاحظ ، يقول الباقلانى :

انك « لتجد أقواما يرون كلامه ومنهاجه معيبا ، ونطاق قوله ضيقا ، حتى يستعين بكلام غيره ، ويفزع الى ما يوشح به كلامه ، من بيت سائر ، ومثل نادر ، وكحمة ممهدة منقولة ، وقصة عجيبة مأثورة .

وأما كلامه فى أثناء ذلك فسطور قليلة ، وألفاظ يسيرة ، فاذا أحوج الى تطويل الكلام خاليا عن شىء يستعين به فيخلط بقوله قول غيره كان كلاما ككلام غيره فاذا أردت أن تحقق هذا ، فانظر فى كتبه فى « نظم القرآن » وفى « الرد على النصارى » وفى « خبر الواحد » وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، هل تجد فى ذلككله ورقة واحدة تشتمل على نظم بديع ، أو كلام مليح ؟ .

(١) آدم متز ١ــ٤٢٤ ، ٤٢٥ الحضارة الاسلامية بتصرف .

(٢) رسائل الجاحظ ١ ــ ٣٢٥ : ٣٢٨ .

علـى أن متأخـرى الكتـاب قد نازعوه فى طريقته ، وجاذبوه على منهجه ، فمنهم مـن ساواه حين ساماه ، ومنهم من أبر عليه اذا باراه » (١) ، وليس من فضول القول أن نكرر قولنا :

ان التوحيدى ـ برغم تعظيمه وتقديمـه ومحاكاته للجاحظ ـ قد سماه ، وأبر عليه اذ باراه ، فهو حين يكتب يتناول ما يكتب عنـه من جميع أطرافه ، ولا يتركـه حتى يوفيه ويستقصيه ، بحيث لا يدع فيه قولا لقائل ، ولا فكرة لمفكر ، ومن شواهد ذلك قوله فى نشأة النحو : « .. ان عليا بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ سمع قارئايقرأ على غير وجـه الصواب ، فساءه ذلك فتقدم الى أبى الأسود الدؤلى (٢) حتى وضع للناس أصلا ، ومثالا ، وبابا ، وقياسا ، بعد أن فتق له حاشـيته ، ومهد مهاده ، وضرب قواعده ، وانما فشـا اللحن للسبايا التى كثرت فى الاسـلام من الأعاجم وأولادهن ، فانهم نزعوا فى اللكنة الى الأخوال .

واما قول القائل : قد نقض عـلى النحويين ابن الراوندى (٣) نحوهم ، فانه ذاهب بهـذا القول عن وجه الرشد ، لان ابن الراوندى لا يلحن ولا يخطىء ، لأنه متكلم بارع ، وجهبـذ ناقد ، وبحاث جدل ، ونظار صبور ، ولكنـه استطال باقتداره على قلل النحويين ، ورآها مفروضة بالتقريب ، وموضوعة على التمثيل ، لأنها تابعة للغة جيل من الأجيـال ، ومقترنة بلسان أمة من الأمم ، فلم يكن للعقل فيهـا مجال الا بمقدار الطاقة فى ايضاح الأمثال » (٤) .

وهذا قول يستأهل الوقوف والتأمل ، وسوف ينتج عن ذلك اقتناع بدقة الأداء بأسلوب علمى محدد ، ليس بفضفاض ولا مسوق بلا أهداف ، بل ان اللفظة المفردة لها وظيفتها ، وقد لا يغنى عنها فى مكانها سواها ، فليس للنحو الا الأصل والمثال ، والباب والقياس ، ثم انظر الى فشو اللحن وأسبابه ثم انظر الى تحديده وتصويره لشخصية ابن الراوندى برغم ما قيل فيه .

* * *

والتوحيدى والجاحظ يجتمعان على اشراق العبارة ووضوحها ، وسهولة المخارج مع جزالة اللفظ وقوة جرسه ، ويجمعهما تجنب الوحشى والغريب المتكلف ، وكلاهما ينفر نفـورا من التعمق ـ التنطع ـ والتقعر ، ويفران مـن

---

(١) اعجاز القرآن ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ط المعارف سنة ١٩١٧ .

(٢) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جنـدل الدؤلى الكنانى من سادات التابعين ، وأول مـن رسم للناس النحو باشارة من على بن أبى طالب وأول من نقط المصحف ، وكان الناس يختلفـون اليه يتعلمون منه العربية ، توفى سـنة ٦٩ هـ ـ ١ـ٢٤ وفيت الاعيان ، ٢ـ٢٩٨ المزهر .

(٣) هو ابو الحسن احمد بن يحيى الراونـدى ولد بين سنتى ٢٠٥ ، ٢١٥ هـ ، كان معتزليا ، ثم تحول الى الشيعة المتطرفة ، ثم وقع تحت تأثير احد المانوية فانكر الاسلام نهائيا فى كتابيـه الاخيرين « الدامغ » ، و « الزمرد » ، ويقال انه مات عن توبة ، وكانت وفاته سنة ٢٩٨ هـ عـلى الأصح ، فى بيت لاوى اليهودى الذى تستر عليـه ومن أجل مروياته كتاب المقتضب للمبرد ـ ملحق فهرست ابن النـديم ، ٤ـ٢٨ ، ٢٦ تاريخ الادب لبروكلمان .

(٤) البصائر والذخائر ١ـ٢١٦ ٢١٧

صناعة السجع فرارا ، ولكنك تلمس أن أباحيان فى ذلك أشد زجرا ، وأقوى نهيا ، وأكثر تشنيعا على من يتكلف ويتصنع ، فجاء كلامه فى هـذا الضرب أعنف وأغنى من كلام أبى عثمان (١).

* * *

ولقد يقال : « ان انتاج الجاحظ أكثر كمـا وأضخم قدرا ، وأفسح دائرة ، وأعظم تنوعا من انتاج أبى حيان ، وان انتاج أبى حيان اذا قيس بانتـاج الجاحظ لا يسـاويه ولا يدانيه » (٢) .

فاذا قيل هذا .

فان ذلك القول سيظل موضع ريبة وتردد ، مادام القول بأن التوحيدى قد أطعم النار كتبه موضع يقين ، وذلك ما يحدونا دائما الى القول بغموض كثير من جوانب حياته ، ولقد يكـون الجانب الذى أحرق من كتبه مشتملا على مـا يجلى طرائق حياته ، ويوضحها كل التوضيح .

على اننا لو قلنا بمقياس الثنائية فى كل عمل فنى بين المنشىء والمتلقى ، أى أنه كلما تذوق المتلقى وأعجب ، جود المنشىء وأبدع ، لـو قلنا بهذا فان التوحيدى يكون فارس الحلبة ، ومعجزة عصره بلامراء ، فقد حلق وسما برغم ما كان يلقى من عنت واحباطات . ومهما يكن من هم صادف الجاحظ مصادفة ، فانه لا يقاس أبدا بما دبر ونسج لأبى حيان ، ومن ثم لامجال للمقارنة بينهما فى هذا المضمار ، ولكنهما حقـا يتشابهان فى أن كلا منهما يعتمد فيما يذهب اليه من رأى ، أو يسطر من قول ، على الاستنباط من الشواهد التى وردت عن العرب ، وأوضح ما يكون ذلك فى كتاب « البيان والتبيين » عند الجاحظ ، وفى كتاب « البصائر والذخائر » عند أبى حيان .

* * *

والتوحيدى والجاحظ يسعفهما فى كل أعمالهم أسلوب مرن عذب رقيق يستساغ ، لا يمـل ترديده لسان ، وبه تتملح المجالس ، ويتفكـه الأدباء ، وفى أطوائه يجد العالم متعة وغنية ، ولا يشك أحد فى أن وراء كل هذا ذهن علمى فاحص ، وقلب ذكى يرصد النوادر والشوارد ، وينم عن شخصية فى الرجلين لا تقنع بالمأثور والمروى ، وانما تورد المشاهد وان خالفت ماتراه ثم تفند ذلك المخالف أو تقومه بفكر سوى ، دونما حيف أو تحيز .

* * *

ويعرف كل من الرجلين بالتفكـه والتظرف ، والتندر الظريف ، وترجع براعة الجاحظ فى ذلك الى نفسه المرحة ، ومزاجه الضاحك ، ومقدرته على التعبير والتلوين ، وقدرته على النقـد وتجسيم الصغير ، وتصغير الجسيم (٣) ، وزاده اكثارا فى هذا اللون ضحك زمانه له ، وانفساح حظه عن كل ما يسره من هناءات الحيـاة ، فاذا جاء التوحيدى أقل نتاجا فى هذا الباب ، فمرد ذلك الى عاثر حظه ، وضنك عيشه ، ثم

(١) راجع ١ ـ ٢٨٧ : ٢٩١ من البيان والتبيين لتقف على رأى الجاحظ فى هذا الامر .

(٢) ١ ـ ١٥٢ أبو حيان التوحيدى ، د. الحوفى

(٣) ٢ ـ ١٤٤ أبو حيان ، د. الحوفى ، بتصرف .

ما غلب على زمانه من العبوس والبؤس، وتحالفه مع شانئيه على الكيد والتنكيل .

« واذا كانت تنقصه فكاهة الجاحظ ومرحه وخفة روحه ، فانه امتاز عنه بأنه يتناول المسائل تناولا جديا ، ويكتب عن عقيدة وصدق ، فهو لا يريد أن يظهر براعته وألمعيته فى القدرة على اثبات الشيء ونفيه أو ذمه ومدحه ، وانما يستغل بلاغته وقوة بيانه فى عرض وجهة نظره ، والمصارحة بما يعتقده حقا » (١) ، ولئن صدق ذلك — وهو صادق — لقد صنعت الشدائد منه رجلا جادا ، وكونت فيه نزعة واقعية حتى فى أكثر ما كان يخرج من الفكاهات وأكبر الظن أن الملح الجادة لاتكون مثيرقلطويل اضحاك ، ورغم كل هذا فانك واجد عنده كثرة كاثرة من الفكاهات الضاحكة ، والملح المثيرة ، وربما كان بعضها — وان قل فاضحا عاريا (٢) .

ان السخرية والتهكم فن يتصل بالفكاهة والنادرة بوثيق رباط (٣) ، وعليه فان كتاب التوحيدى « أخلاق الوزيرين » يعد برمته من هذا القبيل ، ناهيك بما يشتمل عليه من صور حية تثير الضحك والسخرية ، وتبعث الاشمئزاز والاشفاق فى آن ، وأنا أعد ذلك مقدرة فنية نادرة ، قد تكون حيزت فقط لأبى حيان .

وبالجملة ، فان الجاحظ والتوحيدى قريبان من التوافق والاتفاق ، غير أن ما بينهما من تخالف هو وليد اختلاف فى الزمن ، وتفاوت فى الطبع والتكوين الفكرى والنفسى ، وافتراق فى الثقافة وحدة المزاج ، وتباين شاسع بين شدة الحياة ورخاوتها ، أضف : الافتراق فى المذهب ، وكيفية التعامل والالف ، ومجالسة الصدور ، وتقبل أو رفض ومواجهة ما يقولون .

فلقد عرف الجاحظ بالدهاء والمكر ، على حين عرف التوحيدى بالصراحة الصارمة ، مع شدة العارضة ، حتى جر عليه ذلك أن يعيش حياته التى وصفها بدقة ، وأبان عما اكتنفها من أباس ، أما دهاء الجاحظ فقد أتاح له أن يمالئه كبار عصره ، وأن يخادعوه وأن يخاتلوه .

« فاذا قيل : ان الجاحظ كان على دهاء لا ينكر محله ، فاتقى بجربزته (٤) لدغات حسادة ، ومؤملات مناظريه ، وأن التوحيدى لم يعرف سياسة العلم ، ولم يستكمل تعاطى الاسباب الى الرزق ، واحراز خصل السبق ، فلا تنسى أن الجاحظ كان الخلفاء يرعونه ويحبونه ، والوزراء يخادعونه ويحبونه ، والناس يعجبون به ويمجدونه ، والتوحيدى للجهل الطارئ على الخلفاء والأمراء فى عهده يضطرب فى حياته اضطراب الأرشية (٥) فى الطوى البعيد ، كلما التفت يمنة جاءت الصدمة يسرة ، وكلما

البقية ص ٧٨٢

(١) الاستاذ على أدهم — مجلة الثقافة عدد ٦١٤ اكتوبر سنة ١٩٥٠ م .
(٢) راجع فى ذلك « البصائر والذخائر » باسفاره المختلفة ، «أخلاق الوزيرين» .
(٣) انظر ٢-١٤٤ أبو حيان ، د. الحوفى .

(٤) الجربز — الخب من الرجال ، والخب ضد الغر ، فالخب هو الخداع المفسد .
(٥) الرشاء : الحبل ، وحبل الدلو يلقى بها فى البئر ، الجمع أرشية .

تحليل لكتاب

الإسلام يتحدى

مؤلف الكتاب هو السيد / وحيد الدين خان أحد الاعلام المسلمين فى شبه القارة الهندية فى العصر الحديث • والكتاب صدر باللغة الأردية سنة ١٩٦٦ عن (المجمع العلمى الاسلامى) التابع لندوة العلماء (لكنو) بالهند •

وقد ترجمه الى العربية نجل المؤلف الأستاذ ظفر الاسلام خان ••

والمؤلف التزم فى كتابه خطة فرضها عليه الأسلوب المعاصر فى البحث حتى يواجه أبناء عصره بما يتفق مع منهجهم فى التفكير فيكون بما يقدم أقرب الى عقولهم •

رأى المؤلف أن العصر الحديث يسمى « عصر الالحاد » لانكاره الدين ، وأن هذا الالحاد الذى يسود العصر ليس محض ادعاء بل هو منهج بحث ودراسة ، اهتدى اليه الانسان بعد التطور الحديث فى ميادين العلم المختلفة •

ورأى أن الانسان فى العصر الحديث لا يهدف بهذا المنهج الالحادى الى اثبات نظرية ما أو انكارها ، وانما هو منهج خالص يقصد من ورائه الوصول الى الحقيقة دون الوقوع تحت تأثير مسلمات سابقة •

ورأى — كذلك — أن الانسان فى العصر الحديث أثبت بهذا المنهج الجديد أن الدين باطل •

من هذا المنطلق تحرك المؤلف ليسلك الطريق نفسه ، ويزيل عن الفكر المعاصر ما اختلط عليه •• حتى يكشف عن الحقيقة الحقة التى ضل عنها الانسان المعاصر وضللته عنها أوهام صادفته فى أثناء تفكيره فانحرفت بمساره ، فحجبت عنه الحقيقة ، وخيل اليه أن الفكر العلمى الحديث لا يوصل الى الايمان بالله •

فالكتاب دفاع عن الدين بأسلوب عصرى يتلاءم مع الأسلوب الذى توسل به من أنكر الدين فى العصر الحديث من العلماء والمفكرين وهو الأسلوب التجريبى العلمى ، وليس الأسلوب الفكرى الفلسفى الذى سار عليه السابقون وذلك استجابة من المؤلف لقوله تعالى فى سورة النمل « **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا** » •

والمؤلف فى التمهيد يحدد غايته وطريقه فى قوله :

« وواضح من عنوان الكتاب أنه يهدف الى اثبات أحقية الدين أمام الفكر المادى الجديد وهذا الاثبات يتخذ لنفسه أسلوبين :

تأليف:
وحيد الدين خان

عرض وتعليق
الدكتور ابراهيم عوضين

أولهما : أن نستدل بأن الدين ليس (ماديا) بل فوق المادة ، **وبناء على ذلك ليس** للعلوم المادية أن تعترض طريق الدين ، وقد أصبح هذا الاستدلال في غاية القوة ، حيث أن العلماء قد اعترفوا في هذا القرن (بأن العلوم المادية لا تعطى الا علما جزئيا عن الحقائق) • ومغزاه أنه بناء على اعتراف هذه العلوم نفسها ـ هناك حقائق أخرى لا تستطيع العلوم المادية الوصول اليها ، ومنها حقائق الدين •

وأما الطريقة الأخرى لاثبات حقائق الدين فهى اتباع نفس الطرق العلمية التى يتبعها العلماء الملحدون لاثبات معتقداتهم •

وقد ركز المؤلف أهمية أكثر على هذا الجانب فهو يرى : أنه لابد من اتباع نفس أساليب الاستدلال التى يستغلها الملحدون ، حتى يمكن اثبات حقية الدين » •

والترجمة العربية للكتاب تقوم على تقديم بقلم الدكتور عبد الصبور شاهين ، وتمهيد وتسعة أبواب •

أوضح المؤلف فى التمهيد طبيعة العصر الحديث ، والمنهج المتبع فى الدراسة الجديدة وكيف توصل به المفكرون الملحدون الى انكار الدين • وضرورة التوسل بالطريقة نفسها للدفاع عن الدين ، لعدم تلاؤم ما التزمه علماؤنا فى ذلك السبيل مع المنهج العصرى ، فلم يعد مقبولا فى هذا العصر أن نعتمد على الدراسة الفكرية الفلسفية فى مقابلة الدراسة التجريبية العلمية •

ثم أوضح أن الكتاب ـ كما يتضح من عنوانه ـ يهدف الى اثبات أحقية الدين أمام الفكر المادى الجديد •

قضية معارضى الدين

وفى الباب الأول يستعرض المؤلف طائفة من معارضى الدين ومنكريه ، ويقدمهم فى ثلاثة أصناف ، **كل صنف يعتمد فى فكره على أساس علمى قاده الى انكار الدين والانصراف عن الاعتقاد بأن هناك قوة عليا فوق الطبيعة أو وراءها** •

ويرى المؤلف أن المجموعة الأولى من منكرى الدين قد اعتمدت على **التطور الحديث فى (البيولوجيا)** ، ويقودها فى هذا السبيل (نيوتن) الذى عرض على الدنيا فكرة تثبت أن الكون مرتبط بقوانين ثابتة ، تتحرك فى نطاقها الأجرام السماوية • ثم جاء بعده آخرون فأعطوا هذه الفكرة مجالا علميا أوسع حتى قيل ان كل ما يحدث فى الكون من الأرض

الى السماء خاضع لقانون معلوم سموه (قانون الطبيعة) ، ومن أبرز علماء هذه المجموعة (والتير) ، و (هيوم) ، و (هكسلى) .

وتعتمد المجموعة الثانية على ما توصلوا اليه **فى ميدان علم النفس** ، فقد توصلوا فى ذلك الى نتائج أثبتت لهم أن الدين نتاج اللاشعور الانسانى ، وليس انكشافا لواقع خارجى ، وأن الاعتقاد فى الحياة الدنيا والحياة الآخرة انما هو صورة مثالية للأمانى الانسانية ، وأن الوحى والالهام انما هو اظهار غير عادى لأساطير الأطفال المكبوتة ، ويقوم على رأس هذه المجموعة (فرويد) ، و (رالف لنتون) .

أما المجموعة الثالثة فتعتمد **فى معارضة الدين على التاريخ** ، مقررة أن القضايا الدينية وجدت لأسباب تاريخية أحاطت بالانسان ، فلم يكن فى استطاعته أن يفلت من السيول والأعاصير والطوفانات والزلازل والأمراض ، فأوجد (قوى فرضية) يستغيثها لتنقذه من البلايا النازلة ، وهكذا ظهرت الحاجة الى شىء يجتمع الناس حوله ولا يتفرقون ، فاستغل اسم « الاله » الذى تفوق قوته قوة الانسان ، ويهرع الجميع الى رضاه ويتصدر هذه المجموعة فلاسفة الشيوعية مثل (انجلز) و (لينين) .

نقد قضية المعارضين

وفى الباب الثانى يقدم نقدا عاما لهذه المجموعات الثلاث المعارضة للدين .

ويبدأ نقده بتفنيد مزاعم الطائفة الأولى على أسس علمية بحتة ، مستشهدا بما توصل اليه العلم الحديث فى مجال الطبيعة مقررا أن ماكشفه هؤلاء الطبيعيون ليس بيانا لأسباب وجود الدين ، فالدين يبين لنا الأسباب والدوافع الحقيقية التى تدور (وراء الكون)، وما كشفه هؤلاء هو الهيكل الظاهر للكون . أى أن العلم الحديث تفصيل لما يحدث ، وليس تفسيرا له ، فكل مضمون العلم هو اجابة عن السؤال : (ما هذا ؟) وليس لديه اجابة عن السؤال : (ولكن لماذا ؟) .

ولا يقف عند حد تفنيد تلك الآراء بالحوار العقلى ، ولكنه يقدم أمثلة حية من الواقع ، تبين أن خطأ هؤلاء يرجع الى أنهم وجدوا المكتشفات الحديثة تفتح أمامهم معارف كونية جديدة فظنوا أنهم بذلك وقفوا على سر الطبيعة ، والواقع يؤكد أنهم بذلك تمكنوا من مشاهدة الطبيعة على نطاق أوسع ، ولكنهم لم يتمكنوا من الوقوف على تفسير لما يحدث فيها، فالاستدلال بقانون الانتخاب الطبيعى يفسر عملية (بقاء الأصلح) ، ولكنه لا يستطيع أن يفسر حدوث هذا الأصلح .

وينتقل الى مناقشة **اللاشعور ودليل علم النفس** على أن الاله والآخرة قياس للشخصية الانسانية وأمانيها على مستوى الكون ، فينقض على الفكر الحديث أنه يستنبط من حادث عادى دليلا غير عادى ، ويمثله بمن يشاهد مثالا يصنع صنما فيصرخ هذا هو الذى قام بعملية الانسان فى تولد الدين فيقرر أن اللاشعور الانسانى فى تولد الدين ، فيقرر أن اللاشعور الانسانى — من الوجهة العلمية — فراغ فى أصله ، لا شىء فيه قبل مولد الانسان ، وانما

يستقر فيه عن طريق الشعور ما يشغله الآن لأن اللاشعور ليس سوى مخزن للمعلومات والمشاهدات التى شاهدها الانسان فى حياته ولو مرة ، ومن المستحيل أن يختزن حقائق لم يعلمها من قبل ، والذى يثير الدهشة أن الدين الذى جاء على لسان الأنبياء يشتمل على حقائق أبدية لم تخطر على بال أحد من الناس فى أى زمان ، فلو كان اللاشعور هو مخزن هذه المعلومات ، فمن أين يأتى بها هؤلاء الذين يتكلمون عن أشياء لا طريق لهم الى العلم بها ؟

ويرد على الذين يستدلون بالتاريخ أو الاجتماع على انكار الدين وما يتصل به بأن خطأهم الأساسى أنهم لا يدرسون الدين من وجه صحيح ، ولهذا يبدو لهم الدين شيئا غريبا ، فهم يجمعون فى سلة واحدة كل ما أطلق عليه اسم (الدين) فى أى مرحلة من التاريخ ، ثم يتأملون فى ضوء هذا المحصول حقيقة الدين .

ويأخذ — فى شىء من التفصيل — معالجة الفكر الماركسى ، مبينا مجافاته للمنهج العلمى وبعد نتائجه عن الحقيقة .

ثم يجمل ذلك فى قوله :

وهذا هو أمر قضية المعارضين ، فانهم نظروا الى حقائق ناقصة وجزئية ، لا يتصل بعضها بالموضوع مطلقا،واعتقدوا أن الدراسة العلمية الحديثة قد أبطلت الدين ، على حين أننا لو نظرنا الى الواقع جملة وتفصيلا فسوف نصل الى نتيجة تختلف عن الأولى كل الاختلاف .

طريقة الاستدلال العلمى

وفى الباب الثالث يتناول المؤلف طريقة الاستدلال العلمى فى العصر الحديث ، فيكشف عن أن التجربة والمشاهدة ليستا وسيلتى العلم القطعيتين ، فالذى يطالع العلم الحديث يجد أن أكثر آرائه تفسير الملاحظات ، وأن هذه الآراء لم تجرب مباشرة ، ذلك أن بعض الملاحظات يحمل العلماء على الايمان بوجود بعض حقائق غير مشاهدة قطعيا،فأى عالم من من علماء عصرنا لا يستطيع أن يخطو خطوة دون الاعتماد على ألفاظ مثل (القوة) ، و (الطاقة) ، (الطبيعة) ، و (قانون الطبيعة) وما الى ذلك . ولكن هذا العالم لا يدرى ما (القوة والطاقة ، والطبيعة ، وقانون الطبيعة) ، فهو قد صاغ كلمات تعبر عن وقائع معلومة ، لكى يبين عن علل غير معلومة ، وهذا العالم لا يقدر على تفسير هذه الألفاظ تماما كرجل الدين ، لا يستطيع تفسير صفات الاله، وكلاهما يؤمن — بدوره — بعلل غير معلومة .

فالمؤلف فى هذا الباب يقرر أن العلم الحديث يعتمد فى الاستدلال على بعض حقائقه على الوسائل نفسها التى يعتمد عليها فى اثبات الغيبيات الدينية .

ويسوق المؤلف فى هذا السبيل طائفة من آراء العلماء المختلفين فى شتى ميادين العلم والمعرفة مثل الدكتور (الكسيس كيرل) ، والبروفيسور (أ . ى . ماندير) .

ويخلص من ذلك بتقرير أنه لا ينبغى القول بأن الدين هو (الايمان بالغيب) ، وبأن العلم هو « الايمان بالملاحظة الذاتية » فالدين والعلم كلاهما يعتمد على الايمان بالغيب ، غير

أن دائرة الدين الحقيقيــة هى دائرة « تعيين حقائق الأمور » ، نهائيا وأصليا ، أمــا العلم فيقتصر بحثه على المظاهر الأولية والخارجية فحين يدخل العلم ميدان تعيين حقائق الأمور تعيينا حقيقيا ونهائيا ــ وهــو ميدان الــدين الحقيقى ــ فانه يتبع نفس طـريق الايمــان بالغيب •

الطبيعة تشهد بوجود الاله

وفى الباب الرابع يستجلى مظاهر الطبيعـة ليقدم الشواهد التى تؤكد وجود الاله ، فيقدم من القوانين العلمية ما يثبت أن وجود الكون ليس أزليــا ، أى أن له بــداية ، وكل مــاله بداية لا يمكن ان يبتدىء بذاته ، ولا بــد أن يحتاج الى المحرك الأول « الخالق الاله » •

والمؤلف يستعرض فى هذا السبيل البحوث العلمية فى مجال الطبيعة والكيمياء ، والفلك ، والميكانيكا ، فالشواهد الطبيعية تثبت أن الكون لم يكن موجودا منذ الأزل ، وأن لــه عمــرا محدودا ، والكشوف الفلكية تقــرر أن هــذا النظام العجيب والتنظيم الدقيق فى الحركــة لا يمكن أن يقوم بنفسه ، بل ان هناك طاقة غير عادية هى التى تقيم هــذا النظــام العظيم ، وتهيمن عليه •

ويواصل طريقه فى الاستدلال على وجــود الاله ،فيقدم التوازن الأرضى ،وقانون الضغط والتوازن الغازى ، والسنن الرياضية المحكمة ونظام العناصر ودوريتها ، الى غير ذلك مــن القوانين العلمية ، والشواهد الطبيعية •

دليــل الآخــرة

وفى الباب الخامس يســلك المنهج ذاتــه ليستدل على الحياة الآخــرة ، ويســير وفق تسلسل منطقى ، فيبدأ باثبات امكان وقــوع الآخــرة ، ويثنى باثبــات ضرورة الآخــرة وحتميتها ، ثم ينتقل الى اثبات الحاجــة الى الآخرة نفسيا ، وأخلاقيا ، وسلوكيا ، وكونيا •

ولايكتفى بذلك فى الاستدلال على الحيــاة الآخرة ، ولكنه يلجأ الى الشهادة التجــريبية ليثبت بها الحياة بعد الموت ، متوسلا الى ذلك بمقررات العلم الحديث ونظرياته •

كما يستخلص من البحوث الجديدة فى علم النفس الأدلة التى تقطع بوقــوع الحيــاة الآخرة •

اثبــات الرسالة

وفى الباب السادس يعالج المؤلف قضــية « الرسالة » ، باثبات امكان الرسالة أولا ، ثم بالاستدلال على ضرورة الرسالة ، وحاجــة الانسان الى الوحى ليقوده فى التعرف عــلى الحياة التى لم يستطع أن يكشف منها ما يشبع حاجاته الى وقتنا هذا •

ويختم الباب باثبات نبوة محمــد ــ صلى الله عليه وسلم ــ اعتمادا على أن اثبات نبوته هو فى الوقت ذاته اثبات لنبوة سائر الأنبياء من قبله ، لكونه آخر الأنبياء من جهة ، ولأنه يصدق الأنبياء السابقين عليه جميعا ولاينكرهم من جهة أخرى •

والمؤلف يعتمد فى اثبات نبوة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ على المقاييس المنطقيــة المعتمدة على الواقع التاريخى بما تضمه مــن أحداث ، وما حمل من صفات تميز بها محمــد

ـ صلى الله عليه وسلم ـ على سائر قومه ومعاصريه اعترف بها العدو والصديق •

القرآن صوت الله

وفى الباب السابع يواصل مسيرته فى اثبات رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فيقدم ما يثبت أن الكتاب الذى جاء به صاحب الرسالة هو ـ كما ادعى ـ منزل من عند الله•

والمؤلف فى ذلك يعتمد على ابراز الخصائص القرآنية التى تبرهن على أنه فوق طاقة المخلوق ، والتى تؤكد انه لا يمكن أن يصدر الا عن الله سبحانه وتعالى ، فيقدم من تلك الخصائص :

اعجاز القرآن الأدبى ، النبوءات القرآنية ، صدق القرآن فى كل اشاراته العلمية على الرغم من مضى هذه القرون الكثيرة على نزوله•

الدين ومشكلات الحضارة

وفى هذا المبحث يقدم المؤلف الباب الثامن ، فيستعرض أبرز مشكلات الحياة التى عجز العقل البشرى عن الوصول الى حلول لها ، وكيف وضع الدين حلولها تحت سمع وبصر الانسان معتمدا فى ذلك على تقديم نماذج من الجهود البشرية المبذولة فى هذا الصدد على اختلاف العصور والبيئات ، دون جدوى •

ثم يختتم المبحث بقوله :

« وتؤكد هذه التجارب القاسية التى خاضتها البشرية أن العقل الالهى ـ الذى هو منبع القانون الحقيقى ـ هو أعرف بالطبيعة الانسانية وأكثر فهما لمسائلها ومشكلاتها •

ان فى الدين جوابا محددا لكل الأسئلة التى تؤرقنا فى كفاحنا الحضارى ، انه يوجهنا الى المشرع الحقيقى الطبيعى ، وهو يضع لنا الأساس النظرى للقانون •• فهو يمنحنا أساسا صائبا لكل مسألة فى الحياة البشرية حتى يمكن لها الوصول الى أعلى درجات الازدهار والرقى ، وهو الصورة الوحيدة للمساواة الكاملة بين الحاكم والرعية ، وهو يهيىء الأساس النفسى ، الذى يصبح القانون بدونه مشلولا بلا حراك ، وهو يخلق لنا ذلك المناخ المناسب الذى لابد منه لتطور أى مجتمع تطورا حيويا وفعالا •

وهكذا يعطينا الدين كل ما نحتاج اليه لبناء الحضارة ، فى حين لا يتيح لنا الالحاد والكفر شيئا ما ، سوى الضياع والفاقة ، فهو عقيم لا يجدى نفعا •

الحياة التى ننشدها

وفى الباب التاسع والأخير يقدم المؤلف وصفا مفصلا لما تعانيه المجتمعات الأوربية الملحدة فى ظلال الحياة المادية التى فرضت على نفسها الدوران فى داخلها ، وكيف انتهى أمر هذه المجتمعات الى كل أسباب القلق والاكتئاب من التحلل ، والتمزق الأسرى ، وشيوع الاجرام والشذوذ ، والوقوع فى قبضة الأمراض النفسية • على الرغم من الوفرة المادية التى تكاد تغرقها تماما •

ويستخلص من ذلك أن الانسان فى حاجة ماسة الى ما يلبى حاجة الروح الفطرية من الايمان بالله الخالق حتى يوفر لنفسه تلك النفحات الالهية التى لاغنى له عنها مثل

البقية ص ٧٨٢

أنباء .. وآراء

جامعة اسلامية فى قبرص

تفتتح فى جمهورية قبرص التركية أول « جامعة اسلامية » فى بلدة « قرتة » تضم كليات للاقتصاد الاسلامى والهندسة الى جانب دروس تحضيرية فى اللغة الانجليزية تقبل الجامعة الى جانب أبناء قبرص الطلاب المسلمين من منقطة الشرق الادنى والدول الاسلامية وسوف تضم فى المستقبل كليات للطب و « الكمبيوتر » وكليات أخرى وقد قامت الجامعة بناء على اتفاق خاص بين كل من جمهورية قبرص الاسلامية وبين المسئولين القائمين عليها وموافقة رئاسة الجامعات التركية وستكون شهادتها معترفا بها عالميا .

انشاء مركز اسلامى

قامت مؤسسة العلوم الطبية الاسلامية بالولايات المتحدة بانشاء مركز اسلامى فى شمال ولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية . ضمن مشروع الدعوة الاسلامية الذى تنظمه المؤسسة ، بهدف تقديم الاسلام للمسلمين وغير المسلمين بأسلوب يختلف عن أسلوب الوعظ والارشاد وذلك من خلال برامج تعليمية وخدمات مختلفة .. وذلك من خلال قنوات ثلاث هى المستشفى الاسلامى ، والمدرسة الاسلامية ، والمركز الاسلامى الذى أنشاته فى شمال فلوريدا .. ويضم المركز مسجدا ومكتبة وقاعة للمحاضرات بالاضافة الى مدرسة اسلامية نموذجية .

دفعة جديدة من الدعاة

تم تخريج دفعة جديدة من الدعاة الأفارقة الذين أعد لهم الأزهر دراسات على مستوى عال فى الدعوة وأسلوبها بمقر مدينة البعوث الاسلامية ـ بالقاهرة .

يبلغ عددهم سبعة وثلاثون داعية ، ينتمون الى سيراليون وجزر القمر ونيجيريا وكينيا طالب الدعاة الافارقة الأزهر بمزيد من الجهد للوقوف أمام الهجمات التنصيرية الشرسة فى أفريقيا . وأكدوا انه برغم قلة عدد الدعاة فى أفريقيا الا أن عدد المسلمين يزيد يوما بعد يوم . كما طالبوا بمزيد من المساعدات المادية لمساندة الدعاة الذين لا يتقاضون أية مرتبات من حكوماتهم ، ومد الدعاة بالكتب الدينية باللغة العربية .

سلسلة كتب اسلامية للهيئة المصرية

اتفق الدكتور سمير سرحان رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب مع الدكتور مصطفى محمود على الاشراف على اصدار سلسلة كتب دينية جديدة تصدرها الهيئة تحت عنوان

إعداد
أحمد عبد الرحيم السايح
صفوت عبد الجواد

« قضايا اسلامية » تتناول القضايا الاسلامية المعاصرة من خلال كتابات للمفكرين الاسلاميين. بدأ الدكتور مصطفى محمود اجراء اتصالاته لبدء أصدار سلسلة الكتب التى ستباع بأثمان رمزية وتطبع باللغتين العربية والانجليزية .. ومن القضايا التى ستتناولها الكتب الجديدة :

الشباب فى المجتمع الاسلامى . الزواج ، الصحوة الاسلامية ، الربا ، المخدرات والخمور وتأثيرها على الشباب .

ويتم توزيع هذه الكتب على المدارس والجامعات .

وعدد آخر من الكتب الدينية ستوجه الى تلاميذ المراحل الدراسية الأولى فى أسلوب ميسر .

أحكام الشريعة أساس التشريعات القضائية

طالب القاضى سعد الله المهيرى رئيس جمعية الحقوقيين فى دولة الامارات العربية المتحدة بتوحيد التشريعات والنظم القضائية فى الوطن العربى على أساس أحكام الشريعة الاسلامية .. وقال :

ان أية محاولة لتوحيد التشريعات العربية اذا لم تتخذ الشريعة الاسلامية أساسا لها ستكون عاجزة عن تحقيق أهدافها .

وأضاف : أن الشريعة الاسلامية ستظل المصدر الحى ، وأن عملية توحيد التشريعات فى البلاد العربية المستمدة من أحكام الشريعة الاسلامية لم تعد مجرد حلم يراود أذهان المهتمين من العلماء ورجال الفكر ، وانما أصبحت حقيقة واقعة أقرها وزراء العدل العرب ، وخطوا فى سبيل تحقيقها خطوات أيجابية .

المؤتمر الأول للدعوة بغرب افريقيا

اختتمت فى « فرى تاون » عاصمة سيراليون أعمال المؤتمر الأول للدعوة الاسلامية بغرب افريقيا . نظم المؤتمر رابطة العالم الاسلامى بالتعاون مع المجلس الاسلامى الأعلى فى سيراليون . وصرح الدكتور عبد الله نصيف رئيس المؤتمر بأنه تم مناقشة المعوقات التى تحول دون المد الاسلامى المنتظر فى أرجاء القارة الافريقية . وقال : « ان المؤتمر جاء تعبيرا عن الصحوة الاسلامية المباركة التى تعم أرجاء المعمورة ، وأن حاجة البشرية للاسلام أصبحت تزداد يوما بعد يوم بسبب فشل كافة الأنظمة التى طبقت تحت غلبة الاستعمار العسكرى والسياسى وعجزها عن تحقيق السلام للانسان وتحقيق ما يحتاجه من أمن وسكينة وتقدم ورفاهية » .

فى أسبانيا

بعد مضى أكثر من خمسمائة عام على خروج

العرب من أسبانيا ينطلق آذان الصلاة ليدوى فى أرجاء العاصمة « مدريد » أعلنت السلطات الاسبانية أنه تقرر البدء فى انشاء مسجد مدريد بشارع ام ٣٠ فى منتصف العام القادم . وسوف يكون بوسع سكان مدريد أن يستمعوا الى دعوة المؤذن اذا مروا بطريق « ام ٣٠ » كما سيكون بوسع سكان محلة « كو نسيبينا » دراسة اللغة العربية وقراءة المخطوطات الاسلامية فى ذلك البناء . وانشاء هذا المسجد له دلالات كبيرة . والمسجد الجديد يتسع لاكثر من الف وخمسمائة مصل ، ويضم مكتبة وثلاث صالات للاستقبال والاجتماعات والمحاضرات بالاضافة الى طابق أرضى للسيارات .

مجلة الأزهر .. نرجو ألا يكون الخبر سببا فى تغيير فكر المسلم المعاصر عن علمه القديم بالقوم ، فقد أذاعت محطة لندن قبل أقل من شهرين أن سلطات أسبانيا حرصت على طرد خمسة وعشرين ألف مسلم ولدوا بأرضها بحجة أنهم لا يتمتعون باقامة رسمية فليسأل المسلم نفسه: من الذى يعطى الاقامة ؟ ولماذا امتنع ٠٠؟ ولماذا منعوا من حمل الجنسية الأسبانية ..

حل مشاكل الأقليات الاسلامية

أعلن الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى : أن هناك جهودا تبذل حاليا لتطوير وزيادة فعالية المنظمة للاستجابة لاحتياجات وتطلعات الدول الاسلامية ومتابعة تنفيذ القرارات التى يتم التوصل اليها فى مؤتمرات القمة الاسلامية .. والمنظمة تعمل دائما على حل المشاكل بين الدول الاسلامية والمنظمة منذ أنشائها عام ١٩٦٩ م وهى تولى عناية كبيرة باحوال الاقليات المسلمة فى العالم .

اعداد الدعاة

صرح فضيلة الشيخ محمد زكى ابراهيم عميد معهد اعداد الدعاة : بأن المعهد يضم من بين الدارسين به المتخرجين من الجامعات المختلفة ومن مختلف التخصصات .. كما أن الوافدين من الدول الاسلامية يقبلون على المعهد ، ليكونوا دعاة فى بلادهم .

ومعهد اعداد الدعاة من المعاهد التى قامت فى عهد الدكتور عبد الحليم محمود لمواجهة الانحراف وتحديات العصر .. ويعمل المعهد على نشر الفكر الاسلامى الصحيح .

* شارك فضيلة الأمام الأكبر الشيخ . جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى جلسات المؤتمر العالمى للمساجد وقد نوقش فى هذا المؤتمر عدة قضايا تهم العالم الاسلامى وقد أصدر المؤتمر عدة توصيات من أهمها تشكيل لجنة لتوحيد أوائل الشهور القمرية ولجنة أخرى لبحث التنسيق بين الجهات الرسمية والشعبية القائمة على أمور الدعوة فى العالم الاسلامى والعمل على التكامل بينها .

* ألقى الدكتور حلمى الحديدى وزير الصحة فى افتتاح مؤتمر الأزهر الطبى الدولى كلمة قال فيها أن الدولة باجهزتها المختلفة حريصة على أن تقوم بواجبها فى دعم كل جهد علمى خلاق وأضاف قائلا : ان الدولة تضع كل امكاناتها فى خلق القوى البشرية على قدر كبير من العلم والسلوك الاسلامى لكى تكون

قادرة على تحقيق خدمة من أهم الخدمات التى تهدف الدولة الى تقديمها للمواطنين وهى توفير الرعاية الصحية والطبية الناجحة التى تساهم فى ارساء وتدعيم أخلاقيات المهنة بالمزيد من العلم والمعرفة •

وقد وضح الدكتور / ممدوح جبر نقيب الأطباء فى كلمته التى ألقاها فى المؤتمر أن كلية طب الأزهر وما تقدمه من المؤتمرات العلمية والطبية الدولية انما تؤكد أنها معقل من معاقل العلم والدين معا كما تساهم بطريق مباشر فى دعم رسالة نقابة الأطباء حين تخرج كل عام الطبيب المسلم المتمسك بالأخلاق والضمير وهو اساس رسالتها •

وقد أعلن الدكتور / محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر خلال الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الطب الدولى الذى عقد بجامعة الأزهر أن كلية الطب تعمل على استعادة المجد العلمى للازهر حيث تقوم بتخريج الطبيب الداعية الذى يجمع بين الايمان والعلم بما يخدم مهنة الطب •

التقى فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بوفد جزر « فيجى » الواقعة فى المحيط الهندى ورأس وفد لمقابلة السيد محمد شيرانى رئيس الرابطة الاسلامية وقد دار البحث خلال اللقاء حول أوضاع الطلبة الموفدين فى منح للدراسة بالأزهر ووضع برنامج لتعليم اللغة العربية وايفاد مبعوثين من الأزهر يجيدون اللغة الانجليزية لتدريس اللغة العربية.

وقد وافق فضيلة الامام الاكبر على اعتماد ست منح دراسية وايفاد مبعوث من الأزهر يجيد اللغة الانجليزية يعمل مستشارا لوزير التربية والتعليم حتى يتم ايفاد مبعوثين آخرين •

بقية الاسلام والمسلمون فى الصين

طارت الى الحكومة الصينية المركزية بشكاية المسلمين من أقطار الصين فأمرت الحكومة الجمهورية الصينية بمعاقبة الكاتب الملعون وتعطيل مجلة (الآداب الصينية) واغلاق (المطبعة الحديثة) وسنت قانونا خاصا لحماية الأديان توطيدا لما فى الدستور من حرية الدين ومساواة الشعوب فى الحقوق ، وأعلنت أن المسلمين من العناصر المهمة للأمة الصينية ولهم تاريخ مجيد فى خدمة هذه الأمة •• » (١) •

فاذا كان للمسلمين هذا التأثير • فى الرأى العام الصينى • وفى الحكومة المركزية وفى دور النشر والصحافة • أفلا يدل ذلك على قوة المسلمين فى الحياة العامة ،

ان الرقم الذى حدد عدد المسلمين فى هذه الفترة — قبل الثورة — بخمسين مليونا لم يكن مبالغا فيه أبدا • كما ان الرقم الذى تحدده المصادر الرسمية عن عدد مسلمى الصين — بعد الثورة — غير معقول ولا مقبول أيضا •• وفى ضوء هذا كله يمكن أن نقرر مطمئنين بأن عدد مسلمى الصين فى كل أنحاء الصين لا يقل عن ثمانين مليونا تحت العجز القليل ••• والزيادة الأكثر •

---

(١) تقويم البلاد الاسلامية — المؤتمر الاسلامى - كراتشى ١٩٦٥ •

من خير ما كتب

الأستاذ / أبراهيم راشد ..

من هـدى القرآن

الذين يتتبعون الأحداث الأخيرة ويبحثـون من النتائج التى تمخض عنهـا مؤتمر القمـة بين العملاقين .. جورباتشوف وريجـان .. سوف يشعرون بالأسى لأن خريطـة العـالم الاسلامى بمساحاته الواسعة لم تشغل مـن ذهن الرئيسين شيئا وخاصة أن هناك منـاطق ملتهبة شـديدة الالتهاب والحسـاسية مثـل أفغانستان وما يجرى لشعبها على يد أعـداء الله .. وايران والعراق ولبنـان وجنـوب السودان .. وحدود الصومال مع اثيوبيا وتشاد وليبيا .. حتى انك لتتخيل بحـارا من الدم تجرى هنا .. وهناك تحت سمع وبصر العالم كله ..

ولقد كنا ننتظر أن يكون للشرق الأوسط » مهد الديانات والرسالات أهميته وثقله فى المباحثات بين الزعيمين ولكن للأسف .. لم يذكـر شىء عن وضع حد لاعتداء اسرائيل المتوالى عـلى الأمة العربية .. ولا عن كيفية انهـاء حـرب العراق وايران وغيره .. وغيره ، فالمهم كمـا قلنا كيف يمكن استرجاع أمـوال البترول ..

أموال العرب لكى يشترى بها السلاح من أجل أن يقتل المسلم أخاه المسلم .

والثابت أيضا أن الله له سـنن لا تتبـدل ولا تتغير فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فهذه سنة الله .

ان الانسان ليشعر بالأسى عندما يجـد أن الدنيا كلها تمكر بالمسلمين وبدينهم وبعقيدتهم وهى تلك العقيدة السمحة الكريمة التى أعطت أجمل النتائج للانسانية جمعاء .. واذا كنـا قد فرطنا فى أنفسـنا .. وفى عقيـدتنا فهـل مطلوب من الناس أن يقفوا بجـوارنا .. وصدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما قال : توشك أن تجتمع عليكم الأمم كما تجتمع الأكلة على قصعتها .

قالوا : أومن قلة نحن يومئـذ يارسـول الله .. ؟

قال لا .. أنتم يومئذ كثير .. ولكنكم غثاء كغثاء السيل .. ولينزعن الله المهابة منكم من نفوس عدوكم وليبدلنكم اياها بالوهن .

قالوا وما الوهن يارسول الله .. ؟

قال حب الدنيا وكراهية الموت .. صـدق رسول الله .

هذا هو حال المسلمين اليوم .. فهل مـن يقظة جديدة ، هل من صحوة جديدة تعيد الينا عزتنا وقوتنا ؟ !

إعـــداد
عبد الفتاح السيد عبد السلام

عسى أن يكون قريبا .

الأستاذ / أحمد زين ..

بـــلا مشـــاكل

عندما اختطفت الطائرة الامريكية الى لبنان .. وجلس الطيـار الامريكى يتحـدث مـع الفلسطينيين .. خرج بعد هذا الحديث وهـو يقول فى مؤتمر صحفى عالمى ان هؤلاء النـاس لهم وجهة نظر .. وان وجهة النظر هذه لابـد أن تسمع .. وان الظلم الـذى وقـع عـلى الفلسطينيين هو أساس كل ما يحدث .

ولكن هذا لم يجد آذانا صاغية من أحد .. ولعل وكالات الأنباء قد قتلت هذه القصـة .. فلم تذع هذا الحديث .. لأنها لا تريد اظهار الفلسطينيين ضحايا ومظلومين . بل اظهـارهم بصورة القتلة والمجرمين .. ولو أن منصـفا أحصى كم فلسطينى يتم قتله كل يوم .. وكم أجنبى قتل بيد الفلسطينيين .. كان الاحصاء يساوى ألفا الى واحد على الأقـل .. ولكن لا أحد يريد أن يظهر الحقيقة .

واذا كان الانسان قد ولد فطرد من بلـده وأرضه .. ولم تعد له جنسية .. ولم يعد له مكان يقيم فيه .. وأصبح معرضا فى كل لحظة .. لأن يقتل .. ويوضع فى السـجن .. أو يطرد من بلد .. الى آخر بلا رحمـة .. اذا كان هذا قد حدث لأى فرد فى أمريكا أو أوربا .. لكان قد حمل السلاح .. وذهب يقـاتل من أجل حياته .. وكان القتال قد اعتبر دفاعا مشروعـا عـن النفس .. ولكن بالنسـبة للفلسطينيين فـان مجرد دفاعهم عن أنفسهم يعتبر ارهابا .. يعتبر قتلا .. بينما الاعتداء عليهم وقتلهم يعتبر حقا ..

ولكن الى متى تستمر هـذه الأوضاع .. هذا هو السؤال .. ذلك انه كلما استمر الظلم وظلت المشكلة بلا حل .. فان العنف سيستمر .. ومادام لم يقم العدل .. فان القتل والا تال لن ينتهى .. وهناك قـوى كثيرة فى العـالم تحرص كل الحرص على أن يستمر الظلم .. وأن يستمر القتل والقتال .. لأن لها منـافع شخصية تتحقق .. وجيوبا تمـلأ بالأمـوال .. وللأسف الشديد .. أن بين هذه القوى فى المنطقة دولة كسوريا جعلت حياتها على أساس دماء الفلسطينيين وابتزازهـا للأمـوال على أساس بقاء القضية الفلسطينية بلا حل ..

من خير ما كتب

تلك هى الحقائق التى تحيط بما يسمونه الارهاب .. وذلك هو المنطق المعكوس الذى يسود العالم .. ولسنا ندرى من هم الارهابيون الحقيقيون .. هم أولئك الذين يشعلون النار فى كل مكان .. وينشرون الحروب بين الدول الصغيرة .. أم هم أولئك الذين يدافعون عن حقوقهم ضد الظلم والارهاب الذى سلبهم حق الحياة .

ان كل فلسطينى هو ضحية مطامع الدول التى تهدر دمه لتكسب من وراء ذلك وتربح وتغنى .

الأستاذ / مصطفى أمين ..

فكرة !

يسألوننى هل مازلت متفائلا ؟ ! قلت مازلت متفائلا ومتفائلا جدا . مادمت أؤمن بالله وأعتقد أنه أقوى من أى ظالم . مادمت أؤمن بالشعب وأعتقد أنه أكبر من أى جبار . مادمنا نعترف بأخطائنا ونحاول أن نصححها . مادمنا نكشف عن أمراضنا ونعالجها .

اننى متفائل لأننى أعرف أن كل أزمة نصادفها هى أزمة مؤقتة . بلاد غيرنا واجهتها وتغلبت عليها . كوارث كثيرة نزلت بمصر ، وذهبت الكوارث وبقيت مصر .

عندما يجىء الليل أنتظر النهار . وعندما ينتشر الظلام أتوقع بزوغ الفجر . وعندما تشتد الأزمة أثق بأنها لابد أن تنفرج . وعندما يجىء الظلام أضىء شمعة ! .

الشدائد التى تحيط بنا ليست نهاية الدنيا وانما هى بدايتها . الكساد فى السوق لا يمكن أن يستمر . نستطيع أن نضاعف انتاجنا ونحسن أعمالنا ونحول الكسل والخمول الى انتاج ونشاط . ونضع الرجل المناسب فى مكانه الصحيح . ونفتح الطريق للأكفاء ونسده أمام المحاسيب والأقرباء ، ونستطيع أن نفتح عيوننا ونمسك بتلابيب كل من يستغل نفوذه أو يسلب أو ينهب أو ينصب . ممكن أن نفتح محاكم ليلية لنبت فى القضايا المكدسة عشرات السنين . ممكن أن نزيد ساعات العمل . ونعطى ساعتين مجانا كل يوم لتسديد ديون مصر ممكن أن نعيد توزيع موظفى الحكومة فلا يبقى موظف جالسا على مكتبه يحل الكلمات المتقاطعة ، ولا يبقى موظف بغير كرسى وبغير مكتب . ممكن ألا تبقى ورقة واحدة فى الحكومة يوما واحدا بغير أن نبت فيها ، ولا تبقى مظلمة فى الدولة الا ونحقق فيها العدل وننفذ القانون . ممكن أن نجعل الذين يخدمون الجمهور يتأدبون فى معاملته فتتوقف الغطرسة وقلة الأدب فلا يشعر مواطن باهانة فى مكتب حكومى ، بل يحس أنه سيد يعامل معاملة السيد . وأنه مواطن لا رعية وأنه صاحب البلد لا غريب عنه .

الذى نطلبه ليس مستحيلا . فى يدنا وحدنا . لا يحتاج الى عملة صعبة . ولا يستدعى أن نطلب خبراء من الخارج . كل

ما هو مطلوب منا أن نفعل ما تفعل الدول المتحضرة التى تؤمن أنها اذا أهملت جاعت ، واذا عملت أكلت وشبعت •

فالعمل المتواصل والانتاج الجيد وحدهما هما طريقنا الى الرخاء والحرية والديمقراطية هما النور الذى يضيء لنا الطريق • وأنا متفائل لأننى أعتقد أننا نسير فى النور ولن نعود الى الظلام • وصحيح أننا فى النور نرى كثيرا من الأخطاء • ولكنى لا أتفق مع الذين يرون أن الطريق لاخفاء الأخطاء هو اطفاء الأنوار • اننى أرى أن القضاء على الأخطاء ، يكون باصلاح الأخطاء وتلافيها ، ونقدها واعلانها للناس ! •

ثقوا بالشعب يصنع المستحيل •
ويخطيء الذين يتصورون أن الشمس ستأخذ اجازة ! •

الأستاذ / أنيس منصور ••

مــواقف

توقعت فى هذا المكان ان تسكت وسائل الاعلام كلها : لا حس ولا خبر

عن انتشار المخدرات فى مصر بين الصغار والكبار •

فهل معنى ذلك أننا حللنا المشكلة بأن سددنا الطريق برا وبحرا ضد التجار وألقينا القبض على كل المدمنين والمبتدئين ؟ هل الآباء أحرقوا أصابع أولادهم وبناتهم ؟ هل انتهى كل شيء واختفى المسحوق الأبيض والدخان الأزرق من كل مكان ؟ •

ان التاريخ القريب يؤكد لنا أنه ما لم « نغلظ » العقوبة على التاجر والمتعاطى مرة واحدة والى الأبد ، فلا معنى للشكوى والبكاء على حاضر ومستقبل مصر •

فقد اشتعلت النار فى كل بيت وكل قلم وكل ميكروفون • ثم خمدكل شيء •

ومنذ أيام رأيت ندوة فى القناة الثالثة للتليفزيون عن الفزع الذى أصاب طلبة الجامعة من مرض « الايدز » مما استوجب أن يجيء أطباء مختصون يشرحون ذلك ويهدئون خواطر الجميع • لا مانع أن يعرف الطلبة والمشاهدون ما هو هذا المرض وكيف ينتقل وما هى وسائل العلاج • ولا مانع ولا كلمة عن المخدرات — مع أنها أكثر انتشارا بين الطلبة وبين المستعمين • وأن هذا مؤكد • وان الشفاء ممكن فى أى وقت • فالداء معروف والقضاء عليه معروف •

ولكن هذه حالنا عادة : نثور ونقلب الدنيا ، ونتلفت حولنا خوفا وفزعا •• وتمتليء الصحف والميكروفونات والكاميرات والجامعات ، ثم بعد ذلك صمت رهيب مريب •

وهكذا يكون الاسراف فى الكلام سببا ضروريا للسكوت • ولا يكون السكوت علامة الرضا ، وانما هو دليل على القرف من الكلام ومن التشخيص ومن العلاج أيضا ! •

بقية تحليل لكتاب "الاسلام يتحدى"

المشاعر السامية ، والقيم والاحتشام والاحترام ، والسخاء الى غير ذلك مما يفتقده الانسان فى العالم المادى الملحد .

والمؤلف بذلك المنهج الجديد الذى عرض به الاسلام يستجيب لحاجة العصر فى أسلوب الدعوة والحجاج ، فيخاطب العقل العصرى باللغة التى يعشقها والتى يخيل اليه أنها وحدها اللغة المثلى فى التفكير والاقناع .

وقد وفق المؤلف أيما توفيق فى اختيار منهجه . كما وفق فى الوفاء بما يلتزمه من الحجج الموضوعية العقلية الهادئة .

والمؤلف بذلك يقدم برهانا على أن الاسلام يكفل للبشرية فى كل بيئاتها وعصورها ما تحتاج اليه من مقومات الحياة : وأن هذا الدين لا يمكن أن تؤثر فيه الأعاصير مهما اشتدت .

وعلى الاجمال أستطيع أن أقرر أن الكتاب بمنهجه يمثل هدفين نسعى اليهما فى هذا العصر .

أما أولهما : فهو أن يطمئن الشباب المسلم الى أن روح الاسلام طاقة مستمدة من القوة الأبدية .

وأما ثانيهما : فهو أن يأخذ الدعاة المسلمون أنفسهم ــ وأخص منهم الشباب ــ بهذا المنهج فى الدعوة .

وصدق الله العظيم : « **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** » .

دكتور / ابراهيم محمد اسماعيل عوضين

بين الجاحظ وأبى حيان التوحيدى ــ بقية

قال يسرا قالت الأيام عسرا،عاش فقيرا موتورا .. والمرء مهما أوتى من عقل سليم ، وأخلاق فاضلة ، لا يخرج عن كونه محصول مسكنه وهوائه ، ومدرسته وأساتذته وأقرانه ،وعنوان ما تأثر به روحه منذ وعى على نفسه » (١) وأدرك ما يحيط به من صروف الحياة .

نتساءل :

أكان كل القوم حينئذ يفتقر الاستعداد ، ويفتقر الى ذهن يؤهله لأن يفهم التوحيدى على حقيقته ؟

أم كان اذا فهمه أحد ، أو حاول اظهار فضله أو بعضه نكت فى عيشه ، وضيق عليه فى رزقه، وأخذت عليه سبل حياته ، نتيجة حتمية لسيطرة الوزيرين وشدة تحكمهما ، ومن جراء بغضهما العنيد لمثل هذا الرجل العظيم ؟

انها ــ فى يقينى ــ أمور واردة مرجحة الوقوع وبرغمها وصل صاحبى الى ما عرفت من المكانة وحظى بما لم يحظ به كثير من المتزلفين .

فأن يفوق أستاذه الجاحظ فى أكثر من أمر ، هو شىء لا غرابة فيه ، وتفوقه هذا وتبريزه لايقدح فى قدرات الجاحظ ، ولا يحط من ذلك المقدار ، بل ربما زاده رفعة وتشريفا ، ناهيك بما دبجه التوحيدى فيه وكشف عن فضله فى مختلف الفنون .

د . حامد الخطيب

---

(١) ٢ ــ ٥٤٥ أمراء البيان للاستاذ محمد كرد علي .

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الشعر والشعراء

اللغة والأدب والنقد

القسم الانجليزى

مراجعة وعناوين داخلية

which was emphasized in the Salaf's definition of the world. The second concept was "absolute non existence" or "nothingness" which was emphasized by defining the "thing" before talking about substance and accident. Thus substance and accident had attained for the "mutakallimun" a special significance completely different to what characterised these two terms in Greek thought where they were characterised by "substrate" and "form". The"Mutakallimun's" treatment of substance and accident have made them two concepts that were in complete harmony with the Islamic principles. Other than the definitions mentioned above, there were very clear indicators about the Muslim's opinions concerning these two concepts.

"to be continued"

References

1) "Principles (Usul) of Religion" by Abdul Qadir Al-Baghdadi. P. 11.

2) "Glowing proofs of the bases of the creeds of the Sunnis and the Islamic Groups", by Al-Guwaini P. 76 (Verified by Dr. Fawkia Hussein Mahmoud).

3) "Guidence to irrevocable proofs of the bases of belief" by Al-Gwaini (Verified by D.M.Y. Moussa et,al.)P. 17.

4) The comprehensive book of the bases of religion BY Al-Gwaini- A copy of the manuscript No. 1290, "Kelam" Egyptian Library. Plate 23.

equal in their significance,,what is other than God has substance and accident.

Thus the Islamic concept of the world lies behind the "Mutakallimun"'s use of the terms substance and accident. This concept is used to give a method of proving contingency dependent on two terms which are alien to Islamic heritage.

In the discussions of the "Sunnite Mutakallimun" the "thing" is defined as the "existent" such that the exsitent is the thing and the thing is the existent. The "Sunnite Mutakallimun" in contradistinction to the "Mutazalites" refused to define the "thing" as "what is known" because "what is known" may include the concept of "nothingness" or non-existance . The aim of the "Sunnite Mutakallimun" was to show that non-existence is not a"thing" because if it were a thing, it may be an existence rather than a non-existence. In the "Mutazalite" definition, there was left the possibility of misunderstanding that the world is ancient (uncreated), and that God merely "made" things. The "Sunnite Mutakallimun" insisted that God created "things" from "nothingness". God's ability is characterised by producing things out of nothing,and not out of matter of "previous existence" such as the intellectual substrate (Hayaula) of the Greeks from which the existence of objects was thought to be derived.

The "Mutakallimun" at the beginning of their discussion emphasized two very important concepts which show the Islamic origin of their thought as distinct from Greek origin. The first concept was "contingency"

titude was shown since the very beginning by two main criteria.

First, the "Mutakallimun" provided a definition of the world or universe that represented the opinion of the early theological thinkers (the Salaf), before using the definition which includes the terms substance and accident that were used by the later theological thinkers (the Khalaf). Second, the "Mutakallimun" used the concept of (Shai-thing) before dealing with the terms substance and accident in their system of proving the contingency of the world.

The definition of the world for the Salaf was the world is every being"other than"God. This definition points to two types of existence; namely God (glorified be his name) and the world. This hint does not talk of these two as equals, but shown the difference by using the words"other than" The Salaf have realised this differentiation, and the Khalaf took it from them, and explained it in this definition : "Beings are of two types", one of which has no beginning and no coming into being, that is God(glorified be his name), but the other has a beginning ,that is, a coming into being namely "the world".

Therefore, what is "other than God", is the being which has a beginning (is created). This does not apply to God, who has no beginning and who has not been created. Substance and accident belong to beings that have a beginning and a creation. The "Mutakallimun" have clearly said that the two definitions of the world are

nt the analytical components and facts about these existing objects. This was the case with Greek thinkers. Thus substance and accident in the Greek attitude have an existential significance, despite the fact that they have never crossed the barriers of the mind, because they are just intellectual meanings.

The researcher in the second uses the terms substance and accident as a means rather than an end. This attitude does not use substance and accident to explain existence, but uses them as two mental divisions of an existing object to prove its contingency. The two divisions are related to each other and help, together with other definitions in proving the religious fact of creation and denying that the universe is uncreated or ancient as Aristotle puts it.

This means that substance and accident in the definition of the world were not used by the "Mutakallimun" in pursuit of theory that explains external reality or existence in general, as was the case with Greek philosophers. They used these two expressions as tools to serve religious understanding. That was the reason why the "Mutakallimun" used this definition at a very special level, completely different from Greek thought. The "Mutakallimuh" abstained from explaining the world, and aimed at defining their attitudes in using the terms substance and accident . Despite this fact, they were keen on showing their attitude towards the external world, as a world that has its own existance, irrespective of the knowing subject. This at-

Islamic Theology after the First Century of Hijra "Continued"

By: Dr. Fawkia Hussein Mahmoud.

The attitude of the "Mutakallimun" towards alien concepts was anatagonistic, involuntarly handling these concepts in defence of religion. The opponents of religion had introduced the concepts of substance and accident in order to destroy the bases of belief. The Muslim thinkers faced them to defend their beliefs by using the same weapon, that of philosophical conceptualisation.

The reason why the "Mutakallimun" dealt with these alien concepts was not to explain nor to justify existance; but rather to establish belief by proving that this world is contingent e.g that it has a creator. There is quite a difference between these two attitudes. One attitude believes that there is substance and accident in order to explain the universe intellectually . The second uses substance and accident in order to form a mental construction for the purpose of proving the contingency of the world.

The researcher in the first takes the attitude of scholar who aims at conceiving the truth about existing objects. He ends with conclusions that represe-

Let us pray that we are favoured with the blessing of the continuous remembrance of Allah, by utterance of his Holy names and by the recitation of the Holy Quran.

Abstracts taken from an original article by Dr. Taha Abou Kerashah. Published in the Al-Azhar Magazine, Volume 57, Page 2007, September 1985. (Zu Al-Hijja. 1405 H).

charity out of what we have bestowed
upon them".

(Surat Al Hajj, XXII, 34, 35)

The contexts of those verses indicate remembering Allah is a universal demand from humanity and a requirement to be practiced. However ,the Muslim nation is expected to comply with further more objective requirements in the quality of their devotion and rememberance of Allah. such necessitate humility before the greatness of Allah to make them receptive to Allah's message. Fear of Allah is akin to love which touches the heart and penetrates into the innermost depths of the self. Their life should be a continuous portray of self discipline righteousness patience and constancy. Gratitude to Allah is shown in the practical act of charity to all fellow creatures.

The remembrance of Allah in utterance is in fact an act denoting the omni-presence of Allah and the Supreme power of the Creator , and a total acceptance and recognition of the words of the Holy Revelation of the Quran. It is also a total acceptance that the code of Allah to humanity is the true and right code without error or fault. It is the way of the pious that prevents the subtle whispers of the devil to divert man from the correct true path. it is the practice of total adherance to the presence of Allah.

feelings he ascends to higher levels of piety and submission to Allah.

Pilgrimage is performed as an answer to the orders of Allah. This performance of the duty of pilgrimage must be with sacredness. The pilgrim must exceed the forms and shapes of his performance to what is behind the real meaning of Pilgirmage. This entails obedience and submission to the orders of Allah in sincerity and adoration above infallibility.

The continual remembrance of Allah is not a symbol or a motto, but it is a complete prefatory which is central to the greatness of the Creator and an absolute confession of belief in Allah ,and in the revelation of the Holy Quran to the Prophet Mohammad (prayers and peace be upon him). The text of the Holy Quran states :-

> "To every people did we appoint rites of sacrifice, that they might celebrate the name of Allah over the sustenance, He gave them from animals. But your God is One God, submit then your wills to him (in Islam) and give the good news to those who humble themseleves. To those whose hearts when Allah is mentioned are filled with fear; who show patient perseverance over their afflictions, and those who keep up regular prayer, and spend in

standing on the mount Arafat and during the passage through Muzdalifa on the way to Mena. With the various stages and places of pilgrimage, the remembrance of Allah takes different patterns and forms. At the start of Pilgrimage it takes the form of appraisal and commomoration, later it takes the form of asking mercy, forgiveness repentance and empancepation. Such acts of remembrance of Allah must be done wholeheartedly with spiritual honesty and purity. This continual rememberance of Allah is a manner of thanksgiving to Allah for the supreme blessing of faith, without which humanity would live in the abyss of dark ignorance, and would be slave to the carnal demands without spiritual refinement.

When the performance of Pilgrimage are finished, Pilgrims should not divert from the remembrance of Allah. Their hearts should be passionately attached in continual remembrance. Through that belief, the balances of aims and objects are made clear; and man must not become captived by the earthly world, and should form an equilibrium between the earthly world, his spirit, and the life in the hereafter.

The days spent at Mena are three days after slaughter (of cattle), the pilgrim could be contented with two days or may complete the three days. This must be accompained by piety , faith and continuous remembrance of Allah. In the utterance, piety and faith are the shield by which the believer protects himself against slipping away from the circle of obedience to Allah by continual remembrance . Through that frame, the Muslim feels the taste of guidance and blessing,and with such

And proclaim the pilgrimage among men.
They will come to thee on foot and mounted on every kind of mount, lean on account of journeys through deep and distant mountain highways;
that they may witness the benefits provided for them and celebrate the name of Allah through the days appointed, over the cattle which He has provided for them (for sacrifice) : then eat ye thereof and feed the distressed ones in want. Then let them complete the rites prescribed for them, perform their vows , and again circumbulate the Ancient House).

(Surat All-Hajj, XXII, 26-29)

These verses from the Quran pertaining to Al-Hajj indicate the grand purpose of sanctifiying the House of Allah as a place of worship. They also indicate that worship should be paid only to Allah. The verses continue to indicate that the purpose of this grand assembly of people at the time of pilgrimage is to celebrate the name of Allah and continually remember it in utterance through certain appointed days. In the classical interpretation of "appointed" days" , these denote the first ten days of the month of pilgrimage (Zu Al Hijja). These days are credited with great favour as explained in the Honourable Hadith.

The Holy Quran points distinctly to the several stages of pilgrimage where the remembrance of Allah becomes dutiful and necessary. Such places are the

Pilgrimage and Remembrance of Allah

By Ismail Moustafa Kira

Al - Hajj (Pilgrimage) as prescribed in the Holy Quran is always ascertained to be accompanied by certain rituals and duties that are most important to be recognised during the performance of pilgrimage. Besides such specific duties, there is one other matter which is always stressed upon. That matter is the continual remembrance of Allah in utterance and declaration, that Allah is One and the only worshipped. This remembrance is continuous and renewed hour after hour, place after place during all performances and persuals of the rituals of Pilgrimage.

The grand assembly and consortium of people from every kind, race, and colour, and the accumulation of their hearts and tongues ,gathering and unified towards continual remembrance of Allah in humble submission and solemnity . This prevailing renewal of spiritual elevation and purity under the standard of belief that Allah is the Supreme Almighty Creator, providing a code for humanity to be in excellence. The Holy Quran states :-

> "Behold! we gave the sight to Ibrahim of the Sacred House, saying associate not anything in worship with Me and sanctify My House for those who compass it round or stand up or bow or prostrate themselves

during battle. This motivated and instigated several hundreds of them to decalre Islam and join in the spreading creed. The tribe of Koraysh in Macca came under the understanding that the high influence of Muslims was lost at Muatah, and that the Muslims lost their class of authority. This fatal understanding made them sever the terms of the truce of Al-Hudaibiah . This made the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) free from the obligations of the terms of that truce .

Prayers and peace upon our Magnanimous prophet.

Al-Akhar of the eighth year of Hijrah and it certainly reinstated the Muslim prestige north of Al-Madinah.

In the month of Rajab of the eighth year, another expedition was missioned under the command of Abu-Ubaidah Ibn Al-Garah with three hundred men to face the tribe of Gahinah living by the coast

The party reached the coast and remained for two weeks without facing any tribal gathering.

They ran out of provisions of food and had to eat herbs. When they encountered no enemy, they returned to Al-Madinah . They had obtained food by catching a huge whale.

The repercussions and after effects of the battle of Muatah was very different according to the various groups that considered the matter. The Roman leaders were certainly content that the Muslim troops returned to Al-Madinah without engaging in further combat. They experienced the bravery of Muslims and the injury they could inflict even when highly outnumbered. The Muslims on the other hand were affected by mixed feelings; they certainly preferred to have defeated the roman and tribal arab armies; but because they were greatly outnumbered, they were content with their safe return as victory. However, there was deep sadness prevailing at Al-Madinah for the death of Zaid Ibn Harithah, GafarIbn Abi Taleb, and Abdullah Ibn Rawahah. The Arab tribes fighting on the side of the Romans were very highly impressed by the bravery and skill in combat of the Muslims and their strategy in performance

Rawahah. His personal condolences were given to Asma Bent Umais wife of Gafar, and with tears in his eyes kissed her children. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) instructed Asma how to mourn her husband according to the Shariah of Islam, and as prescribed by the Holy Quran about how a woman should conduct herself in the case of death of her husband, in all aspects of the situation,Asma Bent Umais was later married to Abu Bakre, and later after his death was married to Aly Ibn Abi Taleb. She had children from three of her husbands .

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) desired to reinstate the reputation of the Muslims north of Al-Madinah ,and for that purpose, Amre Ibn Al-Aas was ordered to command three hundred men to summon the Arab tribes of the north to Islam. He reached the water wells of the tribe of Khuzam at a place called Al-Salsal. There ,he feared to engage himself in battle, and sent for reinforcements. These arrived numbering two hundred men commanded by Abu-Ubaidah Ibn Al-Garah and among the men commanded by Abu-Ubaidah Ibn Al-Garah and among the men were Abu Bakre and Omar Ibn Al-Khatab, with instructions to submission to Amre Ibn- Al-Aas and not to differ with him. This was very necessary indeed, since this reinforcement included early Muslims of Muhagereen of great esteem. They engaged with the enemy and compelled their retreat and dispersed. Amre gave orders not to follow the retreating tribes to avoid penetration into enemy land for fear of ambush. The party returned to Al-Madinah victoriously. This expedition of Al-Salsal was in Jumad

dexterity in battle command made him realise that face to face combat in this situation was futile; and gave his orders to circle round and gather without involving in actual combat. He remained in that manner of skirmish till nightfall when both armies put down their arms till morning . During the night, Khalid Ibn Al-Waleed rearranged his troops and changed his strategy by reversing the positions of the men. He made the right flank become the left, and the left flank become the right; the rear to be infront ,and the front become the rear. In the morning, the enemy thought that the Muslims army was reinforced and consequently became very reluctant to attack. Khalid Ibn Al-Waleed also did not attack but kept his ground with appearances of strength and confidence. Both armies eventually left the battle ground and the Muslims returned to Al-Madinah certainly in victory by being saved from certain defeat if they had engaged the enemy. Such success was due to the excellent command of Khalid Ibn Al-Waleed. Some authors report that on the second day of battle, the Muslims under Khalid Ibn Al-Waleed attacked the enemy in combat and compelled their retreat, but did not pursue the retreating Roman forces. Whatever the exact events were, it was certainly a triumph for the Muslim army to be saved disaster and misfortune; and returned to Al-Madinah in safe ranks with minimal losses considering the multitude of the enemy forces and the numbers of their casualties.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) received the returning troops with much satisfaction inspite of his deep sadness for the death of Zaid Ibn Harithah, Gafar Ibn Abi Taleb and Abdullah Ibn

ibal troops. The Muslims fought fervently and zeal penetrating through enemy lines with daring courage causing real damage among the rank and columns. However, the mammoth gigantic bulk of the consolidated troops could bear the quick sporadic stab injuries by the rapid Muslim assaults.

The dominating power was eventually with the colossal masses; and the tide of battle was very much in their favour. Zaid Ibn Harithah was killed in battle, and so were Gafar Ibn Taleb and Abdullah Ibn Rawahah. Never before in the history of mankind in battle has so much been spent in want and desire for victory or martyrdom as has been spent by these men They demonstrated the supreme example of how human life can become so cheap a price to give gallantly and without hesitation to establish the roots of real faith and belief. It has been related in the details of the literature that the bodies of these men and others who had fallen in battle suffered several deadly wounds; both arms of Gafar Ibn Abi Taleb were found amputated. The situation of the Muslims was gravely distressing, and after the fall of the three commanders Thabet Ibn Arqam from Bani Al-Aglan took the banner and declared among the men to choose a man to command them, as instructed by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The men chose Khalid Ibn Al-Waleed to command them, he had joined the men going to Muatah. Khalid Ibn Al-Waleed took the banner and commanded the men.

This was the first time for Khalid Ibn Al-Waleed to command Muslim troops. His well reputed proficient

that if he is killed, then it is Gafar Ibn Abi Taleb, and if he is killed; then it is Abdullah Ibn Rawahah, and if he is killed; then it is left for the men to choose one man from amongst them to command. The instructions were to summon people to Islam and the word of Allah: not to kill women or children or the elderly; not to cut trees or destroy property. The march north of three thousand men started in Jumad Al- Awal in the eighth year of Hijra, and the men reached the Syrian borders at Maan. The news of the march reached the Romans in Syria and the Arab tribes resident around the Syrian borders as the tribes of Lokhem, Khuzam , Al-Yakin, Bahra and others. The Roman troops togeter with men from these tribes gathered in more than hundred thousand men to face the Muslims at Maan.

The Muslims remained at Maan for two nights considering the situation of how to face the massive forces marching towards them. The consensus of opinion was to inform the Prophet(prayers and peace from Allah Upon him) of the situation and wait for instructions. However, Abdullah Ibn Rawahah came up with an audacious defiant opinion, stating that they were out to face the horrors of battle and the triumph of either victory or the glory of martyrdom. This boldness of opinion found acceptance unanimously, and the Muslims marched out of Maan to meet the combined massive forces of the Romans and Northern Arab tribes at the village of Masharef. When the Muslims envisaged the situation, they reclined to the village of Muatah as a better ground for battle strategically. At Muatah, the battle started between three thousand Muslims and more than one hundred thousand Roman and Arab tr-

The Battle of Muatah

BY: Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR MD, PHd.

One year had elapsed since the Truce of Al-Hudaibiah, and the accomplishment of the Umra of Al-Qada which firmly established the terms of the Truce of Al-Hudaibiah between the Muslims and Koraysh. This resulted in the fact that the long lived conflict between the Muslims and Koraysh had reached a situation of pacification and detente. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) desired to safeguard the northen territories of the Arab peninsula occupied at the time by the colossals of the Roman Empire. This inistigated by the murder of Al-Harith Ibn Umair Al-Azdi the envoy of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to the king of Basra, and also by the murder of fifteen Muslims at Al-Talh on the Syrian borders. Some authors state that the normal spread of Islam outside the Arab peninsula was towards the north. Whatever the reasons were, the activity of the Muslims at Al-Madinah was now by the beginning of the eighth year after Hijra certainly directed to the north.

The Prophet (prayers and peace form Allah upon him) summoned his companions to rally north to the Syrian borders. Three thousand men gathered for that expedition including several outstanding companions. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) deputised Zaid Ibn Harithah to command, and dictated

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

فتوى الأزهر

تعاقبت حكومات مصر - على مناهجها المختلفة - متفقة على احترام كلمة الأزهر، وتنفيذ ما أرادت من نهجه، لكن لم يحدث أن حاولت إحداها أن تقطع الطريق على فتوى افتاها، أو تأخذ عليه السبيل في إذاعتها، أو تجعلها مناط دراسة تؤخذ و ترد.

وإنما كان ذلك لأن الأزهر عاش لله ورسوله ثم لهذا العلم، ولهذا الجوهر العلمى عَمِلَ لا يبتغى جزاء ولا شكورا، فلم يُصدر عن دنيا، ولم يُفْتِ عن جزاف.

● الجزء السادس ●

● السنة الثامنة والخمسون ●

● جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ ●

● فبراير/مارس ١٩٨٦م ●

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:

إدارة الأزهر بالقاهرة

٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



من الفن الإسلامي

فتوى الأزهر

لهذا استقبل المسلمون عامة فتوى الأزهر الصادرة فى ١٥ / ٥ / ١٩٨٥ م راضين شاكرين لله هذا التوفيق الذى جاء مصداقا لدينهم ولمشاعرهم القومية الخالصة بالطاعة لله - سبحانه - ولرسوله - صلى الله عليه وسلم ، ثم بالحب الخالص لأوطانهم الجريحة .

كانت الفتوى بيانا بتحريم عضوية المسلم لبعض النوادى التى عسعست فى بعض البلاد الاسلامية ، ووضعت مراكزها بها فى هذا القرن تحمل أسماء ليست من لغتنا لنوادٍ لا مضمون لها من قومية ديننا ، إنما هى فروع غريبة عنا تستسقى مواردها من وراء البحار ، قامت أساسا يراسها قوم نُنكرهم ويُنكروننا ثم خلصت من بعدهم لأشباههم المخلصين لأصولها ، فَتَوَلَّوْا قوما غَضِبَ اللهُ عليهم يُسِرُّونَ إليهم بالمودة ، ويحادون بها الله ورسوله والمؤمنين مهما ألقوا بها من محاضرات فى الدين والذكر الحكيم؟فإنما هى مسجد « الضرار ».

ولقد نجح كثير من إخواننا العرب فصكوا ديارهم فى وجوههم فلا تسمع لها بأوطانهم حسًا ، ولا يرتفع لها فيهم شعارا .

وطافت الفتوى بالعالم أجمع حملها البريد إلى أقصى من ماليزيا شرقا ، والبرازيل غربا فجاء القوم يهددون ويرعدون ثم صمتوا وفاجأونا بتكثيف جهودهم وحفلاتهم ..

لكن الفتوى قائمة والتحريم موجود .

ترى :

هل تتكرر الأحداث ..؟

أذكر ، ويذكر من القراء من عاش فى الخمسينيات حَدَثًا أبطاله ثلاثة :

« سيسل دى ميل » الذى حضر إلى مصر ليخرج جزءا من « فيلم » الوصايا العشر .

و « الفريد ليلنتال » الكاتب اليهودى الذى نادى فى العرب يحذرهم أن هذا « الفيلم » خدمة للأهداف الصهيونية .

وثالثهم ... اكبر مسئول فى « النيل » للإعلام ، وكان مقرها بالقاهرة شارع الجمهورية - إبراهيم سابقا - أدلى بتصريح قال فيه : إن هذا عمل فنى بعيد عن الأهداف الصهيونية .

انتهت قصة الحدث .

« إن الله مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ »

المحرر

بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف - (عن :)

البهائية والبهائيين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعـــد :

فقد ظهرت البابية أو البهائية فى بلاد فارس: بدعة نشرها نفر من الخارجين على الاسلام ، بل وعن سائر الديانات السماوية الأخرى . وقد حمل وزرها رجل يدعى : « ميرزا على محمد الشيرازى » الذى أطلق على نفسه لقب (الباب) أى الواسطة الموصلة الى الحقيقة الإلهية ، وكان هذا اللقب من قبل شائعا عند الشيعة التى ظهرت بينها هذه البدعة مأخوذة من حديث الترمذى « أنا مدينة العلم وعلى بابها »

ومن ثم أطلق على هذه البدعة (البابية) .

ثم كان من خلفاء هذا المبتدع اسمه (حسين نورى) أطلق على نفسه لقب (بهاء الله) وأطلق على هذه البدعة اسم (البهائية) .

وكان من آخر زعمائها وأشهرهم (عباس افندى عبد البهاء) . المتوفى عام ١٩٢٣ ثم (شوقى أفندى الربانى) المتوفى عام ١٩٥٧ .

ولقد كان مصير صاحب هذه البدعة الأول القتل فى عام ١٨٥٠ م بمعرفة الحكومة الايرانية القائمة فى ذلك الوقت ، استجابة لآراء العلماء والفقهاء الذين افتوا بردته عن الاسلام .

كما نفت حكومة إيران خليفته ميرزا (حسين على نورى) الى تركيا حيث انتقل الى أرض فلسطين ومات فيها ودفن فى حيفا عام ١٨٩٢ م .

بيان لمجمع البحوث الإسلامية

والبابية أو البهائية فكر خليط من فلسفات وأديان متعددة ، ليس فيها جديد تحتاجه الأمة الاسلامية لاصلاح شأنها وجمع شملها ، بل وضح أنها تعمل لخدمة الصهيونية والاستعمار ، فهى سليلة افكار ونحل ابتليت بها الأمة الإسلامية حربا على الإسلام وباسم الدين .

ومبادىء هذه البدعة كلها منافية للاسلام ومن أبرزها : -

١ - القول بالحلول بمعنى : أن الله سبحانه وتعالى بعد ظهوره فى الأئمة الاثنى عشر وهم أئمة الشيعة - ظهر فى شخص اسمه (أحمدالاحسائى) ثم فى شخص الباب ثم فى أشخاص من تزعموا هذه الدعوة من بعده .

- ولقد ادعى " بهاء الله " أولا : أنه الباب ، ثم ادعى أنه المهدى ، ثم ادعى النبوة الخاصة ، ثم ادعى النبوة العامة ، ثم الألوهية . وذلك كله باطل ومخالف لنصوص القرآن الكريم .

فالله سبحانه منزه عن المكان وبالتالى عن الحلول ، وادعاء النبوة تكذيب للقرآن الكريم أو جحود له إذ قال الله سبحانه (**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**) .

٢ - جحود البهائيين (يوم القيامة) المعروف فى الاسلام ، ويقولون ان المراد به ، ظهور المظهر الالهى ، وأن الجنة هى الحياة الروحانية .وأن النار هى الموت الروحانى .

٣ - ادعاء بعضهم نزول الوحى عليهم وأن بعضهم أفضل من سيدنا محمد ﷺ ووضعهم كتبا تعارض القرآن ، وادعاء أن إعجازها أكبر من اعجاز القرآن .

وتلك قضايا يضللون بها الناس ، ويصرفونهم عما جاء به القرآن فى شأن كل افاق أثيم .

٤ - ادعاء أن بدعتهم هذه بتطوراتها منذ نشأت ناسخة لجميع الأديان .

٥ - الاسراف فى تأويل القرآن والميل بآياته الى ما يوافق مذهبهم ، حتى شرعوا من الأحكام ما يخالف ما أجمع عليه المسلمون من ذلك انهم :

١ - جعلوا الصلاة تسع ركعات والقبلة حيث يكون بهاء الله ء وهم يتجهون الى حيفا بدلا من المسجد الحرام مخالفين قول الله سبحانه وتعالى . (**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**) ..

إذ صارت قبلة المسلمين هذه أمرا معلوما من الدين بالضرورة لا يحل لمسلم إنكاره أو التحول عن هذه القبلة ، وكذلك عدد الصلوات ومواقيتها وركعاتها وسجداتها وما يتلى فيها من القرآن ، وما يبدى فيها من دعاء كل ذلك مجمع عليه من المسلمين بعد ثبوته ومعلوم من الدين بالضرورة .

٢ - إبطال الحج إلى مكة ، وحجهم حيث (بهاء الله) إلى حيفا مخالفين بهذا صريح القرآن الكريم فى شأن فريضة الحج .

٣ - تقديسهم العدد ١٩ ووضع تفريعات كثيرة عليه فهم يقولون : الصوم تسعة عشر يوما بالمخالفة لنصوص القرآن فى الصوم وأنه مفروض به صيام شهر رمضان .

ويقولون : إن السنة تسعة عشر شهرا ، والشهر تسعة عشر يوما ، مخالفين قول الله سبحانه : " **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ** " وقول الله تعالى : " **يَسْأَلُونَكَ عَنِ**

الاهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ والْحَجُّ " ومخالفين الأمر المحسوس المحسوب أن الشهر القمرى إما تسعة وعشرون يوما وإما ثلاثون يوما ، وهو أيضا ما أنبأ به الرسول محمد ﷺ .

٤ – إلغاؤهم فريضة الجهاد ضد الأعداء الثابتة بصريح القرآن ، وصحيح السنة النبوية ودعوتهم هذه قضاء على الأمة الاسلامية ، بل وعلى كل دولة من دولها ، إذ فى الاستجابة لها قضاء على روح الكفاح ودعوة إلى الاستسلام للمستعمرين والمغامرين ، وهذا ما يؤكد انتماءهم للصهيونية العالمية ، بل وأنهم تبت يعيش فى ظلها وبأموالها وجاهها .

مقاومة المجتمع الاسلامى لهذه البدعة :

لقد عارض الشعب الايرانى وعلماؤه وحكومته هذه البدعة حين ظهورها ، وناظروا مبتدعها الأول (الباب) وحكم عليه بالردة وأعدم فى تبريز فى شهر يولية سنة ١٨٥٠ .

وحين وفدت هذه البهائية إلى مصر قاومتها كل السلطات على الوجه التالى :–

أولا :

١ – أفتى الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر بكفر (ميرزا عباس) زعيم البهائيين ونشرت هذه الفتوى فى جريدة مصر الفتاة فى ١٩١٠/١٢/٢٧ بالعدد ٦٩٢ .

٢ – صدر حكم محكمة المحلة الكبرى الشرعية فى ١٩٤٦/٦/٣٠ بطلاق امراة اعتنق زوجها البهائية باعتباره مرتدا .

٣ – أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر فى ١٩٤٧/٩/٢٣ ، وفى ١٩٤٩/٩/٣ فتويين بردة من يعتنق البهائية .

٤ – صدرت فتاوى دار الافتاء المصرية فى ١٩٣٩/٣/١١ ، وفى ١٩٦٨/٣/٢٥ ، وفى ١٩٥٠/٤/١٣ بأن البهائيين مرتدون عن الإسلام .

٥ – وأخيرا أجابت أمانة مجمع البحوث الإسلامية على استفسار نيابة أمن الدولة العليا عن حكم البهائية بأنها نحلة باطلة لخروجها عن الإسلام بدعوتها للإلحاد وللكفر ، وأن من يعتنقها يكون مرتدا عن الإسلام .

ثانيا : عندما سجل البهائيون محفلهم فى المحاكم المختلطة برقم ٧٧٦ فى ١٩٣٤/١٢/٢٦ م حاولوا أن يوجدوا لهم صفة الشرعية لكن الحكومة قاومتهم ويتضح هذا مما يلى :

١ – قدم المحفل الروحانى المركزى للبهائيين بمصر والسودان طلبا الى وزارة الشئون الاجتماعية لتسجيله ، وقد رفض هذا الطلب بناء على ما رأته إدارة قضايا الحكومة فى ١٩٤٧/٧/٥ كما رفض طلب صرف إعانة له من هذه الوزارة .

٢ – رأت إدارة الرأى بوزارتى الداخلية والشئون البلدية والقروية فى ١٩٥١/١٢/٨ أن فى قيام المحفل البهائى إخلالا بالأمن العام ، وأنه يمكن لوزارة الداخلية منع إقامة الشعائرالدينية الخاصة بالبهائيين

وقد تأيد هذا بما رآه مجلس الدولة فى ١٩٥٨/٥/٢٦ من عدم الموافقة على طبع إعلان دعاية لمذهب البهائية لأنه ينطوى على تبشير غير مشروع ، ودعوة سافرة للخروج على أحكام الدين الاسلامى ، وغيره من الأديان المعترف بها ، ورأى منع ذلك لمخالفته للنظام العام فى البلاد الإسلامية .

٣ – حكمت محكمة القضاء الادارى بمجلس الدولة فى مصر فى القضية رقم ١٩٥ لسنة ٤ ق بتاريخ ١٩٥٢/٥/٢٦ برفض دعوى اقامها

بيان لمجمع البحوث الإسلامية

بهائى وجاء فى تسبيب هذا الحكم تقريرها : أن البهائيين مرتدون عن الإسلام .

٤ - صدر القرار الجمهورى رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠ م ونص فى مادته الأولى على أنه : تحل المحافل البهائية ومراكزها الموجودة فى الجمهورية ويوقف نشاطها ويحظر على الأفراد والمؤسسات والهيئات القيام بأى نشاط مما كانت تباشره هذه المحافل والمراكز .

ونص فى مادته الأخيرة على تجريم كل مخالف وعقابه بالحبس والغرامة .

٥ - وتنفيذا لهذا القرار بقانون أصدر وزير الداخلية قراره الرقيم ١٠٦ لسنة ١٩٦٠ - بتاريخ ١٩٦٠/٧/٣١ بأيلولة أموال وموجودات المحافل البهائية ومراكزها إلى جمعية المحافظة على القرآن الكريم .

٦ - حكم بالحبس والغرامة فى القضية رقم ٣١٦ لسنة ١٩٦٥ على عناصر من اتباع البهائية لقيامهم بممارسة نشاطهم فى القاهرة ، كما قبض على غيرهم فى طنطا فى سنة ١٩٧٢ وكذلك فى سوهاج .

٧ - قبض على مجموعة منهم اخيرا فى فبراير سنة ١٩٨٥ برياسة أحد الصحفيين ، وقد اعترفوا بإيمانهم برسولهم بهاء الله وكتابهم المقدس ، وإن قبلتم جبل الكرمل بحيفا فى اسرائيل .

وقد وجهت إليهم تهمة مناهضة المبادىء الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم فى البلاد والترويج لأفكار متطرفة بقصد تحقير وازدراء الأديان السماوية الأخرى .

٨ - أوصى المؤتمرالعالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية بتحريم هذا المذهب وتجريم معتنقيه .. وبعد ..

فإن فيما تقدم تعرية للبهائيين وكشفا لخطوطها الفكرية الموجهة نحو العقيدة الإسلامية وجحودها بل وحربها الدائب منذ أكثر من قرن من الزمان على الإسلام والمسلمين ، وأنها تظاهر أعداء الأمة الإسلامية وتناصرهم فى القضاء على هذه الأمة وعلى الإسلام .

إن البهائيين (ودعوتهم هذه التى مرت بهذه التطورات ووجهت بتلك المقاومة فى البلاد التى نبتت فيها « ايران » حيث أعدم مبتدعها بوصفه مرتدا عن الإسلام ، ونفى خليفته) . ما زالوا مثابرين عليها .

وفى مصر صدرت الفتاوى من علماء الإسلام ، والأحكام من جهات القضاء المختلفة ثم الفتاوى القانونية المتعاقبة وكل أولئك قد أثموا هذا المذهب وحكموا ببطلانه .

ثم صدر القرار الجمهورى الذى حظر نشاط البهائية دون أن يجرمها بعقاب رادع ، يتساوى مع خطورتها على عقيدة الناس الإسلامية بل وعلى العقائد السماوية الأخرى بوجه عام - اليهودية والمسيحية .

ومن ثم أطلت الفتنة برأسها مرة أخرى وفى وقت تزاحمت فيه الأفكار الموفدة الفاسدة التى ساعدت على بروز طوائف من الجماعات كل له فكر شارد ، بل وادعى بعض الناس النبوة - وما تزال محاكمة هذا وذاك تسير الهوينى . وما زال المجتمع يترقب ما تسفر عنه هذه المحاكمات .

- إن مصر - وفيها الأزهر - الذى انعقدت لها به راية زعامة العالم الإسلامى ينبغى أن

يطارد فيها كل فكر منحرف عن الإسلام بكل الحزم حتى تظل فى مكان القيادة والريادة الإسلامية ،

– إن هذا المذهب البهائى وامثاله من نوعيات الأوبئة الفكرية الفتاكة التى يجب أن تجند الدولة كل إمكانياتها لمكافحته والقضاء عليه .

– إذ أن عقيدة الإسلام وصيانتها لا تقل فى مرتبتها عن حماية الأجساد من الأوبئة المرضية التى تسارع الدولة لعلاجها بالحزم والحسم ، بل العقيدة أولى لأن فى صحتها نقاء الحياة وعبادة الله .

إن الأمة إذا افقدت عقيدتها انمحت ذاتيتها وغلبها أعداؤها .

إن مصر يجب أن تذكر دائما انها قامت بالدفاع عن الإسلام وعن ارض المسلمين منذ دخلت فيه ، وأنها سبق أن استردت القدس وحررت فلسطين باسم الإسلام . لنذكر أن مصر إنما حاربت فى رمضان سنة ١٣٩٣ هـ – اكتوبر ١٩٧٣ . تحت نداء الإسلام « الله أكبر » وبهذا النداء وتحت لوائه انتصرت ، وأن عليها أن تطهر أرضها من هذه الأرجاس ، وأن تنفى عنها هذا الخبث ليستقيم بها الأمر وتظل باسم الإسلام ، رائدة ناهضة .

والأزهر يقرر :

إن الإسلام لا يقر أى ديانة أخرى غير ما امرنا القرآن باحترامه ، فلا ينبغى ، بل يمتنع أن يكون فى مصر ديانة غير الإسلام ثم المسيحية واليهودية لأن كل ديانة أخرى غير مشروعة ومخالفة للنظام العام .

وإن الأزهر ليهيب بالمسئولين فى جمهورية مصر العربية أن يقفوا بحزم ضد هذه الفئة الباغية على دين الله وعلى النظام العام لهذا المجتمع ، وأن ينفذوا حكم الله عليها ، ويسنوا القانون الذى يستأصلها ويهيل التراب عليها ، وعلى أفكارها ، حماية للمواطنين جميعا من التردى فى هذه الأفكار المنحرفة عن صراط الله المستقيم .

إن هؤلاء الذين أجرموا فى حق الإسلام والوطن يجب أن يختفوا من الحياة لا أن يجاهروا بالخروج على الإسلام .

إن الأمر جد يدعو إلى المسارعة النشطة من السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية لإعمال شئونها ولنذكر دائما أن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .

إن هذه الفتنة لم تحظ بالاهتمام المناسب مع أنها جريمة الجرائم من الكبائر فلنبادر إلى الدفاع عن حقوق الله التى تنتهك وتستباح ، وعن دين الله الإسلام الذى يفتن الناس عنه بباطل من القول وزورا . وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم .

الا هل بلغ الأزهر ..
اللهـــم فاشهـــــد ..

شيخ الأزهر
ورئيس مجمع البحوث الإسلامية

(جاد الحق على جاد الحق)

نص رسالة فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

إلى مؤتمر الأقليات المسلمة
المنعقد فى الرياض

لقد حملت إلينا الأنباء انعقاد المؤتمر العالمى السادس للندوة العالمية للشباب الاسلامى فى فترة لاحقة واختيار قضية الأقليات المسلمة فى العالم لتكون موضوع المؤتمر هذا العام .

ولقد كانت امانة المؤتمر موفقة حين اختارت هذا الموضوع فى هذا الوقت بالذات ، لأن هذه القضية من أهم القضايا التى تواجه الاسلام والتى لابد من مواجهتها بما يضمن للأقليات المسلمة فى العالم كيانا اسلاميا مستقلا .

ويقينى أن المؤتمر باختياره هذه القضية سيتوصل بأخوتنا الدعاة والمفكرين والمشاركين فيه الى تنظيم اسلوب يمكن القائمين على أمر الدعوة الاسلامية من رعاية شباب الأقليات الاسلامية ثقافيا ودينيا وتبصيرهم بأمور الاسلام الصحيحة حتى لا تختلط عليهم بغيرها من افكار البيئة التى يعيشون فيها .

وأمل أن يوفق الله المؤتمرين فيباعدوا بين الأقليات وبين الخلافات السائدة فى الشرق الاسلامى .

إذ كلها فى أغلبها خلافات شخصية تنبع من نزعات الحكام الذين قد يرون فى التوافق الاسلامى على المستوى العام طمسا لمعالمهم .

كما أمل أن يواجه المؤتمر مشكلات هذه الأقليات بعلاج من واقع الاسلام يكون حاسما وميسرا وعمليا وليس مجرد نصائح أو بيانات تصدر .

وأقترح على القائمين على المؤتمر واعضائه أن يفكروا بجدية فى الوسائل التى تنمى الالتزام بالدين الاسلامى لـ دى شبابنا المسلم طواعية واختيارا ، وشرح القضايا المعاصرة بمنطق الاسلام وحكمه بما يميزه عن غيره من النظريات الاجتماعية والسياسية المتضاربة التى تسود العالم والتى يسوقها مبتدعوها كثقافة عالية الى العالم الاسلامى ليوقعوا الخلل فى صفوفه ، وليصرفوه بذلك عن التماس علاج علله الاجتماعية والسياسية من واقع أحكام الاسلام ومصدريه الأساسيين : القرآن والسنة .

إن الاعلام الخارجى يوجه سمومه النافذة الى الشباب لأنهم هم المستقبل للأمة الاسلامية فهم يفرغون صدورهم من مضمون الاسلام بأفكار قد تأخذ ثوب الاسلام ومظهره ولكنها فى واقعها هدم للقيم الاسلامية وللإسلام .

واننى على يقين من أن المؤتمر سيتحقق باذن الله من خلاله كل خير للأقليات المسلمة فى العالم ، وابتهل الى الله أن يوفق القائمين عليه لكل خير ويكلل مساعيهم بالنجاح والتوفيق ..

شيخ الازهر

جاد الحق على جاد الحق

دراسات إسلامية

التوحيد عقيدة الفطرة الإنسانية

نشأة العقيدة الدينية

أول بيت وضع للناس

التوحيد

عقيدة الفطرة الإنسانية

إن سلامة العقل توجب احترام الحقائق ، وإدراك الواقع ، والوقوف بالظنون عند حدودها ، ورفض الاوهام ، وعدم الإيمان بالخرافات ، والإنسان بفطرته التي خلقه الله عليها يدرك وحدانية الاله مثلما هو يدرك بفطرته أن العدل جميل والظلم قبيح ، وأن العلم مفخرة والجهل معرة ، قال الله تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّين حَنِيفًا فِطْرَةَ الله الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيل لِخَلْقِ الله) . (١)

فالناس كما خلقهم الله يولدون على فطرتهم فهم مستعدون لها مؤثرون لمنهجها يتدافعون فى مجراها تدافع الماء الى منحدره ، لكن العوائق المصطنعة هى التى تقطع عليهم طريقهم وتردهم عن وجهتهم ، يقول الله تعالى فى الحديث القدسى (إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا) (٢)

ويشير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بعض تلك العوائق بقوله (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (٣)

---

(١) سورة الروم ٣٠

(٢) صحيح الامام مسلم بشرح النووى جـ ١٧ صـ ١٩٧ كتاب الجنة باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا اهل الجنة واهل النار

(٣) صحيح البخارى ومسلم

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

وراثة العقيدة

مما يثير الأسى أن الناس درجوا على هذه الأرض منذ وجدوا على وراثة العقيدة الإيمانية وتقليد الآباء والأجداد دون مواجهتها والبحث فيها مع أن الدين لم يكن فى يوم من الأيام إقرارا لأوضاع متبعة بائرة ولا انسياقا لطقوس قائمة ، وانما كان الدين اتساقا مع الفطرة دعوة الى الحق وثورة على الباطل ، ولو كانت العقيدة إرثا وتقليدا لما انتقل الناس من باطل الى حق ومن عبادة الأصنام والأحجار الى عبادة خالق الأرض والسموات ومن السجود للبشر الى السجود لرب البشر .

تبرم القلب بفطرته على الشرك

والقلب المشرق على فطرته يشق طريقه وسط الظلمات والأشواك متبرما بما ورث من عقائد الشرك أو الثنائية أو التثليث حتى يصل الى التوحيد الخالص فيعب من ينبوعه المتفجر ولا غرو فى ذلك فالتوحيد يعنى أنه « لا إله إلا الله » تلك الكلمة الطيبة التى شبهها الله فى قرآنه العظيم بالشجرة الطيبة قال تعالى (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**) (١)

التوحيد دعا اليه كل الرسل والانبياء

وكلمة التوحيد الخالدة « لا إله إلا الله » قالها كل نبى ورسول من الله ودعا اليها قومه منذ نزل آدم على هذه الأرض وحتى اكمل الله دينه وأتم نعمته على الناس جميعا بدين الإسلام .

١ - فهى أساس دعوة نوح عَليه السلامَ كما يفهم من قوله تعالى (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّىَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**) (٢)

٢ - وهى دعوة هود عَليه السلامَ الى قومه عاد .

كما يفهم من قوله سبحانه (**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ**) (٣)

٣ - وهى دعوة صالح عَليه السلامَ إلى قومه ثمود .

كما يفهم مَن قوله جل شأنه (**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ**

(١) سورة ابراهيم ٢٤ ، ٢٥
(٢) سورة هود ٢٥ ، ٢٦
(٣) سورة هود ٥٠

وَاسْتَعْمَرَكُم فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُم تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ). (١)

٤ ـ وهى دعوة شعيب عليه السلامَ إلى قومه أهل مدين .

كما يشير الى ذلك قول الله تعالى « وَإِلَىٰ مَدْيَنَ اخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ » . (٢)

٥ ـ وهى دعوة إبراهيمَ عليه السلامَ إلى قومه .

يقول الله تعالى فيما يقصه عنه « وإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّه وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، إِنَمَّا تَعْبُدُونَ مِنَ دُونِ اللَّه أَوْ ثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً ، إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّه لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِزْق وَاعْبدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » . (٣)

٦ ـ وهى دعوة موسىَ عليه السلامَ وأول كلام تلقاه عن الله

كما يشير إليه قوله جل شأنه فيما يقصه عنه لما توجه فى طريق عودته الى مصدر النار التى رآها « فَلَمَّا اتِاَهاَ نُودِىَ يامُوسَى إِنِىَّ انَا رَبُّك فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوَى . وانَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىَ ، إِنَّنِى انَا اللَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا انَا فاعْبُدْنِى وَاقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى » (٤))

٧ ـ وهى رسالة المسيح بن مريمَ عليه السلامَ إلى قومه .

كما يفهم من قول الله تعالى فيما يقصه القرآن عنه فى دعوته الى قومه « مَا قُلْتُ لَهُم إِلَّا مَاامَرْتَنِى بِهِ أن اعْبُدُوا اللَّه رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ انْتَ الرَّقِيب عَلَيهِمْ وَانْتَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » . (٥)

٨ ـ وهى دعوة ورسالة خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ

وذلك فى دعوته الى الناس كافة إذ يقول تعالى فى كتابه الكريم هاديا ومرشدا ومعلما « فَاعْلَمْ انَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه » . (٦)

فكرة توحيد الاله غاية استهدفتها البشرية منذ القدم .

مما يثير الدهشة والعجب أن فكرة توحيد الاله وتنزيهه عن الشبه والمثيل

(١) سورة هود ٦١
(٢) سورة الأعراف ٨٥
(٣) سوره العنكبوت ١٦ - ١٧
(٤) سورة طه ١١ - ١٤
(٥) سورة المائدة ١١٧
(٦) سورة محمد ١٩

جنحت إليها البشرية على طول تاريخها الطويل ، فلم تكن قضية الرسالات السماوية وحدها بل هى قضية العقول المستنيرة وموضع عنايتها والدفاع عنها :

فقد وصل إليها الهنود أخيرا بعد أن كانوا يقولون بتعدد الآلهة التى وصلوا بعددها الى ثلثمائة وثلاثين ألفا فتخلصوا منها جميعا واقتصروا على إله واحد قالوا عنه إنه واحد لاشريك له فى الملك ولا يشبه أحدا من مخلوقاته وهو حى لا يموت ولا يحس جوعا ولا ظمأً وهو الذى يضطر الإنسان الى معرفته . (١)

أما فى بلاد الإغريق فقد انتهى (أفلاطون) الى القول بأن الله هو خالق الكون وأنه هو المثل الأعلى الذى يحب الخير لعباده .

كما أثبت (أرسطو) أن الله هو واجب الوجود لذاته وأنه واحد قديم لا يتغير ولا يتبدل .

أما المفكر (اكسينوفان) فقد دأب على محاربة الشرك بين الإغريق وجَدَّ فى دعوتهم إلى تنزيه الله عن المشابهة لمخلوقاته لأن الله منزه كل التنزيه عن أن يتصف بصفات البشر فلكى نحتفظ للألوهية بقدسيتها لابد أن ننزهها عن صفات الإنسان ، ولما كان الله هو الكمال المطلق فإنه يجب أن يكون واحدا لأن تعدد الآلهة يجعل بعضها يخضع لبعض وهذا لايتفق مع مقام الألوهية ، كما أن الإله ليس فى حاجة الى أن يتخذ أتباعا يعاونونه فى الألوهية ولذلك فليس هناك إله أكبر وآلهة أصغر تكون دونه ولا آلهة متماثلون يكون بعضهم بجوار بعض بل يجب أن يكون الاله واحدا . (٢)

العقل هو دليل التوحيد الفطرى

وهذا هو مانادى به الإسلام فى دعوته الخالدة الى التوحيد ، فلم يلجأ إلا الى العقل ، فهو يضع قضية التوحيد أمام العقل المجرد فى بساطة ووضوح ودون أى تعقيد أو غموض ثم يدعوه الى التفكير فى هدوء وتبصر دون ميل أو هوى حتى يصل الى حقيقة التوحيد التى تشهد بها آيات الخلق وظواهر الكون والتى يبينها القرآن الكريم ويجليها للناس فى منطق واضح وأسلوب رائع وشرح مبدع باستحالة وجود أكثر من إله واحد فى الكون ، ذلك أن التعدد بين الآلهة يقود الى التناحر والتنازع بينها والى انحياز كل إله الى ماخلق مما يؤدى الى اضطراب نظام الخلق واختلال نواميس هذا الكون ، بل الى انهيار الوجود ودماره يقول الله تعالى (**مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ**) . (٣) ويقول جل شأنه (**لَوْ كَانَ**

---

(١) كتاب نافذة على الايمان لفضيلة الشيخ مصطفى الحديدى الطير صـ ٩٢ - ٩٣ سلسلة البحوث الإسلامية

(٢) المرجع السابق صـ ٩٣ - ٩٤

((٣)) سورة المؤمنون ٩١

فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون)(١)

الموحدون فى أزمان الجاهلية العربية

لم تخل الأرض فى عصور الجاهلية وقبل ظهور الإسلام حتى فى جزيرة العرب من وجود أناس موحدين ، استنارت بصيرتهم فاستطاعوا أن ينزعوا أنفسهم من ظلمة الشرك ورجسه الى ضياء الوحدانية بما وضح لهم من آيات التوحيد نذكر منهم على سبيل المثال

زيد بن عمرو بن نفيل الذى رفض الاعتقاد فى آلهة قومه وسائر المعبودات المصطنعة ، وعبد الله وحده فى ذلك يقول

تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل الصبور (٢)
فلا العزى أدين ولا ابنتيها
ولاصنمى بنى غنم أزور (٣)

كما كفر بتعدد الآلهة عربى آخر فأخذ ينشد :

أربا واحدا أم ألف رب
أدين إذا تقاسمت الأمور
تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل الخبير

ومنهم أمية بن الصلت الذى أخذ ينشد ويشيد بالتوحيد وبالاله الواحد فيقول :

إله العالمين وكل أرض
ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعاً شدادا
بلا عمد تزين ولا رجال
وسواها وزينها بنور
من الشمس المضيئة والهلال
وشق الأرض فانبجست عيوناً
وأنهاراً من العذب الزلال
وكل معمر لابد يوماً
وذي دنيا يصير الى زوال
وسيق المجرمون وهم عراة
الى ذات المقامع والنكال
وحل المتقون بدار صدق (٤)
وعيش ناعم تحت الظلال

النصرانية المثلثة لم تعدم فى شعوبها من ظهور الموحدين لله على مر الزمان

يحدثنا الأستاذ مجدى مرجان (وقد كان شماسا نصرانيا فى زماننا المعاصر) أن شعوب النصرانية التى فرض عليها التثليث فى عهد الامبراطور قسطنطين سنة ٣٢٥ م لم تخل فى تاريخها الطويل من قيام موحدين لله رفضوا أن يشركوا بالله أحدا وأعلنوا توحيدهم لله على الملأ فى صراحة ووضوح ودون خوف أو وجل ولاقوا فى سبيلها الأهوال وتعرضوا للأخطار وذاقوا العنت والعذاب .

(١) سورة الأنبياء ٢٢
(١٧) اللات والعزى من أصنام العرب فى الجاهلية
(١٨) يقصد الشاعر بابنتيها صنمى اللات ومناة
(١٩) كتاب « نافذة على الايمان » لفضيلة الشيخ مصطفى الحديدى الطير صـ ٤٦ ، صـ ٤٧

١ - فهذا « آريوس » المصرى أسقف كنيسة بوكاليس بالاسكندرية فى الربع الأول من القرن الرابع الميلادى يعلن أن الله هو الواحد الأحد القائم وحده (أى القيوم) وهو الوحيد الذى لم يولد وليس له بداية أو نهاية ولا يمكن إدراكه أو التعبير عنه وليس له معادل أو مكافىء على الاطلاق .

اما المسيح فإنه بطبيعته منفصل تماما عن الله ومختلف فى شخصه عن الذات الإلهيـة ولا يتساوى فى المجد مع الله ولو كان غير ذلك لكان هناك إلهان .

ثم يتكلم عن الروح القدس فيقول إن شأنه شأن المسيح مخلوق مستقل عن الله ، لكن مؤتمر « نيقية » المسكونى الذى انعقد سنة ٣٢٥ م تحت مظلة امبراطور الرومان الوثنى قسطنطين تبنى عقيدة التثليث ورفض مقالة آريوس وحكم عليه بالكفر والهرطقة ، ثم تقرر قتله مع مشايعيه .

٢ - وهذا « أوريجانوس » يعلن أن الله لا تدركه الأفهام وهو أعلى من أن تكون أوصافه شبيهة بالإنسان وأن الله لا يتجزأ ولا يحد ولا يحصر فيحكم على هذا المفكر بالحرمان وتحرق كتبه ثم يطرد مع اتباعه .

٣ - والأسقف (نسطورا) ينكر الوهية المسيح ويقرر انه إنسان كسائر البشر مملوء بالنعمة والبركة فيقرر حرمانه وطرده .

٤ - وفى أسبانيا يجهر المصلح الأسبانى (ميشيل سرفيتوس) برأيه بوحدانية الله وإنكار عقيدة الثالوث ويدمغ مؤتمر « نيقية » المسكونى بالخطأ والانحراف فى تقريره تلك العقيدة إذ كان الأجدر بذلك المؤتمر أن يتبطن عقيدة التوحيد ، لأن عقيدة الثالوث والجوهر لا يوجد لها أى اساس فى أسفار الكتاب المقدس ، فكان جزاء هذا المصلح الأسبانى أن يتقرر إحراقه حيا سنة ١٥٥٣ ميلادية .

٥ - وفى بولونيا نادى العلامة (سوسيتس) بوحدانية الله وبشرية المسيح مقررا أن الإله لا يحل فى البشر وقد تفرع عن عقيدته مذهب النصارى الموحدين الذين قاموا يدعون الى تطهير ملة النصرانية أو المسيحية كما غلب على تسميتها فى زماننا المعاصر من أدران الوثنية وجهالة التجسيد (اى تجسد الإله فى صورة البشر وهو على حد اعتقادهم فى صورة المسيح الذى هو من البشر) وقد لقى أشخاص هؤلاء النصارى الوحدين من الاضطهاد والتعذيب ما اضطرهم الى هجر وطنهم والنزوح الى مختلف البلاد ومع ذلك لاحقهم العذاب أينما حلوا بواسطة عشاق الزور والبهتان وعباد الزيف والضلال فخططوا دائما للقضاء عليهم وتآمروا لتجويعهم ، وتشريدهم أو سجنهم وإحراقهم وتقتيلهم حتى تاهت حقيقة التوحيد النقية وسط زحام الباطل بين شعوب هؤلاء المفكرين والمصلحين).(١)

انتهى كلام الأستاذ مجدى مرجان بتصرف .

ويلقى الأستاذ المهندس أحمد عبد الوهاب فى ابحاثه مزيدا من الضوء على طائفة الموحدين فيقول .

١ - لقد حدث أن انتعشت عقيدة التوحيد فى بلاد المجريين النصارى هناك بسبب الروح الاستقلالية للمجريين وابتعادهم بطبيعتهم عن كنيسة روما ووصل الأمر بأولئك الموحدين الى أن كانت المجر فى فترة من فترات تاريخها تحت حكم

---

(١) كتاب « الله واحد ام ثالوث » للأستاذ مجدى مرجان ص ١٣٩ ، ص ١٤٠ ص ١٤١ مكتبة النهضة العربية

ملك موحد هو (جون سيجسموند) الفترة من سنة ١٥٤٠ الى سنة ١٥٧١ ميلادية .

٢ – وفى هولندا يعلن المفكر الهولندى (توماس اكمبس) فى كتابه (على خطى المسيح) التناقض الذى يقع عند الحديث عن المسيح باعتباره إلها أو الأقنوم الثانى من الثالوث الإلهى ثم يطلب الى الانسان العادى أن يسير على نهجه ، ولقد قوى فكر أولئك الموحدين هناك لدرجة أنه قرب منتصف القرن التاسع عشر صارت مدينة ليدن وجامعتها مركز التوحيد فى تلك الدولة الأوروبية .

٣ – وفى انجلترا أعلن المفكر الانجليزى (جون بيدل) بعد أن حصل على درجة الماجستير من جامعة أوكسفورد سنة ١٦٤١ وانتهائه من دراساته للكتاب المقدس الشك فى عقيدة التثليث مما ادى الى تقديمه للمحاكمة فحكم عليه بالسجن مرتين كما نفى الى جزيرة صقلية ، ثم ظهر فى أسواق انجلترا وقتئذ كتاب « عقيدة التثليث من الأسفار » لمؤلفه العالم اللاهوتى (صموئيل كلارك) وفيه يعلن أن الأب وحده (١) هو الإله الأسمى وليس المسيح . ثم قام العالم الطبيعى (جون بريستلى) بتحرير رسالة باسم (التماس الى أساتذة المسيحية المخلصين الموقرين) وزع منها ثلاثون ألف نسخة بعد طبعها ونشرها فى جميع أنحاء انجلترا ، وفى هذه الرسالة يعرف المؤلف الاله الذى أنزل الوحى بأنه هو السبب الوحيد لكل الظواهر ، أما تعاليم المسيح فتعطى فقط مثلا اخلاقية .

ولقد كان من نتيجة شيوع تلك الرسالة أن اضطهد ذلك العالم الطبيعى وأرغم على ترك بلاده ونفى الى بنسلفانيا حيث قضى هناك حتى آخر سنوات عمره ، ثم ظهر المفكر الانجليزى (جيمس مارتينو) فى الفترة من سنة ١٨٠٥ الى سنة ١٩٠٠ ميلادية وفى كتاباته أعلن أن الكتاب المقدس لا يعدو أن يكون وثيقة بشرية وأن المسيح ليس اكثر من إنسان .

٤ – وفى الولايات المتحدة الأمريكية كان يمثل مذهب دعاة التوحيد الدكتور (تشارلز شاونسى) راعى كنيسة بوسطن وكذلك القس (يوناثان ميهو) الذى ناضل بشجاعة فائقة ضد التثليث .

٥ – وهناك كثيرون موحدون لله وينكرون عقيدة التثليث فى أماكن كثيرة من العالم . يوجد بعضهم فى « بلجيكا » و« الدانمرك » وفى « فرنسا » و« سويسرا » و« أيسلنده » و« تشيكوسلوفاكيا » واغلبهم من رجال الدين لكنهم لم ينفصلوا عن كنائسهم المثلثة الأمر الذى لا يكشف للباحثين أمر اوضاعهم الدينية بكل دقة .(٢)

---

(١) يقرر المطران عبد الأحد داود الأشورى العراقى فى كتابه « الانجيل والصليب » المحفوظ نسخته الوحيدة بدار الكتب المصرية أن كلمة (آب) فى لغتها التوارتية هى بكسر الهمز ، وليس معناها والد بل تعنى موجد كافة الموجودات ومكون كل الكائنات فهو خالقها وصانعها وفاطرها

(٢) كتاب « طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون » تاليف المهندس احمد عبد الوهاب ص ٤٢ ، ص ٤٥ ، ص ٤٧ ، ص ٤٨ ، ص ٤٩ ، ص ٥١ ، ص ٥٤ نشر مكتبة وهبة بعابدين بالقاهرة

السبب فى ظهور الموحدين على الدوام بشعوب النصرانية

يرجع هذا كما قدمنا آنفا الى أن عقيدة التوحيد بطبيعتها عقيدة فطرية ، فضلا عن ذلك فان تلك العقيدة هى التى كانت غالبة على شعوب النصرانية فى عهودها الأولى بوصفها عقيدة النصرانية الأصيلة وذلك قبل انعقاد مؤتمر « نيقية » المسكونى سنة ٣٢٥ م ، بل وقبل أن تفرض النصرانية دينا للدولة فى عهد الامبراطور قسطنطين .

ويحدثنا التاريخ أن كل الانحرافات التى لحقت بتلك العقيدة فحولتها من التوحيد الى التثليث كانت بسبب تدخل أباطرة الرومان الذين كان همهم الأول ليس سلامة العقيدة بل تثبيت حكمهم فطوعوا الدين لخدمة سياستهم ابتداء من الامبراطور الوثنى (قسطنطين) الى أن وصل العرش الى ابن شقيقه (بوليانوس) الذى تولى حكم الامبراطورية سنة ٣٦١ م ثم الى (يوبيانوس) الذى تولى حكم الامبراطورية بعد سلفه سنة ٣٦٣ م وكلهم كانوا رافضين لعقيدة التوحيد ، ولكن عندما تتوقف السلطات الحاكمة - سواء كانت مدنية أو كنسية - عن التدخل فى معتقدات الناس بالاكراه والحجر على

تفكيرهم فيشعر الناس بنسيم الحرية يظهر هؤلاء الموحدون لله وينكرون ما عداها من عقائد ولا بأس أن نقدم مثالا عن فكر أولئك الموحدين بشرح واحد منهم .

العلامة شانينج يشرح فكره التوحيدى

مما يقوله ذلك المفكر النصرانى فى شرحه للتوحيد الذى يؤمن به هو وطائفته الآتى :

١ - إن القول بثلاثة اقانيم تتطلب ثلاثة جواهر وبالتالى ثلاثة آلهة ، وأن نظام الكون يتطلب مصدرا واحدا للشرح والتعليل لا ثلاثة ، لذلك فإن عقيدة التثليث تفتقد أى قيمة دينية أو علمية .

٢ - إن المسيح نفسه لم يفكر فى نفسه إلا كزعيم دينى وليس كإله ، وبالمثل اعتقد تلاميذه أنه مجرد إنسان إذ لو كان عند بطرس أو يهوذا أى فكرة عن أن المسيح إله لما كان هناك أى تفسير معقول لانكار بطرس له ، وما كان هناك تبرير لخيانة يهوذا له لأنه بديهة أن الإنسان لا يمكن أن ينكر أو يخون كائنا إلهيا له كل القوى .

٣ - إن القول بأن المسيح مات من أجل خطايا البشر وبهذا وقاهم لعنة الله قضية مرفوضة قطعا وإلا كان ذلك طعنا فى أخلاق الله ، لأن الله يجب الا يعرف عن طريق اللعنة . بل عن طريق الحلم والحكمة والمحبة ، فالأب الحكيم والمحب لبنيه لا يهلك الولد المخطىء الذى يقع فى المعاصى لكن يعلمه ويقوده فى طريق الحكمة والفضيلة ، وأن الموت الدموى على الصليب من أجل إطفاء لعنة الاله أمر يناقض الحلم الإلهى والصبر والود والمحبة التى لا نهاية لها .

٤ - إن الانسان على الرغم من أنه قد يخطىء أو يقع فى الخطأ لكنه صالح بالفطرة ، وأن العقيدة الدينية يجب أن يكون الغرض منها العمل على حفظ الإنسان من الخطأ والخطيئة

٥ - إن الموحدين ينظرون الى المسيح باعتباره واحدا من قادة الأخلاق الفاضلة للبشر وهو

بعيشته الفاضلة يفقد كل ذرة من قيمه الفاضلة لو كان إلها لأن الانسان لا يستطيع تقليد الإله .(١)

ماذا تقول دائرة المعارف الأمريكية عن عقيدة التوحيد ؟

مما تقوله هذه الموسوعة (لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جدا في التاريخ ، وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين ..

لقد اشتقت المسيحية من اليهودية واليهودية صارمة في عقيدة التوحيد ، وإن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع الميلادى لم تعكس بدقة التعليم المسيحى الأول فيما يتعلق بطبيعة الله ، لقد كانت على العكس من ذلك انحرافا عن هذا التعليم ولهذا فإنها تطورت ضد التوحيد الخالص

إن التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة أما التثليث فإنه انحراف عن هذه القاعدة . (٢)

انتهى ما ذكرته دائرة المعارف الأمريكية .

ماذا عن الموحدين في بلادنا المصرية

كان من حظ الموحدين ودعاة التوحيد في مصر وكذلك في البلاد الإسلامية أن جاوروا بني وطنهم من المسلمين فعرفوا الإسلام بوصفه عقيدة الموحدين الرائدة في عالمنا المعاصر ولما درسوه وفهموا عقيدته النقية الواضحة لم يلبثوا أن اعتنقوه وانتظموا في صفوف المسلمين نذكر منهم المرحوم زكى النجار بطهطا والذى تسمى باسم محمد زكى الدين النجار .

والأستاذ ابراهيم خليل فيلبس وكان من رجال الدين الانجيليين وتسمى باسم ابراهيم خليل احمد .

والأستاذ مجدى مرجان والذى تسمى باسم محمد مجدى مرجان .

وكذلك الأستاذ محمد فؤاد الهاشمي .

ولقد وضعوا العديد من المؤلفات التى تزخر بها الأسواق والمكتبات المختلفة شرحوا فيها رحلتهم العقدية حتى وصلوا الى الإسلام بعد أن تبينوا أنه رسالة السماء الخالدة الى الأرض ، وإنه المنهج الوحيد في دنيا الناس الذى مصدره كلمات الله وحدها غير محرفة ولا مبدلة ولا مخلوطة باوهام البشر وأغلاطهم وانحرافاتهم فهى ليست من وضع مجمع من المجامع ولا من اضافة هيئة من الهيئات ولا من إملاء كاهن أو حبر من الأحبار بل هى تنزيل من رب العالمين .

وبعد :

فإن اهتداء الإنسان الى فطرته ليس كسبا رخيصا ، بل هو كبير ، وغنم عظيم فيه يعيش

(١) المرجع السابق ص ٣٨ ، ص ٣٩

(٢) المرجع السابق ص ٩ ، ص ١٠

المرء فى سلام ووئام مع نفسه ، ومع فطرة الوجود الكبير من حوله .

والحقيقة أن فى فطرة الإنسان فراغا لا يملؤه علم ولا ثقافة ولا فلسفة ، إنما يملؤه الإيمان بالله الواحد الأحد جل شأنه .

وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ حتى تجد الله وتؤمن به وتتوجه اليه فتحس بالهداية بعد الحيرة والاستقرار بعد التخبط ، والاطمئنان بعد القلق .

وفى هذا المعنى يقول الإمام محمد بن القيم (فى القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله ، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار اليه)(١)

ولقد مثل القرآن الكريم فطرة الخلق السليمة فى معرفة الله وثبوت وحدانيته وربوبيته وأنه لا إله إلا هو بعد أن غرس ذلك فى نفوسهم وفطرهم عليها بقوله سبحانه وتعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (٢)

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

الى السـادة كتـاب مجلة الأزهر

نرجو الاحاطة بأن ادارة المجلة ليست لها خزانة خاصـة بها ، لذا ترجو ادارة المجلة السادة الأفاضل كتابها أن يتعاونوا معها فى تسـلم مكافآتهم من خزانة الأزهر بادارة الأزهر فى الفترة من ٢٠ الى ٢٥ من كل شهر عربى ، واننا اذ نشكر لهم هذا التعاون لنرجو سيادتهم الحرص على ذلك حتى لا تتكبد المجلة ما تنوء به .

(١) كتاب « الخصائص العامة للإسلام » للدكتور يوسف القرضاوى نقلا عن كتاب مدارج السالكين للإمام ابن القيم

(٢) سورة الاعراف ١٧٢ - ١٧٤

نشأة العقيدة الدينية عند البشر

للدكتور
محمد إبراهيم الجيوشى

رأى علماء الغرب فى نشأة الدين :

على الرغم من وضوح نشأة الدين وكونه جزءا من الفطرة الإنسانية فإن الباحثين فى أصل الأديان ونشأتها من علماء الغرب يرون أن التدين عند الإنسان يرجع إلى أسباب أخرى نلخصها فيما يلى

١ ـ يذهب كثير من الباحثين إلى أن (الأساطير هى أصل الدين) وبخاصة بين الهمج ، ولعل السبب فى اعتناق كثير منهم لهذا الرأى انهم رأوا أن العقائد الهمجية قد امتزجت بالأساطير عند جميع القبائل البدائية ، ولأن هذا الامتزاج قد حصل بالفعل فإننا نرى الأستاذ العقاد فى رده هذا الرأى يقول : « فلا يسهل من أجل هذا أن نرفض القول بالعلاقة بين الأسطورة والعقيدة ، ولكن لا يسهل من جهة أخرى أن نطابق بين العقيدة والأسطورة فى كل شىء وفى كل خاصة ، لأن العقيدة قد تحتوى الأسطورة ، ولكن الأسطورة لا تحتويها ، إذ يشتمل عنصر العقيدة على زيادة لا يشتمل عليها عنصر الأسطورة ، وهى زيادة الالزام الأخلاقى ، والشعور الأدبى بالطاعة والولاء ، والأمل فى المعونة والرحمة من جانب الرب المعبود[١] .

٢ ـ رأى تايلور TYLOR

ويذهب تايلور إلى أن (الإنسان البدائى كالطفل فى نظرته للأشياء وتخيله لها فى صور الأحياء) . فكما أن الطفل يتعامل مع الجمادات دائما من حوله مضفيا عليها صفة الحياة إما فى حالة الرضى ، وإما فى حالة الغضب ، فهى محببة إليه مقربة عنده فى حالة الرضى ، وهى بغيضة إليه بعيدة عنده فى حالة الغضب ، فكذلك الإنسان الأول فى نظرته إلى الأشياء من حوله ،

١ ـ راجع كتاب « الله » للأستاذ العقاد ص ٩ ، ١٠ وراجع أيضا كتاب (الدين) للدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٢٣ طبع دار القلم ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م

ولهذا كان تقديسه للنجوم والقمر والرياح ، والسحب والينابيع ، وما يعرض له من أحداث الطبيعة التى تسبب له سرورا أو حزنا ، خوفا أو أمنا ، وقد تعامل معها جميعا على أنها أحياء لها كل مميزات الأحياء من سمع وبصر وغذاء ومتاع ، ولهذا كان إحساس الإنسان البدائى بها إحساس الرهبة والرغبة ، ومن أجل ذلك شعر بحاجته إلى استجلاب رضاها بالصلاة والدعاء وتقديم القرابين .

٣ ـ رأى سبنسر : ويرى سبنسر أن الإيمان بحياة الأرباب ناشىء عن عبادة الأسلاف التى يراها أقدم العبادات ، وكانت رؤية الأطياف فى النوم تجعله يظنها باقية ترجى وتخشى ، وأنها تتقاضاه فروضا لها عليه كفروض الآباء على الأبناء وهم على قيد الحياة ، وعلى الرغم من أن الأستاذ العقاد ينسب هذا الرى إلى[1] سبنسر فإن الدكتور دراز ينسبه إلى تيلور وأتباعه .

ويرد الأستاذ العقاد على هذا الرأى فيقول :

« ولكن يرد على القول بعبادة الأسلاف أنها لم تستغرق عبادات الأقدمين فى زمن من الأزمان وأن النائم يرى أطياف الغرباء كما يرى أطياف الآباء ، ويرى أطياف الأطفال الضعفاء ، بل يرى أطياف السباع التى يخـافها فى يقظتـه فلا يعبدها ، لأنه يخافها ، وتتردد عليه أطيافها ، بل يقتلها ويحول بينها وبين الطعام » .

« ومهما يبلغ من قصور العقل عند الهمج ، فهم لا يجهلون أن الروح الذى يحوم حولهم فى طلب الطعام والشراب يحتاج إليهم ، ولا يستغنى عنهم ، فإن شاءوا منعوا عنه القوت فأردوه ، وإن شاءوا والوه بالقوت ، فأبقوه ، ولو لم يكن محتاجا إليهم لما حام حولهم ولا انتظر منهم أن يسترضوه بإشباعه وإروائه ، ولماذا يسعى لنفسه كما كان يسعى لها ، وهو مقيم » .

ثم يتابع الأستاذ العقاد مناقشة هذا الرأى فيقول :

« إذا كان الهمجى كالطفل ينظر إلى جميع الأشياء كنظرته إلى الحىّ الذى يقصد ما يفعل ، ترى لماذا لم يعبد الهمجى جميع الأشياء ، ويرى أنه قد عرف قبل العبادة وصفا للربوبية تتميز به بعض الكائنات عما سواها .

والذين قاموا برحلات إلى أفريقيا الوسطى والتقوا بالأقذام هناك ، وهم فى أدنى درجات الهمجية عرفوا من دراستهم لأمورهم أنهم يؤمنون برب عظيم فوق الأرباب »[2] .

٤ ـ (ويذهب بعض الباحثين إلى أن السحر هو أصل العبادة ، وأصل الشعائر الدينية) ولو أمعنا النظر لو جدنا أن السحر ه السحرة والكهان الذين يقومون على خدمة الآلهة . فكيف يقال : إن السحر هو أصل العبادة ، وهو لم ينشأ إلا على أيدى سدنة الآلهة الذين يدعون أنهم قريبون منها عليمون بما يرضيها ويغضبها .

ومن المسلم به منذ القدم أن طبيعة السحر تختلف عن طبيعة العبادة لأن مجال السحر دائما مرتبط بالأساليب المنحطة والأمور الخبيثة

---

١ ـ راجع كتاب الدين ص ١٣٣

٢ ـ كتاب الله ص ١١

والأشياء البغيضة المستقذرة التى تكرهها النفوس وتعافها .

أما العبادة فهى دائما طريق إلى الخير ، وتوجه بالرجاء إلى الإله طمعا فى النيل من كرمه ، وهى دعوة إلى التطهر على النقيض من أساليب السحر الخبيثة ، وقد ميز الناس منذ قديم بين السحر والعبادة ، فاتخذوا ما يرجى من الآلهة أربابا يتوجهون إليها بالعبادة ، واتخذوا أرباب الشر والفساد أعوانا على السحر[1] .

٥ ـ ويذهب غالبية الباحثين فى الأديان من الأوربيين إلى (أن الضعف الانسانى هو الأصل فى نشأة العقائد الدينية) لأن الانسان لما أبصر نفسه ضعيفا أمام مظاهر الكون ، بما فيه من أحياء ، وقوى طبيعية احتاج إلى سند يستشعر الأمن والطمأنينة فى حماه ، فابتدع فكرة الإله يعتمد عليه ، ويتوجه إليه بالدعاء والصلاة كلما خشى عدوان الآخرين عليه .

ولو تمشينا مع هذا الرأى قليلا لكان معنى ذلك أن الضعفاء من الناس هم المتدينون ، أما الأقوياء فليسوا متدينين ، وهذه قضية ينقضها الواقع التاريخى .

منذ أقدم العصور ، فأصحاب العقائد والأديان هم الأقوياء فى أخلاقهم وإرادتهم وعزائمهم ، وهم المستعدون دائما للتضحيات الجسام . وذوو المقدرة على مواجهة الصعاب ، والصبر على الشدائد مما لا يقدر عليه إلا الأقوياء الأشداء ، أما غير المتدينين فلم يعرف عنهم ما عرف عن المتدينين من صلابة وقوة فى الحق لا تلين ، وهذا الواقع البديهى يقضى على الرأى القائل بأن العقيدة الدينية ملجأ الضعفاء قضاء مبرما ، وينقضه من أساسه ، وفى التدليل على صحة ما استنتجناه .

يقول الأستاذ العقاد : « فليس معدن الإيمان من معدن الضعف فى الانسان ، وليس الإنسان المعتقد هو الإنسان الواهى الهزيل ، ولا امام الناس فى الاعتقاد هو امامهم فى الوهن والهزل .

وربما كان الأصح والأولى بالتقرير والتحقيق أن العقيدة تعظم فى الإنسان على قدر إحساسه بعظمة الكون ، وعظمة أسراره وخفاياه ، لا على قدر إحساسه بصغر نفسه وهوان شأنه .

ومن هنا تكون الحاسة الدينية مجاوبة صحيحة للوجود العظيم الذى يحيط بالإنسان سرمديا بعيد الاغوار عميق القرار .

فليس الكيان الصحيح هو الذى يمرّ بهذا الوجود السرمدى كأنه لايراه ، ولا يهتزّ له ، ولا يستجاش من أعماقه إذا سبر غوره فقصّر عن مداه .

وإنما الكيان الصحيح هو الذى يجيش بتلك الحاسة القوية ، فيستهول الكون ، ويستقبله بالحيرة والتقديس ، لانه فى الواقع هائل محير جامع لمعانى القداسة من حيث نجمت فى لغة اللسان أو لغة الضمير .

---

١ ـ راجع كتاب الله ص ١٢ .

وعلى هذا تكون العقيدة من مصدر الصحة ، لأنها تجارب الوجود المحيط بالنفس الإنسانية ولا تكون من مصدر النقص والغفلة عن حقائق الأمور[١] .

وقريب من الرأى السابق رأى فرويد Freud الذى يقول : إن العقيدة الدينية نشأت من الشعور بالخوف الممزوج بالعاطفة الجنسية عند بعض أصحاب الأعصاب السقيمة ، والذين يغلب عليهم الهوس فى اعتقادهم ، ويرى أن الحب الإلهى هو بمنزلة الحب الجنسى فى حالة التسامى أو حالة الحماسة[٢] .

٦ ـ الطوطم : نظر لما لاحظه الباحثون من انتشار فكرة الطوطم بين القبائل الهمجية فى القارات المختلفة أفريقيا واستراليا والأمريكيتين ، وبعض بلاد آسيا وجزرها فقد ذهب جماعة من العلماء إلى الربط بين الطوطم والدين ، وهم لهذا يرون (أن الطواطم هى بداية الأديان عند الهمج) .

وقد نشأت فكرة الطوطم من اعتقاد بعض القبائل أن أباها الأعلى قد حلّ فى حيوان أو نبات أو حجر فتقدسه وفى حالة الزعم بحلول الأب فى الحيوان تدعى القبيلة أن هذا الحيوان أب لها وفى هذه الحالة يحرمون قتل هذا الطوطم وأكله وكذلك يحرمون الزواج بين الذكور والاناث المنتمين إلى طوطم واحد ، وإذا كانت القبيلة كبيرة العدد ، وكانت تشتمل على عدد من البطون اتخذ كل بطن منها (طوطما) خاصا به ، وعند ذلك يجوز التزاوج بين اناث هذه البطون وذكورها ، إلا أن التحريم يظل قائما بالنسبة لمن ينتمون للطوطم الكبير ، ويورد الأستاذ العقاد خلاصة لرأى المخالفين لفكرة نشأة العقيدة عن الطوطم ، وهم يرون أن الطوطمية ليست أصل العقيدة الدينية لأنها تنشأ بعد أن تعرف القبائل أنظمة الزواج ، وآداب التعامل ، وليس من شك أن الإنسان يهتدى إلى تلك النظم وهذه الآداب بعد أن يكون قد عرف بعض العقائد والأعراف التى تنظم له هذه الأمور ، وهذا يعنى أن الالتزام بهذه النظم والآداب لا يمثل المرحلة الأولى فى الاعتقاد .

هذا إلى جانب أن هناك قبائل عدة تعتنق فكرة الطوطم ، ولكنها فى الوقت نفسه تتخذ لها آلهة أخرى تتوجه إليها بالعبادة ، وكذلك وجدت قبائل لا تضفى على الطوطم صفة الأرباب[٣] .

ويرى علماء الاجتماع أن نظام الطوطم نظام مدنى قضائى اقتصادى أكثر منه نظاما دينيا ، ويذهب لانج (Lang) وفريز (Frazer) الفرنسيان إلى أن نظام الطوطم ليس له صلة بالدين البتة ، ويرى الدكتور دراز أن الطواطم تشير إلى شعارات قومية تعرف القبائل بها أنسابها وتنمى فى أفرادها الشعور الوطنى ، وأنها باعثة على التعاون ، واحترام توزيع الملكية وسائر قوانين الجماعة ، فهم لا يعبدون تلك الرسوم ولا مدلولاتها ، بل لهم معبود

١ ـ راجع كتاب الله ص ١٣ .
٢ ـ راجع كتاب الله ص ١٤ .
٣ ـ راجع كتاب الله ص ١٥ ، ١٦ .

روحى يعتمدون عليه فى جلائل أعمالهم ودقائقها حتى انهم ليستلهمونه أو يدعونه ليرشدهم انتقاء أمثل الأسماء لأبنائهم .

ويورد رأى دوركايم الذى يعترف أن عددا من قبائل استراليا قد وصلوا إلى فكرة الإله الأعلى أو الإله الأحد ، وأنه كائن أزلى أبدى تسير الشمس والقمر والنجوم بأمره ، وانه هو الذى يثير البرق ويرسل الصواعق ، وإليه يتوجه فى الاستسقاء وفى طلب الصحو ، وهو الذى خلق الحيوان والنبات وصنع الإنسان من الطين ، ونفخ فيه الروح ، وهو الذى علم الإنسان البيان ، وألهمه الصناعات ، وشرع له العبادات ، وهو الذى يقضى فى الناس بعد الموت فيميز بين المحسن و المسىء[1] .

٧ ـ ويرى أوجست مساباتيه (**أن التدين نشا عند الإنسان نتيجة صراع وجد نفسه فيه بين الاحساس والإرادة ، واصيب الإنسان بصدمات متوالية نتيجة لهذا الصراع الدائم ، فعاش المرء فى أزمة داخلية نتيجة الصراع بين الإحساس والإرادة ، فأراد ان يجد عونا على التغلب على هذه الأزمة فنشأت عنده فكرة الدين ليجد فى رحابها حلا لهذه الأزمة الطاحنة**) وذلك لأن الإنسان بحكم فطرته يلازمه شعور ثابت بالتبعية المطلقة لقانون الوجود العام ، وعن هذا الشعور بالتبعية تنبثق فى النفس العقيدة الإلهية[2] .

٨ ـ ويرى هنرى برجسون أن العقيدة الدينية نشأت عند الإنسان من مصدرين رئيسيين أحدهما اجتماعى والآخر فردى ، أما المصدر الاجتماعى فهدفه فائدة المجتمع ونفع النوع كله ، ويرى أن الإنسان لما أراد أن يكبح جماح نفسه ، ويكف من غلواء أنانيته ، ويخفف من رغبته الجارفة فى التملك ، ويتشجع على نسيان مصالحه الخاصة فى سبيل المصلحة العامة ، لجأ إلى فكرة الدين ليجد فيها عوضا مستقبلا عما يتنازل عنه فى حياته لصالح الجماعة ، وعن هذا الطريق نشأت عند الإنسان فكرة الجزاء والعقاب الأخروى من الإله الذى يعبده ، ويجازيه على أعمال الخير والشر .

وفى تفسير رأى برجسون يقول الأستاذ العقاد : « ولما كانت إرادة الحياة مستكنة فى النوع كما هى مستكنة فى أحاده على انفراد نشأت من الغريزة النوعية ملكة يسميها برجسون بملكة الخرافة أو الرمزية أو ملكة الأساطير ، وتكفلت للإنسان بخلق العوض الذى يستعيض به عن منافعه ولذاته ، حين يهجرها لمنفعة نوعه ، فاعتقد الجزاء بعد الحياة ، وأحسّ أنه محاسب على الاضرار بغيره ، مثاب على الخير الذى يسديه إلى أبناء نوعه ، واقترنت فيه أثرة الفرد بأثرة النوع .

١ ـ راجع كتاب الدين ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

٢ ـ راجع كتاب الدين ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

فاستقامت على التوازن بينهما مصلحته ومصلحة الناس أجمعين[1] .

أما المصدر الفردى فهو ما نجده عند العباقرة وذوى القدرات الممتازة فانهم لا يصدرون فى فكرتهم عن الإله من منطلق النفع والعوض على ما يقدمون ، ولكنهم يدركون بما أوتوه من قوة الالهام والبصيرة ضياء الحق فيندفعون نحوه ، ويسوقون الناس إلى الاخذ به ، فهم الذين يؤثرون فى مجتمعاتهم بما يرسون فيها من قواعد اخلاقية وسلوكية ، ويضعون القوانين والنظم للآخرين على هدى ما رأوه من نفاذ الرأى وسداد البصيرة ، وبالجملة فهم فى نظرتهم لا تحكمهم منفعة ولا عوض وإنما يسعون إلى تأصيل القيم العليا للإنسان ، وهذه القدرات فيهم جعلتهم يصلون إلى إدراك أن هناك قوة عليا دائمة سرمدية تغير وتؤثر ولا تتغير ولا تتأثر بغيرها وهى الذات الإلهية[2] .

ومن الملاحظ أن برجسون يعترف هنا بالحقيقة الإلهية ، وإمكانية الوصول إلى معرفتها والاهتداء إلى حقيقتها العليا .

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يجعل نشأة العقيدة الدينية عند الجماعات العادية أمرا مخترعا . ؟

ألاّ يكون ذلك كما يقول الأستاذ العقاد من باب التلمس البديهى لتلك القوة الكونية ، لماذا لا يكون نتيجة لبحث متواصل اهتدى إليه الإنسان مع الزمن أو عرفه عن طريق الهداة والرسل الذين بعث الله بهم لهداية البشرية كما أخبرنا فى قرآنه .. وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ

وإذا سلم برجسون بأن هناك ذاتا إلهية فكيف يسمى البحث عنها حيلة أو وهما ؟

وفى نقد رأى برجسون يقول الدكتور دراز : بعد أن يدلل على خطئه .. أما إذا أخذنا قانون الأخلاق فى جوهره الصحيح ، واعتبرنا ما له من سلطان مركوز فى طباع الناس على اختلافهم موحيا للعقيدة الإلهية ، ودليلا على صنعة الفاطر الأول الذى ألهم النفوس هداها ، ورسم لها طريق فجورها وتقواها ، فتلك فكرة سليمة ومنطق مستقيم[3] .

هذه هى أهم الآراء التى تداولها الباحثون الغربيون الذين اهتموا بالبحث فى أمور العقيدة ونشأة الدين ، وهى كما ترى تنظر إلى العقائد الوضعية فقط ، وتغفل أو تتغافل عن الحقيقة التى أشرنا إليها فى مطلع هذا البحث ، وهى أن العقيدة نشأت مع الإنسان منذ أن خلق الله آدم وعلمه الأسماء كلها .

وبهذا نكون قد انتهينا من ذلك الفصل الذى عرضنا فيه لما نرى من وجهة النظر الاسلامية فى نشأة العقيدة ، وما سجلناه من آراء الباحثين الغربيين فى هذا المجال . معقبين على آرائهم كاشفين عن وجه الخطأ فيها ، وقد آن الأوان أن ننتقل بالبحث إلى قضية أخرى تتناول نشأة العقائد المختلفة التى اشار إليها القرآن الكريم ، وما اعتراها من تحريف وتبديل مع كرّ الليالى ومرّ العشى .

١ ـ راجع كتاب الدين ص ١٦ ، ١٧ .

٢ ـ راجع كتاب الدين ص ١٤٠ وكتاب الله ص ١٧ .

٣ ـ راجع كتاب الدين ص ١٤٢ .

سُورَةُ النَّصر
من أعلام النبوة

سورة النصر من أعلام النبوة
قال الله تعالى : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا(٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا(٣) »

البيـــان

المرَاد بالفتح هنا فتح مكة ، وبالنصر الظفر بأهلها ، فإن هذا وذاك هما اللذان دخل الناس بعدهما فى دين الله أفواجا ، وهذا هو الذى ارتضاه جمهور المفسرين .

وإخبار السورة بالفتح والنصر قبل حدوثهما ، وبدخول الناس أفواجا وجماعات فى الإسلام بعدهما ، يعتبر من أعلام النبوة ، وآيات صدق الرسول ﷺ ، حيث تحقق كل ذلك على أتم وجه وأكمله ، ولا شك أن ذلك برهان على أنه وحى من العليم الخبير ، وأنه ﷺ « لا ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى »

فراسة ابن عباس وفطنته فى السورة :

أخرج الإمام البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال (كان عُمر يُدْخلنى مع أشياخ بدر) ، فكان بعضهم وجد[1] فى نفسه فقال : لِمَ يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله .

فقال عمر : إنه مِمَّنْ علمتم ، فدعاهم ذات يوم

(١)أى غضب .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الطير

فأدخله معهم ، فما رأيت أنه دعانى فيهم يومئذ إلاَّ ليريهم .

فقال : ما تقولون فى قول الله تعالى : « **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ** ... » .فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا .

فقال لى : أكذلك تقول يابن عباس .

فقلت : لا .

فقال : ما تقول .

فقلت : هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه الله إياه .

قال : « إذا جاء نصر الله والفتح » فذلك علامة أجلك ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا .

فقال عمر : لا أعلم منها الا ما تقول)

ولست أدرى أكان هذا استنباطا ذهنيا لا بن عباس ، حيث فهم من السورة أنه تعالى يخبره فيها أن تبليغه رسالة ربه قد شارف غاية ، وأن عليه أن ينتظر لقاء الرفيق الأعلى - وهذا هو ظاهر الخبر - أم أنه عرف ذلك من الأحاديث التى جاءت فى هذا الشأن .

فقد جاء فى عدة روايات أنه ﷺ قال حين نزلت « نُعِيَتْ إلىَّ نفسى » .

وفى رواية للبيهقى عن ابن عباس قال : « لما نزلت دعا ﷺ فاطمة رضى الله عنها وقال : « إنه قد نُعِيَتْ إلىَّ نفسى » فبكت ثم ضحكت .

فقيل لها ما أبكاك وما أضحكك ؟ فقالت : أخبرنى أنه قد نعيت اليه نفسه فبكيت ، ثم أخبرنى بأنك أول اهلى لحوقا بى فضحكت .

وقد كان النبى ﷺ بعد نزولها يفعل فعل مودِّع ، وعلى أى حال فإن ذلك يشهد بيقظة ابن عباس وفطنته استنتاجا أو حفظا مع صغر سنه ، ولا غرابة فى ذلك فقد دعا له النبى ﷺ قائلا « اللهم فَقِّهه فى الدين وعلمه التأويل » .

اخرج البيهقى فى الدلائل عن ابن مسعود قال : « نعم ترجمان القرآن ابن عباس » وكان محمد ابن الحنفية يسميه - حبر الأمة -

مناسبة السورة لما قبلها وأسماؤها

دلت السورة التى قبلها « **قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ** » على أنه لا أمل فى إيمان الكفار من أهل مكة عن طريق الإقتناع ، وأنه تعالى أمر نبيه بإخبارهم أنه مصر على عدم عبادته أوثانهم ، حتى يقطع أطماعهم فى استجابته لهم ، وأنهم مصرون على عدم عبادة الله وحده ، ومصممون على إشراكهم به ، وأن يعلمهم بأنه لا لقاء بين توحيد وإشراك ◀

وجاءت هذه السورة لتبين أن الله تعالى يكافئه على صبره بالنصر والفتح ودخول الناس فى دين الله افواجا ،وفى جملتهم هؤلاء المشركون الذين امره بموادعتهم حتى يأتى أمر الله ، والعاقبة للصابرين ، والحمد لله رب العالمين .

وكما تسمى هذه السورة « سورة النصر » تسمى أيضا « سورة التوديع » لما فيها من الإيمان الى وفاته ، وهى ثلاث آيات باتفاق .

الاعداد للفتح والنصر

لما خانت قريش فنكثت عهدها معه ﷺ بمعاونة حلفائهم بنى بكر سرا على خزاعة حليفة رسول الله ﷺ ، تجهز الرسول ﷺ للسفر وأمر أصحابه بذلك ، واستنفر الاعراب الذين حول المدينة ، وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة ، فقدم جمع من قبائل أسلم وغفار مزينة وأشجع وجهينة ، وطوَى وجهته عن الجيش كيلا تعلم قريش فتستعد للحرب ، والرسول ﷺ لا يريد أن يأخذ مكة حربا ، بل يريد أن يباغتها فيستسلم اهلها بسلام ، ثم سار بالجيش فى منتصف رمضان ، بعد أن ولى على المدينة ابن أم مكتوم ،وكانت عدة الجيش عشرة آلاف مجاهد .

ولما وصل الرسول ﷺ بالجيش الى الكديد أمرهم بالفطر وأفطر معهم ، وقد قابل ﷺ فى الطريق عمه العباس بن عبد المطلب مهاجرا بأهله وعياله ، فأمره أن يعود معه إلى مكة ويرسل عياله إلى المدينة .

ولما وصل الجيش الى مَرِّ الظهران ، امر بإيقاد عشرة آلاف نار ، وكانت قريش قد بلغهم أن محمدا زاحف بجيش عظيم لا تدرى وجهته ، فأرسلوا أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ وجيشه ، فلما أتوا مر الظهران إذا هم بنيران كأنها نيران عرفة .

فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ لكأنها نيران عرفة، فقال بديل ابن ورقاء : نيران بنى عمرو .

فقال أبو سفيان : عمرو اقل من ذلك فرآهم ناس من حرس الرسول ﷺ فأتوا بهم إليه ، فأسلم أبو سفيان ، فلما سار قال النبى للعباس : احبس أبا سفيان عند حطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين ، فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة على أبى سفيان عند حطم الجبل وهو يسأل عنها وهو يقول : مالى ولها ، حتى اذا مرت به قبيلة الانصار – وحامل رايتها سعد بن عبادة .

فقال سعد : يا أبا سفيان : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة .

فقال أبو سفيان : ياعباس ،حَبّذا يوم الذمار ، ثم جاءت كتيبته وهى أقل الكتائب فيها رسول الله ﷺ وأصحابه ، وحامل الراية الزبير بن العوام ، فأخبره أبو سفيان بمقالة سعد .

فقال ﷺ : « كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » ثم أمر عليه الصلاة والسلام أن تركز رايته عند الحجون – جبل بأعلى مكة – وأمر خالدا أن يدخل مكة من أسفلها ، ودخلها ﷺ وسلم من أعلاها ، ونادى مناديه : من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، وهذه أعظم منة له ﷺ .

فأما جيش خالد بن الوليد فقابله الدُّعْرُ من قريش يريدون صده ، فقاتلهم وقتل منهم أربعة

وعشرين ، وقتل من جيشه اثنان ، ودخلها عنوة من هذه الجهة .

وأما جيش النبى ﷺ ، فلم يصادف مانعا ، ودخل مكة راكبا راحلته ، منحنيا عليها تواضعا لله وشكرا له على هذه النعمة ، وكانت جبهته تكاد تمس الرجل ، وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان ، حتى وصل إلى الحجون موضع رايته ، وقد نصبت له هناك قبة ، فاستراح فيها قليلا ، ثم سار وبجانبه ابو بكر يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح ، حتى بلغ البيت الحرام ، فطاف به سبعا على راحلته ، واستلم الحجر بمحجنه ، وكان حول الكعبة إذ ذاك ثلاثمائة وستون صنما ، فجعل يطعنها بعود فى يده وهو يقول صلى الله عليه وسلم: « جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ » ثم أمر بالآلهة فأخرجت من البيت ، وفيها صورة ابراهيم واسماعيل فى أيديهما الأزلام ، فقال ﷺ « قاتلهم الله : لقد علموا ما استقسما بهما قط » وهذه أول مرة تطهر فيها الكعبة من هذه الأوثان الباطلة.

العفو عند المقدرة

ثم دخل النبى ﷺ الكعبة وكبر فى نواحيها ، ثم خرج إلى مقام ابراهيم وصلى فيه ، وشرب من زمزم وجلس فى المسجد والناس حوله والعيون شاخصة اليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركى قريش الذين آذوه وأخرجوه من بلاده وقاتلوه ، وهنا تظهر مكارم الأخلاق التى عرف بها ﷺ ، ويلزم المسلم أن يقتدى بها ، بأن يكون غضبه ورضاه لله ، لا لهوى النفس إذ قال ﷺ يامعشر قريش « ما تظنون أنى فاعل بكم » ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال ﷺ « اذهبوا فأنتم الطلقاء »

ثم خطب النبى ﷺ خطبة بيّن فيها كثيرا من الأحكام ، منها أن لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ، ولا تنكح المرأة على عمتها أوخالتها ، والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع زوجها أو ذى محرم ولا صلاة بعد الصبح والعصر ، ولا يصام يَوْمَا عيد الفطر والأضحى ، ثم قال : « يا معشر قريش .إن الله قد أَذْهَبَ عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، والناس من آدم وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية « يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »

ثم شرع الناس يبايعون رسول الله ﷺ ، وممن أسلم فى هذا اليوم معاوية بن أبى سفيان ، وأبو قحافة والد أبى بكر الصديق .

بيعة النساء

ولما تمت بيعة الرجال بايعه النساء ، وكُنَّ يبايعن على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصين الرسول ﷺ فى معروف .

ثم أمر عليه الصلاة والسلام بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة لأول مرة ، وأقام بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوما يقصر فيها الصلاة ، وولى عليها عتاب بن أسيد ، وجعل رزقه كل يوم درهما ، فكان عتاب رضى الله عنه يقول : لا أشبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم .

سورة النصر من أعلام النبوة

تفسير السورة

« إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً ... » السورة الخطاب فى هذه السورة للنبى ﷺ ، والناس فيها العرب ، ودين الله هو الإسلام الذى بعث بها محمد ﷺ ناسخا للأديان السماوية التى قبله ، فهو الدين عند الله تعالى : « **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ** » والأفواج والجماعات - جمع فوج .

وقد كان الناس من قبل الفتح يدخلون الإسلام فرادى ، فلما فتحت مكة دخلوه جماعات دون قتال أخرج الإمام البخارى عن عمرو بن سلمة قال : « لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ ، وكانت الاحياء تَتَلَوَّم - أى تنتظر - بإسلامها فتح مكة ، يقولون دعوه وقومه ، فإن ظهر عليهم فهو نبى »

وعن الحسن قال : (لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت الأعراب : أمّا إذ ظفر بأهل مكة وقد أجارهم الله تعالى من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان ، فدخلوا فى دين الله أفواجا)

ومن الجماعات التى دخلت الإسلام بعد الفتح جماعة من أهل اليمن ، يبلغون سبعمائة - كما رواه عكرمة ومقاتل - وفى شأنهم أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال بينما رسول الله ﷺ فى المدينة إذ قال « الله أكبر الله أكبر ، جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن » .

قيل يا رسول الله ﷺ : وما أهل اليمن ؟ قال « قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » .

وأخرج البخارى ومسلم والترمذى عن أبى هريرة مرفوعا ، أنه ﷺ قال أتاكم أهل اليمن ، وهم أرقُّ أفئدة وألين قلوبا ، الإيمان والحكمة يمانية .

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً .

هذه الآية جواب الشرط الذى صدرت به السورة وما عطف عليها وجملة « إنه كان توابا تعليل للاستغفار ، أى استغفره لأنه كان توابا ، فهى تذييل تعليلى وخلاصة معنى السورة ما يلى :

إذاجاءك أيها الرسول النصر على أهل مكة والفتح لها ، ودخل الناس من أهلها ومن غيرهم دين الله جماعات ، بعد أن كانوا يدخلونه فرادى . فسبح ربك بكل ما يدل على التنزيه عما لايليق به تعالى ، حامدا له على تلك النعم التى أتمها عليك ، واطلب المغفرة منه تائبا إليه ، إنه كان منذ خلق المكلفين توابا على المستغفرين التائبين ، يقبل متابهم ويعفو عن ذنوبهم إذا كانوا مخلصين فى توبتهم ، ولا يزال الله يمنح التائبين هذا الفضل العظيم رحمة منه وكرما .

الحكمة فى طلب الاستغفار من الرسول ﷺ .

أنت ترى أيها القارىء الكريم أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بتسبيح الله واستغفاره والمتاب ، مع أنه الكامل فى عبادته لربه ، المعصوم من جميع المعاصى ، والحكمة فى ذلك أن تنزيه الله تعالى عما لايليق به ، حق الله على جميع خلقه ، وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلون .

وبما أنه تعالى وعد نبيه ﷺ بالنصر والفتح ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، وأن ذلك

نعمة كبرى تقتضى المزيد من الطاعات لله تعالى وهضم النفس ، فلهذا أمره الله سبحانه بتنزيهه عن أن يكون تأخيره فتح مكة لغير حكمة ، بعد أن يعرف أن ذلك بسبب كونه تعالى شاء استسلام أهلها جميعا ، ودخولهم وغيرهم فى دين الله أفواجا ، وما قلناه بشأن التسبيح يقال بشأن أمره بالحمد ، فكأنه قيل له : فسبح ربك واحمده على تأخير النصر والفتح ، وصفه بأن توقيتهما على هذا النحو كان لحكم جليلة لا يعلمها سواه سبحانه ، وأى حكم أعظم من أن يدخلوا هم وغيرهم فى دين الله أفواجا .

وأما أمره بالاستغفار والتوبة ، فلأنه ﷺ كان دائما فى الترقى ، فإذا ترقى إلى مرتبة استغفر لما قبلها ، ولأنه قد يطرأ عليه السهو بحكم بشريته ، وكلما كان الانسان أعرف بربه ، كان أخوف وأكثر اعترافا بالتقصير نحوه - وان لم يكن فى شريعة الله مقصرا ، لأنه سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها ، ولكنه تعالى يأخذه بالأفضل كلما ارتقى إلى درجة أعلى عند ربه ، وقيل استغفاره لأمته أو لتعليم أمته .

مواظبة الرسول ﷺ على التسبيح والاستغفار بعد النصر .

أخرج الامام مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يكثر من قوله سبحان الله وبحمده ,أستغفره وأتوب إليه .

قالت فقلت يارسول الله ﷺ . أراك تكثر من قول « سبحان الله وبحمده أستغفره وأتوب إليه » .

فقال : أخبرنى ربى أنى سأرى علامة فى أمتى ، فإذا رأيتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفره وأتوب إليه ، فقد رأيتها « **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً** » ونحوه أخرجه أحمد فى مسنده .

وفى الصحيحين عن مسروق عن عائشة قالت : (كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : فى ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اغفرلى » تعنى هذا) أى تعنى امتثال أمر الله فى هذه السورة .

وأخرج ابن جرير من طريق حفص بن عاصم عن الشعبى عن أم سلمة قالت (كان رسول الله ﷺ فى آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجىء إلا قال « سبحان الله وبحمده » .

قال : (إنى أمرت بهذا وقرأ السورة) .

فأنت ترى فى هذه الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم واظب على حمد مولاه واستغفاره والتوبة إليه جل وعلا ، بعد أن حقق له ما وعدهمن النصر والفتح ودخول الناس أفواجا .

مع أنه ﷺ هو المثل الأعلى فى الصلاح والتقوى ، ومجانبة المعاصى والمآثم . وإنما فعل ذلك امتثالا لأمر ربه ، وهضما للنفس ، وتعليما لأمته ، لكيلا يغرهم الانتصار ولا يطغيهم الفتح ، ولا تحملهم العزة بهما على الإثم والعدوان ، بل يحمدون ربهم على ما أنعم ، ويستغفرونه من كل مأثم ، ويطهرون أنفسهم من الخيلاء والاستعلاء ، ويجعلون من الطاعة والاستقامة على منهاج الحق خلقا وسلوكا ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الإسلامية

أول بيت وضع للناس

قال تعالى : (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَاكَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) آل عمران ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - والآيات مدنية .

إن لحوم الإبل وألبانها كانت محللة لإبراهيم عليه السلام ، وإنما حرمت على بنى إسرائيل ، لأن إسرائيل حرمها على نفسه (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَاحَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ) .

وحينما أفتى محمد صلى الله عليه وسلم . بحل لحوم الإبل وألبانها فقد أفتى بملة ابراهيم .

فقل يامحمد : صدق الله فى أن ذلك النوع من الطعام صار حراما على بنى إسرائيل بعد أن كان حلا لهم .

أو صدق الله فى أن كل الأطعمة كانت محللة لبنى إسرائيل ، وانها حرمت على اليهود جزاء قبح افعالهم (فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا) أى مايدعوكم إليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة إبراهيم (وما كان من المشركين) حيث لم يدع مع الله إلها آخر كما فعل اليهود والنصارى من حيث ادعى اليهود أن عزيرا ابن الله ومن حيث ادعى النصارى أن المسيح ابن الله .

أو كما فعل بعض الناس من عبادة الكواكب والقمر والشمس أو كما فعل مشركو العرب من حيث عبادة الأصنام التى نحتوها أربابا وخروا لها سجدا ، وقالوا مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله .

وإبراهيم كان مائلا عن الباطل إلى الحق مخلصا لله وحده ، ومحمد على دينه فى الأصول والفروع يدعو إلى توحيد الله والبعد عن كل معبود سواه .

ولقد طعن اليهود فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حينما تحولت قبلته إلى الكعبة ، وقالوا بيت

للدكتور محمد محمد خليفة

المقدس أفضل وأحق بالاستقبال ، لأنه أقدم من الكعبة ، ومن المحشر ، وهو قبلة جميع الأنبياء ، وانتهوا من ذلك إلى أن تحويل القبلة باطل .

وأجاب الله عن ذلك بقوله : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ) فبين بهذا أن الكعبة أقدم وأشرف ، وكان نسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة مايفيد النسخ فى الأطعمة التى كانت مباحة لبنى إسرائيل ثم حرم الله بعضها عليهم .

وقد زعم اليهود والنصارى أنهم على ملة إبراهيم فلم لايحجون ، لأن الحج جاءت به ملة إبراهيم وعدم حجهم دليل كذبهم فى اتباع ملة إبراهيم .

وأول بيت وضع لطاعة الناس لله وعبادتهم هو الكعبة ، وبيت المقدس يشاركه فى أنه بيت الطاعة والعبادة .

ويحتمل أن يكون المراد بالأولية فى قوله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ) انه أول فى الوضع والبناء والأول فى كونه مباركا .

وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أول بيت وضع للناس ، فقال : المسجد الحرام ، ثم بيت المقدس ، وسئل كم بينهما ؟ فقال أربعون سنة .

أقوال العلماء والمفسرين التى دارت حول البيت :

١ ـ روى عن مجاهد انه قال : خلق الله تعالى هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض .

٢ ـ وروى عن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله بعث ملائكته فقال : ابنوا لى فى الأرض بيتا على مثال البيت المعمور وأمر الله من فى الأرض أن يطوفوا به كمايطوف أهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق آدم .

٤ ـ وروى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما إنه أول بيت وضع على وجه الماء وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الأرض تحته .

٥ ـ إن الطيور لاتمر فوق الكعبة بل تنحرف عنها .

٦ ـ إن صاحب الفيل أهلكه الله حين أراد هدم الكعبة وقد ذكرت سورة الفيل تلك القصة وخلدت السورة على الزمن ما فعل الله بأصحاب الفيل .

٧ ـ للكعبة أسماء : منها الكعبة ـ البيت العتيق ، لأنه قديم ، أو لأن الله أعتقه من التخريب ، أو أعتقه من أن يكون ملكا لأحد من المخلوقين كما سمى : المسجد الحرام .

٨ ـ ومن أوصافه أن جعله الله هدى للعالمين أى أنه قبلة يهتدون بها إلى جهة صلاتهم أو انه صاحب هدى للعالمين .

٩ ـ وقد وصفه الله بأن فيه آيات بينات منها مقام إبراهيم ، وفيه معجزات وآيات كثيرة وقيل : المراد : مقامات إبراهيم وهى ما أقامه إبراهيم

عليه السلام من أمور الحج وأعمال المناسك وهى كثيرة ومن تلك الآيات التى خص الله بها البيت الحرام أن الله جعله أمنا .

قال تعالى : « **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً** » وقال : « **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً** » . وقال : « **إِنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِناً** » . وقال إبراهيم فى دعائه « **رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً** » .

وقال لقريش : **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِن جُوعٍ وآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ** .

وقال عليه الصلاة والسلام : من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا .

من فضائل مكة ..

أنها قبلة النبيين السابقين ، وقد ثبت أن الأنبياء كانوا يسجدون لله ، ولم يثبت لأحد منهم قبلة فإذا قرأت قوله تعالى : **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ** .

أمكننا أن نقول : إن البيت الأول كان قبلة الأنبياء .

أما سجود الأنبياء فقد ثبت بآية سورة مريم التى يقول الله فيه : « **أُولَـئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ومن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَـنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيّاً** » .

أسماء مكة ..

من أسمائها غير مكة : أم القرى وذلك يدل على سبقها فى الفضل والشرف على بقاع الأرض وعلى القرى كلها ومن أسمائها : البلد الحرام .

ومن أسمائها : بكة وهى لغة فى مكة وقيل : مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة : اسم للبلد .

وقيل : بكة ومكة : اسمان لمسمى واحد .

ومن أسماء مكة : البشاشة ـ الحاطمة .

وجوب الحج ..

قال تعالى : **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** .

الاستطاعة شرط فى وجوب الحج وهى تتمثل فى وجود الزاد والراحلة وفسر بعضهم الاستطاعة بصحة البدن والقدرة على المشى ، فمن صح بدنه وقدر على المشى إذا لم يجد مايركب أو أجرة مايركب فهو مستطيع .

وأضاف بعضهم إلى الصحة والقدرة على المشى ووجود الزاد والراحلة أمن الطريق .

الحج فرضه فى العمر مرة ..

روى أن سائلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم : اكتب علينا الحج فى كل عام ، وكرر السائل السؤال ثلاث مرات ، وسكت الرسول على الرغم من تكرار السؤال عليه وفى المرة الرابعة قال عليه الصلاة والسلام لو قلت نعم ، لوجبت ، ولو وجبت ماقمتم بها ، ولولم تقوموا بها لكفرتم ، الا فوادعونى ماوادعتكم ، وإذا أمرتكم بأمر فافعلوا منه مااستطعتم وإذا نهيتكم عن أمر فانتهوا عنه فإنما اهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم .

ومن هذا يستفاد أن الأمر فى قوله : ولله على الناس حج البيت لايفيد تكراره كل عام (**وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**) .

قد يكون المقصود فى قوله ومن كفر : الكفر بالله ويكون هذا وعيدا عاما .

وقد يحمل على تارك الحج ، أو من لم يعتقد وجوبه .

وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا .

وعن أبى أمامة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم : من مات ولم يحج حجة الإسلام ولم تمنعه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر فليمت على أى حال شاء يهوديا أو نصرانيا .

وقيل : لمانزلت آية الحج : جمع الرسول كل الطوائف : المسلمين ـ اليهود ـ النصارى ـ الصابئين ـ المجوس ـ المشركين وخطبهم فقال : إن الله كتب عليهم الحج فحجوا فآمن به المسلمون ، ونفرت منه الآخرون وقالوا لانؤمن به ولانصلى إليه ولانحجه فأنزل الله (**وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**) فسر بعضهم قوله : ومن كفر ، فقال : ومن لم يحج ، وقد قال الله : فإن الله غنى عن العالمين ، ولم يقل فإن الله غنى عنه أى عن من كفر ، لأنه إذا استغنى عن العالمين ، فسيدخل فيهم ذلك الذى كفر فهو غنى عنه وعن طاعته وذلك أدل على سخط الله وغضبه على من ترك الحج .

وقوله : ولله على الناس ... الخ يدل على وجوب انقياد الناس لطاعة الله فى هذه العبادة من عرف منهم الحكمة فى هذه الطاعة ومن لم يعرف .

وظاهر الآية يقتضى الإيجاب على كل مستطيع .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : حجوا قبل ألا تحجوا ، حجوا قبل أن يمنع البر جانبه أى يتعذر عليكم السفر فى البر إلى مكة لعدم الأمن .

حاسدو الناس على فضل الله

قال تعالى : (**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا . فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا**) . **النساء ٥٤ ، ٥٥ والآيتان مدنيتان** .

(أم) منقطعة ، وتفسر ببل والهمزة أى بل أيحسدون الناس ، وتفيد الانتقال من وصفهم فى الآية السابقة بالبخل إلى وصفهم فى هذه الآية بالحسد ، وهو من أقبح الرذائل وأل فى الناس للعهد ، والمراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبر عنه بالجنس وهو الناس للإشارة إلى أنه هو الناس لاغير ، وقد عبر الله عن الفرد بالكثير فى قوله تعالى : **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً** .

وقد يراد بالناس :الرسول ومن معه من المؤمنين .

واختلف فيما حسد عليه النبى صلى الله عليه وسلم أو هو ومن معه من المؤمنين فقيل .

١ ـ النبوة وما وراءها من شئون الدين ، وجلال الدين فى النصرة وازدياد العز .

٢ ـ كثرة ماأبيح له من النساء الزوجات التسع .

ولقد أعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم النبوة ، وكثر انصاره ، وعظمت شوكتهم ، وإن كثرة النعم التى افاضها الله على المسلمين هى التى دفعت اليهود إلى حسد محمد على ماآتاه الله وحسد أتباعه على ماأوتوا من الشرف وسموا المنزلة الدنيوية والأخروية ومن قبل آتى الله إبراهيم عليه السلام الكتاب والحكمة ، وآتى آله الملك العظيم فلم تحسدون محمدا ، وتعجبون مما أوتى وأوتى أصحابه ، ولم تتعجبوا مما أوتى إبراهيم وآل إبراهيم وهم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد آتى الله بعض ابناء إبراهيم ملكا ولم تحسدوهم أيها اليهود من أمثال يوسف وداود ، وسليمان ، كما أن الله آتاهم الكتاب والحكمة اى

البقية ص "٨٤٣"

إن لم تغل أمتي

تفضيلة الشيخ أحمد حسن جابر رجب

حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة يعني ابن عمار حدثني سماك الحنفي أبو زميل قال حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال :

لما كان يومُ خيبر أقبلَ نفرٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : فلان شهيد ، فلان شهيد ، حتى مَرُّوا على رجل فقالوا : فلان شهيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلَّا ، إني رأيتهُ في النار في بُردة غَلَّها أو عَباءة ، (ثم قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم) : (يا ابن الخطاب ، اذهب فَنادِ في

المفـــردات :

النفر والنفيرة والنفرة : عدة رجال الشهيد معناه على وجوه منها : الشهيد بالبلاغ يعني الأنبياء : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ يعني نبيهم شاهد عليهم بتبليغ الرسالة وَجِئْنَابِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا يعني بتبليغ الرسـالة ٤١ النســاء ، النحـل ٨٤ ، المـائـدة ١١٧ هود ١٨ . ومنها : الشهيد الحافظ ، للملك الذي يكتب عمل ابن آدام ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ ق ٢١ وانظر الزمـر ٩ ، غافر ٥١ .

ومنها الشهيد يعني القتيل في سبيل الله النساء ٦٩ ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ يعني بالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله وفي الحديد ١٩ والشهداء عند ربهم يعني الذين استشهدوا في سبيل الله ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ .

ومنها الشهيد يعني الذي يشهد على حق رجل أو على حقوق الناس ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ البقرة ٢٨٢ .

ومنها الشهيد يعني الحاضر النساء ٧٢ القصص ٤٤ المدثر ١٣ الفرقان ٧٢ البقرة ١٣٣ النور ٢ .

البردة بضم الباء : كساء مخطط أو أسود فيه صور قاله أبو عبيد .

لم يقم لهم عدو أبدا

الناس : أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) قال فخرجت فناديت : ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون .
أخرجه الامام أحمد في مسند عمر بن الخطاب ، والامام مالك في الموطأ ، والامام مسلم في باب «غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» شرح النووي ، والامام الترمذي في باب ما جاء في الغلول . وقال حديث حسن صحيح غريب والبخاري بنحوه في باب لا يقال فلان شهيد .

●●●●●●

والعباءة ويقال فيها عباية قاله ابن السكيت وغيره وهي معروفة .

الغل والغلول والاغلال : لخيانة والسرقة من الغنيمة ، وكل من خان في شيء خفية فقد غل وأغل ، وقيل الغلول الخيانة في الغنيمة خاصة (الاغلال : الخيانة مطلقا) والغل العداوة وأغل : صار ذا اغلال أي خيانة ، « وما كان النبي أن يغل » أي ينسب إلى الخيانة .

الإيمان : يستعمل تارة للشريعة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم ويوصف به كل من دخل شريعته مقرا بالله وبنبوته صلى الله عليه وسلم .

ويأتي في القرآن بمعنى الإقرار باللسان من غير تصديق ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ المنافقون ٣ يعني اقروا باللسان في العلانية ، ثم كفروا في السر ولم يصدقوا النبي صلى الله عليه وسلم ولا ما جاء به المنافقون ٩ ، الحديد ١٦ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ يعني أقروا والممتحنة ١٣ .

ويستعمل الإيمان في التصديق سرا وعلانية البينة ٧ الفتح ٥ الأحزاب ٦ ، ٣٥ الصف ١٣ الفتح ١٨ المنافقون ٨ .

ويأتي الإيمان بمعنى التوحيد المائدة وغافر ١٠ والنحل ١٠٦ ويأتي الإيمان في الشرك .. ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ يوسف ١٠٦ يعني مشركي العرب

وإيمانهم مع الشرك ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ . الزخرف ٩ فهذا منهم إيمان وهم فى ذلك مشركون ، لقمان ٢٥ والزمر ٣٨ ، النساء ١٥٩

المعـنى :

ورد فى تحريم الغلول وتغليظ العقوبة عليه أحاديث كثيرة ، ونقل الامام النووى الاجماع على أنه من الكبائر ، وقد صرح القرآن والسنة بأن الغال يأتى يوم القيامة والشىء الذى غله فضيحة له على رءوس الأشهاد يوم القيامة ، سواء كان هذا المغلول حيوانا أو إنسانا أو ثيابا أو ذهبا أو فضة أو أى مال قل أو كثر .

وهذا الحديث وجميع أحاديث هذا الباب تفسير لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ آل عمران ١٦١ .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ آل عمران ٣٠ .

وقوله تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ الكهف ٤٩

وقوله صلى الله عليه وسلم : « كلا إنى رأيته فى النار » زجر ورد لقولهم فى هذا الرجل : « إنه شهيد أى محكوم له بالجنة أول وهلة .. بل هو فى النار بسبب غلوله وأخذه البردة أو العباية خفية قبل قسمة الغنيمة ، ولا يحكم بالجنة إلا للمؤمنين المخلصين فى إيمانهم .

وفى هذا الحديث :

ردع لمن يتسرع بالحكم بالجنة ، لأنها غيب لا يعلمه إلا الله ورسوله .

وفيه أن المؤمن الصادق يكون دائما بين الرجاء والخوف يدعو ربه خوفا وطمعا . ﴿ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ . إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ المعارج ٢٧ ، ٢٨

وفيه أن هذا الوعيد كما يلحق الغالين الخائنين يلحق بطريق الأولى كل الظلمة من الولاة والأمراء وكل من ولى أمرا من أمور الناس ، لأنه إذا لحق الوعيد الغال مع أن له شركة فى الغنيمة فالغاصب والسارق والمختلس والمرتشى والمقامر والمرابى وكل من يحصل على مال ليس له كل هؤلاء ليس لهم شركة فيما أخذوه فأولى أن ينالهم ما لحق الغال من العقوبة والفضيحة يوم القيامة ، لأن الخيانة ضد الأمانة وانما سميت خيانة ، لأنه فعل فعلا فى سر ومكر وفى ذلك الفعل نبذ للأمانة ، وإنما صارت أمانة بقبولها علنا فيمسكها فى المأمن والمأمن القلب فإذا نبذها فقد بطل القبول والظلم خيانة لأنه دنس الأمانة بدنس الغدر والمكر ، ونقض العهد خيانة ، لانه نبذ للأمانة و « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » وكل معصية خيانة ، لأن كل طاعة أمانة .

والشهيد هو الذى شهد المكان وحضره ولذلك صار فى مكان الرسول صلى الله عليه وسلم ـ لأنه شاهد بقلبه أمر الملكوت وشهد بقلبه صلى الله عليه وسلم ـ موضع الوحى من العرش ، وشهد على الأمة بالقبول يوم القيامة ، والشهيد أشهد جميع جوارحه ما نطق به لسانه أى أحضرهم كأنه حين نطق إنما نطق عن جميع الجوارح .

والشهيد فى سبيل الله روحه شاهد عند الله محل الرزق فهو مرزوق عنده من الجنة ، ولأنه تجرع مرارة الموت حبا لله ، لأنه تمنى الموت لحب

لقاء الله وللشوق إليه بذل نفسه لله حتى قتل ولم يبذل نفسه للقتل الا للشوق إليه ولو ساعة من نهار فى وقت المحاربة : فمنهم من يظهر هذا الشوق عليه أيام حياته كلها لعظيم ما انشرح به قلبه من معرفة الله ، ولما امتلأ قلبه من حب الله فهذا ولى لله مشتاق إليه باذل نفسه للموت قبل مجيئه ، ومنهم من لا يظهر الشوق عليه إلا عند الحرب فيظهر الحمية لله ويبذل نفسه من أجله للحرب وتهون عليه الميتة فحارب حتى قتل .

لهذا كله كان ليس من السهل إلقاء الحكم بلا روية على أن الغال الذى قتل فى الحرب فى خيبر من أهل الجنة مما اضطر النبى صلى الله عليه وسلم أن يكشف عن غيب لم يحن بعد كشفه منه صلى الله عليه وسلم على المؤمنين رأفة بهم أن يقعوا فى الكذب على الله فى مواطن الشهادة ، أو يتهاونوا فى قليل اخذوه من متاع الدنيا بغير وجه شرعى .

وتختم بقوله تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أحمد حسن جابر رجب

أول بيت وضع للناس - بقية

النبوة والعلم وآتاهم ملكا عظيما وإذا كان حسدكم لمحمد لكثرة ماابيح له من الزوجات فلم لم تحسدوا داود وسليمان وقد كان لداود مائة زوجة ولسليمان ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية .

من جنس هؤلاء الحاسدين وابائهم من اليهود .

١ - من آمن بما أوتى إبراهيم وآله من الكتاب والحكمة والملك .

٢ - ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود .

١ - من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - ومنهم من انكر نبوته .

او من آل إبراهيم .

١ - من آمن بابراهيم .

٢ - ومنهم من كفر كدأب امم الانبياء فيما سبق .

فلا تتعجب يامحمد مما عليه قومك فهكذا كانت أمم الأنبياء من قبل وفى ذلك تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم .

(وَكَفَى بِجَهَنَّم) فى عذاب هؤلاء الكفار المتقدمين والمتاخرين (سعيرا) ووقودا بل هم والحجارة وقود جهنم التى أعدت للكافرين

من نفحات

السنة المباركة

حاجة الناس إلى التعاون

عن ابى موسى رضى الله عنهُ عن النبى صَلى الله علَيه وسلمَ قال « إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك أصابعه »: رواه البخارى

وعن انس رَضى الله عنهُ أن النبى صَلى الله عليه وسلمَ قال :« الخلق كلهم عيال الله فاحب خلقه إليه أنفعهم لعياله » رواه الطبرانى والبزار

ومعنى عيال الله اى أن الخلق كلهم فقراء الى الله تعالى وهو يعولهم :

يسير الناس فى هذه الحياة منذ بدء الخليقة وراء حاجاتهم الشخصية المتعددة وتحت تاثير ميولهم الغريزية المختلفة .

وقد قضت الفطرة الا ينهض الفرد وحده بشأن نفسه . فهو مدنى بطبعه محتاج الى معاونة بنى جنسه فى إدراك مآربه وتكميل أسباب حياته مما تقصر عنه يده ولا تتسع له مداركه ولا تحتمله قواه فأمرت الشريعة الاسلامية بالتعاون فقال تعالى :« وَتَعَاوَنُوا عَلَىَ الْبرِّ والتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىَ ألإِثْمِ وَألعُدْوَان» : المائدة

وذلك لأن التعاون من أكبر الدعائم القوية فى بناء المجتمع الصالح . وسبب من أسباب الفلاح . وثمرة من ثمرات المحبة والمودة بين الناس وصفة من أخص صفات المؤمنين . ومن هنا جعل صَلى الله عليه وسلم المؤمنين كالبنيان فى التماسك والترابط من أجل تعاونهم وسعى بعضهم فى مصالح بعضهم .

ومن أجل ذلك قال ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قضى لأخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له »: رواه ابو نعيم فى الحلية .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« من مشى مع اخيه فى حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين

للدكتور محمد محمود شعبان

النار سبعة خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض »: رواه أبو نعيم وابن أبى الدنيا .

وإذا بحثنا فى أسباب الرقى والتقدم للأمم والشعوب فإنا نجده فى التعاون فيما بينها . فما نالت أمة نصيبها من رغد العيش ولا فاز شعب بحظه فى التقدم والرقى إلا باتحاد أفراده واجتماع كلمته وتعاونهم فيما بينهم على ما ينفعهم وتضامنهم فى تنفيذ كل عمل يفيد وشعور كل فرد منهم بشعور الآخرين . ولذلك وجه الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أمته الى التعاون حتى ينهض المجتمع الاسلامى برسالته خير قيام .

فقال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » متفق عليه .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له سرورا دون الجنة » رواه الطبرانى .

ومن هنا أثنى الله تبارك وتعالى على الأنصار الذين آمنوا بالله ورسوله وفتحوا صدورهم وبيوتهم وجادوا بأموالهم لإخوانهم المهاجرين من أهل مكة وآثروهم على أنفسهم وتعاونوا معهم على بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى نصرة دين الله .

فقال تعالى فى حقهم :« وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» . الحشر ولهذا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الأنصار من الإيمان فقال صلى الله عليه وسلم :« حب الأنصار من الايمان » رواه البخارى .

وقال :« الناس دثار والانصار شعار » : البخارى :

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :« الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن احبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله »: رواه البخارى .

ويكفيهم فخرا ثناء الله تعالى عليهم وما أعده لهم فى الآخرة بقوله :« وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »: التوبة

لهذا ارتفعت راية الإسلام وعلت كلمة الله وعظم شأن الأمة المحمدية وصار قرنهم خير القرون وساد الأمن والأمان فكنت لا تجد محروما ولا جائعا ولا مظلوما ولا خائفا . بل أصبحوا سادة فتحوا البلاد ونشروا السلام ورفعوا لواء العدل والمساواة وأسقطوا صروح الظلم والطغيان

٩

والله يعلم إنهم ما نالوا ذلك بكثرة عدد ولا وفرة عُدد فقد كان أعداؤهم يفوقونهم فى ذلك أضعافا مضاعفة ولكنه الحب لله والاعتصام بحبل الله والتعاون على البر والتقوى كما وجههم القرآن الكريم بقوله « وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا »: آل عمران

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :« لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا » رواه البخارى .

وليس التعاون قاصرا على تقديم المساعدة للغير ولكن التعاون له صور كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم :« أنصر أخاك ظالما او مظلوما فقالوا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال :« أن تأخذوا على يديه » رواه البخارى .

فانظر حفظك الله كيف جعل الأخذ على يد الظالم نصرة له وإعانة على البر مع أنه فى الظاهر معابسة له وعداوة . وذلك لأن ظلمه إضرار بنفسه يعرضها للعقوبات الدينية والدنيوية ويشين سمعتها بين البرية ويدنسها بالعيش من الحرام واستمراء أكل الحقوق فمن المعونة له أن تحول بينه وبين ذلك الشر كله ليكون قويا فى نفسه قويا فى دينه مرضيا بين الناس فى حياته .

فمن أراد قتل إنسان مثلا أو إتلاف عضو من أعضائه فأرخيت له العنان وسكت عما يريد أن يقدم عليه فقد عرضته لاتلاف نفسه أو لما هو دون ذلك من عقوبات وربما كنت سببا قويا فى ترمل زوجته وتيتم ولده أو قطع رزقه إذا لم تحل بينه وبين ارتكاب تلك الجريمة

وهذا ينطبق على كل من رآه يرتشى أو يسرق أو يغصب أو يختلس أو يرتكب المعاصى والمحرمات فى بلاد الاسلام وبين المسلمين . فالمؤمن الحق هو الذى يتعاون مع إخوانه ويساعدهم على قضاء مصالحهم وردعهم عن ارتكاب المظالم سواء كان حاكما أو محكوما رجلا أو امرأة أميرا أو خفيرا

وليعلم كل مسلم بأن من تخاذل عن القيام بهذا الواجب أو تراخى فى معونة أخيه فليس من الله فى شىء .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس إليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال » رواه الطبرانى .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أحب الناس اليه ؟

قال :« أنفع الناس للناس » قيل يا رسول الله : فأى الأعمال أفضل :

قال « إدخال السرور على المؤمن » قيل وما سرور المؤمن قال « اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه .. ومن مشى مع أخيه فى حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ، ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام . ومن كف غضبه ستر الله عورته وإن الخلق السىء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » رواه الطبرانى وأبو منصور الديلمى .

● وفى هذا المعنى يقول صلى الله عليه وسلم :(١)

ومن التعاون على البر والتقوى أن تمشى مع

١ - من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة. واحدة منها فيها صلاح امرة كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة : البخارى فى التاريخ . والبيهقى

المظلوم حتى تزيل ظلامته وتثبت له حقه إن وجدت السبيل الى ذلك .

وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :« من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط »« يوم تزل الأقدام » الطبرانى.

ولذلك جعل الله تعالى خلقا من خلقه يفزع اليهم الناس لقضاء مصالحهم وهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة .

قال صلى الله عليه وسلم :« إن لله خلقا خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس اليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله » رواه الطبرانى .

وإن الله تعالى يحسن الى قوم من عباده فيفيض عليهم كثيرا من نعمه لأنهم يكونون فى حوائج الناس ومصالحهم فإذا تنكبوا عن ذلك الطريق القويم واعتزوا بما عندهم من النعم وانصرفوا عن حوائج المسلمين سلبهم الله تلك النعم لانهم لم يقوموا بحفظها وحقها ولم يؤدوا واجبها .

ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله عند قوم نعما أقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين ما لم يملوهم فإذا ملوهم نقلها الى غيرهم » رواه ابن أبى الدنيا . والبيهقى .

ومن صور التعاون أن تحمى المسلم من المنافق وأن تذب عنه غيبة الفاسق فذلك من صميم الإيمان .

روى معاذ الجهنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من حمى مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمى لحمه من نار جهنم » أبو داود

والاسلام يحرم خذلان المسلم فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه عرضه قال صلى الله عليه وسلم « ما من امرىء يخذل امرأ مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته . وما من امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موضع يحب فيه نصرته »: رواه أحمد

ومن صور التعاون ما يكون بعمل الجمعيات وإنشاء الشركات وما يكون بالسعى فى إيجاد عمل للعاطلين أو تجهيز جيش المسلمين واستمع فى هذا الغرض الى قول النبى صلى الله عليه وسلم « من جهز غازيا فى سبيل الله : فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا » متفق عليه .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا الى بنى لحيان من هذيل فقال « لينبعث من كل رجلين احدهما والأجر بينهما » رواه مسلم .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن فتى من أسلم قال يا رسول الله انى أريد الغزو وليس معى ما أتجهز به ؟ قال : إئت فلانا قد كان تجهز فمرض فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول « أعطنى الذى تجهزت به ».

من نفحات السنة المباركة

فقال : يا فلانة أعط الذى تجهزت به ولا تحبسى منه شيئا فيبارك لنا فيه . رواه مسلم .

وليكن الغرض من إنشاء الجمعيات والشركات إنما هو نفع المسلمين جميعا دون غرض آخر من الشراء المحرم للتجارة فى قوت الشعب واحتكار ما يحتاجون اليه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« من احتكر الطعام على أمتى أربعين يوما وتصدق به لم يقبل منه » ابن عساكر

وليعلم الذين يخلقون الفوضى فى التوزيع والبيع والشراء وايجاد طبقة من الناس يرتفعون على أكتاف غيرهم من الضعفاء ويسلبون الناس أموالهم ويغشونهم فى معاملاتهم بأنهم من المفسدين فى الأرض لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من غشنا فليس منا »

وقد قال تعالى « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » المائدة

وليعتقد هؤلاء القوم بأن الإحسان الى الناس من أقوى الأسباب التى تجعلهم من الآمنين وفى مقدمة صفوف المسلمين المفلحين وتجعل الألسنة جميعا رطبة بالثناء عليهم والدعاء بالخير لهم لأن الله تعالى يحب المحسنين ويكره البخلاء والمتجبرين .

وليسمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق » رواه البخارى .

وقال تعالى :« إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا . الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ »: النساء

وليكن قدوته سيد خلق الله فى الجود والكرم والتعاون مع أصحابه فى كل أمورهم لا فرق عنده بين سيد وعبد ورجل وامرأة وكبير وصغير لأنه كما وصفه ربه عز وجل بالمؤمنين رءوف رحيم . وكذلك صحابته رضوان الله عليهم أجمعين .

محمد محمود شعبان

---

١ ـ رواه ابن عساكر عن معاذ

٢ ـ رواه الترمذى عن ابى هريرة

مشكلة الإدمان

بين الطب والدين

للدكتور السيد الجميلى

الناس أخياف مختلفون . فى اختلافهم حكمة ورحمة وفى اجتماعهم قوة وعزة ومنعة وأن يجمعهم الإسلام على اختلاف غرائزهم وتباين طبائعهم ـ على جادة مستقيمة واحدة لَدليلٌ قويٌّ على عظمة الإسلام .

والدليل القاطع على عظمة الدين الاسلامى إنما هو شموخه وصموده حيال أعدائه ، المبغضين الكاشحين ، رغم تخلف المسلمين . فالإسلام قائم بقيومية القدرة التى أرادت له الظهور والانتشار غريبا بين أهله ، كما بدأ ، وكما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

والمصيبة التى جلت عن الوصف ، وأربت على البيان ، هى باقعة البواقع ونائبة النوائب التى انحدر إليها الشباب فى المجتمع المسلم هذه الأيام بالإقبال على المخدرات والمسكرات والإدمان على تعاطيها للهروب من واقع الحياة ، وحياة الواقع التى كان حريا به أن يتصدى لها ، ويواجه مشقاتها بجلد الشبيبة ، وجدة الشباب .

هذه الطريق الوعرة التى تنكبها شباب الإسلام تجعل القلب يتفطر حزنا وأسى ولوعة ، لأن طاقات حية يستنزفها الشيطان ، ويذهب بها بعيدا إلى غيابات الضلال والتحلل ، ويهوى بها إلى دركات الخسران .

قال تعالى : « وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ » الأعراف (١٥٧/٧) وكل خبيث عند العرب فهو (محرم) راجع غريب القرآن ص ١٧٣ وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (٢٩٩/٧) ومابعدها وإذ يقول القرطبى نقلا عن مذهب مالك رضى الله عنهما : ـ « إن الطيبات هى المحللات ، وبحسب هذا نقول فى الخبائث : إنها المحرمات ، ولذلك قال ابن عباس : الخبائث هى لحم الخنزير والربا وغيره » اهـ . بتصرف .

ومذهب الشافعى أن الطيبات من جهة

الطعم ، إلا أن اللفظة عنده ليست على عمومها .

وقد ذهب الطبرى (٥٧/٩) نفس مذهب القرطبى (٧/ ٣٠٠) فى تعريف الخبائث بأنها لحم الخنزير ، والربا ، وما كانوا يستحلونه من المحرمات التى حرمها الله .

والمخدرات ، والمسكرات التى يتعاطاها الشباب المغمور أُعتبرها انتحارا وقتلا للنفس ، وذبحا للعقل الذى كرَّمه الله سبحانه وتعالى ، وانعم على الإنسان به .

واهم هذه المخدرات مادة الأفيون ..... OPIUM .

والمادة الفعالة فيه Active subst-ance هى : -

١ - المورفين ويمثل ١٠٪ من الأفيون الخام Morphine (chief alkaloid) 10%

٢ - الكودايين ٥ و٪ من الأفيون الخام Codeine ,5%

٣ - البابافيرين ١٪ من الأفيون الخام Papaverine 1%

اما مادة الهيروين Heroin فهى تحضر من المورفين .

راجع كتاب Forensic Medicine and Toxicology By Y.A. SHERIF & and M.EL-BAHNASAWY. P.233, 1964

وأخطر ماق عوارض الإدمان هو أن يزج بالمدمن إلى اقتراف الجرائم ، وارتكاب المنكرات .

وفى كتابه القيم عن الطب الشرعى يقول الدكتور على عبدالنبى (Page 300) ماترجمته : - « وقد ثبت أن هناك حالات إدمان بالوراثة حيث يتأثر الجنين بإدمان أمه ، وهذه الحالة إسمها :Congenital Morphinism.

فإذا ماصار الوليد مدمنا بالوراثة فكيف يرجى منه خير ؟؟ إنها محنة ومدلهمة نسأل الله الإفاقة منها .

فإن المستقبل المشرق منوط بالعقل السليم ، والبدن الصحيح ، المستقيم ، ولايمكن للعقل المنهوك المعتل أن يرى الحياة أو يرى فى الحياة غير اليأس والقنوط والضياع والحرمان ، والحقد على الناجحين .

وإذا صار مطلوبا إزاء هذا الخطر الداهم تعديل قانون العقوبات بالتشديد على التجار والمهربين الذين يجرمون وينالون من وطنهم وأهليهم وأبناء بلدهم ، فإذا كان عقابهم بحسم وشدة أصبح أمرا لاخيار فيه ، ولاخلاف عليه ، إلا أننا يجب أن ننظر إلى المدمن نظرة أخرى عملية وهى علاجه من الإدمان وذلك لأن الدكتور على عبدالنبى أستاذ الطب الشرعى يراه مريضا يقتضى العلاج حيث يقول ماترجمته :

«والمدمن شخص مريض ، يجب إيداعه المستشفى ولايجب أن يعامل كمجرم » .
ثم يضيف : ـ « وإدمان الأفيون والمورفين صعب للغاية أن يعالج ، فهو يحتاج إلى اهتمام طبى مستمر ، وتمريض وعناية يستمران لعدة شهور فى مستشفى خاص أو معهد أو ساناتوريوم » أهـــ .

فإذا كان المدمن مريضا ، فإن علاجه غير متعذر ، وهو وقف على اقتناعه ، ومعاونته واستعداده للتجاوب والتفاعل مع الأطباء المعالجين ومع المرضين .

وإنى لأرى التاجر المحترف هو المجرم الحقيقى الذى لايعفى من العقوبة للخطأ المقصود ،وإصراره عليه ، فإن أخطر أنواع المجرمين هو ذلك المجرم الذى لا يبالى أن يراه الناس مجرما .

فى هذه الأيام ، نحن محتاجون إلى شباب قوى ، وسواعد متينة ، وافهام صحيحة ، لحماية الوطن وحمل المسئولية وما اكثرها ولايخامرنى شك أن أعداء الإسلام هم المسئولون عن تدمير شبابنا ، وإحراقه فى

أتون هذه النار الملتهبة التى تاكل اليابس والأخضر ، ولكن المعافى غير مخدوع فإن الله سبحانه وتعالى معنا نسأله أن يرد غيظهم إلى صدورهم ، ونعوذ به من شرورهم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

د.السيد الجميلى

أباطيل مؤلف
"قبل السقوط"

من اخطر الأمور التى تمس قدر الكاتب ، وتنال من منزلته فى نظر القراء ، أن يتجاسر على اقتحام امر ليس له علم به ، أو يدس قلمه فى موضوع لم يتخصص فيه ، ولم يعرف من جوانبه إلا النذر اليسير ، وقدر كبير من احترام الانسان لنفسه ، يكمن فى احترامه لما تخصص فيه ، ورحم الله رجلا عرف قدر نفسه ، والتزم حدود معرفته ، اما ذلك الذى يصور له خياله انه عبقرى زمانه ، وفيلسوف عصره واوانه ، ثم يتمادى به الخيال فيعتقد انه قد أصبح مجمعا علميا متنقلا فى شتى جوانب العلوم والمعارف ، فى العلوم والآداب والفتاوى والتشريع والأحكام ، فذلك هو المسلك الذى يكشف عن غرور صاحبه ، ويفصح عن إستهتاره بمعايير التخصص العلمى التى تمثل الفيصل عند إحتدام النقاش وتعارض الآراء ، وهذا وحده كاف لعدم الاطمئنان له ، او الأخذ عنه او التصديق لما يقوله .

الزراعة والفقه والتشريع :

ولو أن كاتب السقوط أدرك هذا المعنى لوفر على نفسه الجهد الذى بذله فى كتابه ، وأراح الناس من همومه ، فقد كان الأولى به وهو المتخصص فى علوم الزراعة والحشرات والمبيدات ، أن يركز اهتمامه على مجال علمه ، ليتمكن من خلاله أن يخدم أمنا العزيزة مصر ، التى كثيرا ما تغنى بحبها فى ثنايا كتابه ، فمصر التى دفعه حبها الى كتابة السقوط ، فى مسيس "حاجة الى علم أمثال الرجل فى الزراعة والرى ، لانها بلد زراعى نسعى جميعا لتنمية موارده ، كل فى مجال عمله وعلمه ، وقد بذلت مصر من مالها وطاقتها فى تخريج الرجل وتعليمه القدر الكثير ، وأقل واجبات الحب الذى يشدو به

للدكتور عبدالله مبروك النجار

لمصر ، أن يؤدى ضريبة الوفاء مما تعلمه ، وليس من مقتضيات هذا الحب أن يترك الجندى ميدان خدمته وعلمه ، الى ميدان آخر لن يثمر فيه ، فحاجتها اليه (دكتور) زراعيا أشد منها فيلسوفا اسلاميا أو فقيها شرعيا ، أو مفكرا دينيا ، وكم فى مصر من المجالات الحيوية التى يمكن أن يعبر فيها بقلمه عن شعوره الوطنى ، كالتنمية الزراعية والثروة الحيوانية وغيرهما ، وفى اعتقادى أن ذلك هو المدخل الصحيح لحب الوطن ، اللهم إلا إذا كان يعتبر أن الفكر الاسلامى مهنة يمكن أن تهوى وتحترف .

ميدان لم يؤهل له :

كان لابد من تقرير ذلك ، ونحن نستشعر مقدار الحرج الذى وضع الرجل فيه نفسه ، حين اقحم قلمه فى مجال جديد عليه ، وموضوع ليس له باع فيه ، فلم يتحصن بالعلم ، بل ولم يتسلح بأبسط المبادىء التى تساعد عقله على فهم الأمور من وجهها الصحيح ، فدخل معركة بغير سلاح ، واقتحم ميدانا لم يؤهل له ، ورغم تفانيه فى تزويق أسلوبه بالمألوف من العبارات وغير المألوف منها ، على نحو ما ورد فى كتابه ، من الفاظ : التسطيح والتمويه ، والتسربل ، إلا أن الكتاب قد تمخض فى جملته عن مجموعة أفكار مشوهة ، خاطئة ، متناقضة ، يناطح بعضها بعضا ، وهى بالطبع لم تستق من مصدر يمكن الاستناد إليه ، ولم تؤخذ من أصل يوحى بالاطمئنان له ، بل جاءت تعبيرا ذاتيا عن فكر صاحبها ، فكشفت فيه عن فهم متواضع ، وعلم محدود ، وقصد الله به أعلم .

ظن فى غير محله :

وكنا نظن بعد (الزياط) الذى أحدثته احدى المجلات الأسبوعية ، التى تخاطب القلوب الشابة ، والعقول المتفتحة ، حول الكتاب والكاتب ، حين جعلت من الأخير إسلاميا[١] ، اقول : كنا نظن بعد تلك الضجة المفتعلة حول الرجل ونتاجه ، أنه قد قدم شيئا يمكن الانتفاع به ، أو أسدى للعلم جديدا يرقى لمناقشته فيه ، ولم اكد اتصفح الكتاب حتى تبدد ذلك الظن ، وظهر جليا أن الرجل لم يكن يفكر فيما خطر لى

---

(١) ليس هذا أول ولا آخر « المفكرين الإسلاميين » الذين تقدمهم تلك المجلة : فإنه يمكن لأى إنسان يكتب ضد الشريعة الإسلامية ان يحظى منها بلقب « مفكر إسلامى » كما حظى ايضا بعدة صفحات لنفثاته .... مجلة الأزهر

من ظن ، بل كان يفكر فى أمر آخر بعيد عن العلم ، بمقدار بعده عن الصواب .

مقاصد كاتب السقوط :

وكاتب السقوط رجل عاقل ، مؤمن بأن العقل كما يقول : لم يخلق للإمتهان ، ولكل عاقل قصد من فعله ، وقد أفصح الرجل عن قصده من خلال ما كتب ، وظهر واضحا أنه إنما يستهدف تشويه صورة الاسلام ، وتاريخه ، ورجاله ، بدءا من الخلفاء الراشدين إلى عصرنا الحاضر ، ليصل من خلال ذلك الى هدف محدد أقسم أن يستميت فى سبيله[١] ، وهو منع تطبيق الشريعة الاسلامية فى مصر ، فالرجل يريد أن يعزل الاسلام عن الدنيا ، وينأى به عن تنظيم الروابط الفردية والعلاقات الدولية ، ليكون مجرد أمر روحى يقتصر نطاقه على المسجد ولا يتعداه الى خارجه ، وهو لا يريد لمصر أن تكون مسلمة بل يريد أن تكون فرعونية ، ظنا منه أن الاسلام وشريعته سينالان من حقوق الأقباط فى مصر ، ونعى على التاريخ الاسلامى بما يشوه عصر الخلفاء الراشدين والسلف الصالح ، ولم ينس أن يشوه صورة علماء الاسلام ويرميهم بالجمود والتخلف كما لم ينس رجال الدعوة الاسلامية فوصفهم بالساسة المتسربلين بالدين ، والحالمين بمقعد السلطان ، والمختلفين فى الآراء الى حد التقاتل .

كان ما سبق تلخيصا موجزا لأهم المسائل التى ركز عليها المؤلف فى كتابه بناء على قصد مبيت منه للهجوم على الاسلام ، وتشويه تاريخه ، والطعن على رجاله ، لينتهى من خلال هذا المسلك الى الافصاح عن رأيه فى عدم صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق لأنها فى نظره لاتصلح منهاجا للحياة ، حيث ستكون كمايزعم فى كتابه : « مدخلا مباشرا للفتنة الطائفية بل ربما تمزيق الوطن الواحد »[٢] ، وقد سخر كل ما أملاه عليه خياله فى الكتاب الى ذلك الهدف المقصود بالنسبة له ، فتاريخ الاسلام عنده كله قتل واغتيال وعنف ، والدعوة إليه هدفها الوصول الى الحكم ، والخلاف فى الرأى عند الفقهاء يجر الى التصارع والتقاتل ، الى غير ذلك من الترهات التى بثها على صفحات كتابه ، والتى هى أوهى من أن يرد عليها ، وتعلن بنفسها عن خطأ صاحبها ، والتى ما جره إليها غير شيئين ، هما : الفهم المشوه لحقائق التشريع الاسلامى ، والموقف الذى ترسب فى أعماقه عليه ، وذلك من جراء العكوف على مواطن الفكر المشبوه .

ليس هذا من مسلك العلماء :

والكاتب وهو يبث أفكاره هذه على صفحات كتابه ، سلك مسلكا يدل على أنه حديث عهد بالقلم ، فهو مفتون بنفسه ، معجب بفكره ، تراه يطلق العبارة بطريقة لا تقبل شكا عنده ، كأنه قد قرأها من اللوح المحفوظ ، أو كأن الله قد أوقفه

---

(١) قبل السقوط ـ لفرج فوده ـ ص ٨٥ وما بعدها .

(٢) المرجع والمكان السابقين .

على علم ما فى الكتاب ، وبأسلوب يظنه فوق المناقشة ، وهذا وهم كبير ، لا يهمه أن يتعارض مع الحقائق الثابتة ، أو العقول المتزنة ، فالرجل لا يعنيه شيء من ذلك ، وكل ما يعنيه أن يقول ما يريده حتى ولو كان ظاهر البطلان ، وبالطريقة التى تعجبه ، حتى ولو طعن بها مشاعر الملايين المسلمة ، ومزق قيما بنص الدستور على حمايتها ، ويمنع القانون العابثين من التطاول عليها ، إنها الجرأة التى فاقت كل تصور ! ! .

والمعهود عن العلماء ، أصحاب الفكر السوى والعقول الكبيرة ، أنهم على جلال قدرهم ووفرة علمهم ، لا ينظرون الى الأمور نظرة المغرور المفتون ، ولا يعتبرونها قضايا مسلمة ، أو رأيا مقطوعا به ، أو قولا لا يقبل الشك ، لأنهم علماء مؤمنون باختلاف الرأى فيما للرأى فيه مجال ، فاختلاف الأفهام أمر وارد مشاهد ، يؤيده الواقع ، ويقره الشارع ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ، وأن كل واحد يؤخذ من كلامه ويرد ، الا الصادق المصدوق ﷺ ، ومن ثم كان الخلاف فى الفهم الذى هو أساس اختلاف الرأى أمر واردا ، ولهذا كان المشهور من أخلاق العلماء ، والمأثور عن سلوكهم ، أن الواحد منهم يعتبر رأيه صوابا يقبل الخطأ ، ورأى غيره خطأ يقبل الصواب ، ولو كان الرجل كذلك لا لتمسنا له عذرا ، ولقلنا : إنه إن لم يكن عالما فهو فى طريقه لأن يتعلم ، ولكنه ليس كذلك ، إنه من طراز آخر غيرهم ، كلامه مسلم به ، وفكره مقدس عنده ، وقف عند رأيه وانتهى ، ومن هنا كان حريصا فى كثير من فقرات كتابه على التعبير عن هذا المسلك غير السوى ، بعبارات تدل عليه ، من ذلك مثلا كلمة : « لاشك فى ، أولا أشك فى » [1] أو قوله مثلا : « أنت لاتشك معى فى هذا » [2] ، « فأنت لا تستطيع أن تنكر » [3] « أنت تتفق معى على » [4] « وأنت لا تستطيع أن تختلف معى » [5] ، فهو يعتبر كلامه تنزيلا ، ورأيه فوق المناقشة ، وهل مثل صاحب هذا المسلك يبتغى وجه الحق والحقيقة ؟ ، أعتقد أن هذا ليس من منهج العلماء ولا من أسلوب المفكرين .

ثم إن أمره لعجيب ، إنه لا يخلو من مغالطة ، حين يقصد الى إيهام القارىء بأن ما انتهى إليه ، لا يعد نزوق فكر أو طيش قلم أو شذوذ رأى ، بل يحاول أن يصور الأمر على أنه محل اتفاق عام من جميع الناس ، من ذلك مثلا قوله فى كتابه : « أيها السادة .. دعوا المغالطة ، فقضية الحكم الدينى ليست قضية أغلبية وأقلية بل هى قضية اتفاق عام » [6] ، ولست أدرى من الذى يجب عليه أن يدع المغالطة ؟ ، وإلا فكيف استطاع ذلك الرجل أن يتصور مثل هذا الاتفاق العام المزعوم على ما يقوله ، بعد أن عبرت كل طوائف الشعب عن رغبتها المخلصة فى الاحتكام الى شرع الله ، وذلك فى أكثر من استطلاع للرأى ، واستفتاء عام رسميين محايدين ، إلا إذا كان الرجل يعتبر نفسه هو كل الناس ، وهذا ليس معقولا ، أو وصيا عليهم وهذا ليس ممكنا .

◄

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦ ، ٤٥ .

(٢) ، (٣) ، (٤) ـ نفس المرجع ـ ص ٤٤ .

(٥) ـ نفس المرجع ـ ص ٤٥ .

(٦) المرجع السابق ص ٨٥ .

أباطيل مؤلف قبل السقوط

ذكريات الدعوة فى مهدها :

ثم ان أمره مع المغالطة ، لا يخلو من تناقض واضح ، وتضارب ملحوظ ، فهو فى الوقت الذى يرفع فيه شعار « إقصاء الاسلام عن سلوك الحياة » ، ومنع تطبيق شرع الله وحصره فى المسجد ، ينعت الدعوة إليه والاقتناع به بالرجعية والجمود والتخلف ، فإذا ما سألته عن البديل للأسلام الذى استقر فى كيان مصر وضميرها ووجودها وتاريخها عقيدة ، وشريعة ، وسلوكا ومنهاج حياة ، أجابك بأن البديل هو القومية المصرية الفرعونية ، فالدعوة الى القومية المصرية الفرعونية ليست رجعية ، وإنما هى حداثة ومعاصرة ، والدعوة الى المصرية الاسلامية الرائدة ، فى معياره رجعية وتخلف ، وهذا تناقض واضح .

وهو فى الوقت الذى يرفع فيه شعار « إقصاء الشريعة عن حياة الناس » ، يعلل ذلك ، بأن البديل لن يكون مقبولا من المسلمين المستنيرين ، أو المتنورين على حد تعبيره فى كتابه [1] ، فالمسألة عنده تقدم ومعاصرة وتنور ، وقد غاب عن ذهنه انه وهو يتاكف بآرائه ، ويتطاول بأقواله على الاسلام قد جسد أمامنا وفى شخصه تاريخا رجعيا قديما يبعده عن مجال الاستنارة والمعاصرة ، ويجعل فكره أسير فترة زمنية بالية معروفة لكل المسلمين ، تلك الفترة التى عاصرت بداية الدعوة الاسلامية فى مهدها ، حين تجمع المشركون بقيادة أبى جهل للنظر فى مواجهة الدعوة الفتية الناشئة لأنهم قد استشعروا فيها خطرا على مراكزهم ، ومن ثم لم ينظروا الى الإسلام كدين يدعو الى الحق والعدل والخير والفضيلة والمساواة والرقى والتقدم ، ويفتح أمام الإنسان كل أسباب التكريم ، وأبواب الأمل والنصر والعزة ، لأن كل هذه المعانى لا تعنيهم إلا بقدر ما سينالهم من عائد ، ومن ثم ربطوا بين العقيدة ، ومظاهر الحياة ومادياتها وجعلوا تحصيل الثانية مدخلا لقبول الأولى ، وما هكذا يكون الايمان !

وأنت حين تتأمل ما أثاروه من آراء فى مواجهة النبى ﷺ ودعوته ، تجد أن منه فى فكر السقوط الشىء الكثير ، قالوا للداعية الأعظم ﷺ : إنك تريد زعامة ، فإن كان الأمر كذلك نصبناك علينا ، وهذا نفسه هو ما يصف الرجل به الدعاة ، فهم عنده مسيسون ، متسربلون بالدين يحلمون بالسلطة والزعامة [2] ، وقالوا : إنه يفرق بدعوته الأهل ويمزق وحدة المجتمع ، ويبعد الولد عن أبيه ، والمرء عن زوجه ، وكاتب السقوط يقول إن الاسلام سيجعل من مصر لبنانا آخر ، وسيفرق بين المسلمين وغيرهم ، وقالوا كما حكى القرآن الكريم : « **وَقَالُواْ لَن نُّؤمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرضِ يَنبُوعاً ، أَوتَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنهَرَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً** » ، إلى أن قالوا كما حكى الله عنهم : « **أَويَكُونَ لَكَ بَيتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوتَرقَى فِى السَّمَاءِ وَلَن نُّؤمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَينَا**

---

(١) نفس المرجع ـ والمكان السابقين .

(٢) المرجع السابق ـ الغلاف الآخير .

كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا » [1] .

والرجل يقول للدعاة الى تطبيق شرع الله : لن نقبل حتى تقدموا لنا برامج للاقتصاد والاسكان ، وحل المشاكل ، اليس هذا بروحه ومعناه ، هو نفس ما خطر للمشركين من مزاعم فى مستهل الدعوة الاسلامية ، لقد نسى الرجل انه « وهو مسلم يشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمدا رسول الله » بعد مرور تلك القرون الطويلة إذ به يفكر تفكيرا أحيا به فى الأذهان ذكرى أبى لهب ، وابنى ربيعة ، والحكم بن هشام والعاص بن وائل وغيرهم ممن وقفوا فى سبيل الدعوة ، وربطوا بين العقيدة والمنفعة ، وأرادوا الدنيا على حساب الدين ، فجاء فهمهم بعيدا عن الاسلام ، لأنه لا يخاطب فى الانسان بطنه ، وانما يخاطب فيه روحه وقلبه وعقله ، وهو لايريده ماديا خالصا ، وإنما يوازن فيه بين الروح والمادة ، بما يحقق سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، من خلال منهاج يحفظ الحق ويصون الكرامة .

نور الاسلام وشموخه :

وللقارىء أن يتساءل بعد ذلك عن ما انتهت إليه كل تلك المحاولات ؟

إنها لم تستطع أن تعطل مسيرة الاسلام قيد أنملة ، بل مضت دعوته فى طريقها ، وانتشر نوره بمشيئة الله القائل : « وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » [2] .

إن الإسلام الذى استقر فى وجدان المسلمين بكل حقائقه وكامل أحكامه ، لن تنال منه ذبابة ، فهو شمس الوجود .

لقد تبخرت مزاعم الأولين ، وظل الإسلام على قوته وشموخه ، وستنتهى أوهام الآخرين ويظل نوره هاديا للحيارى ، ومنارة للتائهين .

فى المقال القادم بإذن الله .

والله الموفق والمعين : : :

يتبع :

دكتور

عبد الله مبروك النجار

(١) سورة الاسراء ـ آيات : ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ .

(٢) سورة التوبة ـ آية ـ ٣٢ .

الاسلام .. والمسلمون في الصين

٤

الخروج من الجحيم !!

للدكتور عبد الودود شلبي

في بداية الستينيات .. هبت النار في كل أنحاء الصين فلم تدع قديما ، ولا جديدا الا أحرقته . ولم تترك وراءها سوى الحرائق التى اكتوى بلهبها كل إنسان كريم حر .

إنها . « الثورة الثقافية » التى استهدفت تغيير وجه الصين وتاريخه ، والتى كانت أعصارا اقتلع كل شىء في طريقه من الدين .. إلى الأدب .. إلى الثقافة .. إلى الانسان نفسه حيث أصبح هذا الانسان في مفهوم هذه « الثورة » شيئا كغيره من الأشياء التى لم يعد لها ثمن عند جحافل الشباب من الحرس الأحمر .

ولم نجد وصفا لما حدث في هذه الفترة .. أشمل مما كتبه مؤلف « الاسلام في الصين »[1] لما اتسمت به كتابته من التفصيل والدقة ، وبخاصة فيما يتعلق بالاسلام والمسلمين إبان هذه الثورة .

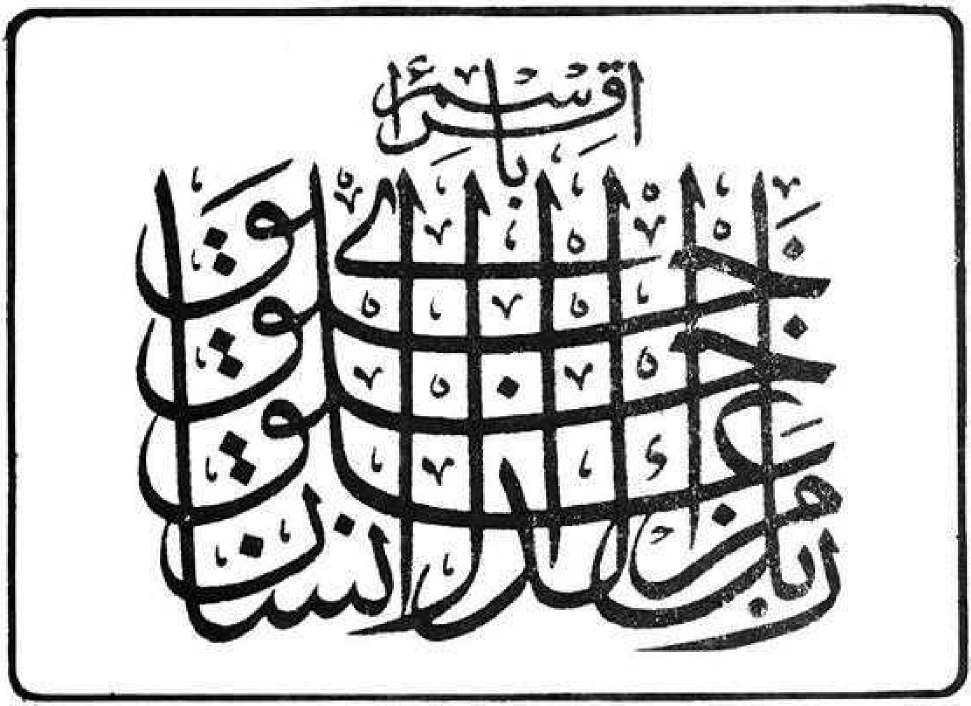
ولسنا هنا في مجال تحليل الدوافع التى حدت بالرئيس « ماو » إلى تفجير هذا الزلزال الذى قلب الصين رأسا على عقب طوال عشر سنوات ، ولا ما أسفرت عنه هذه الثورة من نتائج .

فتلك كلها مسائل ما زالت مثار جدل ، فضلا عن صعوبة تحرى الحقيقة سواء فيما يطرح من أسباب أو فيما يرصد من نتائج .

وفي مناخ كالذى تعيشه الصين منذ عام ٧٨ ،

---

(١) « الاسلام في الصين » ص ١٤٤ ومابعدها . من سلسلة « عالم المعرفة » التى تصدر في الكويت ـ تاليف فهمى هويدى



فإن الجو كله معبأ ضد الثورة الثقافية ولا محل لمناقشة موضوعية هذه القضية .

ولكن الذى يعنينا فى هذا المقال هو تأثيرات هذه الثورة على مسيرة الإسلام والمسلمين فى الصين ، وهو جانب يمكن الخوض فيه بلا محاذير ، لان عناصره سلبية على طول الخط ، وأى استطراد أو تفصيل فى شرور عصابة الأربعة ، هو مقبول بل مطلوب ، لأنه ينسجم مع « الخط » المرسوم .

... تريد أن تعرف ماذا فعلت بنا عصابة الأربعة ـ سألنى الحاج إلياس شين نائب رئيس الجمعية الاسلامية ـ هذه مسألة يطول شرحها ، بل يتعذر الالمام بها ، لانهم خربوا كل شىء .. فى بلادنا .

* سمعت ان رئيس الجمعيه ، (الحاج محمد على تشانغ[1] ، تعرض للضرب من قبل شباب الحرس الأحمر .

* الملاعين ، لم يتركوا واحدا منا الا واهانوه . لقد كان الأذى الذى تعرض له الحاج محمد على محدودا من الناحيه المادية ، وهو فادح وكبير إذا ما راعينا منصبه ، أما ما جرى معى فلا يمكن

◄

(١) زعيم مسلمى الصين .

الإسلام والمسلمون فى الصين

وصفه ، فقد كان من الناحيتين المادية والمعنوية شيئا فظيعا للغاية ، الحمد لله ، فقد ذهبوا وراحت أيامهم السوداء .

قالها الحاج إلياس بمرارة ، وعيناه زائغتان فى الفضاء ، تبحثان عن شىء أو تستعيدان شيئا .

وعلمت فيما بعد أن الرجل ضرب ضربا مبرحا فى « قانصو » ، حيث كان نائبا لرئيس الجمعية الاسلامية فى المقاطعة ، وواحدا من تسعة نواب للرئيس يباشرون نشاطات الجمعية فى مختلف أنحاء الصين .

كما علمت أن رجال الدين الذين كانوا متواجدين فى العاصمة لم ينلهم كأشخاص اذى بدنى كبير، بسبب وجود سفارات الدول الاسلامية فى بكين .

وحتى لا يطلع الأجانب على عمليات كهذه يقوم بها شباب الحرس الأحمر ولكن الذين كانوا فى الأقاليم لقوا الكثير من الإهانات ، فقد اعتقل كثيرون من رجال الدين ، مئات منهم اقتيدوا إلى السجون ، وعذبوا تعذيبا شديدا والذين لم يسجنوا ضربوا فى الشوارع ، أو اقتيدوا وسط تهليل الجماهير وسخريتهم ، وقد علقت على ظهورهم كلمات مثل الشياطين والأشباح والغيلان . ليس هذا فقط ولكن هؤلاء الشباب اقتحموا بيوتهم ، وأخذوا ما لقوه من مصاحف وكتب ، وأحرقوها علنا فى الشوارع ، على اعتبار أن هذه الكتب تروج للخرافات ،

وبسبب هذه الحرائق فقد المسلمون مئات من الكتب المخطوطة النادرة ، وهى خسارة فادحة لأن الأسر المسلمة ، ورجال الدين خاصة ، يحتفظون بعشرات المخطوطات المتوارثة منذ قرون مضت ، والتى كان يلجأ المسلمون الى كتابتها بخط اليد نظرا لتعذر طباعتها .

أهدر هذا الكنز الثمين من الكتب التراثية ، وتحول الى رماد داسته أقدام تلك الحملة المجنونة .

لقد ظلت أعداد كبيرة من رجال الدين حبيسة البيوت أشهراً طويلة ، خشية الخروج الى الشارع والتعرض للاهانة والسخرية ، ولكنهم لم يسلموا من ذلك المصير المؤلم ، فقد كانوا ينتزعونهم من منازلهم ، ويوجهون إليهم الشتائم والسباب وكلمات التجريح باعتبارهم رموزا للرجعية .

وامتدت الحملة الى المساجد ، التى أغلقت جميعها فى خارج بكين ، وهدم بعضها وحول البعض الآخر الى ورش ومخازن ومحال تجارية .

وتعرضت المقاطعات ذات الكثافة السكانية المسلمة الى قدر متزايد من هذه الاجراءات ، حدث ذلك فى مقاطعات « سينكيانج » و« قانصو » و« نينغشيا » بوجه أخص .

وقد أبقوا على مسجد واحد فى بكين (مسجد تونج سى بالو) ليصلى فيه الدبلوماسيون العرب فى الأعياد المناسبات .

وقد قال لى أحد هؤلاء الدبلوماسيين:إنه ذهب الى مسجد العاصمة لصلاة الجمعة فى ذلك الحين ، فلم يجد سوى خمسة أشخاص فقط : الامام ، ومساعده ، والمؤذن ، وخادمين .

وقال لى الحاج محمد على رئيس الجمعية الاسلامية ان من كان يريد أن يؤدى الصلاة العادية فى بيته آنذاك كان يتخفى فى ركن جانبى، ويؤدى الفريضة بينما هناك من يحرسه ليحذره من أى قادم يضبطه «متلبسا» بالوقوف بين يدى الله.

وكان طبيعيا أن يتعرض ما تبقى من أضرحة يقصدها المسلمون الى عمليات الهدم والإحراق، وسط تهليل وصيحات شباب الحرس وأشياعهم.

حدث ذلك بوجه خاص فى مقاطعتى «نينغشيا» و«جيلين».

وإلى جانب هذه الإجراءات، فقد اتخذت خطوات أخرى فى الاتجاه ذاته.

* ألغيت عطلة عيد الأضحى والفطر، «حتى لا يتعطل الإنتاج». وكانا من الأعياد المعترف بها، والتى يسمح للعاملين من المسلمين بالتغيب أثناءها وهما يومان فقط فى العام، كانا ثلاثة من قبل حيث اعتبرت ذكرى المولد النبوى عطلة للمسلمين، ولكن لاعتبارات «استمرار عملية الانتاج» حذفت عطلة المولد من الأعياد المعترف بها للمسلمين.

* اغلقت المطاعم الإسلامية، التى كانت تقدم وجبات للمسلمين خالية من شحم ولحم الخنزير.

* منع المسلمون فى مقاطعة «سينكيانج» من استخدام الحروف العربية فى الكتابة وأجبروا على استخدام الحروف الصينية، وهذه الحروف العربية يستخدمها المسلمون ذوو الأصول التركية، الذين يعرفون بقومية «الاويغور».

* منع المسلمون فى مناطق الكثافة السكانية الاسلامية من ارتداء ثيابهم القومية، وأجبروا على استخدام الثياب الرسمية الزرقاء اللون (الجاكت المغلق والبنطلون).

* جرت عمليات التضييق على المسلمين فى تقاليدهم وحياتهم الخاصة. فقد أعلن وقتئذ أن كل مسلم - مثلا - يموت يأخذ ١٥ قدما من القماش الأبيض للكفن وذلك بمقتضى كوبونات خاصة تعطى المسلمين هذا الحق فى حالات الوفاة مراعاة لتقاليدهم، ولكن قيادة الثورة الثقافية اعتبرت هذا الاستثناء عبئا اقتصاديا على الدولة، فضلا عن أنه «عادة رجعية» يجب التخلص منها. وفعلا أوقف صرف هذه الكوبونات للمسلمين.

وكان مما أثار انزعاج المسلمين أكثر وأكثر أن أصواتا دعت أثناء الثورة الثقافية الى إحراق جثث موتاهم أسوة بغيرهم من الصينيين، بحجة أن مقابر المسلمين تحتل مساحات من الأرض، مما يعوق فرص استثمار هذه الأراضى بصورة اقتصادية افضل، ويبدو أن رد فعل المسلمين كان عنيفا بدرجة أوقفت تنفيذ هذا الاقتراح.

وسمعت من شاهد عيان عاش تلك التجربة أن المسلمين ذهبوا بأنفسهم لحماية مقابر موتاهم، وكانوا مستعدين للصدام مع شباب الحرس الأحمر اذا اقتربوا منها.

وروى هذا الشاهد كيف ان المسلمين فى بكين ذهبوا لتطويق المقبرتين المخصصتين لهما فى أطراف العاصمة، فتجنب شباب الحرس الصدام معهم بينما هدموا مقابر المسيحيين، التى كانت بغير حراسة واستخدموا جرارات لتسوية الأرض وحرثها، بحجة تحويلها الى ارض زراعية لزيادة الانتاج.

وخلال هذه المرحلة ايضا تم تهجير بعض المسلمين من مراكز تجمعهم وتوزيعهم على

الاسلام والمسلمون فى الصين

مختلف المقاطعات ، واستقدام صينيين من قومية الهان» وزرعهم » وسط تجمعات المسلمين .

وقد تم ذلك كله وسط جو اعلامى شن حملة عنيفة على الأديان جميعا ، وكل (الغيبيات الموروثة عن عصور المجتمع القديم ، داعية الى القضاء على بورجوازية الفكر والتقاليد التى تقف حجر عثرة فى طريق التطبيق الاشتراكى) .

إلى آخر تلك الصياغات التى تهدم فى حقيقتها كل ما أعلنته الثورة فى عام ١٩٤٩ من شعارات وضمانات تحمى المتدينين وحرية الاعتقاد .

وكما كان للاسلام موقع متميز بين الأديان الأخرى منذ بداية الثورة ، فقد كان له نصيب متميز ـ بنفس القدر ـ من إجراءات القمع وعمليات التشهير والتجريح حتى أن الثورة الثقافية شكلت منذ بدايتها « مجموعة ثورية لمقاومة الاسلام » . تولت ترتيب وإصدار كل هذه الاجراءات ، وغيرها بطبيعة الحال(١) .

بهذه الصورة مرت على المسلمين سنوات الثورة الثقافية العشر من ٦٦ الى ٧٦ ـ التى أعادت الى أذهانهم ظلامات العهود الغابرة » وبددت كل ما تعلقوا به من أحلام وأوهام ، وأهدرت كل ما أنجزوه وبنوه منذ إعلان الجمهورية فى عام ١٩١١ ، وسدت طريق الأمل الذى انفتح أمامهم عشية « التحرير » فى عام ٤٩ ، وبدا المستقبل أمامهم قاتما وكئيبا ، لا يرون فى آفاقه سوى سحابات حزن لانهائى .(٢)

كانت الصورة التى تركتها هذه الثورة هى صورة « يأجوج ومأجوج » اللذين تحدث عنهما القرآن الكريم فى سورة « الكهف » لقد لطخا صورة الصين فى العالم بلون الدم ولعبت النبوءات القديمة دورها فى قرب نهاية العالم وقدوم « هولاكو » متأبطا ذراع « ماوتسى تونج » ليبيدا الأخضر واليابس من على وجه هذه الأرض .. وليثيرا الفزع والرعب فى قلب كل كائن حى .

ولكن هذه العاصفة قد ـ اكتسحت ـ فى النهاية مثيريها والنافخين فى أتونها .. فكما يخرج اللبن ـ من بين فرث ودم ـ خرجت الصين من بين وهدة النار لتتلمس طريقها الجديد الى الحرية والرخاء والتقدم ، ولتدفن ـ والى الأبد ـ أشباح هذه الهمجية وفى مقدمتهم عصابة الأربعة أو

« فور اف جانج FOUR OF GANG» .

***

كانت هذه الفترة ظاهرة وافدة على الصين وتاريخها فى السلام والأمن ،

وقد ذكر ابن بطوطة فى رحلته العجيبة الى الصين أنها ـ أى الصين ـ آمن البلاد وأحسنها حالا للمسافرين فان الانسان يسافر منفردا مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الأموال الطائلة فلا يخاف عليها وترتيب ذلك أن لهم فى كل منزل ببلادهم فندقا عليه حاكم يسكن به فى جماعة من الفرسان والرجال فإذا كان بعد المغرب أو العشاء الآخرة جاء الحاكم الى الفندق ومعه كاتبه فكتب أسماء جميع من يبيت به من المسافرين وختم عليها وأقفل باب الفندق عليهم فاذا كان بعد الصبح جاء ومعه كاتبه فدعا كل انسان

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٩ .

(٢) انتهى من كتاب « الاسلام فى الصين .

باسمه وكتب بها تفسيرا وبعث معهم من يوصلهم الى المنزل الثانى ويأتيه ببراءة من حاكمه أن الجميع قد وصلوا اليه وان لم يفعل طالبه بهم وهكذا العمل فى كل منزل ببلادهم من صين الصين الى خان بالق وفى هذه الفنادق جميع ما يحتاج اليه المسافر من الازواد وخصوصا الدجاج والأوز أما الغنم فهى قليلة عندهم(١) .

وقد خرج المسلمون من هذه المحنة أشد إيمانا وقوة فقد أعيد فتح المساجد بعد أن تم إصلاح ما خرب ، وعادت الدراسة الاسلامية الى المعاهد ، بعد أن خرجت الحرية من السجن ، وبعد أن لعلعت أصوات المؤذنين فى « بكين » و« شنغهاى » و« كانتون » و« كانصو » و« سنكيانج » .

لكن ماذا كان موقف هذه الثورة من المسيحية ؟

لقد قضينا فى الصين أكثر من خمسة عشر يوما لم تصادفنا فيها كنيسة واحدة ، ولم نسمع بالمسيحية - الا فى مدينة قريبة من « قوانجشو »عاصمة ولاية « كانتون » حيث قال محدثنا : إنه يوجد هنا فى هذه المدينة مسيحيون وكاثوليك .. فلما سألت مستفسرا عن الفرق كان جوابه : نحن نعتبر « الكاثوليك » ديانة مستقلة عن المسيحية ...!

للموضوع بقية

(١) نقلا عن رحلة ابن بطوطة .

طرائف

« رجـال »

رجال إن هموا ابتسموا لمرضى
لقيت من ابتسـامتهم طبيبـا
وإن نظروا إليك وأنت عاص
رجعت بمـدهم عبـدا منيبـا
وإن نظروا إليك وأنت عار
وجدت من التقى ثوبا قشيبا
هموا اتبعوا الشريعة فى خطاها
فالقوا ما تضيق به رحيبـا
فمـدوا ظلهـا شرقـا وغـربـا
وخاضوا الحجر واعتنقوا اللهيبا

« أحمـق النـاس وأعقلهم »

قال الإمام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - لعامر بن مرة الزهرى ، من أحمق الناس ؟ .

فقال : من ظن أنه أعقل الناس .

قال : صدقت .

ثم قال : من أعقل الناس ؟ .

فقال : من لم يتجاوز الصمت فى عقوبة الجهال .

« بم سوّدك قومك ؟ »

قال رجل للأحنف ، بم سَوَّدك قومك ، وما أنت بأشرفهم بيتا ، ولا أصبحهم وجها ، ولا أحسنهم خلقا ؟ .

قال : بخلاف ما فيك يا ابن أخى .

قال : وما ذاك ؟ .

قال : بتركى من أمرك ما لا يعننينى ، كما عناك من أمرى مالا يعنيك .

أبلغ تعزية

أصيب على بن أبى موسى بمصيبة ، فصار إليه الحسن بن سهل .

مواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

فقال : إنا لم نأتك معزين ، بل جئناك مقتدين . فالحمد لله الذى جعل حياتكم للناس رحمة ، ومصائبكم لهم قدوة .

« حقا »

يحب المرء أن يلقى مناه
ويأبى الله إلا ما يشاء

« النهى عن اتباع الهوى »

قال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - : أخاف عليكم اثنين : اتباع الهوى ، وطول الأمل

وقال الشعبى : إنما سمى الهوى هوى لأنه . يهوى بصاحبه .

وقال بعض الحكماء : من أطاع هواه ، أعطى عدوه مناه .

وقال غيره : العقل صديق مقطوع (أى مجهول) ، والهوى عدو متبوع .

وقال هشام بن عبد الملك - الخليفة الاموى

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى
إلى كل ما فيه عليك مقال

« دعاء »

اللهم رضنى بقضائك ، وبارك لى فيما قدر لى ، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :

مؤسسة الأهرام ــ شارع الجلاء ــ القاهرة

قيمة الاشتراك سنويا

ــ جمهورية مصر العربية

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

* اتحـــاد البريد العـــربى والافريقى

« بالبريد الجـــوى »

١٥ خمسة عشر دولارا أو ما يعادلها ٠

* باقى دول العالم ٣٠ ثلاثون دولارا أو يعادلها ٠

يكتب بالاشتراك مباشرة :

الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة ٠

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

تأملات في قانون الحياة

(٩)

الإعجاز العلمي

في القرآن الكريم

العمق الثامن للاعجاز العلمى فى القرآن الكريم :

يتصل هذا العمق بحقيقة أن القرآن الكريم أول كتاب يعلى من شان العلم والعلماء ، ويأمر بالاستزادة من العلم ، من غير تحديد لتخصص علمي معين ولا لنهاية للدرس والبحث بالذات .

ويمكن للانسان ان يستمد علومه ومعارفه عن طريقين أساسيين :

الأولى : طريق الدين ، وأساسها كتاب الله وسنة رسوله الكريم :

« آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) . ــ البقرة (٢٨٥) ــ

ويبصرنا الدين بعالم ماوراء الحس أو ماوراء الإدراك أو عالم الغيب ، وكذلك يحدثنا عن الروح ، تلك التى لاتخضع لتجاربنا وقياساتنا المعملية :

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ــ الاسراء (٨٥) ــ .

وسوف نتحدث فى مقال لاحق عن ماورد من ذكر الروح فى كتاب الله العزيز كعمق من أعماق الاعجاز العلمى .

وأما الطريق الثانية التى تمدنا بالمعرفة فهى طريق العلم الطبيعى أو التجربة والقياس والرصد والتتبع لما فى الكون (كتاب الله المنظور) من ظواهر ومادة وإشعاع وطاقات باستخدام الحواس أو الأجهزة والآلات المعدة لذلك . ولا

أ.د. محمد جمال الدين الفندى

دخل للعلم الطبيعى بعالم ما وراء الحس وهو (أى العلم الطبيعى) جزء لايتجزأ من رسالة الاسلام الخالدة ، وبه نهض علماء المسلمين الأولين عندما فهموا الاسلام على حقيقته فكتبوا العلم الطبيعى الى جانب علوم الدين ، وقادوا البشرية الى عصر العلم ، بعد أن ورثوا القيادة والسيادة على الأرض :

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ) ـ الأنبياء (١٠٥) ـ أى الصالحون لعمارتها وتيسير سبل العيش عليها . وما تخلف كثير من المسلمين بعد ذلك الا بسبب نبذهم وتركهم العلم الطبيعى لأهل الغرب .

ولقد صنع العلم الطبيعى مايشبه المعجزات فى هذا العصر ، وبهر الأنظار ، واستحوذ على عقول الناس بما وفر من مصادر القوة . وواجبنا اليوم اللحاق بالركب تمشيا مع قوله تعالى :

(وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا استَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ....) ـ الأنفال (٦٠)

والقرآن الكريم يفرق بين مجرد الظن والوهم والخيال وبين الحق واليقين أو العلم فيقول مثلا :

١ ـ (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) ـ يونس (٣٦) .

٢ ـ (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ـ الزمر (٩)

ورغم ذلك فقد انتشر الجهل بين صفوف المسلمين بانتشار ما أوحت به الأحاجى من أوهام مثل ألف ليلة وليلة ونحوها .

ويأمر القرآن الكريم بالأخذ بالأسلوب العلمى ونعنى به ـ كما سبق أن ذكرنا ـ التثبت بالرصد والقياس والتتبع والتيقن من صحة الأشياء ، فيقول مثلا :

٣ ـ (قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ....) ـ الأنعام (١٤٨) .

كما يرفع من شأن العلماء ويعلى من قدرهم فيقول على سبيل المثال لاالحصر :

٤ ـ (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) ـ العنكبوت (٤٩) .

٥ ـ (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ...) . فاطر (٢٨) .

٦ ـ (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) ـ المجادلة (١١) .

٧ ـ (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ) ـ الحج (٥٤) .

وبالعلم ميّز الله تعالى آدم على سائر المخلوقات ومنها الملائكة فقال فى سورة البقرة :

(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَـٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) ـــ البقرة (٣١ ـــ ٣٣) .

ولا تكون الأسماء الا للمخلوقات ومنها الأشياء الكونية وصفاتها وخواصها ، وهى مضمون دراسات العلم .

ولاعجب إذا أن تكون أولى آيات الذكر الحكيم على الاطلاق طلبا للعلم والمعرفة ، حين نزل جبريل عليه السلام يردد قول المولى سبحانه وتعالى : ـــ

٨ ـ
(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) ـــ العلق (١ ـــ ٥) .

ويُقْسِمُ الخالق ـ جل شأنه ـ بالقلم الذى هو أداة العلم والتعليم فيقول فى سورة القلم .

٩ ـ (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) ـــ القلم« ١ » .

ويجعل القرآن الكريم سر السعادة فى الآخرة العقل المفكر السليم الذى يجرى صاحبه وراء الحق ، فيقول بلسان أهل النار :

١٠ ـ (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ) ـــ الملك (١٠) .

كما يقول فى وصف المكابرين الجاحدين :
١١ ـــ (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) ـــ الأنفال (٢٢) .

والمعروف أن السبيل الى اتساع آفاق العلم والى تقدمه فى الجامعات والمعاهد هو البحث العلمى ، الذى يؤدى الى المزيد من الكشف والرصد والقياس لما فى الكون من آيات رائعة ونظام مبدع

وان تدبر كتاب الله وتفهم آياته (الكونية) فى ضوء الآفاق الواسعة التى يفتحها أمامنا البحث العلمى تباعاً ، وعدم الوقوف عند حد ما قاله الأولون المجتهدون هو من الزم واجباتنا فى هذا العصر ، خصوصا إذا تذكرنا أن القرآن الكريم بوصفه معجزة خالدة لايقف إعجازه عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات وينير لنا كتاب الله العزيز الطريق ، ويطالبنا بالمزيد من العلم ، فيقول مشيرا الى علمنا المحدود :

١٢ ـ (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ) ـــ يوسف (٧٦) .

١٣ ـ (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ـــ الاسراء (٨٥) .

١٤ ـ (وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْماً) ـ طه (١١٤) .

وعلى هذا النحو نشأ العلم الطبيعى فى احضان الدين عند المسلمين فى أول عهدهم ، وظهر منهم العلماء الذين أرسوا قواعد العلم التجريبى ، وعلم الحساب ، والفلك ، والفيزياء ،

والكيمياء ، فابتدع الخوارزمى علم الجبر ، كما وضـع أساس حسـاب (اللوغـاريتمات) ، واشتقت كلمة (لوغاريتم) ، فى الأصل من كلمة (خوارزم) .

وادخل المسلمون الصفر فى الحساب العشرى الذى استخدموهُ فى معاملاتهم ، ونبذوا الحساب الستينى الذى كان سائداً الى جانب الحساب العشرى انئذ إلا أنه لايزال يستخدم فى حساب الزمن مثلا حيث نقول أن الساعة ٦٠ دقيقة والدقيقة ٦٠ ثانية .. وهلم جرا .

ولقد تم ذلك بطبيعة الحال بايحاء من الدين الحنيف ، أنظر مثلا الى قوله تعالى :

١٥ ـ (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) ــ الانعام (١٦٠) .

١٦ ـ (وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ) ــ سبأ (٤٥) .

١٧ ـ (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ) ــ هود (١٣) .

والذين فصلوا العلم عن الدين هم الأوروبيون إبان العصور الوسطى حتى لايكون الدين عندهم حجر عثرة فى سبيل انطلاقهم العلمى . وللأسف الشديد رحنا نحن ننقل العلم عنهم فى هذا العصر مفصولا عن الدين كذلك .

وللأسف الشديد أيضا كان من الطبيعى أن أدت نهضة الغرب العلمية والصناعية التى تمت بعيدا عن أحضان الدين القويم والقيم الروحية السامية إلى انحلال الأخلاق ، وانتشار الرذيلة ، وظهور المبادىء الهدامة مثل الوجودية وتقوضت أركان الأسرة ، وارتمى كثير من الناس فى أحضان الرذيلة ، وتعاطوا المسكرات والمخدرات ونحوها .

ونحن عندما ننادى بالأخذ بأسباب التقدم العلمى إنما نريد أن يتم ذلك فى أحضان الدين ، تماما كما فعل آباؤنا من قبل ، ونحافظ على قيمنا الروحية . ولنا من الاسلام الحنيف أكبر نصير للعلم وأعظم درع يقينا من شرور المادية ، ويضمن لنا سعادة الدارين .

والحق أن النهضة إنما تبنى على العلم ، وان المسلمين يوم أن خلطوا بين عالم الحس (الكون) وعالم ماوراء الحس (مثل الأرواح والأشباح) تاهوا فى بيداء الأساطير والأوهام ، وتخلفوا عن ركب الحضارة ، فانكسرت شوكتهم ، وضاعت هيبتهم .

واذا كانت الفنون وكان الابداع فيها سمتاً من سمـات بعض الحضارات ، فـان الابداع التكنولوجى ـ ويعنى التطبيق العلمى للمكتشفات واستخدام قوى الطبيعة المختلفة ـ هو اكبر صفة من صفات الحضارة الحديثة التى تعيشها . وعلى هذا النحو صار العلم اكبر مصدر للقوة التى استخدمها البشر .

فمثلا فى أثناء الفترة التى تم فيها تشييد (تاج محل) ليكون أعظم قطعة فنية لا يرقى الى مستواها فَنٌّ الأنجليز صاغ نيوتن قوانين الحركة ، ودخل مبدأ رد الفعل ميدان التكنولوجيا عند الانجليز خاصة والاوربيين عامة ، فصنعوا البنادق والمدافع التى بواسطتها استعمروا الشرق وغلبوا المسلمين حينا من الدهر .

ويكمن السر فى النهضة العظمى للمسلمين فى عصر صدر الاسلام وراء فهمهم الدين على حقيقته ، ومن ثم تكريم الخلفاء ، والأمراء ، والأثرياء للعلم والعلماء ، والاعلاء من شأنهم يوم أن تبدل الأمر .

يوم ان تبدل الأمر ، وانتهى البحث العلمى ، وقفل باب الاجتهاد ، وركن الناس الى الخيال والأوهام كان التخلف المشين ، خصوصاً وقد عملت بعض الروايات اليهودية (الاسرائيليات) على ترويج تلك الأباطيل بشتى الطرق ، والله تعالى أعلم .

بِسْـمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« الٓمٓ ، ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَارَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ »

« البقرة : ١ ، ٢ »

تأملات فى قانون الحياة

النظرية النسبية

(٢)

تناولنا فى مقال سابق بعض التأملات فى العلوم المختلفة ، واهتدينا من خلالها الى قانون الحياة وأن « لا آله إلا الله » هو ذلك القانون الذى يحكم كل أنواع المعرفة البشرية بمختلف فروعها وتشعباتها .

وأنا أدعو القارىء الى رحلة عقلية نتجاوز فيها سوياً جزئيات المعرفة ونحلق معاً فى عالم رحب نشاهد فيه ماذا أنجز العقل البشرى فى آخر ماوصل إليه لنرى النسبة بين انجاز العقل البشرى فى أحدث نظرياته العلمية وما ذكر فى « ذلك الكتاب » .

إن آخر النظريات العلمية التى ربطت بشكل علمى بين علوم شتى جاء فى النظرية النسبية على يد صاحبها العلامة الرياضى « البرت اينشتين » .

فما هذه النظرية وما مدى قربها من واقعنا فى الحياة على الرغم من تعقدها الرياضى وفلسفتها العلمية العميقة ؟

قبل أن نبدأ بعرض فكرة النظرية النسبية ، نبدأ بمقدمة رياضية بسيطة حتى لا نتجاوز حصيلة العقل البشرى فى المجال الرياضى قبل هذه النظرية .

العلوم الرياضية : هى كل أنواع العلوم المجردة والتى تعبر « كمياً » عن أية ظاهرة ومعنى هـذا اننـا إذا قلنـا ـ مثـلاً : س + ص = ع .

فإن هذه المعادلة من الممكن أن تنطبق على أية ظاهرة بغض النظر عن ما هية (س ، ص ، ع) .

هل هى أطوال أوزان أو أعمار .. أو سرعات أجسام ؟ .

لكن المهم فى كل هذا ـ أن س ، ص ، ع فى المثال السابق هى كميات أو مقادير .

للدكتورة سعاد حسين البيلى

وفى العلوم الرياضية تنقسم الكميات الى « كم » ثابت و« كم » متغير .

ومن أمثلة الكميات الثابتة : ......

إذا فرضنا وجود مبنى معين فإن أبعاد هذا المبنى الطول والعرض والارتفاع تظل ثابتة ، وبالتالى فإن حجم هذا المبنى يكون ثابتا وعدد حجرات هذا المبنى أيضا لا تتغير بتغير الظروف المحيطة .

ومن أمثلة الكميات الثابتة أيضا .... كتلة قطعة من المعدن لها أبعاد ثابتة ولا تتعرض لتفاعل كيميائى أو ظروف أخرى كالقطع أو التشكيل .

أى إن الكميات الثابتة أو « الكم » الثابت هى خاصية للموجودات المادية عندما لا تتغير الظروف المحيطة بها .

واذا ما انتقلنا الى الكميات المتغيرة ..... وجدنا فى حياتنا اليومية أمثلة لا يأتى عليها الحصر ...... من حركة أصغر الجسيمات فى هذا الكون إلى حركة النجوم والكواكب والمجرات .

ومن الأمثلة الشائعة لذلك ..... زيادة وزن الانسان مع الزمن ، فإن الانسان يولد ومتوسط وزنه ثلاثة كيلو جرامات ، ثم يصل الى ٧٠ كيلو جراما ، أو اكثر فى مرحلة الشباب والاكتمال .

وليس معدل هذه الزيادة ثابتا ؛ لأنه قد يصل فى العام الأول من عمره الى عشرة كيلو جرامات .

ومن الممكن تمثيل هذه الزيادة بالمعادلات الرياضية المناسبة حيث يكون « الكم » المتغير هو « وزن » الانسان فهو يتغير بالنسبة للزمن .

ولنأخذ الآن مثالاً آخر للكم المتغير وهو أيضاً من الأمثلة الملموسة فى حياتنا ..... فعندما يسقط انسان من شرفة النافذة من الدور الأول من المنزل فإنه يصل الى الأرض بسرعة بسيطة قد تؤدى الى بعض الرضوض أو الكسور البسيطة .

أما اذا سقط مثلاً من الدور العاشر فإنه اذا وصل الى الأرض حيا فإن صدمة ارتطامه بالأرض كافية تماما لأن تنهى حياته وتحوله الى حطام فى لحظة الارتطام .

والسبب فى ذلك أنه كلما زاد ارتفاع السقوط ، ذادت السرعة النهائية للجسم ، وفى هذا المثال فإن السرعة لحظة ارتطام الجسم الساقط من الدور العاشر تساوى تقريبا عشرة أمثال سرعة الجسم الساقط من الدور الأول .

فى هذا المثال ...... كان الكم المتغير هو السرعة النهائية لوصول الجسم الى سطح الأرض ، حيث تتغير السرعة بالنسبة الى الارتفاع أو المكان بشكل عام .

من المثالين السابقين نستنتج أن « الكم » المتغير اما أن يكون متغيراً بالنسبة للزمان أو بالنسبة للمكان .

تأملات فى قانون الحياة

وكان يعبر عن المكان باتجاه الطول واتجاه العرض واتجاه الارتفاع ـ لذلك سمى الزمن بالبعد الرابع .

ونظراً لعجز الانسان عن التحكم فى الزمان والمكان فقد سماها بالمتغيرات المستقلة اما أى متغير آخر فإنه متغير تابع .....! لأنه يتبع تغير الزمان او المكان فى قيمته كما أوضحنا فى المثالين السابقين .

لنا هنا وقفة ، مؤداها أن الزمان متغير مستقل وهذا هو جوهر النظرية النسبية فى ابسط صورها .

فما هو هذا الزمان ؟

أخبرنا علماء الفلك قديما بنظرية تقول : إن نتيجة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس دورة كاملة ينتج تعاقب الليل والنهار أواليوم .

أما دوران الأرض حول الشمس دورة كاملة فإنه ينتج العام بفصوله الأربعة وهذا التفسير يبدو متناقضاً مع أبسط فهم للنظرية النسبية حيث إن هذا التفسير يقول لنا ـ ببساطة : إن الحركة تنتج الزمن ، أما النظرية النسبية فإنها تقول : ان الزمن متغير مستقل سواء تمت فيه حركة أم لم تتم .

يحار العقل البشرى فى نتائج العلم ، وفى تفسيراته لأقرب الملموسات الينا : ...... « الزمن » ! ! .

كيف نحل هذا اللغز ؟ فهو أحد الألغاز الهامة فى الحياة .

لنعد الى « ذلك الكتاب » فماذا أخبرنا الحق تبارك وتعالى فى هذه القضية ؟

يقول جل وعلا :

« وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا . وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا . وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا . وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا . » . (الشمس ١ ـ ٤)

سبحان الله . ! ! النهار هنا هو الذى يجلى الشمس والليل هو الذى يغشيها حقا ...... « **إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ** » .

أى أن الزمن (النهار والليل) هو الذى يظهر الشمس أو يغشيها وليست الشمس هى التى تنتج الزمن من حركة الأرض بالنسبة لها .

أما حركة الشمس والقمر فإن الحق قد قدرها ويسرها لنا حتى نعلم عدد السنين والحساب .

وعندما يذكر الحق تبارك وتعالى ..... « **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا** » فهذه إشارة الى أن من تفانى فى تزكية نفسه وتطهيرها فإن حصيلة هذه الرحلة الطاهرة النقية فى تزكية النفس لابد أن تكون فلاحا لاحدود له .....

وسبحان من أعطى هذا العطاء وجعل « ذلك الكتاب » كنز الكنوز فإذا أردناه كنزاً للعقل وجدناه ، واذا أردناه للروح وجدناه واذا أردناه للضمير كان كتاباً كاملاً ونشهد أن « لا اله الا الله » قانون عام للحياة ـ جاءت إلينا بالهدى وضاعت من غيرنا بالضلالة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د . سعاد حسين البيلى

شعر وشاعر

إشراف: د. حسن جاد

يا رب

إشراقة

من وحي السبعين

يارب

للشاعر رشاد محمد يوسف

بك أستعين ومن سواك يعين ** ويُعز معتصماً به ويصونُ
بك أستعين على المكاره والأسى ** وأنا بأغلال الحياة سجين
بك أستعين إذا تشابكت الرؤى ** وتكحلت وهم السراب عيون
بك أستعين فأنت نور بصيرتي ** تعنو إليك مشاعر وعيون
ياعالم النجوى وكل سريرة ** يامدركاً للغيب كيف يكون
سويتني جلت يداك بحكمة ** تجلو لأصحاب النهى وتبين
كرمتني بين الخلائق شامخاً ** تختال منى هامة وجبين
وحفظتني ورعيتني في مأمن ** وأنا بأكناف الظلام جنين
رحم به الرحمات مهد عناية ** يحنو بكل تلطف ويلين
أحيا على درب الحياة مسافراً ** مهما تطاول أزمن وقرون
لا بد من موت وضجعة راحل ** لم تغن عنه موانع وحصون
يارب والدنيا صراع دائر ** تحنو علينا تارة وتخون
والفكر أثقله الصراع وهزه ** وتملكته حيرة وظنون
وخطاي في الدرب الطويل ترنحت ** حيرى يفزعها أسى وشجون
تشتاق عيش السائمات طليقة ** ويشدها نحو الصواب يقين
يارب جنبنا العثار ونجنا ** فبغير نورك لن يسير سفين
وامنن علينا من رضاك تكرما ** فرضاك كنز للقلوب ثمين
يارب يارحمن صرخة حائر ** بك يستعين ومن سواك يعين

إشراقة

للشاعرة: جليلة رضا

أيها الطارق الحياة ملولا ... في صباح منغم الأوتار
قم تقدمْ وسر على الدرب حرا ... ضاحك الوجه في سنى الأنوار
وامض في رحلة النهار فتيا ... في شموخ وعزة واقتدار
واغْزُ هذا النهار بالعمل المتقـ ... ـن حتى تفوز بالإكبار
واغز هذا النهار بالأمل الحلـ ... ـو ونور اليقين والإصرار
فإذا ما التقيت باليأس حينا ... فتغلَّبْ عليه بالإنكار
وإذا ما التقيت بالليل حينا ... فانْتزع منه ألفَ ألف نهار
كن مضيئا كمقلة الشمس بشاً ... كمُحيَّا الضفاف والأنهار
كن رقيقاً ثر الوداعة غضا ... مثل قطر الندى وعود الثمار
أرهف السمع فالطبيعة تشدو ... لك أحلى اللحون والأشعار
ولتكن زهرة تفيض عبيرا ... في نفوس من الحنان قفار
لا تعد السنين ، لا تحسب العمـ ... ـر فليس الشباب بالأعمار
إن قلبا حوى الطبيعة يوما ... لهو طير يشدو مع الأطيار
قُمْ تقدَّم وسر على الدرب حراً ... وتوكَّل على الإله الباري

من وحي السبعين

للدكتور عزت شندى موسى

مضى العُمر .. إلاما أراه قليلا وأصبحت أخشى في القريب رحيلا
ودارت بي الأيام ، حتى تثاقلت بنجمي فأبدى في العشي أفولا
وجفت عصارات الحياة بهيكلي فصار على مرِّ الزمان نحيلا

*****

على أنها مرَّت كأضغاث حالم تجشم ليلا قد طواه ثقيلا
وتلك لعمري سنَّة الله في الورى وما نرتجي فيما قضى تبديلا
فلا يشمت الجُهَّال فالكأس لا تني تدور عليهم : صبية وكهولا
وليس لمخلوق ، وإن طال مكثه سوى الموت يغدو موردا و سبيلا

*****

فيا أيها الغافي تنبَّه ولا تَنَمْ فسوف ينام الجَفْنُ منك طويلا
ولا تدع الأيام تمضي عواقرا فقد تنتضي ثوب الشباب عجولا
وقد سلب الدهرُ الأحبَّة شملهم فأمسوا على كرِّ المنون .. فلولا
وباتت مغانيهم خلاءً دوارسا وقد تركوا الذكريات طلولا

*****

فقفْ خاشعاً في معبد الطهر خافضاً جناح التدليِّ رهبة وذهولا
وخذ من صفاء الحق خلا وصاحبا إذا لم تجد بين الأنام خليلا
وعطِّر بذكر الله في كل لحظة فؤادك واغمر بالثناء .. رسولا
ومهما يكن من عثرة في جهالةٍ فغفران ربي لا يزال جزيلا
ومازال ذا عفو يجود بفيضه على كل من يرجو لديه قبولا
وليس يذوق العفو إلا الذي كبا نَزا بُكرةً .. ثم استقام أصيلا

جولة في ديوان أعاصير وأنسام

للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين

بقلم الدكتور مختار الوكيل

سعدت بمطالعتى ديوان (أعاصير وأنسام) للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين ولقد تجلى لى بمجرد مطالعة هذا الديوان أن شاعرنا نهل من ينابيع الأزهر الشريف منذ نعومة أظافره ، فهو من أبناء هذه الجامعة الخالدة التى أنجبت للمسلمين والعرب على امتداد أكثر من ألف عام فطاحل وعباقرة فى كل لون من ألوان المعرفة الدينية والدنيوية ، والذى ينكر عظمة الأزهر وعطاءه كمن ينكر ظهور الشمس فى رابعة النهار ، ومن منا لم ينهل من معين الأزهر حتى وان كان قد نشأ بعيداً عن رحابه ، فالامة الاسلامية كلها قد أخذت عن الازهر وأفادت منه ، ولاتزال تفيد الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ونعود الى صاحب الديوان فنقول : ان نشأته الأزهرية الخالصة لم تعقه عن الافادة من المدارس الثقافية الاخرى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من الألباء الاذكياء ، ممن سبقونا الى الانتهال من موارد المعرفة والثقافة ، فى شتى أرجاء الدنيا .

ولقد كان الاتجاه « الرومانسى » أيام شباب الشاعر الأولى هو الاتجاه الظاهر البارز فى شتى مرافق الحياة الأدبية فى مصر ، فقد كان كثير من الشباب يعكفون على دراسة أدب الرومانسيين وشعرهم فى الغرب فى تلك الحقبة واهتمت جماعة « أبولو » بتقديم كثير من شعراء الرومانسية وأدبائها فى الغرب الى جمهور المثقفين فى مصر ، ففى العشرينيات والثلاثينيات وما قبلهما من هذا القرن كثرت

الدراسات والأبحاث عن شعراء الرومانسية وأدبائها عندنا فى مصر وفى عدد من الأقطار العربية الأخرى ، ومن ثم سمع أدباء العربية بأسماء (فيكتور هوجو) ، (لامرتين) و (ريمبو) و (هانيى) ، و (وورد شوورث) . و (شيلى) (و كيتس) ، (بايرون) الخ . الخ .

من هذه الكوكبة اللامعة من شعراء الرومانسية الأفذاذ فى أوروبا ، تولى كثير من الشعراء والأدباء المجددين نقل طائفة من أشعار أولئك الشعراء الرومانسيين الى اللغة العربية ، فأضافوا بذلك ثروة ثمينة الى الشعر العربى الحديث كان لها أثرها العظيم فى تلقيح هذا الشعر العربى الحديث بالصور والأخيلة التى ابتدعها أولئك الشعراء الرومانسيون فى الغرب وكان أعظم المستفيدين من هذه الترجمات هم أولئك الذين لم يقفوا على تلك الأشعار فى لغاتها الأصلية .. وبالفعل ظهرت طائفة من الشعراء الذين لم يعرفوا الا اللغة العربية بانتاج رومانسى رائع . وأعتقد أن هذا الاستنتاج ليس بحاجة الى دليل ، ويستطيع متتبع النهضة الأدبية عندنا أن يستخرج الأمثلة العديدة المؤيدة لهذا .

ولا يعنى هذا أن شاعرنا (صان الدين) كان مجرد مستفيد مما ترجم الى العربية عن شعراء الرومانسية فى الغرب ، اذ الواقع يؤكد أن صدره كان ممتلئا بالاتجاه الرومانسى ، وأنه تقابل مع هذا اللون الجديد من الشعر ، حين ذاك لاستعداده الفطرى . ولأن هذا الاتجاه الشعرى ، كان سائدا فترة شبابه الأول .

وهذا التقابل بينه وبين الرومانسية قد أنجب لنا شعرا نسعد به . ومن أهم قصائد الشاعر وأجملها قصيدة : (حلم شاعر) وفيها يتجلى هذا الميل الشديد الى العزلة والى العيش فى أحضان الطبيعة . فهى خير انيس وأصدق صديق للنفس الشاعرة .. انظر اليه يقول :

* * *

يا حبذا العيش الوديع بواحة
شجراء قد ناءت عن العمران
فى عزلة ما شاهدتها أعين
أبدا ولا خطرت بها قدمان
يضفى عليها الطهر روعة حسنه
فتخالها من جنة الرضوان
وهناك فى حضن السكون أشيد من
سعف النخيل ويابس الأغصان :
كوخا تحف به الزهور ويكتسى
بقشيب ظل الدوح والأفنان

* * *

وهذا الاتجاه الى اعتزال الناس ، والنزوع الى العيش فى رحاب الطبيعة بعيدا عن الحياة والأحياء من البشر . هو اتجاه رومانسى صادق ومن عجب أن هناك تطابقا بين ما اتجه اليه الشاعر . وما ذكرته أنا فى قصيدة لى ، فى ذكرى شاعر أبولو الكبير اسماعيل سرى الدهشان .. حيث قلت فى اثناء الحديث عن الريف المصرى :

* * *

آه من روعة الشروق على الريف،
وآه من فتنة الغيطان
حبذا شرفة وكوخ صغير
قابع بين هذه الأجران

فهنـــاك الشـــعاع يبدو رقيقا
مرحيا يحنو على البســـــتان
والعـــذارى يحملن ماء زلالا
فى جـــرار فياضة بالحنـــــان
وهنا شاعر على ضـــــفة النيل
يغنى فى لهفـــة الولهـــــان

يقبس اللحن من غنــاء السواقى
وثغاء الخـــراف والحمـــلان
كم تمنى لو عاش بين المــراعى
يقطع العمـــر هانئا لا يعــانى
يفلح الأرض قانعا مجهــولا
لا يقاسى فى العيش ذل الهــوان
بالنفس معـــذب قيل له غــن
فغنى فى لجـــة الحـــرمان

* * *

فهناك تماثل فى الاتجاه الرومانسى ، الــذى يؤثر العزلة ويهرع الى أحضان الطبيعة ، حيث الصفاء والنقاء ، البعيد عن الزيف والتكلف .

* * *

والشاعر ممتلىء بحب الطيور والحيوانات وشتى المخلوقات التى أبدعها الخالق سبحانه وفى قصيدته : (صمت الطيور) ملامـــح من قصيدة « شللى » عن القبر وهى قصـــيدة مشهورة ترجمت الى معظم اللغات الحية ، وقد كان لى شرف ترجمتها الى اللغة العربية ونشرت بمجلة (أبولو) عام ١٩٣٣ .. فهى من أعمــال الشباب الأولى بالنسبة لى ، وقد نشرت أخيرا فى ديوانى : « موكب الذكريات » .

وفى قصيدة صمت الطيور لشاعرنا المجيد / محمد صان الدين ، نجده يسأل الطيور قائلا :

* * *

لم لا تغنى يا طيـــور
لم لا تطيرى فى البكور
مالى أراك قد انطــويـ
ـت فلا رفيف ولا ظهــور
وركنت للصمت الحزيـ
ـن وأنـــة القلب الحسير
أنى عهـدتك تصدحيـ

ـن بكل الحــان السرور
وترفرفين على الخمائـ
ـل والجداول والجسور
وتغازلين مع الصـــبا
ح البكر فتـــان الزهور
وتبادلين الشـــمس فى
سبحاتها كأس الحبـــور
حتى يواريها المســـا
ء وراء مسدول الستور

* * *

والحق أن الشعر العربى قد حفل بصـــور كثيرة صاغها وأبدعها الشعراء للطيور ومن منا لا يعرف قصيدة أبى فـــراس الحمدانى التى نظمها وهو أسير لدى الروم حيث قال :

* * *

اقول وقد ناحت بقربى حمــامة
أيا جارتا لو تعلمين بحـــالى
أيا جارتا ما انصف الدهر بيننا
تعالى أقاسمك الهموم تعــالى

* * *

ويبدو أن شاعرنا مولع بالطيور ومناجاتها حقا ، فنحن نطالع له قصيدته (حكمة طائر) ولا سيما فى الأبيات التى أجراها على لسان الطائر وفيها يقول :ـ

* * *

كم ذا ألاقى فى حيـاتى مزعجا
وأمر بين فجاجهـا بمخـــاطر
أجتاز فى وضــح النهار حبائـ
ل الصياد أو فخ الصبى الهـاذر
ويقوض الأطفال عشى عنــوة
فاعـود أبنيه بعـزم مثـابر

الى أن يقـول :

حتى اذا ولى الظلام بهـوله

وبـدت تباشير الصباح السافر
أشدو وأرقص مغفـلا ما كان أو
سيكون فى الكون الرحيب الهادر

* * *

الى أن يقول :

ان الحيــاة كما أحس بفطرتى
افراح يوم وانتهازة حاضــر

وفى البيت الأخير حكمة رائعة ـ على بساطتها ـ فهو يستسلم لمشيئة الخالق القادر ويسعى الى أن يفرح بيومه وينتهز حـاضره ، وأسمعه حين يقول فى فلســفة رقيقة عـذبة تستسيغها النفوس مشيرا الى الحياة بقوله :ـ

* * *

خذهـا كما شاء الاله مطيــة
فى رحلــة أو واحة لمســافر

وهذا الشاعر الذى فلسف علاقته بالطبيعة وبالطيور وسائر مخلوقات الله يقول فى قصيدة (الجمرة) وهى القصيدة التى تبلور فيها ايمانه بالله وبالقيم السامية فهو من أشـــد الناس تمسكا بدينه وتعاليمه مستمدا كثيرا من أشعاره من أصداء النصوص الدينية فى نفسه مع تمسكه بقيم دينه قدر أستطاعته استمع اليه متحدثـا عن الاسلام وعن حبه له بحيث لا يســتطيع أن يعيش بمعزل عنه يوما حيث يقول :ـ

* * *

كيف أناى عنــه يومـا
كيف لا أرضــاه زيـــا
والـذى من غـير دين
ليس انســانا ســويا
انــه جـرم عليــل
قــد حـوى داء خفيا
حائــر فى التيـه تطـو
ى عمـره الأوهـــام طيا

* * *

وهو بشر قبل كل شىء ، فالدنيا تنــاديه بمفاتنها : أن هيت لك ! وهو يخشى أن يضعف أمام نداء الدنيا الصارخ :

* * *

هــذه الدنيــا تنادى
تلك أقــداحى فهيــا
وارتشـف منهـا رحيقا
ســائغا حلوا شـهيا
لا تقــل : هذا حـرام
انــه غنـم تهيـا

من تحــــاماه ابـــــاء
عاش محـــروما شــقيا

* * *

ولكنه بشدة ايمانه ينبذ الغى ويعاف الاثــم وينأى عنه وفى ذلك يقول لمن يحـــاول اغراءه بمفاتن الدنيــا :

* * *

قلت يا مفتـــون دعــنى
ليس طيب العيش غيـــا
وانتبذ فى الاثـــم ركنــا
نائبــا عنى قصـــيا
ان غـــزا الاسلام قلبــا
كــان بالتقــوى حــريا
لست من دنيـــاك أبغى
متعـــة تغرى غـــويا

* * *

وهذا الحوار اللطيف ينبىء عن نفس عامرة بالايمان مشرقة بالتقوى ولست أدرى : لمــاذا شعرت وأنا أقرأ هذه القصيدة ببعض شــعر (محمد اقبال) ذلك الفيلسوف العظيم الــذى دافع عن الاسلام وأظهر روح الايمان جليــة نقية أمام أهل الغرب ففتنوا به فتونا .

واذا استطردنا فى الجانب الايمانى عنــد شاعرنا صان الدين أحسسنا براحة نفســية وشعرنا بنسيم الايمان يهب على صــدورنا فينعشنا و يطمئننا الى أن روح الشاعر يغمرها الايمان ويدفعها الى الابداع فى الميــادين الروحية ، وهو فى أغنيته : (صلوات) يمتــع ويبدع وتسيطر عليه الروح الغنائية اللطيفة ، ونفس الشىء ينطبق على قصيدته : (مراقى السمو) التى تتسم بروح الحيرة والغــربة فى هذه الحياة .

على أن الشاعر يحلم أحلاما كثيرة وهو فى أحلامه كلها يبحث عن الحقيقة شأنه فى ذلك شأن (ديجونيس) الذى كان يحمل مصباحــا فى وضح النهار للبحث عن الحقيقــة وســط سخرية الناس ، ولكنه هو الــذى كان يسخر منهم ومن سخريتهم ، وهكذا شـــاعرنا فى قصيدته : (أجل انها أحلام) .

وكما قلت آنفا فان شاعرنا امتداد لروح شاعر الاسلام العظيم محمــد اقبــال كمــا سمعناه فى صلواته وفى قصــيدته : (رباه) وكذلك نسمعه فى قصيدته : (أشجان مسلم) حيث يقول :

الله عــدل فى الخليقــــة انمــا الــ
انســـــان فى نزواته ظـــلام
فالمسلمون غثاء ســيل أغـــرموا
بالغث من متــع الحيـــاة وهامــوا
وتقاعســــوا عن كل مكرمــة لهم
واســتعذبوا صــاب الخنوع وناموا
ميــدانهم عنــــد النفير مــلاعب
وســيوفهم فى الغاشــيات كــلام
يتراشـــــقون بكل ســهم قــاتل
ويمجـــدون الخصــم وهو حمــام

وينهى قصيدته الطويلة بقوله :

يــارب أيــة فتنــــة تلك التى
حارت أمــام ضــبابها الأحلام

لكن نور الحق لا يخبو وان
غشاه من ذرو الصغار رغام
فله رجال يكشفون ضياءه
فى كل حين للعيون ·· عظام
هل يكشف الغمم النوازل بالحمى
الا عليم مؤمن وحسام

ولا أستطيع أن أختتم حديثى عن الجانب الاسلامى فى شعره دون أن أنوه بقصيدته الرقيقة عن سلام (روجيه جارودى) الذى انبثق ايمانه بعد جولات فى شتى دروب الفكر والعقائد ، وقد أعجبنى فى هذه القصيدة قوله :

لمح الطريق الى الهدى فتقدما
ورأى الحقيقة كالصباح فاسلما
وجد الغدير فراح ينهل بعدما
قد كان فى البيداء يقتله الظما
كم راح خلف الآل يعدو لاهثا
ويعود مغبر الشعور محطما
كم ظل فى تيه المذاهب حائرا
بيد الضياع يخوض ليلا مظلما
ويدوس أشواك الأسى بفؤاده
حتى غدا مزقا تقاطر معدما
لكنه قد رآه ومضا باهرا
يبدو له بين الضباب ملثما
فمضى بثاقب فكره متلمسا
مشكاة هذا النور حيث تبسما
فاذا به الاسلام فى آلائه
جهل العقول سطا عليه وخيما
فانكب يكشف عن جواهر عقده
ويجوس بين كنوزه متوسما
واذا جلا الاسلام فى عقل امرىء
أضحى به صب الفؤاد متيما
لما رأى نور النبوة ساطعا
من أحمد صلى عليه وسلما

أفلم أقل لك ان فيه ملامح من شاعر الاسلام الكبير محمد اقبال ؟

ويبدو أننا لن نستطيع أن نترك الجانب الاسلامى فى شعره دون التنويه بقصيدته (يا أخا الاسلام فى أفغان) التى يقول فيها :

ياأخوة الأفغان ان سلاحكم
روح سمت حتى تبوأت الذرا
كنتم على لوح الزمان قصيدة
هزت مشاعره وأرقصت الورى
بهرته آيات البطولة والفدا
وكذا البطولة شأنها أن تبهرا
ان البسالة منحة قدسية
أغلى من الذهب الصفى جوهرا

فهذه القصيدة تشتمل على كثير من العواطف الجياشة ، حيال هذه الأمة المجاهدة التى تدفع عن حماها وحمى الاسلام جيوش البغى والعدوان ، كما أن قصيدته : (من وحى المولد الشريف) حافلة بالعاطفة الجياشة ، والمحبة الخالصة الصافية للمصطفى عليه الصلاة والسلام ، واسمعه يقول مناجيا له :

رسول الله والأزمان فينا
كأنك فى ضحى الأمس القريب
حياتك فى فم الدنيا نشيد
وذكرك فى المسامع والقلوب

تردده الليـــــالى راقصـــات
غـلى قيثارة الدهـر الطـــروب
وتهفـــو كل روح حين تشـــدو
بك الأجيـــال فى الفجـــر الحبيب

وخلاصة القول فى هـــذا الشـاعر : أنه شاعر اسلامى رومانسى فى آن واحد وقصيدته العاطفية : (الحنين الى أرض الكنانة) مزيج من هذا الائتلاف ، ويتسم بالحب الصـادق للوطن ، وهل هناك أغلى من الوطن وأعز ، انه يحن الى هذا الوطن الغالى حنينا عارما جارفا ، وكل من بعد عن الوطن شعر بمثل حنينه ولكنه ربما عجز أو قصر عن الافصاح عن هـــذا الحنين الجياش بمثل ما صنع الشاعر (محمد صان الدين) واسمعه يقول :

فيـا مصر أنى غـــريب الديـار
مشـــوق الفـــؤاد مـريد الهوى
وأنت الـــرواء لـذاك الغليـــل
وأنت الـــدواء لـــذاك الـــدوى
ومـــن لى بشـــربة مـــاء روى
من النيـــل تطفىء حـر الجـوى

هذا هو الشاعر محمد عبد الرحمن صـان الدين كمـا بدا لى فى ديوانه : (أعاصير وأنسام) .

نسال الله العلى القدير أن يحفظـه للأصالة الاسلامية السمحاء ، وللابداع الشعرى الرومانسى الأخاذ .

والله ولى التوفيق .

د. مختار الوكيل

من أعلام الأزهر (١)

محمد عبد الله دراز

باحث منهجي متفرد

رزق الدكتور محمد عبد الله دراز نباهة ساطعة فى الدوائر العلمية العالمية ، لأن الرجل كان طرازا خاصا من المفكرين ، حيث لم يكن يكتب غير الجديد الطريف الذى لم يسمع به القارىء من قبل ، مهما تنوعت ثقافته واتسع ادراكه ، لقد كان يقدر نبعة القلم تقدير العالم الطامح المشرئب للكمال ، فهو لا يدرس غير المفيد النافع ، ولا يؤلف فى غير المجهول الذى تتطلع الأنظار الى كل كلمة من كلماته ! لقد عهدنا أناسا من الكتاب يكثرون المؤلفات تباعا ، ولكنهم يجمعون ويلخصون ، فقارئهم الدارس يرد كل جملة الى موضعها ، ويعرف خلاصة ما يقرأ قبل أن يلم به ، وما أكثر هؤلاء فيمن تتردد أسماؤهم فى كل مناسبة !

لذلك كان محمد عبد الله دراز نمطا نادرا فيما يكتب ، انه يؤثر البحث الهادىء دون عجلة • ويضع الخطة المحكمة دون تسرع ، ولا يهمه طال الأمد فى بحثه أم قصر ، ان الذى يهمه جدا أن يستخرج من المعلوم مجهولا ، وأن يكتب فى موضوع قد اشتهر بين الناس ليأتى بما يجهل الناس ، لذلك عرفه الصفوة من الدارسين فتتبعوا آثاره فى اللغتين العربية والفرنسية ، وتلمسوه فى مظان البحث ، فاذا مر وقت ما دون أن ينفحهم ببعض آثاره تشوقوا اليه متوحشين ، وأخذوا يترقبون كلماته ارتقاب الغيث عند الظمأ ، وهو رحمه الله دائما يصدقهم الوعد فيشرق عليهم بما يمتع ويقنع ويشبع !

لذلك كانت الكارثة مروعة حين سافر الى المؤتمر الاسلامى بلاهور ، ليلقى بعض ماعرف من آياته فى حفل اسلامى مشهود ، ثم جاءت الأنباء بموته المفاجىء ، فكان لنعيه حسرة دامية فى نفوس من يعرفون أن الرجل قليل النظير فى ابداعه الفكرى ، وأنه نسيج وحده كاتبا ومؤلفا وأستاذا بالجامعات !

ومع أن الدكتور لم يبلغ أرفع المناصب العلمية الرسمية التى كان يستحقها عن ثقة وجدارة ، فقد كان المثقفون جميعا يجمعون على سموق منزلته الفكرية ، ويعدونه رأسا بارزا من رءوس الفكر الاسلامى المعاصر ، وقد أثبت تاريخه العلمى حقائق سافرة لم تعد بعد

للدكتور محمد رجب البيومى

موضعا للنزاع من أحد .

منها أن العبرة لدى الدارسين تعظم بجودة التأليف لا بكثرته ، وبطرافته لا بتقليديته .

ومنها أن صاحب الانتاج العلمى المتميز ، يفوق سواه ممن سبقوه بالمناصب الرسمية ، فهم دونه فى ميزان الفضل . مهما فتنت البوارق ولمعت الأضواء .

ومنها أن الاخلاص للروح العلمى يجد التقدير البالغ من الخاصة ، وهم وحدهم مكان الترجيح ، وموضع الاختيار ، لأن النفوس الواعية أعقل من أن تزجى الثناء البالغ لغير السابق الطموح ، وكما قيل :

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا
مالم يروا عنده آثار احسان

لقد قرأت تفسيرا لفاتحة الكتاب كتبه الدكتور دراز ، فأعجبنى أن أجد من حسن الاستنباط ، ودقة التعليل ، وبراعة التحليل ما جعلنى أطالع الجديد حقا ، وفاتحة الكتاب معروفة مشروحة ، وقد فسرها آلاف الشارحين فى القديم والحديث ، ولكن الرجل المبتكر ، يلقى نظرة وراء السطوح الخارجية ليرى فى اللفائف المستكنة ما غاب عن سواه ، حين نظر للسورة الكريمة من جهة مقاصدها . ومن جهة خطابها ، لأن الفاتحة فى رأيه توجز المقاصد الأساسية التى عناها القرآن اذ تتضمن مقصدين نظريين هما : معرفة الحق ، ومعرفة الخير ، كما تتضمن مقصدين عمليين هما : تقديس الحق ، والالتزام بالخير ، أما قوله تعالى (رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين) فشذرات ثلاث انتظمت أركان العقيدة القرآنية الثلاثة من حيث المبدأ فالواسطة فالمعاد . فرب العالمين هو المبدأ والرحمن الرحيم هو مصدر الرحمة فى الحياة ومالك يوم الدين هو صاحب الأمر النهائى عند الحساب ، فاذا كان الله وحده هو الذى أعطى كل شىء خلقه ، وتعهده بالامداد حتى بلغ مداه ، واذا كان هو الذى يملك خزائن الرحمة فى السموات والأرض يضاعفها كيف يشاء ، واذا كان هو الذى بيده فصل القضاء وتقرير المصير فأى شىء أحق منه بنعوت الجمال والجلال بل أى شىء غيره يستحق الحمد والثناء ، والنتيجة الطبيعية لذلك أن يضمحل فى عينك كل ما ترى فى الوجود من مظاهر زائفة . وأن تهتف من أعماقك متجها الى ربك « اياك نعبد واياك نستعين » . نعبد أولا فنؤدى واجبنا ، ونستعين ثانيا فنطالب بحقوقنا ، وهذا هو الجانب الالهى : نظريه وعملية .

أما الجانب الانسانى فيتضمن المنهجين نظريا وعمليا : تضمنته السورة فى كلمتين هما الصراط المستقيم ، ثم وصفته بأنه الطريق الموصل الى رضوان الله ، وأشارت الى مثله التاريخية فى سيرة الذين أنعمت عليهم ، ثم وضعت معيارا لأنواع الطرق المنحرفة فبينت

محمد عبد الله دراز

أن الانحراف على ضربين : انحراف عن علم وقصد ، وهو انحراف المغضوب عليهم ، وانحراف عن جهل وطيش وهو انحراف الضالين .

ثم يقول الدكتور دراز ما نصه « ان سورة الفاتحة هى السورة الوحيدة التى وضعت أول الأمر لا على لسان الربوبية العليا ، ولكن على لسان البشرية المؤمنة ، تعبيرا عن حركة نفسية جماعية متطلعة الى السماء ، بينما سائر السور تعبر عن الحركة المقابلة ، حركة الرحمة المرسلة من السماء الى الأرض ، وهكذا حين ننظر الى القرآن فى جملته نراه يتمثل أمامنا فى صورة مناجاة ثنائية ، الفاتحة أحد طرفيها ، وسائر القرآن طرفها الآخر ، الفاتحة سؤال ، وباقى القرآن جواب ، الفاتحة هى طلب الهدى ، والباقى هو الهدى المطلوب » .

هذه خلاصة غير دقيقة لا تغنى عن صفحات رائعة كتبها الدكتور فى تفسير الفاتحة ، لأن مقالا علميا للدكتور دراز يتضمن تفسير الفاتحة ، لا يقوم باحتوائه تلخيص ما ، فالمقال العلمى لدى الكاتب البصير لبنات متعاقبة يسند بعضها بعضا ، وتقديم بعض اللبنات دون بعض عرض للنوع فقط ، وهو عرض لا يفى بالأصل المرصود ، وهبك قرأت قصة فنية فى صفحات ، أتستطيع تلخيصها دون أن تخل ببنائها الفنى ؟ كذلك المقال العلمى التحليلى لا يلخص الا ليدل على المثال ، لا لأن يعبر عن حقيقة المقال .

كانت نشأة محمد عبد الله دراز العلمية فريدة فى بابها فقد ولد فى بيت علم وخلق وورع ، فوالده الشيخ الكبير الأستاذ عبدالله دراز من كبار علماء الأزهر المشار الى تضلعهم العلمى ، وصلاحهم الخلقى ، وقد ولد نجله سنة ١٨٩٤ ، وسرعان ما تفتحت عينه على زملاء أبيه يغشون منزله كل ليلة لدراسة كتب العلم ، والحديث فى مسائل الاصلاح الدينى وكان الوالد يأخذ منزله بآداب التقوى ، يؤم أهله فى صلاتى العشاء والفجر ويقرأ صحيح البخارى فى ليالى رمضان ، ويسهر على تثقيف أبنائه وتعويدهم على سنن الخير صلاة وصياما وزكاة ، وحبا للمعروف ، وبعدا عن الدنايا .

وطبيعى أن يلتحق ولده بالأزهر بعد أن حفظ كتاب الله ، واستظهر بعض المتون العلمية الذائعة لوقته ، وقد ظهرت دلائل نبوغه ، اذ كان متقدما فى امتحاناته السنوية حتى نال شهادة العالمية سنة ١٩١٦ وعين مدرسا بالأزهر ، اذ هو الأول فى ترتيب الامتحان ، ولم تشغله أعباء التدريس عن تعلم اللغة الفرنسية حيث حذقها فى ثلاث سنوات ، وقامت ثورة ١٩١٩ ليسهم الشيخ الشاب فى كتابة المنشورات باللغة الفرنسية ، ويطوف بها على السفارات ، ثم ليكتب فى جريدة الطان الفرنسية ملخصا ما يدور بالجامع الأزهر من خطب السياسة كما أشار عليه ابن عمه الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، وهو يومئذ من رجال الثورة البارزين فى المحيط القاهرى ، حتى اذا هدأت الأمور استأنف التدريس بالأزهر ، ودأب على نشر المقالات الدينية فى أمهات الصحف ، كما أشرف على طبع كتاب «الموافقات» للعلامة الشاطبى فى أصول الفقه ، اذ شرحه والده الكبير شرحا يدل على غوص ونفاذ .

وليست مهمة العالم الشاب بالسهلة فى هذا

المضمار : فالشاطبى هو الشاطبى ، والعلم هو الأصول ، والشارح هو الوالد العلامة ، فاذا خرج الكتاب بأجزائه الأربعة محققـا برعاية الشيخ الشاب فقد دل على جـده البـالغ واهتمامه الحريص ، وحين أنشئت كليـات الأزهر اختير أستاذا للتفسير بكلية أصول الدين مع أساتذته الكبار من أمثال ابراهيم الجبالى ومحمد الخضر حسين ومحمد سلامة وعـلى محفوظ ، ولم يكن محمد عبد الله دراز بأقل منهم كفاءة واقتدارا على حداثة السن ، بل كان أقرب منهم الى قلوب الطلاب لحسن تواضعه، وقرب اتصاله بشباب لا يزيد عنهم فى الزمن أمدا ذا بال .

وقد شاع فضله فرشحته مواهبه لعضوية البعثة الأزهرية الى فرنسـا سـنة ١٩٣٦ ، بجامعة السوربون ، فكان فى طليعة أبنائهـا فهما وأصالة وسعة أفق ، ثم هيأت له الظروف السعيدة مناسبة سارة سطع فيها نجمه العلمى فجذب اليه أنظار الدارسين فى أوروبا ، اذ عقد مؤتمر الأديان بباريس سنة ١٩٣٩ . وشـاء الامام محمد مصطفى المراغى أن يكون محمد عبد الله دراز ممثل الأزهر فى هذا المؤتمـر العالمى الذى ضم صفوة المفكرين من رجـال الأديان فى الشرق والغرب ، فانتدبه ليلقى كلمة الأزهر ممثلة للاسلام فى هذا المؤتمر ، وليست المهمة بسهلة فى مناسبتها ومجتمعها ورجالها ، لأن الرءوس فى كل دين سيتحدثون بما يجلو النقاب عن عقـائدهم ، ولكل فكره الصـوال وحجاجه الدقيق .

وقد أنعم الله بالتوفيق على الأستاذ دراز ، حين واجه العالم المتحضر ممثلا فى رءوسـه المفكرة بايضاح معنى السـلام فى الاسـلام حيث يهدف الى اسعاد الانسانية بازالة ما يكدر الصفاء ويسبب الشقاء ، اذ تحدث عن الواقع العالمى الراهن بما ينبىء عن قلقـه وفزعه ، وهكذا كان العالم قبيل الحـرب العالمية الثانية التى لم تلبث أن نشبت بعد ثلاثة أشـهر فحسب !! فتساءل الأستاذ عـن سر الشحناء السائدة بين الدول ورد باعثها الى سـيطرة المادية سيطرة حازبة ، ولا علاج الا بانعاش القوى الروحية فى الأمم عن طريق الدين ، وقد كان المتكلم صريحا حين قال فى وضوح :

غير أننا اذا رجعنا الى الأديان نلتمس منها المعونة هالنا ما نراه من اختلافها اختلافا ظالما كان من أسباب الخصومات والحروب بدل أن يساعد على حسن التفـاهم والتقـريب فهل نستطيع أن نجد من وراء هذا الاختلاف وحدة مشتركة فى المبادىء والمطامح تصلح أن تكون محورا لتقرير السـلام بين معتنقيها وتسهيل تعاونهم على الخير المشترك ؟

وأجاب الأستاذ عـلى هذا السؤال الحاسم بقوله : أما أنا فأميل الى أن يكون الحل عـلى أساس الفصل فى الأديان بين ناحيتها الاجتماعية وبين نواحيها الأخرى وأعتقد أن افتراق الأديان فى عقائدها وشرائعها لايمنع التقاءها من الوجهة الخلقية عند قاعدة واحدة ، هى أساس التعاون المطلوب وذلك أنها كلها تأمر بالعدل والاحسان وتنهى عن الظلم والعدوان ، وكلها تسـوى فى هذه المعاملة الدنيوية بين أتباعها وأعدائها .

وأخذ الباحث يعرض نصوصا من كتب الأديان تؤيد منحاه الصريح لينتهى الى أن الأديـان كلها بدلاً من أن تكون سببا للنـزاع يجب أن تكون باعث الائتلاف والوئام ، كما أن السبب

الحقيقى للخصومات الدينية هو تعمد الانحراف عن الدين وهجر تعاليمه الصحيحة . وليس من علاج لآلام الانسانية الحاضرة غير عناية رجال الأديان بالجانب الخلقى ليكون نواة ارتكاز ينهض عليها السلام . وهذه خطوة أولية فى سبيل التفاهم فى الحقائق الدينية نفسها .

وحين ختم المحاضر كلمته أعلن السير فرنسيس رئيس المؤتمر أن كلمة مندوب الازهر تعد الكلمة الرئيسية فى المؤتمر ، وأثنى عليها المعقبون بما تستحق من تنويه ، وكان من حظها أن تخصها الصحف الفرنسية بخلاصة وافية وأن تجمع على أنها الكلمة الأولى فى المؤتمر .

واذا كانت محاضرة الأستاذ دراز فى المؤتمر العالمى للأديان كانت مشرق نجمه فى الدوائر العلمية العالمية . فقد شاء الله أن تكون آخر محاضرة له فى مؤتمر مماثل هو المؤتمر الاسلامى الدولى المنعقد بلاهور « الباكستان » فى يناير سنة ١٩٥٧ حيث أعد بحثا ممتازا تحت عنوان (موقف الاسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها) وهو بحث شاء الله أن يلقيه سواه ، اذ لبى الأستاذ نداء ربه أثناء انعقاد المؤتمر ، وقبل أن يسعد الناس بالقاء كلمته ، وفى هذا البحث الضليع تتجلى أستاذية الدكتور دراز المكينة ، كما تتجلى سعة أفقه حين اعتمد على المنطق التحليلى المؤيد بالدليل فى جميع ما قرر من القضايا ، ونحن نضطر الى الالماع لبعض ما قال حينئذ ، اذ صور موقف الاسلام من الأديان الأخرى تصويرا جامعا مانعا ، على دقة بالغة لا تسمح بالايجاز أو الاستطراد اذ أعلن مبدئيا أن كلمة الاسلام بمدلولها القرآنى تشمل جميع الديانات السماوية . وضرب الأمثلة الدالة على ذلك من مثل قول الله على لسان نوح « **وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** » سورة ١٠ آية ٧٢ وعلى لسان يعقوب مخاطبا نبيه « **فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** » سورة ٢ آية ١٣٢ وقول موسى « **يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ** » سورة ١٠ آية ٨٤ وقول الحواريين لعيسى « **آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** » سورة ٣ آية ٥٢ ويعقب على ذلك بأن الاسلام بمعناه القرآنى لا يصلح لأن يكون محلا للسؤال عن العلاقة بينه وبين الأديان السماوية ، **اذ لا يسأل عن العلاقة بين الشىء ونفسه ، فهاهنا وحدة لا انقسام فيها !**

فاذا ترك المدلول القرآنى لكلمة الاسلام الى المدلول العرفى لدى الناس فاننا نجد الاسلام حينئذ يدل على مجموعة الشرائع والتعاليم التى جاء بها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أو التى استنبطت بما جاء به وفى تحديد العلاقة بين الاسلام بهذا المعنى واليهودية والمسيحية نجد الدكتور دراز يقسم البحث الى مرحلتين مرحلة الصورة الأولى لهذين الدينين قبل التبديل ومرحلة الصورة الثانية لهما بعد التبديل ، وعن المرحلة الأولى يؤكد المحاضر أن القرآن جاء مصدقا لما قبله فهو مصدق للتوراة والانجيل معا ، وليس معنى التصديق هو التذكير فقط دون تبديل ، اذ جاء الانجيل بتعديل أحكام التوراة فأعلن عيسى أنه أتى ليحل لبنى اسرائيل بعض ما حرم عليهم ، وكذلك جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الانجيل اذ أعلن كتاب الله أنه نزل ليحل للناس كل الطيبات .. ويحرم عليهم كل الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم .

يقول الدكتور دراز : ولكن يجب أن يفهم أن هذا وذلك لم يكن من المتأخر نقضا للمتقدم ، ولا انكارا لحكمة أحكامه فى ابانها ، وانما كان وقوفا بها عند وقتها المناسب ، مثل ذلك مثل ثلاثة من الأطباء جاء أحدهم الى الطفل فى الطور الأول من حياته فقرر قصر غذائه على اللبن . وجاء الثانى للطفل فى مرحلته التالية فقرر لـه طعاما نشويا خفيفا وجاء الثالث فى المرحلة التى بعدها فأذن له بغـذاء كامل . وهـكذا كـانت الشرائع الاسلامية كلها صدقا وعدلا فى جملتها وتفصيلها ولكن هذا التصديق على ضربين :

تصديق للقديم مع الاذن ببقائه واستمراره .

وتصديق له مع ابقائه فى حدود ظـروفه الماضية . ولولا اشتمال الشريعة عـلى هذين النوعين ما اجتمع لهـا العنصران الضروريان لسعادة المجتمع البشرى : عنصر الاستمرار ، وعنصر التجديد » .

ثم انتقل الأستاذ الى أمثلة تشريعية جعلهـا موضع التطبيق الصادق لما يقـول ، لينتهى الى الحديث عن العلاقة بين الشريعـة الاسلامية والشرائع السماوية بعد أن طال عليها الأمـد فنالها شىء من التطور والتجوير ، فيعلن أنـه اذا كان القرآن فى المرحلة الأولى مصدقا فهو فى هذه المرحلة مهيمن على تلك الكتب حـارس عليها ، ومن مقتضيات الحراسـة ألا يكتفى الحارس بتأييد ما خلفه التاريخ فيها من حـق وخير ، بل عليه أن يحميها من الدخيل الـذى يضاف دون حق ، فمهمة القرآن حينئذ أن ينفى عنها الزائد ، وأن يتحدى من يدعى وجـوده فى هذه الكتب ، « **قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَـا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** » « **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُـونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** » .

وكان من الضرورى أن يختتم البحث بايضاح موقف الاسلام من الديانات الأخرى من الوجهة النظرية . فعرض آراء المنحرفين ممن فهمـوا هذا الموقف على غير وجهه ، وكر على باطليهم بالدليل ليعلن أن الاسلام ليس فاترا ولا منطويا على نفسه : لأن الدعوة الى الحق والخير ركن أصيل من أركانه . وفى الوقت نفسه يدعو بالرفق والحكمة والموعظة الحسنة . فنبى الاسلام هو أول من يعرف أن كل محاولة اجبارية لفرض دين معين هى مقاومة لسنة الوجود .

« **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِـدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** » .

« **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** » .

« **وَلَوْ شَـاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًـا ، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّـاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** » .

« **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَـاءُ** » .

أقول مرة ثانية ان تلخيص آراء الأستاذ دراز لا يغنى عن استقصائها ، لأن كل لبنة فى بنائه تحمل كيانها الخاص ، وانى أدعو رجال الدعوة الاسلامية الى تتبع كل ما كتبه الأستاذ الكبير عن علاقة الدين الاسلامى بالأديان السابقة ، لا ليلموا بالأفكار وحدها بل ليدرسوا منهجـه المنطقى فى تقرير القضية وعرضها ، والاستدلال عليها .

وعليهم أن يعرفوا أن الاسهاب فى غير موضعه خطل بائر ، لأنه يقذف بالقضايا الواضحة الى متاهات مضلة ، وقد صرنا فى عصر متفتح المنافذ لكل ضوء ، وضوء الاسلام بحقائقه الثابتة أقوى شعاعا . وأهدى سبيلا ، وعلينا أن نعرضه واضحا ساطعا، وعلى الله قصد السبيل .

« يتبـع »

عباقرة مصريون

الأستاذ الدكتور

على مصطفى مشرفة

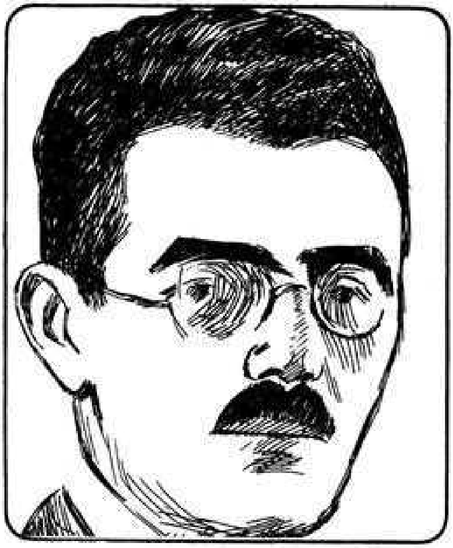
نحن مدينون كبشر بحضارتنا الراهنة ، ومستوى مدنيتنا ، وما بلغناه من رقى ورفاهية للآلاف من جبابرة العقول الذين أخذوا بيد العالم منذ بدايته الى طريق التقدم والمعرفة حتى يرث الله الارض ومن عليها ٠

واذا كنا لانعرف من هو أول من وضع البذرة فى الأرض لتخرج لنا نباتا طيبا وثمارا يانعة ، وأن كنا نجهل أيضا من هو أول من ضرب الزناد على الزناد لتنطلق أول شرارة من النار ، وان كان لايمكننا أن نحدد أول من صنع العجلة ، وأول من بنى مسكنا الى آخر هذه الخطوات الجبارة التى أوصلت الانسان ابى ما صار اليه الآن★فاننا نعرف يقينا وعى وجه التحديد من الذى قاد أول ثورة صناعية باكتشافه قوة البخار (١) ، وأول من اخترع مركبة سكة حديدية (٢) ، وأول من وضع أساس علم(٣) الجبر ٠٠

---

١ ـ هو جيمس وات James Watt (١٧٣٦ـ١٨١٩م)
٢ ـ هو جورج ستيفنسن George Stephinson (١٧٨١ ـ ١٨٤٨ م)
٣ ـ هو محمد بن موسى الخوارزمى عالم الرياضيات والفلك ولا يعلم تاريخ ميلاده او وفاته ولكنه أشار الى الخليفة المأمون فى كتاباته والخليفة المامون تولى الخلافة من ٨١٣ الى ٨٣٣م٠
★ أورد شيخنا المحدث احمد شاكر ـ رحمه الله بتفسير الطبرى الحديث الشريف الذى يذكر ان آدم عليه السلام حين أهبط من الجنة كان معه من « ثمار الجنة ، وعلمه الله صنعة كل شيء » قال حديث صحيح رواه الطبرى مرفوعا حكما موقوفا لفظا ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل مرفوعا صراحة راجع الحديث الشريف حيث هذا الجزء بتفسير الطبرى ١/٢٩٣ الحديث رقم ٥٢٧ دار المعارف بمصر ٠٠٠ مجلة الازهر

للأستاذ محمد عبد المنعم ابراهيم



وأول من اكتشف قانون الجاذبية الأرضية (١) .. وكذلك نعرف تماما من تبحر فى المنطق والرياضيات (٢) •

ولاشك أن الكثيرين من هؤلاء الأفذاذ كانوا من المسلمين والعرب .. والنهضة التى يفخر بها العرب كان الفضل فيها للعلماء المسلمين والعرب مما أوتوا من عبقرية وسعة أفق ودأب ؛ وقبل ذلك بما من الله عليهم من ايمان عميق .. فقد استوعبوا علوم الأقدمين ودرسوها وقدموها للعالم فى ثوب قشيب ، بعد أن أضافوا اليها الكثير من ثمار عقولهم وفيض عبقريتهم .. وهذا أمر مسلم به الآن على الصعيد العلمى العالمى .. فكتاب ابن سينا « القانون فى الطب » وهو فى ستة عشر جزءا كان الكتاب الوحيد الذى يدرس فى الطب فى جامعات أوروبا حتى القرن الثامن عشر ، وكان ابن سينا يلقب لدى الأوروبيين (أمير العلماء) •

وربما تناولنا بعضا من هؤلاء العباقرة واكتشافاتهم فى مقالات تالية .. ولكننا اليوم نقدم رجلا من مصر — من رجالات القرن العشرين ، كان أحد خمسة — على قول — وسبعة على قول آخر — ممن حذقوا (نظرية النسبية) فى العالم كله • باعتراف جهابذة العلم من الغربيين أنفسهم ، وهو عالم الرياضيات الفذ الدكتور على مصطفى مشرفة .. وخير مانقدمه به ، هو كلام الرجل نفسه الذى ينم عن علمه الغزير ووافر معرفته العميقة •

---

١ — هو اسحاق نيوتن Isaac Nwton (١٦٤٢ — ١٧٢٧ م)

٢ — هو موفق الدين عبد اللطيف البغدادى (٥٥٧ — ٦٢٩ هـ) وله ١٧٢ مؤلفا فى المنطق ، ١٠ فى الطبيعيات •

يقول الدكتور مشرفة فى احدى محاضراته :

ماذا يحدث عندما نتحرك فى الفضاء ؟ هل نستمر نبتعد عن النقطة التى بدأنا منها ، وننظر الى مبدأ رحلتنا كلحظة ماضية ؟ أم نعود الى حيث بدأنا . ولو بعد حين .. كما يعود المسافر الى النقطة التى بدأ منها . هنا يمتزج التفكير الرياضى بالتفكير الفلسفى .

ثم بعد أن يستعرض بعض النقط يقول :

« ولست أحب أن أخوض بكم الليلة فى بحث النظرية النسبية ولكنى أكتفى بأن أذكر أن مستقيمنا اللانهائى ربما كان . بدلا من التوغل فى فضاء لانهائى ـ كما نتصور ، هو فى الواقع ملتو على نفسه كما يلتوى خط الاستواء على نفسه فيعود الى حيث بدأ ، بحيث أن أبعد مسافة يمكن الوصول اليها ، هى فى الواقع ونفس الأمر ، مسافة محدودة ، وان كانت كبيرة نسبيا ، بحيث تقارن بأبعاد السدم اللولبية عنا » (١) .

والواقع أن من النظريات التى استرعت أكبر انتباه فى القرن العشرين . والتى أضافت وأثرت العلوم الرياضية والفلسفية معا . والتى اضافت بعدا جديدا للعلم . هى نظرية النسبية للعالم الشهير اينشتين » (٢) .

وقد قيل ضمن ما قيل أنه لولا عقلية اينشتين الجبارة ، ولولا ذكاؤه النادر ، لما أمكن له أن يصل الى لب هذه النظرية والتى حتى بعد أن جلى انيشتين غوامضها . وفك طلاسمها ، لازالت مستعصية على العقول والأفهام ، وقيل ان من أمكنهم أن يستوعبوا هذه النظرية خمسة ـ وقيل سبعة ـ كان الدكتور مشرفة أحدهم كما تقدم ، وكانت له محاضراته وأبحاثه ونظرياته.. حتى ان اينشتين لما بلغه خبر وفاة الدكتور مشرفة قال : « كلا .. كلا .. لاتقولوا ان مشرفة قد مات .. انها خسارة جسيمة للعلم (٢) » .

ولقد كان تقدير العلماء العالميين للدكتور مشرفة كبيرا جدا وكان على وشك الحصول على (جائزة نوبل) الا أنه أصيب ـ بكل أسف ـ بانهيار عصبى نتيجة الارهاق والعمل المتواصل وتحضير الدراسات والأبحاث « لنيل الجائزة » (جائزة نوبل) ومات عقب هذا الانهيار بالقاهرة .. ولاقى ربه الكريم ـ شهيدا للعلم والعمل والواجب (٤) .

وليعرف القارىء .. مبلغ تمكن الدكتور مشرفة فى العلم ، وامتلاكه لناصية اللغة العربية واستيعاب لغتنا الجميلة لمتطلبات العلم ، ننقل له هذه السطور من محاضرته التى أشرنا اليها سابقا :

---

١ ـ محاضرته فى المجمع المصرى للثقافة العلمية سنة ١٩٢٣ بعنوان فكرة اللانهاية ـ مطبوعة فى القاهرة بمطبعة الاعتماد .

٢ ـ نظرية النسبية The Thearyof Relaturity للاستاذ البرت اينشتين المولود سنة ١٨٧٩

٣ ـ مجلة الثقافة ـ السنة السادسة العدد ٦٩ مقال الاستاذ « السيد أبو ضيف المدنى » .

٤ ـ المرجع السابق الذكر .

« قد يخطر لأول وهلة ، أن كل شيء يجب أن يكون محددا قبل أن نستطيع الكلام عنه كلاما مضبوطا ؛ والا فنحن نتكلم عن شيء نجهل حدوده ، ولكن هذا الخاطر سرعان مايفارقنا اذا نحن بحثنا الامر بشيء من الدقيق . ولاضرب لكم مثلا على ذلك . فنحن نستطيع ان نعدد الاعداد الصحيحه الموجبه بترتيب تصاعدى فنقول : واحد . اثنين . ثلاثه الى اخره .. ثم انه من الصعب على العقل البشرى ان يتصور وجود حد اعلى لهذه الاعداد اذ كلما ذكر عددا أمكن دائما ذكر عدد أكبر منه . فعدد هذه الاعداد اذن نستطيع أن نقول عنه انه لانهائى » .

تصور أيها القارىء الكريم ما فى هذا القول من بساطة وعمق فى نفس الوقت . وكيف كان يقدم العلم بأسلوب واضح جميل وما ذلك الا لأنه يحمل عقلا استوعب العلم ، والنظرية التى سماها تواضعا (فكرة) . فأمكن أن يعبر عما فى نفسه بمنتهى اليسر والوضوح .

واذا كان لابد أن نذكر فى أى بحث حياة عالم فنذكر تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته . فاننا نقول ان الدكتور مشرفة قد ولد فى ثغر دمياط فى ١١ يوليه سنة ١٨٩٨ م .. وكان أبوه ثريا ولكن لم يلبث أن افتقر . فانفصلت أمه عن والده وتزوجت بغيره . وكانت أزمة سنة ١٩٠٩ الطاحنة الخاصة بالقطن فأودت بجميع ثروة والده ومات محسورا .

وكان لابد أن ينتقل الصغير مع أخويه (عطية ومصطفى) ليعيش مع جدته لأمه بالقاهرة ، ولم يكن لها من مصدر رزق سوى ماكينة خياطة قديمة .. فيالهذه الجدة التى أنهكها الفقر والسهر والتعب (١) .

ثم ماتت أمه قبل أن يكمل دراسته الثانوية.

ولاشك أن هذه الحوادث المتلاحقة .. انفصال أمه عن أبيه .. زواجها من رجل آخر .. نزول أبيه من آفاق الثروة والثراء الى حضيض الفقر .. وفاة والده .. انتقاله للقاهرة لتكفله جدة كانت فى حاجة لمن يكفلها .. كل هذه الأحداث كان لها أعمق الاثر فى شخصيته .. وهنا يظهر المعدن الطيب للانسان .. أو قل ان الطحن يخرج من القمح دقيقه .. والضرب ينقى الأرز من شوائبه .. والنار تصفى الذهب من كل خسيس يلصق به .. وهكذا صقلت المحنة هذه النفس التى لم ترض بغير الريادة سواء فى دراستها لتكون دائما فى الصفوف الأولى أو فى الحياة العملية لتكون فى الصفوف الأولى فى العلماء الأفذاذ .

ويمكننا أن نقول أن الطالب مشرفة قد كفل نفسه بنفسه فى مصاريف الدراسة ، لأن تقدمه واحرازه قصب السبق ضمن له (المجانية) التى استحقها عن جدارة .

وبعد أن أتم الطالب مشرفة دروسه الثانوية التحق بمدرسة المعلمين تلك المدرسة التى كان ◄

---

١ ـ يراجع كتاب الاستاذ محمد محمد الجوادى : « الدكتور مشرفة بين الذرة والذروة »

عباقرة مصريون

لها الأثر العميق فى حياتنا الثقافية عامة ، اذ تخرج منها العديد من رجالات مصر الأفذاذ أمثال الأديب الكبير محمد السباعى (١٨٩٩) الذى كان يعمل بالادارة الأوروبية بوزارة الاشغال ، ثم استقال منها ليشتغل بالأدب تأليفا وترجمة والأديب الفذ ابراهيم عبد القادر المازنى وزميله الشاعر الرائد عبد الرحمن شكرى (١٩٠٩) والعالم الأثرى سليم جسن بك (١٩١٢) صاحب موسوعة (مصر القديمة) وكل من الشاعر أحمد رامى وعبد الحميد العبادى ، ومحمد فريد أبو حديد والدكتور أحمد زكى ومحمد أحمد الغمراوى (١٩١٤) وغيرهم (١) ، ثم أوفد بعد ذلك — لتفوقه — فى بعثة علمية الى انجلترا ، حيث حصل من كلية نوتنجهام (٢) على بكالوريوس الرياضة مع مرتبة الشرف •

والذى يؤكد أصالة مشرفة وعبقريته أن الدراسة للحصول على بكالوريوس الرياضة تستغرق أربعة أعوام ولكن مشرفة استطاع أن يختصرها الى ثلاث سنوات (٣) فقط •

ثم حصل على الدكتوراه فى فلسفة العلوم فى أقصر مدة تسمح بها قوانين الجامعة سنة ١٩٢٣ ثم كرمته الجمعية الملكية ببريطانيا — أو كرمت نفسها — باختياره عضوا فيها •

وقد أنشئت جامعتنا المصرية سنة ١٩٢٥ وعين الدكتور مشرفة أستاذا مساعدا ، ثم فى سنة ١٩٢٦ عين أستاذا للرياضيات ، ثم انتخب وكيلا للكلية سنة١٩٣٠ ثم عميدا لها سنة ١٩٣٦•

ويعلق الأستاذ محمد محمد الجوادى على ذلك فى كتابه السابق ذكره « الدكتور مشرفة بين الذرة والذروة » :

(وهكذا سلك طريقه فى المناصب الجامعية كما سلكه من قبل فى الدرجات العلمية ، بسبب مواهبه وقدرته وجده واجتهاده) •

آثاره العلمية :

قدم الدكتور مشرفة للمكتبة العربية العديد من البحوث المبتكرة فىنظرية الكم وفكرة اللانهاية وتفسير الكثير من الظواهر ، بالاضافة الى اقتران اسمه بنظرية (المادة والاشعاع) • لماذهب اليه من امكان اعتبارهما صورتين لشىء واحد ، تتحول كل منهما الى الأخرى •

وللدكتور مشرفة عدة كتب مدرسية من تأليفه بالعربية وأخرى علمية تحمل عناوين : (العلم والحياة) و (نحن والعلم)وغيرها كما قام بمراجعة بعض الكتب العلمية الهامة مثل كتاب

---

١ — انظر الكتاب الذهبى لمدرسة المعلمين العليا ، والذى صدر عن جمعية المعلمين سنة ١٩٣٥ بمناسبة مرور ٥٠ عاما على تخرج أول فرقة منها صفحة ١٢٥ •

ملاحظة : ما بين القوسين هو تاريخ تخرج من ذكرناهم •

٢ — كتاب « مشرفة بين الذرة والذروة للأستاذ محمد محمد الجوادى » •

٣ — المرجع السابق •

(الكون الغامض) للسير جيمس جينز ، والذى قام الأستاذ عبد الحميد حمدى مرسى بترجمته الى اللغة العربية .

وقام سنة ١٩٣٧ بالاشتراك مع تلميـــذه الدكتور محمد مرسى أحمد أستاذ الرياضـــة البحتة بنشر كتاب « الجبر والمقابلة » الذى ألفه محمد بن موسى الخوارزمى فى عصر الخليفـــة المأمون . وقد علقا عليه وأوضحا ما استغلق من بحوثه ومؤلفاته .

والمطلع على كتاب « الجبـــــر والمقابلة » للخوارزمى يلمس فيه المجهود العلمى الــذى بذل لاخراجه . ويرى أن المقدمة والتعـــريف بالخوارزمى دلنا على علم مقدمى الكتـــاب ، الدكتور مشرفة والدكتور محمد مرسى أحمــد .. وان كان لايمكننا أن ننقل كـــل ماكتباه ، فاننا نجتزىء منه بما يلى :

« ليس يكفى أن نتحدث عن مجدنا العــلمى كما لو كان أسطورة أو حديث خرافة يتغنى به الشعراء ويتغالى فى وصفه الخيال ، بل يجب أن يظهر هذا المجد فى صورة ملموسة تراهــا الأعين وتتناولها الأيدى . لذلك كان من المهــم أن نعنى بنشر الكتب التى وضعها آبـــاؤنا وأجدادنا خصوصا اذا كانت هذه الكتب هامة الأثر فى تكييف التفكير البشرى .

وقد راعينا فى نشر هذا المخطوط العناية بما كان منه أساسيا فشرحنا هذا الجزء ، وعلقنـــا عليه وحللنا مسائله معبرين فى ذلك بعبــارات الاصطلاح الحديث » .

وفى مقال لمشرفة بعنوان أين يسير بنا العلم الى العمران أم الى الدمار ؟ (١) يقول : « العلم أثر من آثارنا نحن وشىء من صنعنا .. فوضعه موضع القيادة وتسليمه دفة السفينة البشرية ، قلب لأوضاع الأمور ، اذ السفينة سفينتنا ونحن وحدنا المسئولون عن قيادتها » .

ويقول « على أن هذا التشبيه انما تنعكس فيه صفة قديمة من صفات الانسان وغريزة من غرائزه .. فقد صنع الناس تماثيل وأصناما ، ثم عزوا اليها قوة التحكم فى مصـــــائرهم ، وأسندوا اليها القدرة على تكييـــف شئونهم ، ومازالوا يخدعون أنفسهم فى أمرها » .

وفى المحاضرة التى ألقاها الدكتور مشرفة عن العلم والتصوف (٢) يدلل على عدم وجـــود تعارض بين العلم والدين بما قدمه مـــن آراء حصيفة .

وأدق وصف لشخصية الدكتور مشرفة هــو قول الصحفى الكبير الاستاذ مصطفى أمين : « لقد عرفت مشرفة سياسيا وشاعرا وفيلسوفا وأديبا ، قبل أن أعرفه عالما .

وقد توفى مشرفة بالقاهرة فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٠ وسيظل دائما نبراسا وهاجا ، وعلما من أعلام النبوغ والعبقرية وسيظل رائدا من رواد العلم ولواء مرفوعا فى ساحة العلماء والعظماء .

رحم الله عالمنا الجليل رحمة واسعة ، وليت المسئولين يقومون بترجمة آثاره العلميـــة التى كتبها بلغة أجنبية الى اللغة العربية ، وكـــذلك بطبع أعماله كاملة ، تخليدا لذكراه ، وتحقيقـــا للفائدة لجمهرة المثقفين عامة . والله سبحانه تعالى ولى التوفيق .

---

١ - عدد مجلة الهلال الصادر عام ١٩٣٤ ص ١٥٠

(٢) - مجلة المقتطف عدد ابريل سنة ١٩٣١ .

الأمانة

لفضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

الأمانة زينة العلم وروحه وبها يزكو فينفع ويفيد ، وأنت إذا دققت وأمعنت النظر فى تراجم رجال العلم فى العالم عامة رأيت فيهم الأمين وغير الأمين .
الأول : فى مكانة مرموقة محفوفة بالإجلال والوقار ، وانتفاع الناس منه فى ازدياد .
الثانى : فى منزلة أدنى ، ونفوس الناس عنه منصرفة ترمقه بازدراء . وتذهب ثقتهم به فلا يكادون ينتفعون منه بشىء ومن هنا يظهر مقدار صلة العالم بمزية الأمانة . فالأمانة فى العلم لها صلة وثيقة بخلق العالم عندما يسأل عما لا يعلم

قال الشيخ - رحمه الله :

فلاح (١) الأمة فى صلاح أعمالها ، وصلاح أعمالها فى صحة علومها ، وصحة علومها أن يكون رجالها أمناء فيما يروون أو يصفون ، فمن تحدث فى العلم بغير أمانة فقد مس العلم بقرحة ، ووضع فى سبيل فلاح الأمة حجر عثرة .

لا تخلو الطوائف المنتمية الى العلوم من أشخاص لا يطلبون العلم ليتحلوا بأسنى فضيلة .. أو لينفعوا الناس بما عرفوا من حكمة ، وأمثال هؤلاء لا تجد الأمانة فى نفوسهم مستقرا فلا يتحرجون أن يرووا مالم يسمعوا ، أو يصفوا ما لم يعلموا ، وهذا ما كان يدعو جهابذة أهل العلم الى نقد الرجال وتمييز من يسرف فى القول ممن يصوغه على قدر ما يعلم ، حتى أصبح طلاب العلم على بصيرة من قيمة ما يقرءونه ، فلا تخفى عليهم منزلته من القطع بصدقه أو كذبه أو رجحان أحدهما على الآخر ، أو احتمالهما على سواء .

قيض الله للسنة النبوية رجالا أشربوا فى قلوبهم التقوى ، فنهجوا فى روايتها نهج أصحاب رسول الله - ﷺ - فلا يروون الا ما وثقوا من صحته ، وهم بعد هذا الاحتراس البالغ على فريقين : فريق يحافظون فى الرواية على الألفاظ لا يغيرون منها حرفا ، ومن أصحاب هذه الطريقة القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، ورجاء ابن حيوة ، ومحمد بن سيرين .

(١) نور الاسلام (مجلة الأزهر) ربيع الآخر ١٣٥٠هـ

تقديم : عبدالفتاح حسين الزيات

وفريق من أولئك الراشدين يحافظون فما يروون من الحديث على المعنى ، ولم يروا بأسا فى التعبير عنه بلفظ غير لفظ الرواية على شرط أن يؤدى المعنى كما هو ، ومن أصحاب هذه الطريقة الحسن البصرى . والشعبى وابراهيم النخعى

اندس بين هؤلاء الأمناء أشخاص يتشابهون فى الاستخفاف بصدق اللهجة ، ويختلفون فى الأغراض التى دعتهم الى هذا الاستخفاف ، فمنهم الجاهل الذى يحسب أن من طرق الاحسان الى الدين وضع أحاديث للترغيب فى بعض ماندب اليه من أعمال صالحة ، كما وضع نوح بن أبى مريم أحاديث فى فضل سور القرآن ، وقال : رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن اسحاق ، فوضعت هذه الأحاديث حسبة .

ومنهم المغلوب على رشده : يضع الحديث لنحو تأييد مذهب أو إصابة عرض زائل كأن يصنع حديثا فيما يوافق هوى ذى سلطان ليزداد عنده حظوة . مثل غياث بن ابراهيم رأى المهدى يلعب بالحمام . فتصرف فى حديث (لا سبق الا فى نصل او خف او حافر) فزاد فيه (أوجناح) وقد شاء الله تعالى أن يتنبه المهدى لهذه الخيانة ، فأنَّبَ غياثا وترك الحمام وأمر بذبحها .

ومنهم الزنديق : يضع أحاديث ليفسد القلوب ويزعزع الايمان كما وضع بعض عباد الأوثان حديث « لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه » .

ونهض باللغة العربية وآدابها رجال طبعوا على الأمانة ، مثل أبى عمرو بن العلاء ، والمفضل الضبى ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، والأصمعى ، وابن الأعرابى ، وأبى عمرو الشيبانى ، ومحمد بن مسلم الدينورى ، ولم تخلص اللغة وآدابها من أن ينتمى اليها نفر لا يتحاشون أن يدخلوا فيها ماليس من حقائقها ، كقطرب (١) ، وحماد الراوية ، ولولا العلماء الذين ينقدون مايرويه أمثال هؤلاء لأصيبت اللغة بفساد كبير .

وللتاريخ القسط الأوفر من اختلاق الرواة وتزوير الكتاب ، فكم من حقائق شاخصة حاولوا أن يذهبوا بها هباء ، وكم من سير نقية أخرجوها فى صورة مايستحق هجاء ، وسير مدنسة ألبسوها ثوب مايستأهل ثناء ، ومن ناحية المحرومين من نعمة الأمانة فى العلم صدرت كتب مثل كتاب الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة وصفت كثيرا من أفاضل السلف فى غير انصاف ، وولغت فى أعراض الصحابة وهم خير أمة أخرجت للناس ، وقد حذر اهل العلم من التسرع الى تسليم مايكتبه المؤرخون فى شأنهم ، وإنما يعول فى أخبارهم على الروايات الموثوق بها كالأخبار الواردة على طريق علماء الحديث .

وكذلك ترى فى غير الحديث واللغة والتاريخ من العلوم رهطا يمسونها بأيد غير مؤتمنة ،

---

(١) كان متهما فى رأيه وروايته عن العرب (مقدمة التهذيب لأبى منصور الأزهرى)

الأمـــانـة

ويحشرون فيها ما لا يصح رواية أو لا يقبل دراية ، فيتناولها الجهابذة بالنقد ، فينفون خبثها كما تنفى النار خبث الحديد .

فالأمانة زينة العلم وروحه الذى يجعله زاكى الثمر لذيذ المطعم . وإذا قلبت النظر فى تراجم رجال العلم ، رأيت بين العالم الأمين وقرينه غير الأمين بونا شاسعا ، ترى الأول فى مكانة محفوفة بالوقار ، وانتفاع الناس منه فى ازدياد ، وترى الثانى فى منزله صاغرة ، ونفوس طلاب العلم منصرفة عن الأخذ عنه أو متباطئة .

وقد تقرأ كتابا . فتراه حافلا بالمسائل النادرة ، فكبر صاحبه فى عينيك ، ومتى عرفت أنه من المطعون فى أمانتهم ، شعرت بأن شطرا من ذلك الاكبار قد ذهب ، وخالطك الريب فى صحة ماأعجبت به من المسائل الراجعة الى الرواية .

كيف تكون منزلة الجاحظ عندك لو درست حياته فخرجت مالئا يدك بالثقة من أنه راوية أمين ؟ لا شك فى أن الأمانة اذا انحازت الى مثل ذكاء الجاحظ وسعة اطلاعه بلغ صاحبها فى الشرف والسؤدد المكانة القصوى ، ولكنك تقرأ ما شهد به بعض (١) ناقدى علماء العربية من أن الجاحظ غير مأمون فيما يروى ، فلا يبقى فى نفسك من احترامه الا ما جاءها من ناحية سعة علمه وبراعة بيانه . ولا اظنك بعد أن تعلم أن ابا الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى غير معدود فيمن يطمأن الى روايته (٢)الا أن تقرأ كتاب الأغانى على أنه كتاب ادب يجمع بين الصحيح والسقيم ، حتى إذا اردت تحقيق موضوع تاريخى ، لم تعول على ما ينفرد بروايته فتورده كما تورد مايرويه ابن جرير الطبرى مثلا ـ وأنت مطمئن اليه ، ولو كنت إذ درست حياة أبى الفرج وجدتها خالصة مما يخدش فى امانته لأخذ فى نفسك مكانة فوق المكانة التى حازها من جهة سعة اطلاعه واتقانه لصناعة التأليف .

فالرجل الذى يكون على جانب من العلم ولا يتصرف فيه بأمانة حصينة ، يرمقه الناس بازدراء ، وتذهب ثقتهم به فلا يكادون ينتفعون بما يمكنهم أن ينتفعوا به من معلوماته الصحيحة وهذا صاعد بن الحسين البغدادى دخل قرطبة ايام المنصور بن أبى عامر . وكان عالما باللغة والأدب والأخبار . ولكن أهل العلم اختبروه فوجوده يتنفق بالكذب ، فأعرضوا عنه ولم يأخذوا منه شيئا ، وألف كتابا سماه الفصوص نحا فيه نحو الأمالى لأبى على القالى فغلب شؤم ما فيه من كذب على ما فيه من صدق ، وكان شكرهم لهذا الكتاب أن طرحوه فى النهر .

قد يقع الرجل فى حال يرى أن الاعتراف فيه بالجهل يذهب بشىء من احترام سائليه له ، فيقف بين داعيين : فضيلة الأمانة تدعوه الى أن يقول « لا أدرى » وحرصه على أن يبقى احترامه فى نفوس سائليه غير منقوص يدعوه الى أن يستمد من غير الحقيقة جوابا ، وفى مثل هذا الحال يظهر مقدار صلة العالم بمزية الأمانة ، فان كان راسخا فيها رسوخ الجبل تشتد به العواصف فلا تزحزحه قيد شعرة ، أجاب داعيها ، واستيقن أن الاحترام الحق فى الوقوف عند حدودها ، وان كانت الأمانة كلمة يقولها بفمه ويسمعها بأذنيه دون أن تتخلل مسلك الروح منه ، آثر لذة الاحترام فى ذلك المشهد .

---

(١) ابو منصور الأزهرى فى مقدمة « كتاب التهذيب »

(٢) انظر « عيون التواريخ » لابن شاكر

وأجاب بما ليس له به علم حضر بعض أدباء المغرب مجلس السلطان اسماعيل أو ابنه محمد وقرأ هذا الاديب بين يديه صحيفة ، نجاءت كلمة « الوخيد » (١) فقرأها «الوخيذ» بالذال المعجمة ، فأرجعه السلطان ، فقال ذلك الأديب : انه بالمعجمه والمهملة ، فطلب منه شاهدا على ذلك فارتجل :

اقول لصاحبى لما ارتحلنا
وأشرعنا النجائب فى الوخيذ
تمتع من لذيذ كلام سولى
فما بعد العشية من لذيذ

واذا كان هذا الأديب قد خرج من مجلس السلطان فى ستر ، فقد لقى ما يلقاه المستخف بحق الأمانة فى العلم ، فافتضح أمره ، ووعت صحف التاريخ حديثه ، فازرى بقدره .

واذا أبديت فى العلم رأيا ، ثم أراك الدليل القاطع أو الراجح أن الحق فى غير ما أبديت ، فمقتضى الأمانة أن تصدع بما استبان ذلك انه الحق ، ولا يمنعنك من الجهر به أن تنسب الى سوء النظر فيما رأيته سالفا ، فما أنت الابشر ، وما كان لبشر أن يبرىء نفسه من الخطأ ، ويدعى أنه لم يقل ولن يقول فى حياته الا صوابا ، والأمانة هى التى كانت تحمل كبار اهل العلم على أن يعلنوا فى الناس رجوعهم عن كثير من آراء علمية أو اجتهادات دينية تبينوا أنهم لم يقولوا فيها قولا سديدا ، تجد هذه الفضيلة فى الأئمة المقتدى بهم كمالك بن أنس وأبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل ، والفتاوى التى رجع عنها أمثال هؤلاء العظماء منبه عليها فى كتب الأحكام ، ولا يعدشىء منها فيما يصح الاقتداء به الا أن يراه بعض المجتهدين صحيح الاستنباط ثابت الأصل فحكمه العمل على ما رأى .

يسأل العالم ذو الخلق العظيم عما لا يعلم ، فلا يجد فى صدره حرجا أن يقول « لا أعلم » وهذه سيرة أئمتنا الاجلاء : يلقى الواحد منهم السؤال فى العلم الذى علا فيه كعبه ، فاذا لم يحضره الجواب أطلق لسانه بكلمة «لا أدرى» غير مستنكف ولا مبال بما يكون لها من الأثر فى نفوس السائلين ، واذا فاته أن يجيب طالب العلم عما سأل ، لم يفته أن يعلمه خلقا شريفا هو أن لايتحدث فى العلم إلا على بصيرة ، فيحفظ مقامه من أن يرمى بضعف الراى ان كانت المسألة من قبيل الدراية ، أو بقلة الأمانة إن كانت عائدة الى الرواية ، ولأن يقال : سئل فقال لا ادرى ، خير من أن يقال : سئل فقال خطلا ، أو روى ما لم يكن واقعا .

قال ابن هرمز : ينبغى للعالم أن يورث جلساءه قول « لا ادرى » .

والمسائل التى قال فيها كبار العلماء « لا أدرى » بالغة من الكثرة ما لا يحيط به حساب .

سأل رجل مالك بن انس عن مسألة ، وذكر أنه أرسل فيها من مسيرة أشهر من المغرب ، فقال له : أخبر الذى أرسلك انه لاعلم لى بها .

---

(١) الوخيد للإبل : الإسراع

الأمانة

قال : ومن يعلمها ؟ قال : من علمه الله ، وسأله آخر عن مسألة استودعه إياها أهل المغرب ، فقال : « ما أدرى ماهى » فقال الرجل : ياأبا عبد الله تركت خلفى من يقول : ليس على وجه الأرض أعلم منك ، فقال مالك غير مستوحش : إذا رجعت فأخبرهم انى لا أحسن ، وقال الكاتبون فى سيرته : لو شاء رجل أن يملأ صحيفته من قول مالك « لا أدرى » لفعل .

ونقرأ فى سيرة الشعبى أنه سئل عن مسألة فقال « لاأدرى » فقال له السائل فبأى شىء تأخذون رزق السلطان فقال : لأقول فيما لا أدرى « لا أدرى »

ومن شواهد أمانة محمد بن الأعرابى أن محمدا بن حبيب سأله فى مجلس واحد عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح ، فكان يقول : لا أدرى ، ولم أسمع ، أفأحدس لك برأيى !

وقد تخون الرجل ذاكرته أو تأخذه غفلة فيقع لسانه فى خطأ ، وينبه بعد أو يتنبه من نفسه الى هفوته ، فان كان على حظ عظيم من الأمانة بادر الى اصلاح خطئه بنفسه غير مستنكف من الاعتراف بما أخذه من ذهول قلب أو غلط لسان ، حضر أبو بكر بن العربى[1] مجلس أبى الفضل النحوى فسمعه يقول : طلق رسول الله ـ ﷺ ، وآلى وظاهر ، فلما انصرف قصده الى منزله ، وقال له : أصلحك الله ! قلت : إنه ـ ﷺ ـ طلق وآلى وظاهر ـ وأنه ﷺ لم يظاهر ، فإن الله جعل الظهار منكرا من القول وزورا ، فكان من أبى الفضل أن شكره ، ومن الغد قال أبو الفضل لأهل مجلسه بعد أن قرب ابن العربى اليه : إنى قد قلت لكم بالأمس : أن رسول الله ـ ﷺ ـ طلق وآلى وظاهر ، وأن هذا أرشدنى الى أنه لم يظاهر ، وهو كما قال ، وأنه شيخى فى هذه المسألة .

من الأمانة الرجوع الى الحق ، وهو كمال لاتحرص عليه الأنفس ذللت لها سبل المكارم تذليلا ، ومن الأمانة أن تنقد الآراء ولا تغمض فيما تراه باطلا وان كان بينك وبين صاحبها صلة الصداقة أو القربى .

قدم أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهرى الملك المنتصر فى تونس كتابا فى النحو ، فدفعه المستنصر للأستاذ أبى الحسن حازم ، فزار أبو جعفر حازم يوما ، فرأى الكتاب بين يديه ، فقال له يا أبا الحسن « وعين الرضا عن كل عيب كليلة » فقال له حازم : أنت سيدى وأخى ، والعلم لا يحتمل المداهنة ، فقال له أبو جعفر : فأخبرنى بما عثرت عليه ، فأراه مواضع فسلمها وأصلحها بخطه .

ومن أمانة العالم أن لايفتى أو يقضى بما يراه باطلا ، فحرام عليه أن يفتى أو يقضى برأى غيره وهو لايتردد فى بطلانه ، ويبقى النظر فى المسائل التى تعود الى الاجتهاد ولا يتعدى حكمها مراتب الظنون ، وهذا ما يمكن أن يكون موضع اختلاف الفقهاء فى قضاء العالم أو افتائه بغير مذهبه ، كأن يقضى بين خصمين من اتباع بعض المذاهب على مقتضى المذهب الذى تقلداه . كان العالم الجليل قاسم بن محمد بن سيار يفتى فى

---

(١) هكذا وردت هذه القصة فى كتاب « الفائق » لابن راشد القفصى وأوردها أبو بكر ابن العربى فى كتاب « الأحكام » على أنها وقعت لمحمد بن قاسم العثمانى حين حضر مجلس أبى الفضل الجوهرى .

الأندلس بمذهب مالك وهو يخالفه في كثير من المسائل ، فقال له أحمد بن خالد : أراك تفتى الناس بما لا تعتقد ! وهذا لا يحل لك ، فقال : انما يسألونني عن مذهب جرى في البلد فعرف ، فأفتيهم به ، ولو سألوني عن مذهبي لأ خبرتهم به .

ويسهل على العالم السبيل لإفتاء القوم بمذهب إمام تقلدوه أن المجتهد وإن خالف غيره من المجتهدين في بعض الأحكام المستنبطة ، يرى أن عبادات كل مجتهد ومن يقلدونه في مذهبه صحيحة ، لأنها قائمة على الاجتهاد الذى هو أقصى ما كلفهم الله بالعمل عليه ، وليس عليهم أن يكون اجتهادهم مطابقا لما هو الصواب عند الله .

وممن لا يجيز للعالم ان يحكم بمذهب غير راجح في نظره أبو بكر الطرطوشي ، فأنه كان ينكر ما يفعله ولاة قرطبة من أنهم إذا ولوا أحدا القضاء شرطوا عليه أن لا يخرج عن قول ابن القاسم ، وقال : هذا جهل عظيم .

والحق أن ولاية القضاء المتبعين لمذهب بعض الأئمة المقتدى بهم - عند فقد المجتهدين - صحيحة ولولى الأمر أن يشترط عليهم الحكم بالمشهور أو الراجح في مذهب يعينه عند الولاية ، ضبطا للأحكام وسدا لأبواب اتباع الأهواء ، ولا حرج في قضائهم على هذا الشرط وإن حكموا بما لا تطمئن إليه نفوسهم ، فإن آراء من لم يبلغ رتبة الاجتهاد المطلق أو المقيد تسقط أمام آراء المجتهدين ، وليس لها في نظر الشارع من قيمة ، أما بالغ رتبة الاجتهاد فليس له أن يحكم بغير ما قامت الأدلة القاطعة أو الراجحة على أنه حكم الله الذى شرع لعباده .

وإذا كانت الأمانة في العلم منبع حياة الأمم وأساس عظمتها ، زيادة على أنها الخصلة التى تكسب صاحبها وقارا وجلالة ، كان حقا علينا أن نعطف على نشئنا من طلاب العلم ، ونتخذ كل وسيلة الى أن نخرجهم أمناء يروون أو يصفون ، ذلك بأن نتحرى في دروسنا الأمانة فيما نروى ، ولا نجيب سؤالهم إلا بما ندرى أو بقولنا « لا ندرى » وإذا أوردنا رأيا استبنا بعد أنه مأخوذ من غير أصل ، قلنا لهم في صراحة : قد أخطأنا في الفهم ، أو خرجنا على ما تقتضيه أصول العلم .

ومن أساليب تلقينهم الأمانة في العلم أن نتلقى مناقشاتهم بصدر رحب ، ولا نقتل آراءهم بالكلمات الجارحة ، أو نتعسف في ردها فندافعها بما نعتقد في أنفسنا أنه غير كاف لدفاعها .

وعلى الأستاذ بعد أن يقوم بحق الأمانة ملاحظة سير الطلاب حتى إذا وقع أحدهم فيما يدل على أنه غافل عن رفعة شأنها وغزارة فوائدها ، أرشده الى أن العلم بغير أمانة شر من الجهل ، وأن ذكاء لا يصاحبه صدق اللهجة نكبة على العقل « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » .

محمد الخضر حسين

من نوادر مخطوطات "مكتبة الأزهر"

كتاب

تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر

في علم التفسير " للعالم الكواشي "

حظى القرآن الكريم بتفسيرات كثيرة تناولها العلماء في شتى نواحيها لشرف علومها ومعلوماتها .

ومؤلف الكتاب هو : (٢) موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن الحسين بن سويدان الشيباني المعروف بالكواشي الموصلي عالم التفسير من فقهاء الشافعية ومن علماء القرن السادس الهجرى .

ولد : « بكواشة » عام ٥٩١ هـ سنة ١١٩٤ م .

وتوفي « بالموصل » عام ٦٨٠ هـ سنة ١٢٨١ م .

وبجانب هذا الكتاب له كتاب « كشف الحقائق » الجزء الثالث منه ويعرف بتفسير الكواشي .

وقالت عنه « النجوم الزاهرة » ج ٧ ص ٣٤٨ إنه صاحب التفسير الكبير والتفسير الصغير وهما من أحسن التفاسير . وكانت له اليد الطولى في القراءات ومشاركة في غير ذلك من العلوم .

وكان مقيما بالجامع العتيق بالموصل منقطعا عن الناس مجتهدا في العبادة . وله مجاهدات وكشوف وكرامات . ولأهل تلك البلاد فيه عقيدة .

ومات وله تسعون سنة تقريبا ودفن بالموصل .

والكتاب موضوع الكلام هو « تبصرة المتذكر ، وتذكرة المتبصر » .

قال في مقدمته : أحببت أن آخذ شيئا من كلام من تقدمني من أهل التفسير فأجمعه ، وأذكر مع

عرض الأستاذ
محمد عميرة على

ذلك « إن شاء الله تعالى » انا ومن عساه أن يراه ممتنا ، إذ العمر قصير والعلم كثير ودرك المطلوب عسير وسميته « تبصرة المتذكر ، وتذكرة المتبصر » يتبصر به المبتدى ويتذكر به المنتهى ، والى الله تعالى أرغب أن يجعله خالصا لوجهه بمنه وكرمه .

ثم قال فى الإستعاذة . اختلف فى لفظ الإستعاذة . فالذى نرويه من قراءة وسماعا بأسانيد عن مشايخنا رضى الله تعالى عنهم .

« أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

ومعنى أعوذ أستجير وأمتنع والشيطان : مشتق من شطن إذا بعد لانه قد بعد من رحمة الله تعالى ، يقال : دار شطون وبئر مشطون أى بعيدة القمر فوزنه على هذا ، فيقال أو من شاط يشيط إذا هلك لهلاكه بمعصية الله تعالى فوزنه على هذا فعلان .

« والرجيم » بمعنى المرجوم « والمرجوم » الذى قد رجم بالشهب عند استراق السمع . قال تعالى « **وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ** » .

أو المرجوم المشئوم كقوله تعالى « لأرجمنك » أو « المرجوم » الملعون والملعون المطرود .

وقوله تعالى « **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** » ، أى اذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله كقوله « **إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا** » أى أردتم القيام الى الصلاة فصار معنى الكلام أستجير وأمتنع بجلال الله تعالى وعظمته من البعد من رحمة الله تعالى أو الهالك المرجوم على الوجوه الثلاثة .

وذكر فاتحة الكتاب وقال سميت فاتحة الكتاب لأنها بها افتتح القرآن .

وهى أم القرآن لأنها الأصل منها يبدأ القرآن ، وأم الشيء أصله كقوله لمكة أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها أو لأنها مقدمة بكتابتها فى المصحف وبقراءتها فى الصلاة أو لاشتمالها على المعانى التى فى القرآن من الثناء على الله تعالى بالأمر والنهى والوعد والوعيد .

هى السبع المثانى لأنها سبع آيات باتفاق العلماء ، وهى المثانى لأنها تثنى فى الصلاة أو أن الله تعالى إستثناها لهذه الأمة ، وهى مكية أو مدنية . أو نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة .

قالوا : ولذلك سميت مثانى ، والأول أصح لقوله تعالى « **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِى** » .

وقال رحمه الله فى « الحمد لله » الحمد والمدح بمعنى ولفظه خبر كان يخبر أن المستحق للحمد هو الله وتقديره قولوا الحمد لله .

« والحمد » بمعنى الشكر على النعمة ، والبناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة .

تقول : حمدت فلانا على إحسانه الى ، وحمدته على علمه وشجاعته . والشكر لا يكون الا على النعمة ، فالحمد اعم من الشكر ، واللام فى « لله » للإستحقاق كقولهم « الدار لزيد » .

وقال فى « رب العالمين » الرب المالك كرب الدار ورب الشىء اذا ملكه وبمعنى التربية والإصلاح كقولهم رب فلان الضيعة يربها اذا اتمها وأصلحها فهو رب كطبيب ، فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم .

ولايقال للمخلوق هو الرب معرفا إنما يقال رب كذا مضافا .

والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهم الجن والانس ، وجميع المخلوقين أو الملائكة والجن والانس والشياطين .

وقال فى قوله تعالى : « **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** » .

فقال عاصم والكسائى بألف ومن بقى بغير الف ، ومعناها واحد كفارهين وفرهين ، ومعناهما الرب كرب الدار أى مالكها والمالك والملك القادر على اختراع الأعيان من العدم الى الوجود ولايقدر على ذلك غير الله تعالى .

أو مالك أجمع وأوسع من ملك ، يقال هو مالك العبيد والطير والدواب ، ولا يقال ملك هذه الأشياء لأنه لايكون مالكا لشىء إلا وهو يملكه ، وملك يوم الدين قاضى يوم الحساب ، والدين الجزاء ويقع على الجزاء الخير والشر جميعا لقولهم كما تدين تدان ، أو ملك يوم الدين ، اى لاينفع فيه إلا الدين ، أو الدين القهر .

يقال : دنته فدان أى قهرته فذل ، أو الدين الطاعة اى يوم الطاعة ، وإنما خص يوم الدين بالذكر وان كان مالكا جميع الأيام لأن الأملاك يومئذ آيلة .

قال تعالى جل شأنه « **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** » .

وقال « **وَ الأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** » .

وذكر فى « **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** » أيا ضمير منفصل منصوب بنعبد مفعول مقدم مخصوص بالإضافة ولو تأخر لم ينفصل ولصار كافا متصله .

فقلت نعبدك ونعبد بوجه ونطيع خاضعين ، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع ومن العبد وطريق معبد .

وقال فى « **إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** » اى نطلب منك المعونة على توحيدك وعبادتك وجميع أمورنا اذ لاقدرة الا الله تعالى ، وكرر إياك ولم يقل نعبد ونستعين لنفى احتمال ونستعين بغيرك .

وقوله « اهدنا » أرشدنا وقرىء بها أو ثبتناكما يقول للقائم قم مكانك حتى أعود أى دم وهذا دعاء على سبيل التثبيت والدوام على الهداية .

« الصراط » وسرات ، رواه قنبل عن ابن كثير وهو الأصل .

وحمزة باشمام الصاد الزاى ومن بقى بالصاد الخالصة وقرىء بالزاى الخالصة وكلها بلغات صحيحة .

« المستقيم » هو الاسلام أو القرآن ، وعن على ـ رضى الله عنه ـ « كتاب الله تعالى » ، أو الطريق السنة والجماعة ، أو الطريق الجنة ، أو الحج ، أو رسول الله ﷺ ، أو هو وصاحبك أو صاحبك وأصله فى اللغة الطريق الواضح .

« صراط الذين أنعمت عليهم » أى تمنيت عليهم بالهداية والتوفيق أو بالثبات على الايمان والاستقامة وهم الأنبياء وكل من ثبته الله تعالى على الايمان .

« غير المغضوب عليهم » أى غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب ارادة الانتقام من العصاة .

وغضب الله تعالى لايلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق عصاة الكافرين ، وأصل الغضب الشدة . ولا يوقف على عليهم الأولى اختيار الجر غير بعدها . بدلا من الذين أنعمت عليهم أو نعتا لهم .

« ولا الضالين » أى وغير الضالين عن الهدى والضلال أصله الهلاك والغيبوبة من ضل اللبن فى الماء إذا غاب وهلك .

ونذكر بعض تفسيراته على سبيل المثال لا الحصر لضيق المقام فى عملية النشر حيث يمكن للقارىء أو الباحث أن يضع يده على مايريد من هذه الأبحاث العلمية النادرة .

قال فى تفسير سورة محمد ﷺ . وتسمى سورة القتال وهى مدنية الا آية وهى : « **وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ** » أو مكية أو ثمان أو تسع وثلاثون آية « بسم الله الرحمن الرحيم » قال ابن عباس نزل فى المطعمين ببدر على حرب رسول الله ﷺ ، أو فى أهل الكتاب أو فى كل كافر .

« **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** » أى أعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام أو صدوا غيرهم عن الدخول فى الاسلام .

« **أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** » أبطلها فلم يقبلها لأنهم كانوا يطعمون الطعام ويصلون الأرحام والمعنى أن أعمالهم وان كانت جميلة قد غابت فى كبرهم وانعدمت كما يغيب اللبن فى الماء فلم ينتفعوا بها .

قال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبى ﷺ وجعل الدائرة عليهم .

وقال مقابل ونزل فى ناس من قريش أو فى ناس من الأنصار أو فى مؤمنى أهل الكتاب أو فى كل مؤمن .

« **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** » أى بما جاء به محمد ﷺ مؤكدا ذلك بقوله : « **وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** » وعلى جميع الأنبياء ثم زاد ذلك إيضاحا وتصديقا بقوله « **وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ** » والمعنى آمنوا بما نزل على جميع الأنبياء من ربهم وذلك المنزل حق أويكون قوله وهو الحق جملة أعتراضية تأكيد أيضا تلخيصه والمؤمنون بالمنزل الصالحون « كفر عنهم سيئاتهم » المعنى ستر الله تعالى بإيمانهم وأعمالهم الصالحة ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم منها ، تلخيصه غفر بإيمانهم شركهم « **وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ** » حالهم .

وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم والمعنى أصلح حالهم بتوفيقهم للدين وتسليطهم على أعدائهم ثم أومأ تعالى الى سبب اضلال الكفار وهداية الأبرار فقال « **ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ** » أى الشيطان وبما يقع فيه اتباع الباطل ارتكاب الشهوات واتباع الحق اتباع الأوامر والسنن .

وقال جعفر لا يوفق لسلوك طريق الحق من لم يحكم مبادىء أحواله مع الحق ، « **وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ** » يعنى القرآن والمعنى ذلك الموانع من الضلالة والهدى كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ، وذلك يكون مبتدأ والجار والمجرور بعده مرفوع المحل أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر كما ذكر بهذا السبب فيكون الجار والمجرور على هذا منصوب المحل ، ثم أومأ الى علة ضرب الأمثال بقوله « كذلك » أى مثل ذلك الضرب « **يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ** » الضمير يرجع الى الناس والمعنى بذكر هؤلاء الناس أشباههم وما جرى للناس المتقدمين عليهم ليتعظوا بهم أو الضمير يرجع الى الفريقين المذكورين الكافرين

والمؤمنين . والمعنى يضرب الله أمثال هذين الفريقين ليعتبروا بهم .

وضرب الأمثال هو جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين . وتقريبه أن يقول بطل ثواب الكافر لبطلان عمله وحق ثواب المؤمن لحقوق عمله فشبه الهالك بالهالك والواجب بالواجب ... الى آخر ما أورد فى سورة محمد ﷺ .

وختم الكتاب تفسيره بسورة الناس « **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** » خص تعالى الناس بالذكر وإن كان رب كل شيء تشريفا لهم لقوله تعالى « **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** » أو لما أمر بالاستعاذة من شرهم أعلم أنه ربهم وأنه هو الذى يعيذ من شرهم . ويجوز أن يكون خصهم بالذكر إعلاما لهم أن لا معاذ لهم سواه وتخويفا فلا يعتمدون على غيره ولا يراقبون إلا إياه ، والناس أصله عند سيبويه اناس والألف واللام بدل من الهمزة قال ابن الأنبارى لا واحد له من لفظه كالقضاة قال والناس ليس بواحد الناس والقاضى ليس بواحد القضاة قال ووزن الناس من الفعل فعل ؛ فاصل نسى من نسيت فأخرت العين وقدمت اللام فصار ينسا فقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ويجعل قوله « **مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ** » بديلين من رب أو عطف بيان الرب وذلك انه لما قال رب الناس بين بملك الناس لأنه قد يقال لغيره رب الناس لقوله « **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** » ولما قال ملك الناس بين بإله الناس لأنه قد يقال لغيره ملك الناس ولا يقال لغيره إله الناس والمعنى أنه أمر أن يستعيذ بالله « **مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ** » .

الوسواس اسم بمعنى الوسوسة ، والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسوسة الحلى ويكون مصدرا والمراد به الشيطان . وتكسر واو المصدر فيقال وسواس كزلزال أو المعنى ذو الوسواس « **الْخَنَّاسِ** » هو الشيطان ينسب الى الخنوس لكثرته منه وذلك أن الشيطان جاثم على قلب الانسان فإذا ذكر الله خنس وولى وإذا غفل رجع ووسوس اليه .

قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب **فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس أن جعلت محل قوله « الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ » اى فى قلوبهم جرا صفة لما قبل ، لم تقف على الناس ، وإن نصبته او رفعته وما وقفت على الناس كان كافيا الى آخر ما أورد فى شرحه لسورة الناس .**

والنسخة فى مجلد بقلم معتاد قديم . بأولها وآخرها أوراق بخط مغاير وبها نقص وآثار رطوبة وترميم فى ٤٤٣ ورقة ومسطرتها مختلفة .

والله ولى التوفيق ، ، ،

محمد عميرة على

دراسات في الإعلام

الإعلام الإسلامي الأسس والمبادئ

مهود الفلكشا

قضايا إعلامية

الإعلام الإسلامى

الأسس والمبادئ

القيم الاخبـارية

عود على بدء :

غنى عن التعريف ، بل من تحصـيل الحاصل ، أن نقول : أن مواجهة الاسلام للتحديات ، وحملات التشهير التى عايشته منذ البـداية حتى يومنـا هذا ، وكان « الخبر » ثم « الاشاعة » سلاحين هامين استخدمهما أعداء الاسلام بذكاء شـديد فى محاربة الاسلام لتحويل الناس عنه ، ولهذا اهتم الاسلام بالخبر و « النبا » وجعل الصدق هـو الركيزة الأولى فى صناعة الأخبار •

ولقد ذكرنا ــ فى الحلقة الماضية ــ تعريف الخبر ، لغة واصطلاحا ، ثم تحدثنا عن منابع الأخبار ووسائل نشر الأخبار ، وفى هــذه الحلقة نتناول :

١ ــ استقاء الأنبـاء والأخبـار والقيم المتصلة بها •

٢ ــ صناعة الخبر (قبل النشر) والقيم المتصلة بها •

٣ ــ قيم خبرية عامة •

أولا ــ استقاء الأنباء والأخبار :

تنفق المؤسسات الاعــلامية والصـحفية ووكالات الأنباء نفقات باهظة من أجل استقاء الأنباء والحصول عليها بأى شكل وبأى ثمن وبأى طريقة ! بل هــذا هــو الشعار لهذه المؤسسات الاعلامية من أجل الحصول عـلى « الخبر » !•

أما فى الاسلام فان لعملية استقاء الأنبـاء ضوابط وأصولا تراعى ولا يمـكن بحـال أن نتجاوزها ، وفى السطور التالية نعرف الفـرق بين اعلامنا واعلامهم •

❋ انه برغم المعدات الضخمة ، والأجهزة الفنية المعقـدة ، و « كاميرات » التجسس ، والأقمار الصناعية •• رغم كل هــذا وكـل

للأستاذ حسن على العنيبسى

ما يستخدم فى استقاء الأنباء ، فان عملية الاستقاء تقوم بشكل أساسى على الفرد ، « الانسان » ،« المخبر الصحفى » فهو الأساس الأول فى استقاء النبأ بمساعدة هذه الأجهزة . وهذا مكمن الخطورة وبيت الداء فى صناعة الأخبار .

* فهذا الانسان ينتمى الى مذهب معين أو عقيدة ما ثم له رؤيته الخاصة فى الحياة ، فضلا عن أنه تابع لجهاز اعلامى معين ، وهذا الجهاز يخدم سياسات معينة لدولة ما ، ثم هو — فى نشره للخبر — يقصد به التوجه الى دولة ما ، مهاجما أو مدافعا .. الخ .

اذن — فى مضمون ذلك كله — لن نحصل على خبر واحد صحيح — وهذا هو الواقع — مهما قيل لنا عن الحيادية واستقلال المخبر الصحفى وحرية الحركة فى الاستقاء ونشر الأخبار ! .

فالانسان هو الانسان .. يحب .. ويكره، ويؤيد ويعارض ، ويخاف ويرجو .. الخ مما يجعله (يلون) الأخبار بالألوان التى يريدها من بعثوا به لاستقاء النبأ ، وهنا يخرج الخبر موجها عاريا عن صحة المضمون ، مشوها أو مبتورا وأحيانا ملفقا ، لاأساس له من الصحة.

ولا شك أن دخول السياسة ميدان صناعة الأخبار أفسدها فسادا مدمرا ، وكثيرا مارأينا خبرا كاذبا ينشر مدسوسا وسط بعض الأنباء الصحيحة بنسبة ما ، ويكون المقصود من وراء نشر هذه الأخبار معرفة ردود الأفعال لدى دولة ما ، وبالتالى يمكن لأهل الحكم فيها توجيه سياساتهم من خلال هذا « الفخ الاعلامى » الذى تسهم فيه وسائل الاعلام بقسط وافر وكبير .

وكثيرا ما تسرب الدولة بعض الأخبار المحتوية على نسبة من الصحة ، وذلك ضمن عملية « الخداع الاستراتيجى » كما فعلت مصر فى رمضان المبارك ١٣٩٣ فى نشرها أخبارا صحيحة وعلى أساسها قام العدو الاسرائيلى بعمل خطط معينة كانت سببا فى هزيمته .

واذا كان المخبر الصحفى هو الأساس الأول فى استقاء الأنباء ، فانه جدير بنا أن نتوقف قليلا ونعرف أثر هذا الأساس فى عملية صناعة الخبر .

* المخبر الصحفى .. فى اعلامهم قد يكون جاسوسا الى جانب اشتغاله بالعمل الصحفى كمندوب لوكالة أنباء معينة أو كمراسل لصحيفة ما من الصحف ، وهنا تكمن خطورة هؤلاء الصحفيين على العالم الاسلامى، حيث يعاملون معاملة الصحفيين فى تيسير الحصول على الأنباء وهم فى واقع الأمر عملاء وجواسيس ، ونحن نلفت النظر الى خطورتهم من كل ناحية.

◄

قضايا إعلامية

* والمخبر الصحفى ، فى اعلامهم .. لا تهمه « الحقيقة » وهى جوهر العمل الصحفى بقدر ما تهمه مصلحته الشخصية ثم مصلحة بلاده ، ومن هنا كم من خبر نشر عن المسلمين وفيه الكذب والافتراء ، وكم من خبر نشر فيه تهويل وتضخيم فى خطر الجماعات الاسلامية أو تطبيق الشريعة أو كل ما يتصل بالاسلام لتصوير المسلم فى صورة الارهابى المتعصب .. وهذا يخدم سياسات معينة مخطط لها .

* والمخبر الصحفى ، فى اعلامهم يخفى الحقائق والأخبار كاملة ولا ينشرها اذا ما تعارضت مع سياسات بلاده أو اذا كانت تقدم صورة مشرقة لنا ــ نحن المسلمين ــ وهذا خيانة الكلمة ، وخيانة الحقيقة ، وخيانة لأبسط قواعد ميثاق الشرف الصحفى الدولى الذى تدوى طنطنته دائما .

* والمخبر الصحفى فى بلادهم ــ بهذا كله ــ يجعلنا نستشعر الخطر ــ نحن المسلمين ــ ويوجب علينا أن نلحظهم بعين الريبة والشك ، ويجعلنا نسعى سعيا حثيثا الى تكوين « الاعلامى المسلم » و « الصحفى المسلم » ليواجه هؤلاء .

فأما استقاء الأنباء فى الاعلام الاسلامى فانه يقوم على المبادىء التالية :

١ ــ اذا كان المسلم عامة يتميز بصدق الحديث فى حياته ويجعل قول النبى ﷺ : (اياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار (١) » .. اذا كان الصدق مبدأ فى حياة المسلم العادى فانه أكثر أهمية فى حياة الصحفى المسلم .. الصدق فى الحديث ، الصدق فى نقل الخبر وتوصيله الى الناس دون خلطه بشوائب الرأى والمصلحة والتوجيه .

هذا ، ولنقل الخبر هنا ضوابط ينبغى مراعاتها :

أ ــ ألا يكون فى استقاء هذا النبأ كشف لعورة من عورات المسلمين .

ب ــ ألا يكون فى استقاء هذا النبأ ما يثير الفتن بين الطوائف من أبناء الشعب .

حـ ــ أن يراعى مصلحة الأمة والصالح العام لعامة المسلمين .

د ــ ألا يستخدم فى حصوله على الخبر التدليس أو الغش أو الخداع ، مهما كانت قيمة الخبر الذى يسعى اليه ومهما كانت خطورته ، ويجب أن يذكر دائما أن الفرق بيننا وبينهم انما هو فى هذه المبادىء الراسخة من ديننا الاسلامى، وأن يترك الوسائل الملتوية الى جهات أخرى تجيدها ، وليذكر أنه صحفى يبحث عن الحقيقة ، حيث لا تضر وليس رجل مخابرات يقابل الأسلوب بنفس الأسلوب .

٢ ــ أن ينشد الحقيقة ــ قدر المستطاع ــ متجردا عن الأهواء والتميزات وأن يلتزم الصدق فى تقديم هذه الحقيقة الى الناس .

---

(١) جزء من حديث صحيح ، كان ينبغى تحديد مرجعة ــ مجلة الازهر .

٣ ــ ألا يتسرع فى نشر الخبر ــ ابتغاء لسبق صحفى ــ فالخبر الكاذب يهدم مستقبل الصحفى ، ويجعل جريدته تعلن افلاسها لفقدانها ثقة القارىء . فان رصيد الصحفى هو ثقة القارىء القائمة على صدقه فى قوله وأمانته فى آداء رسالته .

وليذكر هذا المبدأ الخالد الذى أرساه النبى صلى الله عليه وسلم : « بحسب امرىء من الكذب أن يحدث بكل ما يقال » .

ومن صدق الحديث « الاخبار بما تحتمل العقول » .

هذان المبدآن هما جوهر العمل الصحفى الاسلامى وهما شعار الصحفى المسلم ، فليجعلهما نصب عينيه دائما .

فاذا ما عدنا الى كتاب الله الكريم وجدنا أساسا خطيرا ومبدأ هاما فى استقاء الأنباء وصناعة الأخبار ، وتأمل معى قوله تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » (١) .

أنظر الى وصف القرآن للمخبر بخبر ليس على وجهه الصحيح« فاسق » ، ويوجه القرآن تحذيره الى المؤمنين من مثل هذا المخبر بخبر كاذب ، لأن نشر هذا الخبر قد يجلب العداوة بين شعبين أو حكومتين أو جماعتين أو فردين .. مما يؤدى الى تطاحن المسلمين وتخاصمهم مثلما نحن عليه الآن .

فالقرآن ينادى المؤمن بوجوب الصدق فى القول ، وينادى المستمع بوجوب التثبت والتأكد من صدق الخبر .

فاذا ما تأملنا الساحة الاعلامية الآن فىشتى الميادين وجدنا عجبا :

كم من (فاسق) قدم أنباء كانت سببا فى اشعال الفتنة بين المسلمين ــ حتى شغلوا بخلافاتهم عن الجليل والخطير مما حولهم .. ولعبت وكالات الأنباء دورا مؤثرا فى هذا الشأن .

ويكفى أن نعلم أن ٩٥ ٪ (٢) من الأخبار المنشورة فىالعالم مستقاة بواسطة وكالات الأنباء العالمية ، وهى تغطى حوالى ٩٩ ٪ من سكان العالم .

ومن المحزن حقا بل والمثير للقلق أن جل صحفنا واذاعاتنا تستقى أخبارها من وكالات الأنباء الأجنبية الغربية ، وهذا فيه ما فيه اذا علمنا أن معظم هذه الوكالات يسيطر عليها رأس المال الصهيونى ويوجهها ، بل منها ما أسسه يهود مثل وكالة الأنباء الفرنسية التى أسسها « هافاس » اليهودى ، وكم من خبر دسته هذه الوكالة ضد المسلمين ! .

(١) الحجرات ــ ٦ .

(٢) وكالات الانباء : رؤية جديدة ، شفيق محمود عبد اللطيف ، دار المعارف ، ص ١٠ .
المعروف ان وكالات الانباء العالمية هى : يونيتدبرس ، اسوشيتدبرس ، وهما أمريكيتان وتخدمان السياسة الامريكية ثم وكالة الانباء الفرنسية ، ثم « رويتر » وهى بريطانية وتخدم أهداف السياسة البريطانية ثم وكالتا « تاس » و « نوفوستى » وهما سوفيتيتان تخدمان أهداف الاتحاد السوفيتى ولا توجد وكالة دولية واحدة مسلمة أو عربية .. !!

قضايا إعلامية

❋ الوجه القبيح لوكالات الأنباء العالمية :

لاشك أن أى وكالة انباء يخضع جانب منها لسيطرة الدولة ان لم تكن كلها ، فأية وكالة مهما تكن شخصيتها لابد أن تستغلها الدولة فى التركيز على (لون سياسى معين) تهدف اليه السلطة العليا للدولة •

❋ ومما يؤسف له أن نجد الكثير من مراسلى وكالات الأنباء يقعون تحت تأثير الاغراء بالمال ويتسللون الى المواقع الحساسة فى الدولة ويعملون لحساب المخابرات فى دولة ما •

❋ ولسنا بحاجة الى الحديث عن دور بعض مندوبى وكالات الأنباء الذين طردتهم الدول عندما استشعروا منهم هذا الخطر ، وقد فعلت بعض الدول العربية ذلك فى نطاق محدود •• بينما الواجب يقضى بمعاملة هؤلاء المراسلين بما يناسبهم •

❋ وكثيرا ما انكشف أمر عميل من هؤلاء العملاء فأسرعت وكالة الأنباء التابع لها الى تكذيبه والتبرؤ منه •

وازاء هذا التصرف المتكرر عمدت أجهزة التجسس الى محاصرة مندوبى هذه الوكالات لتحديد مناطق نشاطهم •

❋ يكفى أن نعلم أن وكالة « رويتر » و « هافاس » يهوديتان تعملان لحساب الصهاينة فى حربهم ضد الاسلام •

❋ وهذا يدعونا الى توجيه الدعوة الى انشاء « وكالة أنباء اسلامية » تقدم خدمة صحفية خبرية وخدمة « مصورة » فى مستوى ينافس ويفوق مستوى الوكالات الدولية المعروفة •

❋ وكالة أنباء اسلامية مصورة لاستقاء الأنباء (١) :

لا شىء يقتل الاشاعة سوى الخبر الصحيح الصادق ، ولا شىء يجعل وكالات الأنباء الدولية تحجم عن محاربتنا بنشرها الأخبار الكاذبة والمشوشة والمبتورة الا اذا قامت خدمة صحفية اسلامية قوية لنشر الخبر الصادق مدعما بالصورة ، وهنا فقط نصبح فى مأمن من كيد أعداء الاسلام فى هذا المجال •

❋ ومن الملاحظ أن وكالات الأنباء بشكلها الحالى سواء العالمية منها أم الاقليمية لا تفى ولا تصلح لأن نأخذ منها أو نقدم لها •• فهى تفتقد الضمير المسلم الذى توجهه الأمانة ويتلقاه التثبت •

(١) قدم الباحث فى مؤتمر القمر الصناعى العربى بحثا فى هذا الشأن ، وقد عقد هذا المؤتمر فى العام الماضى ، واقامة المركز الاعلامى للدراسات والبحوث القومية والاستراتيجية وحضره وفود ثمانى دول عربية •

* فالخبر الاعلامي ينبغي أن يكون مجردا من أي شائبة أو قوى مؤثرة موجهة ، وانما يخرج الى الناس مطابقا واقعه بعيدا عن الضرر بالمسلمين •

* ومن منطلق حق الانسان أن يعرف ، ومن منطلق الحيادية في نقل الخبر ، ونشره وتبادله نكرر الدعوة الى انشاء وكالة أنباء اسلامية ونقترح التالي :

* **أن يتولى أمر هذه الوكالة اما ادارة الأزهر** (١) بوصفها أكبر مؤسسة ثقافية واعلامية اسلامية في الشرق أو ما يتصل بمبادىء هذه المؤسسة كمنظمة المؤتمر الاسلامي أو منظمة الاذاعات الاسلامية بوصفها تجمع اعلامي للمؤسسات الاعلامية الاسلامية •

* **التمويل :**

ويكون من عائد اشتراكات المؤسسات والأجهزة الاعلامية في العالم الاسلامي ، ثم لمن يريد من الدول الأخرى مع تقديم بعض الخدمات الاعلامية في غير محرم أو مكروه لتسهم في تمويل هذه الوكالة •

* **« الكوادر » العاملة :**

والحمد لله فالعالم الاسلامي يموج بالكفاءات المؤهلة القادرة على ادارة مثل هذه الوكالة مع الالتزام بمبادىء العمل الاعلامي الاسلامي وشيء من التدريب على عمل وكالات الأنباء •

* أن يدرب للعمل — بهذه الوكالة — مراسلون يأخذون في العمل — على هدى الاسلام وشروطه •

* أن تلتزم الدول الاسلامية بتسهيل حركة مراسلي هذه الوكالة ومساعدتهم في الحصول على المعلومات والأخبار •

* أن تجعل هذه الوكالة قضايا العالم الاسلامي في المقام الأول وأن تواجه وكالات الأنباء الغربية وتتعقبها في حال نشرها لأخبار كاذبة عن المسلمين في أي دولة من بلاد العالم •

ثانيا : صناعة الخبر وتحريره وأهم القيم الخبرية في هذا الشأن :

يمر الخبر الصحفي بالكثير من « حراس البوابات »(١)

من المراسل : المندوب ثم الجهة التي سوف

من المراسل : المندوب ثم الجهة التي سوف

تقوم بالبث ، ثم الجهة التي تستقبل الخبر ثم محرر الخبر في هذه الجهة ثم قارىء الخبر في الاذاعة أو محرره في الصحيفة فضلا عن تحريفات الترجمة من لغة الى أخرى الى ثالثة •

مثلا :

خبر قيام الثورة الايرانية أو زيارة مسئول

(١) المشروع بالتفصيل تحت يدي لمن يريده من المسئولين •

الى دولة ما .. يستقى هـــذا الخبر المندوب الصحفى بطريقته ، ويكتبه بأسلوبه فقد لايحسن التعبير لسبب ما ، وقد يتجاهل ذكر تفاصـيل معينة هامة لكنها ليست فى نظره ذات أهمية ..

ثم تلتقطها أجهزة وكـالات الأنباء فيقـــوم المحررون فيها بدورهم الرقابى بحذف أو اضافة أو تعديل ثم يرســلون الخبر الى الجـــريدة وتستقبل أجهزة « التيكرز » هذه الأخبار فيقوم المترجم بترجمتها وفقا لقدراته اللغوية والمامه بمسائل العمل الصحفى ، ويقـــوم المحـــرر باعدادها ويقدمها لرئيسه الذى يحذف أو يضيف وهكذا يمر الخبر بكل هذه المراحل الخطـيرة التى تجعل من الحقيقة فى جوهر هذه الأخبـار شيئا لا قيمة لها وتجعلنا نعيــد النظر عشرات المرات قبل أن نقطع بحدوث الخبر على الوجه الذى أشارت اليه هذه الصحيفة أو تلك !!

وفى الاعلام الاسلامى توجد الثقـــة فى صدق المخبر الصحفى لسبب بسيط هو أنه مسلم قد التزم بقيم دينه ثم هو يتحدث لغة بلده وبالتالى فان حراس البوابات هنا على شاكلته أمنـــا وايمانا ولن يكـــونا أكثر من اثنين : المخبـــر الصحفى والمحرر ، والحديث بالعربية والصحيفة ناطقة بها وبذلك •

نتفادى أخطاء الترجمة ، ونتفــــادى حالات الكذب والغش التى يقـــوم بها مندوبو وكالات الأنباء العالمية •

ثالثا : عند صياغة الخبر لابد من الالتزام :

ــ بعدم ذكر الكلمـــات التى تعطى أكثر من معنيين لتدل الكلمة عـــلى ما يراد منهـــا فى وضوح •

ــ وبالوضوح فى الصياغة والبســـاطة فى الكلمات المستخدمة •

ــ وعدم التقعر فى اللغة والميل الى غريب الكلمات أو استخدام الصور البلاغية اذ لا مجال لها فى العمل الاخبارى •

ــ الدقة فى استخدام المصطلحات وعـــــدم الحدس •

ــ استخدام أقل عدد ممـــكن من الكلمات لتؤدى المعنى المراد توصيله فالمساحة فى الصحف لها أهمية كبرى ومكلفة للغاية •

ــ البعد عن التورية والتعريض فان الوضوح أمر أساسى فى كتابة الخبر وفى كل كلمـــــة منـــه •

ــ الالتـــزام بأدب الكلمـــــة فلا بذاءة ولا تجريح •

ــ البعد عن التهويل واستخدام «المانشتات» أى العناوين الكبيرة الا فيما يستحق أن نبـــرزه بهذا الشكل من فنون الكتابة الصحفية •

ــ الاهتمام بابراز الحقيقة فلا يتعمد كتابتها « ببنط » صغير غير مقروء أو تكتب فى صفحـــة محاطة باعلانات أو ينشر الخبر فى ركن ينـــدر أن يمر به قارىء •

ـ مراعاة الدقة والأمانة فى الاخراج الفنى وتوزيع الأخبار بين الصفحات والأبواب مع مراعاة الصالح العام .

كل هذا أساس فى مبادىء الاعلام الاسلامى:

البساطة والصدق والوضوح والدقة والأمانة فى تقديم الخبر بشتى المراحل التى يمر بها حتى يصل الى الناس

مجلة الازهر :

نخشى ان يفسد هذه الصورة المثلى ان تنشأ وكالة انباء اسلامية فتفتقد المراسل المؤهل لمبادئها فتستعين بالسوق .. والله الهادى الى سواء السبيل ..

مصادر الدراسة :

١ ـ كتاب الله ـ القرآن الكريم .

٢ ـ تفصيل آيات القرآن الكريم ـ حول لابوم ـ دار الوحى المحمدى وترجمة محمد فؤاد عبد الباقى

٣ ـ نظرات اسلامية للانسان والمجتمع : د. رشدى فكار ، مكتبة وهبة .

٤ ـ وسائل الاعلام والتنمية الاجتماعية : د . شاهيناز طلعت ، ط أولى مكتبة الانجلو ١٩٨٠

٥ ـ الاعلام العربى : د. محمد على العوينى، عالم الكتب

٦ ـ نحو وكالة انباء اسلامية ـ خدمة مصورة : بحث قدمه الباحث فى ندوة القمر الصناعى العربى ونشر فى مطبوعات المركز الاعلامى للبحوث القومية والاستراتيجية .

٧ ـ وكالات الانباء ، شفيق محمد عبد اللطيف ، سلسلة كتابك ، دار المعارف .

٨ ـ المدخل لدراسة الاعلام الاسلامى : د. عمارة نجيب ، دار الفاروق للطباعة الحديثة

٩ ـ فقه الدعوة والاعلام : د. عمارة نجيب ، دار الكاتب الاسلامى .

هذا وبالله التوفيق ..

يهود الفلاشا

بيدو أن قضية « الفَلَشَا » ستظل تطرح نفسها على صعيد الاعلام العربي ولفترات طويلة ، فقد نشرت جريدة الأهرام المصرية فى صفحتها الرابعة من عددها الصادر بتاريخ ٢٧/١٠/١٩٨٥ نبأ تقديم « عمر الطيب » نائب رئيس السودان السابق الى المحاكمة بشأن قضية « تهريب اليهود الفلشا من اثيوبيا الى اسرائيل عبر السودان سرا »٠

وكانت عملية التهريب قد بدأت فى يوم ٢١ نوفمبر ١٩٨٤ وقدر لها أن تنتهى من تحقيق أهدافها يوم ١٣ يناير ١٩٨٥ الا أنها توقفت قبيل نهايتها بأسبوع بسبب تسرب أخبارها الى صحف الغرب عن طريق وكالة « رويتر » التى اذاعت تفاصيلها بتاريخ ١٩٨٥/١/٢ نقلا عن مجلة « يكودا » الاسرائيلية ٠

و « الفلشا » هو الاسم الذى عرف به يهود اثيوبيا ، ومعناه فى اللغة الاثيوبية (الأمهرية) « الغرباء أو المنفيون أو المهاجرون » ، لكنهم يكرهون تسميتهم فلشا ويطلقون على أنفسهم « بيت اسرائيل » وهم ينطقونه بلفظ قريب الى هذه الصيغة العربية ٠

وموطن الفلشا هو اقليم (سمن) الجبلى شمال بحيرة « طانا » منبع النيل الأزرق ويبلغ تعدادهم نحو خمسة عشر ألف أو ستين الفا على اختلاف فى التقدير ٠

أصل الفلشا :

يعتقد « الفلشا » منذ ألفى سنة أنهم سلالة الملك سليمان من زواجه بملكة سبأ التى تداول الناس تسميتها بـ « بلقيس » ، وقد رفض هذا التصور كثير من الباحثين ، منهم «كسلر» مؤلف كتاب « الفلشا » و « ليتمان » الذى توصل فى دراسته عنهم أنهم ليسوا سلالة من اليهود وانما هم فى حقيقة أصلهم فرع من قبائل « أجو » الحامية ، ويتكلمون لهجة من لهجاتها الحامية ، وأنهم اعتنقوا اليهودية على يد مبشرين من الجالية اليهودية العسكرية التى كانت تعيش فى جزيرة « الفنتين » تجاه أسوان ابان سيادة الفرس على مصر (٥٢٥ — ٣٣٢ ق ٠ م) والتى يبدو أنها أجليت بعد ذلك من الجزيرة ٠

ولأن علاقتهم لم تكن وطيدة بيهود فلسطين اتجهوا الى الحبشة ، وأقاموا بين بعض قبائل

للأستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

« أجو » ونشروا بين هذه القبائل عقيدتهم على نحو من البدائية •

ويرى « ليتمان » أن اسم « فلشا » انما أطلق أولا على أولئك اليهود اللاجئين من مصر، ثم بعد ذلك على قبائل « أجو » التى هودوها •

ويتفق « أولندروث » مع « ليتمان » فى أنهم ليسوا سلالة من اليهود ، ولكنه يرجح أنهم أحفاد « الأكسوميين » المتهودين الذين لم يقبلوا الدخول فى المسيحية التى صارت دين الدولة بعد أن اعتنقها ملك « أكسوم (١) » المسمى « عيزانا » الذى تولى عرش أكسوم عام ٣٢٥ ميلادية على وجه التقريب •

ودليله على ذلك أن يهودية الفلشا ليست الا بقية من الطقوس والعقائد العبرية واليهودية التى سادت أرجاء الركن الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية فى القرون الأولى بعد المسيح ودخلت الحبشة بعد ذلك •

ونحن نميل الى ما ذهب اليه « أولندروث » فى شأن الفلشا ، والذى يدفعنا الى ذلك أن اليهودية كانت أسبق الى الوجود فى الحبشة من المسيحية التى اعتنقها « عيزانا » — ملك أكسوم — لأسباب سياسية القصد منها كسب تأييد بيزنطة فى صراعه مع مملكة سبأ اليمنيه على السيطرة على طرق التجارة بخاصة وأن أكسوم كانت مركزا كبيرا لتجارة العاج والبخور ، وكان هذا العامل كثيرا ما يدفع ملوك أكسوم الى التوسع شرقا للسيطرة على اليمن الى أن تمكن ملوكها من ذلك عام ٥٢٥ ميلادية مستغلين محاولة ملكها « ذو نواس » فرض اليهودية على مسيحى اليمن ، فتدخلوا لنصرتهم وظلت سيادتهم على اليمن حتى عام ٥٧٥ م عندما أخرجهم الفرس منها •

يهودية الفلشا :

ويهودية الفلشا هى صورة غريبة من اليهوديه المعاصرة اذ تختلط بها عناصر وثنية نصرانيه مما ترتب عليه مخالفتهم لأقرانهم من اليهود الحاليين فى كثير من الأمور التى تمس العقيدة، فهم لا يعرفون عن اللغة العبرية شيئا مع أنها لغة كتاب اليهود « المقدس » وهم لا يعرفون عن هذا « الكتاب المقدس » سوى الأسفار الخمسة المنسوبة لسيدنا « موسى » — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — ، ويجهلون « المشنا » و « التلمود » ويؤدون

---

١ — اكسوم A×UM مدينة قبطية مقدسة فى الحبشة كانت عاصمة مملكة اكسيوم فى القرون النصرانية القديمة

صلواتهم باللغة الحبشية كما يفعل النصارى الأحباش ، ولا يحتفلون بالأعياد اليهودية التى يرجع أصلها الى ما بعد النفى مثل « عيد البوريم » •

أما الأعياد التى ورد ذكرها فى الأسفار الخمسة فيحتفلون بها ، ولكن بطريقة تخالف طريقة غيرهم من اليهود •

وهم بوجه عام لا يتفقون مع سائر اليهود الا فى تقديس يوم « السبت » اذ يكرهون ـ حتى السفر فيه •

وأهم ما يميزهم هو التشدد فى عقائدهم والتعصب لها •

ويبدو أن هذا التعصب هو الذى مكنهم من أن يظلوا مقيمين فى موطنهم قرونا طويلة يقاومون كل صور الضغط التى كانت تفرض عليهم ويحتفظون فى نفس الوقت بتراثهم الدينى •

فمنذ القرن الرابع عشر الميلادى وحتى حكم « هيلاسلاسى » والأباطرة الأحباش يعمدون الى حرمانهم من تملك الأراضى وممارسة شعائرهم ويلجأون الى تعذيبهم والاشتباك معهم فى حروب متتالية بهدف تشتيتهم أو ادخالهم كرها فى النصرانية ، وخففت هذه القيود قليلا بعد اسقاط حكم « هيلاسلاسى » عام ١٩٧٤ •

علاقتهم بيهود اسرائيل :

١ ـ منذ أن قامت اسرائيل لم تكن تعترف بالفلشا يهودا ، وكانت « جولدا مائير » تعتبرهم مجرد افريقيين، لذا لم يسمح لهم بالاستفادة بـ « قانون العودة » الذى يبيح لكل يهودى يذهب الى اسرائيل اكتساب جنسيتها ، وحقوق المواطنة فورا وتلقائيا •

٢ ـ ولم تتبدل تلك النظرة اليهم الا ابتداء من عام ١٩٧٣ وبعد حرب أكتوبر مباشرة ، تلك الحرب التى غيرت منحى « الهجرة » الى اسرائيل فدفعته الى اتجاه معاكس ، هو « النزوح » منها ، فقد بلغ عدد الذين غادروها بصفة نهائية عام ١٩٧٤ (٢٥) ألفا ، وقد واظب هذا الرقم على الارتفاع بشكل سنوى وصل فى نهاية السبعينيات الى ما يربو على نصف المليون حسب تقديرات وزارة العمل الاسرائيلية فى أغسطس ١٩٨١ • بالاضافة الى أن معظم المهاجرين كانوا من الشباب الذى أنهى دراسته الثانوية مباشرة ويطمع فى ألا يلتحق بالخدمة العسكرية التى تبلغ مدتها ثلاث سنوات •

٣ ـ يقابل ذلك اتجاه الهجرة البيضاء (١) القادمة من شرق أوروبا الى أمريكا وأوروبا الغربية والاقامة هناك بدلا من اسرائيل ، وذلك لتوافر ظروف العمل المجزى والاستقرار الأمنى •

ولما كان المجتمع الاسرائيلى هو المجتمع الوحيد فى العالم الذى يقوم بنيانه الأساسى

---

١ ـ اى من اليهود البيض

على الهجـرة اليه نظرا لأن ٤٨ ٪ وأكثر من أفراده ولدوا خارجه •

وازداد الاخفاق فى جلب الهجرة البيضـاء فانه لم يعد أمـام اسرائيـل الا التفكير فى « الفلشا » السود لتعويض ذلك العجـز فى القوة البشرية ، والعمل على تهجيرهم بأى حال من الأحوال ، وقد تم ذلك على مرحلتين :

أ ــ المرحلة الأولى :

وكان الهدف منها تقبل « البيض » فى اسرائيل لهم عن طريق اثبات نسبهم الى بنى اسرائيل وقد تميزت هذه المرحلة بصدور تصريحات من رؤساء الدين اليهودى تعلن أن « الفلشا » هم يهود حقيقيون ، كما أعلن الحاخام « شلومو غورن » أنهم من سبط « دان » ، وذلك فى عام ١٩٧٤ م وظهرت نظريات أخرى تسير فى هذا الاتجاه فتنسبهم مرة الى سيدنا موسى عن طريق زواجه بملكة حبشية ، وتنسبهم مرة أخرى الى سيدنا هارون ــ على نبينا وعليهما أفضـل الصلاة والسلام ــ •

وفى عام ١٩٧٦ م ، وبناء على تلك الأحكام التى أصدرها الحاخامات اليهود تم تطبيـق « قانون العودة » السابق الاشارة اليه على « الفلشا » •

ب ــ المرحلة الثانية :

وهى التى شهدت التحـرك العملى لنقـل الفلشا من موطنهم الى فلسطين المحتلة ، وقد بدأت عام ١٩٧٧ عن طريق اتفـاق مباشر بين حكومة « أديس أبابا » واسرائيل تعهدت الأولى فيه بالموافقة على تهجيرهم الى اسرائيـل فى مقابل أن يقوم الطرف الثانى بتزويد اثيوبيـا بالأسلحة والفنيين • بالاضـافة الى تدريب قواتها المسلحة ، وفعـلا كانت الطـائرات الاسرائيلية تقوم بنقل الأسلحة الى اثيوبيـا وتعود حاملة أعدادا من الفلشا •

ولم تتوقف عملية التهجير الا بعد أن أعلن « موشيه ديان » نبأ هذا الاتفاق عام ١٩٧٨ فى أثناء زيارة له الى « سويسرا » ممـا سـبب الحرج لحكومة اثيوبيا أمام الدول الافريقية •

ثم تكررت المحاولة عام ١٩٨٠ وبتنسيق بين « جهاز الموسـاد الاسرائيلى » ــ جهـاز المخابرات ــ ومكتب (وكالة اغاثة اللاجئين فى السودان) و (كينيا) ، كانت عملية التهجير تتم تحت ستار معـاونة الفلشـا على العمـل بـ « نيروبى » ، ثم توقفت العملية بناء على قرار من « الموساد » بسبب بعد المسافة بين كينيا والسودان ، وعدم توافر المواصلات الجيـدة التى تساهم فى نقلهم •

وفى عام ١٩٨١ تم تهجير بعض الفلشا عن طريق البحر الأحمر من مينـاء « سـواكن » السودانى الى ميناء ايـلات الاسرائيـلى •

وفى عام ١٩٨٢ جرى نقل نحو ألفين مـن الفلشا بالتعاون مع (وكالة الاغاثة الدوليـة) •

وكانت عملية التهجير وهى التى أطلقت عليها اسرائيل اسم « عملية موسى » تتم بتجميـع الفلشا من مخيمات غوث اللاجئيـن فى (أم راكوبة ، وطيوادا ، ووادى الحلو بالسودان)

ثم نقلهم الى الجزء العسكرى من مطار الخرطوم حيث تنتظرهم طائرات شركة « عبـر أوروبا البلجيكية » لتقلع بهم الى « تل ابيب » مـارة بمطارات بعض دول أوروبا ــ بلجيكا ، سويسرا

ايطاليا ـ التضليل وفى شكل رحلات دوريـــة منتظمة .

وقد بلغ عدد الرحلات خمسا وثلاثين رحلة كان آخرها يوم ١٩٨٥/١/١٥ وقد جـــرى بموجب هذه العملية تهريب أكثـــر من عشرة آلاف من اليهود الفلشا.

الفلشا فى اسرائيل :

كشفت مظاهرات الفلشا التى كانت تجوب شوارع « تل أبيب » وتناقلتها الصحف عــن أوضاع غريبة فى معاملة الفلشا اذ طلب اليهــم اتباع طقوس واجراءات كالتى تتبع مـــع المتهودين الجدد بحجة « تجديد »يهوديتهم ، كما تقرر الحاق جميع أبنائهم بالمدارس الدينية فقط بدعوى ظاهرها تعليمهم الدين من جـديد أما باطنها فهو ابعادهم عن التعليم المـــدنى الذى يخرج منه قادة وحكام اسرائيل .

كما رفض السكان « البيض » فى مختلــف المناطق اسكانهم الى جوارهم بدعـــوى أنهم بدائيون متخلفون .

وعندما أنزلتهم الادارات الصـــهيونية فى الفنادق احتج المديرون ورؤساء البلديات ، ولم يقبلهم الا مستوطنو المناطق التى توجد بهـــا كثافة عربية والتى تشهد توترا بلغ أقصى مداه بين الفلسطينيين والاسرائيليين .

كما قبلهم رئيس بلدية « عكا » بتحفظ .

ولاشك فى أن هذه المعاملة تتناقض مع ماقال به زعماء الدين اليهودى من أنهم سبط « دان » اذ أن « دان » هذا هو الابن الخامس لسيدنا يعقوب على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وأحد الأسباط العشرة التى فقدت فى التـــاريخ بعد الغزو الآشورى لملكة اسرائيل الشمالية الغابرة عام ٧٢٢ قبل الميلاد .

نتائج العملية على الكيان الصهيونى :

لقد كشفت هجرة الفلشا عن عدة حقـــائق تهتك أستار الصهيونية وتهدم دعاويها فقــد أثبتت أن الهجرات الجماعية اليهودية قليـــلا ماتحدث دون مؤامرة مسبقة من الصـــهيونية العالمية كما فضحت دعاويها بأن اليهود شعب واحد تشتت فى أنحاء الأرض ، وأن اليهودية (هوية قومية) اذ تؤكد « الفلشا » عكس ذلك،

فاليهودية ديانة كغيرها قابلة للانتشار مثـــل سواها ولا يمنع شعوب كثيرة من اعتناقها رغم تباين أصولهم كما أزاحت الستار عن الكيـــان الصهيونى فبدا مجتمعـــا للبيض يدين بالتفرقة مثله مثل جنوب أفريقيا .

محمد عبد العزيز عبد اللطيف

المراجع .

١ ـ الفلاشا خنجر فى ظهر الامـــة ـ مصطفى بكرى ـ كتاب على طريق القدس عـــدد (٢) سبتمبر ١٩٨٥

٢ ـ الحضارات السامية ـ ترجمة يعقوب بكر ص ٣٧٩

٣ ـ يهود الفلشا يواجهون عيـــادة فالوس ـ عبد الرحمن شـــاكر ص ١٥ مجلة الهلال عـــدد اغسطس ١٩٨٥

اللغة والأدب والنقد

غراس الأساس

محمود سامى البارودى

الشيخ الباقورى

من روائع تراثنا المخطوط

غراس الأساس

للحافظ ابن حجر العسقلانى

باب الثاء المثلثة

* (ثبت) أثْبَتَهُ : حبسه • وضربه حتى أثبته : أى أثخنه ، والأصل : منعه الحركة ، ومنه : اثبتته الجراحة ، واثبته السَّقَم (١) : اذا لم يقدر على الحركة • ونظرت إليه فما اثبته ببصرى، ، وأثبت اسمه : كتبه ، وَأَثْبَتَ الشئَ معرفة : قتله علما ، وَثبت لبَدُك : دعاء بدوام الأمر •

* (ثبج) تسنم أثباج الآكام : أصله من الثبج وهو ما يلى الكاهل الى الظهر ، وثبج الكلام : لم يات به على وجهه ، وركب ثبج البحر ، وثبج من الليل ، والتقم لقما مثل أثباج القطا ، وهى أوساطها •

* (ثبو) ما يعدله عندى مال مُثَبّىً (٢) ، وَثَبّىَ اللهُ لك النعم : ساقها •

* (ثجج) : غيث ثجّاج ، وخطيب مثجّ (٣) •

* (ثجر) : أقاموا فى ثجرة الوادى : أى وسطه •

* (ثجل) : حلة ثجلاء : أى واسعة (٤)•

* (ثخن) : أثخنته الجراحة ، وتركه مثخنا ، وأثخن فى العدو ، وأثخن فى الأرض : أكثر فى القتل ، وأثخن فى الأمر : بالغ فيه ، وأثخنته علما : قتلته معرفة ، وأثخنه قوله : بلغ فيه ، وامرأة مثخنة : ضخمة ، واستثخن بى المطر : غلبنى ، وكذا النوم ، وفلان ثخين رزين : للحليم •

* (ثدى) : ارتضع ثدى الكرام •

* (ثرد) : فى شفته تثريد : أى تشقيق ، وثردت ذبيحتك : اذا كانت المدية كالّة فَفَتَتَّ (٥) ولم تَفِر •

---

(١) فى الأصل : السفر

(٢) فى الأساس : ما يعدله عندى مال مُثَبّىً ولا ولد مُرَبّىً •

(٣) فى الاساس : خطيبه مثج مسح •

(٤) فى الأساس : حلة نجلاء ومزادة ثجلاء : واسعة •

(٥) فى الأساس : ولم يفر •

تحقيق الدكتور
توفيق محمد شاهين

* (ثرر) : ناقة ثَرَّة وثرور : واسعة الأحاليل كثيرة الدَّر • وطعنة ثرة وثرور ، وفرس ثرّ •

* (ثرى) أثرى الرجل : أى صار ثريا ، مثل أترب : صار ذا تراب (١) ، والمراد ، كثرة المال ، ورجل مُثْرٍ وذو ثروة ، ومنه : ثرى القوم يثرون : اذا كثر عددهم ومن الأمثال :

« التقى الثريان » فى سرعة تواد الرجلين ، وأصله : أن الغيث التقى نداه ثرى الأرض (٢) ولا تويبس (٣) الثرى بينى وبينك :

أى لا تقاطعنى ، وظهر ثرى الماء من الفرس : اذا بدا بالعرق ، وأرى ثرى الغضب فى وجهه ، و « فلان قريب الثرى بعيد النبط » :

لمن ينطق بالجود ولا يفعل ، وبلغت ثرى فلان : اذا بلغت ما تطلب ، وثريت بك : سررت ، وهو ابن ثراها ، وفلان ما يثرى فيه شىء : أى ما ينجع (٤) فيه ، وما يثريه كذلك •

* (ثعب) : صاح به فانثعب اليه : اذا وثب يجرى اليه • وشدّ أثعوب ، وثعب عليهم الغارة : شنّها ، وثعب البعير شِقشِقته : أخرجها •

* (ثَغَر) : أمسى الناس ثغورًا : أى متفرقين (٥) ، وفلان يسد الثّغْر ، وكل فرجة فهى ثُغْرة ، وفلان يخترق ثغر المسجد : أى مسالكه •

* (ثغم) أَثْغَمَ رأسُ الرجل : اذا ابيض •

* (ثفر) : استثفرت المستحاضة : تَلَجَّمَت ، واستثفر المصارع : رد طرف ثوبه

إلى خلفه (٦) فغرزه فى حجزته (٧) ، واستثفر الكلب بذنبه ، وَأَثْفَرَ المرأة : وطئها من خلف (٨) وقيل : كان أبو جهل (٩) مثفارًا ، وَأَثْفَرُوه بيعة سوء (١٠) •

---

(١) فى الأصل : صار ذا اتراب بالهمزة •
(٢) فى الاساس : أن يسقط الغيث الجود فيلتقى نداه وندى الارض العتيق تحتها •
(٣) فى الأصل : لا تؤنس بالنون •
(٤) لقساوته •
(٥) شَتّيًا •
(٦) فى الأصل : الى خلف •
(٧) فى الأصل : الى حجرته بالراء •
(٨) فى الأساس : وأثفره : ساقه من ورائه •
(٩) فى الأساس : مثفارًا وكذّب قائله •
(١٠) فسرها فى الأساس بقوله : الصقوه باسته •

* (ثفل) : وجدتهم مثافين : أى متبلغين بالثفل ، وأهل البدو تسمى ما سوى اللبن من تمر أو حب ثفلا وتلك حال شديدة عندهم ، وليس الثفل كالمحض (١) : أى ليس الذي يشرب المحض كالذى يأكل الحب ، وثفال : جماعة ، وتبرذعت فلانا وتثفلته : اذا علوته فجعلته بمنزلة الثفال والبرذعة (٢). وتثفل استه : اذا قعد .

(ثفن) : [قولهم لعلى بن عبد الله]: ذو الثفنات ؛ لأنه كان لركبته كثفنات البعير ، وثافنته باسته : كان ينقب على كذا : أعنته عليه (٣) .

وثفنت يده : نجلت (٤) .

* (ثقب) كوكب ثاقب : شديد الاضاءة كأنه يثقب الظلمة . وَثَقَبَ ثقوبا ، وكذا السراج والنار ، وثقبهما : ارتقبهما ، واثقب نارك بثقوب أى ببعر ونحوه ، ورجل ثقيب : يشبه لهب النار فى الحمرة ، وفيه ثقابة ، وحسب ثاقب : شهير ، وثاقب الرأى : جزله [وأتتنى عنك (٥)] عَيْنٌ ثاقبة : أى خبر يقين ، وثقب الطائر : اذا حلّق كأنه يطلب السكاك (٦) وثقب الشيبُ فى اللحية : أخذ فى نواحيها ، وثقبه الشيب : اذا وخطه ، وهو طلاع المثاقب أى الثنايا ، الواحد مثقب كأنه ينفذ (٧) فى الجبل يثقبه (٨) ، وسلكوا المثقب : اذا مضوا من العراق الى مكة وثقب غُرز الناقة ، وناقة ثاقب وثقّب: غزيرة (٩) . وقد ثقبت ثقابةً : للبعير ومن فيها ، ونوق ثقب ، ومنه ثقب عود المرفخ وثقّب : اذا جرى فيه (١٠) الماء وأورق .

---

(١) فى الأساس : المحض بالحاء .
(٢) فى الأصل : البردعة بالدال .
(٣) فى الأساس : سافنته على كذا : اعنته عليه .
(٤) فى الأساس : اكنبت ومجلت .
(٥) الزيادة من الأساس .
(٦) فى الأصل : السكال باللام والتصحيح من الصحاح .
(٧) فى الأصل كانه يتقد .
(٨) فى الاصل : يثقنه بالنون .
(٩) فى الأصل : غريزة .
(١٠) فى الأصل : منه .

الإمالة

للأستاذ الدكتور
عبد العظيم على الشناوى

الامالة : مصدر أملته أميله امالة . والميل : الانحراف عن القصد ، يقال منه مال الشىء . ومنه : مال الحاكم اذا عدل عن الاستواء ، وكذلك الامالة فى العربية عدول بالألف عن استوائه وجنوح به الى الياء .

والامالة فى الاصطلاح ــ كما قال ابن الحاجب ــ أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة ــ وهذا التعريف ــ كما قال الرضى ــ جامع لأنواع الامالة .

لأن الامالة ثلاثة أنواع : امالة الفتحة قبل الألف الى الكسرة ، فيميل الألف نحو الياء ، وامالة فتحة قبل الهاء الى الكسرة ، كما فى رحمة ، وامالة فتحة قبل الراء اليها ، نحو الكبر ، فامالة الفتحة نحو الكسرة شاملة للانواع الثلاثة ، ويلزم من امالة فتحة الألف نحو الكسرة شاملة للأنواع الثلاثة ، ويلزم من امالة فتحة الألف نحو الكسرة امالة الألف نحو الياء ، لأن الألف المحض لايكون الا بعد الفتح المحض ، ويميل الى جانب الياء بقدر امالة الفتحة الى جانب الكسرة ضرورة ، فلما لزمتها لم يحتج الى ذكرها ــ اه .

وبمقدار جنوح الألف الى الياء تكون الامالة ــ فبحسب قربها من الياء تكون شدة الامالة ، وبحسب بعدها تكون خفتها وبعضهم ــ كالرضى ــ لا يسمى هذا امالة الا اذا بولغ فى امالة الفتحة نحو الكسرة ــ وما لم يبالغ فيه يسمى « بين اللفظين » و « ترقيقا » ، والترقيق خاص بالفتحة التي قبل الألف .

الامالة عند العرب

اعلم أن التفخيم هو الأصل ، والامالة طارئة .

والذى يدل على أن التفخيم هو الأصل .

أنه يجوز تفخيم كل ممال ولايجوز امالة كل مفخم ، وأيضا فان التفخيم لا يحتاج الى سبب والامالة تحتاج الى سبب .

الإمالة

ومع هذا فهى كثيرة فى كلام العرب : فمنه ما يكون فى كثرة الاستعمال تفخيمه وامالته سواء • ومنه ما يكون أحد الأمرين فيه أكثر وأحسن — وكان عاصم يفرط فى الفتح (عدم الامالة) وحمزة يفرط فى الكسر — قالوا :

وأحسن ذلك ما كان بين الكسر المفرط والفتح المفرط — ولقد اشتهر بين النحويين : أن الامالة لغة خاصة ببنى تميم دون الحجازيين — ولهذا قال الرضى : وليست الامالة لغة جميع العرب ، وأهل الحجاز لا يميلون ، وأشدهم حرصا عليها ، تميم (شافية جـ ٣ ص ٤) •

والحق أن الامالة لها أسباب فمنها ما يعتد به التميميون فقط ، ومنها مايعتد به الحجازيون ومنها ما يعتد به الجميع •

ولقد نص الفراء على أن ما كان مثل شاء وخاف وجاء وكاد يفتحه(لا يميله) الحجازيون ثم قال : وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يميلون منه ما كان من ذوات الياء — ولعل قول الفراء هذا فى تلك الجزئية الخاصة بفعل المعتل العين — هو الذى حمل النحويين على أن يعمموا هذا الحكم ويجعلوا الامالة جميعها خاصة ببنى تميم — وهذا خطأ ظاهر •

فان سيبويه نفسه قال فى تلك الجزئية : (جـ ٢ ص ٢٦١) : ومما يميلون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو ، مماهما فيه عين اذا كان أول فعلت مكسورا (أى تكسر فاؤه عند اسناده الى التاء وذلك بأن يكون يائى العين كبعت ، أو واويا مكسور العين كخفت) •••

وهى لغة لبعض أهل الحجاز فأما العامة فلا يميلون — ا هـ •

وقال سيبويه فى جزئية أخرى — وهى ما اذا كانت الألف طرفا وليس أصلها الياء نحو غزا ، وحبلى — قال : وجميع هذا لا يميله ناس كثير من بنى تميم وغيرهم — وفى موضع آخر قال : وكثير من العرب وأهل الحجاز لا يميلون هذه الألف (جـ ٢ ص ٢٦١) — وقال أيضا :

وجميع هذا لا يميله أهل الحجاز وجماع الأمر فى هذا ما قاله سيبويه (جـ ٢ ص ٢٦٣) ! واعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه فينصب (لا يميل) بعض ما يميل صاحبه ويميل بعض ما ينصب صاحبه ، وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأولين فى الكسر (الامالة) فاذا رأيت عربيا كذلك فلا تظنه خلط فى لغته ولكن هذا أمرهم — اهـ •

قال السيرافى : يريد أن أمر العرب فى الامالة لا يطرد على قياس لايخالفونه ، وكذلك ترك الامالة لا يطرد — اهـ •

والآن : وقد ظهر لنا أن الامالة ليست خاصة بفريق — نستطيع أن نقول من تتبعنا لأسباب الامالة والاعتداد بها — ان الامالة فى التميميين أكثر منها فى الحجازيين — وليست خاصة بهم •

الغرض من الامالة

الغرض منها تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل :

وبيان ذلك أنك اذا قلت : عالم — كان لفظك بالفتحة تصعدا واستعلاء ، فاذا عدت الى الكسرة — كان انحدارا وتسفلا ، فيكون فى الصوت بعض اختلاف فاذا أملت الألف قرب من الياء ، وامتزج بالفتحة طرف من الكسرة فتقارب الكسرة الواقعة بعد الألف وتصير الأصوات من نمط واحد — وكثيرا ما تبدو هذه الظاهرة فى الأساليب العربية : فما قلبت التاء طاء فى نحو اصطبر ولا السين صادا فى نحو سقت ، والسويق ، ولا الصاد زايا فى نحو الصراط وصقر — الا حرصا منهم على تقارب الأصوات وجعلها من نمط واحد .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٥٩) « هذا باب ما تمال فيه الألفات » .

فالألف تمال اذا كان بعدها حرف مكسور نحو عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وغذافر وهابيل ، وانما أمالوها للكسرة التى بعدها أرادوا أن يقربوها منها . كما قربوا فى الادغام الصاد من الزاى حين قالوا : صدر فجعلوها بين الصاد والزاى فقربها (المتكلم) من الزاى والصاد التماس الخفة ... فكما يريد فى الادغام أن يرفع لسانه من موضع واحد كذلك يقرب الحرف الى الحرف على قدر ذلك فالألف قد تشبه الياء فأرادوا أن يقربوها منها الخ ما ذكر .

وقال ابن يعيش موضحا رأى سيبويه : وكذلك فى الامالة قربوا الألف من الياء ، لأن الألف تطلب من الفم أعلاه ، والكسرة تطلب أسفله وأدناه فتنافرا ، ولما تنافرا — أجنحت الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء فصار الصوت بين بين فاعتدل الأمر بينهما وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر فاعرفه — اهـ .

(جـ ٩ ص ٥٥) وقد فصل الرضى الغرض من الامالة — وان كانت لاتخرج عما أجملوه فقال (جـ ٣ ص ٥) :

وسبب الامالة : اما قصد مناسبة صوت نطقك بالفتحة لصوت نطقك بالكسرة التىقبلها كعماد ، أو بعدها كعالم أو لصوت نطقك بياء قبلها كسيال (شجر) وشيبان ، أو قصد مناسبة فاصلة لفاصلة ممالة ، أو قصد مناسبة امالة لا مالة قبل الفتحة ، أو قصد مناسبة صوت نطقك بالألف بصوت بأصل تلك الألف وذلك اذا كانت منقلبة عن ياء أو واو مكسورة كباع وخاف ، أو لصوت مايصير اليه الألف فى بعض المواضع كما فى حبلى ومعزى، لقولك : حبليان ومعزيان — اهـ .

حكم الامالة ومحلها

علم مما تقدم أن أسباب الامالة ليست موجبة لها . بل هى المجوزة لها عند من هى فى لغته — وكل موضع يحصل فيه سبب الامالة يجاز لك فيه الفتح لأنه الأصل لأن الألف اذا لم تمل كانت حقيقة فاذا أميلت ترددت بين الألف والياء والأصل فى الحرف الا يمازج صوته صوت غيره .

ومحلها : الأسماء المتمكنة والأفعال غالبا أما الأسماء غير المتمكنة والحروف فلا يمالان الاسماعا .

منطق الأشياء

عند الشروق تتجه أشــعة الشمس الى الأرض وعند الغـــروب تتجه الى السـماء ، كذلك الانســان .

* *

لن تصــير الأرض سماء وان يرق فيها الذهب ولمع الدر .

* *

الحضارة في مفهوم العصر أن تلعن الماضي .
فما الجحــود اذا ؟ .

* *

تحت ضـوء الشموع دمــوع .

* *

قد بلغت أصيل العمر ، وما زلت أنشد الفضيلة وأبحث عن صديق .

* *

الصلف يحبط الفضل ، والمن والرياء يبطلان السخاء .

* *

لا تضيىء الشمس مغمورا ، ولا يعز الناس مقهورا .

* *

يا صانع السـلاح ، لصدرك منه شــظية .

* *

في البيضــة غيضة ، وفي النواة حياة . (١)

* *

صرفني عن بهاء الزهرة التي في شمالك بريق المدية التي في يمينك .

---

(١) غيضة منبت الاشجار

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

كثرة الآراء بلبلة ، وتناقضها مهزلة ·

* *

الترف يقتل الهمة ، ويخمد الفطنــة ·

* *

فى الليل تدب العقارب والأفاعى ، وتسرح الذئاب ، وتتراكض الأشباح ·

* *

ما أبطل حكمة الحكماء الا جلجلة الهــراء ·

* *

من ذاق مائدة السماء لا يشتهى من الأرض الغذاء ·

* *

خبيث من يطعمك ليأسرك ، وأخبث منه من يأكل طعامك ليدخر طعامه ·

* *

فيم تخاتل[1] أيهــا الراحل ؟

* *

أفيقوا يابنى البشر ، قد لاحت النذر ، فليس على الله ببعيد أن يذهبكم ويأتى بخلق جــديد ·

* *

يا رائد الفضاء أعرف لك كوكبا مأمونا قبل أن تصبح الأرض أتونا (٢) ·

* *

اذا اختل الميزان رجحت الكفــة الفارغة ·

* *

فتيان اليوم شيوخ الغد ، وان غدا لناظره قريب ·

* *

رباه : أى السبل أسلك ؟ انما أعنى النهاية قبل البداية · فهــل الى ذلك من ســبيل ؟

٥

---

(١) تخاتل = تخادع .

(٢) أتونا = لهبا .

منطق الأشياء

ماذا تكون أحكام العقول فيما هو مجهول ؟ هل غير التناقض ؟

*　　*

تتنافر الأحياء وتختلف ، وتتواءم الأموات وتأتلف . فهل تعرف السبب ؟

*　　*

فى الأكمام زهر ، وفى الأصداف در .

*　　*

للموت أتراح ، وله أيضا أفــراح .

*　　*

للمال سورة كسورة المدام ، وللسلطان سطوة كسطوة الضرغام (١) .

*　　*

حين بلغ منى الهدف ، تنحى عنى وصدف (٢) .

*　　*

حتى الجماد يتنافر ويتزاحم ، والساكن يمور ، والشاهق يغور (٣) .

*　　*

تغرب الشمس بين الجبال والبحور ، وتغرب الحقيقة فى الجدال والصدور .

*　　*

أيتها الأرض ليس لك منى الا جسمى ، وسأخليه لك بعد حين .

*　　*

عندما ترقد الأشباح ، تنطلق الأرواح .

*　　*

انما يتكدر الصــافى ويعوج المســـتقيم .

*　　*

أيتها الزهور المتغضنة الذابلة .. لقد كنت فى الصباح باسمة ناضرة .

*　　*

---

(١) سورة = تأثير الخمر فى العقل ، الضرغام = الاســد .

(٢) صدف = أعرض .

(٣) يمور = يموج ويضطرب ، يغور = يسفل .

غترب لتقترب ، وانصـــب لتترب (١) ٠

* *

حجبت الغيوم ضوء القمر حين كان بدرا ، وعندما انقشعت كان في المحاق ٠

* *

لكي أرضى عنك دعني آكلك ٠

* *

لأرض تطعمك ثم تطعمك ٠

* *

جمل الزهور وأبهاها ، لا أريج له (٢) ٠

* *

يال لي جئت لخدمتك : قلت له أفصح عن حاجتك ٠

* *

عدل القاضي يرهقه ، وجوره يوبقه (٣) ٠

* *

تتقوض الأبدان عند رحيل الســـكان ٠

* *

في منطق العصر : النهاب غلاب ، والمضياف متلاف ٠

* *

يا ملاح الفضاء : هل لك في الكواكب ملجأ حينما لا يكون على الأرض مرفأ ٠

* *

ليس للكائنات ثبات ، ولا في الوجود جمود ٠

* *

وضع الندى موضع السيف ليس كرما بل سفها ٠

* *

انما يعمر الأرض انســـان ٠

* *

ما ابدع الصباح واقدسه قبل أن يصحو الانسان !! ٠

* *

---

(١) تترب = تستغني .
(٢) أريج = عطر .
(٣) يوبقه = يهلكه .

منطق الأشياء

نعيب البوم والغربان يطغى على سجع الكروان .

* *

ليس التواضع ذلة .

* *

الحلال عند جل الناس ما وافق الهوى وان أشقى .

* *

اذا أردت أن تعرف طبيعة الحياة ، فانظر الى موج البحر .

* *

يحطم الناس البوق ويغفلون عن النافخ فيه ، أليس ذلك حمقا .

* *

الظلام خير من ضياء الحريق .

* *

هل تكشف الكونَ ذبالةُ العقل ؟ ذلك هو الجهل .

* *

عفة العاجز ادعاء ، وعلم الجاهل هراء .

* *

الغيث ينمى الحياة ، والسيل يجرفها ، وكلاهما ماء .

* *

الاطراء معشوق ، وان كان كاذبا .

* *

كم فى قاع البحر من در ، وكم بين الأحجار من نضار .

* *

القسوة تنبت الجفوة .

* *

أنت ابن العصر ، وان طال العمر وأحنى الظهر .

مع محمود سامى البارودى

للأستاذ محمد الطاهر الزنكلونى

البارودى من نسل الجراكسة الـذين كان منهم المماليك حكام مصر قبل العهـد التركى وهو ابن حسن حسنى بك مـن أمراء المدفعية فى الجيش المصرى ابـن عبدالله بك الجركسى من الكشاف فى أوائل عهد محمد على وسبب نسبته الى ايتاى البارود وهى من مديرية البحيرة كانت من « التزام » أحد أجداده قديما .

ولد البارودى عام ١٢٥٥ هـ ١٨٤٠ م بقصر أسرته بباب الخلق ونشأ فى نعمة وثراء وعـز وسيادة ضمنت له هـذا الشمم الذى يتجلى فى شعره كما حققت اليه ما صبت اليه نفسه من أنواع العلوم ورفيع الدرجات .

مات أبوه وتركه فى السابعة من عمره فـلم يسلمه اليتم ــ ومعه هذه الثروة ــ الى الضياع فقد تعلم القراءة والكتابة ومبادىء العـلوم على يد أساتذة يحضرون اليه فى منزله ويقومون بتربيته وتثقيفه حتى اذا بلغ سن الحـادية عشرة كان مستعدا لدخول المدرسة الحـربية فدخلها ولبث فيها أربع سنوات أتم فيها علومها فتخرج منها سنة ١٨٥٥ م ، وعمره خمسة عشر عاما وهى سن صغيرة اذا قيست بسن غيره من الزملاء كان ذكاؤه قد مكنه من تحصيل العلوم فى تلك السن المبكرة كما أن قوة جنابه قد صيرته فى نظر الرؤساء أهلا لأن يعد فى صفوف الرجال بل الفرسان والقواد .

اعماله بعد الحياة العسكرية :

بعد أن تخرج البارودى فى المدرسة الحربية وكان ذلك فى أوائل عهد سعيد باشا ، لم تقف همته عند طلب الوظائف فى مصر بل ذهب الى الآستانة وعمل بها كاتما للسر بوزارة الخارجية وتمكن بذلك من اتقان اللغتين التركية والفارسية وحدث أن رآه فى الآستانة الخديوى اسماعيل سنة ١٨٦٣ م على اثر ارتقائه للخديوية لمصر فأعجب به وضمه الى بطانته فرجع معه الى مصر والتحق بالخدمة العسكرية سنة ١٨٦٨ م ثـم ذهب فى الحملة التى ساعدت بها مصر الدولة العلية فى اخماد ثورة (قريطش كريت) ولـما عاد منها انضم الى حرس الخديوى اسماعيل

مع محمود سامي البارودي

فرأى نبوغه عن كثب فزادت منزلته لديه ، وعينه كاتم سره الخاص وبعد سنتين عاد الى سلك الجندية ، ولما أعلنت الدولة الروسية الحرب على الدولة العثمانية سنة ١٨٧٧ م أمدت مصر الدولة العثمانية بجيش عظيم كان البارودى أحد قواده العظماء وأبدى من المهارة والشجاعة الحربية ما استحق عليه لقب (أمير لواء) وبعد عقد الهدنة عاد الى مصر فاختير مديرا للشرقية ثم رئيسا لضبطية القاهرة ، ولما جاء الخديوى توفيق اختير البارودى ناظرا للأوقاف فأدخل بها كثيرا من ضروب الاصلاح وبحكم كونه من النظار استطاع أن يخدم العرابيين الذين كان البارودى يحنو كثيرا على مطالبهم ، ويعتقد عدالتها ، ثم هو من ذوى المطامح الكبيرة يريد أن يهيىء لنفسه مكانة عند هؤلاء الثوار حتى اذا كانت لهم دولة عرفوا له معونته لقضيتهم ، وكانت خدمته للعرابيين أن ينقل اليهم ما يدور فى مجلس النظار من خطط تدبر ضدهم ليكونوا على أهبة لمقاومتها • وقد نجح البارودى فيما أراد وتحققت مطامعه فقد عين ناظرا للحربية ثم رئيسا للنظار برأى عرابى وأصحابه ثم استعفى لما وجد أن الأمور تسير على غير مايريد ومالبثت الثورة أن اشتعلت ثم انجلت سريعا عن فشل عرابى وأصحابه فكان البارودى من المتهمين باشعال نارها فحوكم مع العرابيين وحكم عليه وعليهم بالنفى المؤبد الى جزيرة (سرنديب) حيث مكث فيها أكثر من سبعة عشر عاما بلغه فيها وفاة زوجته وبعض أصدقائه فكانت حياته فيها كلها آلاما ومحنا بالرغم من مشاغله بتعلم اللغة الانجليزية وبتعليم مسلمى الجزيرة القراءة العربية والكتابة •

وفى أيام الخديوى عباس الثانى عاد الى الديار المصرية فى جملة المعفو عنهم سنة ١٩٠٠ فشكر لعباس صنعه بقصائد ومقتطعات لاسيما أنه اختصه برد حقوقه اليه من ثروة ورتبة وأقام بمصر موفور الكرامة ومثابة لمحبيه والمعجبين به وبشعره من الأدباء والعلماء حتى مات سنة ١٣٢٢ هـ الموافق سنة ١٩٠٤ م وقد كف بصره فى آخر أيامه •

شعر البارودى :

كانت صناعة الشعر أواخر العصر الماضى وأوائل العصر الحاضر قد انحطت الى الدرك الأسفل فى البلاد العربية لاسيما فى مصر لأن صناعة البديع وتكلف أنواعه اللفظية كانت قد غطت على محاسن الشعر فى قمته الفنية وأصبح مباءة لانواع منه اتخذت مسارا للمباهاة والمعاناة يضاف الى ذلك ما كانوا يختمون به قصائدهم من تواريخ السنين بحساب (الجمل) ومن شعراء هذه الطريقة الدرويش والخشاب وغيرهما •

ثم نشأت طائفة أخرى أدخلت على هذه الطريقة بعض الاصلاح فانصرفت قليلا الى تجديد أساليب الشعر البليغ الا أنها لم تنصرف عن التمسك بالبديع مثل على الليثى وأبى النصر وغيرهما •

ولم ينصرم زمن هذه الحلبة حتى راع كل من يعانى الأدب شعر ذلك الجندى العجيب

الذي طفر بالشعر العربي الى مستوى الجزالة والروعة التى كانت لشعراء القرن الرابع والخامس ذلك هو البارودى فحمل لواء الشعراء وكان زعيمهم فى النهضة الشعرية الحاضرة ومقدم فحول الطبقة الأولى منها ومن عجب أن ينبغ فى الشعر ذلك النبوغ الفذ على غير بصر بالنحو والصرف والبلاغة اذ لم يقرأ كتابا فى شيء من هذه العلوم (١) ، ولكنه لكثرة ماحفظ من دواوين الشعراء تصور فى برهة يسيرة هيآت له التراكيب العربية ومواقع حركاتها حتى صار يقرأ ولا يكاد يلحن فى شيء منها .

أغراض شعره :

البارودى — كما علمت — من أبناء النعمة وكان له ثقافته العسكرية التى لا يستبعد أن تكون قد وجهت أغراض شعره الى الفخر والحماسة والتحدث بشرف الأصل والنجار استمع اليه مفتخرا .

انا ابن قولى وحسبى فى الفخار به
وان غدوت كريم العم والخال

ولى من الشعر آيات مفصلة
تلوح فى وجنة الأيام والخال

ولما خاض غمار الحروب فى قريطش والبلقان وصف الحرب فى شعره وذكر حسن بلائه فى مواطن القتال .

ولما نفى الى سرنديب اعتاض عن كل ذلك التحسر على زمان الصبا والحنين الى الأوطان وبكى فراق أهله وأولاده ورثى زوجته واخوانه فقال يصف الفراق :

محا البين ما أبقت عيون المها منى
فشبت ولم أقض اللبانة من سِنّى

عناء وبأس واشتياق وغربة
ألاشدّ ما القاه فى الدهر من غبرى

ومن قصيدته التى يرثى بها زوجته التى ماتت بمصر وهو لايزال بمنفاه :

لا لوعتى تدع الفؤاد ولايدى
تقوى على رد الحبيب الغادى

يا دهر فيما فجعتنى بحليلة
كانت خلاصة عدتى وعتادى

مماسبق تعلم أن أكثر أغراض شعر البارودى مستمد من ظروف حياته وأن الحوادث التى مرت به كونت له تجربة حية كانت لها من عاطفته ووجدانه بوتقة صهرت هذا الشعر عن صدق ، فخرج روائع سمت الى الحكمة والمثل فى روعة وجلال .

---

(١) ذلك رأى الكاتب ، ويرى العقاد — رحمه الله ورحم البارودى — أن البارودى لم يتعلم النحو والصرف والبلاغة والعروض كما كان الطلاب يتعلمونها فى عصره . والعبارة تفيد انه تعلم ذلك كله ولكن بطريق أبسط وأيسر من تلك التى تعلم بها أبناء عصره . الخطيب .

مع محمود سامى البارودى

أسلوبه :

حسبك أن تعلم أنه كان يفضل اللفظ على المعنى ويرى أن المعانى قد تكون مشتركة تطرأ على خواطر كثيرين ولكن الشاعر يمتاز بحسن لفظه وجمال عبارته وتأنقه فى اختيار كلماته وقدرته فى الملاءمة بينها ، ولذلك كان البارودى يفضل أباتمام على المتنبى لعناية أبى تمام باللفظ وان كان البارودى لم يحاك أبا تمام فى تكلف الجناس والطباق ولقد بدت فى شعر البارودى مميزات يمكنك أن تستنتج منها :

أ ــ جزالة الأسلوب وفصاحة الالفاظ لشدة عنايته بالجانب اللفظى ووضعه له فى المحل الأول من الاهتمام ٠

ب ــ تجديد الروح البدوية فى الشعر واستخدام الالفاظ والاساليب التى سعدت بكثرة ورودها على ألسنة الشعراء الأقدمين ٠

جـ ــ الجنوح الى أنواع من البديع ينمق به أسلوبه ولكن بقلة وبدون تكلف ٠

د ــ معارضه بعض فحول الشعراء المتقدمين فى عيون قصائدهم كالنابغة الذبيانى والشريف الرضى وأبى فراس الحمدانى ٠

قال النابغة :

من آل مية رائح أو مغتدى
عجلان ذا زاد وغير مزود

فعارضه البارودى بقوله :

ظن الظنون فبات غير موسد
حيران يكلأ مستنير الفرقد

وقال الشريف الرضى قصيدته التى مطلعها :

لغير العلا منى القلا والتجنب
لولا العلا ما كنت فى الحب أرغب

عارضه البارودى بقوله :

سواى بتحنان الأغاريد يطرب
وغيرى باللذات يلهو ويلعب

وقال أبو فراس الحمدانى قصيدته التى مطلعها :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر
أما للهوى نهى عليك ولا أمر

عارضه البارودى بقوله :

وأنى امرؤ لولا القرائن أذعنت
بسلطانه اليد والمغيرة والحضر

والمعارضة فى الشعر أن ينهج الشاعر نهج شاعر آخر فى الوزن والقافية والمعنى دون اللفظ ٠

هذا وللبارودى الفضل الاول فى رد الشعر فى هذا العصر الحديث الى فتوته وقوته ونضارته فقد طويت صحيفة الشعر الماضى بما عليها من تكلف ومافيها من اضطراب وظهرت بالبارودى صورة قوية نقية فيها كل معانى الحياة وفيها شباب العربية يترقرق وعذوبتها تتدفق ومن العجب أن هذا الرجل على كثرة شعره لايكاد يلحقه الاسفاف فى بيت واحد من قصيدة مع كثرة تصرفه فى فنون الشعر فراع وأصاب وأبهر سامعيه ٠

مع الشيخ الباقورى

ويسألونك عن ذى القرنين

لفضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى



عرض وتعليق
الأستاذ السيد حسن قرون

فى هذا الكتاب تقرأ عقليتين لم يجد الزمان بمثلهما من البشر ، حاشا الأنبياء والمرسلين .

وقد أشرت فى المقال الأول الى المقدمات التى مهد بها الشيخ أحمد حسن الباقورى متحدثا عن رحلته الى الشرق الأقصى حيث زار أندونسيا والهند والصين ، وذكر انطباعات تلك الزيارة ، وكيف اتصل الود بينه وبين مولانا أبو الكلام أزاد المسلم الهندى والوزير والمفكر الكبير .

وعاد وفى قلبه شوق اليه ، وتلهف على سماع أخباره ، وحين أرادوا تكريم « أزاد » اتصلوا بالباقورى ليكون من الخطباء ، ولكن المنية حالت بين الباقورى وتكريم أبو الكلام أزاد ١٩٥٥ — فكان التأبين تكريما وتنويها وعرضا لعبقريته وأفكاره .

يقول الباقورى : « لقد كان وهو حى يملأ مجالات ما كنا نحس بفراغ فيها .. حتى اذا مات وجفت هذه الموارد الغزيرة التى كان يتدفق بها قلم أزاد وينطق بها لسانه — شعرنا بهول الفاجعة ، وأحسسنا المصيبة فى هذه

النعمة التى انتزعها القدر منا ، وأصبحنا نتلفت الى مكانه فى كل حدث يقع ، وفى كل عظمة تظهر » •

وما يقوله الباقورى عن أزاد جدير أن يقال له ، لأنه فى هذا الوصف يلقننا وصف نفسه الجياشة بالعطاء وجمال الأداء • ولماذا حرص الباقورى على نشر بحث أزاد القيم ؟ الجواب من الباقورى هو :

« قد وقع الى ذات يوم عدد من مجلة الأزهر تضمن حوارا حول « ذى القرنين » فى القرآن ، فاذا كاتب يدعى لنفسه رأى أزاد أو بعض رأيه ، ومنذ ذلك اليوم بدأت أخشى أن تلتهم البحث الجليل شهوة جشعة أو تدعيه أثرة ظالمة ، فاعتزمت أن أخلده فى كتاب حماية له واعتزاز به ، وان كنت أعرف أننى ربما تعرضت بنشر هذا البحث لعتب ولى مشفق ، أو نيل عدو كاشح •• » وقد أدى ما وعد به فكان هذا الكتاب •

وساق الباقورى أقوالا ينتظر أن يقولها شانئوه وحاسدوه ، أشدها فى نظرى أن يقولوا : ان ذا القرنين كان قائدا فارسيا ، وأنه هو الذى رد الى اليهود ملكهم واستنقذهم من ذل الأسر فى بابل وأعادهم الى بيت المقدس بعد أن كان « بختنصر » قد دمرها تدميرا كاملا ، وأسر جميع أهلها من اليهود آنئذ •

وفند هذا بقوله :

ان الأمانة العلمية فوق النعرات العصبية والعلوم والمعارف ينبغى أن تكون فوق الأهواء والمجاملات واهتمام مولانا أبو المكارم آزاد نابع من حبه العلم وكلفه بالبحث ، فالحقيقة هى بنت البحث عنده ، والقرآن ذكر ذا القرنين لسؤال قريش عنه صاحب الرسالة بايعاز من اليهود لسبر نبوته واعطاء قريش سلاحا لمناوءته ، وأراد هو أن يكشف لنا تلك الشخصية بوسائله العلمية ببراهين عقلية وحفريات عملية وبين لنا اعجاز القرآن فى هذا المقام •

ومولانا أبو الكلام أزاد ولد فى مكة ، وتربى فى وطنه الهند فى أسرة مسلمة تتخلق بأخلاق الاسلام ، لو قرأت دفاعه عن نفسه حين حاكمه القضاة الانجليز لثورته عليهم لرأيته يصف نفسه بشجاعة الاسلام وأنه لا يقر الظلم ويرى الاستشهاد دفاعا عن دينه ووطنه هو الحياة ، فهو ينظر الى ما يبحثه بمنظار العلم بعيدا عن أهواء النفس وهتافات الجماهير •

والشيخ الباقورى قبل أن يعرض علينا نص بحثه أتى لنا بما قاله المفسرون والمفكرون الاسلاميون من الأسلاف ليرينا ما قالوه وما يقوله مولانا أبو الكلام أزاد ، فمنهم من نفى أن يكون الاسكندر المقدونى هو ذا القرنين ، ومنهم جعله الاسكندر المقدونى ••• والمراجع التى اعتمد عليها الباقورى لم ينسها أزاد بل ذكرها وذكر غيرها من كتب الشرق والغرب • وسأترك ما رواه الباقورى عن أسلافنا ، لأن مولانا

أبو الكلام أزاد لم يتركه ، بل ذكره وناقشه ، واتخذ فيه طرق التحليل والتركيب ، والمقدمات والنتائج ، وانك اذا قرأته سمعت نبضات قلبه وخطوات ذهنه ، وتقف منه على الحقيقة التى عنى نفسه من أجلها ، ليبلغ بذلك قصدا رصده ، وكشفا أراده ، واعجازا للوحى يحتاج الى منطق وبرهان .

وقد اتخذ فى سبيل ذلك محاور ثلاثة أساسية بنى عليها ما يخرج به من نتائج فى حاجة نحن نريدها كما يريدها والمحاور الثلاثة هى : القرآن الكريم ، وتاريخ اليهود القوى من خلال العهد القديم ، وخريطة الأرض الجغرافية وبجوار هذه المحاور الأساسية لم يترك التاريخ العام ومعالجة الديانات الأخرى .

ذو القرنين فى القرآن الكريم

قال تعالى :

« وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا . فَأَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا . قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا . وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا . ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا . كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا . ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا . قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا . قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا . آتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا . فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا . قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا » (سورة الكهف الآيات ٨٣ ــ ٩٨) .

وعلى طريقة السلف يذكر سبب النزول ويوضح معنى الآيات . فيقول :

الظاهر من أسلوب الآيات أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ سئل عن ذى القرنين فجاءت الآيات جوابا للسؤال ، روى الترمذى والنسائى والامام أحمد فى مسنده : أن قريشا بايعاز من علماء اليهود سألت النبى عن أمور

ويسألونك عن ذى القرنين

منها ذو القرنين فقالت : من هـذا الـرجل وما أعماله ؟؟ .

وروى القرطبى عن السدى : قالت اليهود : أخبرنا عن نبى لم يذكره الله فى التـوراة الا فى مكان واحد . قـال :ومن ؟ قـالوا ذو القرنين .

وقد أحصى ابن جرير وابن كثير والسيوطى الـروايات بهـذا الصـدد فى تفاسـيرهم لخصائص ذى القرنين فى القرآن الكـريم . خصائصه كمـا ذكرها الباحث أزاد هى :

١ ــ الرجل الذى سألوا النبى عنـه كانوا يسمونه ذا القرنين ، أى أن هذا الاسـم أو اللقب لم يضعه القرآن من عنده ، بل الذين سألوا عنه هم الذين أطلقوه عليه ، ولـذلك قال : « **وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ** » .

٢ ــ أعطاه الله الملك وهيأ لـه أسـباب الحكم والغلبة .

٣ ــ كانت حروبه الكبرى ثلاثا :

الأولى غربية زحف من بلاده متوجهـا الى الغرب حتى وصل مكانا حده المغرب فوجـد الشمس هناك كأنها تغرب فى عين .

والثانية : شرقية ، فمازال يتقدم حتى بلغ أرضا لا عمران فيها تقطنها القبائل البدوية .

والثالثة : وصلت به الى مكان بـه مضـيق جبلى يشن من ورائه قوم الغـارات على الأهالى الذين سموهم يأجوج ومأجـوج ، وكان هؤلاء همجا حرموا المدنية والعقل .

٤ ــ أقام الملك سـدا فى المضـيق الجبلى لمنع غارات يأجوج ومأجوج .

٥ ــ لم يتكون هذا السد من الحجر والآجر فقط ، بل استهلك فيه الحديد وأفـرغ عليـه النحاس فأصبح سـدا منيعا تعجز دونه همم المغيرين .

٦ ــ كان الملك مؤمنا بالله وبالآخرة .

٧ ــ كان ملكا عادلا رحيما لا يظلم ، فلما تغلب على قوم فى الغرب عاملهم معـاملة حسنة وقال لهم : **لا خوف على الأبريـاء** ، فمن عمل خيرا يجز به ، فاطمأنوا الى عـدالته فكسب رضاهم .

٨ ــ لم يكن حريصا على المال ، فلما أراد المفتوحون أن يجمعوا له المال لاقامة السـد أبى أخذه منهم قائلا : ان ما أعطاه الله يغنينى عن أموالكم ، ولكن أعينونى بقوة أيديكم أشيد لكم سدا حديديا .

وخلص مـن هـذا ليتحـدث عن حـيرة المفسرين ، وقد أتت الحـيرة من الاسـم أو اللقب « ذى القرنين » فلم يعرفوا من التاريخ ملكا له قرون أو قرنان ، ومن ثم راحوا الى استراحة المجاز ، فأولوا القـرن بالعهـد ، ومعنى هذا أن الملك المتحدث عنه حكم حكمـا طويلا يقدر بعهدين كبيرين ، واختلفـوا فى تحديد مدة القرن وذهبوا مذاهب شتى وذو القرنين هـذا .

أملكا كان أم نبيا ؟ .

ومتى كان زمانه ؟ .

أعاصر ابراهيم عليه السلام أم جاء بعده ؟ .

ودار بحث جلبه لفظ « ذو » وهـو يسـبق

أسماء ملوك حمير فى اليمن ، ففى اليمن : ذو الأزعار وذو نواس وذو رعين ولو كان الأمر كذلك لعرفه عرب مكة ولما خفى على المسئول محمد الرسول ، والأوصاف التى ذكرها القرآن لا تنطبق على أحد من ملوك اليمن .

وجاء قوم ينظرون الى التاريخ بفكرهم فجعلوا من الاسكندر المقدونى ذا القرنين الذى ذكره القرآن لكثرة فتوحه ، ولكنه لم يكن عادلا ولم يكن يؤمن بالله واليوم الآخر ولم يبن سدا ولم يجعل للمغلوبين رأيا .

اليهود وتصور شخصية ذى القرنين

اتجه مولانا أبو الكلام أزاد الى التاريخ القومى لليهود ، وتاريخهم مدون فى الكتاب المقدس « العهد القديم » ولا سيما أن السؤال عن ذى القرنين جاء منهم أو جاء موعزا به حسب تفكيرهم ، فماذا وجد ؟ .

وجد بين دفتى « العهد العتيق » سفرا نسبوه الى « دانيال » النبى ، وذكروا فيه بعض أعماله ، وما كشف له عنه فى رؤياه أيام أسر اليهود ببابل .. فجاء فى الباب الثامن من هذا السفر :

فى السنة الثالثة : لجلوس « بيلشن فسر » الملك كنت بمدينة سوس هيرا من أعمال علام على شاطىء النهر أولائى ، فرأيت الرؤيا للمرة الثانية ، رأيت كبشا واقفا على شاطىء النهر له قرنان عاليان ، وكان الواحد منهما منحرفا الى ظهره ، ورأيت الكبش ينطح بقرنيه غربا وشرقا وجنوبا لا قبل لحيوان بالوقوف أمامه . فهو يفعل ما يشاء وصار هو كبيرا جدا . وبينما أنا أفكر فى هذه الظاهرة اذ رأيت تيسا أقبل من جهة الغرب وغشى وجه الأرض كلها ، وكان بارزا بين عينى التيس قرن عجيب ، ثم ان التيس اقترب من الكبش ذى القرنين ونفر منه مغضبا ثم عمد اليه فكسر قرنيه ، وصرعه وداسه فأصبح الكبش ذو القرنين عاجزا عن مقاومته ، محروما من ناصر ينصره عليه « سفر دانيال ٨ : ١ » ثم ذكر الكتاب على لسان دانيال أن الملك جبريل ظهر له وشرح رؤياه قائلا :

ان الكبش ذا القرنين يمثل اتحاد المملكتين : مادا وفارس ، فيملكهما ملك قوى لا تقدر دولة على مواجهته .

أما التيس ذو القرن الواحد الذى رآه بعد الكبش فالمراد منه ملك اليونان ، والقرن البارز بين عينى التيس يدل على أول ملك من اليونان (٨ : ١٥) .

ومن الميسور توضيح تلك الرؤيا ، فالمملكتان : مادا وفارس ستتحدان وتصبحان مملكة واحدة وقد مثلت شخصية ملكها بكبش ذى قرنين ، والذى سيقضى على تلك المملكة هو قرن تيس اليونان : أى الاسكندر المقدونى ...

المهم من هذا كله أن ملكا عظيما للفرس هو « غورش » الذى سماه اليونان (سائرس) واليهود « خورس » وحد مملكتى مادا وفارس وأنشأ منهما مملكة عظيمة ، ثم هاجم بابل واستولى عليها دون عناء ، وسيقوم بالحروب الثلاثة التى ذكرناها فى صدر البحث ويحرز الانتصارات العظيمة ، وينقذ اليهود من أسر بابل •

وتكررت الرؤى تتحدث عن غورش منقذ اليهود ، فمما جاء فى نبوءة يشعياه وقد شبه غورش بعقاب الشرق : « ها ، انظروا ، انى أدعو عقابا من الشرق ، أدعو ذلك الرجل الذى أتى من أرض بعيدة ويتم سائر مرضاتى » (٤٦ : ١١) •

وهكذا تقرأ فى كتاب يرمياه :

« نادوا فى الأمم ولا تخفوا ، قولوا آخذت بابل ، خزى البعل (صنم بابل الشهير) بهت مردوك (صنم بابلى آخر) لحق العار بجميع أصنامها ، جعلت أوثانها شذر مذر ، لأن شعبا من الجنوب مقبل زاحفا نحو بابل ، يخرب أرضها حتى لا ترى بها بشرا » يرمياه (٥٠ : ١) •

وانا ليس من صنيعى ان انقل كل ما نقله من العهد العتيق ولا آتى على جميع النبوءات التى جاءت فى سبيل أسر اليهود بأرض بابل على مدى سبعين عاما ، وكان المنقذ هو الملك العادل غورش أو قورش كما ننطقها اليوم •

ويستخلص من تلك النبوءات والرؤى أن القومية اليهودية أو الاسرائيلية كان بدء ظهورها فى مصر حين استعبد المصريون بنى اسرائيل وأساءوا معاملتهم واقترن ظهورها بشخصية موسى عليه السلام الذى بعثه الله لانقاذ بنى اسرائيل وانها ضهم ، وأن مشيئة الرب اقتضت بأن يفضل الشعب المختار على سائر الشعوب ومن هذا نشأ تخيلان ثبتا ثبات الايمان فى العقلية اليهودية : أنهم شعب الله المختار وأن لهم منقذا اذا ضاقت بهم سبل الحياة •

وفى أسر بابل انتظروا المنقذ وكان المنقذ غورش الفارسى ، قال الله : « ان خورس (غورش) راع لى وهو يتم مرضاتى كلها » وقال : « أنا آخذت بيده اليمنى لأجعل الأمم فى حوزته » ثم يخاطب الله خورس نفسه قائلا : « أفعل كل ذلك لتعلم أننى الرب اله اسرائيل الذى ناداك باسمك صراحة لأجل اسرائيل ، شعبه المختار » •

هكذا يقول العهد القديم ولا جدال فى أن غورش قد فتح بابل لا لأجل اسرائيل وانما لأن أهل بابل ضاقوا ذرعا بطغيان ملكهم فرأوا أن ينقذوا أنفسهم منه بالارتماء فى أحضان غورش الفارسى ، وأن فتح بابل حل مشكلة اسرائيل فقد عادوا الى فلسطين باذن من غورش ، ومن المعلوم أن الهيكل بأورشليم قد بنى من جديد ، وأن خلفاء غورش ساروا على نهجه فى حسن معاملة اسرائيل •

ومهمة الباحث تتجه الى تحقيق شخصية غورش وهل هو ذو القرنين ؟ فمازلنا نسير

وراء هذا المقصد ، فقد عرفنا من رؤيا دانيال الكبش ذا القرنين وفسرناه بملك مادا وفارس أى غورش ، وفسرنا التيس الذى غلبه بقرن واحد هو الاسكندر المقدونى ، ولم يحارب الاسكندر غورش وانما حارب دارايوش فزال عهد أسرة غورش الى الأبد .

مادام الأمر كما ذكر فبطبيعة الحال يكون المقصود فى سؤال اليهود عن ذى القرنين » هو شخص غورش ليس غير ، أى ذلك الملك الذى رآه دانيال فى هيئة كبش « لو قرانائيم» ترجمته العربية « ذو القرنين » اذ لفظ القرن اشتركت فيه اللغتان العربية والعبرية على سواء ، ومن المؤكد أن يهود العرب كانوا يسمون غورش بـ « ذى القرنين » ورواية السدى تؤيد هذا التفسير ، اذ جاء فيها ان اليهود قالوا : ان ذا القرنين ذكر فى التوراة مرة واحدة فقط . وهو الواقع بعينه ، فالكبش ذو القرنين لم يرد ذكره فى التوراة الا مرة واحدة ، وذلك فى سفر دانيال وحده .

بهذا التفسير ارتفعت الاشكالات كلها دفعة واحدة ، فلا حاجة الى صرف كلمة القرن عن معناها اللغوى العام ولا أن نضل فى بيداء التأويلات والتكلفات الباردة ، فشخصية ذى القرنين التاريخية قد برزت للأعين . أما ما ذكره القرآن فستراها تطابق سوانح غورش مطابقة تامة دون أن نجهد أنفسنا فى هذا التطبيق .

العثور على تمثال غورش الحجرى :

وقبل أن نطبق ما جاء فى القرآن الكريم



على ذى القرنين نتحدث عن الدليل الذى ما بعده دليل هو وجود تمثال لغورش له تلك الصفات التى جاءت فى العهد القديم ، ومؤرخو العصر الحاضر لا يأخذون بروايات الكتب الدينية وانما يأخذون بمعطيات الحفريات ، لذلك كان مولانا أبو الكلام أزاد مستريحا لوجود ذلك التمثال ، يقول :

« خطر ببالى لأول مرة هذا التفسير لذى القرنين المذكور فى القرآن وأنا أطالع سفر دانيال (يريدأنه غورش) ثم اطلعت على ما كتبه مؤرخو اليونان فرجح هذا الرأى عندى ، ولكن شهادة أخرى خارج التوراة لم تكن قامت بعد .. والشهادة هى العثور على تمثال لغورش الملك .

ان هذا الكشف الأثرى الهام هو تمثال حجرى لغورش بعينه ، وجدوه منصوبا فى مكان يبعد عن عاصمة ايران القديمة

« استخر » نحو خمسين ميلا على شاطىء النهر « مرغاب » وذكر أقوال علماء الآثار الأوربيين من أمثال جيمس موريز ، والسير رابرت كيربورتر ، وقد تكلم القس فورستر سنة ١٨٥١ فى المجلد الثانى من كتابه على التمثال واستدل به على نصوص التوراة ، وكذلك نشر صورة للتمثال أوضح من الأولى لم يكن اللثام عن الخط المسمارى أزيح كلية الى ذلك الحين ، الا أنه كان تقرر أن التمثال « لسائرس » أى لغورش لا غير •

انه تمثال على القامة الانسانية ظهر فيه غورش وعلى جانبيه جناحان كجناحى العقاب وعلى رأسه قرنان كقرنى الكبش ، ولكن ليس كسائر الكباش ، بل كان القرن الواحد منهما وراء الآخر • هكذا نرى القرنين فى التمثال • أما الجناحان فوجودهما يطابق ما جاء فى سفر « يشعياه » من قوله : « أدعو عقابا من الشرق ، أدعو ذلك الرجل الذى يأتى من أرض بعيدة ويتم سائر مرضاتى » (الباب ٤٦ : الآية ١١) ولهذه الأجنحة اشتهر التمثال بالطير والنهر الذى يجرى تحته سمى « بمرغاب » أى نهر الطير •

ويستمر مولانا أبو الكلام فى بحثه ويناقش المدة التى صنع فيها التمثال ، أصنع فى عهد غورش نفسه أم فى عهد أردشير من خلفائه ؟ المهم أن لقب ذى القرنين كان لغورش وقد أصبح اللقب مشهورا ومسلما به فى ذلك العصر حتى أنهم توارثوه بعد غورش ، ولما أرادوا نصب تمثال له زمن أردشير حملهم ذلك التصور على تصويره بهذه الصورة • ومعنى هذا أن مولانا أبو الكلام يرجح صنع التمثال مؤخرا فى عهد أردشير •

وهنا يذكر تاريخ أسرة « هخا منشى » التى بدأ حكمها لايران بظهور غورش ، ونشأة غورش نفسه أسطورة فقد أراد جده لأمه أن يقتله عند ولادته ولكن الله قيض له من ينقذه ، فينشأ بين الصحارى والجبال نشأة فطرية ثم يظهر فتؤيده القبائل ثم يصير ملكا يضم شمال البلاد مع جنوبها ، ويعفو عن جده فلا يقتله ولا يروعه •• ثم تظهر فتوحاته ، ثم انقاذه بنى اسرائيل بعد فتح بابل •• ومن أبناء غورش « قمبيز » الذى فتح مصر •• ثم انتقل الملك بعد قمبيز الى بنى عمه بعد موته عقب فتح مصر •

وقد توفى غورش سنة ٥٢٩ قبل الميلاد بعد أن لهجت الألسنة فى الشرق والغرب بعظمته ، فبعد فتحه بابل لم يبق على وجه البسيطة أحد يعارضه فكان هو وحده امبراطور العالم كله فى ذلك الحين •

وأنا لا أحب أن أسترسل معه فى تاريخ الفرس وما حدث لاسرائيل من بابل وضياع التوراة وبكاء أنبياء بنى اسرائيل فان ذلك أمر يطول ، ولنأخذ فى التطبيق الذى أشرت اليه آنفا •

ذو القرنين المذكور فى القرآن وغـورش

استراح مولانا أبو الكلام أزاد الى استدلالاته العقلية والنقلية والحفرية بل جعل التمثال شهادة حسية ملموسة وبقى الآن أن نرى هل الحلة التى فصلها له القرآن توافقه أم لا ؟ وسنرى أنها توافقه كل الموافقة :

« **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ** »

ان أول ما وصف به القرآن ذا القرنين هو قوله : « **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** » أى اننا منحناه السلطان والتثبت فى الملك وهيأنا له جميع الوسائل والمعدات التى كان يحتاج اليها لدعم حكمه واتمام فتوحه •

ـ ومن أسلوب القرآن أنه كلما ينسب نجاح شخص وسلطانه الى الله مباشرة كما تراه فى هذه الآية يريد بذلك أمرا عظيما قد وقع على خلاف المعهود ، ولذلك صار هبة من الله ورحمة خاصة من لدنه ، فمثلا نرى فى سورة يوسف أنه يقول : « **وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ** » (١٢ ـ ٥٦) أى جعلنا يوسف متمكنا فى أرض مصر ، وذلك لأن يوسف ـ عليه السلام ـ وصل الى حكم مصر بطريقة عجيبة غير معهودة ولذلك نسب الى الله ليبين أنه كان من نعم الله عليه أن أخرجه من السجن وأجلسه على عرش البلاد •

ولما كان أسلوب الكلام عن ذى القرنين نفس هذا الأسلوب كان لزاما أن يكون وصول ذى القرنين كذلك الى مقام الملك والسلطان فى ظروف غير عادية فيكون منحة خصوصيته من الله •

وحياة غورش كما أوردها التاريخ تطابق ما صورها القرآن ، فقد بدأ حياته فى ظروف أحاطت بها الحوادث المحيرة للعقول حتى سبكتها فى قالب أسطورة ، انه لم يولد بعد ،

الا أن والد أمه أصبح عدوا لدودا له ، يريد الفتك به ، ولكن الرجل الذى انتدبه لقتله امتلأ قلبه عطفا وحنانا عليه ، فاختطفه من براثن الموت ، ثم أنه ينشأ فى الغابات والصحارى والجبال ، ويعيش عيشة الرعاة المهملين المجهولين ، فبينما هو كذلك اذ تتغير الأحوال فجأة وتقوده الى ساحات الجد والعمل ، فيخلو له عرش « مادا » دون مزاحمة •• لا ريب أن سير الحوادث العادية لا يكون هكذا ، انه حقا أمر فذ ، نادر عجيب •

ثم قال « **وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** » أى وهبنا له كل الوسائل للعمل والنجاح • انظر كيف تطابق هذه الكلمات من الآية الأمر الواقع ؟ ان الشاب الذى كان بالأمس راعيا مجهولا قد استوى اليوم على عرش الملك وملك جميع ما يحتاج اليه من وسائل العمل دون حرب ولا نضال •

يقول مؤرخو اليونان : ان جميع قبائل فارس قد اتفقت على طاعته من تلقاء نفسها ، وظهرت فى التاريخ أول مرة المملكة الفارسية المادية المتحدة ثم احتشدت له جيوش عظيمة لم تملكها مملكة من قبل •

ثم ذكر القران لذى القرنين ثلاث مهمات كانت الأولى منها الى مغرب الشمس ، والغرض الواضح من «مغرب الشمس» الجهة التى ترى الشمس تغرب نحوها ، أى جهة الغرب ، وليس معنى ذلك مكان غروب الشمس حقيقة اذ لا يوجد ولا يمكن أن يوجد مكان كهذا ، وان كل اللغات لتعبر عن الشرق والغرب ب « **مَغْرِبَ الشَّمْسِ** » وب « **مَطْلِعَ الشَّمْسِ** » •

وفى العهد القديم تعبيرات كهذه فتقرأ مثلا فى صحيفة زكريا : « يقول رب الجموع انى أنجى شعبى من البلد الذى تطلع منه الشمس ومن البلد الذى تغرب فيه الشمس » (٨ : ٧) أى أنجى بنى اسرائيل من مصر وبابل ، اذ مصر لفلسطين بلاد المغرب وبابل بلاد المشرق ـ هذا أمر واضح لا يحتاج الى البحث الا أن أمرا جليا كهذا أصبح معقدا لولع المفسرين بالعجائب ، فتوهموا أن ذا القرنين وصل الى المكان الذى تغرب فيه الشمس حقيقة ، وعلى هذا فمهمته الأولى كانت الى الغرب ، ولا ريب أنها كانت مهمة « ليديا » ، لأنك ان مشيت من ايران الشمالية الى آسيا الصغرى تكون قد مشيت نحو الغرب تماما •

وقد رأينا آنفا أن غورش ما كاد يضع تاج فارس ومادا على رأسه حتى فاجأه ملك آسيا الصغرى « كروسس » بالهجوم ••

فاضطر غورش الى رد سيف المهاجم الى نحره ، فخرج من عاصمة « مادا » هغ متانا « همذان » وانقض كالصاعقة على خصمه ، فسقطت مملكة « ليديا » كلها ساجدة أمام قدميه بعد موقعتين : بنزيا وسارديز • وقد أتى « هيردوت » على تفاصيل هذه الحرب وهى ممتعة ، فقال : كان انتصار غورش سريعا جدا لم يتوقعه أحد ، فما مضت على معركة بنزيا أربعة عشر يوما الا وخضعت عاصمة ليديا المنيعة ووقف ملكها كروسس أسيرا بين يدى الفاتح ، فأصبحت آسيا الصغرى كلها من بحر الشام الى البحر الأسود خاضعة لغورش ، ولكنه مازال يتقدم ويتوغل حتى بلغ آخر المغرب ، أى الى ساحل البحر ـ وهنا ـ طبعا ـ وقفت أقدامه كما وقفت بعد اثنى عشر قرنا أقدام موسى ابن نصير على الساحل الشمالى من افريقية •

اجتاز غورش من همذان الى ليديا ألفا وأربعمائة ميل ، وكان لا يقدر على المشى فوق أمواج البحر فوقف ، فاذا هو يرى الشمس تغرب فى عين الخليج الساحلى ، وكان له هذا المقام بلا ريب « مغرب الشمس » أى نهاية المغرب ، وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما :

لنضع خريطه الساحل الغربى لآسيا الصغرى أمامنا نرى فيها معظم الساحل قد تنقطع فى خلج صغيرة ولاسيما على مقربة من أزمير ، حيث اتخذ الخليج صورة عين ،

كانت سارديز على مقربة الساحل الغربى ولا تبعد كثيرا عن أزمير الحاضرة ، فلنا أن نقول : ان غورش لما تقدم بعد استيلائه

على ساردیز وصل من ساحل بحر ايجة الى مكان قريب من أزمير ، ورأى الساحل قد اتخذ صورة تشبه العين ، وكان الماء قد انكدر من وحل الساحل فرأى الشمس تغرب مساء فى هذه العين . هذا ما عبر عنه القرآن بقوله : « وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ » أى أنه تراءى له كأن الشمس تغرب فى بقعة كدرة من الماء .

ومن المعلوم أن الشمس لا تغرب فى مكان ما ، ولكنك ان وقفت على ساحل بحرى رأيت الشمس كأنها تغرب رويدا رويدا فى البحر .

المهمة الشرقية :

وكانت مهمته الثانية الى مشرق الشمس أى فى جهة الشرق فهيرودوت وفى سياز يذكران كلاهما هذه المهمة الشرقية التى قام بها غورش بعد فتح ليديا وقبل استيلائه على بابل فقالا : « ان طغيان بعض القبائل الهمجية الصحراوية حمله على القيام بهذه المهمة » وهذا يطابق ما قاله القرآن :

« حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا » أى أنه لما وصل الى نهاية الشرق رأى الشمس تطلع على قوم ليس لديهم ما يسترون به أجسامهم، يعنى أنه كانوا من القبائل الرحالة التى لا تسكن المدن ولا تبنى لها البيوت .

من كانت هذه القبائل الرجالة ؟ .

يظهر من بعض ما صرح به مؤرخو اليونان أنها كانت قبائل « بكتريا » أى « بلخ » لو نظرنا فى الخريطة لوجدنا بلخ بمثابة الشرق الأقصى لايران ؟ لأن الأرض بعدها ترتفع وتسد الطريق ، والظاهر أن قبائل « غيدروسيا » كانت أخذت تسعى فى الفساد على الحدود الشرقية ، فقام من مكانه حتى وصل بلخ فاتحا . والمقصود من غيدروسيا البلاد التى تسمى الآن مكران وبلوخستان .

المهمة الثالثة الشمالية وسد يأجوج ومأجوج :

وقام بهجوم ثالث على جبلية كانت تغير عليها من ورائها يأجوج ومأجوج ، وهنالك لك بنى السد كانت هذه مهمته الثالثة ، وصل بها تاركا على يمينه بحر الخزر الى جبال القوقاز حيث وجد مضيقا بين جبلين منها .

ذكر القرآن هذا الخبر قائلا : « حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا » أى أنهم كانوا جبليين متوحشين ، حرموا من المدنية والعقل والفهم.

والمقصود بسدين مضيق فى جبال القوقاز ، وانك تجد على يمين القوقاز بحر الخزر الذى يسد طريق الحافة الشرقية منها وعلى اليسار البحر الأسود الذى يسد طريق الحافة الغربية ، وترى فى الوسط سلسلة حبالها الشاهقة التى صارت جدارا طبيعيا ، فلم يكن هنالك منفذ للمهاجمين من الشمال الا مضيق وسطى فى هذه الجبال ، يجتازه المهاجمون

ويسألونك عن ذى القرنين

ويشنون الغارات على البلاد الواقعة وراءه ، فبنى غورش فى هذا المضيق سدا حديديا أخذ به الطريق على المهاجمين ، ولم يأمن أهل سهول توقاز وحدهم بهذا السد ، بل أصبح السد بابا مقفلا منيعا لسلامة سائر بلاد آسيا الغربية ، فأمنت جميع الشعوب القاطنة فى آسيا الغربية وفى مصر من جهة الشمال .

ويذكر الخريطة ويشرحها مؤكدا ما سبق بيانه ثم يقول :

أما القوم الذين وجدهم ذو القرنين هنالك ، وكانوا خلوا من العقل فيحتمل أن يكونوا القوم الذين ذكرهم اليونان باسم « كولشى » وذكروا فى لوحة « دارايوش » باسم « كوشيا » هؤلاء الذين شكوا الى غورش هجمات يأجوج ومأجوج ، ولما كانوا مجردين من الحضارة وصفهم القرآن بقوله : **« لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً »** أى لا يفهمون الكلام .

أوصاف ذى القرنين الاخلاقية فى القرآن :

أشرت فى صدر البحث الى أخلاقه الكريمة التى نتمناها لكل حاكم ، فلقد جعله القرآن نهاية فى العدالة والرحمة يخبر القرآن أن الله قال فى شأن الذين وجدهم فى الغرب : **« إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا »** فماذا فعل ؟

قال : أعاملهم بالحق فلست ممن يميلون الى الظلم ، وقد حكى القرآن مقاله : **« أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا . وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا »** .

وقد اتفقت كلمة اليونان على أن ما فعله غورش بعد فتحه ليديا لم يكن العدل الصراح فحسب ، بل كان أكثر من ذلك ، ولما وقف ملك ليديا بين يديه وأمر باحراقه عاد فعفا عنه .

وحين بنى السد أراد المغلوبون أن يقدموا المال له فأبى وذكر لهم نعمة الله عليه وتمكينه من المال والسلطان وطلب اليهم أن يعينوه بقوة أيديهم .

وفى مقدمة هذا كله ايمانه بالله وحده واخلاصه عبادته ، وحسبه أنه كان يفتح البلاد ثم يجعل لأهلها الحكم الذاتى ويكفيه طاعتهم والرجوع الى عدالته ، ومن ثم نجيز لأنفسنا الدعاء له ووضعه فى مقام المثال الذى يحتذى للملوك والحكام . ورحم الله مولانا أبا الكلام أزاد ونفعنا بفضله .

وجزى الله الشيخ أحمد حسن الباقورى حسن الثواب لنقله عمل أبى الكلام الينا للفائدة والمتعة .

دمعة وفاء على
فقيد العلم والأدب والإسلام

الأستاذ أحمد حسن الباقورى

أين المعز الفاطمي وجوهر
يريان كيف اليوم يبكى الأزهر ؟

يبكى الخطيب أخا الشجاعة والحجا
والشاعر الفذ الذى لا يقهر

المجمعى الألمعى ترى له
فى كل حرف جلوة تتبختر

يبكى الوزير المقتدى بفعاله
والباعث الآمال فيما يأمر

حمل الأمانة مازهاه منصب
حفظ المبادىء فى سناها يظهر

فهو المثال لكل صاحب منصب
وهو الرجاء لكل من هو معسر

يبكى المدير وحزمه ومضاءه
وطرائق المثل التى تتخير

سارت مع الخريج وفق مرامه
فبدا سراجا للأنام ينور

يبكى الرئيس على شباب مسلم
عرف الحقيقة من بيان يسحر

هو مطلع (الباقورى)منذ هلاله
حتى استوى قمرا ينير ويبهر

انى أراه على المنصة قائما
يهدى الى الأسماع درا ينثر

من لى بمثلك والدموع غزيرة ؟
من لى بشعر فى رثائك ينثر ؟

لم أنسه اذ قاد ثورة جيلنا
كان الزعيم الحر فيما يصدر

ما حاد عن سنن البطولة والفدا
ومضى يزلزل كل طود يعسر

حتى تجلى النصر فوق لوائه
وأتى المراغى فى الكرامة يخطر

اليوم يضمت ليس يخطب جمعنا
من ذاك يخطب بعده ويسطر ؟

اليوم لا يرقى المنابر قائلا
ونائم سعى شوقا اليه المنبر

فلئن بكيت فما وفيت بحقه
ولئن صبرت فان صبرى مهدر

السيد حسن قرون

مقاييس الإبداع في النقد عند الآمدى

بقلم أ.د. عبد الحميد محمد العبيسى

لم يكن الآمدى ناقدا عاديا ، بل كان ذواقة متميزا ، يملك ثقافة لغوية عالية ، وملكة أدبية ابداعية راقية ، وفى اطار « الموازنة » نستنبط — باذنه تعالى — أبرز المقاييس والمبادىء النقدية فيها ، مع الاشادة بالمبتكر منها ، وفى نظرى أن هذه المبادىء ، وتلك المقاييس تتمثل فى الآتى :

(أ) نظرته للفن الشعرى من خلال « عمود الشعر » .

(ب) الابداع والروعة الأدبية فى نظره .

(جـ) الأديب ابن البيئة ومرآتها .

(د) مقومات الناقد الموضوعى .

(هـ) حتمية الذوق التفسيرى فى النقد « عمود الذوق » .

(و) موقفه من السرقات الشعرية .

(أ) نظرته للفن الشعرى :

ان منطلق الآمدى فى تصوره للفن الشعرى هو ايمانه العميق بمذهب العرب الأوائل فى صياغة الشعر الذى سماه : « عمود الشعر » متأثرا بالجاحظ حين سمى : « عمود الخطابة » فقد ورد فى كتابه « البيان والتبيين » « رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة » (١) !!

ان « عمود الشعر » قد ورد ثلاث مرات فى « الموازنة » (٢) على سبيل الحصر والاستقراء ولكن الرجل ألفيناه كاشفا عن حقيقة الشعر المطبوع ، بقوله : « وليس الشعر عند أهل العلم به الا حسن التأتى ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ فى مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه ، المستعمل فى مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له ، وغير منافرة لمعناه ،

---

(١) الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر « البيان والتبيين جـ ١ ص ٦٤ » .

(٢) الآمدى : الحسن بن بشر « الموازنة جـ ١ ص ٤ ، ص ١٢ ، ص ١٨ » .

فان الكلام لا يكتسى البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف » (١) .

والمتأمل فى تعريف الآمدى للشعر يدرك أمورا مهمة :

١ ــ من حيث الصياغة ، فان هذا الكلام ورد فى عبارات موجزة وافية مؤكدة ، وقد استعان **الآمدى بالصياغة القصرية** : التى طريقها النفى والاستثناء مرتين ــ كما ترى ــ ولأسلوب القصر البلاغى عند ذوى البصر بصناعة الكلام دلالاته وآثاره ، ولامراء فى أن الآمدى انما عمد الى هذا البناء العصرى ، ليفيد الانحصار فى مواجهة الانكار ، فان جملة « وليس الشعر عند أهل العلم به الا حسن التأتى .. » هى فى قوة جملتين : احداهما مثبتة ، والأخرى منفية ، فالجملة التى معنا فى معنى :

(أ)الشعر حسن التأتى .. (ب) ليس الشعر سوء التأتى .

فالمعنى الذى تعطيه الجملة الأولى المثبتة فأخوذ من منطوق جملة القصر ، والمعنى الذى تعطيه الجملة الثانية المنفية مأخوذ من مفهومها فالمعنيان يفهمان معا من جملة القصر ، ومن ثم أفادت الجملة القصرية الايجاز .. كما أفادت التأكيد ، لأن « النفى والاستثناء » طريق حصر ، والحصر فى نظر البلاغيين : « توكيد على توكيد » ، اذ أن جملة القصر تقال فى أمر حاصل ، والاثبات توكيد لحصول الفعل الحاصل ، والنفى المفهوم لزوما : توكيدلهذا التوكيد ، فقد فهم المعنى من طريقين : طريق ثباته مرة ، ونفى ما عداه أخرى (٢).

وعلى هذا فقد أفادت الصياغة القصرية هنا معانى : الانحصار ، والايجاز ، والتوكيد ، وكذلك الأمر فى الجملة الأخرى : « فان الكلام **لايكتسى البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف** » !! .

وهكذا يبدو حذق الآمدى البلاغى فى اختيار تلك الصياغة القصرية ، وصولا الى رفض التعريفات التى نراها عند معاصريه مثل ابن طباطبا العلوى سنة ٣٢٢ هـ فى : « عيار الشعر » ، وقدامة بن جعفر سنة ٣٣٧ هـ فى : « نقد الشعر ، فهى تعريفات عروضية شكلية تصلح للنظم ، ولكن لا تصلح للشعر ، فان الشعر ايحاء وتصوير !! .

والآمدى بهذا الرفض المفهوم ضمنا لا يرى خيرا فى غير الشعر المطبوع ، وهذا دليل ترديده : « الطبع » فى ثنايا كتابه ، وحفاوته به !! .

٢ ــ من حيث المضمون : فان الآمدى قد حدد خصائص للشعر المطبع فى نظره وهو متأثر فيها بالجاحظ مؤسس البيان العربى فان الشعر عنده : « اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفى صحة الطبع ، وجودة السبك ، فانما الشعر صياغة ، وضرب من النسج ، وجنس من

---

(١) المصدر السابق « جـ ١ ص ٤٢٢ » .
(٢) العيبيى : د. عبد الحميد « دراسات فى الأدب والنقد ص ١٥٧ » ، « مع بلاغة القرآن جـ ٢ ص ١٠٥ » .

التصوير ، « .. ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعانى نوع من الأسماء ، فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف ، والجزل للجزل » (١) .

وانك لتجد حرص الآمدى فى توثيق قوله : « عند أهل العلم به أى بالشعر » ، مما يدلنا على أنه قد استوعب آراء هؤلاء العلماء ، ثم جعل يحكى ما استقام له منها فى ضوء نظراته ولم يشأ الآمدى أن يصرح بأسماء هؤلاء العلماء ، وان كان قد أشار الى بعضهم كابن سلام الجمحى سنة ٢٣١ هـ صاحب « طبقات الشعراء » ، والمبرد م سنة ٢٨٥ هـ صاحب « الكامل » ، وابن المعتز م سنة ٢٩٦ هـ فى كتابيه « البديع » ، و « سرقات الشعراء » ، وقد نقل عنه كثيرا مشيدا بفضله وعلمه بالشعر (٢) ، وغيرهم أمثال ابن الأعرابى ، وأحمد بن يحيى الشيبانى ، ودعبل بن على الخزاعى ، ومحمد بن داود الجراح ، وأبو سعيد الضرير ،وأبو العميثل الأعرابى(٣) ومع هذا التصريح ، وذاك الكشف والتوضيح اجمالا ، فانه يؤسفنى أن أرى بعض المعاصرين ينعى على الآمدى مسلكه فى عدم تسمية من ينقل عنهم الآراء ، فيقول : « .. واذا كان الآمدى قد نسب الآراء السابقة كلها الى من سماهم : « أهل العلم بالشعر » الذين لانعرف عنهم شيئا ، فانه فى موضع آخر يسميهم : « المطبوعين ، وأهل البلاغة » ، ويتبنى رأيهم صراحة ، ويؤيدهم فيما ذهبوا اليه » (٤) !! .

ولا أدرى هل كان من واجب الآمدى دوما أن يصرح فى كل موضع بأسماء هؤلاء العلماء .. ان مطالبة الآمدى بمثل هذا الطلب — فى نظرى — غير مستقيمة ، خاصة أنه يقدم لنا خلاصة هذه الآراء بعد صياغتها بأسلوبه الخالب — على أنه اذا كان الرأى فرديا فانى رأيت الآمدى حريصا على اسناده الى صاحبه، ومن هنا فلا مكان لنقد ما .

ان الآمدى قد كشف جليا عن سمات الشعر الخالص غير مغفل للخيال ، بل انه جعل الصنعة المألوفة غير المفرطة سمة من سمات الشعر المطبوع الخالص ، وهذا برهان قوى على أن « عمود الشعر » عنده لايتجافى مع الصنعة المقبولة التى لا افراط فيها ، ولا تكلف معها .

٣ — أن مفهوم الآمدى للشعر ينبع من أصل بلاغى ، فان أجود الشعر — عنده — أبلغه ، والبلاغة انما هى اصابة المعنى ، وادراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف « كافية » ، لاتبلغ الهذر الزائد على

---

(١) الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر « الحيوان حـ ٢ ص ١٣١/١٣٢ ، حـ ٣ ص ٣٩ » .
(٢) الآمدى : الحسن بن بشر الموازنة حـ ١ ص ٣٣ » .
(٣) المصدر السابق حـ ١ ص ١٨/١٩/٢٠،
(٤) قصاب : د . وليد « قضية عمود الشعر فى النقد العربى القديم ص ١٢٧ » .

قدر الحاجة ، ولا تنقص نقصا دون الغاية ، وذلك كما قال البحترى :

والشعر لمح تكفى اشـــــارته
وليس بالهذر طـولت خطبـه

وكما قال أيضا :

ومعـــان لو فصـلتها القوافى
هجنت شـــعر جرول ولبيـد
حزن مستعمل الكلام اختيـارا
وتجنبن ظلمـة التعقيـد
وركبن اللفظ القريب فادرك
ن به غـاية المراد البعيد

فان اتفق مع هذا ــ معنى لطيف ، أوحكمة غريبة ، أو أدب حس ، فذلك زائد فى بهـاء الكلام ، وان لم يتفق فقد أقام الكلام بنفسه، واستغنى عما سواه (١) .

ولن تتأتى تلك البلاغة الا اذا تحققت البلاغة الذاتية للقول ، ولذلك رأينا الآمدى فى تعريف الشعر الخالص يحرص على بلاغة المقام ، فان لكل كلمة مع صاحبتها مقام ، ووضع الألفاظ فى مواضعها تعبير عن مراعاة بلاغة المقام ، كما أن ايراد المعنى باللفظ المعتاد فيه ارســـاء لفصاحة الكلمة التى هى أساس فصاحـــة الأسلوب ، حتى لا تكون الكلمة غريبة ، لايفهم معناها ، وكذلك انتقال الذهن من المعنى الأول الى الثانى فى وضوح تام لن يتأتى الا اذا كانت الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه ، وذلك كله ليكون للكـلام حظه من التأثير فى السامعين أو القارئين .

٤ ــ أن مصطلح : « عمود الشعر » الـذى أبرزه الآمدى يشـمل التعبيـر الجميـل ، والأسلوب الخالب ، والخيال المقبول الأخاذ ، وفق ما قاله الأوائل من العرب ، فانـه قـد وجد أكثر أصحاب « أبى تمام » لايدفعـون البحترى عن حلو اللفظ ، وجودة الرصـف ، وحسن الديباجة ، وكثرة الماء ، وأنه أقـرب مأخذا ، وأسلم طريقـا مـن أبى تمـام ــ ويحكمون مع هذا ــ بأن أبا تمام أشعر منه .

وقد شاهد وخاطب منهم على ذلك عـددا كثيرا .

وهذا مذهب من جل ما يراعيه من أمـــر الشعر دقيق المعانى ، ودقيق المعانى موجود فى كل أمة ، و« فى » كل لغة (٢) .

فأنت ترى فى كلام الآمدى أنـه لم يكتف بالقراءة أو السماع ، بل انه ليلتقى بأنصـار أبى تمام ، فيشاهدهم ويخاطبهم مشافهـة ويسمع منهم ، وهو ــ وحده ــ مسلك سوى فريد فى تقصى الحقائق الذى يعـده البعض أسلوبا مبتكرا من مستحدثات العصر الحاضر، ولكن الآمدى قد تعاطاه ومارسه وطبقه ، معلنا أن سبب ميل هؤلاء لأبى تمام مرجعـه الى المعانى الدقيقة التى اشتهر بها أبو تمام ، هذه المعانى الدقيقة لم تختص بها أمة دون أمـة ، ولالغة دون لغة ، فان دقيق المعانى موجود فى كل أمة ، وفى كل لغة .

(١) الآمدى : الحسن بن بشر « الموازنة ح ١ ص ٤٢٤ » .

(٢) المصدر السابق « ح ١ ص ٤٢٣ » .

هذا ويكشف هذا النص عن اقتدار ناقدنا ، حتى انه ليقر صراحة بأن دقيق المعانى موجود فى كل أمة ، وفى كل لغة ، مما يدلك على احاطته بالمعانى الدقيقة فى الأمم واللغات الأخرى غير العربية ، وذلك سر تفوقه ، وأمارة ابداعه فى نقده أبا تمام الذى أعده بحق شاعر العربية الغواص على المعانى الدقيقة .

وهذا لا يعنى أن الآمدى من أصحاب المعانى ، كما ذهب الى ذلك المرحوم الدكتور غنيمى هلال ، حين استنبط من قول الآمدى تعقيبا على قول المتدحين من أصحاب أبى تمام :

« .. ان اهتمامه أى (أبا تمام) بمعانيه أكثر من اهتمامه بتقويم ألفاظه ، على شدة غرامه بالطباق ، والتجنيس ، والمماثلة ، وانه اذا لاح له « المعنى » أخرجه بأى لفظ استوى من ضعيف أو قوى »(١) .

فيقول الآمدى : « واذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشيء الذى هو ضالة الشعراء ، وطلبتهم ، وهو لطيف المعانى ، وبهذه الخلة دون ماسواها فضل امرؤ القيس ، لأن الذى فى شعره من دقيق المعانى ، وبديع الوصف ، ولطيف التشبيه ، وبديع الحكمة — فوق مافى أشعار سائر الشعراء من الجاهلية والاسلام، حتى انه لا تكاد تخلوله قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع أو أنواع ، ولولا لطيف المعانى واجتهاد امرىء القيس فيها ، واقباله عليها — لما تقدم على غيره ، ولكان كسائر الشعر من أهل زمانه ، اذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ، ولا ألفاظه من الجزالة والقوة ماليس لألفاظهم ، وأن معانيه لو ترجمت للفارسية والهندية كقوله :

واذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاوزت
ما كان يعرف طيب عرف العود

لافتقدت « هذه المعانى قيمتها (٢) .

ويعقب الدكتور هلال بقوله : « وتظهر قيمة هذا الرأى اذا نظرنا فى ضوئه الى أدب أصحاب التصنيع ، ممن يتخذون الأدب صناعة ، ولا يرون فيه الا وصف الألفاظ ، وجودة السبك ، دون العناية بخطر الموضوع وأهمية الموقف ، فيجىء كلامهم هينا ، خفيف الشأن ، لا يمس الا ظاهر الأمر (٣)

ونحن لا ننكر قيمة المعانى الدقيقة اللطيفة الرائقة فى التجربة الشعرية ، بيد أنها وحدها لا تكفى ، ومن ثم كان الحاح الآمدى وحرصه على الصياغة الشعرية ، التى عبر عنها بـ « عمود الشعر » — فهو من أصحاب الصياغة

(١) المصدر السابق « حـ ١ ص ٤٢٠ » .
(٢) المصدر السابق : « حـ ١ ص٤٢٠/٤٢١/ ٤٢٢ » « بتصرف » .
(٣) هلال : د محمد غنيمى « النقد الأدبى الحديث ص ٢٥٦ » .

المقوم الحق للأدب ، وهو فى هذا يلتقى كثيرا مع الجاحظ رائد الاتجاه الصياغى فى النقد العربى ، انظر الى قول الآمدى حاكيا عن الشعر المطبوع :

« هو مستوى الشعر ، قليل السقط لا يبين جيدة من سائر شعره ببينونة شديدة ، ومن أجل ذلك صار جيد « شعر » أبى تمام معلوما، وعدد محصورا ، وهذا عندى – أنا هو الصحيح ، لأنى نظرت فى شعر أبى تمام والبحترى فى « سنة سبع عشرة وثلثمائة ، واخترت جيدهما » ، وتلقطت محاسنهما ، ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مر الأوقات ، فما من مرة الا وأنا ألحق فى اختيار شعر البحترى مالم أكن اخترته من قبل ، وما علمت أنى زدت فى اختيار شعر أبى تمام ثلاثين بيتا على ما كنت اخترته قديما » (١)٠

ثم نراه يقرر فى موضع آخر : أن المعول فى الشعر هو جودة السبك ، وقرب المأتى ، مع المام بالمعانى وأخذ العفو منها ، يقول الآمدى: « والمطبوعون وأهل البلاغة لا يكون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعانى ، والاغراق فى الوصف ، وانما يكون الفضل عندهم فى الالمام بالمعانى ، وأخذ العفو منها ، كما كانت الأوائل تفعل ، مع جودة السبك ، وقرب المأتى ، والقول فى هذا قولهم ، واليه أذهب » (٢) ٠

وهكذا نرى الآمدى من أنصار الصياغة الجيدة فى الفن الشعرى ، حتى لاح للبعض(٣) أن يتهمه بالانحياز الى جانب البحترى وأصحابه مقتديا بما قرره الأستاذ الدكتور ابراهيم سلامة « رحمه الله تعالى » ، حيث قال : « تعجل الآمدى الحكم من أول الأمر ، ويكاد يحكم للبحترى أو هو قد حكم فعلا ، كما أنه أبان عن الأسباب التى جعلته يقف الى جانب البحترى (٤) ٠

ومقتفيا كذلك أثر الأستاذ الدكتور شوقى ضيف ، حين قال :

« هم الآمدى دائما اعلاء كفة البحترى ، ومن خير ما يصور ذلك حديثه عن ابتداءات الشاعرين ، فقد أزرى على كثير من ابتداءات أبى تمام ، بينما نوه طويلا بابتداءات البحترى ، والكتاب « الموازنة » فى جملته دفاع عنه ، وعن البلاغة على نحوما كان يتصورها المحافظون من الرواة واللغويين (١)

ومحتذيا أيضا بالأستاذ الدكتور احسان عباس فى أن « عمود الشعر » نظرية وضعت ، خدمة للبحترى (٢) ٠

وبالنظر فى هذا الكلام نلمح شيئا غريبا ، وهو انحياز الآمدى للبحترى ، مما يذهب حيدته ، وليس الأمر كما قالوا ، فان تشدد

---

(١) الآمدى : الحسن بن بشر (الموازنة حـ ١ ص ٥٤/٥٥) ٠

(٢) المصدر السابق (حـ ١ ص ٥٢٥) ٠

(٣) قصاب : د ٠ وليد قضية عمود الشعر) ص ١٢٧ ٠

(٤) سلامة د. ابراهيم (بلاغة ارسطو بين العرب واليونان) ص ٢٩٤ ٠

(٥) ضيف د ٠ شوقى « البلاغة تطور وتاريخ ص ١٣٢ » ٠

(٦) عباس : د. احسان « تاريخ النقد الأدبى عند العرب » ص ١٦٢ ٠

الآمدى لطريقة العرب الأولى ، وقد رأى بثاقب فكره ، ورقيق احساسه ــ أن صنيع البحترى صورة مثلى لالتزام تلك الطريقة اذ لا يتصور بداهة أن يكون تأييد الآمدى لشخص البحترى وذاته ، أوتهوينه لأبى تمام يقصد به ذاته وشخصه ، ولكن المسلك الذى سلكه كل منهما كان السبب وراء استحسان البحترى ، واستهجان أبى تمام فى بعض شعره واستحسانه فى البعض الآخر ــ فى نظر الآمدى .

وأعتقد أنه بعد هذا العرض لست بحاجة الى أن ترفض اتجاه المرحوم الدكتور هلال الذى يقضى بأن الآمدى من أصحاب المعانى ، وفيما تقدم دليل صادق قوى على أنه من أنصار الصياغة الشعرية المطبوعة الأصيلة...!!

٥ ــ أن تمسك الآمدى بـ « عمود الشعر » كمعيار أساسى فى المفاضلة بين الطائيين ــ راجع بالدرجة الأولى الى تلك الهجمة العنيفة لأصحاب الاتجاه البديعى فى الشعر العربى الذى راده بشار بن برد سنة ١٦٨ هـ . ومسلم ابن الوليد سنة ٢٠٨ هـ ، وأبو تمام سنة ٢٣١ هـ أى أن تشدد الآمدى فى مذهبه رد للفعل القوى عند هؤلاء البديعيين ، والمطلع على جو الصراع بين المحافظين والمجددين يدرك بجلاء أحقية الآمدى فى تمسكه وتشبثه بـ « عمودية الشعر » . !!

٦ ــ أن الآمدى الذواقة قد فرق بين لغة الشعر وبين لغة النثر ، فالشعر عنده : لغة العواطف والشعور ، لغة الاحساس والوجدان همه أن يصل الى القلب من أقرب السبل وأيسرها ، وهو ليس لغة العقل والتفكير التى تتمثلها فى الكلام المنثور عند مخاطبة الملوك ، أو طلب الحاجات ، وعليه فان الناثر فى هذه الحال مطالب بأن يكون صادقا لا كاذبا ، أما الشاعر فليس بمطالب أن يكون صادقا من الوجهة الأخلاقية ، وهذه نقطة الضعف ــ للأسف ــ التى نراها عند النقدة العرب عموما، اذ أنهم فصلوا بين دائرة الشعر وكيان الخلق ، مكتفين بتحقق الصدق الفنى عند الشاعر ، لتصح تجربته وتجود ، ومن ثم ساغ لبعضهم أن يصرح :

« أعذب الشعر أكذبه !! »

وقد سبق أن نعيت على هذا المسلك الذى نأمل أن يتلاشى ويزول ، وتتأكد الحقيقة الاسلامية الكبرى التى لا تعترف بهذا الفصل ، وذلكمن خلال التصور الاسلامى الشامل للكون والحياة والانسان ، وحينئذ يتوجه الأدباء والشعراء تلقائيا ، بدافع ايمانهم ووعيهم بالمنهج الاسلامى للأدب الى المعانى الأخلاقية ، والمثل الاسلامية (١) فيتفاعلون معها ، وينفعلون بها ، فتفيض قرائحهم ، وتلتهب شاعريتهم ، ويبدو نتاجهم الأدبى والشعرى متسما بالصدق الأخلاقى ، والمضمون الاسلامى !!

(١) العبيبى د. عبد الحميد « فى أدب المخضرمين والاسلاميين ص ٧٧ » .

وقد يكون من باب الانصاف أن نسجل للآمدى تفانيه فى تحقيق السهولة مع الدقة للمعانى ، ورفضه الشديد للتعقيد والالغاء فيها ، وذلك مقياس فنى اسلامى فى النقد ، رأيناه فى صدر الاسلام ، ووضع أساسه معلم هذه الأمة الأكبر ، رسولنا الأعظم ، ونبينا الأكرم — صلى الله عليه وسلم — ، ثم حرص عليه من بعده الخلفاء الراشدون رضوان الله تعالى عليهم (١) .

ومن أجل ايثار هذا المقياس الاسلامى النقدى « السهولة وعدم التكلف » كان موقف الآمدى من الفلسفة التى يتعاطى صاحبها الشعر ، فهو لايرى الفيلسوف شاعرا ، اذ للشعر ميدانه ، وللفلسفة ميدانها ، ولا تداخل بين الميدانين ، فالشاعر الذى يسلك طريق الفلسفة اليونانية ، أو الحكمة الهندية ، أو الأدب الفارسى — ليس بشاعر ، وانما هو حكيم ، انظر الى قول الآمدى مخاطبا الفيلسوف الذى يحسب نفسه شاعرا :

« فان شئت دعوناك حكيما أو سميناك فيلسوفا ، ولكن لا نسميك شاعرا ، ولاندعوك بليغا ، لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ولاعلى مذاهبهم (٢) » .

ولم يكن موقف الآمدى من العالم الشاعر أقل رفضا من الفيلسوف الشاعر ، « فقد كان الخليل بن أحمد عالما شاعرا ، وكان الأصمعى عالما شاعرا ، وكان الكسائى كذلك ، وكان خلف ابن حيان الأحمر أشعر العلماء ، وما بلغ بهم العلم طبقة من كان فى زمانهم من الشعراء غير العلماء ، فقد صار التجويد فى الشعر ليست علته العلم ، ولو كانت علته العلم لكان من يتعاطاه من العلماء أشعر ممن ليس بعالم .

فقد سقط فضل أبى تما ممن هذا الوجه : « الشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم» — على البحترى ، وصار البحترى أولى بالفضل اذ كان معلوما شائعا أن شعر العلماء دون شعر الشعراء ، ومع ذلك فان أبا تمام تعمد أن يدل فى شعره على علمه باللغة وكلام العرب ، فتعمد ادخال ألفاظ غريبة فى مواضع كثيرة من شعره ، وذلك نحو قوله :

هن البجارى يابجير
أهدى لها الأبوس الغوير

وقوله :

أقرم بكر تبارى أيها الحفض
ونجمها أيهذا الهالك الحرض

وهذا فى شعره كثير موجود ، والبحترى لم يقصد هذا ولا اعتمده ، ولا كان له عنده فضيلة » (٣) .

ولعلك أدركت هنا — أن علم أبى تمام فى نظر الآمدى قد أفسد شعره أحيانا ، بخلاف شعر هؤلاء العلماء الذين ذكرهم ، ومما يؤخذ على الآمدى فى هذا الصدد أنه لم يفرق بين علم أبى تمام وعلم العلماء المذكورين ، ذلك « أن بين أبى تمام والخليل تفاوتا فى غير موضع

---

(١) العبيسى : د. عبد الحميد « النقد الأدبى العربى ص ٥٣/٥٤ » .

(٢) الآمدى : الحسن بن بشر « الموازنة حـ ١ ص ٤٢٥ » .

(٣) المصدر السابق : « حـ ١ ص ٢٥/٢٦ » .

فأبو تمام مطبوع مفطور على الشعر ، فأما الخايل فليس الشعر من طبعه ، ولا من جبلته فاذا جاء بشعر استمده من اللغة والأعاريض ليس الا ، فيكون جافا قليل الماء والرونق ، وعلم الخليل في النحو والعروض وفي الاستقراء والاستنباط ، وفي ارجاع مواد اللغة ، وتفاعيل الأوزان الى أصول وقواعد ،

علم الخليل من ذهنية العلماء الخلص الذين يبحثون عن نتائج علمية ، ورسوم عامة لما يخوضون فيه ، فأما علم أبي تمام في اللغة والأدب فهو تبحر من طبيعة الشعر ، وثقافة تغني عن الابانة والافصاح ، وتوحي بالأفكار والمعاني ، وشتان ما بين الذهنين » (١) .

ومع هذا فان الآمدي يؤمن بأن الشعر في «عموده الشعري» انما هو تصوير للأحاسيس والمشاعر ، لا للمعاني والأفكار .

ومن هنا فانه يجب أن تتوافر فيه هذه الفطرية ، وتلك السهولة اللتان نراهما في معاني الجاهليين والاسلاميين !!

وبعد فان تصور الآمدي للفن الشعري كان مطابقا لما آمن به من أصالة وعراقة الأدب العربي ، ومنسجما مع روح تلك المرحلة التي اشتد فيها الصراع بين المجددين التماميين وبين المحافظين البحتريين ، وهو تصور — في نظري — — مهما قيل عنه — فيه حذق وفطنة وأصالة وابداع !!

أ . د / عبد الحميد محمد العبيسي

من الفن الاسلامي

(١) ابراهيم : طه أحمد « تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ١٧٥ » .

أنباء .. وآراء

إعداد
احمد عبد الرحيم السايح
صفوت عبد الجواد

دعا فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر خلال لقائه بالأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى الدول الاسلامية الى عقد مؤتمر عالمى للدعوة الاسلامية تحت اسم « مؤتمر الجهاد الاسلامى » تحدد فيه مهام رجال الدعوة فى العالم الاسلامى فى المرحلة المقبلة . كما طالب شيخ الأزهر بضرورة انشاء وكالة أنباء اسلامية باعتبارها ضرورة ملحة يحتمها واقع المسلمين الراهن ، وما يواجهه المسلمون من تحديات معاصره ، وما يستتبع ذلك من تشويه صورة الاسلام .

● وافق المجلس الأعلى للأزهر برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جادالحق شيخ الأزهر على افتتاح دراسات عليا بقسم اصول الدين بكلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنين بالقاهرة كذلك وافق على برنامج التأهيل العلمى والتربوى لمعلمى المرحلة الأبتدائية الأزهرية من حملة دبلوم المعلمين والمعلمات الأزهرى والعام وعلى مشروع موازنة الأزهر ومعادلة بعض الشهادات العلمية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة وكلية الطب بجامعة « اولو » الفنلندية بنظائرها فى جامعة الأزهر .

منع الخمر فى فنادق الشارقة

أصدر الشيخ سلطان بن محمد القاسمى عضو المجلس الأعلى لدولة الامارات وحاكم الشارقة مرسوما بمنع حيازة أو شراء أو بيع المشروبات الكحولية فى فنادق الامارة . وتضمن القرار أيضا منع الرقص فى هذه الفنادق بعد أن كانت عدوى الفرق الأجنبية قد انتشرت فى الفترة الأخيرة . وتقرر أن تقوم الشرطة بحملات تفتيش مستمرة على الفنادق لمراقبة تنفيذ هذه القرارات الذى لقى ترحيبا كبيرا فى أوساط المسلمين .

أنباء وآراء

مركز للدراسات الاسلامية

قررت جامعة اكسفورد تأسيس مركز للدراسات الاسلامية يهدف المركز الى التعريف بالاسلام وشرحه أمام الدارسين فى جامعة اكسفورد التى تعد من أعرق الجامعات البريطانية عن طريق تنظيم المحاضرات العلمية لكبار أهل العلم والفكر المسلمين ، وتهيئة فرص الاستفادة العلمية للراغبين فى دراسة الاسلام ومعرفته • وذكر مصدر مسئول بأن انشاء مركز الدراسات الاسلامية بجامعة اكسفورد سوف يكون سببا لتقريب الاسلام الى أذهان الغربيين •

مجلة الأزهر:

آخر ما يحلم به المسلمون أن يتصوروا أن مركزا كهذا سيدرس الاسلام دراسة نزيهة •

٦٠ شخصا يشهرون اسلامهم بالأزهر

أشهر ستون شخصا اسلامهم أمام لجنة الفتوى بالأزهر خلال شهر ديسمبر ١٩٨٥ م منهم سبعة وعشرون مصريا ومصرية واثنان وثلاثون من جنسيات مختلفة من بينهم ثمانية من الانجليز ، وستة من الامريكيين وأربعة من الفرنسيين ، واثنان من كل من ألمانيا والسودان وواحد من كل من الفلبين وهولندا وتايوان وقبرص واسكتلندا ورومانيا والنمسا وايطاليا واليابان وسوريا ولبنان • أعلن هذا فضيلة الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر • وأضاف أن عدد الذين أشهروا اسلامهم أمام اللجنة خلال عام ١٩٨٥ م قد بلغ حوالى خمسمائة شخص اعتنقوا الاسلام عن يقين واقتناع •

أكبر مستشفى بجامعة الأزهر

قررت جامعة الأزهر البدء فى انشاء أكبر مستشفى تعليمي بالشرق الأوسط على مساحة عشرين فدانا يتكلف المستشفى مائة مليون جنيه ويضم ألف سرير ، وسيتم تزويده بأحدث الأجهزة العلمية والتخصصات الطبية • وقسم التخطيط بكلية هندسة الأزهر يقوم باعداد الخرائط والرسومات الخاصة بالمستشفى الذى سيتم انشاؤه بجوار كلية طب البنين بالأزهر •

المؤتمر الطبى الأول بالأزهر

أعلنت توصيات المؤتمر الطبى الاسلامى الأول الذى نظمته كلية الطب جامعة الأزهر • وقد جاء فى التوصيات :

ـ ضرورة العمل على تثقيف الطبيب بالثقافة الاسلامية • مع صبغه بالصبغة العلمية والانسانية حتى يكون الطبيب المسلم متميزا عن غيره من الأطباء •

ـ ضرورة وضع مناهج علمية اسلامية تستمد من الكتاب والسنة وتراث الأطباء المسلمين ، وتطوير فكر الطبيب المسلم وتجديد رسالته فى الحياة ، والعمل على ايجاد مدرسة طبية اسلامية متميزة •

– توحيد جهود دول العالم العربى والاسلامى لابقاء البلاد خالية من دخول مرض « الأيدز » واستمرار دعم البحوث الخاصة بهذا المرض والتنبيه على ضرورة اتقاء أسباب وجوده •

– نشر الوعى الطبى بين المسلمين بعدم تعاطى المخدرات والخمور وحبوب الهلوسة التى تؤدى لكثير من الأمراض •

– البدء فى اتخاذ الخطوات الايجابية فى سبيل انشاء قسم الطب الاسلامى بكلية طب الأزهر يستمد من اشارات القرآن الكريم وأبحاث العلماء مادته العلمية •

– تدريس الطب باللغة العربية فى الجامعات المصرية • وكان المؤتمر قد عقد بجامعة الأزهر وحضره نحو أربعمائة طبيب ناقشوا نحو مائة وستين بحثا من مختلف المعارف الطبية •

الزكاة تكفى لحل مشاكل المسلمين

فى بحث تقدم به الدكتور شوقى اسماعيل شحاته المستشار المالى لبنك فيصل الى مؤتمر البنوك الاسلامية الذى عقد فى باكستان مؤخرا قال : ان مشكلة التطبيق المعاصر للزكاة أهم ما يشغل معظم الاقتصاديين بين المسلمين فى الوقت الحالى •

وأوضح الدكتور شحاته أنه لو طبقنا مبدأ زكاة المال على عوائد البترول بواقع ٢٫٥ ٪ على كل برميل بترول • لأصبحت الحصيلة فى النهاية على مستوى العالم الاسلامى أربعين مليار دولار •• تساءل صاحب البحث : لو أخرجنا هذا المبلغ الضخم عن عائدات البترول فى الدول الاسلامية الغنية • وحولناه الى من يستحقه فى الدول الاسلامية فهل يعانى المسلمون من مشكلة فقر بعد ذلك •

ثم أجاب : لاشىء غير الزكاة يكفى لسد الاحتياجات التى يعوزها العالم العربى والاسلامى •

فى الاقتصاد الاسلامى

افتتح مركز الدراسات الاسلامية بجامعة اليرموك فى الأردن برنامج الدراسات العليا فى « الاقتصاد الاسلامى » للعام الدراسى الحالى كأول محاولة أكاديمية عالمية لتدريس هذا التخصص بشكل مستقل •

قال الدكتور محمد البطاينة مدير المركز فى تصريح له : ان هذا البرنامج يعتبر أول محاولة فى العصر الحديث لتدريس الاقتصاد الاسلامى بشكل متخصص ومستقل مشيرا الى عدم وجود جامعة فى العالم الاسلامى تمنح درجة الدكتوراه فى هذا المجال •

وأضاف بأن الغرض من ذلك يهدف الى ابراز دور الاقتصاد الاسلامى فى تنمية وتطوير المجتمعات خصوصا وأن الدولة الاسلامية طبقت فى فترات عنفوانها الاقتصاد الاسلامى بالشكل السليم ونجحت فى ذلك التطبيق • وأشار الى أن ذلك يهدف الى تعريف الاقتصاديين المعاصرين بالاقتصاد الاسلامى من خلال وصل الماضى بالحاضر والاستعانة والاستفادة من التجارب التى قامت بها الدول الاسلامية فى الماضى لدعم الاقتصاد المتدهور

البقية ص ٩٦٥

من خير ما كتب

الاستاذ : انيس منصور ..

مواقــف

عند نهاية كل سنة نتمنى أن يكون العام الجديد سعيدا علينا جميعا ، وعلى الشعب الفلسطينى الذى لا وطن له ولا مأوى ولا سكن .. ولا حل .. وليس بيننـــا واحد لا ينفطر قلبه حزنا على الـــذى أصاب الاشقاء فى الاربعين عاما الماضية .. واذا بقى فى القلب جزء لم يتقطـع فاننا نمزقه بأظافرنا يأسا من أى أنواع الوحدة العربية من أجل هذه القضية .

وأصبحنا نصفها بالقضية وكفى ـ فهى قضية القضايا ، ومشكلة المشاكل . وبيت الـــداء وانسان العين الباكية ، وسويداء القلب ـ الى آخر المرادفات اللغوية . فلا تزال اللغـــة هى سلاحنا الوحيد ، وأكثرنا فصاحة . هو الأقوى وأكثرنا دموعا هو الأصدق ، وأكثرنا جنونا هو الشهيد .

ولا أكون عربيا واقعيا اذا قلت انه كان فى امكان « العرب » أن يطيلوا حكم بيريز وذلك بتشجيعه على اجراء انتخابات جديدة ، ينفرد فيها بالحكم ، لا شريكا مع تحالف الليكـــود . فهذا الذى اقوله مستوى رفيع جدا من السياسة العربية الموحدة ، ومن التخطيط السياسى البعيد المدى ، ومن التغلغل العميق فى الشــــعب الاسرائيلى وتحريكه على النحو الذى نريد ؟.

وهو ما لن يحدث ، فلا قدرة لنا على ذلك .

لأن سياستنا قامت من عشرات السنين ولمئات السنين على ان اسرائيل هى التى تحرك العرب والامريكان والروس والكرة الارضية والكواكب وأنه لا حول ولا طول لنا .. وانما نحن أحجار الطاولة والدومينو والشـــطرنج ينقلوننا من الأبيض الى الأسود الى سلة مهملات التاريخ.

لقد ظل اليهود ألوف السنين يهنئون أنفسهم مع بداية كل عام عبرى جديد قائلين : العـــام القادم فى أورشليم ـ ونحن الآن فى ســـنة ٥٧٤٦ عبريه ـ ولذلك يجب الا نفقد الامل ، فكل سنة وأنت طيب فى مصر ، وطيبون فى العالم العربى .. والله قادر على أن يبقينا حتى نرى حلا للقضية .

الأستاذ : نجيب محفوظ ..

رسالتنا الأولى فى الحياة

موقع امة من العالم المحيط قد يرسـم لها دورا يحتم عليها أن تلعبه ، ولكن عليها بالحكمة والبصيرة ان تحدد الوقت المناسب للعمل . فهى لا تتحرك فى فراغ ولا تتعامل مع الأمانى والأحلام .

ولكن ثمة أمما أخرى تجد فى الـــوقت نفسه وراء مصالحها مستندة الى ما يتاح لها من قـــوة

إعداد: عبد الفتاح السيد عبد السلام

وبأس ، أما الواجب العاجل المقدم على غيره فهو أن تبنى نفسها فى الداخل ، وأن تقيم البنيان على أسس متينة من المبادىء الهادية والقواعد العلمية القادرة على العطاء والثوابت الاقتصادية التى تحقق لها الاستقلال فى ضروريات الحياة على الأقل . عند ذاك فقط يجوز لها أن تتحرك لتجسيد أحلامها الخارجية فى نطاق قواتها الذاتية ودون اغفال لقوى الآخرين ، ولعله من الخير دائما أن نذكر أن ثورة يوليو أتاحت لنا فرصة لم يجد بها الدهر منذ آجال مديدة حررتنا من عرش غشوم واحتلال أجنبى وولت علينا حكاما من أبنائنا فتوحدت لأول مرة أهداف الحاكم والمحكوم ، ووعدت الآمال بخلق أمة معاصرة تنهض على أسس من القيم والعدالة والعلم ولكنها بدلا من العكوف على البناء الداخلى طمحت الى الزعامة العربية بل زعامة عالمية تستهدف تحرير المظلومين فى الأرض ، متجاهلة تماما المسافة بين قوتها الذاتية وأهدافها العالمية ، متحدية قوى عملاقة لاقبل لها بها ، حتى تردت فى اليوم الأسود يوم ٥ يونية وجاء الرئيس حسنى مبارك ليتولى أمر تركة مثقلة بالسلبيات والديون والعظات ، فتعامل أول ما تعامل مع عظاتها ليقهر فى النهاية سلبيتها فكان اتجاهه المخلص نحو الشعب والقانون والبناء . ولذلك .. يدهشنا — بل يسعدنا — أن

نراه كل يوم فى موقع عمل أو مجتمعا برجال حزبه أو بزعماء المعارضة ، فهذا هو دوره التاريخى وواجبه الحضارى ، وهو رسالتنا الأولى فى الحياة التى يجب أن نضعها نصب أعيننا وفى صميم قلوبنا وألا نحيد عنها قيد أنملة .

أنباء وآراء - بقية

حاليا بالاضافة الى تقديم خبرات الدول الاسلامية على شكل بوتقة جاهزة للاستفادة منها .

وقال الدكتور البطاينة : ان حاجة المجتمع الاسلامى لاقتصاديين مسلمين خصوصا بعد قيام مؤسسات مالية اسلامية يعد من الدوافع الأساسية التى حدت بمركز الدراسات الاسلامية لانشاء هذا التخصص للاستعانة بعلماء الاقتصاد والمسلمين والاسترشاد بجهودهم فى هذا المجال .

وأوضح بأن المركز يجرى اتصالات مكثفة بهذا الخصوص مع المركز الاقتصادى العالمى فى جدة والباكستان ، وفى جامعة الأزهر ومع مختلف الجهات العالمية بالاضافة الى التنسيق والتعاون مع كل من الجامعتين الأردنية واليرموك لدعم نجاح هذا البرنامج .

من خير ما كتب

الأستاذ : محمود عبد المنعم مراد ..

كلمـــات

من العشرينيات الى الخمسينيات ،كانت لنا قضية قومية ، هى محور الاهتمـــام وأساس النقاش ، ومفجـــر الطاقـــات ، نختلف بشأن الطرق المؤدية الى حلها ، ولكننا نتفق على أنها القضـــية الأولى ، قضية التحرر من الاستعمار البريطـــانى وجلاء الجنود الانجليز عن أرض الوطن.

كان البعض يقولون انه لا مفاوضة الا بعد الجلاء ، وكثيرون قالوا بعد ذلك ان الجـــلاء بالدماء ، ورغم ذلك فقد أجريت سلسلة طويلة من المفاوضات ، انتهت بعقد معاهدة ٣٦ ، ثـــم بالغائها من جانبنا ، ثم تطورت الأحداث المحلية والاقليمية والعالمية حتى خرج الانجليز من مصر وفرحنا وقلنا اننا الآن نحكم أنفسنا بأنفسنا ، وجاء لنا أول رئيس للجمهورية ، ولد فى مصر ، وجاء من صلب اباء وأجداد مصريين . ثم ماذا حدث .

كانت لنا قضية الاستقلال الوطنى . وكـــانت لدينا أحزاب واتجاهات سياســـية ، من أقصى اليمين الى أقصى اليسار . وفى أواســـــط الأربعينيات بالذات ،كان كل المصريين مشتغلين أو مهتمين بالسياسة . الطلاب والعمال والمثقفين والسياسيين المحترفين . كل يقول رأيه ، ويعبر عن وجهة نظره ، وخرج الحوار أحيـــانا عـــن حدوده ، فتكلم الرصاص ، وقتل أحمد ماهـــر والنقراشى وحسن البنا . وآخرون كثـــيرون . ولكن كانت لنا قضية واحدة تشغل البال وتثـــير الجدال ، وتدور حولها المناقشات ، وتـــؤلف الاغانى والاناشيد وترفع الشعارات وتصـــدر الصحف والمنشورات السرية .

ولكننا بعد أن حققنا الاستقلال ، لم تعد لنا قضية واحدة رئيسية . نحاول جميعا الاهتمـــام بها والنقاش حولها ، بل تفرقت الســـبل ، وتعددت القضايا الحقيقية والوهمية ، ولم يعد لنا محور نلتف حوله ، أو حتى نتخاصـــم . وأصبح كل واحد يضرب الاخـــر ، فى سبيل قضايا جزئية ، أو شخصية ، وانقطع الربـــاط الذى يربط بيننا جميعا . وأصبحنا فى متاهـــة لانعرف لماذا نؤيد ولماذا نعارض ولماذا نلـــزم الصمت ، أو نكتفى بالفرجة والمشاهدة ثـــم التثاؤب .

وفى كل أسبوع أو كل شهر على الأكثر ، ندفع الى السطح قضية جديدة لا صلة لها بما نعانيه فى حقيقة الأمر ، ولم نعد نركز اهتمامنا عـــلى قضية قومية واحدة تكون محـــــور النقاش والحوار بدلا من التخبط فى متاهات الشـــوارع والطرق الجانبية والى متى نظل هكذا حيـــارى بعد أن أصبحت أمورنا فى أيدينا ؟

الأستاذة : فاطمة سعيد ..

المساجد للصلاة وليست للأفراح ..

بمناسبة ما نشـــر اخيرا من أن وزيـــر الأوقاف قد قـــرر تخصـــيص مشرفات بالمساجد الكبرى لتعريف السيدات أصول

العقيدة الاسلامية والسلوك الاسلامى فى زيارة المساجد •

أجدنى مضطرة الى الحديث عن المساجد وما يحدث فيها من تصرفات تحتاج الى وقفة ومراجعة لأنها بعيدة كل البعد عن الدين الاسلامى وتعاليمه وقدسيته مما يتطلب من كل الزائرين مراعاة آداب هذه الزيارة •• فلا تدخل سيدة عارية الرأس وملابس قصيرة وعارية •• ويمنع من الدخول تماما كل انسان سواء كان سيدة أو رجلا لا يراعى هذه الأصول البديهية •• فان الله سبحانه وتعالى طالب بأن نكون على أفضل صورة عندما نذهب الى المساجد لنصلى •

واذا كان الاسلام شدد على الالتزام بآداب الزيارة والحديث والتعامل فى كل شئون الحياة الدنيوية•• أفلا يكون أولى أن نراعى هذه الأصول ونحن نزور المساجد ونصلى بها •

فقد حدث كثير من التجاوزات التى لايجب السكوت عليها لما قد تفهم خطأ بأن الدين الاسلامى يسمح بها خاصة فى مسجد الحسين •• فان نظافة المساجد التى تفرش بالسجاجيد والموكيت لابد من كنسها وتنظيفها يوميا وقبل كل صلاة بحيث لاتتعفر جباه من يسجدون بالأتربة •• ثم أين هى المباخر ورائحتها الزكية التى كانت تنتشر فى أرجاء المساجد •

وما هذا الذى يحدث بالنسبة لاقامة الأفراح فى هذه المساجد وخاصة مسجد الحسين •• ان هذه البدعة لابد من الغائها تماما فبعد أن كانت تقتصر على عقد القران بين العريس ووكيل العروس والشهود فقط أصبحت الآن مهزلة من دخول المدعوين والمدعوات بالزغاريد والشربات والحلوى وبالملابس العارية كل هذا أمام الزوار السائحين الذين لابد أن يعرفوا تعاليم ديننا على حقيقتها بدون تشويه •

اننا عندما كنا نزور الكنائس الأثرية فى « روما » و « مدريد » وكل الدول الأوربية كانوا يطلبون منا ارتداء أكمام طويلة ونضع ايشاربا على رؤوسنا •• وكان هذا هو مانطالب به الزوار الأجانب عندما كانوا يزورون مساجدنا الأثرية فماذا حدث ••

بل اننا عندما زرنا مسجد الامام على والحسين فى نجف والكوفة وكربلاء فى العراق كانوا يطلبون منا عربا واجانب ارتداء العباءة السوداء التى كانوا يوزعونها علينا على باب كل مسجد •

ثم لابد أيضا أن يكون هناك تفتيش على كل مايباع مع الباعة حول المساجد بحيث تكون كلها تتعلق بالدين فقط مثل المسابح والمصاحف والبخور ونحيط المساجد بكل ما يزيد رهبتها وقدسيتها ونظافتها وجمالها بدلا من أن تشوه بالشحاذين والمجذوبين وأكوام القمامة والمأكولات من كل صنف ونوع •

ان المساجد لها قدسيتها ولها احترامها ولها تقاليدها التى لا يجب أن تشوهها بتصرفات بعيدة كل البعد عن الدين •• لأنها بيوت الله•

الفتاوى

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

س١ : من السيد/ ع . ع . علي ـ ش قصر العيني ـ القاهرة

١ ـ شقة مملوكة لإدارة عيادة طبية مؤسسة وشغالة ... ماهي طريقة تقديم عناصر العيادة بمشتملاتها لتحديد الزكاة الشرعية ؟

٢ ـ الاسهم المكتتب فيها المدفوع عنها مبالغ محددة .. هل يدفع عنها زكاة من قيمتها الاسمية ؟

٣ ـ ثمن الثمار المنتج سنويا من حديقة موالح ... هل يدفع زكاة عن الثمن السنوي دون ثمن الأرض بالسعر الحالي ؟

٤ ـ في كل الأمور المتقدمة ... هل يخصم ما يدفع من ضرائب للدولة عن هذه العناصر من الزكاة الشرعية ؟

ج ١: عن الأول : فإنه لايجب عليها زكاة ...

عن الثاني : يجب عليها زكاة حسب قيمتها الحالية ـ متى بلغت النصاب وحال عليها الحول .

وعن الثالث : فيها زكاة عند أبي حنيفة رضي الله عنه بنسبة (٥٪) خمسة في المائة إن كانت تروى بآلة ، وعند غيره من الأئمة لا زكاة ..

وعن الرابع : يجب عليه الضرائب

س٢ : من السيد/ ع . م . المهيلمي

ماهو الحد الأدنى للصداق (المهر) في زماننا هذا ؟

ج٢ذهب الحنفية إلى أن أقل المهر عشرة دراهم فضة عيار تسعين ـ وهي تساوي (٢٩٫٥٤) جراما ـ مقدم الصداق أو مؤخره أو بعضه مقدم والبعض مؤخر .. وذلك بسعر يوم العقد .

للزوجة أن تهب المهر لزوجها أو لغيره ... وأجاز الشافعية أن يكون المهر بأقل مايتمول من نقد أو عين أو خدمة أو منفعة ..

اعداد: عبدالحميد شاهين

س٣ : من السيد/م . ح . غندور - من السعودية .

دخلت منزلى فى حالة شديدة من الغضب ، نتيجة لخسارة فى التجارة ، ودارت مناقشة حادة بينى وبين زوجتى فقلت لها : (أنت طالق بالثلاثة وتحرمى) علما بأن هذا الطلاق لم يسبقه طلاق ... فما الحكم ؟

ج٣ : هذا الطلاق يقع به طلقة رجعية مادام تم ذلك فى مجلس واحد ... وللزوج أن يراجع زوجته مادامت فى العدة . ولاتلزمه كفارة لقوله « تحرمى » لأنه وقع بعد لفظ الطلاق ...

س٤ : من السيد/ س . سالم . المنصورة .

شاب عقد على فتاة ثم زنى بأمها . فهل تطلق الزوجة أم لا ؟ وما الحكم ؟

ج٤ : بالعقد على هذه الفتاة أصبحت زوجة شرعية له ، وحيث أنه زنى بأمها فهذا عمل محرم شرعا . يجب الابتعاد عنه وعدم تكراره والتوبة الى الله توبة نصوحا من فعله .. هذا ولا تحرم عليه زوجته .

س٥ : من السيدة/س . ع . عبدالعال . القاهرة

توفيت امرأة عن : أربع أخوات شقيقات . خال شقيق فقط دون أحد من العصبة فمن يرث وما نصيبه ؟

ج٥ : للأخوات الشقيقات الأربع الثلثان فرضا ، ولهن الباقى ردًا عليهن لعدم من يحجبهن أو يعصبهن .

ولاشىء للخال الشقيق لأنه من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

س٦ : من السيد/ خ . ح . خليل .. القليوبية

١ - توفى رجل عن زوجة ، أب . أولاد ذكور .

٢ - ثم توفى الأب سنة ١٩٨٥ عن : ابن - أولاد ابن ذكور .. فمن يرث وما نصيبه ؟

ج٦ : عن الأول : للزوجة الثمن فرضا ، وللأب السدس فرضا بوجود الفرع الوارث وللأبناء الذكور الباقى تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى .

وعن الثانى : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لأبناء الابن المتوفى قبل والده بمقدار ماكان يستحقه الابن لوكان على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦م ... فتقسم التركة ثلاثة أجزاء : جزء منها وصية واجبة لأولاد الابن يقسم بينهم بالتساوى .

والباقى وهو جزءان هو الميراث للابن الموجود تعصبا ...

والله أعلم ..

فهرس العدد

الموضـــوع | الصـــفحة

شـــعر وشـــاعر

اللغة والأدب والنقـــد

القســـم الانجليزى

مراجعة وعناوين داخليـــة الاستاذ عبد المنعم مهنـــا

4. Guidance for the bewildered" of Ebn Maimun, and the explanation of "Abstraction of Kalam by Nasr Eldin Al-Taussi, with a comment by Galal Eldin Al-Diwani.

5. "The bases of religion" by AL-Guwaini - manuscript copy Vo. I. Plate 337.

6. "The basis of religion" by Al-Guwaini - manuscript copy Vol. I. Plate 39.

7. "The bases of Religions by Al-Guwaini Vol. I plates 39, 40 and 41.

8. Al-Bagilani said: "Accidents are those that cannot last, "The prelude" P. 18. Refer also the "The Bases of religion" by Al-Guwani - manuscript copy b Vol. I plates 52 and 57.

9. AlBaghdadi said "Accidents are characteristics that depend on substances in their being".

"Bases of religion" P. 33.
Refer also the the bases of religion manuscript copy Vol. I plate 57.

10. "Bases of religion" by Al-Baghdadi. P. 33
Refer also to "Luma" by Al-Guwaini. P. 77.

11. "Bases of religion by "Al - Baghdadi P. 35
"The bases of religion" by Al-Guwaini (manuscript copy) Vol. I Plate 72.

Notice that Al-Eegui in his "attitudes" favours the definition of Al-Guwaini. Vol. 2 First attitude- of accidents.

and the thing that covers it is outside the range of what the mind can imagine.

Since no mutation can happen except in time, no movement over a distance can be done except in time, they have emphasized the fact that there is a lapase of time, however short. Thus, we can see that the Muslim thinkers knew how to assert themseleves and emphasized their concepts in a field which was difficult for all the others to approach, and to change the conceptions thereof.

Accident of predicate was described as "that whose existence is not permanent"; or "that which depends on others for its being. It was also said that "accident is what depends on substance for its existence". It was further defined as the "contingent which has no space and exists in a being which has space".

These are all definitions that stress dependence of predicate on substance and their interrelationship according to what was expected by the mere concept of substance within its limits and definitions.

(To be continued)

REFERENCES

1. "The attitudes" by Al-Eegui, Cairo Edition 1907, Vol.(5). Third attitude. It is noticeable that Al-Eegui takes the spiritual characteristic as representative of or being in itself bias.

2. "The Guidance" by Al-Guwaini. Cairo Edition. P. 30.

3. The basis of religion, by Al-Guwaini manuscript copy. VOl. I. Plate 38.
"The Guidance to irrevocable proofs of the bases of religion" by Al-Guwaini-Cairo edition. P. 10.

differentiated from each other because all of them have the same ability to accept accidents and the same ability to occupy space. Thus, substance has no shape, this is an important point which means that substance cannot be imagined, because we can only imagine bodies. Obiously, by imagination here is meant perceiving something in a specific shape of form.

Al- Guwaini had explained this ideas when he said "This problem is only difficult for the ignorant who tried to conceive the indivisible substance in their minds, and on that visualisation they based their conception contact with it, whereas only bodies can be conceived inside one's soul or mind.

This explains the importance of the "material thing. So what emphasizes the contrast between Muslim and Greek background is "indivisible substance" where we find a clear indication of relating the ideaa of "finiteness" (intiha) to the idea of a perishapable existent" (inquida). Thus, we see that the Mutakallimun have proposed this relationship on the assumption that there can't be any assumed case in which perisphability can cope with the perception of infinity. This means that every "body" whose perishability can be evaluated has to be finite, as it has individual parts that form it. What we mean by its divisibility here is that which happens in the real perceptible reality. The division into substance and accident is mainly mental. Obviously, the reason for this is the interest of the Muslim thinkers to keep reality. They have assumed a background for the relationship which is mainly realistic, which has proved that infinite divisibility is groundless.

Therefore, divisibility in reality is the one that ought to be continuously perceived by an observer; and the idea of finiteness here is based on the limited distance that we can perceive covered. It is based on continuous tangency between the covered distance and the one or thing that covers it. This is an idea, which has been conceived mainly by the leaders of "Asharites" and on that basis they have refused the idea of mutation "Tafra". They have shown that the idea of covering a distance without any kind of continuous contact between the distance covered

substance cannot exist without accident or predicate. What emphasizes this is what the Mutakallimun said concerning the "Subjective Quality" of substance. They considered that its acceptance of accident is a main quality, without which substance cannot be imagined. The concept of "Subjective Quality" from the point of view of the Mutakallimun is popular. Al-Egui states that is the quality which defines the Subject without any additional meaning, and which the subject should not be void of. The Mutazalites considered it to be the fixed characteristic of a subject. One of the most significant sayings about the "subjective quality" is what Al-Guwaini said : It is every "Positive Quality" which is necessary as long as the subject is there, and which is not produced by any causes having to do with the described subject. Therefore, substance by its subjective quality cannot be imagined separately from accident. The Mutakallimun have given "Substance" a special significance different form that in the Greek thought.

Furthermore, the Mutakallimun have affirmed that substance has no independent existence because it does not represent the real existence of things. Such an existence would destroy the external existence in its reality and cancel its ability to be perceived. Substance has no real existence by itself because the real existence cannot be realized except for the "thing which is the solid palpable external existent. Another definition of substance that Mutakallimun mentioned that shows another "Subjective quality" is that substance is what occupies space, or it is an occupied space. There is no difference between occupied space and what occupies space; occupying space is the other subjective quality of substance. This make it impossible to imagine a space which is apart from what occupies it, for space and its occupant are one thing. These concepts characterize Muslim thought about substance and accident with an Islamic intellectual background that had always remained within the framework of a situation which is not separated from recognizing an existent being with its perceived mass.

Several other concequences have been derived that coped with Islamic intellectual background of substance and accident. One of the characteristics of substance that is based on subjective quality, is homogenity. Substances are all homogeneous because they are similar to each other in their "subjective qualities" Substances cannot be

Islamic Theology after the first Century of Hijra

By: Dr. Fawkia Hussein Mahmoud

(Continued)

The Mutakallimun's treatment of substance and accident have given two concepts that were in complete harmony with Islamic principles. Other indicators existed with Islamic principles. Other indicators existed concerning Muslim thought on these concepts. These indicators were related to what they termed "Subjective Quality-Sifa Nafsia" which defines the properties that constitute the unique identity of an existent; also the opinion of "finiteness" of the substance. By means of the type of accident through which the mind perceives existence "Kawn", the Muslim thinker showed his realistic outlook.

The Mutakallimun defined substance, as something that accepts accidents as part of its identity and they refused the saying of the Greeks that it just "bears" accident. The Mutakallimun's definition as we shall clearly see has special significance which emphasizes that the characteristic nature of substance, without which it would have no identity is its acceptance of accident or predicate. The Greek definition stops at stating that substance can bear accidents, which means that its identity and being are not related to accidents. For the Greeks, substance exists with or without accident. The Mutakallimun's definition emphasizes a characteristic of substance, that it cannot be imagined while void of accident. This means that

The fortune tellers as those people who write on sand or look into crystal balls, cups or palms or open books claiming to know and reveal the unseen. They are all rejecters and disbelievers because they are claiming to have attributed that are very particular only to Allah.

On the authority of Abu Hurairah may Allah be pleaseed with him that the Prophet (prayers and peace be upon him) said "who comes to fortune tellers or soothsayers and believes in what is said, he has denied that which is revealed to Mohammed.

The above treatise gives the explicit understanding that the association of another deity with Allah is an absolute unforgiven iniquity that in essence expels man from Islam and completely rejects true belief. Also, the practice of magic in any form is certainly a grave offence being in itself akin to skirk. May Allah provide us with the light and intellect to understand the reality of the teachings of our creed.

The remaining types of destructive evils will be considered in a further article.

(to be continued)

The practice of magic is a grave offence forbidden by Allah and it is rejected and prohibited in His book and in Prophet's tradition. Magic is unbelief and heresy. The Quranic verses state:

> "And they follow that which the devils falsely related against the kingdom of Solomon. Solomon disbelieved not; but the devils disbelieved, teaching mankind magic and that which was revealed to the two angles in Babel, Harut and Marut. Nor did they (the two angles) teach it to anyone till they had said; we are only a temptation therefore disbelieve not (in the guidance of Allah".
>
> (Surat Al-Baqra, II, 102)

Magicians, fortune tellers who predict the future from the stars and soothsayaers do not know the unknown. They only pretend knowledge and speak falsehood. Allah alone knows the unknown Allah says in His Holy Quran what means".

> "(He is) the knower of the unseen and revealth unto none his secret. Save into every messenger whom He hath chosen and then he maketh a guard to go before him, a guard behind him).
>
> (Surat Al-Jinn. LXXII, 26, 27)

It is reported that the Prophet (prayers and peace be upon him) said, "The verdict of a magician is a stroke with the sword". It has also been reported that Omar Bin Al Khattab commanded to kill both male and female magicians. On authority of Jundab Al Khair Al- Azdie that Hafsa and Aisha wives of the Prophet (prayers and peace be upon him) said "Some people asked the Messenger of Allah (prayers and peace be upon him) about fortune telling. He said: They are nothing and they said :"Oh Messenger of Allah, sometimes they do inform us things which prove right. Then the Messenger said; "That word of truth is caught by the Jinn and put into the ears of his agent which he mixes with hundred lies".

Fourthly, the shirk of love to others which should be due to Allah alone. Allah says in the Holy Quran what means:-

> "Yet of mankind are some who take onto themseleves (objects of worship which they set as) rivals to Allah loving them with a love like that which is due only to Allah.
>
> Those who believe are stauncher in their love for Allah. Oh that those who do evil had but known when they behold the doom, that power belongeth wholly to Allah and that Allah is severe in Punishment.
>
> (Surat Al-Baqra, II, 165)

The other type is the minor shirk which does not expell man out of Islam but is only considered as a grave iniquity because it makes man lose his reward from Allah. The Prophet (prayers and peace be upon him) explained the minor shirk by saying "What I fear most for you is the minor shirk". His Companions said "But what is the minor shirk Prophet of Allah"? It is equivocation or the desire for appearance. On the day of resurrection when Allah rewards people for their deeds, He shall say to such men; Go to those whom you were pretending and showing your deeds to see whether they have a reward for you.

The meaning of desire for appearances, or displaying off one's piety and good deeds to people in order to get their praise is a type of pretense not in reality meant to please Allah, but to get social prestige and authority; such deeds are rewardless.

There is another shirk besides both the major shirk and the minor, one which is called the concealed inconspicuous shirk. This implies inward dissatisfaction with the inevitable condition that has been ordained by Allah: conscientiosly lamenting the decree of Allah. This inconspicuous shirk is expiated by affirming the following phrases " O Allah I take refuge from that which I should ascribe anything as partner in your worship, and I am conscious of that, and I beg your forgiveness for that wrath which I am not aware of".

The major shirk has four aspects. Firstly, the shirk of invocation. This aspect of shirk implies to invoke, supplicate or pray to other dieties besides Allah. The Almighty Allah says in the Holy Quran what means:-

> "And when they mount upon the ships they pray to Allah making their faith pure for Him only; but when He bringeth them safe to land, behold! they ascribe partners (unto Him).
>
> (Surat Al-Ankabut, XXIX, 65)

Secondly, the shirk of intention, purpose and determination in acts of worship or religious deeds not for the sake of Allah but directed to other deities. Allah says in the Glorious Quran what means:

> "Whose desireth the life of the world and its pomp, we shall repay them their deeds herein; and therein they will not be wronged. Those are they for whom is naught in the hereafter save the fire. (All) that they contrive here in vain and (all) that they are wont to do is fruitless".
>
> (Surat Hud, XI, 15 - 16)

Thirdly, the shirk of. obedience which includes rendering obedience to any authority contrary to the orders of Allah. In the Holy Quran, it is stated:

> "They (Jews and Christians) have taken as lords beside Allah their rabbis and their monks, and the Messiah son of Mary; when they were bidden to worship only one God. There is no god save Him. Be He glorified from all that they ascribe as partner (Unto Him).
>
> (Surat Al-Taubah. IX,31)

The Seven Destructive Evils

By: Nasr Eldin Abdel Fattah Sholkomy

Praise be to Allah and prayers and peace by upon his Prophet Mohammed who delivered the message of guidance to establish the codes for human refinement. Teachings from the Holy Quran and tranditions of the Prophet (prayers and peace be upon him) continue to instruct Muslims of all races and at all ages the true basic elements of their faith.

A true Hadith reported after the Prophet (prayers and peace be upon him) states: Avoid the seven destructive evils. They said "what are they O'Messenger of Allah"? He said: "Association with Allah, practice of magic, to kill an inviolable person that is forbidden by Allah except for the truth, to eat usury, to cheat the wealth of the orphan, to run away at the time of combat, and false accusation of an innocent chaste believing women".

Association with Allah (shirk) is a grave injustice and a major unforgivable offence.All sins are ogiven by Allah except the sin of shirk. The major shirk is associating partners and setting up equals with Allah in worship or believing that the source of power, harm or mercy is from others than Allah. Such action or understanding expels man from Islam. It is great sin to worship creatures in association with Allah who creates, sustains, grants life and has the dominion. These concepts are repeatedly stated in the Glorious Quran in order to inoculate them deeply in the minds and souls of Muslims. Allah says in the Holy Quran what means:-

> "Yet they choose beside Him, other gods who create naught but are themseleves created; and possess not hurt not profit for themseleves, and possess not death nor life nor power to raise the dead".
> (Surat Al-Furqan, XXV, 3)

Prayers and Peace upon our Magnanemous Prophet.

(to be continued)

References :

1) Alsira Albabawiah
3rd. Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Puplisher, Dar Al Sharook ,Jeddah

2) Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohamad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial library, Cairo

3) Mashahid min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo - Printed 1980

4) Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo

5) The Holly Quran
Text, Translation and Commentary
Abdullah Ysuf Ali.

6) Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramandan Albooty
7th. Edition ,1977
Dar Al-Fikr, Cairo

7) Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol.2, 1983 ,Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8) Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut,1981.

of Al-Hudaibiah; Koraysh as a whole was in utter confusion and in apathetic understanding of what tommorrow may bring. They were in a state of mental paralysis unable to think what action to undertake, they remained stagnant awaiting events.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had decided to march to Macca and made preparations for that by declaring his intentions among Muslims at Al-Madinah and Arab tribes at large. This was in the month of Ramadan in the eighth year of Hijrah. The utmost desire of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was to take Koraysh by surprise and enter the city of Macca without blood-shed, and prayed to that effect that Koraysh will remain ignorant of the march of Muslims to Macca. This desire was to save the holy sacred city of Macca the dreary hideous spectacles of battle and human violence. All the necessary provisions and preparations were made in keen expedient effort. As the Muslim forces were ready to move, a man named Hateb Ibn Abi Baltaah sent a written message to Koraysh informing them that Muslim troops were marching south to Macca. He sent the note with a women called Sarah. By some way or another, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) got to know of the action of Ibn Abi Baltaah which in all consideration was considered treason. Aly Ibn Abi Taleb and Al-Zubair Ibn Al-Awam were sent after the woman to recover the message; which they succeeded in doing. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) summoned Ibn Abi Baltaah and asked him how to account for such ignoble action. Abi Baltaah answered that his intentions were to gain favour with Koraysh with the hope of protecting his Kinsfolk when the Muslims enter Macca. Omar Ibn Al-Khatab considered that action of Ibn Abi Baltaah an act of treason for which the sentence was death. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) considered the fact that Hateb Ibn Abi Baltaah was one of the close companions, and was highly esteemed as an attendant of the battle of Badre, and was therefore forgiven. The Muslim forces marched out of Al-Madinah towards Macca in ten thousand strong, clans from Al-Muhagereen, from Al-Ansar, from muslim tribes of Sulaym, Muzainah, Khataffan and others; all armed with unfaultering faith and the challenge to keep the word of Allah as supreme and to expand and spread the true elements of the new creed. They marched out of Al-Madinah in Ramadan of the eighth year of Hijrah.

discuss matters and ask the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) for recognition of the truce of Al-Hudaibiah and extenstion of its period of effect. On his way to Al-Madinah, Abu Sufyan met Budayl Ibn Warqa at Ussafan and understood that he was at Al-madinah obviously to ask support and action in relation to the incidence of Al-Wateer. On reaching Al-Madinah, Abu Sufyan went straight to his daughter Um Habibah wife of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), in order to probe the situation before indulging into any direct confrontation with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

In the house of Um Habibah, Abu Sufyan came to sit on bed spread on the ground; but Um Habibha collected the bed and refused to allow her father sit on it saying that it was the bed of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and that Abu Sufyan her father was an unbeliever and therefore unchaste and soiled. Abu Sufyan went to meet the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) for his demands regarding the extension of the truce of Al-Hudaibiah; but received no reply. Abu Sufyan then went to Abu Bakre to induce him to talk to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in respect of the truce of Al-Hudaibiah. Abu Bakre answered that he cannot approach the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in a matter upon which a decision had already been taken. A more severe and contentious reply was received from Omar Ibn Al-Khattab. Abu Sufyan finally went to Aly Abi-Taleb in a last trial to obtain the pardon, protectorship and approval of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to his demands. The answer of Aly Ibn Abi Taleb made Abu Sufyan realize that his efforts at Al-Madinah were futile and that no body at Al-Madinah would approach the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in any matter concerning Abu Sufyan and his demands, and that what was decided was beyond any change. With this understanding, Abu Sufyan asked Aly Ibn Abi Taleb to advise him regarding what to do in this situation he was in. Aly Ibn Abi Taleb replied that the only channel possible for Abu Sufyan was to announce his request for protection from the people of Al-Madinah and to leave directly. Abu Sufyan did that precisely and left Al-Madinah to return to Macca in a condition of pitiful depression and sinking dispair. To his person as the chief of the greatest tribe in the Arab peninsula, it was poisoning humility and mortifying disgrace. To the issue regarding the incidence of Al-Wateer and its effect on the truce

Khoraysh also supplied Bani Bakre with arms, finances and also men. One night when the clans of Khuzza were at one of their water wells called Al-Wateer, they were suddenly and treacherously attacked by Bani Bakre supported by men from Khoraysh. Several men form Khuzza were killed. The leaders of the tribe of Khuzza rode directly to Macca to inform one of their chiefs Budayl Ibn Warqua of the incidence, and record the fact that Koraysh and Bani Bakre have severed and disrupted the terms of the treaty of Al-Hudaibiah. On the other hand, Amre Ibn Salem Al-Khuzzay hurried to Al-Madinah to inform the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) of the details of the deceitful dishonest incidence of Al-Wateer. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) answered Amre Ibn Salem that he will be supported. Budayl Ibn Warqa and a group of men from Khuzza went to Al-Madinah to report the betrayal of Koraysh and Bani Bakre to the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him).

This very crucial incidence of Al-Wateer initiated the making of a major decision by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). This decision was the march to Macca, the most outstanding and impressive acheivement by Muslims since the Hijrah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from Macca to Al-Madinah eight years before. Such a very important decision could not have been sudden just because of the incidence of Bani Bakre attacking Khuzza at Al-Wateer. A decision of that order of magnitude and importance both strategically and politically must have dominated the thoughts of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in prior deliberation planning and organisation. The incidence of Al-Wateer only triggered the making of the decision to march to Macca, and gave allowance to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to release himself and Muslims from the commitment of the terms of the truce of Al-Hudaibiah.

After the incidence of Al-Wateer, the leaders of Koraysh recognised the gravity and seriousness of the situation, understanding that Muslims were now at full liberty to take any action that was considered apropriate under such circumstances of betrayal of a signed sealed truce between the two dominating powers in the Arab peninsula, namely, the Muslims and Koraysh. With this dilemma and perplexity on hand, Koraysh deputised Abu Sufyan Ibn Harb to go to Al-Madinah to

THE TRIUMPHANT RETURN TO MACCA

BY: DR. ANAS MUSTAFA EL- NAGGAR MD;, PhD.

In the name of Allah, most Gracious most Compassionate.

The Truce of Al-Hudaibiah, the Umra of Al Qada, and the potential results of the battle of Muatah certainly affected far reaching repercussions on the status of Muslims among the Arab Tribes in the Arabic Peninsula. Most of these tribes were highly impressed by the achievements of Muslims and the confidence and martyrdom displayed in the face of collosals of the Roman forces. The old standing chronic enmity between Muslims and Koraysh remained in compliance with the Truce of Al-Hudaibiah in a condition of detente. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the Muslim Community at large very confidently remained adherent to the terms of the Truce of Al-Hudaibiah and with intelligent patience awaited the sequence of events. Koraysh, however, complied with the terms of the Truce only in order to maintain a situation of frozen hostilities with the Muslims; but in reality, were ready to break these terms under any circumstances that may appear to be to their advantage.

After the battle of Muatah, Koraysh developed the impression that the back bone of the Muslim strength and stability in battle was disrupted, and their spirit and skill in combat was humiliated and depressed. This impression on the part of Koraysh instigated some of their younger more antagonistic individuals to encourage hostile activities against Arab Tribes in alliance with Muslims. Among such tribes, was the tribe of Khuzza, who had allied with muslims at Al-Hudaibiah; in distinction to the tribe of Bani Bakre, who had allied with Koraysh. These two tribes of Khuzza and Bani Bakre had previous old enmities, which were subdued as an indirect consequence of the truce of Al-Hudaibiah. After the battle of Muatah, when Koraysh developed the wrong understanding about Muslim strength, they motivated the clans of Bani Bakre to attack the tribe of khuzza and raid their homes to revive and flare up old enmities.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا قبل الإسراء

.... وجاءت ليلة الإسراء فصارت الصلاة فرضا .

تماما كما صام المسلمون ـ من قبل رمضان ـ عاشوراء ، ثم ثلاثة أيام من كل شهر ، ثم فُرِضَ صوم رمضان . كذلك صلوا « نفلا » حتى إذا جاءت ليلة الإسراء صارت الصلاة فرضا .

فكان ـ فى القوم ـ صلاة قبل الإسراء .

وكان ـ فى القوم ـ صيام قبل رمضان .

ثم فرض هذا ، وفرض ذاك .

قال الإمام النووى ـ رضوان الله تعالى عليه :

أجمع العلماء على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء .(١)

وللصلاة تاريخ مبكر مع الإسلام ، ومارسها رسول الله ﷺ علانية منذ أوائل رسالته ـ عليه الصلاة والسلام . ◄

---

(١) الإمام ابن حجر العسقلانى ـ فتح البارى ١٣ / ٣٩٩ ـ ط أولى ـ الأميرية ١٣٠١

● السنة الثامنة والخمسون الجـزء السـابع ●

● رجب ١٤٠٦ هـ مارس ـ أبريل ١٩٨٦ م ●

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الغنى

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٢٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



قبة الصخرة

ماذا قبل الاســراء

أعْلَنَ بها رسول الله ـ ﷺ ـ والوجوه من قريش « غير منكرين لما يقول ، وكان ـ إذا مر بهم يقولون : إن محمداً يُكَلَّمُ من السماء »[2] وذلك أثناء الدعوة إلى الإسلام سرا حين لم يعلن عليهم جزاء الكفر ومصير الكافرين ، ومصير آبائهم فكانوا ـ لذلك ـ راضين

إلى هذه البداية نلقي الضوء من « الحديث الصحيح » وحده لِنُلِمَّ بتاريخ الصلاة من قبل الإسراء :

١ ـ حَدَّثَ الإمام أحمد بن حنبل ـ رضوان الله عليه ـ فقال :

« حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن ابن اسحاق ، حدثنى يحيى بن الأشعث ، عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندى ، عن أبيه ، عن جده قال :

كنت امرءًا تاجرا فقدمت الحج ، فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة ، وكان امرءا تاجراً ، فو الله إنى لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه ، فنظر إلى الشمس ، فلما رآها مَالَتْ ، يعنى ، قام يصلى . قال : ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذى خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلى ، ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء ، فقام معه يصلى

قال : فقلت للعباس : من هذا ياعباس ؟

قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخى .

قال : فقلت : من هذه المرأة .. ؟

قال : هذه امرأته خديجة ابنة خويلد .

قال : قلت : من هذا الفتى . ؟

قال : هذا على بن أبى طالب ابن عمه .

قال : فقلت : فما هذا الذى يصنع ؟

قال : يصلى ، وهو يزعم أنه نبى ، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى ، وهو يزعم أنه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر .

قال : فكان عفيف ـ وهو ابن عم الأشعث بن قيس ـ يقول ـ وأسلم بعد ذلك ، فحسن إسلامه : لو كان الله رزقنى الإسلام يومئذ فأكون ثالثا مع على بن أبى طالب »[3] .

ولقد أسلم رجال فى هذا الوقت المبكر فى مقدمتهم أبو بكر الصديق ، وسعد بن أبى وقاص ، وزيد بن حارثة ، وغيرهم ـ رضوان الله عليهم ـ وصلوا كما صلى رسول الله ـ ﷺ ـ .

---

(٢) عز الدين بن الأثير أبى الحسن على بن محمد الجزرى ـ أسد الغابة ١ / ٢٦ مطبعة الشعب

(٣) حديث صحيح الاسناد ـ انظر للإمام أحمد ـ المسند ٣ / ٢١٨ . الحديث رقم ١٧٨٧ : إسناده صحيح ، ورواه الحاكم ـ فى المستدرك ٣ / ١٨٣ وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ، وقال الذهبى : صحيح ، ورواه الإمام البخارى فى « الكبير » ٤/١/٧٤ ـ ٧٥ ـ وأورده ابن الأثير بأسد الغابة فى ترجمة عفيف الكندى ـ رضى الله عنه ٤/٤٨ ـ وقال : « أخرجه الثلاثة » يعنى : ابن منده ، وأبا نعيم ، وأبا عمر بن عبد البر

حتى إذا مضت السنون لتلك الدعوة السرية ، ورسول الله ـ ﷺ ـ يصلى حيث شاء لا يعترضه أحد ، وقِبْلَتُه بيتُ المقدس وقد جعل الكعبة بين يديه . أُمِرَ ـ ﷺ ـ أن يجهر بالدعوة ، فنادى بها عَلَناً فى قريش ، وبسط من أمرها ما جعلها على جلاء ووضوح مبشرا منذرا فعاب آلهتهم وأنذر عابديها بجهنم ، « وأخبرهم أن آباءهم ماتوا على الكفر والضلال ، وانهم فى النار فعادوه ، وأبغضوه ، وآذَوْهُ ، « فـ » كان أصحابه ـ ﷺ ـ إذا صلوا انطلقوا إلى الأودية وصلوا سرا »[٤] .

وظل رسول الله ـ ﷺ ـ يجهر بصلاته مثلما يعلن رسالته .

واشتد الأذى برسول الله ـ ﷺ ـ وبأصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ وككل ظالم ـ يحاول تبرير ظلمه ـ كان أذاهم مصحوبا بجؤارهم الصارخ أن محمدا يؤذيهم بدعوته فى أنفسهم وذراريهم ونسائهم فكانوا ـ من حيث لا يريدون ـ ينشرون إعلانه ويذيعون دعوته ، فينظره الناس ويرون من صلاته .

٢ ـ روى أحمد والترمذى والنسائى وابن جرير ـ وهذا لفظه ـ من طريق داود بن هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ قال :

« كان رسول الله ـ ﷺ ـ يصلى عند المقام ، فمر به أبو جهل بن هشام .فقال : يامحمد ، الم أَنْهَكَ عن هذا .. ؟ وتَوَعَّدَهُ ، فأغلظ له رسول الله ـ ﷺ ـ وانتهره ، فقال : يامحمد ، بأى شىء تهددنى ؟ أما ـ والله ـ إنى لأكثر هذا الوادى ناديا .

فأنزل الله ، « **فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ** .

قال الترمذى : حسن صحيح »[٥] .

وأورد الإمام الطبرى ـ بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهم ـ قال :

قال أبو جهل : لئن عاد محمد يصلى عند المقام لأقتلنه .

فأنزل الله ـ عز وجل :

﴿ اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ـ حتى بلغ هذه الآية : ﴿ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ . فَلْيَدْعُ نادِيهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ .﴾[٦] . والآيات من سورة العلق ، وصدرها أول ما أنزل .[٧] وختامها شاهد للصلاة من قديم حيث يقول المولى سبحانه : « **كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** » .

ويمضى الزمن وتمر السنون ملتحفة بالأذى والافتنان فيه ، ويُؤْذَن للمؤمنين ـ ماعدا رسول الله ـ ﷺ ـ فى الهجرة ، فينطلق منهم أرسال إلى الحبشة ـ شيئا بعد شىء فى مطلع الخامسة من البعثة أو أثنائها تقريبا ، ويخرج ـ فى تلك الأرسال ـ سيدنا جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ، فيلحق بإخوانه حيث هم بأرض صِدْقٍ عند مَلِكٍ عادل كريم ، « أصحمة » البار الصالح ، وتتآمر

---

(٤) راجع لابن الأثير ـ اسد الغابة ١ / ٢٦

(٥) تفسير ابن كثير ـ رضى الله عنه ـ ٤ / ٥٢٨ ، ٥٢٩ ـ دار إحياء الكتب العربية

(٦) نفس المرجع

(٧) مما ينبغى الإحاطة به أن الآية من كتاب الله العزيز ، أو الآيات يمكن أن تتنزل أكثر من مرة لسبب أو أكثر ، وانظر ـ مثلا ـ لذلك « سورة النصر »

قريش ، فترسل وفدا تَمَثَّل فى : عمرو بن العاص ، وعمارة ابن الوليد لِرَدّ المهاجرين ، وتَزَوَّدَ الوفد - إلى جانب تعليماتها - بما ييسر مهمته فاستطاع إغراء حاشية أصحمة بهداياه ، تَعَضَّدُوا الرجلين حين طلبا إلى النجاشى رَدَّ المهاجرين ، لكن الملك الصالح .. قال :

لا ، حتى أسمع منهم ... » والله ما أَخَذَ اللهُ منى الرشوة حين رَدَّ علىَّ ملكى ، فآخُذَ الرشوة فيه[8] ، وما اطاع الناس فىَّ فأطيعهم فيه . «[9]

فليتكلموا ، فتكلم عنهم سيدنا جعفر بن أبى طالب - رضى الله عنه :

٣ - حدث الإمام أحمد قال :

حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن محمد بن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن شهاب ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى ، عن أم سلمة ابنة أبى أمية ابن المغيرة زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - قالت[10] :

...... فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب ، فقال له :

أيها الملك :

كنا قوما أهلَ جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ونُسىءُ الجوار ، يأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه . فدعانا إلى الله لِنُوَحِّدَهُ ونَعْبُدَه ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان .

وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم والكف عن المحارم والدماء .

ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة .

وأمرنا أن نعبد الله - وحده - ولا نشرك به شيئا .

وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ...

قال :

فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به ... «[11] الحديث .

هذه شهادة مؤمن .

ثم هذه شهادة أبى سفيان صخر بن حرب وقت كان كافرا .

تطابقت الشهادتان على « الصلاة قبل الإسراء » .

٤ - روى الإمام البخارى - فى مفتتح صحيحه وأول أبوابه : « كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله - ﷺ » ، فقص اهتمامَ هرقل بأخبار النبى صلى الله عليه وسلم وَأَمْرَهُ إلى مَسئوليهِ أن يأتوا إليه

---

(٨) يشير النجاشى - بذلك إلى أولى المؤامرتين اللتين حيكتا لعزله ، فخزل الله أعداءه وعاد إلى ملكه سالما . فأما الثانية فقد حضرها المهاجرون المسلمون ، ونصره الله فيها أيضا

(٩ - ١٠) من الحديث رقم (١٧٤٠) بمسند احمد ٣ / ١٨٠ مفتتح حديث جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه تابع فى الحاشية التالية توثيق الحديث .

(١١) مسند احمد ٣ / ١٨٠ قال الشيخ احمد محمد شاكر : إسناده صحيح دار المعارف .

بمن يعثروا عليه من قوم الرسول ﷺ فوجدوا أبا سفيان فى جماعة ، فأخذوهم إلى هرقل وكان وقتئذ بـ « إيلياء » ... قال ـ رضى الله عنه :

« فأتوه ، وهم بإيلياء ، فدعاهم ـ فى مجلسه ، وحوله عظماء الروم ـ ثم دعاهم ودعا ترجمانه ، فقال :

أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى . ؟

فقال أبو سفيان :

قلت : أنا أقربهم نسبا

فقال : ادنوه منى ، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره .

ثم قال لترجمانه :

قل لهم : إنى سائل هذا عن الرجل ، فإن كَذَبَنِى فكذبوه .

قال [أبو سفيان] :

فو الله لولا الحياء من أن يأثروا على كذباً لكذبت عنه [فسأله عن أشياء ، ثم قال :] ماذا يأمركم .. ؟

قلت : يقول :

اعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة (الحديث)(١٢) .

وبداهة :

فإن أبا سفيان إنما يتحدث عن شأن دعوة رسول الله ـ ﷺ ـ حين كان بين ظهرانيهم. إذ أن وقت لقاء هذه الجماعة بـ « هرقل » فى « إيلياء » كان عليه الصلاة والسلام بالمدينة من سنوات ، لا يأمر أتباعها المكيين ولا ينهاهم .

لكنها شهادة رجل أذعن للحق خيفة أن تُلْمَزَ مروءتُه بلمحة كذب . فكانت شهادة للتاريخ .

ولْنَعُدْ إلى مكة ... وإلى ما قبل الإسراء الذى كان فى السنة أو السنتين الأخيرتين لرسول الله ـ ﷺ ـ بمكة ، فنجده ـ ﷺ ـ لازال يعلن بصلاته ، وفى الكعبة نفسها ، وقد هاجر الكثيرون من أصحابه :

٥ ـ روى الإمام البخارى قال :

« حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعى قال : حدثنى يحيى بن أبى كثير ، حدثنى محمد بن إبراهيم التيمى حدثنى عروة بن الزبير قال :

قلت ـ لعبد الله بن عمرو بن العاص : أخبرنى بأشد ما صنع المشركون برسول الله ـ ﷺ ـ قال : بَيْنَا رسول الله ـ ﷺ ـ يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى مُعَيْط فأخذ بمنكب رسول الله ـ ﷺ ـ ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا ، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ، ودفع عن رسول الله ـ ﷺ ـ وقال :

---

(١٢) صحيح البخارى ١ / ٥ المطبعة البهية ١٢٩٩

اتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم »[13] .

٦ ـــ وروى ـ رضى الله عنه ـ بسنده إلى عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنهما ـ قال :

« بينما رسول الله ـ ﷺ ـ قائم يصلى عند الكعبة ، وجمع من قريش فى مجالسهم ، إذ قال قائل منهم : الا تنظرون إلى هذا المرائى ؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فَيَعْمَدُ إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه ، فانبعث أشقاهم[14] ، فلما سجد رسول الله ـ ﷺ ـ وضعه بين كتفيه وثبت النبى ـ ﷺ ـ ساجداً ، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك ، فانطلق منطلق[15] إلى فاطمة ـ وهى جويرية ـ فأقبلت تسعى ، وثبت النبى ـ ﷺ ـ ساجداً حتى ألقته عنه ، وأقبلت عليهم تسبهم .

فلما قضى رسول الله ـ ﷺ ـ الصلاة قال :

اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش »[16]

فكيف كانت تلك الصلاة ؟

جاء فى الكتاب العزيز قول الحق ـ تبارك وتعالى :

﴿ يَابَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ . وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّاىَ فَاتَّقُونِ . وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ . وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾

البقرة « ٤٠ ـ ٤٣ »

ولا ركوع إلا من قيام.

وفى الكتاب العزيز :

﴿ يَامَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ آل عمران « ٤٣ » .

واضح من ذلك جميعا أن الصلاة ـ فيمن قبلنا ـ كانت من قيام فركوع فسجود ، وهذه الثلاثة أعمدتها الأساسية .

---

(١٣) صحيح البخارى ٣ / ١٦٠ كتاب التفسير « آخر أحاديث الباب »

(١٤) فانبعث أشقاهم ، جاء بمسند احمد « فقال عقبة بن ابى معيط : انا ، فاخذه فالقاه على ظهره »

(١٥) جاء ـ بصحيح البخارى ١ / ٤٧ : قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه :

« فنظر حتى إذا سجد النبى ـ ﷺ ـ وضعه على ظهره بين كتفيه ، وانا انظر لا اغنى شيئا ، لو كان لى مَنَعَةٌ »

وتفيد بعض الروايات أن الذى سعى إلى فاطمة عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنهما .

(١٦) الحديث بصحيح البخارى ١ /٨٨ آخر ابواب سترة المصلى ، وانظره بكتاب الوضوء ١ /٤٧

وهذا ماتقرره الروايات التى بين أيدينا :

يقول عفيف الكندى ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن صلاة رسول الله ـ ﷺ ـ وزوجه خديجة ، وابن عمه علىّ ـ رضى الله عنهما :

« قام يصلى .... ثم خرجت امرأة فقامت خلفه تصلى ... ثم خرج غلام فقام معه يصلى ... »

وهذه الرواية بُسِطَتْ فى ترجمة عفيف ـ رضى الله عنه ـ بأسد الغابة ، وفيها :

« جاء شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم قام مستقبل الكعبة ، ثم لم ألبث إلا يسيرا حتى جاء غلام فقام على يمينه ، ثم لم ألبث إلا يسيرا حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة ، فسجد الشاب فسجد الغلام والمرأة[17]..... » الحديث .

وقد توالت بين أيدينا أحاديث البخارى وفيها تصريح بقيامه وسجوده ـ ﷺ . وليس يفوتنا أن القرآن تَنَزَّلَ منه مع بدء الرسالة ما يغنى الصلاة بالتلاوة .

.. .. ..

وبعد :

فقد أحببنا ـ بتوفيق من الله سبحانه ـ أن نبسط أمر الصلاة قبل الإسراء على هُدًى من السنة الصحيحة تحية طيبة مباركة ـ بمشيئة الله ـ ليوم الإسراء والمعراج .

ثم كَلِمَةٌ إلى الأستاذ أحمد أمين ـ رحمه الله ـ إذ تشكك فى حديث جعفر بن أبى طالب ، ومضمونُه كما قدمنا متَفقٌ مع غيره من أحاديث البخارى مما قاله من كان مؤمنا ومن كان كافراً ، فلا عبرة بقول الأستاذ ـ رحمه الله ـ عن قصة جعفر : « يغلب على الظن أنها موضوعة[18] » ثم تردده بعد حيث يقول : « ما شرع من عبادات كالصلاة والزكاة لم يكن على التفصيل والبيان الذى عرف فى المدينة[19] » وما كان أغناه ـ رحمه الله ـ عن هذا التناقض .

ورحم الله الأستاذ أحمد أمين ، فإن لكل عِلْمٍ منهجا أَرْسَتْهُ قواعدُهُ وأصولهُ ، هذه القواعد والأصول هى التى تحدد مسار منطقه ، وفى ضَوْئِهاَ يتميز الغث من السمين فيما يُلِمُّ بهذا العلم ، فأما الظن فقد ينحدر بعد إلى هَوىً ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ النجم « ٢٨ » وقد انحدرت غلبة الظن عنده ـ رحمه الله ـ إلى اعتقاد الكذب فيمن خلفه[20] .

نسأل الله تعالى العصمة بكتابه وسنة رسوله ﷺ .

المحرر

---

(١٧) ابن الأثير ـ اسد الغابة ٤ / ٤٩

(١٨) احمد امين ـ فجر الإسلام ص ٧٦ ط ٧ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٩

(١٩) نفس المرجع ص ٢٢٨

(٢٠) انظر لحسين احمد امين ـ فى بيت احمد امين ص (١١٢) كتاب الهلال العدد ٤١٥

بيان

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

فى الوقت الذى تحتاج فيه بلادنا إلى تضافر الجهود للأخذ بيدها إلى شاطىء الأمن وسبيل الرخاء . وفى الوقت الذى نحن فى مسيس الحاجة إلى كل حبة عرق تبذل لتسهم فى بناء الوطن وتثبيت أقدامه . وفى الوقت الذى نحن أكثر ما نكون حاجة إلى الترابط والتكاتف والتلاحم .. نرى تلك المأساة المخزية والمخربة والدامية التى حلت بوادينا ونزلت بساحتنا نتيجة إشاعة كاذبة ودعاية مغرضة . وقولة سوء تهدف أول ما تهدف إلى تقويض أركان هذا الوطن وزلزلة بنيانه . ليصير نهبا سهلا لكل طامع من عدو أو خائن . وكأن هؤلاء الذين استجابوا لهذه الأكذوبة . لم يتفهموا ولم يتدبروا قول الله فيهم يناديهم كما ينادى عامة المؤمنين : « يَآأيُّهاَ الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ »..

ولم يدركوا أن الشائعات المغرضة إذا استحكمت فى مجتمع أضلته وأهلكته . وإذا تمكنت من شعب روعته ومزقته . ولم يتدبروا القول الحكيم : إذا سمعت فلا تر إلا بعينيك .. فما آفة الأخبار إلا رواتها .. وقول الامام على بن أبى طالب ــ كرم الله وجهه ــ : إن بين الحق والباطل أربعة أصابع .. فإذا سمعت فلا تصدق حتى ترى وتبصر .. ولم يستجيبوا لقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما رواه مسلم عن أبى هريرة : « كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع ».

ألا فليعلم هؤلاء الذين أثاروا تلك الفتنة انه ملعون عند الله كل موقظ للفتن . وأنه لن يدخل الجنة قتات . والقتات : هو كل من يسعى بين الناس بالنميمة والايقاع والافساد . وأن رب العزة جل شأنه حذرنا من الفتن مبينا لنا أن عواقبها وخيمة . وأن آثارها غير محدودة . وأنها قد تبدأ صغيرة ثم لا تلبث أن تأتى على الأخضر واليابس . وتشمل الجميع على حد سواء . وصدق الله العظيم ... « **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**



﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَاتُصِيبَنَّ الَّـذِينَ ظَلَمُـوا مِنكُمْ خَاصَّـــةً ﴾.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ».. وإن الاسلام قد شدد التحذير من قول الزور .. ورحم الله امرأ قال خيرا فغنم . أو سكت فسلم .. وأن عليهم أن يمسكوا السنتهم . فلن يكب الناس على وجوههم فى النار يوم القيامة إلا حصائد السنتهم .

وليعلم هؤلاء الذين استجابوا لتلك الفتنة . وتجاوبوا مع تلك الاشاعة أنهم بذلك قد خالفوا أمر ربهم لأنهم لم يتبينوا ولم يتثبتوا . فأضروا بأنفسهم ووطنهم . والحقوا الخسائر بمصالحهم ومرافقهم . وكانوا أشبه بمن يخربون بيوتهم بأيديهم .. وان ديننا قد نهى عن بيع السلاح فى الفتن حتى لا تتسع دائرتها ورسم لنا بما ينبغى ان يكون عند الفتن . حيث جاء فى الهدى النبوى الشريف ما رواه الامام احمد من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تكون فتنة : النائم فيها خير من اليقظان . واليقظان خير من القائم . والقائم خير من الساعى فمن وجد ملجأ أو معاذا فليستعذ به »..

وليعلم الشعب كل الشعب أنهم أمام مسئولية كبرى وأمانة عظمى . وأن وطنهم أمانة فى أعناقهم . وأن عليهم أن يكونوا اهلا للحفاظ عليه وحمايته من الهزات . وألا يفتحوا آذانهم لكل ما يشاع ما لم يصاحبه الدليل الصادق والبرهان القاطع حتى لا يتورطوا فى خطأ أو ضلالة . ولا يقعوا فى ظلامة أو جهالة . وأن يستجيبوا لكتاب الله فيهم يناديهم : « وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ »..

صدق الله العظيم ..

جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

يدعو إيران والعراق

لوقف الحرب

■ دعا فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق - شيخ الجامع الأزهر - باسم الأزهر الشريف والأمة الاسلامية زعماء كل من إيران والعراق لوقف الأعمال الحربية الدائرة بين البلدين والى الجلوس للصلح .

ويناشد شيخ الأزهر زعماء البلدين بالارتفاع فوق الخلافات والعصبيات العرقية لأن الإسلام جمع المسلمين جميعاً على أمة واحدة وقبلة واحدة وكتاب واحد .

وقال إن اندلاع المعارك الشديدة بين البلدين والذي طالعتنا به الأنباء الأخيرة أمر يؤلم المسلمين جميعاً إذ أن هذه الحرب قد طال أمدها واستنفدت أموال المسلمين وشبابهم .

ودعا شيخ الأزهر زعماء البلدين باسم الإسلام ان ينزلوا إلى حكم الله وأن يجلسوا للصلح وأن يوقفوا هذه الحرب فوراً امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ .

كما دعا منظمة المؤتمر الاسلامي الى دعوة لجنة الصلح المشكلة لإنهاء هذه الحرب لاستئناف مهامها حقناً لدماء المسلمين التى تراق من كلا البلدين .

وأشار إلى أنه ينبغي على الجميع أن يتدبروا أن العالم حول المسلمين يتخطفهم وينقص أرضهم وينتهك أعراضهم وكل ذلك بسبب هذه الحرب وغيرها من الخلافات التى نشبت بين المسلمين وعلى أرضهم .

وأضاف أن الحرب بين العراق وإيران شغلت الأمة الاسلامية وأبعدتها عن النظر الى الأخطار الخارجية التى تهدد أمنها وسلامتها .

دراسات إسلامية

درجات الشهداء عند الله

مكانة المسجد الأقصى عند الله

الإسلام والمسلمون في الصين

جمع القرآن

من المتفق عليه أن رسول الله ﷺ ، كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، وذلك ثابت فى الكتاب وفى السنة :

فنقرأ فى الكتاب قول الله تبارك وتعالى مخاطبا رسوله :

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ . ﴾(١)

وفى السنة المتفق عليها ماجاء فى حديث بدء الوحى من قول جبريل لرسول الله ﷺ : اقرأ فقال : ما أنا بقارىء ، وتكرر ذلك الى أن قال جبريل :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ . ﴾(٢)

ومن هنا كان تلقى رسول الله ﷺ للقرآن مشافهة من روح القدس جبريل عليه السلام ، وهو ما سجل فى قول الحق سبحانه :

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ . ﴾(٣)

وحرصا من رسول الله ﷺ على استيعاب ما يوحى إليه من القرآن كان يسارع الى القراءة وراء جبريل متعجلا رجاء الا يذهب منه شىء ، مما اقتضى أن يوحى إليه ربه الا يتعجل بالقراءة ويطمئنه على أنه لن يضيع منه شىء مما يسمع وذلك قوله ـ جل شأنه :

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٤٨

(٢) سورة العلق : الآيات ١ ـ ٥

(٣) سورة النمل : الآية ٦

للأستاذ الدكتور
أحمد إبراهيم مهنا

﴿ لاَتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ . ﴾[1]

وقوله عز وجل :

﴿ ... وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً . ﴾[2]

وكما وعد الله رسوله بأنه لن يضيع منه شيء مما يسمع من القرآن فقد وعده ـ كذلك ـ بأنه لن ينسى شيئا منه فى مستقبل حياته ، وذلك قوله سبحانه :

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ . إِلاَّ مَاشَاءَ اللَّهُ . ﴾[3]

ووعد الله لايتخلف ، ومانسى رسول الله ﷺ شيئا مماتلقى من القرآن قط ، ولايفهم من الاستثناء فى قوله تعالى ﴿ إِلاَّ مَاشَاءَ اللَّهُ ﴾ أن الرسول ﷺ قدنسى بعض ماتلقى من القرآن ، وإنما الذى يفهم منه أن عدم النسيان من الرسول إنما هو من فضل الله عليه ، فكل شيء بإرادته سبحانه ، ولو شاء ان ينسيه لفعل ، وهو سبحانه لم يشأ أن ينسى رسوله شيئا من وحيه إليه فالا ستثناء هنا كالاستثناء فى قوله تعالى :

﴿ خَالِدِينَ فِيهاَ مَادَامَتِ السَّمَوٰاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ ماَ شَاء رَبُّكَ ﴾

فى آيتين متتاليتين من سورة هود :

اولاهما : قوله تعالى فى حق أهل النار :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَـٰوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾[4]

وقد جاء فى القرآن ما يقطع بدوام عذاب هؤلاء كقوله تعالى :

﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى . الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ . ثُمَّ لاَيَمُوتُ فِيهَا وَلاَيَحْيَىٰ . ﴾[5]

وثانيتهما : قوله تعالى فى حق السعداء من عباده :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمـٰوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَاشَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ . ﴾[6]

◄

(١) سورة القيامة : الآيات ١٦ ـ ١٩
(٢) سورة طه : الآية ١١٤
(٣) سورة الأعلى : الآيتان ٦ ، ٧
(٤) سورة هود : الآيتان ١٠٦ ، ١٠٧
(٥) سورة الأعلى : الآيات ١١ ـ ١٣
(٦) سورة هود : الآية ١٠٨

ونهاية الآية واضحة فى الدوام السرمدى ، فعطاء الله لهم دائم لا ينقطع ، يقول الامام ابن كثير فى تفسيره للاستثناء فى هذه الآية :

« معنى الاستثناء ههنا أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمرا واجبا بذاته ، بل هو موكول الى مشيئة الله تعالى ، فله المنة عليهم دائما ، ولهذا يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس » .

ويقول فى تفسيره لقول الله تعالى : « عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ » :

« اى غير مقطوع ، قاله مجاهد وابن عباس وأبو العالية وغير واحد لئلا يتوهم بعد ذكر المشيئة أن ثم انقطاع أولبس أو شىء ، بل حتم له بالدوام وعدم الانقطاع كما بين هناك أن عذاب أهل النار فى النار دائم مردود الى مشيئته ، وانه بعدله وحكمته عذبهم ولهذا قال :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ . ﴾ كما قال :
﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ . ﴾ .

وهنا طيب القلوب وثبت المقصود بقوله « عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ » ، وقد جاء فى الصحيحين : « يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال : ياأهل الجنة خلود فلاموت ، وياأهل النار خلود فلاموت . » .

ولايعترض على تفسير المشيئة فى آية سورة الأعلى بما سبق بما يقال من أن من القرآن آيات نسخت تلاوتها (مع نسخ حكمها أومع بقائه) فإن ذلك لم يثبت من طريق صحيح ، وسنتكلم على ذلك بالتفصيل ـ إن شاء الله ـ فى حديثنا عن النسخ .

وبمقدار حرص رسول الله ﷺ على استيعاب ما كان يتلقى من ربه ، كان حرصه على أن يبلغه للناس ، وكان حرصه ـ كذلك ـ على الأمر بكتابته ليرجع إليه أصحابه ، فليسوا مثله ، وإنما هم معرضون للنسيان ، وقد حفظ لنا التاريخ خبر الصحيفة التى كان فيها شىء من القرآن والتى كانت مع أخت عمر بن الخطاب وزوجها عندما فاجأهما عمر يريد الايقاع بهما بعد أن سمع خبر إيمانهما بدين محمد الجديد ، ولابد وأن يكون هناك صحف أخرى فى ذلك الوقت مع المسلمين الأوائل كتبها أصحابها ليرجعوا إليها .

والاجماع منعقد على أن القرآن قد كتب كله فى حياة رسول الله ﷺ بإملائه وتحت إشرافه ، وحفظ التاريخ أسماء كتاب الوحى الذين زاد عددهم عن الأربعين ، وكان منهم الخلفاء الراشدون الأربعة ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، وكان منهم الزبير بن العوام وغير هؤلاء ، وهم جميعا من أهل مكة ومن السابقين الى الاسلام ، وعندما هاجر الرسول ﷺ الى المدينة انضم إليهم من أهلها آخرون منهم زيد بن ثابت وأبى بن كعب وعبد الله بن رواحة .

وتؤكد الروايات الصحيحة أنه مامن آية تلقاها رسول الله ﷺ من ربه إلا وأملاها على أحد هؤلاء الرجال وتأكد من كتابته لها ، وذلك بجانب تلاوتها على جمهور المسلمين وتكرار ذلك فى الصلاة وخارج الصلاة مما سهل لكثير منهم الحفظ وتسجيل ما حفظ إذا كان من أهل الكتابة ، والمسلمون مجمعون على أن الصحابة ما كانوا يكتبون إلا ما يقطعون بسماعه عن النبى ﷺ .

وينبغى الاننسى ما كان للعربى ـ حينذاك ـ من سرعة الحفظ وقوة الذاكرة ، وذلك شىء

طبيعى فى قوم أميين لا يعرفون القـراءة ولا الكتابة ويعولون على الحفظ فى كل ما يهمهم من أمر ، فإذا عرفنا أن القرآن الكريم كان أعز شىء عند المسلم وكان يحرص عليه أكثر من حرصه على نفسه تأكد لنا أن كل ما نزل من القرآن قد استوعب حفظا وكتابة وكيف لايعنى المسلمون بكتاب ربهم وأساس دينهم وقد أثنى الله على من دابه تلاوته فى قوله سبحانه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ . لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ . إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ . ﴾[1]

وبجانب قول الله هذا فقد سمعوا من رسول الله ﷺ ماجعل كل مسلم يسارع الى حفظ كتاب الله ويحاول ألا ينساه ، سمعوا منه :

« من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه »[2]

وسمعوه يقول :

« أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن »[3]

ورأوه ﷺ يؤثر أهل القرآن بإمامة الصلاة فيقول :

« يؤم القوم أكثرهم قرآنا »[4]

وسمعوه يخوف من نسيان القرآن تخويفا شديدا فيقول :

« مامن امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقى الله يوم القيامة أجذم »[5]

وسمعوه يحض على حفظه ودوام تلاوته والعمل به فيقول :

« مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة : ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل الثمرة لا ريح لها وطعمها طيب حلو .. »[6]

ويقول :

« الماهر بالقرآن من السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران . »[7]

والثابت أن القرآن لم يجمع على عهد النبى فى مصحف واحد ، وهذا أمر منطقى ، فالقرآن نزل منجما ، ومنه ما كان إجابة لسؤال أوحديثا عن أمر وقع ويحتاج الى شرح أو تصحيح ، وترتيبه الذى تركه رسول الله ﷺ والذى استقر عليه بعد العرضة الأخيرة ليس ترتيب نزوله ، وكان صلوات الله وسلامه عليه يأمر بوضع مانزل فى مكانه من الترتيب النهائى للقرآن بتوجيه من جبريل وبأمر الله ، فيقول لكاتبه : ضع هذه الآية فى سورة كذا بعد آية كذا .

والثابت المتواتر أن الرسول ﷺ لحق بالرفيق الأعلى والقرآن مرتبة آياته فى كل سورة من سوره كتابة وحفظا ولكنه لم يكن مجموعا فى موضع واحد .

● ● ● ● ● ●

البقيـة ص ١٠٩٢

---

(١) سورة فاطر : الآيتان ٢٩ ، ٣٠

(٢) الحاكم النيسابورى : المستدرك جـ ١ ص ٥٢٢

(٣) البيهقى فى شعب الايمان

(٤) الحاكم النيسابورى : المستدرك جـ ١ ص ٢٤٣

(٥) الفراء : مصابيح السنة جـ ١ ص ١٠٥

(٦) البخارى : كتاب الأطعمة ، ورواه مسلم والنسائى وابن ماجه

(٧) مسلم : جـ ٦ ص ٨٤

درجات الشهداء عند الله

حدثنا يحى بن إسحق انبانا ابن لَهيعةَ عن عطاء بن دينار عن أبى يزيد الخُولانى قال : سمعت فَضَالة بن عُبَيد يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
الشهداء أربعة :

رجل مؤمن جيد الإيمان لقى العدوَّ فصَدَق الله فقتِلَ ، فذلك الذى ينظر الناس إليه هكذا ، ورفع رأسَه حتى سقطت قَلنسُوةِ رسول الله ﷺ أو قلنسوةُ عمر والثانى : رجل مؤمن لقى العَدوَّ فكأنما يُضْرَبُ ظهرُه بشَوْكِ الطلْحِ جاءه سهم غَرْبٌ فقتله ، فذاك فى الدرجة الثانية .

المفردات :

« قلنسوة » : إذا فتحت القاف ضَمَمت السين وإذا ضممت كَسَرت السين قُلُنسِية وهى : التى تلبس فى الرأس وجمعها قلانس ، وقلانيس ، وقَلَنْس ، وَقَلَاسىِّ وقِلاس .

« شوك الطلح » : الشوْك مايَدقُّ ويَصلُب رأسه من النبات والطلح ، جمع طَلْحَة : وهو شجر عظام من شجر العِضاه له شوك ، ويطلق الطلح على الموز وعلى الخالى الجوف من الطعام .

« سهم غَرْب » : الغرب البعد ، والحدَّة ، والدلو العظيمة ومنه حديث الزكاة وماسقى بالغرب ففيه نصف العشر .

وفى الحديث لو أن غربا من جهنم فى الأرض لآذى نتن ريحه ... الحديث . وغَرْب بفتح الغين وفتح الراء ، وسكونها ، وبالإضافة ، وبغيرها ، وقيل هُوَ بالسكون إذا آتاه ـ أى السهم ـ حيث لا يدرى ، وبالفتح إذا رماه فأصاب غيره ، « والغرب » : الذهاب والتنحى ، وأول الشىء ، وحَدُّه ، والنشاط ، والتمادى ، « وغرب كل شىء » حدُّه .

لفضيلة الشيخ
أحمد حسن جابر رجب

والثالث : رجل مؤمن خَلَطَ عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، لقى العدوَّ فصَدَقَ الله عز وجل - حتى قُتِلَ قال : فذاك فى الدرجة الثالثة .
والرابع : رجلٌ مؤمن أسرف على نفسه إسرافاً كثيراً لقى العدوَّ فصَدَق حتى قُتِل فذلك فى الدرجة الرابعة .
أخرجه ، ومثله الإمام أحمد فى مسنده وإسناده حسن ورواه الترمذى عن قتيبة عن ابن لهيعة ، وقال حديث حسن غريب وفى رواية الترمذى « حتى وقعت قلنسوته فلا أدرى قلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبى ﷺ ورواية الترمذى فى هذه العبارة أوضح وأشار إليه البخارى فى كتاب الكنى برقم ٧٨٣ وفى باب من أتاه سهمٌ غرب فقتله ص١١ ، ص٨٧ فتح البارى رقم ٢٨٠٩ .

الدرجة : المنزلة الرفيعة ، والمرقاة ، والمرتبة ، والطبقة .
سيئا : السوء : من معانيه : **الشدة** : فى **البقرة : ٤٩ والأعراف : ١٤١ ، ابراهيم : ٦ ، الرعد : ١٨ ونحوه كثير** .
العَقْر : الأعراف ٧٣ ، الشعراء : ٥٦ ، هود : ٦٤ . **الزنا** : يوسف ٢٥ ، ٥١ ، مريم ٢٨ .
البرص : النمل : ١٢ ، طه : ٢٢ ، القصص : ٣٢ . **العذاب** : **النحل** : ٢٧ ، **الزمر** : ٦١ ، **الرعد** : ١١ . **الشرك** : النحل : ٢٨ ، الروم : ١٠ ، النحل : ١١٩ . **الشتم** : الممتحنة : ٢ ، النساء : ١٤٨ . **يعنى بئس** : الرعد : ١٢ ولهم سوء الدار . غافر : ٥٢ **السوء** : الذنب من المؤمن النساء : ١٧ . إنما التوبة على الذين يعملون السوء بجهالة يعنى الذنب فكل ذنب من المؤمن فهو جاهل[1] به الأنعام : ٥٤ . **السوء**

(١) اى غافل

الضرر : الأعراف : ١٨٨ النمل : ٦٢ **السوء** القتل والهزيمة الأحزاب : ١٧ ﴿ **إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا** ﴾ يعنى القتل والهزيمة والبلية .

الإسراف : الغالب على ذكر الإسراف الإكثار من الذنوب والخطايا . أسرف إسرافا : جاز القصد ، والسرف : مجاوزة الحد فى كل فعل يفعله الإنسان وان كان ذلك فى الإنفاق أشهر ، ويقال تارة باعتبار القدر وتارة بالكيفية ، وكل ماأنفق فى غير طاعة فهو سرف ، وإن كان قليلا ، فتناول الإسراف فى المال وفى غيره .

المعنى :

الجهاد ـ بكسر الجيم أصله لغة : المشقة يقال جهدت جهادا بَلَغْتُ المشقة . وشرعا بذل الجهد فى قتال الكفار . ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس ، والشيطان ، والفساق ، **فأما مجاهدة النفس** . فعلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ثم تعليمها . **وأما مجاهدة الشيطان** : فعلى دفع مايأتى به من الشبهات ، ومايزينه من الشهوات . **وأما مجاهدة الكفار** : فتقع باليد ، والمال ، واللسان ، والقلب . **وأما مجاهدة الفساق** : فاليد ، ثم اللسان ، ثم القلب . وقد روى النسائى من حديث سَبْرةَ ـ بفتح السين وسكون الباء ـ ابن الفاكه بالفاء وكسر الكاف بعدها هاء فى أثناء حديث طويل قال « فيقول أى الشيطان يخاطب الإنسان تجاهد فهو جهد النفس والمال » . واختلف فى جهاد الكفار هل كان أولا فرض عين أو كفاية ؟ .

وللناس فى الجهاد حالان : **إحداهما : فى زمن النبى ﷺ والأخرى** بعده : **فأما الأولى : فأول** **ماشرع الجهاد بعد الهجرة النبوية إلى المدينة اتفاقا ، ثم بعد أن شُرِع هل كان فرض عين أو كفاية ؟ قولان مشهوران للعلماء : وهما فى مذهب الشافعى ، وقال الماوردى : كان عينا على المهاجرين دون غيرهم ، ويؤيده وجوب الهجرة قبل الفتح إلى المدينة .**

وقال السهيلى : كان عينا على الأنصار دون غيرهم ، ويؤيده مبايعتهم النبى ﷺ ليلة العقبة على أن يؤوا رسول الله ﷺ وينصروه ، فيخرج من قولهما : ـ أى الماوردى والسهيلى : أنه كان عينا على الطائفتين كفاية فى حق غيرهم ، ومع ذلك فليس فى حق الطائفتين على التعميم بل فى حق الأنصار إذا طرق المدينة طارق . وفى حق المهاجرين إذا أريد قتال أحد من الكفار ابتداء ويؤيد هذا ماوقع فى قصة (بدر) فيما ذكره ابن إسحق ، فإنه كالصريح فى ذلك . وقيل : كان عينا فى الغزوة التى يخرج فيها النبى ﷺ دون غيرها .

والتحقيق أنه كان عينا على من عينه النبى ﷺ فى حقه ولو لم يخرج[1] .

الحال الثانية : بَعْدُه ﷺ ـ فهو فرض كفاية على المشهور إلا أن تدعو الحاجة إليه كأن يَدْهَم العدوُّ . ويعين على من عينه الإمام ـ ويتأدى فرض الكفاية بفعله فى السنة مرة عند الجمهور ومن حجتهم أن الجزية تجب بدلا عنه ، ولاتجب فى السنة أكثر من مرة اتفاقا فليكن بدلها كذلك ، وقيل يجب كلما أمكن وهو قوى . والله أعلم .

قال الخَطابى وغيره : كانت الهجرة فرضا فى أول الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع ، فلما فتح الله مكة دخل الناس فى دين الله أفواجا فسقط فرض الهجرة

(١) انظر الروض الأنف . شرح سيرة ابن هشام السهيلى .

إلى المدينة وبقى فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدوٌ والجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق .

وفى هذا الحديث بيان أصناف المجاهدين ، ودرجاتهم فى الثواب بحسب نياتهم ، فأعلى منزلة فى الشهداء المؤمن الصادق المخلص عند لقاء العدو لايرى إلا قُرْبَهُ من ربه ، غير مكترث بما يصيبه من الم القتال ، صابرا محتسبا يريد أن يَقْتِل ويقتل ورءوس الناس يوم القيامة ترتفع إليه لعلو مرتبته ولا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة ، وسمى هذا المجاهد صاحب الدرجة الأولى فى حديث أبى الدرداء الذى رواه الإمام أحمد بن حنبل والطبرانى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى يسمى بالشهيد الممتحن فى جنة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة ، وفى رواية البزار والبيهقى والأصبهانى « أنه يجىء يوم القيامة شاهرا سيفه واضعه على عاتقه والناس جاثون على الركب يقول : افسحوا لنا ، فإنا قد بذلنا دماءنا وأموالنا لله تبارك وتعالى » .

وهذان الحديثان المشار إليهما يوضحان رفع النبى ﷺ راسه حتى سقطت قلنسوته أو قلنسوة عمر - شك من الراوى - حين تابع النبى ﷺ فى رفع راسه مثله ليرى هذه المنزلة لهذا الشهيد عن طريق الكشف النبوى وقت ذكر الحديث عن منزلته - من باب تقريب المعنى المرئى بالبصيرة إلى المرئى بالبصر زيادة فى الايمان .

وبين فى حديث البزار درجة هذا الصنف : بأنهم يأتون منابر من نور تحت العرش فيجلسون عليها ينظرون كيف يُقْضَى بين الناس ، لا يجدون غم الموت ولاسكراته ولا يغتمون فى البرزخ ولا تفزعهم الصيحةُ ، ولا يُهمُّهم الحساب ، ولا الميزان ، ولا الصراط ولا يسألون شيئا إلا أعطوا ، ولا يشفعون فى شىء إلا شفِّعوا فيه ، ويُعطَونْ من الجنة ماأحبوا ويتبوءون من الجنة حيث أحبوا[1] .

واما الثانى من اصناف المجاهدين : فرجل مؤمن كأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن ، كناية عن اقشعرار جلده من الخوف والفزع وارتعاد اعضائه من الم القتل وخرج بنفسه وماله مع ماجدث له كما جاء فى الحديث المشار إليه أنفا لا يريد أن يقاتل ولا يُقْتَل بل يكثِّر سواد المسلمين جاء سهمٌ غَرْبٌ[2] اى لا يعرف راميه ، او لا يعرف من اين أتى ، أو جاءه على غير قصد من راميه ، قاله أبو عبُيد وغيره .

وجزاء هذا الصنف الثانى من الشهداء إن مات او قتل غفرت له ذنوبه كلهُا وأُجير من عذاب القبر ويوضع على رأسه تاج الوقار ، والخلد ، ويؤمن من الفزع ويزوج من الحور العين ، وحلت عليه حُلَّةُ الكرامة وفى حديث البخارى انها جنات فى الجنة واصاب الفردوس الأعلى .

واما الثالث من اصناف الشهداء : فرجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا اى ذنبا جاهلا به وغافلا عنه ، وخرج بنفسه وماله محتسبا يريد أن يَقْتُل ولا يُقْتَل فإن مات أو قتل محا القتلُ ذنوبه وخطاياه ، لأن السيف مَحَّاء للخطايا ، وادخل من ايِّ ابواب الجنة شاء ، فإن لها ثمانية ابواب ، ولجهنم سبعة ابواب - ، وبعضها افضل من بعض كما ورد حديث ابن حيان والطبرانى .

الصنف الرابع من الشهداء : رجل مؤمن

---

(١) مقتبس من حديث البزار والبيهقى الترغيب والترهيب جـ٢ ص٣١٦ ، ٣١٨

(٢) بتنوين سهم ، وبفتح الغين وسكون الراء .

أسرف على نفسه إسرافا كثيرا وأخلص فى قتاله محتسبا لله نفسه وماله فيشمله - والله أعلم - قوله تعالى فى سورة الزمر ٣ .

﴿ قُلْ يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ويمحو القتل فى سبيل الله ذنوبه ويكون إن شاء الله فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، لأنه مع مجاوزته الحد فى الذنوب والخطايا صدق فى جهاده حتى قتل والجهاد يغسل الذنوب ويطهر صحيفة المجاهد ويكثر من الحسنات ورفع الدرجات ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفساق اترك . وفى حديث البخارى عن أبى هريرة ... إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض ولا ينفى هذا أن يكون فى الجنة درجات أخرى أعدت لغير المجاهدين دون درجة المجاهدين .

*وفى رواية عند الترمذى مابين كل درجتين مائة عام .

والطبرانى من هذا الوجه وخمسمائة عام .

واختلف فى تسمية الشهيد شهيدا فقال النضر ابن شميل لأنه حى فكأن أرواحهم شاهدة أى حاضرة وقال ابن الأنبارى : لأن الله وملائكته يشهدان له بالجنة .

وقيل : لأنه يشهد عند خروج روحه ماأعد له من الكرامة .

وقيل : لأنه يشهد له بالأمان من النار .

وقيل : لأن عليه شاهدا بكونه شهيداً .

وقيل : لأنه لا يَشْهَدُهُ عند موته إلا ملائكة الرحمة .

وقيل : لأنه الذى يشهد يوم القيامة بابلاغ الرسل .

وقيل لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة .

وقيل : لأن الأنبياء تَشهدِ له بحسن الاتباع لهم .

وقيل : لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة .

وقيل : لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا وبعض هذه الاقوال يختص بمن قتل فى سبيل الله ، وبعضها يعم غيره ، وبعضها قد ينازع فيه .

وفى أحاديث صحيحة كثيرة شهداء سوى القتل فى سبيل الله هم : الحريق وصاحب ذات الجنب ، والمرأة تموت بُجمْع ، والمبطون ، والمطعون ، والغريق ، وصاحب الْهَدْم .

وذات الجنب مرض معروف وجمع - بضم الجيم وسكون الميم وقد تفتح الجيم وتكسر أيضا وهى النفساء . وقيل التى يموت ولدها فى بطنها ، ثم تموت بسبب ذلك . وقيل التى تموت بمزدلفة وهو خطأ ظاهر وقيل التى تموت عذراء والأول اشهر كل هؤلاء فى رواية ابى هريرة والنسائى .

وروى أصحاب السنن (من قتل دون ماله فهو شهيد) وفى الدَّيْن والدم والأهل مثل ذلك والنسائى مرفوعا (من قبل دون مظلمته فهو شهيد) وفى بعض الأحاديث : « الشهداء سبعة غير القتل فى سبيل » ، وفى بعضها خمسة ، والذى يظهر أن النبى ﷺ - اعلم بالأقل ، ثم أعلِم زيادة على ذلك فذكرها فى وقت آخر ولم يقصد - ﷺ - الحصر فى عهد معين .

قال ابن حجر وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة ، وفى البخارى من وَقَصة فَرَسُه ، أو بَعيُره ، أو لدغته هامة ، أو مات على فراشة على أى حَتف شاء الله تعالى فهو شهيد .

وصحح الدارقطنى من حديث ابن عمر (موت الغريب شهادة) ولابن حبان من حديث أبى هريرة « من مات مرابطا مات شهيدا » الحديث .

وللطبرانى من حديث ابن عباس مرفوعا « والمرء يموت على فراشه فى سبيل الله شهيد » وقال ذلك أيضا فى المبطون ، واللديغ ، والغريق ، والشريق ، والذى يفترسه السبع ، والخارُّ عن دابته ، والمائد فى البحر الذى يصيبه القىء له أجر شهيد ، وأحاديث فيمن طلب الشهادة بنية صادقة أنه يكتب شهيدا .

وفى كتاب الطب فى البخارى حديث فيمن صبر فى الطاعون أنه شهيد ، وأن من يتردى من رءوس الجبال وتأكله السباع ويغرق فى البحار لشهيد عند الله .

قال ابن التين : هذه كلها ميتات فيها شدة تَفَضَّلَ الله على أمة محمد ﷺ بأن جعلها تمحيصا لذنوبهم وزيادة فى أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء ولا حرج على فضله تعالى .

والذى يظهر أن المذكورين ليسوا فى المرتبة سواء ويدل عليه ماروى أحمد وابن حبان فى صحيحه من حديث جابر ، والدارمى ، وأحمد والطحاوى من حديث عبد الله بن حبشى وابن ماجه من حديث عمر وابن عنبسة أن النبى ﷺ سُئِلَ : أى الجهاد أفضل ؟ قال : « من عقر جواده ، وأهريق دمه » .

وروى الحسن بن على الحلوانى فى كتاب المعرفة له باسناد حسن من حديث ابن أبى طالب قال : « كل موتة يموت بها المسلم فهو شهيد غير أن الشهادة تتفاضل » .

وخلاصة ماذكر فى هذه الأحاديث أن الشهداء قسمان :

شهيد الدنيا والآخرة :

وهو من يقتل فى حرب الكفار مقبلا غير مدبر مخلصا .

وشهيد الآخرة :

وهو من ذكر بمعنى أنهم يعطون من جنس أجر الشهادة ، ولا تجرى عليهم أحكام الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله فى الدنيا .

وفى حديث العرباض بن سارية عند النسائى وأحمد ، ولأحمد من حديث عتبة بن عبد نحوه مرفوعا : « يختصم الشهداء والمتوفون على الفُرُشِ الذين يتوفون من الطاعون فيقول : انظروا إلى جراحهم ، فإن أشبهت جراح المقتولين ، فانهم معهم ومنهم فإذا جراحهم قد أشبهت جراحهم » .

وإذا تقرر ذلك فيكون إطلاق الشهداء على غير المقتول فى سبيل الله مجازا فيحتج به من يجيز استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه والمانع يجيب بأنه من عموم المجاز ، فقد يطلق الشهيد على من قتل فى حرب الكفار ولكن لا يكون له ذلك فى حكم الآخرة لعارض يمنعه كالانهزام وفساد النية .

وفى الحديث فضيلة ظاهرة للمجاهدين .

وفى أحاديث الباب عظم الجنة وفيه تنزيل المغيب منزلة المحسوس تحقيقا له فى النفس ، لكون الدنيا محسوسة فى النفس مستعظمة فى الطباع ، فلذلك وقعت المفاضلة بها وإلا فمن المعلوم أن جميع مافى الدنيا لايساوى ذرة مما فى الجنة وفيها تسهيل أمر الدنيا وتعظيم أمر الجهاد .

والله يتولانا بعين رعايته إنه ولى التوفيق ومسديه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

أحمد حسن جابر رجب

أدب الإسلام

مع الأجنبيات

روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة ابى الربيع الدمشقى عن مكحول قال : قال النبى ﷺ : « يقول الله تعالى يابن آدم قد أنعمت عليك نعما عظاما لا تحصى عددها ، ولا تطيق شكرها ، وإن مما انعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما ، وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك إلى ماأحللت لك ، وإن رأيت ما حرمت عليك فاطبق عليهما غطاءهما ، وجعلت لك لسانا ، وجعلت له غلافا فانطق بما أمرتك ، وأحللت لك ، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فاغلق عليك لسانك ، وجعلت لك فرجا ، وجعلت لك سترا فاصب بفرجك ما احللت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فارخ عليك سترك . ابن آدم إنك لا تحمل سخطى ، ولا تطيق انتقامى » .[1]

هذا الحديث القدسى الشريف يلفت الأنظار إلى بعض نعم الله الكبرى على الإنسان ، فلو دقق ابن آدم فى النعم المحيطة به ، أو التى يحملها هو فى ذاته ، لوجد أنها نعم لا تعد ، ولا تحصى ، ولو ظل يفكر ويتأمل ، ويتدبر لوجد أن الشكر عليها لا يفى بحقها ، فالحديث إذاً يحضنا على كيفية استخدام نعم الله علينا فى انفسنا فيعيش الناس على ذكر من نعمة ربهم ، قال تعالى :« وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّـهِ لَا تُحْصُوهَا »[2] . وعلى هدى من أمر

(١) الحديث استدل به الحافظ ابن كثير فى تفسيره ٥١٢/٤ ط الحلبي ، ولم يعقب عليه .. وتابعناه فى موضوعات ، تنزيه الشريعة المرفوعة للكناني ، فلم نعثر عليه موضوعاً مما يحمل على الظن بقبوله .

(٢) إبراهيم ٣٤ .

رسولهم ﷺ في توجيهاته ، ففي هذه الآية الكريمة يؤكد سبحانه عجز العباد عن إحصاء النعم ، فضلا عن القيام بشكرها قال طلق بن حبيب ـ رحمه الله ـ : إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ، ولكن أصبحوا تائبين ، وامسوا تائبين .[3]

وجاء في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ كان يقول :

« اللهم لك الحمد غير مكفى ، ولا مودّع ، ولا مستغنى عنه ربَّنا » .[4]

وفي الأثر أن داود عليه السلام ، قال : يارب كيف أشكرك ، وشكرى لك نعمة منك عليَّ ؟ فقال الله تعالى : الآن شكرتنى يا داود ،

أى حين اعترفت بالتقصير عن أداء شكر المنعم .[5]

قال الإمام الشافعي رحمه الله : الحمد لله الذى لا يؤدى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة حادثة توجب على مؤديها شكره بها .

وفي ذلك يقول الشاعر :

لو كل جارحة منى لها لغة
تثنى عليك بما أوليت من حسن
لكان ما زاد شكرى إذ شكرت به
إليك ابلغ في الإحسان والمنن[6]

ومع ذلك ففى فضل الله متسع ، جاء في التنزيل العزيز : « **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** »[7] اى لئن شكرتم نعمتى عليكم لأزيدنكم منها[8] ، وفي الحديث : « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه »[9] .

وفي صحيح مسلم عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ ، فيما يرويه عن ربه عز وجل انه قال : « .... يا عبادى لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكى شيئا ، إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر » . فسبحانه وتعالى الغنى الحميد[10] .

---

(٣) تفسير الطبري ١٥١/١٣ .
(٤) صحيح البخاري ـ الأطعمة .. باب ما يقول إذا فرغ من طعامه .. عن ابي امامة .
(٥) تفسير ابن كثير ٥٤٠/٢ .
(٦) المصدر نفسه .
(٧) إبراهيم من الآية ٧ .
(٨) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٢٣ ط الحلبي .
(٩) المصدر نفسه .
(١٠) سنن ابن ماجة عن ثوبان باب ، في القدر ، الحديث ٩٠ : ٣٥/١ ، وكتاب الفتن : باب ، العقوبات ، الحديث : ٤٠٢٢ : ١٣٣٤/٢ ، وراجع تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٩٩ ط الشعب .

والحديث أيضاً يشير إلى نعمة من أجلّ النعم وهي نعمة البصر، والتى أشار إليها التنزيل العزيز بقوله تعالى «أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ»(١١).

فحدد الحديث وظيفة البصر التى يجب أن يعمل فى مجالها، وهو النظر إلى الحلال واخبر بأن الله جعل لهما غطاءان، وأمره أن ينظر إلى ما أحله الله، فإن راى ما يغضب الله، فعليه أن يطبق عليهما غطاءهما، أى: «جفناهما».

والحديث هنا يشير إلى الآية الكريمة:
«قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(١٢).

فهذا أمر من الله سبحانه لعباده المؤمنين أن يغضوا أبصارهم عما حرمه الله عليهم، فلا ينظرون إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا ابصارهم عن المحارم(١٣).

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن جرير بن عبد الله البجلى - رضى الله عنه - قال: سألت النبى ﷺ عن نظرة الفجاة، فأمرنى أن أصرف بصرى(١٤).

وفى الصحيح عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوس على الطرقات» قالوا: يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا نتحدث فيها، فقال رسول الله ﷺ: إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه» قالوا: وما حق الطريق يارسول الله؟ قال:

«غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»(١٥).

«ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ»

أى أطهر لقلوبهم، وأنقى لدينهم، كما قيل: من حفظ بصره أورثه الله نورا فى بصيرته، ويروي: «فى قلبه»(١٦)

وأخرج الامام احمد بسنده عن أبى امامة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«ما من مسلم ينظر إلى محاسن امراة [أول مرة] ثم يغض بصره، إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها»(١٧).

وأخرج الطبرانى بسنده عن أبى امامة مرفوعاً:

«لتغضن أبصاركم، ولتحفظن فروجكم، ولتقيمن وجوهكم، أو: لتكسفنّ وجوهكم»(١٨).

وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة: فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، وزنا الأذنين الاستماع، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين الخطى، والنفس تمنى، وتشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»(١٩)

(١١) البلد: ٨.
(١٢) النور: من الآية: ٣٠.
(١٣) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٢٨١ ط الحلبي.
(١٤) مسلم: كتاب الآداب باب «نظر الفجاة» ٦/١٨١، ١٨٢.
(١٥) البخاري: كتاب المظالم باب «افنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات: ٣/١٧٣، وكتاب الاستئذان، باب قول الله تعالى: ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً» ٨/٦٣، ومسلم: كتاب اللباس، باب «النهي عن الجلوس في الطرقات» ٦/١٦٥.
(١٦) تفسير ابن كثير جـ٦ ص ٤٤ ط الشعب.
(١٧) مسند الامام احمد: ٥/٢٦٤، وما بين القوسين من المسند.
(١٨) تفسير ابن كثير جـ٦ ص ٤٥ ط الشعب.
(١٩) البخاري: كتاب الاستئذان، باب «زنا الجوارح دون الفرج» ٨/٦٧.

وأخرج أبو القاسم البغوى بسنده عن أبى أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اكفلوا لى بست أكفل لكم بالجنة »

إذا حدث أحدكم فلا يكذب ، وإذا أؤتمن فلا يخن ، وإذا وعد فلا يخلف ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم »[٢٠] .

ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب قال بعض السلف : النظر سهم سم إلى القلب[٢١] .

ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التى هى بواعث إلى ذلك ، وحفظ الفرج تارةيكون بمنعه من الزنا كما قال سبحانه « **والّذين هُمْ لِفُرُوجِهِم حَافِظُونَ** »[٢٢] . وتارة يكون بحفظه من النظر إليه كما جاء فى الحديث فى مسند الإمام أحمد والسنن : « احفظ عورتك إلا من زوجتك ، أو ما ملكت يمينك »[٢٣] .

أخرج ابن أبى الدنيا بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل عين باكية يوم القيامة إلا عينا غضت عن محارم الله ، وعينا سهرت فى سبيل الله ، وعينا يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله »[٢٤] عز وجل .

وكما أمر الله سبحانه المؤمنين بغض البصر أمر المؤمنات بغض أبصارهن ففى التنزيل العزيز : « **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ** ... »[٢٥] . فهذا أمر من الله سبحانه للنساء والمؤمنات ، وغيرة منه ـ سبحانه ـ لأزواجهن عباده المؤمنين ، وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية ، وفعال المشركات .[٢٦]

فالأمـر فى :

« **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** » لبيان ما حرم الله عليهن من النظرّ إلى غير أزواجهن ، ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة ، ولا بغير شهوة أصلا ، واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود والترمذى من حديث الزهرى عن نبهان مولى أم سلمة ، أن أم سلمة رضى الله عنها حدثته أنها كانت عند رسول الله ﷺ ، وميمونة ، قالت : فبينما نحن عنده اقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ : « احتجبا منه » فقلت : يارسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أو عمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه ؟ »[٢٧] قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . وذهب آخرون من

---

(٢٠) فى البخاري ، من يكفل لي ما بين لحييه ، وما بين رجليه ، اكفل له الجنة ، كتاب الرقاق باب ، حفظ اللسان ، : ١٢٥/٨ .

(٢١) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٥٢٣ .

(٢٢) المؤمنون : ٥ .

(٢٣) مسند الامام احمد ٤/٣/٥ ، وسنن ابي داود : كتاب الحمام ، باب ما جاء في التعري الحديث : ٤٠١٧ ، ٤/٤٠-٤١ ، وتحفة الأحوذي : باب الاستئذان ، وباب ما جاء في حفظ العورة ، الحديث : ٢٩٤٦ ، ٧٧/٨ ، ٧٨ .

(٢٤) الأثر في الدر المنثور عن ابي الدنيا والديلمي : ٤١/٥ .

(٢٥) النور من الآية : ٣١ .

(٢٦) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٢٨٣ ط الحلبي .

(٢٧) سنن ابي داود : كتاب اللباس ، باب في قول الله عز وجل : « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن » ، الحديث ٤١١٢ : ٤/٦٣ ـ ٦٤ ، وتحفة الاحوذي : ابواب ، لإستئذان باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال ، الحديث ٢٩٢٨ : ٨/٦١ ـ٦٢ .

العلماء إلى جواز نظرهن إلى الأجانب بغير شهوة ، كما ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد فى المسجد ، وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من ورائه ، وهو يسترها منهم حتى ملت ورجعت .(٢٨)

ويستمر الحديث فى مخاطبة ابن آدم قائلا : « وجعلت لك لسانا » جاء فى التنزيل العزيز : « وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ »(٢٩) ، « لِسَانا » ينطق به فيعبر عما فى ضميره ، « وَشَفَتَيْنِ » يستعين بهما على الكلام ، وأكل الطعام ، وجمالا لوجهه وفمه .(٣٠)

وهذا اللسان له وظيفة هامة ، وهى النطق بما أمر الله ، فإن غلبك على أمرك فأغلق عليك لسانك وفى الحديث أيضا : « وجعلت لك فرجا ، وجعلت لك سترا .. الخ »

وهذا مما يتفق والتنزيل العزيز من أمر الرجال بغض أبصارهم ، وحفظ فروجهم : « قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ »

كما وجه الأمر ايضا إلى النساء : « وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ »

قال سعيد بن جبير فى قوله : « وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ » اى عن الفواحش ، وقال قتادة ، وسفيان : عما لايحل لهن ، وقال مقاتل : عن الزنا ، وقال أبو العالية : كل آية نزلت فى القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا إلا هذه الآية : « وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ » أن لا يراها احد(٣١) .

ثم يقول الحديث : « فأصب بفرجك ما أحللت لك ، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك » أى عِفَّ نفسك عن الوقوع فى هذه القاذورات .

ثم يتوجه الحديث بالنداء الحاسم لابن آدم فى أنه لا يستطيع تحمل سخط الله الذى ينزله على العاصين اللاهين العابثين ، فهم لا يتحملون عقاب الله ، ولا يطيقون انتقامه .

والحديث يُوَجِّهُ :

محافظة المسلم على طهارة قلبه ، فيغض بصره عن النظر الى الأجنبيات ، وفي هذا أنجع الحلول لإغلاق مهب الشهوات ، وفي الزواج إشباع الغريزة وابقاء العفة ، ويحذر الحديث أن سيطرة الصور المتبرجة على المرء ووجدانه ، وتلمس من الحديث الحث على النكاح ففي الأثر « لا ضرورة في الاسلام » .(٣٢)

وفي الحديث تحذير موجه الى الجنسين : الذكر والأنثى ، المؤمن والكافر على حد سواء ؛ فعلى المسلمة أن تحافظ على حشمتها فلا تخرج سافرة تلفت الأنظار إليها ، وعلى الناس جميعاً وبخاصة كل مسلم ومسلمة اتقاء غضب الله وسخطه ، فلا ينحرفوا ، فإن أحداً لا طاقة له بغضب الله أو انتقامه .

---

(٢٨) البخاري : كتاب الصلاة .. باب ، اصحاب الحراب في المسجد : ١٢٣/١ ، ومسلم : كتاب صلاة العيدين باب ، الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه ايام العيد : ٢١/٣ -٢٢ .

(٢٩) البلد : ٩

(٣٠) تفسير ابن كثير ج ـ٤ ص ٥١٢ ط الحلبي .

(٣١) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٨٣

(٣٢) المسند جـ ٤ رقم ١٨٤٥ ، والصرورة من لم يتزوج ، المعجم الوسيط مادة « صرّ » ..

دعوة إلى الأمة الإسلامية

لتدريس العسكرية الإسلامية في معاهدها

للواء . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

من توصيات المؤتمر العالمي الثالث للسيرة :

● جاء في توصيات المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية الذي عقد بالدوحة في المحرم عام ١٤٠٠ هـ مايلي :

« إعتماد العقيدة العسكرية[١] الاسلامية - دون غيرها - في الجيوش الاسلامية والعمل على إصدار كتب فيها وتطبيق أصولها في التدريب والتعليم والسلوك العسكري مع الاهتمام بانتقاء الضباط من العناصر المؤمنة حرصا على القدوة الطيبة ، واختيار العلماء المخلصين لتولي الارشاد في الجيش والحرص على بناء المساجد في ثكناتها العسكرية . »[٢]

---

(١) « العقيدة العسكرية » اصطلاح تعارف عليه العسكريون وترجمته بالانجليزية Military Doctrine ، وهي كلمة لاتينية الأصل معناها :

النظرية العلمية أو الفلسفية - والعقيدة لغويا : هي الحكم الذي لا يُقبل الشك فيه لدى مُعتقده .. والعقيدة العسكرية في العلم العسكري هي « السياسة العسكرية المرسومة التي تعبر عن وجهات النظر الرسمية للدولة فيما يتصل بالمسائل والقواعد الأساسية للصراع المسلح ، وما يتعلق بطبيعة الحرب وغاياتها (من وجهة نظرها) وطرق إدارتها والأسس الجوهرية لإعداد البلاد والقوات المسلحة للحرب .

(٢) راجع مقالنا « العسكرية الاسلامية في مقررات المؤتمر العالمي للسيرة والسنة في عدد صفر ١٤٠٥ من المجلة » .

● وجاء في توصيات المؤتمر الدولي الذى عقد في لندن في ربيع الأول عام ١٣٩٩ حول « الدفاع والعالم الاسلامى » والذى شاركنا فيه أيضا مايلي :

يوصى المؤتمر بأن تتخذ الأمة الاسلامية عقيدة عسكرية واحدة تجتمع عليها كلمتها ، وان هذه العقيدة وكل النظريات الأساسية المتعلقة بالدفاع الاسلامي يجب انْ تستقي من القرآن الكريم والسنة المطهرة » ..

« Recommend that the Muslim Ummah be unified into a single military doctrine and that this doctrine and all the basic theories pertaining to matters of islamic defence must draw their inspiration (٣)from the holey Quran and Sunnah.»

محاولات طمس معالم العسكرية الاسلامية :

ولقد كان الدافع لنا وراء ما نادينا به ـ ومازلنا ـ في المؤتمرات الدولية وفي الصحف ووسائل الاعلام العربية والاسلامية هو أن القادة العسكريين في أغلب دول العرب والاسلام يؤسسون دراساتهم على النظريات والعقائد العسكرية والتاريخ الحربى نقلا عن الغرب أو الشرق ، وهو أمر ينطوى على أخطار ينبغى أن نتنبه إليها ونتصدى لها نذكر منها على سبيل المثال :

١ ـ ترسيخ الاعتقاد بأنه ليس للاسلام « فن حربى » ولا « نظريات عسكرية » ولا « أعمال قادة » ولا « تاريخ حربى » يستحق الدراسة ، فتنطمس بذلك معالم « العسكرية الاسلامية » التى هى بحق من الجوانب الرائدة في حضارة الاسلام .

٢ ـ ترسيخ الاعتقاد بأن الأمة العربية والاسلامية لا تستطيع إلا أن تكون « تابعة لغيرها » في كل مجالات الحياة ومنها المجال الحربى .

٣ ـ تحويل أبناء هذه الأمة العريقة عن مقوماتهم الأساسية ، وقطعهم عن كل ماهو أصيل في حياتهم ، وتحويل اتجاهاتهم بعيدا عن كل مايتصل بالدين والقيم والأخلاق والكيان النفسى الذاتى .

٤ ـ ومما يساهم في خلق المناخ الذى يدعم هذه الاتجاهات ويحقق لها أهدافها ، الصيحات الهدامة التى تنطلق في بعض أجوائنا منادية بأن الطريق الى التقدم إنما هو في تصفية التراث القديم والانصهار الكامل في بوتقة المدنية الغربية .

---

(٣) انظر نصوص وابحاث المؤتمر وتوصياته في :
«Proceedings of Lnternational Conference on Defence And the Muslim World»

الصادر من المعهد الاسلامى لشئون الدفاع والتكنولوجيا بلندن .

Islamic Institute Of Defence Technology – London .

٥ ـ نضيف الى ذلك محاولات التهوين من قيمة العسكرية الاسلامية فى كتابات المؤرخين الأجانب ، فمنهم من ادعى أن الاسلام متخلف فى المجال الحربى ، ومنهم من علل سرعة الفتح الاسلامى باندفاع الغرائز الحربية المتأصلة فى المسلمين منذ الجاهلية التى تدفعهم الى السلب واعمال القرصنة ، واضاف الى ذلك ضعف الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية .(٤)

على طريق النهضة الحضارية :

من أجل ذلك ينبغى على الأمة الاسلامية وهى تسعى نحو النهضة الحضارية الشاملة أن تجعل من اهم أركان هذه النهضة « إحياء العسكرية الاسلامية » فى قلوب وعقول ابنائها ، حتى تعود الى اداء دورها فى إقامة صرح الحضارة المرجوة مثلما أدت دورها فى الماضى فى بناء الحضارة الاسلامية والحضارة الانسانية بالتالى .

ونقطة الانطلاق فى يقينى هى تدريس مادة العسكرية الاسلامية والتاريخ الحربى الاسلامى فى المدارس والمعاهد والكليات العسكرية ، ومعها ـ فى الوقت نفسه ـ يتم تدريس العلوم والنظريات العسكرية المعاصرة فى الشرق والغرب والمعارك الحربية البارزة فى التاريخ الحربى على مر العصور ، مع المتابعة المستمرة لكل ماهو جديد فى فنون الحرب وأساليب القتال وأسلحته .

المنهج الذى نقترحه :

ولمناسبة انعقاد المؤتمر الدولى الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة فإننى أقترح لتدريس مادة العسكرية الاسلامية منهجا نوضح خطوطه العريضة فيمايلى :ـ(٥)

---

(٤) انظر تفاصيل كتابات المؤرخين الأجانب فى المراجع التالية على سبيل المثال :

● The Ensyclopedida Of Military History (By Ernest Dupuy & Trevor N . Dupuy)

من صفحة ١٩٩ الى ٢١٠

● War Through The Ages (By Lynn Montross)

من صفحة ١٢٠ الى ١٢٣

● The Arabs, A Short Rlistory (By Philp K . Hitty)

من صفحة ٤٣ الى ٤٦

● The Ensyclopedia Britanica (Vol2)

صفحة ٤٠٥

(٥) انظر كتابنا « المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية » الطبعة الثانية لدراسة التفاصيل والاسترشاد بها .

١ - العقيدة العسكرية الاسلامية :

مصادرها : القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - خصائص العقيدة العسكرية الاسلامية التى تميزها عن العقائد العسكرية الأخرى .

٢ - مشروعية القتال فى الاسلام :

الاسلام دين السلام - أسباب القتال فى الاسلام - الحرب العادلة وآثارها الاستراتيجية .

٣ - الجهاد فى سبيل الله :

الجهاد هو جوهر العقيدة العسكرية الاسلامية - ارتباط الجهاد بالايمان - الجهاد ماض الى يوم القيامة - أحكام الجهاد - حالات الاعفاء من الجهاد - ثواب المجاهدين - التخلف عن الجهاد وعقاب المتخلفين - الجهاد وبناء الكيان العسكرى للأمة - نجدة الدول المعتدى عليها بمنطق العصر .

٤ - آداب الحرب فى الاسلام :

منع قتل غير المحاربين ومنع التخريب - معاملة الأسرى - منع التمثيل بالقتلى وتعذيب الجرحى - الوفاء بتأمين المحارب - سماحة الاسلام - عقد الصلح - سبق الاسلام للقانون الدولى .

٥ - بناء المقاتل :

منهج الاسلام فى بناء الشخصية الاسلامية على التوحيد فى العقيدة والأخلاق - الصحة النفسية - الصحة البدنية .

٦ - اعداد القادة :

القيادة أمانة ورسالة - معايير اختيار القادة - صفات القيادة - محمد رسول الله ﷺ المثل الكامل - أنماط القيادة الاقناعية والارغامية - مبادىء القيادة - إعداد قادة المستقبل .

٧ - الانضباط والتقاليد العسكرية :

بناء الانضباط فى الاسلام على أساس الحرية والكرامة الانسانية - تنمية الضمير الدينى - تقدير المسئولية والاخلاص فى العمل - الجمع بين الأساس العقلى والتدريب العملى لغرس الانضباط وتنمية - الاسلام والتقاليد العسكرية : الطاعة - النظام - الأقدمية فى الرتب - العناية بالأسلحة والمعدات - الأخلاق الفاضلة .

٨ - بناء الروح المعنوية وإرادة القتال :

العوامل المعنوية فى التخطيط الاستراتيجى - القتال عن عقيدة وبناء المقاتل العقيدى - التكليف بالجهاد تكريم وتشريف - تنمية الاحساس بالخطر المحدق بالأمة - الثقة بالنفس والقائد والسلاح والأمة - التحصين المعنوى ضد شدائد الحرب - أسس الثبات فى الميدان - التعبئة المعنوية قبل المعركة وخلالها - رفع المعنويات بالعمل العسكرى - طرق استعادة المعنويات .

٩ - بناء روح الفريق :

النظرية الاسلامية فى بناء روح الفريق -

الوحدة والتعاون ـ فضيلة إنكار الذات ـ الفخر والانتماء للجيش ـ روح التنافس الشريف ـ الاعلام والرايات ـ دور القيادة الرشيدة فى تنمية روح الفريق وعلاج العوامل المؤثرة عليها .

١٠ ـ التدريب على القتال :

موضوعات التدريب : تقوية الأجسام ـ التدريب على السلاح والرماية ـ الفروسية ـ محو الأمية .

مبادىء التدريب : إستخدام العقل والحواس ـ الاتقان ـ استمرار التدريب بلا انقطاع ـ المنافسة ـ تدريب القادة .

أداب معلم الجنود : العلم ـ القدوة ـ قوة البيان ـ مراعاة مقتضى الحال ـ البعد عن الغرور ـ الحلم وسعة الصدر ـ الرجوع الى الحق ـ ملاحقة مستويات الكفاءة القتالية المعاصرة .

١١ ـ العلم والبحث العلمي والتطور :

العلم والاستراتيجية العسكرية ـ عناية الاسلام بالعلم والبحث العلمي والتطور ـ المنهج العلمى منهج اسلامى ـ التطور ضرورة حيوية لسلامة الأمة وأمنها ـ ملاحقة مقتضيات العصر ـ العلم العسكرى والتاريخ الحربى وفن الحرب .

١٢ ـ نظرية الردع فى الاسلام :

الآية الكريمة ٦٠ من سورة الانفال ـ الحديث « نصرت بالرعب مسيرة شهر » ـ الهدف من إعداد القوة والمرابطة إيقاع الرهبة فى قلوب الأعداء وإخافتهم من عاقبة عدوانهم ـ الردع الاسلامى طابعه دفاعى ويملك القدرات الهجومية لردع المعتدى ـ أسس الردع الاسلامى : القوة الشاملة ـ التأهب الدائم .. إعداد الأمة لمواجهة العدوان ـ تحقيق الاكتفاء الذاتى ـ تطوير القوة لتناسب كل عصر ـ ردع العدو المستتر .

١٣ ـ الدعاية والحرب النفسية :

الأثر النفسى لإعداد القوة الرادعة ـ الجهاد باللسان ـ صور وأشكال الحرب النفسية فى الاسلام لتجريد العدو من إرادة القتال ـ طرق الوقاية من الحرب النفسية ـ طرق إزالة آثار الحرب النفسية .

١٤ ـ درجة الاستعداد القتالى :

وقاية الأمة من المباغتة ضرورة حيوية لسلامتها ـ وسائل الإنذار المبكر ـ اعمال الاستطلاع ـ الحراسة المستمرة ـ الاحتفاظ بجزء من القوات المسلحة على استعداد تام للقتال الفورى ـ وجود قوات مسلحة عاملة على درجة عالية من الكفاءة القتالية ـ نظام دقيق وسريع للنفير (التعبئة) ـ الدرجات المختلفة للاستعداد القتالى فى السلم والحرب .

١٥ ـ توجيهات الاسلام فى القتال :

شرف النصر أو الشهادة ـ التعاون بين المقاتلين وبين التشكيلات المقاتلة ـ روح الصف والبنيان المرصوص فى القتال ـ الثبات فى المعركة والصبر على شدائد القتال ـ المناورة بالقوات والوسائل ـ العنف فى القتال ـ شل قيادة العدو وإسكات أسلحته ـ خفة الحركة والمفاجأة والخداع ـ دور المرأة فى المعركة ـ ذكر الله فى ساحة المعركة .

١٦ ـ الإدارة العلمية للحرب :

التخطيط ـ قاعدة الشورى فى التخطيط والتنظيم ـ التنسيق ـ إصدار القرارات ـ الرقابة والمتابعة والتقييم .

١٧ ـ إعداد الدولة للحرب :

مفهوم إعداد الدولة للحرب فى إطار مبدأ الجهاد بالأموال والأنفس ـ وحدة الأمة وتماسك الجبهة الداخلية ـ إعداد الشعب للمعركة ـ الدفاع الشعبى وحراسة المنشآت الحيوية وتأمينها ـ الاعلام والتوعية والنشاط السياسى والدبلوماسى .

١٨ ـ اقتصاديات الحرب :

ربط الاسلام بين الاستراتيجية العسكرية والاقتصاد ـ التعبئة الاقتصادية فريضة وتكليف ـ التكامل الاقتصادى للأمة الاسلامية ـ العمل ومضاعفة الانتاج ـ ضبط الاستهلاك ومحاربة الاسراف ـ تحريم الاحتكار واستغلال ظروف الحرب لتحقيق الأرباح ـ تخزين المواد الاستراتيجية ومواجهة الحصار الاقتصادى .

١٩ ـ الصناعة الحربية :

الآية ٢٥ من سورة الحديد ـ صناعة الحديد والصلب ـ الصناعة الثقيلة ضرورة حيوية للصناعة الحربية الاسلامية ـ البحث العلمى والتقدم التقنى (التكنولوجى) ـ التكامل بين الدول الاسلامية فى الصناعة الحربية .

٢٠ ـ المخابرات الحربية :

مطلب من مطالب الرباط واتخاذ الحيطة والحذر لتأمين سلامة الأمة ـ المخابرات التكتيكية والاستراتيجية ـ صفات رجال المخابرات ـ تعلم لغة العدو ـ استخدام الرمز (الشفرة) .

٢١ ـ الأمن ومقاومة الجاسوسية والتخريب

عناية الاسلام بالأمن ـ الكتمان والمحافظة على الأسرار ـ غرس وعى الأمن والسرية بالتربية والتوعية ـ أساليب التجسس والتخريب وطرق مواجهتها ـ واجب الفرد وواجب الدولة .

٢٢ ـ رعاية أسر المقاتلين والشهداء وضحايا الحرب :

مبدأ التكافل فى الاسلام ـ مسئولية الدولة والحكام والقادة ـ مسئولية المسلمين بعضهم عن بعض ـ رعاية اليتامى والأرامل ـ رعاية المُهَجَّرِين من ديارهم بسبب الحرب .

٢٣ ـ مواجهة الهزيمة وتحويلها الى نصر :

تجنب الضعف النفسى والاستسلام للحزن ـ استيعاب دروس الهزيمة ـ مبدأ استمرار المعركة حتى النصر ـ استعادة الإدارة القتالية للشعب والجيش ـ التحذير من مهادنة العدو ـ القضاء على محاولات العدو لتدمير الروح المعنوية أو تفتيت وحدة الأمة أو إعاقة أعمال الاستعداد والبناء .

مادة التاريخ الحربى الاسلامى :

اما مادة التاريخ الحربى الاسلامى فتشمل دراسة معارك الإسلام من عصر النبوة الى الصراع العربى الاسرائيلى طبقا للأسلوب العلمى لدراسة التاريخ الحربى .

مستويات دراسة العسكرية والتاريخ الحربى الاسلامى :

وينبغى أن تكون دراسة العسكرية الاسلامية والتاريخ الحربى الإسلامى على المستويات الثلاث المعروفة : البكالوريوس - الماچستير - الدكتوراه ، بحيث ينتقل الدارسون تدريجيا الى مستوى « البحث العلمى » فى هذا المجال ، وفيما يلى بعض رءوس الموضوعات التى اقترح إجراء ابحاث فيها :

(١) تحقيق القدرات الدفاعية الذاتية للأمة الاسلامية

(٢) تطبيق مبادىء العسكرية الاسلامية فى الجيوش الاسلامية من الناحية العملية .

(٣) العيوب والظواهر الاجتماعية فى الوطن العربى التى تضر بالأمن وطرق علاجها .

(٤) الطريق الى تحقيق اكتفاء ذاتى فى الصناعة الحربية للأمة الاسلامية .

(٥) مقتضيات الجهاد لنجدة الدول المعتدى عليها فى العصر الحاضر .

(٦) الطريق الى تنمية الصفات الحربية . وروح الجندية فى شباب الأمة .

(٧) الجهاد بالمال بمفهوم العصر .

(٨) الطريق الى بناء قاعدة علمية وتقنية للأمة على مستوى العصر .

(٩) كيف تعوض الأمة العربية والاسلامية النقص فى موازين القوى بينها وبين أعدائها .

(١٠) بناء القدرات الدفاعية للدول العربية والاسلامية فى المناطق الحساسة :
الخليج - البحر الأحمر - البحر الأبيض - الشرق الأقصى ..

وبعد ، فإن اجتماع المسلمين على « عقيدة عسكرية واحدة » تستمد مبادئها من كتاب الله وسنة رسوله ، هو فى يقينى نقطة الانطلاق نحو اجتماع كلمتهم ، وتوحيد صفوفهم وأهدافهم ، وهو ما يصبو إليه ويامل فيه كل مسلم غيور على دينه ، وحريص على أن تحقق امته نهضتها الحضارية الشاملة ، وأن تعود إليها مكانتها التى أرادها الله لها : خير امة أخرجت للناس .

محمد جمال الدين محفوظ

تحت لواء القرآن الكريم

كيف نشأ علم القراءات ؟

أنزل الله تعالى القرآن على رجل اصطفاه من بين عباده ، واختاره مهبطا لوحيه ، وموضعا لرسالته « والله أعلم حيث يجعل رسالته » بعد أن صنعه على عينه ، وغسل قلبه بما لا يجعل للوساوس عليه سبيلا ، ولا لنزغات الشياطين وهواجسها منفذا وطريقا . فكان صلوات الله عليه وسلامه مهيأ لقبوله على اتم وجه وأكمله . ومعدا لتلقيه وحفظه على أحسن صورة وأدق معنى .

ولهذا كان رسول الله ﷺ ـ حينما يهبط عليه الوحى يحرك لسانه بمتابعة لما يلقى عليه . حرصا منه على سرعة تلقفه ومبالغة فى حفظه كيلا يفوته منه حرف واحد . فأنزل الله (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ .....) . وإن قرآنا أنزله الله تعالى وكتب على نفسه جمعه وحفظه . وأن يعلم رسوله تلاوته وتجويده لهو فى حصن حصين من أن يمتد إليه يد الزمان بحيث وإن طال . ولا سبيل لأن يلحقه تغيير وتبديل .

ولقد ثبت أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يختلفون إليه ويجلسون أمامه يسمعون منه ويعون ويكتبون كل ما يوحى به إليه . وكانوا يتفانون فى ملازمتهم للرسول صلوات الله عليه وسلامه . لذلك كان بعضهم يحفظ القرآن كله ، وبعضهم يحفظ النصف أو أدنى منه ، كما أن بعضهم أخذ عنه حرفا واحدا[1] ، وبعضهم أخذ حرفين ، وبعضهم أخذ أكثر من ذلك . ولذلك روى عن عمر رضى الله عنه قال : سمعت هشاما يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ .

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك بقوله : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وإن ذلك لرحمة من الله بعباده وتيسير عليهم لاختلافهم فى اللغات واللهجات .

ولما استحر القتل بالقراء فى حادثة اليمامة خافوا أن يذهب من القرآن شىء بموت أهله ، فأصر أبو بكر رضى الله عنه . وهو الخليفة الأول بجمعه ، وشرح الله صدره بما أشار ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ بجمعه فى صحف وقد انتقلت تلك الصحف إلى الخليفة الثانى ـ عمر ـ إلى أن جاء عهد الخليفة الثالث ـ عثمان ـ روى أنس ابن مالك أن حذيفة بن اليمان كان يغزو

---

(١) وجها من القراءة.

للشيخ إبراهيم عطوة عوض

« أرمينية » و « أذربيجان » فوجد ـ بين القراء ـ لهجات متفقة فى المعنى والحروف مفترقة فى الأداء ، مثل :

جبريل وجِبْرائيل ـ وميكال وميكائيل ـ والبخل ـ بضم الباء ، والبخل بفتح الباء والخاء ـ وملك ومالك . وغيره مما صنف فيه العلماء الأوائل مؤلفات فى فن القراءات وما يتصل بها . فأرسل فأبلغ الخليفة عثمان بن عفان بما وجد ، فاستحضر الخليفة رضى الله عنه ـ الصحف التى دونت بأمر أبى بكر ـ من لدن حفصه ـ رضى الله عنهما ، وعهد إلى زيد بن ثابت رضى الله عنه بنسخ عدة مصاحف مطابقة لهذا الأصل المطابق لما كتب فى حياة رسول الله ﷺ ولم يزد المنسوخ عن سبعة كما يؤخذ من الأقوال . كتبت جميعا بلسان قريش على ماثبتت تلاوته . عَهْدَ النبى ﷺ على اللفظ الذى استقرت عليه فى العرضة الأخيرة عن رسول الله ﷺ ـ كما صرح به غير واحد من أئمة السلف .

ثم أرسلت إلى الآفاق فقرأ كل أهل مصر بما فى مصحفهم . وتلقوا مافيه عن الصحابة الذين تلقوه عن الرسول ﷺ . ثم تجرد للأخذ عن هؤلاء قوم اسهروا ليلهم فى ضبطها ، واتبعوا نهارهم فى نقلها حتى صاروا فى ذلك أئمة للاقتداء ، وأنجما للاهتداء . وأجمع أهل بلدهم على قبول قراءتهم . ولم يختلف عليهم اثنان فى صحة روايتهم ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم ، وكان المعول فيها عليهم ـ ومن هنا نشأ علم القراءات . فى حدود السبعة الأحرف التى نزل عليها القرآن . وكل من عند الله سبحانه لا من عند الرسول ﷺ ولا من عند أحد من القراء .

ثم إن القراء بعد هؤلاء كثروا فى البلاد وانتشروا . وخلفهم أمم بعد أمم ، عرفت طبقاتهم واختلفت ديارهم وألوانهم ، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية ، ومنهم المحصل لوصف واحد ، ومنهم المحصل لأكثر من واحد . فقام عند ذلك جهابذة من علماء الأمة وصناديد الأئمة فبالغوا فى الاجتهاد وجمعوا القراءات ، وعزوا الوجوه والروايات وبينوا الصحيح والشاذ ، والكثير والفاذ بأصول أصلولها وأركان فصلوها .

وقد وضع الأئمة لذلك ميزانا يرجع إليه ، ومعيارا يعول عليه . وهو : السند والرسم والعربية :

فكل ما صح سنده واستقام وجهه فى العربية ووافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة . فعلى هذا الأصل بنى قبول القراءات (عن) سبعة كانوا أوسبعة آلاف ، ومتى فقد شرط من هذه الثلاثة فهو شاذ ، فلا يجوز أن يتلو قارىء قول الله تعالى : اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ : اهدنا صراطا مستقيما ، فقراءته هذه مبطلة للصلاة وإذا قرأها ـ فى غير صلاة ـ لا تعد قرآنا .

« أنظر لفظ الإمام الكواشى كما رواه القسطلانى فى أول تفسيره .. ومراده باستقامة وجهه فى

العربية ، سواء كان راجحا أو مرجوحا لقراء حمزة (والارحام) بالجر ، وقراءة ابى جعفر : (لِيُجْزَى قَوْمًا) . والفصل بين المضافين فى قوله تعالى : (**وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ**[1] .... **الآية)بالأنعام**

وأما قوله : وافق لفظه خط المصحف الإمام . فالمقصود به كافة المصاحف التى خطت بأمر الخليفة عثمان رضى الله عنه ، لأن المعتمد موافقة أحد المصاحف العثمانية .

ثم إن الموافقة المذكورة معمول بها سواء كان تحقيقا كقراءة (ملك يوم الدين) بغير الف . أو تقديرا كقراءة الألف . فإنها كتبت بغير الف فى جميع المصاحف ، فاحتملت الكتابة أن تكون (مَلِك) ، وفُعِلَ بها كما فُعِلَ بنحو صالح ، مما حذفت الألف منه اختصارا .

أما ما صح سنده فهو ما نقله العدل الضابط عن مثله كذلك إلى منتهاه ، مع اشتهاره عند أئمة هذا الشأن الضابطين له . وهو غير معدود عندهم من الغلط ، ولا مما شذ به بعضهم .

فإذا اجتمعت هذه الثلاثة فى قراءة وجب قبولها ، وحرم ردها ، سواء كانت من السبعة ـ أم من العشرة ـ أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين . نص على ذلك الإمام الدانى ، والمهدوى ومكى ، وأبو شامة وغيرهم ممن يطول ذكرهم . إلا أن بعضهم لم يكتف بصحة السند . بل اشترط مع الركنين المذكورين التواتر . والمراد بالتواتر ما رواه جماعة عن جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب من البداءة إلى المنتهى . من غير تعيين عدد . هذا هو الصحيح .

وقيل بالتعيين ستة ، أو اثنا عشر ، أو عشرون ، أو أربعون ، أو سبعون .

وصدق الله حيث يقول (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .

ابراهيم عطوه عوض

---

(١) قرأ ابن عامر برفع قتل ونصب أولادهم وجر شركائهم ففصل بين المضافين بالمفعول .

مكانة المسجد الأقصى في الإسلام

لفضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن أبى ذر رضى الله عنه قال « قلت : يارسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت ، كم بينهما ؟ قال : أربعون عاما ، وحيثما أدركت الصلاة فصل »[1] ..
المساجد : هى تلك الجامعات الإسلامية : التى يتلقى فيها المسلمون على إختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم : تعاليم دينهم ودنياهم .. تصل مابينهم وبين ربهم ، كما تصل مابينهم وبين بعضهم ، فهى التى تربط بين قلوبهم بروابط متينة : من الحب والإخاء ، والود والصفاء ، وتربيهم تربية سليمة ، على أسس قويمة ، تجعلهم متمكنين من أسباب المعرفة ، والبصر بالحياة ، قادرين على السير فيها على النهج السوى : الذى رسمه أحكم الحاكمين .

لهذا كان أول عمل عمله النبى ﷺ : بعد هجرته من مكة إلى المدينة : هو بناء مسجد يجمع بين المهاجرين والأنصار : يؤلف بين قلوبهم ، ويوحد صفوفهم ، وقد اتخذه معهدا يبلغ فيه وحى السماء ، ودارا للفتوى والقضاء ، ومجلسا للشورى وتبادل الآراء ، وديوانا لتحرير الكتب إلى الملوك والأمراء ، ومقرًا لتنظيم كتائب المجاهدين .

(١) البخارى ومسلم

والمساجد في المعنى اللغوى : هى مواضع السجود : أى الأماكن التى تجوز فيها الصلاة ، سواء أكانت مبنية لهذا الغرض أم لا ؟ وهى مما اختص الله تعالى به الأمة الاسلامية ، فقد روى عن أبى هريرة ، رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « فضلت على الأنبياء بست ؛ أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون »(٢) ..

وفى المعنى الاصطلاحى : ماوقف على المسلمين للصلاة والعبادة ..

المسجد الحرام : هو بيت الله العتيق ، وقبلة المسلمين فى الصلاة والدعاء ، ومعقد آمالهم ، ومهوى أفئدتهم ، وهو أول بيت وضع للعبادة ، قال الله تعالى : « **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** »(٣) ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق : رجع كيوم ولدته أمه »(٤) ..

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « الحج المبرور : ليس له جزاء إلا الجنة ، قيل ومابره ؟ قال: إطعام الطعام ، وطيب الكلام »(٥) ..

وقيل للحسن بن على رضى الله عنه « الحج المبرور : جزاؤه الجنة .. قال : آية ذلك : أن يرجع زاهدا فى الدنيا ، راغبا فى الآخرة » وقيل له : « جزاء الحج المغفرة .. قال : آية ذلك : أن يدع سىء ماكان عليه من العمل » ..

والحرام : أى الحرام ؟ لأن القتال محرم عنده وَلأَنَّهُ ممنوع من الظلمة : أن يتعرضوا له بما يمسُّ قداسته ، قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾(٦) ..

المسجد الأقصى : تحظى مدينة القدس على مرِّ التاريخ : بالتبجيل والتكريم ، والتفخيم والتعظيم ، والعناية الكبرى : من الأديان السماوية الثلاثة ، وتهفوا إليها افئدة الملايين ، ووُجْدانات الشعوب ..

وتطلق على هذه المدينة أسماء عديدة منها : يبوس ، أورسالم ، إيلياء ، مدينة الله ، بيت المقدس : وهو الاسم الذى اشتهر بعد الفتح الإسلامى ، القدس الشريف ، المدينة المقدسة ، البيت المقدس ، مدينة السلام ..

وفى هذه البقعة المباركة : يوجد المسجد الأقصى وقبة الصخرة : أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، وإليه الاسراء ، ومنه العروج إلى السماء ، قال الله تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾(٧) .. قال الزركشى فى قوله تعالى : « **الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** »

---

(٢) مسلم
(٣) آل عمران : ٩٦ ، ٩٧
(٤) البخارى
(٥) أحمد والطبرانى والبيهقى
(٦) الحج : ٢٥
(٧) الإسراء : ١

جعل حوله بعض الأنبياء المصطفين الأخيار وأكثر فيه من الثمار ، ومجرى الأنهار ..

وهو أيضا : أحد المساجد الثلاثة : التى تشد إليها الرحال ، والأربعة التى يمنع من دخلولها المسيخ الدجال.. عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى ﷺ قال « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى »[٨] ..

وفى رواية أخرى : « إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد : مسجد الكعبة ، ومسجدى ، ومسجد إيلياء » .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الدجال يطوف الأرض : إلا أربعة مساجد : مسجد المدينة ، ومسجد مكة ، والأقصى ، والطور »[٩] ..

وتعميقا لقيمة المسجد الأقصى : فى قلوب المسلمين : جعل الله عز وجل الصلاة فى رحابه : بخمسمائة أو ألف ، أو خمسين ألف صلاة ، كما جاء فى الروايات الصحيحة .. عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الصلاة فى المسجد الحرام : بمائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجدى بألف صلاة ، والصلاة فى بيت المقدس : بخمسمائة صلاة »[١٠] ..

وعن ميمونة بنت سعد رضى الله عنها قالت : يانبى الله أفتنا فى بين المقدس ؟ فقال لها : أرض المنشر والمحشر ، ائتوه فصلوا فيه ، فإن صلاتكم فيه : كألف صلاة ، قالت : أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه ؟ قال : فليهد إليه زيتا : يسرج فيه ، فإنه من أهدى : كان كمن صلى »[١١]

ولقد بين رسول الله ﷺ : أن سكان بيت المقدس : سيهديهم الله عز وجل : إلى التمسك بالحق والدفاع عنه ، وأنهم سيكونون حماته ، لايهابون الباطل وصولته ، وأن الغلبة : ستكون لهم ، والدائرة : ستكون على أعدائهم .

عن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك ، قالوا : يارسول الله وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس »[١٢] ..

وفى بيان : ماللمسجد الأقصى من منزلة سامية ، ومكانة عظيمة : ماروى عن أم سلمة رضى الله عنها مرفوعا ، قالت :

قال رسول الله ﷺ : « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى : غفر له ماتقدم من ذنبه »[١٣] ..

وفى رواية : « وما تأخر[١٤] أو وجبت له الجنة »[١٥] ..

وعن النعمان بن عطاء : أنه قال : مامن موضع فى بيت المقدس : إلا وقد سجد عليه ملك أو نبى ، فلعلَّ جبهتك : أن توافق جبهته ملك أو نبى » ..

والأقصى : أى الأبعد ، وذلك لبعده عن المسجد الحرام ، إما فى المسافة أو فى الزمان ، أو لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ، وقيل : هو أقصى بالنسبة إلى مسجد المدينة ، لأنه بعيد عن مكة ،

---

(٨) البخارى ومسلم
(٩) الإمام احمد فى مسنده
(١٠) الطبرانى بسند صحيح
(١١) الإمام احمد
(١٢) الإمام احمد فى مسنده
(١٣) ابو داود
(١٤) اى ماتقدم من ذنبه وماتاخر
(١٥) البيهقى فى السنن الكبرى

وبيت المقدس : أبعد منه ، وقيل : لأنه أقصى موضع من الأرض ارتفاعا ، وقربا من السماء .

والمراد بسؤال أبى ذر : « أى مسجد وضع فى الأرض أول » ؟ أىّ مسجد جعل للعبادة وهى لها ، وإن لم يكن بنى وشيد ؟ ـ أو أى مسجد بنى للعبادة .. ؟

وسؤاله هذا يحتمل أن يكون لمعرفة أقدم المساجد زمانا ، ويحتمل أن يكون لمعرفة أفضلها .

وأول من بنى الكعبة : هو آدم عليه السلام ، ثم بنى المسجد الأقصى ، بعد الفراغ من بنائها بأربعين سنة ، وعلى هذا القول : يكون ابراهيم عليه السلام : مُجَدِّدًا لبناء كل منهما ..

وقيل : إن ابراهيم عليه السلام : هو أول من بنى الكعبة : البيت العتيق ، وساعده فى بنائه : ابنه اسماعيل .. قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[١٦] ..

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما فرغ إبراهيم عليه السلام : من بناء البيت ، قال : رب قد فرغت ، فقال : أذن فى الناس بالحج ، قال : يارب ومايبلغ صوتى ؟ قال تعالى : أذن وعلى البلاغ ، قال : رب كيف أقول ؟ قال : يأيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق ، فسمعه أهل السماء والأرض .. الاترى أنهم يجيئون من أقصى البلاد يلبون »[١٧] ..

وبعد أربعين سنة : بنى صلوات الله وسلامه : المسجد الأقصى .. وقيل : إن يعقوب عليه السلام : هو الذى بنى المسجد الأقصى : بناء جده إبراهيم عليه السلام للكعبة : بأربعين عاماً ..

ولايتعارض هذا : مع ماروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : « لمابنى سليمان بن داود بيت المقدس : قرب القرابين ، وذبح الذبائح ، فأوحى الله إليه : قد أرى سرورك ببُنْيان بَيْتِى ، فسلنى أعطك .. فقال سليمان : اسألك ثلاث خصال : حكما يصادف حكمك ، وملكا لاينبغى لأحد من بعدى ، ومن أتى هذا البيت : لايريد إلا الصلاة فيه : خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .. قال رسول الله ﷺ : أما اثنتان فقد أعطيهما ، وأنا أرجو أن يكون قد اعطاه الثالثة »[١٨] .. لأن سليمان عليه السلام : لم يكن مؤسسا ومنشئا ، وإنما كان مجددا ، كما قام بتجديده ايضا من قبله : والده داود عليه السلام ..

وأما البناء المقام حاليا : فينسب إلى عبد الملك ابن مروان وابنه الوليد ، فهو بناء مستحدث فى البقعة الطيبة ، وقد بنى معه مسجد الصخرة المشرفة ..

ولقد كان من أسباب الفتح العربى الإسلامى لفلسطين : هو إنقاذ هذه الأرض الطيبة : من ايدى الروم والبيزنطيين ، لأن فيها المسجد الأقصى .. فوجهوا جيوشهم إليها . وهزموا الروم فى موقعة اليرموك الفاصلة : تحت قيادة : خالد بن الوليد .. ثم كانت موقعة أجنادين : التى هزموا فيها : البيزنطيين تحت قيادة : عمرو بن العاص .. والتى استسلمت بعدها مدينة القدس الشريف : فى العام الخامس عشر من الهجرة ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أمر

---

(١٦) البقرة : ١٢٧

(١٧) الحاكم وصححه والبيهقى عنه

(١٨) الطبرانى والنسائى وابن حبان وأحمد وابن ماجة والحاكم

قائده : أبا عبيدة بن الجراح : أن يتجه بجيشه من الشام : إلى بيت المقدس ..

ولقد استمر بيت المقدس تحت حكم الإسلام : ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، ثم اغتصبته الصليبية الحاقدة بحروبها : التى استمر أثرها : ثمانية وثمانين عاما .

وحينما اجتمعت كلمة المسلمين ، ووحدوا صفوفهم ، وعزموا على تطهير الأرض المقدسة : قادهم البطل العظيم : صلاح الدين الأيوبى ، وانتصروا فى الحروب التى كانت أبرزها : معركة حطين ، وبعدها استولى صلاح الدين : على بيت المقدس وأعاده إلى حوزة المسلمين : يوم الجمعة فى السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٥٨٣ هجرية ، ثم دخل المسجد الأقصى فى الجمعة التالية ، وصلى فيه .. وإن مما يفتت الأكباد ، ويمزق نياط القلوب : أن تقع هذه الأرض المقدسة : فلسطين الحبيبة : فى أيدى العصابات الصهيونية : التى أوجدها الاستعمار فى قلب الوطن العربى ، وأمدها بجميع الإمكانيات ، لتظل رأس رمح : يمزق وحدة العرب ونقطة ارتكاز له ، يبث منها إلى كل بلد عربى : حر أبى ، يعمل على دعم استقلاله وحريته ، والتخلص من نفوذه وسيطرته(١٩)

لقد وقع المسجد الأقصى : بيد اليهود : الذين استباحوا حرمته ، مشوا فى رحابه المقدس بالرجس والفجور ، وقد سبق لهم أن حاولوا إحراقه ، ثم امتدت أيديهم إلى إجراء حفريات تحت جدرانه وبالقرب منها .. إنهم يزعمون : أن بيت المقدس لهم بمثابة الرأس من الجسد ، وأن المسجد الأقصى ، ومسجد الصخرة المشرفة : أقيما فوق هيكل سليمان بن داود .. وقد عبَّر عن ذلك بعض ساستهم بقوله : « لا إسرائيل بغير القدس ، ولا قدس بغير الهيكل » وكأنهم نسوا أو تناسوا أن المسجد الأقصى : يعتبر من أعظم المقدسات الدينية : التى عُنِىَ الإسلام بتعظيمها ، وحث على تكريمها ، ونوه القرآن الكريم : بمنزلته ، وعلو مكانته ، كما أشارت السنة النبوية : بعظيم فضله .. إن المعركة بيننا وبين اليهود قديمة جداً ، إنها معركة ذات جذور عميقة ، فهى صراع بين الحق والباطل ، بين العدل والظلم ، بين ماتريده السماء : من أخوة ومحبة وعمران فى الأرض ، وماتريده إسرائيل : من خيانة وخديعة ، معركة قديمة ، بدئت فى عهد رسول الله ﷺ ، عندما نقض اليهود معاهداته معهم ، وكان له فيها غزوات فقد حارب : يهود بنى النضير ، وبنى قينقاع ، وبنى قريظة وحارب فى خيبر .. حارب أولئك القوم لا لمجرد الحرب ، وإنما للمعنى الخالد ، وهو أنه لابد أن ترتفع على هذه الأرض : كلمة الله .

ولا ينبغى أن يسود هذه الأرض ، غير شريعة الله ، لهذا حارب النبى ﷺ هؤلاء القوم ، ومن أجل ذلك يجب على الأمة الإسلامية جمعاء فى مشارق الأرض ومغاربها : أن تكافح الاستعمار والصهيونية بجميع الأسلحة الروحية والمادية ، إذا لم يحقق السلم معهم : الغرض المنشود ، حتى ينصر الله جنده ، ويعلى كلمته ، ويعز بيته ، ويعود السلام إلى مدينة السلام .

---

(١٩) إن تاريخ الصهيونية المعروف جداً . والذى لا ينكره طرف من الأطراف يبين أن الصهيونية عملوا بدأب متصل مُجَدْوَل منظم من القرن التاسع عشر لتحقيق أمنيتهم ، فماذا فعل المسلمون إبان ذلك للإبقاء على سيادتهم ، إن القول بأنهم كانوا مغلوبين على أمرهم سخف ومجاوزة للحق وتجاهل للإمكان ، بل تجاهل للقدرات التى أودعها الله فى البشر ... مجلة الإزهر .

تطور نظام القضاء
في دولة الإسلام

تكلمنا في مقال سابق عن القضاء في دولة الإسلام ، وذكرنا كيف اهتم الإسلام اهتماما كبيرا بالقضاء وحتى يضمن تحقيقه للخير والنفع وسلامة الحقوق جعل اساسه العدل والمساواة بين الناس تطبيقا لقوله تعالى :

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ [1] وقوله جل شانه »:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ »[2]

« وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »[3]

وإلى هذا المعنى كان قول رسول ﷺ « الناس كالابل المائه لايجد الرجل فيها راحلة »[4] أى لا تكون فيها الذلول التى ترحل وتركب إشارة الى أن القاضى لا يفرق بين المتخاصمين فى حكم الله .

ولقد كان فى سيرة أئمة الإسلام وعلى رأسهم النبى ﷺ الأثر الكبير فى استقامة ولاية القضاء منذ نشأتها[5] .

---

(١) سورة النساء ٥٨ .

(٢) سورة النساء ١٣٥ .

(٣) سورة الأنعام ١٥٢ .

(٤) أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما عن ابن عمر رضى الله عنهما .

(٥)مجلة الازهر بالجزء الحادى عشر ذى القعدة سنة ١٤٠٣هـ اغسطس ١٩٨٣ .

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

ونضيف إلى ماذكرناه أنه بعد وفاته ﷺ استمر القضاء فى عهد الخلفاء الراشدين مستقلا محترم الجانب ، وكانوا يراعون فى اختيار القاضى - مع غزارة العلم - التقوى والورع واستمر القضاء على هذا الاستقلال حتى كسب له وجودا متميزا عن دائرة أعمال هيئة الحكم اى السلطة التنفيذية فى ذلك الزمان .

ظهور الرأى او القياس .

لم يكن فى دولة الإسلام مجموعة من القوانين المقننة تصدرها الدولة ويلتزم القاضى بالرجوع إليها فى الوقائع المعروضة عليه كما هو الحال فى زماننا المعاصر (٦) بل كان على القاضى وقتئذ ان يحكم طبقا لما يجده فى كتاب الله وسنة رسول الله - ﷺ . فإن كانت الواقعة مما لم يرد فيه حكم بهما اجتهد لرد الفروع المسكوت عنها إلى الاصول المنطوق بها والمجمع عليها وبذلك يجد طريقا إلى العلم بأحكام النوازل وتمييز الحق من الباطل وبهذا ظهر مايسمى بالقياس وقد التزم العلماء فيه أن تكون العلة التى ينبنى عليها وصفا ظاهرا منضبطا مناسبا للحكم اعتبره الشارع باى وجه من وجوه الاعتبار (٧)

ماتميز به القضاء فى عهد بنى أمية :

أولا : رغم مقتل الإمام على بن ابى طالب رابع الخلفاء الراشدين ثم مصرع الإمام الحسين بن على رضى الله عنهما وانتقال الخلافة الى دولة بنى أمية لم يتأثر القضاء بالسياسية واستمر رجال القضاء بالاضافة إلى اجتهادهم وعفتهم وسلامتهم من العيوب مستقلين فى أحكامهم لا يتأثرون بميول الدولة الحاكمة فكانوا مطلقى التصرف وكلمتهم نافذة حتى على الولاة وعمال الخراج(٨)

ثانيا : كان أول عهد تسجل وتدون فيه الأحكام ، وأول من دونها القاضى سليم بن عتر النجيبى المصرى قاضى مصر وناسكها وكان من الطبقة

---

(٦)كتاب « فقة الدعوة الإسلامية ومشكلة الدعاة » تاليف الشيخ محمد الغزالى .

(٧)كتاب علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامى للمرحوم الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف .

(٨)كتاب « النظم الاسلامية » تاليف الدكتور حسن ابراهيم حسن والأستاذ على ابراهيم حسن مكتبة النهضة المصرية .

الأولى من التابعين ، شهد خطبة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بالجابية .

وكان يسمى الناسك لكثرة عبادته وفضله وهو أول من قضى بمصر سنة تسع وثلاثين ثم ولاه معاوية بن أبى سفيان القضاء سنة اربعين من الهجرة ومكث قاضيا عشرين سنة ومات بدمياط سنة ٦٥ من الهجرة ويرجع تسجيل الأحكام وتدوينها إلى كثرة التخاصم والتقاضى مع تناكر الخصوم مما لم يسبق له مثيل فى العهد السابق [٩]

ثالثا : ولقد ازدادت الدائرة القضائية اتساعا فى عهد تلك الدولة فقد جاء فى كتاب « تاريخ القضاء » للكندى أن الخليفة معاوية بن أبى سفيان كتب إلى قاضى مصر سليم بن عتر يأمره بالنظر فى الجراح بالاضافة إلى ما كان بنظره من الخصومات المدنية وأن يرفع ذلك إلى صاحب الديوان وبذلك كان القاضى سليم بن عتر أول قاض نظر فى الجراح وحكم فيها ، فكان الرجل إذا أصيب بجرح أتى إلى القاضى وأحضر بينة على الذى جرحه فيكتب القاضى بذلك الجرح ويحكم على عاقلة الجارح ويرفعها الى صاحب الديوان فإذا أحضر العطاء اقتص من أعطيات عشيرة الجارح ما وجب للمجروح وينجم ذلك فى ثلاث سنين [١٠] ـ والعاقلة تعنى عصبة الرجل

رابعا : إنشاء المحكمة العليا وذلك للنظر فى المظالم وهى تعادل (محكمة الاستئناف) أو (محكمة النقض) فى زماننا المعاصر وكانت جامعة لاختصاصهما ولأهميتها كان يرأسها الخليفة بنفسه .

وأول من أنشأ تلك المحكمة الإسلامية العليا هو الخليفة عبد الملك بن مروان وحدد يوما معلوما من كل أسبوع للنظر فى المظالم التى ترفع إليها .

ويرجع السبب فى إنشائها إلى أن بعض ذوى الجاه والحسب والسلطان استقلوا [١١] العامة واعتدوا عليهم واغتصبوا بعض أموالهم وعجز القضاء وقتئذ عن ردعهم ورد الحقوق التى اغتصبوها إلى أربابه نظراً لقربهم من الخليفة أو لشغلهم منصبا خطيرا فى الدولة فجلس عبد الملك بن مروان بنفسه لسماع هذه القضايا وأجلس معه قاضيه ليرد اليه ما استعصى عليه من المشاكل فكان يتصفح شكوى المتظلمين ويأمر بإزالة أسبابها ويحكم فيها فورا ، كما كان الخليفة بالمرصاد لكل من صدر عليه حكم من تلك المحكمة وتلكأ فى تنفيذه مهما كانت مكانته فى الدولة أو قرابته من الخليفة [١٢]

ماتميز به القضاء فى عهد الدولة العباسية

لما أتت الخلافة الإسلامية إلى أسرة بنى العباس بن عبد المطلب ظهرت تطورات أخرى فى نظام القضاء طبقا لما يلى :

أولا : ظهور منصب (قاضى القضاة) وأول من اتخذه العباسيون ، وهو بمثابة منصب وزير العدل اليوم ، وكان يقيم فى حاضرة الدولة وهو الذى يختار من قبله القضاة الصالحين لينوبوا عنه فى الأقاليم الإسلامية المختلفة فيصدر

---

(٩)كتاب « القضاء فى الاسلام تاريخه ونظامه » تاليف الأستاذ ابراهيم نجيب محمد عوض من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية .

(١٠)المرجع السابق .

(١١)استقله بمعنى استخف به .

(١٢)المرجع السابق .

الخليفة أمرا إداريا بتعيينهم ،كما عهد الخلفاء إلى صاحب هذا المنصب بتتبع أعمال القضاة وتقصى أحوالهم والاطلاع على ما يصدرونه من أحكام وكل ذلك مع استقلالهم عن السلطة القائمة ومقاومة كل تدخل أيا كان حتى ولو كان من الخليفة نفسه أو نائبه .(١٣)

وأول من لقب بهذا اللقب القاضى أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب كتاب الخراج وذلك فى عهد الخليفة هارون الرشيد الذى كان يجله ويحترمه .

ثانيا :ظهور قضاة المذاهب المختلفة ، ذلك أنه لما برزت مذاهب الرأى الفقهى فى عصر الخلافة العباسية وأشهرها مذهب أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل ودونت أمهات كتب الفقه وأصوله أصبح فى كل ولاية من ولايات الدولة الإسلامية قضاة يمثلون تلك المذاهب فصار يولى أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأربعة ينظر كل منهم فى النزاع الذى يقوم بين من يدينون بآراء مذهبه .(١٤)

ثالثا :اتساع دائرة القضاء اتساعا لم يسبق له مثيل من قبل فقد أضيف اليه النظر فى الخصومات الجنائية والخلافات المدنية والفصل فى دعاوى الحبوس (وهى دعاوى الأوقاف) وتنصيب الأولياء كذلك أضيف إليه ولاية الشرطة والمظالم والقصاص والحسبة وسك النقود وبيت المال .

وفى ذلك يقول العلامة ابن خلدون عن صلاحيات القاضى فى هذا العصر .

استقر منصب القضاء فى عصر العباسيين على أن يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين ، والنظر فى أحوال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السفه ، وفى وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويجهم الأيامى عند فقد الأولياء ، والنظر فى مصالح الطرقات والأبنية وتصفح الشهود إلى غير ذلك مما لا يفيد حصره(١٥)

رابعا : اتساع نطاق تسجيل الأحكام والدعاوى ، وأصبح لكل قضية رقم خاص وكيفية خاصة لعرضها على القاضى .

خامسا : تنظيم محكمة المظالم وتطويرها فأصبح لهانظام وهيئة خاصة ورجال مخصوصون لحضورها ، كما زاد خلفاء بنى العباس فى الأيام التى كانوا يجلسون فيها للنظر فى المظالم فبعد أن كان الخليفة الأموى يجلس يوما واحداً من كل أسبوع صار الخليفة العباسى يجلس يومين فاكثر من كل أسبوع .

وقد أنصف الخلفاء العباسيون الذين جلسوا للمظالم أفراد الرعية المتقدمين لتلك المحكمة فردت إليهم حقوقهم ممن ظلمهم من ذوى الحسب والجاه(١٦) .

ومما يروى فى ذلك أن الخليفة العباسى عبد الله المأمون أنصف امرأة جاءته شاكية من ولده العباس ، فأمر برد ما أخذه منها ، وعوضها عما فقدته وعَنَّفَهُ على رءوس الأشهاد حتى أن القاضى لفت نظر المرأة إلى أن صوتها يعلو

---

(١٣)كتاب « النظم الإسلامية » تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن والأستاذ على ابراهيم حسن - مكتبة النهضة المصرية .

(١٤)المرجع السابق .

(١٥)« المقدمة » لابن خلدون .

(١٦)كتاب « القضاء فى الإسلام تاريخه ونظامه » للأستاذ ابراهيم نجيب محمد عوض .

بحضرة أمير المؤمنين فرد عليه المأمون بقوله (دعها فإن الحق انطقها واخرسه) .

سادسا : إقامة دار للقضاء تسمى (ديوان قاضى القضاة) كان يقيم فيها قاض القضاة .

سابعا : ومما تميز به ذلك العصر أيضا جعل لباس خاص للقضاة والعلماء يتميزون به عن غيرهم فقد روى كثير من المؤرخين أن أبا يوسف يعقوب بن ابراهيم قاضى القضاة فى عهد الخليفة هارون الرشيد هو الذى غير لباس القضاة والعلماء إلى هيئة خاصة(١٧) .

ثامنا : وكما جعل العباسيون القضاء منصبا رفيعا مستقلا فى شئونه فإنهم رفعوا رزقه أيضا وتدرج فى الارتفاع فبعد أن كان أجر القاضى « عبد الله بن لهيعة » الذى ولى القضاء على مصر من قبل الخليفة المنصور العباسى سنة ١٥٥ هـ ثلاثين دينارا فى كل شهر أصبح أجر القاضى مائة وثمانية وستين دينارا فى كل شهر وكان الفضل بن غانم الذى ولى القضاء سنة ١٩٨ هـ أول قاض أجرى عليه هذا الرزق الكبير .

ولما تولى ولاية مصر عبد الله بن طاهر وكان مشهورا بالكرم قلد عيسى بن المنكدر القضاء عام ٢١٢ هـ وأجرى عليه سبعة دنانير كل يوم(١٨) .

تاسعا : تنظيم طريقة بسط الدعوى أمام القاضى ، فبعد أن كان المتحاكمون فى العصر الأول يبسطون قضيتهم وهم وقوف بين يديه صار المختصمون بين يدى القاضى صفا متساوين ، ومما يروى فى ذلك أنه وقع بين أم المهدى وبين زوجها خليفة المسلمين ابى جعفر المنصور خصومه فلما عرضت على القاضى غوث بن سليمان وقد وكلت عنها وكيلا جلس أمام القاضى فطلب القاضى من الخليفة أن يساوى خصمه فى مجلسه فانحط على فرشه وجلس مع الخصم ، وبعد النظر فى القضية حكم القاضى لأم المهدى على الخليفة .

ولما خوصم مولى السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد ووكيلها إلى القاضى محمد بن مسروق أمر باحضاره فجلس متربعا فاخذها عنه القاضى لذلك أمربه فبطح وضرب عشرا لمخالفته فى جلسته مع أنه كان وكيل زوجة الخليفة(١٩) .

عاشراً : وفى العصر العباسى الثانى الذى ابتدا فى أوائل القرن الرابع الهجرى زاد اختصاص « محكمة المظالم » فلم تنظر فى قضايا الأفراد وحدها بل تعدى اختصاصها إلى الفصل فى شكاوى الشعب عامة .

حادى عشر : كما دخل فى اختصاص القاضى النظر فى المواريث بصورة نهائية وصار اليه الإشراف على سجون البلاد التى يلى قضاءها كما اختص القضاة بمن يحبس لدين عليه وسمى السجن الخاص بهؤلاء (حبوس القضاة) وذلك استغناء عن السجون التى كان يحبس بها

---

(١٧)المرجع السابق .

(١٨)كتاب « الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى » تأليف آدم ميتز أستاذ اللغات الشرقية بجامعة بازل بسويسرة ونقله إلى العربية الاستاذ محمد عبد الهادى أبو ريدة .

(١٩)المرجع السابق .

مرتكبو الجنايات فلم يكن للقضاة ولاية عليها بل ظلت على حالها من اختصاص الوزير أو الوالى وتسمى (حبوس المعون)[٢٠]

ثانى عشر : ومما تجدر الإشارة إليه فى عصر الدولة العباسية منذ بداية الخلافة بها ايجاد جماعة من الشهود الدائمين أمام القاضى .

ويذكر الكندى عن نشأة الشهود فيقول (كان القضاة إذا شهد عندهم أحد وكان معروفا بالسلامة قبله القاضى ، وإن كان غير معروف بها أوقف ، أما إن كان الشاهد مجهولا لا يعرف سئل عنه جيرانه فما ذكروه به من خير أو شر عمل به حتى كان غوث بن سليمان القاضى فى خلافة المنصور فكأن أول من سأل عن الشهود فى السر بسبب كثرة شهادة الزور فى زمنه ، وكان من عدل عنده قبله .

وفى زمن القاضى المفضل بن فضالة عين رجلا يسمى صاحب المسائل ليسأل عن الشهود ويشهد عليهم ولما خَلَفَهُ القاضى العمرى فى زمن الرشيد اتخذ الشهود وجعل أسماءهم فى كتاب[٢١] .

وبعد

فهذه هى أهم التطورات التى لحقت بنظام القضاء خصوصا فى عصر بنى أمية وبنى العباس طفرت به قدما إلى طريق الرقى والاستقلال ومع ذلك فإن الخلفاء لم يبخلوا عليه من وقت لآخر بالملاحظة والنصيحة مثال ذلك .

ماأوصى به الخليفة الطائع فى عهده الرائع البليغ لقاضى القضاة أبى محمد بن معروف وهو العهد الذى كتبه الصابى فى سنة ٣٦٦ هـ - ٩٧٦ م فى رسائله وهو (وصية متكررة بالاكثار من تلاوة القرآن ، وأن يتخذه إماما يهتدى بآياته ، وبالمحافظة على الصلوات فى أوقاتها ، وبالجلوس للخصوم وفتح بابه لهم على العموم ، وأن يوازى بين الفريقين المتحاكمين إليه ، ولايحابى مَلِياً على ذمِّى ، وأمره بالقصد فى مشيته ، وبالغض من صوته ، وحذف الفضول من لفظه ، وأن يخفف من حركاته ولفتاته ، ويتوقَّر من سائر جنباته وجهاته ، وأن يستصحب كاتبا دربا بالمحاضر والسجلات ، ماهراً فى القضايا غير مقصِّر عن القضاة المستورين والشهود والمقبولين فى طهارة ذيله ونقاء جيبه ، وحاجباً سديدًا رشيدًا لايسف إلى دنيئة ، ولا يقبل رشوة ولايلتمس جعلا ، وخلفاء يرد اليهم مابعد من العمل عن مقره ، وأعجزه أن يتولى النظر فيه بنفسه . ويجعل لكل من هذه الطوائف رزقا يكُفُّه ويكفيه ، وأن يبحث عن أديان الشهود ويفحص عن أماناتهم ، وأمره أن يضبط مايجرى فى عمله من الوقوف الثابتة فى ديوان حكمه .

ويحتاط على اموال الأيتام ويسندها إلى اعف واوثق القوام ، وأمره إن ورد عليه امر يُعْيِيه الفصل فيه أن يردُّه إلى كتاب الله فإن وجد فيه الحكم وإلا ففى السنَّة ، فإن أدركه وإلا استفتى ذوى الفقه والفهم وأهل الدراية ، وأمره ألا ينقض حكما حكم به من كان قبله إلا إذا كان خارجاً عن الاجماع وأنكره جميع العلماء فعند ذلك ينقضه نقضا يشيع ويذيع ..

المستشار

محمد عزت الطهطاوى ،

(٢٠)المرجع السابق .

(٢١)المرجع السابق .

أباطيل مؤلف

"قبل السقوط"

توقفنا فى المقال السابق ــ ونحن نحاول تحليل فكر السقوط ــ عند بيان النقاط الرئيسية التى ركز عليها المؤلف فى كتابه ، وجعل منها منطلقا للهجوم على الدعوة الاسلامية ، وركيزة للعمل ضد تطبيق الشريعة الاسلامية ، حتى وصلت به الجراة الى اعتبار هذا الأمر . هدفا حيويا له ، اقسم أن يستميت من أجله،وان يبذل فى سبيله كل غال ومرتخص ولم يفته أن يكشف لنا عن الدافع الذى أوصله الى هذا الموقف الغريب ، فبين أنه حب مصر ، او كما قال : « يعلم الله اننى احبها بلا حدود وأتعبد فى محرابها بكل ذرة من كيانى ، وادفع حياتى كلها ثمنا لبقائها سالمة متماسكة » (١)٠

وواضح من هذه العبارة ان حب الرجل لمصر هو الذى دفعه دفعا للعمل ضد الاسلام وشريعته ، حتى لا يكون منهاجه نظاما للحياة ، وليظل مجاله حبيس جدران المساجد ، فلا يتعداها الى تنظيم سلوك الناس وضبط حركة الحياة فى كل شئونها ونظمها وعلاقاتها كما أراد الله عز وجل ، توهما منه أن اعطاء مصر مثل تلك الفرصة الطيبة ، سينال من الوحدة الوطنية . وسيأتى على الاقباط فى مصر ، ويجعل منها لبنان آخر أو ايران ثانية . وكان طبيعيا ، وموقفه كذلك أن ينظر الى العمل فى حقل الدعوة الاسلامية على أنه تطلع الى السلطة متستر بالدين . وأن يعتبره عملا رجعيا متخلفا لن يلقى تأييدا من المتنورين (٢) وهو يعنى بالمتنورين نفسه . واثنين آخرين أو ثلاثة من أقرانه . ملا قلوبهم الطموح ، وسيطر عليهم حب الظهور ، فالتقت ارادتهم جميعا على العمل ضد الاسلام . ظنا منهم أن ما يطعنون به عليه يمكن أن يكونوا به شيئا فى المجتمع ، والذى ظنوه شيئا ، ما هو الا افك افتروه وأعانهم عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا .

عمل ضل طريق الوطنية :

وقبل أن نتدارك مما خطأ ما قرره الرجل فى كتابه شكلا وموضوعا ، جملة وتفصيلا ، قلبا وقالبا ، يجدر بنا أن ننوه الى أمر يستلفت النظر ويثير الانتباه ، فالرجل وهو يعبر عن

---

(١) قبل السقوط ــ لفرج فوده ــ ٨٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٥ .

للدكتور عبدالله مبروك النجار

افتتانه بحب مصر ، قد ضل طريق حبها دون أن يشعر وابتعد عن طريق الوفاء لها دون أن يدرى ، حين جعل قربان هذا الحب ، طعنها بالقلم فى دينها وعقيدتها واسلامها ، وتشويه الاساس الاسلامى الذى يقوم عليه كيانها ويتشكل من خلاله وجودها .

لقد اكتفى الرجل من الحب بلفظه دون معناه وبشكله دون مضمونه ، وبالقول دون العمل ، فكان الحب الذى بالغ فى التغنى به ، والاشادة بمقداره ـ من خلال مسلكه ـ ما هو الا حب كلام فى كلام ، ولو كان الرجل جادا فيما يقوله لصدق القول بالعمل ، وتحرر من الخيال الذى يسيطر عليه والوهم الذى وقع أسيرا له ، والكهف الذى يعيش فيه ، ولترك ميدان الفكر الاسلامى لأهله ، فهو لن يستطيع منخلاله أن يخدم مصر ، لأنه لا علم له فى مجاله .

وقد انتهت به التجربة التى خاضها بارتياد هذا الطريق الصعب الى نتائج ربما لم يردها ، أو لعله لم يقدر على تبصر عواقبها ، فهو فى الوقت الذى قدم فيه كتابه ، ظانا أنه سيعزف به نغمة فى حب مصر ، اذا به يلطمها فى عقيدتها ، ويطعنها فى صميم كيانها ، ويجعلها نهبا لغيرها ، واذا بما ظنه نغمة حب ، صوت نشاذ فى لحن كئيب ، يريد أن يجرد مصر من أغلى ما لديها ، ويسلبها أعز ما عندها ، وكان فى استطاعة الرجل أن يسلم من كل ذلك ، لو أنه لزم ميدان تخصصه ، ولم يفر منه الى غيره .

والمعروف أنه متخصص فى مجال الزراعة واقتصادياتها ، وهو بحق يعد مجال مصر الأول والميدان الذى يمكن أن يجتذب حبه ، ويستوعب نشاطه ، ويتسع لهمه العشرات بل المئات من أمثاله ، فحب مصر الحقيقى يظهر من خلال عطاء الرجل لها فى مجال علمه ، وحاجتها اليه خبيرا زراعيا أشد منها مفكرا اسلاميا وذلك على نحو ما يبدو لنا .

أهداف مقصودة لأعداء الاسلام :

ثم من الذى سيصدق ما تفوه به كاتب السقوط من حب لمصر كان سببا فى اعتناقه لموقفه ضد الاسلام والدعوة اليه ، وهو يرى ببصره وبصيرته أن أقصى ما يطمع فيه أعداؤها أن يبلغوا بعض ما يريده الرجل من دعوته انهم يريدون أن ينالوا منها فى دينها وعقيدتها لتصبح بعد أن تتجرد منهما ، لقمة سائغة ، يسهل التهامها بعد تجريدها من أخطر أسلحة القوة والبقاء والصمود ، ومما يؤسف له أن ما يطمح اليه الرجل ، قد جاء متوائما مع تلك المحاولات العدائية للدين والوطن ومتفقا معها وأى مطمع لعدو ومحارب أو مستتر يفوق.

ذلك ؟ (١) ، ذلك هو النظر الصحيح لتصرف الرجل ، وان كنا لا نقطع بأن ذلك كان مقصودا له ، وربما جره اليه تسرعه وضعف المامه بالموضوع الذى أقحم نفسه عليه ، وعدم قدرته على تبصر تلك النتائج الخاطئة ، حين انزلقت قدماه الى مقدماتها الواهية ، وبصرف النظر عن كون هذا التصرف مقصودا أو غير مقصود ، فانه قد كشف عن ظاهرة مؤسفة ، حين يمتهن حب مصر عند بعض الناس ، بعد أن جردوه من مضمونه ، ليصير غناء يتسلى به أو كلاما يتخذ زريعة للوثوب على أقدس الحرمات ، وانتهاك أسمى القيم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

عقبات تجاوزها الاسلام بقرون :

ولست بحاجة الى تكرار ما ذكرته فى المقال السابق (٢) ، متعلقا بالأسلوب الذى عالج الرجل به كتابه ، حين سلك طريقا غير معهود لدى الباحثين عن الحقيقة ، من التحيز للباطل والاعتداد المفرط بالرأى الخاطىء ، واغفال النظر عن الثابت المستقر لدى أصحاب الفكر القويم ، والعقل السليم ، فضلا عن التناقض الواضح ، والمغالطة الملموسة ، والتشويه المحسوس للحقائق ، فجاء فكره أسير فترة زمنية بائدة تجاوزها الاسلام بقرون ، استقر خلالها فى الوجدان باشعاعه ، واستكن فى قلوب المسلمين بنوره ، متخطيا ما هو أعتى وأشد وأقوى من مثل تلك الترهات ، ومنتصرا عليها ، ليظل هو النور الساطع ، والهدى الكامل والمدخل الصحيح لعز الدنيا وسعادة الآخرة .

مصادر فكر السقوط :

... لم يشأ الرجل وهو يقرر ما توصل اليه من نتائج خطيرة فى كتابه ، أن يبنى استنتاجاته على أسس قوية حتى يتسنى لها أن تصمد أمام المناقشة ، لم يفعل ذلك لأن الوصول الى الحق لا يعنيه ، فجاء كلامه مرسلا لا يقوم على دليل ، وعائما لا يستند الى أساس ، لا من صحيح المنقول ، ولا من سليم المعقول ، وقد لا يتعجب القارىء من موقف هذا الرجل حين يعلم أنه لم يقصد للتدليل على ما يقوله بآية واحدة من كتاب الله ، أو حديث صحيح عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأنه لن يقدر ، ولن يجد نصا واحدا ينصفه ، لأن كل حرف من كتاب الله يشهد على خطأ الرجل . وكل لفظ من سنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعلن شقاقه وتمرده .

أقول : قد لا يتعجب القارىء من ذلك ولا يندهش . لايمانه بأن الباحث عن الحقيقة لا يترك النور ويعمل فى الظلام . فالعمل فى الظلام من شأن فئات معينة . وانما الذى قد

---

(١) راجع فى هذا المعنى تهافت قبل السقوط وسقوط صاحبه ــ للاستاذ عبد المجيد صبح ــ ص ٦٥ ــ دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة .

(٢) راجع مجلة الأزهر ــ عدد جمادى الاولى سنة ١٤٠٦ هجرية .

يدهش القارىء هو عدم اعتماد الرجل على مسلمات العقل السليم والتفكير السوى . حين تنكب طريقا صعبا بعيدا عن كتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — واجماع المسلمين . عساه يجد فى المعقول ما يؤيد قوله بعد أن ابتعد عن المنقول خوفا من أن يفضح أمره . فهل أذعن الرجل فى استنتاجه لنداء العقل . وخضع لمقتضى المنطق ؟ : ذلك ما لم نجد له فى كتابه أثرا .

ضوابط التفكير السليم :

ذلك أن المنطق السليم يدلنا على أن الحكم على الشىء فرع عن تصوره . ولكن كاتب السقوط لم يسلم بذلك . فأصدر حكمه على شريعة الله بعدم صلاحيتها للتطبيق . دون تصور لحقائقها ، ودون ادراك لأحكامها . فكان حكمه من الناحية العقلية المجردة غير متوائم مع المنطق ، وليس متفقا مع الحق ، ومن ثم هجر صحيح المنقول والمعقول . ووقع على مواطن الفكر المشبوه ، والأقلام المغرضة ، فصاغ منها تفكيره . وكون من مخلفاتها عقليته ، فلم يقدر على ادراك جوانب الخير فى شريعة الله الخالدة ، ولم يرق مسيرة الاسلام الشامخة وتاريخه المجيد الا كل أسود قاتم .

ثم صاغ ذلك التصور المسرف فى الخيال والموغل فى الخطأ على صفحات كتابه . على النحو الذى انتهى اليه من قلب لحقائق الاسلام وتشويه متعمد لسير رجالاته . فالنور عنده ظلام ، والخير فى تفكيره شر ، والعدل عنده ظلم ، والتقوى فى ميزانه جمود ، والدعوة الى الله فى معياره ارهاب ورجعية وتخلف ، وكانت البداية الخاطئة التى تولدت عنها كل الأخطاء .

السقوط شكلا وموضوعا :

واذا تأملنا الهدف الرئيسى من كل ما ارتكبه كاتب السقوط من أخطاء ، لوجدنا أنه يتمثل فيما انتهى اليه من القول بعدم جدوى تطبيق الشريعة الاسلامية ، وليظل الاسلام على حد قوله : « مقتصرا على تعلم أولادنا أصول الدين فى المدارس ، وأن يحفظوا القرآن كله أو بعضه ، وأن نسمع آياته تتلى فى وسائل الاعلام وأن نحتفل بالمناسبات الدينية ، هذا القدر من تواجد الدين فى الدولة مقبول » (١) ثم يقول : « لنذهب الى المساجد والكنائس لكى نسمع موعظة دينية لا يختلف عليها اثنان » (٢) ، اما أن يكون الاسلام نظاما للحياة فى تعامل الأفراد والدول فذلك أمر غير مقبول عنده ؛ حيث يقرر : « سلم معهم بالدين أما الدولة فأمر فيه نظر (٣) . ان فصل الدين عن السياسة وأمور الحكم يحقق صالح الدين وصالح السياسة معا (٤). أما تطبيق الشريعة، فانه يقود الى دولة دينية . وهذه تقود الى الحكم بالحق الالهى . ان تطبيق حد الزنا مثلا

(١) قبل السقوط — ص ٢٣ .
(٢) نفس المرجع — ص ١١٢ .
(٣) نفس المرجع — ص ١٩ .
(٤) نفس المرجع — ص ٢٣ .

يترتب عليه منع ملاهى شارع الهرم ، والرقص بأنواعه ، ومنع المذيعات من التليفزيون ، كما يترتب عليه ضرورة أن يطلق المذيعون لحاهم ويحفوا شواربهم » (١) وفى محاولة للتعمية

على القارىء يزعم فى كتابه : « ان الحكم الاسلامى بهذا المعنى لم يخلف غير القتل والاغتيال ، واسأل التاريخ عن السيف ، وما ينبئك مثل تاريخ ، فقد أطار السيف من رءوس المسلمين أضعاف ما أطار من رءوس أهل الشرك (٢) ، بل ان عصر الخلفاء الراشدين لم يسلم من الانقسام والاغتيال والاقتتال (٣) ، كما أن أئمة الفقه الاسلامى ، كانوا أكثر من عانى من الحكم السياسى المتسربل بالدين (٤) ، ثم يصف عصر الخلفاء الراشدين بأنه عصر جمود فكرى ، لو عاد لتناقض مع روح العصر ومستحدثاته .

انه عصر الأحجبة والتعاويذ وتطبيق شريعته جمود وانغلاقية » (٥) ، وقد جاء حكم كاتب السقوط على الاسلام متوائما مع اتجاهاته ، ومتوافقا مع اهتماماته ، فماذا سيحكم المعنى بشارع الهرم ، والمنشغل بأنواع الرقص على الاسلام ، وعلى عصر الخلفاء الراشدين ، بل وعلى كل عصور الاسلام بغير ذلك ؟ ، ألا ساء ما يحكمون .

نتائج خاطئة لمقدمات خاطئة :

ويبدو لأول وهلة ومن خلال استعراض المزاعم التى أبداها كاتب السقوط ، أنه وهو المتظاهر بتقديس العقل ، لم يناقش فكرا بفكر ولم يدفع الحجة بالحجة ، بل آثر الركون الى ما استقر فى ذهنه من أفكار ، فأغمض عينيه فى وضح النهار ، وأقسم أن الظلام مطبق ، ومن ثم لم يقدر على تقديم دليل يعتصم به ضد الاسلام ، غير عدد من التصرفات المشبوهة لبعض الناس ، فحكم على الاسلام من خلالها والنظر السليم يقتضى أن يكون الاسلام هو الحكم .

لقد نظر الى حقائق الاسلام نظرة مقلوبة

فلم ير غير صور بدت فى ذهنه مقلوبة ، وكانت النتائج الخاطئة ، ثمرة طبيعية لبنيان فكرى مقلوب ، ولو أن كاتب السقوط كان ينشد الحقيقة المجردة ، لجعل شريعة الله هى الحكم على تصرفات الناس ، ووقتها كان الغالب أن يرى النور نورا والنهار نهارا ، وسيجد أن ما تصيده بقلمه من تاريخ الاسلام ، ينبغى أن يحسب له لا عليه ، فالاسلام هو الاسلام ، عمل الناس بأحكامه ، أو أهملوا هذه الأحكام ، والحقد عليه موجود فى كل وقت ، لكنه يختلف فى وسائله ، فقد يقع بخنجر مسموم ، كما يقع بقلم محموم ، ولن ينال منه أو من فضل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، أن يثب عليه قاتل

---

(١) المرجع السابق — ص ٥٢ وما بعدها .
(٢) نفس المرجع — ص ١٩ .
(٣) نفس المرجع — ص ١٦ .
(٤) نفس المرجع — ص ٢٧ .
(٥) نفس المرجع — ص ٥٣ ، ١٠١ ، ١٨١ .

فيمثاله ، لأن قتل النفس التى حرم الله الا بالحق حرام فى الاسلام ، وعمر بن الخطاب هو الفاروق الذى لم ينقصه الاغتيال قدرا ، بل زاده اعزازا واجلالا وفضلا .

وعثمان بن عفان هو أحد أعلام التاريخ والاسلام ، ولن ينال منه ولا من الاسلام أن يرميه كاتب السقوط كما رماه غيره بالخطأ والتحيز لذوى قرباه ، كما لن ينال منه ، ولا من الاسلام ، أن يثب عليه الثائرون فيقتلوه.

وعلى بن ابى طالب هو على بن ابى طالب ، لن ينال منه ولا من الاسلام ، أن تقع فى عهده معركة الجمل ، تلك الفتنة التى امتحن بها الاسلام فى صدر تاريخه ، وكانت تستهدف وحدة الصف فى الأمة وتمزيق شملها . وكان علاجها بالقتال اجتهادا من صحابة مشهود لهم فى مصادر التشريع بالعلم والفضل والنزاهة ، والقتال من أجل القضاء على الفتنة واجب شرعى ، وهو على هذا النحو ، أمر دين وسياسة ، وليس كما يقرر كاتب السقوط : « ان الامر فى ذلك كله أمر سياسة قبل أن يكون أمر دين ، وأمر حكم قبل أن يكون أمر تحكيم (١)، أو كما يقول : « أليس الأصوب أن ننظر الى كل ماسبق من حديث الفتنة والقتال على أنه سياسة وأمور دنيا (٢) ؟ .

ونحن نقول له : انه أمر دنيا ودين ، وأمر دين وسياسة ، وما ظننته حجة لك انما هو حجة عليك ، وأما ما افترضته فى خيالك لما تقود اليه الاجابة العكسية من كون الدين سببا للفرقة ، فذلك لا يقوم الا فى ذهنك ، فلم تكن الموقعة الا وسيلة للدفاع عن وحدة الأمة .

والاسلام يدعو دائما الى الاعتصام بحبل الله ، ويربط بين المسلمين بأخوة الايمان ، ويجعلها أقوى من أخوة النسب ، ودعوة الاسلام الى الوحدة والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف ، أمر معلوم منه بالضرورة ، اللهم الا اذا كان كاتب السقوط يعتبر خلاف الفقهاء فى الرأى اختلافا ، وشتان ما بين الأمرين عند من له أدنى المام بمبادىء الشريعة ، كما سنرى .

أحكام الشريعة لا تقبل التجزئة :

لقد غاب عن ذهن كاتب السقوط أن أحكام الاسلام لاتقبل التجزئة ، وأن الله قد أنزل شريعته للدين والدنيا ، لتكون هى الضابط لكل أفعال الناس ، ولجميع العلاقات ، وكانت هى الحكم على كل فعل يدخل فى دائرة اكتساب العبد ، ومن ثم كانت أحكامها عامة شاملة ، للعبادات وللمعاملات ، للفرد وللمجتمع ، وكان من مكونات تلك الشريعة وأحكامها : الحكم وأصوله ، والقضاء وأحكامه ، والعلاقات الدولية ونظامها ، والجهاد وآدابه ، والعقوبات وأنواعها ،وكل مايفتح امام الفرد مجال الكمال الخلقى والانسانى ، ذلك هو الاسلام عقيدة وشريعة ، فكيف يستقيم وأمره كذلك لا يقبل التبعيض ولا التجزئة ، مع فكر كاتب السقوط الذى يريد أن يحصره فى المسجد ، ويقصره

◄

(١) قبل السقوط ــ ص ٢٥ .

(٢) نفس المرجع ــ ص ٢٦ .

على العبادة وتلاوة القرآن ، انه لا يريد الاسلام كما أراده الله عز وجل ، ولكنه يريد من خلال دعوته لعزل الاسلام عن الحياة ، أن يهدمه كله ، لأن الاسلام جسد واحد ، اذا شطر انتهى (١) ، فهو يريد اسلاما من نسج خياله ، وصناعة قلمه ، ليكون مجرد ديكور للحياة ، أما الاسلام الحق فان حقيقته كما رأينا : امتثال مطلق لله فى كل أحكامه ، ووعيد قاطع لأمثال هؤلاء الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، بالخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ، وهذه الحقيقة لم تتغير ولن تتغير الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ذلك هو جوهره لن يغير منه أن يكون مطبقا أو غير مطبق ، أن تكون بعض أحكامه معملة والأخرى مهملة ، فعدم تطبيق شرعه ، أو اهمال بعض أحكامه ، لا ينبغى أن يتخذ زريعة لتغيير مضمونه ، أو تحريف القول فيه عن موضعه ، ولا نريد أن نتهم أحدا فى دينه ، بل نطلب من الله للجميع الهداية .

الفهم المشوه لحقائق الاسلام :

لو أن كاتب السقوط قد كلف نفسه بالرجوع الى أبسط مبادىء الشريعة لوفر على نفسه وعلينا الكثير ، ولما تسرع فى اصدار حكمه على الاسلام بأمور ليست منه ، ولا تقوم الا فى ذهنه هو ، ولو أدرك حكمها فى الاسلام لوجد أن فى حملته عليه ظلم له ، وتحامل عليه، ومن يدرى ؟ فلربما غير الفهم الواضح لمبادىء الاسلام كثيرا مما انتهى اليه ، اذا صح عزمه ، وخلصت نيته ، وكان من مخلفات هذا الفهم المشوه فى كتابه الشىء الكثير ، حيث أسبغ عليه من خياله وتصوراته ما يبعث على الضحك ، ويثير الاشفاق ، وكان لابد من ضرب الأمثلة التى تبرزه هذه الأخيلة ، حيث حلق الرجل فى مؤلفه منها بالكثير ، وسأختار للقارىء منها موضوعين ، حرصا على وقته ، ليستوضح معى هذا الفهم المضطرب ، وما يؤدى اليه من نتائج ، هما : الخلاف فى الرأى عند الفقهاء ، وحقوق غير المسلمين فى الشريعة الاسلامية .

اولا ــ الخلاف فى الرأى عند الفقهاء :

من المسائل التى ضل فيها فهم الرجل ، وجاء مشوها مسرفا فى الخيال ، مسألة الخلاف بين الفقهاء فى الرأى ، والخلاف بين اثنين أو أكثر فى الرأى أمر طبيعى ، يجرى على سنن الفطرة التى خلق الله الناس عليها ، وقال فى شأنها : « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ » (١) ، فاختلاف الناس واقع فى كل زمان ، وحاصل فى كل مكان ، ومن مظاهره اختلافهم فى الفهم والادراك ، وهما اساس الخلاف فى الرأى ،

---

(١) تهافت قبل السقوط ، السابق ــ ص ٥٩ .

(١) سورة هود آية ــ ١١٨ .

واذا كان اختلاف الناس على هذا النحو أمرا طبيعيا ، فانه لم يأت عبثا ، بل جاء متوائما مع الحكمة الالهية التى تنشد الرحمة بالانسان ، والتخفيف عليه ، ليقوم فى حياته بما طبعت عليه ملكاته ، ويعوض ما يحتاجه عن طريق اختلاف ملكات غيره ، حيث لا يوجد انسان يستطيع أن يقوم بكل جوانب الحياة وهى متعددة متباينة ، يحتاج تحصيلها الى علم وخبرة ، يضيق بهما عمره القصير ، ومن ثم كان فى حاجة الى علم غيره وخبرته فيما لم يحصله ، وفيما اختلف فيه غيره عنه ، وكان اختلاف الناس على هذا النحو مظهرا من مظاهر الرحمة ، مثله مثل الخلاف بين الفقهاء فى الرأى والقضاة فى الحكم ، من حيث تحقيق

الرحمة بالناس والتيسير عليهم ، وقد جاء فى ذلك القول المشهور : اختلاف العلماء رحمة ، ولم يكن الخلاف بين الفقهاء فى الرأى ليثير شبهة ، وهو الذى يجىء على وفق تلك الفطرة السليمة ، ولا يؤدى الى شقاق وتنازع ، لأنه فى حقيقته خلاف فى فهم النص ، لا اختلاف عليه ، وهو نقاش فى الفروع لا يتعداها الى الأصول ، وفرق كبير بين الخلاف والاختلاف فالخلاف لا يقع الا بين فقهاء تتوافر لهم أهلية الاجتهاد واستنباط الاحكام من نصوص

الكتاب والسنة ، وكان رأيهم لذلك محترما ، واتباعهم فيما اسفر عنه اجتهادهم واجب ، أما الاختلاف فهو الذى يقع بين طرفين أحدهما فقيه تتوافر له أهلية الاجتهاد ، والثانى غير فقيه أو جاهل يعتقد أنه فقيه أو بين اثنين ممن لا تتوافر فيهم أهلية الاجتهاد بل ولا يعلمون من أحكام الله و لا من اسرار التشريع شيئا ، كالذين يجادلون فى آيات الله بغير علم ، أو كمن اتخذ الهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم الله سمعه وبصره وقلبه ، وغيرهما .

الفرق بين الخلاف والاختلاف :

هناك فرق كبير — اذن — بين الخلاف والاختلاف ، فالخلاف بين الفقهاء رحمة ، واختلاف الفضوليين من راغبى الشهرة الذين يجادلون فى آيات الله بغير علم هو الضلال والفتنة ، وما كان لمثل هذا الامر أن يثير جدلا ، لولا ان كاتب السقوط وهو يستميت فى البحث عن خطأ ، قد اعتبره نقيصة محسوبة على الشريعة الاسلامية ، فخلط بين الخلاف والاختلاف ، وراح يصور للقارىء الخلاف فى الرأى على انه تناقض يؤدى الى التضارب والتقاتل ، والنيل ، من صاحب الرأى المخالف ، ورميه بما يعافه الحس السليم ، والايمان الكامل ، وجعل كل ذلك منوطا بتطبيق الشريعة الاسلامية ، فكأن

تطبيقها سيثير الخلاف بين الناس ، وسيؤدى الى تعصب كل فريق لرأيه ، واتهام الرأى المخالف بالبدعة والمروق عن الملة ، ثم اذا به يسرف فى الخيال المريض على حد تعبيره ، ويبالغ فى التصور الى أقصى درجاته ، حين راح يصور للقارىء مشهدا من هذا الخلاف ، بين شباب مسجد الحدائق ، وشباب مسجد مصر القديمة ، وغيرهما من مساجد القاهرة ويقول : « وللقارىء أن يتصور فيما ذكرته قدرا من المبالغة ، وله فى هذه الحالة أن

يتواضع فى تصوراته ويتصور ، حسما للخلاف ، ان تنقسم القاهرة ومساجدها الى مناطق متخصصة ، فهذه مساجد للسلام ، وهذه مساجد للحرب ، وهذه مساجد لم يحسم فيها النزاع بعد (١) » ، ثم مثل لذلك بما اثاره موضوعا قانون الاحوال الشخصية ، ومعاهدةالسلام من نزاع بين الفقهاء واختلاف فى الرأى بين الحل والحرمة ، والجواز وعدمه •

زعم لا يصدقه الواقع :

ولا شك لدينا فى أن ما انتهى اليه كاتب السقوط لا يعدو أن يكون ضربا من ضروب الوهم والخيال ، ولا يمت الى الحقيقة أو الى الواقع بأى صلة ، والدليل على ذلك اننا ندرس آراء الأئمة العظام ، مع الخلاف الواضح بينهم فى الرأى ، وكلما تمعنا فى مشرب كل رأى وأساس استنباطه ، كلما أكبرنا صاحبه ، وزاد فى نظرنا اجلالا واحتراما ، ولم نسمع ان حنفيا اتهم مالكيا ، أو أن شافعيا حقر رأيا حنبليا ، لأنهم جميعا أهل علم وفضل ، واختلافهم غايته البحث عن الحقيقة ، والاخلاص فى فهم مقاصد الشريعة ، ومما يكذب كاتب السقوط فى دعواه أن ما طرحه من تصور للخلاف فى موضوعى معاهدة السلام وبعض مسائل قانون الأحوال الشخصية ، لم يتعد كونه خلافا فى الرأى انتهى الى الاتفاق على صيغة متقاربة تستمد أساسها من وجهات النظر المتباينة ، ولم نسمع عن قصص الاشتباكات المسلحة بين طرفى النقاش الا فى خيال كاتب السقوط •

الخلاف واقع فى فقه القانون :

وعلى فرض وجود خلاف فى الرأى على نحو ما هو حاصل بين الفقهاء ، فانه ينبغى أن يحسب للاسلام لا عليه ، لأنه يجمع ولا يمزق ، ويوحد ولا يفرق ، انه يوحد شتات عمل العقول ، فى الفهم عن الله لا للتطاول عليه ، ولا للجرأة على ما شرعه ، وكان الخلاف بين الفقهاء من مميزات الشريعة السمحاء ، كما أنه موجود فى كل الشرائع السماوية ، فاليهودية لها أكثر من مذهب ، وذلك كالربانيين والقرائين ، وفى كلا المذهبين متسع للخلاف ، والمسيحية لها ثلاثة مذاهب ، وهذه المذاهب الثلاثة تتفرع الى اثنتى عشرة طائفة وكل طائفة تحمل فى طياتها أكثر من رأى لبعض مسائلها ، فاذا كان كاتب السقوط يعتبر الخلاف بين الفقهاء فى الرأى نقيصة تؤدى الى الشقاق ، فالأولى به أن يعتبره كذلك فى غير الاسلام من الاديان قبله ، بل الأولى به أن يعتبره كذلك لا فى الشرائع السماوية وحدها ، بل وفى القوانين الوضعية التى يتعلق بحبالها ، لأن الخلاف واقع بين فقهاء القانون أيضا ، فلماذا اختص الاسلام

---

(١) قبل السقوط ــ ص ٣٩ .

وحده بمثل تلك التصورات الباطلة ؟ ، ولماذا قصر هجومه عليه ؟ ، الا أنه لا يقدر على أن يفعل ذلك فى غيره؟ ، أم ماذا ياجماعة المتنورين ؟ ، مالكم كيف تحكمون ؟ .

اننا لم نسمع عن مثل هذه التجاوزات الا عندما نهج البعض ، ممن يحملون من الاسلام اسمه ، منهج كاتب السقوط ، حين استباحوا حمى الشريعة الاسلامية وحدها ، ونصبوا أنفسهم مفكرين اسلاميين ، أو متنورين بدعيين ، وكان الفهم الخاطىء ، والاستنتاج الواهى ، والخيال المريض ، وكان التطرف ألوانا ، كما كان الجنون فنونا .

ثانيا ــ حقوق غير المسلمين مصونة :

وأما ما يحاول كاتب السقوط أن يلوح به من بزوغ بوادر فتنة يمكن أن يؤدى اليها تطبيق الشريعة الاسلامية ، وذلك من خلال فهمه المشوه لحقائق الاسلام حيث ظن ان الاسلام سينال من غير المسلمين ، وسيجعل للمسلمين ما ليس لهم ، الى غير ذلك مما صوره خياله من تقولات تدعو الى التأليب والتحريض ، فان أصدق ما ينطبق عليه فى الواقع ، قوله فى كتابه : « انها الفتنة لعن الله من أيقظها وحفظ الله مصر من أخطارها » ، وهذا التصور الخاطىء لا يقوم الا فى ذهن كاتب السقوط ، كما هى عادته.

وقد غاب عن ذهنه أن الاسلام لايفرق بين المسلم وغيره فى مجال التعامل ، وأن لغير المسلمين فى فرص الحياة ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وأن شريعة الله تدعو المسلمين الى حفظ أرواح غير المسلمين ، وحماية أموالهم ، وصون أعراضهم ، وأن الاسلام الذى يرفع شعار : « لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ » لا يمكن ان يقرر ذلك .

وقد قال الله تعالى : « فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ » (١) ، ثم يرتب على حرية العقيدة التفرقة فى أمور الدنيا ، وهو العزيز الذى لا يكره على الايمان به أحد .

ان الاسلام ينظر الى غير المسلمين على أنهم أصحاب كتب سماوية ، كما أنهم أهل عهد من المسلمين ووفاء وذمة ، انهم اخوة المسلمين فى الانسانية ، وجيرانهم فى المعيشة ، وشركاؤهم فى مؤاكلة الطعام ، واقاربهم فى مصاهرة النسب ، حقوقهم مصونة ، وحريتهم مكفولة .

وهذه الحقوق ليست منة فقيه أو فضل بشر ، وانما الفضل فيها لله الرحيم بخلقه ، وقد قامت حقوق غير المسلمين فى الشريعة الاسلامية على أسس قوية من كتاب الله الكريم ، وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، واجماع الفقهاء وآثار الصحابة والمعقول .

ومن ثم يقطع اليقين الشك ، ويذهب الباطل ويظهر الحق ، فلا تكون لتصورات كاتب السقوط من الصحة أدنى نصيب .

« وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » .

---

(١) قبل السقوط ــ ص ٨٦ .

الإسلام .. والمسلمون في الصين

٥

ب - الخروج من الجحيم !!

في كتاب « عربي في الصين » دار هذا الحوار بين المؤلف والمترجمة « الصينية » « لى » عن الدين :

قلت لها :

قد يكون صحيحا أن المسيحية كانت محرمة عليكم إلى أن جاء الأمبراطور « كانج سى » عام ١٦٦٥ وسمح لرجال الدين المسيحى بممارسة مسئولياتهم .. ولكن الصحيح أيضا أن الصين لم تكن يوما دولة بلا دين .. أى دين .. حتى دين كونفوشيوس ...؟

قالت :

ولكن الدين المسيحى لم يدخل علينا إلا مع الأفيون على أثر انتصار عرش « مانشو » بمساعدة القوى الاستعمارية وإرغامنا على فتح أبواب بلادنا للمسيحية .. وللأفيون معا ..!!!

قلت في حنق :

وهل ننسى أن البعثات البروتوستانتينية والكاثوليكية إلى الصين هى التى أدخلت إليكم العلوم الغربية ، والطب ؟

قالت لى :

لا .. لن ننسى كل ذلك ، ولكننا لن ننسى أيضا أن تلك البعثات الدينية « التبشيرية » هى التى تحالفت مع الاستعمار ضدنا .. وهى التى تحالفت مع شانج كاى شك وطالبت بالتدخل الأمريكى المسلح ضد ثورتنا فى عام ١٩٤٩ وهى التى انتقمت قبل ذلك من ثوار « بوكسر » عام

(١) ناصر الدين النشاشيبى ط القاهرة ١٩٦٤ م

للدكتور عبد الودود شلبي

١٩٠٠ لقيامهم بالثورة ضد الاستعمار .. وعلقت على المشانق عشرات بل مئات من شباب الصين فى المنطقة الشمالية .. ثم لا ننسى ما كانت تمتلكه تلك البعثات الدينية من مبان وأراض ومشآت تقدر قيمتها بملايين الدولارات بينما أعطى أصحابها نوعا من العيش يختلف عن حياتنا .. يختلف عن مفهومنا .. عن تفكيرنا . بل إن بعض تلك البعثات كانت ترفض أن تدفع أية ضريبة على أملاكها للدولة بحجة أنها مسئولة فقط إلى الدولة الأجنبية التى تنتمى إليها .

وسكتت « لى » قليلا قبل أن تقول :

إذا كان شعورنا الحالى هو الشعور العدائى نحو الكنيسة ، فإن شعور الكنيسة نحونا لم يكن أقل عداء .. ولا أقل كراهية ..

قلت لها :

هل أفهم من حديثك أن الكنائس قد أقفلت أبوابها فى الصين ؟

قالت :

لم يبق — على ما أعتقد — أكثر من مائة قسيس من مجموع الخمسة آلاف وخمسمائة قسيس أجنبى .

قلت لها فى ذعر :

وأين ذهبوا ...؟

قالت :

بعضهم سافر .. وبعضهم ترك خدمة الدين .. وبعضهم مات .. وبعضهم فى السجون بتهمة التجسس .

وهنا قررت أن أنهى حديثى عن الدين مع « لى » ولم أعد أطرق هذا الموضوع من بعيد أو من قريب إلا عندما التقيت بشاب باكستانى خارج من مكتب شركة الخطوط الباكستانية فى « شنغهاى » وبادرته بالتحية الاسلامية المعروفة : « السلام عليكم » وإذ بالباكستانى، برد على الفور : « سلام عليكم »

وسألتنى « لى » ماذا قلت له ؟

أجبتها بأنى قد بادلته التحية الاسلامية

قالت : وهل تعرفه ؟

قلت : لا .

قالت : وكيف تحيى شخصا لا تعرفه ؟

قلت : هذا هو الاسلام .

قالت : هل الاسلام يسمح لكم بالتحدث مع أى شخص تلقونه فى الطريق ؟

قلت : بل الاسلام يقرب بين كل مسلم ومسلم .. إنه دين المساواة .

قالت : وهل أصبح الاسلام كالشيوعية ؟

قلت : بل لعل الشيوعية عندكم قد تستطيع أن ترتقى وتصفو لكى تصبح كالاسلام ..

قالت : هل تعنى أن الاسلام جاء قبل الشيوعية ...؟

قلت ضاحكا :

— المؤكد يا « لى » أن الشيوعية لم تأت قبل الاسلام ..

ومضت « لى » تسألنى عن الاسلام .. ما هو ؟ ما تعاليمه .. من رسوله ؟ ما كتابه ؟ ما نصوصه ؟ ما قصته ..؟

وحاولت أجيب على أسئلتها بالتفصيل ، وأستطيع أن أعترف أن « لى » كانت تستمع إلى حديثى بشغف واهتمام . إن إلحادها الظاهرى

لم يمنعها من أن تحاول البحث عن الحقيقة فى دين سماوى . كانت أشبه بالمستسلم إلى حالة — لا يرى ما يمنعه من الثورة عليها إذا وجد ما هو خير له منها — بل لعل « لى » « قد حفظت عبارة « سلام عليكم » واصبحت ترددها كتحيتها لى كلما التقينا .. فى الصباح او فى المساء ».

وبهذه المناسبة .. فقد كان يرافقنا فى تجوالنا بين ربوع الصين مترجمان ومترجمة وكانت هذه المترجمة واسمها « زينب » هى العمدة بين هؤلاء المترجمين واكثرهم ذكاء وحيوية .

لقد ظنناها فى بادىء الأمر مسلمة .. وهل يشك أحد فى اسلامها واسمها زينب .. ولكن الحقيقة تكشفت لنا — بعد اسبوع من الترحال والتنقل — ان « زينب » ليس اسمها الحقيقى ، كما انها لم تكن مسلمة ولا متدينة ..!

ويبدو أن كل مترجم يختار له اسما من اللغة التى يترجم منها إلى الصينية فالذى يعرف العربية يختار له اسما عربيا ، والذى يعرف اليونانية يختار اسم « خريستو » او « باباندريو »...!!

لم يكن مسلما بين هؤلاء المترجمين غير « مصطفى » الذى حضر إلى الأزهر فى دورة تدريبية اما « صالح » المترجم الثالث فقد كان هو الآخر على مذهب « زينب » التى لم تكن مسلمة ولا متدينة ..!

لقد خرجت الصين من « القمقم » كما قالت الجارديان GAURDIAN وكان لخروجها اكثر من سبب ، وأكثر من باعث ، وأكثر من مبرر ..

كانت الصين شيوعية مسرفة فى هذه الشيوعية ، وكان تفسيرها للشيوعية أكثر تشددا من « الروس » الذين أصبحوا فى نظر « ماو » محرفين وخونة .

لقد كتب « ماوتسى تونج » يقول : فى كتابه الأحمر — الذى ظهر منذ عشرين سنة :

« ... الشيوعية هى نظام كامل للأيديولجية وهى أكثر النظم كمالا وتقدمية ، لقد دخل النظام الأيديولوجى الرأسمالى متحف التاريخ وأصبح كالشمس الغاربة خلف التلال الغربية ولن يطول به الوقت حتى يلفظ أنفاسه ، أما النظام الأيديولوجى والاجتماعى الشيوعى فهو وحده ينبغى بالشباب الناضر والحيوية الدافقة وينتشر فى العالم بسرعة التيار الجارف وقوة الصاعقة »(١)

وقد نشرت جريدة « جينمين جيهاو » لسان الحزب الشيوعى الصينى أكثر من ٢٠٠ مائتى مقال تتهم الروس بأنهم يشوهون التاريخ علنا لكى يستروا خيانتهم للماركسية اللينينية . ثم تتهم هذه الصحيفة « يوغوسلافيا » — هى الأخرى — بأنها باعت نفسها جسما وروحا للاستعمار الأمريكى — وهى لم تعد الرأسمالية — وحسب — إلى يوغوسلافيا — بل أصبحت أداة استعمارية لتحطيم المعسكر الاشتراكى والحركة الشيوعية . (٢)

وقد بادل « الروس » « الصينيين » الاتهامات نفسها ، وانقسم المعسكر الشيوعى تبعا لذلك إلى جبهتين تتربص إحداهما بالأخرى .

ولكن المفاجأة الكبرى جاءت من الصين هذه المرة .. فقد ظهرت صحيفة « الشعب » الناطقة بلسان الحزب الشيوعى الصينى تقول فى صدر صفحتها الأولى : أن الماركسية أصبحت بالية

(١) مقتطفات من أقوال الزعيم « ماوتسى تونج » نشر دار اللغات الأجنبية بكين ١٩٦٧ م ص ٢٤ ، ص ٢٥ .

(٢) الماركسية والغزو الفكرى : جلال كشك ص ٦٤ ص ٦٥ طبعة القاهرة ١٩٦٥ م

وغير صالحة لحل مشاكل الصين الحقيقية .

لقد مات ماركس قبل عام ومائة عام ، وانقضى على أعماله أكثر من قرن ــ كانت بعض آرائه صالحة لهذا الوقت ــ ولكن الأحوال تغيرت كثيرا .. كما أن بعض آرائه ليست صالحة بالضرورة .

ثم قالت الصحيفة :

ان استخدام نظريات « ماركس » « ولينين » لتعريف الحياة المدنية لن يؤدى إلا إلى إعاقة التاريخ (١)....

وهكذا ... أصدرت الصين فى عهد « ماوتسى تونج » شهادة بـ « وفاة » الشيوعية فى روسيا ، ثم عادت الصين ــ بعد ذلك ــ لتأمر بمواراة « جثة » هذه الشيوعية ، حتى لا تعيق رائحة عفنها حركة الحياة فى هذه الدنيا .

* * *

لقد أحرق الشيوعيون المعبد بكل ما فيه من « أصنام » الشيوعية بدءا من « ماركس » وانتهاء بـ « لينين » و « ستالين » وماوتسى تونج .

ولن يبعد كثيرا ذلك اليوم الذى يتخلص فيه العالم من كل « عقيدة أو مذهب » يصطدم مع الفطرة الانسانية فى الروح والمشرب .

* * *

لقد تداركت الصين ــ بحكمتها القديمة ــ الوقوع فى الشرك وانطلقت إلى العالم الفسيح بفكر متفتح على الحياة .، وقبل أن تختنق بدخان النظريات وتحترق .

إن عقدة الصين « التاريخية » هى القوة ، وتحقيق الذات ، وتحقيق السيادة العظمى على أرض الوطن ...

فقد مرت الصين بظروف عصيبة تعرضت فيها لمحن وأهوال مخيفة ، وجربت كثيرا من النظريات التى لم تخط بها إلى الأمام خطوة واحدة وسواء أوجدت هذه القوة فى « الشيوعية » أو فى « الكونفوشية » أو فى « الجمهورية » فالمهم أن تتحقق هذه القوة ، وأن تسترد هذه القوة .

يقول مؤلف كتاب « عربى فى الصين » (٢) :

« ... وعندما قابلت « شانج وين شين » المدير العام لوزارة الخارجية الصينية ، كانت « القوة » تملأ أحاديثه وألفاظه ».

وعندما قابلت « كوموجو » نائب رئيس اللجنة المركزية لمؤتمر الكونجرس الوطنى فى المبنى الرئيسى للكونجرس ، أحسست « بالقوة » تنطلق من بين أسنانه الصغيرة ، وهو الرجل الذى جاوز الخامسة والستين .

ولم أخرج من زيارة أى مصنع من مصانع الصين ، إلا وكانت أصوات الأناشيد الحماسية المنطلقة من أجهزة الصوت ، تلاحقنى وكأنها هدير بحر ، أناشيد تذكر العامل بواجبه وتهتف على الدوام بحياة العمل ، والعمال ، والاشتراكية .

ولم أستيقظ مرة فى ساعات الفجر المبكر ، وأطل من غرفتى بالفندق وسط الظلام الدامس على البولفار الممتد أمامى كالثعبان الضخم فى قلب العاصمة بكين ، إلا وسمعت الاف الأطفال وقد خرجوا فى طوابيرهم التقليدية وأمامهم الأعلام الحمر ، والسنتهم تردد أغنية أصبحت من كثرة تكرارها أعرف معناها :

« نحب الأغانى فى صوتنا ..»

« ونحب الشعر فى حسنا ...»

(١) نقلا عن مجلة المنار التى تصدر فى باريس .. العدد الثانى فبراير ١٩٨٥ م ص ٨ .

(٢) ص ٩٢ ، ٩٣ .

« ولكنا فى الولاء ...»
« نحمل قلب محارب ...»
« إن الريح حولنا كالرمح ، والمطر فوقنا كالسيف » ..
« ولا يقدر زائر أن يمشى فى الطريق ...»
« ولكننا — نحن — فى ميدان المعركة ..»
« لا نخشى الرماح ، ولا نخاف السيوف ...»

هذه هى الصين اليوم :

عملية مستمرة تعوض الحاضر والمستقبل عما فات أهلها فى الماضى .

عجلة تدور لكى لا تقف أبدا ، تعطى للجيل ما ضاع على آبائه وأجداده ، طيلة مئات السنين .

حديث كله اعتزاز يحاول أن يمسح بالنغم والنشيد ، والخطاب والولاء ، والتنظيم عار الضعف والفقر والانحلال .

وإذا كانت القذارة « من مظاهر الضعف » فقد أصبحت الصين اليوم انظف بلد فى آسيا . إن لم يكن فى العالم كله .. هى كذلك فى فنادقها .. وفى شوارعها .. وفى مطاعمها .. وفى مكاتب وزرائها .

وإذا كانت البطالة ، أو الكسل ، أو الفوضى ، من علامات الضعف ، فليس فى الصين اليوم عاطل ، أو شحاذ .. أو فوضوى .. لأن الصين تريد — بل هى أرادت فعلا — لأهلها ، القوة والعمل والانتاج والحياة ..»

ان « البوشيدو » (١) أو « روح اليابان » هى التى جعلت من اليابان أعظم قوة اقتصادية ، وهى التى اهابت بالصين أن تلحق بجارتها قبل — فوات الأوان — فى سباق هذه القوة .

فإذا وقفت « الماركسية » عقبة فى طريق هذه القوة فليذهب ماركس ولينين إلى الجحيم من غير رجعة ....!!!

ان « تايوان » الإبنة العاقة للصين قد تفوقت اقتصاديا ؟...

وكوريا الجنوبية ؟ وسنغافورة ؟ حتى « هونج كونج » (٢)؟ — الابنة السلبية — أصبحت هى الأخرى معجزة اقتصادية .

إن مقاييس الرخاء والتقدم لم تعد تعتمد على هذه النظريات التى عفا عليها الزمن فالحياة تجربة مستمرة وما يثبت صلاحه يكون أحق هذه التجارب بالبقاء والاستمرار دون غيره .

من أقوال ماركس : إن الدين أفيون الشعب .. كلمة قالها وهو يشرب الخمر أو حين قبض عليه فى لندن متلبسا بالعربدة والسكر ، وها هى التجارب أثبتت أن « آراءه وأفكاره » هى الوباء والأفيون والخمر بل هى « السم القاتل » للحياة والأمل .. والخير .

فمرحبا بالصين الجديدة .

« صين » الحرية و « صين » الحكمة ، وصين الشجاعة والجرأة .

مرحبا بها فى قلب مائة وخمسين مليونا من العرب .

ومرحبا بها فى قلب الف مليون مسلم .

وشكرا لشعبها العريق — من جبل العطر — فى بكين إلى قمة الجبل السماوى — فى سينكيانج —

ومن مسجد « المشتاق إلى النبى» فى كانتون .. إلى نهر اللؤلؤ .. وهونج كونج ..

---

(١) « البوشيدو » تأليف الدكتور اتازونيتوبه — ترجمة مختار كنعان .

(٢) ستعود « هونج كونج » إلى الصين ١٩٩٧ م حسب الاتفاق الأخير مع بريطانيا .

شعر وشعراء

من أعلام الأزهر

غفار

للشاعرة عليه الجعار

إلـهىَ أنت الخير والنور والهدى ... وإنـك غفار لمن تـاب واهتـدى
إلـــهى هذا الطّين قد ضل ظاهرا ... ولكنَّ فى الأعمـاق قلباً مـوحـدا
هو العاشق الولهان فى كل نبضة ... يؤكـد حبا خـالصـا منجـردا
لوجهك ياألله قد أخلص الهوى ... فطوّفَ فى الآفاق بالحب منشدا
اتيتُ بذنب الأمس أبكى توسلا ... ودمعِىَ فوق الخد ينساب مجهدا
سألتك باسم الحب ياسيدى رضا ... ينوِّر أمْسًا كان بالـذنب أسودا
فأنت كريم الوجه لم يأت سائل ... إليك وكان الباب دونك موصدا
مددت إليك الكف أدعو وأرتجى ... رضـاءك ياألـلـه فامـدد لِىَ اليدا
فملءُ يدى حبى ودمعى وتوبتى ... وملء يديك العفو والصفح والندى
ولى أمل فى العفو منـك فإننى ... قصدت حَبِيبًا غافر الذنب سيدا
تعودت منك الجود مولاى والندى ... وللمـرء من مولاه مـا قـدتعـوّدَا

الإنسان.. والزمن

الشاعرة جليلة رضا

أنا كلما شاهدت أمسى من خلال الذكرياتِ
ورأيت نفسى طفلة تلهو على طرقات ذاتى
.. أنا كلما شاهدتُنى .. أنكرت من أخذت صفاتى
وكأنها بنت سواى غريبة عاشت حياتى
هى ذى ترفّ .. تلفّ .. تقفز فوق أكتاف الحياه
وتهيم ، تصرخ فى الطريق بغير أيْنٍ وغير آه
وتطير من نجم إلى نجم لتسبح فى سناه
هى ذى تغنِّى للقلوب وللعيون وللشفاه ..
هى ذى على روض الربيع تضم أفنان الشجر
وتعبٌّ .. تملأ كأسها عطرا وتسكبه .. مطر
ونداء « نيسان » المراهق يستشف المستتر
هى ذى تزيِّن وجهها فى ظل بلّور القمر
هى ذى على جسر الخريف تشمّ أنفاس البحيره
الجسر منفرج الضلوع يهزّها قلقاً وحيره
والماء يومض ساخراً ويمدّ نحو الشطّ سيره
والليل راهبها البتول يبيح للعذراء ديره
إنى أراها الآن تجتاز النهايات الطليقه
وتكاد كالدلو الثقيل تغوص فى البئر العميقه
ذ بُلَتْ كأوراق الشتاء على الماشى فى الحديقه
وتوحدت عبر الحياة .. فلا رفيق ولا رفيقه

من شمائل المسلم

لطيف كرفّاف النسائم طيِّبُ   نَقِيٌّ كماء المزن فى النفس يُسْكَبُ
كريم كأنفاس الرياض شمائلا   إلى فيئها تصبو النفوس وتقرب
سَوِيٌّ ، صريح القول ليس مراوغا   يخادع شفاف الضمير ، ويكذب
عفيف ، أبِيُّ النفس عند خصاصة   وإن بات فى كف الطَّوَى يتقلب
على المال والأعراض يؤمن سطوه   وهل يستبيح السطو مَرْءٌ مهذب ؟
وليس العفاف الحق عما تعافه   ولكنه عما تحب وترغب
له وازع من ذاته متيقظ   يقيه عثارا أينما هو يذهب
وفِيٌّ صدوق ليس يخلف وعده   ولو مسه الضُّرُّ الذى يُتَجنَّب
صبور على الأرزاء ليس بطائش   يثور على الأحداث سخطا ويغضب

للأستاذ محمد صيان الدين

فكل الذى يغشى الحياة مقدر فأين يفر المرء منه ويهرب ؟

ترى فى مُحَيَّاه الوديع بشاشة تنم عن القلب الطهور وتعرب

يقوم مع الأطيار يعبد ربه ويغدو إلى أرزاقه يَتَسبَّبُ

غيور حديد العزم ليس بخائر يخوض غمار الحرب لا يتهيب

إذا ما دعا داعى الجهاد رأيته كَمِيًّا على متن المنية يركب

ومن يشرق الإيمان بين ضلوعه فإن القُوَى فى عزمه تتوثب

يسير على الغبراء عنوان دينه عبيرا من الأخلاق يذكو فيعجب

له فى عيون الناس أروع صورة أثير لدى كل القلوب محبب

يقيس بمقياس الشريعه نفسه ويغدو إلى محرابها يتأدب

ومن يعتنقْ دينا يلازمْ حدوده وينهض بما يدعو إليه ويوُجب

ذنوب القصائد

شعر: إبراهيم عيسى

يا خافقى اللهُ لَكْ ... تطلبُ ما لا تمتلكْ
ماحيلتى وكلما عدت اليه قَتَلَكْ
وبالهوى وشوقه حرَّرْتُهُ فَكَبَّلَكْ
فرُحْت تهْذِى بالمنى .. ورحت أبكى طَلَلَكْ
وأطبَقَ الليل وناحت غُربَةٌ ترتعدُ
والفجرُ فى أحشائِه طفل جفاه المولدُ
فكلما امْتَدَّتْ إلى النور من النفس يَدُ
يَشُدُّنى .. يجذبنى إلى التراب الْجَسَدُ
وسال طيفٌ من شعاع فى كهوفِ ظلمتى
وأَبْصَرَتْ روحِىَ فى أحداقه طفولتى
وقيل ياربِّ ... فضجَّ الصمتُ حول دمعتى
والتَفَتَ القلبُ يزفُّ للهدى بَقِيَّتى
وحينما لاح السنا من جانب الطُّور عليْهِ
وارتَجَفَتْ نفسى وفرَّتْ من خطاياها إليْهِ
تقوَّسَتْ خاشعةً لله ترجو راحتَيْهِ
وهرولَتْ ذنوبُها ساجدةً بين يديْهِ
وصحت يامحمدُ ... وتمْتمَ التشهُّدُ
فاخْضَرَّ فى متاهتى دَمْعِىَ وَالتَّنَهُّدُ
وَانْهَلَّ نبْعُ النور وانهد جدار أسودُ
فسِرُّ سِرِّ اللهِ يوم نلتقى ... محمدُ

من أعلام الأزهر ٢

محمد عبد الله دراز

باحث منهجى متفرد

للدكتور محمد رجب البيومى

حين تهيّأ الدكتور محمد عبد الله دراز لإعداد رسالة الدكتوراه فى الفلسفة بجامعة السوربون لم يحتطبْ فى حبْل المستشرقين ، كما نعهد لدى كثير من المبعوثين الّذين يخضعون إلى توجيهات مريبة ، فيكتبون عن الإسلام والعربيّة مَايُرْضى نزعات من يشرفون على رسائلهم ، وفيهمْ من يشتطّ فيعبّر عن كلّ مايودّون إذاعته من أراجيف ، لينال الحظوة لدى قَوم يسوؤهم أن يظهر الإسلام فى مظهره الشريف .

لقد قَدَّرَ دراز أنهّ مبعوثُ الأزهر ، وأنّ عليه أن يصَحح أخطاء من حجدوا الإسلام عن عَمْد أوجهل ، ومادامَ لديه المنطق الصحيح ، فخيرٌ له أن يخُوضَ المعركةَ مع خصومه الذين هم فى الوقت نفسه أساتذته الفاحصون والمشرفون ، وإليهمْ يرجع الأمر فى تقدير الرسالة قبولاً ورفضا ! لذلك تقدّم برسالتينْ للمناقشة ، رسالة رئيسيّة عن الفلسفة الأخلاقية فى القرآن وقد تُرجمتْ إلى العربية تحتَ عنوان (دستور الأخلاق فى القرآن) .

ورسالةٍ فرعية تحت عنوان (المدخل إلى القرآن الكريم) وقد تُرجمت أيضاً إلى اللسان العربى .

يذكرُ المؤلف العلامة بصدد الرسالة الأولى أن النظرة السريعة إلى مؤلفات علم الأخلاق العامِ السائدة فى أوربا كافية لنلحْظ فراغاً هائلا نشأ عن السكوت عن علم الأخلاق القرآنى . إذ أنّ

محمد عبد الله دراز

هذه المؤلفات تَذكُر المبادىء الأخلاقية فى الوثنيّة الاغريقيّة واليهودية والمسيحيّة ثم تنتقل إلى العصور الحديثة فجاةً وكأنّ الإسلام لم يكنْ . وكأنّ القرآن لم يُحدث تأثيره الخلقىّ فى العالم بأجمعه أفليستْ هذه خسارة ضخمة أن نُغفل نظرية الأخلاق فى الاسلام !! .

لقد وُجدت محاولات مبتورة فى هذا المجال جاء مضمُونُها بعيداً عن النظرية الأخلاقية الصادقة فى كتاب الله فمن حيثُ الإطار أغفل الباحثون الجانبَ النظرىّ من المسألة ، فليسَ هناك عالم « أوروبى » واحد حاول أن يستخلص من القرآن مبادئه الخلقية العامة ، ومن حيثُ المضمون فقد رجع هؤلاء إلى ترجماتٍ غير صحيحة وإلى تلخيصات مشوّهة فكتبوا بتأثيرها غير الصحيح .

يقول الدكتور دراز « ولذلك بدا لنا من الضرورى أن نتناول الموضوع من جديد ، وأنْ نعالجه تبعاً لمنهجٍ أكثر سلامة ، من أجل تصحيح أخطاء الكاتبين ، وملء هذه الفجوة فى المكتبة الأوربيّة . لنُرِىَ علماء الغرب الوجه الحقيقىّ للأخلاق القرآنية » .

ولم تكن المهمّة سهلة هَيّنَةً . لأن كُتُبَ الأخلاق الاسلاميّة فى أكثرها الغالب لمْ تَبْحث التأصيلَ النظرى للقضّية الأخلاقية فى الإسلام ، ومَنْ تحدثَ عن ذلك كانتْ شذراته متناثرةً فى أماكن مختلفة من كتب التصوّف والفقه وعلمِ الكلام ، وكلُّها لم تُعن دائما بوجهة النظر الأخلاقية بمفهومها الخاص .

وللغزالى وغيره كلامٌ فى المنحى الخلقى ذكر الباحثُ عنْه أنّهم جمعوا الآيات القرآنية بترتيب السّور ، وجعلوا من مختاراتهم مجرّد جمع لموادّ متفرقة لا تجمعُ بينها روحُ القرابة ، ولا يظهُر فيها أىّ تسلسلٍ للأفكار ، لذلك كان الباحث رائداً فى طريقه الجديد .

ودراســة هذه الرسالة مما يتعذّر فى هذا المجال ، وحسبُنا أن نُشير إلى أنها ترجمت للعربية فى (٧٨٠) صفحة وأنها تضمنت بابينْ كبيرين .

الباب الأول : عن الوجهة النظرية للأخلاق القرآنية وقد جاء فى فصولٍ خمسة تتحدثُ عن الإلـزام ، والمسئوليـة ، والجـزاء ، والنيّـة ودوافعها ، والجهد .

والبابُ الثانى : عن الأخلاق العلمية وقد جاء فى خمسة فُصول تتحدث عن الأخلاق الفرْدية ، والأخلاق الأُسَريّة ، والأخلاقِ الاجتمـاعية والأخلاق الدينيّة وأخلاقِ الدولة ثم خُتمت الرسالةببحثٍ إجمالى يُوجز أمهاتِ الفضائل الاسلامية .

ومن الإنصاف أن نذكرَ أنّ منطق الدكتور دراز كانَ من القوة بحيثُ ألزَم مناقشى الرسالة بأن يمنحوهُ مرتبة الشرف الأولى من دكتوراه الدولة ! وهى أعْلَى الدرجات العلمية فى فرنسا ، لأنّ الرسالة قد غيّرتْ المفهوم السائد عن الفلسة الإسلامية بنوعٍ عامٍ وعن فسلفة الأخلاق بنوعٍ خاص .

إذ كانَ الشائع المتداول فى دوائر الاستشراق أن مفهوم الفلسفةِ الإسلامية ينحصرُ فى المترجمات الإغريقيّة دونَ زيادة فالعرب المسلمون مترجمون لا مؤصّلونَ فجاءتْ هذه الرسالة لتثبت أصالة الفكر الاسلامى الفلسفىّ ولتعد القرآن الكريم منبعَه الأوّل ، كما أنّ الأخلاقَ الاسلامية

لدى هؤلاء لم تُوصفْ بغير مجموعة من العظات والنصائح لا تخضعُ لفكرةٍ شاملة ولا يتقيد بمنطق عام ، فجاء القسم النظرى من الرسالة ليؤكّد قوةَ النّظرةَ الفلسفية لدى المسلمين ، وهى نظرةٌ جديدة تستمدّ عناصرها من القرآن ، ولا تعتمد على وافدٍ من الترجمات !

أما الرسالة الفرعية (مدخل إلى القرآن الكريم) فقد كُتبت لتصحيح الأخطاء المتداولة فى أوروبا عن كتاب الله ، وفيمن تعرّضَ الدكتور دراز إلى تخطئتهم أساتذتُه فى جامعة السربون ، وأعلامُ الفكر الاستشراقى ممّن رُزقُوا دَوياً رنانا فى بحوثهم الذائعة ، وما حفل الأستاذُ بغضبِ أحد ، إذا كانتْ لهجتُه المهزية ، وأدلته المقنعةَ كافيةً بأنْ يكبت كلّ انفعال مضاد .

وقد جاءتِ الرسالة فى ثلاثة أبواب .

تضمنّ الباب الأوّل فصلاً عن حياة الرسول ﷺ قبل البعثة ، وفصلاً عن جمع نصوص القرآن ، وفصلاً عن تبليغ المبدأ القرآنى للعالم .

وتضّمن البابُ الثانى فصلاً عن الحق والعنصر الدينى فى القرآن وفصلاً عن الخير والعنصر الإخلاقى ، وفصلاً عن الجمال أو الجانب الأدبى ، وهذا البابُ من الرسالة الفرعيةُ يمتّ إلى الرسالة الرئيسية بأقوى الأسباب ، وكأنّ الباحث أراد به أنْ يؤكد أن النظرة الأخلاقية من صميم الدراسات القرآنية ، فهى فى موضع الاهتمام لدى كلّ من يتحدّث عن كتاب الله .

أما الباب الثالث فخاضَ بالبحث عن مصدر القرآن فى الفترة المكية وفى الفترة المدنية ، ومصدرُ القرآن هو الله دون نزاع ، ولكنّ كَهنَةَ الغَرْب يختلقونَ مصادر زائفة رأى الأستاذ أن يجهز عليها بالدليل فبلغَ المراد ، وقد جاءتِ الخاتمة لتؤكّدَ حقيقة الوحي وتبطل ماأحاط به من المزاعم والأراجيف ولتنتهى إلى أنّ منهج القرآن الكريم ينهض دليلاً كافيا على مصدره الربّانى .

وانا أنْصحُ الذين يكتبون فى أمثال هذه الأمور الدقيقة أن يقتدوا بأسلوب الدكتور دراز العلمى ، لأنّنا وجدنا من أطال القول فى هذا المجال معتمدا على العبارة الرنّانة والأسلوب الخطابى ، ومندفعاً للاستهزاء من الخصوم بالقول الجارح ، والتطاول الحادّ ، وليس هذا سبيل المحققين من الدارسين ، فالاستهزاءِ لا يكون بالسباب والتطاول . ولكنّه ببلاغة العرض ، وقوة الدليل ، ونظافة اللفظ .

وقد رأينا كثيرا من المخطئين يرجعون عن آرائهم حين يلمسون قوة المنطق ، وسلامة التأتى ، وعفّة اللفظ ، ومارأينا واحداً من هؤلاء يرجعُ عن رأيه الخاطىء لأنّه قُوبل بالسباب ! بل ربّما زاده ذلك إيغالاً فى الضلال .

فإذا تركنا مؤلّفيْه هذين ، إلى مؤلفاته الحرّة التى لم ينلْ بها إجازة علْمية فإننا نلحظُ أنّ الباحث الدقيق لم يُسرف فى التأليف إسراف زملائه ، لأنّه اّلتزم أن يأتى بالجديد ، وصاحبُ هذا المنحى الهادف يُغنِى الكتاب الواحد من قلمه عن عشراتٍ من أقلام مَنْ يكررون ويرددّون ، إن طرافة اتجاهِ الأستاذ دراز فى منحاه التأليفى ، تجعلُ كتابه جديداً دائما ، مهما كرّر المطالعُ قراءتَه لأن القارىء لا يستوعبُ حقائقه فى مطالعة واحدة بل يظلّ يعاود ويراجع وفى كل قراءةٍ تنجلى له حقائق جديدة ! وهذا مالَمستُه شخصيا وأنا أطالع كتابه الجادّ « الدين ، بحوث

٩

محمد عبد الله دراز

ممهدة لتاريخ الأديان » وهو كتاب يهم كلّ مشتغل بالدراسات الفكرية العميقة لأنّ تاريخ الأديان في لبابه هو تاريخ البشرية .

وقد وجدت الأديان من يؤرّخ لها من ذوى النزعات المادية ليجعلها حلقاتٍ في سلسلةٍ تتصل لتُعفّى كل حلقة على ماقبلها ، وإذا بالأديان في النهاية خيالات يعتنقها البشر في أدوار الطفولة !!

هكذا اجترأ الملاحدة على تصوير الأديان دون رعاية لمنطق ، أو احترام لحقيقة ، حتى جعلوا التفكير الدينى دوْراً بدائياً تعدته البشرية المعاصرة في عهد النور ، ومثل هؤلاء في حاجة إلى قلم جادّ يكشف الزّيف عن عيونٍ عشيت في أمواج النور فجعلت تتخبّط فيها وكأنها تتقاذف في لجج الظلام .

فبعد أنْ تحدث الكاتب عن المدلولَيْن الخاص والعام لكلمة الدين ، أخذ يوضّح العلاقة بين الدين وكلّ من الأخلاق والفلسفة والعلوم ليجعلها علاقة ترابط والتقاء ، لا علاقة تفكك وابتعاد وكل ما قاله في هذا الباب نفيس جيد ترفده الفكرةُ النافذة ويقيمه الدليل البصير .

فإذا انتقلنا إلى البحث الثالث وهو (نزعة التديّن ومدى أصالتها في الفطرة) فإننّا نجد العالم المستوعب يناقش آراء الماديين ، ويقفُ موقف النّاقد لقانون الأطوار الثلاثة الذّى يذهب إلى أنّ العقلية الإنسانية مرتْ بثلاثة أدوار ، دور الفلسفة الدينيّة ، فالتجريدية ، فالواقعية ، وهو قانونٌ أصبح بمثابة البدهيات لدى من يجحدون عالم الغيب ، ولكنَّ المؤلّف يفصح عواره في أدب متئد حين يقول : ونقطة الخطأ البارزة في هذا المذهب التطوزى هى أن أنصاره جعلوا منه قانوناً يستوعب التاريخ كله ، في شوطٍ واحد ، قطعت الانسانية ثلثية بالفعل ، ونفضت أو كادت تنفض يدها منه إلى غير رجعة ! ولو أنّهم جعلوا منه سلسلة دء، ية كلّما ختمت شوطاً رجعت عودا على بدء لكان الخطأ في النظرية اقل سذاجة »

وقول الأستاذ لكان الخطأ أقلّ شناعة ! يثبتُ أن هذا الحلّ الأخير خطأ أيضا . وكونة أقلّ من خطأ النظرية الأولى ! لأنّ التفكير الدينى قد اعتمد على العقل منذ خلق الله آدم ، ومنذ علّمه الأسماء كلها ، فنزل إلى الأرض موحدا مؤمنا ، مستنيرا بهداية السماء ، وما ضلّ أحفاده إلا لأنهّم خالفوا منحاه ، فتوالت الرسل يصحّحون ويهدون .

وقد عرض المؤلف لآراء المفكرين في نشأة العقيدة الالهية ، فدرس ماقاله أنصار مذهب التطّور ، وما قاله الطبيعيون ، وما قاله أصحابُ المذهب النفسى ، وأصحاب المذهب الخلقى ، وأصحاب المذهب الاجتماعى ، لينتهى إلى خلَل هذه المذاهب جميعها ،وصحة المذهب القرآنى ، عارضاً من آيات الذكر الحكيم مايقنع العقل المحايد خاتما حديثه الرائع بقوله .

« ولن يَسَعَ الباحث المنصف متى تحققَ هذه الإحاطة العلمية الشاملة ـ إحاطة كتابَ الله ـ إلا أنْ يرَى فيها آيةً جديدة على أنّ القرآن المجيد ، ليس صورةً لنفسية فرد ، ولامرآة لعقلية شعب ، ولاسجلّا لتاريخ عصر ، وإنماً هو كتابُ الإنسانية المفتوح ، ومنهلها المورود » .

هذا عن كتاب (الدين وبحوث ممّهدة في تاريخ الأديان) فإذا تركناهُ إلى كتابه الرائع

(النبأ العظيم) فإننا لا نغالى إذا قلنا إنّ المكتبة القرآنية في عهدنا الأخير لمْ تر أهدى سبيلاً منه فى سلامة النظرة ، ولطاقة الاستشفاف ، وعمق التأمل ، وأنا أعرفُ أنّ الكاتب الشهيد الأستاذ سيد قطب رحمه الله ، قد كتب مؤلفه الرائع (التصوير الفنى فى القرآن) فأتى بمذهب جديد فى اكتناه التعبير القرآنى ، لم يسبقْ إليه سواه ، ولكنَّ كتاب (النبأ العظيم) لم يقتصرْ على التصوير الفنى وحده باعتباره الأداة المفضلة للتعبير كما ذهب الأستاذ سيد قطب رحمه الله ، بل نظر إلى القرآن فكرةً وصورة وتعبيرا وجدلاً وحواراً ، وبذلك يكون سالكاً منهجاً غير منهج (التصوير الفنى)وما من الرجلين العظيمينْ إلاّ له مقام مشهود .

تحدّث مؤلف « النبأ العظيم » فى بحوثه الأولى عنْ تحديد المراد بالقرآن وعن بيان المصْدر الحق للقرآن وعن طبيعة المعانى القرآنية من حيثُ سماويّتها المستعصية[1] على أهل الأرض ، وكلّ هذه بحوث دُرست من قبل ، ولكنّ المنظار الّذى رصدها بقلم الدكتور دراز قد نظر من القسمات والملامح ماأضاف الجديد إلى الشّهير المتعارف ، فإذا اتّجهنا إلى حديث الدكتور عن الإعجاز القرآنى فإننا نجد الجديد الخالص مما لم يعرف من قبل مع أن مئات البحوث قد تألت عن الإعجاز القرآنى على مّر العصور يتلقفها خالفٌ عن سالف ليزيد فيها أو يردّ عليها ، أو يدور حولها ، وحين كتب الأستاذ مصطفى صادق الرافعى كتابه عن « اعجاز القرآن » جاء بالروائع النّادرة من ناحية التعبير البيانى ، أماً الأفكار التى رصدها فأكثرها قد قيل ، وزاد عليها الرافعى بما عرف عنه من براعة النظم البلاغى ، ودقةِ التركيب اللّغوى ، ولطْفِ التصويـر الجمالى ، على حين نرىَ الآفاق قد اتّسعتْ أمام دراز مُشّعةً بأنوار مضيئة هى من شمسه الخاصّة فى مجال هذا الإعجاز .

وأذكُر أنى أفضْتُ فى تحليل الإعجاز القرآنى كما رآه الدكتور دراز فيما سَجّلتُه بكتاب (البيان القرآنى) وسأحاولُ أن اقتبس مماً كتبت مايلخّص فكرة دراز فى هذا الإعجاز .

إن الخصائص القرآنية التى هيأت الإعجاز القرآنى ترجعُ إلى أمورٍ منها (البيان والإجمال معا) لأنّ الناسَ إذا عمَدُوا إلى تحديد اغْراضِهم لم تتسعْ إلى التأويل ، وإذا أجملُوها ذهبُوا إلى الإبهام أو الإلباس ولا يجتمعُ لهم هذان الطرفان فى كلامٍ واحد ، ولكنّك تقرأ القطعةَ من القرآن فتجدُ فى ألفاظها من الشفوف والإحكام والخلوّ من كل غريب عن الغرض مايتسابقُ به مغزاها إلى نفسك دونَ كدٍّ خاطر ، أو استعادة حديث ، كأنّك لا تسمعُ كلماتٍ ولغاتٍ بل ترى صُوراً وحقائق ماثلةً ، ويخيَّل إليكَ انك احطتَ بها خبرا ، فإذا رَجَعْتَ إليها كرةً أخرى وقفت منها على معنىً جديدٍ غير الذى سبق إلى فهمك أول مرة ، حتّى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة معانى كلها صحيح أو محتمل الصحّة كأنّما هى فصُّ من الماس يعطيكَ كلّ ضلْعٍ منه شُعاعا ، فإذا نظرتَ إلى اضلاعه جملةً بهرتْك بألوانِ الطّيف كلها فلا تدرِى ماذا تأخذُ عينك وماتدع .

ومن الخصائص القرآنية عند الدكتور دراز إقناع العقل وإمتاع العاطفة معا فقد عرّفنا حديثُ أمراء البيان من الأدباء والشعراء فما وجْدنَا من هؤلاء وهؤلاء إلا غُلوًّا فى جانب وقصوراً فى جانب ، فالحكماءُ يؤدون إليك ثمار عقولهم غذاءً لعقلك ولا تتوجهُ نفوسهُم إلى استهواء نفسك .

والشعراءُ يسْعوْن إلى استثارة وجدانك وتحريك شعورك دُونَ أن يُقنعوا عقلك فى الأعم الأغلب ، اما أنّ اسلوباً فذا يتجه اتجاها

واحدا ، ويجمع بين الإقناع والإمتاع كما يحمل الغصن الواحدُ من الشجرة أثماراً وأزهاراً وأوراقاً معا ، أو كما يسرى الروح فى الجسد والماء فى العود الأخضر ، فذلك مالا نظفرُ به فى كلام بشر ، ولا هو من سنن الله فى النفس الانسانية ولكنّك تظفر به فى كتاب الله وحده ، الا تراهُ فى قصصه وأخباره لا ينسى حقّ العقل من حكمة وعبرة ، ثمّ ألاّ تراهُ فى براهينه وحجاجه لاينسىّ حظ القلب من التشويق والترقيق .

وثالثة الخصائص القرآنية لدى الدكتور دراز هى طريقةُ القرآن فى خطابِ الخاصة والعامة ، إذْ هذان الخطابان يمثّلان غايتيْن متباعدتين عند الناس فلو أنّك خاطبتَ الأذكياء بالواضح المكشوف الذى تُخاطب به الأغبياء ، لنزلت بهم إلى مستوىً لا يرضوْنه لأنفسهم فى الخطاب ، ولو انكَ خاطبتَ العامة باللمحة والإشارة التى تخاطب بها الأذكياء لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم ، ولكن القرآن يخاطب الفريقين معاً خطابا واحدا ، فيأخذ كلّ فريق من خطابه على قدر عقله ، فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائفِ التعبير ، ويراه العامة أحسنَ كلام وأقربَه إلى الأفهام **« وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ »** .

ورابعة الخصائص القرآنية هى القصْد فى اللفظ والوفاء بالمعنى وقد أجادَ الكاتبُ بسطَ هذه الناحية بما تُحيلُ القارىءَ إلى مصدرهِ خشيةَ التطويل .

وفى نهايةِ الكتاب دراسةٌ بصيرة لأغراضِ سورة البقرة ، حيثُ جعل المؤلف من السّورة الكبيرة وحدةً تتألّف من مقدمةٍ وأربعةِ مقاصد وخاتمةٍ ، وضرب الأمثلة من آيات السورة تطبيقا لما يعنيه .

هذا وقد جمعت بعض محاضرات الدكتور ومقالاته فى كتاب أسماه جامعُه (دراسات إسلامية) وفيه بحوثٌ شافية عن القرآن الكريم ، والاسلام والرق ، وكرامة الفرد فى الاسلام ، والمسئولية فى الإسلام ومبادىء الأخلاق نظرية وعملية ، ومبادىء القانون الدولى فى الإسلام ، والرّبا فى نظر القانون الإسلامى ، وإصلاحات الشيخ محمد عبده ، وكلّ هذه البحوث قد نُشرتْ فى أمهات المجلّات الإسلامية بمصر .

وفى مجلة الأزهر بحوثٌ مماثلة لم تُجمعْ بعد ، وتتطّلبُ جامعاً يقدّم جزءاً ثانيا من هذه الدراسات الخصبة . لأنّ كل موضوع منها ذو نفع مؤكد ، ولا يسدُّ مسده سواه ، ومن أهمها بحثهُ الرائع عن تاريخ الأزهر الشريف ، ونقدُه لاقتراح ترتيب المصحف حسب النزول وغيرهما .

لقد عاش الدكتور دراز حياته مؤمنا مفكرا وقد ورث عن والدِه شغفَه بكتاب الله ، فاخذَ عنه ضرورة التلاوة لستةِ أجزاءٍ منه كلَّ يوم ، وقراءةُ مفكر مثله لهذا الجزء اليوميّ ، لابدَّ ان تفتح عليه بما يُضيء بصيرته ، ويمدّهُ بأوفر الزاد الشهيّ ، لذلك كانتْ محاضراته فى تفسير القرآن الكريم بكلية اللّغة العربية مهوى الطلاب جميعاً ، واكثرهم كان يترك المحاضرات فى المواد المختلفة ليسعى إلى دروس دراز فى التفسير .

وكمْ كان رائعا ان يتوجّه الدكتور لأداء سجود التلاوة عند مناسبته ، وان يَعْلَم طلاّبه ذلك فيتسلّحوا بالوضوء قبلَ الدرس ليسجدُوا للّه طائعين !

لقد كانّ الدكتور دراز نمطاً ممتازا عرفه الناس بتفردّه العلمى مؤلفاً ومحاضرا واستاذا كما عرفوُه بإيمانه القوى مسلما رقيق العاطفة ، قوىّ اليقين .

محمد رجب البيومى

العلوم الكونية

خلق الإنسان

تأملات في قانون الحياة

الأرصاد الجوية وحل مشاكل البيئة

خَلْقُ الإنسان

قال تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ • ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ • فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » (١)

وقال تعالى : « الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ » (٢) •

وقال تعالى : « إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا » (٣) •

وقال تعالى : « وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ » (٤) •

وقال تعالى : « خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ »(٥)•

وقال تعالى : « أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ » (٦) •

* النطفة هى : الحيوان المنوى وهى ماء الرجل أو ماء الأنثى •
* النطفة الأمشاج هى : النطفة المختلفة المكونة من ماء الرجل زائدا ماء الأنثى أى من الحيوانات المنوية الذكرية والأنثوية •
* النطفة زائد البويضة تتحول الى علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة تظهر العظام ثم تكسو العظام لحما (عضلات) ثم تنفخ فيه الروح بعد أربعة شهور •
* نوع الجنين يتوقف على نوع الحيوان المنوى (النطفة) والذى يسمى ماء الرجل وماء الانثى •

* اذا سبق ماء الرجل كان الجنين ذكرا •
* اذا سبق ماء الأنثى كان الجنين أنثى • (حديث شريف) •
* والسبق هنا : سبق نتيجة تحرك الحيوان المنوى نحو البويضة •

---

(١) سورة المؤمنون الآيات من ١٢ ـ ١٤ •
(٢) سورة السجدة الآيتان ٧،٨ •
(٣) سورة الانسان الآية ٢ •
(٤) سورة النجم الآيتان ٤٥ ، ٤٦ •
(٥) سورة العلق الآية ٢ •
(٦) سورة القيامة الآيات من ٣٧ ، ٣٩ •

أ . د / على محمد مطاوع

* واذا اتحد الحيوان المنوى بالبويضة فلا يحاول أى حيوان آخر الاقتراب منهـا .

* مفهوم الآية « ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ » .

السلالة مفرد : يعنى حيوان منوى واحد .

* والماء المهين : يعنى الماء الدافق من مهن الابل أى حلبها .

والسلالة تعنى متحرك لأن سل الرجـــل سيفه اذا أخرجه بسرعة من غمده .

فالحيوان المنوى الذى ينسل من المنى متجهـا بسرعة الى البويضة ويتحد معها هو الذى يحدد نوع الجنين ان كان ذكرا أو انثى .

ـ « لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ . أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ » (الشورى ٥٠) .

وقد لوحظ أن هناك رجالا بالفحص الطبى لايوجد بهم عيب وهناك أيضا نساء لايوجـــد بهن عيب وأن زواج بعض هؤلاء الرجال ببعض هؤلاء النساء يصحبه عقم بينما ينجب كل منهما اذا تزوج بآخر .

ولهورمون البرولاكتين دخل فى ذلك فزيادة هذا الهورمون فى الدم يقلل التبويض من المبايض ، وينتج عقم .

وكمية الهورمون تتوقف على الحالة النفسية للزوجة أثناء الاتصال الجنسى كما تتوقف على كثرة مرات الاتصال أو قلته فكلما زادت مرات الاتصال الجنسى كلما قلت فرصة الحمل وذلك على العكس مما يعتقده الزوجان من أن كثرة الاتصال الجنسى يؤدى الى سرعة الحمـل .

ان من يتدبر الآيات السابقة يتبين لــه أن النطفة (الحيوانات المنوية) نوعان :

نوع ذكــر .

ونوع أنثى مختلطين ببعضهما وهذا معنى قوله تعالى « نطفة أمشاج » معناها : خليط .

ولكى تصل النطفة الى القرار المكين أى لكى تصل الحيوانات المنوية الى تجويف الرحم ثم الى البوقين (قناة فالوب) لابد أن توضـــع النطفة فى أعلى المهبل عند عنق الرحم .

وتقوم انقباضات الرحم وانبساطاته بعملية شفط للنطفة فترتفع النطفة من أعلى المهبل الى تجويف الرحم ثم الى البوقين .

وتقوم انقباضات الرحم وانبساطاته أيضـــا بشفط البويضة اذا خرجت من المبيض الى داخل

أنبوب فالوب وعندما تلتقى النطفة والبويضة يتحدان ليكونا البويضة الملحقة والتى تتحرك الى تجويف الرحم حيث تعلق بالغشاء المخاطى ثم تتحول الى العلقة ثم الى المضغة ثم تظهر العظام ثم تكسو العظام باللحم وتستغرق هذه التحولات حوالى أربعة شهور بعدها تنفخ الروح فى الجنين .

ويستمر النمو الى أن يتم تكوين الجنين بعد عشرة أشهر قمرية أو تسعة أشهر شمسية أى حوالى ٢٨٠ يوما يخرج بعدها الجنين من الرحم الى دنيا الناس فى رعاية والديه

وبالذات فى رعاية أمه التى كلفها الله بارضاعه حولين كاملين « لمن أراد أن يتم الرضاعة » . وليس اللبن وحده هو عطاء الأم لوليدها ولكن الحنان الفطرى الذى فطر الله الأمهات عليه ضرورى لسلامة تكوين الطفل عقليا كما أن اللبن ضرورى لسلامةتكوين الطفلجسميا.

وهذه الحقيقة العلمية أثبتتها حيوانات التجارب العلمية على حيوانات التجارب .

ويستحسن الا تحمل الأم حملا آخر فترة الرضاعة لان ارضاع الطفل لبن الام الحامل يصيبه بالضعف طيلة حياته .

وفى هذا يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم « اياكم والغيلة فانها تدعثر الفارس عن فرسه » . والغيله هى ارضاع الحامل لطفلها .

ومعظم الأمهات لايحضن فترة الحمل وبالتالى لا يحملن ولكن هناك بعض الامهات يأتيها الحيض أثناء الارضاع وهؤلاء قابلات للحمل فى فترة الارضاع وهؤلاء يجب (١) منعهن من الحمل فى فترة الارضاع .

وتنظيم النسل يمنع الحمل فى فترة الأرضاع ومدتها سنتان (حولين كاملين) يصبح ضرورة دينية وبهذه الصورة لا تحمل الأم الا بعد انقضاء سنتى الرضاعة ولا تلد الأم الا بعد انقضاء ثلاث سنوات من ولادة الطفل .

وهذه الفترة كافية لنمو الطفل جسميا وعقليا ويمكنه تناول طعامه الذى يتاح له فى البيئة التى يعيش فيها كما يمكنه المشى والكلام والتعلم .

أ . د/على محمد مطاوع

(١) لعل الاستاذ الدكتور يوجب ذلك طبيا ، وفى الحديث الشريف ما يساعد على ما ينبغى أن تكون عليه المرأة من عدم الحمل مدة الرضاعة .

الأرصاد الجوية وحل المشاكل البيئية

٢

د. ربيع سيد فولى

تحدثنا فى المقالة السابقة عن الدور الذى تقوم به الأرصاد الجوية فى مجالات الزراعة والثروة المائية وتخطيط المدن ، ومساهمتها فى حل بعض المشاكل البيئية فى هذه المجالات .

ونستكمل حديثنا فى هذه المقالة عن دورها فى مجالات الصناعة والطاقة ، والمواصلات الجوية والبحرية والبرية ، وتخطيط حركة مرور المركبات .

فى مجال الصناعة والطاقة :

يجب عمل الدراسات التمهيدية لاختيار أفضل المواقع قبل انشاء مصنع صغير أو مشروع صناعى كبير أو محطة قوى نووية ... الخ .بحيث يكون تأثير الملوثات الجوية الضارة – بعد التشغيل مستقبلا – أقل ما يمكن على صحة الانسان والكائنات الحية الأخرى .

ومما لاشك فيه أن العوامل الجوية والعوامل المناخية والدراسات والبحوث الخاصة بقدرة الغلاف الجوى على انتشار الملوثات الجوية تمكننا من اختيار أنسب المواقع للمصنع الصغير أو المشروع الصناعى الكبير أو محطة القوى النووية ..... الخ . لتحقيق الهدف المشار اليه ، كما تم مناقشة ذلك فى مجال تخطيط المدن أيضا .

ومن ناحية أخرى فان شبكة محطات الأرصاد الجوية الممتدة فى جميع مناطق جمهورية مصر العربية • والتى يتم بواسطتها رصد جميع العناصر الجوية بصفة مستمرة تسهم مساهمة فعالة فى تمكيننا من دراسة التغيرات التى تحدث فى العوامل الجوية المناخية وعمل البحوث اللازمة لتحديد المناطق التى تمتاز برياح نشطة معظم شهور السنة بهدف الاستفادة العظمى من طاقة الرياح فى هذه المناطق ، وبنفس الأسلوب يمكننا التوصل للاستفادة العظمى من الطاقة الشمسية حيث يتم رصد عناصر الاشعاع وفترات سطوع الشمس فى بعض محطات الأرصاد الجوية فى مصر •

ومن الجدير بالذكر أن المشاكل البيئية التى يمكن أن تحدث بسبب سوء اختيار مواقع المصانع أو المحطات النووية •• الخ تكون عواقبها جسيمة وتكلفنا أكثر بكثير عن تكلفتها اذا كان قد تم عمل الدراسات التمهيدية لاختيار أفضل المواقع وأنسبها •

ولتجنب العواقب الجسيمة التى قد تنتج عن تجمع الملوثات الجوية ، وعدم انتشارها فى الغلاف الجوى ، يمكننا اصدار التوصيات بعدم تشغيل بعض المصانع فى الفترات التى لا تساعد فيها العوامل الجوية على سرعة انتشار الملوثات الضارة الناتجة من هذه المصانع •

ويتوقف ذلك على عوامل متعددة منها : مواقع المصادر المختلفة التى تنبعث منها الملوثات الجوية ومعدل انبعاثها من هذه المصادر وارتفاع المصادر فوق سطح الأرض بالاضافة الى العوامل الجوية التى سبقت الاشارة اليها — (سرعة الرياح واتجاهها ودرجة الاستقرار فى طبقة الغلاف الجوى القريبة من سطح الأرض) •

فى مجال المواصلات الجوية والبحرية والبرية :

تؤدى التنبؤات الجوية دورا هاما فى تأمين سلامة الطيران المدنى والطيران الحربى وكذلك فى تأمين سلامة المواصلات البحرية والبرية•• اذ لا تقلع طائرة سواء كانت مدنية أو حربية الا اذا مر قائدها على مركز التنبؤات الموجود فى المطار المدنى أو المطار الحربى ، أو على عمل اتصالا بأقرب مركز للتنبؤات فى المنطقة • وذلك للحصول على التنبؤ الجوى للتمكن من عمل خطة الطيران • ومناقشة الاحوال الجوية على خرائط الطقس السطحية وخرائط طبقات الجو العليا لمعرفة كل التفاصيل الدقيقة الخاصة بالمشاكل الجوية التى قد تعترض الطائرة وأنواع السحب المختلفة التى تقابلها أثناء تحليقها فى الجو ، وما اذا كانت هذه السحب تشكل خطورة على اتزان الطائرة أم لا بالاضافة الى شرح الاحوال الجوية فى مطارات الاقلاع والهبوط التى ستمر بها الطائرة فاذا كانت الاحوال الجوية لا تسمح بهبوط الطائرة فى مطار ما بسلام فانه يتم اعطاء قائد الطائرة عددا من المطارات البديلة التى تسمح فيها الاحوال الجوية بهبوط الطائرة بسلام •

وكذلك الوضع بالنسبة للسفن البحرية بأنواعها المختلفة فقد تؤثر حالة الجو على البحار أو المحيطات فى مناطق مختلفة فتجعلها هائجة

ذات أمواج مرتفعة مما قد يؤثر على سلامة السفن •

والخلاصة أن التنبؤ ببعض الظواهر الجوية التى تؤثر على سلامة المواصلات الجوية والبحرية والبرية مثل : الضباب والعواصف الرملية أو الترابية يمكننا من تجنب الحوادث التى قد تحدث فى الجو أو فى البحر أو فى البر •

فى مجال تخطيط حركة مرور المركبات :

تتسبب زيادة عدد المركبات وعدم انسيابها فى ازدحام شوارع العاصمة والمدن الكبرى فى جمهورية مصر العربية وبالتالى يتزايد تركيز غازى أول أكسيد الكربون وثان أكسيد الكربون فى الهواء الجوى الذى نستنشقه مما يؤثر على صحة الانسان وحالته النفسية تأثيرا سيئا •

ولذلك كان من الضرورى تخطيط حركة مرور المركبات التى تسير فى شوارع العاصمة ومدن جمهورية مصر العربية الكبرى وذلك بأن تؤخذ بعين الاعتبار النقاط التالية :

١ ــ وضع شروط ومواصفات فنية محددة تحديدا دقيقا ــ بواسطة لجان متخصصة ــ لكل نوع من أنواع المركبات ، وعدم السماح بسير المركبات التى لا تفى بهذه الشروط •

٢ ــ مراقبة تركيز الملوثات الجوية الضارة فى أماكن مختلفة داخل المدن الكبرى وذلك للاطمئنان على أن تركيز هذه الملوثات الضارة لا يصل الى الحد الخطير الذى يضر بصحة الانسان والكائنات الحية الأخرى •

٣ ــ عمل الدراسات اللازمة لتحديد عدد المركبات وسرعتها التى لا يجب أن تتخطاها السيارات التى تسير داخل المدن الكبرى وذلك لتقليل أى آثار سيئة •

وهذه النقاط هامة حيث ينبغى ألا يفوتنا عند تخطيط حركة مرور المركبات الدور الهام الذى تؤديه العوامل الجوية فى انتشار عوادم المركبات فى الغلاف الجوى ، وخاصة سرعة واتجاه الرياح ودرجةالاستقرار فىطبقةالغلاف الجوى القريبة من سطح الأرض ، فمن الممكن أن تنتشر هذه العوادم فى الجو بسرعة ويقل تركيزها وبالتالى يقل تأثيرها الضار على صحة الانسان ، ومن الممكن أيضا أن تتجمع هذه العوادم ولا تنتشر بسرعة فى الجو ــ تحت ظروف جوية معينة ــ وبذلك يزيد تركيز هذه الغازات الضارة وتؤثر تأثيرا سيئا على صحة الانسان وسلامته وعلى الكائنات الحية الأخرى •

وفى هذا الشأن أذكر على سبيل المثال ماحدث فى مدينة لندن عام ١٩٥٢ فقد تسبب تكوين الضباب الدخانى ــ ٥ ــ ٨ ديسمبر ــ فى وفاة حوالى أربعة آلاف شخص فى تلك الفترة وذلك يوضح مدى أهمية التنبؤ بتركيز الملوثات الجوية الضارة بصحة الانسان والكائنات الحيه الاخرى فى تجنب الاثار الجسيمة التى تؤدى الى الكوارث ــ التى قد تحدث سواء بالنسبة للانسان أو للكائنات الحية الاخرى •

هذا وقد توصلنا الى نموذج رياضى لتركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى استخدم فيه ــ لأول مرة ــ صيغة تحامليه لمقياس الحركة الدواميه ليس فقط لقفل نظام معادلات الطبقة

الدنيا ، ولكن ليكون فى الاعتبار أخذ تأثير ... الخ .. الدراديز الأخرى التى قد تنتقل رأسيا من الطبقات الأخرى على مقياس الحركة الدرامية نفسه .

وجدير بالذكر أن النتائج النظرية للنموذج المشار اليه قد اتفقت مع النتائج العملية الخاصه بتركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى لمؤلفين مختلفين معروفين على المستوى الدولى ، وقد تمت مقارنة النتائج النظرية لهذا النموذج بالنتائج النظرية لنماذج أخرى معروفة على المستوى الدولى ، فى حالة الاتزان المتعادل .. وقد أسفرت هذه المقارنة عن أن النموذج الجديد — باستخدام الصيغة التكاملية لمقياس الحركة الدوامية — يفضل عددا من النماذج الأخرى المعروفة .

وأكثر من ذلك فقد قمنا بدراسة كيفية انتشار الملوثات الجوية فى الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى وتم عمل برنامج — تم تشغيله على الكمبيوتر — لحل معادلة الانتشار الجوى مع نظام معادلات نموذج تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى ، وذلك للحصول على قيم تركيز الملوثات الجوية عند مسافات مختلفة من المصدر فى ظروف جوية مختلفة ولارتفاعات مختلفة لمصدر التلوث .

وجدير بالذكر أيضا أنه تمت مقارنة نتائج تركيز الملوثات الجوية ، والتى تم الحصول عليها بالأسلوب المذكور ، مع القياسات العملية لمؤلفين مختلفين وفى ظروف جوية مختلفة .. وقد اتفقت — الى حد كبير — النتائج النظرية للتركيز مع القياسات العملية المختلفة ، ويمكننا استخدام نموذج تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى الذى سبقت الاشارة اليه لحل عدد كبير من المشاكل التطبيقية للأرصاد الجوية النظرية .

مما سبق يتضح الدور الهام الذى تقوم به الأرصاد الجوية فى شتى المجالات الزراعية والصناعية والاقتصادية والتخطيطية والصحية .... الخ . وأنه من الممكن أن تساهم الهيئة العامة للارصاد الجوية فى حل مشاكل البيئة ومشاكل التنمية بصورها المختلفة ، والتقليل من الآثار السيئة للمشاكل البيئية من ناحية ورفع مستوى الدخل القومى ومستوى الصحة العامة لأفراد الشعب من ناحية أخرى .

د. ربيع سيد فولى

تأملات فى قانون الحياة

د. سعاد حسين البيلى

نعمة كبرى من المولى ــ عز وجل ــ أن يهدى الانسان الى القيمة الحقيقية للأشياء ، ومن أجل هذا الهدف السامى تواضع العلماء بجميع فروع العلم على وضع « مقياس » اى وسيلة لقياس الأشياء فاذا أردنا مثلا قياس الطول وضعنا الوحدات المناسبة لذلك ، مثل « المتر » « والقدم » « والكيلو متر » « والميل » بالنسبة للمسافات المتوسطة ووحدات أخرى للمسافات الشاسعة والتى تفصل بين النجوم والكواكب فى السماء ، وهى السنة الضوئية ــ حيث يقطع الضوء مسافة (١٨٦) ألف ميل فى الثانية الواحدة فبحساب بسيط يمكن تحديد المسافة التى يقطعها الضوء فى السنة .

كذلك اتفق العلماء على وحدات صغيرة جدا لقياس المسافات المتناهية فى الصغر مثل « الميكرون » حتى يمكن تقييم المخلوقات التى لا ترى بالعين المجردة مثل « البكتريا » وغيرها . كل هذا بالنسبة لقياس الطول .

واذا ما انتقلنا الى الزمن مثلا وجدنا أن البشرية قد تواضعت على وضع مسميات معينة مثل يوم وعام وقرن وثانية ودقيقة وساعة حسب الاحتياج ومعنى اتفاق البشرية على هذه الوحدات أن أصبحت من المفاهيم الثابتة فى رصيد العقل البشرى ومع تطور الحياة البشرية وتقدمها فى فروع العلم المختلفة أصبح لزاما على الدارسين أن يضعوا وحدات قياس جديدة لما طرأ على حياتهم من جديد فعندما اكتشفت الكهرباء مثلا وجد العلماء أنه للتعبير الكمى عن ظاهرة الكهرباء لابد من تعريف وحدات « الأوم » و « الأمبير » و « الفولت » حتى يستطيع الانسان تسخير هذا المخلوق ــ الكهرباء ــ لطموحاته وفائدته .

ونجح فى هذا نجاحا ساحقا فقد استطاع الانسان ان يعبر عن الطاقة الكهربية المستهلكة فى استخداماته المختلفة سواء فى الاضاءة

أو ادارة المصانع أو غيرها تعبيرا كميا حتى يمكن تقدير تكلفة استهلاكه لهذا النوع من الطاقة .

واذا استعرضنا فروع العلم المختلفة وجدنا كل فرع منها قد وضع علماؤه رصيدا هائلا من التعريفات والقياسات أو وحدات القياس .

فاذا ما انتقلنا الى الانسان ... فكيف نستطيع أن تضع له مقياسا يقيمه فى جوانبه المختلفة ؟ .

ان الانسان مزيج من مجموعة من القيم والمشاعر والطموحات فيما بينها ازدواجية يصعب معها وضع وحدة للقياس .

كيف أستطيع أن أضع وحدة لقياس :

الرحمة والقسوة ، الأمل واليأس ، الحب والكراهية ، الأخذ والعطاء ، السعادة والشقاء ، الحرية والقهر .

ان كان علم الطب قد وضع بعض المقاييس الخاصة بالانسان وكانت ذات دلالة على الصحة والمرض مثل : ضغط الدم وعدد نبضات القلب وعدد كرات الدم البيضاء والحمراء و..الخ فمن الذى يستطيع أن يضع مقياسا للحرية والقهر ، أو الفضيلة والرذيلة .

فى تصورى أنه ليس من مهمة العقل البشرى أن يضع مقاييس الانسان من حيث هو انسان ولكنه يستطيع فقط أن يقيس : فمثلا اذا علمنا أن الفضيلة هى ما أمر به الله من خير ، وأن الرذيلة هى ما نهى الله عنه من شر استطعنا أن نستخدم العقل فى الحكم على القتل بأنه رذيلة ، وعلى الكرم بأنه فضيلة . فاذا نحن أخطأنا هذا المنهج الكريم — اختارت عقولنا — هل السارق مريض أم مجرم ؟

وأمامنا تجربة (حضارة الغرب) التى تجاوز فيها الانسان قدره فظن — غرورا — أنه يملك ان يضع المقياس للسلوك البشرى فضل وضاع منه الطريق وهو الآن يترنح زلقا للسقوط فى الهاوية .

ان الله سبحانه وتعالى قد وصف لنا المقياس بكل دقة « ذلك الكتاب » الذى اهتدينا من خلاله الى معرفة قانون الحياة .

وأرى لزاما أن نتساءل :

لماذا نبحث للحياة عن قانون ؟ .

الآن ...

وبعد أن فاضت أنواع المعرفة بما هو أكثر من مقدرة العقل البشرى على الاستيعاب لماذا نبحث عن قانون الحياة ؟ .

فى تصورى أن لهذا البحث هدفين رئيسيين:

أما الهدف الأول فهو تجميع هذه الحصيلة من المعرفة البشرية بصورة متجانسة ترضى كل الملكات الانسانية سواء كانت عقلية أو روحية أو كانت أعماق الضمير .

أما الهدف الثانى وهو الأهم فهو تحديد الهدف والمسار لهذا السعى الذى يسعاه الانسان فى رحلته الشاقة والممتعة على هذا الكوكب . . فاذا كان قانون الحياة هو « لا اله الا الله » .

فلابد أن يكون هدف هذا القانون هو تحقيق العبودية الخالصة لله .

د. سعاد حسين البيلي

من التراث

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

النور النويري

طرائف

حكمة الخالق

فرض الله الإيمان تطهيرا من الشرك
والصلاة تنزيها عن الكبر .
والزكاة تسببا للرزق
والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق
والجهاد عزاً للإسلام
والأمر بالمعروف مصلحة للعوام
والنهى عن المنكر رَدْعًا للسفهاء .

دُهاة العرب الستة

قال الشعبى : دهاة العرب ستة .
معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أمية وقيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن بديل بن ورقاء .
وقال الأصمعى : كان معاوية يقول : أنا للأناة ، وعَمرو للبديهة وزياد للصغار والكبار ، والمغيرة للأمر العظيم .
قال قبيصة بن جابر : مارأيت أعطى لجزيل مال بغير سلطان من طلحة بن عبيد الله ، ولارأيت أثقل حلما ولا أطول إناة من معاوية ، ولا رأيت أغلب للرجال ولاأبذلهم حين يجتمعون من عمرو بن العاص ، ولا أشبه سرا بعلانية من زياد ، ولو أن المغيرة كان فى مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بالمكر لخرج من أبوابها كلها .

اثنان

اثنان إن أحرزتهما لم تبال بما ضيعت بعدهما: درهمك لمعاشك .
ودينك لمعادك .

حمقا

● ليس « الإفراط » فى شىء أجود منه فى العفو ، ولا هو فى شى أقبح منه فى العقوبة .

ومواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

● من شكا إلى عاجز أعاره عجزه ، وأمده من جزعه .

● إن من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من لايبصره .

● إن أردت أن تؤاخى رجلا فَأَغْضِبْهُ ، فإن أنصفك وإلا فَاحْذَرْهُ .

● الغضب على من لاتملك عجز ، وعلى من تملك لؤم .

● فى كل شىء سرف إلا فى المعروف .

● ليس الشح أن يمنع الرجل ماله ، وإنما الشح أن يطمع فيما ليس له .

● إن صبرت مضى أمر الله وكنت مأجورا ،
وإن جزعت مضى أمر الله وكنت مأزورا ..

تَضِيقُ أخلاق الرجال

تضيق أخلاق الرجال ولاتضيق المنازل
يبقى سم الخياط مع الأحباب ميدانا
عندما تتفق الطباع ، وتطيب النفوس .
وتتقارب الآراء .

وبشاربن برد يُبرز هذا المعنى بقوله :

خليلى إن المال ليس بنافع
إذا لم ينل منه أخ وصديق
وكنت إذا ضاقت على محلة
تيممت أخرى ماعلى تضيق

وما خاب بين الله والناس عامل
له فى التقى أو فى المحامد سوق

ولا ضاق فضل الله عن متعفف
ولكن أخلاق الرجال تضيق

يـارب

أوليتنى نعما أبوح بشكرها
وكفيتنى كل الأمور بأسرها

فلأشكرنك ما حييت وإن أمت
فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

تسهيل المقاصد لزيارة المساجد

للشيخ ابن العماد[1]

من الأشياء التى اهتم بها علماء المسلمين الاهتمام بأمر المساجد والعناية بها ، وبيان ما يجب أن يتحلى به المسلم عند دخوله بيوت الله تعالى التى يذكر فيها اسمه

قال صلى الله عليه وسلم « انما بنيت المساجد لذكر الله » .

وقد روى عن أبى الدرداء أنه قال لابنه : ليكن المسجد بيتك فانى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « المساجد بيوت المتقين فمن يكن المسجد بيته يضمن الله له الروح والرحمة والجواز على الصراط » فالمساجد لم تبن لنحو البيع والشراء وانشاد الضالة والاكل فيها مما ورد النهى عنه .

والجلوس فيها مستحب اذا كان لعبادة من اعتكاف أو قراءة قرآن أو علم أو سماع موعظة أو انتظار صلاة والرجل المعلق قلبه بالمساجد من السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله .

وفى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه الذى صلى فيه مالم يحدث تقول « اللهم اغفر له اللهم ارحمه » .

فمن كثرت ذنوبه وأحب أن تحط عنه خطاياه فليغتنم ملازمة مصلاه ليستكثر من دعاء الملائكة فهو مرجو الاجابة باذن الله .

وعن ابى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال . قال ـ عليه الصلاة والسلام : «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات . قالوا : بلى يارسول الله قال : « اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى

---

(١) الكتاب بمكتبة الأزهر برقم خاص ١٦٢٥ عام ٤٨٦٧٠ آداب وفضائل .

عرض وتقديم
الأستاذ محمد عميرة على

الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط » رواه مالك ومسلم والترمذي والنسائي •

ومؤلف هذا الكتاب هو العالم الجليل (٢) العلامة شهاب الدين أبي العباس احمد بن عماد الدين محمد المعروف بابن العماد الأفقهي ثم القاهري •

فقيه شافعي ، كثير الاطلاع في لسانه بعض حسبة ، له « التعقبات على المهمات للأسنوي » ، « وشرح المنهاج » ، « والسر المستبان مما أودعه الله من الخواص في أجزاء الحيوان » ، « والتبيان في آداب حملة القرآن منظومة » « ومنظومة أخرى في العقائد والمعفوات في الفقه » ، « ومنظومة تائية وشرحها » •

ولمؤلفنا المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م كتابه « تسهيل المقاصد لزوار المساجد » •

قال عنه كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي •

نشأ شيخنا فأخذ قديما عن الجمال الأسنوي ، وكان يحضر مجلس السراج البلقيني ، وسمع على خليل بن طرنطاي الدوادار الزيني كتبغا صحيح البخاري ، وهو من نبهاء الشافعية كثير الاطلاع والتصانيف•

قال : ونعم الشيخ كان — رحمه الله وكان أخذ عنه شيخنا الرشيدي أحكام المساجد وكتبه بخطه وقرأه عليه أيضا البرهان الحلبي مع سماع التبيان من تصانيفه وكتب عنه يقول :

امام محب ناشيء متصدق مصل وباك خائف سطوة الباس يظلهم الرحمن في ظل عرشه ، اذا كان يوم الحشر لاظل للناس

وقال : من مناظيمه المواطن التي تباح فيها الغيبة وهي عشرة أبيات •

والدماء المجبورة في نحو أربعين بيتا والأماكن التي تؤخر فيها الصلاة عن أول الوقت وبلغها نحو أربعين في اثنى عشر بيتا وشرحها •

والنجاسات المعفو عنها ويسمى الدر النفيس وهي مائتان وسبعون بيتا •

وقصيدة لامية نحو خمسمائة بيت مشتملة على مسائل نثرية ، ونظم قصيدة في حوادث الهجرة سماها نظم الدرر من هجرة خير البشر وشرحها ومؤلفات أخرى •

(٢) فهرس مكتبة الأزهر جزء ٢ ص ٦٧٥ .

وبدأ المؤلف كتابه بمقدمة قال فيها « بسم الله الرحمن الرحيم » لا اله الا الله عدة للقائه وصلى الله على محمد ، الحمد لله الأحد الواحد الصمد فلا ولد ولا والد ، العلى الكبير الجواد الماجد ، لا ضد له ، ولا ند ، ولا معاند ، خلق السموات والأرضين بلا مساعد الى أن قال الذى جعل بيوته فى الأرض أفضلها المساجد ، وأهل زوارها لذكره ، فهم له جلساء وغيرهم أباعد ، وأكرمهم بكرامته اكرام المزور للمحب الوارد وسماه « تسهيل المقاصد لزوار المساجد » ورتبه على أبواب وفصول . قال :

الباب الأول : فيما يستحب لقاصد المسجد .

ينبتحب لمن قصد المسجد ان يخلص النية لقصد العبادة وتعظيم المسجد بالزيارة واحيائه بالذكر والتلاوة ليكتب من عمار المساجد . قال الله تعالى « **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** » .

وروى ابو سعيد الخدرى قال . قال رسول الله ــ صلى الله عليه سلم ــ « اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله تعالى قال : « **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** .

وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « من ألف المسجد ألفه الله عز وجل » .

ويستحب لقاصد المسجد أن يلبس من ثيابه البياض لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « خير مازرتم فيه ربكم فى قبوركم ومساجدكم البياض » رواه ابن ماجه .

وأن يتوضأ فى بيته لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال الله عز وجل : « ان بيوتى فى الأرض المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره » .

ويستحب أن يقول فى خروجه من بيته مارواه ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « من خرج من بيته الى الصلاة فقال : اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاى هذا الى بيتك فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا و لاسمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك فاسألك اللهم أن تعيذنى من النار وأن تغفر لى ذنبى انه لا يغفر الذنوب الا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك » .

وأيضا يستحب لقاصد المسجد أن يمشى وعليه السكينة والوقار ولا يشبك أصابعه فى ذهابه بل ليشتغل بها لتلاوة وذكر فانه فى صلاة ما انتظر الصلاة أو مشى اليها ، ويشتغل فى طريقه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واماطة الأذى عن الطريق ونحو ذلك .

وينبغى أن لا نقصد المسجد لاستراحة ولا نوم ولا أكل ولا شرب بل للطاعة والعبادة رئى بعض الصالحين يأكل فى السوق . فقيل له ألا تدخل المسجد فتأكل فيه فقال : استحى أن ادخل بيت ربى للاكل .

فقيل له : اصبر الى البيت فقال مطل الغنى ظلم . الى آخر ما ورد فى هذا الباب من مندوبات المساجد .

الباب الثاني : فيما يستحب لداخل المسجد.

يستحب لداخل المسجد ان يقدم رجله اليمنى فى الدخول واليسرى فى الخروج كما يفعل اذا دخل الحرم والكعبة وسائر الأماكن الشريفة ، وكذلك فى الأماكن المستوية فى الشرف لأنه — صلى الله عليه وسلم — كان يحب التيامن فى تنعله وترجله وطهوره وشأنه كله . واذا أراد خلع نعله فليخلع اليسرى قبل اليمنى ، وكذلك اذا شمر أكمامه يشمر اليسرى قبل اليمنى ويسأل بيده اليمنى ، ويمخط ويغسل النجاسة بيده اليسرى .

وأما قول عائشة — رضى الله عنها — كانت يد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لما علا « اليمنى » واليسرى لما سفل فالصواب فى معناه أن المراد بما علا ما شرف وما سفل مادنا .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يحمل نعله بيده اليسرى لدناءتها ولو كانت طاهرة ، وقال النووى ويستحب لداخل المسجد أن يتفقد نعليه ويمسح ما فيهما من أذى قبل دخوله لحديث أبى سعيد الخدرى قال . قال : رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « اذا دخل أحدكم المسجد فلينظر فان رأى فى نعليه قذرا أو أذى فليمسحه ليصل فيهما . وقد روى أن الملائكة تقول لمن فعل ذلك أدخل بسلام ، وتجوز الصلاة فى النعلين اذا كانت طاهرتين لقوله تعالى « خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ».
روى الدارقطنى ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : ان الزينة هى الصلاة فى النعال .

وروى البزار عن شداد بن أوس عن أبيه عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال « خالفوا اليهود وصلوا فى نعالكم فانهم لايصلون فى نعالهم ولا فى خفافهم ».

وقال فى « فصل فى بيان أفضل المساجد « أن أفضل مساجد الأرض الكعبة ثم المسجد الحرام الذى حول الكعبة ثم مساجد مكة ثم مساجد الحرم ثم مسجد المدينة ثم المسجد الأقصى ثم الطور .

وقد قال — صلى الله عليه وسلم — « ان الدجال يطوف الأرض الا أربعة مساجد ، مسجد المدينة ومسجد مكة والمسجد الأقصى والطور » رواه احمد فى المسند .

وقال — صلى الله عليه وسلم — « صلاة فى مسجد قباء تعدل عمرة « رواه الترمذى وحسنه وهذا دليل تفضيل هذه المساجد على غيرها ، وأما تفضيل الكعبة على المسجد فيدل عليه قوله تعالى « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا » .

ويدل عليه ايضا قول الاصحاب ، أن صلاة النافلة داخل الكعبة أفضل ، وأما تفضيل مسجد مكة على ما سواه فلانه أقدم مسجد بها .

وقد قال عبد الله ابو الحاج ان المسجد العتيق له فضل على غيره وأن الصلاة فيه افضل ولأن فيه عبادة ليست فى غيره وهى

الطواف وفيه المقام غير ذلك ، واما تفضيل مساجد الحرم على مسجد المدينة فهو مذهب الشافعى لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « صلاة فى مسجدى هذا تعدل ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام « والمسجد الحرام جميع الحرم ، وحسنات الحرم كل حسنة بمائة ألف » قاله ابن عباس .

وجاء عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من صام رمضان بمكة من أوله الى آخره وقامه كتب الله له مائة ألف رمضان « رواه أبو نعيم وغيره ، وصحح الحاكم من حديث ابن عباس مرفوعا «من حج لمكة ماشيا حتى يرجع كتب له بكل خطوة سبع مائة حسنة من حسنات الحرم « فقيل وما حسنات الحرم قال : « كل حسنة بمائة ألف حسنة « وأما تفضيل بيت المقدس فلرواية ميمونة مولاة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ انها قالت : يانبى الله أفتنا فى بيت المقدس قال : « ارض المحشر والمنشر ائتوه وصلوا فيه فان صلاة فيه كألف صلاة « اخرجه الامام أحمد وابن ماجه وأبو داود وفى رواية لأحمد عن بعض نساء النبى ــ صلى الله عليه سلم ــ انها قالت : برسول الله فان لم تستطع احدانا أن تأتيه قال : « اذا لم تستطع احداكن ان تأتيه فلتبعث اليه بزيت يسرج فيه فان من بعث اليه بزيت يسرج فيه كان كمن صلى فيه » وروى بعضه أبو داود .

وقال « فصل فى أدعية الصلاة روى أبو هريرة قال كان رسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا كبر فى الصلاة سكت هنيهة قبل أن يقرأ .

فقلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول ؟

قال : أقول « اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس . اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد « رواه البخارى ومسلم زاد أبو داود والنسائى فى أول الدعاء » اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب.

وعن ابن عمر قال بينما نحن مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذ قال رجل من القوم الله أكبر كثيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من القائل كلمة كذا وكذا « قال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال : عجبت لها فتحت لها أبواب السماء .

قال ابن عمر ما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول ذلك . رواه مسلم .

وقال فى فصل فى دعاء الركوع والسجود :

عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يقول فى سجوده : اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله أوله وآخره سره وعلانيته « رواه مسلم وأبو داود .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لى » رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

وعن جابر رضى الله عنهما أن النبى — صلى الله عليه وسلم كا ناذا ركع قال « اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربى خشع سمعى وبصرى ولحمى وعظمى وعظامى لله رب العالمين » أخرجه النسائى •

قال العلماء الخشوع السمع أن يستمع لقراءة نفسه أو امامه ولا يستمع لقراءة غيرها •

وخشوع البصر أن ينظر الى موضع سجوده و لايتلفت ولا يجيل بصره •

وقوله — صلى الله عليه وسلم — ولحمى ودمى وعظامى يحتمل أن تريد بذلك كله جملة الأعضاء لأنها مركبة من الثلاث وخشوعها سكونها وعدم العبث بها ؛ ويحتمل أن يريد باللحم القلب لأنه عضو لحمى وكذلك اللسان والسمع والفرج بالاعراض عن شهوة النساء وأن يريد بالدم اللحم لأنه أصله . واللحم ينشأ منه ، ويريد بالعظام الأعضاء •

وعنه أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يقول فى سجوده « اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت وأنت ربى سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين » رواه النسائى •

ثم ذكر فصلا فى خروج المرأة الى المسجد وغيره : فقال : يستحب للمرأة اذا مشت الى المسجد أن تمشى بجانب الطريق حتى لا تختلط بالرجال •

لما روى عن أنس — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان يمشى فى الطريق وأمامه امرأة فقال لها تنحى عن الطريق •

فقالت الطريق واسع •

فقال لها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « دعوها فانها جبارة » •

وعن ابن عمر قال : « نهى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يمشى الرجل بين المرأتين » أخرجهما أبو داود ويستحب للامام وناظر المسجد أن يجعل بابا من المسجد للنساء لايدخل معهن ويخرج معهن فيه احد من الرجال لقوله — صلى الله عليه وسلم — « باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء » •

وذكر فصلا وقال : يستحب لداخل المسجد الجلوس الى الصالحين والقرب منهم والاقتداء بهم ومشاهدة افعالهم واحوالهم ، فمن شاهد المفلحين أفلح ولكى يسرق طباعه من طباعهم والطبع ليس كما قال ابن قتيبة وهو معنى قول العرب الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق والطباع سراقه •

وقال النووى « فى التبيان » قال الخواص دواء القلب فى خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر ، والجوع وقيام الليل ، والتضرع الى الله تعالى فى السحر ومجالسة الصالحين الى آخر ما ذكر فى كتابه •

والنسخة فى مجلد بقلم نسخ بخط محمد بن محمد الحاضرى سنة ٨١٠ هـ فى ١٠٣ ورقات ومسطرتها خمسة عشر سطرا .

والله الموفق •

محمد عميره على

النور النويرى

نسبه وأسرته :

هو محمد بن محمد بن محمد بن على ابن محمد بن ابراهيم بن عبد الخالق المحب ابن الفاضل الشمسى النويرى « شهرة » العقيلى « نسبا » المالكى « مذهبا » اشتهر بكنيته فهو أبو القاسم النويرى .

قال رضى الله عنه فى مقدمة كتابه « شرح طيبة النشر فى القراءات العشر » لما كان يوم الاثنين ثامن عشر شهر رجب الفرد سنة ثمان وعشرين وثمانمائة (من هجرة من له العز والشرف) من الله على بالرحلة الى مكة المشرفة زادها الله تشريفا وتكريما والمجاورة بها .

وفى هذا اليوم أو قريبا منه من هذا الشهر سنة احدى وثمانمائة كان مولدى بالميمون (والميمون قرية أقرب من النويرة الى القاهرة والنويرة احدى قرى صعيد مصر من أعماق محافظة بنى سويف) .

وقال الحافظ السخاوى فى كتابه « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » : قدم النويرى الى القاهرة فحفظ القرآن ومختصر ابن الحاجب الفرعى وألفية ابن مالك والشاطبيتين :

وهما : حرز الأمانى للشاطبى وطيبة النشر لابن الجزيرى .

وقوله الشاطبيتين تغليبا ، كقولهم : العمرين يعنى أبا بكر وعمر أو القمرين يعنى الشمس والقمر ، وعرضهما على حفيد بن مرزوق التلمسانى والولى العراقى والعز بن جماعة وأجازوه ، وتلا بالعشر على غير واحد أجلهم ابن الجزرى . لقيه بمكة .

ويتحدث العلامة النويرى فى مقدمته عن هذا اللقاء فيقول :

واجتمعت هناك بامام الزمان وفاكهة الأوان وملحق الأصاغر بالأكابر ... ، حافظ وقته ، ومتقن عصره . الحبر الصالح والخل الناصح محمد بن محمد بن محمد الجزرى أطال الله فى مدته وأسكنه بحبوحة جنته ، فقرأت عليه جزءا من القرآن بمقتضى كتبه الثلاثة وهى : النشر والتقريب والطيبة وأجازنى بما بقى منه .

قال الشوكانى فى البدر الطالع : وأخذ (النويرى) عن الهروى وابن حجر والزين الزركشى وأخذ عن غيرهم وبرع فى الفقه

للأستاذ عبد الفتاح أبو سنة

والأصلين والنحو والصرف والعروض والقوافى والمنطق والمعانى والبيان والحساب والفلك والقرآن وغيرها وصنف فى أكثر هذه الفنون فمن ذلك :

تكميل شرح المختصر الفرعى ، وشرح أيضا كلا مختصرى ابن الحاجب الأصلى والفرعى ، وشرح التنقيح للقرافى فى مجلد ، ونظم أرجوزة فى النحو والصرف والعروض والقوافى فى خمسمائة بيت وخمسة وأربعين بيتا ، وشرحها ، وله مقدمة فى النحو ومنظومة فى القراءات الثلاث الزائدة على السبع سماها الغياث فى القراءات الثلاث وشرحها ونظم نزهة ابن الهائم وله قصيدة فى علم الفلك وشرحها وله القول الجاد لمن قرأ بالشاذ ولم توجد منه غير نسخة واحدة بالمكتبة البريطانية بلندن وقد قمت بتحقيقها ضمن تحقيق مخطوطة العلامة النويرى التى قسمتها الى ستة أجزاء تفضل الأزهر بالموافقة على نشرها ان شاء الله .

قال الحافظ السخاوى : أقام العلامة النويرى بغزة والقدس ودمشق وغيرها من البلاد وانتفع به فى الفتاوى ، وكان اماما عالما علامة متفننا فصيحا مفوها بحاثا ذكيا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر صحيح العقيدة شهما ... متواضعا مع الطلبة والفقراء .

حكى لى البدر السعدى قاضى الحنابلة أنه بينما هو عنده فى درسه اذ حضر اليه الشرف الأنصارى بمربعة بمرتب العينى فى الجوالى بعد موته وهو دينار فى كل يوم فردها وقال : جقمق يروم يستعبدنى فى موافقته بهذا المرتب .

ولعلك أيها القارىء تستشف من هذه الواقعة السريعة مدى عفة الرجل وترفعه عن الجرى وراء مادة أو عرض زائل كمنصب أو جاه أو سلطان فلا هو بالرجل الذى يبيع دينه بدنيا غيره ، ولا هو بالذى يأكل الدنيا بالدين بل وقف حياته ونفسه خالصة لله سيده ومولاه لأنه تحقق بمعرفة أنه لم يخلق عبثا ولن يترك سدى فلم يضيع وقته هباء بل جد فى الاستقصاء عما ينفعه فى « يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » .

مات رحمه الله بمكة ضحى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى عليه بعد العصر عند باب الكعبة ونودى عليه من أعلى قبة زمزم ودفن بالمعلاة بمقبرة « بنى النويرى » وكانت جنازته حافلة رحمه الله وايانا .

المَيْتَ والمَيِّتْ

فى لغة القرآن الكريم

نص العلماء على أن اجتماع الأمثال مكروه فى اللغة ، وقد عقد السيوطى لذلك بابا فى الأشباه والنظائر من١ الى ١٨ وما بعدها ، ... أورد فيه أقوال عدد من العلماء ، وجملة ماكرهت العرب اجتماعه فتحولت به الى حرف آخر ، وحذفت أحد المثلين . والذى يعنينا ههنا إيراده كلمة « ميْت » على أنها « ميّت » حذفت العرب إحدى الياءين من غير أن يشير الى أى تغيير فى المعنى .

قال السيوطى فى الأشباه والنظائر ١/٢٠ « ... وحذف إحدى الياءين من سيّد وميّت وهيّن وليّن ، وقيل هو مقيس على الأصح ، وقال ابن مالك : يحفظ ولايقاس ، وقال الفارسى يقاس فى ذوات الواو دون ذوات الياء ... »

وهذا الذى ذكره السيوطى سبقه إليه جمهور العلماء فلم يفرقوا بين ميْت وميّت أو بين سيْد وسيّد فى المعنى ، وإنما الأمر منحصر عندهم فى الحذف كراهة اجتماع الأمثال .

قال سيبويه ٣/٦٤٢

« وأما فيْعَل ... نحو قيّم وسيّد ... وميّت .. وقالوا : هيْن وهيْنون ، وليْن وليْنون ، لأن أصله فيْعِل ، ولكنه خفف وحذف منه » .

وقال أيضا ٤/٣٦٦

« وأما قولهم : ميْت وهيْن ولَيْن ،فـإنهم يحذفون العين .... لاستثقالهم الياءات » وكذلك ابن يعيش[١] فى شرح المفصل .

وقال المبرد فى المقتضب ١/٢٦٣ « يجوز لك أن تقول فى ميّت : ميْت ، وفى هيّن : هيْن ، وكذلك

---

١ ـ شرح المفصل ١٠/٦٩

د . محمد محمد سعيد

جميع بابه ؟ استثقالا للتضعيف فى حروف العلة » .

وقال المازنى[٢] : « وأما قولهم : هيْن وليْن وميْت فإنما حذفوه وهم يريدون : هيّن وليّن وميّت ولكنهم حذفوه استخفافا » .

هل يكتفى فى التخفيف بالمسموع أم يقاس عليه ؟

الكلمات المخففة إما أن تكون عينها واوا أو ياء فإن كانت واوا مثل ميت وهين وسيد ، لأنه من مات يموت ، وهين من الهوان[٣] ، وساد يسود ، فالأصح أنه يقاس عليه .

قال السيوطى فى الهمع ٢/٢١٧ « الحذف قسمان : مقيس وشاذ ، فالمقيس حذف ألف « ما » الاستفهامية المجرورة نحو « عَمَّ يتَسَاءَلُونَ »[٤] ... ومن المطرد حذف عين فَيْعل وفيْعِلة .. »

وقال أبو حيان : [٥] « ... أما ذوات الواو فلانعلم خلافا فى اقتياسه كسيِّد وسيِّدة يقال فيه : سيْد وسيْدة .

وإن كانت العين ياء مثل ليّن ... ففى القياس عليها خلاف ...

قال أبو حيان : [٦] « وأما ذوات الياء كليّن وليّنة ففيها خلاف ، زعم أبو على وتبعه ابن مالك أن تخفيفها يحفظ ولا ينقاس ، قال وهو مرجوح ، والأصمعى أنه مقيس لا محفوظ ، قال : وفى محفوظى أن الأصمعى حكى أن العرب تخفف مثل [٧] هذا كله ، ولم يفصل بين ذوات الواو وذوات الياء ، بل سرد مثلا من هذا ومن هذا ، قال : إلا جيدا فلم أسمع أحدا من العرب يخففه »

---

٢ ـ انظر المنصف شرح تصريف المازنى ٢/١٥

٣ ـ وأما هيْن بمعنى ليْن فعينه ياء ، ومنه المثل : « إذا عزّ أخوك فهن » ؟ لأن العرب لاتؤمر بالهوان . اللسان : هين .

٤ ـ سورة النبأ ـ ١ ـ

٥ ـ الهمع ٢/٢١٨

٦ ـ المرجع السابق

٧ ـ انظر المزهر للسيوطى ٢/٢٧٠ وفيه : قال الأصمعى : الأصل فى القَيْل التشديد ثم خفف وهو من باب الميّت ، خففت هذه الحروف إيجازا واختصارا (والقَيْل : الملك) ، والطَّيْف وهو الخيال الذى يراه النائم ، والأصل فيه طيِّف فأسقطوا الياء كما قالوا فى هيّن وليّن هيْن وليْن ، وكذا ضيّق وضيْق ، وصيّب وصيْب ـ والصوب : نزول المطر ، والصيِّب : السحاب دون الصوب ، و: صاب : نزل ـ .. فهذه أمثلة للواوى واليائى خففت بالقياس على سيْد وليْن .

وفى الصحاح : هين ، لين ، خير ، موت ، « يقال هيِّن وهيْن ، وليِّن وليْن ، والحيْز تخفيف الحيِّز ـ وهو ماانضم إلى الدار من مرافقها ، وكل ناحية حيِّز ، وأصله من الواو وَخيِّر وَخَيْر وخيِّرة وخيْرة ، وسيِّد وسيْد ، وميِّت وميْت »

الميْت والميّت لغتان لالغة واحدة

نص ابن يعيش على أن الذين يقولون ميْت هم الذين يقولون ميّت ....

قال في شرح المفصل ٦٩/١٠ : « ... واما ماحذف لضرب من التخفيف نحو قولهم : في سيّد سيْد وفي هيّن هيْن ... فالأصل سيْود وميوت على زنة فيْعل بكسر العين ... فأعلوها بأن قلبوا الواو ياء ، ولما أعلوا العين بالقلب ههنا اعلوها بالحذف ايضا تخفيفا لاجتماع ياءين وكسرة ، فقالوا : سيْد وميْت وهيْن ، والذين قالوا ميْت هم الذين قالوا ميّت وليستا لغتين لقومين قال الشاعر :(١ع٢)

ليس من مات فاستراح بميْتٍ

إنما الميْت ميّت الأحياء

كما نص ابن جنى في المنصف ١٧/٢ على أن الذين يقولون « ميْت » هم الذين يقولون « ميّت » قال : « ويدل على أن من يقول « ميْت » ـ بالتخفيف ـ هو الذى يقول « ميّت » ـ بالتشديد ـ قول الشاعر :

ليس من مات ......

فأما قول الله تعالى : « **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ** » ثم قال في موضع آخر : « **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** »(٣) فلايدل على أن الذى يقول : « ميْت » هو الذى يقول « ميّت » ؟ لأن القرآن قد جاء بلغات مختلفة وإن كانت كلها فصيحة »

فابن جنى يستشهد بهذا البيت على أنهما « الميْت والميّت » لغة واحدة مع أنه قد عقد بابا في كتابه **الخصائص ٢٧٠/١** بعنوان :

« باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا »

ذكر فيه قول لبيد يصف سحابا .

سقى قومى بنى مجد ، وأسقى نُميْرا

والقبائلَ من هلالِ

حيث استعمل سقى وأسقى بمعنىً ، وكلّ لغة .

وكذلك قول طفيل الغنوى :(٥)

أما ابن طَوْفٍ فقد أوفى بذمّته

كما وفى بقلاص النَّجْمِ حاديها

حيث قال وفى وأوفى والمعنى واحد وهما لغتان

وقال يعلى الأزدى :(٦)

فظلْتُ لدى البيت العتيق أُخيلُهُو

ومِطْواى مشتاقان لهُ ارِقانِ

---

١ ـ قاله عدىّ بن رعلاء الغسّانى ، والرّعلاء اسم امه اشتهر بها .

انظر المنصف ١٧/٢ ، ٦٢/٣ ، الأمالى الشجرية ١٥٢/١ ، الأصمعيات ص ١٥٢ العقد الفريد ٤٩١/٥ ، الأمالى الشجرية ١٥٢/١ ، معانى القرآن للأخفش ١٥٥/١ ، خزانة الأدب : ٥٨٣/٩

٢ ـ سورة الأنعام ١٢٢

٣ ـ سورة الزمر ٣٠

٤ ـ انظر الديوان ص ١٢٧ و« مجد » ام كلب وكلاب ابن ربيعة بن عامر ابن صعصعة ، وانظر اللسان « سقى »

٥ ـ انظر اللسان ، قلص ، وَفَى ، وفيه : وَفَى بعهده وأوفى بمعنىً، قال ابن برى : وقد جمعهما طُفيل الغنوى في بيت واحد في قوله : أما ابن طوق ... » وقِلاص النجم : هى العشرون نجما التى ساقها الدَّبران في خطبة الثُّريّا .

٦ ـ انظر اللسان : مطا ، ها ، وفيه قال ابن برى هذا البيت لرجل من أزد السَّراه يصف برقا ، وذكر الأصفهانى انه ليعلى بن الأحول الأزدى ... ، والشاعر يتحدث عن برق شاقه وهاجه الى وطنه ، و« أخيلة » انظر الى مخيلته ، والهاء عائدة على البرق في بيت قبله وهو : ارقْتُ لبرق دونه شروان : يمانٍ واهوى البرق كلّ يمانِ ومِطْواى تثنية مِطو وهو الصاحب والنظير .

ذكر ابن جنى أن إسكان الهاء فى « لهْ » لم يلحق الكلمة بسبب الصنعة وإنما هى لغة ، قال : « فهاتان لغتان : أعنى إثبات الواو فى « أخيلهو » وتسكين الهاء فى قوله : « له » ، لأن أبا الحسن زعم أنها لغة لأزد السراة ، وإذا كان كذلك فهما لغتان »

فكان من الممكن أن يقال على مذهبه هنا ـ الجمع بين اللغتين فى فصيح الكلام ـ إن الشاعر جمع بين لغتين فقال ميْت وميّت « فى البيت المتقدم وهو : ليس من مات ......

وقال الأخفش فى معانى القرآن ١/١٥٥ عند الكلام على الآية ١٧٣ من سورة البقرة « إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ » قال :

« وإنما هى الميّتة خففت .... كما يقولون فى « هيّن وليّن » : هيْنٌ وليْنٌ ، خفيفة . قال الشاعر :

ليس من مات ....

فثقل وخفف فى معنى واحد .

وقال ابن الشجرى[١] « والميْت والميّت بمعنى كالهيْن والهيّن واللّيْن واللّيّن .... ويدلك على أنه لا فرق بين الميْت والميّت قول الشاعر :

ليس من مات ....

ألا ترى أنه أوقع المخفف والمشدد على شىء واحد .... »

ومن العلماء من ذكر أنهما لغتان ، أعنى الميْت والميّت .

قال أبو حيان [٢] : عند قوله تعالى « **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ** »[٣] قال : « وقرأ أبو جعفر الميّتة بتشديد الياء فى جميع القرآن وهو أصل للتخفيف .... وهما لغتان جيدتان ، وقد جمع بينهما الشاعر فى قوله :

ليس من مات .... »

وقال ابن منظور [٤] : « ورجل ميّت وميْت .... وجمع بين اللغتين عدىّ بن الرعلاء فقال :

ليس من مات .... »

وقال الجوهرى [٥] : « يقال ميّت وميْت ، وقوم موتى وأموات ، وميّتون وميْتون .

وأصل ميْت : ميْوت على فيْعل ، ثم ادغم ، ثم يخفف فيقال ميْتٌ قال الشاعر ، وقد جمعهما فى بيت :

ليس من مات .... »

فهذه النصوص تدل على أنهما ـ الميْت والميّت ـ لغتان لالغة واحدة . ،

ولقد سبق أن بينا ما عليه الجمهور من أنه لافرق فى المعنى بين الكلمتين ـ الميْت والميّت ـ .... فهوْ لايعدو أن يكون تخفيفا بالحذف وله نظائر ، إلا أن بعض العلماء قد ذكر فرقا بين الكلمتين ، ويتضح ذلك فيما يلى :

قال ابن منظور : « وقيل الميْت الذى مات والميِّت والمائت : الذى يمت بعد [٦] ، وحكى الجوهرى [٧] عن الفراء : [يقال لمن لم يمت : إنه مائت على قليل ، وميّت ، ولايقولون لمن مات ، هذا مائت] قيل : وهذا خطأ ، وإنما ميّت يصلح لما

---

١ ـ الأمالى الشجرية ١/١٥٢
٢ ـ البحر المحيط ١/٤٨٦
٣ ـ سورة البقرة ١٧٣
٤ ـ اللسان ـ موت
٥ ـ الصحاح : موت
٦ ـ انظر القاموس المحيط / موت
٧ ـ المرجع السابق

قد مات ، ولما سيموت ، قال تعالى : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » [1]

وجمع بين اللغتين عديّ بن الرّعلاء فقال :

ليس من مات فاستراح بميْت
إنما الميْت ميّت الأحياء
إنما الميْت من يعيش شقياً
كاسفا باله قليل الرّجاء
فأناس يمصصون ثمارا [2]
وأناس حلوقهم في الماء

فجعل الميْت كالميّت »

ونسب بعضهم القول باختلاف المعنى إلى النحويين الأولين .

قال أبو حيان [3] : « قيل : وحكى أبو معاذ عن النحويين الأولين إن الميْت بالتخفيف الذى فارقته الروح ، والميّت بالتشديد : الذى لم يمت ، بل عاين أسباب الموت »

وسوف نناقش فيمايلي الرأى القائل بالفرق بين اللفظتين في المعنى ، والرأى القائل بعدم الفرق ، حتى يتبين أىّ الرأيين أولى بالقبول :

فنقول : سبق أن بينا رأى جمهور العلماء .. والذى يتلخص في أنه لافرق بين الكلمتين من حيث المعنى ... وممن قال بذلك سيبويه [4] ، والمبرد [5] ، والمازنى [6] ، والأخفش [7] ، وابن الشجرى [8] ، ...

كما بينا رأى من يقول بالفرق في المعنى بين الكلمتين ... مثل ابن منظور [9] وما ورد على لسان أبى حيان [10] نقلا عن النحويين الأولين ... وما حكاه الجوهرى [11] عن الفراء ـ والجوهرى ثقة غير متهم فيما ينقل ـ وسوف نتمسك بنص الفراء الذى يقول : « يقال لمن لم يمت إنه مائت عن قليل ، وميّت ، ولايقولون لمن مات : هذا مائت »

والذى يهمنا هنا أنه نقل لنا أن العرب تقول لمن لم يمت إنه ... ميّت عن قليل ، ولكنه لم ينقل لنا أن العرب لا تقول لمن مات إنه ميّت بل الممتنع أن يقال فيه مائت ، أما ميّت فلو كان حكمها حكم مائت لنص على ذلك ، والموطن موطن تفريق بين المعانى يحتاج إلى بيان وإيضاح ، فلا مجال للحذف والاختصار .

لذلك نقول : إن من أخذ على الفراء عبارته وخطأه بقوله : « إنما ميّت [12] يصلح لما قد مات ولما سيموت » قد قوّل الفراء شيئا لم يقله إذ هو ذكر المائت والميّت لمن سيموت ، أما لمن مات فلا يجوز أن يقال : مائت ولم يذكر أنه لا يجوز ميّت »

وأما قولهم إن ميّت يصلح لما قد مات ولما سيموت فهو صحيح كما سيأتى ، إلا أن

---

١ ـ سورة الزمر ٣٠
٢ ـ الثمد بالتحريك : الماء القليل ، صور بذلك تباين الحظوظ وتخالف الجدود
٣ ـ البحر المحيط ٤٨٦/١
٤ ـ الكتاب ٦٤٢/٣ ، ٣٦٦/٤
٥ ـ المقتضب ٢٦٣/١
٦ ـ المنصف شرح تصريف المازنى ١٥/٢
٧ ـ معانى القرآن ١٥٥/١
٨ ـ الأمالى الشجرية ١٥٢/١
٩ ـ اللسان : موت
١٠ البحر المحيط ٤٨٦/١
١١ ـ الصحاح : موت
١٢ ـ اللسان : موت

الاستدلال له لم يكن صحيحا ، ذلك ، أن النزاع المتكلف مع الفر[1] فى استعمال كلمة ميت لمن قد مات فينبغى أن يؤتى بشاهد على ذلك وقد أوردت الآية ٣٠[٢] من سورة الزمر وهى تتحدث عن الموت المستقبل لا الماضى إذ هى فى معرض محاجة الكافرين وإنذارهم .

وأما أبيات عدى بن الرعلاء فلا تصلح شاهدا لما ذكروه ـ وهو أن المَيْت كالميّت ـ لأن الأبيات فيها من المجاز الظاهر ما يمنع القول بهذا ، بل هى ـ على النقيض من ذلك ـ شاهد على الفرق بين الكلمتين ، ذلك أنه يتحدث عن الحى الذى يعيش فى ضنك من العيش وسوء تكاد تعده معه من الأموات ، فهو فى شقائه وسوء حاله هالك فى الأحياء ، أما ذلك الهالك حقيقة فهو فى راحة من هذا الشقاء ولذا قال :

ليس من مات ...

أى ليس الهالك هو الذى ودع الحياة الدنيا بما فيها من شقاء ، إنما الهالك هلاك من فارقته الروح ميّت الأحياء أى الذى لم يمت بل عاين أسباب الموت وهو فى الأحياء ، فقد استعمل المَيْت لمن فارقته الروح على الحقيقة أو المجاز ، أما الميّت فقد أستعملها لمن لم تفارقه الروح ، وإنما لمن عاين أسباب الموت .

ولو نظرنا الى البلاغة الخالدة ـ القرآن الكريم ـ لوجدنا أنه يفرق بين اللفظتين فى الأستعمال وهو ما ينبغى أن يصير إليه الفضاء ... ويتضح ذلك فيما يلى :

المَيْت : الذى فارقته الروح ، ولم ترد فى القرآن بمعنى الذى عاين أسباب الموت ولم يمت .

الميّت : وردت فى القرآن للذى فارقته الروح ، وللذى عاين أسباب الموت ولم يمت ، فميْت مثل مات فى دلالتها على الماضى ، وهى وإن كانت مخففة من [٣] ميّت إلا انها الزمت هذا المعنى ، فكان التخفيف قد خصصها ببعض المعنيين اللذين فى ميّت ، ولما اختصت بذلك كثر استعمال المثقلة لما لم يمت مع إحتفاظها ـ على الأصل ـ بمعنى المضى ، ويؤيد هذا القول ، ما سنذكره من آيات بينات ، وذلك على القراءة المشهورة .

المَيْت : وردت هذه الكلمة بالتخفيف فى خمسة [٤] مواضع ، أحدها بعضكم لايحتمل الشك فى مفارقة الروح وإن لم يأت معها فى اللفظ ما يصرح به ، وذلك حيث بغض الله سبحانه وتعالى الغيبة فقال فى سورةالحجرات « ١٢ » « **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** » .

أما المواضع الأربعة الأخرى فقد قارنها الأحياء فى ثلاثة ، وهو لا يكون إلا بعد مفارقة الروح وإن كان ذلك على سبيل المجاز ، وجاءت كلمة النشور فى الرابعة وهو لايكون إلا بعد مفارقة الروح ايضا .

---

١ ـ اللسان : موت

٢ ـ ونصها مع الآية ٣١ « إنك ميت وإنهم ميتون ، ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون »

٣ ـ انظر الشافية ١٥٢/٣ ، سيبويه ٦٤٢/٣ ، ٣٦٦/٤ ، المقتضب ٢٦٣/١ ، شرح تصريف المازنى ١٥/٢ ، الإنصاف ٧٩٥/٢ ابن يعيش ٦٩/١٠ .

٤ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم « ميْتا »

قال تعالى في سورة الأنعام ١٢٢

« أو مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي[١] بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ، كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ »

وقال تعالى في سورة الفرقان ٤٨ ، ٤٩

« وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ، لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا . »

وقال تعالى في سورة ق الآيات ٩ ـ ١١

« وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ، وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ، رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ، وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ »

وقال تعالى في سورة الزخرف ١١

« وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ »

أما المَيْتَة فقد وردت في ستة[٢] مواطن جاءت في أحدها ومعها كلمة أحييناها ..

قال تعالى في سورة يس ٣٣

« وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ »

أما المواطن الآخرى فهي في تحريم أكلها ، ومعلوم أن ما عاين أسباب الموت من الحيوان وأدرك بالتذكية جاز أكله .

قال تعالى في سورة البقرة ١٧٣

« إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ... »[٣]

وقال تعالى في سورة المائدة ٣

« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَاذَكَّيْتُمْ ... »

---

١ ـ انظر حجة القراءات لأبى زرعة ص ٢٧٠ وفيه : اومن كان ميْتا .. قرأ نافع : اومن كان ميّتا بالتشديد ، وقرأ الباقون بالتخفيف ، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنبارى ٣٣٨/١ وفيه مايفيد أن القراءة تأتى بالتشديد وبالتخفيف ... فعند كلامه على الآية ١٢٥ من سورة الأنعام « يجعل صدره ضيّقا حرجا » قرىء ضيّقا بتشديد الياء وتخفيفها ، فمن قرأ ضيّقا بالتشديد أتى به على الأصل ، ومن قرأ بالتخفيف حذف إحدى الياءين كما حذفوا في نحو سيّد وهيّن وميّت فقالوا : سيْد هيْن وميْت ....

٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن « الميتة » .

٣ ـ انظر معانى القرآن للأخفشى ١٥٥/١ وفيه : إنما حرم عليكم الميْتة ، وإنما هى الميّتة خففت ، وكذلك قوله بلدة ميْتا الفرقان ٤٩ يريد به « ميّتا » ولكن يخففون الياء كما يقولون في « هيّن وليّن » هيْن ولين خفيفة ....
وانظر معانى القرآن للفراء ١٠٢/١ .

وقال تعالى فى سورة الانعام ١٣٩

« وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ .. »

وقال فى سورة الانعام ١٤٥

« قُل لَّا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، ... »

وقال تعالى فى سورة النحل ١١٥

« إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، .. »

فالمراد بالميتة فى هذه الآيات ما فارقته الروح من الحيوان من غير تذكية . ولايستطيع أحد أن يرد قراءة مأثورة وردت بالتشديد فى ذلك كله ، فقد نص العلماء على أن من قرأ بالتشديد فقد اخرجه على الأصل يعنى قبل التخفيف ، وسبق القول بأن التشديد يحتمل معنى مفارقة الروح ، كما يحتمل معنى معاينة أسباب الموت .

قال ابو حيان(١) : عند الكلام على الآية ١٧٣ من سورة البقرة : « وقرا ابو جعفر الميّتة بتشديد الياء فى جميع القرآن وهو اصل للتخفيف »

وقال العكبرى(٢) : « والأصل الميّتة بالتشديد لأن بناءه فيعلة ، والأصل ميوتة فلما اجتمعت الياء والواو وسبقت الأولى بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت ، فمن قرأ بالتشديد أخرجه على الأصل ، ومن خفف حذف الواو التى هى عين ، ومثله سيْد وهيْن فى سيّد وهيّن »

يتبع د . محمد محمد سعيد

---

١ - البحر المحيط ٤٨٦/١

٢ - إملاء ما مَنَّ به الرحمن ٧٦/١

من علوم القرآن - بقية -

وبعد وفاة رسول الله ﷺ وقيام أبى بكر بعده بأمر المسلمين ارتد من ارتد من العرب ، وظهر أدعياء النبوة ، فتصدى لهم أبو بكر وهب لقتالهم ، وكان حفاظ القرآن ومن أطلق عليهم « القراء » فى أوائل صفوف المسلمين الذين لبوا نداءه للدفاع عن دين الله وكتابه ، وقتل من القراء فى موقعة اليمامة مع مسيلمة الكذاب ومن تابعه خلق كثير مما أثار الخوف على كتاب الله من الضياع بضياع حفاظه ، وكان ذلك سببا فى جمع أبى بكر للقرآن ، وهو ما يطلق عليه :

الجمع الأول للقرآن

يروى الامام البخارى فى صحيحه القصة فيقول :

.... عن زيد بن ثابت قال : أرسل إلىّ أبو بكر - مقتل أهل اليمامة - فإذا عمر ابن الخطاب عنده ، قال أبو بكر :

إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل فى المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن .

قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

فقال عمر : هذا والله خير .

فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك رأى عمر .

قال زيد : وقال أبو بكر : أنك رجل ، لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى الله ﷺ فتتبع القرآن واجمعه .

قال زيد : فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىّ مما أمرونى به من جمع القرآن .

قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

فقال : هو والله خير .

فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب(١) واللخاف(٢) وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر التوبة : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ... ﴾ مع أبى خزيمة الأنصارى الذى جعل النبى ﷺ شهادته بشهادة رجلين ، لم أجدها مع أحد غيره ، فألحقتها بسورتها .

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى قبض ، ثم عند حفصة بنت عمر . »

وقد اتبع فى هذا الجمع منهج دقيق أعان على وقاية القرآن من كل مايمكن أن يلحق بالنصوص من وضع أو انتحال أو نسيان أو ضياع ، فبالرغم من أن زيدا كان يحفظ القرآن وكان موجودا فى العرضة الأخيرة فى حياة رسول الله ﷺ بلا خلاف ، فإنه لم يكتف بحفظه ولا حفظ غيره من الصحابة ، وكانوا كثيرين ، وإنما طلب من كل من تلقى من الرسول ﷺ شيئا من القرآن أن يأتى به ، وأخذ على نفسه الا يكتب إلا :

---

(١) العسب : جمع عسيب ، وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض

(٢) اللخاف : جمع لَخْفة ، وهى الحجارة الرقاق ، أى صفائح الحجارة الرقاق .

(أ) مما كتب بين يدى رسول الله ﷺ لامن مجرد الحفظ ، وبشرط أن يشهد شاهدان على ذلك .

(ب) ومما ثبت أنه عرض على النبى ﷺ عام وفاته دون ما كان مأذونا فيه من قبل .

(جـ) ومما ثبت أنه من الوجوه التى نزل بها القرآن .

● ● ● ● ● ● ●

وكانت كتابة الآيات فى سورها على الترتيب والضبط اللذين تلقاهما المسلمون عن رسول الله ﷺ .

وشارك عمر بن الخطاب زيدا فى هذا الجمع ، فكان يقعد معه على باب مسجد رسول الله ـ بأمر ابى بكر ـ ليكتبا ما يشهد عليه الشاهدان .

والذى فعله زيد بن ثابت ومن ساعده لم يكن أكثر من نسخ ما كان موجودا فعلا ومكتوبا فى عهد النبى ﷺ بعد التأكد من كل نص وموافقته لما كان محفوظا لصحابة رسول الله ﷺ ، وهم جم غفير رضوان الله عليهم ، وحفظ هذا فى مكان واحد بعد أن كان مفرقا ومشتتا .

يقول السيوطى فى الإتقان : جـ ١ ص ٦٠ :

« وقال الحارث المحاسبى فى كتابه فهم السنن :

كتابة القرآن ليست بمحدثة ، فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقا فى الرقاع والأكتاف والعسب ، وانما أمر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعا ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشرا فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شىء .

فإن قيل : كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال ؟

قيل : لأنهم كانوا يبدون عن تأليف معجز ونظم معروف قد شاهدوا تلاوته من النبى ﷺ عشرين سنة ، فكان تزوير ماليس منه مأمونا ، وإنما كان الخوف من ذهاب شىء من صحفه ... »

وهذا هو نفس ماقاله عمر لأبى بكر يستحثه على جمع القرآن :

« إن القتل قد استحر ـ يوم اليمامة ـ بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستمر القتل فى المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن »

ولم يكن هدف ابى بكر ولا هدف عمر من هذا الجمع سوى المحافظة على النص من أن يضيع بضياع حفاظ القرآن .

وقد حظى عمل ابى بكر فى جمع القرآن برضى المسلمين ، وورد أن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال :

« أعظم الناس فى المصاحف اجرا ابو بكر ، رحمة الله على أبى بكر ، هو اول من جمع القرآن بين اللوحين . »

د . أحمد ابراهيم مهنا

أسباب الإمالة

وسنتكلم أولا عن أسباب امالة الألف وهى ما يأتى :

السبب الأول : الكسرة · وهى اما قبل الألف أو بعدها ، فان كانت قبل الألـف فلا بد ان يكون بينها وبين الألف حـرف أو اكثر ، وذلك لأن الألـف لا تلى الا الفتحة ·

فان كان بينها وبين الألف حرف نحو : هلال وكتاب جازت الامالة ·

وكذلك تجوز الامالة اذا كان بيـن الكسرة والألف حرفان بشرط أن يكون أحدهما ساكنا نحو شملال فان كان الحرفان متحركين نحـو عنبا (١) لم تجز الامالة الا اذا كان أحدهمـا هاء نحو يريد أن يضربها فتجوز الامالة ، وذلك لخفاء الهاء فكأنها معدومة ·

واشترطوا للامالة فى مثل هذا أن لا يكـون قبل الهاء المتصلة بالألف ضم نحو هو يضربها وذلك لأن الهاء مع الضمة لا يجوز أن تكـون كالعدم اذ ما قبل الألف لايكون مضموما ·

وكذلك تجوز الامالة اذا كان بيـن الكسرة والألف ثلاثة أحرف بشرط أن يكون من بينهـا الهاء وحرف ساكن نحو : درهماك ·

هذا ولايشترط فى هذه الكسرة أن تكون أول الكلمة بل يجوز أن تكون وسطها نحو اسوداد، ويجوز أن تكون من كلمة أخرى نحو بنا لزيد مال · وبعبد الله ·

واعلم أنه اذا كان السبب قويا كانت الامالـة مستحسنة واذا كان ضعيفا كانت غير حسنة ·

فاذا كان الفاصل بين الكسرة والألف حرف كانت الامالة أحسن مما لو كان الفاصل حرفين، والفصل بحرفين ادعى الى الامالة مما لو كان ثلاثة ·

واذا كانت الكسرة من نفس الكلمة المُمالـة كانت أقوى فى الامالة مما لو كانت من كلمـة أخـرى ·

واذا كانت الكلمة الاخرى لا تستقل بنفسها نحو الباء من بنا كانت الامالة أقوى مما لو كانت الكلمة مستقلة نحو لزيد مال ·

---

(١) حكى سيبويه أن بعضهم قال : رأيت عنبا بالامالة جـ ٢ ص ٢٦٣ ·

للأستاذ الدكتور
عبد العظيم على الشناوى

وبعد فاليك ما قاله سيبويه فى الكسرة التى قبل الألف ــ قال (جـ ٢ ص ٢٥٩) .

واذا كان بين أول حرف من الكلمة وبين الألف حرف متحرك والأول مكسور نحو عماد أملت الألف ، لأنه لايتفاوت ما بينهما بحرف .. وكذلك ان كان بينه وبين الألف حرفان ، الأول ساكن ، لأن الساكن ليس بحاجز قوى .. وذلك قولهم : سربال وشملال وعماد وكلاب ، وجميع هذا لا يميله أهل الحجاز .. وتقول : الاسوداد فيميل الألف هنا من أمالها فى الفعال (١) ــ بكسر الفاء ــ ، لأن « ودادا » (جزء اسوداد) بمنزلة كلاب .

ثم قال « هذا باب من امالة الألف يميلها فيه ناس من العرب كثير » وذلك قولك : يريد أن يضربها ، ويريد أن ينزعها ، لأن الهاء خفية والحرف الذى قبل الحرف الذى يليه مكسور فكأنه قال : يريد أن يضربا .. وقالوا فى هذه اللغة : منها فأمالوا ، وقالوا : فى مضربها ، وبها ، وهذا أجدر أن يكون ، لأنه ليس بينه وبين الكسرة الا حرف واحد ، فاذا كانت تمال مع الهاء وبينها وبين الكسرة حرف فهى اذا لم يكن بين الهاء وبين الكسرة شىء أجدر أن تمال والهاء خفية .. وليس شىء من هذا تمال ألفه فى الرفع اذا قال : هو يكيلها وذلك أنه وقع بين الألف وبين والكسرة الضمة فصارت حاجزا فمنعت الامالة لأن الباء فى قولك .

(أن) يضربها ــ بفتح الباء ــ فيها امالة فلا تكون فى المضموم امالة اذا ارتفعت الباء . وقالوا : درهمان (بالامالة) أ هـ .

والخلاصة : أنه يجوز امالة الألف بعد الكسرة : اذا كان بينهما حرف واحد نحو عماد ، أو حرفان أحدهما ساكن أو هاء نحو . شملال ويريد أن يكرمها ، أو ثلاثة منها الهاء وحرف ساكن نحو درهماك :

وأما الكسرة التى بعد الألف ــ قال الرضى (٢) (جـ ٣ ص ٧) : فانما تكون سببا للامالة اذا وليت الألف ، وكانت لازمة نحو عابد وعالم ومفاتيح وهابيل .

قيل والمنفصل فى هذا كالمتصل نحو : ثلثا درهم وغلاما بشر ــ يعنى اذا كانت الكسرة الواقعة

---

(١) اى يميل الالف فى اسوداد من أمالها فى نحو عماد ــ لافرق عنده أن تكون الكسرة وسط الكلمة كما فى اسوداد ، او اولها كما فى عماد .

(٢) اخترنا ما قاله الرضى ، لانه وفى هذه المسألة حقها باسلوب واضح .

بعد الألف من كلمة أخرى فحكمها حكم الكسرة التي من كلمة الألف — والتمثيل أوضح ذلك — .

والظاهر أنها (المنفصلة) أضعف لعدم لزومها للألف فهي كالكسرة العارضة للاعراب في كلمة الألف . نحو : على بابه ، ومن ماله فانه يجوز الامالة لأجلها ، لكنه اضعف من جواز امالة نحو: عابد وعالم (للزوم الكسرة فيهما وعروضها في غيرهما) .

وأما ان كانت الكسرة الاعرابية على الراء فهي كالكسرة اللازمة في كلمة الألف ، نحو عالم، وذلك لأنها وان ضعفت بالعروض لكن تكرار الراء جبر وهنها فكأن الكبرة عليها كسرتان ، وذلك نحو من الدار ، وفي الدار .

وان كان بين الألف والكسرة المتأخرة عنها حرف نحو : نظرت الى تفاحة جميلة فان الكسرة لاتؤثر .

وانما أثرت المنفصلة عن الألف قبل ، ولم تؤثر بعد ، لأن الصعود بعد الهوى أشق من العكس .

فان زالت الكسرة التي بعد الألف لأجل الادغام نحو : جاد ، وجواد — بتشديد الدال فيهما — فالأفصح أن لا يعتد بها ، فلا تمال الألف لأنها (الكسرة) ساقطة في اللفظ لزوما ، وقد اعتبرها قوم نظرا الى الأصل كما أميل نحو خاف نظرا الى كسرتها الأصلية — كما يجيء — فأمالوا نحو جاد ، وجواد رفعا ونصبا وجرا (وذلك لكسرة الدال الأولى في الأصل قبل الادغام) .

وبعضهم أمالها اذا كانت المدغم فيها (أي الدال الثانية) مكسورة فقط ، لصيرورة الحرفين بالادغام كحرف واحد فيكون « من جاد » مثل « من مال » .

وان ذهبت الكسرة لأجل الوقف (١) — نحو راع ، وماش — اختلف أيضا في الامالة وتركها والأكثر يميلونه ، والفرق بينه وبين الأول (سكون الادغام) أن سكون الوقف عارض يزول في الوصل بخلاف سكون الحرف المدغم .

وان كانت الكسرة المقدرة في الوقف في الراء — نحو من النار . ومن دار فجواز الامالة فيه أقوى لقوة الكسر : على الراء كما ذكرنا ، فصارت لفرط القوة تؤثر مقدرة تأثيرها ظاهرة أ م بتصرف .

السبب الثاني : الياء سواء أوقعت قبل الألف أم بعدها فالتي قبل الألف انما تؤثر في امالتها اذا اتصلت بها نحو : سيال ، وهو شجر ذو شوك ، قالوا : لأن الحركة بعد الحرف ، ففتحة الياء في سيال هي التي تلي الألف فصارت الياء في نحو سيال كالكسرة في نحو عماد .

وتؤثر الياء أيضا في امالة الألف اذا فصل بينها وبين الألف حرف سواء كانت ساكنة نحو شيبان أم متحركة كالحيوان والحيدان .

---

(١) قال سيبويه (ج ٢ ص ٢٦١) : وقالوا : مررت بمال كثير ومررت بالمال كما تقول : هذا ماش ، وهذا داع فمنهم من يدع ذلك في الوقف على حالة (الامالة) ، ومنهم من ينصب (لايميل) في الوقف لانه قد اسكن ولم يتكلم بالكسرة فيقول : بالمال ، وماش وأما الآخرون فتركوه على حالة كراهية أن يكون كما لزمه الوقف (السكون) .

واذا كانت الياء المتصلة بالألف مدغما فيهـا نحو الكيال أو قبلها كسر نحو العيان كـانت الامالة أقوى •

ودونها فى الامالة الياء المخففة المتصلة بالألف اذا كان قبلها فتح نحو البيان أو قبلها ضم نحو الهيام •

ودون ذلك فى الامالة الياء الساكنة الواقعة قبل الألف بحرف نحو شيبان فان كانت متحركة فهى دون ذلك فى الامالة نحو حيدان — وانما كان هذا دون شيبان ، لأنه فى حيدان فصل بين الياء والألف بحركة الياء والدال أما فى شيبان فالفاصل الياء فقط •

فاذا كان الفاصل بين الياء والالف حرفين نحو ديدبان (١) ، وكيذبان فلا تجوز الامالة — وبعضهم أجاز الامالة ان كان أحد الحـرفين الفاصلين بين الياء والألف هاء لم يضـم ما قبلها : نحو رأيت يدها ، لخفاء الهاء كما ذكرنا آنفا ومما ذكره سيبويه فى هذا قـوله ج ٢ ص ٢٦١ •

ومما تمال ألفه قولهم : كيال وبيـاع — بتشـديد الياء — وسمعنا بعض من يوثق بعربيته يقول : كيال كما ترى فيميل : وانما فعلوا هذا ، لأن قبلها ياء فصارت بمنزلة الكسرة التى تكون قبلها نحو سراج وجمال ، وكثير من العرب وأهل الحجاز لايميلون هذه الألف •

ويقولون : شوك السيال والضياح (١) كما قلت كيال وبياع •

وقالوا : شيبان وقيس عيلان وغيلان فأمالوا للياء والذين لا يميلون فى كيال لا يميلون هنا •

وقالوا : بينى وبينها فأمالوا فى الياء كمـا أمالوا فى الكسرة •

وقالوا : فينا وعلينا (٢) أمالوا لليـاء حيث قربت من الألف ، وبهذا قالوا : بينى وبينها •

وقالوا : رأيت يدا (٣) فأمالوا للياء ، وقالوا رأيت يدها فأمالوا ، أ هـ (٤) •

فسيبويه ذكر جميع الصور التى ذكرناها قبل ولم يتجاوزها النحويون •

والخلاصة : أن الألف تمال بعد الياء المتصلة بها ، والمفصولة بحرف • والمفصولة بحرفين أحدهما هاء • نحو سيال ، وشيبان • ورأيت يـدها •

أما الياء الواقعة بعد الألف — فلم يجعلها سيبويه وكثير من النحويين سببا لامالة الألف قبلها — وقال ابن الحاجب : والياء انما تؤثر قبلها فى نحو سيال وشيبان •

والحصر هنا يفيد أن الياء الواقعة بعد الألف لا تؤثر فى الامالة •

ولكن ابن مالك ذكر فى الكافيه والتسهيل أن الألف تمال اذا وقعت بعدها الياء بشرط أن تكون متصلة بها •

وقال الحفيد مراده الياء المفتوحـة ، لأن المكسورة كما فى مبايع لا تأثير لها فى الامالة وانما

---

(١) الديدبان • حمـار الوحش والرقيب والطليعة ، والكيذبان بفتح الكاف وسكون الياء وضم الدال وفتحها — الكذاب .

(٢) الضياح بزنة الكـلام : اللبن الرقيق الممزوج •

(٣) الامالة فيها للياء وهى المقصودة من كلام سيبويه — اما كلمة فينا فالامالة للكسرة مع الياء .

(٤) تمثيل للياء المتحركة المفصولة بحرف عن الألف .

(٥) تمثيل الياء المفصولة عن الالف بحرفين احدهما الهاء .

التأثير للكسرة بدليل جواز الامالة مع وجود الكسرة وعدم الياء كعالم أ هـ وتبعه فى ذلك صاحب التصريح وهذا كلام مقنع •

ولكن الرضى ، وتبعه من ألف فى هذا الفن حديثا — ذهب الى أن الياء تؤثر فى امالة الألف قبلها بشرط أن تكون متصلة بها ومكسورة — فان كانت مفتوحة أو مضمومة كالمبايع — بفتح الياء والتبايع فلا تؤثر — أ هـ جـ ٣ ص ١٠ •

وكان الأجدر به أن يقول : ان الياء الواقعة بعد الألف لا تؤثر فى الامالة لأننا عرفنا من كلام الحفيد أن تأثير الامالة راجع لكسرة الياء لا للياء •

السبب الثالث : لامالة الألف : وقوع الألف طرفا ذهب النحويون الى جواز امالة الألف الواقعة طرفا مطلقا الا فى حالة واحدة ، وذلك اذا كانت ثالثة فى اسم وأصلها الواو ، نحو عصا ، وقفا — وحكموا على امالة : العشا (١) والكبا ، والمكا بالشذوذ ، لأن الألف ثالثة فى اسم وأصلها الواو — ولم يحكموا بشذوذ امالة الربا ، لكسر الراء قبلها •

فان كان أصلها الياء أميلت فى الاسم والفعل نحو الفتى رمى ، وان كانت زائدة أميلت • نحو حبلى ومعزى لأنها تؤول الى الياء فى بعض التصاريف • فيقال : حبليان ومعزيان وان كان أصلها الواو وكانت فى فعل ثلاثى أو فى اسم تجاوز الثلاثة أميلت : نحو غزا ، وملهى ، لأنها تؤول الى الياء فى بعض التصاريف • فيقال : غزى — بالبناء للمجهول ، وملهيان •

وذهب بعضهم الى جواز امالة ما كان على فعل — بضم الفاء ولو كانت ألفه منقلبة عن واو ، اذ لو منعت لكان الثلاثى المطلوب فى وضعه الخفة أوله وآخره ثقيلين ، اذ يكون أوله ضمة وآخره ألف فيكون كأن فى أوله ضمة وآخره واو (لأن الألف أصلها الواو) أ هـ الشافية جـ ٣ ص ١٢ •

وذهب سيبويه الى جواز امالة الألف المتطرفة مطلقا وجعل الامالة فى المكا والعشا والكبا قياسية وعدم الامالة فى العصا وأمثاله من القليل — فهو مخالف للنحويين كما ترى •

وبعد فاليك ما قاله سيبويه فى هذا الموضع لتدرك الحكم مع التعليل — وبالله التوفيق •

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٦٠) : ومما يميلون ألفه كل شىء من بنات الياء والواو كانت عينه مفتوحة (لأن الفتح هو الذى ترتب عليه قلب الواو والياء ألفا) ، أما ما كان من بنات الياء فتمال ألفه ، لأنها فى موضع ياء وبدل منها فنحوا نحوها •

وأما بنات الواو فأمالوا ألفها لغلبة الياء على هذه اللام ، لأن هذه اللام التى هى واو اذا جاوزت ثلاثة أحرف قلبت ياء والياء على هذه الصفة لا تقلب واوا فأميلت لتمكن الياء فى بنات الواو • الا تراهم يقولون : معدى ومسنى (٢) •

---

(١) العشا : عدم الابصار ليلا ، والكبا — بالكسر — الكناسة ، والمكا — بالفتح — جحر الضب ، والثلاثة واوية ، عشواء ، وكبوت البيت اذا كنسته والمكو والمكوة بمعنى المكا •

(٢) مسنى أى مسقى مأخوذ من سناه يسنوه اذا سقاه والسانية : الناضحة وهى الناقة التى يسقى عليها •

خواطر ضاغطة حول كتاب

لماذا يخافون الإسلام ؟ (١)

تأليف د. عبدالودود شلبي

عرض وتقديم : الأستاذ السيد حسن قرون

حين يتناول الباحث الغربي من المسيحيين موضوع الأديان لا يقيده شيء بالنسبة للدين الاسلامي ، فقد ارتفع عنه الحرج من جهة دينه ، فدينه لا يحدثه عن الإسلام ولا عن نبي الاسلام ، فهو لا يخشى عقاب الآخرة ، وكذلك لا يجد أحدا يقاضيه اذا حاد عن الطريق السوى ، وانكر النور الذى جاء به الإسلام لإنقاذ البشر ، بل يجد مشجعا ، وقليل ماهم الذين فكروا واهتدوا .

فاذا حذا المسلم الشرقي حذو المسيحي الغربي وأراد الحديث عن الأديان وقارن بين الشرائع السماوية وجد نفسه مقيدا بالنسبة للحديث عن الأنبياء فهم معصومون كما جاءت بذلك التعاليم الإسلامية ، وبجانب ذلك يحرص على الا يغضب جاره من معتنقي الديانات الأخرى .

ومن ثم تقل البحوث التى تعنى بالأديان في بلاد الشرق عامة وفى مصر خاصة ، وفى العصر الحديث الذى نعيش فيه كثر الحديث في الغرب عن محاولة فتح حوار بين الديانة المسيحية والديانة الاسلامية ، وفى سبيل ذلك كانت لقاءات بين رجال الدين من الفاتيكان وعلماء الأزهر سنة ١٩٦٩ ، وفى سنة ١٩٧٤ كان اتصال مماثل بين الفاتيكان وعلماء المملكة العربية السعودية ، ولكن هذا التقارب لم يثمر ثمرة المرجو ، ولم تهتم به الصحف فى الغرب وكأن الأمر لا يعنى أحدا .

وأغلب الظن أن الدافع الى التقارب والمقارنة بين الأديان هو تخفيف حدة التعصب ، ونحن فى مصر لا نحس بالتعصب ولا نشعر به ، ولهذا نتجاوب مع طلاب التقارب ولانزداد احساسا بالتسامح الدينى ، فمن طبيعة بلادنا أنه « لا تعصب فى مصر » كما هو عنوان مقال للشيخ على يوسف فى جريدة المؤيد فى زمانه .

لكن الدكتور عبد الودود شلبى حين كان يشرف على « المركز الإسلامى » بقارة

◄

(١) نشر : دار الشروق . القاهرة

« استراليا » ١٩٨٠ فوجيء باختبار عسير لم يصادفه فى مصر قط ، ولم يصادفه فى لندن ببريطانيا حين كان يطلب العلم ، ولم يصادفه فى أسفاره المتعددة فى الشرق والغرب ، وعلى غير انتظار وجد أناسا على قدر من الثقافة يلاحقونه ويطالبونه بالمقابلة وبالحوار وتحديد الزمان والمكا ن• وقد كان •

« لقد عاش الشعب الاسترالى بعيدا عن الجدل العقائدى طوال قرنين من الزمان » كما يقول الدكتور عبد الودود ، فمن اين جاءته تلك النغمة الجديدة ؟ •

مع الموجات الجديدة للهجرة •• بدأت تظهر على سطح هذه الحياة الوادعة فقاعات سامة ، ووجدت جراثيم الكراهية والبغضاء فرصة للتضليل والفتنة •

وما شأن الدكتور عبد الودود بتلك الفقاعات وتلك الجراثيم حتى يتحمل فى سبيلها العناء والشحناء ؟ •

رويدا ، فالخطر قادم من بلاد التسامح والوداعة ودماثة الأخلاق ، من مصر ، والدكتور يمثل مصر والمركز الإسلامى ومسئول فى نظر الذين قصدوه بتوضيح ما يحدث فى مصر وفى العالم الاسلامى جميعه •

ولابد أن يجيب عن كل سؤال وعن كل مشكلة ، فهو حوار من نوع عجيب ؛ ولأنه عجيب حقا أوجب على المقصود بالحوار أن يجمع كل ذلك فى كتاب،وكتاب شائق يجذبك الى قراءته جذبا ، ويحول بينك وبين تقسيمه الى فترات ، فأنت مضطر الى أن تقرأه فى جلسة واحدة ــ وقد فعلت •

وقد يسر لك الأمر كله . فوضع لك الكتاب فى ثلاثة فصول أو بنود ، وكتب لها مقدمة رائدة فيها قدوة وفيها صورة صادقة عن المسلم الذى يعيش فى غربة •

ففى الفصل الأول ، أو « الحلقة الأولى من الحوار » : يتضح لك ما أحدثه صاحب الكتاب الأزرق القادم من بلاد التسامح الدينى المضروب بها المثل وكيف أحدث بلبلة فى الفصول واضطرابا فى التفكير وفزعا فى النفوس بما تقوّل به فى كتابه عن الدين الإسلامى وما يحدث فى مصر ؛ ومعنى هذا أنه تعرض لمبادىء الاسلام وتطبيقها ومن ثم كان بيان الدكتور عبد الودود شلبى لمحاوريه الذين يحملون الكتاب الأزرق . ويجعلونه دليل الحوار ، أو جدول أعمال الجلسة كما يقول أهل الأعمال ، وفى إفاضة صادقة عرض الدكتور عبد الودود لموقف القرآن الكريم من اليهود والنصارى شارحا معنى « الذمة » عند أهل « الملة » مبينا عدالة الإسلام فى معاملة أهل الكتاب مفندا ما جاء فى الكتاب الأزرق تفنيدا منطقيا وتاريخيا •

ومما يذكر فى هذا الصدد ويلاقى اعجاب المنصفين من السامعين والقراء ما ذكره المؤلف من رعاية الإسلام للحق انى كان ومع من يكون مما نعده عدالة مطلقة •

قصة اليهودى الذى برأته السماء • يقول الدكتور عبد الودود :

« وقد حدث فى عهد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن سرق رجل مسلم درعا من بيت رجل مسلم ، ثم ذهب السارق بهذه الدرع

وأخفاها فى بيت رجل يهودى. وعندما اكتشفت الجريمة حاول المسلم السارق التنصل من التهمة والصاقها باليهودى ... ثم شهد أقارب السارق معه ضد اليهودى ورفع الأمر الى النبى محمد — صلى الله عليه وسلم —.

إن التهمة ثابتة على اليهودى والشهود كلهم ضده ، وأى قاض لابد أن يصدر حكمه بالإدانة وتنفيذ العقوبة . ولكن الوحى ينزل من السماء فينفى عن اليهودى تهمة السرقة ويدين السارق والشهود بالخيانة ، ويسجل القرآن الكريم هذه الواقعة لتبقى دستورا خالدا الى يوم القيامة . قال تعالى :

« وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » النساء (١١٢ — ١١٣) .

وهذا النص العظيم كاف فى الدلالة على عدالة الاسلام .

ومن حق المسلم أن يعلنه وينوه به فى كل مكان وزمان ، ولكن الدكتور عبد الودود أتى بكل ما يتصل بأهل الذمة من أقوال الفقهاء وأعمال الخلفاء والحكام ليضع الحقيقة منارة أمام كل ذى عينين ويرفع بها صوته ليسمعها كل ذى أذنين ، فبين أن المسلمين مسئولون عن صيانة دمائهم وأموالهم وكنائسهم وأن الجزية فى مقابل هذا الدفاع .

فعلى بن أبى طالب — رضى الله عنه — يقول: « انما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا » وأحاديث الرسول كثيرة فى هذا الشأن أداها المؤلف لمحاوريه ومنها :

« من آذى ذميا فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله » .

وقد شرح معنى الذمة شرحا يرضى العقل والعاطفة ، فالذمة معناها : العهد والضمان والأمان .

وانما سموا بذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله — صلى الله عليه وسلم — وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا فى حماية الإسلام آمنين مطمئنين .

وهذا الشرح يطمئن الأستاذ فهمى هويدى ويجعله راضيا عن معنى الذمة ، فقد رأى فى مقال له فى « مجلة العربى » أن روح العصر تقتضى أن نترك مصطلح أهل الذمة ، وأن يكون التعامل فى الوطن على أنهم مواطنون .

والمعمول به أن الجميع سواء فى الوطن الواحد ، ولكن كلمة « الذمة » تجعل معاملتهم فيها كثير من السماحة وحسن المعاملة ، وقد جرى العرف على ذلك حتى تمنى أحد علماء مصر فى القرن الثامن عشر الميلادى وهو الشيخ أحمد الدردير أن يعامل المسلمون فى مصر معاملة أهل الكتاب من الحكام .

وفى هذا الفصل كل ما يحتاج اليه الدارس أو المحاور من قوانين وأعمال تتصل بحرية التدين والعدالة فى الاسلام . ولما بلغ الدكتور عبد الودود الحديث عن أبى حنيفة (صاحب

المذهب المعروف) قص قصته مع جاره غير المسلم المدمن لتعاطى الشراب والمعتاد الشغب كل ليلة مما يفسد على الامام تهجده وكيف أنه حين غاب عنه وعرف أنه وقع فى أيدى الشرطة ذهب بنفسه وأطلق سراحه قال اثنان ممن يحاورونه : إنها قصة رائعة لفيلم رائع .

كانت هذه الخلاصة المتصدة فى يوم الخميس ، وجعل ميعاد آخر للحوار يكون يوم السبت .

وفى الحلقة الثانية من الحوار كاد الكلاميكون خاصا بمصر : وذلك لان القراءة فى الكتاب الأسود أو الأزرق جعلت المحاورين جميعا فى حيزه ، والمؤلف محام فاشل لم يجد هواية له الا الكذب على المجتمع المصرى . ولذلك جاءت عنوانات الحلقة الثانية هكذا :

قراءة فى الكتاب الأسود .

مصر وشعبها فى قفص الاتهام .

قتل غير المسلمين .

الاحصاء العام بين الحقيقة والتزييف .

الاضطهاد المزعوم لمن ؟

تناقض وتخبط .

كيف دخل الإسلام الى مصر ؟

أصل المسلمين .

الإسلام وهل اعتنقه المصريون عن اقتناع؟

حقيقة الجزية .

كلنا أقباط : مسلمون وغير مسلمين .

صوت من مصر .

نموذج من الحبشة .

هذا الغضب الحقود لماذا ؟ .

كان اللقاء الثانى مع طلبة وطالبات كلية الحقوق يوم السبت ، لقد سبقوه الى المسجد ووجدهم جميعا يقرءون فى الكتاب الأسود . وفى طريقه اليهم أثناء ركوبه القطار من « أشفيلد » الى شارع « الكومونولث » كان يستعرض حياته صبيا وشابا ورجلا ، فيرى صباه فى قريته بين أهله وعشيرته من مسلمين ومسيحيين ويذكر الصلات الحميمة التى كانت تربط أباه بجيرانه الأقباط المسيحيين فى مصر ، وينتقل فجأة الى ما يشاهده من تعصب فى استراليا على يد محام فاشل .

يقول الدكتور: وأنت تشاهد مثيله فى شمال الأطلنطى أو جنوب المحيط الباسفيكى من « سيدنى » الى « واشنطن ونيويورك » الى « أوتاوا » فى كندا أو « لندن » «وجلاسجو » فى بريطانيا . ثم يرى نفسه مع أصحاب الحوار فى المسجد ومعهم دليل المناقشة « الكتاب الأسود » ومؤلفه مصرى .

وتدور الأسئلة التى تصم الحكومة المصرية بالتحيز للمسلمين فى التعليم والفرص المتكافئة فى الداخل والتعاقد مع الدول الأخرى فى الخارج .

وفى سماحة باهرة يجيب عن كل الأسئلة مع التنويه بما ذكره فى الحلقة الأولى ، ومما شاقنى منه فى رده حديثه عن دخول الإسلام فى مصر وموقف العدالة التى كانت من العرب المسلمين الفاتحين من حيث التدين ودفع ما يسمى بالجزية وبيان البون الشاسع بين معاملة الرومان ومعاملة العرب ، وتنويهه بمنزلة مصر فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وحديثه عن عروبة مصر ، وتسجيله نص

المعاهدة التى أبرمها عمرو بن العاص مع أهـل مصر •

ثم يؤرخ لأصل المصريين ، ويتعرض لتعداد المصريين قديما وحديثا ، ويذكـر المراجـع ، فلعروبة مصر يذكر ما ذكره المؤرخ اليونانى « شرابون » المتوفى سـنة ٢٥ م الذى زار مدينة « قفط » قبل مولد المسيح بفترة فقال « انها مدينة نصف عربية » ويذكر حكاية عمرو ابن العاص وحضوره حفلا بالاسكندرية ضم كبارهم وعلية القوممنهم ، ولهم كرة منالذهب يترامى بها ملوكهم ، وفى اعتقادهم أن مـن تقع الكرة فى كمه لايموت حتى يملكهم ، فلما جلس عمرو بن العاص فى هذا المجلس أقبلت الكرة تهوى حتى وقعت فى كمه •

وفى تعرضه لأصـل المصريين يذكـر رأى الدكتورة نعمات أحمد فؤاد والدكتور فيليب رفلة ، وكلاهما يصر على أن المصريين جميعـا من أصل واحد يقرر ذلك التاريخ والطب •• يقول الدكتور فيليب رفلة :

« انه مما لا يعرفه الكثيرون فى خصـوص وحدة الأصل للمسلمين والأقباط فى مصر أنه أجريت أبحاث على دماء كل منهما فى القـرى والمدن وفى الصعيد وفى الوجه البحرى فوجد الشمائل والتشابه الكبير بين فصائل الدم فى كل من الاقباط والمسلمين •• » وهذا التشابه لاتجده فى بعض الأوطان العربية •

أما الدكتورة نعمات أحمد فـؤاد فتناقش موضوع الأغلبية والأقلية وتعلن أنه لا يعقـل أن يكون الفاتحون بضعة آلاف يكونون هم أصحاب الأغلبية ، فالذين بدءوا مـع عمرو الفتح كانوا أربعة آلاف ، وعدد الشـعب المصرى ثمانية ملايين وفى قول كانوا اثنى عشر مليونا •

هل من المعقول أو حتى من اللامعقول أن ثلاثين ألفا ــ لا أربعة آلاف ــ يضاف اليهم من لحق من قبائلهم ولو كـانوا أضـعافا أن يمسحوا بلدا وأى بلد ؟ بلدا كمصر ويصيروا هم أصحابه وأغلبيته ؟

ومن ثم كان هـذا رأى المؤلف أعلنـه فى ندوة طنطـا التى جمعت بين رجـال الـدين المسيحى وعلماء الأزهر وكـان المؤلف مـن المتحدثين •• يقول الدكتور عبد الودود شلبى ص ٨٥ من الكتاب :

لقد زارنى فى مكتبى ــ مستشار ثقـافى لاحدى الدول وفى معرض الحديث عن الحرية الدينية للاقباط فى مصر •

قلت له : أى أقباط تعنى ؟

قال : الأقباط !

قلت له : الأقباط قسمان : أغلبيـة مسلمة وأقلية مسيحية •

ماذا تقول ؟

أقول الحقيقة •• ثم قلت له : فى سفارتكم موظفون من كلتا الطائفتين : حللوا فصيلة الدم طبقوا كل وسائل العلم : هاتوا علماء الوراثة واختاروا نموذجين من أية مدينة أو قرية • لن تجدوا فارقا فى النهاية بين مسيحى ومسلم أو بين مصرى ومصرى •

وهذا كلام واضح جلى يؤيده العلم والواقع والتاريخ ، وقد قرأت أنا مقالا فى أثناء الحرب العالمية الثانية مترجما عن صحيفة انجليزيـة يتحدث فيه كاتبه عن المصريين ويؤيد ما يقول عن أصلهم بأنهم متفقون جميعا فى الصفـات

الجسمية والخلقية فى بنود أغلب الظن أنهـا خمسة وأربعون بندا ، وقال : ان الاستعمار البريطانى مضى عليه أكثر من نصف قرن ولم يتجنس أحد منهم بالجنسية الانجليزية ، على حين فرنسا تجنس كثير من أبنائها بالجنسيـة الألمانية ولمـا يمض على اسـتعمارها خمس سنوات .

وقد عنى الدكتور فى هذه الحلقة بحكايـة التعداد أو الاحصاء العام ، لان السؤال جاءه بعد همس من محاوريه يقول مستر باتلر :

نريد أن نعرف عدد الأقبـاط المسـيحيين بالضبط ؟

وفى الاجابة عن هذا السؤال لجأ الدكتـور عبد الودود الى بحث تاريخى نشر فى احدى المجلات ، وفى مقدمة البحث العناية بالحقائق لأن الأمر يخص « الوحدة الوطنيـة » وهى مقدمة عند كل باحث أو قارىء أومهتم ، وأنا لا أستطيع أن أنقل اليك ذلك الاحصـاء التى يجرى كل عشر سنوات .

وقد قام بأول احصاء الاستعمار البريطانى سنة ١٨٩٧ م الموافق غرة المحرم ١٣١٥ هـ للتعرف على التركيب الحقيقى للمجتمع المصرى وقد قام بهذا الاحصاء المستشار البريطانى

مستر « ألبرت » يعاونه مفتشو وزارتى المالية والداخلية وهم من الانجليز ، وكانت النتيجة كالآتى :

بلغ مجموع سكان مصر ٩٫٧٣٤٫٤٠٥ نسمة منهم ٨٩٧٧و٧٠٢ من المسـلمين أى نسـبة ٩٢٫٢٣٪ والباقى من المسيحيين واليهود .

والمسيحيون ينقسمون الى أقبـاط مصريين والى مسيحيين من أصول غير مصرية .

وينقسم الأقباط المصريون الى أقبـاط أورثوذوكس ٥٩٢٫٣٤٧ نسمة وأقبـاط بروتستانت ١٢٫٥٠٧ نسمة وأقباط كاثوليك ٤٫٦٢٠ نسمة ــ هذه هى سنة الأساس بالنسبة لتطور سكان مصر .

توالت عمليات الإحصاء كل عشر سـنوات والنتيجة لم تتغير تقريبا .

وكان آخر احصاء سنة ١٩٧٦ وفيه ارتفعت نسـبة السـكان الى ٣٦٫٦٥١٫١٨٠ منهم ٢٫٣١٥٫٥٦٠ من غير المسلمين أى بنسـبة ٦و٣٢٪ .

فاذا اعتبرنا أن الأقباط الأرثوذكس يمثلون ٩٠٪ من مجموع المسيحيين فان عدد الأقباط الأرثوذكس فى مصر فى الوقت الحاضر هو فى حدود المليونين فقط (٢و٠٨٤و٠٠٤) وكل كلام غير هذا يعد أوهاما فى رءوس المتحدثين .

وفى الكتاب بيانات ينبغى الوقوف عليهـا ففيها الشفاء من كل داء .

ثم يأتى باحصاء مواليد ووفيات سنة ١٩٧٤ ليخرج بنتيجة فاصلة . اتضح منها أن النسبة المئوية على أساس المواليد والوفيات لغـير المسلمين تدور فى جميع الحالات حول ٦٫٢٢٪ وهو ما يؤكد صحة التعدادات المباشرة .

فليس من حق الأقلية أن تغمط حق الأغلبية فى التشريع والعدالـة ، وغمط الأغلبيـة هو دكتاتورية الأقلية . وتتميما للاجابة قـدم أمامهم بعض أقوال رجال الاحتلال البريطانى

ففى مؤلف « مصر الحديثة » للمستعمر القح اللورد « كرومر » نجد وصفا منه للروح المتعصبة لبعض الأقباط المتطرفين « مجلد ٢ فصل ٣٦ » الطبعة الانجليزية يقول : ان مبادىء الحيدة الدقيقة التى طبقها الحكم البريطانى كانت غريبة عن طبيعة القبطى ... فكان القبطى يقول لنفسه : اننى مسيحى والانجليز مسيحيون ، فلو كان الأمر بيدى لكنت تعصبت للمسيحيين على حساب المسلمين ... ويستمر فى التهكم على عقلية القبطى التى ترى العدالة بينه وبين المسلم نوعا من الظلم له .

وفى تقرير مرفوع الى الحكومة البريطانية بتاريخ ١٠ مايو ١٩١١ يبين أن بعض المتطرفين الأقباط يثيرون الخواطر بدعوى أن الأقباط لا يتمتعون بنفس الحقوق التى يتمتع بها المسلمون فى مصر .

ويستفاد من تقريره أن لهم القدح المعلى فى الوظائف وغيرها مع النسبة المئوية للمسلمين ٩٢٪ ويمثل الأقباط أكثر قليلا من ٦٪ (٧٠٠ ألف) .

ففى وزارة الداخلية مثلا تضم اداراتها ٦٢٢٤ موظفا منهم ٢٣٤٦ مسلما بنسبة ٤٥ر٦٩٪ و ٨٣٠ر٨ من الأقباط أى بنسبة ٦٥٪ .

يقول التقرير بعد بيان كل وزارة من هذا يتبين أن الاقباط يمثلون فى الجهاز الحكومى من حيث العدد والمرتبات نسبة لا تتكافأ مطلقا مع نسبتهم العددية ، اننى لا أشجع أى نظام من شأنه أن يحدث انشقاقا بين الطوائف المسلمة والقبطية لأنه ليس فى صالح الطائفة القبطية (انتهى بتصرف) .

والمحامى الفاشل صاحب الكتاب الأزرق لو كان المسلمون يعاملونه حسب نيته لكانت الوظائف والمراحل التعليمية تتبع ما تشير اليه الاحصاءات والنسبة المئوية ، ولكن المسلمين بدافع من دينهم ودافع من عرقهم ونسبهم مع الأقباط المسيحيين لا يرون للنسبة المئوية منزلا .

وهذا الشعور الأخوى هو الذى دفع المسيحيين سنة ١٩١٩ ليكونوا مع الثوار ضد الاحتلال يتلقون الرصاص ويهتفون تحيا مصر ولنا من مقولة «الدين للديان والوطن للجميع» شعار لا ينسى ، وكم كان للهتاف بالصليب مع الهلال ، وتبادل الخطب فى المساجد والكنائس ما حير المستعمر وثبط مبدأه القائل « فرق تسد » .

ومن هنا نجد المؤلف ينطلق بكل حماس وأريحيه فيؤرخ للإسلام منذ خطا خطواته على شاطىء النيل فيجد الاقباط عدالة وودا وحياة رغدة سجلها التاريخ بأحرف من نور — كما يقولون —

فلماذا اذن ظهرت تلك السحابات السامة وتبدت فى بلاد ما وراء البحار ؟

يجيبك المؤلف الدكتور عبد الودود عن هذا السؤال وعن عنوان الكتاب فيقول إن المشكلة فى حقيقتها ليست مشكلة حقوق وواجبات فهؤلاء الذين يصرخون ويولولون صباح مساء يعلمون حق العلم أن حقوقهم مكفولة فى الوطن الأم ، وأن القانون لا يفرق بين مسلم أو مسيحى فى مصر .

ولكن جوهر المشكلة والباعث الحقيقى لهذا السخط والثورة انما هو الاسلام والدعوة الى تطبيق شريعة الاسلام • !!

ولا يترك الأمر عند هذا البيان والجواب المسكت بل يبين التسامح الاسلامى ويوازن بين ما فى مصر وما فى الحبشة من حيث المعاملة الحسنة فى مصر والمعاملة السيئة فى الحبشة بالنسبة للمسلمين وهم أكثرية ٦٥٪ ان رجلين من علماء الأزهر سافرا الى أثيوبيا (الحبشة) لدراسة أحوال المسلمين فى شرق أفريقيا ، فما ان حلا فى أول مدينة منها ونزلا فى فندق من فنادقها ومكثا فيه ساعة ونصف ساعة حتى جاءهما الأمر بمبارحة المدينة •• ولم يدخلا الحبشة الا بعد عشرة أيام وبعد سعى من وزارة الخارجية المصرية ، وهناك وجدا تعصبا مقيتا ضد المسلمين حرمان من التعليم وحرمان من الوظائف ، وحرمان للعباقرة من الدراسة خارج البلاد ، وحرمان من دراسة اللغة العربية والدين الاسلامى « راجع الكتاب من ص ١٠٤ وما بعدها » •

ومما أحزننى من هذه الحلقة الثانية حديث المؤلف عن الاضطهاد الدينى للمسلمين فى افريقية وغيرها وقوله : ألم أقل لكم بأن المسلمين يعيشون خارج نطاق القانون الدولى وخارج نطاق الضمير الدولى ؟

وهنا يقفز الخاطر تاليا قول الله تعالى :

« وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (٦٥ ـ سورة يونس) •

التعصب والتسامح :

وفى الحلقة الأخيرة نجد النور والظلمة ، والتعصب والتسامح فى ضوء الأحداث الجديدة والمأثورات القديمة جاء ذلك كله نتيجة حوار دار بين الدكتور عبد الودود وبين محاوريه ، وذكر بعض محاوريه ، ولم يكن ذلك الحوار متوقعا فى ذلك الحين •

فقد جاء وهم على وشك التوديع ، ومن ثم كانت تلك الحلقة جديرة بالتسجيل ، وقراءتها بوعى وانتباه ، ففيها انتهاز الفرص والدق على الحديد المنصهر حتى يؤثر تأثيره المرسوم ولكن ما جرى كان فرصة للدكتور عبد الودود أن يصول ويجول ويبين تسامح الاسلام والتزام المسلمين بتعاليمه على توالى العصور ، ويفضح كثيرا من المنتسبين للدين المسيحى من مخالفتهم لما جاء به السيد المسيح واتباعهم للهوى ومطالب الدنيا •

فى هذه الحلقة لم يكن الكتاب الأسود هو دليل المناقشة ، انما كان الدليل بيان أصدرته الجمعيات الاسلامية الاسترالية نشرته بصحيفة « التلغراف » (١) التى تصدر باللغة العربية فى مدينة « سيدنى » باستراليا ردا على بيان أذيع باسم الكنيسة الاورثوذكسية فى سيدنى فى ١٩٨٠/٤/٣ يذكر أحداثا وقعت فى مصر ضد الأقباط ، ويتهم الشعب المصرى

---

(١) عدد الجمعة ١٩٨٠/٤/١١ .

المسلم بالتعصب ، وملخص الـرد معـروف للمصريين جميعا ، وانما هو موجه لمن يعنيهم الأمر فى استراليا جاء فيه :

ان الشعب المصرى لم يعرف فى تاريخه كله شيئا من التعصب ، ولا يزال ملجأ لكل لاجىء ومضطهد ، ويكفى مصر فخرا أنها كانت ملجأ مختارا للسيد المسيح عليه السلام وأمه السيدة مريم حين لجأ الى مصر فرارا من المؤامرة التى دبرت ضده منذ ألفى عام •

وأن دخول الإسلام الى مصر كان طـوق النجاة للخلاص من اضطهاد الرومان ، ولينعم أبناء مصر بالأمن والحرية والاسلام يحتـرم السيد المسيح ويعتبر الايمـان برسـالته ونبوته كالايمان برسـالة ونبـوة محمـد ، والايمان بالانجيل مثل الايمان بالقرآن •

وقد قرر الإسلام من المبادىء والشرائـع ما يضمن للمسيحيين الحرية الكاملة فى ممارسة شعائرهم واحترام عقائدهم والحفاظ عـلى أموالهم وحماية أعراضهم وأرواحهم •

ولقد نعمت كل الأقليات الدينية فى الدولة الإسلامية ، وبخاصة مصر بكافة الحقوق التى لم يجدوها فى دولة الرومان المسيحية وشاركوا اخوانهم المسلمين فى الحيـاة العـامة • وقد اعترف بهذا الأنبا شنودة بطريرك الكنيسـة الأورثوذكسية أكثر من مرة •

إن الجالية الاسلامية فى استراليا تـدعو كل عادل ومنصف أن يقرأ تاريخ الأقليـات الدينية فى الدولة الإسـلامية وسيرى هؤلاء المنصفون ان هذه الأقليات بلغت مـن الجـاه والسلطة فى بعض مراحل التاريخ مكانة تفوق مكانة المسلمين فى الحكم والسـلطة ، ولم تعترض الأغلبية الاسلامية على ذلك •

لم يسمع فى مصر قديما وحديثا أن مسلما اعتدى على غير مسلم بسبب دينه أو عقيدته ، فلا عدوان على النفس أو العرض أو المال •

لماذا لا يثـار هـذا الكـلام الا من بعض مسيحى مصر ، لقـد عاش فى مصر مسيحيون من كل الأجناس وهنا فى استراليا ألوف مـن الاخوة اليونانيين والايطاليين والأرمن الـذين هاجروا من مصر اليها ، فهل نقل عن أحـدهم شىء مما أذيع هنـا ضـد الشـعب المصرى المسلم ؟ •

اننا نعلم أن كثيرين منهم يبكون شوقا كلما ذكر اسم مصر أمامهم ، ويتمنون أن يعـودوا اليها •

ان الجاليةالاسلاميةالاسترالية حريصة كل الحرص على البقاء خارج هذه المؤامرات التى تستهدف وحدة الصف والكلمة وتملأ النفوس بالحقد والكراهية ، فليس من مصـلحة أى طرف أن ينقل الى استراليا البلد الذى اخترناه مهجرا أن ينقل اليها بذور الفتنة ويزرع فيهـا أشواك الحقد والكراهية ، بل يجب أن نكـون جميعا اخوة ، ونعمل يدا واحدة ، لبناء صرح الاخاء والمحبـة وتوطيـد دعـائم الأمـن والاستقرار فى استراليا •

وهنا سأل محاوريه ومنهم الآنسة كاترين ، والسيدين ، بينز ، وماكدونالد :

هل قرأتم ماف هذا البيان بدقة ؟ .

وكان الجواب بالايجاب وأنه ترجم لهم من العربية الى الانجليزية .. ولقد سألوا غير المصريين ممن عاشوا فى مصر فأكدوا ما جاء فى البيان كلمة كلمة .

وقد كانت هذه الكلمات فاتحة خير للدكتور عبد الودود فانسابت من ذاكرته كل جرائم الغرب ، واتخذ أسلوب العازف عن ذكر المساوى فصب كل ما ضمته الملفات من شرور ، من عهد الحروب الصليبية الى احتلال ايطاليا لليبيا . وكم يأسى الانسان أى انسان له ضمير واحساس الآدمى على ما جرى عند احتلال الجزائر : ان رجال الاحتلال عمدوا الى أعظم المساجد وهو مسجد « القشاوة » ليحولوه الى كنيسة . ولكنهم لم يحلوا الى مرادهم الا على أجساد أربعة آلاف مسلم اعتصموا بالمسجد فخروا صرعى بطعنات السناكى والحراب .. وأقاموا الأفراح والليالى الملاح . وأعلن سكرتير الحاكم العام أن آخر أيام الإسلام قد دنت . وفى خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر اله غير المسيح .

وما جرى فى ليبيا شبيه بما جرى للجزائر ، وكانت الطائرات تلقى بمن يقول : ان نبيى محمد .

وكم للتعصب الغربى من موبقات ويكفى أن مسلمى الأندلس على كثرتهم لم ينج منهم أحد . اما بالقتل أو الهرب . لقد أحسن الدكتور عبد الودود القول حين استخدم المثل العربى القديم : « رمتنى بدائها وانسلت »

فالمتعصبون فى كل مكان وزمان ينعتون غيرهم بالتعصب وهم الغارقون فيه .

ولما انتهى من فضائح الغرب المسيحى والاستعمار ، وأعجب الحاضرون بمنطقه ، ورضوا ببراءة الاسلام ونبله وطهارته عادوا يسألونه ، وحددوا مطالبهم فى سؤالين :

السؤال الأول : عن الاسلام وموقفه من الرق ؟

والسؤال الثانى عن القرآن وهل قسم الناس الى درجات تختلف باختلاف الرزق والجنس والعرق ؟

لقد وفق فى الاجابة كل التوفيق : فأرخ للرق وبين أسبابه وموقف الأمم منه قديما وحديثا . وألمع الى الأديان السماوية الكبرى الثلاثة ووضح الأخطاء والأخطار التى وقعت من رجال الصوامع ورجال الكنائس والنصوص التى استندوا اليها فى اباحة الرق : وبين أن الاسلام وجد الرق متعارفا به ، فقضى على أكثره . وما بقى منه تعقبه بالمبادىء وحسن التشريعات مثل التدبير والمكاتبة وأم الولد .

ولم ينس أن يذكر أن الغربيين تخونهم ذاكرتهم أو يتناسون ما فعلوا ، وضرب المثل بالسويسرى الذى لا يعرف عن مصر الا أنها البلد الذى يحارب اسرائيل .

كذلك لم ينس ما حدث لافريقية حين هاجمها الاستعمار الغربى على مدى ثلاثة قرون يخطفون أبناءها وبناتها ليباعوا فى الأسواق وذكر قصة « جذور » وما قدمته

من فضائح فى نقل الزنوج بالمراكب وكيف كان يلقى الذين يزيدون عن حمولة المركب ؟ وترفع القضايا من أجل التجارة لامن أجل الانسان .

وفى أثناء ذلك كشف عن مزايا الاسلام

وأهله وكيف عاملوا الأرقاء والضعفاء . وقص القصص وقدم الأخبار وحين أتى الى السؤال الثانى كان مفسرا حاذقا له قدرة على الافهام وتأكيد الحقائق . كان السؤال عن القرآن وهل قسم الناس الى طبقات ؟ .

يقول الدكتور عبد الودود شلبى فى الاجابة عن هذا السؤال . وأنا أسجل الجواب كما جاء فى الكتاب صفحة ١٥٣ وما بعدها . يقول :

أعتقد أنها تشير — الآنسة كاترين — بسؤالها هذا الى الآية الثانية والثلاثين من سورة الزخرف :

« نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا .. » لقد فهم معنى هذه الآية على غير حقيقته وفسر تفسيرا بعيدا عن معناه الذى قصد به .

انظروا الى الناس الجالسين هنا . سلوا كل واحد عن عمله وثقافته وعن اجره الذى يتقاضاه أو راتبه .

هل يأخذ العامل أجر المهندس ؟ وهل يحصل الطبيب على ما يحصل عليه المرض ؟ .
وهل يحصل السرجنت أو الرقيب فى الجيش على ما يحصل عليه الجنرال ؟ .

ان هذا التفاوت بين المهندس والعامل ، أو بين الجندى والقائد ، أو بين الطبيب والمرض ليس تفاوتا فى الكرامة الانسانية ولا فى الحقوق أو العدالة ، انما هو تفاوت يختلف باختلاف المواهب وباختلاف طبيعة العمل ... وطبيعة الحياة البشرية قائمة على أساس هذا التفاوت فى مواهب الأفراد ، والتفاوت فيما يمكن أن يؤديه كل فرد من عمل ، والتفاوت فى مدى اتقان هذا العمل .

وهذا التفاوت ضرورى لتنوع الأدوار المطلوبة لخلافة الانسان عن الله فى هذه الأرض . ولو كان جميع الناس نسخا مكررة ما أمكن أن تقوم للحياة فى هذه الأرض قائمة . ولتعطلت أعمال كثيرة لا تجد من يقوم بها . « لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا » .

فدولاب الحياة حين يدور يسخر بعض الناس لبعض حتما . وليس معنى التسخير هنا الاستعلاء . استعلاء طبقة على طبقة أو استعلاء فرد على فرد . كلا .

وهذا المعنى يعقده من لا يعرف حقائق التنزيل ومرامى الاسلام . فيلون المعنى حسب مافى نفسه أو حسب قدرته دون ترو والأمر أيسر من ذلك ، فالمعنى المراد كل انسان مسخر للآخر ، وواقع الحياة يدلك على مفهومها . فليس هناك انسان قادر على القيام بمطالبه جميعا من زراعة وصناعة وتجارة وقيادة للجيوش وبناء للمنازل وتنظيف الشوارع الى آخر المطالب ولقد أدرك ذلك أبو العلاء المعرى فصاغه شعرا قال :

الناس للناس من بدر وحاضرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

أما بعد :
فقد رضيت عن هذا الكتاب كما رضى بما جاء فيه من حاوروا مؤلفه على مدى أيام وساعات ٠

ففى هذا الكتاب علم غزير على وجازته (١٥٧) صفحة من القطع المتوسط يأخذ بيد القارىء الى معارف صادقة واضحة عن الدين الإسلامى ومميزاته بالنسبة للديانات الأخرى ، ويعمق معلوماتك بوطنك مصر تاريخا ودينا وحضارة ، ويبصر الآخرين بتلك المزايا ٠

والمؤلف ولا سيما فى الحلقة الأخيرة يستخدم فى كتابته وسائل التعبير المتنوعة التى تتبلور لتعطيك امتاعا واقتناعا فهو يستخدم القصص والحوار والمناظرة والموازنة والشرح وضرب المثل فى عبارة سهلة يسيرة ولكنها نقية بصيرة ٠

وعند انتهاء كل حوار يشوقك لتنتظر الحلقة التى بعدها ٠

وقد ختم الكتاب بقصتين احداهما تمثل سماحة الاسلام والمساواة بين الناس ٠
والأخرى تمثل النظام العنصرى فى أسوأ حالاته ٠
القصة الأولى : قصة « فرتونة والخليفة »
والقصة الثانية: «قصة الكنيسة والمسجد»٠
ففى القصتين خلاصة ما يرى فى الحياة وما ينشده البشر ، وما أراده الخالق ويخل به المخلوق ٠
وكنت أود أن يكون طبع هذا الكتاب ونشره عام ١٩٨٠ ولكنه مع ذلك صالح للقراءة فى هذا العام ١٩٨٦ والأعوام التى تليه ، لأنه كتاب يخدم الدين ويرعى الوطن ٠

السيد حسن قرون

جذور التوحيد في أفريقية

د. عبدالله نجيب محمد

من الحقائق الطريفة التى لفت نظرنا اليها الاستاذ « شـــونيفرت » أن « الشعير » (والذرة الرفيعة) «والقمح» لاتوجد فى حالتها البرية الطبيعية الا فى شبه الجزيرة العربية ، وهو يستدل من ذلك على أن زراعة الحبوب واستئناس الحيوان قد ظهرت فى عصر ما قبل التاريخ فى بلاد العرب ، ثم انتشرت منها الى مصر وبلاد ما بين النهرين :

ونحن نعلم أن جمهرة العلماء قد رجحوا أن الجزيرة العربية ، هى الوطن الأصلى للانسان لما تشتمل عليه من شرائط ومميزات لا توجد فى غيرها من المناطق ، مما يجعلها أصلح الأماكن وأنسبها لكى تكون هذا الوطن ، واذا أضفنا الى ذلك أن العلماء فى العصر الحديث قد أثبتوا بالأدلة العلمية أن مكة المكرمة تقع فى مركز الكرة الأرضية ، اذا أدركنا كل ذلك ، فقد يجوز لنا أن نفترض أن منشأ الانسان ومنبع الحضارة قد بدأ من هذه البلاد المقدسة ، ومنها هاجر الانسان بعد الجفاف الى البلاد المحيطة فى الشام والعراق ومصر وأفريقية وكافة بقاع الأرض المختلفة (١) .

واذا أدركنا أن البحر الأحمر لم يكن بصورته الحالية فى العصور الغابرة ، وأن أرض الجزيرة كانت على اتصال أرضى بأفريقية فى الماضى السحيق ، ولاتزال متصلة عن طريق برزخ السويس .

اذا أدركنا هذا كله فلنا أن نتصور كيف اتصلت الهجرات والثقافة منذ أقدم العصور فى هذه المنطقة الممتدة ، ذات الوحدة الجغرافية والبشرية فى الماضى والحاضر .

ونحن نعلم أن مصر بصفة خاصة كانت تتبادل

---

(١) .... انه فى حالة افتراض ان نشأة الانسان كانت فى بقعة غيرها ، فانه لايمكن — علما — بيان كيف انتشر الانسان الى غيرها من البقاع ، فأما من هذه البقعة المباركة بذاتها ، فان انتشاره بغيرها كان منها ميسورا .... راجع مقدمة سكان هذا الكوكب ، للدكتور محمد عوض محمد .

التجارة مع آسيا العربية بطــــريق برزخ السويس . وربما أيضا بطرق المصاب النهرية المصرية القديمة في البحر الأحمر .

ولقد كان من السهل دائما نقل التجـــارة والثقافة الى مصر من بلاد العرب أو العكس . والجدير بالذكر أيضا أننا كلما رجعنا الى أقدم صور اللغة المصرية القديمة . وجدناها تقترب من لغات آسيا السامية بصـــورة تفوق حـــد الاقتباس .

وسواء أكانت الحضارة المصرية هي الأقدم أم كانت مستمدة في أصولها من شبه الجزيــرة العربية . فان الحضارة المصرية أينعت ونمت . وأثمــرت في الأرض المصرية . وفــاقت كــل ماعداها من الحضارات . وبزت ثقافتها كــل الثقافات . وبلغت مرتبة هي أعــلى المــراتب شأنا وأعظمها قدرا في العصور القديمة . وهذا ما اعترف به العلماء . ولم يعد لديهم فيه شك أو ريب .

ويجرى نهر النيل قادما الينا من أواســط افريقية . تلك القارة العظيمة التي تنتمى اليها مصر . والتي تأثرت بها . وتؤثر فيها منذ أقدم العصور : فليس النيل شريانا للحياة المــاديه والزراعية فحسب . بل انه شريان للأفـــكار والثقافات التي تنتقل مع مجراه الى كل مكان يصل اليه . ولست متحدثا عن علوم المصريين وفنونهم وبراعتهم فيها : فذلك ماتغص به الكتب والكتابات . ولكنى محدث عـــن بعض آدابهـــم وفلســـفتهم التي كان لهـــا أكبر الأثر فيمـــا شاع ويشيع بين سكان الوادى من دماثة في الخلق وسماحة في الطبع ورقة في السلوك وأخلاق كريمة .

يقـــول حكيم مصرى ينصـــح أحد أبنـــائه (حوالي ٩٥٠ ق ٠ م) .

لاتطمع في ذراع من الأرض
ولاتعتد على حدود أرملة
وأحرث الحقل لتجد حاجتك
وخذ خبزك من بيدرك
وان قدحا من الحب يعطيكه الله لخير
من خمسة الاف تنالها بالعدوان
ان الفقر بين يدي اللـــه
خير من الغنى بين المخازن
والرغيف والقلب في هناء
خير من الغنى مع الشقاء

وقبل « كونفشيوس » وبوذا وسقراط بأكثر من ألفى عام قـــام « بتاح حوتب » (حوالى ٢٨٠٠ ق ٠ م) يعلم الناس الحكمة ويهديهم الى طريق الحق والعدالة وحســـن العشرة والمعاشرة يقول : « لاتزه بنفسك لأنك عالم : بل تحدث الى الجاهل كما تتحدث الى الحكيم. لأن العلم لاحدود له . ٠٠ والكلام الجميل أندر من الزمرد ٠٠ فعش في كنف اللطف يقبل عليك الناس طائعين ٠٠ واحذر أن تخلق لنفســـك الأعداء بأقوالك ٠٠ ولا تتخط الحق » .

ويحدونا الظن أن ما شاع بين شعب مصر من أفكار نبيلة وما اعتقدوه من مبادىء ســامية : ليس بعيدا عن مصادر الاديان السماوية . واذا كانت الهداية الالهية لم تنقطع عبر العصور منذ آدم عليه الســـلام . فلا يبعد أن تكون بعض دعاوى الأنبياء وأفكار التوحيد قـــد اختلطت بأفكار المصريين وثقافتهم : وليس بعيدا أيضا أن يكون « اخناتون » الذى آمن بالاله الواحد

قد تأثر هو وبعض معاصريه بدعاوى بعض الأنبياء ممن ذكروا أو غاب عنا ذكرهم أو من بقيت لهم ذكرى كامنة فى أرواح الناس وقلوبهم مختلطة بمشاعرهم وأحاسيسهم مما لا يموت بموتهم . بل يبقى أبدتها يدين بذرة فى (اللا وعى) تعمل عملها وتؤدى دورها . وتجد لها أعوانا وأنصارا ومؤمنين فى كل عصر ومصر .

الا ما أجمل دعواه ونغماته وهو يخاطب ربه الواحد بنفس خالطتها عظمته . وملأتها محبته ، مما يذكرنا بالعاشقين والمحبين الغارقين فى بحار الحب الالهى . الظامئين الى نورة المتلهفين الى قربة :

أيها الاله الاوحد الذى لا سلطان لأحد كسلطانه .

ان الناس والانعام كبيرها وصغيرها
وكل ما يمشى على قدمين
وكل ما هو فى العلا
ويطير بجناحيه
والبلاد الاجنبية من سوريا الى كوش
وأرض مصر
تمدهم (أنت) جميعا بحاجاتهم
وتضع كل انسان فى موضعه
أنت موجد النيل فى العالم السفلى
وأنت تأتى به كما تحب
لتحفظ حياة الناس
الا ما أعظم تدبيرك
يارب الأبدية
انك فى قلبى
وما من أحد يعرفك
الا أخناتون
لقد جعلته حكيما
بتدبيرك وقوتك
ان العالم فى يدك
بالصورة التى خلقته عليها
لأنك أنت الخالد
والناس يستمدون الحياة منك

وعلى أوطار الحب غنى المصرى القديم فقال : (الاسرة ٢٠) :

اذا رأيت حبيبتى مقبلة ابتهج لمرآها قلبى
وفتحت لها ذراعى لأضمها الى صدرى
وينشرح قلبى ابدا للدهر ، حبيبتى قد أقبلت
فاذا ضممتها كنت كمن فى أرض البخور
وكمن يحمل العطور
واذا قبلتها انفرجت شفتاها
وسكرت من غير خمور

وعلى ذكر البخور وأرض العطور . نعلم أن المصريين كانوا ينظرون الى جنوب مصر .. أرض كوش .. على أنها أرض الاجداد . ليس ذلك فحسب . بل الغريب أن بعض أفكار (البانتو) المقيمين فى وسط افريقية وشرقها وجنوبها . تشبه كثيرا بعض أفكار المصريين القدماء . فهم يؤمنون بأساسين روحيين للانسان الظل ويسمونه kivuli والروح ويسمونها ruhu ، وهذه الفكره نفسها هى نفس فكرة المصريين عن الروح الـ (كا) والقرين الـ « با » مما يقطع بالصلات الوثيقة بين الثقافة المصرية القديمة والافريقية .

ولقد أثبتت الدراسات الاثرية أن أهل السودان قد آمنوا بعقائد المصريين واستمدوا من ثقافتهم وأفكارهم واستخدموا نفس

أدواتهم ، وساروا على مناهجهم فى السلوك والتقاليد والعادات ، والسودان هو الجسر الذى انتقلت عبر أرجائه الواسعة التأثيرات المصرية الى أعماق القارة فى الوسط والشرق والغرب فكرة الله الواحد تكاد تكون موجودة لدى جميع القبائل الافريقية ، بل ان مفهوم الذات الالهية الأزلية الشاملة القدرة الذاتية الاكتفاء والوجود ، موجودة بين كثير من القبائل مثل « الزولو » فى جنوب افريقية و « البايراوندا » و « الأشانتى » بساحل العاج و « الأجان » بغانا و « اليوروبا » بنيجيريا و « اليوكونجو » بأنجولا و « النجومبية » بالكونغو ، بل ان الاقزام وهم من أقدم السلالات فى أفريقيا لديهم أيضا نفس الفكرة (الا له الواحد) أعلى ، يلتمسون منه التوفيق فى أعمالهم ، كما لا يأكلون بكر الثمار قبل أن يطرح فى الغابة باسمه ، فهو الذى خلق لهم أشجار الفواكه ، وأنضج الثمر ، وهيأ لهم كل ما خلق ، لأنه الخالق لكل شىء .

« فالله » من وجهة النظر الغالبة فى هذه الديانات هو الذى خلق الكون كله ، ووهب الحياة ، ووضع نواميس الطبيعة ، متفرد بصفة الخلق .

ويطلق « اليوروبا » على الاله الخالق هذا اسم « اولورن » وهى لفظة تعنى « مالك الجنة » ويسمونه أيضا « الاب » و « السيد » و « العظيم » و « مالك النفس أو الروح » و « أصل العظمة » وهو أيضا « القاضى » على الناس الآن وبعد الممات « أداك . واجو » و « المحافظ » على القوانين الاخلاقية ، وجميع الابتهالات تنتهى باسم (الله) أو « رئيس الكل » أولو دومار الرحمن . صانع كل شىء « أولورن آه شى ايه » . وعندما يستعدون للنوم يذكرون اسمه قائلين : « نرجو الله أن يوقظنا فى صحة » وحينما يستيقظون يقولون : « نرجو الله أن يرزقنا غذاءنا » ، وتقام الصلوات لاولورن فى الخلاء لان أحدا لا يعلم أين يوجد وجه الله . وهذا نفسه هو السبب فى عدم اقامة معابد له ، لأنه أيضا موجود فى كل مكان ، فمن غير الحكمة محاولة حصره فى مكان بعينه .

واذا سألت الافريقيين أى الوثنيين منهم ، لماذا لا يعبدون الاله الأعظم وحده قالوا : انه من الغباء اهمال الارباب الدنيا[1] لأنها — تعالى الله عما يقولون — أكثر قربا وأكثر ملاحظة وأقدر على الضرر والنفع لقربها ، نفس العقيدة تقريبا تراها عند « الأيبو » الوثنيين فى جنوب نيجيريا ويسمون الاله الأعظم خالق الكون كله بما فيه من سموات وأراضين « شاكوا » وهو أيضا خالق الارباب الصغيرة التى هى مجرد رسل له ، خلقها حتى يمكن للناس أن تتصل به عن طريقها .

واذا سألتهم لماذا لا يعبدون الاله الأعظم ويلجأون اليه مباشرة قالوا : اننا نضايق الالهة الصغيرة بطلباتنا لأننا نخشى أن نضايق سيدهم وقد سأل أحد القساوسة قائلا : « انكم تخشون

(١) وهذا عين الشرك الذى كان موجدا فى عرب الجاهلية ... مجلة الازهر .

شاكوا » وفى المسيحية « شاكوا » والد محب لا داعى للخوف منه . فرد « اكواتا» ولكننا يجب أن نخشاه اذا لم نسلك طبقا لارادته ، لأن أحدا منا لا يعلم ارادة الله التى هى أكبر كثيرا من أن تعلم .

الديانات الافريقية ترى أن الله أسمى من أن يتصل به البشر مباشرة ودون وسيط ، وهؤلاء الوسطاء فى نظرهم أرباب صغيرة أدنى منزلة من الرب الأعلى ، الذى وكل كل رب الى عمل معين على الارض . فهناك مثلا رب النهر ، ورب الغابة ، ورب المطر ، ورب الزرع وغير ذلك . والى هذه الأرباب الصغيرة يلجأون أولا وعند شدة الاحتياج يتجه الناس الى « اولورن » أو شاكوا الاله العظيم مهما تغيرت أسماؤه لديهم ، وتفسيرهم لذلك أنه حيثما لا تفلح الآلهة الصغيرة فمن الحكمة اللجوء الى كبيرهم ، ومن الحكمة أيضا عدم مضايقته بطلباتهم اليومية .

جميع الأديان الافريقية تعتقد فيما وراء الموت بشكل أو بآخر كما يعتقدون أن الميت تستمر حياته فى عالم الأرواح ، ويمكنه الاتصال بأقاربه الأحياء ورعايتهم ، ويمكنه أيضا أن يسبب لهم بعض الاضرار ، ولذلك فهم يقدمون القرابين لأرواح الموتى حتى ترضى ، ومن هنا شاعت فكرة خاطئة مؤداها أن الافريقيين يعبدون أسلافهم.

ان الموتى فى نظر الأفريقيين « كائنون » وبالتالى فهم ليسوا أمواتا ، هم كائنون ، ووجودهم يظهر نفسه للاحياء من نسلهم عن طريق قوى معينة . وقد عبر عن هذا المعنى الشاعر السنغالى الجامبى « بيرارجوديوب » قائلا :

استمع الى الاشياء أكثر من الكائنات
صوت النار وهى تنصت
استمع الى خرير المياه
استمع الى الرياح
استمع الى الاحراش تنتحب
انه تنهد أسلافنا
هؤلاء الذين ماتوا لم يذهبو ابدا
هم هناك فى الظلال المتكاثفة
فالموتى ليسوا تحت الارض
هم فى حفيف الأشجار
هم فى الخشب الذى يئن
هم فى المياه التى تجرى
هم فى المياه المستقرة
هم فى الكوخ ، وهم فى الجمهرة
ان الموتى غير ميتين
هم فى صدر المرأة
هم فى الطفل الذى ينوح
وفى النار المتوهجة
ان الموتى ليسوا تحت التراب
هم فى النار التى تموت
فى الحشائش التى تبكى
هم فى الصخور الناشجة
هم فى الغابة ، هم فى المنزل
ان الموتى غير ميتين

ومع ذلك أرى أن الاسلام فى حاجة الى دعاة ذوى ثقافة عالية ، ولديهم معرفة كافية بالأديان والمعتقدات الافريقية ، حتى يتهيأ للاسلام المزيد من القدرة على اجتذاب الافريقين الى حظيرته ، وضمهم الى حوزته .

د. عبد الله نجيب محمد

الفتاوى

س : من السيد / ع . م . عبد ربه.

هل يجوز الاخذ براى مذهب من المذاهب الأربعة إذا انفرد في حكم بالجواز او المنع مع العلم انى لم اقدر على اتخاذ مذهب ؟ وإذا اردت ان اتخذ مذهبا فما هو المذهب الاقرب لأهل مصر ؟

ج : لا يجب على المسلم أن يلتزم فى عبادته ومعاملته مذهبا خاصا من المذاهب الأربعة او غيرها ، لأنه لا يوجب إلا الله ورسوله ﷺ .

فيجوز للمسلم أن يُقلِّد أى مجتهد من علماء المسلمين دون التقيد بالتزام رأى من آراء العلماء ، فقد كان الأئمة الأربعة . رضى الله عنهم ينصحون أتباعهم بالأخذ مما أخذوا منه وهو كتاب الله عز وجل ، وسنة رسـوله ﷺ الصحيحة .

س : من السيد / ا ـ بكر

هل يجوز إعطاء الزوجة المهر جميعه بدون مؤخر أم لا بد من عمل مؤخر لها ؟

ج : تقديم المهر أو تأخيره أو تقديم بعضه وتأخير البعض يرجع إلى التراضى .

فإذا اتفق على تقديم المهر كله عند العقد بدون مؤخر فلا مانع ، وإذا اتفق على أن يكون المهر كله مؤخرا أثناء العقد جاز وإذا اتفق على أن يكون البعض مقدما والبعض مؤخرا فلا مانع ... كل ذلك يرجع إلى التراضى بين الزوج وزوجته أو بينه وبين ولى الزوجة .

س : من السيد / إبراهيم احمد .

شاب يريد الزواج من بنت عمه ولكنه رضع من جدته لأبيه خمس رضعات فاكثر . فما الحكم ؟

ج : برضاع الشاب من جدته لأبيه خمس رضعات متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع صار ابنا للجدة وأخا لجميع أولادها من الرضاع .

وعلى ذلك فلا يجوز له الزواج من بنات أعمامه ولابنات عماته . لأنهن صرن له أولاد إخوة من الرضاع . والرضاع يحرم به ما يحرم من النسب .

س : من السيد / ع . ب . جبريل .

اختلف رجل مع اهل زوجته داخل بيته فارادوا اخذ زوجته منه فقال لها : (إذا خرجت معهم تكونى طالق) مرتين منفصلتين فى نفس المجلس ، وهو يقصد بهذا القول منعها من الخروج ولم يقصد الطلاق . ولكنها خرجت . فما الحكم ؟

اعداد : عبد الحميد السيد شاهين
ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

ج : هذا يمين معلق ، وحيث إن الحالف كان يريد به التهديد فلا يقع به طلاق .

س : من السيد / د . ت . البغدادى .
كيف يوضع الميت فى قبره

ج : يوضع الميت فى قبره على جنبه الأيمن ، حتى يكون مستقبلا للقبلة بصدره ووجهه ، ويقول واضعه : باسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ ، اللهم افتح أبواب السماء لروحه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، وأفسح له فى قبره ، وما أشبه من الأدعية المأثورة .

وإذا وضع على غير ذلك . بأن دفن غير موجه إلى القبلة . فينبغى نبش القبر ولو بعد إهالة التراب عليه ، بشرط ألا يكون قد تغير جسده .

س : من السيد / ق . ط . عثمان .
توفيت امراة عن اخت شقيقة فقط ، وابن اخت شقيقة . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأخت الشقيقة النصف فرضا والباقى لها ايضاً رداً عليها . لعدم من يعصبها أو يحجبها .... ولا شىء لابن الأخت الشقيقة . لأنه من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .... والله أعلم .

من خير ما كتب

الدكتور / عبد الله مبروك النجار •

علمـاء الأزهر فى قلوب المسـلمين

اقتضت ارادة الله تبارك وتعالى ، ان يكون وجود الازهر فى مصر منـارة للدين والعلم والاخلاق والفضيلة ، وليظل على مدى الايام رافعا لألوية الحق وقائما على دين الله بالدفاع والحفظ ، لتصل دعوة الاسلام الى القلـوب نظيفة من كل شائبة ، وخالية من اى بـدعة وكان طريقة المعهود الى تحقيق تلك الغايـات السـامية ولا يزال ، هو العلـم الصـحيح ، والتوجيه الرشيد ، المستقى من كتـاب الله تعـالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم •

وقـد ارتبط طلب العلم بفقـه الشريعـة الاسلامية السمحاء •

وأسرار الرسالة الخـاتمة بالازهر الشريف ارتباطا لا يقبل الفصـل • منذ أن اراد الله للازهر أن يكون ، وسيظل كذلك الى ما شـاء الله ، جامعة للعلم ، وحصنا للاسلام ، وملتقى لقلوب المسـلمين فى شـتى البقـاع ، وموئلا لآمالهم فى سبيل الحياة الحرة الكريمة ، القائمة على العلم النافع ، والاخلاق العالية ،والتوجية الاسلامى السديد •

•• وما كان الأزهر الشريف ليسـتطيع أن يقـوم بمهـام تلك الرسـالة لولا أن هيأ الله له رجالا افذاذا ، اختصهم بالفضل ، وزينهم بالعلم ، وآتـاهم الحـكمة وفصـل الخطاب ، واسبغ عليهم من صـفات الجـلال والكمال ما جعل تاريخهم من تاريخ الأزهر ، ووجودهم من وجوده ، رمزا للعطاء الـذى لا ينتهى ، والنور الذى لا يحد ، والخير الذى لا يعرف السدود والقيود وكان وجود هؤلاء العلماء الأفاضـل ، على جبين الأزهـر ، وفى قلوب المسلمين علامة بارزة ، وآية واضحة ، تنطق بحكمة المولى تبارك وتعـالى الـذى يصطفى من الملائكة رسـلا ومن النـاس ، ليكونوا بعلمهم وأخـلاقهم ، هم ورثـة الأنبياء ، وعلى شريعـة الله هم الأمناء وعلى رأسهم ذلكم العالم الفاضل صـاحب اللسان العفيف ، والتاريخ النظيف ، الامام الاكبـر شيخ الأزهر •

احترام العلماء لا يتجزأ :

ان احترام العلماء من صميم تعاليم الاسلام ولا يمكن لأى منصف أن يرى غـير ذلك لأن الذى يستمرىء التطاول على علماء الاسلام •

إعداد: عبد الفتاح السيد عبد السلام

والنيل منهم ، وتشويه صورتهم فى نظر الناس ، لا يمكن أن يكون تصرفه هذا موافقا لاحكام الاسلام • ولا متوائما مع الخلق فليس من المسلمين من لا يرحم الضعيف ، ولا يوقر الكبير ، وليس من قبيل الخلق الرفيع ان يستبيح المستهترون التطاول على قمم العلم والفضل ، تحت أى ظرف من الظروف ، ولا لأى سبب من الأسباب وقد علمتنا التجارب أن الهجوم على الاسلام ، يبدأ بالتطاول على رجال الأزهر ، والنيل من علمائه ، ويبدو أن خصوم الاسلام قد جعلوا ذلك الاسلوب الرخيص منهاجا لهم فى تعاملهم مع الاسلام ، كلما أرادوا فتنة به ، فتراهم يوعزون الى الذين يعبدونهم من دون الله ، فلا تسمع منهم الا سخفا ، ولا ترى منهم الا بذاءة ، تستهدف الاسلام فى أزهره الشريف وقيم الاسلام فى أشخاص علمائه الكرام •

حاضر الأزهر الشريف :

كان لابد من تقرير ذلك ، ونحن نلحظ ظاهرة مؤسفة ، بدأت تروج لها بعض الاقلام • وكادت ملامحها أن تتحدد على ساحة القنوات الاعلامية المختلفة ، وتتمثل فى تلك النفايات الفكرية التى تنكبت هذا الطريق الملتوى ، واتبعت ذلك الأسلوب الخبيث ، مستهدفة الاسلام فى شخص امامه الاكبر ، وعلمائه الافاضل ، باللمز تارة ، والتلويح تارة أخرى ، حين تفتقت قريحة كاتبه عن فكرة لاعادة صياغة الحياة فى مصر ، فلم تجد الا منصب الامام الاكبر أسلوبا لذلك ، ياسبحان الله ! ، ثم اذا بها تعقد مقارنة ظالمة بين حاضر الأزهر وماضيه ، فأفاضت فى ذكر مناقب الماضى وألجمت عن ذكر مجد الحاضر ، فلم تجد فيه الا ما يستوجب تغيير أسلوب الاختيار ، فكانت كمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، فماذا يريد المعارضون والشيوعيون من وراء ذلك ؟ ! •

أيريدون أن يركب فضيلة الامام الأكبر موجتهم ، ويتبع ملتهم حتى يرضوا عنه ؟ • ذلك ما لم يكن ! ، لأن العلماء فى الأمة أصحاب رسالات انسانية ، ولذلك فان الله يزرعهم فى اماكنهم بين المسلمين زرعا ، ولا يملك الزرع غير طبيعته ، وما كان المعارضون وهم يريدون فضيلة الامام الاكبر على غير رأيه وعلمه وخلقه ، الا كالحمقى يقولون لشجرة التفاح أثمرى غير التفاح •

•• ومهما تطاول المتطاولون ، وقال

السفهاء من الناس ، فلن يكون حاضر الأزهر أقل جلالا أو فضلا من ماضيه ، ولن يقلل من مكانة العلماء فى قلوب المسلمين ، وسيظل الامام الاكبر ، كما هو عهدنا به على طريق العلماء الأفذاذ وعلى درب الرواد الأوائل ، رمزا للعطاء والوفاء ومثلا طيبا وقدوة حسنة ، واماما للمسلمين ، وشيخا للاسلام ، نعم ! سيظل فى وجدان كل مسلم ، رغم أنف الحاقدين ، ومزايدات المعارضين . والله الموفق والمعين .

الدكتور / عبد الجليل شلبى ..
قرآن وسنة

النفاق شىء والمداراة شىء آخر ، الأول مذموم والآخر غير مذموم ، وقد تجالس الشخص وانت تعلم أنه من اعدائك الألداء ومع ذلك تحادثه وتستمع اليه ولا تكشف عما تعلمه فى نفسه ، فهذه مداراة وليست نفاقا .

أما من يجالس حاكما ظالما يعرف أنه ظالم بغيض لدى الناس – فيثنى عليه ويمدحه ، ويذكر له أن الناس فرحون به راضون عنه ، فهذا نفاق لا ريب ، وقد قال الحجاج بن يوسف الثقفى لأهل العراق وهو يعلم أنهم يبغضونه:

« لو أن أحدكم قتله السل من بغضى ما كنت فاتحا لذلك بابا حتى يكون هو الذى يكشف عن عداوته » .

وخطب معاوية أهل المدينة فكاشفهم بما يعلم أنهم يكنونه له فقال : « انى والله ماوليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتى ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة .. والله لا أحمل السيوف على من لا سيف له وان لم يكن منكم الا ما يستشفى به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك دبر أذنى وتحت قدمى ، وان لم تجدونى أقوم بحقكم كله فاقبلوا منى بعضه والله لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى ، ولو كان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت اذا مدوها خليتها ، واذا خلوها مددتها ..

وقال للحسن بن على : أنت أولى بهذا الامر منى لقرابتك ولو علمت انك أضبط له وأحوط على حريم هذه الأمة وأكيد لبايعتك ولكن سلنى ماشئت .

فكل هذه سياسة ومداراة مقبولة وليس فيها نفاق ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « انا لنبش فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم » .

ودخل عبد الله بن ابى محجن الثقفى على معاوية فقال : « يا امير المؤمنين انى آتيتك من عند الغبى الجبان البخيل ابن أبى طالب .

فقال له معاوية : أتدرى ما تقول ؟

« أما قولك الغبى فوالله لو أن ألسن الناس كلهم جمعت فجعلت لسانا واحدا لكفاها لسان على ، وأما قولك انه جبان فثكلتك أمك هل رأيت أحدا قط بارزه الا قتله ، وأما قولك انه بخيل فلو كان له بيتان أحدهما من تبر والآخر من تبن لنفذ تبره قبل تبنه » .

فقال الثقفى : « علام تقاتله اذن ؟ ! » .

فهذا الثقفي منافق ولم يقبل معاوية نفاقه ، وكان معاوية يتقبل من أنصار على ثناءهم عليه بالتقوى والورع والشجاعة على ما في هذه الصفات من تعريضه بمعاوية ، ولكنه لم يكن يأبى لعلى الا صلاحيته للحكم فيرى نفسه أصلح منه ولم يغضب حين كان أنصار على يصفونه بأنه طالب دنيا وعلى طالب آخرة وبأنه حاد عن قانون الله حين استقام عليه على ، ولكن معاوية كان يداريه لأنه لا يريد اقامة عدو جديد ، حتى السيدة عائشة رضى الله عنها عاتبته في توليته ابنه يزيد ولى عهد له فقال لها : يا أم المؤمنين أنا لم أوقف من عطائك شيئا ، وتعيبنى يزيد شيء يحاسبنى الله عليه » .

وبهذا خلص نفسه من عتابها .

والصراحة هي أفضل كل شيء بطبيعة الحال ولكنها أحيانا تكون بلاهة ، فليس من اللائق أن يقول الشخص لكل خصم له أنت عدوى أو أنت تكن لى البغضاء فهذا يجعل الشقة بينهما واسعة ، وأولى من ذلك أن يداريه عسى الله أن يصلح ما بينهما .

الأستاذ / محمود مهدى ..

اضربوهم بشـــدة ..

قبـل ان يأتى الطـوفان

المتابع لما يجرى هذه الأيام من جـراة على الدين تارة ، وشـعوذة باسـم الـدين تارة اخرى ، يصاب بانزعاج شديد ، أو قل بقـدر كبير من الشعور بالخطر والخوف من الطوفان ... وهل ثمة خطر على العقيدة أكبـر من أن يظهر بيننا من يدعى « النبـوة » .. أو يعلن على الناس انه « المهدى المنتظر » .. أو مـن يفتن الناس بباطل من القول وزورا ؟ ! أن كل هـؤلاء مشـرو فتنـة يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون .. ويجب أن تتحرك كل المؤسسات الدينية والتنفيذية والتشريعية لمواجهة هـذه الفتنة بحسم .. فهى فتنة من ذلك النوع الذى حذرنا الله تعالى منها بقوله : « واتقوا فتنـة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا ان الله شديد العقاب » .

وفى اعتقادى ان غيبـة الـوعى الـدينى المستنير من أكبر الاسباب التى دعت لظهـور هؤلاء الأدعياء والمشـــعوذين والدجـالين الخطرين على العقيدة والوطن .. والا فكيف نتصور أن يكون لهم كـل هـذا التأثير على مجموعات كبيرة من أفراد الطبقة التى يمكن أن نطلق عليها طبقة المثقفين ؟ كيف نتصـور أن يصدق طبيب مسلم ، أو مهندس مسـلم رجلا أو جماعة أو فكرا يدعى « النبوة » بعد سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتم الانبياء والمرسلين ، ويصدق من يقول له ان جبريل مازال ينزل على بعضهم ، كمـا يقول البهائيون ، وان بعضهم أفضل من سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ؟ ! « **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا** » .

كيف يمكن ان نتصور تأثير دجال مثل ذلك الطبيب الذى فتن به عدد كبير فى الاسكندرية على مجموعات من المثقفين ، وكيف يمكن أن نتصور دجالا من معدومى الثقافة العـامة والدينية يقودون أعدادا كبيرة من المثقفين فى القـاهرة والاقـاليم فى اتجـاه افـكارهم الفاسدة ؟ ! .

بالطبع لا يمكن أن نتصور حدوث هذا ـ وقد حدث بالفعل ـ الا فى غياب الوعى الدينى المستنير .

والحقيقة ان ظاهرة ادعاء النبوة وظهور المهدى والدجل باسم الدين ، لا تقف أسبابها عند غيبة الوعى الدينى المستنير فقط ، بل ان قصور الاحكام والقوانين التى تتعامل بها الدولة مع هؤلاء الناس من مثيرى الفتنة ، سبب آخر وفعال ، يجب أن يفطن له المسئولون ، ويبدءوا على الفور فى تغيير القوانين بحيث يصبح التجريم أكبر والعقاب أفدح ، ليرتدع من شاء أن يرتدع ، ويذهب الى الجحيم من يسول له شيطانه أن يتاجر باسم الدين . لقد استنكر الناس ، ونحن معهم ، ان تكون اقصى عقوبة لهؤلاء الدجالين خمس سنوات فى السجن ، وهم الذين يستحقون الاعدام .. ان الناس ، ونحن معهم ، يطالبون بالاعدام لمن يتاجرون ويتعاطون السموم البيضاء والمخدرات لأنها تدمر الاجساد ، فكيف تقل عن ذلك عقوبة الذين يدمرون العقيدة ؟! .

لقد كان مجمع البحوث الاسلامية موفقا فى بيانه الذى أذاعه شيخ الأزهر فى الأسبوع الماضى ونشرته الصحف اليومية حين قال : ان عقيدة الاسلام وصيانتها لا تقل فى مرتبتها عن حماية الأجساد من الأوبئة المرضية التى تسارع الدولة لعلاجها بالحزم والحسم ، بل ان العقيدة أولى لأن فى صحتها نقاء الحياة وعبادة الله ، والأمة اذا فقدت عقيدتها انمحت ذاتيتها وغلبها عدوها » .

هذه حقيقة من أجلها ندعو مع مجمع البحوث الاسلامية ومع كل الغيورين على العقيدة ، الى ان تسارع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية لمواجهة هذه الفتنة بالقوانين الرادعة والاجراءات الحاسمة التى تقضى عليها قبل ان يأتى الطوفان ويجرفنا بأمواجه الى واد سحيق من البوار والخسران فى أنفسنا وأموالنا وأعراضنا .

حين تتحرك السلطات فى هذا الاتجاه ، نستطيع أن نتفاعل بصدق مع ما جاء فى بيان الحكومة أمام مجلس الشعب فى الشهر الماضى .. لقد جاء فى هذا البيان أن مصر كانت وستظل حامية للقيم الدينية ، راعية للمؤسسات الدينية ، مؤكدة لحرية العقيدة ، مؤازرة لتطبيق الشريعة الاسلامية .

أنباء وآراء

إعداد
أحمد عبد الرحيم السايح
صفوت عبد الجواد

احذروا تمييع الصحوة الاسلامية

حذر الدكتور عبد الكبير العلوى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية المغربى من القيادات المبطنة التى تحاول الاساءة الى الاسلام باسم المبادىء الانسانية وهاجم الدكتور العلوى الجهات التى تعمل على تمييع شريعة الاسلام باسم (وحدة الأديان) أو (الحوار بين الأديان) أو تدعى (ايجاد قاسم مشترك بينها) واشار وزير الأوقاف المغربى الى أن هناك جهات ترصد أموالا ضخمة فى هذا الميدان ووصل الأمر بها الى حد الشعوذة وادعاء النبوة وطالب الدكتور العلوى : العلماء والخطباء بضرورة متابعته مثل هذه التيارات والتصدى لها فى خطب الجمعة وحلقات الوعظ والارشاد .

اخطار التنصير ..

طالب أبناء القبائل الفولانية بأفريقيا بالتصدى لمحاولات تنصير ٦٠ مليون مسلم هم مجموع القبائل الفولانية فى أكثر من ٢٠ دولة افريقية . أكد الطلبة أن اذاعة « صوت الانجيل » . بأثيوبيا تقوم بحملة شرسة ومركزة فى هذا الصدد ، حيث تبث عدة ساعات يومية باللغة الفولانية تقتصر كلها على محاولة رد المسلمين عن دينهم ، ناشد الطلبة وزراء اعلام العالم العربى والاسلامى تمكينهم من اذاعة برنامج باللغة الفولانية لصد الهجمات التنصيرية .

منع اقامة مئذنة مرتفعة لمسجد روما ..

أدت ضغوط رجال الكنائس الايطالية الى

رفض السماح بالأذان للصلاة في مسجد روما الضخم بدعوى أن المسجد يقع في مدينة مسيحية ويقول المهندسون المعماريون الذين يتولون تنفيذ بناء المسجد أن مئذنته لن تكون مرتفعة حتى لا تحجب الرؤية عن قبة كنيسة القديس بطرس في روما التي ترتفع الى أكثر من ١٣٠ مترا ٠ من المتوقع أن يصل ارتفاع مئذنة مسجد روما الى ٢٧ مترا فقط كأقصى حد مسموح به للارتفاع بالنسبة لمآذن المساجد ٠ يتولى المركز الاسلامى في روما الاشراف على بناء المسجد ٠

تطبيق الشريعة بالسودان ٠٠

قررت الحكومة السودانية الغاء القوانين التى تعطى البوليس السودانى سلطات غير محدودة للاعتقال ، واعادة النظر في نظام الشريعة الاسلامية المعمول بها في البلاد حاليا ٠

قال عمر عبد العاطى النائب العام السودانى :

ان الحكومة تبحث مسألة تطبيق الشريعة الاسلامية لتحديد العقوبات التى سيظل العمل بها ٠٠ وأضاف أنه سيصدر قريبا نظام جديد لالغاء كل البنود التى تقيد الحريات في القوانين التى أعلن عنها في عام ١٩٨٣ م وذكر عبد العاطى أن تطبيق الشريعة الاسلامية سيظل العمل به بناء على قرار برلمانى صدر منذ اسابيع الا أنه سيتم اعادة النظر فيها بعد توصيات من كبار العلماء المسلمين في السودان وخارجها ٠

لايخاف الشريعة الاسلامية الا اللصوص ٠٠

أعلن الشيخ حمدى يوسف سباهتش مفتى يوغسلافيا أن السبب في ضعف الأقليات المسلمة في أوربا يرجع الى جهل اوربا وأمريكا بالمفهوم السليم للاسلام ٠ وأضاف أن كل ما يعرفونه ـ وبعبارة أدق : كل ما يوضحونه لأبناء مجتمعهم أن الاسلام دين الجهل والتعصب الأعمى والرجم وقطع الأيدى ٠

واستطرد مفتى يوغسلافيا فقال أن أحد الأوربيين قد سأله : « هل من المعقول أن تأتى الآن بقانون لقطع يد السارق ؟ » فقلت له : « ان القضية ليست هى قطع اليد بقدر ما هى منع الجرم وتطهير الجسد من سرطان السرقة ٠ والحقيقة لايخاف من الشريعة بقوانينها الا اللصوص » ٠

أى والله ٠٠٠٠

وديعة استثمارية لصالح المسلمين ٠٠

قرر المجلس الصوفى العالمى وضع وديعة استثمارية تحت تصرف المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بعائد سنوى يصل الى مليون جنيه يوجد لصالح أبناء ٧٥ دوله اسلامية يدرسون في جامعات مصر ٠ وقد أبلغ هذا القرار الى الرئيس حسنى مبارك خلال لقائه سماحة الدكتور شمس الدين الفاسى رئيس المجلس الصوفى الذى زار القاهرة ٠ وأعلن اسهام المجلس أيضا في اقامة عمارتين لاسكان طلبة وطالبات العالم الاسلامى الدارسين في القاهرة كما قرر التبرع لبناء مسجد لفرع جامعة الأزهر للبنات ليخدم أربعين ألف طالبة ٠

انشاء جامعة أسلامية بقرطبة ٠٠

أعلن الدكتور الأحمدى أبو النور وزير

الأوقاف أن الفيلسوف رجاء جارودى الذى زار مصر مؤخرا أخبره بأنه تم الاتفـاق بينه وبين المسئولين فى أسبانيا على انشـاء (جامعـة اسلامية عالمية) بقرطبة • وأن عمدة قرطبة قد تنازل له عن احدى القلاع الاسلامية العتيدة فى الاندلس لتكون نواة لهـذه الجامعـة التى سيشع نورهـا على أوربا كلها • وأكد الوزير مساهمة مصر فى انشاء هذه الجامعة الاسلامية عن طـريق وزارة الأوقـاف والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ودعمها ماديا • كما ستساهم الدول الاسلامية فى انشاء هذه الجامعة لتقوم بدورها فى ربط ماضى المسـلمين بحاضرهم وانطلاق الفكر الاسلامى من احـدى قـلاعه الخالدة فى الاندلس •

منع انشاء بنوك حليب المرضعات ..

قرر فقهاء سبع وثلاثين دولة اسـلامية فى مجمع الفقه الاسلامى بجده منع انشـاء بنوك حليب الامهات المرضعات فى العالم الاسلامى •

أكد الفقهاء على حرمة الرضاع منها • وكان ممثلو سبع وثلاثين دولة اسلامية قد شـهدوا الدورة الثانية لمجلس مجمع الفقه الاسـلامى بجـدة •

اسلام سكرتير التنظيم البهائى بالسودان ..

أفادت الأنباء أن زهير قشيرى سكرتير تنظيم الشباب البهائى فى السودان أشهر اسـلامه •

واتخذ لنفسه اسم (محمد زاهر) وأعلن أمام قاضى محكمة أم درمان الشرعية أنه نادم أشد الندم على الفترة التى ظل فيها يتبع هذه النحلة الضـالة •

أضاف « لقد انكشفت لى الصورة الحقيقية لهؤلاء الكفرة عندما عشت بينهم واتضـح لى مـدى تفاهة أقوالهم وادعـاءاتهم » تنظيـم الشباب البهائى فى السـودان تم حله بقـرار جمهـورى عـام ١٩٦٠ م وكانت الحـكومة السودانية قد أصدرت قرارها بحل التنظيم بعد أن ثبت لديها الدور الخطير الذى يلعبه فى تدمير الشباب السودانى المسلم •

معاقبة من يسىء الى القرآن الكريم فى تركيا

وافق البرلمان التركى على قـانون جـديد يقضى بمعاقبة كل من يسىء الى القرآن الكريم او الى الرسول عليه الصلاة والسلام • تقدم حزب الوطن الأم «الحزب الحاكم فى تركيا » بمشروع القانون وأجازه البرلمان التركى •

● طلب الـزعيم الفلسطينى ياسر عرفات من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عند زيارته له توجيه نداء إلى الأمة الإسلامية لإنقاذ المسجد الأقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين .

● قامت الجالية الاسلامية بسانت إتيان بباريس بشراء ستة آلاف متر لاقامة المركز الاسلامى والذى سيضم مسجدا ومـدرسـة ومعهـدا دينيـا وقـاعـة للمحاضرات .

وقد طلبت الجالية من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن يتبنى الأزهر إتمام هذا المشروع وتزويد الجالية بعدد من المنح الدراسية .

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

الموضـــوع	الصـــفحة

مراجعة وعناوين داخلية

الأستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا

also applied the deductive method. They have framed their axiom, represented by the Islamic concepts so as to achieve conclusions that prove the validity of these axioms by logical proofs and reasoning to establish their axioms. Thus, we see that their concept of reality was crucial to the originality of Islamic thought.

REFERENCES

1. "The comprehensive book of the bases of religion" Manuscript copy Vol. 1 Plate 67.

2. "Bases of religion" by Al-Baghdadi. PP. 38-56 and PP 42-45.

3. "The base of religion" by Al-Guwaini-manuscript copy Vol. 1. Plates 280 & 281.

4. "The Guidance" by Al-Guwaini - Cairo Edition P. 40.
Refer also to "The attitude" by Al-Eegui - The fifth attitude Goals 5,6, 7 and 8.

5. "The base of religon" by Al Guwaini - handwritten copy Vo. 1. Plate 287.

6. "The bases of religion" manuscript copy - plate 71.
- "Guidance" by Al-Guwaini - Cairo edition P. 18.

7. "The bases of religion manuscript copy - Vol. 1. plate 68.
- "Guidanc" by Al-Guwaini. Cairo Edition PP. 12 - 13.
- "The proof of bases of theology" by Al-Guwaini manuscript (plates 17, 18 and 19).

8. "Guidance" by AL-Guwaini - P. 12.
- "The proof of bases of theology"manuscript. Plate 16.

intellectual proofs, such as, "Latent being" which if accepted, would mean the possibility of having motion and rest at the same time in a substance. This of course is impossible because motion and rest are opposites. Therefore the Mutakallimun have emphasized the concept of realism by means of concepts which in the other heritage (the Greek one), testified to the reality of an imaginable rather than a perceptible object.

Their expressions about the world are supported by their opinions about perceptions and conceptions in knowledge. These Mutakallimun headed by the Sunnis, are very keen on admitting sence perception as a source of knowledge, and conceive that the certainty thereof is equal to the certainty of mental axioms. About that, they have said "the colour that shows on the substance, the sounds perceived by audition, the tastes perceived by tasting and the smells known by smelling, and heat and cold which are perceived by the touch, are all necessary knowledge. This means that these are pertaining to the kind of logical principles which are innate in man should be a base of other knowledge gained later on. They are also careful to assert "previous experience", thus emphasizing the importance of experience and experimentation in attaining perfection methodology. This experience is built on the realistic contact with the problem. They say: "Doubtless, knowledge cannot be acquired without assumed experience thereof". They assert that the knowledge of a thing takes place by induction. This proves that they make judgements that cope and agree with reality. They also point to what cannot be known now about the particular existent such as, the magnetic attraction of some bodies which can be known later, when the researcher is able to discover it through new methods. They have an opinion that the knowledge of beings requires dealing with nature which has an identity and existence in itself irrespective of the knowing subject. The knowledge of the truth comes by a direct relationship between the knowing subject and reality. This reality shows itself and asserts . its being for the knowing subject to see irrespective of the knowing subject. Knowledge attained through the senses is a knowledge which represents the truth. Nothing can tell us of their relish toward knowledge more than their definition of science: "the knowledge of something as it really is".

The muslim thinker, specially the Mutakallimun have

was attracted since the very beginning to the purely mental and the intellectual existence.

The "Mutakallimun continued to support their opinion of "accident" to establish their point of view. They said that accidents are not placed in space by themselves but rather with a substance, accidents affect the substances, they do not stay except for a split second. One accident can never be in two substances at one time, and opposite accidents never meet in one space. All that aimed at supporting the truth about things in agreement with Islamic thought.

The Mutakallimun were not contented with submitting definitions and describing the characteristics of both divisions of a material being, according to what they saw as necessary to emphasize tne reality of an existent, but they have also made four original contributions:-
1. The proof of the existence of an accident.
2. The proof of the contingency of an accident.
3. The proof of the impossibility of separating substance from accidents.
4. The proof of the impossibility of contingents that have no beginning.

These principles aim at making certain the relationship between the two mental ingredients of a material existent by proving that which does not perceed a contingent existent is contingent. They have talked about the accident and then its manifestation and then the impossibility of separaton of substance from accident. Therefore what does not preceed or exist before an accident is an accident.

These ideas imply certain concepts which are of value in showing the effort of the "Mutakallimun" to remove what is Greek, so as to build what is Islamic. They asserted and emphasized reality in its external character and in its contingency as an existent created by the power of Allah (glorified be his name). One of the most important concepts implied in the second principle is the impossibility of the non-existence of the ancient. The negation of existence, here, is utter negation. This advocates discarding the concept of ancient substantiate (hayoula) and emphasize that Allah alone is eternally ancient. The Mutakallimum supported their words with

Islamic Theology after the First Century of Hijra

By: Dr. Fawkia Hussein Mahmoud.

(Continued)

The muslim thinkers were not satisfied by having an "intelligible" part of the existing object without emphasizing the material existence of its massive being or of any materialized thing.

One of the most important things to perceive in this respect, is that accidents prove themseleves in an obligatory manner; and trying to submit arguments to prove them would be a deviation from the right way of verification. Also, that colours which are predicates of the being are perceived by the senses and obligatory known... . It is clear therefore that the proof of accidents, or predicates, is by sense perception. The emphasis was on the idea of external reality, the reality of an existent thing being increased by using the term "being accident" or "kawn" is a term which is used to describe some accidents in an attempt to emphasize real material existence. They have defined the kawn as that which necessitates the assignment of substance to a place at a certain point in time. Therefore, the assignment of a substance to a place is a matter which is sence perceived. For substance takes a place, because of its being related to accident, or because of the accident of being assigned to a place, which is the "kawn" these accidents are: motion, rest, togetherness, separation and tangency.

The "Mutakallimun" have spoken at length about "Akwan" plural of (Kawn) aiming at attracting attention to the value of what really exists, and not what is imaginable or perceived in the intellect alone. Talking about "Akwan" is one situation that emphasizes the point of view of the Muslim thinkers as compared to the Greek concepts which paid no attention to reality, because it

Turning back or running away during combat is evidence of decrease of faith and an aspect of cowardice Islam demands to bring his defendants up to be brave and believe that Allah alone supports and gives victory over his enemies. The Almighty Allah warned the believers against turning back during confrontation. In the Holy Quran, it is stated:-

> "O ye who believe ! when ye meet the unbelievers in hostile array, turn not your backs to them. who say so on that day turneth his back to them unless manauvering for battle or intent to join a company, he truly hath incurred wrath from Allah and his abode is hell and an evil refuge.
> (Surat Al - Anfal, VIII, 15 - 16)

The false accusation of an innocent woman is a grave sin because it spreads slander and gossip and brings disaster to the environmental ideals of society and breaches refined conventions of personal privacy. The doctrines of Islam take serious measures with people who put forward - slanders or scandalous suggestions about women without perfect adequate evidence. Such evidence must be supported by four witness, which is double the number of witnesses required for business transactions or even in murder cases. Failing such demands of evidence, the slanderer should himself be treated as a wicked transgressor and punished with eighty stripes, besides being deprived of the citizen's right of giving evidence. The Holy Quran states:-

> "And those who launch a charge against chaste women, and produce not four witnesses, Flog them with eighty stripes, and reject their evidence ever after : for such men are wicked transgressors.
> (Surat Al - Nur, XXIV, 4).

Muslims must abide very closely by the words of the Holy Quran and the traditions or the Prophet (prayers and peace be upon him). The teachings of Islam aim at establishing a coherent stable society based on equality and preservations of individual integrity and self respect. May Allah provide us with the knowledge and understanding to learn and conduct ourselves according to the doctrines of our faith.

interest). Wrong not and ye shall not be wronged. If the debtor is in difficulty, than let there be postponement to the time of ease. But if ye remit the debt as charity, that would be better for you if ye only knew.

(Surat Al-Baqra, II, 278, 280)

It is clear that the above meanings from the Holy Quran specifically waven against the practice of usury; and order the creditors to give up claims arising from previous usury, and also allow more time for payment of the capital sum. Moreover, Allah invites the creditors to be tolerant and generous and for that they will be rewarded.

Cheating the wealth of an Orphan is a great sin because it is considered vivid oppression and frank embezzlement of property. Allah threatened those who swindle an orphan's wealth in frank statement in the Holy Quran.

"Those who devour the wealth of the Orphans wrongfully, they do but swallow fire into their bellies and they will be exposed to burning fire".

(Surat The Women, IV, 10)

An orphan who lost his parents is a person that needs help and welfare and kindness. Islam forbids us to deal wrongly or unlawfully with the wealth of the orphan. In the Holy Quran it is explicity stated:-

"Come not near the wealth of the orphan save with that which is better till he come to age of full strength and keep the engagement,for every engagement will be enquired into"

"Surat Bani Israel, XVII, 34)

The guaradian should deliver the orphan his fortune when he reaches the legal age and attains a sound judgement of matters. If the guardian is rich, he abstains generously from taking of the property of orphan; and if he is poor, he takes reasonably and justly. Islam formulates and regulates a fully justifiable system of relationship between the orphan and the guardian even if one of the parents was the guardian.

an atmosphere of peace and security in an Islamic Society. Under the rules of Qisas, a life should be taken for a life destroyed and this again should be considered under the terms of equality. This concept of understanding the sacredness of life and respecting it still prevails and dominates Islamic societies anywhere. In contradistinction to the deplorable insecurity that is extensively encountered in non-Islamic societies. Life is granted to man by Allah, and only Allah may take it away by death, penalty or during justifiable wars.

The Prophet (prayers and peace be upon him) warned Muslims against fighting with each other. On authority of Abu Zur'a Bin Amre Bin Jarir". The Prophet said during the farewell pilgrimage "let the people listen to me. After me, do not become disbelievers by striking the necks of one another" (Al-Bukhari).

Usury is a grave exploitation of man to his fellow humans a serious social injustice by which the rich can capitalize at the expence of other people who fall victims of dire need and resort to borrowing. The principles and teachings of Islam absolutely forbid and rejects usury to avoid the rich grow richer at the expense of the poor and become a parasitical class doing nothing but inequitable accumulation of money.

Usury terminates in creating enemity among individuals and among classes; and prevents the spirit of harmony and cooperation that should prevail in a healthy society that seeks progress of all the various sectors and ranks of the population. The practice of usury has proved very disruptive and detrimental to economical and financial structures of individuals, fiscal institutions and even governments. It is a malignant practice of monitary transactions that should be totally abolished in all societies.

Allah states in His Holy Quran what means:-

> "O ye who believe ! Observe your duty to Allah and give up what remians of your demand from usury, if ye are (in truth) believers. And if ye do not, then he warned of war (against you) from Allah and His Messenger. And if ye repent, then ye have your principal (without

The Seven Destructive Evils

By: Nasr El-dien Abdel Fattah Sholakany

(Continued)

Praise be to Allah, and prayers and peace be upon his Prophet (prayers and peace be upon him) who delivered the message of guidance to establish the codes for human refinement. Teachings from the Holy Quran and traditions of the Prophet (prayers and peace be upon him) continue to instruct Muslims of all races and at all ages the true basic elements of their faith.

In a previous article, two aspects of the Seven Destructive Evils reported in Hadith were considered, namely, association with Allah, and practice of magic. The remaining five destructive evils will be discussed in this treatise, namely, to kill an inviolable person, to eat usury, to cheat the weath of an orphan, to run away at time of combat, and false accusation of an innocent chaste believing woman.

Islam aims at preserving and maintaining man's life health, honour property and faith. Therefore, murder and bloodshed are extremely abrogated in a proper Islamic society, and severe meticulous enforced measures are legislated to safeguard against such infringement. Intentional murder of a believer has the mot dreadful penalty as stated in the Holy Quran.

> "If a man kills a believer intentially, his recompense is Hell, to abide therein. And the wrath and the curse of Allah are upon him, and a dreadful penalty is prepared for him.
> (Surat The Women, IV, 93)

Life is absolutely sacred in Islam in order to preserve Islamic brotherhood and fraternity, and maintain

- While I was wandering in the market-place of Medina, a Christian from Syria who used to carry food and sell it ~~in Medina~~ went about saying: "Who can take me to Kaab, son of Malik ?" Men pointed at me, so that he came up to me and handed me a letter from the king of Ghassan. It read: It has come to my knowledge that your master has disfavoured you. Allah, however, has not abandoned you to an ignoble land of disgrace or deprivation. So, do join us and we will console you. "This, too, is an added infliction of a test," I said to myself, having read it, and soon took it to the oven, and with it set it to fire.

(The Hadith is still to be continued)

made a liar of myself. However, I asked if there were any other men who had the same fate, as I, and I was told there were two other men, who said a thing like that I had said. Asking who they were, I learnt they were Murara, son of Rabie Al-Amry and Hilal, son of Umayya Al-Waqify. Both were pious men who attended the Battle of Badre and whom I might as well take for a righteous example. So, I went away, a little relieved.

"The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, forbade Muslims to talk to any of the three of us. Us of all those who had deserted ! People avoided us and changed their ways towards us till the land itself seemed different from that I had always known.

"That distress lasted fifty days. My two fellows gave in and stayed at home, crying with remorse. I was the youngest of them and the most possessed of fortitude. So, I used to go out performing my devotions at mosque or roaming about the market place. However, no son of a women would talk to me. I would go to see the Apostle of Allah, blessed be he, and greet him in his sitting place after prayer; but I always wondered whether or not he murmured an answer to my greeting. I would then perform my devotions near him and steal a glance at him. When I busied myself with prayer, he turned his face towards me, but if I turned to him, he would look the other way. Very long did I suffer forlorn disaffection of people.

I would then do my prayers near him, stealing glances at him. However, when I minded my devotions, he did turn to me; but should I turn to him, he soon turned away from me.

Seeing that men had, too long, been unamiable to me, I went to the garden of Abu-Qatada, my cousin and dearest man, and climbed over its wall. I greeted him; but, by Allah, he did not reciprocate my greeting. I said to him: "Abu-Qatada, I beseech you by Allah, do you not know me to love Allah and His Apostle ?" Anyway, he did not utter a word. Again, I addressed him and prayed him to answer me, but he only said that Allah and His Apostle knew it better. There upon my eyes filled with tears that ran down my cheeks, so I turned away and climbed out over the garden wall.

way back, I began to sink in concern. Every now and then fear struck me that I might have to invent a false excuse, or, on the other hand, I could not see a way to escape his anger the next day. I sought the help and advice of every wise head in my kinsfolk.

"When we were told that the Apostle of Allah, blessed be he, was so near, all false wits left me bare and I was sure that nothing containing a lie could avail me. So, I was firmly determined to tell him nothing but the truth.

"The next morning, the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, was arriving. He was of the habit, when he arrived back from a travel, to visit the mosque first and make a two-prostration prayer and then to sit to receive people. When that time he did so, lingerers began to go to him and ask his pardon, swearing their excuses. They were a few less than ninety men. Accepting their outward, the Apostle of Allah, blessed to he, acknowledged their oaths of fealty. He asked Allah to forgive them, but he left it to him to judge their inward.

"I went to see him. When I greeted him, he smiled an angry smile and then said to me: "Come on" I walked up until I sat infront of him. He said to me: "What caused you to stay behind us ? Had you not bought a beast to carry you ? I said : "Yes, I had. Should I sit with any man of the world I would certianly find a way out of his displeasure through an excuse. By God, eloquent I am. However, I know that should I tell you a lie that you would accept from me, Allah would soon cause you to be bitterly disappointed with me. On the other hand, if I give you an outspoken confession that causes you to be bitterly disappointed with me, I do cherish hope in the forgiveness of Allah. Indeed, there can be no excuse for me. Never had I been, I swear, so strong and well off as I was when I tarried behind you." The Apostle of Allah, blessed be he, said: "As for this one, he has told the truth ! So, go, may Allah decide your case.".

"I rose to my feet and went out. Men from Bani Salma followed me who shouted to me that never had they known me to be a sinner before. They found fault with me that I failed to apologize to the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, as had done the other lingerers. They thought it sufficient for me that the Apostle of Allah, blessed be he, might ask Allah to forgive me. So much did they blame me that I might have gone back and

it by another. That battle, however, he decided in very hot weather. Long was the distance, far away the goal and large the horde of enemy which he was making for. So, he revealed his goal to Muslims and made his destination clear to them that they might get ready fully aware of the gravity of the situation. So big as was the throng of Muslims with the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, there was not a record of them. So Kaab went on to say anybody who intended to desert was quite sure that his desertion could not be discovered without Divine Revelation.

"The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, called for the march when fruit was ripe and shade cool. He and the Muslims with him got equipped, therefore I, too, set off to equip myself. Anyway, I returned, not to bit prepared. Indeed, I did not think it could afford any difficulty for me.

"Repeatedly did it happen that I set out to get myself equipped but return unprepared till, everybody exuberant with energy, the Prophet, blessed be he, and the army of Muslims started their march. Still, I though I could get equipped and join them in a day or two. So, on the morning following their departure I set out to equip myself but again returned not prepared a bit. Morning after morning did this misfortune continue till they dispersed away.

"Even then, I could depart and overtake them. I wish I had. However, fate had decided otherwise. So, it always grieved my heart whenever I went out wandering among people after the Apostle of Allah, blessed be he, had left, to find myself on the same way with a hypocrite of a deep dye or a decrepit exempted for weakness.

"The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, made no mention of me until he had reached Tabuuk. He said, "Well, what about Kaab?" A man from Bani Salma said: "Apostle of Allah, he has been confined by self-admiration in his new garments". This, Muath, son of Djabal retorted: "How bad of you to say so ! By God, Oh Apostle of Allah, it is by nothing other than good that we know Kaab". The Apostle of Allah, blessed be he, kept silent and made no comment.

"Then - Kaab went on to say - when it came to my knowledge that the Prophet, blessed be he, was making his

Riyad Al - Saleheen
By
Imam Yehia Ibn Sharaf Al -Nawawy Al- Demashki

Translated by:Soliman Barakat

Chapter II

REPENTANCE
(Continued)

On authority of Abd-Allah, son of Kaab, son of Malik, may Allah be pleased with them. Of Kaab's sons, he used to lead his father in his blindness.

"I heard Kaab, son of Malik, tell the story of his abandoning the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, at the Battle of Tabuuk. Kaab said:

"Apart from the Battle of Badre - when Allah, high exalted be he, willed the Prophet, blessed be he, and the Muslims with him to encounter a horde of their enemies rather than their caraven of goods, so that the Apostle, blessed be he, never criticised them who stayed behind - I had never stayed behind the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah except during the Battle of Tabuuk. I even witnessed the Night of Aqaba, when we made a covenant with him for Islam, disliking to miss it as I had missed Badre. Even though, Badre is far brighter in men's memories.

"When I lingered behind the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, it was not that I was shorter of strength or of wealth than I used to be. On the contrary, I was stronger and better off than ever. I even had, at the time, two she-camels with their carrying sacks, which I did not enjoy before.

"It was a habit of the Apostle of Allah, blessed be he, whenever he intended to go on a battle, to dissemble

References :

1) Alsira Albabawiah
3rd. Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Ainadawi
Puplisher, Dar Al Sharook ,Jeddah

2) Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohamad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial library, Cairo

3) Mashahid min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo - Printed 1980

4) Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo

5) The Holly Quran
Text, Translation and Commentary
Abdullah Ysuf Ali.

6) Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramandan Albooty
7th. Edition ,1977
Dar Al-Fikr, Cairo

7) Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol.2, 1983 ,Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8) Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut,1981.

as they entered Macca. The people of Macca finally resigned to the situation and went into their homes or into the Masgid.

When the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was finally ascertained that Macca was offering no resistance to the marching troops, he bowed in recognition of the support of Allah. As the battalions resumed their march to enter Macca, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was informed that Saad Ibn Ubadah said "Today is the day of the sword, today every action is sanctioned". This was a contradiction to the orders strictly given of no bloodshed. For that, the banner of command was taken from Saad and was given to his son Qays Ibn Saad. All the armies marched into Macca . as previously planned from four directions with absolutely no challenge or resistance. Only one army under the banner of Khalid Ibn Al-Walid entering Macca from the South side. In this district of Macca lived some elements from Koraysh that refused what Abu Sufyan called from, and wanted to offer a stand in the face of the advancing army. At the head of this group were notables of Koraysh as Safwan Ibn Ummayah, Suhayl Ibn Amre and Ikrima Ibn Abi Gahle. A minor confrontation took place starting by Korayshians attacking the men of Khalid with arrows. The event ended as quickly as it started resulting in the death of two muslims and thirteen men from Koraysh. The three leaders of Koraysh in this incidenct fled. The prophet (prayers and peace from Allah upon him) was disappointed for this incidence but became calm and said "whatever Allah has chosen is the best.

The triumphant entery into Macca was finally accomplished. The green battalion of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) accompanied the army of Abu-Ubaidah Ibn Al-Garah and entered Macca from the east high side in line with the mountain of Hind. A tent was pitched near the graves of his uncle Abu-Taleb and his first wife Khadija. When the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was asked if he desired to go home; he answered "they have left me no home in Macca", and entered the tent to rest and pray in recognition of the support of Allah.

Prayers and peace by upon our magnanemous prophet

Macca. Some authors report that Budayl Ibn Warqua and Hakim Ibn Hizam accompanied Al-Abbas and Abu Sufyan and declared their Islam in the presence of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him and that they were also detained to witness the grand spectacle of the marching worriors.

All these events have gained popular acceptance among all chronicles. However, some have discussed the extent of planned diplomatic strategy or chance occurrence of the events. Whatever may be the case, the ultimum result was that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had certainly with excellence of wisdom, precision of decision, and unparalleled diplomacy, and above all the support of Allah; achieved and accomplished the most unique triumph in the history of mankind; and the most crucial in the history of Islam. The Muslim worriers marched along with steadfast confident steps and arranged their legions as directed by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The command and order of the day was no bloodshed. The left flank was undr the banner of Al-Zubair Ibn Al-Awam ordered to enter Macca from the North. The right flank was under the banner of Khalid Ibn Al-Walid ordered to enter Macca from the South. The third flank was under the banner of Saad Ibn Ubadah from the Ansar and commanding the Muslims of Al-Madinah, ordered to enter Macca from the west. The fourth flank was under the banner of Ubaidah Ibn Al-Garah commanding the Muslim Muhagereen, ordered to enter Macca from the east. The troops passed by Abu-Sufyan as he stood at the narrow end of the valley on the edge of the mountain. Abu Sufyan inquired from Al-Abbas about the identity of the battalions that marched by and was highly impressed by the Green battalion of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) that included men from the Muhagereen and Ansar displaying the distinguished example of human dignity, discipline confidence and solidity. Abu Sufyan remarked in bweldered astonshiment : "No body has the ability or strength to confront those men; the sovereignty of your nephew has become great". Al-Abbas reported "It is not sovereignty Abu Sufyan, it is porphethood". Abu Sufyan then hurried into Macca and declared in a loud voice addressing Koraysh that Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) came to them with what they cannot confront, and announced that who enters the house of Abu Sufyan is safe, who enters the Masjid is safe, and who bolts his door behind him is safe, Abu Sufyan's wife Hind Bent Utbah challenged his words, however, he continued to warm the people of Macca not to think of confronting the Muslim masses

hurried to take permission to kill Abu Sufyan the primer enemy of Allah and the leader of the pagans of Koraysh; before Al-Abbas succeeds in gaining protectorship for Abu-Sufyan. When Al-Abbas and Abu-Sufyan arrived in the presence of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), a highly heated fervent argument took place between Omar Ibn Al-Khattab and Al-Abbas Ibn Abd-Al-Mutaleb concerning the position of Abu-Sufyan and whether he should be killed as a frank enemy, or saved and offered protection. Al-Abbas finally declared that he has offered protection to Abu-Sufyan. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) finally instructed Al-Abbas to take Abu-Sufyan to his tent and to bring him back on the morning of the following day. Abu Sufyan was brought to the presnce of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in the attendance of several high ranking Muhagereen and Ansar. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) addressed Abu Sufyan saying " Be wise Abu Sufyan, is it not time that you realize that there is no God but Allah". Abu Sufyan answered "I now by my mother and father, how serene, kind and generous you are; now I certainly believe that". The prophet (prayers and peace from Allah upon hium) then said "Be wise Abu Sufyan, is it not time that you realise that I am the Messenger of Allah". Abu Sufyan replied" I now by my mother and father, how serne, kind and generous you are, as to this matter, I am still uncertain". At this point, Al-Abbas addressed Abu Sufyan in severity of words, that he must announce and proclaim that there is no God but Allah, and that Mohammad was the Messenger and Apostle of Allah, or else he would be killed. Abu Sufyan finally proclaimd that "there is no God but Allah, and that Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) was the Messenger and Apostle of Allah"; and finally embraced Islam. The demands of Al-Abbas were not yet finished; knowing the status and rank of Abu-Sufyan among the clans of Koraysh, and conceiving the prevailing despondancy and destitute of Koraysh at the time; Al-Abbas required to gain more pardon and clemency for Koraysh in general. Al-Abbas asked the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to provide Abu Sufyan with same form of dignity and respect among the people of Koraysh. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) therefore declared that: "whoever, enters the house of Abu Sufyan is safe, whoever, enters the Masjid (Mosque) is safe, and also whoever closes his door behind him is safe. As Al-Abbas and Abu Sufyan were leaving, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) instructed Al-Abbas to keep Abu Sufyan at the narrow end of the valley on the edge of the mountain in order to witness the worriers of Allah march along on their way to enter

Macca, with tne idea of informing Koraysh in Macca of the extent of Muslim strength and advise them to surrender and avoid armed confrontation to prevent bloodshed in the sacred city. The other two men Abu-Sufyan Ibn Al-Harith and Abdu-Allah Ibn Abi Ummayah finally faced the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), apologized for their previous deeds of atrocities and declared their true belief in Islam. Al-Abbas Ibn Abd-Al-Mutaleb, left the Muslim camp to go to Macca as instructed on the white mule of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

Koraysh in Macca was gravely distressed and severely despondent recognizing by now the great danger approaching them. They deputized Abu-Sufyan Ibn Harb, Hakim Ibn Hizam and Budayl Ibn Waraqua to investigate that great danger of which they were highly conscious and concerned about. As Al-Abbas was returning to Macca on the mule, he accidently on the way came to overhear a conversation between Abu Sufyan Ibn Harb and his two companions about the numerous fire lights and the great numbers of men that were gathering. Budayl Ibn Warqua thought it was the tribe of Khuzzah assembling for war; and consorting such great numbers of men. Al-Abbas recognized the voice of Abu-Sufyan and addressed him that what he was seeing was the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) among multitudes of Muslim worriers preparing to enter Macca, and sincerely hopes to do that without armed conflict in respect of the holy city. Abu Sufyan was astounded with bewilderment and a sensation of awe and subjection, and asked Al-Abbas what then should be done. Al-Abbas took Abu Sufyan on the white mule, and instructed the other two men Budayl Ibn Waraqua and Hakim Ibn Hizam to return to Macca, in the hope that they inform Koraysh of the might and power of the Muslim masses outside the city of Macca, preparing to enter the city without bloodshed, in reverence and respect to the sanctity of the place.

Al-Abbas Ibn Abd-Al-Mutaleb uncle of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) escorted Abu Sufyan Ibn Harb behined him riding the white mule through the numerous various encampments of Muslim troops. The white mule mounted by the uncle of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was allowed to proceed with the two riders between the fires that was light by the ten thousand men consorting at the site. As the two men passed mounting the mule by the tent of Omar Ibn Al-Khattab, he recognized Abu-Sufyan, and realized that Al-Abbas was on his way to try to gain pardon and protectorship for Abu Sufyan from the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Omar Ibn Al-Khattab

The Triumphant Return to Macca

By. Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, Phd.

In the name of Allah, most gracious most compassionate. The Musslims marched out of Al-Madinah in Ramadan in the eighth year of Hijrah. Their destination was Macca, the holy city with the holy shrine of Kabaa. Clans from Al-Muhagereen, from Al-Ansar, from Muslim tribes of Sulaym, Muzainah, Khataffan and others, all under the grand leadership and guidance of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). As these masses of staunch beleiving human elements marched south towards Macca, they were joined with several sporadic groups of muslim clans on the way. They were all filled with confident faith that Allah provided them with definite support and infallible triumph. The major concern was to enter Macca without being compelled into battle, not in fear of fighting, but to safeguard the sacredness of the holy city and the holy shrine of the Kabaa. They reached a location north of Macca called Marra Al-Zahran in a total number of ten thousand men; with Koraysh in Macca still ignorant of the news of this massive advance. Koraysh was in great dispute about how to deal with the situation that they have broken the terms of the truce of Al-Hudaibiah and that the mission of Abu Sufyan Ibn Harb to Al-Madinah to reconcile matters was an absolute failure.

Some members of the clan of Bani Hashim Kinsmen of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) left Macca to meet the Muslims. These were Al-Abbas Ibn Abd-Al-Mutaleb with his family, Abu-Sufyan Ibn Al-Harith Ibn Abd-Al-Mutaleb, and Abdu-Allah Ibn Abi Ummayah Ibn Al-Mughirah. Al-Abbas and his family met the Muslim forces at Al-Guhfah, and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) instructed him to leave his family go to Al-Madinah, and himself to return to

THE ENGLISH SECTION

CONTENTS
(Rajab 1406 H)

=================

Prepared Prints by: Mrs. Fatma Mohammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

إنما يستريح من غُفِر له

نعم :

فليس أصدق - في النفس - من «شعور الندم» حين يتوافر لوجدانها الإحساسُ بالذنب ، والألم بالإثم ، فتغطى مدارجَ النفس آثامُها ، وتفيض الروح آلامًا تتزايد داخل ساحاتها .. آلامًا يتضاعف وخْزُها في النفس بقدر ما تَهدى بصيرةُ المذنب من بيان ما أحدثت المعصيةُ من هضم لحق الله ، أو التهام لمصالح عباده .

هنا يتقاطر الأسى على هذه النفس اللوامة حتى لينتصر منها الإنصافُ مهما تحملت في هذا السبيل من مشاق ، في مقدمتها ردُّ ما استلبت من حقوق ، لتتقدم بعدها إلى المولى - عز وجل - بتوبة نصوح ترضى ربها وتمحو ذنبها

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
● صورة الغلاف



● السنة الثامنة والخمسون الجزء الثامن
● شعبان ١٤٠٦ هـ أبريل - مايو ١٩٨٦

إنما يستريح من غفر له

تلك هى النفس التى عرفت أن لها رباً يغفر الذنوب فسعت إليه ، وتابت بين يديه فلم يؤيسها من رحمته فيدركها إحباط فيما تشوفت إليه من مغفرة ويأس فيما سعت إليه من رضوان ، وَلَلَّهُ أشد فرحاً بتوبة عبده من فرحة التائب لنفسه بما أدرك من عفو الله .

فهذا الإسلام دين التوبة .. ورسوله - صلى الله عليه وسلم - نبى التوبة .. (١)

وقال تعالى : « وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » .

فأما المعصية فشؤم يتناسل شُؤمًا بما تُوَلِّدُ من معاص ، وأسرع عقوبة يدفعها الله إلى مذنب أن يُفْقِدَه الإحساس بالذنب فيضل سبيل التوبة .

وهذه أيام الله قد أطلت فى مناسباتها الطيبة فى شعبان ورمضان وأشهر الحج ، بل المناسبات الطيبة كائنة فى ساعات اليوم .

من الصلاة إلى الصلاة ...

وفى الأسبوع : من الجمعة إلى الجمعة .

وفى السنة : من يوم عرفة إلى يوم عرفة لحاج وغير حاج ، يكفر صيامه السنة الماضية والقادمة .

ولقد اختار لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التوبة ، لا الذهب ولا الفضة .

حدث عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - قال :

قالت قريش للنبى - صلى الله عليه وسلم :

ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك !

قال : « وتفعلون ؟»

قالوا : نعم ... « فدعا »، فأتاه جبريل ،

فقال : « إن ربك - عز وجل - يقرأ عليك السلام .

ويقول : « إن شئت يصبح لهم الصفا ذهباً ، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة »

قال (صلى الله عليه وسلم): « بل باب التوبة والرحمة ».

وليس يستجيب الله دعاء من قلب غافل لاهٍ ، والندم توبة ، وليحذر المسلم الذنب محذرتَهُ الْهَلَكَ .

قالت أم المؤمنين : عائشة - رضى الله عنها :

« قيل : يا رسول الله ! ماتت فلانة واستراحت ، فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال :

« إنما يستريح من غُفِرَ له ». (٣)

المنبر

---

(١) انظر مسند أحمد ٤/ ٣٩٥ ، ٤٠٤ - ٥ / ٤٠٥ (٣) مسند أحمد ٦ / ١٠٢

(٢) مسند أحمد ١ / ٢٤٢

دراسات إسلامية

من علوم القرآن

دراسة في عالم الجن

مع إبراهيم الخليل

إن الدين واحد

منذ هبط سيدنا آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام الى الأرض وقد اجتباه ربه وتاب عليه وهدى وموكب الأنبياء يترى الى البشرية يحمل لها من عند الله منهجا وأسلوبا ودينا واحدا هو ما صورته آيات سورة البينة فى قول الله تعالى : « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ • رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً • فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ•وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ • وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ»

١ ـــ ٥ البينـــة •••

وهذه الحقيقة التى تقررها آيات البينـــة تنسجم مع حقيقة الكون الذى أخضعه الله تعالى للنواميس التى تحكمه فللكون ناموس يحكمه ، وللبشرية ناموس يحكمها كذلك بفارق أساسى :

ان ناموس الكون مسير الكون قهرا •

وناموس البشرية مسير لهـــا بالاختيار والهداية يقول الله تعالى :

(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْـــهِ يُرْجَعُونَ) ٨٣ آل عمران ••

فالكون كله قد خضع للناموس الذى وضعه الله له . وكذلك الانسان كان يجب أن يخضع للناموس الذى بعثه الله اليه عن طريق الموكب الوضىء : موكب الأنبياء •

غير أن الانسان فى حافات متعددة من عمره الطويل فى الحياة قد بدل وغير وزين له الشيطان أهواءه فعبد ما أملته عليه شياطينه من الرعب أو الدينونة الوهمية بالفضل فاختلفت الأهواء فى العبادة فعبدت مساقط المياه والرعود •• كما عبد البرق والثعبان والبقرة والشجرة والشيطان وهى اسقاطات ضعف الانسان فى صورة تعبد أو تلثم يريح بها همومه ويزيل عن نفســه مخاوفه ولكنها لا تدفع عنه ضررا ولا تجلب له نفعـا •

للأستاذ الدكتور
رءوف شلبى

ومن هنا كانت مهمة الأنبياء تتـــابع لكى يهدى كل نبى قومه يقول الله تعالى :

« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ » النحل ٣٦ .

ولهذا تنوعت صنوف العذاب التى عوقبت بها كل أمة يقول الله تعالى : « فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْـهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَـفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » ٤٠ العنكبوت.

فلم يعد فى الحسبان ــ واللــه أعلم ــ ان تظل البشرية أمما شتى كلما جــاء أحدها نبى كذبوه فيعذبوا .

لقد اكتملت عدة التوجهات من الســماء ، وتنوعت العواقب فلم يبق الا أن يكــون حصاد هذه المعــارك والتجــارب والوقائع ذخيرة للبشرية كلها تهتدى على سننها وتعتبر بما حاق بالمكذبين منها : يقول الله تعالى :

« يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّـــهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّـذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمـًا . يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَـانُ ضَعِيفًا » ٢٦ ــ ٢٨ النساء ..

وقد جاء سيدنا محمد صلى الله عليــه وسلم خاتما لهذا الدين وتاجا توج اللــه به هذا الموكب الوضىء ليضع الدين فى وضــعه المستقيم الصحيح ويضع البشرية على طريق الهداية ، ويرفع عنها إصرها والاغلال التى كانت عليها : يقول الله سبحانه فى حقه ــ عليه الصلاة والسلام :

« الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِـلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَـعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِــمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَـزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا

النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »

١٥٧ ــ الاعراف •

وبالطبع فإن هذه الوظيفة العالمية تستتبع أمورا منها :

١ ــ أن النبى صلى الله عليه وسلم يعلن حدود رسالته وقد نزل عليه تبيان ذلك فى قوله تعالى : « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الْأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » ١٥٨ ــ الاعراف •

٢ ــ وان يعلن كذلك وحدة الانبياء فى تبليغ الرسالة وقد نزل عليه :

« آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ » ٢٨٥ ــ البقرة ••

وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« الأنبياء أولاد علات دينهم واحد وأمهاتهم شتى وقد حفى القرآن الكريم بهذه القضية فأجلاها فى بعدها الحقيقى ، وأكد أن دين الله واحد حمله موكب الأنبياء من حيث

ــ المصدر •

ــ الموضوع •

ــ والتسمية •

المصدر :

أما فيما يتعلق بوحدة المصدر ففى القرآن الكريم كثير من الآيات التى تنص على أن المصدر لكل رسالات الأنبياء هو الوحى من عند الله •

يقول الله تعالى :

« إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا » (النساء ١٦٣) •

انهم موكب واحد يتراءى على طريق التاريخ البشرى الموصول ، ورسالة واحدة بهدى واحد للانذار والتبشير ، موكب واحد يضم هذه الصفوة المختارة من البشر : نوح وابراهيم واسماعيل •• الخ موكب من الأنبياء لشتى الأقوام •• وكلهم تلقى الوحى من الله ، فما جاء بشىء من عنده • قال فى « ظلال القرآن » فى تفسير سورة الأنعام :

« ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » الآية •• وهذا تقرير لينابيع الهدى فى هذه الأرض ، فهدى الله للبشر يتمثل فيما جاء به الرسل ، والذى يجب اتباعه هو الذى يقرر الله سبحانه أنه هو هدى الله • وهذا تقرير لمصدر الهدى وقصره على هدى الله الذى جاءت به الرسل •

قال فى تفسير سورة الشورى :

« كَذَلِكَ يُوحِى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (٢ ــ الشورى) •

على هذا النسق وبهذه الطريقة يكـــون الوحى اليك والى الذين من قبلك .. وبهذا .. يتقرر أن مصدر الدين واحد هو « الوحى».

والموحى هو الله العزيز الحكيم .

والموحى اليهم هم الرسل على مـــدار الزمان . والوحى واحد فى جوهره عـــلى اختلاف الرسل والزمـــان .. « **إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ** » .

والله جل شأنه يقول :

« **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** » (٥١ ـ الشورى).

قال ابن كثير فى تفسيرها :

هذه مقامات الوحى بالنسبة الى جنـــاب الله عز وجل . وهو أنه تبارك وتعالى تـــارة يقذف فى روع النبى صلى الله عليه وسلم شيئا لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل .

ولقد أقر الأنبياء بذلك . يقول الله تعالى :

« **قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** » (١١ ـ ابراهيم) .

قال ابن كثير : يمن على من يشاء بالرسالة والنبـــوة .

وآية الأنعام تقرر وحدة المصدر . يقول الله تعالى :

« **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَـــالَتَهُ** » . (الانعـــام ١٢٤) .

ان الرسالة أمر هائل خطير . أمر كـــونى تتصل فيه الإرادة الأزلية الأبدية بحـــركة عدد من العبيد ، ويتصل فيه الملا الأعلى بعالم الانسان المحدود ، وتتصل فيه السماء بالأرض والدنيا بالآخرة .. وتتجرد فيها كينونة بشرية من حظ ذاتها فى ذاتها لتخلص لله كاملـــة حتى تصبح موصولة بهذا الحق ومصدره فى صـــلة مباشرة كاملة ، والله وحده سبحانه هو الـــذى يعلم أين يضع رسالته ، ويختار لها الذات التى تنتدب من بين ألوف الملايين ويقال لصـــاحبها أنت رسول رب العالمين .

وقد جعلها سبحانه وتعالى « حيث يعلم » واختار لها أكرم خلقه وأخلصهم وجعل الرسل هم ذلك الرهط الكريم حتى انتهت الى محمـــد خير خلق الله وخاتم النبيين .

وحدة الموضـــوع :

والموضوع الذى جاء به الأنبياء والرسل هو موضوع واحد ..يقول الله تعالى : « **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** » (٢٥ ـ الأنبياء) .

وابن كثير يوضح هذه الوحدة الموضـــوعية لرسالة الأنبياء فيقول :

.. كما قال (**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ**).

وقـــال :

(**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ..) .

فكل نبى بعثه الله الى عبادة الله وحـــده لا شريك له ، والفطرة شاهدة بذلك أيضا .

٥

وسورة الشعراء تعرض موضوعية رسالة الأنبياء جميعا بأسلوب واحد . يقول الله تعالى:

« إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ » (١٠٦ ــ ١٠٨ الشعراء) .

« إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ » (١٢٤ ــ ١٢٦ الشعراء) .

« إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ » (١٤٢ ــ ١٤٤ الشعراء) .

« إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦١ ــ ١٦٣ الشعراء) .

« إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ » (١٧٧ ــ ١٧٩ الشعراء) .

ولقد قال هذا المنطق أيضا سيدنا ابراهيم من قبل .

« قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّى إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ . الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ » (٧٥ ــ ٨١ الشعراء) .

وقالها موسى لفرعون :

قال فرعون : وما رب العالمين ؟

« قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ » (٢٣ ــ ٢٤ الشعراء) .

وقالها عيسى للحواريين :

« ... اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ » (١١٢ ــ المائدة) .

« وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ » (٦٣ ــ ٦٤ الزخرف) .

وبهذه الوحدة لموضوع رسالات الأنبياء جميعا يوجه القرآن الكريم سؤالا فى سورة الزخرف « وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ » (٤٥ ــ الزخرف) .

وحول هذا السؤال يكون الجواب : ان التوحيد هو أساس دين الله الواحد منذ أقدم رسول . والقرآن يقرر هذه الحقيقة فى هذه الصورة الفريدة ؛ صورة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يسأل الرسل قبله عن هذه القضية .

وهى صورة طريفة حقا . فهناك أبعاد الزمان والمكان بين الرسول ــ صلى الله عليه

وسلم ــ والرسل الكرام قبله . ولكن هذه الأبعاد تتلاشى أمام الحقيقة الثابتة المطردة حقيقة وحدة الرسالة المرتكزة كلها على التوحيد ، وهى كفيلة حين تبرزان يتلاشى مع ثبوتها الزمان والمكان وسائر الظواهر المتغيرة.

على أنه بالقياس الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ واخوانه من الرسل مع ربهم لا يبقى شىء بعيد وآخر قريب فهناك دائما تلك اللحظة اللدنية التى تزال فيها الحواجز وترتفع فيها السدود وتتجلى الحقيقة وهى وحدة متصلة بعد أن سقط عنها حاجز الزمان والمكان والشكل والصورة .. وعندئذ يسأل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ اخوانه الأنبياء .. « أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ .. » ويقع السؤال دون حاجز ولا حاجب كما وقع فى ليلة الاسراء والمعراج .. والجواب كما سيقوله سيدنا عيسى يوم يجمع الله الرسل : « مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ » .

وآية سورة الشورى تجمع وحدة الموضوع جملة واحدة بما تضفيه من المساواة على وحى الله لصفوة أنبيائه أولى العزم من الرسل .

يقول الله تعالى :

« شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ » (١٣ ــ الشورى) .

يقول العلماء :

لقد جاء فى مطلع السورة : « كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (٣ ــ الشورى) .

فكانت اشارة اجمالية الى وحدة المصدر ، ووحدة الاتجاه ، فالآن يفصل هذه الاشارة ويقرر أن ما يشرعه الله للمسلمين هو فى عمومه ما وصى به ابراهيم وموسى وعيسى وهو : أن يقيموا دين الله الواحد ولا يتفرقوا فيه .

قال ابن كثير فى تفسيرها :

يقول تعالى لهذه الامة : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك ، فذكر اول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم ذكر من بين ذلك من أولى العزم وهم ابراهيم وموسى وعيسى ..

والدين الذى جاءت به الرسل كلهم هو : « عبادة الله وحده لا شريك له قال تعالى « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ .. » .

دكتور / رءوف شلبى

من علوم القرآن

الجمع الثانى للقرآن الكريم

ظل الأمر على ما رأينا من جمع القرآن فى عهد أبى بكر رضى الله عنه والاحتفاظ بالنسخة التى كتبها زيد بن ثابت لتكون مرجعا لمن يريد أن يتثبت من آيات القرآن وترتيبها فى سورها ، والتى استقرت عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضى الله عنها ، وعندما تولى الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه أمور المسلمين وأبيح لصحابة رسول الله الخروج من المدينة المنورة الى البلاد الجديدة التى دخلها الاسلام حدث أمر جديد ، فقد انتشرت جيوش المسلمين فى بلاد كثيرة ، وفى أرمينية حيث اجتمع كثير من أهل الشام وكثير من أهل العراق لمواجهة أعداء الدعوة الاسلامية تنازع الناس فى قراءة القرآن، وكان حذيفة بن اليمان ، صاحب رسول الله وأمين سره فى أمر المنافقين ، فى جملة من ذهب الى أرمينية ورأى من اختلاف المسلمين حول قراءة القرآن مالم يكن يتوقعه ، يقول ابن حجر العسقلانى فى كتابه : فتح البارى بشرح صحيح البخارى :

« وتنازع أهل الشام وأهل العراق فى القرآن : أهل الشام يقرأون بقراءة أبى بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق ، واذا أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام ، فيكفر بعضهم بعضا »(١) .

ويقول ابن الأثير فى كتابه : الكامل فى التاريخ:

« ورأى حذيفة ناسا من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد ، ورأى أهل البصرة يقولون مثل ذلك وأنهم قرأوا على أبى موسى ..»(٢) .

ولقد أفزع ذلك حذيفة بن اليمان وذهب الى المدينة ولم يدخل بيته حتى أتى عثمان فقال له:

---

(١) فتح البارى : جـ ٩ ص ١٤ (القاهرة ـ المطبعة البهية المصرية ١٣٤٨ هـ)

(٢) الكامل فى التاريخ : جـ ٣ ص ٨٥ ، ٨٦ : (ليدن ١٨٧٤ ـ ١٨٧٦) نقلا عن لبيب السعيد : المصحف المرتل ص ٥٥

للأستاذ الدكتور
أحمد إبراهيم مهنا

يا أمير المؤمنين ، أدرك هــذه الأمة قبــل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى .

وصادف أن عثمان رضى الله عنه كان قــد لاحظ اختلاف الناس فى قراءة القرآن حوله فى المدينة ، ويحكى ابن حجر هذا فيقول :

« كان المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل العلماء يتلقونه فيختلفون حتى كفر بعضــهم بعضــا ، فبلغ ذلك عثمان فتعاظم فى نفسه فقال : أنتم عندى تختلفون ؟ فمن نأى عنى من الأنصار أشد اختلافا »(١) .

فلما جــاء حذيفــة وأبلغ عثمان ما رأى فى أرمينية تحقق ظنه فى ذلك واستشار الصــحابة الذين معه فى المدينة فى أن يجمع الناس عــلى مصحف واحد فلا تكون معه فرقة ولا اختلاف ، فصوبوا رأيه وقالوا : نعم ما رأيت .

وبناء على هذه الموافقة من جماعة المسلمين وأصــحاب الرأى فيهم أرســل عثمــان الى أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها : أن أرسلى الينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ، والصحف التى طلبها هى التى جمعهــا زيد بن ثابت بأمر أبى بكر رضى الله عنه .

وأمر عثمان بتأليف لجنة من أربعة رجال منهم زيد بن ثابت ، ومعــه عبد الله بن الزبــير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ، والثلاثة من قريش وقال لهم : اذا اختلفتم أنتم وزيــد فى شىء من كتابة القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم .

وأتمت اللجنة ما كلفت به فنســخت عــدة مصاحف أمسك عثمان عند نفسه واحدا منهــا وبعث الى كل ناحية من نواحى الدولة الاسلامية بمصحف وأمر بما سوى مصحفه من القرآن أن يحرق وقال : انى قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندى فامحوا ما عندكم .

الفرق بين الجمع الأول والجمع الثانى

وقد عنى العلماء بالمقارنة بين ما قــام به الخليفتان أبو بكر وعثمــان رضى الله عنهما فى جمعهما للقرآن ، فنجد السـيوطى فى كتابه : الاتقان فى علوم القرآن يقول :

« قال ابن التين وغيره :

الفرق بين جمع أبى بكر وجمــع عثمان أن جمع أبى بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شىء بذهاب حملته لا لأنه لم يكن مجمــوعا فى موضع واحد ، فجمعه فى صحائف مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليــه النبى ــ صلى الله

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٩ ص ١٤

عليه وسلم ــ وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف فى وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم الى تخطئة بعض فخشى من تفاقم الأمر فى ذلك فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد مرتبا السور، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم وان كان قد وسع فى قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر فرأى أن الحاجة قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة » •

ثم يقول السيوطى :

« قال القاضى أبو بكر فى الانتصار :

لم يقصد عثمان قصد أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين ، وانما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ والغاء ما ليس كذلك وأخذهم بمصحف واحد لا تقديم فيه ولا تأخير ، ولا تأويل أثبت مع تنزيل ، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتى بعد » •

ثم يقول السيوطى :

« قال الحارث المحاسبى :

المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان ، وليس كذلك ، انما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات ، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى أنزل بها القرآن » (١) •

ومن هذه النصوص الثلاثة التى نقلها السيوطى يتضح لنا أن الجمعين يختلفان باختلاف السبب فى كل منهما ، ويختلفان ــ لذلك ــ فى الهدف الذى رجا كل من الخليفتين أن يحققه :

فالجمع الأول الذى قام به أبو بكر رضى الله عنه كان سببه استشهاد كثير من حملة القرآن فى موقعة اليمامة ، وكان هدف الخليفة منه هو المحافظة على النص الكامل للقرآن مكتوبا خشية أن يذهب شىء منه بذهاب حملته ، ولذلك اكتفى بجمعه مكتوبا ومرتب الآيات فى كل سورة من سوره واحتفظ به عنده دون أن يفرضه على الناس لأنه لم ير حاجة الى ذلك ، وظل الأمر على هذا فى خلافة عمر وبعض من خلافة عثمان رضى الله عن الجميع •

وأما الجمع الثانى الذى قام به الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه فكان سببه اختلاف الناس فى قراءة القرآن وتمسك كل فريق بقراءته الى درجة أن كفر بعضهم بعضا ، وكان الهدف منه هو جمع المسلمين على نص واحد مكتوب باللغة التى نزل القرآن بها وهى

(١) النقول الثلاثة عن السيوطى فى الجزء الاول ص ٦١ ، ٦٢ عن كتابه الاتقان فى علوم القرآن

لغة قريش ، وخاليا من كل ما يخالف نص ماكتب فى حضرة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ـ وكان أساس ماقام به الخليفة الأول ـ محافظة على كتاب الله وقطعا لدابر الفتنة اذا اختلف الناس حوله .

وقد كان اتساع الخلاف فى قراءة القرآن نتيجة لعوامل كثيرة منها :

(أ) اتساع رقعة الاسلام وخفق رايته على كثير من البلاد خارج الجزيرة العربية .

(ب) الاذن للصحابة بالخروج من الجزيرة واستيطان بعضهم فى الأمصار الاسلامية الجديدة بعد أن كان ذلك ممنوعا قبل خلافة عثمان .

(جـ) تتلمذ الناس على هؤلاء الصحابة فى تلقى القرآن ، وكان منهم من له مصاحف خاصة قد تختلف عن بعضها فى ترتيب الآيات ، وقد يكون فى بعضها تفسير بعض النصوص كتبه صاحبه لنفسه ، وقد يظن غيره أنه من كلمات القرآن ، وقد يكون مكتوبا بلغة تخالف لغة قريش فى النطق ، وقد أبيح للناس فى حياة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن يقرأوا بلغاتهم تخفيفا عليهم وتيسيرا لحفظ كتاب الله فى أول عهدهم به .

ومن هنا كان موقف الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه من هذه النسخ والأمر باحراقها وأخذ الناس بالمصحف الذى أجمع عليه كبار الصحابة فى المدينة .

ولقد أحسن عثمان فيما فعل ، ورحم الله الزركشى الذى عبر عن هذا فقال :

« لقد وفق لأمر عظيم ورفع الاختلاف وجمع الكلمة وأراح الأمة »(١) .

وكان ذلك توفيقا من الله وتحقيقا لوعده سبحانه فى قوله الكريم :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »(٢)

هذا العمل العظيم أثار قضية كثر الحديث عنها وانتشر الخلاف حولها ولا يزال الى يوم الناس هذا ، تلك هى قضية الأحرف السبعة التى ورد أن القرآن أنزل بها ، فما هى هذه القضية؟

نزول القرآن على سبعة أحرف

لا خلاف فى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال :

« أنزل القرآن على سبعة أحرف »

ويقول السيوطى فى كتابه « الاتقان فى علوم القرآن » جـ ١ ص ٤٥ :

« ورد حديث « نزل القرآن على سبعة أحرف » من رواية جمع من الصحابة :

أبى بن كعب ، وأنس ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وسلمان ابن صرد ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعمر بن الخطاب ، وعمرو بن أبى سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وهشام ابن حكيم ، وأبى بكرة ، وأبى جهم ، وأبى سعيد الخدرى ، وأبى طلحة الأنصارى ، وأبى هريرة ، وأبى أيوب ، فهؤلاء أحد وعشرون صحابيا » . اهـ .

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى حـ ١ ص ٢٤٠ .

(٢) سورة الحجر الآية رقم ٩ .

والمتتبع لروايات هذا الحديث يجد أن الرسول الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه ، قال هذا ليحسم ما حدث من خلاف بين بعض صحابته حول قراءة بعض آيات القرآن ، فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال :

سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سوره الفرقان فى حياة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكدت أساوره فى الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت :

من أقراك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها؟ قال :

أقرأنيها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقلت :

كذبت فان رسول الله قد أقرأنيها على غير ماقرأت ، فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يارسول الله ، انى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها .

فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : أرسله ، اقرأ ياهشام فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرؤها ،

فقال رسول الله — صلى اللهعليه وسلم — : هكذا أنزلت .

ثم قال النبى — صلى الله عليه وسلم — : اقرأ ياعمر .

فقرأت بقراءتى التى أقرأنى .

فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : هكذا أنزلت .

ثم قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

« ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه .

ورويا فى صحيحيهما كذلك .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال :

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

أقرأنى جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة أحرف .

وروى مسلم فى صحيحه عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال :

كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقلت :

ان هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فأمرهما رسول الله — صلى الله عليه وسلم فقرآ ، فحسن النبى — صلى الله عليه وسلم — شأنهما ، فسقط فى نفسى من التكذيب ولا اذ كنت فى الجاهلية ، فلما رأى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما غشينى ضرب فى صدرى ففضت عرقا وكأنما أنظر الى الله عز وجل فرقا . فقال لى :

يا أبى أرسل الى أن أقرأ على حرف واحد ، فرددت اليه أن هون على أمتى ، فرد الى الثانية أن أقرأ على حرفين ، فرددت اليه آن هون على أمتى ، فرد الى الثالثة أن اقرأه على سبعة أحرف .

وروى مسلم فى صـــحيحه عن أبى بن كعب ـــ كذلك ـــ قال :

ان النبى ـــ صلى الله عليه وسلم كان عنـــد اضاءة بنى غفار(١) فأتاه جبريل عليه السلام فقال :

ان الله يأمرك أن تقرأ أمتـــك القرآن عـــلى حرف • فقال :
أسأل الله معافاته ومغفرته وان أمتى لاتطيق ذلك •

ثم أتاه الثانية فقال :
ان الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن عـــلى حرفين فقال :
أسأل الله معافاته ومغفرته وان أمتى لاتطيق ذلك •

ثم جاء الثالثة فقال :
ان الله يأمرك أن تقرأ أمتـــك القرآن عـــلى ثلاثة أحرف • فقال :
أسأل الله معافاته ومغفرته وان أمتى لاتطيق ذلك •
ثم جاء الرابعة فقال :
ان الله يأمرك أن تقرأ أمتـــك القرآن عـــلى سبعة أحرف ، فأيما حرف قرأوا عليـــه فقـــد أصابوا •

وروى الترمذى عن أبى بن كعب قال :
لقى رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ جبريل عند أحجار المروة قال :
فقال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لجبريل :

انى بعثت الى امة أميـــة ، فيهـــم الشـــيخ الفانى والعجوز الكبـــيرة والغلام والجـــارية ، والرجل الذى لم يقرأ كتابا قط قال :
فمرهم فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف •
يتبع

د • أحمد ابراهيم مهنا

---

(١) اضاءة بنى غفار : مستنقع الماء كالغدير ، وكان بموضع من المدينة المنـــورة ينســـب الى بنى غفار لانهم نزلوا عنده .

الظن
وأنواعه، وثمرته

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا » متفق عليه •

وعن حارثه بن النعمان — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة والحسد وسوء الظن » •

فقال رجل: وما يذهبهن يارسول الله ؟ ممن هن فيه •

قال — صلى الله عليه وسلم — : « اذا حسدت فاستغفر الله • واذا ظننت فلا تحقق • واذا تطيرت فامض » رواه الطبراني •

الظن هو: اعتقاد الأمر الراجح •

والوهم اعتقاد المرجوح •

والشك: اعتقاد متساوي الطرفين •

وقال ثعلب : العرب تجعل الظن علما • وشكا • وكذبا : فاذا قامت براهين العلم فكانت أكبر من براهين الشك فالظن يقين • وان اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك فالظن شك وان زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب : قال تعالى : « إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ » أراد يكذبون وقال السيوطي : الظن أصله للاعتقاد الراجح كقوله تعالى : « إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ » وقد تستعمل بمعنى اليقين كقوله تعالى : « الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ » — البقرة •

وقال الزركشي في البرهان : اذا وجد الظن محمودا مثابا عليه فهو اليقين • واذا وجد مذموما متوعدا عليه بالعقاب فهو الشك •

ثم قال : ان كل ظن يتصل بعده أن الخفيفة فهو شك نحو : « بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا » الفتح •

وكل ظن يتصل به ان المشددة فهو يقين كقوله تعالى : « إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ » وقوله « وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ » والمعنى في ذلك أن المشددة للتأكيد فدخلت على اليقين وأن الخفيفة بخلافها فدخلت في الشك ولهذا دخلت الأولى في العلم نحو قوله تعالى :

للدكتور محمد محمود شعبان

« فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ » سورة محمد

والثانية في الحسبان نحو قوله تعالى : « وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ » المائدة

ولما كان الظن من طبيعة البشر فقد بينت الشريعة أنواعه ليتبع المؤمن الحسن منه ويتجنب السيء الذي يعود عليه بالضرر في الدنيا والآخرة .

فالظن الواجب اتباعه والعمل به واعتقاده هو ظن المؤمن بربه خيرا وأنه تبارك وتعالى واحد أحد لا شريك له في ملكه « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » متصف بصفات الجلال والكمال . « فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ » . « رازق لكل مخلوق » .

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري — رضي الله عنهما — قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل موته بثلاثة أيام يقول : «لايموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»: رواه مسلم

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه قال — قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « يقول الله عز وجل . أنا عند ظن عبدي بي . وأنا معه حين يذكرني»: رواه مسلم .

قيل معناه : أي بالغفران له اذا استغفر .

والقبول اذا تاب . والإجابة اذا دعا . والكفاية إذا طلب الكفاية .

وقيل المراد به الرجاء وتأميل العفو :

وأما قوله«وأنا معه حين يذكرني»فبالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية .

وأيضا الظن الواجب اتباعه والعمل به الايمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه قال تعالى : « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » البقرة .

وقال تعالى : « نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ » آل عمران .

وقال تعالى : « وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا » .

ولما سئل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن الإيمان؟: قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره » رواه مسلم .

وكذلك مما يجب اتباعه الظن فيما لا قاطع فيه من العمليات لأنهم قالوا إن الاحاديث

دلالتها ظنية الثبوت فيجب العمل بما ورد فى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأحاديث الصحيحة .

ومما يجب على المسلم أيضا أن يظن بأصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآل بيته الكرام خيرا قال تعالى : « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ » سورة الفتح .

وقال تعالى : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » التوبة (٢) .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » رواه مسلم .

واما النوع الثانى : فهو الظن المحرم الذى يجب على المسلم الابتعاد عنه واجتنابه وذلك كظن العبد بربه سوءا أو أنه لا اله فى الكون . أو أن له شريكا . أو انه يشبه الحوادث أو أن الله ثالث ثلاثة . أو أن له ولدا .

وكذلك ظن العبد بالرسل : بأنهم كاذبون فى دعواهم أو أنهم فلاسفة أو أنهم غير معصومين أو وصمهم بالسفه والجنون والكهانة .

أو أن القرآن الكريم أساطير الأولين أو أنه قول شاعر أو كاهن أو مفترى أو أنه لا توجد قيامة ولا بعث ولا حشر ولا حساب ولا جنة ولا نار فان ذلك من الظن المحرم الذى يؤدى بصاحبه الى سخط الله وغضبه عليه كما وردت الآيات والأحاديث فى ذلك .

قال تعالى : « وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ » . . . ص

وقال تعالى : « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ » الانبياء .

وأما الرسل الكرام عليهم السلام فقد وصفهم ربهم عز وجل بالصدق والأمانة والعصمة والتبليغ فقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » المائدة .

وقال تعالى : « رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » النساء .

وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام : « قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » الاعراف .

وقال تعالى على لسان هود : « قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ • أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ » الأعراف •

وقال تعالى على لسان موسى : وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ • حَقِيقٌ عَلَى أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِى إِسْرَائِيلَ » الأعراف •

وقال تعالى ما دحا لرسوله محمد — صلى الله عليه وسلم « وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ • مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ • وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ • وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » القلم •

وقال تعالى : « وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » الزمر •

وقد قال تعالى عن القرآن الكريم : « وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِى وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ » الحجر •

وقال تعالى : « إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » يوسف •

وقال تعالى : « وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ • نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ • عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ • بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ » الشعراء •

النوع الثالث الظن الجائز : وهو الظن فى أمور المعاش التى لم يرد فيها نص من القرآن أو السنة لما روى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال للأنصار : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » : وذلك عندما اشار عليهم بعدم تلقيح النخيل فلم تثمر فى عامها هذا فلما كان العام القادم سألوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن ذلك فقال لهم ما تقدم •

وينبغى أيضا أن تحسن ظنك بأخيك المسلم لما رواه ابن ماجة عن عبد الله بن عمر — رضى الله عنهما — قال : رأيت النبى — صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول : « ما أطيبك وأطيب ريحك • ما أعظمك وأعظم حرمتك والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به الا خيرا » •

ولكن هل يحسن المرء الظن بالمسلم اذا أظهر هذا المسلم الفجور والفسوق والعصيان بأن أكل الربا وشرب الخمر وأحل بيعها وسرق أموال الناس أو عمل على ادخال الهم والغم والحزن على أخيه المسلم •

قال الزجاج وغيره : أما أهل الفسق فلنا أن نظن بهم مثل الذى ظهر منهم لقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الشارب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » متفق عليه •

وعن أبى ذر — رضى الله عنه — أنه سمع رسول الله — صلى الله عليه وسلم يقول :

« لا يرمى رجل رجلا بالفسق أو الكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك » رواه البخاري .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه : أنه أتى برجل فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال : « انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء نأخذ به رواه أبو داود باسناد على شرط البخاري ومسلم :

وليس هذا الظن من تتبع عورات المسلمين لأننا نهينا عن تتبع عورات المسلمين .

فقد روى عن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « انك ان اتبعت عورات المسلمين افسدتهم أو كدت أن تفسدهم » رواه أبو داود .

ولنعلم بأن الظن يخطيء ويصيب ويكون مع نور القلب وظلمته وطهارته ونجاسته ولذلك قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا » الحجرات .

وقال عمر - رضي الله عنه - « ولا تظنن بكلمة خرجت من فيك للمؤمن الا خيرا وأنت تجد لها في الخير محملا » .

والظن الحسن له فوائده وثمراته كما أن الظن السيء له عواقبه وآثامه فالظن الحسن : يزيد المؤمن ايمانا وثباتا ويقينا وشجاعة وقوة قال تعالى : « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » آل عمران .

وكما يولد الثبات واليقين يولد : الشجاعة والقوة والاعتماد على الله وبذلك يتأتى النصر من عند الله قال تعالى : « قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ » البقرة .

واذا امتلأ القلب بالشجاعة فان الأعضاء تنقاد له وتعينه لأنها جنود وخدم لملكته .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » متفق عليه .

وأما ثمرته في الآخرة فقد قال تعالى في حق الظانين بربهم خيرا : « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ . إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ . فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ . كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ » الحاقة .

وأما الظن السيء والعياذ بالله فانه : يولد الكفر والجبن والشح ويمده الشيطان بخيله

ورجله حتى يصير هلعا • والهلع شدة الحرص على الشيء والشره به ويتولد منه المنع لبذله والجزع لفقده قال تعالى : « إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا• إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا • وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا • إِلَّا الْمُصَلِّينَ » سورة المعارج •

وفى الآخرة جزاؤه جهنم وبئس القرار قال تعالى : « وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » الفتح •

وقال تعالى : « وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ • وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ » فصلت •

وأما الشح والجبن فإنه يتولد أيضا من سوء الظن ووسوسة النفس بالسوء وبذلك تنتفخ الرئة فتضيق على القلب حتى تزعجه عن مستقره •

ولهذا روى عن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « شر ما فى المرء جبن خالع وشح هالع » رواه أحمد وغيره •

فاذا تزحزح القلب عن مكانه وامتلأ شحا وهلعا ضاع تدبير العقل وبذلك يظهر الفساد على الجوارح كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » متفق عليه •

وعلينا أن نحسن الى الناس وأن نظن بهم خيرا حتى تسود المودة والألفة والمحبة فان كانوا قد تنكبوا طريق الصواب أرشدناهم وان كانوا على هدى قويناهم وهذا هو شأن المؤمن الكامل :لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه البخارى •

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » البخارى •

فاللهم املأ قلوبنا بمحبتك ومحبة رسولك والمؤمنين وانزع من صدورنا الغل والحقد والظن السيء وثبت قلوبنا على الإيمان الكامل وتوفنا مع الأبرار •

د • محمد محمود شعبان

النهي عن التبتل

قال سعد بن ابى وقاص : (رد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) على عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أذن له لاختصينا (١) .

اللغة :

١ ـ التبتل : الانقطاع عن الزواج ، وما يتبعه من الملاذ ، الى العبادة .

٢ ـ اختصى : نزعت خصيتاه ، والخصية : كيس فيه ما يعرف بالبيضة .

البيان

١ ـ حاجة الانسان الى التمتع :

طبعت النفوس على الرغبة فى الاستمتاع بما فى هذه الحياة من مال وبنين ، ومنصب وجاه ، ومخالطة النساء ، قال تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ » .(٢)

٢ ـ حاجة الانسان الى الزواج :

واذا كان هذا متاع الحياة الدنيا ، فخير متاعها الزواج الصالح .

والزواج عبادة يستكمل بها نصف الدين .

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(من رزقه الله امرأة صالحة ، فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله فى الشطر الباقى) (٣) .

وقد اقتضت فطرة الله التى فطر الناس عليها ، أن يكون كل من الذكر والأنثى ، موضع حاجة الآخر ، لهذا . جعل الله الزواج رابطة بين الرجال والنساء .

والغريزة الجنسية من أقوى الغرائز وأعنفها ، وهى تلح على صاحبها فى ايجاد منفذ لها ، فلما لم يكن هناك ما يشبعها ، أو يكبح جماحها ، انتاب الانسان القلق والتوتر ، ونزع الى الشر والفساد وصار مع نفسه فى صراع ، وتطلع الى الحرام .

(١) رواه البخارى .

(٢) سورة آل عمران آية ١٤ .

(٣) رواه الطبرانى والحاكم ، وقال صحيح الاسناد .

الشيخ محمد صابر البردينى

والزواج أحسن وضع طبيعى ، وأنسب مجال حيوى لارواء الغريزة واشباعها ، وأفضل شيء تتكسر به حدة الشهوة الطائشة وترعوى به ثورة النفوس المندفعة ويهدأ البدن من الاضطراب ، فمن قدر على الزواج ، وتاقت نفسه اليه وخشى العنت (١) وخاف الاثم والفجور ، والضرر على نفسه ودينه من العزوبة ، وجب عليه أن يتزوج ، قال — صلى الله عليه وسلم — : « يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة (٢) فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء (٣) .

وقال عمر لأبى الزوائد : انما يمنعك من التزوج عجز أو فجور .

٢ — نهى الرسول عن التبتل :

الزواج ضرورة لا غنى عنها ، وأمر واجب لا سبيل الى الاعراض عنه ، ولا يمنع منه الا العجز أو الفجور .

وقد جاء فى القبس النبوى الذى صدرنا به هذا البيان أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رد على عثمان بن مظعون التبتل ، ثم قال سعد بن أبى وقاص (لو أذن له لاختصينا) أى لو أذن الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالتبتل حتى يفضى بنا الأمر الى الاختصاء لاختصينا » .

والرسول — صلى الله عليه وسلم — يقول : (ليس منا من خصى أو اختصى) (٤) . .

قال الطبرى : (التبتل الذى) أراده عثمان ابن مظعون « تحريم النساء والطيب ، وكل ما يتلذذ به ، فلهذا أنزل الله فى حقه قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » (٥) .

قال (عمر رضى الله عنه) « الرهبانية ليست من الاسلام فى شيء وان الاعراض عن الزواج يفوت على الانسان كثيرا من المنافع والمزايا .

(١) الزنا .
(٢) الجماع وقدرته على مؤنته .
(٣) المراد أن الصوم يقطع الشهوة وشر المنى كما يفعله الوجاء ، وهو رض الخصيتين ودقهما .
(٤) رواه الطبرانى .
(٥) سورة المائدة آية ٨٧ .

النهي عن التبتل

لقد جعل الله الزواج وثاقا يوحد بين قلبي الرجل والمرأة ، ويصل بينهما برباط المحبة والألفة ، ويمزج روحيهما بما تعجز الأحلام عن تحديده والأفهام عن تكييفه ، ومن منافعه ومزاياه :

حفظ النساء من التبذل والتهتك ، فالزوج ينفق على المرأة وهو موطن الأمن لها ، ويهيء لها أسباب الحياة الطيبة ، يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « أعظم الناس حقا على المرأة زوجها » رواه الامام مالك عن عائشة رضي الله عنها والزواج يحفظ الجنس البشري ، وهو طريق التناسل المشروع .

وبغير رابطة الزواج المقدسة يكون الاعتداء ، وانتشار الفساد ، وكثرة الأمراض ، واشتباه الأنساب .

فالزواج يربط بين الزوجين ، ويكثر النسل ، وأحسن وسيلة لانجاب الأولاد ، قال تعالى :

« وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً » (النحل ٧٢) .

٤ — الناس في اختيار الزوجة نظرات :

الزواج متعة الحياة الدنيا وزينتها ، وعليه يقوم بناء الأسرة ، وتكوين المجتمع وخير ما يكتنزه المرء زوجة صالحة .

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ : « يامعاذ ، قلب شاكر ، ولسان ذاكر ، وزوجة صالحة ، تعينك على أمر دنياك ودينك خير ما اكتنزه الناس » (١) .

وقال تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ) (٢) .

فهي شهوة مستلذة ، والمطلوب وضعها في مكانها اللائق والمشروع لاتعداه (ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (٣) وخير متاعها الزوجة الصالحة .

وللناس في اختيار الزوجة نظرات مختلفة ، فمنهم من يجعل قبلته في هذا الاختيار حسب الزوجة ، ليسعد بهذا الحسب ويعز بهذا الجاه ، وكثيرا مايكون هذا الزواج مصدر شقاء الزوج وذله .

ومنهم من يصطفي الزوجة الغنية ليتباهى بغناها ، وينتفع بمالها ويغفل أو يتغافل عما يجره عليه زواجها من أضرار .

ومنهم من يجعل هدفه في اختيار الزوجة جمالها وحسن قوامها ، ليرضي شهوته الجامحة دون هدف الى أمر آخر سواه ، ويغفل عما دون ذلك من خلق ودين ومنبت طيب ، ومثل هذا قصير النظر ، لأن الحياة الزوجية لاتقوم على جمال الزوجة وحده ، فان المرأة الحسناء ، قد تنخدع بجمالها فتتمرد على زوجها — وتميل عن الفضيلة فتضل سواء السبيل ، على أن هذا الجمال كثيرا ما يبدله الزمان والحوادث فيزول

(١) اخرجه البيهقي في الشعب .
(٢) سورة آل عمران آية ١٤ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٤ .

سبب الرغبة ، وينقلب الحب والمودة الى كراهية وبغضاء .

لهذا كله حذر الاسلام الزوج أن يجعل همه عند اختيار الزوجة واحدا من هذه الأغراض الثلاثة فحسب ، بل دعا الى أن يجعل أساس الاختيار مبنيا على ما أوصى به الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو اختيار المرأة المتدينة لأنها أصلح للعشرة ، وأبقى على تقلبات الزمن، وأجلب للسعادة الزوجية ، وأنقى للسمعة ، قال (صلى الله عليه وسلم) :

ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله (عز وجل) خيرا له من زوجة صالحة ان أمرها أطاعته ، وان نظر اليها سرته ، وان أقسم عليها أبرته ، وان غاب عنها حفظته فى نفسها وماله .

والعلاقة بين الزوجين علاقة مودة وسكن ورحمة ، وهذه تدوم لاتبلى كما تبلى مودة غير الزوجين ممن ألفت بينهما الشهوات .

المراوحة بين أعمال الدنيا والآخرة :

على المسلم أن يعمل لدنياه وآخرته فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يراوح بين أعمال الدنيا والآخرة ، فلا تراه مقبلا على عمل من أعمال آخرته كصيام وقيام ، حتى تراه قد انصرف عنه الى عمل آخر ، كمدافعة الخصوم ، واعداد القوت ، والنظر فى مصالح المسلمين العامة ، والعناية بأهل بيته وزوجاته واغاثة الفقراء وذوى الحاجات وعيادة المرضى ، وتفقد الأصدقاء ، الى غير ذلك فهو (صلى الله عليه وسلم) أسوة حسنة للناس فى استخدام جسومهم وعقولهم حتى يبلغوا السعادتين ، سعادة الدنيا ، وسعادة الآخرة ، ولهذا انفرد الاسلام بأنه لم يجعل للجسد سلطة على الروح حتى تفنى فيه ، ويصبح الانسان مادة محضا ، ولا للروح سلطة على الجسد بحيث يفنى فيها ، ويصبح مخلوقا غريبا عن هذا العالم .

واذا تصفحنا التاريخ ، وتأملنا فى أسباب سقوط الأمم ، وعلوها ، وجدنا أن سقوطها لم يكن الا أثرا من آثار اقتصارها على العمل لأمر دنياها وحده ، أو أمر آخرتها وحده ، وأن اعتلاءها ورفعتها ناشىء عن اعتدال الأمرين ، وتوازن الكفتين ، والتمتع بالحسنيين .

يقول الله تعالى (**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**)(١) ويقول سبحانه : (**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً**) (٢) وقال « صلى الله عليه وسلم » .

(ان أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة ، وان أول أهل الجنة دخولا الجنة أهل المعروف) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة . .

وقال (صلى الله عليه وسلم) اعمل عمل امرىء يظن أن لن يموت ابدا ، واحذر حذر امرىء يخشى أن يموت غدا) رواه البيهقى عن ابن عمر .

وفى كلا الحالين لايذهب عن المؤمن ، ولايبعد عن ذهنه أن عليه من الله عينا ترقبه ، وتهيمن عليه وأن أجلا له ينتظره ، وهو قريب الوقوع ، يجد المرء بعده ماقدمت يداه فينبغى على المرء ان يكون فى ذكر من ربه فى جميع أوقاته وأن يكون فى اوقات خلواته من ربه أهيب ، ومع الملأ احسن احتشاما وأوقر ،

---

(١) سورة القصص آية ٧٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٠١ .

دراسة فى عالم الجن

الجن مخلوقات من خلق الله سبحانه وتعالى، لهم نشاطاتهم وحياتهم وقانونهم الذى يناسب طبائع تكوينهم ، وهم مملكة مثل مملكة الانسان ومملكة النبات ، الا أن طبيعة وجودهم تختلف تماما عن طبيعة وجود الانسان ووجود النبات .

والجن مخلوق من نار ، قال تعالى : « وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ » الحجر (١٥/٢٧) اى ومن قبل آدم خلقنا الجان — أى الشياطين ورئيسهم ابليس — من نار السموم ، وهى النار الحارة الشديدة التى تنفذ فى المسام فتقتل بحرها .

قال المفسرون : عنى بالجان هنا « ابليس » أبا الجن ، لأن منه تناسلت الجن فهو أصل لها ، كما أن آدم أصل للانس .

بتصرف من صفوة التفاسير للصابونى (١٤/٧٠٤) والجن يرانا ولا نراه الا اذا أخذ شكلا حيوانيا أو انسانيا آدميا ، وفى هذه الحالة يتحكم فيه قانون المادة الذى استسلم اليه ووقع فى أحبولته ، وصيد فى شركة ، ومن الممكن قتل الجن فى هذه الحالة ، لأنه أصبح محكوما بقانون المادة التى تقبل تجويز قتله وايذائه .

والجن مخاطبون مع الانسان بآيات الله فى تنزيله سبحانه وتعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، فهم مخلوقون للعبادة مثلنا . قال تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » الذاريات (٥١/٥٦) .

والمقصود بقوله تعالى (ليعبدون) هنا : « التوحيد » أى ليوحدونى ، وليس مقصودا بها سائر التكليفات المنوطة بالبشر من بنى آدم فان عبادة الجن هى التوحيد (١) ، ومثل ذلك قوله تعالى : (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) الزخرف (٤٣/٨١) أى الموحدين يراجع القرطبى (١٧/٥٥) والطبرى (٢٧/٢٨) بتصرف فى اللفظ والعبارة .

---

(١) وماذا يمنع من مخاطبتهم ببعض تكاليف البشر كالصلاة ، ضرورة أن السجود يتأتى منهم، وقد خوطب بـه ابليس — فيمن خوطب — بطلب السجود .. ؟ ومن تأتى منه السجود تأتى منه الركوع ... مجلة الازهر .

بقلم : د. السيد الجميلى

والجن مطلوب منهم أن يكونوا موحدين ، فأنهم سيعاقبون على اشراكهم وعدم توحيدهم يوم القيامة بالطريقة التى يريدها الله سبحانه وتعالى لهم والتى لا نعلمها نحن لأنها غيبه عنا ولا أرى مجالا للخوض فيها •

أما المشركون من الجن فقد وجب الاستعاذة بالله منهم لأنهم أشرار مضلون مضللون ، وهم يدبرون عند قراءة القرآن ، قال تعالى :

« وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا » الاسراء (١٧/٤٦) •

وفرارهم من ذكر الله كما ساقت الآية الشريفة انما هو فرارهم من توحيده سبحانه وتعالى • راجع الصابونى (١٥/٧٥٧)

والجن يشاركوننا معيشتنا اليومية فى المطعم والمشرب ومختلف أنشطتنا ، ولذلك كنا مأمورين بالتعوذ منهم فى كل حركات جوارحنا وسكناتها قال تعالى : (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) النحل (١٦ / ٩٨) •

وليس غريبا أن يحضر الشيطان عند البناء بالزوجة ، وحال اتيانها فى أى وقت • على أن فى الشريعة الغراء الحصانة من ذلك •

روى البخارى فى باب بدء الخلق لسنده قال قال رسول الله — صلى عليه وسلم : أما ان أحدكم — اذا أتى أهله — قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فرزقا بولد لم يضره الشيطان •

والحديث مذكور فى صحيح البخارى فى أكثر من باب ، وهو يعنى أن أذاه مكفوف اذا قيلت تلك الكلمات :

والشيطان - إذا أراد الله - يستطيع أن يشقى الإنسان بخبطات مسه فينجم عنها - إذا أراد الله سبحانه - الهستريا Hysteria والصرع Epilepsy وجملة من الأمراض النفسية Psyehological Diseases أهمها الإكتئاب النفسى Psyehic Depression والقلق العصابى Anxiety Neurosis

قال تعالى : « الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ » البقرة (٢/٢٧٥) •

والمس هنا هو الجنون ، يقال رجل ممسوس أى مصاب بالجن ، فناله الجنون •

والامام القرطبى — رضى الله عنه — فى تفسيره لقوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ

طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ(١)

ساق وجهين للمس : أحدهما حقيقى • راجع تفسير الآية •

ومصيبة الانسان أنه سرعان ما يستجيب لمس الشيطان ، وفى مقدوره ألا يستسلم اليه ، لأن مقاومة الانسان ويقينه أقوى من مكر الشيطان ، والمولى — جل جلاله — يحكى — فى الكتاب العزيز — قوله : « وَمَاكَانَ لِى عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوا أَنفُسَكُم » ابراهيم (١٤/٢٢) وقوله هذا ما يسميه المفسرون « خطبة الشيطان البتراء » التى يخطب بها ابليس فى محفل الأشقياء وأسلاب الهالكين فى جهنم ، وقال المفسرون : ان هذه الخطبة انما تكون اذا استقر أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار ، فيأخذ أهل النار فى لوم ابليس وتثريبه فيقوم فيما بينهم خطيبا بما أخبر عنه القرآن الكريم •

ومن الفخر الرازى فى تفسيره الكبير (١٩/١١٠) •

وقال الامام الحسن رضى الله عنه : انما يقف ابليس بين الخلائق يوم القيامة على منبر من نار يسمعه الخلق أجمعين • تفسير القرطبى (٩/٣٥٦) بتصرف • ويما يمارسه الشيطان وما يتنكبه من طريق وعرة فى النفاذ الى ضمائر الناس انما هو كيده وقد حكم الله عليه بالضعف مهما كان من أمره ، فقد وصف كيد النساء بأنه عظيم ، « قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ » يوسف (١٢/٢٨) •

ووصف كيد الشيطان بالضعف لأنك تستطيع الافلات منه بالتعوذ من شروره ، وبالاحتماء بجنب الله سبحانه وتعالى قال عز من قائل : « إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا » النساء (٤/٧٦) ، وقد شرح الامام الزمخشرى هذا المعنى شرحا جميلا فى كشافه (١/٤١٤) حيث قال رضى الله عنه : « كيد الشيطان للمؤمنين الى جانب كيد الله للكافرين أضعف شىء وأوهنه » أ هـ •

ولا يستطيع الشيطان أن يكيد معصوما من الله سبحانه وتعالى ، انما مكيدته للبشر أيضا مقيدة الأحوال والدرجات بقدر الله سبحانه وتعالى ، ومحال أن يتعدى مخلوق وقدر الخالق ومحظور أن يقتنع مسلم موحد أو يدين بغير هـذا •

ومن الغريب أن تظهر فجأة بعض الآراء الناشزة تنكر وجود الجن رغم ما ورد فيهم وعنهم من النصوص القرآنية القاطعة التى لا يمكن صرف ظاهرها الى سواه حيث لا مقتضى لذلك التأويل الذى يتحرج منه أهل التقى والعلم والفضل •

وحسبنا دليلا وجود سورة للجن كاملة فى

---

(١) الاعراف — ٢٠١ •

القــرآن الكريم تصف أحوالهم ، وعقيدتهم ، وتزاحمهم واستباقهم لسماع كلمــات التوحيد وفى حين أشرك كثير من الناس بربهم ســيما أصحاب الديانات التى أصــاب كتبها التحريف وفى حين تغشى بين النــاس خطـــل الفهم والازورار عن طريق الاستقامة ، وسوء المنهاج نرى الجن يبلغون قمة العظمة فى الفهم والوعى والادراك •

وأنه تعــالى ـ جد ربنا : ـ « **مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا** » الجن (٣/٧٢) •

وهنا قمة التوحيد وتنزيه الحق تبارك وتعالى عن النقائص ، لأن اتخــاذ الزوجــة لا يكون الا لحــاجة الى اســتفراغ الشـــهوة والى الاستئناس ، والولد انما هو مطلوب نفسى ومن غيره يكون ثمة شعور بالنقص أيضـــا والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا •

وفى قوله تعالى « جد ربنا » أى جــلال ربنا ، وفسرها قتادة بمعنى عظمــة ربنــا •

القرطبى (٨/١٩) والبحر المحيط (٣٤٧/٨) والدر المنثــور (٢٧١/٦) ونيــل الأوطــار (٢٩٥/٥) •

وتأولها أبو عبيدة الى معنى ملكه وســلطانه كما فى الجامع لأحكام القرآن (٨/١٩) والبحر المحيط لأبى حيان (٣٤٤/٨) والزمخشرى فى كشافه (٤٩٣/٢) بتصرف •

ويصل التوحيد عند الجن المؤمن ذروته فى قولهم رضى الله عنهم : « **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** » (١٨/٧٢) والمصدر الميمى فى (المساجد) مقصود به السجود لله سبحانه وتعالى وهو جمع « مسجد » كما يقال سجدت سجودا ومسجدا •

يراجــع شرح هــذا المعنى فى القــرطبى (٢٠/١٩) والبحر المحيط (٣٥٢/٨) •

ومن ثم ، فان مقــولة أن « الجــن » غير موجودين اعتمادا على المعنى اللغوى لكلمــة الجن الذى يقول : الجن هو كل ما لطف ودق جرمه وحجمه ، وتعدى مجال ، الرؤية بالعين فان التعريف اللغوى لا ينفى حقيقة غيبية أخبر بها القرآن الكريم ، وورودها فى الســمعيات مقطوع به وان كان التعريف اللغوى صــادق فعلا على بعض مخلوقــات اللـــه التى لطفت ودقت ، فانه لا ينفى أخبارا راسخة لا ينكرها الا متــأول كاشـــح مبغض للمنطق والفهم الصـــحيح •

وتجويز غير ذلك اقحام النفس الى هلكة لا يعلم مداها الا الله • نسال الله أن يتوفانا على مثل البيضاء ملة رســوله صلى الله عليه وسلم وأن يجمعنا بالصــالحين والأحبــة فى عرصات القيامة ، وأن يتفضل علينا بالنظر الى وجهه الكريم فى دار الكرامة ، انه على كل خير وفضل مستعان •

قضية الانتماء

فى ضوء التشريع الإسلامى

أود فى هذه الدراسة ان اطرق مع القارىء موضوعا استشعر مدى الحاجة الى معالجته على ضوء التشريع الاسلامى ، بعد ان بدأت بعض الكتابات الملتوية عنه تأخذ طريقها الى احدى القنوات الاعلامية ، بطريقة مشوبة بالتمويه ، وأسلوب ممتزج بالتعمية ، فى محاولة لاستدراج القارىء نحو متاهات جدلية ، وافتراضات فلسفية ، أقرب الى العقم منها الى الخصوبة .

وكل تلك المحاولات مجتمعة تحول بين القارىء وادراك الحقيقة فى الموضوع ، فلا يلبث ان يفقد عقله توازنه ، ويختل ميزان تفكيره ولا يستطيع ان يصل فى مثل تلك الحالات الى هدف واضح ، حتى يفاجأ بعد ذلك انه مأخوذ خلسة : الى منعطف فكره يقوده الى طريق بعيد عن طريق الله ، ويأخذ بيده الى منهاج غير منهاج الحق ، تحت ستار الفكر ، وغبار الفلسفة ، لتكون المحصلة النهائية من وراء ذلك ، والغاية المرجوة منه ، هى زعزعة الايمان فى القلب واهتزاز مبادىء الاسلام فى النفس ، وزلزلة القيم الاسلامية فى أخطر مظاهرها التى يعتز بها المسلم ، وهى كونه مسلما ، ينتمى الى الاسلام وينتسب اليه ، وأنه من خلال هذا النسب الشريف ، والانتماء الاصيل ، يعتز بكيانه ، ويشعر بقيمته ، ويحس انه موصول فيه باشقاء له فى الايمان ، ومرتبط به مع اخوة له فى الاسلام ، تأتلف قلوبهم بعقيدته وتتحد أفئدتهم بمبادئه ، وتعتصم حياتهم فيه بحبل الله ، والمسلم فى اطار تلك الرابطة الكريمة ، وفى ظل الانتماء يقدر خطورة المسئولية الملقاة على عاتقه تجاه اخوته الايمانية هذه ، وما يفرضه عليه ذلك الانتماء من عمل مثمر من أجل النفس والجماعة ، وعطاء صادق يبذله المسلم من منطلق الوفاء المفروض عليه لها ، وصدق الله العظيم حين يرشدنا الى مثل تلك المعانى السامية بقوله : « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** » (١) .

---

(١) سورة الحجرات ـ آية ١٠ .

بقلم الدكتور
عبد الله مبروك النجار

مدخل الاصلاح للفرد والجماعة :

وعلى هذا النحو يكون الانتماء للاسلام معنى ، وهذا المعنى هو الذى يستحث فى المسلم كل أسباب العطاء لأمته ، وكان كذلك منهاجا لغاية ، ووسيلة لهدف، وكل من المنهج والغاية فيه ، يؤكدان حقيقته ، ويحبذان معناه ، ويجعلان كل فكرة بديلة عنه ، ضئيلة أمامه ، اذ هو المدخل لكل اصلاح فردى ، وتقدم اجتماعي ولست أتصور وأمره كذلك ان تكون هناك قيمة فكرية يمكن ان تعوض فيه بعضا من هذه المعانى المتعددة والمتدفقة ، لا فى طبيعتها ، ولا فى النتائج التى توصل اليها ، ومن ثم كان كل تصور يعطى لغير الانتماء للاسلام فى الأولوية ، ما ينبغى ان يكون للاسلام ، يعد من قبيل التصور الباطل ، والرأى غير المستقيم ، فضلا عما ينطوى عليه من خطر يوصل حتما الى الضرر ، ووجه البطلان فى ذلك الاعتبار يتمثل فى تقديمه المهم على ما هو أهم ، وتفضيله لأمر على ما هو أكثر منه فضلا ، ولا يخفى ما يكشف عنه ذلك المنظر من ظلم واضح ، أما ذلك الخطر الذى يؤدى بالضرورة الى احداث الضرر ، فهو يأتى كثمرة لمثل ذلك الاتجاه غير العادل ، حين يكون المستهدف منه هى قيم الايمان ومبادىء الاسلام ، حتى ولو استدرج القارىء له استدراجا باسم الوطنية تارة ، أو القومية تارة أخرى ، وفى موضوعنا ، فان الاختلال فى الحكم على الامور ، يؤدى الى اهتزاز القيم الانسانية ، واحباط الكثير من جوانب الخير والعطاء والوفاء فى الانسان •

المعيار المقبول لتقدير الآراء :

وفى نظرنا أن قدرا غير قليل من عوامل ادراك جانب الحق فى تلك القضية ، يتمثل فى تجريد المعيار الذى يساعد العقل على تصور ماهيتها ، وادراك كنهها ، وكلما كان ذلك المعيار ثابتا ، وواضحا ، ومستقرا ، كان بمثابة المقدمة الصحيحة للنتيجة ، وصح حينئذ أن يكون أساسا لمعرفة القول الصحيح ، ومنطلقا لتمييز الراجح عن المرجوح •

والانسان كائن متميز ، حباه الله العقل ، ومن عليه بنعمة التفكير ، ومن ثم كان تواقا لمعرفة المجهول ، وكان لذلك فى تدبر دائم ، ونظر مستمر ، فالفكر هو مرآة الحياة مافى ذلك شك ، وهو حين يعمل ملكات عقله التى أودعها الله فيه ، ويباشر مهمة الفكر التى حباه الله بها ، قد يسلك واحدا من طريقين :

أولهما فى الترتيب وليس فى المرتبة :

يتمثل فى تجاهل معالم الهدى المعروفة ، والتنكر لمصادر النور المعهودة ، والاقتصار على عمل العقل المجرد ، بعيدا عن الاستفادة بالعلم الثابت ، والتجارب المستقرة ، وفى منأى عن الاعتبار والاستنارة ، وهذا ما يمكن أن يعبر عنه بالعقلية الذاتية المجردة ، وهى تتسم بنوع من الانغلاق الذى يقف بصاحبها عند الحدود الدنيا من التفكير ، دون ادراك لما هو كائن فى حياة الناس ، أو تصور لما ينبغى أن يكون على ضوء المبادىء المستقرة والقواعد الثابتة فى ميادين الحق والخير والجمال ، وفى مجالات العلوم والمعارف والتشريع ، ولا يمكن لصاحب مثل هذه العقلية أن يصل الى كل جوانب الصواب أو يدرك جميع وجوه الحق ، اذا العقل المجرد لا يمكن أ نيصل بالانسان الى ادراك كل جوانب الحقيقة فى الأمور ، لضعف ادراكه ، وقصور خبرته ، ووقوع صاحبه اسير العديد من الاوهام ، اذا أفلت من الوقوع فى براثن الغرور ، ولا يمنع ذلك الاعتبار من وجود بعض الافراد ممن يتمتعون بنوع من الشفافية العقلية حيث يستطيعون من خلالها ، أن يدركوا كثيرا من جوانب الحق ، أو ما يدخل فى دائرة التحسين والتقبيح العقليين ، الا أن وجودهم مع ذلك يعد بعضا قليلا من كل كثير ، واستثناء محدودا من قاعدة كلية ، أى أنهم يمثلون ظاهرة نادرة ، والنادر لا حكم له ، كما أن ما قد يصلون الى ادراكه من حق ، لا يربطه رابط يهدى له ، ولا تضبطه قاعدة توصل اليه ، فيبقى مجرد أمر ذوقى، وتجربة شخصية ، ومن مظاهر رحمة الله بالانسان ، انه قد قدر فيه مثل هذا الضعف ، ولم يشأ أن يترك العقل وحيدا فى جهاده للوصول الى الحق ، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، لترشيد عمل العقل فى الحياة ، ومساعدته للوقوف على جوانب الخير فى التشريع ، ليدرك عن الله ، ويفهم ما أراده منه على لسان أنبيائه ورسله ، وجعل التكليف منوطا بوجود العقل ، فاذا أخذ ما وهب فقد رفع ما أوجب ، وجعل العقاب مشروطا بالعلم المكتسب من ارسال الرسل ، فقال تعالى : **« وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا » (١) .**

أما ثاني هذين الطريقين :

(١) سورة الاسراء ــ آية ١٥ .

فانه يتمثل فى استقامة عمل العقل حين يدرك حدوده ، ويعلم كنه مهمته ، فلا يتدنى الى حضيض الأوهام والترهات ، ولا يترفع عن مصادر النور والعرفان ، وانما يسترشد فى محاولته الوصول الى الحق بما يتاح له من نور المعرفة التى تبدد ظلمات جهله ، وتأخذ بيده على طريق الهدى والرشاد ، مع الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، ونظرا لما يكفله هذا الطريق من ضوابط ، يتأكد معها الوصول الى الحق ، حين يأخذ العقل عن الله لا أن يتطاول عليه ، ويهتدى بنور دينه لا أن يشرع له ، وتلك هى حدود المهمة المستقيمة للعقل ، والرسالة القويمة للفكر ، وكان الرأى الذى يجىء من خلال هذا الطريق محصنا من طوارىء الضعف ، وبعيدا عن عوامل الوهن ، ويكون وأمره كذلك جريا بالاطمئنان له والثقة فيه ، ويبعد عنه شوائب الأوهام ونزعات الهوى ، ومن ثم تكون الاستقامة على منوال هذا الطريق امرا ظاهر الصواب ، وقد دعا الشارع اليه ، وبين ان الالتزام به من شأن المؤمنين والمؤمنات فى طريقهم الى الحق ، وتوجههم نحو الحقيقة :

قال تعالى : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » (٢) .

وعلى هذا النحو فالمؤمن الحق لا يقطع بنظره فى رأى ، ولا ينتهى بعقله فى قول الا اذا عرض ما يفكر فيه ، ومايريد أن يصل اليه ، على كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – ، وما تفرع عن هذين المصدرين الرئيسيين من مصادر أخرى نقلية وعقلية تؤدى الى معرفة حكم الله فى المسائل المختلفة ، فاذا ما توافق الشرع مع النقل كان العمل بحكم المسألة أولى وأرجح ، واذا ما اختلف منهج العقل مع ما قرره الشرع كان ما قرره الشرع هو الواجب الاتباع ، ولا يكون لما انتهى اليه عمل العقل فى تلك الحالة أى أثر من ناحية العمل به ، وذلك هو الأجدى والأصلح ، ومما يدل على جدواه وصلاحيته عمليا .

اننا فى مجال البحث العلمى لا نستطيع ان نبدأ بحث مسألة أو الكتابة فى موضوع ، الا اذا عدنا الى ما سبق تقريره فيهما من أقوال، وما يتصل بهما من كتابات ، وإن لم نفعل ذلك لكان بحثنا مجرد تحصيل حاصل ، وتكرار عقيم ، فضلا عما ينطوى عليه ذلك من افتيات على صاحب الرأى الأول ، وتجاهل لفضل أسبقيته فى الوصول اليه ، اذ الفضل فى مجال أبواب الخير للاسبق دائما ، واذا كان مثل ذلك غير مستقيم فى الأمور العادية لعدم جدواه ، وهى لا يترتب على مخالفتها محظور شرعى ، فلان يكون غير مستقيم فى الأمور الشرعية حين يفكر البعض بعيدا عن مصادر التشريع الاسلامى ، وذلك من باب أولى .

الاحتكام الى مصادر التشريع :

واذا ما أردنا أن نلخص هذين المسلكين لقلنا : ان الانسان وهو بصدد البحث عن

---

(٢) سورة الاحزاب – آية ٣٦ .

حلول لمواجهة ما يعترض حياته من عقبات ، وما يصادفه من مشاكل ، قد يسلك واحدا من طريقين .

أولهما : طريق العقل المجرد ، وهو طريق قاصر ، مشوب بالاوهام والعيوب لا يستطيع ان يعطى صاحبه اجابة شافية فى كثير من مواقف الحياة ، وأمرها بالنسبة للانسان قائم على معنى التعبد الذى هو فى كثير من مواطنه غير معقول المعنى ، ومن ثم وجب عدم الاقتصار عليه ، ليرجع الانسان الى أحكام التشريع وهى عامة وشاملة ، ليجد فيها لأفعاله كل ما يريد من أحكام .

واما الطريق الثانى ، فهو طريق العقل الممتثل لاحكام الشرع ، وهو أقوم السبل ، وأحسنها على الاطلاق ، فاذا ما عنت للباحث عن الحكم فى الأمور مسألة ، أيلجأ فى حلها الى المعقول المجرد ، أم الى المنقول المقطوع به ، الموثوق بدلالته ؟ .

لا شك أن اتباع المنقول واجب ، لأن المنقول أصل ، وما عداه فرع ، والأصل واجب الاتباع ، فاذا لم يوجد نقل صريح فليكن بالاعتبار والاجتهاد ، وعندئذ فلن تخلو قضية من حكم ، ولن تفلت مسألة عن حل ، وفى ظل الفهم عن الله والاعتبار بالحاق النظير بنظيره والشبيه بشبيهه ، فى الامور المنصوص عليها نقلا ، سيباشر العقل ملكاته ، ويشبع عند الانسان غريزة الفكر ، وكشف أسرار المجهول ، وبهذا يعيش متعة الهداية العقلية فى أجلى صورها وأحلى معانيها .

تخريج ما كتب على هذا الأصل :

وحين نتأمل الافكار التى قيلت فى موضوع الانتماء ، فان ابرز ما ينبغى ذكره ، ذلك الموضوع الذى كتبه الدكتور زكى نجيب محمود ، فى جريدة الاهرام ، بعنوان « حول مشكلة الانتماء » ، حيث يقول : « ماهى المعانى الكبرى التى يجيب بها المصرى من أنت ؟ .

وعند هذه النقطة يبدأ الاشكال ، فأول الاجابة بديهى وسهل ، لكن تأتى الصعوبة التى كثيرا ما يثور حولها الخلاف ، عندما نريد أن نمتد بعد تلك الخطوة الأولى ، بضع خطوات ، فأنا اقرر عن نفسي — انا كاتب هذه السطور — اننى لم أتردد منذ الوهلة الأولى فى أن أرتب خطوات الانتماء بعد مصريتى ، بذكر عروبتى فاسلامى بحيث أقول : أنا مصرى عربى مسلم ، وذلك على الاقل ترتيب يمليه المنطق ، اذ هو يسير من الخاص الى العام ، فمصر جزء من الوطن العربى ، وهذا الوطن جزء من مجموعة أوطان يدين معظم أهلها بالاسلام ، وأذكر أننى اوردت هذه الوحدات الثلاث مرتبة هذا الترتيب فى سياق شىء مما كتبته ، فجاءنى خطاب من قارىء ليصحح لى خطأ هذا الترتيب ، قائلا : إن الاسلام يأتى أولا فى تعريف المسلم لنفسه ، ثم يأتى بعد ذلك ماشاء

مــن صفات (١) ، ثم يقول : الوضع الطبيعى فى البنـاء الاجتماعى السليم ، هو أن تجىء مشاركة المـواطنين فى وطنهم بالواجبـات وبالحقـوق ، أسبق مـن مشاركتهم فى الدين (٢) ، ويستطرد قائلا : اسبقية الـولاء الوطنى على الشعور الدينى أمر لا جـديد فيه ، فوقائع التاريخ تقدم الينا ما شئنا مـن امثلة ، وأبدأ بمثلين : أحدهما مأخوذ من الحياة السياسية والثانى مأخوذ من الحياة العلمية ، وكلاهما من التاريخ الاسلامى حيث لم يكن مضى أكثر من قر نواحد بعد ظهور الاسلام •

أما أول المثلين ؛ فهو عن المشكلة التى ثارت فى القرن الثانى الهجرى ، واطلق عليها اسم الشعوبية ، وهى تعنى أن كلا من الشـعبين العربى والفارسى ، برغم انهما كانا يعيشـان معا تحت مظلة الاسلام قد اخذ يفـاخر الآخر بمزايا قومه على القوم الآخرين ، وقد جاوزت المفاخرة ذلك ، لتصبح تدبيرا وتخطيطا للوقيعة بالخصوم •

واما المثل الثانى المأخوذ من الحياة العلمية فهو ان علماء اللغة ، حين انكبوا على دراسـة اللغة العربية دراسـة مستفيضـة وعميقـة باعتبـارها الخطـوة الضرورية الأولى لفهم القرآن الكريم فهما مؤسسا وموثقا ، رأينـا هؤلاء العلماء وقد انقسموا مدرستين مختلفتين فى وجهة النظر ، احداهما كانت فى البصرة ومن أبرز أعضائها سيبويه الفارسى الأصل •

واما الثانية : فكانت فى الكوفة وكان رجالها عربا خلصا ، فعلى الرغم مـن أن موضـوع الدراسة علمى بحت الا أن الروح القوميـة تسللت الى عملهم من حيث يشـعرون أولا يشعرون (٣) ثم يقول « وانظر الى العـالم الاسلامى فى يومنا هذا ، تجد روح الاخـوة والمساندة قائمة بين شعب مسلم ، وشـعب مسلم آخر لكن الشـعبين لا يترددان فى أن يخوضا أهوال الحـرب احدهما ضد الآخـر اذا اقتضت سلامة أوطانه أن تنشب الحرب •

فايران والعراق شعبان مسلمان •

والمغرب وأهل الصحراء الغربية ، شـعبان مسلمان •

وباكستان وبنجلاديش شعبان مسلمان لكن حدث فى تلك الحالات كلها ، ما ظنه أبنـاء الشعبين المتخاصمين ، خطرا على سلامة الوطن فأصبحت الأولوية امرا مقطوعـا بـه ، بين الانتماء للوطن ، والانتماء للدين المشترك ، على أن أولوية المشاركة فى الوطن على المشاركة فى الدين ، وهى أولوية تكـون خـافية فى وقت المصـالحة ، ثم تظهـر اذا ظهـرت دواعى المخاصمة ، والدولة هى التى تحمى للوطـن الواحد وحدته ، فاذا انهارت اركان الدولة فى وطن ما ، أو ضعفت ضعفا يدنو من الانهيار ، فالأغلب أن تطفو الانقسامات الدينية •

وان لبنان فى حربه الأهلية الراهنة لخير مثل على ذلك (١) » ثم يوجز كل ذلك فيقول :

---

(١) الدكتور زكى نجيب محمود ـ حول مشكلة الانتماء ـ جريدة الاهرام ـ العـدد ٣٦١٦٨ ـ الصادر فى ١٧ /١٢/١٩٨٥ ص ١٣ •

(٢) المرجع والمكان السابقين ـ عمود ٤ •
(٣) المرجع والمكان السابقين •
(١) المرجع والمكان السابقين •

انه فى الحالة السوية للبناء الاجتماعى يكون هناك مبثوثا فى صلب الحياة نفسها ، عدة انتماءات للفرد الواحد ، منها انتماؤه لمصريته، ومنها انتماؤه لعقيدته الدينية وعندئذ لاتظهر فكرة الأولويات بين تلك الانتماءات ، لانه لا يكون ثمة داع لظهورها ، لكن ذلك البناء الاجتماعى نفسه ، قد يصيبه خلل ما ، مما يستدعى أن تنشأ المشكلة بأى الولاءين يبدأ المواطن ، اذا ماجاء الموقف الذى يضطره الى اختيار ، وهنا أقول : أن الاولوية يجب أن تكون للانتماء القومى (٢) •

عمل عقلى جانب الصواب :

كان ما سبق تلخيصا أمينا لمضمون فكرة الرجل حول القضية ، آثرت أن أنقله امام القارىء بعبارته ، ليشاركنى تدبر تلك العبارات ويقف معى من خلالها على مواطن الخلل والقصور اللذين انتابا طريقة الرجل فى علاج المشكلة ، فجاء حله لها خاطئا الى حد كبير •

وأول ما يثور بالنسبة لطريقة البحث التى نوهنا عنها ان نحتكم الى المعيار الصحيح الذى ارتأيناه ، والذى سبقت الاشارة اليه ، لنرى فى أى الطريقين يسير هذا الرجل ؟ ، وننظر الكيفية التى جاءت من خلالها أفكاره ، ويبدو للقارىء منذ أول وهلة ، أنه سلك الطريق الأول ، وكان هذا المسلك أول أخطاء المفكر الكبير ، وماكنا ننتظر منه ، وهو أستاذ له قدره وخبرته ، أن يتجاهل أبسط مسلمات البحث العلمى ، فيغض الطرف عن كثير من المصادر التى لو فكر لحظة فى الرجوع اليها ، لكان من المؤكد أنه لابد أن ينتهى الى عكس ما انتهى اليه تماما ، ولغير كثيرا من النتائج التى قررها ، وأنا واثق انه لم يكن ليقبل مثل هذا التصرف من أحد تلامذته ، فأنا لا أتصور أن يجيىء اليه طالب ببحث فى موضوع ، غير مدعم بالمراجع ، ثم يقبله منه ، مهما أوتى الطالب من مقومات العبقرية والنبوغ ، فتلك قواعد البحث لابد أن يرجع الباحث الى ما قيل فى موضوع بحثه ، اذا أراد أن يصل الى الحق، حتى لا يكرر ما ردده غيره أو يتناقض مع الحقائق الثابتة أو ينسب الباحث لنفسه كشفا سبقه غيره اليه •

وقد وقع المفكر الكبير للأسف فى هذا المأزق حيث سلك طريق التفكير الذاتى المجرد ، فوقف بأفكاره عند الحدود الدنيا للتصور الصحيح للموضوع وجاءت النتائج التى انتهى اليها مخالفة لكتاب الله تعالى ، وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — ولما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وكانت البداية المعهودة لسلسلة من الأفكار الخاطئة التى قررها الكاتب فى مقاله المشار اليه والتى سنقوم ببيان اوجه الخطا العلمى فيها ، ومناحى القصور الفكرى الذى انتابها ، وذلك فى مقالنا القادم باذن الله والله المستعان •

يتبع

دكتور عبد الله مبروك النجار

(٢) المرجع والمكان السابقين

تطبيق مبادئ العسكرية الاسلامية
فى الجيوش الإسلامية

للواء - أ - ح
محمد جمال الدين محفوظ

*** تناولنا فى مقال سابق توصيات المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية المطهرة الذى عقد بالدوحة فى دولة قطر فى المحرم عام ١٤٠٠ هـ ، وتوصيات المؤتمر العالمى الذى عقد فى لندن فى ربيع الأول عام ١٣٩٩ حول موضوع « الدفاع والعالم الاسلامى » ، وأوضحنا أن توصيات المؤتمرين نصت على اعتماد العقيدة العسكرية الاسلامية — دون غيرها — فى الجيوش الاسلامية وتطبيق أصولها فى التدريب والتعليم والسلوك العسكرى .**

* ولكى يمكن أن تتخذ هذه التوصيات طريقها الى التنفيذ فقد عرضنا منهجا مقترحا لدراسة العسكرية الاسلامية والتاريخ الحربى الاسلامى ذكرنا فيه رءوس الموضوعات التى نرى أن تتضمنها مناهج الدراسة فى المعاهد والكليات العسكرية للدول الاسلامية ، على أن تكون الدراسة ممتدة على المستويات الثلاث البكالوريوس والماجستير والدكتوراة بحيث ينتقل الدارسون تدريجيا الى مستوى البحث فى مجالات العسكرية الاسلامية.

* بذلك يمكن أن يكون ما قدمناه أساسا للدراسات النظرية (والأكاديمية) للعسكرية الاسلامية والتاريخ الحربى الاسلامى ، فيكون من الطبيعى أن نتناول بعد ذلك الجانب العملى والذى ورد أيضا فى توصيات المؤتمرين وهو « تطبيق » مبادىء العسكرية الاسلامية فى التدريب والتعليم والسلوك العسكرى وهو موضوع هذا المقال .

ولا يتسع المقام بطبيعة الحال لتناول الموضوع بالتفصيل ، لأن التطبيق العملى ينسحب على كل أنشطة الجيش ابتداء من مرحلة التعليم الأساسى للمواطن الذى ينخرط فى سلك الجندية الى ادارة الصراع على أعلى مستوى :

أولا : مثال للتطبيق فى التعليم الأساسى للجنود والضباط

* يتم غرس وتنمية التقاليد العسكرية كالنظام والطاعة والانضباط على أساس النظرية الاسلامية التى تقوم على الأركان التالية :

(ا) الحرية والكرامة الانسانية .
(ب) تنمية الضمير الدينى .
(جـ) تقدير المسئولية والاخلاص فى العمل.
(د) التدريب العملى على الانضباط .
(هـ) ربط التقاليد العسكرية بتعاليم الاسلام .

* بهذا المنهج الاسلامى يفهم الفرد أن الطاعة ليست خضوعا للسلطة ولكنها ضرورة اجتماعية لصالح الجماعة الاسلامية ، وأن طاعة القائد أمر يدعو اليه الدين ، ووسيلة الى مرضاة الله ، فيصبح مطيعا عن عقيدة واقتناع

ثانيا : بناء المقاتل العقيدى :

* تصدر قيادات الجيوش فى الدول الاسلامية قرارا بما يلى :

(ا) أن تكون العقيدة القتالية للجيش هى : « الجهاد فى سبيل الله » .
(ب) أن يكون شعار المقاتلين هو : « النصر أو الشهادة » .
(جـ) أن تكون صيحة القتال هى : « الله أكبر » .

* ولكى تدخل هذه القرارات فى حياة الجيوش الواقعية ينبغى أن تصدر بشأنها تعليمات تنفيذية كما يلى على سبيل المثال :ـ

١ ـ تعديل صيغة « يمين الولاء » الذى يؤديه خريجو الكليات العسكرية وصيغة « تولى القيادة » و « تسلم السلاح » وما يشبهها بحيث تتضمن ذكر العقيدة القتالية وشعار المقاتلين وذلك بأن يختتم اليمين بقول : « الجهاد فى سبيل الله : عقيدتنا ، والنصر أو الشهادة : شعارنا » .

٢ ـ تكون المهمة الرئيسية لأجهزة التوجيه المعنوى فى الجيوش غرس عقيدة الجهاد فى قلوب الرجال وشرح مفاهيمها وربط التقاليد العسكرية ومختلف أوجه النشاط العسكرى فى السلم والحرب بها حتى يصبح الرجال « عَقَدِيِّين » ، فيقبلون على التدريب وأداء الواجبات بكل اخلاص وحماسة.

٣ ـ تصدر تعليمات ادارية تنظم أسلوب ترديد صيحة القتال « الله أكبر »أثناء التدريب اليومى بالنسبة لكل سلاح من أسلحة الجيش « مثلا : جنود المشاة : عند التدريب على الطعن ، والقتال المتلاحم والاقتحام .. الخ وجنود الدبابات : عند ركوب الدبابة .. الخ »

* تطبق الجيوش منهج الاسلام فى بناء الشخصية الاسلامية ، لاعداد الفرد بحيث يكون مقاتلا صحيح الجسم والعقل والنفس ، على أساس عقيدة التوحيد وتحرير الفرد من العبودية لغير الله ، وغرس أركان الصحة النفسية التى تجعله شخصا سويا ، ورعاية صحته وتقوية بدنه وتنمية ملكة التفكير العلمى لديه .

* وعلى هذا النمط يتم تطبيق مبادىء العسكرية الاسلامية ونظرياتها (١) .

ثالثا : انشاء المركز الاسلامى للدراسات الاستراتيجية .

* ونقترح أيضا أن ينشأ مركز الاسلامى للدراسات الاستراتيجية ضمن أجهزة رابطة العالم الأسلامى وأن تقوم بينه وبين مراكز البحث العلمى فى جيوش الدول الاسلامية ومعاهدها العليا صلات وثيقة فى سبيل المصلحة العليا للأمة الاسلامية . ويقترح أن يكون من مهام هذا المركز بعد انشائه ما يلى : —

١ — تقنين العقيدة العسكرية الاسلامية .

والهدف من ذلك هو توفير المراجع العلمية الوافية فى مبادىء ونظريات العسكرية الاسلامية لكى تستعين بها الدول الاسلامية فى تدريس هذه المادة فى مدارسها وكلياتها العسكرية وتصميم مناهج الدراسة على المستويات المختلفة « مستوى البكالوريوس الماجستير — الدكتوراة » .

٢ — تدوين التاريخ العسكرى الاسلامى .

ان المتوفر الآن من مؤلفات فى التاريخ الحربى الاسلامى هو من انتاج المؤرخين والمفكرين العسكريين بصورة فردية ، والحق أن تدوين التاريخ العسكرى الاسلامى كما ينبغى يتجاوز قدرات الأفراد فقبل أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها أرادت الولايات المتحدة الأمريكية تدوين تاريخها الحربى عن تلك الحرب ، فشكلت لذلك هيئة تضم مائتين من العلماء والمؤرخين وهيأت لهم كل الوسائل والاعتمادات المالية فظلوا يعملون أربعة عشر عاما أخرجوا خلالها قرابة الثلاثين من من المجلدات ..

* ولتدوين التاريخ الحربى منهج تعارف عليه الرجال العسكريون فى كل مكان ، وهو يحتوى على العناصر التالية :

الظروف السائدة محليا ودوليا — الهدف من الحرب أو المعركة — أحوال مسرح الحرب فيما يتعلق بطبيعة وأحوال الأرض «طبوغرافيته» وبالسكان والقوى البشرية « ديموغرافيته » وبمناخه — المقارنة العددية والنوعية بين قوات الطرفين أو الأطراف المتصارعة وأسلحتها ومعداتها وأساليبها القتالية وعقائدها الحربية — خطط الأطراف المتصارعة — سير القتال — القضايا الادارية والفنية — نتائج المعركة أو الحرب — الدروس المستفادة والخبرة المكتسبة — النظريات الحربية ومبادىء الحرب التى كان تطبيقها سببا فى فوز أحد الأطراف ، والتى كان اهمالها سببا فى هزيمة الطرف الآخر — وتعتبر الخرائط والمخططات والاحصائيات والصور من أهم الوثائق وألزمها فى عملية تسجيل ودراسة التاريخ الحربى .

* ولوتصورنا أن مركز الدراسات الاستراتيجية المقترح قد أنشأ هيئة لتدوين

◄

---

(١) للاسترشاد انظر « المدخل الى العقيدة الاستراتيجية العسكرية الاسلامية » .

التاريخ الحربى الاسلامى وييسر لها الحصول على المصادر والمراجع من كتب ومخطوطات ومقتنيات المتاحف ليس فى بلاد المسلين فحسب بل فى بلاد العالم • بحيث يضع العلماء والمؤرخون أيديهم على كل ما قيل أو كتب حول معارك الاسلام قديما وحديثا ليس بمعرفة المؤرخين المسلمين فحسب بل بمعرفة مؤرخى الدول الأخرى عامة ومؤرخى الدول التى حاربت المسلمين بخاصة (١) •

لو تصورنا ذلك ، لأمكننا أن نتصور ماسوف تنتجه عقول علمائنا ومفكرينا مجتمعين ، من مراجع فى التاريخ الحربى الاسلامى ، هى بالتأكيد أفضل وأدق ما يمكن أن يقال فى هذا المجال •

* اننا بهذا العمل الكبير نوفر للأمة الاسلامية — لأول مرة فى تاريخها — مرجعا علميا دقيقا ونافعا فى التاريخ الحربى ، ونحقق بذلك هدفين : —

(ا) أن يدرس العسكريون تاريخهم الحربى ونظريات الاسلام الحربية على النحو الذى تعارف عليه العسكريون فى كل مكان ، وأن يتخذوه أساسا أصيلا لصياغة استراتيجيتهم العسكرية وفقا لمتطلبات كل عصر •

(ب) أن نصحح المفاهيم التى سادت فى الدول الأجنبية عن تخلف الاسلام فى مجال العلم العسكرى وفن الحرب ، وحفلت بها المراجع التى تناولت تاريخ الحروب وتطور فن الحرب •

رابعا : تنمية طبقة الخبراء العسكريين المسلمين لقيادة عمليات البحث العلمى

* ان لدى الكثير من جيوش الأمة الاسلامية حصيلة هائلة من المعرفة العسكرية والخبرة العملية المكتسبة من القتال وصناعة السلاح •• وكثير من قادتنا لديهم معرفة عميقة بالعقائد والنظم العسكرية العالمية المعاصرة •• بل ان لدينا خبرات حربية خاصة بنا لم تتوفر للجيوش العالمية المعاصرة حتى لقد اندفعت جيوش العالم نحو دراستها وتطوير نظمها على أساسها (٢) •

* ولدينا فى مجالات صناعة السلاح خبرات واسعة لها وزنها وخاصة اذا أضفنا ما أصبح لدينا من علم وخبرة فى مجال الطاقة الذرية فى كثير من الدول الاسلامية • وليس من شك فى أن أولئك الخبراء العسكريين هم ثروة اسلامية ينبغى الحرص عليها وتنميتها ومن أهم ما يحقق ذلك انشاء مركز الدراسات الاستراتيجية الذى يمكنه تنظيم الافادة منهم الى أقصى حد لصالح المسلمين ، وليس من شك فى أن الخبراء العسكريين المسلمين أقدر من غيرهم من الأجانب وأولى بقيادة عمليات البحث والدراسة والابتكار والتطوير

---

(١) من الضرورات الحيوية لتدوين التاريخ الحربى معرفة وجهة نظر الجانب الاخر فى الحرب •
(٢) مثال ذلك ما يتعلق باستخدام الصواريخ وليست الزاما للاسلام •• •• •• مجلة الأزهر • وبالحرب الالكترونية ونظم الدفاع الجوى فى حرب رمضان •

خامسا : تعميم الخبرات العسكرية المكتسبة فى الداخل والخارج على الامة الاسلامية وذلك من خلال ما يلى : ــ

(ا) متابعة التطورات العلمية والتقنية فى المجال الحربى وارشاد الدول الاسلامية الى ما يصلح لها منها طبقا لظروفها وأوضاعها الاستراتيجية .

(ب) عقد الندوات والمؤتمرات العلمية دوريا لبحث ودراسة القضايا المتعلقة بالدفاع

(جـ) تشجيع المفكرين العسكريين المسلمين على البحث والتاليف فى العلوم العسكرية .

(د) تشجيع حركة الترجمة لافادة المسلمين من البحوث الأجنبية فى العلوم العسكرية .

سادسا : نشر الثقافة العسكرية على اوسع نطاق

* ان المعرفة العسكرية لم تعد فى هذا العصر وقفا على الرجال العسكريين المتخصصين وحدهم.

ففى هذا العصر لم تعد هناك بقعة من الأرض على طول البلاد وعرضها بعيدة عن متناول العدو ، وأصبحت الحرب تدار عسكريا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ، وأصبحت ادارة الحرب تتولاها القيادات العليا السياسية والعسكرية .. من أجل ذلك أصبحت الثقافة العسكرية من جوانب الثقافة العامة اللازمة لأبناء الأمة لكى يؤدوا دورهم.

* ويؤكد هذا المبدأ ما استقر عليه رأى خبراء السياسة والحرب فى هذا العصر من أن قدرة الدولة على بلوغ غاياتها وتحقيق أهدافها وقدرتها على خوض الحرب واحتمال أعبائها وتكاليفها ، لايتأتى باعداد جيشها للقتال وتزويده بأحدث الأسلحة وأقواها فحسب بل يتأتى أيضا باعداد الشعب وكل مرافق الدولة ، حتى ظهرت مصطلحات جديدة فى عصرنا تعبر عن هذا المفهوم مثل « اعداد الدولة للحرب » و « الكيان العسكرى للأمة » .

* والأمة الاسلامية أولى بتطبيق هذا المبدأ ، من أجل ذلك نقترح ما يلى :

١ ــ أن تقوم وزارات الاعلام والثقافة فى كل بلاد الاسلام بالتنسيق مع وزارات الدفاع بتحديد ما يدخل فى مفهوم « الثقافة العسكرية العامة » ثم تنظيم عملية نشرها على الناس بمختلف وسائل الاعلام .

٢ ــ أن يتم تقديم موضوعات الثقافة العسكرية فى المدارس والجامعات .

٣ ــ نقترح أن يكون من بين هذه الموضوعات ما يلى : ــ

(ا) الأمن : اهمية المحافظة على الأسرار ومنع ترويج الشائعات .

(ب) الحرب النفسية : مفاهيمها ــ اهدافها ــ اساليبها ــ طرق الوقاية منها .

(جـ) الجاسوسية : اساليبها ــ دور المواطن فى معاونة الدولة فى مكافحتها .

(د) الانضباط : كمطلب عام لاينحصر فى الاطار العسكرى وحده .

(هـ) الدفاع الشعبى عن المنشئات الحيوية وأعمال الاسعاف والانقاذ واطفاء الحرائق .

محمد جمال الدين محفوظ

المؤمن .. والمنافق
يغبط يحسد

الحسدمن أمراض القلوب التى تضر صاحبها فى دينه ودنياه ، يبتدىء بالم يحز بالنفس الحاسدة ، ثم يصحبه تمنى زوال النعمة عن المحسود .

والحسد لا يكون الا على نعمة :

فاذا انعم الله على أخيك بنعمة فانت منها فى حالتين :

الأولى : أن تكره تلك النعمة أن تكون له وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى (حسدا) .

الثانية : ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهى لنفسك مثلها وهذه الحالة تسمى غبطة .

فالأمر الاول حرام بكل حال : الا نعمة أصابها فاجر وكافر فهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك ومحبتك لزوالها لا من حيث هى نعمة بل من حيث هى آلة فساد .

رؤية فى الكتاب العزيز

ولقد عنى الكتاب بابراز رءوس الحوادث التى كان للحسد فيها شأن خطير :

(أ) فما أن عصا ابليس ربه حتى كانت كراهيته لأبى البشر ومقته له ولذريته واشتد حسده لما فيه آدم من نعمة فمارس وسوسته له ولزوجه حتى أخرجه من الجنة . قال تعالى

« وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ » البقرة ٣٤ ـ ٣٥ .

(ب) وزمرة ابليس من الكفرة كرهوا للمؤمنين نعمة الايمان وحسدوهم عليها . قال تعالى : « وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ » البقرة ١٠٩ .

(ج) وحسد قابيل نعمة هابيل فقتله . فكان أول دم حرام يقطب وجه الأرض الى الأبد ، ويحمل وزر كل قتل من بغى يقع فى الأرض الى يوم الدين . قال تعالى : « وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ

للأستاذ محمد المحمدى مراد غنيم

آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين » المائدة ٢٧ .

(د) ووقع فيه أخوة يوسف فكادوا ليوسف حسدا . وفى الكتاب العزيز يخاطب يعقوب يوسف عليهما السلام — يقول تعالى — على لسان يعقوب .

« يابنى لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين » يوسف ٥ .

وكان ما كان من أمره — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

ونلمح حذر يعقوب — عليه السلام — وخوفه أن يحسد بنوه فيقول لهم ما حكاه المولى — عز وجل : «وقال يابنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شىء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون » يوسف ٦٧ .

ولقد وفق الأستاذ الدكتور أحمد حسن الباقورى فى تحليله لأذى الحاسد ، واستنتاجه أن بعض الحاسدين مزود بأشعة خاصة — لم يعرف كنهها بعد — تصيب المحسود وتدمره فى بعض الأحوال .

ولقد مضت سنتان أو أكثر بقليل حتى طالعتنا الصحف بحادث شاب انجليزى كان اذا سلط عينيه على سيارة احترقت .. وأنه سلم نفسه لأحد المستشفيات لتقوم بدراسة حاله . ورحم الله الباقورى رحمة واسعة .

لقد كره ابليس الجنة لآدم وحواء ، وكرهت زمرة الكفر نعمة الايمان للمؤمنين ، وكره قابيل لأخيه نعمة حلالا .. الخ .

وما الجنة والإيمان وأى نعمة الا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

٥

ولو أن الحاسد ارتضى قسمة الله لعباده لناله خير كثير ، وما وقع فى الحسد الذى يتبطن فى قرارته الاعتراض علـى المولى ـ سبحانه فى توزيع نعمه :

« أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » الزخـرف ٣٢

وأنى للحاسد أن يتعظ !؟

رؤية فى الحديث الشريف

١ ـ قوله ـ صلى الله عليه وسلم :«الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»(١) •

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فى النهى عن الحسد وأسبابه وغراته :«لا تحاسـدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكـونوا عباد الله اخوانا (٢) »•

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم :«دب اليكم داء الأمم قبلكم : الحسـد والبغضـاء ، والبغضة هى الحالقة لا أقول حالقة الشـعر ولكن حالقة الدين والذى نفس محمـد بيـده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم افشـوا السـلام بينكم •

يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :«كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر»(٣)•

يقـول ـ صـلى الله عليه وسـلم ـ : انه سيصيب أمتى داء الأمم قالوا:وما داء الأمم قال : الأشر والبطر والتكاثر والتنافس فى الدنيا والتباعد والتحاسـد حتى يكـون البغى ثم الهرج (٤) •

يقول ـ صلى الله عليه وسلم :«ان لنعم الله أعداء ! فقيل ومن هم ؟ فقال الذين يحسـدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»(٥) •

ولما كان الحسد احساسا وجدانيا مـدمرا ، وكان من السعة بحيث يندر ألا يصاب به انسان ـ الا من عصم ربك ـ سبحانه من صفوة خلقه فلم يكن منهم حسد ـ تناوله العلمـاء وأهـل الحكمة والأدب :

انه أول ذنب عصى الله به فى السماء فخـرج ـ به ـ آدم وأهله وذريته من الجنة وأول ذنب

(١) (أبو داود من حديث أبى هريرة) •
(٢) (الترمـذى من حـديث مولى الزبير عن الزبير) •
(٣) البيهقى فى الشعب عن انس وسعيد •
(٤) الطبرانى فى الاوسط من حـديث ابى هريرة) •
(٥) (الطبرانى فى الاوسط من حديث بن عباس)

عصى الله به فى الأرض فقتل ولد آدم قابيل أخاه هابيل وظل الحسد نارا حارقة :

قال معاوية — رضوان الله تعالى عليه :

ليس فى خصال الشر أعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل أن يصل الى المحسود ولبعض الأدباء :

داريت كل الناس لكن حاسدى
مداراته عزت وعز نوالها
وكيف يدارى المرء حاسد نعمة
اذا كان لا يرضيه الا زوالها

اسباب الحسد :

مداخل الحسد الى النفس كثيرة :

(أ) فى مقدمتها أشدها وهى العداوة والبغضاء للمحسود وقد يؤدى أمرهما الى التقاتل .

(ب) ومنها عدم الخضوع للحق فيكون التعزز والتكبر فى نفوس أهل الباطل ، مثل حسد الكفار لرسول الله — صلى الله عليه وسلم :

« وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ . أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ .. »

الزخرف ٣١ — ٣٢ .

يلى ذلك التعجب الى حب الرياسة وطلب الجاه ، وخبث النفس وشحها .

وما ايسر العلاج لمن أراد :

واول ذلك الرضا بقضاء الله — سبحانه والاستعاذة من كيد الشيطان ... ثم محاولة علاج النفس بترويضها على التزام أمر الدين ، والنظر الى تحسين المرء عيوب نفسه ، والجد فى الأخذ بالأسباب المغنية بالفضل مع الاستعانة بالمولى — عز وجل — وترك الخلق للخالق وفى ذلك استعلاء بالنفس فوق حقارة الحسد ، وايمان بالقدر واستسلام للمقدور .

محمد المحمدى مراد

مع إبراهيم الخليل

قال تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) النساء ١٢٥ والآية مدنية .

أساس الاسلام : الاعتقاد والعمل ، واشار الى الاعتقاد بقوله : « أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ » والاسلام خضوع وانقياد ، فاذا عرف الانسان ربه ، وخضع له فقد أسلم وجهه لله .

وقد أشار الى العمل بقوله : وهو محسن ، ويدخل فيه فعل الحسنات ، وقوله : أسلم وجهه لله يفيد الحصر على معنى انه أسلم نفسه لله لا لغيره .

وقيل فى تفسير : أسلم وجهه لله : بذل وجهه له فى السجود ، أو أخلص عمله له ، أو فوض امره اليه .

وقد دعا محمد صلى الله عليه وسلم الى اتباع دين ابراهيم ، وابراهيم كان يدعو الى الله ، وقد قال لقومه : انى برىء مما تشركون وكذلك كان محمد بريئا مما يشركون .

ويتجلى الاتفاق بين شريعتى ابراهيم ومحمد عليهما السلام فى أعمال الحج والطواف بالكعبة والسعى والرمى والوقوف بعرفة وكل أعمال الحج .

وظاهر الآية يقتضى أن شرع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو شرع ابراهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن محمد صاحب شريعة مستقلة ، والحقيقة أن ملة ابراهيم داخلة فى ملة محمد وموافقة للكثير مما جاء به الاسلام ، وفى الاسلام زوائد وفوائد .

وقد استنكرت الآية واستبعدت أن يكون أحد أحسن أو مساويا لمن أسلم وجهه لله وأخلصت نفسه فى طاعة ربه واتبع ملة ابراهيم حال كونه حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)

سبب تلقيب ابراهيم بالخليل

١ ـ قيل : انه عليه السلام بعث الى خليل له بمصر يمتار (يشترى الغذاء) فقال خليله لرسول ابراهيم لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ، ولكنه يريدها لأضيافه ، وقد أصابنا ما أصاب الناس من الشدة فرجع غلمانه اليه ، فاجتازوا ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر وجاءوا الى منزل ابراهيم وألقوها وتفرقوا ،

للدكتور محمد محمد خليفة

وجاء أحدهم فأخبر ابراهيم بالقصة ، واجتمع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبه النعاس ، وعمدت سارة الى الغرائر فاذا فيها أجود ما يكون من الدقيق ، فاختبزت وأطعمت الناس، وانتبه ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال : من أين لكم هذا ؟ فقالت من عند خليلك المصرى ، فقال : بل من عند خليلى الله ، فسماه الله خليلا واتخذه خليلا .

٢ ــ وقيل : ان ابراهيم دعا قومه مرارا الى عبادة الله والبعد عن عبادة الكواكب والقمر والشمس وقد سلم نفسه فى سبيل دعوته للنيران ومن قبل سلم ولده للقربان وماله للضيفان وقد جعله الله اماما ، وبشره بأن النبوة والملك فى ذريته لهذا كله سماه الله خليلا والخليل هو الذى يوافقك فى خلالك أو الذى تخللت محبة الله فى جميع قواه أو الذى يوافقك فى خلالك وخصالك .

الايحاء الى محمد كالايحاء الى نوح وبعض الأنبياء :

قال تعالى :

« إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا » النساء ١٦٣ والآية مدنية .

كثيرا مالج اليهود فى عنادهم وجدالهم مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ولقد سألوا فيما سألوا رسول الله أن ينزل عليهم كتابا من السماء ، ورد الله عليهم فى هذه الآية ، فبين لهم أن محمدا لم يكن بدعا من الرسل ، ولكن شأنه كشأنهم جميعا ، وقد أوحى الله اليهم جميعا ، وأيدهم بالمعجزات ليثبت بها أنهم رسله ، ولم ينزل عليهم جميعا كتبا بل أنزل على بعضهم كتبا وعلى بعضهم صحفا فيها شرائع ؛ وأوحى الى بعضهم بالدعوة التى يدعون بها الى الله وذكر الأسباط من آل يعقوب وبعض أنبياء بنى اسرائيل .

والكاف فى قوله : « **كَمَا أَوْحَيْنَا** » فى محل نصب على أنه وصف لمصدر محذوف ، ويكون أصل التعبير : أوحينا اليك ايحاء مثل ايحائنا الى نوح ، أو على أنه حال من ذلك المصدر أى أوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحائنا .

وبدأ بذكر نوح ، لأنه أول نبى أجرى الله على لسانه الشرائع والأحكام ، وبين الحلال والحرام ، وأول نبى أهلك الله بدعائه أهل الأرض حين دعا ربه :

« رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا »

فكان الطوفان ، ولم ينج منه الا من آمن بدعوة نوح وما آمن معه الا قليل .

والايحاء : الاعلام خفية .

وقد أوحى الله الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولي :

« وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي»

« وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ »

وفى كل هذه الآيات يدل الايحاء على أنه الالهام .

حوار ابراهيم مع ابيه آزر ومحاجة قومه :

قال تعالى :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ . فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ . وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ »

الأنعام من ٧٤ ــ ٨٣ والآيات مكية .

(واذ) منصوب على المفعولية بفعل مقدر تقديره : واذكر وقت قول ابراهيم (الذى يدعى الكتابيون أنهم على ملته) لأبيه آزر وهو ينكر عليه عبادة الأصنام التى نحتتها أيدى البشر آلهة خرت لها جباه الذين لا يعقلون .

وآزر : بزنة آدم من قرية من سواد الكوفة، وقيل : اسمه بالسريانية (تارح) ولقبه : آزر ، وهو اسم صنم لقب به والد ابراهيم للزومه عبادته ، وهو اسم للذم ومعناه : الشيخ الهرم. أو المخطىء ، أو المعوج ، وتقدير الكلام واذ قال ابراهيم لأبيه المخطىء أو المعوج .

وقيل : ان الكلام على حذف مضاف والتقدير: واذ قال ابراهيم لأبيه : يا عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه وهو آزر مقامه ، وحذف حرف النداء وعلى أن آزر اسم للصنم فيكون التقدير : واذ قال ابراهيم لأبيه : أتعبد آزر ثم قيل : أتتخذ أصناما آلهة .

وليست هذه المناظرة هى الوحيدة التى حدثت لابراهيم مع أبيه وقومه ونمروذ ، بل ناظر أباه فيما حكاه القرآن فى قوله : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر .

وناظر ملك زمانه فيما حكاه القرآن فى قوله :
« رَبِّيَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ »
وناظر أباه والكفار فيما حكاه القرآن فى قوله:
« إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِى أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ »
وهو فى هذه المناظرة التي حكاها القرآن من قوله :
« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ » يعلن لأبيه وقومه أن عبادة الأصنام جهل ، وكذلك عبادة الكواكب والقمر والشمس . لأنه ليس منها شيء يصلح للألوهية ، وقد عمد الى اثبات أن ما فيه النفع مثل الكواكب والقمر والشمس لا تصلح آلهة تدير هذا الملكوت الواسع فما بالكم بما لا نفع فيه من تلك الأصنام المنحوتة من الصخور أو المصنوعة من غيرها .

وقد قيل : ان الكثير من أهل الصين والهند يعترفون بالاله الا أنهم يعتقدون أنه جسم فنحتوا صورة جميلة ، وقالوا انها هيكل الاله وعبدوها وقالوا انها تقربنا الى الله والتعبير الذى حكاه القرآن : أتتخذ أصناما آلهة يدل على أنهم كانوا يقولون بكثرة الآلهة ، وهى وان كثرت وتعددت فلا نفع فيها .

وقد أخبر ابراهيم بعد أن أنكر على آزر اتخاذه الأصنام آلهة أنه يرى أن آزر وقومه الذين يعبدون ما يعبد فى ضلال واضح ، لأنهم بعدوا عن الحق فى عباداتهم والرؤية فى قوله : انى أراك : اما بصرية واما علمية ، وجملة انى أراك تعليل لانكار ابراهيم لما يعبدونه وتوبيخ لأبيه وقومه ، وتجلى ذلك التوبيخ فى قوله : أتتخذ أصناما آلهة .

أما الرؤية فى قوله تعالى : وكذلك نرى ابراهيم فهى بصرية وهى مستعارة للمعرفة ، والمعنى وكذلك عرفنا ابراهيم ، وعبر بقوله (نرى) لاستحضار صورة المرئيات التى شاهدها ابراهيم .

وقيل : ان الإراءة كانت بعين البصيرة والعقل لا بالبصر ، والقائلون بهذا قالوا : ان ملكوت السموات والأرض هو ملكهما والملك : هو القدرة ، وقدرة الله لا ترى بل تعرف بالعقل والاراءة فسرها بقوله : فلما جن ، وهذا الاستدلال تفسير للاراءة ، فالاراءة عبارة عن الاستدلال .

وقال (ليكون من الموقنين) واليقين هو العلم المستفاد من الدليل فتكون الاراءة عبارة عن الاستدلال .

والملكوت مصدر ، والتاء فيه للمبالغة كالرهبوت والجبروت ، ومعناه : الملك العظيم والسلطان الكبير .

وملكوت السموات والأرض عجائبهما وبدائع ما تحتويه السموات والأرض .

وقد كشف الله لابراهيم السموات حتى العرش ، والأرض حتى أسفلها وأعماقها .

وقيل : المراد : آيات السموات وآيات الأرض ، فملكوت السموات : الكواكب والقمر والشمس والافلاك وملكوت الأرض الجبال والبحار والأشجار والنبات ، وذلك من حيث دلالة كل ذلك على الصانع المدبر رب كل شيء ليستدل بكل ذلك على الله الواحد .

وقد فعل الله ما فعل من تلك الاراءة والتبصير الى جانب وقوفه على دليل وجود الله الصانع

ليكون ابراهيم من الراسخين فى الايقان الذين بلغوا عين اليقين من معرفة الله سبحانه •

ولقد كان الله يصنعه على عينه منذ طفولته فكان يريه ملكوت السموات والأرض ليصير من المؤقنين فى زمان شبابه المبكر •

وليس المراد مجرد الرؤية فى قوله : نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ، بل المراد من الرؤية التوصل الى معرفة جلال الله وعظمته •

(فلما جن عليه الليل) عطف على اذ قال ، وقوله : وكذلك نرى جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه ، ومعنى (جن الليل) ستر ، ومنه الجنة والجن والجنين والمجن وكلها معناه الستر والاستتار •

وليس الغرض من قول ابراهيم حينما رأى الكوكب أو القمر أو الشمس هذا ربى أنه يقر بالربوبية للكوكب أو القمر أو الشمس ولكن الغرض قد يكون واحدا مما يلى :

١ — أنه كان يناظر عبدة الكواكب الذين يعتقدون أن الكواكب آلهتهم فذكر (هذا ربى) ليستميلهم اليه ، ثم يكر فيبطل معتقدهم شأن المتناظرين فى التسليم ثم الابطال الذى كشف عنه قوله : لا أحب الآفلين •

٢ — ان المراد منه الاستفهام الانكارى حذفت منه همزة الاستفهام والتقدير : أهذا ربى ؟

٣ — أن يكون قوله « هذا ربى » على سبيل الاستهزاء •

(قال هذا ربى) استئناف وقع جوابا لسؤال هو : فماذا صنع ابراهيم حين رأى الكوكب وجاء الجواب : قال هذا ربى على النحو الذى بيناه للغرض من نطقه بهذه العبارة (فلما أفل) وغاب عن الرؤية قال لا أحب الآفلين ، وهذا أيضا استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر تقديره : ماذا قال ابراهيم حين أفل الكوكب وغاب ، وجاء الجواب : قال لا أحب الآفلين أى الأرباب الذين يظهرون ويختفون ويتغيرون من حال الى حال ويلوحون ويحتجبون وهذه الآلهة التى تغيب عن الوجود ولو حينا لا تستحق الربوبية •

(أترى ابراهيم وآزر وقومه سهروا وطال سهرهم يرقبون الكوكب ساعات وساعات حتى أفل ليواجههم ابراهيم برأيه فى الإله المحتجب ؟ قد يكون ذلك صحيحا اذا كان فى القوم من يعبد الكواكب ومنهم من يعبد القمر وفيهم من يعبد الشمس وابراهيم كداعية يهمه اقناع أبيه وقومه لا يعجزه أن يساهرهم ويقضى الليلة واليوم لعله يظفر بإيمان قومه بعد أن يفحمهم بالدليل العملى المقنع فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى) قوله : قال : استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر تقديره : ماذا قال والجواب : قال هذا ربى ، وقوله : هذا ربى ، أوضحنا الغرض منه عند الكلام على رؤية الكوكب وأصل البزغ فى قوله : بازغا : الشق ، وكأنه بنوره يشق الظلمة فلما أفل ، القمر وغاب أعلن أن شيئا مما رآه : الكوكب أو القمر لا يصلح أن يكون ربا يعبد وأعلن عن رأيه حيث (قال لئن لم يهدنى ربى) الى الحقيقة التى أبحث عنها (لأكونن من القوم الضالين) الحيارى بعد أن رأى الآلهة الآفلة التى تتوارى عن الوجود وفى هذا الأسلوب استمالة للخصوم وجذبهم الى

ما سيقدم من الاستدلال أو النتيجة التى سيتوصل اليها بعد أن ينظر فيما هو أعظم من الكوكب والقمر وهو الشمس .

(فلما رأى الشمس بازغة) مبتدئة فى الطلوع واكتمل قرصها (قال) وهذا استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر وكان جوابه : قال هذا ربى ، ولم يؤنث الشمس فيقول : هذه ربى ولكنه أتى بالاشارة مذكرا ليصون الرب عن وصمة التأنيث . أو أن الشمس بمعنى الضياء والنور ، أو أنه أراد هذا الطالع من وراء الأفق أو هذا الذى أراه ربى .

(هذا أكبر) أى أكبر من الكواكب ومن القمر وأقوى ضوءا منهما فهو أولى بالألوهية (فلما أفلت) كان الأفول مانعا من أن توصف الشمس بالإلهية على الرغم من كبرها وعظمها وفوائدها . ومن قبل كان أفول الكواكب والقمر مانعا من استحقاق الألوهية وبعد أن ثبت عدم صلاحية كل هذه الأشياء التى عبدها ضعاف العقول للالوهية لم يكن بد أن يتبرأ من الشرك ويعلن للملأ رأيه ومن ثم (قال ياقوم انى برىء مما تشركون) لأن الكواكب والقمر والشمس مسخرة لقدرة خالق يدبر تحركها فى مدارات لا تنحرف عنها وصاحب تلك القدرة هو الذى يطلعها ويواريها وهو وحده الذى يستحق الألوهية ، لأنه خلق الوجود كله بسماواته وأراضيه (إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ) .

والمراد : أنه وجه القلب لا الوجه الحقيقى ، لأنه سبحانه متعال عن الجهة والحيز حتى يتوجه اليه بوجهه . فهو يعلن أنه وجه قلبه للذى فطر السموات والأرض وخلقهما وخلق كل ما فيهما ومن بين ما فى السموات أو فى الفضاء الواقع بين الأرض والسموات تلك الآلهة التى عبدها عباد الكواكب والقمر والشمس ,والذى فطر الأرض وخلقها هو الذى خلق ما فى الأرض من تلك الأحجار التى نحت منها الناحتون تلك التماثيل التى عبدها العابدون وذلك الذى خلق كل شىء هو الذى يعبده ابراهيم (حنيفا) مائلا عن الباطل الى الحق (وما أنا من المشركين) فى قول أو فعل ، ولا أشرك بربى أحدا كما يفعل المشركون من الكتابيين وغير الكتابيين من عباد الكواكب والقمر والشمس .

(وحاجه قومه) وكانوا جادلوه فى توحيد الله حيث أنكروا التوحيد وأنكروا ألا يكون لله شركاء فى ملكه ،وكثيرا ما قدم الأدلة على بطلان معتقداتهم . ولم يتخلوا عن ارسال ما كانوا يرون من حجج ، وكان تقليد الآباء أعظم ما اعتمدوا عليه من حجة كقولهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون)

وقد تعجب الكفار شان من سبقوهم من ان محمدا صلى الله عليه وسلم نادى بالتوحيد وحكى القرآن ذلك فى قولهم : اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشيء عجاب وقد خوفوا ابراهيم عليه السلام من أنه سيصيبه السوء والشر اذا طعن فى آلهتهم ونفس التهديد والوعيد هدد به قوم هود هودا فيما حكاه القرآن : إن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) .

« يتبع » دكتور محمد محمد خليفة

أضواء على الدعاء

ليلة النصف من شعبان

لم يؤثر : عن النبي ﷺ ، ولا عن أحد من الصحابة الأجلاء : رضوان الله عليهم : تخصيص ليلة النصف من شهر شعبان : بعبادة معينة ، دووم عليها .. فقد نقل أبو شامة الشافعي : عن القاضي أبي بكر بن العربي أنه قال في كتاب : « العارضة » .. « ليس في ليلة النصف من شعبان : حديث يساوى سماعه » وقال في كتاب : « الأحكام » : ليس في ليلة النصف من شعبان : حديث يعول عليه ، لا في فضلها ولا في فسخ الآجال فيها : فلا تلتفتوا إليه »

وعن الأوزاعي إمام أهل الشام : « أنه يكره الاجتماع لها في المسجد ، ولا يكره للرجل إحياؤها بالصلاة وحده » ..

فما يفعله بعض المسلمين : من الاجتماع في المساجد : ليلة النصف من شعبان : بين المغرب والعشاء . والدعاء فيها بالصيغة المشهورة : « اللهم ياذا المن ولا يمن عليه ، ياذا الجلال والإكرام ، ياذا الطول والانعام ، لا إله إلا أنت ظهر اللاجئين ، وجار المستجيرين ، وأمان الخائفين ، وكنز الطالبين .. اللهم إن كنت كتبتنى عندك في أم الكتاب : شقيا أو محروما ، أو مطرودا ، أو مُقتّرا على في الرزق ، فامح اللهم بفضلك شقاوتى وحرمانى ، وطردى واقتار رزقى ، وأثبتنى عندك في أم الكتاب سعيدا مرزوقا موفقا للخيرات ، فإنك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل : « **يَمْحُو اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ** » (١) .. فهذا الدعاء : من البدع المحدثة في الدين ؛ لأنه يشتمل على أمرين باطلين :

---

(١) الرعد : ٣٩ ...

لفضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

الأول : أنه يفهم منه : أن الليلة المباركة : التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم هى : ليلة النصف من شعبان : وهو خطأ والصواب : أنها ليلة القدر لقول الله تعالى :

« حَم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (٢) .. والليلة المباركة : هى ليلة القدر ، لقوله تعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » (٣) .. وليلة القدر فى رمضان ، لقوله تعالى : « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ » (٤) ..

الثانى :أن الداعى بهذا الدعاء : فهم من قوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ : أن المحو والإثبات : يتعلقان بأم الكتاب وهو خطا وغفلة عن سياق الآية ، وما يدل عليه ماقبلها ، وذلك أن المعاندين : كانوا يعيبون على النبى ﷺ أمورا أربعة :

الأول : الأزواج والذرية ، قائلين : إنه ليس له همة إلا فى النساء ، ويزعم أنه رسول ولو كان كذلك : لكان مشتغلا بالزهد والتبتل وترك الدنيا .

الثانى : عدم إجابته : ما يقترحونه عليه من الآيات ، وخوارق العادات ﴿ **وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِىَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِى السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً** ﴾[٥] ..

الثالث : أنه كان يخوفهم نزول العذاب ، وظهور النصرة له ولقومه ، فلما تأخر ذلك : توسلوا بتأخره : للطعن فى صدقه ونبوته ..

الرابع : نسخ بعض الأحكام كتحويل القبلة : من بيت المقدس : إلى الكعبة ، ونقل عدة المتوفى

(٢) الدخان : ١ ـ ٦ ....
(٣) القدر : ١ ـ ٣ ...
(٤) البقرة : ١٨٥ ...
(٥) الإسراء : ٩٠ ـ ٩٣

عنها زوجها : من عام : إلى أربعة أشهر وعشرة أيام ، قائلين : لو كان صادقا فى دعوى الرسالة :

لم ينسخ الأحكام : التى نص الله على ثبوتها فى الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل ، لكنه نسخها

وحرمها ، كما فى القبلة ، فوجب ألا يكون نبيا حقا !! فأجاب الله تبارك وتعالى عن الشبهة

الأولى بقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً .. ﴾ ..

وأجاب عن الشبهة الثانية بقوله :« وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِىَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ » ، وكأنهم ما علموا أن المعجزة الواحدة كافية فى إثبات

النبوة وقد أتاهم بمعجزات كثيرة ، فما بالهم يقترحون عليه غيرها ، مع إتيان المعجزات ليس

مفوضا إليه بل إلى مشيئة الله عز وجل . وأجاب عن الشبهة الثالثة بقوله « لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ »[1] .. يعنى أن نزول العذاب على الكفار وظهور الفتح والنصر المبين : قضى الله تعالى

بحصولها فى أوقات معينة ، ولكل حادث وقت معين ، لكل أجل كتاب ، فقبل حلول ذلك الوقت ،

لا يقع ذلك الحادث ، وتأخر تلك المواعيد : لايدل على كونه ﷺ كاذبا .. وأجاب عن الشبهة الرابعة

بقولة : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ اى ينسخ ما يشاء من الأحكام ، ويثبت بدلها ، بمافيه الحكمة والمصلحة لعباده ، قال تعالى

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] ..

وذلك كاستقبال بيت المقدس ، والعدة بحول محاها : باستقبال الكعبة ،

والعدة بأربعة أشهر وعشرة .. « وعنده أم الكتاب » أى أصله .. وهو تعلق العلم القديم ، وتعلق الإرادة التنجيزى القديم ، فهذا ليس فيه

تغيير ولا تبديل ، ولا محو ولا إثبات ، قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : « الكتاب

اثنان : كتاب يمحو الله مايشاء فيه ، وكتاب لا يغير : وهو علم الله ، والقضاء المبرم ، ويرى

ابن عباس أيضا : « أن المحو والإثبات فى غير السعادة والشقاوة والأجل » ..

والمراد بالكتاب : اللوح المحفوظ : وقيل : صحف الملائكة التى تنسخها .. وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ

يقول : يمحو الله مايشاء ويثبت : إلا السعادة والشقاوة والموت » ..

ولما كان رمى النبى ﷺ بما سبقت الإشارة إليه : اعتداء على الله تعالى : بينْ جلت حكمته :

أن الآيات وإبدالها بغيرها : أمر أراده الله تعالى ، وقضت به الحكمة الآلهية ، فإذا شرع حكما فى

وقت مَّا لشدة الحاجة إليه ، ثم زالت تلك الحاجة فى وقت آخر :

فمن الحكمة : أن ينسخ هذا الحكم ويبدله بما يوافق الوقت الآخر ، فيكون خيرا من الأول

(١) الرعد : ٣٨

(٢) البقرة : ١٠٦

او مثله في فائدته : من حيث قيام المصلحة به ..
نعم وردت جمل من هذا الدعاء المشهور : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، فقد أخرج ابن ابى شيبة في المصنف ، وابن أبى الدنيا في الدعاء قال : مادعا عبد قط بهذه الدعوات : إلا وسع الله له في معيشته : « ياذا المن ولايمن عليه ، ياذا الجلال والإكرام ، ياذا الطول لا إله إلا انت ظهر اللاجئين ، وجار المستجيرين ، ومأمن الخائفين ، إن كنت كتبتنى عندك في أم الكتاب شقيا : فامح عني اسم الشقاوة ، واثبتني عندك سعيداً ، وإن كنت كتبتنى عندك في أم الكتاب : محروما مقترا على في رزقى : فامح حرمانى ، ويسر رزقى ، واثبتني عندك سعيداً موفقا ، للخير ، فإنك تقول في كتابك الذى أنزلت : « يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » هذا نص الدعاء بهذه الصيغة كماورد ، وهو غير مقيد بليلة النصف من شعبان ، ولا بساعة من ساعاتها ..

وقد اثر هذا الدعاء أيضا : عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حتى قيل : إنه كان يدعو به أثناء طوافه بالكعبة ..

واغلب الظن : أن نسبة هذا الدعاء الى صحابيين جليلين غير ثابتة ، ولم ترد من طريق صحيح .. أما مازيد في الدعاء بعد ذلك من قولهم : « إلهى بالتجلى الأعظم في ليلة النصف من شهر شعبان المكرم : التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم الخ .. فهى من زيادة الشيخ ماء العينين الشنقيطى ..

وقصارى القول : فليلة النصف من شعبان : ليست هى الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم ، وليست هى ولا ليلة القدر : موعد تقسيم الأرزاق ، وتحديد الآجال وتقدير السعادة والشقاوة ، فإن هذه الأمور كلها : فرغ منها القدر الأعلى ، ثم جفت الأقلام ، وطويت الصحف ..

والدعاء : عبادة مطلوبة فى كل وقت لقول الله تعالى : « وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » (١) وقوله جل شأنه : « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » (٢)

وروى عن سلمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى حى كريم : يستحى إذا رفع الرجل إليه يديه : ان يردهما صفراً خائبتين » (٣)..

وخير الدعاء ما كان دعاء : من كلام الله عز وجل ، المأثور من حديث رسوله صلى الله عليه وسلم .. وكلما كان الدعاء : سهل العبارة ، صادق اللهجة ، كلما كان ادنى إلى القبول ..

---

(١) غافر : ٦٠ .....
(٢) البقرة : ١٨٦
(٣) اخرجه احمد وابوداود والترمذى وابن ماجة ..

وقد كره النبى صلى الله عليه وسلم : التقعر والتفلسف فى الدعاء : فقال عليه الصلاة والسلام : « إذا دعا أحدكم فلا يقل : اللهم اغفر لى إن شئت ، اللهم ارحمنى إن شئت ، ولكن ليعزم المسألة ، فإن الله تعالى لا مستكره له »..

والذين يدعون الله فى هذه الليلة فيقولون له : إن كنت كتبت كذا : فامح ، وإن كنت فعلت كذا : فارجع : إنما يتقعرون ، حيث لا تجوز إلا السهولة والبساطة ، وما ضرنا لو طلبنا من الله : العفو والرحمة فقط ، وأن نسكت فلا نرسم له الطريقة : التى يعفو بها ويرحم « رَبَّنَآ آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » (٤) ..

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

[illegible] أوقفت هيئة تحرير المجلة عن النشر [illegible] التي أوردت أحاديث لرسول الله ﷺ ، ولم تشر [illegible] إلى مراجع هذه الأحاديث : جزءا وصفحة و[illegible] الطبع ولقد سبق أن ناشدت المجلة كتابها الكرام مراعاة هذا التدوين.

والله ولى التوفيق ...

---

(٤) البقرة : ٢٠١

من أعلام الأزهر

الشيخ محمد الحفنى

من أعلام الأزهر

الشيخ محمد الحفنى

الملقب بأبى الأنوار شمس الدين الحفنى / شيخ الأزهر

علم خفاق من علماء الاسلام كان على علم غزير فى العلوم الكسبية فهو محدث مع المحدثين ومنطقى مع علماء المنطق وفقيه مع الفقهاء الا أن جاذبيته الكبرى تتمثل فى شخصيته التى تتجه بكل ماتستطيع الى الله ، لم تفتنه الدنيا وقد كانت عند قدميه ، ولم يفتنه المنصب (وهو مشيخة الأزهر) عندما احتل أرفع المناصب الدينية فى زمانه ، مع ما كان فيه من الأناقة وحسن الصمت مع براعته فى الحديث وتملكه لزمام التوجيه ، ذلك هو الشيخ محمد الحفنى أحد شيوخ الأزهر خلال القرن الحادى عشر الهجرى .

يقول عنه الامام أحمد الدردير وهو من علماء الأزهر السابقين وأحد تلاميذ الشيخ محمد الحفنى المقربين فى وصفه له : (الامام المهيب الذى كانت الملوك تخضع لهيبته ، السخى الذى شهد الأعداء بهمته وسخائه ، الحسن الخلق الذى كان كل من جالسه لايشبع من وداده ، الجميل الذى كان وجهه كالشمس فى رابعة النهار حتى ان كل من رآه ذكر الله العزيز الغفار ، ولقد كانت العامة والخاصة يتبركون برؤيته ، وكان جامعا بين تحقيق العلوم الظاهرية والأسرار الإلهية) (١) .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ محمد بن سالم الحفنى على رأس المائة بعد الألف أو عام واحد تقريبا (٢) ببلدة (حفنا) بمركز بلبيس من أعمال محافظة الشرقية فى جو يشبع بتيار الروحانية لما بها وقتئذ من الرجال الصالحين الذين ينتسبون الى التصوف النقى ولما شب عن الطوق دخل كتاب بلدته حيث تعلم القراءة والكتابة كما حفظ الكثير من سور القرآن الكريم طبقا لما كانت عليه عادات المسلمين وقتئذ (٣) .

ولقد كانت كتاتيب القرآن الكريم تقوم فى القرون الماضية بمهام التربية والتعليم والتثقيف

---

(١) كتاب ابى البركات سيدى أحمد الدردير تاليف المرحوم عبد الحليم محمود .

(٢) كتاب مناقب وكرامات شيخ الاسلام شمس الدين ابى الانوار الشيخ محمد الحفنى تاليف الشيخ حسن شمه الفوى المكى وكتاب المختار من تاريخ الجبرتى اختيار محمد قنديل البقلى كتاب الشعب رقم ٢٧ ص ٧٨ .

(٣) كتاب مناقب وكرامات شيخ الاسلام شمس الدين ابى الانوار محمد الحفنى تاليف الشيخ حسن شمه الفوى المكى .

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

لأبناء المسلمين عامة خصوصا فى قراءة القرآن وحفظه فليس مثل القرآن الكريم مؤثرا فى اصلاح الناس وتطهير المجتمع وتعود أفراده على التزام القيم الرفيعة والتحلى بكمال الأخلاق فانه « **يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** » (١) أليس هو الهادى الى عقيدة التوحيد وما فى منهجها من مكارم الأخلاق ورفيع القيم ، وفى الحديث الشريف لرسول الله — صلى الله عليه وسلم :

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » (٢) :

« لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة » (٣) .

« أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » (٤) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اقرءوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه » (٥) .

انتقال الشيخ الحفنى الى القاهرة :

ولما كان والد الشيخ محمد الحفنى يعمل فى القاهرة ومقيما بها استقدم نجله صاحب الترجمة ليكون تحت رعايته ، وفى القاهرة استكمل حفظ القرآن الكريم ، ثم أخذ يسير فى التعليم على النهج الذى كان متبعا فى تلك الأيام وهو حفظ المتون قبل أن يبدأ طالب العلم الدراسة فى الأزهر .

فحفظ ألفية ابن مالك وهى متن فى النحو والصرف وعليه شرح ابن عقيل ، كما حفظ متن السلم ، والجوهرة فى التوحيد ، والرحبية ، وأبا شجاع فى الفقه الشافعى وهو متن مشهور فى فقه ذلك المذهب (٦) .

ظهور نبوغه وجده واجتهاده :

لما انتظم الشيخ محمد الحفنى فى دراسته بالأزهر ظهرت دلائل نبوغة فى سنيه المبكرة كما كان مجدا فى دراسة العلوم مجتهدا فى تحصيل الدرس بعيدا كل البعد عن توافه الأمور معرضا عن اللغو عاملا مستثمرا وقته فيما يفيد ، وكان مكبا على الكتب ملازما لأساتذته وأشياخه بقصد الاستفادة اما عن طريق المطالعة واما عن طريق السماع من أولئك الأساتذة الأعلام (٧) .

٧

(١) سورة الاسراء ٩ .
(٢) رواه البخارى .
(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث أبى ذر .
(٤) أخرجه النسائى وابن ماجه والحاكم من حديث أنس .
(٥) رواه مسلم .
(٦) كتاب العارف بالله أبى الانوار شمس الدين الحفنى شيخ الازهر تأليف المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود .
(٧) المرجع السابق .

العلماء الذين تلقى عليهم العلم بالأزهر الشريف :

١ ــ الشيخ محمد الديربى

٢ ــ الشيخ عيد النمرسى

٣ ــ الشيخ أحمد الخليفى

٤ ــ شيخ المحدثين الشيخ محمد البديرى الدمياطى الشهير بابن الميت

٥ ــ شيخ الاسلام الشيخ محمد الشناوى

٦ ــ الشيخ أحمد الشهير بالملوى

٧ ــ والشيخ عبده الديوى

٨ ــ والشيخ محمد الصيفى

٩ ــ والشيخ محمد السلجماسى (١)

اثر الشيخ محمد البديرى الدمياطى العلمى فى الشيخ محمد الحفنى :

كان للشيخ محمد البديرى الدمياطى آثار كبيرة فى حياة تلميذه الشيخ محمد الحفنى العلمية فلقد أخذ عنه تفسير القرآن الكريم كما تتلمذ عليه فى الحديث ، ولم تكن دراسته له دراسة موجزة وانما كانت دراسة مستفيضة جدا لأن الأزهر كان معنيا وقتئذ بالسنة كل العناية لايدرسها فى مختصرات أو موجزات أو مختارات وانما يدرسها فى الأمهات الأصيلة فدرس :

١ ــ صحيح الامام البخارى .

٢ ــ صحيح الامام مسلم .

٣ ــ وسنن أبى داود .

٤ ــ وسنن النسائى .

٥ ــ وسنن ابن ماجه .

٦ ــ كما درس الموطأ الذى صنفه الامام مالك ابن انس امام دار الهجرة .

٧ ــ وكذلك مسند الامام الشافعى .

٨ ــ ومعاجم الطبرانى الأكبر والاوسط والصغير .

٩ ــ كما درس صحيح ابن حبان .

١٠ ــ وكذلك المستدرك للنيسابورى (٢) .

وأيضا مما درسه الشيخ محمد الحفنى على الشيخ محمد البديرى الدمياطى مادة التصوف اذ كانت هذه المادة من المواد التى تدرس فى الأزهر :

١ ــ فدرس كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام أبى حامد محمد الغزالى وهو فى ستة عشر جزءا .

٢ ــ كما درس كتاب « حلية الأولياء » لأبى نعيم الأصفهانى ويقع فى عشرة أجزاء كبار بدأه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى طليعتهم سيدنا أبو بكر الصديق وذكر فيه كبار المحدثين الصوفية ، وكذا أئمة مذاهب الفقه رضوان الله عليهم (٣) .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) كتاب مناقب وكرامات شيخ الاسلام شمس الدين أبى الأنوار محمد الحفنى تأليف الشيخ حسن شمه القوى الملكى .

تقدير أشياخه الأعلام له :

ولقد قدره أساتذته وأشياخه تقديرا كبيرا وهو مازال بعد في بواكير شبابه فأجازوه الافتاء والتدريس وهو لم يتجاوز بعد الثالثة والعشرين من عمره ، وحين جلس لتدريس العلوم ظهرت على مجالسه امارات الهيبة والوقار ولازمه كثير من طلبة العلم فشمر عن ساعد الجد ولم يبدأ بتدريس كتب المبادىء الأولى بل اتجه مباشرة الى تدريس أمهات الكتب كالأشمونى وجمع الجوامع والمنهج ومختصر السعد وغير ذلك من كتب العلوم الاخرى كالحديث والفقه والمنطق والأصول وعلم الكلام (١) .

بعض من تخرج على يديه من العلماء :

تخرج عليه غالب علماء أهل عصره وطبقته ومن دونهم نذكر منهم أخاه الشيخ يوسف الحفنى والشيخ اسماعيل الغنيمى والشيخ على العدوى ، والشيخ محمد الغيلانى والشيخ محمد الزهار نزيل مدينة المحلة الكبرى والشيخ على الصعيدى (٢) .

الكتب التى ألفها :

ومن آثاره العلمية رحمه الله :

١ ــ حاشية على الجامع الصغير للسيوطى (فى الحديث) .

٢ ــ حاشية على شرح الأشمونى (فى النحو)

٣ ــ حاشية على شرح السمرقندى على الرسالة الوضعية العضوية (فى الوضع) .

٤ ــ رسالة فى التقليد فى الفروع (فى أصول الفقه) .

٥ ــ حاشية على السبط الماردينى للياسمينية (فى الجبر والمقابلة) .

٦ ــ الثمرة البهية فى أسماء الصحابة البدرية (فى التاريخ)

٧ ــ أنفس نفائس الدرر (حاشية على همزية البوصيرى) .

٨ ــ حاشية على شرح الفوائد الشنشورية الشنشورى فى المواريث .

٩ ــ رسالة فى الاحاديث المتعلقة برؤية النبى صلى الله عليه وسلم .

١٠ ــ رسالة على شرح الحفيد على مختصر جده السعد التفتازانى فى البلاغة .

١١ ــ شرح المسألة الملفقة فى تحليل المطلقة (ثلاثا) .

١٢ ــ مجموعة من الاجازات لكثير من تلاميذه .

الشيخ محمد الحفنى وسلوك طريق التصوف

من الأسباب المباشرة التى أدت بالشيخ محمد الحفنى الى التصوف أن وفقه الله الى مرشد أمين وشيخ صادق مع الله ومع الناس ذلك هو الأستاذ الكبير الشيخ « مصطفى الصديقى البكرى » نزيل مدينة القدس فقد كان على علم غزير ومنطق جذاب وعبادة لاتفتر زار الكثير من بلاد الاسلام فذهب الى حلب وبغداد والحجاز وتركيا ثم جاء الى مصر حيث ◄

(١) كتاب الازهر الشريف فى عيده الالفى باب مشيخة الازهر الشريف .
الذى أصدرته الهيئة العامة للاستعلامات فى العيد الالفى للازهر ص ١٦ .

(٢) الكتب من (٧ ــ ١٢) عن «شيوخ الازهر »

مات فى القاهرة ولقد تربى الشيخ مصطفى الصديقى البكرى فى أهل بيت كانوا جميعا على قدر كبير من العلم؛ فوالده الشيخ كمال الدين وجده الشيخ على؛ وجد والده الشيخ كمال الدين وجد جده الشيخ محى الدين كانوا كلهم من علماء الاسلام وعلى جانب عظيم من الورع والتقوى وسمو الأخلاق •

ولما التقى الشيخ محمد الحفنى بالشيخ مصطفى البكرى أعجب به وسلك على يديه طريق التصوف على أسلوب ومنهاج العارف بالله تعالى الشيخ الجنيد فكانت طريقته تدعى بالجنيدية ثم دعيت بعد ذلك بالطريقة الخلوتية وكان مما أوصاه به أستاذه الشيخ البكرى أن ينبسط الى الناس وألا يمنع أحدا من التوبة على يديه وأخذ العهد عليه فى سلوك طريقه الى الله ولو كان نصرانيا فأسلم على يديه خلق كثير من النصارى نذكر منهم الشيخ محمد المهدى أسلم وهو صغير وحضنه الشيخ محمد الحفنى ورباه مع أولاده فحفظ القرآن الكريم ثم اشتغل بطلب العلم على يد الشيخ الحفنى ثم بعدوفاته على يد الشيخ أحمد الدردير ثم تصدر للتدريس بالأزهر جلس مكان الشيخ محمد الهلباوى بعد وفاته ١١٩٢ هـ (١) •

بيان بذكر بعض من سلك طريق التصوف على يديه •

سلك طريق التصوف على يد الشيخ محمد الحفنى كثيرون نذكر منهم :

١ ــ الشيخ أحمد البنا •
٢ ــ الشيخ محمد المنير السمانودى شيخ القراء والمحدثين •
٣ ــ الشيخ محمد السنهورى •
٤ ــ الشيخ حسن الشبينى
٥ ــ الشيخ محمد الزعيرى •
٦ ــ الشيخ خضر رسلان •
٧ ــ الشيخ محمود الكردى •
٨ ــ الشيخ أحمد الغزالى •
٩ ــ الشيخ محمد الهلباوى الشهير بالدمنهورى •
١٠ ــ الشيخ أحمد القحاف •
١١ ــ السيد على القناوى •
١٢ ــ الشيخ سليمان المنوفى نزيل طنطا •
١٣ ــ الشيخ حسن السخاوى •
١٤ ــ الشيخ محمد الرشيدى •
١٥ ــ الشيخ يوسف الرشيدى الملقب بالشيال •
١٦ ــ الشيخ محمد الصعيدى •
١٧ ــ الشيخ عثمان الزرقانى •
١٨ ــ الشيخ محمد الشهير بالسقا •
١٩ ــ الشيخ باكير أفندى •
٢٠ ــ الشيخ محمد الفشنى •

(١) كتاب مناقب وكرامات شيخ الاسلام شمس الدين أبى الانوار محمد الحفنى تاليف الشيخ حسن شمه الفوى المكى •

٢١ ـ الشيخ عبد الكريم المسيرى الزيات •
٢٢ ـ الشيخ أحمد العدوى الملقب بدردير •
٢٣ ـ الشيخ محمد الرشيد الشهير بالمصراوى •
٢٤ ـ شيخ القراء السيد منصور الحلبى •
٢٥ ـ الشيخ أحمد الصقلى المغربى •
٢٦ ـ الشيخ سلمان البتراوى الانصارى وهو من ذرية سيدنا جابر الانصارى رضى الله عنه •
٢٧ ـ الشيخ أسماعيل اليمنى •
٢٨ ـ الشيخ حجاب الهيفماوى •
٢٩ ـ الشيخ حسن شمه الفوى المكى (١) •

تولية الشيخ محمد الحفنى مشيخة الأزهر .

بعد حياة طويلة فى خدمة الشريعة والعلم والاسلام وأداء العبادات بلغت سبعين عاما تولى الشيخ محمد الحفنى مشيخة الأزهر الفترة من سنة ١١٧١ هـ الى سنة ١١٨١ هـ وهو فى الترتيب الشيخ الثامن لهذا الصرح العتيد ، وكان لهذا المنصب من الاجلال والاحترام فى ذلك الزمان ماله فى وقتنا المعاصر لأن الأزهر منذ قرونه الأولى قائم على الحفاظ على العقيدة الاسلامية النقية يقف فى وجه كل انحراف أو غزو فكرى يتهدد البلاد الاسلامية من الشرق أو الغرب ، ومن هنا كان المسلمون ومازالوا فى مشارق الأرض ومغاربها يدينون للأزهر بالفضل فى حماية عقيدتهم كما تدين له الدول العربية بالفضل فى حماية الدين واللغة العربية (٢) •

جهاد الشيخ الحفنى بعد توليته مشيخة الأزهر :

عندما تولى الشيخ محمد الحفنى مشيخة الأزهر كان عليه أن يخوض جهادا فى ثلاثة ميادين : ـ

الأول ـ ميدان النصيحة والوعظ العام •

وقد كان الشيخ الحفنى قائما بهما حتى من قبل أن يسلك طريق التصوف ، لكنه لما تصدى لتربية مريديه على نهج التصوف أقبل عليه الناس من كل فج عميق ومنهم علماء كانوا نجوم الهداية للمجتمع ارشادا وسلوكا وقد ذكرنا آنفا بعضا منهم •

الثانى ـ الميدان العلمى واثراء الفكر العربى والدينى •

كان رحمه الله ، ـ معنيا بهذا الجانب قبل توليه مشيخة الأزهر ، ولكنه حين تولى المشيخة عنى على الخصوص بسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبرع فى ذلك براعة فائقة حتى أصبح من كبار المحدثين رواية ودراية وشرح كتاب الجامع الصغير للامام جلال الدين السيوطى وانتهى من شرحه سنة ١١٧٩ هجرية أى قبل أن ينتقل الى رحمة الله بعامين تقريبا (٣) •

---

(١) المرجع السابق •
(٢) كتاب العارف بالله أبى الأنوار شمس الدين الحفنى شيخ الازهر تأليف الدكتور عبد الحليم محمود (٣) المرجع السابق •

الثالث ـ ميدان الجهاد فى المجتمع المصرى

وذلك بين حكامه من المماليك وعامة الشعب حتى تستقيم الأمور العامة للشعب والمواطنين ، وكان هذا الميدان من أشق الميادين ذلك أن النزاع بين المماليك بعضهم وبعض كان مستمرا ونتيجة لهذا كانت المؤامرات والغدر والهروب لا تكاد تهدأ بينهم أبدا ، كما كان النزاع بين أولئك المماليك وبين الجماهير قائما مستمرا أيضا نتيجة فرضهم الضرائب والاتاوات على الشعب الذى كان ينوء بحملها ، ولقد عمل الشيخ الحفنى ما وسعه بقصد اصلاح حال المماليك وبث الوئام فيما بينهم تمهيدا للتخفيف مما يعانيه الشعب اذا سادت روح السلام وأقلعوا عن حروبهم ٠

ويبدو انه كان قاسيا على هؤلاء المماليك ولم يهادنهم الامر الذى كلفه حياته لأنه فى واحدة من محاولاته فض تلك الخلافات وما كان اكثرها (يقال انهم أشغلوه وسموه ليتمكنوا من أغراضهم فلم يلبث الشيخ محمد الحفنى بعد هذا المجلس الا اياما ومرض ورمى بالدم) هذا ما رواه الجبرتى فى تاريخه ، وتوفى الى رحمة الله تعالى فى يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ١١٨١ هـ وقد بلغ الثمانين من حياته المباركة (١) وهو قائم يؤدى واجبه نحو الاسلام والمسلمين ، وانتهت بموته حياة شيخ جليل وعالم كبير قدم نموذجا لحياة متالقة بالايمان مشعة بالطهر زاخرة بالعلم والتقوى ستظل قلادة خالدة فى جيد التاريخ ٠

المستشار محمد عزت الطهطاوى

(١) كتاب المختار من تاريخ الجبرتى اختيار محمد قنديل البقلى كتاب الشعب رقم ٢٧ ٠

الشعر والشعراء

إعداد: د. حسن جاد

في رحاب الله

مالك الملك

إن بعد العسر يسرا

في رحاب الله

ان تسلني عن طريقى فى الحياة   قلت ·· قرآنى دستور الإله

أو تسلنى ما الذى يحيى الفتى   قلت ·· يحييه قيام للصلاة

فى صميم الليل ينبو بالكرى   ويناجى الله لا يرجو سواه

وصلاة الفجر يهفو نحوها   قلبه ··· حتى يرى فيها هداه

ومتى الحج دنا موعده   سيطر الوجد وغامت مقلتاه

وهفا شوقا الى ذاك الحمى   حيث نور الحق يمحو ما عداه

طاف بالبيت مشوقا لسنى   فيه بث الحق أكسير الحياة

ياهيامى ··· اننى اعشقه   ذلك الركن الذى فاض سناه

حجر قد قبلته شفتى   ولقد هامت به كل الشفاه

ودعاء وابتهال دافق   لا له عمر الكون بهاه

ويفيض السعى ما بين (الصفا)   وربى (المروة) طهرا ونجاه

اى سعى يا فؤادى مثله   بعث الأنوار فى كل اتجاه

وسما بالروح فى أوج العلا   كوكبا قد عم الشمس ضياه

ذاك سعى مستحب طاهر   صرت أهواه وأستجدى نداه

فالق الحب ووهاب الحياة   أنا أهواه ولكن لا أراه

ومن الحب ضلال وأذى   ومن الحب رشاد وتقاه

دكتور/ مختار الوكيل

وأمانى الفتى التى يهسا ... ذلك الشيطان بالشر أذاه

ولقد جاء الورى عند (منى) ... وعلى ابليس يرمون الحصاة

ليس ابليس الذى يرمى بها ... وحده ... بل سيدها كل البغاة

* * *

يارسول الله يانور الهدى ... دينك المحبوب كنز للعفاة

وأنا منك ومالى ملجأ ... غير دستورك يازين الهداة

دينك الحق صلاح للورى ... وهو كنز للمساكين وجاه

وهو اكسير من الحب متى ... لمس الأحجار جاشت بالحياة

فلماذا المسلمون اليوم قد ... أصبحوا بعضا لبعض كالعداة

ولماذا اختصموا واقتتلوا ... مزقوا أنسابهم شأن العتاة

ونسوا أن غدوا غادرا ... يملأ الرحب شواظ من لظاه

* * *

أيها الغافون هيا استيقظوا ... وأفيقوا من كراكم يا غفاة

آن فى الحج لكم أن ترفعوا ... صوتكم حرا دعاء للإله

أن يعيد الله للأمة فى ... غدها الميمون سلطانا وجاه

* * *

أمة الاسلام يا نور الورى ... آن نصر الحق .. لا نصر عداه

باتحاد شامخ يسمو الى ... قمة الأمجاد مرفوعى الجباه

ليس فينا أبيض أو أسود ... يتحرىّ الفضل الا بتقاه

فاحزموا أمركموا واستبسلوا ... يبلغ النصر بنا أقصى مداه

فاذا بالفوز يأتى سافرا ... ويحيق الذل قهرا بالجناة

مالك الملك

تبارك الذي بيده الملك

"من القرآن الكريم"

لى فى بهاك توسم ورجاه — وإلى علاك توسل ودعاء
يا من له فى كل شىء آية — وبأمره تتكون الأشياء
واذا أراد فلا مرد لحكمه — ولو أن أسباب السماء وقاء
هب لى رضاك فكل ما أنا صانع — لولا رضاك — توهم وهباء

***

يا من له ما كان أو هو كائن — او ما يكون وجلت الأسماء
وله الزمان خفيه وجليه — ان كان ثمت للزمان جلاء
الشمس فى ملكوتها من امره — والشمس حين يضمها الإمساء
وله النجوم السابحات على المدى — فى كل ناحية لها لألاء
وله الدجى لاتستبين ظلاله — الا الدجى ، وله السنا الوضاء
وله الجبال الشامخات جلالة — الصاعدات بروجها الشماء
وله التلال الصفر ، رامضة الثرى — من وقدة ، وله الربا الخضراء
وله المروج توشحت بعطائه — وبسره تتوهج الصحراء

شعر: عبد العليم القباني

وله البحار المائجات تمردا فكأنما صوب السماء سماء

وله الجداول لانتي رقراقة وكأنما يغفو بها استحياء

وله العواصف تنحنى الدنيا لها من خشية ، وله النسيم رخاء

وله الوجود ، وما تضم رحابه من معجز لم تبده الانباء

انى بهذا الكون ، حرف ظامىء لم يروه الابداء والاخفاء

يارب واسمك كلما رددته نضرت به أيامى الجرداء

وتواثبت بين الضلوع حشاشة ذابت مع الأيام فهى ذماء

وسرت بأعماقى اليك وديعة لولاك ، أرهقها السرى — يضاء

هى وعدك الأعلى بعفوك للذى قد ، تاب ، مهما اشتدت الظلماء

يامانح الكون العظيم جلاله ، وجماله ، من راحتيك عطاء

مالى سواك اذا سألت ، وكيف لا والملك والملكوت كيف تشاء ؟

انى رجوتك يا الهى ، والمنى تهفو ، وللأمل الكريم ضياء

وأتيت بابك لا أرى لى غيره بابا ، فاشجت سمعى الأصداء

العفو والصفح الجميل ، وفرحة للتائبين ، ورحمة ، وعزاء

وأنا بظل رضاك تغمرنى المنى ومن احتمى بحماك كيف يساء ؟

إنّ بعد العسر يسرا

للأستاذ: أحمد قاسم أحمد

أيها الانسان صبرا ... لا تضق بالضر صدرا
لا تشق القلب ذعرا ... لا تظن الكون قفرا
ان لقيت اليوم ضرا ... ففدا منه ستيرا
فارتقب لليسر امرا ... إن تجد فى العيش عسرا

إن بعد العسر يسرا

ما ترى فى الليل بدرا ؟ ... قد انار الأفق طرا
كان قبل التم سرا ... مستكنا ليس يدرى
فارتقب لليسر امرا ... إن تجد فى العيش عسرا

إن بعد العسر يسرا

ان بعد الليل فجرا ... يسدحر الإظلام دحرا
يسكب الأنوار بحرا ... يملأ الأجواء طيبا
شدوها بالعود أزرى ... يغمر الآفاق بِشرا
فارتقب لليسر امرا ... ان تجد فى العيش عسرا

إن بعد العسر يسرا

ما ترى فى الروض زهرا ؟ ... فائق الألوان نضرا
يملأ الأرجاء عطرا ... كان خبيئا مستسرا
فارتقب لليسر أمرا ... إن تجد فى العيش عسرا

إن بعد العسر يسرا

ربنا بالعفو أحرى ... لم يرد بالعبد شرا
انه بالعبد ادرى ... كم حبانا منه برا
فاشكر « الرحمن » سرا ... واشكر « الرحمن » جهرا
وارتقب لليسر أمرا ... ان تجد فى العيش عسرا

إن بعد العسر يسرا

للشاعرة: علية الجعار

ابتهال

من لى سواك إله الكون يهدينى ... وفى طريق الهدى والنور يبقينى

يا واسع العفو هب لى منك مغفرة ... الى جنانك يا الله تدنينى

الذنب عندى يا الله يقتلنى ... والعفو عندك يا الله يحيينى

يا من يجود ولا تفنى خزائنه ... انى سألتك .. هل تعفو وتعطينى

خطاءة أنا يا الله يدفعنى ... الى ذنوبى ما حملت من طينى

لكنها هفوات لست أذكرها ... وأنت أعلم يا ربى بتكوينى

جلت صفاتك ياغفار لى أمل ... فى العفو عندك إن خفت موازينى

حسبى العقيدة والإيمان يعمرها ... وأننى لم أحد بالذنب عن دينى

حسبى فؤادى ما تهتز نبضته ... إلا بذكرك فى حب وتمكين

إنى أحبك لا خوفا ولا طمعا ... ولاتخذت حبيبا عنك يلهينى

إن كنت أسأل عما قد أتيت به ... من الشفاعة .. إن الحب يكفينى

عودة المهاجر

للشاعرة : جليلة رضا

طيرى علــى متن المياه الجاريات الثائره
ودعى الريــاح الواثبات تشــد خطوك ظافــره

انى اعود ... اعـود فى شـوق لأرضى الطـاهره
واحن للــوطن الحبيب .... فاسرعى يا باخره

* * * *

الأرض والبحّـار يهتف قـد وصـلنا فاستعدوا
ومع النــداء يـؤج فى قلبى ... حنين يسـتبد

واطل من بين الصـفوف أشير ، أضحك ، ثم أعدوا
ومعـالم الوطن الحبيب على مدى عينى تبـدو

هـذا هو الميناء لن يثنى خطـاى اليـه .. قيـد
والأفق .. والأضواء .. والشمس الدفيئة تسترد

* * * *

اللهجـة المصرية المعطار تســرى فى حنـين
يا وقعهـا المنغـوم فى سـمعى كناى الحالمين
انى على عهـد الوفاء أعـود يا وطنى الأمين

العلوم الكونية

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

من عجائب الخلق:
الدفاع الكيماوى فى الحشرات

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

إن المعاني والصفات التي يسبغها القرآن الكريم على الخالق جل شانه هي اجل واسلم معاني وصفات تليق بذات الخالق سبحانه وتعالى ، وهي ، فضلا على كونها من مزايا الاسلام التي انفرد بها فسلم بها وأمن العقل السليم والمنطق القديم وأيدها العلم ، إنما تمثل عمقا من أعماق الاعجاز العلمي في كتاب الله العزيز . هذا العمق هو العمق التاسع من أعماق الاعجاز العلمي في القرآن الكريم ضمن سلسلة ما نكتب.

موجب الوجود :

ليس وجود الله تعالى مسألة غيبية يختلف فيها بين الاثبات والنفي ، ولكن حقيقة علمية وبديهية أو مسلمة عقلية . فنحن نسلم بأمور ثلاثة . هي من البديهات العقلية والحقائق العلمية :

الأمر الأول : أنه لا يمكن أن يكون هذا الوجود (الكون بما حوى من المواد والطاقات) قد جاء من العدم ، ذلك لأن العدم لا ينجب شيئا سوى العدم . ومعنى ذلك أن الوجود هو الأصل ، حتى إذا عاد ما في الكون إلى الفناء بقى الأصل على حاله :

١ - ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ - الرحمن (٢٦) ، (٢٧) .

٢ - ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ - فاطر (٤١) - والمعنى أن الله تعالى يمسك الكون ويحفظه من الزوال وإن قدر له الزوال ما استطاع أحد أن يحفظه بعد الله تعالى .

٣ - ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي

للأستاذ الدكتور
محمد جمال الدين الفندى

أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ . يس (٧٨) و (٧٩) .

والأمر الثانى بديهية من بديهيات حياتنا على الأرض ، فحواها أن كل شىء طارىء ، أو عمل استجد ، لابد له من سبب سابق أو صانع مريد مدبر :

٤ ـ ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً . فَأَتْبَعَ سَبَباً ﴾ الكهف (٨٤) ، (٨٥) ـ ، أى اتيناه العلم بالأسباب فسلك سبيلها .

أما الأمر الثالث : فهو أن من لا ابتداء له ولا انتهاء يكون أزليا ، بمعنى أنه هو الأول والآخر وليس له من موجد قبله ولا معقب بعده ، وهو الظاهر بما خلق وأبدع والباطن فلا تدركه الحواس :

٥ ـ ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ـ الحديد (٣) ـ ، والمعنى أنه الموجود قبل كل شىء ، والباقى بعد فناء كل شىء ، والظاهر فى كل شىء خلقه ، وقد أحاط علمه بكل شىء .

أسماء الله الحسنى :

من البديهيات والمسلمات كذلك أن يخالف الخالق فى صفاته ما خلق وأوجد :

٦ ـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ـ الشورى (١١) ـ ، ومعنى الشىء هو كل ما خلق الله تعالى وأوجد بعظيم حكمته وعلمه الذى لا حدود له .

٧ ـ ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ـ القصص (٨٨) ـ ، أى أن صفة اللا نهاية والخلود لله وحده ، كما أن له القضاء النافذ فى الدنيا والآخرة ، واليه مصير كافة الخلق .

وعلم الله تعالى على حاله منذ الأزل . وهو العليم الخبير ، لم يكتسب علماً لم يكن له ، ومعنى العليم أنه المحيط بكل شىء :

٨ ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ ـ الحجر (٨٦) ـ ،

٩ ـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ـ العنكبوت (٦٢) ـ ،

١٠ ـ ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ـ يس (٣٨) ـ .

وهو سبحانه إن غاب عن الحواس فلم تدركه :

١١ ـ ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ـ الأنعام (١٠٣) ـ ، عقلته النفس المطمئنة ، وأحاطت بصفاته تعالى العقول السليمة ، فتطمئن القلوب :

١٢ ـ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ـ الرعد

(٢٨) ـ ، أى أن القلوب إنما تطمئن بذكر الله تعالى وتدبر عظيم قدرته خصوصا فى ظل تلك الآفاق الواسعة التى فتحها أمامنا عصر العلم . وجدير بنا أن نقول : (الله يتجلى فى عصر العلم) ، وهذا فى الواقع عنوان كتاب ترجم عن الإنجليزية وأخرجه (الكاتب) فى ثوب إسلامى قشيب .

ولقد ضل الكثيرون لعدم التدبر وتحكيم العقل ، أسمى ما خلق الله رغم كونه من طين .

١٣ ـ ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ـ الملك (١٠) ـ .

١٤ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ ـ الملك (١٢) ـ .

وأسماء الله الحسنى تسعة وتسعون إسما منها : الله ـ الرحمن ـ الرحيم ـ الملك ـ القدوس ـ السلام ـ المؤمن ـ المهيمن ـ العزيز ـ الحكيم ـ الجبار ـ المتكبر ـ الخالق ـ البارىء ـ المصور ....

ويورد القرآن الكريم ذلك فى مثل قوله تعالى :

١٥ ـ ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السموات وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ـ الحشر (٢٢ ـ ٢٤) ـ .

ومعنى الخالق البارىء المصور أنه : المبدع للأشياء من غير مثال سابق ، والموجد لها بريئة من التفاوت ، والمصور لها على هيئاتها كما أراد .

ومعنى : الملك أنه المالك لكى شىء على الحقيقة .

ومعنى القدوس : أنه المطهر عن كل نقص المبرأ عما لا يليق .

ومعنى السلام : ذو السلامة من النقائص ، والمؤمن المصدق رسله . بما ايدهم به من معجزات ، والمهيمن : الرقيب على كل شىء .

والعزيز : الغالب الذى لا يعجزه شىء .

والجبار والمتكبر : العظيم فى كل شىء المتعالى فوق كل ما لا يليق بجلاله .

وهنا نحب أن نبرز نقطتين هامتين :

الأولى: أن الإسلام هو : الدين الذى انفرد بذكر أسماء الله التى تليق بقدره والوهيته سبحانه وتعالى ، وبرأه من كل اسم أو وصف لا يليق ولا يقره العقل السليم الراجح . وهذا هو سر دخول الكثيرين من المفكرين فى الغرب فى هذا العصر فى دين الله عندما فهموه على حقيقته وهكذا نجد أن الله عند المسلمين يختلف تماما فى صفاته وأسمائه عن ما نجده فى الأديان الأخرى .

والنقطة الثانية : أن الذين يقدمون على ترجمة القرآن الكريم . [أو معانى القرآن الكريم] يعمدون للأسف الشديد إلى ترجمة أسماء الله الحسنى ، وهو عمل خاطىء من أساسه لأن الأسماء لا تترجم ، فضلا على أن منها ما هو غير قابل للترجمة مثل (الرحمن) ، وحتى مثل (الله) الذى يترجمونه إله !

عقيدة التوحيد :

إن النظام الذى بنى عليه الكون كما يوضحه العلم لا يتبدل وسننه فريدة لا تتغير ، ابتداء من نظام أصغر اللبنات ممثلة فى الذرة ، إلى نظام

بناء المجموعة الشمسية ، ثم نظام بناء المجرات .. مما يثبت أن الخالق أو المبدع واحد :

١٦ ـ ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴾ ـ الملك (٣) ـ ، أى أن الله تعالى أبدع خلق هذا الكون فكان متوافقا على سنة ثابتة ونظام واحد لا تفاوت ولا فروق فيهما .

١٧ ـ ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ ـ الملك (٤) ـ ، إشارة إلى أن من يعيد النظر أكثر من مرة متلمسا غير وحدة نظام بناء الكون سوف يعجز بصره .

١٨ ـ ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ـ المؤمنون (٩١) ـ ، أى تنزه الله تعالى عن اتخاذ ولد ، ولم يكن له شريك ، فلو كان الأمر كذلك لا ستبد كل إله بما خلق ، ولتناحر بعضهم مع بعض ، ومن ثم لفسد الكون وما استقام أمره عبر بلايين السنين التى مرت من عمره .

وحدث أن سئل نبى الهدى عن ربه فأمر فى سورة الاخلاص بالاجابة على النحو الذى نزلت به ، وفيها من أسماء الله الحسنى اسم الأحد واسم الصمد مع اسم الله تعالى :

١٩ ـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

وبذلك جمع صفات الكمال ، وأنه الواحد الأحد المقصود على الدوام ، والغنى عن كل من سواه ، والمنزه عن أن يكون له مثيل أو شبيه ، وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له شريك أو نظير .

ولقد تعددت الآلهة عند الانسان البدائى ولدى بعض الحضارات القديمة رغم أن التوحيد بين الفطرة . فمثلا اتخذ الاغريق قديما عددا من الآلهة مثل إله الحرب (حارس) الذى رمزوا له بكوكب المريخ الأحمر ، ومثل آلهة الجمال والحب (فينوس) التى رمزوا لها بكوكب الزهرة .

وحتى عصرنا هذا الذى نسميه عصر العلم يفكر الانسان البدائى فى كل شىء بوحى من ادراكه لذاته ، فهو يرى الإ له حيا كحياته هو ، ساكنا فيما حوله من بحر وسماء وهواء .... وهو لم يتردد فى ان يصور الله تعالى على شاكلته فى المظهر أحيانا وفى الفكر والإرادة تارة أخرى !!

وكان من الطبيعى وعصر العلم على الأبواب ان يخاطب القرآن العقل ويوجه الحديث إلى أهل العلم والمعرفة ، وهكذا فرق بين الخالق والمخلوقات ، ووضع حدا لخرافة تعدد الآلهة ،

٢٠ ـ ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعاً . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ ـ الاسراء (٩٠ ـ ٩٣) ـ .

وهكذا احتكم إلى عقولهم ونزه الله تعالى من ان يتحكم فيه أحد . والله اعلم .

للحديث بقية

من عجائب الخلق
الدفاع الكيميائى فى الحشرات

قبل أن نعرض لمقالنا يجب ايضاح نقطتين وطيدتى الصلة بموضوعنا :

اولاهما : أن للايمان بالله طريقان ، طريق العقل وطريق النقل .

اما الأول : فله أدوات وآلات هى العقل ومنافذه التى يطل من خلالها على ما يحيط به فى العالم حوله كالسمع والبصر واللمس وغيره .

واما الآخر : فهو ما وصلنا بالنقل الصحيح عن رب العزة جل وعلا من طريق الرسل وخاتمهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فاذا اجتمع الطريقان لمسلم كان ايمانه عظيما واسلامه شامخا وراح يجوب الحياة الدنيا سعيا لمرضاة ربه وعملا على خدمة دينه الحنيف .

النقطة الثانية هى دعوة الحق سبحانه فى أكثر من موقع فى القرآن الكريم الى البحث والتأمل فى بديع صنعه وعجيب خلقه ومحكم قدرته ، ومن هذا على سبيل المثال قول الله تعالى « **إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ..** » (آل عمران ١٩٠ ، ١٩١) .

وفى الحق « **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** » (فاطر / ٢٨) .

فى مقالنا هذا سنوضح بعض سبل ووسائل دفاع الحشرات عن نفسها ونخص بالتفصيل الوسائل الكيماوية التى تستخدمها هذه الكائنات فى صد المعتدى وردع الغازى وتأديب المكابر من أعداء حشرية أو حيوانية على السواء ، وهو ما تدهش له العقول ويقف ازاءه الانسان متعجبا فيأخذ العبرة والقدوة فى آن واحد .

د. كارم السيد غنيم

تقوم أنواع كثيرة من الحشرات بنفث مواد كيماوية هى السموم Poisons للدفاع عن نفسها اذا هاجمتها كائنات أخرى : وهذه السموم اما أن تحقنها الحشرات فى أجسام أعدائها حقنا سواء بأجزاء الفم أو بآلة اللسع التى توجد فى مؤخرة الجسم ، واما أن تنثرها على سطوح أجسام الأعداء نثرا .

ولقد وجد بالبحث والدراسة أن من هذه الحشرات ماله غدد سامة مرافقة لفكوكه فى رأسه ، تتكون كل غدة من مجموعة خلايا هى التى تقوم بافراز السموم ، ثم تلقى ما تفرزه فى خزان كيسى الشكل ، وفى حشرات أخرى تطرد هذه الخلايا سمومها مباشرة خارج جسم الحشرة بطريقة عجيبة هى انقلاب جدار الغدة — وغالبا ما يكون شكلها اصبعى — على نفسه بتأثير ضغط الدم فى تجويف الجسم .

الطبيعة الكيماوية للسموم الحشرية :

السموم التى تفرزها الحشرات وتنفثها على أعدائها هى — كما قلنا — مواد كيماوية مهيجة لأجسام أعدائها، الا أن منها ما يتصف بتأثير حارق لأنسجة جسم الكائن العدو ، وترجع صفة الاحراق الى وجوب مركب هو cantharidin ، الذى بدراسته كيماويا واجراء بعض التجارب عليه ، وجد أنه مادة مثيرة للشهوة الجنسية فى الانسان ، وان كان هذا مما لا يعنينا فى موضوعنا .

وهناك مركب آخر اكتشفه الباحثون الكمياويون فى هذه السموم هو pederin خصوصا فى افرازات خنافس paederus من فصيلة Staphylinidae، ويحدث هذا المركب التهابات جلدية .

ثم مركب ثالث هو saponin وهذا المركب عند تحليله وجد أنه نفس المادة التى كان المرتحلون القناصة فى جنوب أفريقيا يطلون به سهامهم حتى تكون سامة بدرجة عالية ، فتؤدى بالتالى الى شلل فى أجساد الأعداء .

ومما هو جدير بالذكر أن من الباحثين من أمكنه التوصل الى تحديد مركب رابع من هذه الافرازات هو حامض الفورميك أو النمليك Formic acid ، واستخلصوه من افرازات أنواع معينة من النمل الفورميسينى ، ومن العجيب أن استعمال ذات المادة بطريقة النثر الخارجى للجروح أو الحقن تحت الجلد يؤدى الى الشفاء من آلام عضات النمل مثلا . (أنظر شكل ١) .

◄

القذائف المدفعية فى الخنافس :

توجد فى الخنافس أنماط سلوكية متنوعة ، فالخنافس المسماة « الخنافس المدفعية » Bomdardier beefes هى خنافس سوداء اشتق اسمها من الانفجار الصوتى المرعب الذى يصاحبه اطلاق افراز كيماوى دفاعى ، وذلك عند تعرض هذه الخنافس لوقوع ضرر لها أو حتى شعورها بمقدم خطر فى البيئة المحيطة بها ، عندئذ تقف الخنفسة رافعة قمة بطنها وتديره هنا وهناك وكأنها تصوب فوهة مدفع تجاه عدوها ، وبعد ضبط زاوية الوقوف وتحديد الموقع بالضبط تطلق هذه الخنفسة طلقة كيماوية يصاحبها انفجار صوتى مدو •

ولقد جذب هذا السلوك انتباه العلماء فراحوا يبحثون فى أسراره حتى توصلوا الى التعرف على جهاز القذف المدفعى ، فوجدوه يتركب من خزان لتخزين مواد كيماوية تسمى (هيدروكينونات فوق أكسيد الهيدروجين) ، بعد افراز هذه المواد تدفع الى الخلف حتى يختلط بها (انزيم) مساعد ، فاذا تفاعلت هذه المواد فى حضور هذا (الانزيم) تحرر غاز الأكسجين بشكل مفاجىء ليأخذ منظر سحابة مدفوعة تجاه العدو ، وتتكون هذه السحابة من (الكينون) والماء (انظر شكل ٢) •

اذا لم تستطع الحشرات افراز سموما تدافع بها عن نفسها ضد أعدائها ، فما هو الحل اذن فى هذا الموقف العصيب ؟!

قام بعض العلماء بدراسة هذه المسالة ، فوجدوا أن هذه الحشرات تأكل أنواعا خاصة من النباتات ، وبعد أن يتم هضمها داخل أجسامها ، تدخل مركبات معينة منها داخل أنسجتها • وعند البحث عن هدف هذه الحشرات مما تفعله هكذا ، وجد أنها تقوم به كى تجعل مذاق أجسادها كريها ذو طعم بغيض ، ومن ثم تعافه الكائنات التى تبغى مهاجمتها وافتراسها والتهامها ، الى هنا والأمر عجيب ، ولكن الأكثر عجبا هو تدرب وتعود الكائنات الأعداء المهاجمة على مذاق أجسام فرائسها حتى تصبح عادية غير كريهة بمرور الزمن ، الا أن الله سبحانه منح هذه الحشرات الضعيفة بقدرات مدهشة على تنوع وسائل الدفاع ، فاذا فشلت فى تسديد وسيلة نهضت لاستخدام غيرها ، ومن الحشرات ما يستخدم عدة وسائل فى آن واحد حتى ولو نجحت أكثر من وسيلة معا فى أداء الوظيفة الدفاعية ، ومثال ذلك اتخاذ بعض الحشرات اجراءات دفاعية بطريقة التلون التحذيرى warning colouration الى جانب الدفاع الكيماوى •

يمكن القول اذن أن هذه الافرازات ليست قاتلة أو مميتة بل هى فقط منفرة أو كريهة ، وعند دراسة يرقات بعض أنواع « أبى دقيق » وجدت أنها مزودة بتراكيب جسدية تشبه الجيوب موجودة فى منطقة الصدر وتسمى osnoterium ، وبتحليلها كيماويا وجدت بها مركبات نباتية لها الرائحة الكريهة التى أشرنا اليها سابقا ، وهذه الجيوب تضغط عليها اليرقات فتنقلب لتفرغ ما بها من افرازات ، والحافز الأساسى للقيام بهذا الضغط على الجيوب هو شعور الحشرة باقتراب خطر ما منها •

من الافرازات الكريهة ، غير القاتلة ، أيضا ما تفرزه حشرات كالصراصير والبق وأنواع كثيرة من الخنافس ، ولكل منها رائحته الخاصة الدالة على نوعه الحشرى •

ولا يفوتنا فى مقالنا هذا أن ننوه الى « المخارج » أو « المنافذ » التى تخرج منها تلك السموم الكيماوية ، فان منها ما يطلق عن طريق الفم ومنها ما يطلق عن طريق مؤخر البطن ، الذى تحور فى هذه الحالة الى شكل لاسعة sting « انظر شكل ٣ » ، ومنها ما يطلق عن طريق شعيرات منتشرة على سطح الجسم « انظر شكل ٤ » ، حينما تتكسر وتدخل فى أجسام الأعداء تحدث فيها هياجا أو حكا جلديا Urticaria •

السموم فى الحشرات الاجتماعية :

عند احساس أفراد عش من أعشاش هذه الحشرات بمقدم خطر عليها ، فان الغضب يعتريها ، ومن ثم تتأهب للذود عن حماها ، وأول ما تتخذه من اجراءات الدفاع هو تقدم جماعى للافراد كلها فى اتجاه الأعداء كى تصيبهم بلسعات مؤلمة فى أجسادهم، فاذا ألهم الله سبحانه هذه المخلوقات أن الغزاة ما يبغون من غزوهم للعش الا قصد استلاب الطعام فقط ، فان أصحاب هذا العش من الحشرات يقومون بالقاء فتات من الطعام الى الغزاة ، الا أنه ليس طعاما هنيئا ، بل هو غصة من حيث لايدرون فقد خلطه أفراد الموقع بافرازات سامة قبل أن يلقوه الى الغزاة ، وهكذا يتلقف الغزاة طعام الموت لتكون حياتهم ثمنا غاليا له •

فى حشرات اجتماعية كالنمل الأبيض ــ القرضة ــ « وهو حشرات رتبة Isoptera يتخصص أفراد معينة لعمليات الدفاع هم الجنود « أى العساكر » ، أجسامها مهياة لأعمال الضرب والرطم والاصطدام ، وكذا رؤوسهم بارزة ذات كبسولات «أو خوذات » ضخمة قوية ، بالاضافة الى أنها مزودة بغدد تفرز سوائل لزجة سامة « انظر شكل ٥ » •

ولعل من أغرب أعمال الجنود الدفاعية تلك الحراسة المشددة للعاملات « أى الشغالات التى تخرج سعيا على الرزق الذى تحصله وتعود به الى الأعشاش » حماية لها من أية أضرار قد تلحق بها من أعداء أو مهاجمين ، فيخرج الجنود موزعين حول العاملات شاهرين رؤوسهم المخيفة ذات التراكيب القوية الحادة فى وضع الاستعداد والتحفز للدفاع السريع ومن المناظر الغريبة قيام بعض الجنود بافراز خيوط تكبل بها أرجل الأعداء وأجسادهم ، وبالتالى توقف نشاطهم وتشل حركتهم •

من المعروف أن النحل « وهو من رتبة Hymenoptera فى خلاياه ينتج عدة افرازات كيميائيه ويوظفها فى أغراض محددة وهى اذ ذاك تكون مكملة للوسائل الحركية « كالرقص مثلا » وغيرها فى التعبير عن أمور معينة كتحديد موقع وكثافة الرحيق فى أزهار منطقة ما ، أو ضبط وتنظيم دورة التناسل فى الخلية، أو غير ذلك من المسائل المتعلقة بشئون الحياة الاجتماعية هناك • كما أن من الافرازات الكيماوية التى تنتجها أفراد خلية النحل ، تلك المادة التى تستخدمها فى دفع العدوان ومقاومة الدخلاء ، فقد لوحظ أنه عند تدخل أحد الغرباء

فى خلية النحل تقوم بعض الشغالات القريبة بالتصدى لهذا الدخيل فى الحال ، وتبـدأ فى مهاجمتـه ولدغه بعنف حتى يموت • ولا شك أن هذا اجراء دفاعى طبيعى ، ولكـن الشىء المدهش أن مئات الشـغالات الأخرى تـأتى مندفعة من كل حدب وصوب ، وتقوم بمهاجمة هذا الدخيل بمنتهى العنف ،

هذه الحقيقة يعرفها المهتمون بتربية النحل واكثار خلاياه ، فما أن تبدأ نحلـة فى لـدغ صاحب الخلية حتى تندفع نحوه مئات من أفراد الخلية الآخرين للاشتراك فى لدغه بكـل عنف وقسوة •

فما السبب فى ذلك ؟

وما هى الرسالة التى يتلقاها أفراد النحل الآخرون •

لقد اتضح أن الشغالات الاولى التى تقوم بمهاجمة الدخيـل انمـا تفعل أمرين فى وقت واحد :

فهى تضع السم فى جسد الدخيل عند لدغه كى تقتله ، كما تضع فى جسده كذلك قـدرا ضئيلا جدا من افراز خاص له قدرة هائلة على اجتذاب مئات من الشغالات • وتتلخص مهمة هذا الافراز الأخير فى احداث حالة من الهياج بين الشغالات التى تحس به ، فتندفع الـى العدو ، وتستمر فى لدغ جسـده الميت.

ويعـد هذا السلوك أكبر ضـمان لطلب النجدة الجماعية فى خلايا النحل فى محـاولة منظمة للحفاظ على كيان المجتمع الحشرى من هجوم الأعداء ••

واتضح بعد اجراء التجارب والتحاليل أن ذلك الافراز ما هو الا مركب عضـــوى يسمى المعادلة iso - amyl acetate وصيغته هى

$$(CH_3)_2CH.CH_2.CH_2.O.CO.CH_3$$

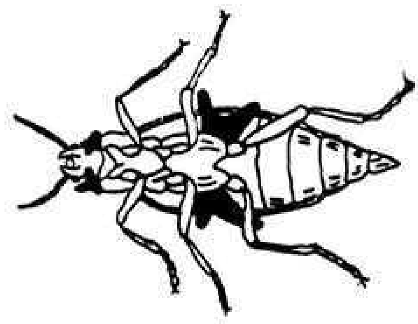
وفى نهاية المقـال نود الاشـارة الى أن افرازات الحشرات ليست كلها بقصد الدفاع أو الحماية المباشرة ، بل منها ما هو مـوظف لأغراض أخرى عديدة •

من هذا على سبيل المثال :

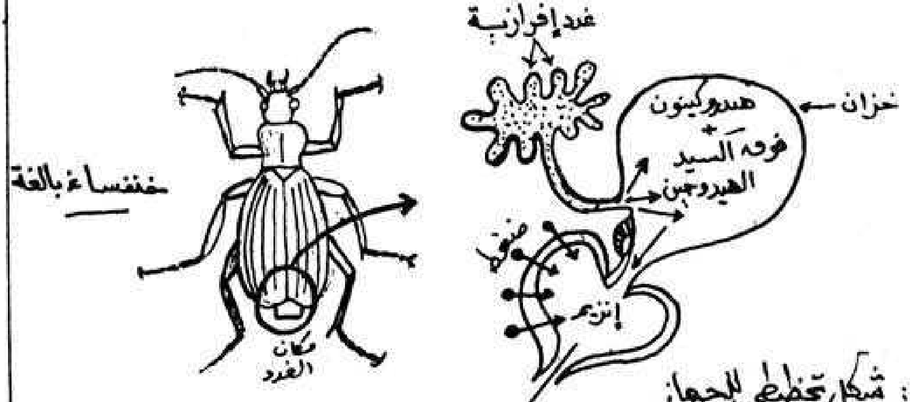
الحشرات الماصة لدم الانسان أو الحيوان ــ أو حتى عصارة النباتات ، فهذه لها أجـزاء فم بها ابر تعمـل على ثقب جلد الانســان أو الحيوان أو بشرة النبات ثم تسلك الحشرة فى هذا الثقب ابرتان احداهما لدفع اللعـاب الى جسم العائل والأخرى لمص كمية من الدم كما أن من الافرازات غير الدفاعية أيضـا تلك التى تنفثها بعض الحشرات الطفيلية فى أجساد عوائلها لتحدث فيها شللامؤقتا فتتمكن حينئذ من وضع بيضها داخل أجسـادها ، وبهذا تضمن لذريتها المرتع والمسـكن فى آن واحد •

وختاما فان من افرازات هذه الفئة افـراز تطلقه الجنود فى وقت معين ايذانـا لجميـع سكان العش بالاقلاع فى سرب للهجـرة الى مكان اقامة جديد ، ولن نتوسـع فى تفصـيل هذه الأمور لأنها ليست موضوع مقالنا •

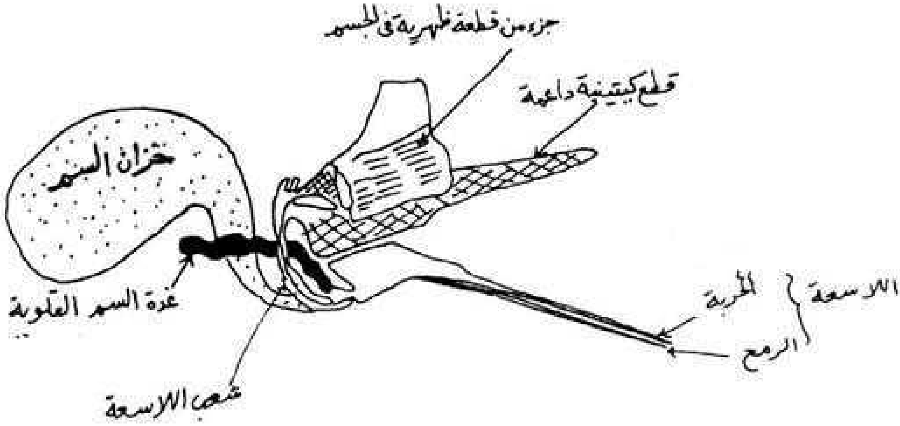
فليقلب الانسان نظره فى خلـق الله ليرى بديع صنعه وحكمة خلقه ، وأنه سبحانه وهب لكل مخلوق ما يبلغه أسباب حياته ، وهكـذا نرى العناية الالهية ظاهرة جلية فى كل مناحى الحياة •



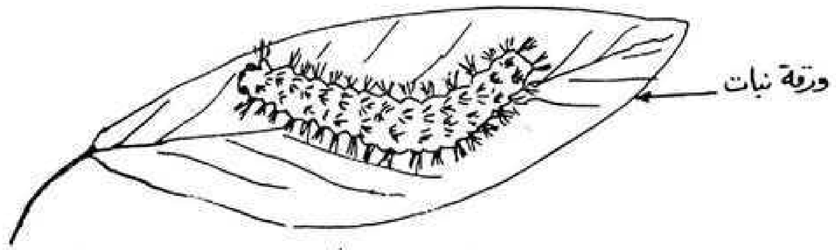
شكل (١): منظر تخطيطي للسطح السفلي لإحدى الخنافس يوضح أشكال ومواضع الغدد القاذفة للإفرازات على نفسها مخرجة الإفرازات السمية في وجه الأعداء (الغدد مظللة باللون الأسود).



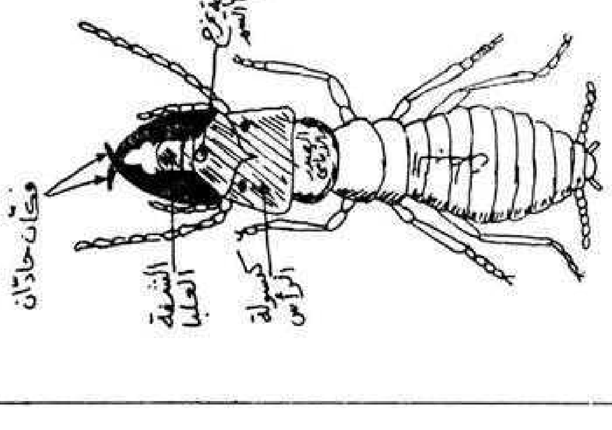
شكل (٢): شكل تخطيطي للجهاز الدفاعي.



شكل (٣) : رسم توضيحي يبين اللاسعة في شغالة نحل العسل (منظر جانبي) .



شكل (٤) يوضح الشعيرات الإبرية الشكل التي تملؤها اليرقة بالسم ثم تغرسها في جسد العدو المهاجم فتتكسر فيه .



شكل (٥) : جندي في النمل الأبيض له كبسولة رأس ضخمة وفكان حادان .

عباقرة مصريون

في ذكرى العالم د. مصطفى مشرفة

حول مؤلفات الدكتور :
على مصطفى مشرفة
وذكراه الخالدة

اطلعت على المقال القيم للأستاذ الباحث / محمد عبد المنعم ابراهيم - بعدد مجلة الأزهر الصادر فى جمادى الآخرة الماضى . فسرنى كثيرا هذا الاهتمام والالتفات لذكرى العالم الجليل التى تمر كل عام دون أن يشعر بها أحد . ودون أن تلقى بعض ما يستحق من عرفان وتقدير ، أسوة بمن نحتفى بذكراهم سنويا ، وبصورة منتظمة ، من أدبائنا وفنانينا .

وأود أن اضيف الى ماذكره الأستاذ الباحث بمقاله ، معلومة هامة ، فحواها أن الشارع الذى كان يقع به منزله بمصر الجديدة ، أصبح يحمل الآن اسم : شارع مشرفة باشا ، ومعلومة أخرى عن موقف ثورة يوليو ١٩٥٢ من هذا العالم الجليل إذ احتفت بذكراه الثالثة أروع احتفاء عام ١٩٥٣ ، على الرغم من أنه انتقل الى رحمة الله تعالى قبيل قيامها بعامين ونصف العام ، فأقيم حفل كبير فى ١٨/١٢/١٩٥٣ بصالة الاحتفالات الكبرى بمعرض القاهرة للراديو والتليفزيون والرادار القى فيه الرئيس جمال عبد الناصر كلمة أشاد فيها بالعلم والعلماء ، كما تحدث المشير عبد الحكيم عامر قائلا : إنه لم يجتمع هذه الليلة ليحيي ذكرى عالمين (يعنى دكتور مشرفة وتلميذته الدكتورة سميرة موسى) فقط وإنما ليحيى العلم تحية العارفين بقدره المقدرين لأهمية ، وإن الألف جنيه باسم الدكتور مشرفة وتلميذته الدكتورة سميرة موسى لهى اقل واجب من أمة نحو أبنائها الذين كافحوا فى سبيلها .

وأود فى هذه الكلمة أن اذكر أهم مؤلفات الدكتور مشرفة ومنها :

ذلك القاموس الذى صنفه لمفردات الكلمات العلمية باللغتين العربية والانجليزية ، وسماه « مختارات ترجمة العلوم » لطلبة الرياضيات والعلوم فى فروع الطبيعة والكيمياء ، والتاريخ الطبيعى والفلك والرياضيات ، بالإشتراك مع المرحوم « محمد عاطف البرقوقى »

بالاضافة الى كتبه فى الجبر والمقابلة للخوارزمى الذى عنى بنشره مع الدكتور « محمد

بقلم: وفيقة عواد سلامة

مرسى أحمد عام ١٩٣٩ وشرحا ماكان فيه أساسا فى علم الجبر ، وعلقا عليه وحللا مسائله معبرين بعبارات الاصلاح الحديث .

وكتابه (نحن والعلم) ١٩٤٥ .

والذرة والقنابل الذرية فى ذات العام .

و(العلم والحياة) ١٩٤٦ .

وقبل ذلك كتابه (مطالعات علمية) ١٩٤٣.

هذا بالاضافة الى كثرة المؤلفات والتصانيف العلمية والدراسية طبقا للمنهج الجديد ، ومن هذه الكتب أيضا :

١ ـ الهندسة الوصفية ١٩٣٧ بالاشتراك فى التأليف مع الأستاذ / محمد الهامى الكردانى .

٢ ـ الميكانيكا العلمية والنظرية ١٩٣٧ بالاشتراك مع الأستاذ / عبد الرحمن كامل فهمى للسنة التوجيهية قسم الرياضة .

٣ ـ الرياضة البحتة ١٩٣٨ بالاشتراك مع الدكتور محمد مرسى أحمد للسنة التوجيهية شعبة العلوم .

٤ ـ الهندسة المستوية والفراغية ١٩٤٤ بالاشتراك مع الاستاذ / عبد الرحمن كامل فهمى .

٥ ـ حساب المثلثات ١٩٤٧ بالاشتراك مع الأستاذ / عبد الرحمن كامل فهمى .

كذلك راجع سلسلة من أمهات المراجع الجامعية وعيون الكتب لأشهر علماء الغرب ، وذلك بقرار من اللجنة العليا لتشجيع التأليف والترجمة بوزارة المعارف ومن هذه الكتب .

١ ـ التفاضل والتكامل تأليف (ر . كورانت) ويقع فى أربعة أجزاء .

٢ ـ الميكانيكا التحليلية تأليف (اروين هـ ـ بارتون) ويقع فى جزءين .

٣ ـ الكون الغامض لسير جيمس جينز .

٤ ـ الفلك العام لمؤلفه جونز .

٥ ـ التحليل الرياضى لمؤلفه بارتون .

٦ ـ الكون يزداد اتساعا لمؤلفه سير آ . س ادنجتون .

٧ ـ الرياضة البحتة لمؤلفه هاردى .

٨ ـ الطبيعة النظرية لمؤلفه ولسون .

٩ ـ نظرية المثلثات اللانهائية لمؤلفه برنسويك .

١٠ ـ الطبيعة العملية المتقدمة لمؤلفه وورين فلنت .

وله إلى ذلك مجموعة من الأحاديث الاذاعية التى كان يلقيها بين الحين والحين ، والبحوث والدراسات العلمية التى كان ينشرها بالانجليزية بكثير من المجلات العلمية المتخصصة بمصر والبلاد الأوربية ، مما لفت أنظار كبار العلماء كانشتين إليه ـ وعدُّوه واحدا من أفراد العصر المتخصصين فى الذرة والرياضيات العليا ، وكانت فجيعتهم فيه عند وفاته كفجيعتنا تماما ؛ لعرفانهم لفضله رحمه الله رحمة واسعة وعوض مصر خيرا .

ولمن شاء أن يرجع الى تفاصيل أوفى فليعمد الى كتاب (د . عطية صقر) عن شقيقه (د . على مصطفى مشرفة) جمع فيه كل شاردة وواردة عنه فى حوالى أربعمائة صفحة .

طرائف

أبواب السعادة

مما قاله الامام عبد الله بن محمد الأندلسى المالكى المشهور بالقحطانى فى نونيته المعروفة:

لا تعص ربك قائلا أو فاعلا
فكلاهما فى الصحف مكتوبان
جمّل زمانك بالسكوت فإنه
زين الحليم وسترة الحيران
كن حلس بيتك إن سمعت بفتنة
وتوق كل منافق فتان

"موطنان"

* موطنان ابك فيهما ولاحرج : طاعة فاتتك بعد أن واتتك ، ومعصية ركبتك بعد أن تركتك .

* وموطنان افرح فيهما ولا حرج : معروف هديت اليه ، وخير دللت عليه .

* وموطنان لا تطل الوقوف عندهما : ذنب مع الله مضى ، واحسان الى الناس سلف .

* وموطنان لا تشمت فيهما : موت الأعداء وضلال المهتدين .

* وموطنان أكثر منهما ما استطعت : طلب العلم ، وفعل المكرمات .

* وموطنان لاتجزع من مشهد البكاء فيهما : بكاء المرأة حين تتظلم ، وبكاء المتهم حين يقبض عليه .

* وموطنان لا يغرنك الضحك فيهما : ضحك الطاغية لك ، وضحك المحزون عندك .

مصطفى السباعى

أسماء الأطعمة التى تجرى مجرى الشكران

قال ابن قيم الجوزية الأطعمة المعتادة التى تجرى مجرى الشكران كلها سبيلها الطبخ ، ولها أسماء متعددة :

* فالقرى : طعام الضيفان .

ومواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

* والمادبة : طعام الدعوة .
* والتحفة : طعام الزائر .
* والوليمة : طعام العرس .
* والخرس : طعام الولادة .
* والعقيقة : طعام الذبح عن المولود يوم حلق رأسه فى اليوم السابع .
* والقديرة : طعام الختان .
* والوضيمة : طعام المأتم .
* والنقيعة : طعام القادم من سفره .
* والوكيرة : طعام الفراغ من البناء .

فكان الاطعام عند هذه الأشياء أحسن من تفريق اللحم فى مكارم الأخلاق و الجود .

حقيقة

من رزقه الله مالا وجمالا : فعف فى جماله ، وواسى فى ماله كتب فى ديوان الأبرار .

حسنا

الحياء خير كله ، وللحياء بداية ونهاية فبداية الحياء الا يراك ربك حيث نهاك .

ونهاية الحياء أن ينظر الحق الى قلبك فلا يجد فيه بقية لسواه .

حكم

أقرب الناس عشرة : من اذا قرب منح ، واذا ظلم صفح ، واذا ضويق سمح .

أجدر الناس بالصنيعة : من اذا أعطى شكر ، واذا منع عذر ، واذا مطل صبر .

أجَلّ الناس : من عفا اذا قدر ، وأجمل اذا انتصر ، ولم تطغه عزة الظفر .

دعاء

اللهم انى أسالك ايمانا لا يرتد ، ونعيما لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، ومرافقة نبيك سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى اعلي جنان الخلد .

عباقرة مصريون

حول ذكرى عالمنا الجليل
الدكتور على مصطفى مشرفة

سررنا كثيراً لمبادرة مجلة الأزهر الغراء إلى نشر مقال الأستاذ الكبير محمد عبد المنعم ابراهيم ، عن العالم الراحل الدكتور / على مصطفى مشرفة ، فى توقيت موفق ، يناسب الذكرى السادسة والثلاثين لرحيله ، إذ انتقل رحمه الله إلى جوار مولاه فى صباح يوم الاثنين الموافق ١٥ من يناير سنة ١٩٥٠ ، وكنا نتوقع ان تهتم الدوائر العلمية وغيرها بهذه الذكرى العطرة الا ان الوفاء الحق تمثل بجلاء ووضوح ، على منبر مجلتنا الحبيبة ولنا بعض إضافات لمقال استاذنا عبد المنعم ابراهيم تتعلق بتاريخ ميلاده ومسقط راسه ، إذ ان الراحل الكريم من مواليد مدينة دمياط فى الثانى والعشرين من صفر الموافق الحادى عشر من يوليو سنة ١٨٩٨ .

وقد أمضى فيها سنى طفولته وصباه الباكر ، فى عائلة تولى بعض رجالاتها منصب القضاء والإفتاء وكان والده السيد « مصطفى عطية أحمد جعفر مشرفة » ميسور الحال ، وكان من المتمكنين فى علوم الدين ، يضع عمامة فوق راسه تشبه عمامة السيد جمال الدين الأفغانى ، وكان يعقد الندوات الفكرية فى داره بين الحين والحين ، وتضم الأفاضل من علماء عصره ، وقد بثّ الوالد فى صغيره وأكبر أبنائه (علىّ) حب الكفاح وصدق وصلابة الإرادة ، وهذا ما يتعين التنويه به .

وكان والده يملك حوالى مائتى فدان ، إلا ان ازمة « القطن » المشهورة عام ١٩٠٧ أتت على ثروته برمتها ، وعلىُّ وقتئذ ، يستعد لنيل الشهادة الابتدائية ـ وهو ناظر مدرسته ـ ورسب الناظر .. فى حين نجح « علىّ » وكان ترتيبه الأول على القطر كله ، عام ١٩١٠ (١) .

وبموت الوالد أصبح ابنه البكر عميداً لأسرته المكونة من إخوته « نفيسة ومصطفى وعطية وحسن » وهو لم يكد يتجاوز عامه الثانى عشر .. وقد تحدث أستاذنا عبد المنعم ابراهيم عن

---

(١) انظر كتاب (على مصطفى مشرفة) تاليف شقيقه الدكتور عطية مصطفى مشرفة .

بقلم: عزت محمد محمد زعلوك

بقية رحلة عمره بعد ذلك ، إلا أن مايتعين الإشارة إليه أنه حينما أثير مشروع ترقية مشرفة إلى منصب الأستاذية بكلية العلوم ، اعترضت بعض دوائر الجامعة ، لأن سنّه كانت دون الثلاثين ، فوجّه أحد النواب سؤالا فى هذا المعنى إلى وزير المعارف خصوصاً وقد كانت درجته العظيمة أرقى من درجة المدرس الانجليزى الذى أعطى لقب الأستاذية قبله بكليته ، وكان يرأس الجلسة الزعيم « سعد زغلول » ، فنصر النائب على إدارة الجامعة ..

وفى ١٩٢٦/٢/١٨ وافق مجلس الجامعة على منحه لقب أستاذ للاعتبار السابق ، ولما كان ينشره من دراسات قيمة وبحوث مستفيضة فى مجال تخصصه النادر (٢) ..

وقد كان يدرس مادته لأول مرة باللغة العربية واثناء عمله استجاب مجلس الوزراء فى جلسة ١٩٤٧/٣/٣٠ لإلحاح جامعة برينستون الأمريكية فى طلب الدكتور مشرفة لإلقاء سلسلة من المحاضرات فى الذرة ، الا أن الملك السابق « فاروق » وقف حجرة عثرة فى سبيل تنفيذ هذا الأمر ، لانتقاد مشرفة ، عَلَناً ، لسلوك الملك السابق « فاروق » للعبه القمار بنادى السيارات .. مما أغضبه على مشرفة ، فمنع تعيينه مديراً للجامعة ، ومنع سفره لأمريكا بعد ترشيح اينشتين(٣) له للتدريس بجامعة برنستون كأستاذ زائر ، لمدة سنة .. وقد اكتفى مشرفة بالرد على اينشتين فى هذا الصدد ، معتذراً ، بقوله : « فى بلدى جيل يحتاج إلىّ » وقد كان مشرفة من القلائل فى العالم كله الذين يفهمون النظرية النسبية باعتراف اينشتين ، وأسرار تركيب الذرة والقنبلة الذرية ، كما دلت على ذلك دراساته وابحاثه المستفيضة فى هذا المجال ، التى قدّرها العلماء فى العالم بأسره ..

ومما يروى عن أَنَفَةِ مشرفه واعتزازه بعلمه وكفايته قبل اى اعتبار آخر ، أن الدكتور « أحمد رياض ترك » وزير البحث العلمى السابق حينما دخل على مشرفة بغرفته بالكلية ، لتهنئته برتبة الباشوية ، استنكر منه ذلك ، قائلاً : « هل الباشوية أعلى رتبة من الدكتوراه ؟ » ولعل هذا

---

(٢) ما ذكره الأستاذ محمد عبد المنعم عن مؤلفاته يقل كثيراً عن كمِّها ، بالإضافة إلى أحاديثه العديدة بالإذاعة .

(٣) صاحب نظرية النسبية ونظرية الجاذبية التى أدَّت إلى صنع القنبلة الذرية بعد ذلك ، وإن كان قد أثر عن اينشتين قوله ، بعد تفجير أول قنبلة ذرية فى ٦ أغسطس ١٩٤٥ بهيروشيما باليابان : (لو أننى ادركت ذلك فى حينه ، لوددت أن أكون صانع أقفال أو سمكرياً) وحينما سمع بوفاة مشرفة قال (لا تقولوا أن مشرفة مات لا .. لا إننا محتاجون إليه - إنها خسارة كبيرة لقد كان رائعاً ، وكنت أتابع أبحاثه فى الذرة بكل ثقة ، لأنه كان من أعظم علماء الطبيعة) .

عباقرة مصريون :

هو الذى حدا به إلى الدعوة إلى إلغاء الرتب والألقاب قبل قيام ثورة يوليو بإلغائها بعد ذلك ..

ويطول بنا نفس القول إذا أردنا أن نتتبع مفاخر ومواقف هذا العالم الجاليل الفذ ، ونقتصر اليوم على قول شقيقه الدكتور عطية مشرفة أنه - أى الدكتور على مشرفة - كعالم رياضى ، دَرَسَ المادة وتعقب عناصرها فأرْجعها إلى الذرة ، ثم تعقب الذرّة فردّها إلى الألكترونات والبروتونات ، وكشفه عن خواص كل ذلك - جَعَلَه يرى عظمة الله ، أروع من غيره ، فكان مسلماً حقاً ، يعبد خالقه ، ويعمل بأوامره ، ويتجنب نواهيه .

وكان يحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة ويستشهد بها فى أحاديثه اليومية ، ويحمل فى جيبه على الدوام مصحفاً صغيراً وعلى الجملة فقد كان متمسكاً بدينه الحنيف ..

وكان يحض الكتاب والمؤلفين على وضع روايات أساسها تاريخ النبى ﷺ أو تاريخ الخلفاء الراشدين ، والحوادث الإسلامية ، فلا يجرون وراء الغربيين ، حتى فى رواياتهم ، كأن ليس لنا تاريخ أو مجتمع نفكر فيه ...

وصفوة القول ان الدكتور مشرفة رغم إقامته بانجلترا لسنوات عديدة ، وغيرها من بلدان أوربا وعواصمها ، ظل متمسكاً بعقيدته السليمة وطابعه الشرقى الصميم .. رحمه الله رحمة واسعة .

من التراث

مجلة الأزهر من خمسين عاما

مكتبة الأزهر

متى حرمت الخمر؟

خطأ تاريخي

لصاحب الفضيلة الشيخ أحمد الشرباصي

تحرى الدقة ، وتوخى الحقيقة من الأمور التى يجب توافرها عند ذكر شىء من القصص التاريخى . ذلك لأنها تتناول جانبا هاما من جوانب الاعتياد عند العرب ومدى استمراريته أو الاقلاع عنه .

والتاريخ الاسلامى ـ بوجه خاص ـ حافل ببعض العادات التى ألفها العرب قبل الاسلام ، فلما جاء الاسلام كان له رأى فيها . هذا الرأى الذى يجب ابرازه بصدق وأمانة ، فإذا جاء من شط فى القول أو جنح به الخيال أو التبس عليه الأمر فذكر ما يخالف الحقيقة ، كان حريا على كل مسلم منصف غيور أن يرده إلى الصواب وأن يضع النقاط على الحروف ويرجع الحقيقة التائهة إلى مكانها الطبيعى فى ركب التاريخ .

إن الاسلام دين أمة وهى خير أمة أخرجت للناس ، وحتى تكون الأمة جديرة بهذا التقدير الإلهى ينبغى أن تكون أمينة على تاريخها وتراثها ، لأن التاريخ أمانة فى يد الأمة ، وتزييف التاريخ من أبشع الجرائم لأنه إلباس الحق ثوب الباطل وإلباس الباطل ثوب الحق .

ولكن الاسلام سيظل بخير ما دام فيه من يستطيع أن يرد الحقيقة إلى نصابها من غير خشية أو وجل ويعلنها صريحة مدوية : هذا خطأ تاريخى، وفى النهاية لا يصح إلا الصحيح :

قال الأستاذ الكاتب رحمه الله :

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

هناك خطأ تاريخى يجده القارىء فى كتاب سائر لأديب مشهور ، ذلك هو كتاب « محمد » للأستاذ توفيق الحكيم (١)، إذ نجد المؤلف فى صفحة ١٣٢ فى « المنظر السابع والعشرين » يقدم لهذا المنظر بقوله : « فى طريق من طرق مكة ليلا .. نعيم بن عبد الله وعمر بن الخطاب يتقابلان ..» ثم يجرى المؤلف بينهما المحادثة التالية :

« نعيم ـ أين تريد يا عمر ؟»

عمر ـ أريد جلسائى فلا أجدهم ، ولقد جئت اسحاق الخمار لعلى أجد عنده خمراً فأشرب منها ، فلم أجده .

نعيم ـ لقد مضى عهد الخمر .. (يتلو): « والخمر (٢) والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ».

عمر ـ هذا كلام محمد ، وفعل محمد . هذا الصابىء الذى فرق أمر قريش وعاب دينها ، وسفه أحلامها ، وشتت مجالسها ، وضيع بهارجها ، وشرد شعراءها ».اهـ

ثم يسوق المؤلف بعد ذلك حديثا ومحاورة عن عزم عمر على قتل الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وقصة إسلامه المعروفة لمطالع السيرة النبوية .

وكتاب الأستاذ توفيق الحكيم على الرغم من أنه يتبع سبيل الحوار ، ويظهر بمظهر المسرحية والقصة ، وعلى الرغم من كل شىء ، كتاب ذو صبغة تاريخية ، فهو يتقيد بالحقائق والحوادث ، والواقع المنقول ، ويتمسك بالرواية والنصوص ، ولا يتبع سبيل الرواية التخيلية التصويرية التى تستبيح التقديم أو التأخير أو التزيد أو النقص ، أو التصرف فى النصوص والحوادث ، أو اختلاق الوقائع والمواقف . والذى يفهم من كلام المؤلف الذى ذكرنا نصه فيما سبق أن الخمر قد حرمت التحريم الصريح فى مكة . وأن ذلك التحريم كان قبل إسلام الفاروق عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، وأن الآية .

(١) أثبت المؤلف هذا الخطأ فى طبعتى الكتاب الأولى والثانية ، وهما اللتان صدرتا من طبعاته إلى حين كتابة هذه الكلمة .

(٢) هكذا فى كتاب المؤلف ، والصواب « إنما الخمر والميسر إلخ راجع الآية ٩٠ من سورة المائدة ».

متى حرمت الخمر؟

« **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** » نزلت فى مكة قبل الهجرة وقبل إسلام عمر ايضا وكل هذا غير صحيح ، فالخمر لم تحرم إلا فى المدينة وبعد الهجرة ، وبعد إسلام عمر ، وآية المائدة السابقة لم تنزل كذلك إلا فى المدينة ، وعلى ذلك فيكون صدر المنظر الذى ذكره المؤلف ونقلناه آنفا لا يتفق وتاريخ الاسلام وحقائق السيرة ، ولا نصيب له من الواقع ، لأن المعروف فى تاريخ الاسلام وسيرة النبى عليه الصلاة والسلام أن عمر بن الخطاب لما قابل نعيم بن عبد الله لم يتذاكرا الخمر على هذه الصورة ، ولم يتل نعيم على عمر آية التحريم المذكورة ، إذ لم تكن قد نزلت بعد ، وإنما تذاكرا أمر النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، فسبه عمر وعزم على قتله ، فحدثه نعيم عن إسلام أخته وزوجها ، وكان ما كان من قصة إسلام عمر المشهورة .

ويتضح أن تحريم الخمر كان بعد إسلام عمر بزمن طويل من تلك القصة التى يكاد يجمع عليها كل المفسرين ويذكرونها سببا لنزول آيات الخمر الثلاث فى القرآن ، فقد جاء فى تفسير « الطبرى » ما نصه بعد ذكر سند طويل : « عن أبى ميسرة قال : قال عمر : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، قال : فنزلت الآية التى فى البقرة : « **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ** ». قال : فدعى عمر فقرئت عليه . فقال : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية التى فى النساء : « **لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ** » قال : وكان منادى النبى صلى الله عليه وسلم ينادى إذا حضرت الصلاة : لا يقربن الصلاة السكران . قال : فدعى عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا . قال : فنزلت الآية التى فى المائدة : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ** **إلى قوله** : **فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ** »؟ فلما انتهى إلى قوله : فهل أنتم منتهون ، قال عمر : انتهينا انتهينا ..» اهـ

وقد ورد مثل هذا فى أكثر التفاسير المعتمدة وما رجعت إلى واحد منها إلا وجدت هذه القصة تطالعنى ، إما بنصها السابق ، وإما برواية أخرى مقاربة له ، فقد وجدتها فى تفاسير ابن كثير والبغوى ، والدر المنثور للسيوطى ، والبحر المحيط لأبى حيان ، والكشاف للزمخشرى ، والنسفى ، والصاوى على الجلالين ، وروح المعانى للألوسى ، والسراج المنير للخطيب الشربينى ، وأحكام القرآن لابن العربى المعافرى ، والجواهر لطنطاوى جوهرى ، والمنار لرشيد رضا ، وغير ذلك ..

وأمام هذا لم أجد تفسيراً واحداً ، أو كتاباً من كتب التاريخ يؤيد المؤلف عن قرب أو عن بعد فى الموقف الذى صوره فى كتابه .

ومما يدل فوق هذا أن تحريم الخمر كان بالمدينة بعد الهجرة قول ابن عمر رضى الله

عنهما : « ولما نزلت الآية التى فى سورة (المائدة) حرمت الخمر ، فخرجنا بالحباب (١) إلى الطريق فمنا من كسر حبه ، ومنا من غسله بالماء والطين ، ولعله غودرت أزقة (المدينة) بعد ذلك طينا ، فلما مطرت استبان فيها لون الخمر ، وفاحت منها ريحها » وقوله : « نزل تحريم الخمر وإن (بالمدينة) يومئذ الخمسة أشربة ما فيها شراب العنب ».

بل إن بعض المفسرين يقولون : إن تحريم الخمر نزل بعد غزوة الأحزاب (٢) ، فقد قال الإمام البغوى فى تفسيره : إن تحريم الخمر كان بعد غزوة الأحزاب بأيام ، ومثل ذلك مذكور فى تفسير الإمام الألوسى .

أما بعد ، فإن الأدلة على خطأ المؤلف الفاضل وصحة ما أشرنا إليه من الكثرة بحيث لا يستطاع حصرها ولا ذكرها ..

وسيرة الرسول الكريم صلوات الله عليه أعز شىء على المسلمين ، وأجل ذخيرة بين أيديهم ، وهى قطعة من شريعتهم لما فيها من توضيح للدين وتفصيل للتنزيل ، ومن الإثم أن نمس هذا التراث المقدس بأقل تغيير أو أدنى تبديل ، أو أبسط تصرف ، فلعل الأستاذ توفيق الحكيم صاحب كتاب « محمد » يعنى بإصلاح هذا الخطأ التاريخى الذى صدر عنه .. فى طبعة كتابه القادمة ، حتى لا يتحمل تبعته وتبعة من يقرؤه فيعتقده حقا وما هو من الحق فى شىء ..

ولعل الذين يقتنون الآن نسخة من هذا الكتاب يبادرون بالإشارة إلى تلك الملاحظة عند ذلك المنظر المذكور فى صدر هذه الكلمة ، حتى يتنبهوا إلى صحة الموقف ، ويؤدوا بذلك حق التاريخ وحق الرسول الكريم . صلوات الله وسلامه عليه .

« كلية اللغة العربية »

أحمد الشرباصى

المجلد الرابع عشر

سنة ١٣٦٢

---

(١) الحباب بكسر الحاء مفردها حب ، والحب هى الخابية التى توضع فيها الخمر . راجع القاموس المحيط مادة الحب .

(٢) كانت هذه الغزوة بعد الهجرة بخمس سنوات .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

سبل الهدى والرشاد

فى سيرة خير العباد (١)

للشيخ الصالحى الدمشقى

مؤلف هذا الكتاب(٢) هو العلامة الشيخ محمد بن يوسف بن على بن يوسف شمس الدين الشامى .

محدث ، عالم بالتاريخ .

ولد فى صالحة دمشق ، وسكن البرقوقية بصحراء القاهرة الى أن توفى سنة ٩٤٢ هـ عام ١٥٣٦ م .

من كتبه (سبل الهدى والرشاد ، فى سيرة خير العباد) يقع فى أربعة مجلدات ، ويعرف بالسيرة الشامية .

جمعه من كتب كثيرة من بينها (عقود الجمال فى مناقب أبى حنيفة ، و (مطلع النور فى فضل الطور) و (الاتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوى صاحب الكشاف) ، و (عين الاصابة فى معرفة الصحابة) ، و (الجامع الوجيز الخادم للغات القرآن العزيز) ، و (مرشد السالك الى الفية بن مالك) ، و (اتحاف الراغب الواعى لترجمة الأوزاعى) .

قال عنه صاحب شذرات الذهب جزء ٧ ص ٢٥٠ : كان عالما صالحا مفننا فى العلوم وألف السيرة النبوية المشهورة ، وأقبل الناس على

---

(١) الكتاب بمكتبة الازهر برقم خاص ٧٤ عام ٢١٦٤ علم التاريخ .

(٢) الاعلام للزركلى جـ ٨ ص ٣٠ .

عرض وتقديم
للأستاذ محمد عميرة على

كتابتها ، ومشى فيها على أنموذج لم يسبق اليه أحد ، كان حلو المنطق مهيب المنظر ، كثير الصيام والقيام بت عنده الليالى فما كنت أراه ينام فى الليل الا قليلا .

وكتابنا الذى نقدمه (سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد) «وتعرف بالسيرة الشامية»

وهو كتاب مبسوط فى السيرة النبوية الحافية من الفوائد بالعجب العجاب حتى زادت أبوابه على سبعمائة باب ، رتبه تلميذه الشيخ محمد بن محمد بن أحمد الفيشى المالكى معتمدا على مسودة المؤلف ، وجعل كل جملة أبواب مندرجة تحت عنوان عام مختص بها ، كجماع أبواب مولده ، وجماع أبواب بعثته ، وجماع أبواب نسبه الشريف ، وجماع أبواب رضاعته ،وأبواب أخرى سنذكر منها بقدر ما يسمح به المقام .

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ فى أول كتابه . هذا كتاب اقتضبته من أكثر من ثلثمائة كتاب وتحريت فيه الصواب ، ذكرت فيه قطرات من بحار فضائل سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مبدأ خلقه قبل خلق سيدنا آدم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم أذكر فيه شيئا من الأحاديث الموضوعة وختمت كل باب بما أشكل فيه وبعض ما اشتمل عليه التفاسير المستجدات مع بيان غريب الألفاظ وضبط المشكلات والجمع بين الأحاديث التى قد يظن أنها من المتناقضات ، واذا ذكرت حديثا من عند أحد من الأئمة فانى أجمع بين ألفاظ رواته اذا اتفقوا واذا عزوته لمخرجين فأكثر فانى أجمع بين ألفاظهم اذا اتفقوا فلا يعترض على اذا عزوت الحديث للبخارى ومسلم وذكرت معهما غيرهما فان ذلك لأجل الزيادة التى عند غيرهما غالبا .

واذا كان الراوى عن النبى صلى الله عليه وسلم صحابيا قلت رضى الله تعالى عنه ، فان كان تابعيا أو من التباع التابعين قلت رحمه الله ، الى أن قال سميت هذا الكتاب « سبل الهدى والرشاد لسيرة خير العباد » وذكر فضائله . واعلام نبوته وأفعاله وأحواله فى المبدأ أو المعاد ، واذا تأملته علمت أنه نتيجة عمرى وذخيرة دهرى . ثم قال :

جماع أبواب الفضائل والآيات الواقعة قبل مولده صلى الله عليه وسلم .

البـاب الأول :

فى تشريف الله تعالى له بكـونه أول الأنبياء خلقا . روى أبو اسحاق الجوزى عن أبى حاتم فى تفسيره عن أبى هريرة رضى الله تعـالى عنه قال . قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « كنت أول الأنبياء خلقا وآخرهم بعثا .

وروى ابن سعد عن قتادة مرسلا قال . قال : رسول الله ــ صلى الله عليـه وسلم ــ « كنت أول الناس فى الخلق وآخرهم فى البعث » .

وروى الحافظ محمد بن أبى المعدنى شـيخ مسلم فى مسـنده عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن قريشا أى السعدة بالاسلام كانت نورا بين يدى الله تعـالى قبـل أن يخلق آدم بألفى عام يسبح ذلك النور وتسـبح الملائكة بتسبيحه .

قال ابن القطان فيجتمع من هـذا مـع ماق الحديث على أن النور النبوى جم بعـد خلقه باثنى عشر ألف عام وزيد فيه سائر قريش .

قال الغزالى فى كتاب النفخ والتسـوية فى قولـه ــ صلى الله عليـه وسلم ــ كنت أول النبيين خلقا : ان المراد بالخلق التقـدير دون الايجاد فانه قبل أن ولدته أمه لم يكن موجودا ولكن الغايات والكمالات سـابقة فى التقـدير لاحقة فى الوجود .

الباب الثانى :

فى خلق آدم وجميع المخلوقات لأجله :

وعن ابن عباس ــ رضى الله عنهمـا ــ قال أوحى الله تعالى الى عيسى آمن بمحمد مهـد أمتك أن يؤمنوا به .

فلولا محمد رسـول الله ما خلقت آدم ولا الجنة والنار ولقد خلقت العرش عـلى المـاء

فاضطرب فكتبت عليـه لا اله الا الله محمـد رسول الله فسـكن رواة الشـيخ فى طبقات الأصبهانيين والحاكم وصححه واقدة السبكى فى « سقا السقام » وأبلقينى فى « فتاويه » .

الباب الثالث :

فى تقدم نبوته على نفخ الروح فى آدم ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

وعن عبد الله بن عمر ــ رضى الله تعـالى عنهما ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل آن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » رواه مسلم ، زاد صاحب اللطـائف ومن جملة ما كتب فى الذكر وهو أم الكتاب أن محمدا خاتم النبيين .

وعن العرباض بكسر العين بن سارية ــ رضى الله تعالى عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليـه وسلم ــ قال : « انى عنـد الله فى أم الكتاب الخاتم النبيين ، وان آدم لمنجـدل فى طينته » رواه الامام أحمد والحاكم وصححه .

قال الطيبى فى شرح المشكاة انجدل مطـاوع جدله اذا ألقاه على الأرض . وأصله الالقـاء

على الجدالة بفتح الجيم والدال المهملة وهى الأرض الصلبة ، وهذا على سبيل انابة فعل مناب فعل بمعنى لا يجوز اجراء مجندل على أن يكون مطاوعا الجدل . لما يلزم من أن يكون آدم منفعلا من الأرض الصلبة وهو ملقى عليها والطينة الخلقة من قولهم : طان الله على طينتك والجار الذى هو فى ليس بمتعلق بمجندل لما يلزم من أن يكون آدم مظروفا فى طينته وانما هو ظرف له وهو حاصل فيه وانما هو خبر ثان لأن الواو وما بعدها فى محل نصب على الحال من المكتوب ، والمعنى كتبت خاتم الأنبياء فى الحال الذى آدم مطروح على الأرض حاصل

فى أثناء الخلقة لما يفرغ من تصويره واجراء الروح .

وقال الحافظ ابو الفرج بن رجب رحمه الله تعالى فى اللطائف المقصود من هذا الحديث أن نبوة النبى صلى الله عليه وسلم كانت مذكورة معروفة من قبل أن يخلقه الله تعالى ويخرجه الى دار الدنيا حيا ، وأن ذلك كان مكتوبا فى أم الكتاب من قبل نفخ الروح فى آدم صلى الله عليه وسلم ، وفسر أم الكتاب باللوح المحفوظ وبالذكر فى قوله تعالى (**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**) .

الباب الثانى عشر :

فى فترة الوحى وتشريف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة بعد النبوة .

روى ابن سعد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والامام أحمد والبخارى والبيهقى عن الزهرى رحمه الله تعالى والشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : الاولون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه الوحى بحراء مكث أياما لا يرى جبريل فحزن لذلك حزنا شديدا ولفظ الزهرى فتر الوحى فترة فيما بلغنا غدا منه مرارا حتى يتردى من رءوس شواهق الجبال . ولفظ ابن عباس حتى كاد يغدو الى يثرب مرة والى حراء مرة أخرى يريد أن يلقى نفسه منه ، قال الزهرى فكلما وافى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد أنت رسول الله حقا فسكن لذلك جأشه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة جبل يتبدى له جبريل فقال له مثل ذلك .

قال جابر قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم جاورت حراء شهرا فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادى فبينا أنا أمشى اذا سمعت صوتا فنظرت عن يمينى فلم أر شيئا

ثم نوديت فرفعت بصرى الى السماء فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى وفى لفظ « على عرش بين السماء والارض فرعبت منه » حتى هويت الى الارض فرجفت حتى أتيت خديجة فلت زملونى زملونى وفى لفظ دثرونى وصبوا على ماء باردا . فأنزل الله تعالى (**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**) أى : الملتف بثيابه عند نزول الوحى عليه (**قُمْ فَأَنذِرْ**) : خوف الناس بالنار ان لم يؤمنوا (**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**) عظم : عن اشراك المشركين (**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**) عن النجاسة أقصر خلاف جر العرب ثيابهم للخيلاء فلربا أصابها النجاسة ، (**وَالرُّجْزَ**) فسره رسول الله ـ صلى

الله عليه وسلم ـ بالأوثان ، (فَاهْجُرْ) : أى دم على هجره .

الباب الحادى والثلاثون

فى سفر النبى صلى الله عليه وسلم الى الطائف

قال موسى بن عتبة وابن اسحاق وغيرهما ولما مات أبو طالب ونالت قريش من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما لم تكن تناله منه فى حياته خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الطائف وحده ماشيا . وفى حديث جبير بن مطعم عن ابن سعد أن زيد بن حارثة كان معه فى ليال من شوال سنة عشر يلتمس النصر من ثقيف من قومه ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله تعالى . فلما انتهى الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة فقال له أحدهم ان كان الله أرسلك ؟

وقال الآخر أما وجد الله أحدا يرسله غيرك؟
وقال الثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك .

فقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من عندهم وقد يئس من خبر ثقيف وقد قال لهم « اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا على » . وكره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يبلغ قومه فأقام بالطائف عشرة أيام وقيل شهرا لا يدع أحدا من أشرافهم الا جاء اليه وكلمه فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه .

فقال يا محمد اخرج من بلدنا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبوه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس .

قال ابن عقبة وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة حتى أدبروا رجليه ، زاد سليمان التيمى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اذا أدمته الحجارة يقعد الى الأرض فيأخذون بعضديه ويقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون .

قال ابن عقبة فخلص منهم ورجلاه يسيلان دما فعمد الى حائط من حوائطهم فاستظل فى ظلها وهو مكروب موجع واذا أتى الحائط عتبة وشيبة أبناء ربيعة فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلما اطمأن فى ظل الجبلة قال ما سيأتى وروى الطبرانى برجال ثقات عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما انصرف عنهم أتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال « اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أو الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى . ولكن عافيتك هى أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى

غضبك أو يحل علـى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك . فلما رآه ابنا ربيعة وما لقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما يقال له عداس فقالا له خذ له هذا القطف من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال له : كل فلما وضع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يده ـ قال : باسم الله ثم أكل فنظر عداس فى وجهه ثم قال له والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.

فقال لـه رسـول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ : ومن أى البلاد أنت ياعداس ومادينك قال : نصرانى وأنا من أهل نينوى فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى .

قال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى فمن أين عرفت أنت يونس بن متى وأنت أمى وفى أمة أمية قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ذاك أخى كان نبيا وأنـا نبى فأكب عداس على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه فقال ابنا ربيعـة : أحدهما لصاحبه أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه .

قال : ياسيدى مافى الأرض خـير من هـذا الرجل لقـد أعلمنى بأمر لا يعلمه الا نبى قالا ويحك ياعداس لا يصرفنك عن دينك فان دينـك خير من دينه وقال : لما أراد الخروج الى بدر وأمره بالخروج معهما فقال لهما قتال ذلك الرجل الذى رأيت فى حائطكما لذو دين فوالله ما تقدموا له الجبال فقالا ويحك ياعداس قـد سـحرك بلسانه فانصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة الى آخر ما ذكر فى هذا الباب .

الباب الثالث

جماع أبواب معارجه ـ صلى الله عليه وسلم : فى تفسير أول سورة النجم :

قال الله سبحانه وتعالى : **بسم الله الرحمن الرحيم . وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى.مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى.وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى.إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى.عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى.ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى الى قوله تعالى : لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى »**

فقال الكلام على هذه الآيات من وجوه :

الأول : فى سبب نزولها سببه قول المشركين ان محمدا يختلق القرآن .

والثانى : فى مناسبة هذه السورة لما قبلها أن السورة التى تقدمت وهى التى أقسم فيهـا بالأسماء دون الحروف **« الصـافات والذاريات والطور »** وهذه السورة بعـدها فالقسـم فى الأولى لاثبات الوحدانية كما قال **« ان الهكم لواحد »**

وفى الثانية : لوقوع الحشر والجزاء كما قال تعالى : **«إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ.وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ»**

وفى الثالثة : لدوام العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى : « إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ » وفى هذه السورة لبيان النبوة كما قال تعالى .

« وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى » الى آخره لتكمل الأصول الثلاثة الوحدانية والحشر والنبوة والوجه الآخر فى المناسبة لما قبلها هو أن الكفرة بالغوا فى المكابرة والمعاندة فى حق النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وطعنوا فيما نطق به من الكلام كما مر بيانه فى تلك السورة فقال فى هذه ما يدل على صدقه فى دعواه وصدق ما نطق به وأجراه مؤكدا بالقسم .

وأما مناسبة أول هذه السورة الى آخر ما قيل فمن وجوه :

أحدها : أن اختتام تلك السورة بالنجم وافتتاح هذه السورة بالنجم مع القسم .

ثانيها : أنه تعالى أمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالصبر فى آخر تلك السورة كما قال تعالى « فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ » والصبر أمر صعب فذكر فى أول هذه السورة ما يدل على علو منزلته وعظم شأنه ليسهل عليه ذلك الأمر .

ثالثها : لما قال لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم « وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ » بين له أنه جزاه بخير فقال « مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى » الى آخر ما شرح فى هذا المقام .

وختم كتابه بجماع أبواب بعثته وحشره وأحواله يوم القيامة ــ صلى الله عليه وسلم .

أيها القارىء الكريم البحث فى هذا المقام كبير وطويل ويحتاج الى نشر مئات من المقالات التى لا تتسع لها صفحات النشر فى الكتب والمجلات فمن أراد مزيدا من البحث والمعرفة فليراجع المخطوط الموجود بمكتبة الأزهر منه الجزء الأول والثالث والرابع من نسخة فى ثلاثة مجلدات بقلم معتاد سنة ١٠٦٤ هـ ونسخة أخرى فى أجزاء الأول والثانى والرابع فى ثلاثة مجلدات بقلم معتاد سنة ١١١٢ هـ .

والله ولى التوفيق ،،،

محمد عمره على

اللغة والأدب والنقد

من روائع تراثنا المخطوط

أصوات اللغة العربية

من روائع تراثنا المخطوط

غراس الأساس

للحافظ ابن حجر العسقلاني

* (ثقف) أدبه وثقفه : جعله يصيب ، ولولا تثقيفى لما كان شيئا ، وهل تثقفت الا على يدك .

* (ثقل) : ثقل سمعى ، ثقل على كلامك ، وفلان ثقيل على جلسائه ، وثقيل الظل ، وأثقله المرض ، ومريض ثاقل ، ووجدت ثقله فى جسمى وأخذتنى ثقلة : أى نعسة غالبة ، واستثقل فى نومه ، وهو متثقل كالميت ، « وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا » (١) ، أى ما فيها من الكنوز والأموات .

واستعار بعضهم الثقل للبيض (٢) ، وتقول للغلام : هات ثقلى ، أى كتبى وأقلامى ، ولكل صاحب صناعة ثقل .

* (ثكل) قصيدة مثكلة ، أى ذكر فيهـا الثكل .

* (ثكم) وخل عن ثكم الطريق (وَثَكَمِهِ) أى وضحه (٤) .

* (ثلب) ما هو الا ثِلَبٌ (٥) ، أى شيء هرم ، وأصله الجمل فاستعير (٦) له كما قيل

(رأيت (٧)) ثِلْبًا على ثلب بيده ثَلِبٌ (٨)

ـ (ثلث) حبل (٩) مثلوث : فتـــل على (ثلاث) (١٠) قوى ، ومزادة مثلوثة : عملت ه

---

(١) الزلزلة ـ ٢ .
(٢) فى الاصل : للنص .
(٣) فى الاصل : ثكل باللام .
(٤) فى الاصل : فضحه .
(٥) فى الاصل : ثلث .
(٦) فى الاساس : استعيرت للرجل صـــفة الجمل .
(٧) زيادة من الاساس .
(٨) فى الاصـــل : ثلث على ثلث بيده نكث . تحريف .
(٩) فى الاصل جبل بالجيم .
(١٠) زيادة من الاساس .

تحقيق الدكتور : توفيق محمد شاهين

ثلاث جلود ، ومال مثلوث : أخذ ثلثه . وثلثت التركة (١) ، وأرض مثلوثة : كربت (٢) ثلاثا ومثنية (كربت) مرتين ، وقد ثلثتها : رتبتها،

وفلان يثنى ولا يثلث : أى يعد الشيخين ،

ويسكت عمن بعدهما ، ويثلث ولا يربع (٣) ،

وشيخ لا يثنى ولا يثلث : (اى (٤)) ، لا يقدر فى الثانية ولا الثالثة أن ينهض ، وهو يسقى نخله الثلاث : بالكسر ــ وفى الأساس ــ الثلث، أى مرة فى (كل) ثلاثة أيام .

وهؤلاء بكرها ، وثنيها ، وثلاثتها الى العشرة (وثوب) ثلاثى (٥) ، وناقة ثلوث : تملأ ثلاثة آنية فى حلبة ، وهى (التى ييس ثلاثة) (٦) ، من أخلافها (٧) . ويقال : خَلَّفَ بناقته : صَرَّ خِلْفا واحدا . وشطر بها : صر خلفين (٨) . وثلث بها : صر ثلاثة وأجمع بها : صر جميعها (٩) .

ــ (ثلج) ثلج فؤاده ، وهو مثلوج الفؤاد ،

وثلجت (١٠) فؤاده بالخبر فثلج ، وثلجت نفسه بكذا : أى بردت (١١) . والحمد لله على ثلج الحق وثلج اليقين . وأثلجت صدرى بخبرك ، وحفر حتى أثلج : اذا باشر برد الثرى وقرب من الماء ، وأثلجت الركية : بلغ حفرها الندى ، وأثلجت عنه الحمى : أقلعت . وأثلج

ماء البئر : انقطع ، ونصل ثلاجى : شديد البياض ، وكذا حَدِيدَةٌ ثلاجية .

(١) فى الاصل الشركة .
(٢) فى الاصل اكربت .
(٣) أى يعد منهم ثلاثة ويبطل الرابع .
(٤) زيادة من الاساس .
(٥) فى الاساس نوق ثلاثى
(٦) زيادة من الاساس .
(٧) فى الاصل وهى الى ثنتين ثلاثة من اخلافها
(٨) فى الاساس : وشطرها .
(٩) صر : حلب .
(١٠) فى الاصل وتلحت بالحاء .
(١١) فى الاصل دبرت .

(ثل) ثُلَّ عَرشُه : اذا ذهب قوام أمره ، وفلان كثير الثلة : شعر البدن •

— (ثلم) موت فلان ثُلْمَةٌ لا تُسَدّ ، وفلان يكلمه الدين ويثلمه اليقين •

— (ثمد) فلان مثمود : اذا فنى ماء صلبه ، أو كثر عليه السُّؤَّالُ فَأَفْنَوْا ما عنده ، والناس يثمدونه ، واستثمدني فلان فثمدته : استعطاني فأعطيتُه •

— (ثمر) ثمرة السوط ، وسوط عظيم الثمرة ، وهي العقد في طرفه • وقطعت (١) ، ثمرة فلان : اذا ختن ، وخصني بثمرة قلبه :

أى بمودته • وفى السماء ثمرة : قطعة من السحاب • وضربني بثمرة لسانه : (بعذبتها إذا لَسَنَكَ) (٢) وكان له ثمر (٣) : مال ، ومال ثمر : مبارك فيه • وأثمر القوم : كثر مالهم، وثمّر ماله تثميرا : أكثره ، وان لبنك لحسن الثمر : وهو ما يرى عليه اذا مخض • ولبن مثمر ، والثميرة : وهى اللبن المثمر •

— (ثمل) رنحه ثمل الكرى ، وأثمله النعاس ، ووَطْبٌ ثمل (٤) ، (ملآن ثقيل) (٥) وأصبحت نفسى ثملة (٦) : أى مسترخية (خبيثة) • وحمام مثمل (٧) : مطرب •

— (ثمم) هو لك على طرف الثمام (٨) :

(اذا كان هين المتناول (٩) ، وتكلم فما تثمثم (١٠) : أى توقف •

— (ثنن) (١١) كنا فى ثُنّة من الكلأ : مستعار من ثنة الفرس (١٢) •

— (ثنى) ثنيت فلانا على وَجهه : اذا رجعته حيث جاء ، وثنى عَنَانَهُ عَنّى (١٣) ، وفلان تُثْنِى (١٤) به الخناصر : أى يبدأ به • وعكسه (١٥) لا يؤ به له (١٦) • وعرفت ذلك فى أثناء كلامه •

وثنى فلان رجله : أى جلس • وهو طَلَّاع الثنايا : أى رَكّاب المشاق ، وتثنى فى صدرى

---

(١) فى الاساس وقطفت .
(٢) الزيادة من الأساس لتوضيح المعنى .
(٣) الكهف .
(٤) فى الأصل ورطب ثملى .
(٥) الزيادة من الأساس .
(٦) فى الأصل تملى بالتاء والياء .
(٧) فى الأصل وحما .
(٨) فى الأصل الثمال باللام .
(٩) الزيادة من الأساس .
(١٠) فى الأصل فما تثمثم .
(١١) من أول الكتاب الى هنا ساقط من النسخة ب .
(١٢) عبارة الأساس : كنا فى ثنة من الكلأ وغنة مستعارة من ثنة الفرس ، والغنة من الروضة الغناء .
(١٣) فى الاساس : وثنى عنانه عنى ولوى عذاره : اذا أعرض .
(١٤) فى الاصل تثنى بالهاء ، ولفظة (به) زيادة من الاساس .
(١٥) وعكسه : اى لا تثنى به الخناصر .
(١٦) فى (ب) لا يؤبه بدون الجار والمجرور بعده .

(كذا)(1) : أى تردد .

(ثوب) وثاب اليه عقله وحلمه (2) . ومثابة البئر (3) : هى مجتمع مائها ، وبئر لها ثائب : أى ماء يعود بعد النزح ، وقوم لهم ثائب : أى (4) جماعة إثر جماعة وثاب له مال : اذا كثر .

وثاب الغبار : كثر وسطع ، وثوّب فلان بعد خصاصة ، وثاب الحوض : امتلأ ، وثاب اليه جسمه بعد الهزال (5) ، وأثاب الله جسمه ، وجمت مثابة جهله (6) ، ومستثابات الرياح : هى التى يرجى خيرها ، فسمى خير الرياح ثوابا ، كما يسمى خير النحل ثوابا ، وهو العسل . يقال:

احلى من الثواب ، وذهب مال فلان فاستثاب مالا : أى استرجع ، وفلان نقى الثوب : أى برىء من العيب ، ولبس الثياب عليه ، ولله ثوبًا فلان : أى نفسه ، واسلل ثيابك من ثيابى :

فارقنى ، وتعلق بثياب الله : هى أستار الكعبة .

---

(1) فى الاصل : وتثنى فى صدرى : أى تردد فقط .

(2) عقله وحله .

(3) فى الاساس : وجمت مثابة البئر .

(4) أى وفدوا .

(5) اذا سمن .

(6) فى الاصل ، وكذا فى (ب) وحمت بالحاء ، وفى الاساس : جمت بالجيم .

أصوات اللغة العربية
بين الثبات والتطور

اصوات اللغة العربية :

اجمع علماء العربية على أن حروف العربية تسعة وعشرون حرفا (١) ، وعدها أبو العباس المبرد ثمانية وعشرين حرفا (٢) ٠

وترتب ــ صوتيا ــ على حسب مخارج الأصوات (٣) كالتالى :

الهمزة ٠ الهاء العين ٠ الحاء ٠ الغين ٠ الخاء ٠ القاف ٠ الكاف ٠ الجيم ٠ الشين ٠ الياء ٠ الضاد ٠ اللام ٠ الراء ٠ النون ٠ الطاء ٠ الدال ٠ التاء ٠ الصاد ٠ الزاى ٠ السين ٠ الظاء ٠ الذال ٠ الثاء ٠ الفاء ٠ الباء ٠ الميم ٠ الواو (٤) ٠

والحروف السابقة هى الحروف الأصول للغة العربية وقد أضاف اليها سيبويه ثلاثة عشر حرفا هن فروع للتسعة والعشرين السابقة (٥) ٠

والحروف الأصول السابقة ــ بترتيبها الصوتى ــ تمتاز بها اللغة العربية على غيرها من لغات العالم حيث تشمل حروفا لا توجد فى غيرها من اللغات كالظاء ٠

وقد استوفت العربية بالترتيب الصوتى السابق ــ جميع مخارج الأصوات فى جهاز النطق الانسانى بشكل لا نظير له فى لغات العالم :

يقول الأستاذ العقاد فى ذلك :

---

(١) ابن جنى : سر صناعة الاعراب ١/٤٨ ، ٤٩ (ط الاولى مصطفى الحلبى) ، الرمانى : معانى الحروف تعليق د٠ عبد الفتاح شلبى/ ٦٩ (ط دار الشروق) ٠

(٢) وذلك بترك الالف لانها لا تثبت على صورة واحدة فمرة تنطق محققة واخرى مخففة كما فى : سال ، سال : مؤمنون ، مومنون ٠

(٣) هناك ترتيب أبجدى للحروف العربية : الالف ، الباء ، التاء الخ وهو معروف

(٤) سيبويه ٤/٤٣١ ، ٤٣٢ (تحقيق الاستاذ/ هارون) ، ابن دريد ٠ الجمهرة ١/٤ (ط المثنى ببغداد) ، سر الصناعة ١/٤٦

(٥) سيبويه ٤/٤٣٢

د. فتحى أنور الدابولى

« ... وتظل اللغة العربية بعد ذلك أوفر عددا فى أصوات المخارج التى لا تلتبس ولا تتكرر بمجرد الضغط عليها فليس هناك مخرج صوتى ناقص فى الحروف العربية » (٦) .

ومما يجدر ذكره — هنا — أن الحروف السابقة فى حالتها المنطوقة تسمى أصواتا ، فالحرف رمز للصوت أو « هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله فى الحدة والثقل تميزا فى المسموع » (٧) .

والكلمة تتكون من أصوات فكلمة « فهم » تتكون من أصوت : الفاء ، والهاء ، والميم وكل صوت من هذه الأصوات يمكن النطق به وحده فيقال : « أف ، أه ، أم » ومن هنا فالصوت اللغوى « هو أصغر وحدة كلامية يمكن النطق بها (٨) .

ثبات الأصوات فى العربية الفصحى :

تتميز العربية الفصحى بثبات أصواتها وعدم تغيرها على فترات التاريخ — والى أن تقوم الساعة ومرجع ذلك الى الأمور الآتية :

١ — القرآن الكريم .

تكفل الله — عز وجل — بحفظ اللغة العربية حينما أنزل بها كتابه العزيز قال تعالى: **« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »(٩)** الذكر : أى القرآن الكريم وحافظون : أى تكفلنا بحفظه — على خلاف غيره — من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان .

كما هيأ الله — عز وجل — لهذا الكتاب العزيز من يحفظه كما أنزل على رسول الله

---

(٦) العقاد — اللغة الشاعرة /١٢/١٣ (دار غريب للطباعة .

(٧) ابن سيناء — اسباب حدوث الحروف/١٠ (ط مكتبة الكليات الأزهرية) ، د. تمام حسان — اللغة العربية مبناها ومعناها/١٦ .

(٨) انظر زيادة ايضاح لمفهوم الصوت والفرق بينه وبين الحرف والفونيم والفون : ابن جنى — سر الصناعة ٦/١ ، د. حجازى — مدخل الى علم اللغة ٣١/٣٥ (ط/دار الثقافة) ، د. حجازى — مدخل الى علم اللغة ٣١ / ٣٥ ط دار الثقافة د البركاوى — مقدمة فى أصوات اللغة العربية ١١٨ (الطبعة الثانية) ، د. بشر — علم اللغة العام (الاصوات) ٢٨ وما بعدها (ط — دار المعارف السادسة) .

٩ — سورة الحجر آية ٩

ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن يفسره ومن يوضح مشكله ويبين غريبه .

وقد نشأت الدراسات العربية بمختلف فروعها « من نحو وصرف وبلاغة وأصوات .. الخ » بهدف خدمة القرآن الكريم ـ أولا .

وتنافس الصحابة الأجلاء ـ رضى الله عنهم ـ كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت رضى الله عنهم لخدمة القرآن الكريم بشتى الطرق حفاظا على دين الله .

ومن أجل تلك الخدمات قيام ـ ابن عباس ـ بتفسير غريب القرآن مستشهدا على ذلك بشواهد من شعر العرب من ذلك ما سأله نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر عن أن يفسر لهما ألفاظا بعينها فى القرآن الكريم (١).

وتابع الصحابة الأجلاء ـ فى خدمة القرآن الكريم ـ العلماء والقراء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعمر بن عبد العزيز ومجاهد وسعيد بن جبير وأبى جعفر وغيرهم.

وأهم انجاز فى ذلك العمل المنسوب الى أبى الأسود الدؤلى وهو وضع رموز للحركات بهدف ضبط الرسم القرآنى فان الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ لما كتبوا المصاحف التى وزعها سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ على الأمصار كانت مجردة من النقط والشكل (٢).

فلما خيف على قراءة القرآن الكريم من اللحن قام أبو الأسود الدؤلى بوضع رموز للحركات فالنقطة أمام الحرف رمز للضمة مع ضم الشفة فاذا ضمت الشفة بغنة وضعت نقطتان والنقطة تحت الحرف رمز للكسرة فاذا كسرت الشفة مع الغنة وضعت نقطتان واذا فتحت الشفة وضع على الحرف نقطة فاذا فتحت بغنة وضعت نقطتان .

وظل الحال كذلك الى أن جاء الخليل بن أحمد (ت سنة ١٧٥ هـ) فوضع الشكل الذى يكتب به حتى الآن (٣) .

ويضاف الى ماتقدم الأحاديث والآثار التى تحث على خدمة القرآن الكريم فى كل العصور

ومن المقرر لدى علماء اللغة أن القرآن الكريم هو المصدر الأول الذى يستقى منه عالم اللغة مادته ويستشهد به فى كل قضاياه اللغوية وظواهرها لأنه فى أعلى درجات الفصاحة فقد نزل بلغة قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء (٤) .

يقول الدكتور / صبحى الصالح « والقرآن الكريم بايجاب ترتيله على نحو خاص كان السبب الجوهرى فى احتفاظ لغتنا بأصواتها ثابتة وبأنسابها صريحة وبحروفها واضحة»(٥)

---

(١) السيوطى ـ الاتقان فى علوم القرآن ١ـ١٥٨ (ط الحلبى الرابعة) وفصول فى فقه العربية ـ ٩١ ، ٩٢

(٢) النشر ـ ابن الجزرى ـ ١ـ٣٣

(٣) فصول فى فقه العربية ـ ٩٥ ، ٩٦

(٤) البحث اللغوى ـ أحمد مختار عمر ـ ١٩ ، ٢٠ وفصول فى فقه اللغة ـ ١٩١

(٥) دراسات فى فقه اللغة د. صبحى الصالح ـ ٢٨٦

٢ ـ الحديث الشريف ٠

الحديث النبوى الشريف حفظ كثيرا من تراث هذه اللغة مما أدى الى ثبات أصواتها وعدم تغيرها ٠

وان كان كثير من اللغويين يرفضون الاستشهاد بالحديث فى اللغة وحجتهم فى ذلك أن الحديث قد يروى بالمعنى فلا يكون نص حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأكثر من علماء اللغة يرون صحة الاستشهاد بالحديث فى اللغة للأمور الآتية :

(أ) لأن علماء الحديث دونوا أكثره فى عهد متقدم قبل فساد اللسان على أيدى رجال يحتج بأقوالهم فى العربية فالتبديل على فرض ثبوته انما كان مما يسوغ الاحتجاج بكلامه (١)

(ب) ان من المحدثين من ذهب الى أنه لاتجوز الرواية بالمعنى الا لمن أحاط بجميع دقائق اللغة ، على أن المجوزين للرواية بالمعنى معترفون بأن الرواية باللفظ هى الأولى (٢) ٠

(جـ) وقد استشهد بالحديث فى مسائل اللغة بعض اللغويين القدامى كالخليل والكسائى وأبى عمرو بن العلاء وغيرهم (٣) ، وكتب فى هذا الموضوع ابن مالك الأندلسى ٠

ثبات استعمال الفصحى ٠

نرى فى واقعنا اللغوى أن اللغة الفصيحة التى يستعملها الخاصة من المثقفين كرجال الاعلام وهى اللغة التى نسميها باللغة النموذجية أو الأدبية المشتركة هذه اللغة لم تتغير على اختلاف الزمان والمكان فى وطننا العربى فالسعودى والسورى والمغربى يفهم ما تقوله الاذاعة المصرية ٠

وهذا يدلنا على احتفاظ لغتنا بأنسابها وثبات أصواتها على مدى الأيام ٠

يقول الدكتور / صبحى الصالح « واذا كان اللغويون المحدثون يلاحظون بوجه عام أن النظام الصوتى بعيد كل البعد عن أن يكون ثابتا طوال تطور لغة من اللغات فان معجزة الكلمة العربية تتجلى فى ثبات أصواتها التى تومىء الى مدلولاتها حتى لو أن عربيا جاهليا بعث الآن وسمعنا ننطق بلفظ فصيح لفهمه لأن أصوات لغتنا الفصحى لم يطرأ عليها تغيير فطريقة النطق بها اليوم لاتختلف فى شىء عن طريقة النطق بها بالأمس البعيد » (٤) ٠

ولنضرب مثلا نقارن فيه بين العربية والفرنسية لنتبين منه مدى ثبات الأصول العربية واحتفاظها بأنسابها ٠

ففى العربية عندما نصرف الفعل « ذهب » نقول فى المضارع « يذهب » وفى المستقبل « اذهب » فبنية الفعل لم تختلف وحقيقة المادة « ذ ، هـ ، ب » ٠

ماضاعت على اختلاف الاشتقاق ٠

أما فى الفرنسية اذا صرفت « بعض الأفعال الشاذة كفعل الذهاب aller فستجد

---

(١) البحث اللغوى / ٣٤ ٠
(٢) نفسه ٠
(٣) نفسه
(٤) دراسات فى فقه اللغة / ٢٨٥ ٠

فيه أذهب vais فى الحاضر ، سأذهب Jaerai فى الاستقبال وستجد يذهبون ils inont فى الحاضر vont فى الاستقبال فقد ضاعت الأنساب الصوتية عند التصريف » على عكس لغتنا العربية .

تطور الأصوات العربية فى اللهجات العامية

رأينا فيما سبق — آنفا — ثبات الاصوات فى العربية الفصحى غير أن ذلك لا يمنع من وجود عوامل تؤدى الى تطور هذه الأصوات فى اللهجات العامية وهى :

١ — التطور التاريخى للأصوات ويشمل :

(أ) تطور فى مخرج الصوت أو صفته ومن ذلك الأصوات التى كانت قديما مجهورة ثم أصبحت الآن مهموسة كالطاء والقاف وقد يترتب على تغيير صفة الصوت تغير فى مخرجه أيضا فالجيم القاهريه التى كالكاف شديدة تخرج من أقصى اللسان والجيم الفصيحة مزدوجة بين الشدة والرخاوة تخرج من وسط اللسان فمخرج الجيم قد تتطور من وسط اللسان الى أقصى اللسان كما تطورت الصفة من الازدواج بين الشدة والرخاوة الى الشدة الخالصة فى الجيم القاهرية (٢) .

(ب) التطور الطبيعى المطرد لأعضاء النطق :

من الطبيعى أن أعضاء النطق فى الانسان فى تطور مطرد فى بنيتها واستعدادها ومنهج أدائها لوظائفها فالحنجرة والحلق والفم واللسان تختلف فى الانسان المعاصر عما كانت عليه عند أجداده حتى تتلاءم الكلمة مع الصورة التى أصبحت عليها أعضاء النطق (٣) .

وقد حدث ذلك التطور لكثير من الأصوات : كالثاء والذال والقاف فالثاء تحولت الى تاء فى بعض المناطق العربية فيقال :

توب فى ثوب ، تلج فى ثلج ، تعلب فى ثعلب، تور فى ثور والذال تحولت الى دال فى بعض المناطق العربية فيقال :

داب فى ذاب ، دراع فى ذراع ، دبح فى ذبح والقاف تحولت الى همزة فى بعض الأماكن مثل ألت فى قلت ، أبل فى قبل ، عأد فى عقد (٤) .

هذا والتغير فى مخرج الصوت يتبعه تغير فى صفته كما سبق — آنفا —

— التطور الناتج عن التبدلات الصوتية فى اللهجات العربية

مثل : عن فى أن وهى المشهورة بعنعنة تميم والعشج فى العش وهى المشهورة بعجعجة قضاعة الخ (٥) .

ومن ذلك الكلمات التى رويت بنطقين مختلفين **نتيجة تطور صوت من أصوات الكلمة** كالسراط والصراط ، لعل ولعن ، الأبعاد والأبعاط .

وهذه التغيرات السابقة لاتتعارض — كما قلنا سابقا — مع ثبات الأصوات فى العربية لأنها تغييرات فى لهجات متباينة عن الفصحى .

---

(١) نفسه / ٢٨٨ .
(٢) د / أنيس الأصوات اللغوية / ٢٠٨ .
(٣) د / على عبد الواحد وافى — علم اللغة ٢٨٩ ، ٢٩٠ (ط / السابعة — دار نهضة مصر)
(٤) نفسه / ٢٩١ ، ٢٩٢ .
(٥) الأصوات اللغوية / ٢١٠ ، ٢١١ .

يقول الدكتور / **صبحي الصالح :**

« ونحن حريصون على تقييد لغتنا في هذه المواطن بالفصحى لئلا يعترض علينا ببعض التبدلات الصوتية في اللهجات العربية المتباينة — قديما وحديثا — وهذه التبدلات شديدة مستهجنة في لهجاتنا الحديثة خاصة فالضاد وهي رمز لغتنا بصوتها الفخم استحالت (دالا) في أكثر لهجاتنا العامية فضلا عن انقلاب القاف همزة والذال زايا » (١) .

— التطور الصوتي قد يكون ناتجا عن سبب فردي

وهذا التطور لايؤخذ دليلا على التطور الصوتي في اللغة كلها ومن أمثلته :

٢ — وكذلك « التغييرات الصوتية الوقتية التي يحاول بها بعض الأفراد تطرية لغتهم والاسراف في تزيينها .

كما يحدث من بعض النساء .

خصائص تطور الأصوات في العربية :

١ — التطور الصوتي يسير ببطء وتدرج ولا يحدث طفرة .

فلو أننا عقدنا مقارنة بين أصوات هذا الجيل والجيل السابق له مباشرة لكان الاختلاف ضئيلا لا يكاد يذكر وهذا الاختلاف يظهر بصورة جلية في المقارنة بين لغة هذا الجيل ولغة الأجيال السابقة له (٢) .

كما نلاحظ على هذا التطور « أنه يحدث من تلقاء نفسه بطريق آلي لادخل فيه للارادة الانسانية فتحول صوت الثاء العربية الى تاء « ثلاثة ، تلاتة » والذال الى دال « ذراع ، دراع » والظاء الى ضاد « الظل ، الضل » والقاف الى همزة « قلت ، ألت » وانقراض الأصوات التي كانت تلحق أواخر الكلمات للدلالة على اعرابها ووظائفها في الجمل « كنت أحسب أن كتاب محمد أحسن من كتاب علي » كل ذلك حدث بطريق طبيعي لادخل فيه لارادة الانسان » .

٢ — التطور الصوتي وسيلة الى التيسير والسرعة .

ان من يلقي نظرة فاحصة على النصوص اللغوية القديمة مقارنا بينها وبين النصوص الحديثة يرى رأى العين أن اللغة في تطورها قد تخلصت :

(ا) من بعض الكلمات الثقيلة الوحشية والتي كان يصفها البلاغيون بأن بين حروفها تنافرا كالهعخع ومستشزرات .

(ب) ومن تلك الكلمات الطويلة التي ترد على أوزان غير مألوفة مثل :

اقعنسس ، اسلنقى ، احرنجم

وأصبحنا نرى اللغة الفصيحة أو النموذجية سهلة قصيرة البنية كالثلاثية أو الرباعية .

٣ — التطور الصوتي تحكمه البيئة والعصر .

واذا كان « قانون الحياة العامة » ينطبق على اللغة فهو ليس انطباقا مطردا فاللغة ظاهرة اجتماعية تحكمها البيئة أولا والعصر ثانيا أكثر من تلك القوانين العامة .

يتضح — مما سبق — ان معجزة الكلمة العربية تتجلى في ثبات أصواتها وقد ساعدها على ذلك عوامل مختلفة أهمها : حفظ القرآن الكريم لها ولا يضيرها بعد ذلك التبدلات الناتجة من اللهجات المتباينة أو التطورات الخاصة كأخطاء الأطفال وغيرها .

---

(١) دراسات في فقه اللغة / ٢٨٥ ٢٨٦ .

(٢) علم اللغة (وافي) / ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

بين التوحيدى و أبى منصور الثعالبى

أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابورى الثعالبى ، قيل : انه « فريد دهره، وقريع عصره ، ونسيج وحده ، وله مصنفات فى العلم والأدب ، تشهد له بأعلى الرتب(١) ، وقيل : انه « خاتمة مترسلى هـذا العصر ، وأهم أدبائه ، ونعم الخاتمة ، لأنه أكثرهم آثارا، وأوسعهم مادة ، وهو الـذى ترجمهم ، وذكر أخبـارهم وأقوالهم ، وكان فى العصر المشـار اليه راعى تلعات (*) العلم ، وجامع أشتات النظم والنثر ، ورأس المؤلفين ، وأمـام المصنفين (٢) » مولده :

ولد أبو منصور فى نيسـابور ، وهى يومئذ قلعة من قلاع العلم والمعرفة سنة ٣٥٠ هـ ، ولم يكن من بيت رفيع ، أو صـاحب حسب يتطاول به ، ويصل عن طريقه الى مجده الذى وصـل اليه ، وانما كان من بيت يشـتغل أهله بحرفة خياطة جلود الثعالب ، فنسب الى حرفته(٣) ، ومن أجل عيشـه كان يعمل معلم صـبية ، ثم ضحك له حظه فاتصل بوجوه عصره ، وألف لهم عيونا من الكتب ، واختصهم بها ، فأثابوه عليها بجزالة وتوفية ، وخصوصـا ما ناله من عطايا الأسرة الميكالية(٤) .

شىء من مكانته :

عـلى أن كل مكان احتله الثعالبى كان كفـاء جهده الذى بذل ، ونتاج تراثـه الذى بقى فى كتبه ، وكانت وفاته سـنة ٤٢٩ هـ عـلى أرجح الأقوال (٥) فهو وأبو حيان ابنا عصر وجيل ، وكلاهمـا مكثر من ذكر الرجـال وترجمـاتهم وتقويم صـفاتهم ، ورغم المعـاصرة والتزامن

★ التلعة . ج تلعات ما عـلا من الارض وما سفل ضد .

١ ـ الحصرى ١ر١٣٧ زهر الآداب .

٢ ـ ابن خلكان ٣ / ١٧٨ وفيات الأعيان . تحقيق د . احسـان عباس . جورجى زيدان ٢/٢٧٦ تاريخ آداب اللغة العربية .

٣ ـ ٢ / ٣٥٢ وفيات الاعيـان ، ص ٤ من مقدمة التمثيل والمحاضرة للثعالبى ـ تحقيق عبد الفتاح الحلو طبع الحلبى سنة ١٩٦١ .

٤ ـ انظر مقدمة فقـه اللغة للثعـالبى ، أبو الفضل الميكالى ص ٤٧ وما بعدها .

٥ ـ ص ٩ ـ مقدمة التمثيل والمحاضرة .

للدكتور حامد الخطيب

فان أيا منهما لم يذكر الآخر ولم يشر اليه ، كأن أيهما لم يكن مشهورا بعيد الصيت بالنسبة للآخر .

والذى استدعى أن نقارن بين الرجلين ، هو ذلك التباين الواضح بينهما ، خاصة فى تناول الرجال ونقدها ، وظهور كل منهما بما يميزه من منهج وأسلوب فى هذا المجال .

ووكدنا(١) أن نعرض نموذجات نتبين من خلالها أيهما أسلم طريقة ، وأقوى عرضا ، وأيهما أكثر الماما بخصائص النفوس وأقدر على الغوص فى أعماقها ، وأيهما أشد قربا من الحقائق ، وبعدا عن ضروب الخيال والانشاء .

ولما لم يكن فى المقام هنا متسع لذلك ، فقد قصرنا التناول على الثعالبى والتوحيدى الذى نعده نمطا فريدا بين قرنائه ، وغيره ينتظمهم نهج لا يختلفون كثيرا فيه ، أما هو فأقرب ما يكون الى علماء الأحاديث النبوية ، الذين يحيطون بسير الرواة ، وما يكتنف حياتهم من الفضائل والشيات .

ولسوف يجد من يقرأ كتابات الثعالبى عن الشخصيات ، ألفاظا تتدفق وتتدافع ، ونعوتا يزاحم بعضها بعضا ، وكثيرا ما تتطابق ، فيصف المرء وسواه بما يتشابه ويتشاكل ، ولقد يقع فى روعك حين تتصفح وصفه لأديب من الأدباء ، أو عالم من العلماء ، أنه وحده أوحد العصر ، وفلتة الدهر ، وعبقرى الزمان الذى عقمت أن تلد مثله بنات حواء . فاذا رأيته فى وصف آخر ، خلت أنك تعاود استذكارك لنعوت الأول، وأنك لم تغادر ما كنت تتصفحه من صفحات ، ولقد تستولى عليك تلك الكلمات التى أنت حيالها ، ويأخذك طنينها وتهويلها ، وارتفاع ايقاعها ، وضخامة أصواتها ، ومن ثم تذهل عن الأوحد الأول الذى سلف أن سيطر عليك مدحه، وترتيل آيات الثناء عليه ، فتوقن ايقانا بأن لا فرد سوى من أمامك ، وأن من سواه أوباش ورعاع .

وليست الشواهد على ذلك بمعجزة أو متعسرة ، فهى كثيرة وفيرة ، ويتيمة الدهر لا تكاد تخرج عن ذاك الطريق .

وليس من المهم أن نعتذر عنه بأن تلك طريقة العصر ، وهذا سننه ، فان هذى الطريقة وذاك السنن قد خالفه وخرج عليه تماما أبوحيان فهو اذا تناول شخصية رسم لها صورة كاملة المعالم ، وقد تكون الصورة التى يرسمها بكلماته أدق ابانة من الرسم بالألوان ، ولست تراه فى ذلك الا دقيق النقد والكشف عن الخبايا ،

١ ــ الوكد ــ بزنة : الوعد : القصد .

ولا ينخدع فى الشخص الذى يتناوله بكثرة حسناته ، فيمدحه فحسب ، ولا ينجذب الى ما فيه من سيئات فيذمه فقط ، ولكنه يكشف عما فيه من حسنات وسوءات ، وهذا الاتجاه المتوازن لم يكد يتنبه له أحد ممن تعرض لسيرة أبى حيان ، بل تنبه فقط للجانب السلبى ،جانب الهجاء وكشف المساوىء ، وذلك نعده من الحيف والظلم بمكان •

لقد تعرض الثعالبى لأبى بكر الخوارزمى ، فقال :

« أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى ، باقعة (١) الدهر ، وبحر الأدب ، وعلم النثر والنظم ، وعالم الفضل والظرف ، كان يجمع بين الفصاحة العجيبة ، والبلاغة المفيدة ، ويحاضرنا بأخبار العرب ، وأيامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة ، والنحو والشعر ، ويتكلم بكل نادرة ، ويأتى بكل فقرة ودرة ، ويبلغ فى محاسن الأدب كل مبلغ ، ويغلب على كل محسن ، بحسن مشاهدته ، وملاحة عبارته ، وبراعة جده ، وحلاوة هزله (٢) ، وما أحسب متأملا يمعن التقصى ، ويدقق النظر فى هذه العبارات الا وقع فى روعه أن ذلك المعنى قد حاز كل فضيلة ، وأنه ليس هناك ألمعى يناظره ، وأنه ليست هناك مقدرة تضاهى مقدرته ، فهو داهية الدهاة ، خير المسالك ، وجاب الممالك ، وأحاط خبرا بما لم يستطعه سواه ، فيريك من نفسه فى الأدب بحرا زاخرا ، وفى النثر والنظم علما بارزا ، فارس البلاغة ، وأبو بجدة الفصاحة » •

الى آخر تلك النعوت التى تريكه ولا أحد يباريه • فاذا تركنا ذلك الى وصفه للبديع الهمذانى ، رأيتنا أمام أوصاف ونعوت تلهينا عن الاطراءات السابقات ، لأن البديع الهمذانى أيضا وحيد الدهر وفريد العصر ، ومن ليس له قرناء — قال : « هو أحمد بن الحسين بديع الزمان ، ومعجزة همزان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطارد ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، ومن لم يلق نظيره فى ذكاء القريحة ، وسرعة الخاطرة ، وشرف الطبع ، وصفاء الذهن ، وقوة النفس ، ومن لم يدرك قرينه فى ظرف النثر وملحه وغرره ، ودرر النظم ونكته ، ولم ير ولم يروأن أحدا بلغ مبلغه من لب الأدب وسره ، وجاء يمثل اعجازه وسحره (٢) » •

خذ مثلا — نادرة الفلك ، وبكر عطارد ، وفرد الدهر ، وغرة العصر — انها أوصاف لا تربو عليها غيرها ، ولا يفى بمعانيها سواها ، فاذا وضعت مجاورة للأوصاف التى سلفت ، رأينا الى أى مدى تكال المدائح كيلا ، ويلقى الكلام جزافا بلا ميزان ، ولا تعطى المحصلة الأخيرة لكل هذا الا أن الرجلين كليهما متفرد ، وأن كلا منهما على حدة ليس له مضارع ، ومثل ذلك يوقع القارىء والسامع فى حيرة وعميق بلبال ، من حيث انه لا يستطيع تمييزا بين أيهما أحق بالفضل والتقديم ، فليس كل منهما الا كريم الفضائل ، وليس له هنة من الهنات يؤاخذ عليها أو يلام • فان أردت معرفة بمآخذ

١ — الباقعة : البصير بالامور ، الكثير البحث عنها ، المجرب لها — لسان — ٢ — ٤ / ١٨٢ .
يتيمة الدهر ط — الصاوى

٢ — الثعالبى ٤ / ٢٤٠ يتيمة الدهر •

رجل من كلام الثعالبى ، آدك ما أردت ، وأعياك ما طلبت ، ووقعت فى خبط عنيف .

وعلى ذات المشاكلة فى التناول المتشابه ، والقول المتدفق المترادف بغير تدقيق ولا تمحيص، ترى قوله فى أبى الفضل بن العميد ، فالصاحب ابن عباد ، قال : « هو أبو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ، ولسان الجبل ، وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم ، وأوحد العصر فى الكتابة ، وجميع أدوات الرياسة ، وآلات الوزارة ، والضرب فى الآداب بالسهام الفائزة، والأخذ من العلوم بالأطراف القوية ، يدعى الجاحظ الأخير ، والأستاذ والرئيس ، يضرب به المثل فى البلاغة ، وينتهى اليه فى الاشارة بالفصاحة والبراعة (١) » .

أما عن الصاحب فيقول :

« ليست تحضرنى عبارة أرضاها للافصاح عن علو محله فى العلم والأدب ، ولكنى أقول : هو صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والاحسان ، ومن لا حرج فى مدحه بكل ما يمدح به مخلوق ، ولولاه ما قامت للفضل فى دهرنا سوق ، ولما كان نادرة عطارد فى البلاغة ، وواسطة عقد الدهر فى السماحة ، جلب اليه من الآفاق كل خطاب جزل ، وقول فصل (٢) » .

على أن هذا الاتجاه عند الثعالبى ــ نقصد نعته المترجم لهم بكل حسنة ــ قدر مشترك فى جميع تراجم يتيمة الدهر ، ويندر أن تجد فيها واحدا قد كشف الثعالبى عن محاسنه وبعض من مساوية ، سوى ما كتبه عن أحمد بن الحسين المتنبى ، ونتفا مما هجى به الصاحب بن عباد .

كتب التوحيدى عن أبى سعيد السيرافى ، فقال :

« أبو سعيد أجمع لشمل العلم ، وأنظم لمذاهب العرب ، وأدخل فى كل باب وأخرج من كل طريق، وألزم للجادة الوسطى فى الدين والخلق ، وأروى فى الحديث ، وأقضى فى الأحكام ، وأفقه فى الفتوى ، وأحضر بركة على المختلفة » وأظهر أثرا فى المقتبسة ، ... ، وكان أبو سعيد بعيد القرين ، لأنه كان يقرأ عليه القرآن والفقه والشروط والفرائض ، والنحو واللغة ،والعروض والقوافى لا والحساب والهندسة ، والحديث والأخبار ، وهو فى كل هذا اما فى الغاية واما فى الوسط » .

ولا أظن قارئا يتمهل ويتأمل يجد فضولا فى هذا الكلام ، أو يجد ترادفا طنانا غير مفيد، ناهيك بهذا النغم الهادىء ، والتسلسل السلس ، والايقاع المتساوق ، وبصحبة ذلك جميعه صورة ناطقة محددة المعالم لمن جاء عنه الحديث ، فكل جملة تجله ، لكنها لا ترفعه بحيث يكون الكل من تحته ، وما استعمال اسم التفضيل الا دليل على رفعته ، ثم على أن هناك من يشاركه لكنه لا يدركه ، وفى عبارته الجامعة البسيطة : « وهو فى كل هذا اما فى الغاية واما فى الوسط » بيان مقنع ، وقول فاصل ، يصدر عن عالم وأديب وفنان ، يحيط خبرا بأقدار الرجال، ويعلم بقوة مدى ما هم عليه من ضعف أو توسط أو تبريز ، فلقد بدأ وكأنه منبهر مأخوذ بأبى سعيد ، لكنه لم يغرق فى خضم الثناء الفضفاض، بل نبه مخلصا وعن وعى عما فيه من وهن طفيف قد يعترى حينا جميع المفكرين ــ ومن بينهم أبو حيان .

---

١ ـ ٣ / ١٣٧ يتيمة الدهر

٢ ـ ٣ / ١٦٩ المرجع السابق .

ولعل سؤالا يقفز هنا قائلا : كيف استطاع التوحيدى أن يسيطر على مشـاعره المتحفزة للثلب ، وأن يكفكف من غرب لسانه ، وأن يصد غرامه بثلب الكرام حين عرض للجـاحظ وأبى سعيد ؟

وترتيبا عليه يمكن أن يقال أيضا :

انه بهذا يحابى أناسا ويهضـم آخرين ، فيختص بمدحاته بعضا ، ويهيـل وابل المذام والشنائع على آخرين .

والحق ــ عندى ــ أن التوحيدى كان يقول قوله عن بصر وتدبر ، وعن صبر وروية ، وعن فهم ودقة ملاحظة ، وينظم آراءه مؤمنا بها ، مخلصا لها ، ومن ثم تأتى قصيرة الكلمـات ، كثيرة المعانى ، تحيط بكل كبـيرة وصـغيرة ، وتصور ظاهر وباطن ما سيقت من أجله ، وذلك نهج لا يحيد عنه صاحبنا فى جميع أعمـاله ، فلننظر قـوله : « أما السـلامى (١) فهو حلو الكلام ، متسق النظام ، كأنما يبسم عن ثغـر الغمام ، خفى السرقة ، لطيف الأخذ ، واسـع المذهب ، لطيف المغارس ، جميـل الملابس ، لكلامه ليطة (٢) بالقلب ، وعبث بالروح ، وبرد على الكبد (٣) » .

ذلك تناول التوحيدى ورأيه فى السلامى ، وبيانه عما له وما عليه أما الثعالبى فيقول عن ذات الشاعر :

« من أشعر أهل العراق ، قولا بالاطلاق ، وشهادة بالاستحقاق ، وعلى ما أجريتـه من ذكره ، شاهد عدل من شعره ، والذى كتبت من محاسنه نزه العيون ، ورقى القـلوب ، ومنى النفوس (٤) » ، ولعلنا هنـاك (٥) نجد نقدا صادرا عن رجل قرأ وفحص ، ووازن وبحث ، فتكون لديه رأى محيط بتصاريف الشاعر ، فى اللغة والشعر ، وكيف يأخذ ولا يشعر بما أخذ الا ناقد بصير .

وهنا ــ عند الثعالبى ــ نجد كلاما مطلقا ، لا يكشف الا عن محاسـن ، وهو فى النهـاية لا يعجز عن قوله أو قول مثله أى انسان . ونظير ذلك الذى قدمنا ، ما يسجله كلا الرجلين عن ابن نباته السعدى .

وفى سطور أبى حيان ــ فضلا عن كشـفه عن فهم للحقائق ــ ما يدفع عنه تهمة الحسد ، والحط من الأقدار .

يقول الثعالى عن ابن نباتة (٦) :

« من فحول شـعراء العصر وآحـادهم ، وصـدور مجيدهم ، وأفرادهم الذين أخـذوا برقاب القوافى ، وملكوا أرق المعانى ، وشعره مع قرب لفظه بعيد المرام ، مستمر النظـام ، يشتمل على غرر من حر الكلام ، كقطع الروض غب القطر ، وفقر كالغنى بعد الفقر ، وبدائع

---

١ ــ أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامى ، عربى الاصل من بنى مخزوم ، ولد بكرخ بغداد سنة ٣٣٦ هـ واتصل بالصاحب بن عباد وعضد الدولة ومدحهما . مات سنة ٣٩٤ ــ ٢ / ٣٩٥ يتيمة الدهر ١ / ١٢٤ الامتاع والمؤانسـة .

٢ ــ ليطة أى التصاق .

٣ ــ ١ / ١٢٤ الامتاع .

٤ ــ ٢ / ٣٩٥ يتيمة الدهر .

٥ ــ نقصد عند التوحيدى .

٦ ــ هو عبد العزيز بن محمد بن نباته ،من شعراء سيف الدولة بن حمدان ، واتصـل كـذلك بابن العميد ومدحه ، ولد سنة ٣٢٧ ، ومات ببغداد سنة ٤٠٥ هـ ١ / ٣٦ الامتاع . ٢ / ٣٧٩ يتيمة الدهر .

أحسن من مطالع الأنوار (١) ، فكله محاسن — كما ترى — ولست تجد ما يشوبه ، أو يشوه ما يعمله ، وطريقته ومذهبه مستقيمان على سواء ، واذا تحدث صاحبنا — التوحيدى — أراك ما لم تكن تتوقع ، وكشف لك عن غوامض يندر أن تصل الى شيء منها ، قال :

« وأما ابن نباته فشاعر الوقت ، لا يدفع ما أقول الا حاسد أو جاهل ، أو معاند (٢) ، قد لحق عصابة سيف الدولة ، وعدا معهم ووراءهم ، حسن الحذو على مثال سكان البادية ، لطيف الائتمام بهم خفى المغاص فى واديهم ، ظاهر الاطلال على ناديهم ، هذا مع شعبة من الجنون ، وطائف من الوسواس (٣) »

وكلمات التوحيدى هذه تقتضى وقوف تأمل وتفكر ، فهو قد شهد لابن نباتة ، وأكد أنه لن يدفع شهادته الا من فيه صفة ذميمة حقيرة ، والشاعر حين لحق بشعراء سيف الدولة ، وهم نخبة الوقت وصفوته ، عدا معهم حين ساواهم ، وعدا وراءهم حين تخلف عنهم ، اذا تبدى أراك من نفسه لطافة وحسنا ، لا اغراقا واغرابا ولا يستطيع أن يدرك احتذاءه أو غوصه فى مذاهب شعر البدو سوى العالم الألمعى ، والفهم اللماح ، أما ما وصفه به فى عجز كلامه فلا يدركه الا من صاحبه او عاش معه ، أو من درس أعماله متمهلا صابرا .

فهل تجد من تلك المعالم والمعانى شيئا عند أبى منصور ؟

وهل ترى — معنا — أن منهج التوحيدى هذا وتقويمه للرجال وأعمالهم هو أسلم المناهج صدقا ، فكأنه متأثر بقول عمر — رضى الله عنه — فى زهير بن أبى سلمى : « انه أشعر الشعراء ، لبعده عن الغلو ، وتجنبه الاسراف فى مدح الناس ، ولأنه لا يمدح الرجال الا بما فيه (٤)) » .

« واذا كان لأبى حيان أشباه فى بعض خصائصه ، فانه قد تفرد بوصفه للرجال ، وتحليل نفسياتهم ، والكشف عن مواهبهم ومميزاتهم ، وبيان مكانتهم ، وما لهم وما عليهم (٥) » .

لا يحول بينه وبين النقد الدقيق صداقة صديق ، ولا يثنيه عن نهجه الصحيح طمع فى مال أو فى مكانة ، ومن ثم تراه قد وصل : « الى غاية الابداع فى وصفه طبقات الأصدقاء (٦) »

واغلب الظن أننا لا نعثر على نظيره فى وصفه لمعاصريه من العلماء والأدباء ، والكشف فى جلاء عن دخائل النفوس وتصاريف الأقلام ، وليس مقبولا بعد كل ذلك أن يقال عنه : انه « أديب متشرد أفاق (٧) » فهى كلمة أظنها صدرت عن تعجل ، أو تأثرت بمقوله قيلت ، أو هو اتهام بلا أساس ، ولطالما كان صاحبى هدفا لكثير من سهام الاتهام ، وما أنصفه وبين فضله الا قليل .

---

(١) — المرسبق السابق والصفحة .
(٢) — تلك هى الألفاظ التى تكشف عن عدله ، وتنفى حسده .
(٣) — ١ / ١٣٧ الامتاع والمؤانسة .
(٤) — ١٧٧ — النقد الادبى الحديث د / غنيمى هلال . ٧٥ دراسات فى النقد د / طبانة .
(٥) — ٢ / ٥١٠ ، ٥٢١ امراء البيان لكرد على .
(٦) — ٢ / ١٠٩ ابو حيان د / الحوفى .
(٧) — ٢ / ١٤٧ النثر الفني د / زكى مبارك .

وعود الإسلام

تحقيق علمي لكتاب

تأليف: روجيه جارودي

مؤلف الكتاب هو المفكر الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي ، وله من ذيوع صيته — فى فرنسا وفى العالم العربي والاسلامي — مايغنى عن التعريف به ·

وكتابه (وعــود الاسلام) ترجمـه مـن الفرنسية الى العربية الدكتور ذوقان قرقوط، وصدرت الطبعة العربية الأولى منه سنة ١٩٨٤ ·

والكتاب مصدر بمقدمتين · أولاهما بقلم الأستاذ محمد البجاوى الممثل الدائم للجزائر لدى هيئة الأمم المتحدة عرف فيها بأهميـــة الكتاب فى فتح الحوار بين الحضـــارات ، اذ حرص مؤلفه على أن يتوجه به الى جمهور غير مسلم بقصد نزع الكمامات عـــن عيونه ، وتخليصه من أحكامه المسبقة على الاسلام ، التى حالت بينه وبين التعرف عليه ·

والمقدمة الثانية بقلم مؤلف الكتاب ، وفيها يقدم وصفا ضافيا لمسار الاسلام ، والعوامل التى ساعدت على سرعة انتشاره شرقا وغربا حرص فيها على أن يبين كيف نفـخ الاسلام فى الامبراطوريات المفككة والحضارات المشرفة على الموت روح حياة جماعية جديدة ، وأعاد الى البشر والى مجتمعاتهم أبعادها الانسانية والالهية بنوع خاص من التسامى والتوحيد ·

كما حرص على أن يوضح دور الاسلام فى يقظة الغرب الحديثة ، اذ برزت ملامح يقظة الغرب الأولى فى أسبانيا الاسلامية قبل أربعة قرون من يقظته فى ايطاليا ·

ولم يفته فى مقدمته أن يقارن بين حضارة الاسلام ذات العمق السامي ، والاهتمامات الانسانية ، وبين حضارة الغرب ذات الجذور المادية الجامحة ، والحرص على فـــرض السيطرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية·

والمؤلف يتناول فى كتابه ستة مباحث ينهيها بخاتمـــة ·

الصـــوفية

وهو فى المبحث الأول يعقد موازنة بيـــن **الصوفية احدى أبعاد العقيدة الاسلامية (١)** ، وبين الزهد أو النسك المسيحى أو التأمـــل الهندوسى ، فيقرر أن ثمة فارقا جوهريا بيـــن

---

(١) « الصوفية احدى أبعاد العقيدة الاسلامية» هذه العبارة تعنى فكرا خاصـــا لدى المؤلف ، وليست الزاما للاسلام ... مجلة الأزهر ·

عرض وتحليق :
الدكتور إبراهيم عوضين

النسك المسيحى والتصوف الاسلامى أيا كانت عظمة هذا أو ذاك فى الهدف وفى الطريقة ، فالنسك المسيحى هو حوار مع شخص يسوع الذى حل الله به فى حياة المسيحى ، والأمر يختلف عند المسلم من وجهين : فيسوع عند المسلم ليس الا نبيا عظيما ، والله نفسه لايتجلى كذلك التجلى الذى يصل به النسك المسيحى الى حلول الله فى حياة المسيحى .

أما نقاط الالتقاء بين الزهد الاسلامى والنسك المسيحى فيرى الكاتب أنها تدور حول ثلاث نقاط هى الزهد ، والحب ، والشعر ، فهما يدعوان الى الزهد فى « التملك » الذى يخضع المخلوق للمخلوق ، والى الحب الصحيح الخالى من الأنانية والاشتهاء ، والى التأمل الشعرى .

ولكن المؤلف ينبه الى أن هذه المماثلات بالنسك المسيحى ينبغى ألا تحجب عنا ميزة التصوف الاسلامية بنوع خاص .

ثم يعود المؤلف فيجمل مفهوم التصوف الاسلامى من منظور ابن خلدون فى أنه لايمكن أن يكون التصوف خصوصية تفصل التأمل عن العمل ، فان هدفه هو — على العكس — الوعى بصورة أعمق بالتوحيد وتحقيق المزيد من التوافق بين (١) الارادة البشرية والارادة الالهية .

ويلفت النظر الى مابين التصور الاسلامى للعمل وتصور « سبينوزا » من تشابه قوى ، ويرجح أن ذلك يرجع الى أن سبينوزا استمد من التراث الاسلامى عن طريق الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون .

ويعود فيقرر أن منبع التصوف هو القرآن موضحا ذلك من النظر المتأمل لحقيقة الأركان الخمسة للاسلام (الشهادة ، والصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج) .

وفى أثناء ذلك ينظر الى الحياة فى المجتمع الغربى ، فيرى أن الحياة الغربية الحالية تتميز بانخلاع الانسان وتفكك المجتمع ، اذ فقد الانسان الغربى كل وحدة فى علاقاته مع الطبيعة والمجتمع والله .

ولم تساعده المسيحية — مع تنازلاتها الكثيرة — على أن توفر له أسباب الوحدة ، لما دخلها من التحريفات اليونانية القائمة

●

(١) يبدو — والله أعلم — انه يريد بالتوافق طاعة الانسان لله سبحانه فى ممارسة العمل بما أمر سبحانه ، وترك ما نهى عنه .

على الثنائية • فى حين ان الاسلام — اذ يرفض الثنائيات الخاطئة ، واذ يحول دون أن نخلط العلاقات بين السياسية والعقيدة مع العلاقات بين الكنيسة والدولة ، واذ يربط بين التسامى والمجتمع — يستطيع أن يساعدنا على احياء المسيحية نفسها وعلى التغلب على أزمة التفكك فى النسيج الاجتماعى •

عقيدة وسياسة

وفى مبحث (عقيدة وسياسة) يستعرض المنهج الاسلامى فى المحافظة على الوحدة بين التسامى والجماعة ، فيقدم المسارات الاسلامية فى الاقتصاد والتشريع والسياسة التى تقوم على المبادىء الثلاثة : **الله وحده يملك — الله وحده يشرع — الله وحده ينهى •**

ويقارن المؤلف أولا — بين المبدأ الاسلامى فى الاقتصاد القائم على قوله تعالى **«وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ••»** وبين المبدأ الاقتصادى الغربى الذى يقوم على التصور الرومانى « الملكية هى حق الاستعمال والاسراف والذى يشكل الأساس فى قانون نابليون وكل النظام الاقتصادى البورجوازى•

فالمبدآن متعارضان تمام التعارض لأن الاسلام يرى أن الملكية ليست حقا من حقوق الفرد ، ولا حقا — كذلك — من حقوق الدولة ، وانما هى وظيفة اجتماعية ، وعلى المالك — أيا كان — تقديم حساب عن ملكيته ، فهو ليس الا المدير المسئول عنها •

أما الأنظمة القائمة على التصور الرومانى فتهب المالك حقا الهيا ، يمكنه من أن يدمر ما يملكه بلا عقاب حتى ولو أدى ذلك الى حرمان المجتمع من ثروات لاغنى عنها لحياته•

ويجمل القول فى نقطتين هما : ١ — ان الاقتصاد الاسلامى لايستهدف النمو ، ولكنه يرمى الى التوازن • ان الاقتصاد الاسلامى لايستهدف النمو ، بحيث يصبح فيه الانتاج والاستهلاك معا غايات بذاتها انتاج متزايد أكثر فأكثر واستهلاك متزايد أسرع فأسرع ، لأى شىء ، مفيد أم غير مفيد ضار أم حتى قاتل دون النظر بعين الاعتبار الى المقاصد الانسانية •

٢ — ان الاقتصاد الاسلامى لايمكن أن يتماثل مع الرأسمالية الأمريكية ولا مع الجماعة السوفييتية ، فميزته الأساسية أنه لاينصاع للآليات العمياء •

ويقارن المؤلف — ثانيا — بين المنهج الاسلامى فى التشريع ، والمنهج الأوربى القائم على (اعلان لحقوق الانسان) فيوضح **المقصود بالانسان فى المنظور الاسلامى ،** والمقصود به فى المنظور الأوربى أو غير الاسلامى • وينبه الى أن مبادىء الاسلام السامية ليست غريبة عن المبادىء المسيحية قبل أن تدنس بثنائية الاغريق الفلسفية •

ويلفت النظر الى أن سمو المبادىء التشريعية فى الاسلام أوضح من أن ينكرها الغربيون الآن يقوم هذا الانكار على التعصب الغربى القائم على المغالطات ، كما صنعوا فى الحروب الكلامية حول حالة المرأة فى الاسلام •

ثم ينتقل المؤلف ــ ثالثا ــ ليقارن بين السلطة السياسية فى الاسلام ، والسلطة السياسية فى النظم الأخرى ، مقررا أن القرآن يحرم ــ على سبيل المثال ــ ملكية ذات حق الهى وبسلطة ثيوقراطية بالمعنى الغربى للعبارة ، لأنه لا يوجد فى الاسلام كهنوت وكنيسة مؤهلين قانونيا للكلام وللأمر باسم الله •

وأن القرآن ــ كذلك ــ يحرم نظاما من الديمقراطية على النمط البرلمانى ، اذ الأمة ليست ثمرة (عقد اجتماعى) ، وانما هى عقيدة مبنية على يقين كل فرد بوجود غاية تتجاوز مصالح الأفراد ومصالح الجماعة ــ مهما كانت هذه الجماعة كبيرة ــ فالأمة فى الاسلام تعنى كل الانسانية بمجموع تاريخها ومشروعها •

العلوم والحكمة

وفى مبحث العلوم والحكمة يوازن المؤلف بين النهضة العلمية الحديثة فى الغرب والنهضة العلمية فى الاسلام ، فيرجع الخلاف بين النهضتين الى الخلاف بينهما فى التصور •

فبينما يرتكز التصور الغربى الحديث للعلم على « مسلمة » هى أن الهدف من العلم تأمين سلطة قصوى من السيطرة على الطبيعة والبشر •

يرى أن التصور الاسلامى للعلم يرتكز على مبدأ التوحيد الذى يستبعد الفصل بين العلم والايمان ، نظرا الى أن كل شىء فى الطبيعة هو أمارة على الحضور الالهى •

ان العلم الاسلامى لم يكن مجرد نقل عن العلم الصينى أو الهندى أو الاغريقى ، ولم يكن مجرد حلقة من سلسلة اكتشافات تقع فيما قبل تاريخ العلم الحديث ــ كما يراه الأعم الأغلب من مؤرخى الغرب ــ على الرغم من انه امتداد لهذه العلوم القديمة •

لم يكن العلم الاسلامى مجرد نقل عن العلوم السابقة ، اذ كان يوجد ــ فى العصر الذى شهد ميلاد الاسلام ــ سياج بين الانسان والطبيعة « والله » ، ولكن بعقلية متفتحة على نحو لا مثيل له ابتدأ عصر العلم العربى بجهد منظم فى عملية دمج وتكامل تركة جميع ثقافات الماضى العظيمة ،فقدم المسلمون أغنى مساهمة فى الثقافة العالمية بعد أن تمثلوا المعارف السابقة ولقحوها بالرؤية الاسلامية ، بحيث لا تجد انفصالا بين علوم الطبيعة والمرئيات وعلوم الدين •

حدث هذا بينما كان العلم راكدا فى أوربا المسيحية بسبب الارتياب من الطبيعة المنبثق عن الثنائية التى أفسدت الرؤية المسيحية للعلم •

ولم يكن العلم الاسلامى مجرد حلقة من سلسلة اكتشافات تقع فيما قبل تاريخ العلم الحديث ، فقد كان تصورا للمعرفة ليست البتة مما يوضع فى المتاحف ، بل ان هذه الحكمة لا تنتمى الى ماضى أوربا بل الى مستقبلها •

ويقدم المؤلف على ذلك أمثلة من واقع العلم الاسلامى كانت هى أساس العلم الأوربى الحديث من رياضيات وفلك ، وجغرافيا ، وزراعة ، وجيولوجيا ، ونبات ، وحياة ، وطب ، واجتماع •

ثم يقرر أن العلم الأوربى الحديث الذى أخذ عـن العلم الاســلامى ، انفصل عن المنهـج الاسلامى فلو أن علماء المسلمين فى العصـور الوسـطى بعثوا أحيـاء فى عصرنا ، فلن تكون دهشتهم من تقدم الأفكار التى كانوا مصدرها ، ولكن من أن نظام القيم قد انعكس تماما ، لذا سوف يجدون أن مركز رؤيتهم أصبح هامشيا ، وأن محيط تلك الرؤية أصبح هو المركز •

الفلســفة التنبؤية

وفى مبحث (الفلسفة التنبؤية) يثير المؤلف سؤالين هما :

أصبحت المشكلة المركزية فى الفلسفة العربية هى : كيف تكون المعرفة ممكنة ؟

وأصبحت المشـكلة المركزية فى الفلســـفة الاســلامية هى : كيف تكون النبوءة ممكنـــة؟ أفلسفة نقدية أم فلسفة تنبؤية ؟

ثم ينطلق المؤلف فى استعراض مجمل لتاريخ الفلسفة اليونانية وأبرز ملامحهـــا ، وتاريخ الفلسفة الاســـلامية وأبرز ملامحهـــا كذلك ، مشيرا فى أثناء ذلك الى أوجه التلاقى والاقتران بين الفلسفة الاسلامية والفلســـفة اليونانية ، ومصدر هذا التلاقى وهذا الاختلاف •

وينهى هــذا الاســـتعراض بعرض لفــكر ابن طفيل الذى أشار ــ فى روايته حى بـن يقظان ــ الى وحدة الفلسفة والتصوف ، والى وحدة الفكر والحياة فى تمام اكتمالهـــا ، والى وحدة العلم والعقيدة ، فكان هو وأمثاله يردون الى الفلسفة جميع الابعـــاد التى فقدتهـــا فى الغرب منذ ستة عشر قرنا •

وهكذا بدأت هذه النفحـــة التنبـــؤية توقظ الغـــرب بـــدءا من (وكيم دى فلـــورى) فى (كالابريا) بجنـــوب ايطاليـــا ، الى المعـلم (ايكهارت) فى شرق المانيا •

العلاقة بين الفن والعبادة

وفى مبحث (جميع الفنون تصب فى الجامع ، والجامع يحمل على الصلاة) يقرر المؤلف أن الفن الاسلامى ــ كالعلوم وكالحياة الاجتماعية أو الفلسفة ــ لا يمكن ادراكه الا انطلاقا من مبدئه الناظم (العقيدة الاسلامية) فالاعتماد فى ذلك على العنـــاصر لا يـــؤدى الى ادراك حقيقته ، لأن محاولة تفســـير كل انطـــلاقا من عناصره يكون مدعاة للسخرية دائما •

من ثم يسخر المؤلف من أولئك الذين ينطلقون بالفن الاســـلامى من عناصره ، فيقولون : ان العنصر المحرك فى الفن الاسلامى ليس المسجد وهندســـــة بنائه ، ولكن فى النقش والزخرفة الصادرين عن التأثر بعلم الجمال الافلاطونى وهندسة الفن البيزنطى المتأثرة بفن العمـــارة اليونانى •

ولا يقف المؤلف عند حد السخرية من هـــذه الأقوال ، ولكنه يحرص على أن يقـــدم الأدلة الواقعية على تهافت أقوالهم ، فيعرض طائفة مختلفة من النقوش والزخارف الاسلامية رابطا بينها وبين العقيدة الاسلامية ، ســـواء فى ذلك نقوش المساجد وزخارفها التى لا يمكن قطع

شيء منها عن العقيدة الاسلامية • بل ان كل شيء — حتى أكثر الأشياء نفعا — عند الفنان المسلم كالمنبر أو المحراب تماما ، ينحت وينقش ويرصع ويطرق ، ليكون شاهدا على آية وجود الله ، سواء كان هذا الشيء سيفا ، أو ابريقا ، أو صينية نحاسية ، أو سرج حصان •

شعر الاستشراق

وفى مبحث (الشعر البشير أو شعر الاستشراق) يقرر المؤلف أن الأدب الاسلامى هو فى مبدئه أدب تنبؤى قرآنى ، فعلى الرغم من أن الشعر الاسلامى يقدم الموضوعات والأساليب الجاهلية ، الا أن (الديالكتيك) الأساسى فى الشعر الجاهلى ، يصبح فى الشعر الاسلامى (ديالكتيك) التوحيد الآلهى الأبدى، والتنوع اللانهائى للآيات التى يتضح من خلالها هذا التوحيد فى الطبيعة والتاريخ فى داخلية الانسان وفى كلامه •

ومن خلال ما يستعرض من نصوص لبعض الشعراء المسلمين يذكر أن موهبة الشعر الاسلامى الأولى هى فى أن تجعلنا واعين لانبثاق الالهى فى حياتنا الخاصة • ومن ثم فان شعر الصوفيين بأكمله يسيطر عليه ويلهمه موضوعان أحدهما وثيق الصلة بالآخر هما :

أنه ليس من الممكن اكتشاف وجودنا الحقيقى بدون الانفصال قبل كل شيء عن الذات • وأن الحب هو القوة العليا التى تجعل هذا الاقتلاع للذات ممكنا •

ثم يقرر أن المعنى الالهى للحب الانسانى — الذى سيطر على شعر الصوفيين — كان أحد الموضوعات التى جعلت من الشعر الاسلامى قمة من أعلى قمم الأدب العالمى ، والتى أحيت التصوف المسيحى •

ثم ينتقل فيوضح تأثير الشعر الاسلامى على شعراء التروبادور ، حيث عمل هذا التأثر على زعزعة مفاهيم الفريقين للحب ، فأدركوا — فيما وراء وحشية الاقطاع — شكلا جديدا للعلاقة بين الرجل والمرأة ، اذ الجمال والحب فى الشعر الاسلامى يملكان القدرة على ايصالنا لمعرفة الحقيقة العليا (الله) •

عوائق مصنوعة

وفى الخاتمة يستعرض المؤلف طرفا من العوامل التى شوهت صورة الاسلام فى مرأى الأوربيين ، بدءا بالحروب الصليبية ، وما ولدته من حركات استشراقية تبشيرية ، ذات صور مختلفة ، كان من أبرزها احتياج بونابرت لمصر، حيث حدد علاقة جديدة للغرب بالشرق تقوم على السيطرة والخداع •

ومنذ اقتحام بونابرت لمصر بدأ يتضح فى العالم الاسلامى تياران فى الفكر هما تيار التحديث ، والتبعية ، وتيار التقليد والسلفية •

فالتيار الأول : يرى الخير كل الخير فى محاكاة أوربا بكل أدوائها وأمراضها السياسية والاقتصادية والثقافية •

والتيار الثانى : يتمثل فى مواجهة التيار السابق ، تخلصا من محاكاة أولئك الذين يقتلون المسلمين ، فقد اعتبروا قبل كل شيء أنه اذا كان

ثمة انحطاط فى العالم العربى الاسلامى انما سببه أن المسلم قد ابتعد عن دينه وعن تعاليم القدماء من أسلافه ، واستسلم لاغراءات الشيطان الغربى •

وانطلاقا من هذا قرر أصحاب التيار الثانى ، احتجاز الاسلام وايصاد الأبواب دونه بلا نوافذ على الخارج ، على الرغم من أن هذا الانغلاق يتعارض تمام التعارض مع روح القرآنية وحرفيتها •

ثم أخذ المؤلف فى استعراض الثورات التى قامت فى أرجاء العالم الاسلامى ، فى محاولة لتقويمها موضوعيا ، وتبيان مكانها من الاسلام مستطردا الى عرض موجز لتلاقى الاسلام مع المسيحية الأصلية ، مبينا أن المسيحية التى جادل فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت مسيحية نصارى عصره •

والكتاب ـ على الاجمال ـ يمثل خطابا من أوربى موضوعى التفكير لأبناء أوربا ـ على وجه الخصوص ـ يكشف فيه عن أخطائهم المتراكمة فى النظر الى الاسلام والمسلمين ، وما جرته تلك الأخطاء من ويلات وفرقة عملت على اتساع الهوة بين الغرب والشرق •

بيد أن الترجمة العربية للكتاب لم تقدمه فى شكله الذى يبدو عليه فى الأصل الفرنسى ، وهذا راجع الى الضعف البادى فى لغة المترجم، بحيث لم يستطع أن يلائم بين المضمون الفكرى للكتاب وبين العبارة العربية المناسبة ، اذ اضطر الى ما يشبه الترجمة الحرفية ، فجاءت عبارات الكتاب فى أكثرها مضطربة ، يغيب فيها المضمون وراء الجمل المعترضة الطويلة التى تقطع الفكر وتجمد الحركة • هذا الى اضطرار المترجم الى نقل كثير من العبارات والمصطلحات حسب النطق الفرنسى ، دون أن يراعى الفرق بين النطق الفرنسى والنطق العربى ، وما ينشأ عن ذلك من اختلافات املائية مثل الضاد التى تنطق دالا ، والجيم التى تنطق غينا •• الخ •

أضف الى هذا وذاك ما غصت بـه عبارات الكتاب من أخطاء لغوية تربك القارىء، وتضطره الى معاودة القراءة مرة ومرة ليتعرف على المقصود ، وهى من الأخطاء اللغوية التى لا يحتمل ارجاعها الى عامل المطبعة أو الى المصحح ، بقدر ما هى راجعة الى المترجم •

وعلى الرغم مما جرته الترجمة على الكتاب من تعقيدات ••• يجد الناظر فى الكتاب نفسه امام عالم ذى فكر واضح مرتب ، وأفق متسع، يطل فى موضوعية الفيلسوف الجاد على العالم بكل ابعاده شرقيه وغربيه ، فى ماضيه وحاضره ومستقبله ، ليقدم الاسلام بمعطياته التى قدمها والتى يمكن أن يقدمها لينقذ الانسان العصرى نفسه مما يتردى فيه من أمراض عجز عن العثور على حل لها ليختم كتابه بعبارة اقبال : « ان هدف القرآن الرئيسى هو أن يوقظ فى الانسان أسمى وعى بصلاته المتعددة بالله وبالكون » •

الدكتور / ابراهيم عوضين

أنباء وآراء

إعداد
أحمد عبد الرحيم السايح
صفوت عبد الجواد

* قرر فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر اعادة تشكيل بعثة الأزهر بلبنان و تخاذ الاجراءات اللازمة لسفرها وممارسة مهام عملها فى حقل الدعوة هناك يرأس البعثة فضيلة الشيخ السيد عسكر مفتش وعظ طنطا السابق ووكيل البعثة

التى عادت منذ سنوات بعد اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية ومن المعروف أن للأزهر بعثة تعمل فى حقل الدعوة بلبنان منذ اربعين عاما لم تنقطع الا خلال الحروب الأهلية وستتخذ لبعثة الجديدة من بيروت مركزا لنشاطها .

القوانين الوضعية من نيول الاستعمار ..

طالب الدكتور محمد عبد الرءوف مدير الجامعة العالمية الاسلامية الماليزية بكوالالمبور بتغيير كافة القوانين والقواعد والارشادات التى وضعها المستعمر فى الدول الاسلامية واستبدالها بأخرى اسلامية .

وقال : انه اذا كان الاستعمار قد استطاع أن ينال منا وأن يبدل بشريعتنا قواعده وقوانينه المادية الوضعية فان هذا الاستعمار قد رحل عنا ، وآن الأوان لنطرح عنا خصائه وكل قواعده وكل قوانينه البالية .

واكد فضيلة مدير الجامعة : أن الاسلام رغم أنوف الأعداء هو الدين القادر على حل المشكلات المعاصرة صغيرة أو كبيرة . وأن ميزة الاسلام الكبرى أنه دين وسط وأنه صالح بقواعده ومبادئه وقيمه لكل زمان ومكان .

وزراء اعلام الدول الاسلامية ..

يعقد وزراء الاعلام فى الدول الاسلامية الأعضاء بمنظمة المؤتمر الاسلامى اجتماعهم الأول فى مدينة جدة بالسعودية خلال الأسبوع

أنباء وآراء

الأخير من شهر ابريل القادم وسيبحث الوزراء المجتمعون وضع استراتيجية اعلامية اسلامية من أجل معالجة المشاكل الرئيسية التى يعانى منها العالم الاسلامى وخاصة ما يتعلق بمشكلة الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية والمقدسات الاسلامية والحرب فى لبنان ٠

تهدف هذه الاستراتيجية الى اعطاء صورة حقيقية للرأى العام العالمى حول هذه القضايا التى تحاول أجهزة الاعلام المعادية تشويهها وقلب الحقائق المتعلقة بها ٠

مجلة الأزهر : نسأل المولى — جل وعلا — ان يكون المؤتمرون راضين أن يتصدر الاسلام جهاز الاعلام ٠

بين مركز الملك فيصل والأزهر ..

بدأ تنفيذ برنامج متكامل للتعاون العلمى والفقهى بين مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الاسلامية بالرياض وجامعة الأزهر فى مصر ٠ ستقوم جامعة الأزهر بتقديم مجموعة كبيرة من رسائل الماجستير والدكتوراه والمؤلفات العلمية فى الشريعة والفقه والقانون والدراسات الاسلامية واللغة العربية وآدابها الى المركز فى الرياض ٠

التنشئة الاسلامية ..

أكد المجلس القومى المصرى للثقافة والاعلام أن التربية الدينية بمفهومها الواسع الذى لا يقتصر على التعليم والمعرفة والتلقين ٠ بل يتجاوزها الى غرس ما يشتمل عليه الدين الاسلامى من مبادىء وتعاليم وأخلاق فى النفوس ، وتحويل ذلك الى قيم وسلوكيات بالنسبة للفرد وللمجتمع أصبحت أمرا ضروريا على مستوى الحياة الثقافية لضمان أن يكون للدين تأثيره فى مجرى حياتنا العامة وطالبت الدراسة التى قام بها المجلس بمواجهة المذاهب الفكرية فى الغرب والشرق مواجهة علمية دراسية وعرضها بموضوعية وبيان موقف الاسلام منها والحرص على أن يكون هناك دائما نظرية نقدية اسلامية ازاء المذاهب والأيديولوجيات المعاصرة وتشجيع التاليف والنشر للكتب العلمية التى تتناول ايضاح المفاهيم والقيم الدينية ، وبيان الانحرافات التى تظهر لدى بعض الطوائف ومعالجتها ٠

جمعية مسيحية تعتنق الاسلام ..

أشهرت جميع عضوات جمعية الأمهات المسيحيات فى « نيروبى » اسلامهن واطلقن على الجمعية « دار الحنان الاسلامية » وقد اتصلت رئيسة الجمعية بسفراء الدول الاسلامية لطلب تعويض الدعم المالى اللازم الذى انقطع عن الجمعية بسبب دخول العضوات فى الاسلام وكانت الكنائس والمنظمات النصرانية قد أوقفت المساعدات المالية ٠ وبعد اشهار اسلام الجمعية اقبل المسلمون لالحاق ابنائهم بالفصول الدراسية وتطوعت المدرسات الكينيات للتدريس بها ٠

جدير بالذكر ان هذه الجمعية انشئت عام ١٩٦٩ فى نيروبى وكانت ذات طابع نصرانى

خالص وتخصصت فى ايواء الأطفال من أبنـاء الفقراء واليتامى الذين عجز أهلهم عن اعالتهم وتربيتهم ٠

تطبيق الشريعة الاسلامية بالهند ٠٠

شكل المسلمون فى الهند وفـدا اسـلاميا برئاسـة الشيخ سيد شهاب الدين لابـلاغ راجيف غاندى رئيس وزراء الهند بتمسك المسلمين الهنود بتطبيق الشريعة الاسـلامية ومطالبة الحكومة باعلان موقفها الواضـح فى هذا الصدد كما طالبوا بتنقية القوانين الهندية الحالية وخاصة قانون الاحوال الشـخصية مما يخالف أحكام الشريعة الاسلامية ٠

الاسلام ثانى ديانة فى فرنسا ٠٠

أظهـرت مجـلة « نوفيـل اوبزر فاتير » الفرنسية أن الاسـلام هو الديانة الثانيـة فى فرنسـا بعد الكاثوليكيـة ٠ وقـالت ان عدد المسلمين فى فرنسا اليوم يزيد على ثلاثة ملايين شخص من بينهم ٢٠٠ ألف من أصـل فرنسى وأوضحت المجلة الفرنسية فى ملف خاص عن الاسلام والمسلمين فى فرنسا أن عددا كبيرا من المسلمين يحتـلون مراكـز بـارزة فى المجتمع الفرنسى ٠

مجلة الأزهر :

الدراسات من هذا اللون ليست صـادرة كتحقيق همـه ابراز الواقـع وكفى ، ولكنـه ــ عادة ــ يقدم لأعداء الاسـلام ــ تنميـة لنشاطهم ضد هذا الدين الذى أبى الله الا أن يظهر ولو كره الكافرون ٠

انظر الخبر التالى من السويد ٠

تحذير غربى من تزايد المسلمين ٠٠

حذرت احدى الصحف السويدية من تزايد اعداد المسلمين وقالت : ان عدد المسلمين الآن وصل الى ألف مليون ، وأن الصحوة الاسلامية تنتشر فى القارات الخمس ٠ وأن المسلمين فى صلاة الجمعة بالقـاهرة يملأون المسـاجد والشوارع وقد كان المسـلمون سـنة ١٩٣٤ حوالى ٢٠٠ مليون مسلم فقط وقد تزايدوا فى الأربعين سنة الماضية زيادة هائلة ٠

جمعية خيرية اسلامية ٠٠

تم تشكيل جمعية خيرية اسلامية بلندن تحت اسم « جمعية العون الاسلامى » والهدف منها تقديم الاعـانات ومـواد الاغـاثة للاجئين والمحتاجين فى أنحاء العالم ٠ تقبل هذه الجمعية التبرعات وأموال الزكاة التى يدفعها المسلمون فى بريطانيا والبالغ عددهم مليونا ونصف مليون مسلم ٠ هذه الجمعيـة سـتقوم بشراء مواد غذائية وارسالها الى المتضررين من المجاعة فى السودان واللاجئين فى باكستان والمتضررين من الحرب الأفغانية ٠

مدى ممارسة الشريعة الاسلامية فى ليبيريا ..

تم انشاء دار للافتاء فى ليبيريا بأفريقيا . وقد تولى منصب المفتى الحاج (عثمان دوكرى) . وتتبع دار الافتاء الليبرية المجلس الاسلامى الأعلى ، وتضم مجموعة من علماء الدعوة الاسلامية الذين أتموا دراساتهم بالأزهر الشريف والجامعات الاسلامية بالدول العربية وتشرف دار الافتاء على تطبيق الشريعة الاسلامية بين المسلمين هناك فى الأمور الشخصية من زواج وطلاق وميراث واستطلاع أهلة الشهور الهجرية وتنظيم الاحتفالات الدينية فى المناسبات المختلفة .

● ● ●

* اعتنق الاسلام ما يقرب من (ثمانين وثلاثمائة) وثنى ومسيحى بجبال النوبة فى السودان خلال الأيام القليلة الماضية وقد دخل هذا العدد الاسلام خلال الجولة التى قامت بها بعثة من منظمة الدعوة الاسلامية لأفريقيا وذلك فى منطقة جبال النوبة بالسودان .

● ● ●

* قرر فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر اعادة تشكيل بعثة الأزهر بلبنان و تخاذ الاجراءات اللازمة لسفرها وممارسة مهام عملها فى حقل الدعوة هناك يرأس البعثة فضيلة الشيخ السيد عسكر مفتش وعظ طنطا السابق ووكيل البعثة التى عادت منذ سنوات بعد اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية ومن المعروف أن للأزهر بعثة تعمل فى حقل الدعوة بلبنان منذ أربعين عاما لم تنقطع الا خلال الحروب الأهلية وستتخذ البعثة الجديدة من بيروت مركزا لنشاطها .

● ● ●

* بحث الأزهر مدى أمكانية مساهمته فى وضع قوانين الشريعة الأسلامية فى باكستان وكذا وجهة نظر الأزهر فى بعض التشريعات التى تنوى باكستان وضعها موضع التطبيق بعد أن تأخذ الصيغة الشرعية والدستورية جاء ذلك خلال لقاء فضيلة الامام الأكبر مع اقبال خان وزير العدل الباكستانى .

● ● ●

* بدأت نقابة الأطباء فى تشكيل لجنة علمية لدراسة البدء فى تعريب المناهج الطبية فى مصر مع الأستفادة فى الوقت نفسه من البحوث العلمية .

وهذا الاتجاه كان ثمرة المؤتمر الأول للاعجاز الطبى الذى عقد فى القاهرة فى سبتمبر الماضى وكان من أهم توصياته العمل على تنقية المناهج العلمية من بعض ما يتعارض مع الاسلام والاتجاه الى تعريب الطب .

● ● ●

حول بعض المفاهيم الاسلامية رأس فضيلة الدكتور الحسينى هاشم وكيل الأزهر وفد علماء الأزهر لعقد سلسلة من الندوات واللقاءات فى دبى .

من خير ما كتب

د. عبد الفتاح السيد عبد السلام

كلمة هادئة للأستاذ / محمود مهدى

بعد أن هدأت العاصفة .. الآن وقد هدأت العاصفة ، وحفظ الله الكنانة من شر مستطير ، يمكننا ان نقول كلمة هادئة بعد ان كانت الكلمات ، كل الكلمات ، تعجز مهما تضمنت من اسرار البيان ، عن تصوير دقيق أو تحليل موضوعى للأحداث فى حينها .

لقد كانت تلك الأحداث أكبر من كل كلام ، وأخطر من أى تحليل .. وحينئذ لم يكن امام الانسان الا ان يتجه الى الله خاشعا متضرعا يسأله السلامة ، ويردد قوله الكريم « **لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ** » .

وكلمتى التى أريدها هادئة ، ذات شقين :

لشق الأول : هو أن ما حدث كان – بكل لمقاييس – فتنة ولكن الله قضى عليها وأطفأ نارها .. نعم هو الله وحده الذى أطفأ نار الفتنة وأوقف أوارها الذى كاد أن يقضى على الأخضر واليابس ، ويهلك الحرث والنسل .. نعم هو الله وحده ولا يجوز لفرد أو جماعة أن تدعى لنفسها القدرة على اخماد نار هذه الفتنة .. نعم كانت هناك وسائل .. وبها حمى الله مصر وأبقى على أهلها الأمن والأمان الذى بشر به منذ مئات القرون آل يوسف عليه السلام حين قال على لسانه « **ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** » .

والشق الثانى : من كلمتى هو أن نبدأ وعلى الفور فى شكر الله تعالى والتحدث بنعمته علينا مذعنين لقوله تعالى « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا**

إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » •

وشكر الله ليس مجرد ترديد كلمات تحمل معانى الحمد والشكر دون أن نقرنها بعمل يؤكد صدق ايماننا بما نردده •• والعمل الذى أقصده هو أن تعلن الدولة بدء تطبيق شرع الله ، ولتكن البداية تطبيق ماانتهت اللجان المتخصصة فى مجلس الشعب من تقنينه ، فأنا أعلم كما يعلم غيرى أن هذه اللجان قد قطعت شوطا كبيرا على طريق تقنين الشريعة الاسلامية وانجزت بالفعل كثيرا من القوانين أصبحت جاهزة للتطبيق •• فلتكن هذه الخطوة هى الشكر العملى لله على ما انجانا منه وحفظ البلاد والعباد من أخطاره •• اذا فعلنا ذلك نكون بالفعل قد شكرنا وعرفنا طريق النجاة ، فلا نجاة مما نحن فيه من أزمات الا بالولوج كلية فى رحاب الله ، وتطبيق شرعه الحكيم ، واتباع صراطه المستقيم والذى أمرنا باتباعه فى قوله تعالى « وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ، ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » •

الأستاذ/السيد حسن قرون

هذه الآية وخطباء المساجد

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (الآية ٩٠ من سورة النحل) •

حول معنى هذه الآية كتب فضيلة الاستاذ السيد حسن قرون من علماء الأزهر يقول :

يروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ان أجمع آية فى القرآن (للخير والشر) فى سورة النحل : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » •

ولما كانت هذه الآية الكريمة لما حوت من مناهج الهداية وما بثته من مكارم الاخلاق نحن فى حاجة الى فهمها والتأنى فى قراءتها جعلت نفسى فى كشف مرادها ، لأنى كثيرا ما أسمع خطباء المساجد يوم الجمعة حين ينتهون من الخطابة يسرعون فى قراءتها وهم ينزلون من فوق المنبر ، والواجب أن تلقى بتأن وأداء واضح واستقبال لوجوه السامعين •

وفى هذه الآية ثلاثة أوامر تقابلها ثلاثة نواه لو أن بنى الانسان أخذوا بالأوامر وانتهوا عن المقابل من المنهيات لبلغوا رضوان الله ولفازوا بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة •

ففى الأوامر الثلاثة تجد الأمر بالعدل ، وهو التسوية بين الناس واعطاء كل ذى حق حقه ، وبذلك يستريحون ويشعرون بجمال الحياة ثم يأمر بالاحسان ، والاحسان يسمى الفضل ،

فحين تعدل أديت الواجب وحين تحسن زدت فى التكريم فكان الفضل •

ولذا قال السلف : العدل فرض والفضل ندب ، وأنا أرى أن الامر يستوى فيهما فما أمكن من عدل أو زيادة فيه يطلب أداؤه لخير البشرية لتعيش فى صفاء ونقاء ومودة •

ومع أن ايتاء ذى القربى من طبيعة البشر فان الله نوه به أمرا . لأنه النواة الأولى التى نبنى عليها المكارم والتكافل الاجتماعى ، ولأن التقصير فيه عقابه أشد . لأنه صلة الرحم •

وهذه الأوامر جاء بعدها ثلاثة نهى عنها هى الفحشاء ، والمنكر والبغى . لأنها ذنوب وآثام ومفاسد يبغضها الانسان السوى •

وهذه المنهيات اذا شاعت بين المجتمع جلبت العداوة والبغضاء . وصارت الحياة جحيما لا يطاق •

ولما كان الامر كما ذكرنا كان ختام الآية « يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » ليتعظوا بمواعظ الله الذى يعلم ما يصلح وما يفسد ، فاذا ساد العدل وتبادل الناس الاحسان وراعوا صلة الرحم؛ ونأوا عن المنكرات والبغى كانت حياتهم جميلة وصلتهم بالله متينة ، فنالوا عزة الدنيا وحسن ثواب الآخرة •

الأستاذ/مصطفى أمين

مستقبل الطغاة

مستقبل الطغاة أصبح فى خطر ! فى الماضى كان الطاغية يظلم ويستبد ويستعبد الشعب ، ويهرب أموال البلد الى خارج البلاد ، فاذا طرد من منصبه خرج مطمئنا أنه يستطيع أن يلجأ الى بلد آخر يعيش فيه حياة الملوك والسلاطين !

أما اليوم فقد بدأ الموقف يتغير •• اصبحت أغلبية دول العالم ترفض أن يلجأ اليها طاغية أو ديكتاتور أو مستبد امتهن حقوق الانسان ! ورأينا ماحدث لشاه ايران عندما طاف بالعالم شرقا وغربا يستجدى بلدا يلجأ اليه وأغلقت كل الدول أبوابها حتى صديقته الحميمة الولايات المتحدة •• وفتحت مصر وحدها الباب وسط اعتراضات واحتجاجات كثير من المصريين •

وكان جون كلود دوفاليه الطاغية المستبد الديكتاتور لجمهورية هايتى ، وسرق ونهب وهرب ، وثار الشعب عليه وأرغمه على الفرار •• وذهب الى فرنسا تسبقه الملايين التى سرقها ، واذا بحكومة فرنسا تمهله ثمانية أيام حتى يترك البلاد • غضب الشعب الفرنسى لأن حكومته الديمقراطية قبلت لجوء رجل أذل شعبه وداس على حريته وقتل خصومه وألقى بمعارضيه فى السجون ، واضطرت حكومة فرنسا أن تطالب من الطاغية السابق الخروج من بلادها •• ورفضت ٨ دول أن تستقبله

◄

من خير ما كتب

للاقامة بها ، وسيمضى بقية حيـــاته مطاردا مشردا بين بلد وآخر .

واستطاع ماركوس ديكتاتور الفلبين السابق أن يهرب ٨ بلايين دولار من أموال الشعب .. وعندما انقض عليه الشعب وأرغمه على الفرار من البلاد توهم أنه سوف يستطيع أن يعيش حياة أصحاب البلايين فى الولايات المتحـدة وأن ينعم هو وزوجته وعشيقته بالثروة الهائلة التى امتصها من دم الشعب .

واذا بحكومة الفلبين الجديدة تطالب باعادة البلايين التى نهبها ماركوس الى الشعب . واذا بقاضى المحكمة العليا فى نيويورك يوقف بيـع بعض ممتلكات ماركوس وزوجته وعشيقته فى أمريكا التى قدرت بثلاثمائة وخمسين مليـون دولار .. واذا بالرئيس ريجان يعترف بـأن مرتب ماركوس كرئيس جمهورية كان حوالى ٥٧٠٠ دولار فى السنة وغير معقول ان يقتصد ماركوس هذا المبلغ فى عشرين سنة ليصل الى ثمانية بلايين دولار ، حتى ولو لم ينفق مليما واحدا طوال العشرين سنة .

وهكذا سوف يشعر كل الطغاة والمستبدين الذين يعتدون على حقوق الانسان ، ويذلون الشعوب ويستعبدونها أنهم لن يفلتوا مـــن العقاب .. وأن الاموال التى نهبوها لن تنفعهم .. والصداقات الودية مع الحكام الآخرين لن تحميهم .. فان دول العالم بدأت تنزل عـلى ارادة شعوبها التى ترفض أن تؤوى أى حاكم قضى على حريات شعبه وحكمـــه بالكرباج والمدفع الرشاش ، وطغى وبغى وتصـور أن الشعوب لا قيمة لها ، وأنه يستطيع بالملايين أن يجد لنفسه مكانا فى أى بلد من بلاد العالم . الذى حدث هو مكسب جديد لحقوق الانسان .. وهو انذار لكل الطغاة والمستبدين .

الأستاذ/نجيب محفوظ
الاستقرار والتنمية والانسان

الاســتقرار الحقيقى لمجتمع ما يعنى أنه يحظى باشباع احتياجاته الحيوية الضرورية وعـدل يقوم عليه أساس ملكه ، وحرية تحفظ له حقوق الانسان ، وخدمات عامة متوافرة فى مقدمتها الثقافة التى تهديه الى هدف سـام يستقطب حياته . ويجب أن نعترف بما تقوم به الدولة من جهد عظيم لتحقيق تلك الغايات، يتمثل فيما نفذ من خطتها الخمسية الأولى وما يجرى تنفيذه ساعة بعد أخرى ، ولكن علينا أن نسلم أيضا بأن أغلبية الشعب مازالت تكابد الآلام كى تحافظ على بقائها فى حرمة أزمة طاحنة ولعل شعور الأغلبية المطحونة بالجهد المبذول وما تهيأ لها من حرية وديمقراطية وما عرفته عن رئيسها من وطنية ونزاهة وحرص عـلى القيم ، هو ما مكنها من أن تواجه أكبر كارثـة

بايمان وعزم ولا شك فى أن الدولة ستمضى فى طريق الاصلاح بهمة مضاعفة ولكن عليها أن تخص مبدأ اشباع الاحتياجات الحيوية الضرورية بعناية مركزة وبعزيمة لا تعرف أنصاف الحلول .. عليها أن تعطى كل مواطن من مستخدميها الحد الأدنى على الأقل الذى يمكنه من حمل أعباء الحياة مع المحافظة على الكرامة والعزة فهذا المواطن هو الذى ينفذ التنمية ، وهو الذى اذا اطمأن على نفسه وذويه وهب عمله مائة فى المائة من جهده اخلاصه . وهو الذى اذا مزقه القلق والخوف همل وتسيب وارتشى واختلس وعند الشدة قد يجن أو ينفجر ورب سائل يسأل ومن أين نجىء بالمال اللازم لذلك ؟ حسن ، لنضغط المصروفات ولنحصل الضرائب ولنفرض أعباء جديدة على القادرين منا وهل يقوم مجتمع بغير تضامن ؟ واذا لم ينفع ذلك كله فلنقصر خطوط التنمية داخل نطاق امكانياتنا والله لا يكلف نفسا الا وسعها ولأن نضحى بشىء من التنمية خير من أن نضحى بالانسان الضعيف المرهق الذى ما خلقت التنمية الا من أجله وبغير ذلك فهيهات أن يدوم استقرار أو تنمية .

الفتاوى

اعداد : عبدالحميد شاهين
وتجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

س : من السيد / ع٠ ح٠ الحارثى ٠
طلقت زوجتى بقولى لها : أنت طالق بالثلاث وهذا أول طلاق ٠ فما الحكم ؟

ج : بقولك لزوجتك أنت طالق بالثلاث يقع به طلقة واحدة رجعية ، فلك مراجعة زوجتك مادامت فى العدة ، فاذا انقضت عدتها منك حلت لك بعقد ومهر جديدين وبرضاها ٠

س : من السيد / س٠ ل ٠ يوسف ٠
حلفت على زميل لى بقولى : على الطلاق بالثلاثة ما تعمل (الحاجة دى) وعملها وحلفت مرة ثانية على زوجتى قائلا : على الطلاق بالثلاثة لو خرجت من المنزل (تكونى طالق) وخرجت وأريد به الطلاق ، وقد عاشرتها معاشرة الأزواج خلال العدة ٠
ومرة ثالثة قلت لها : على الطلاق يافلانة أنت طالق ٠٠ فما الحكم ؟

ج : نفيد عن الأول بأنه يمين لا يقع به طلاق ٠ وذلك حسب القانون الجارى به التقاضى فى مصر والمأخوذ من الشريعة الاسلامية ٠

وعن الثانى بأنه يمين معلق ، وحيث أن الحالف كان يريد به الطلاق لو خرجت ، وقد خرجت ، فيقع به طلقة واحدة رجعية ، وحيث انه عاشرها معاشرة الأزواج فهذا يعتبر رجعة ٠

وعن الثالث يقع به طلقة واحدة رجعية ، فله مراجعة زوجته مادامت فى العدة ، فاذا انقضت عدتها منه حلت له بعقد ومهر جديدين وبرضاها ٠ وتبقى معه على طلقة واحدة ٠

س : من السيد /ب ٠ س ٠ البحيرى ٠
توفيت امرأة عن : زوج ، أولاد ذكور واناث قصر ، أم ٠٠ فلمن تكون الحضانة ؟ ولمن تكون الوصايا ، ومن يرث ومانصيبه

ج : للزوج الربع فرضا ، وللأم السدس لوجود الفرع الوارث ، والباقى لأولادها تعصيبا للذكر ضعف الأنثى ٠

أما الحضانة فهى للجدة لأم ، والوصايا للأب ٠

والله أعلم ٠٠

فهرس العدد

الشعر والشعراء

الصـــفحة

العلوم الكونية

من التراث

اللغة والأدب والنقد

قسم الانجليزى

مراجعة وعناوين داخلية
الأستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا

the identity of its owner or by his religion besides that money can be easily transfered from one owner to another.

They wanted to exchange morals which they did not possess by money which they possessed to the extent that they were ready to buy a home country; this was frankely mentioned in "Hertzil" diary written in 15.7.1896 in the following text:

> " We are ready to pay twenty million pounds as the price for Palastine to the Turkish Sultan and by that we help to improve his budget".

The Turkish sultan "Abd El Hamid" replyed by saying that he cannot sell even one feet of this land because he did not own it, it is the people's land. He will never accept division whatever were the reasons. He asked Hertzil to stop hoping, and to the Jews to keep their bilions. However, Hertzil repeated his trials by proposing Cyprus in addition to an excessive amount of money.

Here we have to point out that Hertzil lacked the real value of belonging to a home country and therefore thought it could be bought for a price. While Sultan Abd El Hamid realized the value, and so giving away a part of it was like parting with part of this body, because his homeland cannot be priced.

The price as they claim can transfer property; however, it cannot create a "value" because the price is linked with money, while a "value" is linked with other fundamentals. Evidence for that comes from their history and the fact that they obtained a country. However, most of them prefer not to live in it becasue of their lack of self belonging, and the preferance of their self advantage, which is the price they gain, to live outside. This led their previous president "Ben Gorion" to declare that any Jew will not have a God unless he emigrates to live in Palastine.

Translated from the Arabic Article :-

By : Shiekh Mohammad Abd Al-Aziz Abd Al-Latif

Al-Azhar Magazine

Zu - Al-Hijja 1404.

and differentiation is also clear in modern times in which they are divided into Eastern and Western Jews.

3. A Faith to Believe in:-

The faith must coordinate with the principle and value but their faith lacks such concepts. It motivates them with feelings of superiority and arrogant pride, and dictates doctrines that are only applicable among jews and not to be applied when dealing with other creeds. Accordingly (not to kill or not to steal) is meant not to do that for Jews, but they are allowed to do so with others of other creeds.

4. Spiritual and Civic Legacy:-

The historical culture of the Jews is derived from their religious documentation and priests. These encourage every sin and avoid virtue, and relate all aspects of cheat, hypocracy, injustice, and social and religious perversions. These facts are well enlisted in the way they write about their prophets. Thus, there is no sign in history about any feature of their greatness. Of course the Jews feel strongly about values and know of their inability to possess these values, and therefore try to destroy morals. Their methodology in doing that is by spreading ideas which aim at the diffusion and expansion of vice among people. The ideas of "Nietsche" who divided the morals into two classes: Morals of Masters such as violence, arrogance, and disruption of ethical codes whether social or religious. Morals of Slaves such as sympathy and mercy. They also published criticisms of social values and ethics summerzied as follows:-

1. Morals have relative values, what is evaluated as valuable in one society, may be regarded as of no value in another.
2. They are changeable and unestablished, so there is no sence in adhering to them.
3. They are subject to racial factors such as sex and religion and therefore do not permit other sects to participate.
4. They prevent social movements towards universality.
5. The outcome of financial power became the temporal means of evaluation of values, and the money became the modern form of measuring values.

Through these ideas, they wanted to exchange the value of morals for the idea of Price for morals. Their rationality in that is that money is a universal language unaffected by

The feelings of antipathy towards them were sharpened because they considered themselves a mass separated from societies; either socially by narrowing the scale of insert on or intermarriage, or nationally by not participating in national aspirations. For example, the Jews of Warsow refused to collaborate with the Polish National Revolution of the nineteenth century against the Russian Invador. By this attitude, they hoped to alleviate the suppression of the Russian Jews, and also hoped to achieve a special status in Poland by collaborating with the invador. This incident indicates that they have no value for national devotion. In this connection, we should not overlook the demands for emigration to Israel made by the Russian Jews regardless of the severe limitations made by the Russian authorities to make them remain in their home land Russia. Extremely strange is that most of those emigrants are unbelievers; so we cannot explain this desire for emigration on religious connections. It is basically a feeling of non belonging and disconnection with the land in which they were born and on which they were raised. Such behaviour is related to the lack of certain fundamentals which are necessary for cultivating normal moral principles. Such fundamentals were not furnished for the Jews in any era of their history. Such are:-

1. Relationship to Origin:-

The exact origin of the Jews is not known. All the facts quoted from their Holy Books are contradicting. Sometimes the origin is "Caldani", other times it is "Arami" or it may be "Amory". They cannot be related to one origin, because they are different from each other in colour, physical shape and facial expression, according to the different places of existence.

2. Connection to Nation or Environment:-

Since they had left their original homeland, South of Iraq, and East of Jordan, they transfered to Egypt, Persia, Greece, Rome, Europe etc.... .Every nation has its own ideas and way of life; by which they were influenced. They divided their Hebrew tribes into Bani Israel and others. "Bani Israel" were divided to twelve sects and were different from each other in their way of life, although they belonged to the same origin and had the same language. This division

TO UNDERSTAND THE JEWS

THEIR CONCEPT OF VALUE AND PRICE

Translated
By: Hadeer Refat Abo-El-Nagah

The previous president of the United States of America, Benjamin Franklin in a speech about the Jews said "Anywhere the Jews live, the moral standards will decline and the economical transactions are conducted in dishonourable ways".

The American president ascertains the fact that is well known about the Jews through all ages whatever their environmental societies or nationalities were. That is; they seldom deal with others according to the ethical codes of ideologies or morals such as honesty, honour or nationalism.

Their lack of morals always prevent them from motivating with devotion, honest dealings and conformity with others. An example of this is their financial transaction without usury among themselves; whereas they openly practice usury with others. This led to depriving the others of their possessions and financial resources.

Some people tried to analyze this behaviour and related it to a natural inborn vileness in their characters. The French Philosopher "Sarter" related it to the similarity of situation of being placed banished, damned and segregated positions created by the Christian Europian Societies to prevent them from inserting or participating with the European Societies. Accordingly, the Jews began to acquire psychological and materialistic characteristics which were built upon their position in the society. To attribute the behaviour of jews as an inborn characteristic is really not accepted, and the postulation put by Sarter as to the role played by the European Christian Societies, may appear more logic. However, it should be pointed out that the Jews themseleves were partly responsible for their banishment. No doubt that their dealings with usury in the societies which forbid usury because of religious beliefs like Christianity and Islam, or as social morals according to traditions; this can be considered a justification for the attitude of segregation adopted by these societies.

Christmas is celebrated at different time from the West. In spite of this, no follower rebells against or mocks with sarcasim priests or clergymen. Never did we hear of a theologian mistreated. Steaming with anger, however, these writers always imposed their spiritual vacum on Moslims. When one issue ends, another is prepared and as usual, issues are invented in order to condemn and denounce the facade of Islam. Still fresh in the memory are daring satirical words thrown against men of religion and Al-Azhar; for example against Shiekh Abu Zahra, that Al-Azhar has no sovereignty over Moslims, and the mad campaign launched against the late Gramd Imam, Sheikh Abdel-Halim Mahmoud. Some shallow-minded readers, whose rligious knowledge lacks the scientific level are invested by some authors to adopt their malice.

(To be continued)

Translated from the Arabic Article
By: Dr. Aly Al-Khatib.
Al-Azhar Magazine.
Zu Al-Qida, 1405.

were to me, I'd have written nothing; rather I'd have recruited those antagonists and paid them money. In fact, they'd have written better than I did". Both the dominated and the mercenary co-operated and put their efforts together and became active in several fields. One of these fields was recruiting Egyptian film and stage actors; several of the well known among them became members of Masonism, frequented the Masonic lodge, and wore their badges; and above all, they served the aims and purpose of Masonisms very effeciently. They purposely intended to use the "Name of Allah" in comedy shows in a funnely pronounced way to induce laughter among audience at the expense of removing the high quality of dignity, esteem and respect of the "Name of Allah". Also, names of people, such as, Abd Al-Shakour, Abd Al-Hamid and similar names are always introduced in films and stage shows in a manner that disrupts the meaning and makes fun of the pronunciation. The misuse of the Honoured Names of Allah allowed anything else to be subject to disrespect, disruption and fun-making, and the whole hierarchy lost its sanctuary, and became an allowed graze ground. The cloak and turbin and the personality of a Shiekh became the subject matter of comical shows, farcical displays and ridiculous absurd representation. This certainly affected the dignity, personality, respect of the Shiekh, and devaluated his composure and confidence. The ultimate aim is to destroy and degrade the Islamic values and eithics through the satirical undermining of the personality of the Shiekh and what he represents.

Pouring into the same swamp, some journalists shared the same line of anti-Islamic activities whenever possible since that fields was allowed without restriction. They practiced conspiracies and offered front line pages to discuss religious issues in which they were unqualified. With the approach of the mouth of Ramadan every year, they raised a widespread dispute about the rule of the Sharia which dictates that fasting should start after the sight of the crescent and if vagued complete the month of Shaaban to thirty days. They calim that astronomical count is more authorized, which has proved incorrect on several occasions.

One cannot help wondering, knowing that Christians in the East and West follows a system to sign the beginning of the Grand Fasting which ends with Easter Day; every year this feast changes, ranging between April and May. In the East,

Any spot on the world map people, have been ruled by foreign conquerers, tyrants who have always mastered. Religious identity, however, is different and survives as the sole identity that cannot destroyed. Religious beliefs are not commodities for display, they are not subjects that can be reigned by different patterns of rule. Simple, clear and correct, the identity of Islam in particular is looked upon as the most solid of relations and most dangerous enemy of the collation of the three sects.

With the help of well-planned policy and international circumstances, Zionism managed to foster the triangular party. Israel was founded by the participation of Communism. Reading "Secrets of Masonism", one finds out that Masonism is willingly in the service of Zionism, and the conflict crystalised; the trio eventually became adverse to Islamic identity. Because of bitter circumstances, Muslims experienced tense turmoil that stimulated and developed what might be diagnosed as "Caution Sensitivity" which formed a solid wall to lean against in resisting the trio.

The polict y adopted by the trio is not to attack Islam openly but to attack Islam hideously under masked hostilities at long intervals of time. The aim is gain an accurate evaluation as to the extent of Muslim negligence of their religion. Another aim was to know the outstanding speakers of Islam to attack them openly to reduce their influence by all possible means. Apart from this the three allies lobby to realize their ends mysteriously by violating Islamic values to quell them entirely by shaking them into destruction to become either historical relics or nothing at all. The analysing of this lobby is simple. Its followers are admirers of western civilization.This admiration mastered them because of frustration and humiliation, becoming dominated by it with satisfactory acceptance, and advocate their philosophy of thought to their families. Others are traitors bountfully paid, witty but vile, trivial and spiritually empty, all were dedicated to dash against their religion and identity, aided by all tools and tactics, to be favoured.

On coming to Egypt, Sheikh Mustafa Sabri, the Grand Sheikh of Islam in Turkey visited El-Azhar, where he was endowed with gratitude and praised for his writings against atheism and atheists. He kept silent, and finally said "If it

« BEWARE OF THEM LEST THEY BEGUILE THEE »*

Translated
By:- Magdy Abdel-Hamid Basheer.

In the Holy verse of the Glorious Quran, Moslems represented by the character of the Prophet Mohammad, are warned not to follow disbelieving sects, lest they should be converted from observing their sacred revelations. By "them" is meant Masonists, Communists, Bahaeets and their like in all ageous and their followers. The pursual of all their notionfocusing oratorys and interpretations are composed of theatrical seducing expressions and euphuistic styles. The sects meet in one common major principle, which is hatred for national identity, since that is the rock upon which their objectives are destroyed. There is no wonder that they have united to blot the concept of national identity.

These subversive effects were openly voiced on several occasons. The Turkish general Atlakhan told about a pro-Masonic regiment with some of its men occupying high ranks in the army. Dispatched to war, these troops lay off their arms disinterested in duty. El-Tabii, wrote about a group in the French army, who believed in Communism and escaped from the battlefield avoiding the enemy.

Since family and country identities are social as well as political phenomena,. therefore both are subject to change from time to time. This occurs due to twentieth century life style, which undoubtedly differs from that of the previous century, due to the impact of modernism and technology. This change has encouraged many to abandon their birth places and make families elsewhere. Little by little affiliation was undermined and emigration not known in earlier days, is nowadays a common practice well administered.

---

* Surat Al-Maida. IV, 49.

out on an expedition. According to another narrative, he always came back from a journey in broad daylight, long before noon, and when he arrived he used to start with the Mosque to do a two-prostration prayers and then stay there for men to come and see him.

10. On authority of Abu-Nujaid Amran, son of Al-Hussain, Al-Khuza'iy, may Allah be pleased with them, father and son:- A woman from Juhaina who was pregnant by way of adultery went to the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, and said to him: "Apostle of Allah, I deserve a penalty set by Allah; so apply it to me." The Prophet of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, called her guardian and said to him : "Treat her well, and when she has been delivered of her child, bring her to me". This the man did, so the Prophet of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, ordered her to be tied up in her clothes and then to be stoned to death. He then did the Death Prayer over her. Omar, son of Khattab, said to him : "Do you pray for her sake, Apostle of Allah, even though she was an adulteress ?" The apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, said to him : "She has made a repentance which would embrace seventy people of Medina if it were distributed over them. Can you find anything that excels the sacrifice of her life for the sake of Allah ? (Shahih Muslim).

11. On authority of Abd-Allah, son of Abbas, may Allah be pleased with them:-Even if a son of Adam has a valley of gold he will be eager to have two. In fact, it is with nothing but dust that he will have his bellyful of wishing. However, Allah turns with mercy to them who repent to Him" (Agreed upon).

12. On authority of Abu-Huraira, may Allah be pleased with him; Allah, high exalted be He, smiles upon two men: killer and his victim. The latter met his end fighting for the cause of Allah; and, some time later, Allah relented towards his killer so that he became a Muslim who then died a martyr. (Agreed upon).

to Him I will never tell but truth. "By Allah, I do not know a Muslim whose truthfulness Allah tested and rewarded as He has always dealt me eversince I said that to the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah. Never have I so far said an untruth intendedly, and I do hope that Allah preserves me in the rest of my lifetime.

Then Allah revealed to His Apostle: "Allah has turned in mercy to the Prophet, the Muhadjirs and the Ansar who stood by him in the hour of adversity, when some of them were on the point of losing heart. He turned to them in mercy. He took pity on them and was merciful. He was also merciful to the three who had been left behind. So despondent were they that the earth, for all its vastness, and their own souls, seemed to close in upon them. They knew that there was no refuge from Allah except in Him. Therefore, He turned to them in mercy so that they might repent. Allah is the Forgiving One, the Merciful. Believers, have fear from Allah and stand with those who uphold the cause of truth By Allah, I do not acknowledge to the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, so blessed a grace from Allah on me, next to His guiding me to Islam, as I have been impressed by the outcome of my abstaining from lying to him, and, consequently, my safety from the calamitous distress that awaits them who told lies. For Allah referred to them who told lies with the worst words He said about whomsoever else. He said : They will appeal to you in Allah's name, when you return, to pardon them. Do, and turn away from them, for they are unclean. Their home shall be Hell, the punishment for their misdeeds. They will swear to you in order to please you. But if you accept them, Allah will not accept the evil-doers.

The three of us had also stayed behind, and had not shared them who swore to the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, and he took their pledge of allegiance and asked Allah to forgive them. So, the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, deferred our case until Allah, exalted be He, gave His judgement on us. However, that He said "the three who were left behind" it must not suggest that our failure to join the Battle of Tabuk was due to causes beyond our control. On the other hand, it decalres that Allah has separated our case and His judgement on us from those who took false oaths and were excused by the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah".

According to a narrative, the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, went out on the Battle of Tabuk one Thrusday, and that he used to choose Thursday to go

Ten more days did I wait, so that fifty days had elapsed since the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, forbade men to talk to us. Then, early on the morning of the fiftieth day, when I had done the daybreak prayers on the roof of a house of ours and sat, as Allah has said in the Quran, so despondently that my soul, on one hand, and the earth with all its vastness, on the other, both seemed to close in upon me, I heard the shouts of a man running up the Hill of Sal'a, calling at the top of his voice: "Rejoice, Kaab, son of Malik." There upon I fell to my knees in prostration, knowing that relief had come and that the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, had announced that Allah had relented towards us, when he did his daybreak prayers. Men came out rejoicing to congratulate us. Other men went to felicitate my two fellows, too. A man on horseback rode up the hill at a gallop, while another from Bani Aslam ran up, the voice coming to me faster than the horse. When he whose voice I had heard reached and conveyed to me the glad tidings, I was so cheerful that I took off my two outer garments and clothed him in them in return for the pains he had taken for my sake, even though, by Allah, I did not possess any other garment that day. I then borrowed two other ones, put them on and went to see the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah. All along the way groups of men welcomed me and congratulated me on my return to Allah, saying to me: "You may well rejoice Allah's turn towards you".

When I went into the Mosque, the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, had been sitting with men around him. Seeing me, Talha, son of Ubaid-Allah, rose to his feet and hurried to shake my hand and congratulate me. By Allah, he was the only Muhajir (emigrant) who rose to meet me; and never will I forget that kindness on his part. When I greeted the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, he said, joy lighting up his face, "Rejoice over the best day you have had eversince your mother gave birth to you. I said, "Is this from you or from Allah ?" He said, "Oh, it is from Allah, to be sure". We all knew the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah to shine in the face, when he was happy, as if his face were a moon. So, when I sat before him, I said : "Apostle of Allah, as an earnest of my honest repentance I will renounce my possessions in charity for the sake of Allah and His Apostle. "He said, be upon him blessing and peace from Allah, "You had better hold a part of your wealth". I said, "Then I will keep my share from Khaibar. Apostle of Allah ! It is through truthfulness that Allah has spared me my faith. Therefore, throughout my return

RIYAD AL-SALEHEEN
BY
IMAM YEHIA IBN SHARAF AL-NAWAWY AL-DEMASHKI

Translated
by .Soliman Barakat

CHAPTER I:

REPENTANCE
(Continued)

When forty nights had elapsed out of the fifty, and the long wanted for Revelation came from Heaven, an envoy from the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, came to say to me; "The Apostle of Allah orders you to shun your wife." "Am I required to divorce her or what else must I do?" I inquired. He said to me : "No, only keep aloof from her". The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, sent messengers to my other two fellows. I said to may wife, "Now you go and join your kin. Stay with them till Allah settles this matter"

The wife of Hilal, son of Umayya, went to see the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, and said to him; "Apostle of Allah! Hilal, son of Umayya, is but a decrepit old man in his declining years, without anyone to serve him. Do you object to may attending him?" He said, "No, but he must not near you." She said, "By Allah, he has no such inclination. By Allah, he has so far been ever since"

As a result, one of my kinsfolk said to me, "Won't you approach the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, concerning your wife and get his agreement as had Hilal's wife ?" I said: "No, by Allah I won't. How can I even know what the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, would say if I asked him to allow my wife to attend me, so young as I am.".

The duration of stay of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in Macca is subject to some controversy among authors. However, all agree that the stay was the remaining part of the month of Ramadan. The period that authors differ about is from fifteen to nineteen days. The most outstanding achievements was the clearing of the holy sacred city of all signs and practice of paganism; also the mass entery into Islam of multitudes of men and women of Koraysh and other tribes; and the establishment of several Islamic fundamentals through tradition, and the foundation of Islamic understanding and sense. There is no God but Allah, and Mohammad is the messenger of Allah. It was the supreme absolute dominating will and power of Allah at work. Macaa the holy city with the holy Shrine of Kaaba glittered with the light of genuine faith and belief, to beckon th insignia and emblem of Islam through the ages.

Prayers and peace upon our magnanemous prophet.

Ibn Abi Jahle, Safwan Ibn Umaiyan were finally pardoned and became Muslim with oustanding conduct.Also, Hind Bent Utbah the wife of Abu Sufyan Ibn Harb who chewed the liver of Hamza after the battle of Uhud was also pardoned. Only four were actually killed from the initial number of names whose blood was allowed. The rest were pardoned through the tolerance, patience, serenity, kindness and sagacity of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Um Hani daughter of Abi-Taleb asked for the protection or two men from Bani Makhzoom who were Al-Harith Ibn Hisham and Zubair Ibn Abi Umaiah Ibn Al-Mughirah. She was granted her request, and the two men were offered protection and safety.

On the following day, men from Khuzzah recognized an unbeliever from Huzail and killed him. This disturbed the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and stood up to address everbody and said "Allah has given sacredness and holyness to Macaa eversince creation, and will remain sacred to the day of judgement. It is not allowed for a believer to shed blood, or cut trees. Such was exceptionally permitted for me for the hour that was, and returned to be sacred". Compensation was paid for the killed man. Such attribute and respect to the holy city made the people of Koraysh ready to accept Islam.

The Ansars of Al-Madinah thought that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) would remain in Macaa his home and not return with them to Al-Madinah. This fear on the part of Al-Ansar was resolved when the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) ascertained that his life would be among them and his death would be among them.

During the period of his stay in Macaa, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) send several small contingents of men to several places to summon tribes into Islam and to destroy all statues used for worship. Khaled Ibn Al-Walid was dispatched to wreck Al-Uzza whose temple was in Nakhla, which he did. It is also related that Amre Ibn Al-Aas was dispatched to wreck Suwai the worshiped statue of Huzail, which he did. Also, Saad Ibn Zaid Al-Ashhali was dispatched to wreck Mannah a worshiped statue of Khuzzah whose temple was in Mashlal on the sea coast, which he did. It was also publicly announced that all statues of worship should be removed from homes and destroyed.

worship, used by the pagans for certain purposes and occasions. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) pushed down every one of these statues with an iron bar in his hand. Doing so he recited from the Holy Quran.

> "And say: Truth has now arrived, and falsehood has perished for falsehood (by its nature is bound to perish".
> (Surat Bani Israil, XVII, 81)

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had given precise orders to the commanders of the battalions that there was to be "No fighting" and "No bloodshed" in respect to the sacredness of the holy city of Maca. Also, the declaration that whoever enters the house of Abu Sugyan is safe, whoever enters the Masjid is safe, and whoever bolts his door behind him is safe. However, some exceptions were named whose blood was allowed even if they were hanging by the curtains of the Kaaba; in view of the outrageous unforgiven acts of betrayals and deeds of hypocrisy. These numbered about fifteen; however most authors agree upon a few names for certain. Abd Allah Ibn Saad Ibn Abi Sarh who was a Muslim and scribed parts of the revelation in which he purposely put mistakes, turned an unbeliever and slandered the truthfulness of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Being a breast brother of Osman Ibn Afan, he asked him for protection. With the mediation of Osman Ibn Afan, Ibn Abi Sarh was very reluctantly pardoned, and returned to be a muslim and it is related that his later conduct in Islam was satisfactory. Another was Abd Allah Ibn Khatal from Bani Tamim whose job was to collect the revenue of Zakat. In one trip, he killed his companion in cold blood, deserted and turned on unbeliever. Two of his women Fertani and another made a practice of singing verses of abuse and infamy against the person of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and against Islam and Muslims. This man was killed at the Kaaba with one of his women. Another man was Mequis Ibn Subabah who as a Muslim killed a man who had by mistake caused the death of Mequis brother. Mequis had taken the ransom compensation committed the killing an turned an unbeliever. He was killed by a man from his tribe. Another man was Al-Huwairith Ibn Nugaith Ibn Wahb who always practiced maltreating the Muslims and making fun of the daughters of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). He was killed by Ali Ibn Abi Taleb. Others as Iqrima

The prophet (prayers and peace from Allah upon him) rose up and addressed the attending populous by asking "People of Koraysh, what do you think I shall do with you" They answered "Well, you are a kind brother, and a kind cousin". The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) declared his famous and important statement "Go, for you are the acquitted". This was an unequalled example of magnanimity and supreme tolerance and forgiveness. Masses of people hurried to embrace Islam, and to proclaim that "There is no God but Allah; and that Mohammad is the Messenger of Allah". Among those who embraced Islam at the time were Muawiah Ibn Abi Sufyan, and Abu Quhafah father of Abu Bakre. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) spoke and pointed out several Islamic fundamentals to the gathered people. A muslim should not be killed for an unbeliever; people of different creeds cannot inherit each other; proofs and evidences are the duty of prosecuter or one who claims right, and the denial should undergo oath; no prayer soon after morning or afternoon prayers; no fasting on the first days of both Small Feast and Slaughter Feast. People of Koraysh ! Allah has cured you from the abysmal depths of dark ignorance of condemned paganism, and brought to you the nectar of truth; people are from Adam and Adam is from clay. Then the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) finally recited this verse from the Holy Quran.

> "O mankind ! We created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nationas and tribes, that ye may know each other. Verily, the most honoured of you in the sight of Allah is (he who is) the most Righteous of you. Allah is All-knowing, All-cognizant.".
> (Surat Al-Hujurat, XLIX, 13).

The prophet (prayers and peace from Allah upon him) entered the Kaaba and removed all statues as gods, and instructed their destruction. All pictures of Angels as women, and drawings of Ibrahim and Ismail carryings sticks of drawing lots as previously used by pagans, were all removed destroyed and condemned. Outside the Kaaba were arrayed in circles around it were three hundred and sixty statues for

THE STAY IN THE HOLY CITY

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) looked around with feelings of observant attribution at the holy city of Macaa, that he knows so well. The hills, the valleys, the homes, and the beloved Shrine of the Kaaba. The retrospection of thought in reminiscence of the years that elapsed in suffering humility, oppresson, and cruelty on the hands of the pagan masters of Koraysh in their indignant display of despotism against the followers of the new creed. As he stood now in position of power and triumph of a conquerer, he was humble and inwardly subdued in awe and command respect with genuine reverence and servility to Allah for support and favour. How different are the two situations and the circumstantial conditions of each. The important fact is that the character of prophethood never fails to feel and express the power, sovereignity, omnipotence of Allah at all times. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) recovered from his throughtful pensiveness and went directly to the Kaaba, when he announced the greatness of Allah (Allah-U-Akbar) as he entered, prayed at the Stand of Ibrahim, and drank from ZamZam, and called upon Osman Ibn Talha to open the door of Kaaba. Everybody in Macaa was gathered to witness this significant important occasion to hear the judgement passed on them, as enemies of Islam, and as people who have practised outraged atrocities against Muslims. However, when human refinement and spiritual elevation, severity and genuine nobility of character prevail in any individual, he reaches angelic behaviour. When this is further crowned by prophethood, heavenly characteristics and seraphic qualities glorify the personality. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was above the heat of hatred and beyond the sharp edge of revenge. He is qualified and ordained by celestial qualities endowed upon him by Allah.

ENGLISH SECTION

CONTENTS

Shabaan 1406

Preparation of Prints: Mrs. Fatimah Mohammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

من شيخ الأزهر
إلى الأمة الإسلامية
بمناسبة استقبال شهر رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فهذا شهر رمضان قد أهل الله على الأمة هلاله أمرا بصومه في القرآن حيث قال سبحانه : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ .

* السنة الثامنة والخمسون *
* الجزء التاسع *
* رمضان ١٤٠٦ هـ * مايو - يونيو ١٩٨٦ *

من شيخ الأزهر إلى الأمة الاسلامية

إنه شهر القرآن الذى أنزله الله على رسوله محمد ﷺ هاديا للناس إلى الحق بإذنه . شهر الصفاء والنقاء ، شهر المودة وحسن اللقاء ، فيه تصفو نفوس المؤمنين ، وتهفو قلوبهم إلى أن يكونوا كالملائكة أبرارا ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

فكونوا أيها المسلمون فيه كما أمر الله صوما عن الخطايا وعن الخصومات . إذ بالصوم يرتفع المسلم إلى صفوف الملائكة ، حيث أطاع ربه سرا بصومه ، كما أدى فرائضه الأخرى جهرا وعلانية .

هذا الصوم وقاية من أدران النفس وأمراض الجسد ، فهو شفاء من الغل والحقد والحسد ، إذ فيه يتساوى الغنى والفقير ، حيث صام كل منهما عن الطعام والشراب ، وكافة الشهوات إيمانا واحتسابا لله الذى شرع لهم ما يصلح به نفوسهم وأجسادهم وأنزل القرآن المجيد ، فيه علم الدين والدنيا وبه صلاح الحياة للخلائق كافة ، فقد جاء بالمساواة بين الناس جميعا فى الحقوق والواجبات، وفاضل بينهم بالتقوى والعمل الصالح ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ .

هذا شهر العطاء والكرم ، كما جاء فى الأحاديث الشريفة عن رسول الله ﷺ .
ففيه ليلة خير من ألف شهر ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر المواساة وشهر يزاد فيه الرزق .

والصوم اختبار لعزيمة المسلمين وعزمهم ومراقبتهم لربهم فى السر والعلن - وهو مع هذا - مهذب للطباع ، مفصح عن مكنون نفس الانسان فإن صام وصان عبادته عن اللغو والرفث والفسوق والعصيان ، فذلك هو الصوم الذى نسب الله أجره إلى ذاته العلية دون تحديد كما جاء فى الحديث القدسى : « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل: إنى صائم » .
ومتى وعد الكريم أجزل العطاء دون حساب فلنأخذ أنفسنا بآداب الإسلام فى هذا الشهر حتى تستقيم عليه عاداتنا ، فنقلع عن كل ما لا يقره ديننا ، إذ أن الشهر كفيل بتغيير

سيىء العادات إلى الرشد والصلاح ، وليكن صوم هذا الشهر طهرا وتطهيرا وانابة إلى الله وخشوعا ومعرفة بحقه علينا وخضوعا .

ولنذكر انه شهر التعبد ، لا شهر السرف والإسراف والإتلاف ، إتلاف الأموال والانفس وتعريض الصحة للخطر ، فالصوم مشروع لمصلحة الناس تزكية لنفوسهم وصحة لأبدانهم ، فعليهم الا يفسدوا ذلك بالإسراف فى الطعام والشراب .

ايها المسلمون : هذا شهر رمضان قد اهله الله على هذه الأمة ، وما تزال الفرقة محتدمة والتنابز بالألقاب والسوءات تتناثر هنا وهناك، وما تزال الحروب قائمة فى أرجاء العالم الإسلامى: يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى أعدائهم .

لمصلحة من تخرب البلاد ويقتل المسلمون بعضهم بعضا ، فى هذه الحرب المستعرة بين إيران والعراق وقودها شباب المسلمين وأموالهم وهم فى حاجة لأن يدافعوا عن امتهم ويستردوا قدسهم ؟

ايها المسلمون فى مستهل هذا الشهر الكريم الذى أنزل الله فيه القرآن وافترض صومه أطالب المتحاربين من المسلمين بوقف هذه الحروب فقد كفى دمارا وخرابا للبلاد والعباد .

أطالب أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء وأمراء المسلمين وشعوبهم أن يبذلوا المساعى الحميدة الحازمة لوقف هذه الحرب .

نحن فى عصر التجمعات الكبرى والكيانات القوية وها هى الشعوب التى لا توجد بينها صلات تربطها تتحالف وتتآلف وتتعاون ، ونحن ـ المسلمين ـ لنا كتاب واحد وقبلة واحدة وعبادات واحدة أولى بنا أن نتحد، وأن نعلو فوق الاختلافات .

إن أعداء الإسلام يصدرون إلى المسلمين الفتن ويحركون الخلافات فخذوا حذركم واجمعوا امركم ، وخذوا على يد دعاة الفرقة والحروب والمصرين على استمرارها ، الذين لم يستجيبوا إلى الصلح ولم يمتثلوا لقول الله ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَىَ اللهِ** ﴾ .

كونوا عباد الله إخوانا وصوموا شهركم عن كل الخطايا يبدل الله خوفكم أمنا وفرقتكم وحدة ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** » .

الامام الأكبر

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

نحن أولى بالأنبياء

أمر عمر فانطلق أبو موسى الأشعرى - رضى الله عنهما - من البصرة ليتجه شرقا فيجتاز العراق إلى « إيران » ليقضى على البقية الباقية من المرازبة وغيرهم الذين أَبَوْا إلا منع الإسلام أن يهبط إلى الناس فى فارس ؛ فدخل - رضى الله عنه - الأهواز ، فلم يزل يفتحها رزداقَ رزداقَ ونهراً نهراً ، وقد خذل الله - سبحانه - الجبابرة فكانوا يفرون من بين يديه حتى أتى على معاقل السوء التى صدت عن سبيل الله ، ثم دخل « السوس » فضرع أهلها إليه بالأمان فقبل منهم ، وحَلَّ الإسلام بالديار .

ثم كانت مفاجأة « السوس » !

تلك المفاجأة الرائعة التى تحدث عنها كبار الثقات من مؤرخينا وعلمائنا : ابن قتيبة فى « المعارف » وابن جرير الطبرى ، وأبو الحسن البلاذرى ، وابن كثير ، وابن الأثير - فى تواريخهم ، وعُنِىَ بأثرها الفقهى الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى - رضى الله عنهم أجمعين .

وكانت المفاجأة جديرة بالصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى ، خَلَّفها له القائد العام بالناحية أبو سبرة بن أبى رهم - رضى الله عنه .

أخذ أبو موسى - رضى الله عنه فى تنظيم السوس حتى أتى على قلعة بداخلها ديوان ، فإذا فيه جسد « دانيال » النبى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وإذا الجسد الطيب طاهر عبق لم يمسسه سوء .

قال الإمام الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام :

« لما فتحت السوس ، وعليهم أبو موسى الأشعرى ، وجدوا « دانيال » فى إيوان ، وإذا إلى جنبه مال موضوع وكتاب فيه :

« من شاء أتى فاستقرض منه إلى أجل ؛ فإن أتى به إلى ذلك الأجل ، وإلا برص »

فالتزمه أبو موسى وَقَبَّلَهُ ، وقال :

دانيال ورب الكعبة ..

---

(١) حياً بعد حى ، وفى الوسيط : الرزداق : موضع فيه مزدرع ، وقرى ، أو بيوت مجتمعة مُعَرَّب

للدكتور علـى احمد الخطيب

فكتب إلى عمر بشأنه ، وبشأن هذا المال قال :

فكتب إليه عمر أن :

كَفِّنْهُ ، وَحَنِّطْهُ وَصَلِّ عليه ، وادفنه كما دفنت الانبياء - صلوات الله عليهم - وانظر ماله فاجعله فى بيت مال المسلمين .

فكفنه فى قباطى (١) بيض وصَلَّى عليه ودفنه »

والمراد بقوله : « وَادْفِنْه كما دفنت الانبياء » يوضحه قول ابن كثير - رضى الله عنه :

« وان يُغَيِّبَ عن الناس قَبرَه »

قال الإمام ابو الحسن البلاذري - رحمه الله :

« فَسَكَّرَ ابو موسى نهراً - اى سَدَّهُ - حتى إذا انقطع دفنه ، ثم أجرى الماء عليه» »

وبذلك غاب قبرُه عن الناس إلى يوم الدين

فأما المال ؛ فلما لم يكن « رِكازا ، أو كنزا مدفونا » وإنما « كان مالا معروفا متعاملا قد تداوله الناس بينهم بالاستقراض .. وكلهم قد عَرَفَهُ ، فكان بيت المال به اولى ليكون عاما لهم » وهذه إحدى فتاوى عمر الثلاث فى الكنز،وكان ذلك فى العام الهجرى السابع عشر .

مع دانيال :

بُعِثَ رسولُ الله موسى - على نبينا ،وعليه افضل الصلاة والسلام - خلال القرن الخامس عشر من قبل الميلاد ، على ماحققه العالم الفاضل الدكتور محمد عوض محمد - رحمة الله عليه - وانزل - عز وجل - عليه التوراة هدى ونوراً وإماما ورحمة ، وفى إبان القرن الحادى عشر من قبل الميلاد ظهر مُلْكُ « طالوت » فى بنى أسرائيل ، حتى إذا انتقل إلى بارئه ظهرت "النبوة الحاكمة" فتولى المُلْكَ داودُ - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - فملك نحوا من أربعين سنة (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق م) ثم خلفه سليمان - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فملك قرابة ثلاثين عاما : (٩٦٠ - ٩٣٠ ق م) ثم تهاوى الملك من بعدهم

---

(١) جمع قُبْطية : ثياب من كتان بيض رقاق كانت تنسج بمصر ، وهى منسوبة إلى القبط على غير قياس . انظر الوسيط .

نحن أولى بالأنبياء

فانقسم إلى مملكة إسرائيل بالشمال ، وعاصمتها « سامريا » وإلى مملكة « يهوذا » فى الجنوب وعاصمتها « أورشليم » وما أتى عام ٧٢٢ ق م حتى استولى الأشوريون على الشمال ، ونقلوا كثيرا من القوم أسرى إلى أشور شمال الدجلة تلاهم « نبوخذ ناصر الثانى ـ بختنصر » فقضى على « يهوذا » فى الجنوب . وحمل من فيه من الاسرائيليين إلى « بابل » جنوب العراق ، وفيهم « دانيال » النبى ، وفى الجنوب عاش مع الأسرى منذ عام ٥٨٦ ق م .

فلم يدم هذا الوضع أكثر من ستة قرون . تفرق بعده العصاة إلى الأبد ..

• • •

وفى بنى إسرائيل أَرْسَلَ ـ عز وجل ـ الأنبياء من بعد موسى ، فلم يُبْعَثُوا برسالة جديدة تنسخ أحكام التوراة ، وإنما أرسلوا حَفَظَةً على التوراة لئلا يعبث أحد من مَرَدَةِ الاسرائيليين غلاظ الرقاب والقلوب بتلك الشريعة،وكم صَمَدَ هؤلاء الأنبياء أمام فساد اليهود الذين كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق

ظهر دانيال بعد موسى بنحو الف عام تزيد مائة إلى مائتين وفيهم قام يؤدى رسالته فى بيان أحكام التوراة وقد استشرى الفساد بالقوم ، وتفسخت أوصالهم بالترف ونبذت أفئدتهم أحكام الله فمزقهم ـ عز وجل ـ شر ممزق .

انتقل دانيال إلى بلاط نبوخذ ناصر الثانى فلم يفقد جلال النبوة ، ولا كمال الحكمة واستمسك ـ فى أمره ـ بشريعته وازداد نبوخذ ناصر تعلقا به وكان ـ عليه السلام ـ يعلم موقعه من البلاط ، ويعلم ما فيه . وكان يدرك بداهة انه النبى الذى يعيش فى بلاط مَلِكٍ وثنى ، فلم يترك لتقاليد هذا البلاط أن تعبث بشريعته ، ورأى ـ منذ أول يوم وطئت قدمه فيه ـ أن يتجنب ذبائحه التى لم تذبح بذكر اسم الله ـ عز وجل ـ عليها ـ فلم يكن سبيل إلى طعام طهور غير البُرّ وما شابهه من نبات ، فاطمأن إلى ذلك الطعام ونجا بنفسه من النجس وقد سجل العهد القديم ذلك فقال :

(٢) انظر لأبى عبيد ـ الأموال ١/ ٤٣٠ ، ٤٣١

« أما دانيال فجعل فى قلبه (١) أنه لايتنجس بأطايب الملك ، ولابخمر مشروبه » دانيال ١/٨

وكان أحيانا يشتد به الحزن فيطوى الأيام صائما بلا طعام ولا شراب (٢) وذلك صيام معروف للأنبياء "صيام مواصلة" كان نبينا - عليه أفضل الصلاة والسلام - يمارسه ، وقد أراد بعض الصحابة أن يقوم به فاشتد عليهم وقال - عليه الصلاة والسلام - لأصحابه :

« وايكم مثلى ، إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقين ، فاكلفوا من العمل ما تطيقون » (٣)

ومات دانيال ببابل ثم ضعفت بابل بعد نبوخذ ناصر فغلبهم أهل السوس على دانيال ونقلوه إليهم .

● ● ●

كان امتناع دانيال عن اللحم لنجاسته من حيث إنه - عنده - لم يذبح على شريعة ربه ، فلم يفعل ذلك تشريعا لصيام عن "اللحم ونتاج الحيوان" أوالامتناع عنهما ؟

وإنه لبرىء من ذلك فما كان له أن يفعل فيعتدى على حق الله فى التشريع ، ثم إن الشريعة قائمة ، وهى التوراة ، وتظل شريعة حتى المسيح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - فليس شريعة بين موسى وعيسى غيرها ، وما نزل أثناء ذلك أمر بنسخها .

وشريعة التوراة تتحدى أن يكون بين تعاليمها صيام هذا لونه ، حتى العهد المتداول "هذا" برىء منه ، بل يحمل بين طياته حِلّ أكل اللحم - فى كل وقت - شريطة أن يكون مذبوحا على ماأراد الله ، ويكون من حيوان حَلّ لهم طَعامُه (٤) جاء فى سفر التثنية : « إذا وسع الرب إلهك تخومك - كما كلمك - وقلت : آكل لحما : لأن نفسى تشتهى أن تأكل لحما : فمن كل ما تشتهى نفسك تأكل لحماً » ١٢ - ٢٠، ٢١

كذلك تَبْرَأُ « الأناجيل » المتداولة منه براءة « العهد » فليس فى نصوصها أدنى إشارة إليه ، بل جاء فى الرسائل الملحقة بها-عمن يصطنعون أحكاما لا علاقة لها بالإنجيل : « مرائين ينطقون بالكذب ، وضمائرهم (١) مكوية ويمنعون عن

---

(١) أى نوى

(٢) انظر دانيال ١٠ - ٣،٤

(٣) صحيح البخارى باب الوصال فى الصوم .

(٤) راجع للدكتور على الخطيب : الصيام من البداية حتى الإسلام ص ١٢٤ - ١٣٣ منشورات المكتبة العصرية - بيروت

(١) كناية عن موت هذه الضمائر تماماً وعدم استجابتها للأمر الإلهى .

نحن أولى بالانبياء

الزواج ، وعن اكل اطعمة خلقها الله ليتناولها ـ بشكر ـ كل من آمن وعرف الحق »

« فلا يحكم عليكم أحد في المأكول أو المشروب ، أو من قبيل عيد ، أو رأس شهر أو سبوت (٢).

ومن العجيب أن هذا اللون من الصيام قاسم مشترك بين كل عقيدة تؤمن بالحلول ؛ فترى أن إلهها يمكن أن يحل بإنسان ، وأن بعض الموتى تحل أرواحهم في أجساد حية عالية أو سافلة فيمتنع عن أكل اللحم ونتاجه خيفة أن يأكل إلهه . أو أباه أو أمه ، نبتت هذه العقيدة في الهند ثم انتشرت حتى اعتنقها فيثاغورس ودعا إليها في إطار وثنيته .

ودين السماء براء من ذلك كله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

وهكذا آلت بعض العقائد السماوية السابقة إلى وثنية محضة تبرأ منها السماء ويبرأ منها « دانيال » على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

انظر في مراجع المقال :

تاريخ الرسل والملوك ـ الطبرى ٤/٩١ ـ ٩٣ طبع دار المعارف مصر ـ البداية والنهاية لابن كثير ٧/٨٨ , ٨٩ طبع معارف بيروت ـ الكامل لابن الأثير ١/٢٦٨ ـ ٢/٥٥١ دار بيروت ١٣٨٥ ـ فتوح البلدان للبلاذرى ص ٣٧١ طبع السعادة ١٩٥٩ .

انظر نص ابن قتيبة ـ في الأموال لأبى عبيد ١/٤٢٩ , ٤٣١ دار الفكر ١٣٩٥ صحيح البخارى ـ

العهد القديم الاناجيل ـ رسالة إلى تيموثاوس واهل كولسى :

الفصل الثانى والرابع ـ الصيام من البداية حتى الإسلام ـ د / على الخطيب ١٢٨ ـ ١٣٣ نشر المكتبة العصرية بيروت ١٤٠٠ ـ وانظر للدكتور محمد عوض محمد ـ الصهيونية في نظر العلم ـ طبع الجامعة العربية ـ التاريخ القديم ـ ج ـ إدجاز ـ شفيق غربال : بنى اسرائيل .

المحرر

---

(٢) رسالة تيموثاوس .

دراسات إسلامية

إن دين الله واحد

الصوم.. والعمل قضية الانتماء

إن الدين واحد

٢

وأما وحدة النطق بالإسلام :

ولئن كانت حقيقة الدين عند الله هى الإسلام مصدراً وموضوعاً : وقد حمل الموكب الكريم من الرسل والأنبياء الأمانة الكبرى لينسجم الانسان مع الكون الذى سبح بحمد الله وسجد لجلاله فإن الأنبياء جميعاً قد اقروا بانهم على دين واحد هو دين الإسلام .. ونطقوا بهذه التسمية باللفظ الصريح .

فقال سيدنا نوح عليه السلام :

« فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ».

(٧٢ ـ يونس)

وقالها سيدنا إبراهيم : « قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ »

« وَوَصَّى بِهَا إبراهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يا بَنِىَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ »

(١٣٢/ البقرة)

وقالها يعقوب مع سيدنا ابراهيم : ثم وصى بها ابناءه من بعده :

« أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَه آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ».

(١٣٣ ـ البقرة)

د . رءوف شلبى

وفى هذا الجو من وحدة التسمية التى حددها الأنبياء يفند القرآن الكريم ادعاء أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً ، ومع هذا التفنيد فإن القرآن يردفه بالنصيحة بأن يتبع هؤلاء المدعون اليهودية أو النصرانية ديناً لابراهيم .. بأن يتبع هؤلاء الإسلام ، يقول الله تعالى :

« وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ».

(١٣٥ ، ١٣٦ البقرة)

وبمثل هذا المنطق والتسمية ينفى القرآن الكريم فى سورة آل عمران عن سيدنا إبراهيم أنه كان على ملة غير الاسلام ، يقول الله تعالى :

« مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ »

(٦٧ ـ آل عمران)

وعلى هذه الوتيرة من ملة سيدنا إبراهيم ووصيته يعقوب إلى بنيه والتزامها سيدنا يوسف فأعلن فى دعائه إلى الله :

« رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ »

(١٠١ ـ يوسف)

وكان سيدنا سليمان مسلما .

لقد قال وهو يحمد الله على ما آتاه من الملك والنبوة :

« وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ »

(٤٢ ـ النمل)

وتعلنها بلقيس فى يقين :

« وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »

(٤٤ ـ النمل)

لقد كان سليمان مسلماً وبلقيس مع سليمان تعلن أنها مسلمة .

وعلى درب الموكب الموحد المسلم . الموكب الذى تحمل الأمانة الكبرى : أن أقيموا الدين .. نصح سيدنا موسى قومه :

« وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ »

(٨٤ ـ يونس)

إن دين الله واحد

ولما غرق فرعون دوت في هيكل صدره حقيقة الدين الذى دعاه إليه سيدنا موسى فقال :

« حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ »

(٩٠ ـ يونس)

والسحرة من قبل فرعون أعلنوها :
« قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ . وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ »
(١٢٥ ، ١٢٦ الأعراف)

وأنبياء بنى اسرائيل أسلموا لله ولقد وصفهم القرآن الكريم بهذا الوصف ، فيقول الله تعالى :

« إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ...»
الآية .. (٤٤ ـ المائدة)

وعلى العهد والميثاق الذى وفى به الأنبياء السابقون كان سيدنا عيسى يدعو حوارييه إلى الاسلام فقد قال لحوارييه :

« فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ »
(٥٢ ـ آل عمران)

وكان ذلك وحيا من عند الله أنزله الله على سيدنا عيسى كما تصور ذلك سورة المائدة :
« وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ »
(١١١ ـ المائدة)

الله يشهد أن دينه الاسلام :
وإذا كان الأنبياء والمرسلون ، قد نطقوا بالإسلام ديناً اعترافاً منهم بنعمة الله التى وهبها اياهم وبما اختصوا به من نشر دين الله الذى ينسجم الانسان به مع الكون في التسليم لجلال الله وإسلام الوجه لكبريائه فإن الله وملائكته وأولى العلم كذلك يشهدون أن الدين عند الله الاسلام :

قال ابن كثير في توجيه قراءة : أن الدين عند الله الاسلام بفتح همزة أن : ذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ : شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، إن الدين عند الله الاسلام بكسر « إن » وفتح « أن » الدين عند الله الاسلام ، أى شهد هو والملائكة وأولو العلم من البشر بأن الدين عند الله الاسلام .

أما الجمهور فقد قرءوها « إن » بالكسر على الخبر ، فيكون معنى الآية على هذه القراءة المشهورة : أن الله يخبر بأنه لا دين عند الله يقبله من أحد سوى الاسلام وهو اتبّاع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم .. فمن لقى الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعة الاسلام فليس بمتقبل كما قال تعالى :

« وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ».

وهذا الرفض لكل دين غير دين الاسلام جاء في أعقاب الميثاق الجليل الذى قطعه الله على أنبيائه ..

ميثاق الله ووحدة الدين :
« وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ

لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرَنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا ، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ »

(٨١ ـ آل عمران)

لقد أخذ الله سبحانه وتعالى موثقاً رهيباً جليلاً كان هو شاهده وأشهد عليه رسله أخذ موثقاً على كل رسول أنه مهما آتاه من كتاب وحكمة ثم جاء رسول بعده مصدقاً لما معه أن يؤمن به وينصره ويتبع ما جاء به حتى يأتيهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقر به كل الرسل والأنبياء ، وفي ظل هذا المشهد يبدو الموكب الكريم متصلاً متساندأ مستسلماً للتوجيه العلوى ممثلاً للحقيقة الواحدة التي شاء الله سبحانه أن تقوم عليها البشرية جميعاً .

قال ابن كثير في تفسيرها : قال على بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس رضى الله عنهما **ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن** بعث الله محمدا وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وامره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء به ولينصرنه « **فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** »

(٨٢ ـ آل عمران)

فمن خرج على هذا الميثاق فهو فاسق لا ثقة في ذمته ولا شرف لرايه .

وتلك أولى التفريعات على هذا الميثاق فإنه لا يتولى عن دين الله إلا شاذ ناشز وسط هذا الكون الكبير الذى أسلم لله طوعاً أو كرهاً .

والتفريعة الثانية : « **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** »

يقول ابن كثير : يقول تعالى منكراً على من أراد ديناً سوى دين الله الذى انزل به كتبه وارسل به رسله وهو عبادة الله وحده ولا شريك له ، الذى أسلم له من في السموات والأرض .. « **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ** ».. فهو استنكار لتولى شاذ من الشواذ أو شارد من الشوارد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة .

والتفريعة الثالثة : الاقرار بهذه الوحدة الدينية : « **قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا** .. » **الآية** .

فدين الله واحد جاءت به الرسل جميعاً وتعاقدت عليه الرسل جميعاً ، وعهد الله واحد أخذه على كل رسول ، والايمان بكل رسالة تأتى وفاء بهذا العهد .. فهى الصورة الشاملة العميقة لمعنى الاسلام : دين الله الذى حمله الأنبياء جميعاً ..

والتفريعة الرابعة على الميثاق : « **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** »

قال ابن كثير : من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله فلنْ يقبل منه .

وكان أبو السعود أجلى في عبارته إذ يقول : (**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ**) أى غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كداب .. المشركين صريحاً والمدعين للتوحيد مع اشراكهم ـ كأهل الكتاب ـ (دينا) ينتحل إليه (**فلن يقبل**) ذلك (**منه**) أبداً بل يرد أشد رد وأقبحه ..

ويقول : والمعنى : أن المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها .

إن دين الله واحد

وفى ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على أن حال من تدين بغير الاسلام واطمأن بذلك أفظع وأقبح .

هذا هو الاسلام فى سعته وشموله لكل الرسالات التى جاء بها الأنبياء .

وهذا هو الاسلام دين الله الذى تحمله الرسل أجمعون ، انه دين الله الخالص فى توحيده لله جل شأنه وارجاع جميع الدعوات والرسالات إلى أصلها الواحد . وإذن فانه لا سبيل بعد هذا العرض لتأويل حقيقة الاسلام ، ولا داعى إلى النصوص وتحريفها عن مواضعها لتعريف الاسلام بغير ما عرفه الله به .

إن الاسلام هو دين الله إلى البشرية ، وهو دين يجعل الانسان منسجماً مع الكون الذى خضع لله بما أودعه فيه من قوانين .

ولقد حمل هذا الاسلام سيدنا نوح وكان دينه الاسلام .

وحمله سيدنا ابراهيم وكان حنيفاً مسلماً .
وحمله سيدنا سليمان وقد أوتي العلم وكان من المسلمين .

وحمله موسى وكان دينه الإسلام .

وحمله عيسى وكان دينه الإسلام .

ثم ختم الله الرسالة بسيدنا محمد صَلى الله عليه وسلَم فهو خاتم النبيين والمرسلين وكان دينه الإسلام .

ونستأنس هنا برأي عالمين :
أحدهما : حجة فى نظر المسلمين .

والثاني رجل مسيحي مصري أسلم بعد تبصر .

[أ] يقول ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)

بعد ان ساق عديداً من الآيات التى تدل على وحدة الدين والرسالة .. فدين الأنبياء والمرسلين دين واحد ، وان كان لكل من التوراة والانجيل شرعة ومنهاج .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلَم في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرةَ رضي الله عَنه :

« إنا معشر الأنبياء ديننا واحد ، وانا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي .

فدين المرسلين يخالف دين المشركين المبتدعين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً .

وكان دينه الذي ارتضاه لنفسه هو دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل ولا يقبل من أحد ديناً غيره لا من الأولين ولا من الآخرين وهو دين الأنبياء واتباعهم كما اخبر الله بذلك عن نوح ومن بعده ... الى الحواريين .. الخ .

[ب] وقال السيد ـ محمد زكي الدين الطهطاوي في كتابه (المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة .) .

.. اما بعد : فإن الإسلام دين الأنبياء والمرسلين والأولين والآخرين وقد قرر الله ذلك في القرآن الكريم فقال سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام : « وأمرت أن أكون من المسلمين » .. الخ ..

وبعد : فإن نبينا محمد صلى الله عليه وسلَم يقولها جامعة محيطة واضحة صريحة :

« مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .. رواه مسلم في كتاب « الفضائل » باب خاتم النبيين .

وفي مسلم : « والذي نفس محمد بيده : لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار » .

باب وجوب الايمان برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم ص ١٣٤ .

وإذن فدين الله واحد هو الاسلام وما يشاع من أسماء غير ذلك فإنما صنعة أو خطأ .. ثقافي أو حيلة من حيل السياسة وأساليب الاستعمار ..

هذا وبالله التوفيق ..

أ . د / رءوف شلبي

الصَّومُ في الأديان السَّماويّة

قال تعالى « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » سورة البقرة « ١٨٣ » ..

لطائف الخطاب في الآية

يخاطب الله اليهود في التوراة بقوله : « يا أيها المساكين » .

ويخاطب النصارى في الإنجيل بقوله : « ياأبناء الماء والطين .

ولكنه يخاطب المسلمين بقوله : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » في نَيِّفٍ وثمانين موضعا من القرآن الكريم ، وهو نداء يمنح الكرامة والعزة ، فنحن أمة مؤمنة بالحق لا نجادل فيه بالباطل ، فما أعظمها من عزة وكرامة .

وقد وعد الله المؤمنين النصر إن نصروه « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » .

ووعدهم العزة إن اعتزوا بالإيمان « وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ » .

وبشرهم بالفضل الكبير ، إن عملوا بشرعه « وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً » .

الصيام وكيفيته في الشرائع السماوية

وقد أخبرنا الله تعالى في هذه الآية أنه فرض الصيام علينا كما فرضه على الذين من قبلنا .

والصيام في كل شريعة قد يختلف صورة وزمنا ، ولكنه بصفة عامة يمنع النفس من غشيان ملذاتها وشهواتها ، ويمنحها الصبر وقوة العزيمة ومتانة الإرادة ، ومكارم الأخلاق والبر بالفقراء والمعوزين ، فلهذه الفضائل فرضه الله في جميع شرائعه .

والهدف الأسمى للصوم هو تقوى الله تعالى في جميع التصرفات ، فإنه يمنح الصائم : صفاء النفس وميلها إلى التقرب من الله بأجمل الصفات ، وأجمل الأعمال ، ومن

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الطير

اقربها إلى الصائم : إعانة الملهوف وإعانة المحتاج ، فإنه حين يحس ألم الجوع والحرمان ، يشعر بالعذاب الذى يلقاه الفقراء وذوو الحاجات الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً إلى قوتهم وستر أجسامهم وإيوائهم .

ورحم الله أمير الشعراء « شوقى » إذ قال : الصوم حرمان مشروع ، وتاديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ، ولكل فريضة حكمة ، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة ، يعلم الناس الصبر ، ويعودهم خلال البر ، فإذا جاع من ألف الشبع ، عرف الحرمان كيف يقع ، وعرف الجوع كيف يكون ألمه إذا لذع .

والصوم فى شريعة الإسلام يحقق هذه المعانى السامية أكثر منه فى سواها ، فإن الصائم المسلم يمتنع عن الطعام والشراب وغشيان النساء من الفجر الصادق إلى غروب الشمس .

أما فى غيره فليس كذلك ، فإنك ترى الصائمين فى بعض الديانات يأكلون ويشربون نهاراً ، ولا يمتنعون إلا عن الأطعمة الحيوانية ، والله يعلم كيف كان صيامهم الذى أنزله الله على رسلهم ؟ .

فوائـد الصيام الجسمية

أجمع الأطباء الثقات من المسلمين على أن للصوم فوائد طبية جليلة ، تعود على الأجهزة البدنية جميعا ، إذا لم يسرف الصائم فى وجبتى الإفطار والسحور ، ولم يجعل طعامه فيهما عسِرَ الهضم ، فإذا أفطر الصائم وتسحر باعتدال ، وكان فى سحوره بحاجة إلى الطعام ، فإنه يستفيد من الصوم فوائد صحية جليلة ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** » .

وصدق رسوله الكريم ﷺ إذ يقول : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه » ، وينبغى للصائم أن لا يتسحر إذا كان طعامه لم يهضم ، فإذا غلبته نفسه فليأكل بعض الفاكهة وما يشبهها مما لا يسبب له تخمة أو فساداً فى الجهاز الهضمى .

والصوم علاج ناجح فى بعض حالات اضطراب المعدة والأمعاء ، ومريح للجهاز الهضمى الذى أصابه الكلال من العمل المضنى أحد عشر شهراً متتابعة قبل شهر رمضان .

ومعلوم بالتجربة أن الجهاز الهضمى إذا لم يجد من صاحبه اتجاها إلى إراحته ، فإنه يأخذ راحته إجباريا عن طريق المرض ، فيستسلم صاحبه للجوع والصوم صاغراً وراغماً .

والصوم يعالج ارتفاع ضغط الدم ، ومرض القلب إذا صاحبه تورم ، والتخمة وامتلاء الجسم شحماً ولحماً ، الأمر الذى يرهق القلب والأوعية الدموية ، وينتهى إلى أمراض صعبة العلاج ، مثل الجلطات الدموية وتصلب الشرايين ،

الصوم في الأديان السماوية

فالصوم يجنبه شر ذلك كله ، كما يفيد في بعض حالات البول السكرى وزيادة الأملاح في الجسم .

وبالجملة فالصوم يعود على الجسم - ولو كان خفيف الوزن - بفوائد جزيلة ، ويخرج الصائم بعد انتهائه في حالة استعداد صحى يستقبل بها المرحلة التالية . وصدق الرسول ﷺ إذ يقول : « اغزوا تغنموا وصوموا تصحوا » أخرجه الطبراني ورجاله ثقات .

الدكتور الكسيس كارليل والصيام

يقول الدكتور « ألكسيس كارليل » الحاصل على جائزة « نوبل » في الطب ، إن كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها ، تعطل وظيفة لعبت دوراً هاماً في بقاء الأجناس البشرية ، وهى وظيفة التكيف على قلة الطعام ، فلقد كان الناس في الزمان الغابر ، يلتزمون الصوم في بعض الأوقات ، وكانوا إذا لم ترغمهم المجاعة على الصوم يفرضونه على أنفسهم فرضاً بإرادتهم ، وإن كافة الأديان تدعو الإنسان إلى وجوب الصوم ، وذلك للإبقاء على كمال الوسط الداخلى ، وسلامة ومتانة الإنسان ، لأن الصوم ينظف ويبدل أنسجتنا :

الحيوان يصوم

وما أكثر غفلة المفطرين عن فضل الصيام الذى عرفته الحيوانات وقدرته قدره فلجأت إليه ، فهذه الثعابين تمتنع عن الأكل شهراً كاملاً ، حين ترقد حياتها على البيض .

والجمال تزهد في الأكل في معظم فصل الربيع ، ولا تتناول الطعام ما لم يدفعها أصحابها إلى تناوله .

والدجاج بأنواعه يصوم عن وجبات الطعام أثناء رقاده على البيض ، فلا تأكل إلا يسيراً حين تدفع ربة البيت الدجاجة الراقدة إلى تناول الغذاء .

وفي حديقة الحيوان بلندن ضب يمكث أربعة أشهر لا يتناول فيها طعاماً ، ولا شراباً ، وما ذكرناه قليل من كثير من الحيوانات التى تصوم بحكم الغريزة التى تدفعها إلى سلوك السبيل الأقوم للحفاظ على صحتها .

ثواب الصائمين

أعد الله للصائمين أجوراً عظيمة بينتها السنة الصحيحة ، ومنها ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قال تعالى : كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقى ربه فرح بصومه » .

وأخرج الإمام مسلم بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كل عمل ابن آدم يضاعف . الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى ، للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

ومعنى كون الصيام جُنَّة أن العبد يستجن ويحتمى به من النار ، كما رواه الإمامان أحمد

والبيهقى ، ومعنى « فلا يرفث ولا يصخب » أن الصائم لا يفحش في القول مع أحد ، ولا يرفع صوته عليه احتراماً للصيام وإجلالاً لمقامه ، وهذا الخلق وإن كان مطلوباً في غير شهر رمضان ، فهو في شهر رمضان أشد طلباً ، فلو سابّه أحد أو نازعه فلا يجيبه بمثل قوله ، بل يقول له : إنى صائم ، وكأنه يقول : والصائم لا يليق به السباب والفحش ، فلعل صاحبه يرعوى عن سبابه ، ويتقى الله حين يسمع منه ذلك .

السواك مباح في رمضان

المراد من خلوف فم الصائم ريحه المتغير بسبب الصيام ، والمقصود من كونه أطيب عند الله من ريح المسك ، أن الله يرضى عن صاحبه ، بسبب الجهد الذى بذله في الصيام ، والصبر على ترك الطعام حتى تغيرت ريح فمه ، وحاشا أن يستطيب الله الريح الكريه ، فالكلام ليس على حقيقته ، ولهذا لا يكره **استعمال السواك ونحوه لإزالته ، أما ما فهمه بعض الفقهاء من كراهة استعماله حتى لا يزول هذا المسك عن الله ، فهو اجتهاد فاسد ، فإن هذا الخلوف كثيراً ما يكون ناشئا عن تخمر الطعام بين الأسنان أو عن صديد في اللثة ، وكلاهما يضر بقاؤه بصحة الصائمين ، ولهذا لم يرد عن الرسول ﷺ أنه ترك السواك أو نهى عنه في نهار رمضان للصائمين ، فتبقى سنته على ما كانت عليه قبل رمضان ، بل هو فيه أولى منه في غيره ، فينبغى للصائم أن يواظب على استعماله في صيامه صيانة لصحته ، واستمراراً لسنته ، وتطييبا لريح أفواه الصائمين ، وكل أداة تستعمل لتنظيف الأسنان تحقق سنة الاستياك ، وينبغى تجنب المعاجين مع « الفرشاه » حتى لا يتسرب منها شىء إلى جوف الصائم فيفطر .**

باب في الجنة للصائمين

وكما أن للملوك أبوابا خاصة بهم ، يدخلون منها إلى قصورهم ، فللصائمين باب خاص يلجون منه إلى الجنة ، قال ﷺ « إن في الجنة بابا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما .

ليلة القدر

ويحظى هذا الشهر العظيم بليلة القدر التى أنزل فيها القرآن ، وجعلت خيراً من ألف شهر ، وجاء في فضلها قوله ﷺ : « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .. أخرجه البخارى ومسلم ..

وروى عن سلمان الفارسي أنه قال : « خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال : أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك ، فيه ليلة القدر خير من ألف شهر ، جعل الله تعالى صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعاً ، من تقرب فيه بخصلة من البر كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه ، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وهو شهر المواساة .. إلى أن قال : « وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار » .. الحديث .

وإذا كان شهر رمضان بهذه المنزلة من الفضل ، فحافظ أيها المسلم على صيامه ،

الصوم في الأديان السماوية

وتجنب الفاحش من الكلام في ليله او نهاره ، واقبل على طاعة الله وحاذر معصيته ، لتغترف من ينابيع رحمته إحسانه .

بعض احكام الصيام

« ١ » يكفي عند المالكية ان تنوى صيام شهر رمضان كله في اول ليلة فيه ، ويغنيك هذا عن النية كل ليلة ، ومحل النية القلب ، فمن قام للسحور ليتقوى به على الصيام ، اعتبر هذا نية شرعا .

« ٢ » يسن الامتناع عن الطعام والشراب والجماع قبل الفجر بمقدار زمن يتسع لخمسين آية قراءة ، كما كان النبى ﷺ يفعل ، ولا باس بما يفعله الناس من الإمساك قبل الفجر بنحو ثلث ساعة .

« ٣ » من اكل او شرب في نهار رمضان ناسياً صح صومه ، لخبر الصحيحين انه ﷺ قال : « مَنْ نَسِيَ وهو صائم فاكل او شرب فليتم صومه ، فإنما اطعمه الله وسقاه » .. وفي صحيح ابن حبان زيادة « ولا قضاء عليه ولا كفارة » .

« ٤ » لا يفطر الصائم بالاستحمام في نهار رمضان ، وإن وصل الماء إلى اذنه ، لان الاذن ليست جوفاً يحيل الطعام والشراب ، كما لا يفطر بالتقطير في عينيه ـ وإن احس بطعم القطرة في فمه ـ وعليه ان يبصق إن احس بطعمها .

كما انه لا يفطر بالحقنة الجلدية او العضلية او الوريدية ، إذ لا يفطر إلا ما وصل إلى المعدة من طعام او شراب ، فهي التي تحيل الطعام إلى غذاء ، وذاك هو الذي يفطر الصائم ، والفتوى بغير ذلك تخالف اصول الفقه وهي من اخطاء المتاخرين ، والله ولي التوفيق ،

مصطفى محمد الحديدى الطير

إشراق المصابيح
فى صلاة التراويح
للإمام السبكى

اعداد وتقديم
احمد حسن جابر رجب

ترجمة الامام تقى الدين السبكى الكبير الشافعى :

هو الامام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد النظار الورع الزاهد قاضى القضاة تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الكافى ابن على بن تمام السبكى الكبير رحمه الله .

ولد بسبك ـ بضم فسكون ـ من قرى المنوفية بمصر سنة ٦٨٣ هـ تفقه على ابن الرفعة ، وأخذ التفسير عن العلم العراقى ، والحديث عن الشرف الدمياطى ، والقراءات عن التقى الصائغ ، والأصلين والمعقول عن العلاء الباجى والخلاف والمنطق عن السيف البغدادى ، والنحو عن أبى حيان .

ورحل فى طلب الحديث الى الشام والاسكندرية والحجاز وسمع من شيوخها كابن الموازينى وابن مشرف وابن الصواف والرضى الطبرى وآخرين يجمعهم معجمه الذى خرجه له الحافظ أبو الحسين بن أيبك فى عشرين جزءا .

قال الحافظ ابو المحاسن الحسينى فى « ذيل تذكرة الحفاظ » : عنى بالحديث أتم عناية ، وكتب بخطه المليح الصحيح المتقن شيئا كثيرا من سائر علوم الاسلام وهو ممن طبق الممالك ذكره ولم يخف على أحد . عرف أخيار الناس أمره ، وسارت بتصانيفه وفتاويه الركبان فى أقطار البلدان ، وكان ممن جمع فنون العلم مع الزهد والورع والعبادة الكثيرة والتلاوة والشجاعة والشدة فى دينه .

وقال الحافظ بن حجر ولى قضاء دمشق سنة ٧٣٩ بعد وفاة الجلال القزوينى فباشر القضاء بهمة ، وصرامة ، وعفة ، وديانة وأضيفت اليه الخطابة بالجامع الأموى فباشرها مدة وولى التدريس بدار الحديث الأشرفية بعد وفاة

المزى ، وما حفظ عنه فى التركات ، ولا فى الوظائف ما يعاب عليه ، وكان متقشفا فى أموره متقللا من الملابس حتى كانت ثيابه فى غير الموكب تقوم بدون ثلاثين درهما ، وكان لا يستكثر على أحد شيئا حتى انه لما مات وجدوا عليه اثنين وثلاثين ألف درهم دينا فالتزم ولداه التاج والبهاء بوفائها ، وكان لا يقع فى مسألة مستغربة أو مشكلة الا ويعمل فيها تصنيفا يجمع فيه شتاتها طال أو قصر أ هـ .

وقال الزين العراقى : تفقه به جماعة من الائمة وانتشر صيته وتواليفه ولم يخلف بعده مثله أ هـ .

وقال الاسنوى : كان أنظر من رأيناه من أهل العلم ومن أجمعهم للعلوم وأحسنهم كلاما فى الأشياء الدقيقة ، وأجلدهم على ذلك ، وكان فى غاية الانصاف والرجوع الى الحق فى المباحث ولو على لسان آحاد الطلبة أ هـ .

وقال الحافظ الذهبى فى حقه :

ليهن الجامع الأموى لما
علاه الحاكم البحر التقى
شيوخ العصر أحفظهم جميعا
وأخطبهم وأقضاهم على

وقد أقر له عدة من الأعلام ببلوغه مرتبة الاجتهاد ، ولا ينتقص مثل هذا الامام الجليل الا أصحاب الضغائن . ومن المبتدعة وأذنابهم . وكان صارما مسلولا على الشذاذ قائما بالدفاع عن السنة دفاع الأفذاذ شجى فى حلوق المبتدعة ، وجذعا فى أعين الحشوية حيث قطع عليهم طريق الوصول الى زعزعة اركان الفروع والاصول ، ومن مصنفاته (السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل) رد به على ابن القيم الزرعى نونيته التى سماها الكافية الشافية ، ومنها شفاء السقام فى زيارة خير الأنام رد به على ابن تيمية نفيه شرعية الزيارة بفتوى بخطه ، ومنها التحقيق فى مسألة التعليق وهو الرد الكبير على ابن تيمية ، ورفع الشقاق فى مسألة الطلاق ، والدرة المضيئة فى الرد على ابن تيمية ونقد الاجتماع والافتراق فى مسائل الايمان والطلاق . والنظر المحقق فى الحلف بالطلاق المعلق والاعتبار فى بقاء الجنة والنار .

الى غير ذلك من المصنفات مما يطول استقصاؤه وشهرتها تغنينا عن سردها فى هذا المقام وهى أكثر من مائة وخمسين مصنفا ومن شعره الجميل :

اذا أتتك يد « من ذى مقة
وجفوة من صديق كنت تامله
خذها من الله تنبيها وموعظة
بأن ما شاء لا ماشئت يفعله

بقى على قضاء الشام الى أن ضعف وتعلل فأناب عنه ولده التاج وانتقل الى القاهرة وتوفى هناك بعد عشرين يوما سنة ٧٥٦ ودفن بسعيد السعداء بباب النصر وكان رغب فى أن يدفن عند الامام الشافعى لكن حال دون رغبته الأمير شيخون أغدق الله على ضريحه سحائب رحمته ورضوانه بمنه وكرمه (١) .

---

(١) انظر ذيل تذكرة الحفاظ للحسينى والسيوطى .

اشراق المصابيح فى صلاة التراويح

قال الشيخ الامام رحمه الله :

الحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد •

ورضى الله عن أصحابه والتابعين وجميع المسلمين •

وبعد فهذا مختصر يسمى باشراق المصابيح فى صلاة التراويح مرتب على ثلاثة فصول •

(الأول) فيما نقل عن العلماء رضى الله عنهم فيها :

أما الشافعية : فقال الشافعى رضى الله عنه فى مختصر البويطى : الوتر سنة وركعتا الوتر سنة ، والعيدين ، والاستسقاء ، والكسوف سنة مؤكدة وقد روى أن رسول الله ﷺ كان يصلى ركعتين بعد الظهر ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء •

قال والكسوف ، والاستسقاء ، والعيدين أوكد ، وقيام رمضان فى معناها فى التأكيد •

وقال أبو على الطبرى فى الايضاح : قيام رمضان سنة مؤكدة • وقال البندنيجى فى الذخيرة : أما قيام رمضان فهو سنة مؤكدة •

وقال الغزالى فى الاحياء سنة مؤكدة ، وان كانت دون العيدين •

وقال الحليمى دلت صلاته يعنى النبى ﷺ بهم جماعة على أن القيام فى شهر رمضان يتأكد حتى يدانى الفرائض •

وقال ابن التلمسانى فى شرح التنبيه : قيام رمضان سنة مؤكدة • وفى نهاية الاختصار المنسوب الى النووى رحمه الله ويؤكد الضحى والتهجد ، والتراويح • وعند القاضى أبى الطيب وجماعة التراويح مما يسن له الجماعة وقالوا ما سنت له الجماعة آكد مما لم تسن له الجماعة وكلام التنبيه قريب من ذلك •

وأما الحنفية : **فعن أبى حنيفة رضى الله عنه** ثلاث روايات : احداها ذكرها صاحب شرح المختار وقال روى أسد بن عمرو عن أبى يوسف قال سألت أبا حنيفة رحمه عن التروايح وما فعله عمر رضى الله عنه فقال : التراويح سنة مؤكدة • ولم يخرجه عمر من تلقاء نفسه ولم يكن فيه مبتدعا ولم يأمر به الا عن أصل لديه وعهد من لدن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —•

ولقد سن عمر هذا ، ويجمع الناس على أبى ابن كعب وصلاها جماعة متواترون : منهم عثمان ، وعلى ، وابن مسعود ، وطلحة ، والعباس ، وابنه والزبير ، ومعاذ وأبى وغيرهم من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم اجمعين وما رد عليه واحد منهم بل ساعدوه ، ووافقوه وأمروا بذلك •

(العبارة الثانية) ، ذكرها الاستاذ الشهيد عن الحسن عن أبى حنيفة أنه قال : القيام فى شهر رمضان سنة لا ينبغى تركها •

« العبارة الثالثة » ذكرها السرخسى فى المبسوط عن الحسن عن أبى حنيفة : أن التراويح سنة لا يجوز تركها ، وقال العتابى

اشراق المصابيح

فى جوامع الفقه أما السنن فمنها التراويح ، وأنها سنة مؤكدة والجماعة فيها واجبة وقال صاحب المبسوط أجمعت الأمة على مشروعيتها ولم ينكرها أحد من أهل القبلة ، وأنكرها الروافض وفى المحيط : الوتر سنة ، وقال الكرمانى يعنى سنة للرجال والنساء وقال بعض الروافض هى للرجال دون النساء . وقال بعضهم سنة عمر وعندنا هى سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقال الطحاوى : قيام رمضان واجب على الكفاية لأنهم قد أجمعوا على أنه لا يجوز للناس تعطيل المساجد عن قيام رمضان .

وأما المالكية : فان مالكا رضى الله عنه أراد أمير المدينة أن ينقصها عن العدد الذى كان أهل المدينة يقومون به وهو تسع وثلاثون فشاور مالكا فنهاه مالك عن ذلك . وقال ابن عبد البر قيام رمضان سنة من سنن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

وأما الحنابلة : فقال الشيخ الموفق ابن قدامة فى المغنى صلاة التراويح وهى سنة مؤكدة وأول من سنها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

وأما العلماء من غير المذاهب الأربعة : فقال الليث بن سعد : لو أن الناس قاموا رمضان لأنفسهم ولأهليهم كلهم حتى يترك المسجد لا يقوم فيه أحد لكان ينبغى أن يخرجوا من بيوتهم الى المسجد حتى يقوموا فيه ، لأن قيام الناس فى شهر رمضان من الامر الذى لا ينبغى تركه .

« الفصل الثانى فى مستند العلماء فى ذلك من الأحاديث والآثار » .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم قال : « من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » متفق عليه خ م د ، ت

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خرج فصلى فى المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فصلوا بصلاته فلما كان الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما مضى الوتر أقبل على الناس فتشهد ثم قال أما بعد : فانه لم يخف على مكانكم ولكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها فتوفى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والأمر على ذلك . هذا لفظ أبى داود رواه مسلم قريبا منه .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال صمنا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رمضان فلم يقم بنا شيئا من الشهر حتى بقى سبع فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل فلما كانت السادسة لم يقم بنا فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل فقلت يا رسول الله لو نفلتنا قيام هذه الليلة قال : ان الرجل اذا صلى مع الامام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة فلما كانت الرابعة لم يقم بنا فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح قلت وما الفلاح قال

السحور ثم لم يقم بنا بقية الشهر • رواه أبو داود والترمذى وصححه •

وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا الناس فى رمضان يصلون فى ناحية المسجد فقال ما هؤلاء فقيل هؤلاء ناس ليس معهم قرآن وأبى بن كعب يصلى وهم يصلون بصلاته فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ « أصابوا ونعم ما صنعوا » فى اسناده مسلم بن خالد والشافعى ــ رضى الله عنه ــ يوثقه ، وان كان المحدثون ضعفوه•

وفى مسند أحمد عن عائشة قالت كان الناس يصلون فى المسجد فى رمضان بالليل أو زاعا يكون مع الرجل الشىء من القرآن النفر الخمسة أو السبعة ، أو أقل من ذلك ، أو أكثر فيصلون بصلاته قالت فأمرنى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن أنصب حصيرا على بابحجرى ففعلت فخرج اليهم بعد أن صلى العشاء الآخرة فاجتمع اليه من فى المسجد فصلى بهم وذكرت القصة بمعنى ما تقدم رواه أبو داود أيضا بمعناه •

وفى مصنف عبد الرزاق عن عطاء أن القيام كان على عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى رمضان يقوم الرجل والنفر كذلك ههنا ، والنفر والرجل فكان عمر أول من جمع الناس على قارىء •

وفى سنن ابن ماجه من حديث عبد الرحمن ابن عوف عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذكر شهر رمضان فقال شهر كتب الله عليكم صيامه وسننت لكم قيامه ورواه الدار قطنى فى غرائب مالك من حديث أبى هريرة ورواته ثقات وان كان النسائى تكلم فى الطريق الأولى •

وأما طريق أبى هريرة فلم يتكلم فيها •

وروى البخارى عن عبد الرحمن بن عيد قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة فى رمضان الى المسجد فاذا الناس أوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط فقال عمر انى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب • وفى البخارى أيضا وكان الناس يقومون أوله يعنى أول الليل قال ابن عبد البر لم يسن عمر من ذلك الا ما سنه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقال ابن عبد البر لم يسن عمر بن الخطاب منها الا ما كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحبه ويرضاه ولم يمنع من المواظبة الا خشية أن تفرض على أمته وكان بالمؤمنين رءوفا رحيما ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلما علم عمر ذلك من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وعلم أن الفرائض لا يزاد فيها ولا ينقص بعد موته ــ صلى الله عليه وسلم ــ أقامها للناس وأحياها وأمر بها وذلك سنة أربع عشرة من الهجرة وذلك حتى ذخره الله وفضله به ، ولم يلهمه أبا بكر وان كان أفضل وأشد سبقا الى كل خير بالجملة ولكل واحد منهم فضائل خص بها ليست لصاحبه • وكان على يستحسن ما فعل عمر من ذلك ويفضله ويقول نور شهر الصوم • وروى عن ابن عمر أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه • انتهى ما قاله ابن عبد البر هنا • وقد قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من

بعدى عضوا عليها بالنواخذ » • ولاشك أن عمر من الخلفاء الراشدين فسنة التراويح ثابتةبهذين الحديثين مع النبى — صلى الله عليه وسلم — ثلاث ليال أو أكثر وجمع الناس لها كما تقدم فى حديث أبى ذر وفعل الصحابة لها فى مسجد رسول الله — ﷺ — فى حياته قبل خروجه اليهم كما تقدم فى حديث عائشة وتصويب النبى — صلى الله عليه وسلم — ذلك كما تقدم فى حديث أبى هريرة وترغيبه — صلى الله عليه وسلم — فى قيام رمضان واستمرار الناس على ذلك بقية حياته — صلى الله عليه وسلم — وزمن أبى بكر وصدرا من خلافة عمر أفرادا وجماعات أو زاعا ، وجمع عمر الناس لها على قارىء واحد مع موافقة الصحابة له ، واجماع العلماء على مطلوبتها واجماع جمع الناس على فعلها بقصد التقريب اجماعا متواترا فى جميع الأعصار والأمصار ، ولو لم تكن مطلوبة لكانت بدعة مذمومة كما فى الرغائب ليلة نصف شعبان وأول جمعة من رجب فكان يجب انكارها وبطلانه معلوم بالضرورة • فهذه أحد عشر دليلا على استجبابها وسنيتها ، وان كان لم ينهض واحد منها فلا شك أن المجموع يفيد ذلك ويفيد تأكدها ، فان التأكيد يستفاد من كثرة الأدلة الواردة فى الطلب ومن زيادة الفضيلة ، ومن الاهتمام وكل ذلك موجود هنا •

الفصل الثالث فى دفع المنازعة فى ذلك

أعلم أن الاقسام الممكنة فى العقل أربعة **أحدها :** ما ادعيناه من أن التراويح سنة مؤكدة **الثانى :** أنها سنة غير مؤكدة ، **الثالث :** أنها مؤكدة غير سنة **الرابع** أنها لا سنة ولا مؤكدة أما الثانى فلا أعلم أحدا قال به ومن ادعاه فليسنده الى عالم من العلماء ثم يقيم الدليل عليه ولن يجد الى ذلك سبيلا وسبيل الذى يرد عليه فى ذلك بأن يأتينى بمقالة فى كتاب أنها سنة غير مؤكدة ، فان لم يأت بذلك فلا يتكلم معه ، انه تضييع للزمان من غير فائدة ، فان قولا لم يقل به قائل من سبعمائة سنة ونيف الى اليوم لاشك فى بطلانه وليس يخفى الصواب على الامة من زمن النبى صلى الله عليه وسلم الى اليوم ويظهر لنا ولا يغلط الناظر فى كلامى ويعتقد أن نقل هذه المقالة أسهل بل يتدبر ويزن كلامه قبل أن يتكلم ، ويعرف من يخاطب ، وأن يتأمل ما قال •

وأما الثالث : فلو ثبت لم يضرنا، لان الخصم الذى ينازعنا انما نازع فى التأكيد ولا يعتقد أن التأكيد أخص من السنة فيستحيل ثبوته بدونها ، لانه قديقال انبينهما عموما وخصوصا من وجه تعلقا بأمر لفظى فى اطلاق السنة وسلبها وان ثبت التأكيد وقوة الطلب من حيث المعنى على أن هذا القسم عندنا باطل لما قدمناه من الادلة على سنيتها ومن ينازع من الشافعية فى الاصطلاح فى اسم السنة لم ينازع هنا بل أطلق اسم السنة عليه •

وأماالرابع : فباطل بما سبق من الادلة ومما يدل على بطلانه وبطلان القسم الذى قبله نقل جماعة الاجماع على أنها سنة وممن نقل ذلك النووى ولا يقدح فى ذلك ما يقوله بعض المالكية من الفرق بين السنن والفضائل والنوافل ولا ما وقع فى كلام بعض الحنفية من الخلاف

فى أن التراويح سنة أو مستحبة وقد اغتر بذلك بعض فضلاء المالكية فمن وقع نزاعنا معه حتى انها لا تلحق بالسنن على اصـــطلاح المالكية وجوابه للمالكية اصطلاحين أحدهما الـــذى أشار اليه وهو اصطلاح خاص لطائفة منهم ٠٠ والآخر اصطلاح عام يوافقون فيه غيرهم على اطلاق السنة على ذلك وممن نبه على هذا منهم عبد الحق الصقلى فى تهـذيب الطالب ، ونحن ومن يستفتى فى هذه المسألة على الوجه الذى وقع الكلام فيه انما يتكلم فى ذلك فلم يقل أحد من المالكية انها ليست سنة بهذا الاصـطلاح والعوام انما يسألون عن هذا فلا يجـوز لمالكى ولا لغيره أن يطلق القول لهم أنها ليست سـنة وكذلك الحنفية فى فرقهم بين السنة والمستحب واختلافهم فى أن التراويح سنة أو مسـتحبة انما ذلك راجع الى اصطلاح ولا ينكر أحـد منهم أنه يثاب على فعلها ، وأنها مطلـوبة من جهة الشارع ومندوب اليها ومرغب فيهـــا

وهذا هو الذى يفهمه العامى من السنة وأما التأكيد فدرجاته متفـــاوتة أعلاها ما قرب من الفرائض قربا لا واسطة بينهما وأدناها مايرقى عن درجة الفضل المطلق وبين ذلك مراتب متعددة ويستدل عـــلى التأكيد باهتمام الشـــارع بـــه وباقامة الجماعة فيه وملازمة النبى صلى الله عليه وسلم له وتفضيله على غـــيره ويكونه شعارا ظاهرا كل واحد من هذه الخصال يدل على التأكيد وكذلك تكرر الطـــالب ونحو ذلك وصلاة التراويح فيها أنواع من ذلك فلا ريبة فى أنها سنة مؤكدة واللـــه تعالى أعلم ٠٠ انتهى (١) ٠

وللشيخ مصنفات فى صـلاة التراويح أكبرها ضوء المصابيح فى مجلد كبير ٠

---

(١) من الفتاوى للسبكى جـ ١ ص ١٦٥ : ١٧٠ ط / القدس سنة ١٣٠٦ ٠

روح الصيام فى الإسلام

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : (حين حضر رمضان) .

(قد جاءكم شهر مبارك ، افترض عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم)(١) .

حقيقة الصوم :

الصوم : هو الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، مع النية ، وهو لا مثل له فى الثواب ، والأجر عند الله .

عن أبى أمامة ، قال : (أتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت مرنى بعمل يدخلنى الجنة ، قال : عليك بالصوم ، فانه لا عدل له (أى لا مثل له) ثم أتيته الثانية فقال عليك بالصيام (٢) .

وقد بين الله وقته بقوله تعالى :

« وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ » (٣) .

والاسلام حين شرع الصيام لم يهدف الى مجرد ترك الطعام والشراب والشهوة ، وانما هدف الى معان سامية ، وأسرار عالية ، يستوحيها الصائمون من صومهم .

وهذا شأن الاسلام فى جميع ما شرع من عبادات ، فهو لا يرمى الى رسوم هذه العبادات وصورها ، وانما يرمي الى جوهرها وروحها ان الله تعالى لا ينظر الى أجسادكم

---

(١) رواه احمد والنسائى والبيهقى .
(٢) رواه احمد والنسائى والحاكم وصححه .
(٣) سورة البقرة آية ١٨٧ .

للشيخ محمد صابر البرديسى

ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم (١)

خصـائص الصوم :

وللصوم خصيصة ليسـت فى غيره ، وهى اضافته اليه سبحانه عز وجل •

عن أبى هريرة ــ رضى الله عنــه ــ ، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال :

قال الله « عز وجل » **(كل عمل بن آدم لــه الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به)** (٢) •

وكفى بهذه الاضافة شرفا •

والصوم سر وعمـل باطن لا يراه الخلـق ولا يدخله رياء ، وهـو بهذا وثيـق الصـلة بالأخلاق الاجتماعية ، فهو رياضة روحيـة ، تغرس فى النفس نوعا من الأمـانة هو أسمى ما يعرفه الناس من أنواعهـا وهى الأمـانة الموصلة للخير ، الخالصة لوجه الله ، البعيد عن شبهة النفع والرياء •

والصوم : سر بين العبد وربه ، فاذا صدق الصائم فى المحافظة على صومه ، وأخلص فى الوفاء بحقه ، فلم يخالف مظهره مخبـره ، ولا سره علانيته ، كان أمينا فى أدق العلاقات مع ربه ، وأشقها على نفسه •

والصوم قهر لعـدو الله الشـيطان ، لأن وسيلة الشيطان الشـهوات وانمـا تقـوى الشهوات بالأكل والشرب ، ومـادامت أرض الشهوات مخصبة فالشياطين يترددون الى ذلك المرعى ، وبترك الشـهوات تضـيق عليهم المسالك ، ولهذا يشفع الصوم للعبد يوم القيامة (يقول الصيام : أى رب منعته الطعـام والشهوات فشفعنى فيه) فيشفع (٣) •

---

(١) رواية لمسلم شرح الجامع الصغير المناوى لفيض القدير ص ٢٧٨ جـ ٢ عن ابى هريرة .

(٢) رواه احمد ومسلم (واضافة الصوم الى الله اضافة تشريف) .

(٣) من حديث رواه احمد .

روح الصيام

روح الصوم فى الاسلام :

شهر رمضان تكثر فيه أسباب الغفران ، فالصيام والقيام وذكر الله وقراءة القرآن ، والتصدق على الفقراء والمساكين ، والجود بما يزيد عن حاجة الانسان ، والعفو عن المسيء كل ذلك من أسباب الغفران ، فى شهر الصيام .

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « إن جبريل أتانى فقال : من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله ، قل : آمين ، فقلت : آمين (١) .

وفى حديث مرفوع : (ذاكرا الله فى رمضان مغفور له) .

وعن سهل بن سعد أن النبى ﷺ قال : ان للجنة بابا يقال له الريان ، يقال يوم القيامة : أين الصائمون ، فاذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب(٢) .

ومن أسباب الغفران ، استغفار الملائكة للصائمين حتى يفطروا .

قال سعيد بن قتاده كان يقال : « من لم يغفر له فى رمضان فلن يغفر له فيما سواه ومتى يصلح حال من لا يصلح حاله فى رمضان ومن فرط فى الزرع فى وقت البذار ، لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسار .

ومن فضائل الصوم : العطف على المساكين لأن الصائم عندما يجوع يتذكر من هذا حاله فى عموم الأوقات فيحمله هذا التذكر على الرحمة بالمساكين لأن الرحمة فى الانسان تنشأ عن الألم والشعور به والصيام طريقة عملية لتربية الرحمة فى النفس ، ومتى تحققت رحمة الغنى للفقير أصبح الناس سواء ، وعاشوا جميعا سعداء .

ومن فضائل الصوم تقوية الارادة وهو الوسيلة الفعالة لتحقيق سلطان الروح على الجسد ، فيعيش الانسان مالكا زمام نفسه ، لا أسير ميوله المادية .

ومن فضائل الصيام فى رمضان أن يرقق القلب ، ويزيد الصلة بالله فيكثر من القيام بالليل والصلاة والتسبيح ، ولهذا من تقرب الى الله فى رمضان بنافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه .

آداب الصوم :

ينبغى للمسلم أن يصون صومه عن كل ما

---

(١) رواه بن حبان فى صحيحه .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

يفسده أو ينقض ثوابه لكون الصيام قربانـا يتقرب به الى الله سبحانه ، يـدع الصـائم شهوته وطعامه وشرابه ابتغاء وجه ربه ، والله يقول :

« الصيام لى وأنا أجزى به » (١) .

وليس الصيام عن مجرد الطعام والشراب فقط انما الصيام يكون بترك اللغو والرفث ، وقول الزور والجهل ، فاذا صـام المسـلم ، فليصم سمعه وبصره ولسانه عن السب واللعن والغيبة والنميمة والكذب ، لأن الصوم جنـة ووقاية يتقى بها المسلم الاجرام ، والآثـام ، ورديء الكلام ، وظلم الناس ، فان سابه أحد أو شتمه وجب أن يلجم لسانه بلجام التقوى وأن يتمسك بالعروة الوثقى وليقل انى صائم كبحا لنفسه عن التشفى والانتقام ، وردعـا لخصمه عن الجريان فى هذا الميدان .

قال بعض العارفين : للصوم ثلاث مراتب ، صوم العموم ، وصـوم الخصوص وصـوم خصوص الخصوص .

فأما صوم العموم : فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

وأما صوم الخصوص ، : فهو كف النظـر واللسان ، واليد والرجل ، والسمع ، والبصر وسائر الجوارح عن الآثام .

وأما صوم خصوص الخصوص ، ، فهـو صوم القلب عن الهمم الدنيئة ، والأفكار المبعدة عن الله تعالى . وكفه عما سوى الله بالكلية »

تلطيف الاسلام من شـدة الصوم :

يتفق أن يكون بعض الناس مريضا فى شهر رمضان أو يكون على سفر فاقتضت حكمة الله أن يلطف من شدة الصوم ويرحم هؤلاء المرضى والمسافرين ، وتخفف وطأة الصيام عنهم فقال تعالى : « **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** »(٢)

أى من كان مريضا أو مسافرا فله أن يفطر أيام مرضه ، ويصوم بدلها من غير رمضـان فى حال صحته ، والمرض المبيح للفطر ، هـو الذى يؤدى عادة الى ضرر فى الجسم أو زيادة فى العلة ، أما المريض الذى لايضره الصـوم فلا يرخص له فى الافطار . والمسافة التى يباح فيها للمسافر الافطار تقدر بحوالى ٨٦٪ ست وثمانين كيلو مترا ونصفا ، فمن قطع هـذه المسافة فى يوم وليلة أو ساعة كان له أن يفطر ويصوم بدله .

وقال الله تعالى « **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** » (٣) .

---

(١) رواه البخارى وأبو داود (بعض حديث)

(٢) سورة البقرة آية ١٨٤ .

(٣) سورة البقرة ١٨٤ ايضا .

روح الصيام

الاطاقة نهاية درجات الاستطاعة ، والقدرة على الشيء ، يقول العرب : » اطاق الشيء اذا كانت قدرته عليه فى نهاية الضعف بحيث يتحمل معه مشقة كبيرة ، فالمراد بالذين يطيتونه هنا الشيوخ الفانون والضعفاء ، والمراضع والحوامل ، والمرضى الذين لايرجى شفاؤهم فهؤلاء لهم أن يفطروا ويطعموا بدلا عن كل يوم مسكينا مقدار ما يشبع الرجل المعتدل ، ولاقضاء عليهم .

وفى المرض الذى يؤدى عادة الى ضرر يرجع الى نصح الطبيب المسلم وتقديره ، والى شعور المريض ، فاذا كانت النتيجة غير واضحة فالأفضل الصوم ، قال تعالى « وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » .

والله الموفق

محمد صابر البرديسى

الصوم.. والعمل

للأستاذ محمد أسعد فرهود

لا جدال في أن الصوم من احب الأعمال إلى الله ففي الحديث « كل عمل ابن آدم له . إلا الصوم فإنه لي وا نا اجزى » به(١) وقد يرجع امتياز الصوم عن سائر العبادات الى ما له من اسرار وما يتحقق به من فضائل فهو علاقة مباشرة واتصال روحى بين العبد وربه دعامته النية الصادقة ومحلها القلب الذي يعلم الله بواعثه وخفاياه ، ولما كان هم الصائم أن لايراه الله حيث نهاه ، ولصدق نية الصائم وصبره وعزيمته وجهاد نفسه المستمدة وغيرها من قدرة الله وقوته وارادته كان وعد الله الصادق بالجزاء والأجر والرضا المتبادل فبثوابه سبحانه وتعالى جازاه ، ولصبره في صومه وافاه وبغير حساب وفاه ، وبتقواه اتاه ، وبقوته قواه ،

فسبحان الذى بيده تيسير كل عسير ، ولن يغلب عسر يسرين — إن الصوم من أكرم العبادات تقربا إلى الله مالم يخالطه ذنوب أو آثام أو مفاسد مما يمقته كل مسلم سوى ، وملم يقترن بجهل ولغو وافتراء ومراء وسمعة وإنما بعفو وصفح وصبر وكظم للغيظ ، وما لم يشبه ويعتره ما يوجب على الصائم كفارة أو قضاء فإنما هو التزام تام ، بالأحكام ،

ويتمثل الاقبال على الله واجتلاب حبه في أداء فرائضه واتباع شريعته وسنة بنيه عليه الصلاة والسلام فقد روى ضمناً في الحديث القدسي الطويل

---

(١) متفق عليه

الصـــوم .. والعـــمل

« وما تقرب إلى عبدي بشيء احب إلى من أداء ما افترضته عليه (١) فما بالك بالصائم وهو في جهاده الأصغر يجاهد ليرتقى بإشراقات صومه إلى مصاف روحانية ، وبشفافية نفسه إلى صفات ملائكية يحدثنا عز وجل عن بعضها بقوله : « لَايَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » (٢) .

والصائم الناجح هو الذى يستطيع أن يلازم أخلاق الصوم وآدابه مدى الحياة .

إنه لفوز عظيم ان يدرك الصائم وهو فى خلوته محتجبا عن أعين الناس أن عين الله تراه فلا يقدم - برحمة الله - على الطيبات المستلذات من المأكولات والمشروبات وزينة الحياة التى أحلها الله ، مهما تراءت أمام عينيه وتناولتها يداه حتى ولو بلغ العطش منه شدته والجوع حدته ، فما اغناه عن كفارة وقضاء وقد زوده الله بتقواه ..

وهكذا الصائم إيمانا واحتسابا كلما اغراه الشيطان على المخالفة حفظه الله بعنايته ورعايته ما دامت مراقبة جانب الله قد تجددت وعظمته أمام عينيه وفى قلبه قد تمثلت ، وخشيته من الله قد عظمت . ويجمع الصوم بين الأعمال الباطنية المعنوية والظاهرية الدنيوية ، فالسعى فى الحياة لتعمير الأرض وكسب الأرزاق بالتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب من التكاليف الشرعية قال تعالى : « فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » (٣) وفى الحديث « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير او انسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » (٤)

والعمل لا ينافى التوكل وإلا عطلت الحياة التى يفترض حفظها أما التواكل فإغراء بالبطالة التى حاربها الاسلام وما يزال ومن يعمل فى عمل مباح بشتى انواع صوره وأيا كان موقفه وزمنه يكون قد سلك الطريق القويم الموصل إلى النعيم المقيم انظر إلى الأنبياء والمرسلين والسلف الصالح ومع كونهم أعرف الناس بالتوكل وأوفرهم تقوى فإن ما عليهم لم يحل بينهم وبين العمل فى الرعى والزراعة والتجارة والصناعة والإدارة والخزانة ، وما سمعنا منهم وما حدثنا التاريخ حتى ابتلينا بالاستعمار - إنهم جلسوا فى بيوتهم إتكالا على أن الرزق مقسوم ،

وما وقفوا عن السعى إلا يومى العيدين الفطر والأضحى اقتطعوا منهما ساعات للترويح وباقيها للعبادة وصلة الأرحام والبر بالفقراء والتضحية حتى أيام الجمع لم يتوقف فيها النشاط والبيع والشراء إلا لأداء الصلاة ثم الانتشار فى الأرض ابتغاء فضل الله وامتثالا لأمر الله آخذين بالأسباب وصولا للمسببات مع لصقها بالتوكل على الله والاعتماد عليه سبحانه وليس عليها ولا على أنفسهم خشية أن يزيلها مالكها وما نحها ويبطل مفعولها مهما بلغت ذروتها ، وخوفا من مصير من قبلهم كقارون الذى اسند ماآتاه الله لعلمه وقوته . ولقد وسع الله فى رزقهم واسبغهم نعما وفضلا لا لتزامهم فى سلوكهم ومعاملاتهم وامتثالهم قوله تعالى « وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا » (٥) فصلح حالهم باستقامتهم على طريق الاسلام .

ومن قال : إن نشاط من صام منهم قد قل أو خبت طاقته وخارت قواه فإنما هو أحد رجلين :

---

(١) اخرجه البخارى

(٢) التحريم ٦٦

(٣) الملك ١٥

(٤) متفق عليه

(٥) الجن ١٦

رجل يفترى على الله الكذب تشويشا على الدين ، وكراهية فى الالتزام بأمره ونهيه وذلك أمره معروف وواجبنا الا نؤبه له

وآخر صادق الدعوى ملتزم بالإيمان أصابه ما أصابه بسبب صومه .. وتأكدت بالثقة حاله ؛ ومثله أباح الله له الافطار ؛ فإنه سبحانه : « لا يكلف نفسا إلا وسعها وقد سبق ـ سبحانه فجعل الرخصة فى الفطر للمريض والمسافر وامثالهما . وفى القضاء متسع وعلى المسلم الا يخاطر ، فقد قال تعالى : « **وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ** » . [1]

أما آن الأوان لأن نقتدي بسلفنا الصالح وندعو الله فى رمضان والدعاء فيه مستجاب أن يهدينا لما فيه خيرنا ويجعل رشدنا من صومنا نبراسا لعملنا وطريقا لسلوكنا بدايته نجاح ونهايته فلاح لنعوض ما فات ونوفر لما هو آت وأن لا نكون من الذين « **نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ** » [2] وأن نعطى أضعاف ما نأخذ .

فالحياة أخذ وعطاء ، والحق المطلوب يقابله واجب تؤديه ، ومحال على أمة تنسى ماضيها أن تعيش حاضرها وتخطط لمستقبلها ، وإفادة البشر من حسن الاستفادة بالبشر . وما « تكنولوجيا الغرب » إلا حافز لتقدمنا وابداعنا وتطوير امكاناتنا فلنسر على بركة الله وبعونه وقدرته سبحانه فالايمان عصمة من الزلل ووقاية من الانحدار ، فلا تقل « لو ، ولعل ، وأمر ، غدا يكون أو لا يكون ، وكيف يكون » وأرح نفسك من شيء لا يبلغه علمك من أمر غيرك وأترك التدبير لصاحب التدبير سبحانه وارض بقضاء الله وقدره وقل فى كل حال « قدر الله وما شاء فعل » [3]

قال تعالى : « **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** » [4] وما أصابك لم يكن ليخطئك [5]

واحترز من الجزع والفزع بالصبر والاستفادة والاسترجاع وابدأ كل حركة باسم الله ، واختم بحمد الله وشكره يزدك من فضله واشكره على كل حال عند الشدة ، وليكن وردك أناء الليل والنهار الذكر والتسبيح والاستغفار ففى الحديث « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب [6] وفى القرآن مثله وأكثر ، وعلى من تطلع إلى رزق أوفر كما فى الأثر ـ أن يقرأ سورة الواقعة التى خلفها الصحابى ابن مسعود لأولاده عندما عوتب على أنه لم يترك لهم شيئا ، وعليك بالاستخارة إذا استشكلت عليك أمورك ففى تركها شقاوة .

وهنيئا للمسلمين بشهر البركة والرحمة والمغفرة انفاسنا فيه تسبيح ، ونومنا فيه عبادة وعملنا فيه مقبول ومضاعف ، ودعاؤنا فيه ، مستجاب ، وذنوبنا مغفورة . كما تعلمنا من شريعتنا حدثنا رسول الله ﷺ وفقنا الله إلى صيامه وقيامه ونفحنا بليلة القدر وختم أعمالنا بالباقيات الصالحات والحمد لله رب العالمين ..

« محمد أسعد عوض فرهود »

---

(١) البقرة ١٨٤
(٢) الحشر ١٩
(٣) متفق عليه
(٤) النجم ٢٩
(٥) متفق عليه
(٦) أبو داود وابن ماجد

أضواء على غزوة بدر الكبرى

قال الله تعالى : « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (١) ٠

بدر : ماء من مياه العرب الشهيرة ، توجد ببقعة من الأرض : كانت تعتبر سوقا من أسواقهم المشهورة ٠٠ وقد أطلق على هذا المكان : اسم أول من حفر بئرا فيه ، وهو رجل من غفار اسمه : بدر بن قريش بن مخلد بن النضر بن كنانة ٠

وتقع بدر : جنوب غرب المدينة ، والمسافة بينها وبين المدينة : بطرق القوافل التى سلكها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : ١٦٠ ميلا ٠٠ كما أنها تقع شمالى مكة والمسافة بينها وبين مكة بطرق القوافل التى سلكها المشركون: ٢٥٠ ميلا ٠٠ أما المسافة اليوم بينهما وبين المدينة بطريق السيارات فهى ١٥٣ كيلو مترا٠ والمسافة بينها وبين مكة بهذا الطريق ٣٤٣ كيلو مترا ٠

فأما المسافة بين بدر وساحل البحر الأحمر : الذى يقع غربيها : فهى حوالى (٣٠) كيلو مترا ٠

فى اليوم السابع عشر من شهر رمضان المعظم من السنة الثانية من الهجرة : وقعت غزوة بدر الكبرى ، وهى أول لقاء مسلح بين الايمان والكفر ، وأول تجربة قاسية : بين شعبتى الحق والباطل ٠٠ (٢) فقد كان أبو سفيان بن حرب : عائدا من الشام فى تجارة عظيمة تبلغ قيمتها : خمسون ألف دينار : عبارة عن ألف بعير محملة بالطيب والسلع والأقوات معها ثلاثون ، أو أربعون رجلا من قريش ٠٠ وحاول المسلمون : أن يعرضوا لهذه التجارة وهى ذاهبة الى الشام ، ولكنها أفلتت منهم ، فاعتزموا الترصد لها حين تعود ، ليستخلصوا من قريش بعض أموالهم التى تركوها بمكة ، حين فروا بدينهم مهاجرين الى المدينة لشدة ما لاقوا على يد قريش : من صنوف التعذيب وألوان الايذاء والتنكيل ٠٠ ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأبى سفيان مقبلا من الشام : ندب المسلمين اليها ، وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها ، لعل

---

(١) آل عمران : ١٢٣ ٠٠

(٢) ملاحظة : الاحاديث الواردة بالمقال غير معزوة الى مصدرها فمصدرها كتب السيرة النبوية على صاحبها ازكى الصلاة واتم السلام ٠

بقلم الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

الله أن ينفلكموها : فخفه بعض الناس وثقل البعض ، لأنهم لم يظنوا أن النبى — صلى الله عليه وسلم — : يلقى حربا •

خرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بجيشه من المدينة : يوم الأربعاء لثمان خلون من شهر رمضان ، وقد استعمل عليها للصلاة بالناس : عبد الله بن أم مكتوم رضى الله عنه كما أسند امارة المدينة لأبى لبابة رفاعة بن عبد المنذر الأوسى الأنصارى رضى الله عنه •

وكان أبو سفيان : يتجسس الأخبار ، ويسأل من لقى من الركبان ، حتى بلغه أن النبى — صلى الله عليه وسلم — خرج فى أصحابه يعترضون العير ، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى،فبعثه الى مكة : يستنفر قريشا لحماية تجارتها ، وما أن وصل اليها حتى قطع أذنى بعيره ، وجدع أنفه ، وحول رحله ، ووقف عليه ، وقد شق قميصه ، وصاح اللطيمة اللطيمة : « أى الابل التى تحمل الطيب » أموالكم مع أبى سفيان : قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها : الغوث •• ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا أكثرهم من الأنصار الغوث !! فسمعه أبو جهل فصاح بالناس يستنفرهم من عند الكعبة ••

خرج النبى — صلى الله عليه وسلم — فى

ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً اكثرهم من الأنصار اذ لم يكن معه من المهاجرين غير ثلاثة وثمانين رجلا •• وكانت ابلهم : سبعين بعيرا : يتناوبون ركوبها ، حتى اذا كانت عقبة النبى — صلى الله عليه وسلم — قال له صاحباه : اركب حتى نمشى عنك ، فيقول لهما : « ما أنتما بأقوى على المشى منى ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما •

وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يأخذ بالأسلوب العلمى : فى جميع غزواته ، وكذلك أصحابه من بعده ، وفى هذه الغزوة : استعمل الأسلوب العلمى الدقيق فدفع اللواء الأبيض : الى مصعب بن عمير ، وهو فضلا عن ايمانه العميق : يعتبر من أقوى الفرسان، وكان للجيش : رايتان سوداوان احداهما يقال لها : العقاب : أعطاها لفارس من المهاجرين : هو على بن أبى طالب ، والأخرى أعطاها لفارس من الأنصار : هو سعد بن معاذ وجعل على الساقة : قيس بن أبى صعصعة : أخا بنى مازن بن النجار ، كما جعل على الميمنة سعد بن خيثمة ، وعلى الميسرة : المقداد بن الأسود •

واننا اذا نظرنا الى قيادة الجيش : نجد أن للانصار ما للمهاجرين : من القادة •• وهى لفتة بارعة من القائد الأعلى : وهو النبى — صلى الله عليه وسلم — ، حيث بين للانصار أن المعركة معركتهم ، وبين للمهاجرين : أن المعركة معركتهم ، وان كان الكل يعمل من أجل هدف واحد ، وهو اعلاء كلمة الله عز وجل •

النبى يستشير أصحابه :

ولما وصلت الأخبار : بأن قريشا قد نفروا لحماية عيرهم وأموالهم وتجارتهم : استشار النبى — صلى الله عليه وسلم — أصحابه .. فأبدى أبو بكر وعمر — رضى الله عنهما — رأيهما بالموافقة على المضى للقتال ثم قام المقداد بن عمرو فقال مؤيدا رأى الشيخين : يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : « فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ » ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لوسرت بنا الى برك الغماد « موضع باليمن » لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .

فقال له الرسول — صلى الله عليه وسلم — خيرا ودعا له .

ثم قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

أشيروا على أيها الناس ، وكان يريد الأنصار ، لأنهم كثرة ، ولم تكن بيعتهم الا على أنهم يمنعونه وينصرونه : مادام فى ديارهم .

فقال له سعد بن معاذ ، وكان صاحب رايتهم : والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال أجل ، قال سعد : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق : لو استعرضت بنا هذا البحر ، فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بقول سعد ونشطه ذلك ..

ثم قال : سيروا وأبشروا ، فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر الآن الى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى اذا وصل قريبا من بدر : بلغه أن أبا سفيان قد ساحل بالعير فنجا بها ، وأرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم : فقد نجاها الله : فارجعوا فقال أبو جهل عمرو بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدرا ، فنقيم عليه ثلاثا : فننحر الجزر ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرتنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها فامضوا .

وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا يتعصب لرأى وهذه الصفة من أبرز صفات القائد الناجح : الذى لا هم له الا النصر .

لما نزل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على مقربة من بدر ، قال الحباب بن المنذر : يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟قال:بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال : يارسول الله ، فان هذا ليس بمنزل ، فسر بنا حتى نأتى أوفى ماء من القوم فننزله ، فانى عالم بها وبقلبها « أى

آبارها » بها قليب : قد عرفت عذوبة مائه لا ينزح ، فنغور ما سواه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ، فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — لقد أشرت بالرأى ، ولم ير رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بأسا من أن يأخذ برأى الحباب : الذى كان رأيه يمثل خبرات أفادها الحباب فى حياته نتيجة لتجاربه الطويلة .

وتحرك المسلمون : فى منتصف الليل فى سرية تامة لاحتلال مواقع المياه ، تنفيذا لما استقر عليه الامر لدى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى لا يشعر العدو .. وبعد أن فرغ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من تعديل الصفوف : رجع الى العريش (١) : الذى أشار ببنائه سعد بن معاذ ، فدخله ودخل معه أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — وأخذ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول : « اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد » وأبو بكر يقول : يانبى الله بعض مناشدتك ربك ، فانه منجز لك ما وعدك ، فيستجيب الله لنبيه الكريم ، ويهيىء له ولأصحابه وسائل النصر والظفر ، فها هو النعاس يغشاهم ، ليزيل الخوف من نفوسهم ، وها هى السماء تمطر ، لتطهر أبدانهم ، وتثبت أقدامهم ، وتذهب وساوس الشيطان أدراج الرياح ، فتطيب نفوسهم ، وتقوى قلوبهم ، وها هى الأملاك تنزل من السماء لتشد أزر المؤمنين ، وها هو الرعب يقذف فى قلوب المشركين ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

« إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ » (٢) .

وقد هدأ النبى — صلى الله عليه وسلم — من روع أصحابه بقوله كما حكى القرآن عنه :

« إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ . بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ » (٣) .

وينجز الله وعده ، ويمد المسلمين بملائكته ، ويسجل ذلك فى كتابه حيث يقول : **« إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا**

---

(١) العريش : اشبه ما يكون بحجرة العمليات فى العصر الحديث ..

(٢) الانفال : ٩ — ١١ ..

(٣) آل عمران : ١٢٤ — ١٢٦ ..

أضواء على غزوة بدر

« سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ • ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » (١) •

واذا كان قد حاز الشرف العظيم : من شهد بدرا من المسلمين : فقد حاز مثل هذا الشرف من شهدها من الملائكة المكرمين ، فقد روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « جاء جبريل فقال : ما تعدون من شهد بدرا منكم ؟ قلت : خيارنا ، قال : وكذلك من شهد بدرا من الملائكة : هم خيار الملائكة » (٢) •

التحريض على القتال

والقوى المعنوية للمحاربين : هامة جدا ، قال الله تعالى لنبيه الكريم — صلى الله عليه وسلم — « فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا » (٣) •

والقادة العسكريون : يبدون اهتماما كبيرا بهذه القوى : لا يقل عن اهتمامهم بالقوى المادية فيعتبرون نسبة القوى المعنوية : الى القوى المادية كنسبة : « ٣ — ١ » ولاشك أن القوى المعنوية : هى العامل الأول الذى دفع المسلمين الى النصر ، رغم قلة عددهم ، وضآلة عددهم ، وكثرة عددهم •

ففى هذه الغزوة قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأصحابه : « قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض ، والذى نفسى بيده : لايقاتلهم اليوم رجل : فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر : الا أدخله الله الجنة وقد روى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — : قال لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه : ناولنى كفا من حصباء ، فناوله حصباء عليها تراب : فرمى به فى وجوه القوم ، فلم يبق مشرك : الا دخل فى عينه من ذلك التراب شىء •• وفى ذلك يقول الله تعالى : « فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (٤) •

صبر المسلمون فى القتال ، وثبتوا لأعدائهم ثبات الجبال ، ومنح الله المسلمين ظهور المشركين : فأتبعوهم فريقا يقتلون ، ويأسرون فريقا ، واذ ذاك ارتفع علم الايمان ، وفرت جحافل الظلم والطغيان ، وكان هذا النصر : فاصلا بين عهدين : عهد الضعف والذلة والاضطهاد بمكة ، وعهد القوة والعزة والسيادة : بالمدينة ، كما كان فارقا بين عقيدتين : عقيدة التوحيد ، وعقيدة شرك الوثنية •• فقد كانت الجزيرة العربية : خاضعة للوثنية ، وهى ذات الشوكة والسلطان فيها ، حتى اذا كانت موقعه بدر : كانت الكلمة العليا لله ولرسوله وللمؤمنين ، وعلت كلمة التوحيد ، وجلجل صوت دعاتها فى الصحراء ، فتبددت ظلمات الشرك والضلال ، لذلك ليس

---

(١) الأنفال : ١٢ ، ١٣ ••
(٢) أخرجه البخارى ••
(٣) النساء : ٨٤ ••
(٤) الأنفال : ١٧ ••

بعجب : ان يسمى الله يوم بدر : يوم الفرقان قال تعالى : « وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (١) .

موقف المسلمين من الأسرى :

بعد أن انتهت معركة بدر .. قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأصحابه : ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟

فقال أبو بكر : يارسول الله هم بنو العم والعشيرة والاخوان ، وانى أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذناه قوة لنا على المشركين وعسى الله أن يهديهم ، فيكونوا لنا عضدا .

وقال عمر : يارسول الله هم أخرجوك وكذبوك ، والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكننى من فلان : قريب لعمر: فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل : فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخيه : فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وقادتهم .. وقال عبد الله ابن رواحة : يارسول الله انظر واديا كثير الحطب ، فأدخلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم نارا .

ثم دخل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ احدى حجراته ، ولم يرد عليهم شيئا فقال ناس : يأخذ بقول أبى بكر ، وقال ناس يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة .. فخرج عليهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : ان الله ليلين قلوب رجال فيه ، حتى تكون ألين من اللين .. وان الله ليشد قلوب رجال فيه ، حتى تكون أشد من الحجارة .. وان مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم قال : « فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (٢) وان مثلك يا أبا بكر : كمثل عيسى قال : « إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (٣) .

وان مثلك ياعمر : كمثل نوح قال : « رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا » (٤) .

وان مثلك يا عمر كمثل موسى قال : « رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ » (٥) .

ثم ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أخذ منهم الفداء .. فلما كان من الغد ، قال عمر : فغدوت على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأبى بكر وهما يبكيان ، فقلت : يارسول الله ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكيت ، وان لم أجد بكاء : تباكيت لبكائكما ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ للذى عرض على أصحابك من أخذ الفداء .. قد عرض على عذابكم : أدنى من هذه الشجرة ، لشجرة قريبة ، وأنزل الله

البقية ص ١٤٦٠

(١) الانفال : ٤١ ..
(٢) ابراهيم : ٣٦ ..
(٣) المائدة : ١١٨ ..
(٤) نوح : ٢٦ ، ٢٧ ..
(٥) يونس : ٨٨ ..

من أحداث السيرة النبوية

صلح الحديبية

نقطة تحول فى نشر الدعوة

كل حدث من أحداث السيرة النبويه العطرة جدير بأن يفرد له عيد يحتفل به واذا كانت الهجرة النبوية من مكة مهبط الوحى وأحب البلاد الى قلب النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة حيث التقى المهاجرون والانصار أخوة يتقاسمون أسباب الحياة ويتوارثون نتعتبر حدثا تاريخيا هاما فى حياة الدعوة الاسلامية ونقطة انطلاق من الضعف الى القوة الا أن النبى صلى الله عليه وسلم ظل يحارب فى جبهات ثلاث : المشركين واليهود والمنافقين من هؤلاء وأولئك ٠

وقد كان الرسول الكريم كتب بين المهاجرين والأنصار كتابا تضمن اقرار اليهود على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم وكان أهم بنود الاقرار بالنسبة لليهود أنهم أحرار فى علاقاتهم الشخصية وفى معتقداتهم الدينية لا يجبرون على الدخول فى الاسلام ومن دخل منهم فى عهد المسلمين فان له منهم النصر والعون وذلك فى وثيقة سياسية تعتبر فتحا جديدا فى نوعية العلاقات فى الحياة السياسية والمدنية فى عالم يومئذ الا أن اليهود على ما تنطوى عليه نفوسهم من حقد ومن غل ، بدأ تذمرهم وائتمارهم بعد انتصار المسلمين على المشركين فى بدر ثم بعد ما أصاب المسلمين فى أحد (١) ٠

وفى غضون « الحرب الهجومية » من أعداء الاسلام « والدفاعية » من المسلمين ظل البيت الحرام بعد الهجرة مباحا حلالا لكل الناس يطوفون به فى المواسم وفى غير المواسم فيما غدا المسلمين حتى كان العام السادس من الهجرة حين رأى النبى صلى الله عليه وسلم أنه دخل

(١) الأحاديث الواردة فى المقال مرجعها « السيرة النبوية » ٠

للأستاذ محمد الليثى على

البيت الحرام هو وأصحابه واخذ مفتاحه ، **دخلوه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين فعزم النبى فى أول ذى القعدة على الخروج الى مكة يريد العمرة واستنفر العرب من البوادى ومن حوله من الأعراب ليخرجوا معه خشية أن تتعرض له قريش فيحدث بينه وبينهم قتال أو صد عن البيت الحرام وكان عدة من استجاب لدعوته اربعمائة وألف على أصح الروايات .**

كان الرسول الكريم يهدف من خروجه الى هذه العمرة أن يجد لدى قريش ميلا لمسالمته بعد أن أنهكتهم الحروب ، وأن يجد المسلمون نتيجة لذلك الطريق الى المسجد الحرام فى أمن وسلام ليطوفوا به وليقوموا بين جنباته ركعا سجودا فيتأكد بذلك اعتراف قريش بحق المسلمين فى البيت كغيرهم من سائر الناس ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يجعل البيت ملكا لطائفة تصد عنه من تشاء .

وعلى نية العمرة سار المهاجرون والأنصار ومن لحق بهم من العرب خلف النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة ومعهم أربع نسوة — أم سلمة أم المؤمنين وأم عماره وأم منيع أسماء بنت عمرو الأنصارية ، وأم عامر الأشهلية ، وفى الطريق بين مكة والمدينة استنفر الرسول صلى الله عليه وسلم الأعراب من قبائل جهينة ومزينة وغفار وأشجع والديل وأسلم ولكنهم تخلفوا عن المسيرة طالبين أن يستغفر لهم الرسول وذلك بحجة ان أموالهم وأهليهم قد شغلتهم ولم يكن لهم من يقوم على تدبير شئونهم وقضاء حاجاتهم ، ولكنهم ما تخلفوا فى الحقيقة الا عن

ضعف فى ايمانهم وخوفهم من أن يغلب الرسول والمؤمنون اذا قاتلتهم قريش وثقيف وكنانة وغيرهم من القبائل المجاورة لهم من الأحابيش، يقول بعضهم لبعض كيف نذهب الى قوم قد غزوه فى مقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه

فنقاتلهم ، كما قالوا أيضا : ان محمدا لن يرجع ولا أصحابه من هذا السفر ولكن الله سبحانه وتعالى فضحهم فى سورة الفتح (١) حين أنزل على نبيه (**سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا . بَلْ ظَنَنتُمْ**

(١) (الآيتان ١١ ، ١٢) .

أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) ومن ثم لم يأذن الله جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يصحبهم فى غزوة أخرى •

وفى الطريق لقيهم ابن جندب فى فتيان من المسلمين معهم الهدى ، وعند الروحاء عرض النبى الاسلام على طائفة من (بنى نهد) فأبوا ولكنهم بعثوا اليه بلبن من نعمهم فقال : لا أقبل هدية من مشرك ورد اللبن فابتاعه المسلمون •

لم يثن تخلف المتخلفين المسلمين عن عزمهم فساروا نحو مكة يسوقون الهدى ليأمن الناس حربه وليعلم الجميع أن النبى صلى الله عليه وسلم انما خرج زائرا للبيت معظما له •

وعندما وصل المعتمرون الى ذى الحليفة صلى الرسول الظهر ثم قلد الهدى وأشعره بأن طعنه بمبضع فى أحد جانبى السنام حتى يظهر الدم اعلاما بأن البدن هدى ثم أحرم بالعمرة

وبعث عينا له من خزاعة : بشر بن سفيان الكعبى ليأتيه بخبر قريش حتى اذا كان قريبا من عسفان لقيه بشر وقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ (١) ، المطافيل (٢) قد لبسوا جلود النمور وجمعوا لك الأحابيش (٣) مع جموعهم وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم عنوة أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه قال : أشيروا على أيها الناس أترون أن نميل الى ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين محزونين وان نجوا يكن عنقا قطعها الله أم ترون أن نؤم هذا البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر رضى الله عنه : الله ورسوله أعلم انما جئنا معتمرين ولم نجىء لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه • فقال رسول الله ﷺ فروحوا اذن ، فراحوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبى ﷺ ان خالد بن الوليد بالغميم (وهو مكان قرب مكة) فى خيل من قريش فخذوا ذات اليمنى على طريق يخرج على مهبط الحديبية ولكن خالدا شعر بهم فانطلق يركض لينذر قريشا بينما كان النبى ﷺ يقول :

« والذى نفسى بيده لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها » •

وكيف لا وهو الذى أرسله الله رحمة للعالمين •

وفزعت قريش فأرسلوا أربعين من رجالهم

(١) الناقة ذات اللبن •
(٢) النوق معها اطفالها كناية على فدية طول المقام •
(٣) الجماعات من القبائل •

ليطيفوا بعسكر المسلمين علهم يصبوا أحدا من أصحاب النبى ولكن الأربعين أسروا وأخـذوا وأتي بهم الى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلى

سبيلهم ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة ليبلغ القوم ويخبرهم ما جـاء لـه الرسـول وأصحابه فاعتذر عمر رضى الله عنه حيث أفاد بأنه لم يعد له بمكة من يغضب له من بنى كعب اذا ما أوذى فأرسل النبى ﷺ عثمان بن عفان رضى الله عنه لأن عشـيرته بمكة تحميه وأنـه لا شك مبلغ ما أراد الرسول ﷺ ابلاغه ٠

قال له الرسول ﷺ : أخبرهم أنا لم نأت لقتال وانما جئنا عمارا ، وادعهم الى الاسلام وأمره أن يأتى رجـالا بمكة مؤمنين ونسـاء مؤمنـات يبشرهم بالفتح ٠ ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان ٠

ومر عثمان رضى الله عنه على قريش ودعاهم الى الاسلام وأخبرهم بمقالة رسول الله ﷺ فقالوا سمعنا ما تقول فانفذ لحاجتك ٠

وسرى بين المسلمين أن عثمان بن عفـان رضى الله عنه قتل فنادى المنادى « أيها الناس البيعة البيعة فثار المسلمون الى رسول الله ﷺ وهو تحت الشجرة فبايعوه عـلى ألا يفروا وفى رواية للبخارى عن سلمة قال : بايعت رسـول

الله ﷺ تحت الشجرة ٠ قيل : على أى شىء كنتم تبايعون يومئـذ ؟ قال : على الموت » وهى البيعة المسماة ببيعة الرضوان والتى نزل فيها قوله تعالى :

« لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا »

وبايع الرسول ﷺ لعثمان بن عفان باحـدى يديه على الأخرى ٠

وما كادت البيعة تتم وتشعر قريش بما عزم

عليه القوم حتى أقبـل مبعوثهم بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعة قال : انى تركت كعب ابن لؤى وعـامر بن لؤى نزلوا اعـداد ميـاه الحديبية معهم العـوذ المطـافيل ــ النسـاء والأطفال كناية عن عزمهم طول المقـام ــ وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال الرسول ﷺ انا لم نجىء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فـان شاءوا ماددتهم مدة ويخلو بينى وبين الناس ٠

فان أظهر فان شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيـه الناس فعلوا ، والا فقد جمـوا وان هم أبوا الا القتال فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم عـلى

أمرى هذا حتى تنفرد سـا فتى أو لينفذن الله أمره ٠ فقال بديل : سأبلغهم ما تقول ، فانطلق حتى أتى قريشا فقال : انى قد جئتكم من عند هذا الرجل وقد سمعته يقول قولا فان شـئتم عرضته عليكم فقال عروة بن مسـعود من ذوى الرأى فيهم : ان هذا عرض عليكم خطة رشـد فاقبلوها ودعونى أذهب اليه فأتى النبى ﷺ وبعد أن سمع منه ورأى من صـلابة الصحابة

حوله عاد الى قريش يقــول لهم « والله لقــد وفدت على الملوك : كسرى وقيصر والنجــاشى ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمــدا اذا أمرهم ابتــدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون عــلى وضــوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ٠

فبعثوا برجل من بنى كنانة فلمــا أشرف على النبى ﷺ وأصحابه قال النبى ﷺ هذا رجل من قوم يعظمون البدن فابعثــوها فبعثوهــا واستقبله القــوم يلبون فلما رأى ذلك قال : ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ورجع الى قريش وقص عليهم ما رأى ٠

ثم كان آخر رسلهم ســهيل بن عمرو فقــال النبى ﷺ لأصــحابه قد سهل لكم من أمركم ، أرادت قريش الصلح حيث بعثت بهــذا الرجل فلما انتهى الى النبى ﷺ وطالت المراجعة بينهما سـأله النبى – صلى الله عليــه وسلم – لم لا تخلو بيننا وبين البيت فنطــوف به ؟ فقــال سهيل : والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة وليكن ذلك بالعام القادم ٠

وجرى الصلح بين المسلمين وأهل مكة عــلى ترك القتال وأن توضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يأمن الناس بعضهم بعضا وأن يرجع النبى عنهم عامهم هذا ويقدم فى العام المقبل ويخلوا بينه وبين مكة فيقيم بها ثلاثة أيام لا يدخلهــا الا بالســيوف فى أغمــادها الى غــير ذلك من الشروط التى تضمنها كتاب الصلح ٠

الذى أجروا عــلى أن يبدأ باصــطلاحهم (باسمك اللهم) وأن لا يذكر فى الكتاب محمــد رسول الله بل يكون صادرا من محمد بن عبدالله وفيما يلى نص الكتاب كتب صدره على بن أبى طالب وشهد عليه بعض الصحابة ٠

« باسمك اللهم ٠ هذا ما اصطلح عليه محمد ابن عبد الله وسهيل بن عمرو اصطلحــا عــلى وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه لا اسلال ولا اغــلال وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه من أحب أن يدخل فى

عهد محمد وعقده فعل وأنه من أحب أن يدخل فى عهد قريش وعقدها فعل وأنه من أتى محمــدا منهم بغير اذن وليه رده محمد اليه وأنه من أتى قريشا من أصحاب محمد لم يردوه وأن محمدا يرجع عنا عامه هذا بأصحابه ويدخل علينــا من قابل فى أصحابه فيقيم بها ثلاثا لا يدخل علينــا

بسلاح الا سلاح المسافر السيوف فى القرب » وأخذ سهيل نســخة لقريش ٠ ورغم ان شروط الصلح مجحفة الا أن النبى ﷺ قبلهــا وقــد ضايقت عمر بن الخطاب والصحابة وراح يتحدث

مع الرسول عنها والرســول يطمئنه قائلا : أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعنى

وأبو بكر الصديق يقول لعمر فى ذلك : الزم غرزه فانى أشهد أنه رسول الله وأن الحق ما أمر به ولن يخالف أمر الله ولن يضيعه الله ٠

شروط مجحفة حقا فى ظاهرها ولكن العبرة فيما أدت اليه بعد أن تحلل النبى والمسلمون وعادوا الى المدينة • فقد ترتب على الصلح :
أن أمن الناس بعضهم بعضا واختلط المسلمون بالكفار وغيرهم ودعوهم الى الاسلام وأسمعوهم القرآن فانفتحت قلوب كانت مغلقة وزاد عدد من آمن حتى لقد بلغ عدد من كانوا فى فتح مكة نحوا من عشرة آلاف بعد أن كانوا يوم الهدنة ألفا وأربعمائة •

هذا وقد أرسل النبى ﷺ رسله وكتبه الى الملوك خارج الجزيرة وداخلها فأرسل كتابا الى هرقل عظيم الروم والى أمير دمشق من قبله والى المقوقس عظيم القبط بمصر والى النجاشى بالحبشة والى كسرى ملك الفرس والى المنذر ابن ساوى ملك البحرين والى جيفر وعيد ملكى عمان والى هوذة بن على ملك اليمامة يدعوهم الى الاسلام •

كذلك تفرغ لمن نقض عهده من يهود •
وجاءه خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة وهم من صناديد قريش مسلمين •

ثم بعث السرايا لنشر الدعوة وقتال من تصدى له وغزو من اعتدى عليهم لتأديبهم •
أما من ردهم الى قريش فقد كونوا عصابة هاجمت قوافل قريش مما جعلهم يلجأون الى النبى ﷺ متنازلين عن شرط ردهم الى أوليائهم وهكذا أخذ الاسلام ينتشر ويعلو صوت الدعوة فى جميع أرجاء شبه الجزيرة وخارجها حتى كلل ذلك بالفتح الأعظم فتح مكة واجلاء اليهود من المدينة بعد أن نقضوا عهودهم أكثر من مرة وكان نقض قريش لهذا الصلح من أسباب التبكير بفتح مكة وهكذا كانت المعاهدة كالمقدمة بين يدى الفتح العظيم •

وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول ما كان فتح أعظم فى الاسلام من فتح الحديبية ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد ، وصدق الله العظيم اذ أنزل على رسوله :

« إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا » ثم دخل الناس فى دين الله أفواجا •

ويجب ألا ننسى أن الله وفق نبيه والمسلمين لأداء العمرة بعد سنة من كتاب الصلح ومكثوا فى مكة يتمتعون ثلاثة أيام

وقد كانوا من قبل محرومين من ذلك وهكذا جمعت الهدنة بين أمل تحقق ونصر محقق وجهاد موفق •

وهكذا كان وحى الله لرسوله بقبول القليل حتى يمنحه بعد ذلك الكثير والكثير •

محمد الليثى على محمد

من علوم القرآن

جمع القرآن الكريم

٣

هذه الروايات مجتمعة لم تترك مجالاً للخلاف فى ان القرآن قد ابيحت قراءته على عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى أحرف متعددة تخفيفا على الناس وتسهيلاً لهم ، ولم يختلف المسلمون فى أن رسول الله ﷺ قال :

« إن هذا القرآن انزل على سبعة احرف »

ولكنهم اختلفوا فى أمرين عندما تعرضوا لشرح هذا القول الكريم :
لقد اختلفوا فى تحديد المراد بالأحرف ولم يتفقوا على معنى معين .

واختلفوا فى المراد بالسبعة :
هل المراد حصر الأحرف فى سبعة ولا تزيد
أو المراد التوسعة والتسهيل والحصر غير مراد ؟

وقد اتسع نطاق الخلاف إلى حد كبير : فيحكى السيوطى عن ابن حبان أن أهل العلم واللغة اختلفوا فى معنى الأحرف على خمسة وثلاثين قولا

وينقل عن ابن حبان قوله :

وهى أقاويل يشبه بعضها بعضا وكلها محتملة ويحتمل غيرها ثم ينقل السيوطى أيضاً عن الشرف المزنى المرسى قوله :

هذه الوجوه أكثرها متداخلة ، ولا أدرى مستندها ولا عمن نقلت ، ولا أدرى لم خص كل

للأستاذ الدكتور
أحمد ابراهيم مهنا

واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر ... ومنها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة » .

[راجع الإتقان فى علوم القرآن جـ١ ص ٥٠ , ٥١]

ويقول علاء الدين على بن إبراهيم البغدادى المعروف بالخازن فى مقدمة تفسيره المسمى : « لباب التأويل فى معانى التنزيل » :

قال العلماء :

سبب إنزاله على سبعة أحرف التخفيف والتسهيل ، واختلفوا فى المراد بسبعة أحرف

فقيل :
هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر .

وقال الأكثرون : هو حصر العدد فى سبعة أحرف .

ثم قيل :
هى سبع من المعانى كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والأمثال والأمر والنهى .
وقيل :

هى فى صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من ادغام وإظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة ؛ لأن العرب كانت مختلفة اللغات فى هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل إنسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه .
وقيل :

هى سبع قراءات وهو الصحيح الموافق للحديث ؛ لأن هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبى ﷺ وضبطها عنه الصحابة وأثبتها عثمان والجماعة فى المصاحف وأخبروا بصحتها وحذفوا مالم يثبت متواترا ، وأن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى وليست متضادة ولا متباينة .

فأما من قال : إن المراد بالأحرف السبعة معان مختلفة كالأحكام والأمثال والقصص فخطأ محض ؛ لأن النبي ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وإبدال حرف بحرف ، وقد تقرر إجماع المسلمين على أنه يحرم إبدال آية أمثال بآية أحكام .

وقول من قال : إن المراد خواتيم الآية فيجعل مكان « غفور رحيم » « سميع عليم » ففاسد

أيضا وخطأ للإجماع على أنه لا يجوز تغيير نظم القرآن . والله أعلم » . اهـ .

وليس من هدفنا الآن أن نخوض فى هذا الخلاف الذى نقلنا ما يوضحه ، وإنما يهمنا أن نبين أنه :

بجانب الخلاف على العدد « سبعة » هل قصد به الحصر أو ذكر رمزاً للتسهيل والتخفيف جرياً على عادة العرب فى أحاديثهم .

والخلاف فى تحديد المراد بالأحرف كما رأينا ، وجد خلاف آخر بخصوص الجمع العثمانى للقرآن عبر عنه السيوطى فى كتابه « الاتقان فى علوم القرآن » جـ١ ص ٥١ فى قوله :

« **تنبيه** » اختلف : هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة ؟

ولم يتفق العلماء فى الإجابة على هذا السؤال ، بل اختلفوا كذلك ولا نحب أن ننقل لقرائنا ما قيل حول هذا الموضوع ففى كتب « علوم القرآن » الكفاية .

وإنما نرجو أن نضع هنا بضع الملاحظات التى قد تفيد فى الإجابة على السؤال المطروح .

١ ـ إن الأحاديث التى ورد فيها نزول القرآن على سبعة أحرف كلها تنص على القراءة فحسب ، وليس فيها مايمس كتابة القرآن من قريب أو من بعيد ؛

ففى الحديث الأول : نجد عمر سمع هشاما يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئه إياها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وعندما انطلق بهشام إلى رسول الله طلب إلى كل منهما أن يقرأ وصحح قراءة كل .

وفى الحديث الثانى يروى ابن عباس عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: اقرانى جبريل .. الخ ، ولا خلاف فى أن رسول الله كان يقرأ القرآن خلف جبريل ثم يقرؤه على الصحابة كما سمعه .

وفى الأحاديث الثلاثة الأخرى وقد رويت عن ابى بن كعب ، يقول فى أولها : أنه سمع رجلاً يقرأ قراءة انكرها ، وسمع رجلاً آخر يقرأ قراءة تختلف عن قراءته وعما سمع من الأول ، وعندما ذهبوا إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه صحح كل قراءة قرئت أمامه وقال لأبى : أرسل إلى أن أقرأ على حرف واحد فرددت أن هون على امتى .. إلى أن قال : اقرأه على سبعة أحرف .

وفى ثانيها يقول أبى :

إن جبريل أتى النبى عند إضاءة بنى غفار فقال له :

ان الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ... وتنتهى بقول جبريل : ان الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرأوا عليه فقد اصابوا .

فكل ما جاء فى الحديث يتعلق بالقراءة .

وفى الحديث الثالث يؤكد أبى ماسبق ويزيد ذكر السبب الذى من أجله كان التخفيف والتسهيل فى القراءة ، إذ يقول : أن رسول الله قال لجبريل :

انى بعثت إلى أمة أمية ، فيهم الشيخ الفانى والعجوز الكبيرة والغلام والجارية والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قط فيقول جبريل :

فمرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف .
وما من أحد من هؤلاء الذين عدد رسول الله كان يكتب أو يستطيع الكتابة .

٢ ـ ان هذه الأحاديث كلها كانت بعد أن هاجر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إلى المدينة ، وبعد أن دخل فى الإسلام افواج من الناس ينتسبون إلى قبائل مختلفة وتتباين السنتهم فى النطق بكلمات لغتهم ، وكان من العسير على بعضهم أن يقرأ القرآن بلغة قريش ـ وبها نزل ـ مما دفع الرسول إلى طلب التخفيف عليهم وإباحة قراءتهم القرآن بما يسهل على السنتهم ، وكانت رحمة الله التى عبر عنها الرسول فى قوله : إن هذا القرآن انزل على سبعة احرف فَاقْرَءُوا مَاتَيَسَّرَ مِنْهُ .

٣ ـ أنه ممالا خلاف عليه أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كان يأمر بكتابة ما يوحى إليه من القرآن أولاً بأول ، ومعلوم أن القرآن نزل بلغة قريش وكتب بلغتها ، ولم يرد أنه صلوات الله وسلامه عليه أمر باعادة كتابة شىء من القرآن الذى نزل بمكة وكتب فى حينه ، كما أنه لم يرد أنه أمر بكتابة أى من القرآن بطرق مختلفة تبعاً لتعدد الأحرف التى أبيح لأصحابها قراءة القرآن تخفيفاً عليهم .

٤ ـ أنه يبدو أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كان يقرأ القرآن بلسان قريش فحسب ، فى الصلاة وفى غير الصلاة ، ولو قراه بغيرها لما كان هناك سبب لاختلاف عمر مع هشام ، ولا لإنكار أبىّ ماسمع من قراءة صاحبيه ، فعمر وأبىّ كان قربهما من رسول الله وملازمتهما لمجلسه يجعلهما على علم بالأحرف المتعددة التى يقرأ بها رسول الله ﷺ لو فعل .

ونرى فى نصوص الأحاديث الواردة فى هذا الموضوع ما يؤيد ذلك : ففى حديث مسلم عن أبى بن كعب أن رسول الله قال :

ياأبى أرسل إلى أن اقرأ على حرف فرددت أن هوّن على أمتى وتكرر هذا التعبير « أن هون على أمتى » ولم يقل أن هون علىّ .

وفى حديث مسلم عن أبىّ كذلك الذى يروى فيه ما حدث بين رسول الله وجبريل عند إضاءة بنى غفار ، أن جبريل قال :

إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف وكان جوابه صلوات الله وسلامه عليه :

أسأل الله معافاته ومغفرته وان أمتى لا تطيق ذلك وتكرر ذلك إلى أن قال جبريل :

ان الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا .

ومعنى هذا بوضوح أن رسول الله قد علم أن قراءة القرآن بالأحرف المتعددة قد أباحها الله للتيسير والتخفيف قبل أن يحتكم إليه أصحابه ومع ذلك لم يسمعوه يقرأ بغير لسان قريش ، ولم يرد ما يفيد أنه ﷺ قرأ بعد ذلك بغير لسان قريش .

ولا يعترض هنا بما جاء فى قول هشام لعمر : أقرأنيها رسول الله ﷺ عندما سأله عمر : ما أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها ؟

لأنه يحتمل أن يكون المراد أن رسول الله قد أجازها للبعض فى حضور هشام فقرأ بها .

٥ ـ أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لحق بالرفيق الأعلي تاركاً القرآن مكتوباً عنده بحرف واحد وهو لسان قريش ، ومقروءاً بحروف متعددة تبعاً لتعدد القبائل التى أبيح لها ذلك .

٦ ـ أنه لا يبعد أن من المسلمين من كتب القرآن أو بعضه لنفسه بما يوافق لغته التى يقرؤه بها والمخالفة للغة قريش ، خاصة وقد انتشر المسلمون فى البلاد التى دخلت فى دين الله بعد عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، بل إن تطور الأحداث يرجح حدوث ذلك ، وقد نقل السيوطى عن الحارث المحاسبى قوله :

« قبل أن يجمع عثمان القرآن كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى نزل بها القرآن »(١) .

ولذلك نجد عثمان رضى الله عنه يقول للقرشيين الثلاثة الذين اشتركوا مع زيد بن ثابت فى جمع القرآن :

« إذا اختلفتم أنتم وزيد فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم » .

وحفظت لنا الروايات أنهم اختلفوا مع زيد فى كلمة « التابوت » فزيد يريد أن يكتبها « التابوه » بالهاء فى آخرها ، وهم يريدون أن يكتبوها « التابوت » بالتاء كما تنطقها قريش ولما رجعوا إلى الخليفة فى ذلك قال : اكتبوها بالتاء وذلك يوضح ماقد عساه أن يكون قد كتب فى المصاحف الخاصة تبعا لنطق كاتبيها .

٧ ـ إن عثمان رضى الله عنه عندما قرر أن يجمع القرآن كان هدفه أن يقضى على الاختلافات التى كثرت فى قراءة القرآن إلى درجة أن كفر صاحب كل قراءة من يخالفه ، ورأى أن خير وسيلة إلى ذلك أن يجمع المسلمين على مصحف واحد مكتوب بخط واحد ، ومأخوذ مما كتب فى حياة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فطلب من أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها أن ترسل إليه بالصحف التى جمعت فى عهد أبى بكر وعهد بها إليها أبوها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ووضح عثمان لماذا طلب هذه الصحف فقال :

« ننسخها فى المصاحف ثم نردها » .

فمصحف عثمان صورة لما كان عند حفصة ، وما كان عندها صورة تامة لما كتب بين يدى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

٨ ـ إن ماجاء من اختلافات بين النسخ العثمانية فى إثبات حرف في بعضها وحذفه فى البعض الآخر لا صلة لها باختلاف الألسنة ، ولا يمكن أن تعزى إلى صعوبة النطق أو سهولته ، وإنما ترجع إلى ثبوت قراءات وردت بطريق متواتر عن رسول الله صلوات الله وسلامه

---

(١) الاتقان فى علوم القران جـ١ ص ٦٢ .

عليه ، فكان الحرص على إثباتها ولا سبيل إلى ذلك إلا بما جاء من اختلافات بين النسخ فمثلاً :

الآية ١١٦ من سورة البقرة كتبت فى بعض النسخ ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ... ﴾ بدون واو فى أولها بينما اثبتت الواو فى البعض الآخر .

والآية ١٣٢ من سورة البقرة جاءت فى بعض النسخ ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ... ﴾ بواوين دون الف بينهما فى الكلمة الأولى وجاءت فى بعضها الآخر : « وأوصى » بإثبات الف بين الواوين .

والآية ١٣٣ من سورة آل عمران : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ ... ﴾ جاءت فى بعض النسخ بالواو فى أولها وبدون هذا الحرف فى بعضها الآخر .

ومن الآية ١٠٠ من سورة التوبة جاء فى بعض النسخ : ﴿ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ ﴾ وفى بعضها الآخر ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ بزيادة حرف الجر « من » .

كذلك يقال فيما جاء من قراءات فى الكلمة الواحدة التى إذا جردت من النقط والشكل صلحت لكل قراءة وردت .

فتعدد القراءات فيها لا صلة له باختلاف الألسنة ، ولا يتصور فيها الصعوبة أو السهولة فى النطق ، انما هى وجوه فى قراءة الكلمة وردت بطريق التواتر عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وقد كانت الكتابة حينئذ خالية من النقط ومن الشكل فصورتها صالحة لكل قراءة وردت .

ومن ذلك :

الآية رقم ٦ من سورة الحجرات : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ... ﴾

قرئت الكلمة التى تحتها خط « فتبينوا » وقرئت فتثبتوا ، فالأولى من التبين ، والثانية من التثبت وواضح أنه إذا جردت من النقط والشكل صلحت للقراءتين معا .

والآية رقم ٢٥٩ من سورة البقرة وفيها : « وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً .. ﴾

نجد الكلمة التى تحتها خط تقرأ « نُنْشِزُها » كما قرئت « نَنْشُرُها » ولا خلاف فى انها صالحة لكلتا القراءتين عندما تجرد من النقط والشكل .

يتبع **د . أحمد إبراهيم مهنا**

دراسة في الجن وعلم الغيب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وبعد فقد شاع بين الناس، وذاع بين كثير من المهتمين بمسائل الغيب، أن الجن يعلمون الغيب ، وعمد كثير من مردة الجن الى تأكيد هذا الفهم الخاطىء فى أذهان البشر ، ففتن به كثير من الناس وسلكوا اليه طريقا وعرة من خطل الفهم نتيجة التخليط الذى وقعوا فيه •

وأراد القرآن الكريم أن يحسم هذه القضية لتستريح النفوس المكدودة ، فأتى بنص صريح قاطع لايقبل جدلا أو مراء ، ينفى فيه معرفة الجن الغيب ، فقال تعالى — فى معرض حديثه عن موت سيدنا سليمان ، وعدم معرفة الجن بموته مستدلا بذلك على جهلهم بالغيب — يقول الحق عز من قائل : —

« فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِى الْعَذَابِ الْمُهِينِ » سبأ (١٤/٣٤) •

قال المفسرون : كانت الانس تقول : ان الجن يعلمون الغيب الذى يكون فى المستقبل، فوقف سليمان فى محرابه يصلى متوكئا على عصاه فلما مات بغتة ومكث على ذلك سنة ، والجن تعمل الأعمال الشاقة ولاتعلم بموته ، حتى أكلت الأرضة عصا سليمان فسقط على الأرض فعلموا موته ، وعلم الانس أن الجن لاتعلم الغيب لأنهم كانوا يظنونه حيا وهو ميت (١) •

وقد كان الناس قديما يرون أن الشياطين تعلم الغيب والسر الخفى ، بل كانوا معتقدين أنها بهذه الخاصية تستطيع أن تتدخل فى اختيار الانسان وقدره فى الحياة ، وهذا معتقد، فاسد مدحوض ، فلما خر سليمان ظهر أمر الجن ، وانكشفت حيلتها • راجع تفسير القرطبى (١٤ / ٢٨١) وجامع البيان للطبرى بنحوه (٢٢/ ٥٣) بتصرف • واستعمال

---

(١) بتصرف عن الصابونى ٢٢/١١٤٤ •

د. السيد الجميلى

حرف الامتناع (لو) يعطينا مدلولا قويا فى نفى علمهم بالغيب فى قوله تعالى :ـ

« أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ » وقد يجوز أن يكون (تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ) أى علمت ، وظهر لها العجز ، وكانت تسترق السمع ، وتلبس بذلك على الناس أنها تعلم الغيب ، فلما خر سليمان زال الشك فى أمرها ، وكأنها أقرت بالعجز ، وهذا ماذهب تربيا اليه وقريبا منه أبو حيان فى البحر المحيط (٧ / ٢٦٧) .

وقد كثر الخطأ ، وقصور الفهم عند العوام المعتقدين أن بعض البشر كالعرافين والكهان يعلمون الغيب ، وعلى ذلك قصدوهم فى معرفة أمور غيبية مثل السرقات والجنايات من غيب مقيد أو غيب مطلق مستقبل لم يقع بعد مثل : أمور الزواج وما شاكلها .

وعقيدة المسلم الصحيحة أناطت الغيب بالقدرة الالهية فلا أحد يعلم الغيب الا الله ثم من يريد الله أن يعلمه من عباده الصالحين، وهذا كرامة لهم ولكنه مقيد بمشيئة الله سبحانه وتعالى ، لأنه لا فعل ولا فاعل ولا مفعول يخرج عن قدر الله وارادته .

قال تعالى : « عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا . لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا » الجن (٢٦/٧٢ ـــ ٢٨).

والمصطفون لرسالات الله ونبواته ، لهم عنده سبحانه وتعالى من الكرامات مايؤهلهم لأن يطلعهم على ما يشاء من صحف الغيب تكريما لهم وتثبيتا .

وفى قوله تعالى : ـــ « فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ » أى يجعل بين يديه وخلفه « رصدا » من الملائكة يدفعون عنه الجن أن يسمعوا مايتنزل به الوحى ، فيلقوه الى الكهنة قبل أن يخبر به النبى ﷺ .

راجع القرطبى(١٩/ ٢٦ ـــ ٢٨) وكشاف الزمخشرى (٢/ ٤٩٧) وما بعدها والطبرى (٢٩/ ٧٦) ومابعدها .

وقد يزعم البعض أنه أحيانا يصدق العرافون والمنجمون والكهنة وهذا زعم جائز بل واقع فعلا لكن تعليله واضح وحجيته مدحوضة ، مردود عليها بالدليل القوى والحجة الراجحة .

ولابرح أن صدق العرافين والكهنة فى بعض الأحيان انما يكون من قبيل التلبيس على الناس

اذ يلقون اليهم كلاما محمولا على أكثر من وجه، حتى اذا تأول هذا الاستقراء وافق وجها من الوجوه المحمول عليها .

وقد ورد أن هؤلاء العرافين والمنجمين يستعينون بالجن الذى يخطف الخطفة الصادقة من خبر السماء .

جاء فى الصحيحين ومسند أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت : سئل رسول الله ﷺ عن الكهان ؟ فقال : « ليسوا بشىء » فقالوا : يا رسول الله انهم يحدثون بالشىء يكون حقا ! فقال رسول الله ﷺ : ـ « تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى ، فيقرها فى أذن وليه ، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة » .

لذلك فنحن لانعدو الحقيقة اذا قلنا أن الكهنة هم رسل الشيطان ، ورجال دعوته ، ومستحيل أن يكون أتباع الشيطان من أهل الله ، وتبع رسوله ﷺ .

قلب المؤمن وأسلحة الشيطان

وقلب المؤمن أقوى من كل أسلحة الشيطان وأصلب من أحابيله ، وحيله ، ولايجد الشيطان ثلمة فى بنيان المؤمن ينفذ اليه من خلالها ولا فرصة يهتبلها لأن قلب المؤمن العامر بذكر الله القوى الصلة بخالقه محوط برعاية الله مدعوم بقدرة الحق التى لايقدر على اقتحامها جنى مهما بلغ من قوة وعتو .

وأعظم حصن ووقاية من الشيطان انما هو ذكر الله الذى تقربه عين المؤمن ، ويفر منه الشيطان هاربا ، قال تعالى : « **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** » الأعراف (٧/١٩٩ ، ٢٠٠) والمسلمون مأمورون بالاستعاذة من همزات الشياطين وحضورهم ، قال تعالى : « **وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ** » المؤمنون (٢٣/٩٧ ، ٩٨) .

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله كثيرا من أمور الجن ، وأقر بنشاطهم ومايريدونه من هدم عقيدة المسلم بافسادهم عبادته وعقيدته ، ومما قاله ـ رحمه الله أن « واجب المؤمن نصرة أخيه المظلوم ، وهذا المصروع مظلوم ، ولكن النصرة تكون بالعدل كما أمر الله ، فاذا لم يرتدع الجنى بالأمر والنهى والبيان ، فانه يجوز نهره وسبه وتهديده ولعنه ، كما فعل رسول الله ﷺ مع الشيطان عندما جاء بشهاب ليرميه فى وجه الرسول ﷺ فقال :

(أعوذ بالله منك ألعنك بلعنة الله ـ ثلاثا)أ.هـ وقراءة القرآن لا سيما آية الكرسى عليها التعويل فى دفع مضار الجن ، وعبثهم ونكايتهم بالانسان .

(١) مجموع الفتاوى ١٩ / ٥٥ .

الذى يثير كوامن الشجن أن ثلة من المتعالمين أرادت أن تذكو نار فتنة هو جاء أرادوا منها الظهور بعبقريات زائفة ، فخالفوا السنة وعارضوا الجماعة بمقولات أنكروا فيها وجود الجن متأولين ذلك بأن المقصود بالجن انما هو المخلوقات الصغيرة اللامرئية ويطلق ذلك على الميكروبات والجراثيم •

Micro or ganisms

معتمدين على المعنى اللغوى لفظة الجن أى المشتقة من الاستتار عن العيون ، وهذا تأويل مدحوض ، ساقط لا مستند عليه ولا دليل شرعى على صحته ولم ينكر أحد أن المعانى اللغوية قد أخذت فى (الدين) قيدا اصطلاحيا حدد لها مفهوما خاصا — فى أبوابها كالصلاة والزكاة والسنة والبدعة والسفه الخ •

وأخطر الاشياء أن تصرف ألفاظ النصوص الواضحة عن ظواهرها من غير مقتض يحتم ذلك اذ أن صرف اللفظ عن ظاهره لايكون الا فى حالة غموض اللفظ من ناحية أو فى حالة استحالة تطابق اللفظ مع الواقع •

وسورة الجن مكية كلها بالاجماع على ماورد فى القرطبى (١٩/١) والشوكانى (٥/٢٩٣) لأنها تعالج أصول العقيدة الاسلامية وهى التوحيد ، والبعث والجزاء •

وقد بنيت النصوص فى هذه السورة كثيرا من أحوال الجن وطبائعهم من استماعهم لقراءة القرآن الى دخولهم حظيرة الايمان ، ثم تعرضت السورة الى أمور عجيبة مثل استراقهم السمع ، ورميهم الشهب الملتهبة المحرقة والى غير ذلك من الأمور المثيرة من محاولاتهم استطلاع الغيب •

وقد تحدثت السورة عن تمجيد الجن وتنزيههم لله سبحانه وتعالى وافراده بالعبادة ، ثم أوردت الايات كيفيه انقسام الجن الى فريقين ، مؤمن ، وكافر ، مسلمون وقاسطون • ثم انتهت السورة الى بيان اختصاص الله سبحانه وتعالى وحده بعلم الغيب •

وأكثر ما شد انتباهى قول الجن : « **وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا** » (٧٢/٢) وهذا هو الجن المؤمن ، قال الخازن رحمه الله فى تفسيره: « وفى الآية دليل على أن هؤلاء الجن كانوا مشركين » أ هـ •

أى قبل أن يؤمنوا •

وأجمل ما روى عن الجن تسفيههم لابليس عندما سمعوا القرآن فقالوا : « **وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا** » (٧٢/٤)

فسموه سفيها وهذا تعبير فى غاية القوة فى الدلالة على انابتهم وفطنتهم وقدرتهم على تصديق قول الحق بالفهم العميق والاستنباط الرائع ، وكشفهم لزيف ابليس اللعين وبيان أحابيله وسوء أدبه •

وقد توسع الطبرى (٢٩/٦٨) فى ذكر هذه المسألة فراجعه ان شئت •

وفى قول الجن أيضا (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) بيان بأن منهم صالحين أبرار أتقياء ، ومنهم من هم على درجات متباينة فى الصلاح والورع والتقوى والخشية والاخبات ، وليس الغريب أن ذلك فيهم ، ولكن الغريب حقا أن يعرفوا هم أنفسهم ذلك •

نسأل الله — سبحانه — التوفيق وأن يزيدنا علما •

الأفكار الخاطئة التي ينشرها المستشرقون خلال ترجمتهم للقرآن الكريم

محاضرة الدكتور: موريس بوكاى (١) (٢)

لا يتحدث أكثر المستشرقين عن الإسلام ، ولا يصورونه على ما هو عليه في الحقيقة ، ولكنهم يعرضونه في الصورة التي يتصورونها ، ويريدونها له . ومن ثم فإنهم يترجمون القرآن على الوجه الذى يرضى أهدافهم نحو الإسلام . فإذا أجريت مقارنة بين النص القرآنى العربى ، وبين كثير من الترجمات الاستشراقية رأيت الشاهد واضحاً لما ذكرناه .

---

(١) المحاضرة كتبها والقاها بالإنجليزية الدكتور موريس بوكاى بقاعة المحاضرات بالجامعة المحمدية فى مدينة « صولو » بإندونيسيا فى ٩ / ١٢ / ١٩٨٥ بمناسبة المؤتمر الحادى والأربعين للجمعية المحمدية فى اندونيسيا .
وكان « المترجم » حاضرا وفدا إلى هذا المؤتمر عن الأزهر ، وقد جرى بينه وبين « المحاضر » تعارف . وننظر فى الرأى .

(٢) الدكتور موريس بوكاى : طبيب وجراح فرنسى مشهور ، يناهز السبعين من العمر ، أو يعلوها ـ على ما رأيته ـ معتدل نشيط الجسم والرأى .
قد أغرم بدراسة الكتب المقدسة ، والنظر فى العلم والدين منذ شبابه .
وقد درس اللغة العربية فى سن الخمسين . فهو يقرؤها ، لكنه لا يتحدث بها إلا بصعوبة ، وله كتابان مشهوران : أولهما : La Bible, le Coran la Science. « التوراة والإنجيل والقرآن والعلم » وقد صدر بالفرنسية سنة ١٩٧٦ ، وهو من أكثر الكتب انتشارا وتوزيعا فى فرنسا ، والعالم الإسلامى .
وصدرت له الطبعة الثانية عشرة سنة ١٩٨٥ . وله ترجمات بالعربية ، والتركية ، ولغة الصرب ، والإندونيسية والفارسية . وقد نشرته دار المعارف المصرية بالعربية .
أما الكتاب الثاني فهو : What is the Origin of Man ?
The answers of science and the Holy Scriptures .
ما أصل الإنسان ؟؟ إجابات العلم والكتب المقدسة .
وقد صدر بالفرنسية سنة ١٩٨١ ، وقام بترجمته إلى العربية ، ونشره سنة ١٩٨٥ مكتب التربية العربى لدول الخليج ـ بالرياض .

ترجمة وتعليق: الشيخ محمد حسام الدين

وإذا أمعنت النظر فى طرائق المستشرقين لترجمة القرآن، علمت أنه من غير الممكن أن تحصل على ترجمة واحدة يطمأن إليها بين ترجماتهم.

لقد عمدوا ـ فى كثير من الترجمات ـ إلى ترجمة النص كلمة .. كلمة، وهذا ما يعتذر به للأخطاء الهينة.

لكن الأدهى منه مايلاحظ واضحا من رغبة المترجمين فى التضليل، وإخفاء الحقيقة، وتغيير المعنى عمداً، وإخضاع النص القرآنى لوجهة النظر الشخصية، وهى وجهة النظر التى يكشف عنها المترجمون ـ غالبا ـ فيما يكتبونه تقديما لترجماتهم، وتوضيحا لأهدافهم منها.

فإذا بحثنا عن السبب فى فساد الترجمة وجدناه راجعاً إلى هذه الدوافع بأكثر مما يرجع إلى الضعف فى معرفة اللغة العربية.

على أنه ينبغى أن نعترف بأن إدراك معانى النص القرآنى أمر صعب فى ذاته، ـ وبخاصة قصار السور ـ، وأن للتفسير دوراً فى خفاء بعض المعانى فى هذه السور بالذات، وبالتالى فإن له دوراً فى خطأ الترجمة.

ولست أقصد ـ فى هذه المحاضرة ـ أن أستقصى الترجمات وأخطاءها، ولكننا أهدف إلى عرض نماذج للأفكار الخاطئة التى تشيع فى الغرب عن القرآن.

= وبهذين الكتابين نال الدكتور موريس بوكاى تقديراً عظيما، وشهرة واسعة فى الأقطار العربية والإسلامية، كما نال تقدير الكنيسة، بوصفه رجلا ذا رأى يسمع فيما يتعلق بالكتب المقدسة، وبخاصة القرآن الكريم.

وتتميز آراء الدكتور موريس بوكاى بأنها تعتمد على معارفه العلمية الواسعة، وخاصة علم الجينات، وعلم الخلية، وتطور الكائن الحى.

كما يتميز فكره بالجرأة فى نقد النظريات والآراء العلمية التى تتخفى وراءها أهداف «أيديولوجية» أو أهداف أخرى غير علمية.

وأنه يعيب على الغربيين انحيازهم، وتصورهم أن مالديهم هو العلم وهو الحق وحده، فى حين أنهم لا يعرفون إلا أقل القليل عن العقائد، والحقائق فى غير مجتمعهم.

ويعيب عليهم أن أحكامهم على الشعوب والديانات الأخرى لا تقوم على أساس منطقى مجرد، ولكن على أساس مشوب بالعاطفة والغرض.

وينتهى الدكتور بوكاى فى كتابيه إلى نتائج. منها: أن تقدم العلم، وزيادة المعرفة بتاريخه تجعل من المستحيل لبعض النصوص الواردة فى القرآن أن تكون صادرة عن أصل بشرى.

ومنها: أن بعض المواد فى التوراة هى من وضع الكهنة، وهى مواد بالية، مناقضة للعلم، قاصرة، تحتاج إلى الكمال.

ومن النتائج التى توصل إليها: أن الاستنباطات العلمية الحديثة، حينما تصبح حقائق ثابتة، وبعد أن تتجاوز مجال الافتراض، لا تناقض تعاليم الكتب السماوية.

«المراجع فى هذا التعليق: الكتابان، ورسائل شخصية».

«المترجم»

وإلى توضيح ما تؤديه الترجمات من دور فى إخفاء الحقيقة القرآنية ، ونشر هذه الأفكار .

■ ■ ■

وأبدأ باستعراض عام يكشف عن الأساس للفكر الخاطىء الذى نراه فى الترجمات باللغات الأوربية .

لنبدأ فننظر واحدة من أشهر الترجمات ، وأكثرها ذيوعا ، وتداولا فى فرنسا ، وهى ترجمة : مس ـ د ـ ماسون الصادرة عن دار النشر N.R.F. GALLIMARD - فى باريس سنة ١٩٧٦م .

وهى التى تحتل مكانا بين المراجع المهمة بالمكتبة العامة Bibliothe´que dela Ple´iade .

هذه الترجمة إذا نظر فيها القارىء ضل طريقه إلى حقيقة المعانى والمقاصد القرآنية ، فقد جاء بالصفحة رقم ٦ من مقدمتها : « أن الوحى القرآنى تسيطر عليه تصورات أخروية بحتة ، فلا يؤكد على شىء من القيم الأخلاقية فى السلوك ، والعمل الإنسانى » .

والواضح أن القرآن فى طبيعته ، وسماته الذاتية على خلاف هذا الإدعاء كلية .

فإذا لم يصحح هذا الحكم العام ، ولم تصل مفاهيم القرآن إلى الرجل الغربى صحيحة على حقيقتها ، فما الذى نتوقع أن يكون عليه فكر ذلك الرجل عن القرآن ؟؟

■ ■ ■

ولننتقل إلى ملاحظة أخرى فى هذا المجال :

إنه من المقرر لدى من يؤمن بالقرآن ومن لا يؤمن به أنه يأتى فى أعلى مراتب البلاغة فى اللغة العربية بحيث لا يدانيه أى عمل إنسانى .

ومن هنا فإنه لا يمكن أن يكون القرآن من عمل رجل أمى .

وقد جاء فى سورة الأعراف بالآيتين ١٥٧ ، ١٥٨ أن النبي محمدا كان أميا . فالآية ١٥٧ تصف النبى بالأمية : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ... ﴾ الآية .

وكلما نظر الغربيون إلى هذه الصفة التى تصور شخصية النبى ، ثم عادوا بالنظر إلى بلاغة القرآن العالية تأكد لديهم أنه من غير الممكن أن يكون القرآن من عمل هذا النبى ، على عكس ما يشاع فى الغرب .

وهذا هو مثار الغرابة ، والاهتمام بالموضوع .

فإذا لم تترجم كلمة : « الأمى » إلى « من لا يقرأ ولا يكتب » أو ما يقاربها من التعبيرات خفيت هذه الصفة .

ففى ترجمة « بلاشير » الصادرة فى باريس سنة ١٩٦٦ نجد كلمة « الأمى » قد ترجمت إلى « Prophe´te des Gentils » وهو ما يعنى : « نبى غير اليهود » : « نبى الوثنيين » .

أما ترجمة مس ماسون فقد ترجمت الكلمة فيها إلى Prophe´te des Infide´les « نبى الكفرة » حسبما جاء فى طبعتها الأولى الصادرة سنة ١٩٧٦م ، وكذلك طبعتها التى صدرت فى لبنان بعد ذلك ، وجاء فى مقدمتها أنها صدرت بمراجعة شيخ لبنانى .

وبعد ذلك ببضع سنوات طبعت هذه الترجمة فى فرنسا مع تغيير العبارة إلى « نبى الوثنيين » Prophe´te des Gentils .

وقد مضت المؤلفة فى غيها عندما كتبت مقدمة لهذه الطبعة فى ست صفحات أوردت فيها بيانا بالشمائل التى أوردها القرآن وصفا لشخصية النبى ، ولم تذكر المؤلفة من بين هذه الشمائل صفة « الأمى » .

وفى أحدث طبعة لبنانية لهذه الترجمة جرى تعديل فيها بحيث وردت كلمة « الأمى » بمعنى « الذى لا يقرأ ولا يكتب » . Prophe'te qui ne soit nilire nie'crire لكن الطبعات الفرنسية التى صدرت سنة ١٩٨٥ بقيت على ما هى عليه منذ الطبعة الأولى ، علما بأن ترجمة مس ماسون مشهورة متداولة بين المثقفين فى فرنسا ، وقد قدمتها صحيفة « لوموند » الفرنسية الصادرة فى ٩ / ١٢ / ١٩٧٩ بأنها الترجمة الفرنسية الوحيدة التى وثقها واعتمدها الأزهر(٣) .

وكذلك اثنت عليها ، وأوصت بمطالعتها السلطات والمنظمات الكنسية .

إننى كلما وجدت فرصة للحديث إلى المجتمعات الغربية عن أمية النبى لا أنسى أن أؤكد على أن سورة الأعراف سورة مكية .

ومن المعروف أن صحابة النبى كانوا يحفظون الوحى القرآنى فور نزوله ، ويرتلونه فيشتهر فى جنبات مكة .

وكان أهل مكة اعرف الناس بمحمد ، فهو من أهلها ، نشأ بها ، وقضى من عمره فيها . أربعين عاما قبل البعثة ، فكانوا اعلم بحاله إن كان قارئا كاتبا ، أو كان غير قارىء ، وغير كاتب .

فلم يكن فى إمكان محمد أن يدعى كذبا ماليس من صفاته ، والناس من حوله يعرفون حقيقة حاله .

فإذا كانت أمية النبى أمرا ثابتا لا يحتمل الشك ، كان من الحتم علينا أن نعترف بأن القرآن لا يمكن أن يكون من عمله .

وعندما يسمع المنصفون من الغربيين هذا التقرير يدركون أن ترجمة كلمة : « الأمى » على الوجه الذى وردت عليه فى ترجمات المستشرقين ترجمة تتعمد إخفاء الحقيقة ، لترضى أهداف المترجمين أنفسهم ، وتمهد لمبدأ يعمل المستشرقون على نشره وإذاعته ، وهو أن القرآن من عمل محمد ، وأنه كان يكتب ما يملى عليه .

■ ■ ■

ونوع آخر من أنواع سوء الترجمة يتصل بما قرره القرآن ، وكان موضع دراستى فى كتابى : « التوراة والإنجيل والقرآن والعلم » الصادر سنة ١٩٧٦ ، وكتابى : « ما أصل الإنسان ؟؟ إجابات العلم والكتب المقدسة » الصادر سنة ١٩٨١ .

هذا النوع يتصل بما أشارت إليه الآيات القرآنية من ظواهر كونية ، وحقائق علمية .

وهو نوع تسهل ترجمته ـ فى معظم الأحوال ـ لأنه لا يحوج إلى معارف عميقة فى بابه ، ويكفى المترجم له مجرد معلومات علمية مبسطة .

ومن هنا فإنه لا عذر للترجمة الخاطئة إلا أن تكون قد صدرت بقصد التعمية ، والتضليل عن

---

(٣) صورة ماأشار إليه المحاضر مما نشرته صحيفة « لوموند » الفرنسية فى ٩ / ١٢ / ١٩٧٩ .
- les autorités Islamiques égyptiennes, en d'autres termes l'université d'Al Azhar, dont les décisions sont en principe admises par l'ensemble des musulmans sunnites (or-thodoxes), ont, en effet, reconnu enfin la validité d'un Coran en français.

وفى ٢٠ / ١٢ / ١٩٨٥ Denise Masson, qui vit depuis de longes années au Maroc et dont la traduction française du Coran est la seule homologúe par l'université sunnite d'El-Azhar (Egypt),.

معنى لا يراد له أن يتضح بالترجمة الصحيحة .

وإليك مثالاً واضحاً : إنه من المعلوم أن كلمة « زوج » جمعها : « أزواج » ، وتعنى أحد المقترنين ، وثانى اثنين ، ومنه زوج القفاز ، وزوج الحذاء ، وأحد الزوجين من بنى الإنسان ، والاثنان زوجان .

والكلمة ترد فى آيات القرآن الكريم بمعنى آخر .

فإذا ترجمت الكلمة فى القرآن إلى « النوع » « Kind » أو « الأنواع » « Species » أو « المقترنين » « Couple » ـ كما فعل المترجمون ـ كانت خطأ محضاً[٤] .

لقد وردت الآية ٣٥ من سورة « يس » فى سياق الحديث عن أحوال العباد ، وأعقبتها الآية ٣٦ من السورة ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ .

فإذا قرأنا هذه الآية وجدنا أن كلمة « الأزواج » لا يمكن أن تكون هنا إلا بمعنى عنصرى الزوجية ، أى : الذكر والأنثى ، مما تنبت الأرض ، ومن بنى الإنسان ، ومما لا يعلم الناس .

ذلك أن الآية تشير إلى خلق الزوجية فى النبات ، والزوجية فى الإنسان .

وعندما قرأت هذه الآية لأول مرة أدركت أنها تعنى الذكر والأنثى فى الإنسان والنبات وغيرهما من الكائنات .

هذه الآية تتفق مع الآية ٣ من سورة الرعد : « وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهارا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ .... ﴾ الآية .

إن القرآن يقرر بوضوح وجود التزاوج فى النبات ، وهى ظاهرة لم تكن معروفة فى عهد النبى ، ولكنها من مكتشفات هذا العصر .

فإذا توفر لإنسان أدنى قدر من المعرفة بالعلوم الطبيعية . وقرأ هذه الآيات ، ـ مع افتراض أنه لا يقر بأن القرآن كتاب سماوى .. ـ فلابد وأن يعرض له هذا التساؤل : ـ

أيمكن لإنسان ما أن يعرف هذه الحقائق ، وأن يؤكدها منذ أربعة عشر قرناً مضت ؟؟

إن ترجمة هذه الآيات ترجمة صحيحة ، تلفت النظر إلى القرآن ، وتثير الإهتمام به لدى من لا يؤمن بالوحى ، وبخاصة إذا اتضحت له حقيقة أمية النبى .

ولقد أكدت مثل هذا المعنى فى كتبى ، عند التعليق على كثير من الآيات التى تشير إلى ظواهر طبيعية ، أو مقررات علمية .

ولو أننا نظرنا إلى الترجمات الغربية لهاتين الآيتين[٥] لما وجدنا منها ترجمة واحدة صحيحة .

ولننظر ـ على سبيل المثال ـ ترجمة مس

---

(٤) الكلمة ترد فى القرآن بمعان عديدة ، ومما وضح فيه معنى « النوعية » قوله تعالى « وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى » ٥٣ من سورة طه ـ أى أنواعا من نبات ـ ويرجحه « شتى » أى نباتا مختلف الأنواع . « المترجم » .

(٥) الآية ٣٦ من سورة « يس » ، والآية ٣ من سورة الرعد .

ماسون لهما ، وهى خطأ مطلق ، وأدع أن يحكم عليها بما يراه .

فقد ترجمت الآية ٣٦ من سورة « يس » : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، فعبرت عن « الأزواج » بالأنواع Speties .

وترجمت الآية ٣ من سورة الرعد ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ... ﴾ الآية . فنقلت : « زوجين اثنين » إلى Courle وتعنى عنصرى الاقتران فى أى شىء .

فهل نستطيع أن نلمح فى هذه الترجمة معنى التزاوج فى النبات ؟؟ وهو المعنى المقصود فى الآيتين .

لقد تعمّدت الترجمة إخفاء المعنى ، والتعمية عنه ، وليس لها أن تتعلل بأنه غاب عنها فأخطأته ، ذلك أنه معنى ظاهر فى الآيتين .

■ ■ ■

وفى آيات أخرى : أرى من الضرورى أن أقرر مبدئيا أن المترجم لها لا يستطيع أن ينقلها نقلا صحيحا إذا كانت ثقافته أدبية لا علمية .

ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يعبر بدقة عن معنى لا يفهمه جيداً .

فضلا عن أن القاعدة تقتضى أن يكون المترجم الغربى على غير تصورات ، أو أفكار سابقة معادية للقرآن .

ومما يؤسف له أن هذه الفروض الأولية بعيدة تماما عما يدور فى خلد جمهرة المستشرقين .

والآن فلننظر إلى ترجمة المعانى الدقيقة الواردة فى الآية ٦٦ من سورة النحل : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِّلشَّارِبِينَ » .

لنجد أن « بلاشير » يترجم « البطن » بما يعنى مجموعة أعضاء الجهاز الهضمى فى الحيوان ، Bellies ، ويترجم « الفرث » بالطعام المهضوم Digested Food .

ويتفق « مرمادوك بكتال » مع « بلاشير » فى ترجمة البطن ، أما ترجمة « الفرث » عند « بكتال » فتعنى : الفضلات وبقايا الطعام فى الأمعاء . Refuse .

هذه الترجمة تعنى اللبن الخالص يستخرج من بين الدم ، وما فى المعدة والأمعاء من طعام مهضوم ، وفضلات .

وإذا كنتُ أرتضى ترجمة « مرمادوك » للقرآن عموما ، إلا أننى لا أرتضى ترجمته للآيات التى تتضمن إشارات علمية ، ذلك أن ترجمته لها غير مفهومة ، ومثلها ترجمة « بلاشير » بالفرنسية .

والتعبير فى الترجمتين بأن اللبن يستخرج من بين الدم وما فى الأمعاء من طعام ، ترجمة غير مقبولة نهائيا فى علم وظائف الأعضاء .

وفى رأيى أن ترجمة الآية تحسن بما يفيد « إن الله أخرج لنا من داخل الأنعام لبنا خالصا سائغا يستخلص مما يحمله الدم من غذاء تمتصه الأمعاء من الطعام »

فتصحيح الترجمة ينبنى على تحرير المراد من كلمة « بطون » . فكلمة « بطن » لا تعنى الجهاز الهضمى وحده ، ولكنها تعنى ما بطن وخفى من كل شىء » .

والآية تشير إلى المكونات الأساسية للبن . ولذا فإنها تعبر بكلمة « من » التى تفيد

« الابتداء » أى ابتداء عملية تكوين اللبن ، وكلمة « بين » التى تفيد أن اللبن استخرج من اشياء جمعت معا .

وقد تقرر فى علم وظائف الأعضاء ـ حديثا ـ أن تحولا كيماويا يجرى للطعام داخل الأمعاء .

وان خلاصة المواد الناتجة من هذه التحولات تمر عبر جدار الأمعاء إلى الدم ، وأن الغدد الثديية التى تفرز اللبن تتغذى بما يحمله إليها الدم من هذه المواد .

هذه الآية تشير إلى معان ، وحقائق لم تكن معروفة على عهد نزول القرآن ، ولذا فإن تفاسيرها القديمة ينبغى أن تترك وتهمل ، ولمن أراد أن يترجم مثل هذه الآية ترجمة صحيحة أن يرجع إلى علم وظائف الأعضاء .

ذلك أن مصدر الخطأ فى الترجمة عموما يعود إلى أنها تعتمد على التفسير « الروتينى » التقليدى القديم ، وعلى الترجمات القديمة .

كما أن معظم ما يكتبه المتأخرون يعود إلى الفكر القديم .

■ ■ ■

ومن أمثلة ما نراه من عدم الدقة فى الترجمة ما تكتبه الترجمات المشهورة المتداولة ، نقلا للآية الثانية من سورة العلق . ﴿ خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ .

فقد جرت ترجمتها على معنى أن الله خلق الإنسان من دم متجلط ـ Blood Clot أو ـ Congeald Blood .

ومن كان على معرفة بالعلوم الطبيعية ، أو كان متخصصا فى علم الأجنة يعلم جيدا أن الإنسان لم يأت من الدم المتجلط .

إن الرجل العارف بالعلوم الطبيعية إذا قرأ هذا النمط من الترجمات ـ سواء فى الإنجليزية كترجمة يوسف على ، ومرمادوك بكتال .

أو فى لغات أخرى غير الإنجليزية ـ لايطمئن ، ولا يصدق أن الله عبر بهذا « التعبير الخطأ » فى أصل كتابه « القرآن » .

إنه يبدو لى أن أصلح ترجمة لهذه الكلمة هى الترجمة التى تعتمد على المعنى الأولى لها ، وهو أن « العلق شىء يعلق ، أو يفعل العلوق » وهو ما يتفق تماما مع حقائق علم الأجنة . على ما ذكرته فى كتبى .

ذلك أن الفترة الأولى لتطور الجنين تبدأ عندما « تعلق » البويضة المخصبة بالغشاء المبطن لجدار الرحم ، لتثبت نفسها ثم تنمو .

« فالعلق » هو البويضة المخصبة ، وهذا هو المعنى الأول الظاهر الذى يؤكد الاتفاق بين ما قرره القرآن ، وبين المعارف العلمية الحديثة .

وعلى العكس من هذا فإن الترجمات الخاطئة لهذه الكلمة تؤدى بالغربيين إلى الاعتقاد بأنه لا اتساق بين طبيعة الوحى الإلهى فى القرآن ، وبين الترجمة التى نقلت إليها الآية ، وهذا ما سمعته بنفسى من كثيرين .

وينبغى أن نعترف بأن المستشرقين ليسوا مسئولين وحدهم عن هذه الأخطاء ، ذلك أنهم ترجموا المعانى وفقا لآراء كبار المفسرين القدماء ، ووفقا للتفاسير ذات القيمة الرفيعة ، والاحترام فى البلاد الإسلامية ، وتبعا للترجمات الحديثة التى صدرت بأقلام مترجمين مسلمين ، من مثل أولئك الذين ذكرت أسماءهم من قبل .

وإذا كان القرآن قد أشار في عديد من آياته إلى كثير من الظواهر الطبيعية التي درسها العلم الحديث ، فإن الترجمات يجب أن تأخذ في اعتبارها حقيقة واضحة ، وهي : ـ

أن المفسرين والمترجمين ـ فيما يسبق من الزمان ـ لم يكونوا في وضع يسمح لهم بإدراك حقيقة هذه الظواهر .

وكانوا مضطرين أن يقفوا عند المعنى الذي يخدم المقصود الأساسي من الآية ، وهو بيان آثار قدرة الله التي لا تتناهى في هذا الكون .

أما اليوم وقد ظهرت معان أخرى للآيات تبعا للنظريات . والمكتشفات العلمية الحديثة ، فإن هذه المعاني الجديدة هي التي يجب أن تقدم في تفسير القرآن وترجماته[6] ، وإلا بدى القرآن وكأنه يتعارض ـ فيما نبه إليه من المعاني العلمية ، والظواهر الطبيعية ـ مع العلم حاضراً .

وهذا بالضبط ما يستشعره الغربيون لدى قراءتهم لكثير من الترجمات .

وإذا استمر المفسرون في العالم العربي على منهجهم في التفسير بما يظهر هذا التعارض فإنه من السهل أن نتصور الآثار السيئة التي يعقبها هذا المنهج لدى المثقفين ، والطلاب الذين يدرسون العلم ، ويثقون في قضاياه .

هؤلاء المثقفون والطلاب لا ينظرون إلى الآيات القرآنية مباشرة ، فيتعرفون على إشاراتها العلمية الصحيحة .

ولكنهم يعتمدون على تقريرات يستقونها من التفاسير والترجمات .

وإن الناظر في القرآن في ذاته يجده متفقا ـ تماما ـ مع الحقائق العلمية الحديثة ، وهذا ما ثبت أخيرا .

ولا شك في أن العلماء الغربيين سيكتشفون هذه الخاصة القرآنية ، إذا ما قدمت إليهم معانيه في ترجمات صحيحة .

وأمل أن يكون ما عرضته الآن من أمثلة حافزا للتفكير في تحرير وعرض معاني القرآن صحيحة ، لتنتفي بها الأفكار الخاطئة التي ذاعت في هذا المجال .

« محمد حسام الدين »

---

(٦) الرأي أن يكون التفسير على أساس من الأصول الإسلامية ، أخذاً بدلالة النظم القرآني مباشرة ، حقيقة كانت الدلالة ، أو مجازا ؛ نصا ، أو إشارة ، أو مفهوما .

ولا يسمح بالتفاصيل العلمية إلا أن تكون هامشية تعليقا على التفسير ، فلا تحمل على النص القرآني إطلاقا ، ذلك أن النظريات والمكتشفات العلمية متغيرة حتما ، ومتطورة طبيعة ، وليس لإنسان أن يدعي أنها ـ في حال من الأحوال ـ هي مراد الله تعالى في الآيات القرآنية .

أما ترجمة القرآن فنحن نعارضها مبدأ ، نعارض إقرارها إسلاميا ، فإن فيها أخطارا رهيبة ، أبسطها أن المترجم يقطع بأن ما أورده برأيه ولغته هو مراد القرآن ، وبهذا يُنَصِّبُ المترجم نفسه صاحبا للوحي ، ثم تختلف التراجم ، وتتنافر المعاني المنسوبة إلى القرآن زورا ، ومن هنا اتفق علماء السلف على تحريم الترجمة ، وهو حكم لا يتغير بتغير الزمان .

« المترجم »

الأرب.. والأربة

فى الفقه الإسلامى وفقه اللغة

روى البخارى فى باب الصوم عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى — صلى الله عليه وسلم — يُقَبِّل ويباشر وهو صائم وكان أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ » .

علق البخارى على الحديث بكلمتين :

قال ابن عباس : مآرب حاجة .

قال طاوس : أولى الإربة الاحمق لا حاجة له فى النساء .

وقد دعانى هذا التفسير الى الرجوع الى كتب اللغة وكتب التفسير وكتب السنة وكتب الفقه ، لأنى كنت بصدد البحث عن « الإربة » لغرابة معناها ولا بأس أن نصل الى التاريخ لها من عهد الجاهلية الى يومنا هذا ، لكن وجدتنى مدفوعا الى الوقوف على معناها والاحكام الشرعية التى سيقت من أجلها وقد وردت كلمة « المآرب » فى القرآن الكريم مرة واحدة ، قال تعالى :

« وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى » (١٧ ، ١٨ من سورة طه) .

ووردت الاربة « كذلك فى القرآن الكريم مرة واحدة فى الآية ٣١ من سورة النوروسيأتى الكلام عن تلك الآية وما دار عليها من أحكام ، يهمنا منها الحكم الخاص « بالإربة » .

والحديث الذى رواه البخارى عن السيدة عائشة تعرض له عامة الفقهاء عند حديثهم عن الصيام وما يتصل به ، ففى كتاب « زاد المعاد» لابن قيم الجوزية فصل وكان من هديه — ﷺ — يدركه الفجر وهو جنب فيغتسل بعد الفجر ويصوم ، وكان يقبل بعض أزواجه وهو صائم فى رمضان وشبه قبلة الصائم بالمضمضة بالماء، وابن قيم الجوزية لا يقدم النص كما ورد ولكنه يستخدمه فى سرد الاحكام ، ويستعين بذاكرته الواعية .

« أما سبل السلام » للصنعانى المتوفى سنة ١١٨٣ وهو شرح لطيف على « بلوغ المرام » تأليف ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ فقد تعرض لشرح حديث البخارى ، وشرح قول السيدة عائشة « كان أملككم لاربه » .

قال : الإِرْب بكسر الهمزة وسكون الراء فموحدة وهو: حاجة النفس وَوَطَرُها .

قال العلماء : معنى الحديث أنه ينبغى لكم

للأستاذ السيد حسن قرون

الاحتراز عن القبلة ولا تتوهموا أنكم مثل رسول الله — ﷺ — فى استباحتها لأنه يملك نفسه ويأمن من وقوع القبلة أن يتولد عنها انزال أو شهوة أو هيجان نفسى ونحو ذلك وأنتم لا تأمنون ذلك فطريقكم كف النفس عن ذلك .

وأخرج النسائى عن طريق الأسود (١) ، قلت لعائشة : أيباشر الصائم ؟

قالت : « لا » .

قلت : أليس رسول الله ﷺ كان يباشر وهو صائم .

قالت : انه كان أملككم لإربه » ، وظاهر هذا أنها اعتقدت ذلك من خصوصياته ﷺ .

قال القرطبى : وهو اجتهاد منها .

قالوا : وظاهر حديث الباب جواز القبلة والمباشرة للصائم لدليل التأسى به ؛ ولأنها ذكرت الحديث جوابا عمن سأل عن القبلة وهو صائم ، وجوابها قاض بالاباحة مستدلة بما كان يفعله ﷺ .

قالوا: وفى المسألة أقوال :

الأول للمالكية : أنه مكروه مطلقا .

الثانى: محرم مستدلين بقوله : « فالآن باشروهن » فانه منع المباشرة فى النهار ، وأجيب بأن المراد بها فى الآية الجماع ، وقد بين ذلك فعله ﷺ كما أفاده حديث الباب .

وقال قوم : انها تحرم القبلة ، وقالوا : ان من قَبل بطل صيامه .

الثالث : أنه مباح ، وبالغ بعض الظاهرية فقال : انه مستحب .

الرابع : التفصيل : يكره للشاب ويباح للشيخ .

ويروى عن ابن عباس ودليله ما أخرجه أبو داود أنه أتاه — ﷺ — رجل فسأله عن المباشرة للصائم فرخص له . وأتاه آخر فسأله فنهاه ، فاذا الذى رخص له شيخ والذى نهاه شاب .

الخامس : أن من ملك نفسه جازله والا فلا وهو مروى عن الشافعى . وينتهى صاحب « سبل السلام » الى أن الاباحة أقوى الأقوال ويؤيد رأيه بحديث عمر بن الخطاب الذى أخرجه أحمد وأبو داود قال عمر : هششت يوما فقبلت وأنا صائم فأتيت النبى ﷺ فقلت : صنعت اليوم أمرا عظيما ، فقبلت وأنا صائم .

فقال رسول الله ﷺ : « أرأيت لو تمضمضت (٢) بماء وأنت صائم ؟

قلت : لا بأس بذلك .

فقال رسول الله ﷺ : « ففيم » ؟ اهـ

وأنا أرى كراهة التقبيل للصائم ؛ لأنه قد يؤدى لافساد الصوم ، والعلة التى ذكرتها السيدة عائشة رضى الله عنها كافية فى كف المسلم عن التقبيل فالرسول كان أملك لاربه — هذا فى زمن النبوة فما بالنا بزمن يحتاج الى

٥

(١) من هنا أخذ ابن قيم الجوزية ما ذهب اليه .

(٢) ورواية البخارى عن الاسود ايضا .

الإرب .. والإربة

قمع النفس وتأديبها وتربيتها على الصبر وقوة الارادة ؟

وسأترك المسألة للفقهاء يعالجونها ، ولننظر الى الناحية اللغوية لنعرف الارب والاربة ، ومادامت الكلمتان قد وردتا فى القرآن الكريم فقد صارتا من مطلب كل دارس سواء من جهة الشريعة أو جهة اللغة والارب .

جاء فى « مختار الصحاح » (الارب) بكسر الهمزة:العضو،وجمعه آراب وقد فسروا : أملككم لاربه » لعضوه (متفق عليه) .

والارب:الدهاء وهو من العقل ومنه قولهم : فلان يؤاربه صاحب اذا داهاه . ومنه الأريب وهو العاقل .

والإرْب بالكسر:الحاجة وكذا الاربة وهى التى معنا . ومن شعر حسان بن ثابت فى عبد الله بن عباس :

اذا قال لم يترك مقالا لقائل
بملتقطات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى مافى النفوس فلم يدع
لذى اربة فى القول جدا ولاهزلا

والأَرَبُ-بفتح الهمزة والراء ، والمأربة بتثليث الهمزة فتحا وضما وكسرا ، والكسر من رواية الفارابى . وبابه فى الافعال طَرِبَ تقول أرب يأرب أَرَبًا مثل طرب يطرب طربا .

« **وغير أولى الاربة فى الآية .. المتوه** .

قاله سعيد بن جبير . وهذا المعنى يغاير مادة « الأَرَبِ » فالمادة فى جميع تصريفاتها ومشتقاتها تفيد الدهاء والذكاء وجودة العقل فَلِمَ فسرت فى الآية بهذا التفسير الذى ارتضاه سعيد بن جبير ؟

وأذكر بهذه المناسبة قضية صحفية أقيمت فيها الدعوة ضد الكاتب عباس محمود العقاد لانه قال فى مقاله عن أحد زعماء ١٩١٩ ، انه ذومآرب .. وبعد سطور قال انه فاضل ودارت المساءلة حول هاتين الكلمتين فمآرب عند صاب الدعوة تعنى أن له مآرب غير وطنية أو شخصية أو أنانية الخ وفاضل فسرت بأنه زائد بين الساسة ، وسئل العقاد عن قصده — على ما أذكر .

فقال اقرءوا المقال وافهموه ، وكان الحكم غرامة قدرها خمسون جنيها ، كان ذلك قبل قيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ . فمآرب استعمالها يفيد الدهاء والذكاء ، والاربة تفيد الحاجة والوطر،وطالب الحاجة ليس معتوها على كل حال . فلنذكر الآية ٣١ من سورة النور . قال تعالى :

« وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى

(١) الطفل يكون واحدا وجمعا ، وهنا فى الآية للجمع .

عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

والآية الكريمة حشدت لنساء المؤمنين، وهن المؤمنات، مكارم الأخلاق وكريم الصفات وهدت لهن منار السلوك العالى ليسرن فى مدارج التقوى لبلوغ سعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

وسأقف منها عند قوله تعالى : « أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ .. » لأن ورود الكلمة فى القرآن والحديث أعطاها اشعاعا لايزول ، وهو اشعاع يجذب القلب والعقل معا ليتدبرا المعنى وينظرا الأحكام ، وما من شك فى أن الأَرَب والإِرْبة مدارها على الحاجة والوطر ، وان كان الارب بمعنى العضو لاتاباه اللغة ، لأن اللغات فى وضعها أساسها المحسوسات ، والناس فى عصرنا يستعملون جمعه فيقولون قطعته إِرْبًا إِرْبًا بكسر الهمزة وسكون الراء ، والذين يفتحون الراء ينطقون « القرب » بجعل القاف همزة ، وفرق كبير بين الارب والقرب ، والمعجم يقول لك: ان جمع الارب آراب على وزن أفعال . وفسروا الاربة فى الآية الكريمة بتفسيرات مناسبة .

منها : قول : ابن كثير فى « تفسير القرآن العظيم » « **أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال**» يعنى كالأجزاء والأتباع الذين ليسوا بأكفاء (١) وهم مع ذلك فى عقولهم وله . ولاهم لهم الى النساء ولا يشتهونهن .

قال ابن عباس : هو المغفل الذى لاشهوة له .

قال مجاهد : هو الأبله . وسبق أن ذكرت قول سعيد بن جبير وهو أنه المعتوه .

قال عكرمة : هو المخنث الذى لايهش للنساء وفسر النسفى « **غير أولى الاربة من الرجال** » غير أصحاب الحاجة الى النساء ، فقد رجع بنا الى الوضع اللغوى ، ووضحها بقوله : قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء ، لأنهم بُلْهٌ لايعرفون شيئا عن أمرهن ، أو شيوخ صلحاء أو العنين أو المخنث أو الخصى .

وفى الاثر أنه المجبوب والأول أوجه .

ومن الرجال حال : أى حال كون المتحدث عنهم من الرجال ، وكنت أود منه أن يقف عند الأول ويأتى بأسباب وعلل تؤيد رأيه ويترك البله، فالتابعون غير أولى الاربة أناس همهم فى بطنهم ، كما تقول اليوم ؛ أناس مستهم الضراء فاحتاجوا الى مايقيم الأود ويدفع غائلة الجوع فليس بهم حاجة الى النساء ، وقد تعب المفسرون فى بلوغ المراد من هذا التعبير ، وهو فى حاجة الى كشف وتوضيح .

ويكفى المسلم والمسلمة قراءة الآية ففيها ما يرتفع بالانسان الى مناط الطهارة والتقوى، وفيها اظهار القدوة باتباع أوامر الدين بعمل الصالح وترك الطالح ليسير المجتمع على نهج قويم وطريق مستقيم . والله الموفق .

السيد حسن قرون

---

(١) اكفاء بسكون الكاف جمع كفء وهو النظير ، اما الأكفاء بكسر الكاف وتشديد الفاء فجمع كفيف وهو الأعمى .

هزيمة الصليبيين فى المنصورة

بدأت طلائعها فى رمضان

الأمة الاسلامية منذ شرفها الله بالاسلام صارت فى الصدارة ، بل فى الطليعة هكذا كانت وهكذا ينبغى دوما أن تكون فانها الأمة التى وصفها الحق جل وعلا فى كتابه الكريم بقوله «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » (١) .

وهى من ثم جديرة بأن تضرب للعالمين على مر الزمان دروس التوكيد المتجددة لهذه الحقيقة الخالدة .

وأمة الاسلام فى تاريخها الطويل ما كانت أمة عدوان تمارس الحرب من أجل الحرب ولكن اذا فرض عليها القتال هبت دفاعا عن عقيدتها وأرضها وشرفها كسرا لكبرياء المعتدين وقمعا للظالمين وحسما لشرورهم فهى نجدة أمة واسعاف وتأديب للطغاة .

والقتال هنا لا يزيد مفهومه عن التنكيل بقطاع الطريق ومن يعيثون فى الأرض من المفسدين قال الله تعالى « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » (٢)

« وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » (٣) .

« وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ» (٤)

المسلمون والنصر فى رمضان على موعد .

لشهر رمضان فى نفوس المسلمين مكانة خاصة تعلو على كل مكانة ، وله فى قلوبهم منزلة تسمو على كل منزلة ، ذلك أن عين الخالق ترعاهم ، وعنايته لاتنساهم فاعتادوا منه بفضله أن ينصرهم كلما نصروه ، ويؤيدهم اذا أيدوه ، ويذكرهم دائما ماداموا يذكرونه .

وكان مما تعودوه فى رمضان أن ينصرهم الله على عدوهم اذا تحداهم فيه أو تصدى لهم وهم صائمون .

ويبدو أن السر فى ذلك هو أن البطون الجائعة وراءها أبدا نفوس طائعة وقلوب

---

(١) سورة آل عمران ١١٠
(٢) سورة الحج ٣٩
(٣) سورة البقرة ١٩٠
(٤) سورة البقرة ١٩٣

للأستاذ محمد عزت الطهطاوى

ضارعة وأفئدة نقية قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » (١) ويقول جل شأنه « إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ » (٢)

بداية عدوان الصليبيين على مصر الآمنة :

لما انهارت المملكة اللاتينية التى أقامها « جود فروادى بويون » وفرسانه فى بيت المقدس تحت الضربات القوية لحاكم مصر وبلاد الشام السلطان صلاح الدين الأيوبى ارتد الصليبيون الى قلاعهم التى بنوها على ساحل البحر وعادت أراضى فلسطين الى سيادة المسلمين وعندئذ عقد هؤلاء الصليبيون العزم على أن يحولوا ميدان النضال الى مصر الاسلامية ليحطموا تلك القوة التى أوقعت الهزيمة بحملاتهم وأفسدت عليهم تدبيراتهم وفعلا نزلوا مصر بجيوشهم لأول مرة أيام الملك الكامل الأيوبى واستولوا على مدينة دمياط سنة ٦١٥ هـ سنة ١٢١٧ م .

وأول شىء فعلوه بعد الاحتلال أنهم حولوا مسجدها الجامع الى كنيسة ثم بعثوا بمنبره والربعات مع رءوس المصريين القتلى من حاميتها الى القاهرة فهب المصريون للحرب وحاصروا أولئك الصليبيين وضيقوا عليهم الخناق حتى ألجأوهم الى الفرار والجلاء عن دمياط وتم ذلك فى يوم مشهود أنشد فيه الشاعر راجح الحلى قصيدته التى مطلعها :

هنيئا فان السعد أضحى مخلدا
وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا اله الخلق فتحا بدا لنا
مبينا وانعاما وعزا مؤيدا

وقد لبثت مصر آمنة مطمئنة بعد ذلك النصر نحو ثلث قرن حتى جاءت حملة لويس التاسع ملك فرنسا للعدوان مرة أخرى على مصر وهو ما يسمى بالحملة الصليبية السابعة (٣) .

كيف قامت حملة لويس التاسع بذلك العدوان

جرد ذلك الملك حملة كبرى للقضاء على مصر وأوهمه غروره أنه بتلك الحملة يعيد سيرة الحروب الصليبية من مبدئها ويفتتح الأراضى الفلسطينية من جديد تحدوه نزعة دينية عميقة

(١) سورة محمد الآية ٧
(٢) سورة الحج ٣٨
(٣) كتاب «مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام» للمرحوم محمد عبد الله عنان

هزيمة الصليبيين

وتحفزه رغبة مضطرمة فى العمل على القضاء على الاسلام والقوى التى تحميه •

وهكذا جاء لويس التاسع فى جحافله ليحتل الأراضى المصرية يصحبه بعض الأمراء الصليبيين مع جنودهم وأتباعهم فى أسطول ضخم وصلوا به الى المياه المصرية فى ٢١ من صفر سنة ٦٤٧ هـ يونيه ١٢٤٩ م وفى حال وصوله أوفد ذلك الملك رسله الى سلطان مصر بكتاب ينذره باسم الأمم النصرانية بوجوب الخضوع والتسليم ويؤكد له أن مقاومته لقواته الغازية طيش وعبث •

ثم نزل الصليبيون الى الساحل واستولوا على مدينة دمياط ونهبوا ما فيها من الأقوات وعندئذ تمركز المصريون بجيوشهم فى مدينة المنصورة بقيادة الملك الصالح نجم الدين أيوب الا أن المنية عاجلته فأخفت زوجته شجرة الدر خبر موته واتفقت مع رجال الحاشية على تسيير الأمور حتى حضور ولى عهده الملك المعظم توران شاه والذى كان واليا على الديار الشرقية وقد أرسلت اليه فى الحضور على عجل (١) •

الاشتباكات الحربية بدأت فى رمضان :

وفى أوائل رمضان سنة ٦٤٧ هـ — ديسمبر سنة ١٢٤٩ م وصل الصليبيون الى شرقى المنصورة وكان يفصل بينهم وبين المسلمين المصريين بحر أشموم ، وبدأت المعارك تنشب بينهم وبين المصريين فى البر وفى نهر النيل مدة شهرين ولما حاولوا العبور الى بره الغربى ليفاجئوا المصريين تصدى لهم الحرس السلطانى المكون من المماليك البحرية وكانوا من أبرع المقاتلة وأشدهم بأسا بقيادة الأمير بيبرس البندقدارى والذى خادع المهاجمين اذ أفسح لهم الطريق فى الوقت الذى أكمن لهم فرقا من جنده فى عدة مناطق خاصة خفية كما أمر سكان المدينة بالاختفاء فى بيوتهم مؤقتا •

وفى لحظة مفاجئة أصدر أوامره الى السكان والجنود بالانقضاض على العدو المهاجم فحملوا على الصليبيين بشدة متناهية فترنحوا ووقع الاضطراب فى صفوفهم وقتل قائدهم وكان « الكونت دارتوا » شقيق الملك لويس التاسع وهلك معظم فرسانه وجنوده فى أزقة المنصورة وشوارعها (٢) وتلك هى المرحلة الأولى من معركة المنصورة •

ولما وصل السلطان الجديد الملك « توران شاه » وكان ذلك بعد الاشتباكات السابقة بعشرة أيام أعلنت وفاة الملك الصالح وتقلد الملك الجديد فى الحال زمام الحكم وهنا كان الصليبيون قد وهنت قواهم وتفاقمت حالتهم فعولوا على الارتداد شمالا والعودة الى دمياط ، وفعلا بدأوا ينسحبون تحت جنح الظلام وسارت سفنهم قبالتهم فى نهر النيل ، ولكن المصريين كانوا ساهرين يرقبون حركاتهم وسرعان ما اجتازوا اليهم على بحر أشموم

---

(١) موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية « المجلد الخامس » ، تاريخ مصر وسوريا من الفتح الاسلامى حتى الآن تاليف الدكتور أحمد شلبى •

(٢) المرجع السابق وكتاب « حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة » تاليف الامام جلال الدين السيوطى •

فسدوا عليهم منافذ الطرق وانقضوا عليهم بشدة وطاردوهم .

وما أسفر الصبح حتى كانوا قد أحاطوا بهم من كل صوب وأوقعوا بهم هزيمة شديدة ومزقوهم شر ممزق وأسروا منهم عدة آلاف كان على رأسهم لويس التاسع ملك فرنسا وخمسين من كبار حاشيته وغنم المصريون عتادهم ومتاعهم ومعظم خيولهم (١) .

اعتقال الملك لويس التاسع مع شقيقيه وحبسه بمدينة المنصورة :

وفى دار القاضى فخر الدين بن لقمان بمدينة المنصورة اعتقل ذلك الملك ووكل بحفظه الطواشى صبيح المعظمى كما قبض على أخويه (شارل كونت أنجو ، والفونس كونت بواتييه) وهكذا سحق المصريون تلك الحملة الصليبية العتيدة التى بلغت خسائرها فى المعركة نحوا من خمسين ألفا بين قتيل وجريح وأسير .

وبهذا العمل المجيد قامت مصر بدورها التاريخى فى رد الخطر الصليبى الغاشم عن أرضها وعن بلاد الاسلام ، وفى تلك الموقعة الخالدة نظم الشاعر الكبير جمال الدين بن مطروح أنشودته الخالدة التى يقول فيها :

قل للفرنسيس (٢) اذا جئته
مقال نصح من قؤول فصيح

آجرك الله على ما جرى
من قتل عبّاد يسوع المسيح

اتيت مصر تبغى ملكها
تحسب أن الزمر ياطبل ريح

فساقك الحين الى أدهم
ضاق به عن ناظريك الفسيح

وكل أصحابك أودعتهم
بحسن تدبيرك بطن الضريح

خمسون الفا لا يرى منهم
الا قتيل أو أسير أو جريح (٣)

وفقك الله لأمثالها
لعل عيسى منكم يستريح (٤)

أن كان بابكم بذا راضيا

فرب غش قد أتى من نصيح (٥)

وقل لهم ان أضمروا عودة
لأخذ ثار أو لفعل قبيح

---

(١) المرجع السابق .
(٢) يقصد الملك لويس التاسع ذاته بقوله الفرنسيس .
(٣) وفى رواية سبعون الفا
(٤) يقصد بقولة عيسى : المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .
(٥) يقصد بابا روما الذى الب دول أوربا للقيام بتلك الحملات الصليبية كلها ضد الاسلام وبلاد المسلمين .

دار ابن لقمـــان عــلى حالهــا
والقيد باق والطواشى صبيح [1]

فداء الملك الأسير وانسحاب الصــليبيين مــن دميـــاط :

دارت المباحثات بين الفرنسيين الصــليبيين والمصريين بغية الافراج عن الملك الأسير ومن معه وقد تم ذلك بعد دفع فدية كبيرة عن الملك وأصحابه المعتقلين قدرها أربعمائة ألف دينـــار بذلت لجمعها زوجة ذلك الملك (مرجريت دى بروفانس) ملكـــة فرنســا وكانت يومئذ فى دمياط جهودا فادحة لجمعها بشروط طلبهـــا المصريون وافق الفرنسيون عليها منها :

١ ـ أن يسلم الصليبيون مدينـــة دميـــاط فورا للمصريين ٠

٢ ـ وأن يطلـــق سراح الأسرى مـــن الفريقين ٠

٣ ـ وألا يقصد ذلك الملك شواطىء الاسلام وبلاد المسلمين مرة أخرى ٠

ولكن بكل أسف لم يكن ذلك الملك الصليبى صادقا فى وعده الذى قطعه على نفسه اذ شق عليه عقب اطلاق سراحه فى مايو سنة ١٢٥٠ م أن يعود الى بلاده مباشرة وقد لطخت سمعته فضيحة الهزيمة وعـــار الأسر فيمم وجهتـــه للانضمام الى فلول الصليبيين الموجـــودين فى بعض بلاد الشام ومن هناك أخذ فى الاتصال بدولة التتار ويؤلب حكامهـــا على المســـلمين وبلاد الاســــلام ٠

ولما لم تأت مؤامراته بالنتائج السريعة التى يرجوها (اذ كانت تدفعه عصبية مجنــــونة ضد المسلمين) غادر بلاد الشـــام الى تونس فهاجمها الا أن حملته المذكورة فشلت أيضـــا وهلك هناك حيث دفن فى مدينة قرطاجنة قبل أن يصل الى بلاده يجرجر أذيـــال الخـــزى والهزيمة مرة أخرى [2] ٠

وبعـــد :

فان المسلمين ما سادوا وانتصروا الا يـــوم أن قهروا نوازع الخوف من صـــــدورهم ، وقتلوا بواعث التعود من نفوســـهم فعرفتهم ميادين الموت أبطالا يردون الغمرات ويركبون الصعاب ، وما طمع الطامعون فيهم الا يوم أن أخلدوا الى الأرض وأحبوا معيشـــة الســـلم وكرهوا أن يلبوا داعى الجهاد بالنفس والمال ٠

مع أن الاسلام دين فداء ودين استشهاد عرفه كذلك أسلافنا الأمجاد فاحترقوا أعصابهم وعظامهم فى سبيل الله ، لا يبالون بالمـــوت ٠ كيف ؟ ٠

وهو الذى يطلبون ، وفيه يرغبون فكـــان هذا الشعور الغامر هو الدعامة المكينـــة التى بنوا عليها تاريخهم وسجلوا فيهـــا صـــحائف خاودهم ، فعاش من عاش سعيدا ومات مـــن مات شهيدا ٠

وصدق الله تعالى فيما يقـــول (إِنَّ اللَّـــهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا) [3] ٠

---

(١) كتاب « مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام» للمرحوم محمد عبدالله عنان ٠

(٢) موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية « المجلد الخامس تأليف الدكتور احمد شلبى

(٣) سورة التوبة ١١١ ٠

٢

قضية الانتماء
في ضوء التشريع الإسلامي

د. عبد الله مبروك النجار

انتهينا فى المقال السابق الى بيان مدى أهمية الانتماء للاسلام ، كمدخل للاصلاح الفردى ، والتقدم الاجتماعى ، بالقدر الذى يجعل كل فكرة بديلة عنه ضئيلة أمامه ، كما حاولنا أن نستخلص معيارا موضوعيا يتسنى من خلاله ان نهتدى فى الموضوع الى سمات الفكر الصادق ، والرأى الراجح والتفكير القويم .

وقد استبان لنا بعد تمحيص شامل ، وتدبر كامل ، أن مناحى الفكر البشرى ، وهو بصدد الافصاح عن مضمونه ، قد تأخذ طريق العقل المجرد بعيدا عن هدى التشريع ، وصاحب مثل هذا الطريق ، لا يستطيع أن يدرك كل جوانب الحق ، لقصور مدارك العقل ، ووقوعه اسيرا لعدد من الأوهام التى تحول بينه وبين ادراك الحقيقة المجردة ، فضلا عن الغرور المقيت ، والاعجاب المفرط بالرأى الخاطىء ، وهى كلها مؤثرات تمثل غبارا كثيفا يجعل مهمة العقل غير المهتدى بمبادىء العلم ومعالم النور فى غاية المشقة . وليس هناك دين يستطيع أن يقدر على ادراك كل أسراره عقل مجرد ، والا لكان ارسال الرسل عبثا ، وهذا مستحيل على الله تعالى .

ثم ان الانسان لو ترك وعقله بعيدا عن دين يهديه ، وتشريع يأخذ بيده ، لكان ذلك ، أول دافع الى الفوضى ، وأقصر طريق الى الفساد ، لأن الحكم فى الأمور حينئذ ، سيكون للنزعة والهوى ، وتلك أمور لايقرها عقل ، ولايعترف بها منطق .

وهى تظهر أهمية الاعتصام بحبل الله ، والركون الى مبادىء التشريع ، ليقوم الانسان

◄

بها عقله ، ويهذب من خلالها فكره ، وكان هذا الطريق هو أحسن الطرق وأكملها باطلاق ، وكان واجب الاتباع لذلك .

ومما يؤسف له ، ان الدكتور زكى نجيب محمود ، وهو يقدم دراسته حول مشكلة الانتماء (١) ، قد هجر ذلك الطريق الواضح ، طريق العقل المستنير بالنقل ، وتنكب الطريق الآخر ، فجاءت الأفكار فى مقاله قاصرة ، والحقائق مغلوطة ، وكانت هذه بداية الأخطاء .

ماهو كائن ، وماينبغى أن يكون :

ومن مظاهر القصور فيما انتهى اليه الرجل، أنه قد خلط فى أفكاره خلطا واضحا ، بين ما هو كائن فى دنيا الناس من حالات فردية متغيرة ، وبين ما ينبغى أن يكون على ضوء القواعد المستقرة والمبادىء الثابتة ، فظن الفرع أصلا، والاستثناء قاعدة ، وهذا خطأ .

ولو أن كل فكرة يراد لها أن تسود يقررها كاتب سطورها كما يريد ما أتعب ذلك أحدا ، لأن الرد عليه سيكون فى غاية السهولة ، وليس بكاف أن تكتب الفكرة لتستقر ، وانما لابد أن تقوم على أساس من المنقول والمعقول .

فليس كل مايفعله الناس أو يقولونه حجة ، والا كانت الدراسة نوعا من الاستقراء الموقوف الذى لايجدى فى الوصول الى الحقيقة .

والمفروض فى البحث أن يتوخى غاية ، فاذا افتقد غايته ضل ، ونحن فى حياتنا نلمس تصرفات اجتماعية خطيرة يرقى بعضها الى حد انتهاك قيم المجتمع ، ولايعقل معها ان يقال ان ذلك هو الصحيح ، والا لصح فى سياق هذا المنطق أن نقول : ان الانحراف هو القاعدة ، والاستقامة استثناء ، والادانة أصل ، والبراءة فرع ، ولكان ذلك خضوعا لما هو كائن ، على حساب ماينبغى أن يكون .

فالولاء للدين أولا ، وبالأسبقية على غيره هو الذى يجب أن يكون ، ولايحول دون ذلك، أن يستدل الكاتب على خلافه ببعض الوقائع التاريخية ، والأمثلة الوقعية على نحو ما استشهد بموضوع « الشعوبية » .

والخلاف العلمى بين الكوفيين والبصريين فتلك الوقائع لاتصلح أن تكون مرجحا لما يقوله، فواقع الشعوبية لا يخرج عما أخبر الله عنه بقوله : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ »(٢) فاختلاف الناس فى الانتماء الى القبائل والشعوب لا يعدو أن يكون وسيلة للتعارف ، واداة للتمايز .

ومثل الشعوبية فى وقتها كمثل : المصرية والسودانية والسورية والسعودية ، واليمنية والتركية ، والهندية ، وغيرها فى وقتنا الحاضر، فهو اختلاف للتعارف والتمايز فى اطار الاخوة الاسلامية ، التى تستمد أعظم مقوماتها من الانتماء الاول للاسلام .

ومن المعروف أن الاسلام قد ربط بين البشرية جمعاء بهذا النسب الكريم ، لأنه الدين

(١) جريدة الاهرام الصادرة يوم ١٧ / ١٢ / ١٩٨٥ العدد ٣٦١٦٨ ص ١٣ .

(٢) سورة الحجرات ــ آية ١٣ .

الخاتم الذى بعث به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للناس كافة ، ومن ثم صار الانتماء اليه أصلا يبتغى ، وغاية تقصد اذ هو معيار التفاضل عند الله ، فالمعول عليه ، والرجاء فيه •

اما اختلاف البصريين والكوفيين فى الرأى، فهو اختلاف علمى لايمت الى النزعة القومية بصلة ولايحول دون ذلك أن يكون الرأى صادرا من عالم ينتمى الى قومية معينة ، فالنسب للقومية حينئذ لايتعدى مجال التعريف بصاحب الرأى لاشتهاره به ، ومثله فى التعريف به ، كغيره من الأدوات التى يمكن أن يعرف بها صاحب الرأى كالعلمية والكنية واللقب •

مثل : أبى حنيفة ، والشافعى ، ومالك وابن حنبل ، وغيرهم من مشاهير الفقهاء ، الذين اشتهروا بأسمائهم مجردة عن القومية ، وعلى هذا فليست هناك صلة بين الخلاف العلمى عند النحاة ، فى كل من البصرة والكوفة ، وغيرهم من العلماء الذين اشتهروا بقومياتهم وهذا مخالف لما انتهى اليه الكاتب فى مقاله •

الأهمية الأولى بالرعاية :

ولو صح ما انتهى اليه ، من اعطاء الأولوية للانتماء القومى ، على الانتماء للاسلام تأسيسا على أهمية الانتماء الوطنى وخطره فى حياة الناس ، أقول : لو كان الأمر كذلك وكانت علة الأولوية هى أهمية الشىء فى تقدير البشر ، وكانت النزعة القومية هى الأهم لذلك ، لشاركها فى تلك الأولوية كثير من الانتماءات الأخرى اذ الانتماء من منطلق الأهمية والخطورة بالنسبة للشخص اذا ما ابتعدنا عن دائرة الاسلام ، قد يكون لفكرة معينة ، أو لحزب معين ، أو لجماعة ، أو لفريق كرة ، بل قد يكون لشخص معين واعطاء تلك الانتماءات وصف الأولوية غير معقول ، رغم أنها مشتركة فى العلة مع القومية التى تقررت لها أولوية الانتماء ، والعلة هى الأهمية والخطر فى كل ، والا ، فما هو التفسير لموقف من يقتل نفسه حزنا على وفاة مطرب ، أو تأثرا لهزيمة نادية الذى يتعصب له ، ويشعر بالانتماء اليه •

ولاشك أن حصول الانتماء لمثل تلك الأمور من كثير من الناس لا يعنى أنه الانتماء الأولى• ومن ثم وجب أن يسرى ذلك الحكم ، على كل انتماء مشارك له فى العلة ، وهى هنا الأهمية الخاصة التى يستشعرها الناس فى هذه الاشياء الا انه اذا كانت الأهمية هى مناط الأولوية فى الانتماء ، وأخذنا فى الاعتبار أنها تقوم على مصلحة معتبرة من قبل الشارع سبحانه ، ولا تستبد الأهواء بتقريرها ، لكان الاسلام هو الأولى فى الانتماء اليه ، فليس هناك أهمية حقيقية تفوق أهمية الاسلام فى حياة المسلم وغيره ، كرسالة انسانية عامة تشمل الجميع بالعدل والرحمة • وذلك ما لايمارى فيه منصف ولا يغالط فيه معتدل •

أسباب الحروب غير قومية أصلا :

كما لا يجوز أن يكون وقوع الحرب بين المسلمين دليلا على استظهار الولاء القومى على الولاء الدينى لأن الحرب قد تقع بين فئتين داخل اقليم دولة واحدة ، بل قد يسود النزاع بين المسلمين داخل البيت الواحد ، وفى

الأسرة الواحدة ، كما هو واقع مشاهد ، وهو فى تلك الحالات لا يعنى أى نوع من نزعات الانتماء القومى ، وكل ما يدل عليه أنه سنة كونية يمكن أن تقع فى أى مجتمع لاختلاف النزعات وتباين الأهواء ، وصدق الله العظيم اذ يقول ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (١) فاختلاف الناس فى ظلال الآية الكريمة ، انما هو سنة كونية ، أقرب الى الفطرة منها الى الاكتساب ،

ومن مظاهره تفاوت الناس فى الفكر وتباينهم فى التدبير ، وهو ما يجر الى التنازع والتشاحن ، الذى قد يقتصر على مجال الأفراد أو يتعداه الى نطاق الجماعات ، فيأخذ شكل الحروب .

ومن المؤكد أن استدلال المفكر الكبير ، بنشوب الحروب فى عدد من المواقع الاسلامية وبين المسلمين ، على أولوية النزعة القومية انما هو استدلال واضح القصور ، لأن الحروب بين الناس لا تستمد دوافعها من النزعات القومية أصلا ، وانما الأصل فيها كما أخبر الله تعالى فى كتابه ، وكما هو واقع مشاهد ، ذلك الاختلاف الفكرى بين الناس ، والذى يتصاعد تحت تأثير عوامل مختلفة .

منها حب السيطرة ، والاستيلاء والاستعمار بشتى صوره ، ومختلف ألوانه ومنها أيضا تدخل النزعات القومية ، حين تكون دافعا يؤدى الى نشوب الحروب ، ومن ثم كان نشوب الحروب بين المسلمين فى وطنين مختلفين ، لايدل على أية أولوية للنزعات القومية ، أو الفوارق الوطنية على نحو ما استبان لنا ، وهو خلاف ما انتهى اليه الكاتب فى مقاله .

ترتيب لا يقره المنطق :

وقد يعد من أكبر المغالطات التى وقع فيها الرجل بشأن ما قرره عن نفسه بالنسبة لأولوية الانتماء عنده ، حين قال : « اننى لم أتردد منذ الوهلة الأولى فى أن أرتب خطوات الانتماء بذكر مصريتى ، فعروبتى ، فاسلامى ، بحيث أقول : اننى مصرى عربى مسلم » ، ثم اذا به يودع فى مقاله الحيثيات التى بنى عليها قراره هذا ، والتى هى بالتأكيد محل الشاهد لما نأخذه عليه مما اعتبرناه من أكبر المغالطات .

فيقول : « وذلك على الأقل ترتيب يمليه المنطق ، اذ هو يسير من الخاص الى العام ، فمصر جزء من الوطن العربى وهذا الوطن جزء من مجموعة أوطان يدين معظم أهلها بالاسلام » ، وما كنا ننتظر من المفكر الكبير استاذ الفلسفة والمنطق ، ان يلوى رءوس المسائل الى هذا الحد ، ويقلب معانيها بهذا القدر ، ليصل من خلال هذا الالتواء الى ما يريد أن يقرره من أمور بنيت على حيثيات خاطئة .

ومن ثم جاءت وفقا لمقدماتها مغلوطة وخاطئة ومن المؤكد أن فيما قرره الرجل قلبا للموضوع ، ولو أننا فكرنا بمثل طريقته المتواضعة ، فلن

(١) سورة هود : آية ١١٨ .

يعجزنا أن نقول ردا عليه : ان العكس هـو ما يمليه المنطق ، فأنا ـ كاتب هذه السطور ـ لن أتردد بعضا من لحظة فى أن أرتب خطوات الانتماء ، بذكر اسلامى اولا وقبل كل شىء ثم عروبتى ، فمصريتى ، وأقرر أن ذلك هو مـا يمليه المنطق لأنه يبدأ بالعام ، وينتهى بالخاص، وما أسهل ذلك التقرير .

ولكننا حين نقرر ذلك ، لا نرسل القول على عواهنه ، ولكنه يقوم عندنا على أسـس صحيحة من مبادىء المنطق ، التى أراد الرجل أن يعتصم بها ، فاذا بما ظنه دليلا له انما هو فى الواقع دليل عليه ، وما اعتقده حجة لقوله اذا به يطعن رأيه .

البدء بالعام والانتهاء بالخاص :

ذلك أن قواعد المنطق ، وهى بصدد تبيـان الوسائل الموصلة الى اكتسـاب المجهولات التصورية ، من خلال ما تقرره من أمور اذا رتبت على وضع مخصوص ، وكانت معلومـة أدت الى تحصيل أمر مجهول، فاذا كان المجهول أمرا تصوريا ، يراد الكشف عن ماهيته وقـع الترتيب فى بعض أمور هى الكليات الخمس ، والكليات الخمس ، تبدأ بالنوع ، وهو الكلى المقول على كثيرين متفقين فى الحقيقة (١) . « وهى فى موضوعنا الاسلام » ثم يفصـل هذا الموضوع الكلى بما يخصصه ، أو بالفصل وهو أحد هذه الكليات .

وذلك كقولنا : الانسان حيوان ناطـق ، فحيوان ، جنس فى التعريف أى كلى يصدق على كثيرين ، كالانسان، والأسد ، والفرس، وناطق فصل فى التعريف خاص بالانسان وحده ، وقد ميز بينه وبين غيره ممن يشتركون معـه فى الجنس والكلى حين ينسب الى غيره ، فان كان يصدق كل ما يصدق عليه الآخر من غـير عكس أفاد العموم ، وذلك كالحيوان والانسان، فكل انسان حيوان ، وليس كل حيوان انسان فالنسبة بينهما هى العموم والخصـوص المطلق .

فالحيوان أعم من الانسان لشموله جميع أفراد الانسان ، والانسان أخص منه لأنه مندرج فيه (٢) .

واذا صح ذلك ، وهو مسلم به على الراجح لأصبح الترتيب المنطقى للماهيات المختلفة ومنها الانتماء أن تبدأ بالعام وتنتهى بالخاص ولاشك أن الاسلامية أعم من المصرية ، فهناك كثير من الدول غير العربية تنتمى الى الاسلام ، وهذه الدول غير العربية هى بالطبع غير مصرية .

ولا شك أن وصف الاسلامية يصدق على المصرية ، ومن غير عكس ، فكل مصر اسلامية، وليس كل دولة اسلامية مصرية ، ومن ثم تكون العلاقة بين الاسلامية والمصرية ، هى العموم والخصوص المطلق ، ويكون الأولى والأصوب ، اذا أردنا فعلا الاحتكام الى المنطق السليم ، أن نبدأ بما يقرره فنقول : ان ماهية الانتمـاء بالنسبة للمصرى هى : الاسلامية العربيـة المصرية ، وهو المطلوب اثباته .

(١) راجع : تيسير القواعد المنطقية ـ شرح للرسالة الشمسية ـ للدكتور محمد شمس الدين سالم ـ ص ٥٩ ـ الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

(٢) المرجع السابق ص ٨٥ .

غير المسلمين فى الانتماء للاسلام :

وقد يفهم من قول الكاتب فى مقالـــه (١) « فالدستور والقوانين والنظم والتقاليد تفرض على المواطن ـ أحب ذلك أو كره ـ كثيرا جدا من الواجبات التى لا اختيار له فى القيام بها ، كما أنها كذلك تقرر له كثيرا جدا من الحقـــوق دون أن يكون لنوع عقيدته الدينية دخـــل فى الامر .

واذن فمصرية المصرى هى الأساس .. الى أن يقول : على أن المثل الأعلى للمجتمع السوى هو أن نجد ما يشعر به المواطنون من داخل دولتهم فى ترتيبهم لدرجات انتمائهم ، متطابقا مع ما تتطلبه منهم الدساتير والقوانين والنظم والتقاليد . فاذا ما تحققت لنا تلك الحالـــة المثلى جاءت مصرية المصرى صفة أولى عن حب ورضا وطواعية . أقول : وقد يفهم من قوله هذا ومن عبارته تلك أنـــه أراد أن يستشـــهد على أولوية الانتمـــاء القـــومى بمـــا تقرره الدساتير فى نصوصها ، والقوانين فى موادها ، والتقاليد فى اتجاهاتها ، من تقرير حقـــوق للمواطنين ، وفرض واجبات عليهم ، وذلك من خلال اتفاقهم جميعا فى أســـاس تقرير تلك الحقوق ، وفرض هذه الواجبات ، وهـــو الأساس الوطنى الذى يجمع بين المواطنين ، ولا يفرق بينهم على أساس من الـــدين أو العقيدة ، والأمر الذى يرجح عنده أولـــوية الانتماء القومى على الولاء للاسلام .

دليل لأولوية الانتماء للاسلام :

والواقع ان ما ظنه دليلا لما يريد أن يقرره ، هو فى الأصح دليل عليه ، وحجة قاطعـــة فى وجوب القول بغير ما أراد الرجل أن ينتصر له ، ليكون قوله هذا برهانا يؤيد أولـــوية الانتماء للاسلام ، ذلك أن القرآن الكريم ، وهو مصدر التشريع الأول ، ودستور الاسلام الاكبر ، يقرر للبشرية كلها حقوقا سبق كـــل الدساتير الموضوعة فى احترامها والمحافظـــة عليها كما يفرض على الناس واجبات تستهدف المحـــافظة على تلك الحقـــوق فى موازنـــة عادلة بين الفرد والجماعة ، بما يخلق الفـــرد الكامل ، والمجتمع القوى .

وهو حين يقرر هذه الحقوق ، ولا يخص بها فردا من الناس أو فئة على حساب الآخرين ، وانما الكل فى اثبات تلك الحقوق وواجباتها على درجة سواء .

ولهذا كان القرآن الكريم واضح الدلالـــة فى هذا المعنى ، حين يوجه الخطاب الناطـــق بوحدة الاصل فى تقرير الحقوق الأساســـية للانسانية على درجة سواء ، فلم يخص بالخطاب المسلمين أو المؤمنين ، وانما خاطب النـــاس جميعا مسلمين وغير مسلمين .

يدرك هذا من يتأمل الآيات الواردة فى هذا الشأن ، ومنها قوله تعالى : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** (٢) » .

---

(١) جريدة الاهرام ـ الصـــادرة بتـــاريخ ١٩٨٥/١٢/١٧ ـ ص ١٢ ـ مقال حول مشكلة الانتماء ـ للدكتور زكى نجيب محمود

(٢) سورة الحجرات ـ آية ١٣ .

وقوله تعالى « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً »(١)

حيث يتوجه الخطاب فى هاتين الآيتين الكريمتين الى الناس جميعا ، وهو ما يدل على استواء البشرية كلها ، وتساويها فى الحقوق الأساسية التى تثبت للانسان بصفة الانسانية ، وهى تصدق على الجميع بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم وعقائدهم .

وقد أكد النبى - ﷺ - هذه المعانى فى خطبته المشهورة فى حجة الوداع حين قال : « أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، اكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعجمى على عربى ، ولا لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى ، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

وترتيبا على ذلك أهدر الاسلام التفرقة فى المعاملة بين الانسان وأخيه الانسان على أساس اختلاف العقيدة فقال : « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ » . ٢

وفى ظلال القرآن ، تقررت الحقوق الرئيسية لكل الناس ، وغير المسلم كالمسلم تماما فى حماية تلك الحقوق ، لأن الاسلام يسمح بالتعدى على أى حق من حقوقه ، فدمه مصون، وماله محفوظ ، وعرضه محمى بكتاب الله تعالى وسنة نبيه - ﷺ - واجماع الفقهاء ، وعمل الصحابة .

وعلى هذا النحو جمع الاسلام بين الانسانية كلها فى اطار من الاخوة التى تجعل الاسلام هو الأولى فى الانتماء اليه ، وذلك من خلال منطق الكاتب ، بل ان الدساتير والقوانين التى استشهد الرجل بها هى التى تقر للاسلام بهذا الحق فهو فى نظر الدستور الدين الرسمى للدولة فى كل الدول الاسلامية ، كما أنه المصدر الرئيسى للتشريع فى هذه الدول .

وقد ظل غير المسلمين طوال العهود الاسلامية ، وفقا لولائهم الاول للدولة الاسلامية ، مواطنين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، دون أدنى تفرقة فى هذا المجال ولم يعرف المجتمع الاسلامى فى تاريخه أوصافا ، مثل « الاقليات والملل » الا فى مرحلة أفول الدولة العثمانية ، فى القرنين الثامن والتاسع عشر ، وكانت الدول الغربية هى التى اختلقت أمثال تلك المسميات ، لتكون ذريعة للتدخل فى شئون تلك الدول بحجة حماية هؤلاء والدفاع عن مصالحهم (٣) .

فلو صح منطق الكاتب ، لكان فى واقع الأمر دليلا لأولوية الانتماء للاسلام .

وقد يتساءل القارىء عن البديل الاسلامى ، لأفكار قامت على غير أساس سليم فتساقطت أمامه ، أو بعبارة أخرى ، ما هو مضمون الانتماء للاسلام ، التى تشير كل المقدمات الى استحقاقه للأولوية عن جدارة ؟ .

والاجابة عن هذا التساؤل هى ما يستضمنها مقالنا القادم باذن الله ، والله الموفق والمعين .

---

(١) سورة النساء - الآية الاولى .
(٢) سورة البقرة - آية ٢٥٦ .
(٣) راجع فى هذا المعنى : فهمى هويدى - مصر الاسلامية بغير حساسية - مقال منشور بجريدة الأهرام نفس العدد المشار اليه ص ٧ .

الفتاوى

س : من السيد / ا ٠ ع ٠ الشريف ٠ جامعة القاهرة
ما حكم سفر المرأة وحدها ؟

ج : رسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : « لا تسافر المرأة الا معها ذو محرم فقام رجل فقال:يا رسول الله، ان امرأتى خرجت حاجة وانى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا فقال:انطلق فحج مع امرأتك » متفق عليه ٠

وبذلك فليس للمرأة أن تسافر وحدها حتى ولو كان سفرها للعبادة الا اذا كان معها زوجها أو محرم لها أو نسوة ثقات ، سواء فى ذلك السفر القصير والطويل ٠

س : من السيد / ط عبد السلام ٠ الشرابية ــ القاهرة ٠
هل يجوز للانسان أن يقيم مصطبة أمام منزله فى الطريق العام ويقيم عليها أعمدة ؟

وهل يجوز له أن يقتطع جزءا من الطريق العام يضمه الى منزله ؟

ج : الطريق منفعة عامة للناس ، وليس للانسان أن يفعل فى الطريق العام مايؤذيهم أو يضيق عليهم ٠

وعلى ذلك فالخروج فى الطريق العام بالبناء حرام ، سواء كان ذلك مصطبة أو أعمدة أو غيرهما ٠

س : من السيد / م ٠ م ٠ جلال مصر الجديدة ٠
امرأة حامل فى شهرها الخامس بطريق غير شرعى ، تقدم لها رجل وعقد عليها قرانه بغرض التستر عليها ٠٠ فما حكم هذا العقد ؟ وما حكم الجماع مع هذه المرأة ؟

ج ــ ذهب الأحناف الى جواز العقد على الحامل من الزنا وحرموا أن توطأ حتى تضع حملها ، وحتى لا يسقى ماؤه زرع غيره ٠

وذهب الجمهور الى عدم جواز العقد ، وحرموا عقد الزواج عليها ٠

س : من السيد / س٠ أ٠ عصفور
هل تجوز امامة شارب الدخان ؟

ج : تجوز امامة شارب الدخان وتجوز الصلاة خلفه وتكون صلاة المأموم صحيحة ٠

س : من السيد / م ٠ جاد ٠٠ الزقازيق ٠

اعداد : عبد الحميد السيد شاهين
ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

توفيت أمراة عن : ابنين ، بنتين ، أولاد بنت • فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركه هذه المتوفاة وصية واجبة لأولاد البنت المتوفاة قبل أمها بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة

المعمول به من أغسطس سنة ١٩٤٦ ، فتقسم التركة سبعة أجزاء : جزء منها وصية واجبة لأولاد البنت المتوفاة ، يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى • والباقى وهو ستة أجزاء هو الميراث للابنين والبنتين الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى •

س : من السيد / ع • الصاوى • المنصورة •

توفيت عن : أربع أخوات شقيقات ، أم ، أخت لأب ، أولاد عم ذكور • فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأخوات الشقيقات الثلثان فرضا لعدم من يحجبهن أو يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى • وللأم السدس فرضا لوجود

عدد من الأخوات •

والباقى لأولاد العم الشقيق الذكور تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى •

ولا شىء للأخت لأب لاستغراق الشقيقات الثلثين •

س : من السيد / م • رياض • طنطا •

توفى رجل عن : زوجة ، ثلاث بنات ، ابنى أخ شقيق • فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث •

وللبنات الثلاث الثلثان فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى •

والباقى لابنى الأخ الشقيق تعصيبا يقسم بينهما بالتساوى •

س : من السيد ن • س • الصياد • بورسعيد •

توفى عن : زوج بنت ، أخ واخت أشقاء • فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث •

وللبنت النصف فرضا لعدم وجود من يعصبها •

والباقى للاخ والأخت الشقيقتين تعصيبا يقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى •

والله تعالى أعلم ••

مصطفى المنفلوطي
من وجهة إسلامية

تاريخ الأدب الاسلامى المعاصر فى حاجة الى تدوين كاشف ، يسجل قضاياه ، ويتحدث عن رجاله ، اذ أن مدرسة الامام محمد عبده التى ارتسمت خطاه فى تحليل المسائل الاسلامية ، ومعالجة المعضلات الدينية لا تزال تتطلب الدراسة البصيرة من ذوى الأقلام الجادة ، ونحن نعلم أن أعلام هذه المدرسة من أمثال محمد فريد وجدى وعبد العزيز جاويش ومحب الدين الخطيب ومحمد مصطفى المراغى ومصطفى صادق الرافعى قد كتبوا أنضر الصفحات الزاهرة فى الدفاع عن مثل الاسلام ومبادئه . كما أورثوا بيانهم الحار طائفة من الخالفين هم اليوم أعلام الفكر الاسلامى .

ونريد الآن أن نتحدث عن تلميذ جهير من تلاميذ الامام محمد عبده تبوأ زعامة البيان العربى فى عصره ، وكان صوته الأدبى أرفع الأصوات الرنانة فى سماء النثر الأدبى البليغ ، وهو السيد مصطفى لطفى المنفلوطى ، الذى كتبت عنه بعض الدراسات الجادة ، فتحدثت عن تأثيره النفاذ فى قارئى عصره وبينت رسالته الأدبية حين فاجأ القراء بأسلوب رقيق نابض ، يتوهج بالعاطفة ، ويصدح بالموسيقى ، وتجد القارىء منتشيا بروعته ، ولكن الجانب الاسلامى من نتاج المنفلوطى لم يسلط عليه الضوء المشرق ، وهو بعد من أبرز الجوانب فى نتاجه ، بل ان المنفلوطى ما كتب روائعه الخالدة الا وروح الاسلام تخفق فى حناياه وتأتلق فى عينه ، ولأمر ما نابذه بعض الناقدين العداء ، فحاولوا الغض من مكانه الأدبى ، واعتبروا أدبه أدب عصر لا أدب لغة عريقة ستبقى ما بقيت السموات والأرض ، وهى دعوى كررت عليها بالنقض على صفحات الرسالة من قبل وكان مما قلت (١) .

لقد ظن المغرضون أن أدب المنفلوطى لا يملك أسباب بقائه لتعلات يفتعلونها ، ففيهم من يقول عنه : انه أديب يعنى بالديباجة البيانية وسلاسة التركيب ، دون أن يقدم الفكرة الحية ، والمعنى الدقيق . فاذا قلت لهؤلاء : انه لا يوجد أدب

---

(١) مجلة الرسالة العدد (١٠٠٧) ٢٠/١٠/١٩٥٢ .

للدكتور محمد رجب البيومى

يأخذ بالألباب دون أن يحمل الفكرة الحيــة ، والمعنى الهادف ، مع ما تعترفون به من جمال الثوب ونضارة التعبير ، وجدتهم يتركون هذا النقد الى غيره ، فيقولون : انه وقف ببيانه عند تصوير البؤس والحرمان وما يدفعان اليه من كآبة موحشة ، وكان عليه أن يرسم من الحياة جانبها الباسم الوضيء ، كأنما كان عليه فى رأيهم أن يتنكر لعواطفه الانسانية فيغرد ويبتسم فى مجتمع بائس مريض •

وقــد يتحــذلق ناقد ثالث فيزعم أن أدب المنفلوطى اذا ترجم الى لغة أخرى فقد رونقه وضؤل معناه ! والمترجم الأصيل هو الذى ينقل المعنى فى جوه المعبر ولفظه الموحى • واذ ذاك لايفقد أسلوب المنفلوطى شيئا ذا بال ، وكيف نحاسبه على اساءة غيره حين يعجز المترجم عن التعريب المبين ! ان أكبر الأدلة على قوة بيان الرجل هو خلود أدبه فقد طبعت كتبه المتعددة بعد وفاته مرات تتجاوز العشرين فى أكثرها ! ومازال الشــباب يجــدون فى « النظــرات » « وما جدولين » و « الفضيلة » و « الشاعر » ما يغذى عواطفهم الجائعة ويروى مشاعرهم الصــادية ، بل ما تقهقرت كتب القــراءة فى المدارس الثانوية الا حين تركت آثار المنفلوطى والزيات والرافعى والمازنى والحكيم والعقــاد والبشرى ، وأخذت تنقل يوميات الصحفيين ، ومقالات المفروضين على التأليف لأمور لا تمت الى الفن الأصيل بأدنى سبب ، ويوم يعــود



لكتاب القراءة بالمدارس مجده السالف تزدهر الفصحى على أسلات الناشئين •

ولد الكاتب بمنفلوط سنة ١٨٧٦ فى بيت علم وقضاء لأن والده كان قاضيا شهيرا ، وتوارثت أسرته القضاء مدى مائتى عام قبل أن يســتهل المولود الجديد ، وكان الوالد ذا ثراء يحمى من الفقر وقد ترك أرضا واسعة تقسمت بين ورثته فنال الكاتب منها ميراثا طيبا ، ومعنى ذلك أن نشأته كانت مكفولة الرزق هانئة العيش ، فــلا سبيل لتصديق من قال : انه عالج مشــكلات الفقر لما جوبه به فى الصغر ، ولئن صدق هذا القول على أدباء من معاصريه ، فانه لم يصدق

على المنفلوطي وحسبك أن تعرف أنه كان متزوجا وهو طالب ! ومعنى ذلك أن أباه قد شمله بأكثر مما تتسع الضرورة حيث بسط له باب الهناءة الزوجية في عيش مستقر ، فروح المصلح التي اتجهت بالكاتب الى المشاركة الوجدانية حين تحدث عن ويلات المرض والجهل والفقر والاستعمار ، وهي ويلات بعثت لهيبها في عصره ، وأحسها الكاتب الرقيق احساس العاطف الراحم فأخذ يمسح دموع الباكين بقوله وفعله ، أما القول فنحن نعرف ما قال ، أو بعض ما قال ، مما جمع في آثاره ، وأما الفعل فالواقع المشهود ينطق أنه باع ميراثه من أبيه توسعا في الأريحية ، ومشاركة لمن طلب منه المواساة ، وكم تحدث معاصرو المنفلوطي عن بلايا الفقر ، ولكن سطوة صاحب النظرات كانت أنفذ تأثيرا ، لأن قوة احساسه بالمآسي التي تحوطه قد أشعلت زفرات قلبه فكتب بين نبض فؤاده ، ومن مداد شعوره ما جعل حديثه سريع النفاذ الى القلوب ، وما كاد الابن الناشيء يحفظ القرآن ، ويستطيع القراءة في الكتب ، حتى اتجه الى استظهار المأثور من الشعر والنثر عن طبيعة ملهمة خلقت للتعبير الهاتف والتغريد على أفنان الحياة بما يشجي ويطرب ، وكان من أصدقاء والده أديب راوية يفد الى مجلسه الليلي بعد صلاة العشاء للسمر والمطارحة ، فاتجه مصطفى اليه مستعينا بتوجيهه ، وعلى يده تعرف الفتى الناشيء بأصول البيان في ذخائره القديمة فقرأ المطبوع من دواوين القدماء واقتنى الأغاني والعقد وزهر الآداب ، ثم تهيأ للالتحاق بالأزهر ، وقد نما ميله الفني الى الأدب .

هل حارب الأزهر الأدب ..

والذين كتبوا سيرة الأديب الكبير يطيلون في حديث المعاناة الشاقة التي لقيها بالأزهر من جراء اهتمامه بالأدب والشعر ، وهو حديث مجوف ممتد كما يتوهم التخيل ، فلم يكن بالأزهر لعهد المنفلوطي ومن تلاه من يقاسم الأدباء من ناشئته العداء ، فكل طالب أن يقرأ ما يريد من كتب الأدب اذا أنس ميلا دافعا الى صحفه ، ولكن درس الأدب لم يكن بين مواد الامتحان فحسب ، وقد اتجه السيد المرصفي صاحب (رغبة الامل) الى تدريس الكامل مدى متصلا فما عورض الا بسبب خارجي عن محيط الدرس اذ أسرف بعض الطلاب في حديث مشتط عن مكان مقدس ، فجاءت المعارضة من هذا الوادي : لقد كان البشري ومصطفى عبد الرازق وطه حسين والزيات والبرقوقي وأحمد شاكر يقرءون كتب الادب في عهد الطلب ولم يسبقهم المنفلوطي في طلب العلم بغير بضعة أعوام فما وجدوا جميعا من قال لهم . ان الأدب بنثره وشعره يحرم تداوله : بل كان الامام محمد عبده يشرح لنابغة الطلاب كتابي عبد القاهر الجرجاني الذائعين ، وهما « أسرار البلاغة » و « ودلائل الاعجاز » وفيما يتضمنان من روائع الشعر والنثر ما يقدم الزاد الأدبي الحي للطلاب ، فما استنكر أحد تدريس الكتابين ! وظلا الى الآن من أنفس ما يدرس بكليات اللغة العربية والأزهر ، فالقول بأن الأزهر حارب قراءة الشعر والأدب في مطلع هذا القرن ذو مبالغة ، لأن طالبه كان حرا في اختيار المادة ، وحرا في اختيار الأستاذ ، فليت

شعرى أيكون مقيدا حين يترك ساحة الدراسة ويقرأ فى بيته كتابا كالأغانى أو العقد الفريد أو زهر الآداب ! واذا كان ذلك كذلك فكيف نبغ طلاب الأزهر لهذا العهد وأصبحوا من زعماء الأدب وفيهم على يوسف وسعد زغلول ومحمد المويلحى وعبد الله فكرى وحسين المرصفى وسيد بن على المرصفى ومصطفى لطفى المنفلوطى وغيرهم ممن أشرنا اليهم فى هذا المقال !

لقد ذهب المنفلوطى للقاهرة والتحق بالأزهر ، ولكنه لم يصبر على قراءة كتبه العلمية فى الأصول والفقه والمنطق والتوحيد فآثر أن يتفرغ للادب ، ورأى الجرائد تفسح أبوابها لشعره ونثره فاتجه الى ما تيسر له النبوغ فى ميدانه ، وحسنا فعل اذ صار نابغة الكتاب ورأس الأدباء .

محمد عبده .. القدوة .

كانت شخصية الامام محمد عبده موضع الجذب السريع لكل أزهرى طامح ، فالرجل بأعماله الاصلاحية ، ومواقفه السياسية ، ومقالاته الفكرية ، صار امام العصر ، يسأل فيجيب ، ويستعان فيعين ، والمنفلوطى يرصد كوكبه عن بعد ، راجيا أن يتسامى الى أفقه فى مقبل عمره ، واذا كان الامام مفسر كتاب الله ، ومفتى الديار المصرية ، ودارس العلوم الشرعية فهو من هذه الناحية فوق متناول الأديب الناشىء ، ولكنه من الناحية الأخرى شارح نهج البلاغة للامام على بن أبى طالب ومحقق المقامات للبديع الهمزانى ، وأستاذ البيان فى كتابى عبد القاهر ، وصاحب المقالات الفكرية التى تشرق بها أمهات الصحف ، فليكن قدوة المنفلوطى فى هذا المجال ، وليكثر الاصغاء الى دروسه فى البيان وآيات الكتاب ليتمتع بنمط من القول لا يوجد عند سواه ، ولدى الناشىء قريحته المواتية ، وموهبته الهادئة ، وقد خفق قلبه بالحب فجرى لسانه بالشعر ورأى البارودى زعيم النهضة الشعرية يتسنم ذروة مجده بما أبدع من قصائد ، فليجر على نمطه ، وليبتدىء قصائده بالغزل فالفخر فالحكمة فالقول فى السياسة ، وليسر على سنن تلاميذه من أمثال شوقى وحافظ ومحرم والكاشف ونسيم ، وكانت مجلة الصاعقة تفسح رحابها لقصائد السياسة ، وللامام اتجاهه فى منابذة الخديوى بعد أن تعذرت ملاينته فلينشر قصائده السياسية متبرما بالاحتلال ، وهذا ما لا اعتراض عليه ، اذ كانت سياسة اللورد كرومر أن يطلق الاقلام ، ويرسل الألسنة (١) ، لأن القول لا يسقط بناء امتدت جذوره ورسخت قواعده ، وما اشتهر حافظ ومحرم والقاياتى والكاشف والنديم الا بما قالوا فى هجاء الاحتلال دون أن يقف فى وجوههم أحد قبل أن يصدر قانون المطبوعات فيما بعد ، ولكن المنفلوطى لم يقف فى أهاجيه عند الاحتلال فقد هجا الخديوى عباس بقصيدته الشهيرة :

قدوم ولكن لا أقول سعيد
وعهد وان طال المدى سيبيد

---

١) الألسنة .

تذكـرنا رؤياك أيـام أنـزلت
علينا خطوب من جدودك سـود
رمتنا بكم مقـدونيا فأصـابنا
مصوب تسهم بالبـلاء سـديد

فأحدث ضجة انتهت بمحاكمته وسـجنه ، ولكنها جعلت اسمه على كل لسان ، ولا ننكر أن فريقا من المخلصـين قد هبـوا للدفـاع عن المنفلوطى ، فهونوا من جريرته ، وعدوها نفثة تبددت فى الهواء دون أن تترك صـدى ، ولكن القضاء قد حكم ، والشاعر قد سجن أكثر من عام ، وقد خرج لا ليتوب عن الهجو الشعرى بل ليعود اليه على سبيل التلميح الهـادىء ، لا التصريح المجلجل فهو يمدح الأستاذ الامام مشيدا بفضائله ، ويلمح الى الخديوى بقوله مخاطبا محمد عبده :

وما صـاحب العرش المـدل بتاجـه
بأعرق مجـدا منـك فى موقف الفخر
وكم بين عرش من لجين وعسـجد
يصـاغ ، وعرش من ثنـاء وذكر
وكم بين مجد الدين والعـلم والتقى
ومجد القصور الشم ، والعسكر المجر

وهى موازنة كان من الممكن أن تفتح بـاب الشر ، ولكن الله سلم ، فلم يؤاخذ منشئها لأنه يوازن فحسب !! ولكننا نأخذ من هذه المدائح وأمثالها ما ينبىء عن منزلة الامام فى نفسـه ، لأنه بشهادة هذا القول أعظم من صـاحب العرش ، وكذلك كان يرى صفوة المثقفين من حواريى الامـام ، وهو رأى تأكد عن ثقوب فاحص ، وتقدير عاقل لقيم الأبطال .

ولكن حياة الامام لم تطل ، فقد غادر الحياة سريعا ، وعيون تلاميذه ترتقب شعاعه الآلق فى الليلة الظلماء وفيما جمعه السيد محمد رشيد رضا من مراثى الامام شـعرا ونثرا بالجـزء الثانى من تاريخه ما يصـور هول الفجيعـة القاسـية فيه ، وقد انتـابت المنفلوطى أزمة نفسية بعد رحيـل قـدوته ، فرأى أن يترك القاهرة الى منفلوط ليجد فى صـحبة الأهـل ما يخفف برحاءه ، وهو رحيل ينبىء عن أمـل تهدم ، ورجاء ذوى .

رجوع الأديب الى منفلوط ..

نزل مصـطفى المنفلوطى بلدته ، تسـبقه شهرته الأدبية ، وتاريخه السياسى ، وقد رحب والده بمقدمه لينجو من مخاطر شـعره فى القاهرة ، فأقبلت طـوائف المتأدبين للترحيب به ، وجعل يعقد الندوات الأدبيـة فى منزله ، ويجمع حوله من يتدارس معهم دواوين الشعر وكتب التراث الأدبى من لداته ، وكان فى رخاء والده ما أسعفه بالرفاهية المعقولة والاحتفـاء بزائريه ، ولكن حـديث الندوة المنفلوطية عن أدبه جذبه الى معاودة الكتابة ، فبدأ يراسـل المؤيد بمقالات اجتماعية ذات نمط بيانى عرف به ، فرحب به الشيخ على يوسـف صـاحب الجريدة ، وأنزل مقالاته فى الصدر من صفحاتها وكان المنفلوطى قد ترك الشعر الموزون لينتقل الى شعر مرسل بلا قافية أو بحر ، فكنت تجد روح الشاعر فى مقالاته مرفرفة مغردة ، ووجد قراؤه أنفسهم أمام بيان ينفرد بسـلاسته ونصاعته بين ما تمتلىء به المؤيد وغير المؤيد من ثمرات الكاتبين ، ولم يكن المجال خاليـا لمصطفى حتى يقال انه فقد الشريك فى الصحف فظهر على حين فترة من الخواء ولكن كتابا كبار

من أمثال قاسم أمين وأحمد فتحى زغلول وعلى يوسف وفريد وجدى ، وأحمد لطفى السيد ومحمد مسعود وأحمد حافظ عوض كانوا يتبارون معه فى شوط واحد ، وفيهم من تثقف بعلوم الغرب ونهل من ثمار العصر ، ولكنهم دونه سطوة نفاذ ، وقوة تأثير ، لأن أسلوبه كان موسيقى تصدح ، لا كلمات تنضد ، ولأن هواتف الشعر قد انطلقت من صدره لتفصح عن عاطفة مشبوبة ، ووجدان رقيق .

لست أقول هذا القول عن ظن راجح بل عن يقين جازم عبر عنه الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات حين سرد ذكرياته عن المنفلوطى فى مفتتح عهده بالمؤيد فقال صاحب الرسالة :

« أشرق أسلوب المنفلوطى على وجه المؤيد اشراق البشاشة ، وسطع فى أندية الأدب سطوع العبير ورن فى أسماع الأدباء رنين النغم ، ورأى القراء والادباء فى هذا الفن الجديد ، ما لم يروا فى فقرات الجاحظ ، وسجعات البديع وما لا يرون فى غثاثة ، وركالة الترجمة ، فأقبلوا عليه اقبال الهيم على المورد العذب » .

كان هؤلاء النفر من الايفاع التأدبين (٢) يجلسون فى أصائل أيامهم الغريرة أمام الرواق العباسى يتقارضون الأشعار ويلهون باغفال الناس ، ويترقبون « مؤيد » الخميس ليقرءوا مقال المنفلوطى خماس وسداس وسباع ، وطه « طه حسين » مرهف أذنيه ، ومحمود (محمود حسن الزناتى) مسبل عينيه وفلان « يعنى نفسه » مأخوذ بروعة الاسلوب فلا ينبس ولا يطرف ، وكلهم يودون لو يعقدون أسبابهم بهذا المنفلوطى اصطفاه الله لرسالة هذا الأدب البكر وجعله الامام المفتى تلميذه المختار ، ولكن المنفلوطى فى هذا العهد الذى قرأناه فيه قد جاوز الثلاثين ، فهو قليل الالمام بالأزهر ، لا يجلس الى شيخ ولا يأوى الى رواق ، وكان قد هيأ نفسه ليكون كاتبا لا عالما ، فلم يجعل همه لامتحان ، ولم يشغل ذرعه بشهاده .

مصادر أدب المنفلوطى

تلك شهادة الزيات عن أثر المنفلوطى فى قرائه وهى شهادة تدعونا الى الوقوف قليلا لنبحث عن سر هذا الابداع الجديد الذى ائتلق به صاحب النظرات ، وهو سر يرجع الى نفس الكاتب التى تجيش بشتى الأحاسيس ، وتترقرق بأعذب الخواطر ، حيث جعلها الكاتب مرجعه الأول فى كلما يسطر لم يكن المنفلوطى ممن يهتمون بقراءة المعارف المختلفة ليفند من أفكارها مقالا حافلا بالمعانى،فذلك ديدن الباحث الدارس ، لا الفنان المستشف ، ولكنه كان يتأمل أحداث مجتمعه ويرى ما سلط الله عليه من الفقر والجهل والمرض ، ثم يمتد ببصره الى ذوى اليسار من العابثين باللهو ، المولعين ببهارج الحضارة من بذخ وتبذل ومجون ، فيرى أكثرية جائعة تبكى ، وأقلية ضائعة تضحك ، والرجل من احساسه المرهف فى نار مشتعلة فهو يتأوه لدمعة اليتيم ، وتضور الجائع وبرد العريان ، وصراخ المريض وما أكثر هؤلاء فى مصر وفى غير مصر .

---

(١) مجلة الرسالة افتتاحية العدد ٢١٠ سنة ١٩٣٧ .

(٢) يعنى بهم الزيات أصدقاءه من طلبة الازهر .

ليس المنفلوطى بحاجة الى قراءة الكتب لاصطياد المعانى وتلفيق الافكار فأمامه كتاب المجتمع متعدد الأجزاء ، ممتلىء الصفحات كثير الصور والأحداث ! هنا مجال الأدب التصويرى لمشاهد البؤس ، ومظاهر الأسى ، وهنا يعبر المنفلوطى عن أحاسيس الناس ويضرب على أوتارقلوبهم بما يسبى العقول ويفتن المشاعر ، ومدده الزاخر فوق أحاسيسه اللاهبة ما حفظه من تعاليم القرآن ، وأخلاق النبوة ، وسير السلف الصالح ممن كانوا يحذرون الشبع وحولهم أكباد تحن الى القد ! لذلك كان المنفلوطى فى اجتماعياته أديبا اسلاميا يعبر عن رسالة السماء بما أنزلت من قرآن وما ألهمت من أقوال نبى وأفعال سلف ، ومآثر خلف ! لذلك كان عجيبا كل العجب أن يأتى من يصف المنفلوطى بالكاتب الاشتراكى ! فيراه داعية الاشتراكية فى عصره ، وهو نشاز ان جاز من أصحاب الأهواء المغرضة فلن يجوز من ذوى الالتزام الجاد والبحث المنصف ! ان الدعوة الى الطهر والعفاف والرحمة والاحسان ومقاسمة الفقراء بلهنية العيش نابعة كلها من كتاب الله وسنة الرسول ﷺ ، لذلك كان المنفلوطى الأزهرى داعية الاسلام فى اتجاهاته وهو لم يعرف عن الاشتراكيين فى عصره شيئا جديدا فى مضمار العدالة الاجتماعية التى جاء بها رسول الله ﷺ فلم يكون الاديب الأزهرى المسلم اشتراكيا نباهى به ؟ ولا يكون داعية اسلام وهو من هو ؟

نشأ فى رحاب التصوف وفى بيت ينتمى الى الحسين سبط رسول الله فالى أبيه وجده آلت نقابة الاشراف ، ثم اذا تركنا هذا كله لا نستطيع أن نترك حفظه لكتاب الله وتأثره به وبحديث محمد ﷺ ، ونهج على فى البلاغة ، بل انه حين ذم الحضارة الغربية لم يفرق بين حضارة الشرق فى روسيا ، وحضارة الغرب فى فرنسا وانجلترا ، وها نحن أولاء قد عرفنا الاشتراكية على حقيقتها فوجدنا خدعة زائفة أخذت أكثر مما أعطت وأفقرت أضعاف ما أغنت بل وجدنا من يدعونها اسما يخالفونها واقعا ، حين يغتصبون لأنفسهم قصور الملوك وذهب الأمراء والاقطاعيين فيعيدون سيرهم المنقودة مجوفة مكبرة .

أهذه هى الاشتراكية التى أقر الغافلون على نسبة المنفلوطى اليها ؟

وهل كان الكاتب يرضى بهذه النسبة لو عاش فى عصر الاشتراكية ووجدها سرابا بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

ان آثار المنفلوطى الاجتماعية قد دون أكثرها فى النظرات بأجزائه الثلاثة ، وكل مقالات النظرات تحمل الأفكار الاسلامية وما وجدت صداها البالغ فى النفوس الا لانها تهتف بتعاليم الاسلام .

لك أن تقرأ مقالات المنفلوطى عن الحرمان واليتم والجوع ومناقضاتها من البذخ والتبذير واللهو والاسفاف .

ولك أن تقرأ دعواته الاصلاحية لتعليم المرأة وتثقيف الشباب ونظافة المجتمع ، ومهاجمة بيوت الدعارة وأخلاق السفلة من المرتشين والمقامرين والزناة ! اقرأ ذلك كله ، وابحث عن مصدره لتجده اسلاميا صافيا ينبع من كتاب الله وسنة خاتم الأنبياء .

يتبع

الشعر والشعراء

إعداد: د. حسن جاد

رمضان جاء

ليلة التجلي

ليالي رمضان

رمضان جاء

فى ليلةٍ مِن شهر شعبان الذى ... قد رَاحَ كالأيام والدنيا شتاء

والجَوُّ مُزبَدُ الجوانبِ قارسٌ ... والرِّيح فى طَيِّ الجُسوم لَهَا عِواء !!!

صَفَرَتْ فازعجت الأنامَ وروَّعَت ... مَن كان يَسْرى فى الدياجى بالعَرَاء

ورأيتُها قد لَمْلمتْ مِزَقاً عَلَى ... جَسَدٍ بَحمْل الدَّاء والحِرمان نَاء

وبَدَت بجوف الليل سرًّا غامضاً ... وكأنها قَطَعتْ من الدُّهر الرجاء

ودَنَوْتُ مِنْها أستَبين غُمُوضها ... ولَعَلَّنى أُهْدِى لها بعضَ العزاء

فسَألتها عن قَصْدها بين الدُّجَى ... والناسُ قد لَزموا المنازل والغِطاء

قالت : وأين الناسُ فى هذا الورى ... وهُمُو ذئابٌ لم تَذُق طَعْمَ الحياء ؟ !!!

تسْعَى لِتَفْتك أوْ لتهلك كلَّ ما ... تلقاه فى الطرقات مِن طيْرٍ وشاء !!!

فعرفْتُ ماتَعْنى وقلت لها: اطمئنِّ ... ى فالوَرَى عَقَلُوا وشهرُ الصوم جَاء

يَهدي إلى البرِّ الجزيل ويرتقى ... بالنفس عن امراضها فالشُّحُّ دَاء

ويَحُض مَن صاموا ومَن قاموا عَلَى ... حُبِّ التآلف والتعاطف والإخاء

والناسُ فيه إخْوةٌ يَسْعَى بِهم ... بِرٌّ ويَجْمَعُهم على التقوى صفاء

ورأيت يوماً شاكياً أمعاءه ... مِن بَعْد أن أعياهِ وجدان الدواء

ومَضَى يُعدِّدُ مايلاقى من أذًى ... يُضْنِى وَيَحْتَرِم الشداد الأقوياء

للأستاذ محمود محمد بكر هلال

مِنْ هَيْضَة وتَصَدُّعٍ وتَوَجُّعٍ ... وتَمنع عَمَّا يَطيب من الغِذاء
والطِّبُّ حَارَ فَلَمْ يُفِدْ وَتَزَايَدَت ... عَمَّا بِهِ الآمَةُ والْجِسْمُ سَاء
فهتفت فيه أمَا رأيتَ منَائراً ... شَعَّتْ بأنوار المباهج والضياء ؟
ورأيتَ فِي الْعَصْرِ المواكبَ تحتفى ... بِهِلاله بين المَسَرَّة والغناء ؟
أبْشِرْ وبَشِّرْ مُشْبهات وقُلْ لهم ... صوموا تَصِحُّوا إن شهر الصوم جَاء !!!
شهرٌ يُطِلُّ على الأنام بنُوره ... فيكون للناس المِصَحَّة والدواء
وترقُّ فيه على الفقير قلوبهم ... ويُضىء فى ارواحهم فَيْضَ الصَّفاء
وتَهيم فيه نفوسهم نَحْوَ التقى ... فَيَشيع فيها ما تحب من الضياء
ويعيش فيها المؤمنون أحبة ... كملائكِ الرحمن يَشْمَلُها الرِّضاء
لايصْخَبُون ولا يُراودهم خَنا ... أبَداً ولا يأتُون ألوان البَذاء
وإذا هُمُو سمعوا الأذى مَرُّوا بِهِ ... مَرَّ الكرام الأتقياء الأصفياء !!!
رمضانُ شهرُ البِرِّ والتقوى سَمَا ... بنفوسهم عن كل ما أزْرَى وَسَاء !!!
لو مَسَّهُمْ فى أىِّ يومٍ طائفُ ... اوجال شيطان بهم ذكروا السماء
صامُوا وقاموا واستضاء بالهُدَى ... وتوحَّدوا فى الله وانتظمَ البِناء
شهر الصيام أحَالَهم قَلْباً حَوى ... فَيْضَ المحبة والتعاطف والسَّخَاء !!!
فتهنَّئُوا قَوْمِى به وتذكروا ... أنَّا إلى نفحاته الكبرى ظمَاء !!!
وخذوا من الصبر الذى يُوحى به ... زادا لِيَومٍ يَقتضى مِنا الفداء
سَنَدُكُّ فيه الطامعين ونفتدى ... فيه العروبة بالنفوس وبالدماء !!!
ونُلَقِّنُ الأعداء دَرْساً قاسياً ... فيه لمن يَبْغى على الوطن ابتلاء
ونعيد للأرض السَّليبةِ مَجْدها ... فى هِمةٍ تغرى الجِبَال وفى مَضَاء

نداء الإيمان

اقبل على دربنا لو كنت حيرانا ... اقبل على نبعنا لو كنت ظمانا
ياحائر النفس طال السير واختلفت ... بك الطريق متاهات ووديانا
تشد خطوك أوهام مضللة ... ونستجيب لها طوعاً وإذعانا
اخا الحياة وكم تخطو بلا هدف ... وبالعناية ربّ الكون اغنانا
اقبل على دربنا واسمع مقالتنا ... وانعم بصحبتنا روحاً وريحاناً
نحن الميامين مازالت منابعنا ... منابع الفضل إسلاماً وقرآناً
نحن الأخلاء حبل الله تجمعنا ... فى ساحة الحب احباباً واخوناً
نحن الاعزاء لم تكسر شكيمتنا ... يد الزمانُ ولا تاهت قضايانا
اعزة بجلال الحق تعرفنا ... عند الشدائد أعواناً وفرساناً

الله اكبر عند الزحف غايتنا ... انبتغى غير وجه الله حاشانا
دستورنا الحق لا تبلى قواعده ... ولا تبدل احقاباً وازماناً
تسلسلت آية جاءت بصائره ... نوراً وعلماً واحكاماً وتبياناً
فى كل شىء بيان واضح وهدى ... لمن أراد الهدى قلباً ووجداناً
« إقرا » بداية خير فاض منهمراً ... كدفعة النور يهدى كل دنيانا
رسولنا الرحمة المهداة سيرته ... تعطر الكون إسراراً وإعلاناً
هو الأمين وكل القوم قد شهدوا ... نبل الامانة اشياخاً وشبانا
هو المصدق والمعصوم خطوته ... تفوق فى الطهر اترابا واخدانا

للشاعر الأستاذ

رشاد محمد يوسف

محمد تشرف الدنيا بمقدمه ويزدهى موكب التاريخ نشوانا
أقام بالحق ديناً قيماً وبنى على السماحة والاحسان اركانا
ورد العطاشى إلى الايمان دعوته هى الأمان لنا ظلا وشطانا

اخا الحياة رحاب الكون تجمعنا وحولنا عالم قد ضج عدوانا
مواكب ضلت الرؤيا مفزعة وتحمل الشر والافساد عنوانا
وليس غير هدى القرآن لو عقلوا وليس غير هدى الاسلام ربانا
فى الشرق نسمع الفاظاً منمقة تحكى نعومتها فى القول ثعبانا
على الجماجم تبنى صرح مذهبها وتحشد الناس انعاما وقطعانا
وشرعة الغاب بين الغرب قد حشدت وسائل الفتك بالانسان اطنانا

ماذا لديهم إذا قالوا او ابتدعوا سوى الشعارات تزييفا وبهتانا
قالوا : المساواة قلنا : والنداء لنا كونوا على الأرض خلق الله إخوانا
وليس اكرمنا فى القوم ذو حسب لكن اكرمنا فى القوم اتقانا
قالوا : العدالة ياللقوم قد جهلوا شريعة الله قسطاساً وميزانا
قالوا : التحضر . والقرآن يحفزنا إن نعمل الفكر تدبيرا وإمعانا
قالوا عن الفقر . قلنا : والزكاة لنا حصن تؤمن مسكينا وعريانا
هذى الحضارة من ارسى دعائمها ؟ هذا التحضر بعض من عطايانا
لولا تآمر الاستعمار ما انتكست اعلامنا مرة او كان ما كانا
قالوا عن السلم قلنا والسلام لنا تحية نبتديها عند لقيانا
قالوا عن الحرب والاسلام قد نشرت اعلامه بسيوف الجند أحيانا
قلنا الحروب لرد المعتدى ولمن أراد فى الأرض إفساداً وطغيانا
شفاء جرح الليالى فى عقيدتنا وصحوة الروح والتوحيد دعوانا
نحن الأخلاء مازالت منابعنا منابع الفضل إسلاماً وقرآنا

نداء إلى شهر رمضان

للشاعرة جليلة رضا

ها قد عبرت العام فى عجل لكى تخطو إلينا
يا شهرنا المحبوب إنك اجمل الذكرى لدينا
الليل يا رمضان يغمرنا ويغزو مقلتينا
يا ايها الحادى ترفق بالخطى .. وامش الهوينا ..
لا تأتنا إلا ونحن مهيئون بعودتك
لك فرحة فى القلب فاجعلنا نحس بفرحتك
لك هزة فى الروح نقبس نورها من شعلتك
لا تأتنا إلا وفجر النصر بشرى رؤيتك
اتجىء يا رمضان والعرب الأباة ممزقون
وتمر وسط مدافع الأعداء منخفض الجبين
اتجىء والإسلام فى غضب على الظلم المهين
و « المسجد الأقصى » يدنسه البغاة الآثمون ... ؟
اتراك ترضى أن نغنى أو نصفق للهلال
و دماء امتك الأبية ترتوى منها الرمال
وانين جرحاها يدوى فى النجوع وفى الجبال
لهفى على أرض العروبة من مصائبها الثقال .. !!
اتراك ترضى أن تدق الباب ، باب المسلمين
فنصوم نحن الشهر فى أمن ونفطر هانئين
ونقر فى دفء وآلاف العرايا نازحون
واللاجئون هناك من عشرين عاما صائمون
إنا نريدك أن تجىء ولست كالماضى شبيها ..
ونريد أن تأتى وقد ضمت فلسطين بنيها
إنا نريدك أن تجىء ونصرنا فى راحتينا
فالنصر للأرض السليبة كلها دين علينا
يا ضيفنا المحبوب إنك أجمل الذكرى لدينا
يا أيها الحادى ترفق بالخطى .. وامش الهوينا

صوم المسلم

للأستاذ سيد عبد الرؤوف سيد

صائمٌ يعزف عن كل دنيه ... نفسه عن كل ماشان أبيَّةْ

عينه مبصرة سابحة ... في بديع الكون صبحاً وعشيةْ

الضحا والليل زاداها تقى ... فيهما لله آيات قويةْ

سمعه عن كل فحش صائم ... لم يصُخْ قط لألفاظٍ بذيَّة

قدرَ الله فأرضاه وما ... بعدت عن ساحة نفس رضية

أيها الصائم هذا شَهْرُهُ ... كن جوادًا مكثرا فيه العطيه

نعمة بُلِّغْتَها فانهض لها ... أين منها السائحات الذهبية ؟

لا تطع أمّارةً شيطانها ... مارد يقظان يغرى بالرزيه

أيها الشهر الموافي إنما ... أنت للروح زكاة وهدية

أنت بالقرآن مجد خالد ... إنه معجزة الدهر الفتيه

سَحَّ فيك الخير مدرارا فمن ... فاته اليُمنُ ففي شر بليه

يابني الاسلام أدوا حقه ... إنما أنتم به خير البرية

أيها الصائم صوما صادقا ... فطرك الأشهى بجنات عليه

ذاكمُ وعد من الله لنا ... وإلى اللقيا سلاما وتحية

ليلة التجلي

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

ايا ليلة القدر كونى ـ كما شا ءرب العطاء ـ وراء الحجبْ
تواريتِ عن علم كل اريب وإن كنتِ فوق ضباب الريَبْ
بائّ الليالى يكون التَّجلىّ وأى سعيد مجاب الطلب ؟
تَبَوَّاتِ شهر الصيام؟ لامر جليل وعاه النُّجُبْ
تطير إليك طيور الأماني عساها تصادق منك الأرب
وهل كنت إلا مناط الرجاء لِكُلِّ تَقىٍّ يعانى النَّصَبْ
سَأَسْمُوإليك باجنحة الذِّكْـ ـر عَبْر الأثير وفوق الشهب
واصهر بالصوم زيْنَ الفؤاد فبالنار يُجْلىَ نَقِىُّ الذهب
واصقل نفسى بحرما نها من شَهِىِّ المتاع ، ولين النَّشَبْ
واقطع فى القيظ بيدَ الأوَام واعبر فوق جبال السغَبْ
وألْقى الجهالة من جاهلين بحِلم الكرام ، ولطف الأدب
وأرْدَع فى الجسم سَطْوَ الرغاب لَتملك روحى زمام الغلب
سأسلك نحوك كل سبيل واقرب منك بشتى القُرَبْ
لَعَلِّى افوز بفيض الكريم واظفر منه بما ارْتقِبْ
إذا المرء رام نوال السماء تسامي إليها بكل سبب
فحسبُكَ ياجسم تَهويِم راس وحَسْوَةُ ماء ، وطُعْم جَشِبْ
بذلك نال كبار النفوس رفيع المقام ، وأسْمَى الرتب

ليالى رمضان

شعر أحمد مصطفى حافظ

ضاقت بحور الشعر عن ألحانى ... لم تبق إلا .. نفثةُ لوجدان

شهر الصيام أتى .. وفى أعطافه ... أطياف أيام .. بطيب مغان

والذكريات تموج فى أعماقنا ... نغدو بها فى ذروة التحنان

ياليت أيام الزمان جميعها ... كانت كهذا الشهر فى الإحسان

شهر التعبُّد والتطهُّر والصفا ... بعد انصرام العمر فى عصيان

فيه يفىء المرء لليُسرى وقد ... عرف الطريقة إلى رضا الديَّان

ويكفُّ عن شَرَهٍ وزيف .. مُخْبتاً ... وتضوع رُوحانية الإنسان

شهر التسابيح التى يُجْلى بها ... صدأ القلوب وكدرة الأدران

ياتى .. عساه ينير سُدْفة عالم ... كم ناء بالأوزار والطغيان

منذ الحداثة كنتُ صبًّا مُولعا ... فى ليله .. بالروح والريحان

ليل (التراويح) التى نلقى بها ... كشفا ومغفرة من الرحمن

ياسعد من قاموا به .. وتبتَّلوا ... والناس فى وسن .. إلى الأذقان

تجفو جنوبهمو المضاجع لوعة ... وتقرُّبا لمكون الأكوان

فبذكره كم تطمئن قلوبهم ... فى خلوة .. فاضت بها العينان

على شطآن بحر النور

في ظلال ليلة القدر

على شطآن حلم النور حيث الزورق السحرى
سرى بالنفس إشعاع من الإيمان والطهر
وصارت طينتى الدكناء فى ضاح من الفجر
ورحت أطير فى الآفاق نفسا من سنا تجرى
وكنت معانقاً رمضان فى أُخْراهُ فى العشر
وبينا الروح سابحة بأفق زاخر السر
رأيت النور ملء الأفق ملء البر والبحر
وكل الكون من حولى لرب العرش فى ذكر
تسابيح وتهليل والسنة من الشكر
تعالى المبدع الخلاق رب الكون والدهر
وبينا كنت في التسبيح في سري وفي جهري
رأيت النور فى الأكوان فوق الوصف والفكر
رأيت الكون قرانا تجلى ساطع السفر
فَغَنَّت للسنا روحى وقالت : ليلة القدر
أجل ياليلة القدر ويا الاقة الفخر
سموت مكانة عظمى وفقت الألف من شهر
تعالى الله أنزل فيك ذكرا خالد الذكر
هو الدستور للدنيا وفيه سعادة العمر
شفاء رحمة فَذىً حياة بالسنا تسرى
به سُدْنا جميع الكون فى نَهْيٍ وفى امر
به جبنا الثرى فتحا تبدد ظلمة الكفر
ونعلى راية الإسلام فى بحر وفى بر
به الدنيا رأت صِبيْرًا كماة الحق والنصر :
« خبيب » حافظ القرآن بين مخالب الغدر
زعيم الكفر يغريه ستحيا شامخ الأزر
إذا لمحمد نلقاك والإسلام فى نكر
فردد ساخرا منهم خسئتم عصبة الشر
فموتى فى سبيل الله أمنيتى مدى الدهر
وتنطلق السهام به تشق الصدر للظهر
ويهتف فى سبيل الله محتسب انا أجرى
وهذا « جعفر » يمناه بل يسراه فى بتر
ويرفع راية الاسلام بالعضدين فى فخر
ويلقى الله بالطعنات فوق العد والحصر
وهذا « جعفر » الطيار فى ساح الردى المر

لضيق المقام اضطررنا إلى وضع القصيدة هذا الوضع ، لذا ينبغي ان يُقرا النهر الايمن فإذا انتهى قرِيء الايسر .. وهكذا ..

« مجلة الأزهر » ..

للأستاذ أبو زيد إبراهيم سيد

منار الخلد للأبطال للشهداء للغر
يرفرف فى جنان الخلد فى زهو لدى الحشر
ذراعاه جناحان وسام خالد الذكر
أجل ياليلة القدر. ويا الاقة الفخر
أراك وفى سناك الدمع هل تفضين بالسر
كأنى فيك قد أبصرت بعض خواطرى تسرى
تقولين: عجيب ما أشاهده بذا العصر
أبعد خلود أمجاد وفتح شع كالفجر
«وسعد» فى ربوع الفرس يعلن خالد النصر
وكسرى قصره أضحى مصلى ساطع الطهر
وأرض الغرب كم نطقت بأمجاد لكم غر
بدولتكم بها تسمو لهام الأنجم الزهر
ويوم الكفر قد وافى بأرض الشام فى غدر
صلاح الدين حطمه وبدد حالك الشر
ويوم الكفر فى طيش أتى يختال كالنسر
وظنوا أننا صرنا هشيما باد فى الجمر
فهبت قوة الايمان فى شام وفى مصر
و«قطز» ساحق تترا بجالوت الردى المر
وصير قوة الأعداء بين الموت والأسر
فكيف القدس أبصره بليل حالك الوزر
يدنسه رعاع الزور والبهتان والغدر
مآذنه خبا فيها نداء الله للظهر
وماتت بسمة الأطفال فوق الوجه والثغر
ومهد السلم والايمان أصبح موئل الخسر
وعربد فى مهاد النور ليل أسود الكفر
ولبنان نرى فيها جحيم الموت والذعر
عروس الشرق قد أضحت خرابا موحش القفر
أغانى الزهر والزيتون لفت داخل القبر
إسرائيل نبصرها بأرض السادة الغر
و«بالنابلم» بالطيران تأتى بالغ الفُجر
عجيب ما تشاهده ونكر أيما نُكْر
ببغداد وإيران دماء فى الثرى تجرى
أيرضى الله عن هذا فقولوا علنا ندرى
فإن الحرب ما زادت سوى شر إلى شر
وباسم الله والاسلام ندعوكم إلى البر
وأرعد داخلى صوت وشع سناه فى فكرى
إذ اجمعتم صفا وكنتم آية الطهر
وقلبا واحدا صرتم وكنتم منبع الخير
وحكمتم كتاب الله فى سر وفى جهر
وفى دنياكم القرآن نور الدهر والعمر
فإن الكون فى طوع لكم فى النهى والأمر
وأنتم قمة الأكوان فى مجد وفى نصر
وقل فى يومها حقا سلاما ليلة القدر

طرائف

« لا خيـــر »

□ قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه : لا خير فى قوم ليسوا بناصحين ، ولا خير فى قوم لا يحبون الناصحين .

« ليس بدار قرار »

□ روى مسلمة بن محارب عن عامر بن عبد قيس انه قال : الدنيا والدة للموت : ناقضة للمبرم ، مرتجعة للعطية ، وكل من فيها ـ يجرى إلى ما لا يدرى ، وكل مستقر فيها غير راض بها ، وذلك شهيد على انها ليست بدار قرار .

لا يلزمك كفارة

سمع فقيه رجلا يحلف :

« والذى احتجب بسبع سموات ماكان كذا »

فقال له : ويلك ، ان الله لا يحجبه شىء •

فقال له الرجل : هل أكفر عن يمينى ؟ •

فقال : لا ، لأنك حلفت بغير اللـــه والحالف بغير الله لا يلزمه كفارة •

الرجل الثقيل

قال رجل لحكيم :

ما بال الرجل الثقيل أثقل على الطبع من الحمل الثقيل ، فقال : لأن الحمـــل الثقيل يشارك الروح الجسد فى حمله ، والرجل الثقيل ينفرد الروح بحمله •

« ان صدقت أخافك ، وان كذبت أخاف الله »

تكلم الناس عند معاوية فى يزيد ابنه اذ أخـذ له البيعة ، وسكت الأحنف •

فقال له معاوية : ما تقول يا أبا بحر ؟

فقال : أخافك ان صدقت ، وأخاف الله ان كذبت •

« لا أعـــود لمثلهـــا !! »

□ شتم هشام بن عبد الملك رجلا فقال له الرجل :

اما تستحى ان تشتمنى وانت خليفة الله فى الأرض ؟

فاستحيا منه هشام ، وقال : اقتص منى ...

قال الرجل : إذاً انا سفيه !

قال : فخذ منى عوضا من المال .

قال : ما كنت لأفعل .

مواقف

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

قال : فهبها لله .

قال : هي لله ثم لك .

فنكس هشام راسه واستحيا ، وقال : والله لا أعود لمثلها أبدا .

حقيقة

كل قول ليس لله فيه ذكر فهو لغو .

وكل صمت ليس فيه فكر فسهو .

وكل نظر ليس فيه اعتبار فلهو .

على يقين من نفسى

قال حكيم : ما رايت واحدا الا ظننته خيرا منى ، لأنى من نفسى على يقين ومنه على شك .

« السعيد »

□ قال المامون يوما لجلسائه :

اتدرون من أهنا الناس عيشا ؟

فقالوا : امير المؤمنين اسعد الناس عيشا على وجه الأرض .

فقال : لا

قالوا : فمن اسعد الناس يا امير المؤمنين ؟

فقال : رجل له دار قوراء ، وامراة صالحة حسناء ، وكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه .

« ليس مثل أبيه »

□ ذهب ثرى كبير إلى أحد الفنادق ، وطلب حجز حجرة له ، فدهش صاحب الفندق وقال للثرى :

إن ابنك عندما ينزل فى فندقنا يحجز افخر جناح بكامله ..

فهز الثرى كتفيه قائلا :

إن لابنى أبا من أصحاب الملايين أما أنا فليس لى مثل أبيه .

قالوا ..

الشهامة : أن تغار على حرمات الله .

والنجدة : أن تبادر الى نداء الله .

والشجاعة : أن تسرع الى نصرة الله .

والمروءة : أن تحفظ من حولك من عباد الله .

والسخاء : أن لا ترد لله أمرا ولا نهيا .

يارب

أنت رب المستضعفين ونحن الضعفاء ، وأنت الغفور الرحيم ونحن الجهلاء ، وأنت الغنى الكريم ونحن الفقراء ، لا لجوء الا لبابك فاقبلنا ، ولا مفر من حسابك فاغفر لنا . ونجنا من عذابك وارحمنا .

فيرومونات الحشرات

الفيرومونات (Preromones) هى : إفرازات تنتجها الحشرات وتطلقها خارج أجسامها ، أحد الأفراد يطلق والآخر يستقبل ، بحيث تتأثر الحشرة المستقبلة تأثراً يتحدد شكله بناء على السلوك الذى تقوم به الحشرة ، أو فى عملية النمو داخل جسمها . ومن المعروف أن بعض الفيرومونات تفرز من خلايا آدمية (Epidermal Cells) (كما فى الجراد الرحال) ، ولكن غالباً ما نجد الحشرات المنتجة للفيرومونات . تتميز بوجود غدد محددة الشكل هى التى تقوم بعملية إفراز تلك الإفرازات .

(ا) فمثلاً نرى فى الحشرات (الحرشفية) الأجنحة أن الغدد الفيرومونيـة ترتبط بالحراشيف الموجودة سواء على الأجنحة أو على الأرجل أو على البطن ، وأحياناً توجد مرتبطة بالفرش المرافقة لأعضاء التناسل الخارجية ، بينما توجد فى أنواع أخرى من الحشرات فى صورة انثناءات داخلية مدعمة بالجليد وتفتح فيما بين عقل الجسم وبعضها أو على جانبى الفتحة التناسلية . تتركب الواحدة من هذه الغدد من طبقة خلايا عمادية واحدة .

(ب) أما فى الحشرات غشائية الأجنحة (مثل نحل العسل) فإننا نلاحظ وجود هذه الغدد مرافقة للفكوك العلوية بالفم حيث تفتح عند قواعد هذه الفكوك ، كما يوجد نوع من هذه الغدد هو غدة (نسنوف) (Nassanafs Gland أسفل الغشاء البينعقلى بين القطعتين الظهريتين ٦ ، ٧ فى منطقة البطن .

أما فى حالة النمل : فيلاحظ أن للغدد الفيرومونية عدة أشكال منها : غدد فكية ـ غدد سمية ـ غدة دوفور (Dufours Gland) - غدة بافون — (Pavans Gland)

ويقسم علماء الحشرات الفيرومونية تبعاً لعدة طرق أهمها تلك التى تعتمد على التأثيرات البيولوجية لكل منها وهى الآثار (أو الروائح) الكيميائية (CHemical Trails) ، وأحياناً تسمى « الفـيرومـونـات الإعـلاميـة » (أو الترقمية) ، وهى نوعان :

(ا) روائح هوائية .

(ب) روائح أرضية .

فالروائح الهوائية هى تلك التى تحمل على متن الريح ليتحقق لها الانتشار فى المناطق التى تهب

د . كارم السيد غنيم

الريح عليها ، ومن ثم فهذه الروائح غير ثابتة ، بينما الروائح الأرضية ثابتة إلى حد لا باس به .

- ومن الروائح الهوائية أنواع تلعب دوراً هاماً فى عملية الجذب الجنسى فى الحشرات لذا يمكن تسميتها « الجاذبية الجنسية » (Sex Attractants) وهى نوعية التأثير بمعنى أن الجاذب الجنسي لأنثى تابعة لنوع حشرى ما لا يؤثر على ذكور نوع حشرى آخر وإنما يؤثر فقط على ذكور نفس النوع .

وتتصدر الجاذبات الجنسية الشَّمِّيَّة قائمة أنواع الجاذبات الجنسية ، وتشعر الذكور بهذه الأنواع التى تنفثها الإناث ، وقيام الإناث فقط بهذه المهمة حالة شائعة بين الحشرات ، إلا اننا وجدنا حديثاً أنواعاً قليلة من الذكور يمكنها إطلاق مثل هذه الجاذبات الشَّمِّيَّة .

بالنسبة للعزل الكيميائى لهذه المركبات ، فقد تمكن الفسيولوجيون المهتمون بهذا الموضوع من عزل وتنقية ثلاث جاذبات جنسية شمية من أجسام ثلاث من الحشرات حرشفية الأجنحة :

إناث الحشرة الغجرية .
الفراشات الأنثى لدودة الحرير .
وملكات نحل العسل .

قلنا إن الجاذبات الجنسية الشمية هى شائعة بين الحشرات ولكن هناك أنواع من الفيرومونات الأخرى منها :

(أ) المواد المنبهة (أو التحذيرية) .
(ب) مثيرات الشهوة الجنسية (Aphrodisiacs) وتلك المسببة لظهور الميل إلى التجمع .

أما المنبهات فتكثر فى الحشرات الاجتماعية (مثل نحل العسل والنمل والدبابير) حيث تطلق أفراد المجتمع الحشرى هذه المنبهات بقصد إثارة أفراد أخرى تابعة لنفس المجتمع (أو التجمع) ، لكى تنضم لها أو لكى تقوم بوظائف حيوية متعلقة بمصلحة الجماعة . هذه المنبهات الشمية نوعية التأثير على المجتمع الحشرى بمعنى انه لكل مجتمع منبه شمى خاص به يستطيع جميع أفراده تمييزه ، ولا يستطيع فرد من مجتمع آخر الاستجابة له أو التأثر به .

وتشمل تلك المنبهات ما يسمى « الفيرومونات السطحية » وهى تلك المنبهات التى تمتصها الطبقة الشمعية الموجودة على سطح الجسم .

مثيرات الشهوة الجنسية (ويطلق عليها أحياناً " الجاذبات الجنسية ") تلعب دوراً كبيراً فى التناسل لانها هى المسئولة ـ من الناحية الوظيفية ـ عن تنفيذ سلوك الغزل الذى يصدر عن الحشرة قبل إقدامها على الإزدواج مع حشرة أخرى من نفس النوع أو مضاجعتها ، وهذه المواد المثيرة للشهوة عادة ما تطلقها الذكور ولكن هناك عدد قليل من الإناث يمكنه القيام بهذا الدور .

القسم الثالث من المواد الفيرومونية هى تلك المواد الكيمائية ذات الدور الفعال فى تحريض الحشرات على التجمع سواء كان ذلك تجمعاً مؤقتاً أو دائماً . ومن الجدير بالذكر أن للتجمع المؤقت غير الدائم أمثلة كثيرة فى الحشرات منها :

فيرومونات الحشرات

١ ـ ظهور الأسراب كأسراب الزواج فى بعض الحشرات غشائية الأجنحة كالنحل والنمل .

٢ ـ تمضية البيات الشتوى أو البيات الصيفى فى جماعات .

٣ ـ تقارب وتجمع إناث الجراد فى أماكن متجاورة أثناء وضع البيض .

٤ ـ تقارب أفراد النمل الإنفرادى (خاصة الإناث منهم) لتأسيس أعشائها . كما أننا نلاحظ أشكالاً شتى للتجمع الدائم فى الحشرات تلك تتميز بأنها ذات سلوك اجتماعى ، حيث تقوم الملكة بمهمة هذا الفيرومون . تلعب الفيرومونات دوراً فعالاً فى تربية ونمو الملكات داخل الخلايا والأعشاش فى الحشرات الاجتماعية ، وحتى يسهل على القارىء تصور هذا الأمر يجب إعطاؤه فكرة مختصرة على الجانب التكاثرى فى مجتمعات هذه الحشرات ، يوجد لتربية الملكة فى المجتمع الحشرى شكلان :

الأول : وهو إنتاج أكثر من ملكة واحدة فى وقت معين فى نفس العش ، فتتعدد الملكات وبالتالى يكثر النسل .

أما الثانى : فهو إنتاج ملكة واحدة فى المجتمع الحشرى لكى تحل محل ملكة سابقة لاقت حتفها ، أو فقدت قدرتها التناسلية ، فأصبحت غير ذات جدوى بالنسبة لأفراد الخلية وحياة المجتمع .

وحتى يمكن للخلية (Hieve) الإكثار من النسل لابد من ظهور عدد من الذكور فى نفس وقت ظهور الملكة أو قبله ببرهة .

وكذلك نسوق لمحة عن أنواع المجتمعات الحشرية ، فهى شكلان :

مجتمعات موسمية الظهور (أو الحدوث) (مثل النحل الطنان والدبابير) .

ومجتمعات معمرة (أى دائمة الوجود) (مثل نحل العسل والنمل والنمل الأبيض) ، وفى النوع الأخير يلاحظ حلول ملكة محل التى فقدت فاعليتها أو ماتت ، وتنشأ هذه الملكة الجديدة داخل عيون الملكات البديلة فى أقراص الشمع المعدة للتربية داخل بناء المجتمع أى الخلية (نحل العسل) ، أو تنشأ من الفئات التناسلية المساعدة أى العاملات الخاصة (النمل الأبيض) وقد تأتى إلى العش من مكان آخر (بعض أنواع النمل) .

لقد اكتشف العالمان Barbier & Lederer (سنة ١٩٦٠) أن عيون أقراص الشمع التى تنشأ فيها ملكات جديدة تتميز بوجود كميات من فيرومون خاص أطلقته الملكة السابقة ليكون نذيراً برحيلها وبشيراً بمقدم غيرها للحفاظ على هيكل المجتمع الحشرى وعدم تبديده . كذلك أوضح Luscher (سنة ١٩٦٠) أن الفيرومونات المهيمنة على نمو الفئات التناسلية المساعدة فى النمل الأبيض لإنتاج ملكة جديدة أو أكثر تعمل بالاشتراك مع النظام الهرمونى فى أجسام أفراد هذه الفئة ، وأوضح أيضاً أنها متخصصة التأثير على الجنس . كما بين نفس العالم (سنة ١٩٦١) أن هذه الفيرمونات تنتج مع غدد آدمية مبعثرة فى جسم الحشرة وأن عمل الفيرمونات وصل إلى التدخل فى السيطرة على إنتاج فئات (غير الملكات) فى النمل الأبيض مثل فئة الجنود (Soldiers) —

وقد لوحظ أن كثيراً من الحشرات تطلق مواداً حارقة أو كاوية أو منفرة من داخل أجسامها وذلك فى اتجاه العدو المهاجم وهذه وسيلة دفاعية ضد اعتداء الخصوم الا أننا وجدنا من الخصوم من يستطيع إفراز مثل هذه الفيرومونات لاستخدامها أثناء شن غارته على فريسته ، مما دعا البعض إلى إطلاق اسم « الحرب الكيميائية » على هذا السلوك ، ولما كان من غير المؤكد لدى علماء الحشرات الجزم بأن هذه الافرازات « فيرومونات » فقد أطلقوا عليها أسماء منها « إفرازات هجومية » أو « إفرازات دفاعية » لحين مواصلة بحوثهم للتأكد من أنها فيرومونات أم لا .

نأتى فى ختام هذا المقال إلى توضيح عمليات استخدام الجاذبات الجنسية (وهى إحدى مجموعات الفيرومونات كما عرفنا سابقاً) فى مجال مكافحة الآفات الحشرية ، ونذكر لذلك مثالين فقط هما :

المثال الأول : مكافحة فراشات الشمع الصغرى (Achroea Grisella) وهى آفة خطيرة لخلايا نحل العسل حيث تهاجم فيها البيض وخلافه . بعد أن حدد Kunike أن ذكور هذه الفراشة تفرز مادة تجذب بها إناثها وتثيرها ، اقترح أن تستخدم هذه المادة فى مكافحة هذه الحشرة نفسها والتى تعتبر وسيلة فعالة فى هذا المجال .

وكان هذا العالم يأتى بمركبات كيميائية لها نفس التركيب والمواصفات (يطلق عليها مشابهات «Mimics») ويضعها فى صناديق فى مناطق مجاورة لهذه الخلايا على أن يحاط كل صندوق بكميات من الصمغ ، فيحدث أن تنجذب الذكور نحو الصناديق ، فإذا دخلتها التصقت بجدرانها بواسطة الصمغ الموجود ، بالتالى تموت أو على الأقل يمكن جمعها واعدامها .

المثال الأخير : **هو الفراشة الراهبة (Phorthetria Monacha) : فى سنة ١٩٣٠ قام الباحث التشيكوسلوفاكى Dyk بتثبيت مستودعات صغيرة بها عذارى الفراشة الراهبة الذكور إلى جذوع الأشجار فى المنطقة المصابة بهذه الآفة ، ثم أحاط هذه المستودعات بأشرطة ورق متحركة مع الهواء ومدهونة بمواد لاصقة ، حينما تنتهى الحياة العذرية للعذارى الموضوعة فى هذه المستودعات ، تخرج الفراشات من جلد العذارى لتجد نفسها محبوسة فى هذه المستودعات ، لكنها كعادتها تفرز إفرازاتها الجنسية والتى تنتشر فى الجو المحيط ، فتجذب الإناث من مسافات متفاوتة وبالتالى تموت بعد التصاقها بالأشرطة ، أو تجمع وتعدم .**

د . كارم السيد غنيم

الغازات السامة
وتأثيرها على الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ »

« الانفال الآية ٦٠ »

مرة أخرى .. مع القوة ، مع الرمى ، مع عزة الإسلام والمسلمين ، مع استمرار هذا الدين الحنيف نستعرض احد أسلحة الدمار الشامل كما يطلق عليها فى الحروب .. سلاح وارد إلينا من الغرب والشرق إما فى صورة معلومات خاطفة نتخطفها من أحد المعسكرين وإما فى السلاح نفسه وهو يستخدم ضد المسلمين فى شتى بقاع الأرض ؟

مع الغازات السامة وانواعها وتأثيراتها على جسم الانسان لنرى كيف يكون العلم إذا استخدم لغير وجه الله .

الغازات السامة :

هى مجموعة من المركبات الكيميائية التى لها تأثير على جسم الانسان عند اختراقها له فى صورتها الغازية او السائلة أو الصلبة ويختلف هذا التأثير وتتفاوت درجته ما بين تأثير مزعج أو معوق لبذل المجهود ، وما بين تأثير قاتل .

المتطلبات الفنية لانتاج الغازات السامة

١ ـ توافر المواد الخام اللازمة لانتاج كميات كبيرة .

٢ ـ امكانية تصنيعها على نطاق واسع فنياً .

٣ ـ امكانية التخزين والنقل لأزمنة ومسافات طويلة .

٤ ـ ثبات الخواص الكيميائية أثناء التفجير .

المتطلبات الحربية للغازات السامة :

١ ـ درجة سمية عالية ووقت ثبات طويل لامكانية احداث أكبر تدمير .

٢ ـ تأثيراتها على جسم الانسان يجب أن تصّعب عملية الوقاية .

٣ ـ القدرة على النفاذ من خلال وسائل الوقاية .

٤ ـ صعوبة كشفها أو تحديدها بطرق الكشف المختلفة .

تقسيم الغازات السامة طبياً : (من ناحية أسلوبها فى التأثير)

١ ـ غازات عامة سُمّيه مثل :

الغازات العضوية الفوسفورية ـ سيانيد الهيدروچين ـ أول أكسيد الكربون .

٢ ـ الغازات الكاوية مثل :

المسترد الكبريتى ـ المسترد النيتروچينى ـ اللويزيت .

٣ ـ الغازات الخانقة مثل :

الفوسچين ـ الداى فوسچين .

٤ ـ الغازات المسيلة للدموع مثل :

الكلورو أسيتوفينون ـ الكلوروبيكرين .

٥ ـ الغازات المقيئة مثل :

الأدمسيت .

●●●●●●

ويلاحظ أن مخترعى هذه الأنواع من الغازات قد شملوا جسم الانسان كله بدراساتهم الفائقة حيث لم يتركوا مسلكاً للتأثير الضار على الإنسان إلا سلكوه .

تقسيم الغازات السامة من حيث الثبات والاستمرارية :

١ ـ الغازات الثابتة والمستمرة التأثير :

هى الغازات التى تستمر لأوقات طويلة فى أماكن استخدامها تزيد على عدة ساعات مع احتفاظها بثبات خواصها وهى بالتالى لا تستخدم فقط للتأثير على الانسان وإنما لتلويث أسطح الأراضى والمعدات . وذلك مثل الغازات الكاوية .

٢ ـ الغازات السامة غير الثابتة وغير المستمرة :

وهى التى تتبخر خلال فترات قصيرة لا تتعدى دقائق وتستخدم أساساً فى إحداث تأثير قاتل سريع على الانسان مثل غازات (سيانيد الهيدروچين)

تقسيم الغازات السامة من حيث سرعة المفعول :

١ ـ الغازات السامة بطيئة المفعول هى التى تمر عليها فترة طويلة ما بين التعرض للاصابة وظهور الأعراض مثل الغازات الكاوية :

٢ ـ الغازات السامة سريعة المفعول هى التى يحدث تأثيرها فور التعرض للإصابة أو بعد فترة قصيرة مثل الغازات المسيلة للدموع .

استخدامات الغازات السامة :

١ ـ أحداث التأثير الضار أو القاتل على الانسان .

٢ ـ إجبار الأفراد المعادين على ارتداء واستخدام وسائل الوقاية مما يقلل من كفاءتهم .

٣ ـ الإعاقة المؤقتة للقوات بتلويث الأراضى والمعدات .

طرق نفاذ الغازات السامة داخل جسم الانسان :

١ ـ عن طريق استنشاق الأبخرة والرذاذ والدخان .

٢ ـ من خلال مسام الجلد فى صورة غازات أو رذاذ .

٣ ـ من خلال الجروح .

٤ ـ عن طريق البلع خلال الجهاز الهضمى مع الطعام والمياه .

وهذا ويعتبر النفاذ من خلال الجهاز التنفسى من اهم وأيسر طرق النفاذ وذلك نظراً لأن الأنسجة الحويصلية لها سطح كبير يصل إلى ٩٠ مترا مربعا ويحتوى على شبكة من الشعيرات الدموية . ولهذا فإن تأثير الغازات السامة خلال الرئتين أسرع ٢٠ مرة من تأثيرها خلال الجهاز الهضمى . ويعتبر النفاذ من خلال الجلد والجروح هو الطريقة الثانية فى الأهمية بعد التنفس .

وبعد عرض ما سبق يتضح لنا مدى خطورة هذه الغازات السامة إذا استخدمت فى الحروب ضد الانسان والأرض والمعدات بل والنباتات ومدى اتساع نطاق تأثيرها ومدى تباين مواصفاتها وتعدد طرق نفاذها . وسوف تتعرض فيما يلى بشىء قليل من التفصيل للتأثير الفعلى لأحد هذه الأنواع على جسم الانسان :

تأثير الغازات السامة عامة السمية (العضوية الفوسفورية) : وخواصها العامة كالآتى :

١ ـ درجة سمية عالية (الجرعة القاتلة تصل إلى جزء من الملجم / ل) .

٢ ـ سريعة المفعول (يحدث تأثيرها فور التعرض للاصابة) .

٣ ـ التطور السريع فى الأعراض حتى تصل إلى وفاة المصاب .

وأعراضها التفصيلية كالآتى :

١ ـ التأثير على العين : ويشمل ضيق فى حدقة العين ويمكن حدوث هذا التأثير من تركيز قدرة ٠٫٠٠١ مجم / ل خلال دقائق معدودة . وفيه يشعر المصاب بقصر النظر وعدم وضوح الرؤيا وصداع فى الجبهة وقد يحدث انفصال فى الشبكية واحتقان فى الملتحمة ولا يستطيع الفرد المصاب مواصلة أى مجهود .

٢ ـ التأثير على الصدر : ويشمل تقلص الشعيبات وفيه يشكو المريض من ألم فى الصدر وصعوبة فى خروج هواء الزفير وسيولة زائدة فى خروج اللعاب وزيادة فى العرق وزيادة فى افراز الشعيبات الهوائية مما يقلل التبادل الغازى ويؤدى إلى زيادة نسبة ثانى أكسيد الكربون وازرقاق البشرة .

٣ ـ التأثير على الجهاز الهضمى : وفيه يحدث للمصاب مغص واسهال وتقلصات معوية .

٤ ـ تقلصات فى العضلات من النوع الرعاش تتطور إلى حدوث تخشب فى الأطراف ثم تقلص فى العمود الفقرى وفقدان الوعى ثم الوفاة .

وبعد هذا قليلاً من كثير اردنا فيه فقط أن نلفت انظار المسلمين وأن نذكرهم بأمر ربهم لعلهم يفيقون من غفلتهم ويعدون عدتهم ويوجهون اعمالهم ونياتهم لوجه الله فيكون فى ذلك نصرهم بمشيئة الله تعالى ...

محمد ابراهيم حسين

من التراث

مجلة الأزهر من خمسين عاما

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

فضل شهر رمضان

لصاحب الفضيلة الشيخ
محمد الخضر حسين

دار الزمان دورته وجاء رمضان واحة روحية يخلو فيها العبد لربه متجردا من شهوات النفس فياضا بالحب والعطاء على أهله والناس أجمعين يبذل فى سبيل الله عن سخاء ، ويلتئم — مع دينه — على لحمة .

وليس الصوم فرضا يمثل جانب السلب بالكف عن الشهوات بل انه فرض ايجاب الصبر على النفس ، ومجاهدة نوازعها ، واستبقاء لقوة العزيمة فيها .

ومنزلته — فى العمل فيه — لا يعلمها الا الله حيث يقول — سبحانه — فى الحديث القدسى : كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به .

وقال عليه الصلاة والسلام : لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . فأهلا بشهر الخير والقرآن .

قال الكاتب — رحمه الله :

كان هذا الشهر مظهر الكتاب الذى هو منار الهداية ومطلع السعادة ، كما قال تعالى : **{ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)** وان شهرا ينزل فيه كتاب يملأ العقول حكمة ، والقلوب طهارة ، لذو طلعة مباركة ومقدم كريم .

ومن مزايا هذا الشهر أنه الشهر الذى فتحت فيه مكة المكرمة ، ذلك الفتح الذى علت به كلمة

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

الاسلام فى البلاد العربية ، وعلى أساسه قامت الفتوح الاسلامية فى الشرق والغرب .

فقد جمع هذا الشهر بين مزيتين عظيمتين **(أولاهما)** أنه الزمن الذى أنزل فيه القرآن الى سماء الدنيا جملة ، أو ابتدىء فيه نزوله الى الناس ، ثم تواردت آياته على حسب ماتقتضيه الحكمة .

و **(ثانيتهما)** أنه كان مظهر الفتح الذى استوثقت به عرى دولة الاسلام حتى مدت سلطانها العادل ، وساست الأمم بشريعة تلائم مصلحة كل زمان ومكان .

واقتضت حكمة الله تعالى أن يكون للناس من بين سائر الشهور شهر يقضون بياض نهاره فى عبادة الصوم ، واختار أن يكون شهر رمضان هو الشهر الذى تؤدى فيه هذه العبادة ذات الحكمة السامية والثواب الجزيل ، ولعظم ما يترتب على الصيام من اصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق ، جعلت فريضته فى القواعد التى يقوم عليها الاسلام ، والدليل على أن القصد من الصيام الاصلاح والتهذيب، لاتعذيب النفوس بنحو الجوع والعطش قوله (ﷺ) : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه (١) وشرابه) ، وليس معنى هذا الحديث أن من يقول زورا ويعمل به، ليس له من صيام.وانما القصد منه التنبيه على أن الصيام لا يتقبله الله تعالى بقبول حسن الا اذا اجتنب صاحبه قول الزور والعمل به .

أمر الشارع بالانفاق فى وجوه البر ، وورد فى السنة ما يدل على أن للانفاق فى هذا الشهر فضلا على الانفاق فى بقية الشهور ، يظهر هذا من حديث ابن عباس قال : (كان رسول الله (ﷺ) أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان (٢)) وفضيلة التأسى به عليه الصلاة والسلام تدعو الى بسط اليد بالمعروف فى هذا الشهر أكثر من بسطها فيما عداه من الشهور ، حتى يجد الفقراء من احسان الأسخياء راحة بال ، فيقبلوا على الصيام والقيام بنشاط .

أمر الشارع بتلاوة القرآن تمكينا لحجته ، واستضاءة بنور حكمته ، وجاء فى السنة مايرشد الى الاستكثار من تلاوته ، يظهر هذا من حديث ابن عباس فى لقى جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا الحديث (وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن (٣)) والدراسة القراءة ، ومازال أولو

(١) صحيح البخارى .
(٢) صحيح البخارى .
(٣) صحيح البخارى .

فضل شهر رمضان

الألباب من الناس يجعلون لشهر رمضان نصيبا من تلاوة القرآن أكثر من نصيب كل شهر •

والتهجد فى جزء من الليل ، قربة يبعث عند الله مقاما محمودا ، ونبهت السنة على أن من جزاء القيام فى ليالى رمضان غفرانا يمحو الذنوب السالفة ، قال (ﷺ) : (من قام رمضان ايمانا واحتسابا ، غفر له ما تقدم من ذنبه) ومعنى هذا الحديث أن هذا الغفران المترتب على قيام رمضان ، يأتى على الذنوب السالفة جميعا فيسقطها ، ولكن أهل العلم قصروه على صغائر الذنوب دون كبائرها ، ورأوا أن فضل العمل الصالح لا يبلغ أن يسقط الكبائر من المعاصى وصاحبها لم يتب عنها ، أو لم تقم عليه العقوبة المقررة على من يرتكبها يقولون هذا وهم يسلمون أن لمشيئة الله تعالى سلطانا قد يفعل فى كبائر الذنوب ما تفعله التوبة الخالصة ، أو اقامة الحدود •

ومما استندوا اليه فى تقييد المغفرة فى هذا الحديث بصغائر الذنوب أحاديث وردت فى فضل أعمال أخرى وقيدت فيها مغفرة الذنوب باجتناب كبائرها •

وكان صلى الله عليه وسلم يتهجد فى ليالى السنة بأسرها ، وورد فى الصحيح أنه خرج فى احدى ليالى رمضان من جوف الليل ، فصلى فى المسجد ، وصلى رجال بصلاته جرى هذا ثلاث ليال ، ولم يخرج فى الليلة الرابعة ، وقد ضاق المسجد على الحاضرين ، حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس ، ثم قال : (أما بعد فانه لم يخف على مكانكم ، ولكنى خشيت أن تفترض عليكم ، فتعجزوا عنها (١)) والخوف من افتراض هذه الصلاة قد يكون من جهة أن الله تعالى جعلها فى حقهم من الأمور المندوب اليها ، ولم يأمرهم بفعلها فى جماعة على نحو الصلوات المفروضة رفقا بهم ، فاذا تظاهروا بالقوة عليها ، وساروا بها سيرة ما افترضه الله عليهم من الصلوات،

كانوا قد شددوا على أنفسهم فى أمر جعل الله لهم فيه يسرا ؛ فمن المحتمل أن يكون ما أخذوا به أنفسهم من الشدة سببا لأن ينزل الوحى بفرض هذه الصلاة ابتلاءلهم حتى يظهر عجزهم عن اقامتها ، ويدركوا العسر الذى راعاه الشارع فى عدم ايجابها والتأكيد فى الاجتماع لها ، ومتى كان القصد من فرضها تنبيههم لوجه الرفق بهم فى عدم فرضها أولا ، لم يلزم استمرار هذا الفرض حتى يقال كيف يأمر الشارع الناس بما يعجزون عن المداومة عليه ، وقد رأينا الشارع يسن أحكاما لمقاصد سامية حتى اذا أحس الناس بما فيها من عسر عاد الى ما يقتضيه أصل التشريع من الرفق والتيسير ، فالنبى صلى الله عليه وسلم قصد بعدم خروجه لصلاة التراويح فى المسجد قطع أمر من المحتمل أن يكون وسيلة لتكليف يثقل عليهم القيام به ويظهر عجزهم عنه •

وتوفى رسول الله (ﷺ) ولم يكن الناس يجتمعون فى صلاة القيام برمضان على امام واحد ، وبقوا على هذا الحال الى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأقام أبى بن كعب اماما لهذه الصلاة ، وجمع الناس على

الائتمام به ، قال عبد الرحمن القـــارى : « خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنـه ليلة فى رمضان الى المسجد فاذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلى الرجل لنفسه ، ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط ، فقال عمر : انى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد ، لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر : نعم البدعة (١) هذه » .

فالذى فعله عمر بن الخطاب انما هو جمـع الناس على امام واحد بعد أن كانوا يصلونهـا فرادى وجماعات فى المسجد متفرقة ، فعـل هذا لأن الأمر الذى ترك من أجله رسول الله صلى الله عليه وسلم اقامتها بالمسجد فى جماعة،

وهو خوف الافتراض قد انقطع بالوحـــى ، فعمر بن الخطاب استند فيما فعل الى عمـل النبى صلى الله عليه وسلم مع تحقيق النظر فى الوجه الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم قد تركها من أجله ، وأراد بالبدعة هيئة اجتماع الناس على امام واحد ، وسماها بدعة تشبيها لها بعد أن تركت سنين ، بما أحدث على غـير مثال سابق .

وتفضل الله تعالى بليلة جعل العمل فيهـا خيرا من العمل فى ألف شهر ، وهى ليلة القدر وجمهور أهل العلم على أنها تكون فى رمضان أخذا بظاهر أحاديث أرشدت الى التماسها فى هذا الشهر ، ومن ذهب من السلف الى أنهـا تكون فى ليلة من السنة غير مقيدة بشهر ، حمل تلك الأحاديث على التماس ليلة القدر فى رمضان من تلك السنة خاصة .

وهذه الأعمال الصالحات التى جعلها الشارع عمارة شهر رمضان من نحو الصيام ، والقيام، وتلاوة القرآن ، وبسط اليد بالمعروف ، شأنها أن تهذب النفوس ، وتحبب اليها التقوى ، وتعودها على السماحة واحتمـــال المكاره ، وتهيئها للثبات والمواظبة على صالح الأعمـــال فى سائر أيام السنة ، فمن اتقى فى شهر رمضان بعض المحارم ، ورأيته يصوم مع الصائمين ، ويصلى مع المصلين ، حتى اذا انقضى هـــذا الشهر ، جعل يتباطأ عن أداء الواجبات ، ويبادر الى ما كان يتقيه من المحرمات ، فذلك الذى أقام أعماله على غير اخلاص ، ولم يخالط قلبه بشاشة الاستقامة على ما أمر الله .

فضل شهر رمضان بما وصفناه من المزايا ، فاستحق اليوم الذى يلى آخر يوم منه أن يتخذ عيدا ، لأنه يوم تمتلىء فيه قلوب الناس ابتهاجا بما عملوا فى هذا الشهر من خير ، وأى نعمـة يصيبها الانسان فى هذه الحياة تساوى نعمـة أداء ركن من اركان الاسلام محفوفا بضروب من اجل الطاعات وأشرف الآداب ، وأى ارتياح يساوى فى نظر أولى الالباب ارتيـاح النفس عندما تشعر بانها اتقت الله ما استطاعت ، وانما ارتياحها لما ترجوه من رضا الخالق وما يتبعه من عزة فى الدنيا وسعادة فى الاخرى .

محمد الخضر حسين

مجلة نور الاسلام المجلد الثالث

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب العافية، وذكر الموت في الآداب والفضائل

للعالم عبد الحق الأزدي الأشبيلي[1]

كتابنا الذى نقدمه لقرائنا للفقيه العالم الامام (٢) عبد الحق بن عبد الله الازدى الاشبيلى ، أبو محمد ، المعروف بابن الخراط : من علماء الاندلس ٠

كان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله ورجاله ، مشاركا فى الادب وقول الشعر له : المعتل من الحديث « نحو ست مجلدات » ، و « الاحكام الشرعية الكبرى » ست مجلدات، والاحكام الصغرى و « الاحكام الوسطى » و " الجامع الكبير نحو عشرين مجلدا ، كتاب « الزهد » « العاقبة وذكر الموت » و « تلقين الوليد » ، كتاب كبير فى " غريب القرآن والحديث " و " الجمع بين الصحيحين "»٠

ولد سنة ٥١٠ هـ الموافق ١١١٦ ميلادية وأصابته محنة فتوفى على أثرها فى بجاية سنة ٥٨١ هـ الموافق ١١٨٥ م ٠

قال عنه صاحب كتاب « فوات الوفيات » للصلاح الكتبى صفحة ٣١٧ أنه روى عن شريح ابن محمد وأبى الحكم بن برجان وغيرهم وأجاز له ابن عساكر ، وأنزل بجاية وقت فتنة الاندلس فبث بها علمه وصنف التصانيف وولى الخطبة والصلاة بها وكان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله ورجاله موصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع والتقلل من الدنيا ، مشاركا فى الادب وقول الشعر ٠

وصنف فى الاحكام نسختين صغرى وكبرى، وجمع بين الصحيحين وبوبه وجمع الكتب الستة وله كاتب « الزهد » ، وكتاب « الرقائق » وله مصنفات أخرى ٠

وله فى اللغة كتاب حافل ضاهى به كتاب الهروى ، روى عنه أبو الحسن المعافرى ومن شعره :

---

(١) مكتبة الازهر رقم خاص ١١٢٥ وعام ٣٤١٨١ آداب وفضائل ٠

(٢) الاعلام للزركلى جـ ٤ صفحة ٥٢ ٠

إعداد وتقديم : الأستاذ محمد عميرة على

ان فى الموت والمعــــاد لشـــغلا
وإذ كاراً لذى النهى وبلاغـــــــا
فاغتنم خصـــــلتين قبل المنايـــا
صـــحة الجسم يا أخى والفراغـا

والكتاب الذى نذكر عنه بعض ما فيه تصورا للقارىء الكريم هو كتاب « العاقبة وذكـــر الموت » •

قال فى مقدمته : الحمد لله الذى أذل بالموت رقاب الجبابرة ، وكسر بصدمته ظهور الأكاسرة وقصر ببغتته آمال القياصرة ، الذى ادار عليهم حلقته الدائرة : وأخذهم بيده القاهرة فأصبحوا قد خسروا الدنيا ولم يحصلوا على شىء مـن الآخرة •

مصيبة والله لا يجبر مصابها ولا يتجرع صابها ولا تنقضى آلامها ولا أوصالها،

وأستاذنا الفاضل غفر اللــه له سرد كتابه فى عدة أبواب • نذكر منها على قدر مـا يسمح به المقام • والتفصيل فى ذلك كثير فقال:

الباب الاول : باب من أخبار بعض الاموات عند الموت :

ذكر مسلم بن الحجاج من حديث أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول اللـــه — ﷺ — : « جاء ملك المـــوت الى موسى — عليه السلام — فقال له أجب ربك فلطـم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأهـــا فرجع الملك الى الله عز وجل فقـــال : انك أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عينى قال : فرد الله — عز وجل عليه — عينه ، فقال : ارجع الى عبدى فقل له : آلحياة تريد ؟ فــان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سـنة قال : ثم مه قال ثم تموت • قال الآن من قريب• رب فأدننى من الارض المقدسة رمية بحجر ، قال رسول الله — ﷺ — لو أنى عنده لأريتكم قبره الى جنب الكثيب الأحمر » •

ويروى أن عيسى — عليه السلام — مــر برأس ميت فضربها برجله وقال : « تكلم باذن الله فتكلم فقال : ياروح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس على سرير ملكى ، عـلى تاج وحولى خدمى وحشمى وجندى ، اذ تبدى لى ملك الموت فزال منى كل عضو على حالـه وخرجت بنفسى اليه فياليت ما كان مـن تلك الجموع كان فرقة ، ويا ليت ما كان من ذلـك للانس كان وحشة » •

ويروى عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : « كان داود — عليه السلام — رجـــلا غيورا وكان اذا خرج غلق الابواب فغلـــق ذات يوم أبوابه وخرج فأشرفت امرأته فاذا هى برجل فى الدار فقالت من أدخل هذا دارنا لأن جاء داود ورآه ليلقين منه عناء فجاء داود — عليه السلام — فرآه ، قال من أنت ؟ فقال أنا الذى لا أهاب الملوك ولا يمنعنى الحجاب ،

قال فأنت اذن ملك الموت ثم قبض روحه — ﷺ — » .

الباب الثانى — فى الجنائز وفضل اتباعها :

ذكر البخارى عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن النبى ﷺ قال من تبع جنازة مسلم ايمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فانه يرجع من الاجر بقيراطين كل قيراط مثل جبل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فانه يرجع بقيراط .

وذكر مسلم عن ثوبان مولى رسول الله — ﷺ — قال : « من صلى على جنازة فله قيراط فان شهد دفنها فله قيراطان القيراط مثل أحد .

وأعلم رحمك الله أن الجنائز عبرة للمعتبرين وفكرة للمتفكرين وتنبيه للغافلين وايقاظ للنائمين ، بينما الانسان قيام وقعود ونزول وصعود ، وخذ هذا ، ودع هذا وابن هذا واهدم هذا ، وقد كان وما كان ، وأين ذهب فلان ومن أين جاء فلان ، اذا جاءه أمر الله وحادث سماوى وحكم ربانى فتسكن حركته وأطفأ شعلته وأذهب نظرته وتركه كالخشبة الملقاه والحجر المرمى ان صيح به لم يسمع وان دعى به لم يجب وان قطع أو حرق لم يتكلم ان ربك على ما يشاء قدير .

ولكن حب الدنيا وحجاب الهوى الذى غطى القلوب وأغشى البصائر ، يمنع من الفكرة فى الجنائز والاعتبار بها فصارت لا تزيد رؤيتها الا قسوة ولا مشاهدتها الا غفلة ، حتى كأن الميت انما هو نائم يستيقظ بعد ساعة ويهب عن قريب ، أو كأن الذى يراها لا يكون مثلها ولا يدخل مدخلها ، وان ذلك الميت به نزل الموت وحده واياه قصد خاصة .

نعم يعلم الانسان منا انه سيموت كما مات هذا وتشيع جنازته كما شيعت جنازة هذا ، وربما مات بحيث لا تشيع له جنازة ولا توارى له جثة ولكن لا يظن ذلك عن قريب ، ولا يحسب أنه غير بعيد ، قد فسح لنفسه فى المدة ، ومد لها فى المهلة ، وحكم أنه لا يموت الا بعد سنين، وان قال ربما أموت اليوم أو غدا فقول ضعيف، ولا يتحرك منه بسببه ساكن ولا يظهر عليه منه أثر لانه عند رؤية الجنازة كما كان قبل أن يراها

وربما تحدث بحديثه الذى كان يتحدث والميت يدفن وهو وراءه يشيعه الى قبره ، وان جاءه ضحك ضحك وان حضره نادر من لغو الكلام تكلم به ، وأودعه صحيفته وبعث به الى ربه ، وقل ما يبكى على الجنازة الا أهلها تألما لفراقها لا لنفس الموت ، كبكاء الصبى والمرأة اللذين لا يعقلان ولا يعلمان ، ولو كانا يعلمان لكانا بكاؤهما على نفسيهما لا على ميتهما .

ثم قال فى

الباب الثالث — فى الثناء الحسن على الميت والثناء السوء :

ذكر مسلم بن الحجاج من حديث أنس بن مالك قال : مر بجنازة فأثنى عليها خيرا فقال نبى الله ﷺ : « وجبت وجبت » وجبت ومر بجنازة فأثنى عليها شرا فقال نبى الله — ﷺ — : « وجبت وجبت وجبت » .

فقال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فداك أبى وأمى يا رسول الله مر بجنازة فأثنى عليها خيرا فقلت : وجبت وجبت وجبت فقال رسول الله — ﷺ — من أثنيتم عليه خيرا

وجبت له الجنة ، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت القوم المؤمنون شهداء الله فى الارض » .

وفى بعض طرق البخارى فقيل يا رسول الله قلت لهذا وجبت ولهذا وجبت قال : « بشهادة القوم المؤمنون شهداء الله فى الارض .

وفى بعض طرق البخارى أيضا عن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قال النبى — ﷺ — : « من شهد له أربعة أدخله الله الجنة » .

قلنا وثلاثة قال : « وثلاثة » .

قلنا : واثنان .

قال : « واثنان ثم لم نسأله عن الواحد ، وهذا الحديث مخصوص والله أعلم والذى قبله .

وأورد فى باب آخر :

باب ما يحذر من سوء الخاتمة :

اعلم رحمك الله أن هذا أمر اذا ذكر حقيقة ذكره انفطرت وتشققت وانصدعت له الاكباد وتقطعت ، ولولا أن الآجال محدودة ، والانفاس معدودة فلا يتجاوز ذلك المحدود ، ولا يزاد على ذلك المعدود لزهقت الأنفس عند أول ذكره زهوقا لا تجد لسرعته طعم وفاة ، بل تكاد تنعدم انعداما لا تعود معه الى وجود ولا حياة لكنها مربوبة مقهورة مصروفة تخرج اذا أذن لها فى الخروج وتلج اذا اذن لها فى الولوج .

وقد كتب عليها الوجود البقاء فلا انعدام ، ولا مطمع لها فى ذلك ولا مرام ، وما يمنع القلوب رحمك الله من الانشقاق والانصداع ، والانفطار والانقطاع ، والذى يلقى به هذا المحتوم له بهذه الخاتمة المتوفاة عذاب لا تقوم به السموات والأرض لشدته ولا آخر لمدته ، وما منا أحد الا ويخاف أن يكون هو وما الذى آمنه منه ، وما الذى حاد به عنه ، والخاتمة مغيبة ، والعاقبة مستورة ، والاقدار غالبة ، والنفس كما تدرى ، والشيطان منها بحيث تدرى ، وهى مصغية اليه ملتفتة نحوه مقبلة عليه ، هى النفس أن تنظر الى الحق نظرة فان لها فى غيره نظرات ، كذا جرت الاقلام ، وأبرمت الاحكام ، فقسمت الخلق الى قسمين ، وفرقتهم الى فريقين ، شقى وسعيد ، غوى ورشيد ، قريب وبعيد ، ذميم وحميد ، ارتفاع واتضاع ، اتصال وانقطاع ، اجابة وامتناع ، وانت ياهذا لا تدرى بما خرج سهمك ولا كيف ثبت فى هذه الأسماء اسمك . وقال :

قد حكم الله بما شاء من وضع لمن شاء واعلاء
وقدر الامر على ما يرى من وضع أقوام واعطاء
وابرمت أحكامه فى الورى قبل باسعاد واشقاء

وفى الخبر الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة وانما الاعمال بالخواتيم » .

وروى أيضا عن طريق ليس فيه فيما يبدو للناس — وصح عنه عليه السلام أنه قال « جف القلم بما أنت لاق » .

وقال عليه السلام « جفت الاقلام وطويت الصحف » ذكر هذه الاحاديث مسلم والبخارى والترمذى وعند احدهم ما ليس عند الاخر الى آخر شرحه » . وقال .

باب تلقين الميت عند الدفن : والبكاء عليه وقراءة القرآن عنده وذكر محاسنه والسكوت عن مساوئه .

يروى عن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه قال . قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا مات أحدكم فسويتم التراب عليه فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة ، فانه يسمع ولا يجيب ، ثم ليقل يافلان ابن فلانة فانه يستوى جالسا ، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فانه يقول : أرشدنا يرحمك الله ولكنكم لا تسمعون فيقول : أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن اماما .

فان منكر ونكير يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله حجيجه دونهما .

فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف أمه قال بنسبه الى أمه حواء .

ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه حضر جنازة رجل فلما دفن قال : «سلو لأخيكم التثبيت فانه الآن يسأل » .

ويروى عن بعض الصالحين أنه قال : مات أخ لى فرأيته فى النوم فقلت يا أخى ما كان حالك حين وضعت فى قبرك ، قال : أتانى آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لى لهلكت .

باب ذكر منامات رويت لرجال تدل على ما هم فيه من سوء الحال .

يروى عن العباس بن عبد المطلب قال : كنت مواخيا لأبى لهب فلما مات وأخذ الله عنه بما أخبر حزنت عليه وأهمنى أمره فسألت الله حولا أن يرنيه فى المنام قال : فرأيته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال : صرت الى النار ، والعذاب لا يخفف عنى ولا يروح الا ليلة الاثنين فى كل الليالى والايام .

قلت : وكيف ذلك فقال : ولد فى تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم — فجاءتنى أميمة فبشرتنى بولادة آمنة ففرحت وأعتقت وليدة فرحا به ، فأثابنى الله بذلك . فرفع عنى العذاب كل ليلة الاثنين .

ويروى عن طارق بن عبد الله المحاربى قال : رأيت بسوق عكاظ رجلا شابا جميل الوجه يقول أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ، ووراءه رجل أعور يقول أيها الناس لا تصدقوه فانه كذاب وقد رمى كعبيه وعرقوبيه بالحجارة حتى أدماه ، فقلت من هذا الشاب قالوا هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم أن الله أرسله قلت ومن هذا الآخر وراءه قالوا عمه أبو لهب . سوء حال أبى لهب أوضح من أن يحتاج الى شاهد ، ولكنى أردت أن لا أخلى هذا الباب من ذكره وذكر مثله ، وليعلم أيضا أن الكافر لا يغنى عنه شىء ، وأنه ليس له من دون الله ولى ولا نصير ، وهذا التخفيف الذى ذكر انما هو فى البرزخ ، واما فى الآخرة فلا تخفيف ولا تقييد ولا راحة نعوذ بالله من عذابه .

والنسخة فى مجلد بقلم نسخ قديم ، بخط أحمد بن حمزة الحنبلى سنة ٨١٥ هـ بها نقص فى ٢٢٥ ورقة ومسطرتها ٢٧ سطرا .

والله ولى التوفيق والهادى الى سبيل الرشاد .

محمد عمره على

اللغة والأدب والنقد

الميت .. والميت
في لغة القرآن الكريم

مقاييس الإبداع في النقد عند الآمدي

المرأة .. في المجتمع اليهودي

الميْتُ .. والميِّتُ
في لغة القرآن الكريم

الميْت : أما كلمة « الميت » فقد وردت اثنتى عشرة[1] مرة فى القرآن الكريم فى ثمانى آيات نعرضها فيما يلى :

قال تعالى فى سورة آل عمران ٢٧ . ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ[2] الْمَيِّتِ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

قال أبو حيان[3] « .. وذكروا اختلافا كثيرا فى الحىّ والميّت ، والذى نختاره إنه أريد به التوالد ، فيخرج الحىّ وهو الذى قامت به الحياة من الميّت وهو الذى يأتى عليه الموت ويؤول إليه ، فيكون مجازا باعتبار المآل ، ويخرج « الميت » الذى هو سيموت وهذا مجاز من « الحىّ » الذى قامت به حياة ، وظاهره التوالد الإنسانى ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ ﴾ فأتى بمن التى تطلق على العقلاء .

والذى اختاره أبو حيان من أن المراد بالحىّ والميّت ههنا التوالد مطلقا غير ممتنع ، وإن كان ظاهره التوالد الإنسانى لمناسبة ما قبله وما بعده ، ففى الآية ٢٦

---

(١) المعجم المفهرس « الميّت » .

(٢) انظر البيان فى غريب إعراب القرآن ١ / ١٩٨ وفيه : « وقرىء الميت بالتشديد والتخفيف وهما بمعنى واحد ... فمن شدد أتى به على الأصل ، ومن خفف حذف إحدى الياءين طلبا للتخفيف ... وانظر حجة القراءات لأبى زرعة ص ١٥٨ وفيه : « قرأ ابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو وابن عامر « الميْت » بالتخفيف حيث كان . وقرأ الباقون بالتشديد ، أصل الكلمة « مَيْوِت » على فَيْعِل فقلبوا الواو ياء للياء التى قبلها فصارت ميِّتا ، ومن قرأ بالتخفيف فإنه استثقل تشديد الياء مع كسرها فأسكنها فصارت ميْتا وزنه « فيل » ومن قرأ بالتشديد فإن التشديد هو الأصل ... » .

(٣) النهر الماء بحاشيته البحر المحيط ٢ / ٤٢٠ .

د. محمد محمد سعيد

من سورة آل عمران : وهى الآية السابقة لما نحن فيه .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ .... ﴾

فالذى يؤتى الملك وينزع منه الملك هو الإنسان ... وكذلك عجز الآية ٢٧ من سورة آل عمران : ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

فأتى بمن التى تطلق على العقلاء ... لذلك قال : وظاهره التوالد الإنسانى ، إلا أنه لا يمتنع أن يكون النص عاماً فيشمل الإنسان والحيوان والنبات ... وقد تحدثت الآية قبل ذلك عن إيلاج الليل فى النهار وإيلاج النهار فى الليل ، أما الرزق فهو قائم للإنسان ولغيره ، قال تعالى فى سورة هود ـ ٦ ـ ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

وعلى هذا فيمكن أن يراد بالحىّ والميّت ههنا الإنسان أو الحيوان أو النبات ، ويؤيد هذا القول ما يلى :

قال الفراء[4] عند قوله تعالى ﴿ وتخرج الحىّ من الميّت ﴾ : « ذكر عن ابن عباس أنها البيضة : ميتة يخرج منها الفرخ حيًا ، والنطفة : ميتة يخرج منها الولد .

وقال ابن عطية[5] « .... هو إخراج الدجاجة وهى حية من البيضة وهى ميتة ، وإخراج البيضة وهى ميتة من الدجاجة وهى حية ..... وقال عبدالله بن مسعود ... هى النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حىّ ، ويخرج الرجل منها حيًا وهى ميتة » .... وقيل هى الحبة تخرج من السنبلة ، والسنبلة تخرج من الحبة ، والنواة تخرج من النخلة ، والنخلة تخرج من النواة ... »

---

(٤) معانى القرآن ١ / ٢٠٥ .

(٥) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٩ جـ٢ / ٣٧٧ ، أو فى ص ٣٧٨ قال ابن عطية : « وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر وابن كثير وأبو عمر وابن عامر « الميْت » بسكون الياء ، وفى جميع القرآن .. ، وروى حفص عن عاصم « من الميّت » بتشديد الياء ، وقرأ نافع وحمزة والكسائى « الميّت » بالتشديد فى هذه الآية ، وفى قوله : « لبلد ميّت » الأعراف ٥٧ ، و« إلى بلد ميّت » فاطر ٩ ، وخفف حمزة والكسائى غير هذه الحروف .. وما مات وما لم يمت فى هذا الباب يستويان فى الاستعمال . وذهب قوم إلى أن « الميْت » بالتخفيف إنما يستعمل فيما قد مات ، وأما « الميّت » بالتشديد فيستعمل فيما قد مات وفيما لم يمت » .

وقال أبو حيان [١] : تخرج الحيوان من النطفة وهى ميتة إذا انفصلت النطفة من الحيوان ، وتخرج النطفة وهى ميتة من الرجل وهو حى ....

وقد قدمنا هذا التقرير بين يدى كلام مهم لأبى حيان سيأتى ، وذلك لننتفع منه فى إثبات حقيقة الميت والميت التى ذكرناها أنفاً .

قال أبو حيان فى البحر المحيط ٢/ ٤٢١ « ... وتخرج الحىّ من الميّت وتخرج الميّت من الحىّ ... وشدد حفص ونافع وحمزة والكسائى الميّت فى هذه الآية وفى الأنعام والأعراف ... وقرأ الباقون بتخفيف ذلك ، ولا فرق بين التشديد والتخفيف فى الاستعمال كما تقول ليْن وليِّن وهيْن وهيِّن ، ومن زعم أن المخفف لما قد مات ، والمشدد لما قد مات ولما لم يمت فيحتاج إلى دليل ».

لقد ذكرنا أن القرآن الكريم يستعمل المخفف للماضى ، وأوردنا قبل قليل أن الحىّ والميت قد يرد به الإنسان أو الحيوان أو النبات ، وعلى هذا يكون معنى أنه سبحانه يخرج الشىء الحىّ من الشىء الذى ظاهره أنه قد هلك فلا حياة فيه كما فى إخراج النخلة من النواة والسنبلة من الحبة يقوى ذلك أن أبا عمرو الدانى قد جعل قراءة التشديد ههنا لما قد مات أيضاً قال: نافع وحفص وحمزة الكسائى الحىّ من الميت والميت من الحىّ وإلى بلد ميت وشبهه إذا كان قد مات مثقلاً ، والباقون مخففاً .. ..

وأما ما ذكره أبو حيان من أن « من زعم أن المخفف لما قد مات ، والمشدد لما قد مات ولما لم يمت فيحتاج إلى دليل » ..

فالجواب على هذا ... أن ما ذكرناه وما سيأتى من كتاب الله تعالى يقدم الدليل على ذلك ، وأما تنظيره بين ميْت وميّت وبين هيْن وهيّن وليْن وليّن ، فالجواب أن العلماء ذكروا التخفيف فى سيد وميت ولين وهين ، وقد نقلنا ذلك فى أول البحث ، ولكنى لم أعثر على التشديد والتخفيف فى القرآن الكريم إلا فى كلمة ميت ، أما سيد وهين ولين فلم أعثر على قراءة واحدة بالتخفيف ، وكلمة « سيّد » وردت فى القرآن الكريم [٤] مرتين .

وقال فى سورة آل عمران ـ ٣٩

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ .

وقال تعالى فى سورة يوسف ـ ٢٥ .

﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ .

ووردت كلمة هين ثلاث مرات :

وقال تعالى فى سورة مريم ٩ ، ٢١ .

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ .

... ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ... ﴾ .

وقال تعالى فى سورة النور ـ ١٥ .

﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ ﴾ .

(٢) البحر المحيط ٢ ، ٤٢١

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

ووردت كلمة « لَيِّن » فى مرة واحدة .
وقال تعالى فى سورة طه ـ ٤٤
﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ .

وقد رجعت إلى عدد من الكتب التى اعتنت بالقراءات فلم أجد ذكرا بقراءة واحدة بالتخفيف فى آية من الآيات التى ذكرناها ...

فإذا صح ما نقل من أن العرب قد خففت ليّن وهين وسيّد والمعنى واحد ، ومرد ذلك إلى الشواهد ... فإننا نقول أن القرآن الكريم حين خفف كلمة ميت كان ذلك لمعنى ، ولأمر ما لم يخفف فى سيد وهين ولين ، ولم يرد بذلك أثر حتى فى القراءات الشاذة .

٢ ـ الموضوع الثانى من المواضع التى ورد فيها ذكر كلمة « ميّت » قوله تعالى فى سورة الأنعام ـ ٩٥

﴿ إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ .

٣ ـ وقال تعالى فى سورة يونس (١) ٣١ .
﴿ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ .

٤ ـ وقال تعالى فى سورة الروم ١٩ .
﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ .

والقول فى هذه الآيات كالقول فى الآية رقم ٢٧ من سورة آل عمران « الموضع الأول » .

٥ ـ وقال تعالى فى سورة الأعراف ـ ٥٧ .
﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .
٦ ـ قال تعالى فى سورة فاطر ٩
﴿ وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴾ .

فالبلد فى هاتين الآيتين قد عاين أسباب الموت بما أصابه من جفاف ، وكان صائر إلى الموت بموت نباته لولا نزول الماء ، ويجوز أن يقال إنه كان يبدو هالكا على ما فيه من حياة ، فأنزل الله سبحانه الماء فأخرج به من كل الثمرات فبعثت الحياة الكافية فى الشجر وظهرت الحياة على الأرض بعد أن بدت وكأنها قد فارقتها ، كذلك يخرج الله الموتى من الأرض وينشرهم منها بعد أن كانوا فى عين الناظر هالكين مطمورين تحت التراب .

٧ ـ قال تعالى فى سورة ابراهيم ١٦ ، ١٧ :
﴿ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ . يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾

قال أبو حيان : « ويأتيه الموت أى أسبابه ، والظاهر أن قوله : من كل مكان معناه من الجهات الست وذلك لفظيع ما يصيبه من آلام ..

---

١ ـ أتيت بهذه الآية قبل الموضوع الذى ورد فى سورة الأعراف ... نظرا لتناسب هذه المواضع من حيث المراد ...

الميْت .. والميِّت

وقوله وما هو بميت لتطاول شدائد الموت وامتداد سكراته » .

والميّت بالتشديد ههنا جاءت بمعنى الهالك المفارق للحياة ، لا بمعنى المعاين لأسباب الموت ، فهو قد عاين أسباب الموت بأن جاءه العذاب المحيط ولكنه لم تفارقه الروح ، فلا يجوز أن يقال : إن المعنى وما هو بمعاين أسباب الموت .. وسبق القول بأن المخفف للهالك ، والمشدد لمن عاين أسباب الموت وللهالك أيضا ..

٨ ـ وقال تعالى فى سورة الزمر ٣٠ ، ٣١ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ .. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾

وميت فى هذه الآية على عكس ما ورد فى الموضع السابق ـ الآية ١٧ من سورة ابراهيم ـ إذ هى ههنا للمستقبل لا لمفارقة الروح فى الماضى لما فيها من الخطاب فى إنك ولما فى ثم من التراخى ، والتهديد بيوم القيامة حيث يختصم إلى الله سبحانه وتعالى .

ويقوى إرادة معنى المستقبل أن عددا من القراء قرأها مائت ومائتون كما ذكر أبو حيان حيث قال(١) : « وقرأ ابن الزبير وابن أبى إسحاق وابن محيصن وعيسى واليمانى وابن أبى غوث وابن أبى عبلة : إنك مائت وإنهم مائتون ، وهى تشعر بحدوث الصفة ، والجمهور : ميّت وميّتون وهى تشعر بالثبوت واللزوم كالحىّ ..

وقد تقدم كلام الفراء فيما حكاه الجوهرى من أنه « يقال لمن لم يمت إنه مائت عن قليل وميّت ولا يقولون لمن مات هذا مائت » .

ونص ابن الجزرى على أنه لم يقرأ فى هاتين الآيتين إلا بالتشديد ، وعلل ذلك بأن صفة الموت لم تتحقق بعد فى من أطلقت عليه كلمة ميت .

قال فى النشر(٢) : « واختلفوا فى الميتة هنا ـ البقرة ١٧٣ ـ والمائدة والنحل ويس ، و« ميتة » فى موضعى الأنعام ، و« ميتا » فى الأنعام والفرقان والزخرف والحجرات وق ، ولبلد ميت وإلى بلد ميت ، والحى من الميت والميت من الحى ، فقرأ ابو جعفر بتشديد الياء فى جميع ذلك ووافقه نافع فى « يس » الأرض الميتة ، وفى الأنعام ، او من كان ميتا ، وفى الحجرات ، لحم اخيه ميتا ..... ووافقهما يعقوب فى الأنعام .....

وقرأ الباقون بالتخفيف ، واتفقوا على تشديد ما لم يمت نحو « .. إنك ميت وإنهم ميتون » لأنه لم يتحقق فيه صفة الموت بعد بخلاف غيره .. وأظن بعد كل ما سبق انى قد قدمت الدليل الذى طلبه ابو حيان حين قال :

« ومن زعم أن(٣) المخفف لما قد مات والمشدد لما قد مات ولما لم يمت فيحتاج إلى دليل » ....

---

(١) البحر المحيط ٧ ، ٤٢٥

(٢) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥

(٣) البحر المحيط ٢/٤٢١

مقاييس الإبداع في النقد عند الآمدى

أ.د. عبد الحميد محمد العبيسى

(ب) الابداع ، وركائز الروعة الأدبية عنده :

ان منطلق الآمدى فى الابداع هو طريقة العرب ، ومذهبهم الشعرى فى القديم ، فليس الابداع – فى نظره – تمرد الشاعر على مذهب الأوائل ، وانما الابداع « التزام بعمود الشعر ، فمن سبيله الا يخرج عن سنن القوم ، فانه لم يخطر فيه عليه مستغرب المعانى ومستظرفها .

وما أحسن المعنى الصحيح اذا أتى به الطبع النقى ، وكان قائله مخبرا بالأمر على ماهو ، وذلك نحو قول البحترى :

وما أعرفُ الأطلال من بطن تُوضَحٍ
لطول تَعَفّيها ولكن إخالُهَا
اذا قلت : أنسى دار ليلى على البلى
تَصَوَّرَ فى اقصى ضميرى مِثالُها

وهذا هو الشعر الذى لم تشن وجهه الاستعارة البعيدة ، ولا المعنى المتمحل(١) » !!

فأنت ترى الآمدى يحدد معنى الابداع الفنى الذى يبدو لك متعارضا ، اذ المتبادر من « الابداع » هو الابتكار المطلق غير المحدود ، وليس الأمر كما ظننت ، فان الآمدى كان على وعى بأن الأساس فى البناء الشعرى هو جمال الاخراج ، وحسن العرض ، لا الابداع المطلق

---

(١) الآمدى : الحسن بن بشر « الموازنة جـ ١ ص ٥٢٣ / ٥٢٤ » .

الذى يبعد تحقيقه ، فرب فكرة موروثة تفوق فكرة مبتكرة ، فالابتكار من حيث هو ليس صفة فنية بديعة ، انما البدع هو اخراج الفكرة في وضع جديد ، وثوب قشيب يلفت الأنظار ، بل ربما لم يظهر بدع الشاعر الا حينما يتناول خاطرة موروثة أو مطروقة ، فاذا هو يستخرج منها العجب ، لجودة اخراجها ، وحسن عرضها .

ولما كان الشعر العربي في جملته غنائيا فان عملية « التحوير » التى وضع تسميتها الأستاذ الدكتور شوقي ضيف — تبدو ضيقة — على عكس « التحوير » عند الغربيين ، لتعدد شعرهم من قصصى الى غنائى وتمثيلى ، فالتحوير عند العرب ظل محدودا في آماد ضيقة ، فهو لا يظهر الا فى الصورة ، والفكرة المحصورة ، على أن هذا التحوير الضيق يمكن تقسيمه قسمين :

(أ) قسم : تظهر فيه أصالة الشاعر ، اذ يعدل في العناصر القديمة تعديلا يجعلنا نراها ، وكأنما تغيرت وجوهها وصورها .

(ب) وقسم آخر : يحس الانسان ازاءه كأن الشاعر لا يصنع شيئا أكثر من التلفيق .

فالقسم الأول هو التحوير الفنى ، وقد شاع فى القرنين الثانى والثالث ، ونحن نذكر بالاعجاب ما قام به أبو تمام في هذا الباب ، واقرأ هذا البيت المعروف لزهير :

أثافِىَّ سُفْعًا فى مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ
وَنُؤْيًا كَجِذْمِ الحَوضِ لم يتثلم

ثم انظر ما انتهت اليه هذه الأثافى ، وهذا النؤى عند أبى تمام ، اذ يقول :

أثافٍ كالخدود لُطِمْنَ حُزْنا
ونُؤْىٌ مثلما انفصم السِّوارُ

فانك لا شك تراع روعة شديدة بهذا التحوير الفنى الذى يجعلك تنسى الأصل ، وكأنه صنع الصورة ، وابتكرها ابتكارا .. واترك أصحاب التصنيع الى غيرهم من الصانعين كالبحترى ، فانك ستذكر ما كان يضيفه الى خواطره من تحوير فى الأصوات يذنا ، ويمتعنا متعة تخلق فى أذهاننا هذا الجو الموسيقى الخاص به ، والذى تنطلق فيه مزاميره ، فاذا هى تؤثر فى أعصابنا تأثيرا حادا ، ونحس كأننا نحلم حلما سارا فى جو موسيقى لا عهد لنا بسحره وفتنته(٢) » .

أما التحوير الملفق فمرذول ، وقد ظهر مع القرن الرابع وما بعده ، ولا مجال فيه لعمل ابداعى بأية صورة من الصور .

وقد انتقد الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة نهج النقدة العرب الأقدمين ومنهم الآمدى صاحبنا بقوله : « ان النقاد العرب لم يفهموا الأصالة الفنية على حقيقتها ، كما أنهم لم يدركوا مفهوم التقليد من وجهة نظر الفن الجميل ، فلم يكونوا مضطرين قط الى وضع اصطلاحين للابتداع :

(٢) ضيف : د / شوقى « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٢٩٧/٢٩٩ » بتصرف .

الأول : الاختراع ، وجعلوه للمعنى .

والآخر : الابداع ، وجعلوه للفظ ، مع أن معنيهما واحد لأن المعول عليه فى الفن جمال الاخراج ، اذ يتوقف عليه الاحساس بجمال النموذج الفنى ، ولأن الابداع المطلق شىء لا وجود له ، بل ان غاية الابداع هو اخراج الفكرة فى معرض جديد بعد أن يضفى عليها الشاعر من أسلوبه وشخصيته ما يجعلها جديرة باسمه وعبقريته(٣) » .

وفى تقديرى أن تفسير الآمدى للابداع بمنجاة من هذا الانتقاد ، ذلك أن هذا التفسير ينتظم أمرين :

الأول : أن يكون له مثال يبنى عليه فى طريقة الشعراء العرب الأوائل ، أو بعبارة أخرى أن يلتزم عمود الشعر .

الثانى : أن يحدث لمسات جمالية مقبولة ، بالصورة القريبة ، والمعنى السهل ، تجعل شعره المطبوع الخالص جديدا خالبا !!

ولكن ما الروعة الأدبية ؟ :

ان الروعة الأدبية أثر للابداع الفنى ، وثمرته ، فاذا استطاع الشاعر المبدع بمهارته ــ اظهار معانيه السهلة من خلال الصورة التى تخرج منها هذه المعانى ــ فان الانسان يحس جمال الشعر عند سماعه أو قراءته .

وانك تلمس مظاهر هذه الروعة فى تعليقات الآمدى الكثيرة على شعر الطائيين وغيرهما ، وسأكتفى بنماذج منها ، انظر الى تعليقه على **بيت امرىء القيس :**

فان تكتموا الداء لا نُخْفِه
وَإنْ تَقْصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدِ

كل لفظة (فى هذا البيت) تقتضى ما بعدها ، فهذا هو الكلام الذى يدل بعضه على بعض ، ويأخذ بعضه برقاب بعض ، واذا أنشدت صدر البيت علمت ما يأتى فى عجزه ، فالشعر الجيد ــ أو أكثره ــ على هذا مبنى(٤) » !!

وفى كلام الآمدى سر اعجابه ، وهو الترابط المحكم فى البناء الشعرى ، أو التلاحم القوى بين أجزائه !! مما عرف بالوحدة الفنية فى القريض . وكذلك فى تعليقه على بيت أبى تمام :

دِمَنٌ ألمّ بهـا فقال : سـلامُ
كمْ حَلَّ عقدةَ صبرِه الالمامُ

هذا المصراع الأول فى غاية الجودة ، والبراعة ، والحسن ، والصحة ، والحلاوة ، وعجز البيت جيد بالغ أيضا ، وأبو تمام ــ عندى ــ فى هذا البيت أشعر من البحترى فى سائر أبياته فى التسليم على الديار(٥) » .

ثم تعقيبه على بيت البحترى :

أصَبَا الأصائل إنّ بُرْقَةَ مُنشدٍ
تشكو اختلافك بالهبوب السرمد

مازلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون : انهم ما سمعوا لمتقدم ولا متأخر فى

---

(٣) هدارة : د / محمد مصطفى « مقالات فى النقد الأدبى ص ٥٢ / ٥٤ / ٥٥ » .
(٤) الآمدى : الحسن بن بشر « الموازنة جـ ١ ص ٢٩٩ » .
(٥) المصدر السابق : « جـ ١ ص ٤٤١ ، ص ٤٤٤ » بتصرف » .

هذا المعنى (تعفية الرياح للديار) ـ أحسن من هـذا البيت ! اولا أبرع لفظا ، ولا أكثر ماء ، ولا رونقا ، ولا ألطف معنى(٦) » .

على أن الآمدى يستخدم الفحولة وصفا للفظ ، وللكلام فى حديثه عن البحترى ، وقد كانت الفحولة من قبل مرتبة ولقبا عند السابقين له كأبى عبيدة سنة ٢٠٩هـ ،والأصمعى سنة ٢١٧ هـ ، وابن سلام الجمحى سنة ٢٣١ هـ لا تعطى ، ولا تمنح الا للشعراء المتفوقين المقتدرين الذين يبزون أقرانهم ، ويفحمون نظراءهم ، انظر الى الآمدى يجعل الفحولة وصفا للفظ فى قول البحترى :

اذا ارتفق المشتاقُ كان سُهادُه
أحقَّ بجَفْنَىْ عينِهِ من هُجُوعِهِ

وهذا لفظ فحل ، ومعان فى غاية الصحة والاستقامة(٧) » .

كما يجعل الفحولة وصفا للكلام فى قول البحترى الآخر :

مستهترٌ بالظاعنين وفيهمُ
صدٌّ يُصَرِّمُ لوعةَ المستهتر
يَسَلُ المنازلَ عنهمُ وعلى اللِّوى
دِمَنٌ دوارس ان تُسَلْ لاتخْبِرِ
ومن السفاهة ان تَظَلَّ مكفكفا
دمعا على طلل تابدَ مُقْفِرِ

وهذا كلام فحل ، ومعان جيدة ، صحيحة مستقيمة(٨) » .

وهكذا فان المتأمل يمكن أن يستنبط ركائز تلك الروعة الأدبية التى تثير اعجاب السامعين أو القارئين فى نقاط هى :

(أ) الفحولة والبراعة والرصانة .
(ب) حلاوة اللفظ .
(جـ) جودة الرصف والسبك .
(د) حسن الديباجة .
(هـ) كثرة الماء والرونق .
(و) قرب المأخذ .
(ز) دقة التصوير القريب .

هذا والآمدى فى كل هذا عربى أصيل ، لا يعتمد على أجنبى دخيل(٩) ، وآية ذلك ما نقله عن شيوخ العلم بالشعر :

زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم الا بأربعة أشياء :

١ ــ جودة الآلة .
٢ ــ اصابة الغرض المقصود .
٣ ــ صحة التأليف .
٤ ــ الانتهاء الى تمام الصنعة من غير نقص فيها ولا زيادة عليها .

وهذا عام فى الصناعات وغيرها ، كما نقل عن الأوائل أن كل محدث مصنوع يحتاج الى اربعة أشياء :

١ ــ علة هيولانية وهى الأصل .

(٦) المصدر السابق : « جـ ١ ص ٤٥٠ » .
(٧) المصدر السابق : « جـ ١ ص ٤٨٠ » .
(٨) المصدر السابق : جـ ١ ص ٥٠٣ » .
(٩) المصدر السابق « جـ ١ ص ٤٢٧ » .

٢ ــ علة صورية •
٣ ــ علة فاعلة •
٤ ــ علة تمامية(١٠) •

وهو فى هذا النقل كله يمضى الى غايته المثلى فى أن صحة التأليف ، وجماله هى أقوى الدعائم بالنسبة للشعر بعد صحة المعنى ، « فكل من كان أصح تأليفا كان أقوم بتلك الصناعة ممن اضطرب تأليفه (١١) » •

فالمعول عند الآمدى هو : مذهب التأليف الجميل الخالب ، الذى يحقق **عمود الشعر** ، وبه تحدث الروعة الأدبية المنشودة !!

وواضح أن تلك الدعائم الأربع التى يقوم بها الشعر المصنوع تقابل العلل الأربع ،

فالهيولانية : « المادة : الألفاظ » •
والصورية : « اصابة الغرض » •
والفاعلة : « صحة التأليف » •
والتمامية : « بلوغ الصنعة حد التمام بدون نقص ولا زيادة » •

ومن العجب العجاب أن نرى بعض النقدة المعاصرين يسرف فى القول : « ومن غريب أمر الآمدى الذى يبنى أكثر نقده على الاحتكام الى طريقة العرب أن يستأنس أحيانا بثقافة فلسفية فى الحديث عن صناعة الشعر ، وهو انما يتعمد ذلك ، ليسند مذهبه فى ايثار حسن التأليف ، ••• ، ••• ، وغير خاف أننا لا نستطيع مناقشة الآمدى فى هذا التشبيه الذى استمده من الفلسفة (الأجنبية) ، لأنه لم يفهمه ، فالعلتان الأولى والثانية : « الهيولانية والصورية » تقابلان فى الشعر ما أطلق عليه النقاد العرب : « اللفظ والمعنى »، أما الفاعلة فهى « قوة الخلق » التى تجعل من الاتصال بين الهيولى والصورة تفردا يميز بين قوام وقوام ، وأما التمامية فهى ان صدقنا الآمدى فى استعمال المصطلح تساوى العلة « الغائية » ، فكيف توصل الآمدى الى القول بأن صحة التأليف هى أقوى الدعائم بعد صحة المعنى ؟ وممَّ يكون التأليف اذا لم يكن المعنى (الصورة) أحد ركنيه الكبيرين (١٢) » •

ولنا أن نتساءل فى مواجهة هذا الناقد وأمثاله: **ما مغزى الآمدى اذن من سوق هذا الفكر**

الأجنبى الوافد ؟ أو كان يهدف الى الاحتكام الى أصوله ومقاييسه ؟ أم كان خاضعا وهو المعروف بتعصبه لطريقة العرب ــ لمؤثرات أجنبية يزعم أنه لم يفهمها ؟ كلا • لا هذا ، ولا ذاك •

وبيان ذلك أن المدرك لنهج الآمدى الذواقة الناقد لا الفيلسوف يرى لأول وهلة أنه كان يسعى جاهدا الى ابراز مكمن الروعة الأدبية فى التأليف ، ومن ثم سمى ما يجىء به أبو تمام أحيانا : « فلسفة » ، هربا من تسميته بالشعر، وهو بهذا يخلص لذوقه الأدبى ، ويحرص عليه •

(١٠) المصدر السابق : « جـ ١ ص ٤٢٥ ، ص ٤٢٦ » « بتصرف » •
(١١) المصدر السابق : « جـ ١ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ » •
(١٢) عباس : د / احسان « تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ١٧١ ، ١٧٢ » •

فلم يكن صنيعه يوحى بأنه يريد الاحتكام الى مؤثرات أجنبية لم يفقهها ، بل هو تلمس ف كلام الآخرين ما يدعم وجهته فى ابراز مذهب التأليف الجميل ، فلا تثريب عليه فيما صنع ، وبخاصة « أنه لو تعمق الثقافة الفلسفية لتنازل عن أشياء كثيرة من قواعده (١٣) ، كما صرح بذلك منتقده ذاك !!

ثم ان لفظة : « زعموا » التى وردت فى معرض حديثه عن صحة التأليف ، ومقومات الصناعة — توحى بأن الآمدى يتحفظ على هذا الكلام ، فلا يأخذه كله ، أو يبلغ به مبلغ الايمان ..

وانما كان الرجل مشدودا متحمسا نحو مذهب صحيح فى التأليف الجميل ، وقد بذل قصارى جهده فى التأكيد على قيمته ، والتدليل على أولويته ، « وهو عنده عنصر مهم من عناصر عمود الشعر ، وطرائق العرب المعروفة (١٤)» . فى صياغة الشعر وبنائه ، فالشعر فى « عمود الشعر » — كما قدمنا — لغة المشاعر والعواطف وترجمان الأخيلة والأحاسيس ، همه أن يصل الى القلب بأيسر السبل ، وأسهلها وأسرعها ،

فهو ترنيمته ، وأنشودته ، وقيثارته ، وهو ليس لغة المنطق والعقل والتفكير ، لأن العقل يخاطب بالفلسفة والحكم ، ومن هنا كان الحاح الآمدى على الشعر الذى تبدو فيه السهولة الواضحة القريبة ، مع الدقة ، وحسن التصوير ، وتلك فضيلة « البحترى(١٥) » !!

أما طلاب المعانى الغامضة فهم « أصحاب الصنعة ، ومن يميل الى التدقيق ، وفلسفى الكلام (١٦) ، ... ، وهؤلاء الذين يميلون الى الصنعة ويؤثرونها ، ويركنون الى المعانى الغامضة التى تستخرج بالغوص والفكرة ، ولا يقصدون غيرها — هم أصحاب أبى تمام !! » .

وما من شك فى أن الروعة الأدبية كمقياس نقدى جعلته يتحسس الجمال الخالب فى أشعار غير الطائيين ، انظر اليه ، وهو يتحدث عن اعجابه بهذا الشعر الأخاذ ، «وأنشد فى غير واحد من الشيوخ » :

ما غيَّرَ الدار بعدَ بينهم
ريحٌ عفَتْ آيَها ولا مَطَرُ
كأنها جرعةٌ يمانيةٌ
قد نُثِرتْ فى عِراصِها الحِبَرُ

وقال آخر ، وأنشده حماد (الراوية) :

قد وقفنا لِكُلثُمْ
بطلول وأرْسُمِ
لائحاتٌ كأنها
بُرُدُ وشى مُنَمْنَمِ
وسألنا فأُفْحِمَتْ
عن جواب المكلِّمِ

(١٣) المصدر السابق : « ص ١٧٢ » .
(١٤) قصاب : د / وليد « قضية عمود الشعر فى النقد العربى القديم ص ١٤٩ » .

(١٥) الآمدى : الحسن بشر « الموازنة جـ ١ ص ٤ / ٥ » . بتصرف .
(١٦) المصدر السابق : « جـ ١ ص ٤٩١ » .

وهذا كله : **أحلى وألطف معانى ، وألوط بالنفس ،** من كل ما قال الطائيان (الأكبر : أبو تمام ، والأصغر : البحترى فى وصف الديار والبكاء عليها التى قال فيها **البحترى ،** ومن احسانه المشهور فيه قوله :

أَمَحَلَّتَىْ سلمى بكاظمة اسْلَمَا
وَتَعَلَّمَا أَنَّ الجوى ما هِجْتُمَا
هـل ترويان من الأحبّة هائما
أو تُسعدانِ على الصبابة مُغرَمَا
ابكيكما دمعا ولو أنّىَ على
قدر الجوى أبكى بكيتكما دما

ومن جيد أشعار أبى تمام فى هذا الباب أيضا :

أرامة كنت مالف كل ريم
لو استمتعتِ بالأُنسِ القديم
أدار البؤس حَسَّنك التصابى
إلىَّ فصرتِ جنات النعيم
لئن أصبحتِ ميدان السوافى
لقد أصبحتُ ميدان الهموم
ومما ضَرّمَ البُرَحَاءَ أنى
شكوت ، فما شكوت الى رحيم
أظن الدمع فى خدى سَيُبْقِى
رسوما من بكائى فى الرسوم

وهذا من أسهل كلامه ، وأسلس نظمه ، ومن أبعد قول من التكلف والتعسف ، وأشبهه بكلام المطبوعين وأهل البلاغة .

وقوله : « فصرت جنات النعيم » معنى حسن ، ولكن فيه اسراف أن يجعل دارا خلت من أهلها — دار بؤس وهو باك فيها — جنات النعيم !!

وقد أتى البحترى بهذا المعنى متبعا فيه أبا تمام ، ولكنه جاء به على سبيل اقتصاد واعتدال ، وتجنب الافراط ، فقال :

يا مغانى الأحبابِ صرتِ رسوما
وغدا الدهر فيك عندى مَلوما
ألِفَ البؤسُ عَرْصَتَيْكِ وقد كُـ
ـنتِ بعينىَّ جنة ونعيما

فقال : « ألف البؤس عرصتيك » ، ثم قال :

« وقد كنت بعينى جنة ونعيما » ، فجعلها جنة ونعيما فيما مضى ، ومع هذا فانى أقول : ان بيت أبى تمام أحسن ، وهو فى سائر أبياته أشعر (١٧) » !!

وبعد فها هو ذا الآمدى لا يمنعه تأثره بالروعة الأدبية لهذا القريض من أن يبدى ملاحيظه — كما رأيت — وانا لنلمس حسه الدينى ، ووعيه الايمانى فى نقده أبا تمام ، حين جعل الدار الخالية البائسة التى يبكيها جناب النعيم !! كما نلحظ اعجابه بالشعر الذى يروقه ، بغض النظر عن قائله ، مما جعله ناقدا موضوعيا محايدا فذا !!

(أ٠ د / عبد الحميد محمد حسن العبيسى)

(١٧) المصدر السابق : « جـ ١ ص ٤٧٨/٤٧٩ » .

المرأة
فى المجتمع اليهودى

ان من يحاول التعرف عــلى موقف اليهود من المرأة ، ونظـــرتهم اليها ، وعلاقتهم بها ، من خلال المصادر التى يقرونها ، يخطىء كثيرا ان هو أحســن الظن بهم او أطمان الى كل مايكتبونــه عنهـــا .

فقد يعتقـد بأنهم يكرمون المــرأة ويحتـــرمونها استنادا الى أنه ورد فى احدى وصاياهم مانصه :

« أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك عــلى الارض التى يعطيك الهك » (١) وربما يظــن أنهم يبالغون فى توقيرها لرؤيته أحكاما وضعت تفرض عقوبات رادعة على من يتطاول عليهــا مثــل .

« من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا ، ومــن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا » (٢) وهو قد يلاحظ اهتمامهم بصيانة عرضــــها وحمايتها من الانحراف فى مثل هذا الامر .

« لاتدنس ابنتك بتعريضها للزنى لئلا تزنى فى الأرض وتمتلىء الارض رذيلة » (٣) ولقد يجرفه تيار النصوص فيقر بعلو مكانتها لديهم وقد يدهشه أن يقدموها على « الدين » عنــد تعريف اليهودى فى قانون الجنسية الاسرائيلى الصادر فى عام ١٩٥٢ والذى عدل عام ١٩٦٠ ليكون التحديد النهائى لليهودى :

« أنه الشخص المولود لأم يهـــودية ، أو اعتنق الدين اليهودى » وهو قد لايســتطيع اخفاء اعجابه بسبب تخليدهم لها ، اذجعلوا لها عيدا يعتبر من أهم أعيادهم ، أعنى عيد (الفوريم) الذى يحتفلون به يومى ١٤، ١٥ (مارس ــ آذار) من كل عام احياء لذكرى (أستير) التى يحمل العهد القديم قصتها فى سفر كامل يضمه بين دفتيه .

ووجــه الخطأ فى هذا الفهم يكمن فى أن يعتقد القارىء أن لهذه النصوص توجيهــا مقدسا فى نفس اليهودى .

---

(١) تثنية ٥ ــ ١٦
(٢) تكوين ١٥ ــ ٣
(٣) لاويين ١٩ ــ ٢٩

ولقد كان من الممكن ان يكون لها التزام - بوجه ما - لو ان القانون اخذها مأخذ الجد فلم يتهاون في امرها ثم يغض النظر عنها .

على أنه اذ يغض النظر عنها ، فانما هو يستند الى ركن نفسى شديد تكون منه أقوال (الحاخاميم) فى التلمود الذى لا يعتبر — بحال — شريعة سماوية ، ولكنه يحظى لديهم بتقديس شديد ، من هنا كان التكريم — فى الواقع — زيفا فى نفوس اليهود .

لقد كانت نصائح الحكيم المصرى القديم (آنى) فى فضل الام ووجوب البر بالوالدين(٢) لها أثر فى نفوس المصريين فوق أثر النصوص العبرية مع ما للأخيرة من جلال وقداسة لكنها الجلال والقداسة التى لم تُولَ ما تستحق فى نفس القوم .

ثم نأتى الى ما أمروا به من عدم تعريض المرأة للزنى فنجد عدم التزامهم بهذا الامر فيما كتبه ، مارتين زوكر « مراسل صحيفة — ديلى امريكان — التى تصدر باللغة الانجليزية فى روما عقب زيارته القدس » عام ١٩٧٢ اذ يقول : « ان الادارة الاسرائيلية فى القدس لا تكتفى بتغيير معالم المدينة فحسب وانما تقوم بتغيير تقاليد وقدسية المدينة أيضا ، فالمدينة المقدسة فتحتها الادارة الاسرائيلية أمام عاهرات اليهود وسمحت لهم بافتتاح بيوت للدعارة ومواخير للهو ، والادارة الاسرائيلية لا تنكر هذا الواقع المحزن والمخجل للمدينة .

ويذكر الكاتب أن أحد الضباط المسئولين عن المدينة قد علق على هذه الظاهرة بالآتى :

« ان الدعارة هى الشىء الوحيد الذى لا يتسم بالصراع بين العرب واليهود ، وان المترددين على هذه البيوت من العرب يجدون فيها ترضية جنسية لهم ونفسية فى ذات الوقت » (١) .

فاذا ما تناولنا مسألة تقديمها على الدين فى نص قانون الجنسية الاسرائيلى لا نجد فيه اعلاء لشأنها اذ هو فى واقعه قيد على حريتها فى الارتباط بمن يختاره قلبها من المخالفين لها فى العقيدة ولو كان كتابيا « مسلما أو نصرانيا » وهو استمرار للنهج العنصرى الذى وضعه لهم كاهنهم « عزرا » (٢) ليضمن به عدم اذابتهم فى غيرهم وليحافظ به على بقائهم وقد نتج عن تطبيقه مشاكل لكثير من النساء اليهوديات اللاتى ولدن من أب يهودى وأم غير يهودية نذكر

(١) جريدة اخبار اليوم ١٩٧٢/٩/٩ ص ٥

(٢) هذا إن صدق ما نسبوه إليه

منهن السيدة « ريتا عيتانى » وكانت قد نزحت الى فلسطين عام ١٩٤٧ ثم التحقت بمستعمرة جماعية وخدمت فى الجيش الاسرائيلى ووصلت الى مركز مستشارة حزب « الماباى » وكانت تربى أبناءها تربية يهودية وتحتفل بأعياد اليهود الا أنه ــ وعلى الرغم من كل هذه الخدمات التى قدمتها لدولة اسرائيل فى أصعب فتراتها ــ لم توافق وزارة الداخلية الاسرائيلية عام ١٩٦٥ الا على اعتبارها (مواطنة اسرائيلية غير يهودية) حيث ثبت لهذه الادارة أن أمها كانت ألمانية مسيحية وبالتالى ، ووفقا للقانون السابق الاشارة اليه « لا تعد يهودية بما فيه الكفاية » .

وكان تعليق مجلة « تايم » على مشكلة هذه السيدة فى ١٢ فبراير ١٩٦٥ ما يلى : « ان مشكلتها ترجع الى أن القوانين الاسرائيلية تتأثر كثيرا بمجموعة قليلة من اليهود المتشددين وحتى تصدر الحكومة قرارها ستظل السيدة « عيتانى » مجهولة الهوية لا يعرف أحد هل هى اسرائيلية أم المانية أم بولندية أو عديمة الجنسية ؟ ولا يزال أولادها موضع الاستهجان (١) .

أما تخليدهم المرأة بتخصيص عيد لها هو « عيد أستير » فالمعروف عن الاعياد سواء الدينية أم الوطنية انما تكون لاحياء وتخليد قيم عليا ومثل تتطلع اليها الانسانية ولم تكن « أستير » على شىء من هذا بل هى فى حقيقتها (نموذجا) لخيانة اليهود للأوطان التى تأويهم اذ استغلت منصبها كملكة لايران فى تقديم كل التسهيلات لبنى جنسها اليهود حتى يتمكنوا من اقتصاديات البلد ويحكموا قبضتهم عليه ولما شعر رئيس وزراء الشاه بخطورة هذا الوضع على وطنه حاول أن يحد منه فتآمرت عليه وتسببت فى قتله مع أكثر من ثمانين ألف ايرانى حتى « وقع رعب اليهود فى كل قلب » .

ومما عرضناه موجزا عن « استير » يتضح لنا أن عيدها لا يذكر العالم الا بوحشية اليهود وقوة انتقامهم اذا ما تمكنوا من خصومهم مما دفع كثيرا من علماء الدين اليهودى والمسيحى الى التفكير طويلا فى سفرها وصحة ضمه الى العهد القديم لكن الكثرة المطلقة من رجال الدين اليهودى أقرته بل أن أحد ربانيهم فى القرن الرابع عشر الميلادى لم يتورع من أن يعلن « أن قصة استير » لا تقل أهمية من الناحية الدينية عن (توارة موسى) كما أنها أرفع من (مزامير داود) و (أسفار الانبياء) (٢) .

أما سبب ابقائهم على هذا السفر فهو أن تكون قصة « استير » المثال الذى تروض عليه المرأة اليهودية فتشب على نمطه ويتأتى من هذا النمط خدمة الاهداف الصهيونية نفسها ولكى نوضح تأثير هذا السفر على المرأة اليهودية نعرض لواحدة من نسائهم هى

(١) دعايتهم نصف المعركة ــ محمد احمد رمضان ص ٨٤ .

(٢) التوراة الهيروغليفية ــ فؤاد حسنين على ص ١٧١

« استيركير » الشهيرة فى تاريخ العثمانيين فقد تمكنت بفضل جمالها وجاذبيتها من النفوذ الى دائرة السراى فى الأستانة فى القرن السادس عشر وفى عام ١٥٤٩ أصبحت « ملتزمة » لكافة جمارك الاستانة بأمر ملكى من السلطان سليمان القانونى وداومت على هذا العمل حتى عهد « محمد الثالث » وقد قامت بدور مخرب فى الدولة اذ كانت تقدم الوظائف للطالبين مقابل رشاوى وأرغمت موظفى المالية على قبول نقود مزيفة من المستوردين مقابل المستحقات الجمركية الواجبة عليهم مما حمل خزانة الدولة خسائر كبيرة ، هذا بالاضافة الى قيامها بأعمال تجسس لصالح بنى جنسها وازاء هذا النشاط المضر بالدولة تقدم شيخ الاسلام بعريضة الى السلطان مطالبا اياه فيها بأن لا تبقى هذه المرأة على قيد الحياة وقد تم تنفيذ حكم الاعدام فيها وعلقت أوصالها على غصون أشجار ميدان « باب الباشا » (١) .

واذا كان قد تبين مما عرضناه ألا أثر للنصوص المقدسة فى نفوسهم لتكريم المرأة وتقديرهم لها فانهم زادوا الطين بلة بتحميلها وحدها محنة أحزان الجنس البشرى بسبب غوايتها الرجل على مخالفة أوامر الرب وقد أخذ موقفه العدائى منها صورا عدة تبدو فى تقديمه الحيوانات الدنيا فى الخلق عليها مستهدفا بذلك الحط منها وتحقيرها وفى التلمود كثير من الحكم التى تحملهم حملا على الاقلال من شأنها مثل :

« اهبط خطوة عند اختيار الزوجة ، واعل خطوة لاختيار الصديق » (٢) بل أنه يحض على ابتذالها فى علاقتها الجنسية بالرجل التى يرتبها عقد الزواج فيقول : « اللواط بالزوجة جائز لليهودى لان الزوجة بالنسبة لليهودى كقطعة لحم اشتراها من الجزار ويمكنه أكلها مسلوقة أو مشوية حسب رغبته » (٣) .

وهو يسلبها حقها فى الشكوى من وقوع الضرر عليها ويستهين بمشاعرها بنصه على أنه « ليس للمرأة اليهودية أن تبدى أية شكوى اذا زنى زوجها بأجنبية فى المسكن المقيم فيه مع زوجته » (٤) .

وهم — الى اليوم لا يلحقونها بمدارسهم الدينية خضوعا لهذا « التلمود » الذى ينتقصها .

واذا كان لنا أن نضيف شيئا الى ما بيناه عن موقفهم من المرأة ونظرتهم اليها وعلاقتهم بها من واقع (تلمودهم) الذى جعلها « قطعة لحم » تشبع الرجل كيف يشاء فليس ذلك هو الاسلام ، حيث يقول تعالى :

(١) جواد رفعت اتليفال ص ٩٨ — ٩٩ بتصرف .
(٢ — ٣ — ٤) ابراهيم احمد خليل اسرائيل والتلمود ص ٧٦ ، ٧٧ .

المرأة فى المجتمع اليهودى

« وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » البقرة ٢٢٨ .

« وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا » البقرة ٢٣١ .

« وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ » النساء ١٩ .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ فى المعاشرة بالمعروف ـ لوافد بن المنتفق : « ولا تضرب ظعينتك » (١) .

وحدث حكيم بن معاوية البهزى عن أبيه أنه قال للنبى ـ ﷺ ـ : « ... ما حق زوج أحدنا عليه .

قال ـ ﷺ ـ : تطعمها اذا أكلت ، وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر الا فى البيت » .

كذلك ليست هى « قطعة لحم » للرجل يأكلها كيف شاء فقد حرم المولى ـ عز وجل اتيانها الا فى مكان الرحم منها فقال تعالى :

« فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » البقرة ٢٢٣ .

والحرث فى الآية الكريمة « منبت الولد » قال الشيخ حسنين مخلوف ـ أطال الله بقاءه ، فى تفسيره :

« فاتوهن اذا تطهرن من الحيض فى موضع الحرث كيف شئتم : قائمات قاعدات مستلقيات مادام ذلك فى صمام واحد ، وهو الفرج ، وفى الآية دليل على تحريم اتيانهن فى دبرهن » .

وامره تعالى ببر الوالدين واضح وتاكيده على الام معروف مشهور .

محمد عبد اللطيف

---

(١) مسند احمد ٤/٣٣ .

(٢) مسند احمد ٤ / ٤٤٦ ـ ٤٤٧ .

أنباء وآراء

إعداد
أحمد عبد الرحيم السايح
صفوت عبد الجواد

اسلام ٤٠٠ من الوثنيين

أعلن عبد السلام سليمان سعد رئيس البعثة الاقليمية لمنظمة الدعوة الاسلامية بجنوب كردفان بالسودان أن أربعمائة رجل وامرأة بجبال النوبة قد اعتنقوا الاسلام خلال الأشهر القليلة الماضية • قامت ادارة البعثة بارشاد المسلمين الجدد بما يجب عليهم من ستر لأجسادهم • اذ ان غالبيتهم كانوا من الوثنيين العراة •

الاقتصاد الاسلامى والمنافسة العالمية

أوصى المؤتمر الوزارى الاقتصادى للعالم الاسلامى فى (اسطنبول) بزيادة حجم التعاون الاقتصادى بين الدول الاسلامية ، والاسراع فى دفع عجلة التنمية وتحقيق التعاون التجارى والاقتصادى بين شعوب العالم الاسلامى • أعلن رئيس الوزراء التركى خلال المؤتمر أن التكافل الاقتصادى بين الدول الاسلامية لا يعنى الانعزال عن حركة الاقتصاد العالمى ، وأنه من الضرورى اقتحام مجال المنافسة الدولية من موقع القدرة الاقتصادية للعالم الاسلامى • وكان مؤتمر اسطنبول قد عقد خلال شهر رجب ١٤٠٦ هـ • ورأس جلسة الافتتاح رئيس الجمهورية التركية كنعان ايفرن •

أول كلية جامعة لدراسة أساليب التنصير

تقرر اقامة أول كلية جامعة اسلامية للعلوم التبشيرية بالسودان • اتخذت الكلية معهد البعوث الاسلامية بجبل الأولياء مقرا لها حتى ينتهى العمل فى مبانيها الجديدة بنفس المنطقة • تقبل الكلية خريجى الكليات والمعاهد الاسلامية، وراغبى العمل فى مجال الدعوة الاسلامية من كافة التخصصات : الطب ، الهندسة ، الرياضيات ، العلوم وغيرها •

يقوم بالتدريس عدد من أساتذة الفقه المقارن والشريعة وأصول الدين والدعوة والعقيدة والفلسفة الاسلامية وعلوم التوحيد •

◄

أنباء وآراء

كما تستعين بعدد من علماء الجغرافيا والاقتصاد والاجتماع ، لشرح تأثير عوامل المكان والمادة والبيئة على المجتمعات الاسلامية •

أضخم موسوعة اسلامية

تبدأ مؤسسة الموسوعة العربية فى بغداد فى اعداد أضخم موسوعة اسلامية يقول الدكتور بهجت كامل مدير المؤسسة ان الموسوعة تتضمن ٢٥ الى ٣٠ مجلدا باللغة العربية فى جميع أنواع المعرفة • وتولى اهتماما خاصا بالحضارة العربية الاسلامية •

كان العراق قد استضاف هذه المؤسسة وقدم لها دعما يبلغ ربع مليون دولار •

وتشرف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على اصدار هذه الموسوعة •

وقد وجهت مؤسسة الموسوعة العربية الدعوة الى أكثر من سبعمائة مفكر وباحث عربى فى مختلف العلوم والفنون للمساهمة فى انجاز هذا المشروع الضخم واخراجه بصورة تليق بالحضارة العربية الاسلامية •

التعريف بالحضارة الاسلامية

شاركت كل من العراق وباكستان وأفغانستان وتركيا ومصر فى اعداد مشروع ثقافى للتعريف بالحضارة الاسلامية •

أعد المشروع مركز بحوث الشرق الأوسط التابع لجامعة عين شمس ويحمل عنوان « شعوب الشرق الأوسط فى موكب الحضارة الاسلامية » •

يجرى تنفيذ المشروع على هيئة أسابيع ثقافية تقدم فيها الدول الخمس أبحاثها •

كانت الدول الأربع المشاركة بجانب مصر قد تقدمت بهذه الأبحاث مساهمة منها فى دعم المركز وتوثيق الروابط بين شعوب منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة ، وبين مصر وجميع الدول الاسلامية المشاركة فيه بصفة خاصة • فى نفس الوقت قدمت هذه الدول مجموعة كبيرة من المؤلفات العلمية الاسلامية للمركز •

تحفيظ القرآن لجميع تلاميذ قطر

بدأت ادارة احياء التراث الاسلامى بدولة قطر تنفيذ خطتها الجديدة لتحفيظ القرآن الكريم لجميع التلاميذ الذين يدرسون بمدارس الدولة •

أكد الشيخ عبد الله الانصارى مدير الادارة أن الخطة تركز على تطبيق الطريقة المثلى لتحفيظ القرآن الكريم للنشء وهى التى تتم عن طريق التلقى والتى تتيح للطفل أن يتمكن من ضبط مخارج الألفاظ والحفاظ على أصول التلاوة •

مسابقة دولية

أعلنت وزارة الشئون الدينية فى باكستان عن تنظيم مسابقة دولية لأفضل سبعة كتب عن السيرة النبوية المطهرة •

اشترطت اللجنة المنظمة للمسابقة ضرورة أن تكون الكتب السبعة باللغات العربية والفارسية والالمانية والتركية والانجليزية والاسبانية •

تبلغ قيمة جوائز المسابقة خمسة آلاف دولار •

حددت اللجنة المنظمة موضوعات الكتب

المشتركة في المسابقة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ودوره تجاه الاسلام والانسانية والعمل التشريعي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي الذي اضطلع به النبي ، وكيفية تطبيقه صلى الله عليه وسلم لمنهج الاسلام على المستوى الفردي والجماعي •

تشمل موضوعات المسابقة أيضا دور الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه الاسلام والانسانية، ورحمة الرسول والرسالة ، وموقف النبي من المرأة والمجتمع والطفل وكيف أنه أعطى المرأة قدرها وحقها وأنصفها كما طالبت الشريعة بذلك •

اشترطت وزارة الشئون الدينية ضرورة أن يكون مؤلفو هذه الكتب مازالوا على قيد الحياة وألا تقل صفحات كل كتاب عن ٢٠٠ صفحة ، وان زادت فلا مانع •

المجلة القرآنية

أصدر قسم النشر والتوزيع بمركز النشر السني بـ (كيرالا) بالهند مجلة جديدة باسم « المجلة القرآنية » تضمنت المجلة أكثر من خمسين مقالا في علوم القرآن الكريم باللغة المليالمية • أسهم في كتابتها عدد من كبار العلماء والكتاب • بمختلف الأقطار الاسلامية والعربية من بينهم علماء من كيرالا نفسها •

يرأس تحرير المجلة الشيخ بهاء الدين المليباري الندوى مدير مجلس الدعوة الاسلامية ورئيس تحرير مجلة « الحكمة الاسبوعية » ويعاونه في التحرير الشيخ عبد الرحمن الباقوري الفالافوتي عميد كلية الثقافة الاسلامية بأماتور •

يتبع مركز النشر مجلس الدعوة الاسلامية بلاميورم بكيرالا في الهند •

نقابة المحامين تناقش القوانين من أجل اسلامها

أقامت لجنة (الشريعة الاسلامية) بنقابة المحامين ندوة اسلامية خلال شهر رجب ١٤٠٦هـ حول (أسلمة القوانين الوضعية) •

أوصت المناقشة بأنه من الأفضل تنقية القوانين الحالية مما يخالف الشريعة وتغطية القصور الموجود فيها بما يفي بالغرض من تطبيق الشريعة وضرورة تعديل مناهج كليات الحقوق بما يتمشى مع المادة الثانية من الدستور • وأنه اذا تمت (أسلمة القوانين) فسيكون من السهل تطبيقها لأن الفرد المسلم سيطبقها من تلقاء نفسه •

أسوان ترفض ما يتعارض مع الاسلام

رفض المجلس الشعبي المحلي بمحافظة أسوان مشروعا سياحيا ضخما لأنه تضمن انشاء كازينو للقمار مما يتعارض مع أحكام الشريعة الاسلامية التي تحرم القمار • وكان أحد المستثمرين الاستراليين تقدم بمشروع سياحي لاقامة فندق يتكلف عشرين مليون جنيه على أن يتضمن المشروع انشاء صالة للقمار •

ناقش المجلس بحضور اللواء قدرى عثمان محافظ أسوان المشروع وأجمع الاعضاء على قبول المشروع من حيث المبدأ بشرط عدم انشاء

صالة القمار ، لأن الاسلام يحـرم القمـار لأضراره النفسيـة والمـادية على الأفـراد والجماعات ٠

وصرح « صفوت الجبلاوى » عضو المجلس بان تشجيع المشروعات السياحية لا ينبغى أن يكون على حساب قيمنا الاسلامية وسوف يحال المشروع الى وزارة السياحة للبت فيه لأن سلطة انشاء كازينوهات القمار من اختصاص الوزارة ٠

الاسلام للأمريكيين

أعلن الدكتور طه العلوانى نائب رئيس المعهد العالى لفكر الاسلامى بأمريكا أن المعهد بـدأ فى تنفيذ سياسة لتصحيح فكرة الامريكيين عن المسلمين تتلخص هذه السياسة فى عقد ندوات دورية تضـم مجموعـة من مدرسى العـلوم الاجتماعية والانسانية الامريكيين الذين يعملون بالمدارس الثانوية بهدف تصحيح معلوماتهم عن الأمة الاسلامية ٠

أضاف الدكتور العلوانى أن مدرسى المدارس الثانوية الامريكية يلتقون فى هذه الندوات مع علماء المسلمين ليقوموا بعد ذلك بنقل المعلومات الصـحيحة عن الاسـلام والمسلمين الى تلاميذهم ٠

أكد الدكتور العلوانى على أهمية هذه الخطوة لأن عقلية الانسان الأمريكى تصاغ من خـلال الدارسة الثانوية ٠

وقال الدكتور العلوانى ان هذه النـدوات لاقت نجاحا منقطع النظير وأصبح المدرسـون الامريكيون يقبلون عليها اقبالا شديدا ٠

شركة سياحية لا تقدم الخمور وتحقق أرباحا عاليـة

صرح الدكتور عبد العظيم بسيونى رئيس مجلس ادارة شركة مصر « سينا » للسياحة ، وسكرتير جمعية الاقتصاد الاسلامى بانه أثناء مناقشة ميزانية الشركة للعام الماضى اتضح أنها حققت نسبة عالية من الأرباح برغم أنها لا تقدم الخمور للسـائحين على خـلاف ما يتوهم البعض ٠

وكان الرئيس حسنى مبارك قـد أعرب عن سعادته بالطـلب الذى تقـدمت به اليه هذه الشركة فى العام الماضى تطلب منه الموافقة على عدم تقديم الخمور لعملائها الذين يتوجهون الى المعالم السياحية فى سـيناء ٠ وقال ان هـذه الاماكن المقدسة لا يصح أن تقدم فيها الخمور ٠

واكد الدكتور بسيونى ان تجـربة الشركة اثبتت أن السائح الأجنبى لا يحضر لمصر لكى يشرب الخمر ويمارس الاباحية التى يجدهـا ميسرة فى بلاده ٠ كما تؤكد أن تحريم الخمور والقمار ان يكون عائقا للسياحة على الاطلاق ٠

موضوع رسالة بجامعة الأزهر

* نوقشت بكلية الأعلام بجامعـة الأزهر رسالة الماجستير المقـدمة مـن الطالب جمال النجار وموضوعها صحافة الاتجاه الاسـلامى فى مصر مـن مطلع القرن العشرين حتى نشـوب الحـرب العالمية الأولى والرسـالة تضـيف الى المكتبة الاسلامية جديدا عن الصحافـة الاسلامية خلال تلك الفترة والتى عنى بمناقشتها الدكتور الأحمدى ابو النور والدكتور احمد حسين الصاوى اسـتاذ الصحافة بجامعة القاهرة ٠

وكان الدكتور محمد السيد رئيس قسم الصحافة بجامعة القاهرة والدكتور السيد تقى الدين وكيل كلية اللغةالعربية بجامعة الأزهر قد أشرفا عليها من الناحيتين الصحفية والدينية •

وقد أبرز الباحث أثر الغزو الفكرى فى الصحافة العامة الأمر الذى حدا بالصحافة الاسلامية أن تتصدى له •

وعرض البحث لدور الزعيم « مصطفى كامل » فى الحركة الاسلامية وبراءه من التبعية لفرنسا وانما كان تلميذا لعبد الله النديم فى وطنيته واتجاهه الاسلامى •

كما أكد الباحث دور الصحافة الاسلامية فى اذكاء الحماسة والدفاع عن الوطن ابان الحرب والثورات التى واكبت مطلع القرن العشرين •

لأن الجذور الشريرة للاحتلال الانجليزى كانت قد أثمرت فى المجتمع المصرى حينذاك

فان ردود الأفعال فى الصحافة الاسلامية كان قويا يعكس موقفا اسلاميا أصيلا يستهدف القضاء على آثار هذه الحملات الضارية ضد الاسلام التى كان يقف وراءها قادة الأحتلال الانجليزى •

وقد نالت الرسالة امتيازا مع مرتبة الشرف الأولى •

الملك حسين يفتتح مؤتمر بحوث الحضارة الاسلامية •

* دعا الملك حسين عاهل الأردن علماء المسلمين الى توحيد كلمتهم ودعا الى نشر العلم النافع ليصبح العلم فى النفوس وليس فى العقول فقط وحذر من ثورة العقل على الدين •

جاء ذلك فى كلمة الملك حسين فى افتتاح المؤتمر الخامس لبحوث الحضارة الاسلامية •

حضر الافتتاح بالعاصمة الأردنية فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة وزير الأوقاف ، وقد صرح الدكتور ناصر الأسد رئيس « المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية » بالأردن بأن المؤتمر سوف يناقش عددا من أهم القضايا الاسلامية التى تهم المجتمع المعاصر والتى تمثل البرنامج الأساسى لبحوث مشروعات الخطة الأولى للمجمع ومن أهمها موضوعات الشورى فى الاسلام والادارة المالية ومعاملة غير المسلمين فى ظل الدين الاسلامى الحنيف •

قرار بالغاء تراخيص الخمور فى اسيوط

* وافق اللواء سامى خضر محافظ أسيوط على قرار المجلس الشعبى المحلى بمحافظة أسيوط بالغاء تراخيص الخمور بالمحافظة • ويقضى هذا القرار باغلاق ثلاثة وثلاثين محلا لبيع الخمور فى المراكز والمدن الكبرى بأسيوط وقد وصلت مئات البرقيات والمكالمات التليفونية لمحافظ أسيوط وللمجلس الشعبى والمحلى من الغيورين على المبادىء الاسلامية أعربوا فيها عن ارتياحهم لهذا القرار • وقد قدم علماء الاسلام مذكرة طالبوا فيها بمنع تجارة الخمور وعرضت على المجلس الشعبى المحلى لمحافظة أسيوط وبناء عليه اتخذت دراسة جادة وشاملة انتهت بصدور قرار المجلس المحلى الذى وافق عليه محافظ اسيوط سامى خضر بالغاء تراخيص الخمور •

* عقدت اللجنة التحضيريه لمؤتمر التربية فى الاسلام اجتماعا برئاسة الدكتور أبو الوفا التفتازانى نائب رئيس جامعة القاهرة وقد

أنباء وآراء

بحثت الاطار العام الذى سيجرى عليه العمل فى المؤتمر وقد تم فى هـذا الاجتمـاع الذى حضره عدد كبير من العلماء والمفكرين والمهتمين بالتربية فى الاسلام وممثلين لوزارات التربية والتعليم والأوقاف والشئون الاجتماعيـة والثقافية وجامعة الأزهر .

تم بحث المجالات التى ستدور عليهـا أبحاث المؤتمر واللجان التى ينبثق عنها وهى اللجنة العامة برئاسة الدكتور أبو الوفـا التفتازانى ولجنة الأبحاث برئاسة الدكتـور أحمد شلبى ولجنة الأعلام برئاسة الأسـتاذ محمود مهدى ولجنة العلاقات العامة برئاسة الأستاذ جمال خشبه الذى تم اختياره أمينـا عاما للمؤتمر .

تستأنف اللجنة التحضيرية اجتماعاتها يـوم الأحد ٨ رمضان ١٧ مـايو القـادم للنظر فى أوراق العمل التى ستقدم اليها وتتفق عـلى الخطوات التنفيذية لعقد المؤتمر باذن الله .

* قام الأمير ماجد بن عبد العزيز أمـير منطقة مكة المكرمة بغسل الكعبة المشرفة نيابة عن الملك فهد بن عبد العزيز عاهل السعودية . وذلك يـوم الجمعة ١٦ من شـعبان ١٤٠٦ هـ وذكر (راديو) الرياض ان عددا كبيرا من أعضـاء السـلك الدبيلوماسى الاسـلامى المعتمدين لدى السعودية قد شاركوا فى غسل الكعبة المشرفة .

* فى الفقه الاسلامى والمعاملات الماليـة المعاصرة أصدر فضيلة الشيخ . محمد خاطر مفتى مصر الأسبق دراسة اسلامية جـديدة تحت عنوان (جهـاد فى رفع بلوى الربـا) وقد عرض فيها لأدلة تحريم الربا والحكمة من تحريمه وقدم البديل الاسلامى لذلك من خلال أنواع الشركات المالية فى الفقـه الاسـلامى كشركات المضاربة والقراض .

بين فضيلة الشيخ خاطر كيفية التطبيـق المعاصر لهذه الشركات كما تناول المفتى الأسبق فى دراسته الجديدة الأبحاث الفقهيـة التى تعالج نظام التكامل الاسلامى باعتبـاره البديل الحلال لنظام التأمين الحالى .

*** شاركت مصر فى أعمـال مؤتمر الفقـه المالكى الذى عقد مؤخرا بالامارات وقد دعيت مصر للمشاركة ببحث عن الاجتهاد وشروطـه وأقسامه ومدى الحـاجة اليـه فى هذا العصر والمعروف أن المجتمع هناك (مالكى) لذا كـان المؤتمر بيانا عن جهود علماء الفقه المالكى عبر العصور المختلفة فى الاستنباط والاجتهـاد وقـد مثـل مصر فى المـؤتمر الدكتـور الأحمدى أبو النور وزير الأوقاف .**

من خير ما كتب

د : عبد الفتاح السيد عبد السلام

بيان من شيخ الأزهر عن الاعتداء على الشعب الليبى إلى الأمة الاسلامية عامة والشعوب العربية بوجه خاص

أرأيتم إلى هذه الاستهانة ؟ أأدركتم سوء هذه الاهانة التى لحقت بامتنا ؟ هل استجبنا إلى أوامر الله وكنا عباد الله اخوانا متحابين متعاونين ؟

هل لو كانت الشعوب العربية والاسلامية ممتثلة لقول الله سبحانه :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ أكانت اية قوة تحاول النيل من كرامتها والاستهانة بمكانتها وكيانها إلى هذا الحد ؟ اكان يجرؤ احد أن يعتدى على شعب عربى مسلم وارض عربية مسلمة يقتل الأطفال والشيوخ والنساء .

ولو أن الحكام العرب بوجه خاص خرجوا من هذا الشقاق الذى غرقوا فيه غير مبالين بالاخطار التى تحيط بالأمة وتهدد كيانها وتلاقوا على كلمة سواء ما جرؤت امريكا ولا غيرها على أن تعربد فى ساحات الشعوب العربية والاسلامية بحرا وجوا ، ولكنهم استمرأوا الشقاق والنزاع متناسين ما حذرهم الله منه : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

ها هو الفشل قد حاق بالأمة من كل جانب منذ أن استمعت لنداءات الفرقة والتبعية إلى هذا المعسكر او ذاك من المعسكرات الغالبة على هذا العالم فى عصرنا .

إن الأزهر ليهيب بالحكام العرب خاصة وبالأمة الاسلامية عامة أن يقفوا وقفة

من خير ما كتب

شجاعة دفاعا عن كيانهم ووجودهم ، فإن الأمر ليس اعتداء على فرد وانما على شعب عربى مسلم .

إن حكام العرب والمسلمين إذا تهاونوا فى هذا الأمر وابتلعوا هذه الإهانة فإن أمورا جساما ستقع على شعوب امتنا واحدا إثر الآخر .

إن على الأمة الاسلامية والعربية ان تؤازر الشعب الليبى وتقف وقفة رجل واحد ضد المعتدى ، وتزار فى وجه الظلم والظالمين .

جددوا العهد مع الله واجمعوا صفوفكم وصدوا هذا العدوان بكل الطرق فإن يد الله مع الجماعة .

إن الأزهر ليدعو الشعوب الاسلامية عامة إلى اليقظة لما يحاك ضدها وينبه الحكام واولى الأمر ان ياخذوا الأمر بايديهم وان يواجهوا هذا العدوان بما يردعه ، فإنه ليس عدوانا على شخص وإنما إهانة لأمة ، وإنه كان على هذه الدولة العاتية التى تجاوزت حدودها ان تعرف ان المسلمين لن يرضوا ولن يسكتوا على هذا العدوان .

إن الازهر ليدعو كافة المنظمات الدولية : جامعة الدول العربية ، منظمة المؤتمر الاسلامى ، والمنظمة الافريقية ، ومنظمة دول عدم الانحياز ، ومنظمة الامم المتحدة ، إلى اتخاذ موقف حاسم ضد هذا العدوان حتى لا تمتد هذه اليد مرة اخرى باعتداء اثيم .

ايها العرب والمسلمون :

اجمعوا امركم ولا تركنوا إلى غير الله ربكم ، وكونوا صفا واحدا يرهبكم اعداؤكم : فانما ياكل الذئب من الغنم القاصية ..

واعملوا بقول الله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ .

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

الأستاذ / مصطفى أمين ..

فكرة

المنظر العربى اليوم منظر مخيف كريه . كاننا نعود بخطوات سريعة الى الجاهلية الأولى ! بعض الدول تحولت الى قبائل ، وبعض الحكومات تحولت الى عصابات . والأمة الواحدة تفتت وتفرقت . وما كان يستطيع اى عدو أن يفعل بنا ما فعلناه بأنفسنا .

هل معقول أن حزبا واحدا فى لبنان ينقسم على نفسه ويتقاتل الاخوة ويذبحون بعضهم بعضا ؟ هل معقول أن حزبا عربيا واحدا ينشطر الى شطرين واذا بنصف حزب البعث فى سوريا يؤيد الذين يحاولون تدمير حزب البعث فى العراق ؟ هل معقول أن يختلف أعضاء الحزب الشيوعى فى اليمن الجنوبية ، وبدل أن يحلوا خلافاتهم بالنقاش أصبحوا يحلون هذه الخلافات بالدبابات والطائرات والسفن الحربية ؟

نحن لا نريد أن نعيش فى عصر الحضارة والتقدم . ولهذا ننفق أموالنا على الهدم بدل أن ننفقها على البناء ، ونصرف الملايين على

التدمير ونرفض أن نصرفها على التعمير ، نهزم اخوتنا بدل أن نهزم أعداءنا الذين يتربصون بنا .

فى استطاعة هذه الأمة — اذا تضافرت — أن تصبح قوة لا يستهان بها . لا يعبث أحد بحقوقها ، ولا يجرؤ قوى على الاعتداء على استقلالها . ولا توضع قضاياها على الرف كأنها قضايا ثانوية لا أهمية لها . نحن الذين نعطى لأنفسنا صورة المتخلفين المتنازعين مع أننا نملك كل أسلحة التقدم والانطلاق .

ومن الغريب أن الشعوب العربية متفقة متفاهمة ، والحكومات العربية مختلفة متحاربة. واذا اجتمع عربى مع عربى تعانقا ، بينما يعجز حكام الدول العربية على عقد مؤتمر قمة ! والمفروض أن المحنة تجمعنا وتقربنا ، ولكن المحن التى تنزل ببلادنا تزيد تفرقنا وانقسامنا . ولم يحدث لشعب من شعوب العالم أن انهالت عليه الكوارث والمصائب كما حدث للشعب الفلسطينى . وكان المفروض أن يتحد هذا الشعب ليقاوم حرب الابادة التى يتعرض لها ، واذا بهذا الشعب المطارد المضطهد يتحول الى أحزاب تتقاتل وتتضارب وتتحارب ، ووجدنا فلسطينيين يقتلون فلسطينيين . وليس هذا ذنب الفلسطينيين وحدهم وانما هو ذنبنا كلنا ، عندما أردنا أن نستغل مأساة هذا الشعب لنحقق مصالحنا ولنشفى غليلنا من بعضنا ، ولنسلط الفلسطينى على الفلسطينى .

لابد من قيامة عربية ! يوم قيامة نخرج فيه من قبورنا التى دفنا فيها أنفسنا أحياء ، وننزع أكفاننا المصنوعة من الحقد والكراهية والبغضاء ، ونعود الى عصورنا الذهبية عندما كنا أمة واحدة . ولكى نحقق هذا البعث يجب أن نتحرر من قيودنا وأغلالنا ، وأن تستمتع الأمة العربية بكل حقوق الانسان . فالأحرار يتفقون والعبيد يختلفون . والمبصرون يرون طريقهم ، والعميان يتخبطون ويضلون الطريق .

الامة العربية قادرة أن تحول الهزيمة الى نصر . لو استفادت من الكوارث التى حلت بها ، ولو عرفت أن الخلافات العربية والحروب الأهلية هى التى قضت على دولة الاندلس وابادتها ودفنتها فى تراب النسيان .

فضيلة الشيخ / محمد الغزالى ..

سبب الهزائم

هل ترجع هزائمنا العامة الى اننا لا نملك طائرات بعيدة المدى ، والى اننا لا نصنع القنبال الذرية ؟ بعض الناس يتصور أن عجزنا الصناعى والعسكرى من وراء تخلفنا هنا وهناك وان أمتنا لو ملكت هذه الاسلحة سادت وقادت .

ان هذا فكر سقيم ! والواقع أننا مصابون بشلل عضوى فى أجهزتنا الخلقية ، وملكاتنا النفسية يعوقنا عن الحراك الصحيح ، وأن مجتمعاتنا تشبه أحياء انقطع عنها التيار الكهربائى فغرقت فى الظلام ، ولابد من اصلاح الخلل الذى حدث كى يسطع التيار مرة أخرى ..

وعلاج الأعطاب الشديدة أو الخفيفة بالكلام البليغ أو النصح المخلص لا يكفى ! لابد من ازالة أسباب الخلل ، ومن اعادة الأوضاع

من خير ما كتب

الى أسسها السليمة الى فطرتها الاولى «فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله» ٠

وقد راعنى أن خلائق مقبوحة انتشرت بين الناس دون مبالاة ، أو مع اغماض متعمد واستمرت مواقعة الناس لها حتى حولها الالف الى جزء من الحياة العامة ، ومن هنا رأينا الاستهانة بقيمة الكلمة ، ورأينا قلة الاكتراث باتقان العمل ، ورأينا اضاعة الامانات والمسئوليات الثقيلة ، ورأينا القدرة على قلب الحقائق ، وجعل الجهل علما والعلم جهلا ٠٠ والمعروف منكرا والمنكر معروفا ٠٠

ان قضية الأخلاق وما عراها من وهن أمر جلل انك لا تستطيع بناء قصر شاهق دون دعائم وأعمدة وشبكات من الحديد ، ولاتستطيع بناء انسان كبير دون أخلاق مكينة ٠

وعندما ترى مجتمعا صارما فى مراعاة النظام دقيقا فى احترام الوقت ، صريحا فى مواجهة الخطأ ، شديد الاحساس بحق الآخرين ، غيورا على كرامة الأمة ، كثيرا عند الفزع ، قليلا عند الطمع ، موثرا ارضاء الله على ارضاء الناس عندما ترى هذه الخلال تلتقى فى مجتمع ما فثق أنه يأخذ طريقه صعدا الى القمة ٠٠٠ !

وقد كان « المسلمون » الأوائل نماذج أخلاقية تجسد فيها الشرف والصدق والطهر والتجرد ولذلك تصدروا القافلة البشرية عن جدارة ٠

الحق والقوة ٠٠

سلام على الحق ان لم تؤيده القوة هذه هى العبرة التى تكشف عن نفسها اليوم أمام عدوان دولة كبرى على دولة صغيرة ٠

ان الاحداث التى وقعت تثير اكثر من تساؤل عن السياسة الامريكية ، والديمقراطية الامريكية ، كما تثير تساؤلات عديدة على الموقف العربى ٠

ان السياسة الامريكية قررت أن تحارب الارهاب بالارهاب ٠٠ وهذا فى حد ذاته تناقض مؤسف ، وهو تأكيد للارهاب وليس حربا له ٠

ومثلما كان الناس يقولون فى حوادث خطف الطائرات ٠

وما هو ذنب الأهالى الليبيين الابرياء الذين لا علاقة لهم بالسياسة ؟

كذلك صار الناس يتساءلون اليوم ٠٠ وما هو ذنب الاهالى الليبيين الابرياء الذين تضرب مساكنهم دولة كبرى ٠

من الأسئلة الهامة التى تثيرها الاحداث ٠٠ حقيقة النظام الديمقراطى الامريكى ٠

كان يقال لنا دائما أن أمريكا هى أم الديمقراطية فى العالم ، وأن الحاكم فيها لا يستطيع أن يقرر الا بعد أن تقرر المؤسسات ثم يعرض الامر بعد ذلك على ممثلى الشعب الامريكى ، لأخذ القرار النهائى ٠

أين الديمقراطية فيما حدث ؟

لقد تحركت القوات الامريكية وضربت ارضا عربية دون أن يأخذ أحد رأى الشعب الامريكى انما ابلغ هذا الشعب بما حدث بعد أن حدث •

هل هذه هى الديمقراطية ؟

واذا كانت هذه هى الديمقراطية فماذا نسمى البربرية والارهاب •

ان السياسة الامريكيه قد أساءت الى المصالح الامريكية بهذا التصرف اساءة مؤكدة ، لقد تزلزت هيبة امريكا وعادت صورة الامريكى القبيح الى الظهور ، وهى صورة رسمتها السياسة الامريكية ولسنا نعرف كيف انزلقت لهذا الخطأ •

ويبقى الموقف العربى •

وهو يثير أكثر من سؤال هو الآخر •

* لو كان العرب على قدر من التجمع والاتحاد والاتفاق ، ولو على المستوى الاستراتيجى •

أكان ما حدث يمكن أن يحدث ؟

* لو كانت مصر فى مكانها الذى كان ينبغى أن تكون فيه فى قلب الأمة العربية لولا مزايدات بعض ساسة العرب •• أكان ما حدث يمكن أن يحدث ؟

ان العرب ليسوا ضعافا فى ذاتهم ، وليسوا مهزومين بحكم خلقتهم ، وانما أضعفتهم الفرقة وهزمهم عدم التضامن •

ان العرب لا يدركون أنهم جميعا يركبون سفينة واحدة •• وأى ضرر يصيب السفينة يهدد كل من فيها •

نسأل الله أن يستيقظ العرب — هذه المرة — على الوحدة والتضامن •• ان الحق بغير القوة أرض مستباحة وهذه هى عبرة ما حدث •

الأستاذ / محمود مهدى

دعاة اليوم •• ودعاة الأمس ••

رحم الله زمانا كان الدعاة ، والوعاظ فيه مراجع علمية تمشى على الارض ، وتضم بين جوانحها أنفس العلوم والمعارف الدينية •• لقد كانوا — رضوان الله عليهم — نماذج مشرقة للعلم والورع والتقوى ، فتحقق فيهم قول الله تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » •• وصدق فيهم قول رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم « اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس » ••

حقا كان الدعاة كذلك ، وما أحسب ما نحن فيه الأن من غلو أو تطرف أو جهل فى أمور الدين الا راجعا لندرة المجتمع من أولئك الدعاة العالمين العارفين الصالحين •

أقول هذا الآن وأكرره منذ عدة أعوام مضت كلما اقترب موسم الامتحانات فى جامعة الأزهر ، حيث تأتى دائما مادة القرآن الكريم فى أدنى نسب النجاح بين طلاب كليات الجامعة •• ان هذا الذى يجرى منذ عدة أعوام

من خير ما كتب

فى معاهد وكليات الأزهر بالنسبة لمادة القرآن الكريم يجعلنى وغيرى نستشعر حجم الخطر الذى يحيط بمستقبل الدعوة والدعاة ، لأن عمود الدعوة وسنامها هو القرآن الكريم ، فهو دستور الاسلام الذى على أساسه يقوم أسلوب ومنهاج الدعوة الى الله •• وأى تحرك على هذا الاتجاه دون حفظ كامل للقرآن الكريم وادراك تام لكل ما يتعلق به من علوم واحكام ، لا يمكن أن يحقق الهدف منه •

وحتى لا أخوض فى تفاصيل الاسباب التى أدت الى أن تكون مادة القرآن الكريم أكثر المواد رسوبا بين طلاب جامعة الأزهر ••

وحتى لا أخوض أيضا فى الأسباب التى أدت الى المستوى الراهن للدعوة والدعاة ، فانى أطالب بأن تأخذ الدراسات القيمة والتوصيات العلمية التى انتهت اليها المجالس القومية المتخصصة باشراف الدكتور محمد عبد القادر حاتم طريقها الى التنفيذ ، فهى كفيلة بتصحيح مسار الدعوة والنهوض بمستوى الدعاة ، بل وأكثر من ذلك فهى كفيلة بصحيح مسار التعليم الأزهرى بشكل عام •

ان هذه الدراسات والتوصيات التى اشترك فيها صفوة من علماء الأزهر وخبراء التعليم تدعو الى اعادة النظر فى نظام القبول فى المعاهد الأزهرية والكليات التابعة لجامعة الأزهر •

أضواء على غزوة بدر - بقية

تعالى : « مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (١) •

لاعجب : أن ينتصر المسلمون فى غزوة بدر ، رغم قلة عددهم ، وكثرة أعدائهم ••

لأنهم آمنوا بربهم ، وبأنهم على حق ، والحق لابد ظافر ومنصور « بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ » (٢) •

فلم يكن النصر اذن : ثمرة السلاح والعدد وانما هو نفحة الصبر والجلد ، والايثار والتضحية ، وحبهم للموت والشهادة ، واستهانتهم بكل مرتخص وغال : « فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » (٣) •

عبد المنصف محمود عبد الفتاح

(١) الأنفال : ٦٧ ، ٦٨ ••

(٢) الانبياء : ١٨ ••

فهرس العدد

"God has promised to those among you who believe and work righteous deeds, that He will, of a surety, grant them in the land inheritance (of power), as He granted it to those before them; that He will establish in authority their religion The one which he has chosen for them; and that He will change their state after the fear in which they live, to one of security and peace. They will worship Me alone and not associate naught with Me.
If any do reject faith after this, they are rebellious and wicked".

(Surat Nur, XXIV, 55)

Translated from the Arabic Article
By: Abd Al-Munsef Mahmoud Abd Al-Fattah
Al-Azhar Magazine.
Zu Al-Hijja, 1404.

"To each is a goal to which he turns Then strive together towards all that is good. Where so ever ye are, Allah will bring you together. For Allah hath power over all things"

(Surat Al-Baqara, II, 148)

On the authority of Abu Horayra (May Allah be pleased with him) that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said "Make good actions without delay. There will be temptations as dark as night. One will believe in the morning and disbelieve by evening; or believes by evening and disbelieves by morning. One will eschange his faith in return of a wordly mortal gain. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) also said "Deeds are counted, none of them small or big will be neglected; increase the action of good deeds". He also said "Allah likes good deeds and dislikes the vile inferior ones"

Several texts in the Holy Quran indicate that previous Prophets are Ibrahim, Ishaq, Youssef, Dawood, Soliman and other specially proclaim in prayers to Allah (Exalted be he) to make them doers of good and rightousness in worldly life, and to join them with rightous people always. Life is strife and struggle, and happiness is in the effort. The lust of the self must be controlled to prevent egotism, narcissim and the mania of selfishness.

In the Holy Quran, it is specifically stated:-

"Before this We wrote in the Psalms after the Message (Given to Moses) My subjects the righteous shall inherit the earth".

(Surat Anbiyaa, XXI, 105)

This understanding may apply both literally as referring to power and authority on this earth, and figuratively, as referring to the new real world of the spirit. Certainly this understanding applies to all men who seek for the right worship and service of Allah. Those are promised peace, support, conviction of faith and inherent safety. Such understanding is made clear in the Holy Quran as its states:

"Behold ! In the creation of the heavens and earth, and the alteration of night and day; these are indeed signs for men of understanding.
Men who celebrate the praises of Allah, standing sitting, and lying down on their sides, and contemplate the wonders of creation In the heavens and earth.
(Surat Al-Imran III, 190 - 191)

It is also stated in the Holy Quran:

"Do they not look at the sky above them ? How we have made it and adorned it, and there are no flowes in it. And the earth, We have spread out and set there on mountains standing firm and produced there in every kind of beautiful growth (in pairs). To be observed and commemorated By every devote turning to God.
(Surat Qaf, L, 6 - 8)

The fruits of this blessed tree is the performance of good deeds, sound conduct, purity of heart, rationality of thought, politeness of manner, nobility of behaviour, copious and generous in feelings to other human beings. This is described in the meanings of the Holy Quran which states:

"Seest thou not how Allah sets forth a parable. A goodly word like a goodly tree, whose root is firmly fixed, and its branches (reach) to the heaven It brings forth its fruit at all times by the leave of its God. So Allah sets forth parables for men, in order that they may receive admonition.
(Surat Ibrahim XIV, 24 - 25).

The good deeds will constitute obedience to the words of Allah and observance of the doctrines. The performance of all required worships. A zealus Muslim should endeavour hard and exert effort to speed to these actions. This understanding is expressed clearly in the Holy Quran:

overcome problems and accepts disasters with steadfast rational attitudes. The Holy Quran states:

> "Say Nothing will happen to us Except what Allah has decreed for us: He is our Protector and on Allah Let the believers put their trust"
>
> (Surat Al-Tauba, IX, 51)

A group of people came to visit the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him). He asked them who they were, they answered "We are believers". He said "every speech has a reality, what is the reality of your speech". They said "Thankful at prosperity, patient at adversity, accepting bitter fate, honest in confrontation, and do not satirize enemies."

Faith is what exists in the heart and is confirmed by appropriate action and conduct. This definition gather all the meanings of faith;. words action and belief. The Holy Quran states:

> "For believers are those who, when Allah is metioned, feel a tremor in their hearts, and when they hear His signs rehearsed, find their faith strenghtened, and put their trust in their God.
>
> (Surat Anfal, VIII, 2)

On the authority of Amre Ibn Unisah said "A man came to the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him and said "O Prophet of Allah; what is Islam". He said "that you submit your heart in surrender to Allah and that Muslims should be save your tongue and hand". The man asked "What Islam is best". He said "Faith". The man asked "what is faith". He said "that you believe in Allah, His Angels, His Books, His Prophets, and in life after Death". The man asked "what deeds are best". He said "Departure from evil, and struggle in the cause of Allah". (reported by Ahmed).

Faith is symbolised by a large tree with firm roots and hightened branches. The roots of this tree anchor deeply into the earth to supply it with knowledge for its growth, reality for its strength, though and rationality for its power, continuity and rejuvenation. The Holy Quran states:-

FAITHAND THE GOOD DEEDS

Translated by : Hadeer Refat Abo El-Nagah

Belief in Allah is a heavenly light that lightens the heart, and stimulates it with revival of spirit and zeal. It also gives vitality and power; provides genuine true love to Allah and His prophet and to struggle for the cause of Allah. The Holy Quran states :

"Can he who was dead, to whom we gave life,
And a light whereby He can walk amongst men,
Be like him who is in the depths of darkness
From which he can never come out ?
Thus to those without Faith, their own deeds seem pleasing"
(Surat Al An'am, VI, 122).

Belief in Allah must be built on strong conviction and true understanding which penetrating the depths and directs to the right way. It extends into the self, and adjust the gear of the mind, and purifies the soul. On the authority of Sufyan Ibn Abd Allah (may Allah be pleased with him), said "I said; O Messenger of Allah tell me something of Islam so that I ask no one but you. He said "Say I believe in Allah, and thereafter become upright" (Related by Muslim).

At that state of condition, the believer becomes capable of accepting the responsibilities and the sacrifices in order to surmount all obstacles and difficulties. The Holy Quran states:

"Do men think that they will be left alone on saying "We believe" and that they will not been tested.
(Surat Al Ankabut, XXIX, 2)

The magnitude and strength of faith provides tolerance and patience in facing troubles, and give tranquility to

commandment into éffect, except for drowning him, for once more he said : "God, suffice me aginst them as You will," so that the boat turned over and it was they who were drowned. Once more he walked safely to the king who asked him what had become of his 'fellows' and he gave him the same answer as before : "Allah high exalted is He, has sufficed me agianst them".

However, the young man said to the king: "You can kill me if only you do what I tell you to.". The king said to him: "What is that ? " The young man said : "You must gather people on a wide dry open, fasten me to a tree trunk, take an arrow from my quiver, put it in the heart of the bow, then say: "In the Name of Allah, that young man's God," and shoot at me. The king did, and the arrow struck the young man in the cheek. He put his hand on his cheek and was soon dead. People said: "WE do believe in that young man's God !".

The king's advisers said to him: "Now do you realize that you have brought about that which you feared to happen ? By Al!ah, the object of your fear has befallen you, and men have been converted into believers." So, he ordered pits to be dug at passage corners and to be set to fire, and said, push in headlong whosoever refuses to turn back from their faith."His men did, Among the faithful was a woman with her child. She tarried a short while, but her son said to her : "Endure, mother ! You are on Truth.". (Muslim)

way, infliction must befail you. So, when that happens, do not point me to them."

The young man was able to heal the blind and the leper and to cure people of different diseases. A courtier of the king, who had grown blind, heard of him and, carrying to him a lot of presents, said to him: "Everything that is here is yours if you heal me." The young man said to him: "I do not heal anybody. It is God who does, high exalted is He. If you avow your believe in Him, I will pray Him to heal you." The blind courtier avowed himself to be a believer and Allah, high exalted is He, cured him. So, he was able to resume his attendance at the king's court as he used to. The king asked him who restored him his eyesight, and he said: "My God did." The king said : "Do you pay tribute to any other Master than me ? The courtier said : "My God, as well as yours, is Allah." The king then put him to severe chastisement till he pointed to them the young man.

The young man was brought before the king who said to him: "Young man ! Your sorcery is such that you can heal the blind and the leper and do so and so." The young man siad, "I do not cure anybody. It is Allah, high exalted is He, who does." So, the king ordered him to be tortured and at last the young man pointed the monk to them.

The monk was brought and warned to turn back from his faith but he refused. Thereupon, the king ordered him to be cleft by saw from the parting of his hair until his body fell down into two sides apart. The king's courtier was then brought and warned to turn back from his faith but he would not. So, the king ordered him, too, to be split by saw from the parting of his hair until his body fell down into two sides apart. Then the young man was brought and warned to turn back from his faith, but he, too, refused. Now the king gave him to a number of his men to take him to a certain mount, carry him up to its summit and warn him to turn back from his faith, otherwise, if he refused, cast him off. To the mount they virtually took him and carried him up. He said : "God, suffice me against them as You will," and the mount quaked under their feet, so that it was they who were cast off. He walked to the king who asked him what his 'fellows' had done, and he answered him that God, high exalted is He, had sufficed him aginst them. Again the king gave him to a number of men telling them to carry him in a boat to the heart of the sea where they must drown him if he refused to turn back from his faith. They soon put that royal

5. On authority of Abi Zaid Usama, son of Zeid, son of Harithah may Allah be pleased with him and with his father as well: A daughter of the Prophet be upon him blessing and peace from Allah, sent to tell him that her son was dying, and that therefore, she wanted him to go and see them. However, he sent her a greeting of peace and an oral message that it is His that Allah restores and His that He gives; that He has appointed an unchangeable term for everything, and that she had to forbear with due patience and credit Allah with the requital of her grief. Then, she sent for him again swearing him to come to her. He rose, and with him went Saad son of Ubada; Muaz son of Jebel; Ubaiy son of Kaab; Zeid son of Thabit, and other companions, may Allah be pleased with them all. The child was raised to him, be upon him blessing and peace from Allah, and he seated him on his lap, the boy's spirit wavering, so that the Apostle's eyes filled with tears. Now, Saad siad : "Apostle of Allah ! You are crying ! "The Apostle, be upon him blessing and peace from Allah said : "This is but mercy which Allah, hgh exalted is He, has set in His servant's hearts." (Agreed upon).

6. On authority of Suhaib, may Allah be pleased with him, the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, said :
A king on some people before you had a private sorcerer. Having grown old, the sorcerer said to the king: I have grown old; so, choose a young man whom I undertake to teach sorcery. That the king acted upon, and the sorcerer set to instruct him. However, there lived a monk on the young man's way to the sorcerer. Once the young man sat to him and listened to him; and eversince it became his habit to go to see him and listen to him. However, the sorcerer would them punish him. Hearing his complaint, the monk said to him: "If you fear the sorcerer, tell him you were delayed by your family. If you fear your family, tell them you were delayed by the sorcerer.

Such grew the young man's wont for some time,until there appeared one day a great beast which obstructed men from outgoing. He said to himself: "Today, I find out which is better, the sorcerer or the monk." Taking a stone to throw it at the beast, he said: "God, if the monk matters to your dearer and nearer than the sorcerer, do kill that beast, so men can move on freely." The stone killed the beast and the way was clear for men. The young man then went to see the monk and he told him what had happened. The monk said to him: "Now you excel me, such as I see your case has grown to. Any

1. On authority of Abi Malek Al Harith, • son of Assem Al Ashaary, may Allah be pleased with him, the Apostle of Allah, be upon blessing and peace from Allah, said:

Cleaness is half religiousness, Heavy in the balance is "Praise belong to Allah" "To Allah praise belongs" and "To Allah belongs glory" fill up the space between the heavens and the earth. Prayer is light. Charities are proofs of faith. Patience is radiance. The Qur'an be your evidence, or it will be a claimant against you. Forth goes on man, day in, day out, but really trading him-self for either the redemtion or the wreck of his soul. (Muslim).

2. On authority of Abi Said Saad, son of Malik son of Sinan Al Khudry, may Allah be pleased with him: Some people from Al-Ansar asked the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, for alms. and he gave them. Again they asked him and once more he gave them: so that he had nothing left on him. Standing empty-handed, he said to them: Whatever good I have I will not withhold from you. Allah, high exalted is He will, however, appease his desires who of himself restrains them. Fortify him with sel-sufficiency who is self continent, and support him with endurance who is patient. Indeed, there can be no better or more expansive grace from Allah to a man than to fortify him with patience. (Agreed upon)

3. On authority of Abi Yehyah Suhaib, son of Sinan, may Allah be pleased with him, the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, said: Wonderful are the ways of the believer. They are all blessed with goodness, which is characteristic only of a believer. For in time of weal, he gives thanks, which is good for him; and in time of woe he takes to patience, which, too, is good for him (Muslim).

4. On authority of Anas, may Allah be pleased with him: when sickness lay heavy on the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, he underwent such fits of suffering that Fatimah, may Allah be well pleased with her, cried: "Poor father ! How he suffers the throes of distress ! He said to her, There shall be no more distress on your father after today. 'When he died, she cried and said : 'Oh father ! God has called you and you have answered Him. The Garden of Paradise your dwelling place shall be. Oh father, to Gabriel we do mourn you ! 'When he was buried, Fatima said, 'Oh Anas, How could you so willingly commit the Apostle of Allah to the earth ? (Al-Bukhary).

RIYAD AL-SALEHEEN
BY
IMAM YEHIA IBN SHARAF AL-NAWAWY AL-DEMASHKI

Translated by : Soliman Barakat

CHAPTER III

P A T I E N C E

ALLAH, High Exalted is He, said

"Believers, preserve in patience and constancy, vie in such perseverance, and stand firm in strengthening eah other."(III,200).

"Surely We will try you with something of fear, hunger and diminution of property, life and crops. However, give glad tidings to those who endure with patience." (II,155).

"Surely the patient will be requited without measure" (XXXIX,10)
"To endure with fortitude, and to forgive, such indeed is true constancy and resolution." (XLII,43)

"Fortify yourselves with perseverance in patience and with prayer. Allah is surely with the patient."(II,153)

"We shall put you to the proof until we know the valient and resolute and the patient among you.(XLVII, 31).

Still, verses are many on the commandment of patience and the demonstration of its merits.

Inspite of this a overwhelming victory for Muslims it must be clear that they paid an expensive price for this victory; the casualities among the dead were numerous indeed. There is no record in the litrature as to the numbers of Muslims casualities, but most authors agre that they were numerous with one or two clans totally vanqu shed. . However, there was victory and the word of Allah was carried in the hearts of Muslims and on their sword edges to acieve a triumph that will establish and cement the a solute authority of muslims over the entire Arab peninsula.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) desired a complete victory, there remained the tribe of Thaquif with the remnant forces of Hawazen and their leader Malek Ibn Aof Al-Nasry enforcing themselves in the strongholds of Al-Taif. The Muslims must siege Al-Taif ; a city that reminded the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) of the distressing humility he experienced at Al-Taif when he came to it years ago alone and despondent to call for the new faith of Islam - to call for the worship of One God - Allah The Creator and The Almighty.

Prayers and peace upon our Magnanemous prophet.

and made a stand aginst the advancing masses from Hawazen and Thaquif. At sunrise, matters became clear to everybody friend and foe. The Muslim retreat was halted, and men started returning around the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) became reassured and prayed to implore and supplicate to Allah to grant him victory. He stood riding his white mule watching the Muslims crowd and gather and regain their vigor, zeal and elegance of battle maneuver. The fierceness of the fighting was heightened and the tables were turning in favour of the Muslims. The fighting was tense and in time the Muslim masses were increasing and pressing, each clan and tribe competing for excellence in battle or to gain martyrdom in the cause of Allah. The tribes of Hawazen and Thaquif started to retreat and fall back, and as the brunt of Muslim pressure increased, they only aimed at restraining and arresting the advance of the Muslims. Hawazen and Thaquif finally regressed and fellback to recede into complete retreat and withdrawal. They left behind the multitudes of their wives, children, camels, sheep, and other transferable property. The exact numbers of transferable property is disputed, however, most moderate authors agree that this amounted to twenty four thousand camels, forty thousand sheep, and abundance of gold and sliver. The prisoners of war numbering six thousand were taken to the valley of Guranah while the Muslim forces pursued their enemy into Al-Taif where they established the siege of Thaquif in Al-Taif. The tribe of Hawazen were finally defeated at Awtass; when Malek Ibn Aof Al-Nasry fled to Al-Taif with the remnants of the tribe of Hawazen.

The Muslim victory was absolute and decisive coming after an intial phase of anarchy and confusion The Holy Quran describes this with particular emphasis and detail.

> "Assuredly Allah did help you in many battlfield,
> and on the day of Hunayn: Behold! Your great numbers you. But they availed you naught.
> The land for all it is wide, did constrain you.
> And ye turned back in retreat.
> But Allah did pour his calm on his Apstole, and on the believers. And sent down forces which you saw not. He punished the Unbelievers: thus doth He reward those without faith."
> (Surat Al-Tauba, 1X, 25 - 26).

be much greater if women and children were also captived. Malik Ibn Aof remianed to his strategy, and ordered the men to hide at tops of hills and mountains, and to attack the Muslims as they passed through the narrow enterance of the valley. Malik Ibn Aof was in his mid thirties full of vigour, vallor and aspirations to lead these tribes into a decisive battle against Muslims to attain victory which no other power in the Arab Peninsula had achieved. The tribes inhabited the tops of hills and mountains and waited at a locality called Awtass.

The Muslims decided to march out of Macca to meet the tribes of Hawazen at Hunayn. It is believed that the prophet (prayers and peace from Allah upon him) took this line of action in order to pressure the sanctity and sacredness of the city of Macca, and the Holy Shrine of Kaaba. The Muslim troops marched out of Macca in twelve thousand men. Never before had the Arab peninsula experienced such masses going to war in full armour, strength, authority and confidence. Ten thousand who had entered Macca in triumph, and two thousand of the Maccan new Muslims. Men on horseback, men on camels, men on foot, all with full armour and the competitive splendor of the various Muslim tribes and clans, each with banner and insignia. They reached Hunayn by nightfall, and camped at the enterance of the valley untill dawn, then they resumed their march. They entered one of the valleys of Hunayn in the dusk before the first light as everything appeared safe and quite. Suddenly, everything roared in anger as the clans of Hawazen ran down from the tops of hills to massacre the Muslm in a very unexpected assault, and to their utter bewilderment and surprise . Everything soon became in complete chaos and confusion. The men of Hawazen feeling the charisma of triumph, the Muslims feeling the disorientation of the surprise turned to run away under the yoke of defeat infront of the assaulting Hawazen . The prophet (prayers and peace from Allah upon him) stood in the middle of all that on his white mule and witnessed with great suprise and distress the yielding retreat of the Muslims. Abu Sufyan Ibn Al- Harith Ibn Abdel-Mutaleb was standing besides.

The prophet (prayers and peace from Allah upon him) shouted "I am the Apostle, it is no lie, I am the descendant of Abdel-Mutaleb". Al-Abbas with his very high loud voice shouted. "Muslims come back. He went on shouting and repeating the names of the Muslim tribes and clans. The retreat slowed down, and in time several tens of men crowded around the Prophet (prayers and peace from Allah upon him)

HUNAYN AND AL-TAIF

By: Dr. Anas Moustafa El-Nagaar MD. Ph. D.

In the Name of Allah Most Gracious Most Merciful.

The Muslims remained at Macca living around the Holy Shrine of the Kaaba, performing with high content all their duties as Muslims in the very close company of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). There was a prevailing atmosphere of peace and triumph with self contentment that Macca was finally cleared from paganism. This situation lasted only for two weeks, and conditions changed very adversely and to the contrary. The clouds of hostilities formed again, and everybody was again leathered into preparation to face the oncoming danger.

The tribes of Hawazen living in the mountain ranges south east Macca became highly concerned and disturbed about the strength and the superiority of the Muslims in Macca. There was a general feeling of unrest, anxiety and apprehension among these tribes; fearing that Muslim forces would soon overtake them and deprive them from their independence and freedom, as they had done with Koraysh. The immediate reaction to such understanding was to gather the masses of all the clans of Hawazen and to go into battle with the Muslims. They gathered under the leadership of Malik Ibn Aof Al Nasry; the clans of Hawazen, Thaquif, Nasr, Gusham, and other were all there. The strategy of Malik Ibn Aof was to assemble the masses of the clans with their women, children, and transportable belongings of camels, sheep and the like. He aimed by this to magnify the importance of the confortation in the minds of the men, and to sharpen their zeal in battle in defence of their families and property. From the clan of Gusham was Durayd Ibn Al-Summah an old reputable veteran of war, whose opinion differed from that of Malik Ibn Aof. Durayd advised to go to battle without the women, children and belongings; for in case of victory, only men in arms were needed ; and in case of defeat, losses would

ENGLISH SECTION

CONTENTS

RAMADAN, 1406

Preparation of prints : Mrs. Fatimah Mohammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

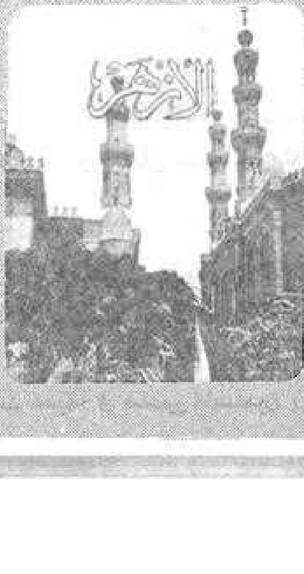
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

• صورة الغلاف



كلمة شيخ الأزهر إلى المسلمين فى

عيد الفطر المبارك

* العيد فى الاسلام يوم شكر وتسامح وصفاء ونقاء وتزاور ومودة .

وليست الأعياد فى الاسلام شخصية او كونية او فصلية ، وإنما ترتبط بالسنة القمرية وتتوالى فى كل فصولها ، وتعقب جهداً مبذولا فى العبادة والطاعة ، فهى روح وريحان وايمان .

فى العيد تأصيل للصلات الاجتماعية وتجديد للإخاء والمحبة والتعاون ، ووصل لما انقطع من المودة والرحمة .

• السنة الثامنة والخمسون •
• الجزء العاشر •
• شوال ١٤٠٦ هـ • يونيو - يوليو ١٩٨٦ •

كلمة شيخ الأزهر إلى المسلمين

العيد فى الإسلام يعقب عبادة من أسس هذا الدين ، ومن ثم كان من السنّة بدء اليوم بالتهليل والتكبير شكراً وحمداً لله الذى أتم على المسلمين نعمته بأداء فرض الصوم .

وفى يوم العيد تنتظم صفوف المسلمين ، وتندمج كل الطبقات متراصة ، متواصلة ، متكاثرة ، سمة من سمات هذه الأمة وآية على وحدة الصف والعقيدة .

ومن سنن يوم الفطر صدقة الفطر التى سنها رسول الله صلى الله عليه وسلمَ طهرة للصائم ومعونة للمحتاج واغناء له فى يوم العيد ، واسعاد لذوى الحاجات .

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى).

هذا يوم البر باليتامى والضعفاء والفقراء والمساكين .
هذا يوم نفتتحه بهتافنا : الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، لا إله إلا الله والله أكبر .

علينا أن نستحضر فى قلوبنا أنا قد أمرنا بالجهر بهذا الهتاف تثبيتاً لقلوبنا وجمعاً لصفوفنا ، وأوبة إلى ربنا ، فهو لازم لنا ننطق به جهراً ونفى بحقه عملاً .

هذا علمنا الذى نتجمع تحته .. إذا انفرط منا العقد . ونداؤنا الذى نلبى به قول ربنا :

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا).
وقوله : (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ).

هو رباط قلوبنا إذا عز الصبر ، أو اهتز ، يذكرنا بأن الهنا واحد وكتابنا واحد ، ونبينا محمد رسول الله صلى الله عليهَ وسلم ، والكعبة قبلتنا فى الصلاة ، ورمضان شهر صومنا الذى أديناه .

لا إله إلا الله والله أكبر هى طريقنا إلى الصدق فى الأمور ، وإلى تطهير القلوب وصفاء النفوس ، وجمع الصفوف ، والانقياد إلى طاعة الله ، والاحتكام إلى كتابه وسنة رسوله فى كل أمورنا وفيما شجر بيننا .
هى وسيلتنا إلى الترفع عن صغائر الأمور وكبائرها ، لو كانت عميقة فى صدور المسلمين ،

أخذة بزمام قلوبهم ، لما كانت هذه الانفجارات المتتالية فى صفوفهم ، ولما كانت هذه الحروب التى يقتل فيها الأخ أخاه ، ولما كان هذا التدمير والتخريب ، (**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ**) .

هذا يوم عيد الفطر .. نأمل أن يكون بشير جلاء لهذه الهموم ، وترياقا لهذه السموم التى شغلت زعماء المسلمين وحكامهم ، فتفرقت بهم السبل ، وابتعدت قلوبهم وأقدامهم عن سبيل الله المستقيم ، مع وضوح معالمه واستقامة مقاصده ، ووعد الحق بالعطاء الجزيل لمن استقام : (**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً**) ..

هذا يوم عيد الفَطر قد أهلّه الله على الأمة الإسلامية ، وما تزال تنتابها الخلافات والمنازعات ، والأرض تنتقص من تحت أقدامها والأعداء ينهشونها من كل جانب حتى لم يعد المسلمون يفرقون بين العدو والصديق ، فاختلط عليهم أمرهم ، واستفحل الشر فى صفوفهم ، فهلاّ تناسى حكام الأمة هذه الخلافات واستشعروا الخطر المحدق بشعوبهم من كل جانب ، هلاّ جلسوا مستقبلين الأمر ليعدوا له ، مستدبرين الشقاق متناسين ما كان وعفا الله عما سلف .

إن الأزهر الشريف ليتقدم إلى الأمة الاسلامية على اختلاف مواقعها على أرض الله بالتهنئة بعيد الفطر .

وإلى أصحاب الجلالة والفخامة الملوك والأمراء والرؤساء بالتهنئة بهذا اليوم المبارك .. ويدعوهم إلى أن ينهض فريق منهم لاصلاح ذات البين ولجمع الشمل ورأب الصدع حتى تجتمع الكلمة على طريق الخير والنجاة للأمة ..

(**فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً**) .

ادعو الله سبحانه أن يجعل اليوم ـ يوم عيد الفطر المبارك ـ فتحا للمودة بين حكام المسلمين ونصراً لهم على اختلافهم ، واوبة إلى ربهم حتى تتم النعمة ويصدق علينا قول ربنا فى القرآن :
(وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) ..

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

دِينَكَ .. دِينَكَ

إنما هو لحمك ودمك

روي ابن عدي ـ بسنده ـ قال قال النبي ﷺ : « يا ابن عمر ، دينَك دينَك .. إنما هو لحمك ودمك » [1]

وهذه حقيقة هذا الدين إذا أثمر فى القلب فاشرق فى النفس ، واضاء فى الروح ؛ فصار ـ فى ذاته ـ « هوى » المسلم الذي يحب ، وضميرَه الذى يُوَجِّه،وكيانَه الذي يتحرك ؛ فإذا هو الاسلام نفسه يمشى على قدمين فى سلوك قويم ، وهدف كريم ، وآخرة مرجوة بفضل الله ، والله ذو الفضل العظيم .

لقد ارتضى الله ـ عز وجل ـ لعباده الاسلام دينا مستقيما تصلح عليه دنياهم وآخرتهم . وبعلم يقين ، وبعدل منه ـ جل وعلا ـ أنزله للناس . وقال : وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ »[2]

فكانت الدعوة عامة ، والهدى لمن يشاء ؛ لذا رغب فى هذا الدين من الناس صفوتهم ؛ فإنه (جوهر) لاوجودله الا فى « روح مصطفاة » حيث يتلألأ فيها بالوحدانية الخالصة ويسطع بالإيمان الفريد ؛ فينير الضميرَ واللحمَ والدمَ ، ولذا لاتجده فى أى إنسان ، فإن الجوهر الفريد مهوى الصفوة الفريدة المتمثلة فى انسان نظيف الوجدان ، جميل النفس ، سليم الطوية ، مستقيم الفكر ، نقى الضمير ، لايختل الدنيا بالدين . ولا يختل الدين بالشهوات .

---

(١) الحديث صدر باب فى الكامل فليس من الموضوعات انظر لابن عدى ـ الكامل فى الضعفاء ١٥٥/١ دار الفكر .

(٢) يونس ٢٥ .

للدكتور على أحمد الخطيب

دينك دينك .. إنما هو لحمك ودمك !! فهو عرضك الكريم الذى أثمرته أصول الإسلام .

أخرج أبو نُعَيم ـ فى الحلية ـ عن سهل بن عبد الله قال :

« أصولنا ستة أشياء : التمسك بكتاب الله ، والاقتداء بسنة رسول الله ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، وأداء الحقوق » (١)

هذه هى أصول المسلم التى إليها ينتمى ، ومنها يستسقى ؛ فلا رغبة تُذله ، ولا هوى يضله ، ولا طمع يقوده ؛ فاستحال ـ على عدوه ـ أن يجد فيه ثغرة ينفذ إليه منها ليحطم عزته ، ويبدد كيانه ، ويجعله شرقيا أو غربيا ، أو أي شيء ليس للإسلام فيه نصيب .

● ● ●

دينك دينك .. إنما هو لحمك ودمك ؛ فأنت به عزيز ، ليس فوقك إلا الله ـ جل علاه ـ الذى أحب لك أن تكون شجرة طيبة لهذه الأصول الست .

وإنما يعدو على دينك : عَدُوُّه ، والمروجون لمذاهب العصر على اختلاف اسسها والوان أنديتها ، وما اتخذت من منابر شتى تدعو لمبادئها بزخرف القول ، وزينة الحياة ، وشهوات النفس ، فجهرت بالفتنة وماجت بالرغبة وروجت للضلال .. سُبُل عليها يحيون ، ومنها يعيشون .

وانت ـ على ذلك ـ شهيد ؛ فدينَك دينَك ، تَيَقَّظ له يقظة وعى فى غير فتنة ، والزم سبيل الله وحده ..

قال تعالى :

« وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » . (٢)

---

(١) الإمام جلال الدين السيوطى ـ مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة تحقيق د/ السيد الجميلى ص ٧٢ نشر مكتبة الثقافة الدينية ـ بالقاهرة .

(٢) الأنعام ١٥٣ .

أعياد المسلمين
وغيرهم

الأعياد المأثورة فى الاسلام : ـ عيد الفطر وعيد الأضحى •

وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الى اعتبارهما عيدين للمسلمين بعد الهجرة •

وسبب ذلك ما روى من ان النبى صلى الله عليه وسلم « قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ فقالوا كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل قد بدلكم خيرا منهما : يوم الفطر ويوم النحر » •

وأول تنفيذ لذلك كان فى السنة الثانية من الهجرة ، بدأ بعيد الفطر ، وختاما بعيد النحر وتمتاز أعياد الاسلام بالوقار والبر والتقوى •

وأول مظهر فى كليهما هو التوجه الى المصلى، حيث يتوجه اليه المسلمون فرادى وجماعات ويكبرون الله ويحمدونه ، ولا يزالون حتى يؤمهم الامام فى صلاة العيد ، ثم يخطبهم خطبة يبدؤها بالتكبير ويثنى بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله ، فاذا فرغ من وعظهم وارشادهم فى الخطبة الأولى جلس جلسة خفيفة على المنبر ، ثم قام وخطبهم خطبة ثانية بدأها بالتكبير وثنى بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله ، وحضهم على البر والتقوى، والابتعاد عن البدع والمنكرات والتودد الى الأرحام والأقارب والجيران والأصحاب •

ومن أهم مظاهر البر فى عيد الفطر ، زكاة الفطر عن كل فرد من الأسرة صاع عند الشافعية من غالب قوت البلد ، من القمح أو الذرة أو غيرهما من الأقوات ، تعطى للفقراء والمساكين •

والصاع : أربعة أمداد ، والمد رطل وثلث ، وتكفى الكيلة عن أربعة أشخاص من أفراد الأسرة ، ويمكن اخراج قيمتها ، وخاصة فى هذا العصر ، حيث لا يتيسر الحصول على القمح وسواه ،

ويزكى

الشخص عن نفسه وعمن تلزمه نفقته من زوجة وولد صغير أو كبير عديم الكسب ، وعن والديه اذا كانا يعيشان فى نفقته ولا دخل لهما •

فضيلة الشيخ
مصطفى محمد الطير

ومن أهم مظاهر عيد الأضحى : أن يضحى القادر عن نفسه وأسرته بشاة من الضأن لها سنة ودخلت فى الثانية ما لم يسقط مقدم أسنانها فتكفى وان لم تكمل السنة ، أو يضحى بواحدة من الماعز لها سنتان ودخلت فى الثالثة ومن ضحى بأكثر من ذلك فله أجره ، ولابد من أن يأكل الفقراء من الأضحية .

وينبغى أن تقسم ثلاثة أقسام ، قسم له ولأسرته ، وقسم للفقراء ، وقسم هدية للأصدقاء على التثليث .

أعياد أهل المدينة فى الجاهلية ..

كان أهل المدينة قبل الهجرة النبوية يحتفلون بعيدين منذ جاهليتهم ، أحدهما يسمى النيروز .

وثانيهما يسمى المهرجان ، وهما عيدان من أعياد الفرس انتقلا الى العرب .

وجاء فى الجزء الأول من نهاية الأرب للنويرى ، أن عيد النيروز كان عند الفرس ستة أيام بأول سنتهم ومعنى النيروز (الجديد) وكانوا فى عهد الأكاسرة يقضون حاجات الناس فى الأيام الخمسة الأولى ، وأما اليوم السادس فيجعلونه لأنفسهم وخواصهم ومجالس أنسهم، ويسمونه النوروز الكبير ، ولعل اختيار هذا العيد فى أول سنتهم ، لأن الطقس حينئذ ربيعى لطيف .

وكان عيد النيروز أعظم أعياد الفرس ، وأول من ابتدعه من أكاسرتهم (جمشيد الأول) .

وكان من عادة عوامهم ايقاد النار فى ليلته ، ورش الماء فى صبيحته ، وفى ذلك يقول بعض شعراء العرب :

كيف ابتهاجك بالنيروز يا سكنى ؟
وكل ما فيه يحكينى وأحكيه
فناره كلهيب النار فى كبدى
وماؤه كتوالى عبرتى فيه

وأما عيد المهرجان فيقع عندهم فى السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان، ويقع هذا العيد فى زمن الخريف ، حيث يكون الجو لطيفا ، وكان هذا العيد ستة أيام كسابقه، ويسمون اليوم السادس المهرجان الأكبر .

وكان أزدشير وأنوشروان يأمران باخراج ما فى خزائنهم من أنواع الملابس والفرش ،

وتفريقها بين الناس فى هذا العيد على حسب مراتبهم .

ولم أجد من كتب فى طريقة احتفال العرب فى العصر الجاهلى بهذين العيدين ، ولابد أنها كانت تتناسب مع الأسلوب الوثنى الذى نشأوا فيه ، ولذا قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم: كنا نلعب فيهما فى الجاهلية .

عيد الغدير وعيد الغار ..

لم يكتف الشـيعة بالعيدين اللذين سـنهما الرسول صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية الهجرية ــ كما تقدم بيانه ــ بل ابتدعوا عيدا ثالثا لهم ، سموه عيد الغدير ، بسبب مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه يوم غُدير خُمّ .

والغدير القطعة من الماء يغادرها السـيل ، وغدير خُمّ على بعد ثلاثة أيام سيرا من الجحفة، والجحفة موضع بين مكة والمدينة يحرم عنده حجاج الشام .

وهذا الغدير تصب فيه عين ينبع منها ماء غزير ، وحوله شجر كثيف يلتف بعضه ببعض ، وبين الغدير والعين مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا اليوم الذى ابتدع الشيعة فيه عيد الغدير ،هو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة ، لأن المؤاخاة حدثت فيه فى السنة العاشرة التى حج فيها النبى ــ ﷺ ــ حجـة الوداع ، وهم يحيون ليلتها بالصـلاة ، ويصـلون فى صبيحتها ركعتين قبل الزوال ، وشعارهم فيه لبس الجديد ، ونحر الذبائح ، والبر بالفقراء .

وأول من استحدثه معز الدولة على بن بويه فى سنة اثنتين وخمسـين وثلثمائة ــ ٣٥٢ ــ هجرية .

ولما ابتدع الشيعة عيد الغدير ، اتخذ عوام المسلمين من أهل السنة عيدا لهم سـموه عيد الغار ، فى مقابل عيد الغدير عند الشيعة ، وكان ذلك فى سنة تسع وثمانين وثلثمائة ــ ٣٨٩ ــ هجرية وجعلوه بعد عيد الشيعة بثمانية أيام ، وقالوا هذا يوم دخول رسول الله صلى اللـه عليه وسلم الغار مع أبى بكر الصديق ، وكانوا ينصبون القباب فى هذا اليوم ، ويظهرون معالم الزينـة .

اعياد أخرى استحدثها المسلمون ..

وقد استحدث المسلمون فى بعض الأقطار الاسلامية عيدين آخرين ، وجعلتهما حكومات تلك الأقطار عيدين رسميين ، تعطل فى يوميهما مصالح الدولة ، أحدهما عيد الهجرة النبوية ، وحددوا له أول شهر المحرم من السنة القمرية .

وثانيهما عيد المولد النبوى ، وحددوا له اليوم الثانى عشر من ربيع الأول ، والمسلمون يهتمون بابراز ابتهاجهم بهـذين العيـدين على أعلى مظاهر الاعتزاز والتكريم ، ويبذل العلماء فيهما جهدهم فى تذكير المسلمين بالآثار الجليلة التى ترتبت على الهجرة النبوية ، وبالبركات التى عمت بقاع الأرض ، بمولد النبى الكريم محمد

ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم سليل الأماجد الذى بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

وقد اختـار المسلمون هذين الوقتين ، لما للهجرة والميلاد النبوى من منزلة فخمة ومقام كريم ، بسبب ما ترتب عليهما من بنـاء دولة التوحيد ، والقضاء على الشرك وعبادة الأوثان، وتنزيه الواحد الديان عن الصـاحبة والولد ، ونشر الحق والحب والسلام والعدل الاجتماعى بين الناس ، يضـاف الى ذلك ما امتلأت بـه جوانحهم من حبهم لصاحب الذكرى العطرة ، صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

ومع أن كلا العيدين مستحدثان فى الاسلام ولم يرد فيهما تشريع ، فاننى أرجو الله تعالى أن يثيب المسلمين الذين استحدثوهما ، على حبهم لرسول الله صـلى الله عليه وسـلم ، واعزازهم لأمجاد دينهم ، اذا طهروهمـا من المنكرات .

وهناك أقليات اسـلامية فى دول لا تدين بالاسـلام ، يهتمون بعيد الميـلاد النبوى ، ويجعلونه أفخم أعيادهم ، كمسلمى اليابان ، فانهم يقيمون حفـلاته ومباهجـه مقـرونة بالمحاضرات الدينيـة فى شتى الأمجـاد الاسلامية ــ يقيمون حفلاته ــ فى أعظم فنادق طوكيـو ، ويدعون اليها غـير المسـلمين ، ليستمعوا الى مبادىء الاسلام الرشيدة .

وقد نشأ عن ذلك وأمثـاله ازديـاد عـدد المسلمين سنويا فى اليابان وغيرها .

وفى كل عام يسـافر من اليابان سنويا الى الأراضى الحجازية المباركة عدد كبير منهم ، ليحجوا البيت الحـرام ، ويزوروا قبر النبى عليه الصلاة والسلام ، ويصـلوا فى الحرمين الشريفين ، فيشـحذوا أرواحهم بقدسـية المشاعر ، وجـلال المكان والزمـان ، ورؤية الحجيج طائفين وملبين وذاكرين ومصـلين ، فى جو ينتشر فيه عبير التقوى وجلالها ، أكثر الله من أمثالهم ، وجزاهم عن دينهم أحسـن الجـزاء .

لماذا أرخ المسلمون بالهجرة وبدأوا بالمحرم

كانت هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة فى شهر ربيع الأول .

روى ابن الأثير المؤرخ عن أسماء بنت أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ أن عبد الله بن أريقط الذى كان دليل النبى وصاحبه فى هجرتهما ، وصل بهما الى قباء من ضواحى المدينة ، فنزلا على بنى عمرو بن عوف ، لاثنتى عشرة ليـلة خلت من ربيع الأول ، وكان وصولهما نهارا يوم الاثنين ، حين كادت الشمس تعتدل ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم ابن الهدم ، أخى بنى عمرو بن عوف .

وكان العرب يؤرخون بالحوادث ، كحادث الفيل ويوم بعاث ، وبالشهر القمرى ، كقولهم : حدث كذا لخمس خلون من رجب ، فيؤرخون بلياليه ، لأن الهلال يظهر ليلا .

وأول من أرخ بالهجرة رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، عندما نزل بقباء ــ كما رواه الحاكم فى الاكليل عن الزهرى وقيل انه عمـر ابن الخطاب ــ وهو المشهور ــ أخرج أبو نعيم فى تاريخه عن طريق الحـاكم عن الشـعبى أن أبا موسى الأشعرى كتب الى عمر رضى الله عنه : انه يأتينا منك كتب ليس لهـا تاريخ ، فجمع عمر الناس ، فقال بعضهم أرخ بالبعث ، وبعضهم بالهجرة .

فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها وبالمحـرم لأنه منصرف الناس من حجهم ، فاتفقوا عليه ، وكان ذلك سنة سـبع عشرة ، أى من الهجرة .

وقد دعا عمر الى جعـل المحرم أول العام الهجرى ــ مع أن الهجرة تمت فى ربيع الأول ــ أن العـزم عليها كان فى المحرم أو قبيله ، اذ البيعة الثانية لأهـل المدينة كانت فى ذى الحجة ، وهى مقدمة الهجرة ، ولو جعلوه فى ربيع الأول ليوافق تاريخ الهجـرة الحقيقى ، لوافق تاريخ المولد النبوى ، فاقتضى ذلك التفـريق بينهما ، والله أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

إبراهيم آتاه الله الحجة

لفضيلة الدكتور
محمد محمد خليفة

قال تعالى :

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ . وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الانعام ٨٣ ـ ٨٨)

(وتلك) إشارة إلى كل ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله : « فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ » إلى قوله : « أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ » أو من قوله : «أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ » ولقد نضجت تلك الحجة في عقل ابراهيم حيث آتاه الله إياها ، وقد رفع الله درجات ابراهيم بسبب ايتائه تلك الحجة .

وقوله : « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ » في اضافة الحجة إلى نون العظمة تفخيم لشأن الحجة، لأنها من فعل الله وارشاده ، واتيناها بمعنى ارشدناه ووفقناه وعلمناه إياها ، وموقع آتيناها الاعرابى إما أن يكون في محل نصب حال من حجتنا والعامل معنى الاشارة (تِلْكَ) .

أو في محل رفع خبر ثان والأول حجتنا أو هو الخبر وحجتنا بدل (عَلَىٰ قَوْمِهِ) متعلق بحجتنا أو بمحذوف أو بآتيناه .

أما الدرجات التي قدر الله رفعها لمن يشاء فهي :

١ ـ درجات اعماله في الآخرة .

٢ ـ أو يرفع الله درجات من يشاء في الدنيا حين يهبه النبوة والحكمة وفي الآخرة بالثواب العظيم .

٣ - أو يرفع درجات من يشاء في العلم .
ومفعول المشيئة محذوف تقديره من نشاء رفعه كما تقتضيه الحكمة والمصلحة .
وسنة الله جارية في رفع درجات المصطفين الأخيار من عباده ، وهذا سر التعبير بصيغة المضارع (نرفع) التي تفيد التجدد .
ولقد نصب إبراهيم نفسه للتوحيد يقدم دلائله ويدافع عنه ، وقد أنعم الله عليه بالكثير من النعم جزاء ما قدم .

وأول تلك النعم : أن الله آتاه الحجة وهداه ووفق عقله للوقوف على حقيقتها ورفعه الله إلى الدرجات العليا التي بيناها آنفا !

ومن أعظم نعم الله عليه أن جعل من ذريته الرسل والانبياء والملوك حيث وهب له إسحاق من صلبه ، وجعل يعقوب من ولد إسحاق ، وذلك ما حكاه القرآن في قوله : « وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ » .

وقد جعل أنبياء بني إسرائيل وما اكثرهم من ولد يعقوب بن اسحاق وممن ملك منهم : داود وسليمان . (كُلاًّ) مفعول مقدم لقوله : (هَدَيْنَا) وتقديم المفعول هنا يفيد القصر أي كل واحد منهما هدينا (وَنُوحًا) مفعول لفعل يفسره الفعل بعده (هَدَيْنَا مِن قَبْلُ) والتقدير : وهدينا نوحا هديناه من قبل .

أما إسماعيل فقد أخر ذكره لأن المقصود هنا ذكر أنبياء بني اسرائيل وهم جميعا من أبناء يعقوب ، وإسماعيل ليس من ولده من ارسله الله غير محمد صلى الله عليه وسلم . الذي أرسله الله إلى الناس كافة !

(وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) إما أن يعود الضمير في قوله : ومن ذريته إلى نوح - لأن نوحاً أقرب ، وعود الضمير إلى الأقرب واجب ، وقد ذكر في جملة الأنبياء لوطا ، ولوط لم يكن من أبناء إبراهيم عليهما السلام وإنما كان ابن اخيه أو ابن اخته وكان رسولا في زمن إبراهيم ، ويونس كذلك لم يكن من ذرية ابراهيم .

٢ - أن الضمير يعود إلى إبراهيم ، والتقدير : ومن ذرية إبراهيم داود وسليمان ، وذلك لأن ابراهيم هو المقصود في هذه الآيات .
وقد ذكر الله نوحا لأن كون إبراهيم من أولاده ما يشير إلى رفعة إبراهيم لأنه ابن رسول يعد الأب الثاني للبشرية وهو نوح .

وقد ذكر الله في الآية أربعة من الانبياء أولا : وهم نوح وابراهيم وإسحاق ويعقوب . ثم ذكر من ذريتهم أربعة عشر من الأنبياء هم : داود - سليمان - أيوب - يوسف - موسى - هارون - زكريا - يحيى - عيسى - إلياس - إسماعيل - اليسع - يونس - لوطا فالمجموع ثمانية عشر .
وقد ذكر هؤلاء الأنبياء دون مراعاة الترتيب الزمني أو الأفضلية ، وقد أجيب بأن الواو التي عطف بها هؤلاء الانبياء لا تفيد الترتيب لا بحسب الزمن ولا بحسب الفضل .

وقد قيل : إن الله خص كل طائفة من الأنبياء بنوع من الفضل فجمع كل طائفة اشتركت في فضل مع بعضها فمثلا : جمع من كان لهم الملك والسلطان والقدرة معا ، فكان من ذلك : داود - سليمان ، ومن امتحنهم بالبلاء الشديد والمحنة فكان من ذلك أيوب .

ومن جمع بين البلاء والسلطان فكان يوسف حيث ابتلى في أول حياته ثم أعطاه السلطان ،

ومن آتاه الكثير من المعجزات والتقريب والتكريم ، فكان موسى وهارون، وجمع من عرف بالزهد والإعراض عن الدنيا واعتزال الناس فكان : زكريا ويحيى وعيسى وإلياس ، ولهذا وصفهم بأنهم من الصالحين ، ثم الأنبياء الذين لم يكن لهم أشياع ولا أتباع فكان اسماعيل واليسع ويونس ولوطا .

وقد اختلف في بيان الهداية التي وردت في الآيات حين ذكر إسحاق ويعقوب في قوله : « كُلاًّ هَدَيْنَا » وفي الكلام عن نوح في قوله « وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ » وما جاء في آخر الآيات «ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » فقيل إن المراد بتلك الهداية :

١ ـ الثواب والهداية الى طريق الجنة ، لأنها كانت جزاء المحسنين على احسانهم وجزاء المحسنين الثواب .

٢ ـ الهداية الى الدين والمعرفة ، لأنهم اجتهدوا في طلب الحق فجازاهم الله بايصالهم الى الحق (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)

وقد استنبط العلماء من تذييل الآية (وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ) ان الأنبياء أفضل من الملائكة ، لأن الله فضلهم على العالمين ، والعالمون : جمع عالم ، وهو سوى الله فيدخل فيهم عالم الملائكة ، وهم كذلك أفضل من الأولياء بدليل هذا التذييل الذي ختمت به الآية .

وقيل : ان المراد من فضل الانبياء على العالمين (عالمى زمانهم الذين يعاصرونهم) وأعتبر العلماء أن الحسن والحسين من ذرية محمد صلى الله عليه وسلم قياساً على اعتبار عيسى من ذرية إبراهيم عليهما السلام ، لأنه ينتسب إلى إبراهيم من جهة الأم فقط (ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ذلك الهدى المراد : هو معرفة التوحيد وتنزيه الله تعالى عن أن يشرك به ، بدليل انه ذكر بعد ذلك : « وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ .. » فدل ذلك على أن المراد بالهدى : معرفة التوحيد وتنزيه الله عن الشريك ، وقد بين أن ذلك الهدى من الله ، فكأن الايمان لا يوجد إلا بخلق الله له .

ثم بين أن هؤلاء الأنبياء لو أشركوا لحبط عنهم طاعاتهم وعباداتهم ودعواتهم على الرغم من فضلهم ، وعلو منزلتهم ، وسمو درجاتهم ، وبطلت بشركهم كل الأعمال المرضية التي قدموها في حياتهم ، فكيف يكون حال من عداهم إذا اشرك وقد قال الله في خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم في آية اخرى : «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ » .

• • •

الدين القيم :

قال تعالى : « قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » الانعام ١٦١ والآية مكية .

علم الله رسوله صلى الله عليه وسلم دلائل التوحيد والرد على الذين يقولون بالشريك وعلى من عاشوا في الأباطيل والضلال ، ثم أمره أن يعلن في الناس أن الهدى هدى الله وأنه سبحانه قد هداه الى الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض كما أمره أن يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق .

والمعنى : قل لأولئك الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم وما ابعدهم عنها : لقد علمنى ربي عن طريق الوحي ، وعن طريق توجيهي الى النظر في ملكوت السموات والأرض حين أمرني بقوله :

« قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ » وما اكثر ما فيها من الآيات والدلائل

التي تشير الى الخالق القدير ، بل إلى التفكر في خلق الانسان حين قال : « وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » وكان لكل ذلك وغير ذلك الأثر العظيم في هدايتي إلى الصراط المستقيم إلى الدين القيم إلى ملة إبراهيم .

وقوله : (دينا) منصوب على البدل من محل صراط ، لأن المعنى هداني ربي صراطاً مستقيماً

وقد قال في اية أخرى : «وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا » وإما أن يكون منصوبا بتقدير فعل هو : الزموا دينا .

(قيما) مصدر بمعنى القيام كالكبر والحول والعوج أي دينا ذا قيم ووصف الدين بهذا للمبالغة .

(مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) ملة بدل من (دينا) وحنيفاً حال من إبراهيم ، أي هداني ربي وعرفني ملة إبراهيم حال كون هذه الملة موصوفة بالحنيفية ، وهى الميل عن الباطل إلى الحق .

(وَمَا كَانَ) إبراهيم (مِنَ الْمُشْرِكِينَ) في هذه العبارة رد على المشركين القائلين بأنهم اتخذوا الاصنام ليتقربوا بها الى الله .

وعلى اليهود القائلين بأن عزيرا ابن الله .
وعلى النصارى القائلين بأن المسيح ابن الله .

وليس لهؤلاء وأولئك بعد هذا أن يدعوا أنهم على ملة ابراهيم ، وإنهم ليسوا على ملته في أصولها ولا في فروعها .

● ● ●

اقوام رسل الله ظلموا انفسهم

قال تعالى : « أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » التوبة ٧٠ والآية مدنية) .

بين الله في الآيات السابقة على هذه الآية أن المنافقين والمنافقات بعضهم من بعض ، وأنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، وأنهم نسوا الله فنسيهم ، ثم ضم المنافقين والمنافقات إلى الكفار في الآية التي ذكرها بعد ذكر المنافقين والمنافقات ليبين لهم جزاء نفاقهم وكفرهم ، وجعل ذلك الجزاء الخلود في نار جهنم وحسبهم ذلك ، بل أضاف إلى الخلود في جهنم اللعنة التي

تلازمهم ويلازمهم معها غضب الله ، وقصرهم على العذاب الخالد .

وبعد ذلك سأل الكفار المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وساق الاستفهام للتقرير ، لأن أخبار الأقوام الذين سيتحدث عنهم عاشت على الزمن تنتقل من جيل إلى جيل ، وقد حفظها لسان الزمن حتى بلغت كفار مكة من المعاصرين لرسول الله .

أو أن أولئك الأقوام عاش أكثرهم في بلاد الشام ، ولما أهلكهم الله تركوا وراءهم الآثار الخربة التي تحمل للدنيا آثار غضب الله .
وأولئك الأقوام هم :

١ ـ قوم نوح ، وقد كذبوا نوحا ، ولم يؤمن بما جاء به من الدعوة إلى عبادة الله الا القليل ، وجاء أمر الله ، وكان الطوفان ، ولم ينج منه إلا من آمن ممن حملهم في السفينة وحمل القرآن أنباء الطوفان الذي غرق في أمواجه الذين كذبوا نوحا وما جاء به .

٢ ـ عاد (قوم هود) وقد كذبوا هودا فأهلكهم الله بالريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم .

٣ ـ ثمود (قوم صالح) وقد كذبوا بدعوته ، فأرسل الله عليهم الصيحة وهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية .

٤ ـ قوم ابراهيم ، وقد دعاهم إلى نبذ الأوثان وعبادة فاطر السموات والأرض فكذبوه ، فسلب الله النعمة عنهم ، وقيل سلط البعوضة على دماغ نمروذ فأهلكته .

٥ ـ قوم شعيب وهم أصحاب مدين ، ويقال : انهم من ولد مدين بن ابراهيم ، وقد دعاهم إلى عبادة الله وايفاء الكيل والميزان ، وهددهم وتوعدهم بعذاب الله فكذبوه ، وسخروا منه وقالوا : «**فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**» .

٦ ـ المؤتفكات (قوم لوط) ومعنى الائتفاك : الانقلاب ، وتلك القرى ائتفلت بأهلها وانقلبت حين كذبوا لوطا وأتوا المنكر فجعل الله عالى أرضهم سافلها وأمطر عليهم الحجارة فبادوا ولم ينج من عذاب الله إلا لوط ومن آمن بدعوته .

وبعد أن ذكر الله هؤلاء الأقوام قال : أتتهم رسلهم فجاء كل رسول إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله مؤيدا بالمعجزات والخوارق فأنكروها وكذبوا الرسل فأهلكهم الله وقوله : «أتتهم رسلهم» : استئناف وقع جوابا بالسؤال مقدر .

وما ظلمهم الله حين أهلكهم ، ولكن هم الذين ظلموا أنفسهم أي أن العذاب الذي أوصله الله إليهم لم يكن ظلما من الله لهم ، ولكنهم حين كذبوا رسل الله ، وأنكروا المعجزات وأتى بعضهم المنكر استحقوا بكفرهم وتكذيبهم وانكارهم واقتراف بعضهم الفواحش ذلك العذاب الذي أنزله الله بهم .

وفي تقديم المفعول : (أنفسهم يظلمون) على الفعل للاهتمام ومراعاة الفاصلة .

د . محمد محمد خليفة

من علــوم القــرآن

جمع القرآن الكريم

فإذا أخذنا في الاعتبار كل ما سبق من ملاحظات أمكننا أن نستنتج :
١ ـ أن المراد بالأحرف هي اللغات أو اللهجات المتعددة في لغة العرب حينذاك ، ولغة قريش كانت أمثلها ، ولا خلاف في أن القرآن نزل بها ، وهذا ما نفهمه من قول الله تبارك وتعالى في وصف القرآن :
« نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ
عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ
بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ . »[١]

وهذا هو رأى لفيف من العلماء ومنهم الامام أبو جعفر الطبرى الذى يدلل على صحته في مقدمة تفسيره فيقول :

والدلالة على صحة ما قلناه من أن معنى قول النبى ﷺ : « نزل القرآن على سبعة أحرف » إنما هو أنه نزل بسبع لغات كما تقدم ذكرناه من الروايات الثابتة عن عمر بن الخطاب وعبد الله ابن مسعود وأبى بن كعب وسائر من قدمنا الرواية عنه عن النبى ﷺ في أول هذا الباب ـ أنهم تماروا في القرآن .

فخالف بعضهم بعضا في نفس التلاوة ، دون ما في ذلك من المعانى ، وأنهم احتكموا فيه إلى النبى ﷺ فاستقرأ كل رجل منهم ثم صوب جميعهم في قراءتهم على اختلافها ، حتى ارتاب بعضهم لتصويبه اياهم ، فقال النبى ﷺ للذى ارتاب منهم عند تصويبه جميعهم :

« ١ » سورة الشعراء : الآيات ١٩٣ ـ ١٩٥

للاستاذ الدكتور
احمد ابراهيم مهنا

« إن الله امرنى أن اقرأ القرآن على سبعة أحرف » ..

ومعلوم أن تماريهم فيما تماروا فيه من ذلك لو كان تماريا واختلافا دلت عليه تلاوتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيد وما اشبه ذلك لكان مستحيلاً أن يصوب جميعهم ويأمر كل قارىء منهم أن يلزم قراءته فى ذلك على النحو الذى هو عليه ، لأن ذلك لو جاز أن يكون صحيحا ، وجب أن يكون الله جل ثناؤه قد أمر بفعل شيء بعينه وفرضه فى تلاوة من دلت تلاوته على فرضه ونهى عن فعل ذلك الشيء بعينه وزجر عنه فى تلاوة الذى دلت تلاوته على النهى والزجر عنه ، وأباح وأطلق فعل ذلك الشيء بعينه ، وجعل لمن شاء من عبادة أن يفعله فعله ، ولمن شاء منهم أن يتركه تركه فى تلاوة من دلت تلاوته على التخيير .. وذلك من قائله أن قاله اثبات ما قد نفى الله جل ثناؤه عن تنزيله وحكم كتابه فقال :

« أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا »[10]

ب ـ وأن اباحه قراءة القرآن بغير لسان قريش لم يقصد به سوى التيسير على من لم تطاوعهم السنتهم أن يقرأوا بلسان قريش ، فلم تكن واجبة على أحد ، ولم يقصد استمرارها ، وإنما كانت ضرورة ، وبزوالها زالت آثارها ..

جـ ـ وأنه بمرور الزمن واختلاط المسلمين من جميع القبائل العربية واقامة الكثرة الغالبة منهم فى المدينة تقاربت الألسنة ، ومن الطبيعى أن يكون لسان قريش والذى نزل به القرآن هو أحب الألسنة التى يحاول كل مسلم أن يقرأ به ويقوم بذلك صلابة لسانه .

د . وأنه باتساع الرقعة الإسلامية كانت الألسنة العربية المختلفة متساوية بالنسبة لمن أسلم من أصحاب البلاد الجديدة فى تعلم النطق بها ، وقد أدرك ذلك الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه فأخذ الناس بمصحفه الذى كتب بلسان قريش وأمر بتحريق ما عداه ، فقد حان الوقت لذلك بعد أن لانت الألسنة الجامدة ، وسهلت قراءة القرآن باللغة التى نزل بها

◄

« ١٠ » راجع جامع البيان عن تأويل القرآن لابى جعفر ابن جرير الطبرى .. تحقيق محمود محمد شاكر .. جـ ١ صـ ٤٨ طبعة دار المعارف بمصر

جمع القرآن الكريم

ينقل السيوطى عن ابن التين وغيره من العلماء فى صدد الحديث عن مصحف عثمان رضى الله عنه :

« فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد ... واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم وان كان قد وسع فى قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر ، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة »[١] .

ولم يكن هذا الذى فعله عثمان رضى الله عنه عن استبداد برايه ، وإنما كان بموافقة أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا معه فى المدينة من المهاجرين والأنصار .

يقول الحارث المحاسبى فيما يرويه عنه السيوطى :

● « المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان ، وليس كذلك ، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات .. »[٢] .

ويقول الامام ابن جرير الطبرى فى مقدمة تفسيره :

« إن الأخبار والآثار تدل على أن امام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمة الله عليه ، جمع المسلمين ـ نظرا منه لهم ـ واشفاقا منه عليهم ، ورأفة منه بهم ، حذار الردة من بعضهم بعد الاسلام ، والدخول فى الكفر بعد الإيمان ، اذ ظهر من بعضهم بمحضره وفى عصره التكذيب ببعض الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن مع سماع أصحاب رسول الله ﷺ من رسول الله ﷺ النهى عن التكذيب بشىء منها ، وأخباره اياهم أن المراء فيه كفر فحملهم رحمة الله عليه ، اذ رأى ذلك ظاهرا بينهم فى عصره ، ولحداثة عهدهم بنزول القرآن ، وفراق رسول الله ﷺ أياهم بما امن عليهم معه عظيم البلاء فى الدين من تلاوة القرآن ـ على حرف واحد ، وجمعهم على مصحف واحد .. فاستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية فتركت القراءة بالأحرف الستة التى عزم عليها الامام العادل فى تركها طاعة منها له ونظرا منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر اهل ملتها حتى درست من الأمة معرفتها وتعفت آثارها ، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها .»[٣] .

وبعـــــد :

فختاما لموضوع « جمع القرآن » نلخص ما مر بنا فى الآتى :

١ ـ إن الرسول ﷺ تلقى القرآن مشافهة من جبريل عليه السلام وبلسان قريش ، وكان أمثل ألسنة العرب وأبينها ، ولا خلاف فى ذلك ..

---

١ ، راجع الاتقان فى علوم القرآن جـ ١ صـ ٦١

٢ ، راجع : الاتقان فى علوم القرآن جـ ١ صـ ٦١

٣ ، راجع : جامع البيان عن تأويل القرآن لابن جرير الطبري .. تحقيق محمود محمد شاكر .. جـ ١ صـ ٦٣ ، ٦٤

٢ ـ إن الرسول ﷺ كان يبلغه لأصحابه امتثالا لقول الله تبارك وتعالى :

« وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ .. »[١]

وقولــــه سبحانــه :

« يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ، وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ .. »[٢]

كان يقرؤه عليهم ليتعلموا أداه الصحيح ، وكان يأمر بكتابته محافظة عليه وحرصا على عدم ضياع شيء منه ، وعونا للمسلمين على مراجعته اذا دعت الحاجة إلى ذلك .

٣ ـ ظل القرآن يقرأ باللسان الذى نزل به طيلة وجود الرسول بمكة ، ولم يحدث خلاف قط حول قراءته فى هذه الفترة من رسالة النبى ﷺ وهى ما يعبر عنها بـ « الفترة المكية » .

٤ ـ بعد أن هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ، دخل فى دين الله كثير من القبائل العربية الأخرى ، وكانت ألسنتهم تخالف لسان قريش فى النطق بالكلمات العربية ـ وهذا

لا خلاف عليه ـ وصعب على هؤلاء أن يقرءوا القرآن باللسان الذى نزل به فقرأوه بألسنتهم ، وأتى جبريل إلى النبى ﷺ عند إضاءة بنى غفار وقال له :

« إن الله يأمركم أن تقرأ أمتك القرآن على حرف واحد » .

وأدرك الرسول ﷺ ما فى ذلك من صعوبة وحرج على المسلمين ، وقد يؤدى ذلك إلى أن يتركوا قراءة القرآن ، وهو المعجزة الخالدة ، وعصب الدعوة الاسلامية ، والدستور الأساسى لمن استجاب إليها ، فقال صلوات الله وسلامه عليه :

« أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك .. »

وشرح الرسول الكريم ﷺ قضيته لأمين الوحى جبريل بما يوضح المقام ويستدعى التخفيف فقال :

« إنى بعثت إلى أمة أمية ، فيهم الشيخ الفانى والعجوز الكبيرة والغلام والجارية والرجل الذى لم يقرأ كتابا قط » ..

وكانت رحمة الله ومعافاته ، وأجيب رسول الله ﷺ إلى مارجا من تخفيف على أمته مما أثلج صدره اذ قال له جبريل :

« فمرهم فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف »

و« أيما حرف قرأوا فقد أصابوا .. »

[راجع الأحاديث الواردة فى الموضوع]

٥ ـ وقرأ الناس القرآن كل بلسانه ، وكان استنكار المسلمين الذين درجوا على قراءة القرآن باللسان الذى نزل به لقراءة هؤلاء الذين قرأوه بأحرف جديدة عليهم لم يسمعوها من قبل ، ودب الخلاف بين هؤلاء وهؤلاء ، واحتكموا إلى من نزل عليه الوحى وبلغه وهو رسول الله ﷺ ، وحرص الرسول على أن يسمع كل فريق قراءة الآخر ثم يصححها الرسول ويقول :

« ١ » سورة الأنعام : الآية ١٩

« ٢ » سورة المائدة : الآية ٦٧

جمع القرآن الكريم

« هكذا أنزل » ثم بين للجميع ما وهبهم الله من رحمة فقد « أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه »

٦ ـ ولحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، وقد حفظ كثير من المسلمين القرآن كله وحفظ كل مسلم بعضا منه، فقراءته واجبة في الصلاة، ومجرد تلاوته عبادة يثاب المرء عليها، وقد خفف الله على الناس فأباح لكل أن يقرأ بلسانه الذى شب عليه، ومن المسلمين من كتب القرآن أو بعضه لنفسه، وتعددت وجوه القراءة، وتعددت المصاحف والصحف ..

شيء واحد بقى على حاله لم يتغير، وهو ما كتب من القرآن ـ وقد كتب كله ـ بأمر رسول الله ﷺ وتحت اشرافه، ولا خلاف في أن ذلك كان مكتوبا بلسان قريش.

٧ ـ وكانت حروب الردة التى أبلى المسلمون فيها البلاء الحسن دفاعا عن الدين تحت قيادة الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وقتل كثير من حفاظ القرآن في موقعة اليمامة، وفزع المسلمون لذلك، وألهم الله عمر بن الخطاب أن يطلب من خليفة رسول الله أن يجمع القرآن خوفا من ضياعه بموت حفاظه، وكم كان عمر رضى الله عنه موفقا في كثير من المواقف وفى حياة الرسول الكريم ﷺ، وهو الذى قال فيه :

« إن يكن في أمتى محدثون فمنهم عمر »،

ووفق الله فاستجاب أبو بكر بعد تردد، ودعا زيد بن ثابت ـ وكان كاتبا لرسول الله ﷺ، وقد كتب القرآن باملاء من نزل عليه وبلغه، وحضر العرضة الأخيرة لكتاب الله ـ وطلب منه أن يجمع القرآن مرتب الآيات في سوره مستعينا بما كان مكتوبا في حياة الرسول ومحفوظا في بيته، وبما كتب الناس لأنفسهم على أن يستوثق من صحته، وبما حفظ المسلمون من كتاب ربهم.

٨ ـ وحفظ أبو بكر ما انتهى إليه زيد عنده، ثم سلمه إلى عمر بن الخطاب عندما استخلفه على أمور المسلمين، وبقى عند عمر حتى اذا طعن ولم يعرف من الذى سيخلفه عهد بالصحف إلى ابنته أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها ..

٩ ـ وأراد الله أن يخلف عمر عثمان بن عفان رضى الله عنه، واتسعت الرقعة الاسلامية، وأجاب الخليفة الجديد رجاء أصحاب رسول الله في أن يأذن لهم في الخروج إلى البلاد الجديدة بعد أن كانوا ممنوعين من ذلك في عهد عمر، وتفرق الصحابة في الأمصار، والتف الناس في كل مكان حول أصحاب رسول الله ﷺ يتعلمون منهم أمور الدين، ويقرأون عليهم كتاب الله، وكل أخذ بقراءة معلمه، وقضت أمور الفتح أن يجتمع أهل الشام وأهل العراق في أرمينية، وسمع أهل الشام قراءة أهل العراق فأنكروها، وسمع أهل العراق قراءة أهل الشام فأنكروها، وتعصب كل فريق لقراءته حتى كفر بعضهم بعضا مما جعل الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان ـ وقد كان هناك في أرمينية ـ يفزع إلى الخليفة في المدينة ويقول له : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كاختلاف اليهود والنصارى ..

وكان الخليفة قد لاحظ اختلاف القراء حوله في المدينة ..

١٠ ـ ووفق الله عثمان رضي الله عنه، وكان الجمع الثاني للقرآن الكريم.

وعثمان من السابقين إلى الإسلام، وممن كتب لرسول الله ﷺ منذ أن أسلم، وقد حفظ كتاب الله، وهو من قريش، فكان معاصرا لتطور الدعوة واتساع رقعتها، ولا شك أنه كان على علم بما كان من اباحة قراءة القرآن بأحرف متعددة تيسيرا على من صعب عليه من المسلمين أن يقرأه بالحرف الذي نزل به، ولكن اختلاف القراءات بدأ ينتج من الآثار مالا يبشر بخير، وقد جاءه حذيفة بما يفيد اتساع الخرق وهو يصرخ أن أدرك هذه الأمة.

وقرر عثمان ـ بعد مشورة أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا معه في المدينة من المهاجرين والأنصار ـ أن يعمل على إدراك الأمة والقضاء على جذور الخلاف.

وكانت هناك حقائق لا يختلف الناس حولها:

أ ـ فالقرآن نزل بلسان قريش.

ب ـ وأبيحت قراءته بغير هذا اللسان تسهيلا على من لم يطاوعه لسانه على القراءة باللسان الذي نزل به، ولم يكن ذلك الا بعد الهجرة ودخول كثير من القبائل في الإسلام.

جـ ـ والأمور الآن قد تغيرت، فالألسن الجامدة قد لانت بالاختلاط، والمسلمون الجدد لا يصعب عليهم أن يتعلموا القرآن بلسان قريش؛ فاللهجات العربية كلها تستوى بالنسبة لمن يبدأ تعلم اللغة العربية ..

د ـ وهناك مصاحف خاصة كتبها أصحابها قد تكون ببعض الأحرف التي أبيحت للضرورة، وقد يكون في بعضها عبارات تفسر بعض كلمات القرآن كتبها أصحابها للرجوع إليها، وقد يظن ـ فيما بعد ـ لغير من كتبها أنها من القرآن.

هـ ـ وليس هناك ما يقضي على الخلاف الناشب ويجمع المسلمين في شأن كتاب الله ـ وهو أعز شيء لديهم ـ خيرا من أن يكتب على حرف واحد، ولا خلاف في أن حرف قريش، وهو الذي نزل به هو موضع القبول من جميع المسلمين، وبهذا أمر الخليفة الراشد رضوان الله عليه ..

و ـ ولم يكن هناك مفر ـ لتوحيد اتجاه الأمة وأخذها بالمصحف العثماني من اعدام ما يخالفه حتى لا تكون رجعة إلى البلبلة التي أصابت الأمة، وكان ذلك، وأمر الخليفة باحراق كل ما كتب قبل ذلك من مصاحف ..

ونعتقد ان ذلك كله كان بالهام من الله الذي انزل كتابه ووعد بحفظه، وكما وفق عمر وابا بكر إلى جمعه أولا خوفا من ضياع شيء منه بموت حفاظه، فقد وفق عثمان ومن معه من المسلمين ثانيا إلى الجمع الثاني والأخير وباللسان الذي انزله به تحقيقا لقوله سبحانه:

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . »[١٠]

---

١٠ • سورة الحجر: الآية ٩

فضل المساجد الثلاثة

روى البخارى رضى الله عنه قال :

حدثنا على (١) قال : حدثنا سفيان (٢) عن الزهرى عن سعيد (٣) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول — صلى الله عليه وسلم ، ومسجد الأقصى .

اخرجه البخارى فى أبواب التطوع فى باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة واخرجه ضمن حديث عن رواية أبى سعيد الخدرى فى باب المقدس ، ومسلم فى باب « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد » ، واخرجه أبو داود فى الحج من سننه فى باب « فى اتيان المدينة » ، واخرجه الترمذى وقال حسن صحيح حديث ٢٠٥/١/٣٢٥ ، واخرجه ابن ماجه فى باب ما جاء فى الصلاة فى مسجد بيت المقدس عن أبى سعيد الخدرى وعبد الله بن عمرو ص ٢٢٢ واخرجه النسائى فى كتاب المساجد ص٣٧ فى «ما تشد الرحال اليه من المساجد » .

وأخرجه الامام أحمد عن طريق عبد الأعلى، ومن طريق سفيان وفى آخره قال سفيان : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد سواء ، ومن طريق عبد الرزاق ، ومن طريق يزيد كلهم عن أبى هريرة جـ ٢ ص ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٧٨ ، ٥٠١ أخرجه فى جـ ٣ ص ٧ ، ٣٤ ، ٢/٤٥ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٦٤ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٩٣ ، ٣٥٠ من طريق سفيان عن أبى سعيد الخدرى ، ومن طريق محمد بن جعفر روايتان ، ومن طريق بهز ، ومن طريق يحى بن آدم روايتان ، ومن طريق هاشم بلفظ لا ينبغى للمطى أن تشد رحاله الى مسجد ينبغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام .... الحديث ، ومن طريق عفان ومن طريق عثمان بن محمد ، ومن طريق أبو معاوية بلفظ لا تشد المطى ... الحديث ، ومن طريق حجين ويونس عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم بلفظ ان خير ما ركبت اليه الرواحل مسجدى هذا والبيت العتيق وباقى الروايات عن أبى سعيد الخدرى . وأخرجه فى جـ ٦ ص ٧ روايتان وص ٣٩٧ من طريق حسين بن محمد ، ومن طريق عبد الرحمن بن مالك ، ومن طريق يعقوب وكلهم عن أبى هريرة رضى الله عنه

** * **

(١) على بن المدينى .
(٢) ابن عيينة .
(٣) ابن المسيب .

لفضيلة الشيخ
أحمد حسن جابر رجب

راوى الحديث الذى بدأنا به هو أبو هريرة رضى الله عنه :

واشتهر بكنيته حتى خفى اسمه على الناس بحيث اختلفوا فيه وفى اسم أبيه على خمسة وثلاثين قولا أصحها عبد الرحمن بن صخر ، وسبب تكنيته بذلك ما رواه ابن عبد البر عنه أنه قال : كنت أحمل يوما هرة فى كمى ، فرآنى النبى ــ صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذه ؟ فقلت : هرة فقال : يا أبا هريرة » وفى رواية اسحق . « وجدت هرة حملتها فى كمى فقيل لى : ما هذه ؟ فقلت : هرة فقيل : انت أبو هريرة » ورجح بعضهم الأول ، وقيل غير ذلك .

أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم لازمه الملازمة التامة رغبة فى العلم راضيا بشبع بطنه ، وكان يدور معه حيثما دار ، ومن ثم كان أحفظ الصحابة ، وقد شهد له ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالحرص على العلم والحديث .

يروى عنه كما ــ قال البخارى : أكثر من ثمانمائة مابين صحابى وتابعى . وله خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا اتفقا منها على ثلاثمائة وانفرد البخارى بثلاثة وسبعين ، وكان ملازما لسكنى المدينة وبها توفى سنة سبع ، أو ثمان ، أو تسع ، وخمسين عن ثمان وسبعين سنة ، ودفن بالبقيع . وما اشتهر أن قبره بقرب عسقلان لا أصل له انما ذاك صحابى اسمه حيدرة (١) .

قال الشنقيطى قال الأبى قال القرطبى : اختلف فى اسمه واسم أبيه اختلافا كثيرا بلغ الى ثمانية عشر قولا . وأشبه ما فيها أن يقال كان له فى الجاهلية اسمان : عبد شمس ، وعبد عمرو ، وفى الاسلام عبد الله ، وعبد الرحمن بن صخر ، وشهد وقت قسم غنائم خيبر وقسم له رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم فيها ــ ثم لازم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وواظبه رغبة فى العلم راضيا بشبع بطنه فكانت يده ، مع يد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ويدور معه حيث دار ، ويحضر مالم يحضره غيره ، ثم اتفق أن حصلت له بركة النبى ــ صلى الله عليه وسلم فى الذى أعطاه وضمه الى صدره ، فكان يحفظ كل ما سمعه ولا ينساه فى الحديث المتفق عليه (من يبسط رداءه حتى

(١) انظر دليل الفالحين جـ ١ ص ٦٠ ، ٦١ .

فضل المساجد الثلاثة

أقضى مقالتى ثم يقبضه ، فلن ينسى شيئًا سمعه منى « قال أبو هريرة » فبسطت بردة كانت على فوالذى بعثه بالحق ما نسيت شيئًا سمعته منه » . فلا جرم حفظ له في الحديث ما لم يحفظ لغيره من الصحابة ، وذلك خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثًا في الصحيحين منها ستمائة وتسعة أحاديث .

استعمله عمر على البحرين ثم عزله ثم أراد رده على العمل فأبى ولم يزل يسكن المدينة وفيها توفى سنة سبع وخمسين وقيل ثمان وقيل سنة تسع ، وقيل توفى بالعقيق ، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وكان أميرا على المدينة ومروان معزول .

وكان من علماء الصحابة وفضلائهم ناشرا للعلم ، شديد التواضع والعبادة ، عارفا بنعمة الله تعالى شاكرا مجتهدا في العبادة ، كان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثا يصلى هذا ثم يوقظ هذا . وكان يقول نشأت يتيما ، وهاجرت مسكينا ، وكنت أجيرا لبسرة بنت غزوان بطعام بطنى ، فكنت أخدم اذا نزلوا وأحدوا اذا ركبوا فزوجنيها الله ، فالحمد لله الذى جعل الدين قواما (١) اهـ .

ومن مناقبه وعلو همته أنه كان يدعو أمه للاسلام فتمتنع . فأتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال يارسول الله انى كنت أدعو أمى الى الاسلام فتأبى على فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اللهم اهد أم أبى هريرة فخرجت مستبشرا بدعوة النبى ﷺ الحديث . رواه مسلم وفيه أنها أسلمت ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم — أن يدعو الله أن يحببه هو وأمه الى عبادة المؤمنين ويحببهم اليهما قال : فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : اللهم حبب عبيدك هذا يعنى أبا هريرة) وأمه الى عبادك المؤمنين وحبب اليهم المؤمنين .

فما خلق مؤمن يسمع بى ولا يرانى الا أحبنى » . فمن هذا الحديث يعلم أن من كان مؤمنا حقا لابد أن يحب أبا هريرة رضى الله عنه ، لاستجابة دعاء النبى — صلى الله عليه وسلم بمحبة المؤمنين له وعليه فمن أبغضه ، وكره حديثه أو زعم أنه يتقول على رسول الله — صلى الله عليه وسلم فهو غير مؤمن حقا فليصحح توبته من ذلك لعل الله تعالى يرزقه قبول التوبة ومحبة هذا الصحابى الجليل .

واعلم أن حفظ أبى هريرة للسنة وتميزه بالحفظ عن الصحابة المكثرين وغير المكثرين أمر مشهور معلوم عند علماء الشريعة ، ولا غرابة فيه الا عند الجهلة بهذا الشأن ، لأن أبا هريرة نال ذلك الحفظ الذى تميز به عن سائر الصحابة بدعاء النبى — صلى الله عليه وسلم

---

(١) زاد المسلم جـ ٣ ص ٣٢٣ .

الذى دل عليه الحديث الذى ذكرناه ، وفى ذكر سببه عن أبى هريرة وهو أنه شكا الى النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه ينسى ففعل ما فعل ليزول النسيان — ما يزيل كل استغراب يقع للناس من كثرة حفظه ، واستغرابهم جاء من غفلتهم عن سر دعاء النبى — صلى الله عليه وسلم — له ، وأنه معجزة له — صلى الله عليه وسلم فى دعائه .

هذا وقد تميز كثير من أكابر الصحابة بأمور معلومة كان سببها دعاء النبى — صلى الله عليه وسلم لهم بها . من ذلك :

دعاؤه — صلى الله عليه وسلم — لسعد ابن أبى وقاص بقوله « اللهم سدد رميته ، وأجب دعوته » ، فكان لا يرمى شيئا الا أصابه ، ولا يدعو بشىء ، أو على أحد الا أجاب الله دعاءه ، وأمره فى ذلك مشهور .

ومن ذلك ابن عباس رضى الله عنهما حيث دعا له بقوله : « اللهم فقهه فى الدين » وفى رواية « وعلمه التأويل » فكان نابغة فى الفقه ، وتأويل كتاب الله العزيز حتى نال من ذلك المنزلة المشهورة ورجع اليه أكابر الصحابة رضوان الله عليهم فى المعضلات ، وأراد نافع بن الأزرق تعجيزه فعجز عن ذلك . فكان يسأله عن غريب القرآن واذا أجابه على البديهة يقول وهل تعرف العرب ذلك ؟ فيقول له ابن عباس نعم . أما سمعت قول فلان كذا وكذا وهكذا حتى أيس من تعجيزه ، وان شئت معرفة هذا النوع عن ابن عباس — رضى الله عنهما — فارجع الى الاتقان للسيوطى : النوع السادس والثلاثون فى معرفة غريب القرآن تجد أسئلة نافع بن الأزرق وأجوبتها لابن عباس — رضى الله عنهما — نظما ونثرا . وكان عمر — رضى الله عنه — يقدمه على معاصريه ويستشيره ويستحسن فهمه .

ومن ذلك دعاؤه — صلى الله عليه وسلم — لأنس بن مالك بكثرة العلم ، والمال ، والولد وطول العمر ، فأجاب الله دعاءه فى ذلك كله ، فكثر ماله حتى فاض على جيرانه وكثر أبناؤه حتى دفن منهم ماينيف على المائة ، وكثر علمه حتى عد من المكثرين .وطال عمره كما هو معلوم .

ومن ذلك دعاؤه — صلى الله عليه وسلم — لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه فكان لايبارز أحدا الا سبقه للضرب وقتله ، حتى بلغ فى ذلك وصفا صار سببا لافراط الرافضة فيه وضلالهم الخارج عن حد التعظيم الشرعى . الى غير ذلك ممن دعا لهم النبى — صلى الله عليه وسلم — بأمر فنالوه ببركة دعائه — صلى الله عليه وسلم — ، فلا يستغرب حفظ أبى هريرة ، ويستعظمه الا من لم يعرف سببه لجهله بأحاديث السنة وسير الصحابة وتراجمهم ، أو من كان ملحدا فى معجزات النبى — صلى الله عليه وسلم — غير معترف بما خص الله به أصحابه عليه الصلاة والسلام الذين زكاهم الله فى كتابه العزيز بقوله تعالى : « **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا** » — الفتح —

وسبب حفظ أبى هريرة بينه هو — رضى الله عنه بما جاء فى الصحيحين واللفظ للبخارى :

فضل المساجد الثلاثة

أنتم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والله الموعد .

انى كنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على ملء بطنى وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم فشهدت من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذات يوم ــ وقال : من يبسط رداءه ؟ الحديث .

ولما تبرز على غيره من الصحابة استعظم الصحابة ذلك أولا واختبروه مرارا فما وجدوه روى حديثا الا وجدوا له ما يصدقه من شهادة صحابى آخر أو وفاق ظاهر آية فاعترفوا له بالحفظ ، وفهموا ظهور معجزة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث قال الحديث السابق ، ثم رجع له بعد النزاع من خالفه منهم لوجود من يشهد له من الصحابة على مارواه .

من ذلك مثلا ما رواه مسلم عن أبىّ هريرة: أنه سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « يقول من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد . فأرسل ابن عمر خبابا الى عائشة يسألها عن قول أبى هريرة ثم يرجع اليه فيخبره ما قالت . وأخذ ابن عمر قبضة من حصباء المسجد يقلبها فى يده حتى رجع اليه الرسول فقال : قالت عائشة صدق أبو هريرة فضرب ابن عمر بالحصى الذى كان فى يده الأرض ثم قال لقد فرطنا فى قراريط كثيرة .

فحسبك برجوع ابن عمر له مع كثرة حفظه وشدة احتياطه فلما شهدت له عائشة ــ رضى الله عنها ــ رجع له واعترف بتفوقه عليه فى الحفظ وقال لقد فرطنا فى قراريط كثيرة .

وقد ورد أنه كان بعد ذلك لايترك العمل بمقتضى حديث أبى هريرة فهذا كله يعلم ضرورة أنه لا وجه للتعجب من كثرة رواية أبى هريرة مع قلة مدة صحبته معجزة لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحينئذ فلا غرابة فيه ولا استبعاد عند المؤمنين .

معنى الحديث :

ترجم البخارى : بفضل الصلاة وليس فى الحديث ذكر للصلاة ، ليبين أن المراد بالرحلة الى المساجد قصد الصلاة فيها ، لأن لفظ المساجد مشعر بالصلاة .

وجعل البخارى هذا الحديث فى أبواب التطوع مشعر بأن الصلاة فى الترجمة المراد بها صلاة النافلة ، ويحتمل أن يراد بها ما هو أعم فتدخل النافلة ، وذهب الطحاوى الى أن التفصيل مختص بصلاة الفريضة .

ومعنى شد الرحال : الرحال جمع رحل : والرحل للبعير كالسرج للفرس . وشد الرحال كناية عن السفر ، والتعبير بشد الرحال جرى على الغالب فى ركوب المسافر لها . فالمراد : الكناية عن السفر بشدها ، اذ لافرق فى هذا بين ركوب الرواحل وغيرها مما يركب وبين المشى على الأرجل .

والنفى فى قوله : « لا تشد » بمعنى النهى بدليل الرواية الأخرى : لا تشدوا الرحال ... الحديث ... من صحيح مسلم .

ومعنى الحديث لا تشد الرحال الى مسجد للصلاة فيه الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام بمكة ومسجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة ، والمسجد الأقصى وهو بيت المقدس وخص هذه الثلاثة عن غيرها من المساجد بما ذكر لأن المسجد الحرام حج الناس اليه وقبلتهم ، ومسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، لأنه المسجد الذى أسس على التقوى كما جاء فى رواية مسلم من طريق محمد بن حاتم عن أبى سعيد الخدرى فى باب بيان أن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وكما فى رواية احمد فيه ـ باسناده برواة الصحيح ـ من حديث أنس رفعه : « من صلى فى مسجدى أربعين صلاة لاتفوته صلاة كتبت له براءة من النار ، وبراءة من العذاب وبراءة من النفاق » .

وكما فى رواية النسائى من طريق قتيبة عن أبى سعيد الخدرى عن أبيه قال : تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم فقال رجل هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو مسجدى هذا » وهذا نص فى أن المراد بالمسجد المذكور فى القرآن مسجده ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا مسجد قباء كما زعمه أصحاب التفسير ، لكونه أوفق للقصة .

قال النووى : هذا نص بأنه المسجد الذى أسس على التقوى المذكور فى القرآن ورد لما يقوله بعض المفسرين .

وقال العراقى فى شرح الترمذى قد وردت أحاديث تدل على أنه مسجد قباء وهذا الحديث أرجح وأصح ، وقال ابن عطية فى تفسيره الذى يليق بالقصة أنه مسجد قباء الا أنه لا نظر مع الحديث اهـ . وقال بعضهم أن كلا من المسجدين مراد فى الآية ، لأن كلا منهما أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه .

وقد ورد فى فضل مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ احاديث كثيرة غير هذا الحديث منها : ماروواه البخارى من طريق عبد الله بن يوسف عن أبى هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » .

قال النووى : ينبغى أن يحرص المصلى على الصلاة فى الموضع الذى كان فى زمانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون مازيد فيه بعده ، لأن التضعيف انما ورد فى مسجده وقد أكده بقوله (هذا) بخلاف مسجد مكة فانه يشمل جميع مكة ، بل صحح النووى أنه يعم جميع الحرم.
قال ابن بطال : يجوز فى هذا الاستثناء أن يكون المراد : أن المسجد الحرام مساو لمسجد المدينة أو فاضلا أو مفضولا والأول أرجح ، لأنه لو كان فاضلا أو مفضولا لم يعلم مقدار ذلك الا بدليل بخلاف المساواة اهـ . وكأنه لم يقف على دليل فضل المسجد الحرام .

فضل المساجد الثلاثة

ومنها ما أخرجه الامام احمد وصححه ابن حبان من طريق عطاء عن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام . وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى هذا وفى رواية ابن حبان : وصلاة فى ذلك أفضل من مائة صلاة فى مسجد المدينة قال ابن عبد البر : اختلف على ابن الزبير فى رفعه ووقفه ومن رفعه أحفظ وأثبت . ومثله لا يقال بالرأى

ومنها مافى ابن ماجه من حديث جابر مرفوعا « صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه » وفى بعض النسخ : « من مائة صلاة فيما سواه » فعلى الأول معناه : فيما سواه الا مسجد المدينة ، وعلى الثانى معناه : من مائة صلاة فى مسجد المدينة .

ومنها ما رواه البزار والطبرانى من حديث أبى الدرداء رفعه : « الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة فى مسجدى بألف صلاة ، والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة » قال البزار اسنده حسن . فوضح بذلك : أن المراد بالاستثناء تفضيل المسجد الحرام .

ومنها ما رواه النسائى من طريق كثير بن عبيد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن وأبى عبد الله الأغر مولى الجهنيين ــ وكانا من أصحاب أبى هريرة ــ أنهما سمعا أبا هريرة يقول : صلاة فى مسجد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام فان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ آخر الأنبياء ومسجده آخر المساجد . قال أبو سلمة وأبو عبد الله لم نشك أن أبا هريرة كان يقول عن حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فمنعنا أن نستثبت أبا هريرة فى ذلك الحديث حتى اذا توفى أبو هريرة ذكرنا ذلك وتلاومنا أن لا نكون كلمنا أبا هريرة فى ذلك حتى يسنده الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ان كان سمعه منه . فبينا نحن على ذلك جالسنا عبد الله بن ابراهيم بن قارظ فذكرنا ذلك الحديث والذى فرطنا فيه من نص أبى هريرة فقال لنا عبد الله بن ابراهيم أشهد أنى سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فانى آخر الأنبياء ، وانه آخر المساجد . أى آخر المساجد الثلاثة المشهود لها بالفضل أو آخر مساجد الأنبياء ، أو أنه يبقى آخر المساجد ويتأخر عن الآخر فى الفناء . أى فكما أنه تعالى شرف آخر الانبياء شرف كذلك مسجده الذى هو آخر المساجد بأن جعل الصلاة فيه كألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام . حـ ٣ ص ٣٥ وفى العدول عن مسجدى فى هذه الرواية اشارة الى التعظيم .

والمسجد الأقصى وفى رواية للشيخين ومسجد الأقصى وهو بيت المقدس وهو من اضافة الموصوف الى الصفة عند الكوفيين . وعند البصريين مؤول لاضمار المكان أى ومسجد المكان الأقصى وسمى بالأقصى ، لبعده عن مسجد مكة الذى هو المسجد الحرام فى

المسافة أو لأنه لم يكن وراءه مسجد وخص بالذكر لأنه قبلة الأمم السالفة .

ولبيت المقدس عدة أسماء تقرب من العشرين . منها : « ايلياء » بالمد والقصر وبحذف الياء الأولى .

وعن ابن عباس — رضى الله عنهما ادخال الألف واللام على هذا الثالث .

وبيت المقدس بسكون القاف ، وبفتحها مع التشديد المقدس . « والقدس » بغير ميم مع ضم القاف وسكون الدال وبضمها ، « وشلم » بالمعجمة وتشديد اللام وبالمهملة ، و « وشلام» بمعجمة « وسلم » بفتح المهملة وكسر اللام الخفيفة ، « وأورى سلم » بسكون الواو وبكسر الراء بعدها ياء ساكنة قال الاعشى :

وقد طفتُ للمالِ آفاقَهُ
دِمَشقَ فَحِمْصَ فَأَوْرِىَ سَلَمْ

ومن أسمائه « كورة » ، « وبيت ايل » ، و «مصروث» آخره مثلثة ، « وقورشيلا » « وبابوش » بموحدتين ومعجمة وقد تتبع أكثر هذه الأسماء الحسين بن خالويه اللغوى فى « كتاب ليس » .

وفى هذا الحديث فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها ، لكونها مساجد الأنبياء . صلوات الله وسلامه عليهم .

وفيه دليل على أنه يتعين مكان النذر اذا كان أحد الثلاثة المذكورة وقد ذهب الى ذلك مالك والشافعى — رضى الله عنهما —

وقال أبو حنيفة : لا يلزم وله أن يصلى فى أى محل شاء ، وانما يجب عنده المشىء الى المسجد الحرام اذا كان بحج أو عمرة وَنَذَرَ المشى اليه .

وأما ما عدا الأمكنة الثلاثة فلا يتعين مكانا للنذر ولا يجب الوفاء به عند الجمهور .

وقال النووى فى شرح مسلم : وأما باقى المساجد سوى الثلاثة فلا يجب قصدها بالنذر ولا ينعقد نذر قصده هذا مذهبنا ، ومذهب العلماء كافة الا محمد بن مسلمة المالكى فقال اذا نذر قصد مسجد قباء لزمه قصده ، لأن النبى — صلى الله عليه وسلم كان يأتيه كل سبت راكبا وماشيا . وقال الليث بن سعد يلزمه قصد ذلك المسجد أى مسجد كان وعلى مذهب الجماهير لا ينعقد نذره ولا يلزمه شىء وقال أحمد يلزمه كفارة يمين . قال فى الفتح :

واختلف العلماء فى شد الرحال ، واعمال المطى الى غير المساجد الثلاثة كالذهاب الى زيارة الصالحين أحياء وأمواتا ، والى المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها والصلاة فيها .

فقال الشيخ ابو محمد الجوينى :

يحرم شد الرحال الى غيرها عملا بظاهر هذا الحديث :

وهو الذى أشار القاضى عياض الى اختياره ودليله مارواه أصحاب السنن من انكار بصيرة الغفارى على أبى هريرة خروجه الى الطور وقال له لو أدركتك قبل أن تخرج ما خرجت .

واستدل بهذا الحديث الذى معنا فدل على أنه يرى حمل الحديث على عمومه ووافقه أبو هريرة :

قال النووى :

والصحيح عند أصحابنا وهو الذى اختاره

فضل المساجد الثلاثة

امام الحرمين والمحققون أنه لا يحرم ولا يكره . قالوا والمراد أن الفضيلة التامة انما هي في شد الرحال الى هذه الثلاثة خاصة بخلاف غيرها فانه جائز .

ومن أدلتهم على الجواز :

ما جاء في رواية أحمد بلفظ « لا ينبغي للمطي أن تعمل » وهو لفظ ظاهر في غير التحريم .

ومنها : أن النهي مخصوص بمن نذر على نفسه الصلاة في مسجد من سائر المساجد غير الثلاثة ، فانه لا يجب الوفاء .

ومنها : أن المراد حكم المساجد فقط ، وأنه لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد للصلاة فيه غير هذه الثلاثة ، وأما قصد غير المساجد لزيارة صالح أو قريب أو صاحب أو طلب علم ، أو تجارة أو نزهة فلا يدخل في النهي .

ومنها : ان قوله « الا الى ثلاثة مساجد » المستثنى منه محذوف فاما أن يقدر عاما فيصير المعنى : لا تشد الرحال الى مكان في أي أمر كان الا الى ثلاثة — أو أخص من ذلك ، ولا سبيل الى الأول ويكون قصرا حقيقيا ، لأنه يفضي الى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها ويؤدي الى فساد ، والشريعة جاءت للاصلاح والتيسير على العباد فتعين أن يكون خاصا وقصرا اضافيا ، وأن يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو لا تشد الرحال الى مسجد للصلاة فيه الا الى ثلاثة .

ومنها ما رواه ابو سعيد بلفظ : « لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله الى مسجد تبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي » .

قال السبكي الكبير : ليس في الأرض بقعة لها فضل لذاتها حتى تشد الرحال اليها غير البلاد الثلاثة ومرادي بالفضل ما شهد الشرع باعتباره ورتب عليه حكما شرعيا وأما غيرها من البلاد فلا تشد اليها لذاتها بل لزيارة أو جهاد أو علم أو غير ذلك من المندوبات والمباحات قال : وقد التبس ذلك على بعضهم فزعم أن شد الرحال الى الزيارة لمن في غير الثلاثة داخل في المنع وهو خطأ لأن الاستثناء انما يكون من جنس المستثنى منه فمعنى الحديث : لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد أو الى مكان من الأمكنة ، لأجل ذلك المكان الا الى الثلاثة المذكورة وشد الرحال الى زيارة أو طلب علم ليس الى المكان بل الى من في ذلك المكان اهـ .

ومنها : أن النهي عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة ليس على التحريم ، لكون النبي — صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء راكبا وماشيا .

ومنها أن صيغة النهي « لا تفعل » ليست نصا في التحريم فقط ، بل تحتمل الكراهة والتحقير والارشاد والدعاء واليأس وغير ذلك .

البقية صفحة ١٥٨٨

الجانب الإنسانى

فى الاقتصاد الإسلامى

د. محمد عبد المنعم خفاجى

النظام الاقتصادى فى الاسلام هو أرفع النظم الاقتصادية وأجلها ، وأكثرها فائدة ورخاء وخيرا للأفراد والمجتمعات والشعوب .

واذا كانت حوافز الربح وحدها هى أساس كل المحركات للاقتصاد الغربى ، فان المحرك الأول للاقتصاد فى الاسلام هو الدافع الانسانى وحده ، فالاقتصاد الاسلامى انسانى النزعة ، انسانى البواعث والغايات ، فهو اقتصاد نبيل الأهداف فى جوهره ، وهو اقتصاد يقود المجتمع الى التكامل والى التكافل ، والى الايثار والخير والمسئولية وتقرير الحقوق والالتزامات بين الناس . وغايته الرغبة فى ازدهار الحضارة ، ونشر التقدم ، وذيوع الرخاء بين الناس .

وليس فى ماضى العالم كله ولا فى حاضره ، ولا فى تاريخ الأمم والشعوب كافة ، مذهب يصل الى المستوى الرفيع الذى وصل اليه نظام الاقتصاد فى الاسلام ، هذا النظام الذى يجمع شمل الأمة كلها فى نطاق انسانى نبيل ، من الاخاء والمحبة والتعاون والعمل المثمر المتجدد من أجل تقدم الانسان وتطور الانسانية .

والاقتصاد ، وخاصة فى عصرنا ، هو المحور الذى تدور حوله حياة الأفراد والجماعات ، بل ان المذاهب التى تسود حياتنا ان تميزت بشىء، فذلك أنها فى جوهرها مذاهب اقتصادية . ومهما اختلفت فى وسائلها فانها تتحد فى غاياتها وما تلك الغايات سوى الرفاهية الاقتصادية(١)

ونظام الاسلام من الوجهة الاقتصادية يتحدى كل مدع بالنظر الدقيق ، والكعب البالغ واليد الطولى فى علم الاقتصاد(٢) ، وليس فى الرأسمالية ولا فى الاشتراكية أية فلسفة خاصة

---

١ ــ ص ٥ خطوات رئيسية فى الاقتصاد الاسلامى ــ لابى السعود .

٢ ــ ص ١٤٧ اسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة ــ للمودودى .

تفوق نظرة الاسلام الى الأمور الانسانية(١) •

ولقد عم الجدب الروحى ، والشقاء النفسى والفقر والحرمان كل الشعوب أثرا لتركها للاقتصاد الاسلامى ، واتباعها للاقتصاد الغربى ، وللفائدة الربوية التى تتعامل بها والتى هى كالنار ، تحرق وتدمر وتهدم كل القيم والمقومات والصروح اللازمة لبناء عالم سعيد لذلك أصبح العالم يعيش حياته فى حروب مدمرة ، وأزمات عاصفة وويلات قاسية ، وفى فقر وحرمان شديدين •• ولم تسلم من هذا كله الدول الفقيرة ، ولا الدول الغنية ، على حد سواء •

وعندما ترك المسلمون نظام الاقتصاد الاسلامى الى النظام الربوى الغربى فى الرأسمالية ، والنظام الاشتراكى التعاونى فى المادية الماركسية ، وتناولوا الربا من كل جانب، زحف عليهم الفقر والجوع والغلاء وهبت عليهم ويلات الخيانة ، وفقدان الشعور بالمسئولية ، وضياع الالتزام بالحق والواجب ، وصارت حياتهم جحيما لا يطاق ، مما يهدد مستقبلهم تهديدا خطيرا •

ومن البدهى أن الحكم على الاقتصاد الاسلامى حكم على نظريات اقتصادية ليست مطبقة فى عالم اليوم : ولا يتعدى كلامنا على أثرها وأهميتها للرخاء العالمى حدود النظرية دون التطبيق •• ومن الواجب على الدول الاسلامية التكاتف لدرء مفاسد النظام الربوى الغربى عن أنفسهم وبلادهم •• وان محاولة فرض الاقتصاد الربوى الغربى على العالم الاسلامى عن طريق هيمنة الحضارة الغربية ، وسطوة الاقتصاد الغربى ، والمصارف المالية فى الغرب ، لهو عمل لا ينهض مبررا لاباحة التعامل بالمعاملات الربوية فى أية صورة من صورها بحال من الأحوال ، مهما تعللنا بالضرورةوبالمصلحة وبسوى ذلك من شتى التعلات •

ومن هنا يجىء مصدر الشعور بضرورة الحاجة الى وجود مصرف اسلامى ، يسير وفق أحكام الشريعة الاسلامية ، فى التعامل المالى بين الناس ، والذى بدأ قيام بعضه منذ سنوات معدودات •

ونظرية الاسلام الاقتصادية فى كلمات موجزة ، تقوم على أن الرابطة بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية وثيقة من حيث فطرتهما •• فمن الواجب أن تكون بينهما الموافقة والمعاونة ، لا المزاحمة والمصارعة ، ففى رفاهة الأفراد رفاهة الجماعة ، وفى رفاهة الجماعة رفاهة الأفراد •• ورفاهة الافراد والجماعة معا هى أن يكون بين أثرة الفرد وايثاره تناسب متزن سليم (٢) •

لقد جاء الاسلام بأحكام نبيلة تعترف

---

١ – ص ١١٤ المحاضرات العامة للموسم الثقافى الثانى بالازهر •

٢ – ص ١٨ اسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة – للمودودى – ترجمة الحداد

بالملكية الخاصة ، وتهذبها وتقومها بفرض الزكاة ، وتحريم الفائدة الثابتة وأية صورة أخرى من صور الربا • ووضع الدين الاسلامى قواعد العدالة الاقتصادية والاجتماعية ، على نحو نريد بفكرنا أن يتسامى حتى يفهمه ••

ولقد فهم اللورد كينز (ــ ١٩٤٦) وغيره من عباقرة الاقتصاد فى الغرب طرفا من عظمة أحكام الاسلام ونظريته فى مجال الاقتصاد ، وكلما تعمقنا فى البحث وصل بنا الدليل الى أنه ما من نظام اقتصادى انسانى يكفل السلام بين الأفراد والطبقات والأمم ، كما يكفله نظام الاسلام العظيم •

لقد قرر الاسلام تحريم الاحتكار ، وكنز الأموال ، والاستغلال بغير عمل ، وقرر أن يتداول المجتمع الثروة ، ولا تكون دولة بين الأغنياء ، وجعل للضعفاء والمحرومين حصة سنوية لا تقل عن جزء من أربعين جزءا من ثروة الأمة كلها • وقد يزاد عليها بأمر الحاكم واحسان المحسنين (١) •

والسند الاسلامى للنظام الاقتصادى فى الاسلام يقوم على فريضة الزكاة وواجب الصدقات ، وحصص المواريث ــ وحرمة الربا ، وحماية الملكية ، ومسئولية الدولة عن توفير أسباب المعيشة لجميع رعاياها ، فرضت فى صدر الاسلام فريضة الأرزاق وكان الخليفة عمر بن الخطاب يفرضها لبعض المستحقين ••

وهذا كله بجانب ما فى الفقه الاسلامى من أحكام تشريعية فى مختلف جوانب الاقتصاد ، من مثل الشركات والمضاربة والاجارة والبيع والرهن والمزارعة والمساقاة والقرض وخلاف ذلك •

وان من أهم مبادىء الاسلام من أجل رفاهية المجتمع الاسلامى : الشعور بالمسئولية، والتعاون الكامل ، والعدالة الشاملة ، والمساواة التامة بين أعضاء هذا المجتمع فى الحقوق والواجبات والحرية لكل الناس والطبقات ، ونشر الرخاء بين الناس ، وتوفير العمل وجعله حقا لكل أحد ، وكفالة الدولة لجميع مرافق الحياة وايصالها لكل الناس بأيسر الطرق وأقل الأعباء ، مع مساعدة الدولة لكل محتاج بقدر ما يسد حاجته دون تأخير ، والسهر على خدمة المجتمع وأمنه وسلامته ، ومحاربة كل ألوان الفساد والعدوان والرذائل (٢) •

والاخاء فى الاسلام نظرية اقتصادية جديدة لم يستطع أى مجتمع فى العالم أن يطبقها غير مجتمع الاسلام فى عصر الرسول الأعظم ومن ذلك فريضة الأرزاق التى كان الخليفة عمر بن الخطاب يفرضها لبعض المستحقين ، فلقد كان عمر يفرض لجميع المسلمين عطاء ــ مرتبا ــ

---

١ ــ ص ١٧٦ ما يقال عن الاسلام ــ للعقاد ــ كتاب الهلال الشهرى ــ العدد ١٨٩

١ ــ الاسلام ونظريته الاقتصادية ــ لصاحب المقال ــ ص ١٧ ــ دار الكتاب اللبنانى •

من بيت المال ، ويقول : والله ما من أحد أحق بهذا المال من أحد ، وما أنا أحق به من أحد ، والله ما من المسلمين من أحد الا وله فى هذا المال نصيب •

والرأسمالية تغالى فى عبادة المال ، والشيوعية تغالى فى حرمان الانسان من أثر عمل يديه فألغت الملكية الفردية وجعلت الانسان آلة صماء ، وضخمت من قوة الدولة الى حد ينذر بالانفجار •• بينما جاء الاسلام دينا وسطا بين كل المذاهب والدعوات ، لأن جوهره العدالة ، ولأن روحه المساواة والاخاء •

وكان فلاسفة اليونان القدماء يرون أن الحياة الفاضلة لا تتهيأ أسبابها ، ولا تستكمل عناصرها الا فى ظلال الدولة وفى كنفها ، ومن أجل ذلك كان تأليه الاغريق للحكام والطغاة ،

وورث الرومان عنهم ذلك ، وكان « هجل » المفكر الألمانى فى العصر الحديث يرفض النظريات القائلة بوجود حقوق طبيعية للانسان وينبذ فكرة النقد الاجتماعى ولا يؤمن بفكرة السيادة الشعبية ، والدولة عنده هى الشخصية القوية التى تنبعث منها قوى الفرد ، فالدولة عنده هى ظل الله فى الأرض ، وكان يمجدها ، ويرى بحماس أن واجب الفرد الأسمى أن يكون عضوا فى الدولة •• وجاء الاسلام ، فحطم هذه القداسة، ورفع المحكومين فبلغ بهم الى منزلة الحاكمين ، ودعا الى الحرية الانسانية بأوسع معانيها ••

وكان (نيتشة) ينكر المساواة بين الناس ، ويرى أنهم خلقوا غير متساوين ، وكان ينادى بالتفرقة العنصرية ، وبأن بعض العناصر يجب أن يسود على بعض ، وفلاسفة اليونان والرومان من قبل كانوا ينكرون ــ كذلك ــ كل شىء عن المساواة ، أما عن الاسلام والمساواة فى الاسلام فحسبنا فى ذلك ما يقوله كارليل :

« فى الاسلام خلة من أشرف الخلال ، وهى المساواة الشاملة بين الناس جميعا • وهذه المساواة أساس قوى من أسس انسانية الاقتصاد الاسلامى •

ويقوم الاقتصاد فى الاسلام على عدة قواعد •

الأولى : حرية الملكية وحرمتها وصيانتها صيانة كاملة •

الثانية : تحريم كل صور الاستغلال والفساد والعدوان على الأموال •

الثالثة : تحريم الربا والفائدة تحريما كاملا •

الرابعة : تحريم كل المعاملات القائمة على الربا والفائدة الربوبة ، وعدم اقرار تعاملات المصارف الربوية ، وهذه المصارف هى بيوت مالية ، وكانت قد نشأت فى الغرب على أيدى الصيارفة اليهود ، الذين مكن لهم من انشائها ضعف التزام المجتمع الأوربى ، قبيل عصر النهضة وفى أوائله ، بالدين المسيحى ، بينما لم يتح لهم مثل ذلك فى الشرق الاسلامى

الملتزم بمبادىء الاسلام وأحكامه ، وكانت بيوت ومحلات هؤلاء الصيارفة تحفظ فيها الودائع الذهبية ، ومن ثم رأوا أن يستغلوا هذه الودائع فى الاقراض بفائدة ربوية ، ويعاودون اقراضها مرة ، وثانية ، وثالثة ، وهكذا ، فتضخمت ثرواتهم ، وتطور نشاطهم الاقتصادى ، وتحولت بيوتهم التجارية الى مصارف أو بنوك ، تقوم بكل العمليات المالية فى المجتمع الأوربى ، ومن ثم أصبحت الأصابع اليهودية تتحكم فى الاقتصاد العالمى ، واكتسبت هذه البيوت ثروات كبيرة وصار لها نفوذها الكبير فى المجتمعات العالمية ، اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وفكريا • وأصبحت هذه المؤسسات المالية اليهودية هى التى تحكم العالم من وراء ستار ، بل قادته مرارا الى هاوية الحروب المدمرة المتكررة • ويقول مفكر من علماء الاقتصاد فى فرنسا ، وهو « هنرى كوستون » فى كتابه « الماليون وكيف يحكمون العالم ويقودونه الى الهاوية » الصادر عام ١٩٥٥ : ان الحروب العالمية كانت احدى ثمار حركات هذه المؤسسات •

وقد تغلغلت هذه المصارف فى شتى جوانب الاقتصاد ، وأول مصرف أنشىء كان قبل بدء عصر النهضة بثلاثة قرون ، وذلك فى جنوة عام ١١٧٠ م ، ثم أنشىء بنك فى البندقية ، وكان هذان المصرفان نواة للمصارف اليهودية الحديثة •• وقامت هذه البنوك كلها على أساس الفائدة التى حرمتها اليهودية والمسيحية كما حرمها الاسلام • واستمرت الكنيسة المسيحية فى بدء عصر النهضة الحديثة، فى تحريمها (١) ، ثم أخذت فى اباحة التعامل بها منذ القرن السابع عشر الميلادى ، ولأول مرة وفى عام ١٨٣٣ صدر فى انجلترا قانون يعترف بمشروعية الفائدة الثابتة ، وأخذ الغرب منذ ذلك الحين يطبق نظام القرض بالفائدة ، سواء كان قرض استهلاك أم قرض انتاج • والفائدة الثابتة هى استمرار لصورة من صور الربا وهى أثر لسيطرة رأس المال — ونتيجة لاقتصاد متخلف علميا وانسانيا واقتصاديا أيضا •

والفائدة على مختلف أنواع القروض كلها ربا محرم من وجهة نظر الاسلام (ص ٤٠١ المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية) • وأساس الاقتصاد الاسلامى ينبنى قبل كل شىء على الحافز الخلقى والدينى والاجتماعى ، من حيث نرى الاقتصاد الغربى يعتمد على الحافز المادى وحده ، وينادى الاقتصادى البريطانى آدم سميث صاحب كتاب (ثروة الأمم) الصادر عام ١٧٧٦ بأن الثروة مفهوم مادى خالص ، وقد ناقشه سيسموندى الاقتصادى البريطانى (١٧٧٣ — ١٨٤٣) الذى رأى أن الثروة ليست مفهوما ماديا خالصا ، بل هى مفهوم يقاس

---

١ — كان لوثر واتباعه يتشددون فى منع الربا • والف رسالة ذكر فيها ان بعض البيوع المريبة فى حكم الربا (ص ١١٧ حقائق الاسلام للعقاد طبعة ثانية — ٢٥ المعاملات المصرفية لمسعود ابن سعد طبعة أولى) •

بمدى ما تحققه هذه الثروة من رفاهية الانسان ورخائه . أما الاسلام فيجعل المفاهيم الروحية والانسانية هى أساس نظريته الاقتصادية من أجل ذلك يجعل استثمار المال موجها لخير الفرد والجماعة ، والمصارف المالية والصناعية والزراعية والعقارية ، هى اليوم أساس الاقتصاد فى العالم ، وقد ظهرت قبل أوائل القرن العشرين بنوك الادخار وصناديق التوفير وبنوك الادخار تسير على نظام الفائدة ، ولو سارت على نظام المضاربة الاسلامية لكان ذلك عملا اسلاميا جليلا ، وقد سار على ذلك منذ زمن طويل « بنك الادخار بميت غمر » فسار العمل فيه على قواعد النظم الاقتصادية فى الاسلام ، مما أدى الى نجاح العمل بتجربته الفريدة ، التى قاومتها المصارف الربوية وعملت على اغلاق هذا البنك . وكتب والت ويتمان روستو الاقتصادى البريطانى بحوثا نشرت عام ١٩٥٩ ، دعا فيها الى الغاء الفائدة.

والثروة فى الاسلام تعمل من أجل خدمة المجتمع الاسلامى ، وخدمة التنمية وحركة الرخاء والرفاهية فيه ، ومن ثم فرض الاسلام تداول الثروة ومنع احتجازها ، وحرم اكتناز النقدين — الذهب والفضة — لما فى ذلك من حبسهما من الحركة والجرى فى الأسواق الذى يحول دون توظيفهما فى مجالات النشاط الاقتصادى ، ودون انفاقهما فى سبيل الله ..

يقول الله عز وجل : « **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** » ، وهم أهل لهذا العذاب لاهدارهم فائدة هذه الأداة النافعة التى خلقها الله لخدمة البشر ومصالح الناس بتداولها فى المعاملات بينهم .

وكذلك حرم الاسلام احتكار الثروة ، وان كانت ملكا لصاحبها ، فان من يمنع المجتمع حقه فى هذه الثروة ، لا شك أنه كالسارق سواء بسواء ، ولهذا كان الاحتكار أشد فى نظر الاسلام من السرقة وفى الحديث : الجالب مرزوق والمحتكر ملعون (١) وعن عمر بن الخطاب قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : من احتكر على المسلمين طعاما ضربه الله بالجذام والافلاس » فى الزوائد : اسناده صحيح ورجاله موثقون(٢) وفى عهد على الى الأشتر : امنع الاحتكار ، فان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — منع منه .

ويجىء نظام الارث والوقف فى الاسلام حائلا دون الثراء الفاحش ، الذى يمنع صاحبه من القدرة على الموازنة بين الحقوق والالتزامات الى ما استنه الاسلام من جواز فرض الامام للضرائب ، حدا للثراء الفاحش .. مع محافظة

---

١ — ابن ماجه — تجارات ٦

٢ — ابن ماجه تجارات ٦

الاسلام المحافظة الكاملة على الملكية الفردية ، وعلى حرية التملك بأى لون من الألوان المشروعة .

والفقه الاسلامى لا يخطط لنظام التداول المالى فى المجتمع بمعزل عن ملاحظة المصالح الانسانية الرفيعة . بينما لا تحرص القوانين الوضعية على رعاية شىء منها .

وتحريم الاسلام للاستغلال تحريم بات قاطع ، ومن ثم فقد حرم أكل أجرة الأجير ، وأمر بأن يعطى الأجير أجره من قبل أن يجف عرقه ، كما حرم العدوان على المال ، وجعل جريمة السرقة من الجرائم الكبرى . ونهى عن الربح الفاحش فى التجارة ، وفرض التعفف عن أموال الناس ، وجعل للسائل والمحروم واليتيم والفقير والمريض حقا معلوما فى مال الاغنياء القادرين ، ففرض الزكاة فى السنة الثانية للهجرة ، دعوة الى المحبة والتكافل والعدالة الاجتماعية ، ودعما للأخوة التامة بين الغنى والفقير . وبحسبنا قول رسول الله صلوات الله عليه : « ايما أهل عرصة ـ حى ـ أصبح فيهم امرؤ جائعا ، فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى .

ونهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن المحاباة فى كل شىء حتى فى اختيار الموظف، ففى الحديث : « من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا بمحاباة فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله النار (١) » . كما نهى عن الخيانة فى الأموال العامة فقال صلوات الله عليه « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول (٢) ـ أى خيانة .

على أن نظام الفائدة « الربا » قد اعتبر فى نظر الاسلام نهبا لأموال الناس وسرقة واغتصابا لها دون حق مشروع ، والفائدة أو الربا حرام فى الاسلام ، وهذا التحريم له حكمة بالغة ، حكمة انسانية رفيعة ، تنطلق من من مبدأ الاسلام الانسانى ، ومن نظريته الاقتصادية السمحة ، ومن ضرورة أن يكون المال دون قيود وسدود فى خدمة الانسان والمجتمعات والشعوب ، وأن يكون ملتزما بمبادىء اليسر والايثار والسماحة والانسانية لا وسيلة اذلال وقهر .

وقد أعلن كينز البريطانى (ـ ١٩٤٦) ، وشاخت الألمانى (ـ ١٩٥٠ م) ، ومن قبلهما : آدم سميث (١٧٢٣ ـ ١٧٩٠) البريطانى ، وهم من أعلام الاقتصاد الغربى ، أعلنوا الحرب على نظام الفائدة والاقراض بها ، ودعوا الى الغائها . ويقوم (كينز) فى ألم مرير اثر توقيعه لاتفاقية اقتصادية عقدت بين بريطانيا وأمريكا حول قروض من أمريكا لبريطانيا : « لا أستطيع أبد الدهر أن أنسى ذلك الحزن الشديد ،

---

١ ـ مسند احمد ٦/١

٢ ـ سنن ابى داود ـ الامارة .

والألم المرير ، الذى لحق بى ، من معاملة أمريكا لنا فى هذه الاتفاقية ، فانها أبت أن تقرضنا شيئا الا بالربا » .

والشركات العالمية الكبرى تقف وراء كل دعاية موجهة لتحليل التعامل بالفائدة الربوية أو فى صورة أعمال ظاهرها البر والاحسان والمواساة وخدمة الفقراء والمحرومين ، وأكثر القروض المألوفة بالفائدة هى قروض ربوية محرمة ، سواء كانت قروضا استهلاكية أم قروضا انتاجية . ويقرر المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف المنعقد عام ١٣٨٥ هـ : ١٩٦٥ م أن الاقراض بالربا محرم ، لا تبيحه حاجة ولا ضرورة .

فالاقراض بالربا محرم فى الشريعة الاسلامية وقد حاول بعض العلماء أن يبيح الكثير من الأعمال الربوية بدعوى الضرورة والمصالح المرسلة وحاجة الناس ، ولكنى لا أرى رأيهم هذا .

ولقد كانت ألمانيا النازية لا تتعامل بالربا فى عهد هتلر . وأسست بنوكا لا ربا فيها كما أنشأت ألمانيا الشرقية بنوكا جردتها من الربا نهائيا .

وبعد فان انسانية الاسلام فى نظرته الى المال ، واستخدامه استخداما شريفا وانسانيا ، أمر معروف وواضح .

وهذه النظرة الانسانية فى الاقتصاد الاسلامى جعلت الفقير يشعر بحقه فى مال الله وجعلت ابن حزم يقول :

« فرض على الاغنياء فى كل بلد أن يقوموا بفقرائها ، ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الزكوات بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ، ومن اللباس فى الشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة .

وجعلته كذلك يفتى بأنه « اذا مات رجل جوعا فى بلد اعتبر أهله قتلة ، وأخذت منهم دية القتيل » .

ومصادر المال للدولة هى : الزكاة والعشر والخراج والجزية والغنائم والهبات وموارد الثروة التى تستخرج من جوف الأرض ، وما شاكل ذلك كله .

ان غاية الدولة فى الاسلام هى خدمة المجتمع عن طريق استثمار المال فى كل مشروع مفيد حلال ، وهدفها نشر الرخاء فى الأرض بين الناس ، وايجاد عالم الرفاهية ، والقضاء على الفقر قضاء تاما ، حتى لا يبقى فيهم جائع فقير ، ولا بائس محتاج على وجه الأرض .

لقد طبق الاسلام نظرياته الاقتصادية تطبيقا كاملا ، فعاشت فى ظله حضارة مشرقة زاهية استظل المسلمون والعالم كله بظلها أجيالا وقرونا مديدة .

وينوه رجال الاقتصاد فى العالم والمفكرون فى الغرب ، بتفوق النظرية الاقتصادية فى الاسلام تفوقا هائلا .

ونجاح المصارف الاسلامية الآن هذا النجاح الملموس ، هو مما يفسر لنا اثر هذه الحملة الضارية على هذه المصارف التى تطبق شريعة الاسلام فى الاقتصاد تطبيقا جديدا .

منهج الاقتصاد الإسلامى

منهج ربانى متكامل

حديث للاستاذ الدكتور عبد العزيز حجازى

أجرى الحديث { الأستاذ محمود الشاذلى
الإستاذ عادل القاضى

امام تيارات الحرب الضارية الموجهة إلى الاقتصاد الإسلامى ، وامام جنودها المسخرين ـ فى البلاد الإسلامية ـ لمحاربته ، وتوليد اسباب ممزقة لحمل الحكومات على توجيه ضربة ديكتاتورية إليه .

امام ذلك كله يتحدث احد اقطاب الاقتصاد حديثاً صريحاً عن قيمة الاقتصاد الإسلامى ، وسلامته ـ من واقع ميدان الممارسة التفصيلية له. « مجلة الأزهر »

للنظام الاقتصادى الاسلامى معالمه الواضحة التى يتميز بها عن سائر الأنظمة الأخرى ، حيث جاء هذا النظام متفقاً مع الطبائع الانسانية ، ومقرراً لمصالح كل من الفرد والمجتمع . وهو يعتمد على اجراءاته وقوانينه الاقتصادية جنباً إلى جنب مع القواعد التشريعية الاجتماعية الخلقية ، والروحية الاسلامية .

وفى هذا الحوار ، يتحدث الدكتور عبد العزيز حجازى ـ خبير الاقتصاد ورئيس الوزراء الأسبق عن الأسس التى يقوم عليها منهج الاقتصاد الاسلامى والخطوات التى يمكن من خلالها تطبيقه ، ومفهوم العدالة الاجتماعية فى الإسلام . وكيف يمكن تحقيقها بالمفاهيم الاقتصادية الحالية .

ـ هل يمكن للاقتصاد الاسلامى ان يحل مشاكل الاقتصاد المصرى ؟

اجاب الدكتور عبد العزيز حجازى :

ـ إن منهج الاقتصاد الإسلامى يقوم على مجموعة من الأسس التى تحكم حركة المجتمع سياسياً واقتصادياً وروحياً واجتماعياً ، الأمر الذى يجعل منها نظاماً متكاملاً لرفاهية الانسان

والمجتمع .. فهو نظام يجمع بين الشورى والكفاية الاقتصادية والعقيدة الروحانية والعدالة الاجتماعية . التى تقوم على تكافؤ الفرص ، والتوازن فى الدخول بين الأغنياء والفقراء من خلال الزكاة ، وهذا التوازن يجعل منها « الأمة الوسط » فلا هى شرقية ولا غربية ولا هى رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية .. هى أمة تخدم الانسان بحيث لا تتعارض مصالحه مع مصالح المجتمع ولا يطغى أحدهما على الآخر .

يضيف د . حجازى أنه يكفى أن نقول إن منهج الاقتصاد الاسلامى منهج ربانى نحن فى أشد الحاجة إليه ، فى وقت تتصارع فيه القوى فى نظام وضعى اختلت فيه الموازين وضاعت فيه العدالة بين الفقراء والأغنياء ، وبين الدول المتقدمة والنامية الفقيرة . فهل آن لنا أن نتفهم أركانه ونتكاتف على تطبيقها ؟ ولا يفلح النظام إلا إذا قمنا بتفهم أبعاده ورسمنا خططه وبرامج تنفيذه .. ونحن لا نشك لحظة فى أنه سوف ينجح ويحقق الرفاهية والسعادة للانسان أيا كان موقعه ..

- ما الخطوات التى يمكن من خلالها تطبيق الاقتصاد الاسلامى ؟

وما الصعوبات التى تعترض ذلك التطبيق ؟

● د . حجازى :

يقوم تطبيق منهج الاقتصاد الاسلامى على مبدأ التكامل والشمول ، وَتَقْصُرُ المنافع إذا ما تم تطبيق أجزاء من النظام كأن نبدأ بالبنوك مثلا أو المصارف الاسلامية وحدها ، لأنها لا يمكن أن تقوم بأداء الدور المتكامل لتحقيق الأهداف المرجوة ، إذ لابد أن تقوم إلى جوارها وحدات اقتصادية تطبق المنهج الاسلامى .

وكذلك لا يمكن أن تقوم المصارف الاسلامية فى ظل بنك مركزى يتعامل فى قواعده بالربا . وتتحكم فى سياسته النقدية والائتمانية قواعد النظام الراسمالى ، حيث تلعب الفائدة دوراً هاماً فى أداء المجتمع . وهى تختلف كلية عن النظام الاسلامى .. وهكذا تتعدد الفوارق بين النظامين ولهذا نجد أن معظم التطبيقات التى نفذت حتى الآن لم تحقق الأهداف المرجوة منها .. لهذا فإن الأمل ما زال معقوداً على تنفيذ نظام متكامل ..

ومن الصعوبات التى تعترضنا أيضاً التعامل مع العالم الخارجى ، ويبدو الأمر هنا أكثر تعقيداً . لأننا سوف نتعامل مع منظمات تحكمها قواعد اللعبة الرأسمالية أو الاشتراكية وكلاهما لا يخضعان للقواعد التى يراد تطبيقها فى ظل منهج الاقتصاد الاسلامى .. ومن هنا لابد أن يمتد نطاق المؤسسات الاسلامية وأن تشتمل على نماذج خاصة ونحن نعلم أن الاسلام دين عالمى .

- هل يمكن اعتبار الضرائب فى الوقت الحالى بمثابة الزكاة فى الاسلام ؟

يجيب الدكتور عبد العزيز حجازى :

الزكاة إحدى الفرائض الخمس ولها قواعدها العادلة بينما الضرائب فريضة وضعية يساهم بها الأغنياء فى تغطية احتياجات الدولة السيادية والخدمية .. وقد تتفق الضريبة فى اغراضها مع الزكاة عندما تتطابق الأهداف لمواجهة مطالب الفقراء والمساكين وغيرها من الأوجه التى توجه إليها الزكاة .. إلا أن الرأى الفقهى يختلف فى المطابقة بين الزكاة والضرائب .. وفى رايى أنه من الواجب أن يتطور النظام الضريبى لكى يخصص جزء منه لتحصيل الزكاة لمواجهة مطالب الفقراء والمحتاجين ، وجزء آخر يعتبر ضريبة لمواجهة

الاعباء الاضافية التى تتحملها الدولة كالأمن والعدالة والمرافق الأساسية والأمر يتطلب دراسة شاملة نحن احوج ما نكون إليها الآن .

ـ ما الفرق بين البنوك الاسلامية والبنوك التجارية ؟ وما هو رأيكم فى نظام المضاربة ؟

● دكتور حجازى : لاشك أن نظام البنوك الحالى بما يتضمنه من العمل بنظام الفوائد ، يتعارض مع ما اجمعت عليه مجالس الفتوى الاسلامية من أن كل نوع من الفوائد ربا .. ولهذا قامت المصارف الاسلامية لتصحح الأوضاع وتطور النظام إلى المشاركة والمضاربة وكلها تقوم على أساس المشاركة فى المخاطر والنتائج ربحاً أو خسارة ، وهى لا تشجع المستثمر أو المودع (النائم) الذى يحصل على عائد ثابت بعيداً عن نتائج الأعمال .. والحاجة تعتبر ماسة لدراسات متأنية عن « التكلفة والعائد » ومتابعة النتائج ، وهو نظام اكثر واقعية وأكثر تعبيراً عن حركة النشاط واحتياجات المجتمع التى تختلف من بلد لآخر حسب مستوى معيشته كما تختلف حسب نوع النشاط الذى تتعامل معه هذه المصارف الاسلامية .

ـ العدالة الاجتماعية فى الاسلام .. كيف يمكن تحقيقها بالمفاهيم الاقتصادية المعاصرة ؟

● يقول د . عبد العزيز حجازى إن العدالة الاجتماعية فى الاسلام تتحقق من خلال فريضة الزكاة . ولقد أثبتت الدراسات الاكاديمية التى تمت حتى الآن أن حصيلة الزكاة لو فرضت فى مصر لزادت عما تحصله الدولة من ضرائب ..

ولهذا تقوم الفلسفة الاسلامية على أساس أن الأغنياء يجب أن يتحملوا أعباء نشاطاتهم بالكامل وأن يساهموا من خلال الزكاة وغيرها من المساهمات فى سد حاجة الفقراء والمساكين .. كما انهم من خلال استثماراتهم وتوسع نشاطاتهم يفتحون الآفاق للعمل ، وبالتالى تزداد دخول العاملين ، وإما أن يصبحوا مالكين من خلال مساهماتهم فى المشروعات أو تزيد دخولهم نتيجة ممارستهم للأعمال لأننا نفهم أن الاسلام يحض على العمل ويبيح الملكية الفردية .

ـ تردد أن تطبيق الشريعة الاسلامية سوف يضر بالاقتصاد المصرى .. فما رأى د . عبد العزيز حجازى فى ذلك ؟

● إن الذين يقولون : إن تطبيق الشريعة الاسلامية سوف يضر بالاقتصاد المصرى يتحدثون عن جهل بأصول المنهج الذى يقوم على عناصر أساسية هى :

ـ أن المال مال الله ونحن مستخلفون فيه نستخدمه لإعمار الكون فلم يرحل عنا انسان وحمل معه ماله .

ـ أن التنمية أساسية فى المجتمع وأن الله قد حض على العمل والإعمار والاجتهاد بل والابتكار .

ـ أن المنافسة أساس النشاط الاقتصادى وشجع الاسلام المبادرات الفردية . وحذر من الاحتكار بجميع اشكاله وأطلق الحرية فى الأسعار من غير اضرار بالمجتمع .

عن الوفد بإذن خاص

قضية الانتماء

في ضوء التشريع الإسلامي

توقفنا في المقال السابق ، عند بيان أوجه القصور الفكري ، ومواطن الخطأ العلمي للأفكار التي تضمنتها دراسة الدكتور زكي نجيب محمود ، حول مشكلة الانتماء(١) حيث ابتدأت الدراسة عنده من منطلق خاطىء حين راح يسبح في تيار المعقول المجرد ، بعيدا عن أصول المنقول الصريح وفي منأى عن مشارب التشريع الواضح ، وطريق الفكر الصحيح فجاءت النتائج التي انتهى اليها قاصرة في قدر كبير منها ، وخاطئة في القدر الاكبر .

وكان ما رأيناه في مقاله من أفكار تستهدف قيم الايمان ومفاهيم الاسلام ، وتتعارض مع كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — كما تتنافى مع أصول التفكير المنطقي السليم ، وهي كلها مقومات تخرج بها عن طريق الصواب ، وتجعلها حرية بالرفض ، وجديرة بالنقض ، وأهلا لعدم القبول .

وانتهينا الى أن القارىء قد يتساءل عن البديل الاسلامي ، لأفكار قامت على غير أساس سليم من المنقول على نحو ما وعدنا ببيانه ، وعلى غير أصل من المعقول الصحيح على نحو ما استبان لنا ، فتساقطت امامه ، أو بعبارة أخرى .

ما هو مضمون الانتماء للاسلام ، التي تشير كل المقومات الى استحقاقه للأولوية عن جدارة ؟

وذلك ما نود أن نجيب عليه في هذا المقام .

معاني الانتماء وحقيقته :

والانتماء يعني الانتساب الى الشيء ، يقال في اللغة : انتمى اليه ، أي انتسب(٢) ، والمعنى اللغوي لايثير أية صعوبة بالنسبة لماهية الانتماء ، وان مضمونه يتحقق بالنسبة الى أي شيء ، ولعل ذلك راجع الى عموم المعنى المستفاد من اللغة ، ولكن الذي نريد ان نشير اليه ، ان الانتماء المجرد يكشف عن وجود

---

١ — جريدة الاهرام — الصادرة يوم ٨٥/١٢/١٧ ص ١٣ .

٢ — القاموس المحيط — ج ٤ ص ٤٠٠ الطبعة الثالثة مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

للدكتور عبد الله مبروك النجار

حيثيات تجعل الشيء المنتمى اليه جديرا بتلك النسبة ، لاعتبارات جليلة وخطيرة تقوم فى نفس المنتمى ، ومن شان وجودها انها تجعل الانسان محبا له فخورا به ، سعيدا بالانتساب اليه ، لما يولده ذلك الانتساب فى قلبه من معانى العزة والشرف وفى وجدانه من مشاعر الفخر والاعتزاز ، وان شئت تلخيصا لكل تلك المعانى فقل : انه الحب للشيء ، الناشيء عن أثر ذلك الشيء بالنسبة لمن يحبه ماديا وروحيا .

فالحب هو أخطر مظاهر الانتماء لأنه هو الذى يكشف عن وجوده ، وهذا الحب لايتولد من فراغ ، ولكنه يجيء وليد مجموعة من الاعتبارات التى يحياها الانسان ، ويعيش بها ويتشكل كيانه فى الحياة من خلالها ، فهى تمثل بالنسبة له النعمة فى أجلى صورها ، والخير فى أحلى ألوانه وأجمل معانيه .

ولاشك ان مقدار الخير المراد بالانسان يختلف من امر الى آخر ومن جهة الى اخرى ، ومن الطبيعى ان يركن الانسان فى ولائه الى الجهة التى يشعر فيها بالخير الأكبر ، والعطاء الأوفر ، ذلك ما يفرضه النظر السليم والتفكير القويم .

فالانسان ينبغى أن يكون حبه الاكبر ، لمصدر احساسه بالفضل الأكبر والخير الأعظم فى ماضيه وحاضره ومستقبله .

الفضل لله وحده :

ولو كانت مشاعر الناس وعقولهم واتجاهاتهم تسير فى ظلال هذا النسق الفكرى، والاتجاه الطبيعى ما وجدنا صوتا واحدا يتجه الى غير الولاء لله عز وجل ، فهو صاحب الفضل الاعظم والنعمة الكبرى بل هو الواحد المتفرد فى جلاله وكرمه وعطائه ، نعم انه هو واهب الحياة ، وما دون الحياة فى الفضل والنعمة ، انه واهب الصحة والعقل وخالق الكون والشجر والدواب ، ومسخر كل ما خلقه وأوجده لخدمة الانسان فى الحياة ليحيا حياة العزة ، ويعيش عيش المكرمين .

والولاء لله ، وفقا لمعايير النظر العادية هو الذى ينبغى أن يكون ، ولكن الأمور لا تسير عند الناس على مثل هذا المنوال القويم لأن كثيرا من بنى الانسان ، قد جبلوا على حجود واضح ، ودرجوا على نكران وظلم معهودين.

ومن مظاهر هذا الظلم أن يجعل العبد لله شريكا يرتفع به الى درجة الحب له والانتماء اليه ، وصدق الله العظيم ، اذ يصور هذا المعنى بقوله تعالى : « إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ

عَظِيمٌ » (١) وما ذلك الا لأنه ينطوى على تقديم ما يجب لله أصلا لغيره ووضع الشىء فى غير موضعه ، ومن أشرك بالله فقد وضع الربوبية فى غير موضعها ، وهذا أعظم الظلم(٣) •

كما أن الانسان وهو يوزع عطاء حبه فى الجهات التى يرى مايستوجب وجوده فيها قد يبالغ فى جانب ويفرط فى آخر ، وقد يظلم جهة على حساب أخرى ، وما أكثر المغالطات الانسانية فى مثل تلك الحالات •• نجد أمورا فى غاية الاهمية والخطر ، لا يقدرها الانسان حق قدرها من الحب والولاء ، على حين نجد أمورا أخرى هى بالطبع أقل منها خطرا ودونها شأنا ، تأخذ من اهتمام الناس وتقديرهم أكثر مما تستحقه •

ومن عجيب طبع الانسان انه قد يتطرف فى مجال تقريره للاشياء ، وينحرف عن جادة الاعتدال فى النظر اليها ، فقد يحب شيئا فيه الخير كل الخير له ولعل ذلك الطبع فى الانسان يمثل جانبا من جوانب الحكمة فى قول العليم الخبير سبحانه : « وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »(٢) •

وقد رأينا أن عقل الانسان قد تعترض طريق تصوره الصحيح للحقائق مجموعة من الأوهام والعقبات ، وهى بالطبع تمثل غبارا يحول بينه وبين ادراك كل جوانب الحقيقة ، ومن ثم تتمثل رحمة الله بخلقه ورأفته بهم ، حين لايتركهم فريسة لأوهام عقولهم ، وضحايا لأخطار تفكيرهم ، فأرسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ، ليكونوا مصححين ، ومبلغين وموضحين لكل جوانب الحقيقة ، لتسهيل مهمة ادراكها على الانسان •

وقد أودع الله تعالى كل ما يريده من خلقه فى رسالة سيد المرسلين وخاتم النبيين : سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — فجاءت جامعة لكل أسباب الهداية العقلية ، وشاملة لكل مبادىء الرشاد ، وكانت هى الدين الكامل والنعمة التامة والتشريع الذى ارتضاه الله لعباده •

وكان الرجوع اليها والايمان بها ، هما علامة الاستقامة ، ودليل النجاح والفلاح فى الدنيا والآخرة •

الأمور التى تستوجب الانتماء :

والامور التى تستوجب الانتماء — على نحو ما رأينا — هى هى نفس الأمور التى تتطلب الحب من الانسان ، فالحب والانتماء هما وجهان لعملة واحدة ، ولا يتصور أن يوجد الانتماء فى ظل نفور وكراهية ، والاشياء التى تستأهل حب الانسان هى ذات الخطر — بالنسبة له ، ومبعث الخير فى حياته ، انها هى التى تغمره فضلا ، وتغرقه نعمة ، ومع ذلك فان مشاعر الناس تجاه تلك الامور متباينة ،

---

١ — سورة لقمان — آية ١٣ •
٢ — شرح السنة للبغوى ص ٨٥ طبعة لجنة احياء التراث الاسلامى بمجمع البحوث الاسلامية
٣ — سورة البقرة — آية ٢١٦

وولاءهم لها مختلف ، وهذا الاختـــلاف وذلك التباين ، مبعثهما قد يكون هو اختلال معايير الفكر عند بعض الناس ، وتفاوت الرؤية عنـــد بعضهم الآخر فى النظر للامور ، ولكننا مـــع ذلك الاختلاف ، لا نعدم الوقوف على مايشبه الكثرة التى تبعث على الارتياح لجانب معين ، والاطمئنان على أولوية مكانته فى قلوب الناس ووجـــدانهم ، بما ينعكس أثره فى ســـلوكهم ولاء وتقديرا ، وعملا دائبا من أجل تحقيـــق مطالبه ، وانجاز ما يتمناه ، وعنـــد النظـــر فى تطبيق ذلك على عالم الناس ، وفى أرض الواقع نجد ان الامـــور التى تســـتجلب الحب ، وتستوجب الانتماء ، يمكن بالاستقراء ارجاعها الى أصلين :

اولهما ــ حب الله والولاء له :

وهو الحب الذى يكشف عن احتياج العبد لله فى كل صغيرة وكبيرة فى شئون حيـــاته ، لأنه الخالق الرازق المحيى المميت ، الضـــار النافع ، الحليم الســـتار ، الرحيم الرحمن ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، ذو الطول ، لا اله غـــيره ، ولا خـــالق ســـواه ، وأصحاب هذا النوع من الولاء هم المؤمنـــون الذين ملأ الايمان قلوبهم ، وسيطر على كـــل كيانهم وجوارحهم ، فهم ينظـــرون الى هـــذا الحب الاكبر على انه مصدر كل حب ، ومبعث كل اعتزاز ، ويعتبرونه هو الأصل الذى تتفرع عنه جميع أنواع الحب الاخرى ، كحب الولد والوالد ، والاهل والوطن .

كما أن حب سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من حب الله ، وطاعته والولاء له من طاعته .

قال تعالى : « **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** » (١) .

وقال عز من قائل : « **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** » (٢) .

وحب الله ورسوله ليس معنى مبهمـــا أو مفهوما غير محدد ، ولكن الله تبارك وتعالى قد قنن هذا الحب ووضع له الضوابط ، على النحو الذى تشير اليه الآيتان الكريمتان ، وغيرهمـــا من الآيات الـــواردة فى نفس المعنى الـــذى تدلان عليه ، وهو اتباع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذى هو فى جوهره وحقيقته ، اتباع لمنهج الله ، أى التزام ما أمر ، والانتهاء عما عنه نهى ، وزجر .

وتلك هى أيضا حقيقـــة الاســـلام ، فكأن الولاء لله ليس شعورا مجـــردا وليس معنى منعزلا عن حياة الناس وسلوكهم ، ومجـــال الاحكام الشرعية وانما هو التزام بمنهج الله فى كل حالة يكون عليها الانســـان .

نعم انه الالتزام بأحكام الله فى كل صغيرة وكبيرة من شئون الحياة ، وهو فى مجـــال السلوك البشرى ، ونطاق أفعال المكلفين ، يمثل

---

١ ــ سورة النساء ــ آية ٨٠

٢ ــ سورة آل عمران ــ آية ٣١ .

الاسلام فى عقيدته وشريعته ، فى سموه ورفعته ، فى عمومه وكماله ، فى عدله ورحمته ، فى توصيفه لكل فعل يصدر من العبد ، ولكل حركة تحصل من الناس ، فى تنظيمه لجميع الروابط وحكمه لكل العلاقات ، انه الدين الكامل والنعمة التامة ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » (١) •

ثانيهما : حب الوطن والانتماء اليه :

كما ان حب الوطن من الأمور التى لا يستطيع ان يمارى فيها منصف ، ولا يقدر على انكارها معتدل ، فارتباط الانسان بوطنه ، وحبه لبلده ، مسألة لا تقبل مناقشة من وفى لأصله ، مخلص لمسقط رأسه •

فالوطن هو النعمة القريبة للانسان ، لأنه مستقر حياته ، ومحل ماله ، ومكان عرضه ، ومكمن شرفه ، ومؤئل أمله ، على أرضه يحيا الانسان ، ومن خيراته يعيش ، ومن مائه يرتوى ، وبسمائه يلتحف •

ولهذا كانت حياة الانسان فيه ، ووجوده موصول به ، وكرامته ، وعزته من عزته ، وكان الانسان جزءا من وطنه ، ووطنه قيمة فيه ، يعرف الانسان بها ، ويحترم من خلالها ، ويوزن بميزان مبادئها ، وهذه المعانى مجتمعه ، يمكن أن يعبر عنها بالوطنية •

فالوطنية مصدر صناعى للفعل ، وطن أى أقام وسكن واستقر (٢) وهذه المعانى تجسد معناه ، فهو بمثابة الظرف للحياة الكريمة ، واللازم لها ، فمن ذا الذى يستطيع أن يحيا حياة عزيزة،بغير أقامة ولا سكن ولا استقرار•

ومن ثم صار لفظ الوطنية أداة موضوعة للدلالة على تلك المعانى ولوازمها فى حياة الانسان ووجوده ، ليشمل فضل الوطن على الانسان ، وواجبه عليه فى آن واحد معا ، بما يستتبع الدفاع عنه وبذل المال والنفس من أجله والعمل الدائب فى سبيل نهضته ورفعته وتقدمه والقاسم المشترك من هذه المعانى موجود فى دخيلة الغالبية الغالبة من الناس فى كل زمان وعلى أى مكان ، بما يجعل قيامها فى مرتبة الأمور المسلم بها •

موازنة بين نوعى الانتماء :

تلك فى نظرنا هى الأصول الكبرى التى تسترعى اهتمامات الناس ، وتستأثر بقلوبهم ، وتستحوذ على افئدتهم ، الولاء لله والولاء للوطن ، أو حب الله وحب الوطن ، والضرورة تقضينا أن نعقد موازنة بين هذين الاصلين الكبيرين للانتماء ، وأقول : الضرورة لأن الله وحده هو الذى يعلم مقدار ما ينتابنى من احساس بالحياء منه ، حين أقدم على عقد موازنة بين حبه ، وحب غيره ، أيا كان ذلك الغير ، لأنه مهما بلغ فان يخرج عن كونه أثرا

١ ـ سورة المائدة ـ آية ٣

٢ ـ القاموس المحيط ـ ج ٤ ـ ص ٢٧٨ ـ الطبعة المشار اليها •

من آثار فضله واحسانه ، فالفرق بين الحبيبين فى القدر والكيف ، أوضح من أن تظهره مقارنة ، لأن البون بين الامرين شاسع ، والبعد بينهما يكاد يكون هو البعد مابين السماء والأرض ، وأنا موقن سلفا أن نتيجة تلك الموازنة قطعا لصالح الولاء لله ، ومنتهية يقينا لصالح الحب له .

ولكن الناس جميعا ليسوا على درجة واحدة فى الاذعان لذلك ، فبعضهم يقتنع بالقريب الاقل ، على حساب الاعلى والاجل والبعض منهم لا يرون غير عرض العاجلة ، ويذرون فى سبيلها حقائق الآخرة ، وصدق الله العظيم اذ يقول فى هذا المعنى : « **كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ • وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ** » (١) .

وهكذا اختلفت مفاهيم الناس ، وتباينت رؤيتهم ، فاختلت قيم الاشياء أمام ناظرهم ومثل هؤلاء غالبا لا يقتنعون بالمنقول ، ولا يستمعون الى قال الله وقال الرسول ، وانما هم يريدون حجة عقلية من نوع تفكيرهم ، ودليلا من جنس دليلهم ولو أنهم نظروا الى حقائق الاشياء لأراحوا واستراحوا ، ولكنهم يقنعون من الامور بالأدنى ، ويرضون منها بالاقل .

يصور هذا المعنى قول الله تعالى : « **لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ** » (٢) وهكذا نجد ان الانسان غالبا ما ينشد المهم على حساب الأهم ، وهم فى قضيتنا قد شغلتهم النعمة عن المنعم سبحانه ، والملك عن الملك القدوس ، عز شأنه والخلق عن الخالق جل جلاله ، وما هكذا يستقيم النظر العقلى السليم .

وهل الأرض والوطن الا مظهر من مظاهر فضل الله ، وبعض نعمته على الانسان ؟ وكم تساوى تلك النعمة بجانب ما أنعم الله به على الانسان فى حياته من صحة ، وعقل وقلب ، وبصر وسمع ، ولسان ينطق به ، ويد يبطش بها ورجل يمشى عليها ، وغير ذلك من النعم التى لا تقبل حصرا ولا عدا .

وصدق الله العظيم هو القائل : « **وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** » (٣) .

وهو القائل سبحانه : « **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ • وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** »(٤) .

وقال عز من قائل : « **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ** » (٥) .

وصدق رسول الله اذ يقول : « ان من أعظم أنواع الذنب أن تجعل لله ندا وقد خلقك » (٦) .

١ ـ سورة القيامة ـ الآيتان ٢٠ ، ٢١
٢ ـ سورة التوبة ـ آية ٤٢
٣ ـ سورة ابراهيم ـ آية ٣٤
٤ ـ سورة النحل ـ الآيتان ١٧ ، ١٨
٥ ـ سورة لقمان ـ آية ٢٠
٦ ـ راجع شرح السنة للبغوى ٨٦ المطبعة المشار اليها .

فاذا صح ذلك وهو واضح وضوح الشمس ، استبان لكل ذى عقل سليم ، ونظر قويم ان الوطن أثر من آثار نعمة الله ، وجزء قليل من خير كثير انعم الله به على الانسان فى صحته وماله وأهله ووطنه ، يحق لنا أن نتساءل أى الامرين أحق بالحب ، وأولى بالانتماء النعمة أم المنعم ؟ .

الفضل أم صاحب الفضل والمنة وخالق الكون وواهب الحياة ؟ .

أجيبوا علينا أيها المفكرون ، يرحمنا الله واياكم ، ويصلح بالنا وبالكم ، وأحوالنا وأحوالكم .

الوطنية لا تستقيم الا بالانتماء للاسلام :

ومن المؤكد بعد تلك الموازنة بين هذين الأصلين من أصول الانتماء ، أن السباق المنطقى ، والتسلسل العقلى يؤديان الى رجحان جانب الانتماء للاسلام ، والواقع أننا لو اخلصنا الولاء له ، وقمنا بما يقتضيه منا واجب ذلك الانتماء الاولى ، لتعدى خيره الى كل نواحى اهتماماتنا الأخرى ، ومنها ولاؤنا لوطننا واخلاصنا لمجتمعنا ، بمعنى أن تركيزنا على الولاء للاسلام يؤدى بالضرورة الى حسن القيام بواجبات الوطن والنهوض به فالتركيز على الأول ، لايفوت الثانى بل يحافظ عليه ويرعاه .

بينما التركيز على الثانى قد يفوت الأول ولا يرعاه ، ومن ثم وجب أن يكون القول بأولوية الانتماء للاسلام هو المدخل لكل مناحى الاصلاح الاجتماعى والتقدم الوطنى ، من خلال استثمار تلك الدعوى الواضحة والاتجاه الصريح ، نحو حفظ الوطن والاهتمام بقضاياه ، على منوال ما يدعو اليه الاسلام ويأمر به .

ومن مقتضى الانتماء لله الذى هو مظهر من مظاهر الحب له ، أن يراعى الانسان واجب ذلك الحب فيما امره الله نحو وطنه ، حتى لا يقع تحت وطأة المسئولية أمامه عن التفريط فى مقتضيات ذلك الواجب .

ومن المؤكد أن فى استثمار المسلم لكل تلك المعانى ، ما يحمل الكثيرين على ترك السلبية فى مجال القضايا العامة ، والنظر الى المسائل القومية بعين الاهتمام والرعاية ، وذلك ما نحتاج اليه فى حياتنا الى حد كبير ، ولعل ذلك يكون أثرا من آثار النظر السليم للامور ، ووضعها فى نصابها الصحيح ، واعطاء كل أمر ما يستحقه .

ادلة الانتماء للاسلام :

على أن الانتماء للاسلام أولا ، لا تقتصر مبرراته على نحو ما سبق ، حيث أشارت كل تلك الدلائل الى استحقاقه للأولوية عن جدارة ، الا انه مع ذلك يقوم على اسس قوية من كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، بما يجعل أمر رجحانه ليس مقتصرا على واضح المعقول ولكنه يتعاضد ويتضافر مع صريح المنقول ، ليكون الانتصار له مؤسسا على قواعد راسخة من النقل والعقل .

وقد فصلنا القول فى الاستدلال عليه بالمعقول ونبين أدلته من المنقول فى مقالنا القادم باذن الله ، والله ولى التوفيق .

ماهذا يا أهل الكتاب؟

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

فى قمة الاحترام وفى ذروة التسامح منذ أربعة عشر قرنا أطلق الاسلام على النصارى وعلى اليهود ــ وان لم يعيشوا فى كنف دولته ــ اسمين رقيقين يوحيان بمعان كريمة سامية :

الاسم الأول : (أهل الكتاب) اشارة الى أنهم فى الأصل كانوا أصحاب كتاب سماوى .

والاسم الثانى : (أهل الذمة) ايماء بأن لهم ذمة الله وذمة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أى عهد الله وعهد رسوله الا يؤذوا ولا تهدر حقوقهم أو تخدش حرماتهم وهو خاص بأولئك الذين يعيشون فى ظل سلطان الاسلام (١) .

والاسلام دين استقى عقيدته وشريعته من معين السماء كما استقاها موسى وعيسى ــ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ــ من كتابيهما المنزلين قال الله تعالى :

« شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » (٢)

والمسلمون فى قرارة أنفسهم يؤمنون ويعتقدون بأن الأنبياء أخوة لاتفاضل بينهم من حيث الرسالة وأن عليهم أن يؤمنوا بهم جميعا ايمانهم بنبيهم محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال تعالى :

« قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » (٣) .

وقال جل شأنه :

« آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ

(١) الأقليات وتطبيق الشريعة الاسلامية من بحوث المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر للدكتور / يوسف القرضاوى .

(٢) سورة الشورى ١٣ .

(٣) سورة البقرة آية ١٣٦ .

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » (٤) ٠

ومن المبادىء المسلم بها فى الاسلام أنـه لا يفرض عقيدته على أحد من الناس وأنه لمـا حاول رجال من أنصار المدينة المسلمين اجبار أبنائهم ــ وقـد كانوا يـدينون باليهوديـة أو النصرانيـة ــ على تغيير دينهم الى الاسـلام نزل الوحى بآيات من القرآن قاطعة مانعة لهذه المحاولة ، وجاء فى هذا قول الله تعالى :

« لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْـدُ مِنَ الْغَيِّ »(٥)

ومنذ عهد الخلفاء الراشدين وأهل الكتـاب يؤدون عباداتهم ويقيمون شعائرهم فى أمـان وحرية طبقا لما هو منصوص عليه فى العهود التى كتبت فى عهد الخليفتين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ومن أمثلته : عهد الصلح الذى كان بين المسلمين وأهل ايلياء « مدينة القدس » ٠

ومن شدة حساسية الاسلام فيما سنه مـن تسامح لم يفرض الزكاة ولا الجهاد على غير المسلمين لما لهما من صبغة دينية باعتبارهمـا من عبادات الاسلام الكبرى مع أن الزكـاة ضريبة مالية والجهاد خدمة عسكرية ٠

هذا هو موقف الاسلام من أهل الكتاب ٠

فماذا كان موقفهم من المسلمين ؟

لننظر الى ذلك من خلال موقف أحد كهنـة النصرانية فى زماننا المعاصر وهو رأس الفاتيكان طبقا لما نشرته وسائل الاعلام العالمية فى الأيام الماضية ٠

تحركات مشبوهة :

وصلت تحركات رأس الفاتيكان خارج بلاده فى الدول المختلفة منذ توليه أمور الكنيسـة الكاثوليكية فى روما عام ١٩٧٨ وحتى الآن سبعا وعشرين جولة كان آخرها جولته الافريقيـة الثالثة والتى زار فيها سبع دول افريقية ذات كثافة اسلامية كبيرة (٦) ٠

مدى أهمية افريقيا عند الكنيسة الكاثوليكية :

ان الكنيسة الكاثوليكية فى الفاتيكان تعتبـر افريقيا من أهم المناطق التى تعول على انتشار الكاثوليكية فى ربوعها خـلال القرن العشرين وما بعده فتتسلل الى عقول الافريقيين مستغلة حاجتهم الماسة الى الطعام والكساء والدواء ٠

والملفت للنظر أن جولة رأس الفاتيكان هـذه المرة لم تشمل مناطق الكوارث والمجاعة بـل شملت دولا ذات استقرار سياسى واقتصادى وكـان فى جولاتـه يحث رجـال الارساليات التبشيرية الى الانتقال الى منـاطق المسلمين لنشر النصرانية بينهم ، وفتنتهم عن عقيدتهم الاسلامية كما حدث منه فى جمهورية توجو اذ كان يحض الكهنة والأساقفة الى اقتحام شمال تلك الدولة وهى المناطق التى ينتشر فيهـا المسلمون للتبشير بينهم ونشر الكاثوليكية فيهم ٠

جريدة الواشنطن بوست الأمريكية تكشف شيئا مما بيبت للاسلام هناك

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٥ ٠
(٥) سورة البقرة آية ٢٥٦ ٠

(٦) مجلة منار الاسـلام العـدد الاول محـرم ١٤٠٦ هـ ــ اكتوبر ١٩٨٥ م ٠

فمما ذكرته تلك الجريدة الامريكية (ان اللباقة والالتزامات الكنسية الرسمية تجعل البابا يحجم عن التحدث بصورة مباشرة عن « قضية البعث الاسلامى فى افريقيا » ، الا أن مصادر رفيعة المستوى فى الفاتيكان قالت فى أحاديث خاصة :إن التنافس بين الكاثوليكية والاسلام من أجل كسب معتنقين جدد هو أحد الاهتمامات الرئيسية للكنيسة (١) .

ماذا تقول صحيفة الهيرالدتريبيون الصادرة فى ٨ أغسطس سنة ١٩٨٥ .

نشرت تلك الصحيفة فى صفحتها الأولى مقالا للصحفى الأمريكى « لورين جينكز » يشير فيه الى أن رأس الفاتيكان يقوم بهذه الزيارة الى أفريقيا على أمل تعزيز قوة كنيسته فى وجه تنامى الشعور الدينى الاسلامى فى القارة التى يعتبرها الفاتيكان مسرح أحد نجاحاته فى هذا القرن ولحث المطارنة والقساوسة وأتباعه السود لمضاعفة جهودهم التنصيرية لمواجهة الاندفاعة الاسلامية الجديدة نحو الجنوب . ويؤكد جينكز فى مقاله الذى يعد وثيقة هامة « خاصة وأنه من المتخصصين فى شئون الفاتيكان » أن شعورا بالقلق يتملك رجال الكنيسة من الوجود الاسلامى الجديد فى حزام عريض يقطع وسط افريقيا بدءا من سيراليون على المحيط الأطلسى وانتهاء بالساحل السودانى المحاذى للبحر الأحمر .

عهد بدء التنصير الثانى فى أفريقيا — أو الهجمة التنصيرية الثانية

ومما تحدثت عنه وكالات الأنباء العالمية أن بدء (التنصير الثانى لافريقيا) كان هو العمل الذى أعلنه رأس الفاتيكان فى جولته الأخيرة ، وصار هو شعار الكنيسة فى خطة عملها خلال السنوات القادمة داخل افريقيا التى تعتبرها مصادر الكنيسة الرومانية الى جانب أمريكا اللاتينية أحد احتياطات العالم الكاثوليكى للمستقبل (٢) .

الاحصاءات التى يذكرها المتحدث باسم الفاتيكان تبين مدى نشاط المبشرين فى افريقيا

مما يذكره (يواكيم نافا روفالز) أحد المتحدثين باسم الفاتيكان ان اعداد الكاثوليك الأفارقة فى زيادة مضطردة ففى عام ١٩٠١ من بداية هذا القرن كان هناك ١ر١ مليون كاثوليكى فقط فى كل أفريقيا يشكلون ١٪ من سكان القارة .

أما اليوم فانه يضاف الى ذلك حوالى مليونى كاثوليكى سنويا مما يجعل مجموع الكاثوليك فى القارة المذكورة يبلغ ٦٥ مليونا الآن أو ١٦٪ من مجموع سكانها ويتوقعون أن يصل عددهم فى نهاية القرن الحالى الى ١٠٠ مليون كاثوليكى أفريقى (٣) .

ملامح توضح بعض مخططات الفاتيكان من واقع تنقلاته

امتدت زيارة رأس الفاتيكان الى أفريقيا فى المرة الأخيرة مدة اثنى عشر يوما وشملت توجو وساحل العاج والكاميرون وأفريقيا الوسطى وزائير وكينيا والمغرب ، والملاحظ أن رؤساء

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق

تلك الدول كانوا على رأس مستقبليه وكان يحرص على أن يعقد اجتماعات مغلقة معهم حيث قدم لثلاثة رؤساء معاهدة مكتوبة تتضمن وعدا بمساندة الكنيسة الكاثوليكية لأنظمتهم مقابل مزيد من التسهيلات للعمل التنصيرى فى وجه ما أسماه بالشعور الاسلامى المتنامى فى بلادهم •

وفى لقاءاته مع المسلمين هناك نجده يدعو الى التسامح والحوار بين الاسلام والنصرانية بينما تختلف هذه النغمة حينما يكون المخاطبون من بين أتباعه وأعوانه اذ يحرضهم على التحرك واقتحام معاقل الاسلام والمسلمين والتبشير بينهم والعمل على تنصيرهم •

أقوال بابا الفاتيكان تكشف مدى خطورة زياراته على السكان المسلمين •

١ ــ ففى **توجو** حيث بدأت زيارته صرح فى المطار بقوله (ان الكنائس الافريقية المعروفة بفتوتها بلغت الآن مرحلة توجب عليها أن تنضج وتحمل ثمارا افريقية حقيقية) كما أعلن أن الفاتيكان على استعداد لدراسة مطالب الأفارقة بتبنى الكنيسة الكاثوليكية للتقاليد المحلية والطقوس التى تؤمن بأن للمادة روحا وللممارسات التى تسمح بالزواج التجريبى وتعدد الزوجات •• الخ

وخاطب كهنته فى احتفال جماهيرى لرسم أحد عشر كاهنا من جمهورية توجو بقوله : (وان أفقكم كمبشرين ليس محدودا ببلدكم وعليكم أن تحملوا الأنباء السارة الى جميع أبناء افريقيا وبناتها •

٢ ــ وفى **ساحل العاج** : قام بافتتاح وتدشين كاتدرائية بولس التى سبق أن وضع حجر أساسها ابان زيارته السابقة لهذا البلد سنة ١٩٨٠ م وتعتبر هذه الكاتدرائية الصرح الدينى الثانى فى العالم من حيث الضخامة بعد كاتدرائية بطرس فى روما •

٣ ــ وفى **الكاميرون** : عندما وصل الى هناك بدأ كلامه الى مستقبليه بقوله أننى لم آت الى هنا كرئيس للكنيسة الكاثوليكية فحسب بل كمبشر أيضا) ولذلك حرص على مدى أربعة أيام قضاها هناك أن يجوب أنحاء الكاميرون المختلفة وأن يلتقى بالزعماء المسلمين والقبليين أيضا وهناك قام برسم ستة عشر كاهنا من الكاميرون وسماهم تلامذة المسيح الجدد •

وخلال لقائه مع عشرة من زعماء المسلمين هناك هاجم بشكل خفى التيار الاسلامى الذى بدأت ملامح نشاطه فى الظهور والنمو ، ووجه دعوته الى المسلمين بأن يمارسوا التسامح الدينى أما فى شمال الكاميرون حيث تعيش الأغلبية الاسلامية فقد حرص على التأكيد فى تصريحاته بضرورة التعايش بين الطوائف المختلفة وفى نفس الوقت أشاد بالمنصرين الكاثوليك القدامى الذين باشروا تعليم السكان عقب وصولهم الى تلك البلاد فى سنة ١٨٩٠م •

٤ ــ ومرورا بجمهورية أفريقيا الوسطى

٥ ــ فزائير أنهى جولته فى أفريقيا بزيارة الى

٦ ــ كينيا وهناك هاجم تعدد الزوجات والطلاق (وهما من شريعة الاسلام) ودعا أتباعه ورعايا كنيسته الى مزيد من الانجاب . وكان قد سبق له أن أعلن : أن « الولد » نعمة من الله وملعون من رفض نعمة الله • وهذا الجانب منه عملت به كل الكنائس حتى تلك التى لا تدين بكاثوليكيته •

٧ ـ يختتم رحلته بزيارة دولة المغرب العربى ٠

يجمع المراقبون على أهمية وخطورة تلك الزيارة لدولة مسلمة ليس فى شعبها كاثوليكى واحد باستثناء الأوربيين ، كما وأنها أول زيارة لذلك البابا لبلد عربى مسلم ٠

هذا ومما تجدر الاشارة اليه أنه كان من رغبته أن يزور السودان لكن الحكومة هناك رفضت الاستجابة لتلك الرغبة بسبب ما يعانيه السودان منذ استقلاله سنة ١٩٥٦ من اضطرابات فى جنوبه وتتفاقم تلك المشكلة بتشجيع من الكنائس العالمية وبدعمها المادى والمعنوى (١) ٠

التقرب من اليهود :

وذلك فى وثيقة رسمية صدرت فى ٢٤ يونيه (حزيران) سنة ١٩٨٥ م عن لجنة الفاتيكان للعلاقات الدينية مع اليهود وقد تضمن النص الحرفى للوثيقة كما نشرته صحيفة (أوبسير فاتورى رومانو) لسان حال الفاتيكان فى عددها الصادر بتاريخ ٢٥ يونية (حزيران) سنة ١٩٨٥ م تعليمات مشددة لرجال الدين الكاثوليك والكنائس والمؤرخين والمدرسين وقطاعات الكنيسة الكاثوليكية كافة بشأن التعامل مع اليهود وتلاوة الصلوات النصرانية من الطقس الكاثوليكى بشكل يضمن عدم التعرض لهم وذلك فى محاولة لقطع جذور معاداة السامية بين النصارى ٠

ويجىء اصدار الوثيقة بناء على تعاليم المجمع الفاتيكانى الثانى وبعض خطابات يوحنا بولس الثانى بشأن العلاقة مع اليهود على أساس الرسائل التى بعثت بها الجالية اليهودية فى روما الى الفاتيكان فى الآونة الأخيرة والتى طالبت بالتصدى لمظاهر معاداة السامية فى الديانة النصرانية الكاثوليكية ، وتدور بنود الوثيقة حول عدة موضوعات أهمها التعليم الدينى واليهودية ، العلاقة بين العهد القديم والجديد ، اللاهوت ومسار محتوى الصلوات النصرانية ، اليهودية والنصرانية وتوصى الوثيقة بضرورة عدم اعتبار اليهود شعبا منبوذا أو معاديا للمسيح وذلك بتبيان العلاقة بين يهود فلسطين القدماء كما جاء فى الوثيقة والمسيح (عليه السلام) ودور اليهود الفرنسيين ويهود القدس فى عهد المسيح٠

وأذاعت الوثيقة أن المسيح (عليه السلام) كان يهوديا وسيظل هكذا الى الأبد ، ومع ذلك وفى الوقت نفسه دعت عدم الخلط بين الديانتين النصرانية واليهودية بايراد مئات النصوص من الاناجيل المختلفة (٢) ٠

وثيقة الفاتيكان تدعى أن أرض فلسطين هى أرض أجداد اليهود ٠٠

هذا ما ذكرته لجنة الفاتيكان فى وثيقتها كما تضيف أنها ترفض أى تفسير سياسى بدولة

---

(١) مجلة الامة القطرية عدد المحرم ١٤٠٦ هـ ـ سبتمبر ١٩٨٥ شئون المسلمين فى العالم ـ القارة التنصيرية على افريقيا مرحلة جديدة من المواجهة

(٢) مجلة الأمة القطرية ـ ذو القعدة ١٤٠٥ هـ ـ حزيران ـ يونية ١٩٨٥ م ٠

اسرائيل لأن تاريخ اسرائيل لم ينته فى سنة ٧٠ ميلادية يوم تدمير مدينة القدس على يد الرومان بل استمر تباعا فى (الدياسبورا) والتى سمحت لاسرائيل بحمل شهادتها للعالم والتى كانت دائما بطولية وحافظت فى ثنايا قلبها على الأمل وذكرى الأجداد .

وأردفت الوثيقة تقول (ان تجذر اسرائيل فى أرض شهدت عدة شعوب اندثرت دون أن تترك أثرا لها هو حقيقة تاريخية وعلامة يجب تفسيرها أنها من ارادة الله لذا لابد من ترك المفهوم التقليدى للشعب المعاقب كما فى نظر النصرانية لأنه يبقى الشعب المختار (١) .

كيف توافقت الصليبية مع اليهودية رغم الخلافات الجذرية بينهما ثم مع باقى طوائفها المختلفة معها ؟

مما يثير الدهشة والعجب ان الخصوم القدامى أصلحوا ذات بينهم واجتمعت صفوفهم على أمل أن يجهزوا على الاسلام .

١ ـ فاتفقت النصرانية مع اليهودية وغيرت عبارات فى الصلوات النصرانية وأولت نصوصا فى الأناجيل المتداولة بين النصارى وأنهوا عداوة عشرين قرنا ليواجه هؤلاء وأولئك الاسلام معا .

٢ ـ كذلك اتفق الفاتيكان مع الكنيسة الشرقية التى ظل يحاربها طوال ستة عشر قرنا، ويعدها مارقة عن التعاليم الصحيحة ، ومد اليها يده ليواجه هؤلاء وأولئك الاسلام معا أيضا .

٣ ـ واتفق الكاثوليك مع البروتستانت وتنوسيت الخلافات والمعارك الداخلية بين الفريقين وأمست المؤتمرات النصرانية تجمع بين الفريقين ليواجهوا الاسلام معا.

٤ ـ بل ان الاستعمار الصليبى لجأ الى خطة بارعة الخبث فهو يترك الشيوعية تضرب الاسلام ويعينها ويمكن لها فى الاقطار الاسلامية التى لم تبلغها حتى اذا أوشكت أن تستولى على الدولة والحكم تدخل فى الوقت المناسب وتعاون مع ادارة اسلامية ضعيفة عميلة له ومهد لها طريق الحكم بشرط أن تترك التبشير الصليبى يعمل عمله دون اعتراض وذلك سر اذاعة صوت الانجيل من احدى الدول الاسلامية وسر الأجهزة التبشيرية الهائلة فى جزائر اندونيسيا الرحبة (١) .

ماذا تقول نظرية داود باريت ..

هذه النظرية طرحها صاحبها فى الستينيات من هذا القرن ويزعم فيها أن النصرانية تكتسح القارة الافريقية وسوف تكون سنة ٢٠٠٠ م سنة فخر لأفريقيا دون بقية القارات الأخرى اذ يصبح أكثر سكانها من (النصارى) لأن النسبة الحالية للارتداد ودخول الافارقة الى النصرانية فى زيادة مستمرة .

ويؤيده فى الرأى (كانون بيرجيس كار) الأمين العام لمؤتمر كنائس عموم افريقيا ولكنه تقدم خطوة أخرى فى الحديث عن أفرقة

---

(١) المرجع السابق .

(٢) كتاب الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر للشيخ محمد الغزالى تنشره مكتبة وهبة حسن وهبة بعابدين بالقاهرة .

النصرانية بما قرره من أن نموها سيكون أسرع فى الكنيسة الكاثوليكية منه فى الكنيسة البروتستانتية من حيث يجد الأفارقة الكاثوليكية اكثر ملاءمة لهم ، والكنيسة الكاثوليكية تملك مليونا ونصف مليون كنيسة فى جنوب أفريقيا وأعضاؤها يبلغون (٤٦) مليونا حسب احصائية قام بها الفاتيكان ، ويزيد عدد البروتستانت عن غيرهم من الفرق النصرانية بخمسة وستين مليونا •

ويعتبر رجال الكنائس الأمريكية أنه لا تقصير فى ازدهار النصرانية فى أفريقيا أو الصعيد العالمى حيث يبلغ عدد النصارى فيه أكثر من (١٫٢) بليون نسمة (١) •

والآن : كيف تسير اعمال التبشير النصرانى بين المسلمين ؟

لقد نجح التبشير النصرانى عندما تحرك فى كل القارات فى قص اطراف كثيرة من أمة الاسلام وأمكنته الظروف التعسه التى يعيش فيها مسلمون مضطهدون او مضيعون أن يغرى بالارتداد عن الاسلام ناسا كثيرين فى أندونيسيا وبنجلاديش وبورما والفلبين بل انه يهجم الان بقوة فى البلاد الافريقية وقد لا تكون البلاد العربية بعيدة عنه والأمل الذى يداعبه أن ينتهى — فى القرن العشرين من الاسلام أو من عناصر القوة التى تستبقيه •

١ — فهو يسير المبشرين فى جميع البلاد التى ينتشر فيها الاسلام وهناك يوزعون مئات الألوف من الأناجيل بالمجان أو بأثمان رمزية تافهة ، أو بلا ثمن •

٢ — ويدعم الفاتيكان ودول أوروبا الصليبية وكذا الولايات المتحدة الامريكية بملايين الجنيهات الارساليات الكبيرة التى تبثها فى بلاد المسلمين للتبشير بينهم بأسلوب علنى أو باسلوب خادع مستور مستغلة طريق العلاج ووسائل التعليم وسد حاجة الفقراء والمعوزين لفتنتهم عن دينهم ولنا أن نقدر خطورة ذلك الأسلوب اذا علمنا أن الفاتيكان وحده يملك ميزانية ضخمة تقارب ميزانية الولايات المتحدة الامريكية وأنه شريك مؤسس لكثير من البنوك والشركات والمصانع فى معظم أقطار أوروبا خصوصا الكاثوليكية منها •

٣ — اضطهادهم للاقليات الاسلامية فى الدول الأوروبية ويعملون على سلخهم من عقيدتهم بتكليفهم بتغيير أسمائهم الاسلامية الى أسماء نصرانية وانتزاع أملاكهم وأراضيهم وبيوتهم بأساليب تتسم بالدناءة واللؤم كما يحدث حاليا فى بلغاريا وفى بلاد اليونان وغيرها من البلاد النصرانية •

٤ — أما فى وسائل الاعلام فان الدوائر التبشيرية الصليبية ومكاتب الاستشراق تعمل على تشجيع المفكرين النصارى فى كتاباتهم وأحاديثهم وفى الاذاعات المرئية والمسموعة على كتابة التهجمات المقذعة والشتائم المبطنة الموجهة ضد نبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم وضد القرآن والاسلام بأسلوب شديد الاثارة والاساءة (٢) •

(١) المرجع السابق نقلا عن مجلة (توزى فوتيت انترناشيونال الصادرة فى بلجيكا عدد ٢٣ مايو ١٩٧٧ •

(٢) كتاب رسالة الى البابا بولس السادس تاليف دكتور عبد الودود شلبى بتصرف — توزيع مكتبة دار الانصار بعابدين بالقاهرة •

الارساليات النصرانية كان أولى بها التبشير فى المجتمعات اليهودية ..

اذا رجعنا الى مفهوم رسالة المسيح عليه السلام نجد أنه ما أرسل الا الى خراف بنى اسرائيل الضالة والمتتبع للاناجيل المتداولة بين النصارى يجد أن دعوته قاصرة على شعب اليهودية فقط ، بل ان البشارة بمجيئه قبل مولده تشير الى أن رعايته ستكون لشعب اليهود فقط أى لبنى اسرائيل فقط .

١ ــ فقد ورد بانجيل متى القول الذى يحكيه منسوبا الى الله (وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعب اسرائيل) (١) .

٢ ــ لما جاء الملك بالبشارة الى السيدة مريم بولادة المسيح أخبرها بأن رئاسته تكون على بيت يعقوب وهذا فى قوله فى انجيل لوقا (فقال لها الملاك لاتخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيما .. ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الأبد (٢) .

٣ ــ ولما بدأ يسرع فى الدعوة الى الايمان برسالته أعلن أنها قاصرة على بنى اسرائيل ولا تمتد الى غيرهم لذلك نراه يقول فى انجيل متى (فأجاب وقال : لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة) (٣) .

٤ ــ ان المسيح عليه السلام عندما أرسل تلاميذه لينشروا دعوته بين اليهود أى بنى اسرائيل كرر لهم وصيته بأن يقصروا الدعوة على اليهود فقط ، بل وحذرهم من دخول مدن الأمم والشعوب الأخرى ولو كانوا جيرانا لليهود وهذا فى قوله (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : الى طريق أمم لا تمضوا الى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة) (٤) .

ومما يؤيد ذلك ما يقرره الأستاذ مجدى مرجان (وقد كان نصرانيا من أقباط مصر وكان يعمل شماسا فى احدى الكنائس ثم اهتدى الى الاسلام) أن المسيح عليه السلام لم يرسل الا الى خراف بيت اسرائيل طبقا لما حكاه عنه متى فى انجيله (٥)

ويؤكد ذلك ما يذكره الكاتب المسيحى وليم باتون بأن الذى يقرأ رسائل بولس يجد أنه لم يورد دليلا واحدا ولا كلمة واحدة تنسب الى المسيح عن عالمية المسيحية (٦) .

ومع ذلك فان من يزعمون أنهم أتباعه تركوا تلك الخراف الاسرائيلية أو اليهودية وأخذوا يعملون على تنصير المسلمين تساعدهم الثروة والمال ووسائل الحضارة الحديثة وبعد .

---

(١) انجيل متى اصحاح ٢ عدد ٦

(٢) انجيل لوقا اصحاح ١ عدد ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) انجيل متى اصحاح ١٠ عدد ٥ ، ٦ .

(٤) انجيل متى اصحاح ١٠ عدد ٥ ، ٦ .

(٥) كتاب الله واحد ام ثالوث محمد مجدى مرجان .

(٦) كتاب النصرانية والاسلام عالمية الاسلام ودوامه الى قيام الساعة لكاتب المقال .

فالحق يقال ان أضغان الصليبية على الاسلام والمسلمين أعيت المداوين وانتشر سوادها فى الأولين والآخرين وبغضهم للاسلام لم ينقص بل ظل فى نماء وسخطهم على أهله لا تزيده الليالى الا ضراما وأجيالهم لا يتوارثون غير كراهية المسلمين والسطو على بلادهم ، ولقد بلغ من كراهيتهم للاسلام

وأهله حدا اتفقوا فيه مع اليهود وهم كما قدمنا كانوا يرمون المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بالكذب والدجل ويتهمونه بالسحر ويقذفون أمه ـ شهد الله ببراءتها عليها السلام ـ بالفاحشة بل انهم نزعوا حتى تاريخه من كتبهم واذا تصادف ذكره فلا يصفونه الا بصفة آثمة (١) .

ورغم ذلك فقد ساعدوهم وأعانوهم على المسلمين ومكنوا لهم فى جزء عزيز من بلادهم هو فلسطين فاستولوا على أرضها وشردوا أهلها وهدموا دورها وأقاموا بدلا منها مستعمرات سكنها مهاجرو اليهود الحاقدين والمجلوبين لها من مختلف الجهات والأقطار .

مع أن الاسلام منذ أن أشرقت شمسه على هذه الدنيا خالف الجو الوثنى فى أمر المسيح عليه السلام اذ أعلن تقديره له فهو : وجيه فى الدنيا والآخرة ومن المقربين الى الله منزلة ، كما نجاه الله من أعدائه اليهود ولم يمكنهم منه عندما أرادوا الفتك به ، وعن أمه السيدة مريم فهى صديقة والايمان برسالة المسيح

وبراءة أمه وطهرها جزء من ايمان المسلم ؛ قال الله تعالى :

(إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ • وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ) (٢) .

ويقول جل شأنه فيما ينعيه على اليهود من وقوفهم موقف العداء من المسيح ودعوته **(فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) (٣) وقوله عن سلامته من القتل (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) (٤) .**

اما عن براءة أمه فذلك فى قوله تعالى : **(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) (٥) .**

وتاريخ الاسلام أنصع تاريخ على وجه الأرض فلم يقم البتة على اضطهاد مخالفيه أو مصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالكره عن عقائدهم أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم .

وما كان المسلمون ينتظرون ممن أحسنوا

البقية صفحة ١٥٦٤

---

(١) كتاب فضح التلمود (تعاليم الحاخامين السرية) بقلم آى بى براناتيس ـ سلسلة اليهود والعالم ١١ نشر دار النفائس ببيروت .
(٢) سورة آل عمران آية ٤٥ ـ ٤٦ .
(٣) سورة الصف آية ٦ .
(٤) سورة النساء آية ١٥٧ .
(٥) سورة آل عمران آية ٤٢ .

أهـــداف المسيحية العالمية في أفريقيا

استهدف الاستعمار الغربى فى المقام الأول ، قطع الطريق البحرى المار بالبلاد الاسـلامية ، وحرمان المسلمين من أهم مصـادر الثروة التى ظلوا يملكونهـا ويتحكمون فيها عبر العصـور ، فعمـد الاستعمار البرتغـالى الى الاستيلاء على الجزر والمواقع الحاكمة فى مدخـل البحر الأحمر والخليج العربى والمحيط الهندى .

وفى عام (١٥١٠) م استولى البرتغاليون عـلى سـاحل شرق افريقيـة كله ، وقـرروا الاستقرار به ، والاستيلاء على تجارته الرائجة الرابحة التى كانت بأيدى المسلمين ، واختاروا (موزمبيق) لكى تكـــون مركزا لحكمهم الاستعمارى الذى امتد فيما بعد ليشمل مملكة « مونوموتابا » فى (روديسيا) حيث توجـد مناجم الذهب .

وجاء الالمان والانجليز فى أعقاب البرتغاليين والهولنديين وعندما حل القرن التاسع عشر نظمت الكنيسة ارسال البعثات التبشيرية وسـلحتها بامكانيات كبيرة ، وايدتها وسـاندتها القـوى الاستعمارية ، وعملت هذه البعثات على احياء اللغات المحلية وتدعيمها لوقف انتشـار اللغـة العربية ، وكتبت الاناجيـل بهذه اللغـات ، ووضعت لها نحوها وصرفها وقواميسها ، واعدت رجال الدين من بين الاهالى ، واقامت الكنائس والمستشفيات والمدارس التبشيرية التى عملت على اجتذاب السكان بكل الوسائل وادخالهم فى حظيرة النصرانية .

ولم يتمكن المستعمرون من النفاذ الى قلب القارة الافريقية فى بادىء الامر ، وعاقتهـم الغابات الكثيفة ، وعاقتهم أيضا القبـائل والشعوب التى لم يكونوا يعرفون عنها شيئا ، ولا يملكون القدرة على اجتياز المنطقة ودراسة مواطنها وبيئاتها المختلفة ، فعمد المستعمرون الى رسم الخطط فى خبث ودهاء للتوصل الى كشف افريقيـة عن طـريق وادى النيـل ، ولم يكـن فى اسـتطاعتهم ذلك دون مسـاندة مصر . وكانت أقصى نقطـة وصـل اليهـا الحـكم المصرى فى جنـوب السـودان هى

د. عبد الله نجيب محمود

« فاشـودة » ، ولكن يبدو أن ثمـة مؤامرة خفية كان أحد أطرافها « نوبار » باشا وزير الخديوى اسماعيل (وهو الذى ألغى تطبيـق الشريعة الاسلامية وأحل محلهـا القانون الفرنسى) و « صمويل بيكر » و « دوجال » ولى عهد انجلترا ومن ورائهم بريطانيا ، هـذه المؤامرة كانت تهدف الى اسـتغلال مصر وحكومتها الحسنة الظن بالاوروبيين ، لخدمة أهداف الغرب الاستعمارية والتبشيرية فأصدر الخديوى أمره فى ابريل سنة ١٨٦٩ م باعداد حملة بقيادة « صمويل بيكر » لاخضاع المناطق الواقعة الى الجنوب من « غندو كورو » .

لم تكد الحملة تحقق أغراضها وتخضـع المنطقة لسلطان مصر وتضبط شئون الامن بها ، حتى تقاطر على المنطقة المبشرون والرحالـة الغربيون ، وكتب « استانلى » فى مارس سنة ١٨٧٥م وكان عندئذ فى « أوغنده » رسـالة نشرتها الصحف الانجليزية يقول فيها : « ان هذا البلد صالح تماما لاعمال المبشرين » وفى بحر عدة أيام استجابت الجمعيات لهذه الدعوة، ووصل المبشر « ولسون » زعيم احدى هـذه البعثات عن طريق النيل الى « مرولى » وهى آخر محطة عسكرية مصرية فى الجنوب ، ولدى وصوله أطلقت المدفعية المصرية تحية لـه ، واستقبل استقبالا رسميا ، ووضـع ديوان الحكومة تحت تصرفه ، وتولت الجنود المصرية والسودانية حراسته ، وكان هـذا هو الشأن دائما مع جميع المبشرين القادمين الى أفريقية عن طريق وادى النيل ، ومنهم « بيرسـون » و « فلكن » و « جـونكر » و « ويلسـون » وغيرهم . وانشئت جمعية مبشرى الكنيسـة الانجيلية الانجليزية عند شواطىء بحـيرة « فيكتـوريا نيانزا » سـنة ١٨٧٨م ، وفى « غندوكورو » نفسـها الواقعـة فى منتصف الطريق بين محطتى « الرجاف » و « لادو » أنشئت جمعية للمبشرين الرومانيين الكاثوليك.

وعندما استقر الاسـتعمار فى افريقية ، وتهيأت له الوسائل الكافية ، والسيطرة الكاملة على أجزائها المختلفـة ، تدفقت البعثات التبشيرية ، وانتشرت فى كل جزء من أجزاء القارة ، ولكنهم اصطدموا بالمقاومة العنيدة للمسلمين ، ليس ذلك فحسب ، بل وجـدوا الاسلام منافسا قويا وخطيرا لهـم ، يعوق مهمتهم وهدفهم فى تحويل افـريقية الى النصرانية ، وتواترت التقارير الى الحكومات الاستعمارية ومجلس الكنائس العالمى والبابوية مستشعرين هذا الخطر ، ومرتعبين من مواجهته ومما زاد فى شـقائهم اقبال الافريقيين عـلى

◄

الاسلام لسماحته وقدرته الخارقة على الاندماج فى البيئة الافريقية ، وأخذ الاسلام الافريقيين بالتدرج واللين كى ينقلبوا فى النهاية مسلمين مخلصين **فالاسلام لم يكن دين المستعمرين ، كما لم يكن دين الرجل الأبيض الداعى الى العنصرية المصر عليها .**

ما كادت هذه الحقائق تتجلى أمام أساطين النصرانية فى الغرب حتى اتفق رأيهم على ضرورة مواجهة الاسلام ، وعقدوا الاجتماعات والمناقشات ، وبذلوا المال والجهد ، ودرسوا البيئات الافريقية دراسة متأنية مدققة من كافة الوجوه ، كما درسوا الاسلام ذاته ونظامه وأسلوبه فى الدعوة ، وفى غفلة من المسلمين قرروا :

أولا : العمل على فصل العرب عن اخوانهم الافريقيين فعمدوا الى الاصطلاح المشهور « افريقيا شمال الصحراء » (العربية) وجنوبها (الافريقية) مع أن الصحراء لم تكن فى يوم من الايام فاصلا بين العرب والافارقة، بل كان العكس هو الصحيح ، حيث كانت الطرق والدروب الصحراوية تمتد عبر الصحراء من مدن غرب افريقية وشمال نيجريا الى موانى البحر الأبيض المتوسط فى الشمال ، ليس ذلك فحسب ، بل ان الدماء العربية تغلب على جميع مدن الصحراء وأقاليمه ، بل والى الجنوب منها حتى المحيط فى غرب افريقية وشرقييها ، ويتداخل الاسلام فى كل مكان بالقارة فى الشرق والغرب والجنوب ، بل أن من الافريقيين من يتكلم العربية كأبنائها فى السنغال ونيجيريا وزنزبار وأثيوبيا وغيرها .

ابتلع المسلمون الطعم ، وظنوا أن افريقية العربية شمال الصحراء ، وأن جنوبها هو افريقية الافريقية ، ومن الغريب أن كثيرا من كتابنا لا يزالون يستخدمون هذا الاصطلاح البغيض « افريقيا شمال أو جنوب الصحراء » بغير تمحيص ودون علم ، أو انسياقا أعمى وراء الكتاب الاوروبيين .

اصطنع الأوروبيون هذا الخط الفاصل ، وعمدوا الى قطع التجارة الصحراوية ، التى كانت كشرايين الحياة تمتد من البحر المتوسط الى وسط القارة ، تمدها بالثروة والغنى علاوة على الأفكار والثقافات ، وتبادل الآراء والخبرة والمعارف ، وكانت هذه هى الحلقة الثانية من اضعاف المسلمين اقتصاديا ، وقهرهم ماديا ، حيث تحولت التجارة الى أيدى الأوروبيين ، وانتقلت من ثغور الصحراء وموانى البحر الابيض المتوسط الى موانى أقاموها على المحيط، لتكون أقرب اليهم وفى أيديهم فحققوا بذلك غرضهم الأول ، وهو فصل الدول العربية عن جيرانها ووقف زحف الثقافة العربية واللغة العربية الى الجنوب منها .

ثانيا : لم يتوقف الامر عند هذا الحد ، بل أدرك الأوروبيون أن الاسلام قد غلب تماما على دول افريقية تمتد من نهر السنغال غربا حتى هضبة الحبشة شرقا ، مشكلا حزاما قويا فعالا ، يمتد أثره ويزداد عمقه يوما بعد يوم الى الجنوب من هذا النطاق ، بحيث اخترقه فى كثير من النقاط الى غانة ونيجيريا والصومال وكينيا وتنزانيا وغيرها ، فعمد

الغرب مرة ثانية الى تشكيل حزام مواجه لهذا النطاق من الارساليات التبشيرية ، ونسقوا جهودهم على اختلاف مذاهبهم لمنع وصول المؤثرات الاسلامية جنوب هذا الخط ، وحاولوا ادخال السكان فى النصرانية دون الاسلام ولو كان نشاط المبشرين مقتصرا على نشر النصرانية دون التعرض للاسلام ، لما ارتفع صوت يعارضهم أو يقاومهم ، ولكن نشاطهم — للأسف — ليس مقتصرا على نشر النصرانية بل نشر التقنية الاوروبية أيضا والطعن فى الاسلام ونبيه — ﷺ — والعمل على أن يتشرب الأفريقيون النصرانية وكراهية الاسلام ، بقصد عزلهم عن جيرانهم المسلمين وربطهم بعجلة الأوروبيين .

نظرة واحدة على خريطة التبشير فى أفريقية توضح تماما أبعاد هذا الخط المنسق البادىء من حدود اثيوبيا فى الشرق مارا بجنوب السودان حتى المحيط فى الغرب ، والغريب أن النصارى الذين لقوا العون كل العون من المصريين والسودانيين لنشر رسالتهم الانسانية كما ادعوا ، يقومون الآن بلعبة لا انسانية فى أفريقية كلها ، بل فى وطننا العربى ذاته ، فبعد أن حولوا كثيرا من سكان السودان الجنوبى الى النصرانية ، وكذلك بعض القبائل **والشعوب الاخرى فى شرق افريقية وغربها ، عمدوا الى نشر دعاية سوداء ضد العرب والمسلمين ، فاتهموهم لدى الافريقيين بأنهم تجار رقيق ، وان الاسلام يبارك الرق ويدعو اليه ، وصدق اخواننا الافريقيون فى وسط القارة وشرقها هذه الدعاية، دون أن يدركوا أن تجار الاوروبيين والامريكيين هم الذين جلبوا العبيد من غرب افريقية بواسطة اوروبيين تخصصوا فى جلبهم، ولم يفكر أحد من الغربيين طبعا ، أن يقول لهم هذه الحقيقة ، أو يصف لهم الطرق البشعة التى كانوا يستخدمونها فى جلب العبيد وحملهم وشحنهم ، كما أن العرب لم يشتركوا من قريب أو بعيد فى الاغارات التى كانت تقع فى الغابات لاقتناص العبيد ، وانما اقتصر دورهم على شرائهم من بائعيهم من الأوروبيين أو الوطنيين ، ثم حملهم فى سفنهم ، كما أن المسلمين كانوا يعاملونهم بما أمرهم به الاسلام ، فكان منهم الفقهاء والعلماء والحكام كما يشهد بذلك التاريخ القريب والبعيد .**

أثمرت هذه الدعاية ، حتى أصبح المسلم لدى كثير من الأفريقيين عدوا لدودا فى الماضى والحاضر ، بل ان منهم من لا يطيق ، بل لا يقبل أن يحادث أخاه المسلم المتهم لديه بأشنع الصفات وأبشع التهم .

ثالثا : وليت لامر اقتصر عند هذا الحد الفاحش المفحش ، بل انهم الآن يشجعون حركات الانفصال النصرانية فى السودان (حركة الانيانيا التى تساندها أثيوبيا) وفى نيجيريا قبائل الايبووبيافرا وفى الكونغو « كاتانجا » وفى كل مكان وطئوه يعملون على اثارة الاحن والاحقاد وعوامل الفرقة والانفصام بين أبناء الشعب الواحد ، ولايدعوهم الى ذلك سوى خوفهم من اجتماع المسلمين بالنصارى الأفريقيين ، فيتحولون

الى الاسلام ، ويدركون الخديعة الكبرى التى وقعوا ضحيتها ، وهذا عينه ما حدث فى كثير من الجهات . انهم يشنونها الآن حربا شعواء على المسلمين فى اثيوبيا وفى الصومال ، ويذبحونهم ليل نهار دون أن يتحرك أحد لحماية المسلمين وحماية حمى الاسلام .

ويعمد الأوربيون الآن ـ علاوة على اذكاء روح الانفصال والفرقة ومحاربة المسلمين ـ يعمدون أيضا الى اخفاء الحقائق حول انتشار الاسلام ، ومن ذلك ماكتبته « اليس ردمين » التى كانت تعمل مع المبشرين لمدة عامين بين قبائل الهيهى فى تنزانيا ، حيث نفت ماكتبه الأستاذ العلامة « ترمنجهام » (وهو عالم منصف) عن قوة الاسلام بين هذه القبائل بعد دراسته لها ، وقالت : ان الاسلام لم يكن فى يوم من الايام قويا بينها .

بل انها ذهبت الى أبعد من هذا ، وادعت فى رسالتها أنه (أى الاسلام) آخذ فى التدهور، وأرجعت السبب فى ذلك الى أن التعليم فى جميع مستوياته خاضع للبعثات التبشيرية فى هذه القبائل ، بل يعمدون أيضا الى تضليل دعاة المسلمين وتوجيههم الى غير مايجب أن يوجهوا اليه ، فيحتفظون ببيانات خاصة ، ويذيعون بيانات موجهة لا يتنبه اليها المسلمون . ومن قبيل الطعن على الاسلام ، مايوجه الى المسلمين من نقد « حول تعدد الزوجات » واصرارهم فى كل كتاباتهم على اعتبار هذا الأمر دليلا على التخلف .

ويبدو انهم يهدفون من وراء ذلك الى حرمان المسلمين فى أفريقية من هذه الميزة الاسلامية لأن التعدد سبب رئيسى فى قبول الافريقيين للاسلام ويبعدهم عن النصرانية ، بل سبب رئيسى أيضا فى زيادة عدد المسلمين وزيادة روابط الألفة والمودة بين القبائل وسعة انتشار الثقافة والمؤثرات الاسلامية .

ولا يألو الأوربيون جهدا فى الطعن على نبى الاسلام ، بل ويحاولون أيضا اغراء المسلمين أنفسهم بالبعد عن دينهم ، يعنى بافراغهم من الداخل ، من المضمون الاسلامى وهذه الحقيقة أشار اليها الكثيرون منهم كهدف من أهدافهم فى البلاد الاسلامية بالفعل .

وتعمل لهذه الغاية أيضا المدارس الخاصة والأجنبية فى بلادنا ، مما يشكل خطورة جوهرية على شبابنا ، من التشكيك باستمرار فى عقيدتهم ، واضعاف ولائهم لهذا الدين ووطنه ، وهذا أمر جد خطير ، نرجو أن يتنبه له المسلمون .

د . عبد الله نجيب محمد

الفتاوى

إعداد : عبد الحميد السيد شاهين

س : من السيدة / ف . الزهراء

توفيت امرأة عن إخوة وأخوات لأم ، إخـوة وأخـوات لأب . فمن يـرث وما نصيبه ؟

ج : للإخوة والأخوات لأم الثلث فرضا ، لعدم من يحجبهم يقسم بينهم بالتساوى للذكر مثل الأنثى .

والباقى للإخوة والأخوات لأب تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ..

س : من السيد / ف . ح . عبد الكريم

هجرت زوجى المسافر إلى الخارج منذ سنة ١٩٨٣ علما باننى تزوجت منه فى عام ١٩٧٧ وزوجى هو ابن خالتى ولى منه اولاد .. ثم سافرت إلى البلد المقيم فيه فى ١٤/٤/١٩٨٦ فقام زوجى بتطليقى فى ١٩/٤/١٩٨٦ ...

فهل يحق لى الزواج من آخر ، وهل لى عدة رغم اننى هجرت فراش الزوجية طيلة هذه المدة ؟

ج : مـادام أن زوجهـا طلقهـا فى ١٩/٤/١٩٨٦ فإن الطلاق واقع ولا يجوز لها أن تتزوج بآخر إلا بعد انقضاء عدتها شرعا ، ولا عبرة لهجرها فراش الزوجية ، لأن العبرة هنا بتاريخ الطلاق وليس بتاريخ الهجر .

السؤال من السيد /

١ ـ توفى رجل عن زوجة ، بنت ، أب ، أم ، أخوة أشقاء .

٢ ـ توفيت البنت عن أم ، جدة لأب ، جد لأب ، وعم شقيق ، عم لأب .

٣ ـ مات الجد عن زوجة ، ابن ، بنت / فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد عن الأول بأن للزوجة الثمن فرضا وللأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنت النصف فرضا لعدم من يعصبها والباقى للأب تعصيبا ولا شيء للإخوة لحجبهم بالأب ...

وعن الثانى : بأن للأم الثلث فرضا لعدم وجود الفرع الوارث أو عدد من الأخوة والأخوات والباقى للجد لأب تعصيبا ولا شيء للجدة لأب لحجبها بالأم كما لا شيء للأعمام لحجبهم بالجد لأب ..

وعن الثالث : بأن للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث والباقى للابن والبنت تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله تعالى أعلـــم ...

تاريخ التبشير في السودان

جاء التغلغل التبشيرى فى السودان عبر ثلاث مراحل تاريخية لكل مرحلة سماتها وميزاتها .

المرحلة الأولى : بدأت فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى وقد مهد لذلك ضعف وتدهور الخلافة العثمانية وكذلك ضعف دولة محمد على بمصر ووقوعها تحت تأثير الدول الأوربية .

المرحلة الثانية : بداية القرن العشرين عندما أعيد اخضاع السودان للسياسة الانجليزية المصرية وتحت ادارة السودان كتشنر ونجب باشا بعد مجىء الأب ليوقلاين قوينى ممثل الكنيسة الانجليزية فى عام ١٩٠٠ ويعتبر قوينى مؤسس العمل التبشيرى الحديث فى السودان .

المرحلة الثالثة : تزامنت هذه المرحلة مع تأثيرات الحرب العالمية الثانية . فتطورت استراتيجية التبشير فى السودان مع التطور الدستورى ابتداء من الحكم الذاتى والاستقلال مرورا بمحاولات الحكومات الوطنية الثقافية فى البناء والاصلاح .

حاول المبشرون خلال المراحل الثلاث رسم خطة للعمل التبشيرى فى السودان بعد تطور الكنيسة المسيحية فى الجنوب . وكان رائد هذه الفكرة القس ترمنجهام فقال بالحرف الواحد :

« انه بتطور الكنيسة المسيحية فى الجنوب فاننا مواجهون باللقاء المرتقب بين المسيحية السودانية والاسلام السودانى وانه لمن واجبنا فى الشمال الاعداد لذلك اليوم وسنسعى : —

١ — لتأسيس مراكز مسيحية فى كل مناطق الأراضى الحدودية التى يتصل فيها الاسلام بالوثنية .

٢ — تأسيس مراكز مسيحية فى ديار الاسلام .

بداية تاريخ الارساليات والكنائس فى السودان

يعود تأسيس الكنيسة الكاثوليكية بالخرطوم لعام ١٨٤٨ ميلادية حينما وصل الأب لونجى وفتح مدرسة صغيرة لأبناء الجاليات المسيحية بالخرطوم ثم أنشأ كنيسة ثم تطور الأمر الى جمعيات ومؤسسات تعليمية تبشيرية ليس الغرض منها « أكاديمى »فقط فان الواقع غير ذلك اذ أن مؤسسات التعليم الكنسى تحركها دوافع وأهداف تبشيرية ثم ازداد عدد المدارس التبشيرية التى تتستر وراء التعليم .

وتقع هذه المدارس فى أحسن المواقع بالعاصمة وتتمتع بالكثير من الامتيازات وقد حازت هذه المواقع امتيازاتها من أيام الاستعمار البريطانى حينما كان التعليم من

للاستاذ عبد المنعم حافظ فودة

صلاحيات الكنيسة ، ولم يحدث مراجعة فى أمرها طيلة أيام العهد الوطنى ، وتقوم هذه المدارس اليوم بدور مزدوج .

فبينما تقدم خدماتها للطبقة العليا من المجتمع ضامنة بذلك تيسير أعمالها تركز فى نفس الوقت على أبناء الجنوبيين والنوبة والوافدين وتمارس فى وسطهم نشاطا تبشيريا مركزا وقد ساعد ضعف مستوى التعليم فى المدارس الحكومية وعدم استقراره على زيادة الاقبال على تلك المدارس مما جرأ ادارتها على اتخاذ سياسات تبشيرية لم تقتصر على أبناء الجنوب ومناطق النوبة بل تجاوزتها الى الأغلبية المسلمة من التلاميذ .

إن مدارس الكنائس تضم أكثر من عشرة آلاف طالب لايتجاوز عدد المسيحيين منهم الـ ٢٠٪ لذلك فالعلاج السريع الناجع هو فى انهاء هذا الوضع الذى يجعل للكنيسة مدارس وللدولة مدارس وابطال دور التبشير الأجنبى وإحلال السيادة الوطنية بضم هذه المدارس الى وزارة التربية والتعليم . وان كان هناك طلاب جاليات يودون الدراسة فى مدارس مستقلة فمن الممكن توفير هذا النوع المخصوص من التعليم لهؤلاء .

ان سودنة المدارس التبشيرية ضرورة ملحة لتصحيح مسار الحركة التعليمية فى السودان وابطال الامتيازات التى منحها الاستعمار لفئة بعينها حيث احتلت مدارسها ومؤسساتها أهم أحيائها العريقة بينما لا تكاد أهم مؤسسات الدولة تجد لها موضع قدم فى هذه المناطق .

كلمة للمسلمين المخلصين :

على المسلمين واجب ينبغى أن يؤدوه فى نشر الاسلام خاصة فى أوساط أولئك المواطنين الذين يقعون فريسة سهلة فى أيدى المؤسسات التبشيرية بسبب الجهل والفقر والعزلة الاجتماعية وعلى المؤسسات الاسلامية الرسمية والشعبية أن تخطط وتدرس وتراجع دورها فى هذا المجال . فما كسبت المؤسسات التبشيرية فردا واحدا الا بسبب تهاون المسلمين وعجزهم وآن لهم أن يفيقوا من غفوتهم التى طالت حتى لا يصبح أمرهم فرطا والله الهادى الى سواء السبيل .

وصدق الله العظيم اذ يقول « وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » صدق الله العظيم ... .

سورة الانفال الآية ٢٥

من أعلام الأزهر

مصطفى المنفلوطي

من وجهة إسلامية

للمنفلوطي رحمهُ الله آراء في الإصلاح الاجتماعي نقرؤُها اليوم بعد ثلاثة أرباع قرن، فنجدهُا بمنزلةِ البديهيات، ونُخطىء أشد الخطأ حين نحكُم عليها بواقعِ فكرِنا الراهن. فإنّ الإنصافَ يدفعُنا إلى تقريرِ البيئة زماناً ومكاناً، فالحضارةُ الأوربيةَ مثلا بعد الحرب العالمية الثانية قد اختلفتْ وِجهةُ الكاتبين مِن أبناء الغَرْب أنفسِهم بإزائها، فأصبحتْ غيرِ وجِهتها من قبل، لأنّ تَخريبَ المدُن بآلاف القَنابل ومئات الصواريخ يرتَدُّ إلى عهد الغاب.

ويدعُو إلى التّبرم بحضارةٍ مادّية اهتمتْ بالكشوفاتِ العِلميـة لتبيد الدول وتُزعزعَ الاستقرار، هذه الحضارةُ التّى تقف اليومَ فى قفصِ الاتّهام كانتْ فى مطلعِ هذا القرن أملاً رائعاً لأناسِ ظنُّوها مصـدَر السّعادة والإبداع، ورأوا فى مجافاتها مَهاوِىَ التأخّر والانحطاط، وقد التَفتَ المنفلوطى إلى رؤيةِ هؤلاء، فوجَدها مُظْلِمةً لا تهدى إلى فلاح، بلْ إنّه حين سبر أحْوال مَن تشدّقوا بتقليدِ أوربا وجدَهم يُقلّدون فى الابتذال والمُجون والإسراف فى البذخ المـودى بكيان المجتمع، ولَا يكادونَ يَلتفتُون إلى وجُوه النفع مِنْ هذه الحضارة. فَنَظَر الكاتب نظرةَ الحكيم إلى واقعِ قوْمه، ولَهُ كمسلمٍ مثقّف مثله المستوحاةُ من تراثه الدينى، وإذ ذاك جاهر بمثَالبِ هذه الحضارة كَما يَقْتبس منها الشرقيون، وإذا كانَ من الكُتّاب من يرى فى التّمسك بالدين مدعاةَ انحدار، ومظنّةَ تقهقر إلى الوراء فإنّ الداعيةَ الأديبَ يقف منه موقفَ النقيض حين يعلن أن هداية السماء باب النجاة، وأنّ الذين يظنون فى الانفلاتِ من قُيود التشريع حرّيةً وانطلاقا يعودون بالنّكباتِ القاصِمةِ على بلادهم، وإذا كانَ منهم من يفتَخر بالتّحلّل مِنَ الدّين، فسيصفعُه المنفلوطى حين يقول:

«لو علمتُ أنّ مآربَ هـذه الدّنيـا وأغراضَها، لا تُنالُ إلّا بترك شعيرةٍ من شعائر الدين، أو العبثِ بفريضةٍ من فرائضهِ

للدكتور محمد رجب البيومى

لعنتها واجتَويتُها ، ونَفضْتُ يدَى منها ، وقلت لها كما قال علىّ بن أبى طالب من قبل ، إليكِ عنّى ، غُرِّى غيرى ، مالى بكِ حاجة ، ولو علمتُ أنّ الوطنيةَ وهى أفضلُ ما حَمَلَ امرؤٌ بين جنبيْه من خلالِ الخيرِ ، تعترض دونَ طريقى إلى آخِرتى ، لخرجتُ منها كما أَخْرج من رِدائى ، ثم خَلَصْتُ إلى شعْفةٍ من شعافِ الجبال ، أو صخرةٍ فى منقطعِ العمران ، أخلُو فيها بنفسى من حيث لا أسمعُ دعاءً غير دعاء القلب ، أو نداءً غير نداءِ الله ، حتّى يحين حينى ، وينطلق إلىّ أجلى .»

وليسَ معنى تمسُّك المنفلوطى بدينه أنّه يجا فيه إلى ضَربٍ من التّعصب نراه لدى الذين يجهلون حقيقةَ الاسلام فيظنونه حرباً على المخالفين ، ولكنَّ هذا التمسك البصير دَعَاهُ إلى استشفافِ جوْهرِ الإسلام الخالص الداعى إلى المَوَدة والسّلامِ والرفق بعيدًا عن الحقود الدامية والشهواتِ الهابطة . وقد أفصحَ الكاتب الكبير عن اعتقاده البصير حين قال :

« إنّ الفرْق بيْن الدين الخالص ، والدّين المشوب ، أنّ الأول يتسعُ صدرُه لكلّ شىء حتّى لمخالفيه ، ومُحاربيه ، وأنَّ الثانى يضيق صدره بكل شىء حتّى بنفسه ، وأنّ الله أوْسع رحمةً ، وأعلى حكمةً ، من أن يسدَّ فى وجوه



عباده كلّ طريقٍ للوصول إليه إلاّ طريق السّيف والنّار ، وأن هذهِ الأحقادَ الدينيّة التى تلتهب فى صدورِ الناس التهاباً ، لا تُؤججها فى صدورهم الأديان نفسها ، بل رؤساء الأديان الذّين يستخدمونها ويستثمُرونها ، ويتجرّون بها فى أسواق الغباوة والجهل . وإنّ الذين يقدسون الأحْقاد ويباركونها ويعتبرونها جزءاً من ماهيةِ الدين ومقوماً من مقوماته ، إنّما يقولون من حيث لا يشعرون ، إنّ الإلحاد فى العالم وعبادة الشمس والقمر ، أنفع للمجتمع

الإنسانى وأحسن عائدة عليه من عبادة الاله المعبود ».

وما دام الكاتب بريئاً من التعصب ، فإنه حين يواجه الحضارة الأوربية بمباذلها الرخيصة فى المجتمع الاسلامى ، فإنه يصدر عن اتجاه خلقى يتعالى عن الإسفاف والتبذل لأن التمسك بموبقات هذه الحضارة قد باعد بين أنصارها وبين الارتقاء الحضارى الصحيح ! إذْ اخـذوا أسوء رذائلها ، ولم يلتفتوا إلى مظاهر الجد فى ابتكاراتها العلمية ذاتِ النّفع المحقق ، وقد تحدثَ الكاتب الكبير عن نفسه فيما يُشبهُ مذكراتٍ شخصيةً سبقتْ مساقَ الترجمة الذاتية فـأعلـن فى صراحة انهُ جَلَسَ على مَرقب عالٍ يشهُد أفعالَ قومِه ، ويزنُ آثارَ المدنية الغربية فى مجتمعه فأدْرَكَ أنّ مِنْ أعجز العجز أن ينظر الرجلُ إلى هذه الحضارة نظرة حمقاء فيأخذ هذه الحضارة بأجمعها أو يتركها بأجمعها ، ولكن تجب الموازنة بين الفضائل والرذائل معا .

وقد جَعَل المنفلوطىُّ من هَمه أن يحملَ النّاسَ من أمرِ هذه المدنية على ما يحمل عليه نَفْسه ، وأن ينقم مَن هؤلاء المتهالكين على مُوبقاتها دُون تمييزٍ بينْ النّافع والضاّر حتى صارت المدنية الأوربية فى عُيون المخْدُوعين كأنّها قانونٌ إلهى لا محيد عنه ، لذلك كرر المنفلوطى الحديث عنِ الدّعارة والخيانة الزوجية ، والانتحار والانحراف العائلى ، وصديق الأسرة الذى يحتل منزلةَ الزوج فى الثّقة ، وحفلاتِ الرقص الداعر ، وموائد الخمور والقمار وهى موضوعاتٌ لا يحتالُ الكاتُب المصلح فى اصطيادها ، ولكنّها تقع تحت عينيه وتمتلىء الجرائد بأنبائها إذ دأبت الصحف لعهده على تتبع أحوال الموسرين ممن قذف بهم الترف إلى مهاوى الانحلال فخسروا أجسادهم وعقولهم قبل أن يخسروا أموالهم وأطيانهم .

وإذا كان الرجل يكرر بعض معانيه فى مقالاته المتتابعة ، فذلك لأنه لم يؤلف (النظرات) بأجزائها الثلاثة باعتبارها كتباً مستقلة ، ينظر فى محتوياتها موضوعاً موضوعاً قبل أن تصل إلى القراء ولكن الرجل كان يرسل نظراته فى الصحف نظرة وراء نظرة على مدى سنوات طويلة ، وقد تتشابه الوقائع فى موضوع ما بغيرها من ملابسات موضوع آخر فيأتى التكرار غير المقصود ، ولا يتضح ذلك لقارىء المقال المنفرد ، بل يتضح لمن عكف على دراسة النظرات بأجزائها الثلاثة فى زمن واحد !

على أن رجل الاصلاح داعية واعظ لابد أن يكرر ما يراه مفيداً من التكرار ، وقد خلص المنفلوطى من روح الداعية فى كتاباته الوجدانية لأنها ترسم الأصداء المتجاوبة فى صـورة وهى تتجدد بتجـدد العواطف والانفعالات ، ولكن هيهات أن يخلص من بعض التكرار فى مقالاته الاصلاحية . ومثله فى ذلك مثل المعلم الذى يتهيأ لالقاء محاضرة جديدة على طلابه فيفاجأ بسؤال يتعلق بدرس سابق . فيضطر إلى أعادة بعض ما قال !

وقد لاحظت أن تكرار الأديب فى مجموعة غير تكرار العالم ، فالأديب حين يكتب موضوعاً سبق أن اشار إليه إنما

يعيد بعض المعانى فى سياق جديد فلا يفقد بعض الطرافة فى التحليل والتتبع والاستطراد ، أما العالم حين يشرح موضوعاً علمياً سبق ان افاض فيه ، فإن شرحه الثانى يجىء مطابقاً لسابقه فى اكثر اتجاهاته أن لم يكن فى جميعها ، ولذلك لا نقرأ موضوعاً علمياً بعد ان حصلناه تمام التحصيل ولكننا نعيد فصول الجاحظ وابى حيان والمنفلوطى والبشرى والزيات مهما قرئت من قبل ولابد ان نظفر فى الاعادة بكثير من الاستمتاع .

وفى حديث المنفلوطى عن المرأة نجده رحيماً بها كل الرحمة حريصاً على هدوء المنزل واستقراره الأمنى بل إنه يتحدث عن المرأة الساقطة باعتذار ، إذ يرى سقوطها جريمة المجتمع قبل أن يكون جريمة المرأة فهو جريمة الرجل المشجع المسرف فى الأمانى ، حتى إذا وقعت الواقعة لاذ بالفرار وترك الضحية تتحمل مصابها الثقيل دون إسعاف .

وقد تكررت عبارة « الذئب البشرى » فى مقالاته التى تتجه هذا الاتجاه ، مما يصور اشمئزازه البالغ من المخادع الذى نصب الفخاخ ولاذ بالفرار ، وما أكثر المنفلوطى من المناداة بالحجاب إلا ليقى الضعيفات من هؤلاء شر السقوط والانحدار .

ولا تجد تكريماً للمرأة أكثر مما اتجه إليه المنفلوطى حين أعلن أن الحياة مسرات ، ونحن ندين بمسراتها للمرأة ، لأنها مصدرها وينبوعها الذى تتدفق منه ، ولن يستطيع الرجل أن يكون رجلا إلا إذا وجد بجانبه زوجة تبعث فى نفسه روح الشجاعة ، وتغرس فى نفسه العزة . ويتساءل الكاتب هل جازينا المرأة بما أعطت ؟ ويجيب بالنفى لأننا لا نمنحها أكثر من عواطف الود . ونضن عليها بعاطفة الاجلال والاحترام ، وهى فى حاجة ماسة إلى الاحتفاء والتقدير !

ويخيل إلى أن المنفلوطى كان يتحدث عن فترة زمنية وعن بيئة مكانية لعهده ، فالمرأة المدنية تتمتع فى كل عهد بالتقدير ، وقد تصبح رئيسة المنزل بيدها أمر نفقاته ، وأحوال معاملاته ومشورتها دائمة لا تنقطع ، وإذا طلبت اجيبت ، أما المرأة الريفية فشريكة الرجل فى حقله تحمل مثل ما يحمل من أعباء الغراس والحصد ، وتتولى رواج الحاصلات من قمح وأرز وجبن ولبن وطيور ودواجن هذا ما كان ملموساً فى المجتمع الريفى لعهد قريب !!

والذين يقولون : إن المسلمة أسيرة مظلومة ينقلون كلام الأجانب ولا يفتحون عيونهم إلى ما حولهم من المنازل ! وفيهم من يعرف استقلال المرأة المالى وحريتها الشخصية فى حدود الدين ثم يروق له أن ينقل كلام الاستشراق عن سجن المرأة وتعدد الزوجات !

واعتقد ان قاسم امين لو عاش فى الريف المصرى امداً غير قصير ، ورأى حرية المرأة العاملة فى الحقل واستقلالها فى امور البيع والشراء ، ورئاستها الكاملة فى شئون المنزل ، لكتب فى هذا المجال ما يخفف من غلوائه ، ولكنه قاهرى تعلم فى باريس وقضى بالحكم العام على النساء جميعاً فى مصر ، وكان القاهرة لعهده وحدها هى المجتمع الأوحد لبنات حواء .

على أن المنفلوطى كاتبنا الكبير كان دائم اليقظة لما يبثه المتحررون من أفانين التطرف فى الرأى ، فقد قرأ قصة للكاتب المهجرى جبران خليل جبران ذهب فيها مذهب المدافع عن حرية الزوجة حين تترك منزل القرين لتهرب مع عشيق تهواه ، وقد حبذ جبران هذا الانحدار الشائه بما ساق من سفسطات ممزقة وجدت هدمها الساحق من يراع المنفلوطى ، وقد ختم نقده بقوله : « ما كنت أحسب إلا أن مذهب الإباحية قد مضى ، حتى قرأت هذه القصة منشورة بالعربية فنالنى من الحزن ما الله به عليم »

ولو امتد النفس بحياة الكاتب إلى ما بعد عصره لشاهد وقرأ من أفانين الاغراء ما يضيف إلى روحه الحساس وجداً على وجده . فقد أصبحنا نجد من يدافع عن مذهب جبران فى مقالات هابطة ينشرها فى صحف الاغراء .

كما أصبحنا نجد من يظن كمالَ المرأة لا يتم على أصح أموره إلا إذا راقصت وصادقت وأصبحت ربة صالون ! وحشدت إلى منزلها زمر المعارف من الأصدقاء والزملاء لتكون بذلك عنوان الحضارة المزدهرة ! كما أصبحنا نجد من يشدد النكير على المحجبات ممن أعتصمن بدينهن ، فيتخذهن مثلا للتأخر والجمود ، ومن عظمة الحق وجلاله أنه أخجل هؤلاء جميعاً ، حين ذهبت آراؤهم أدراج الرياح بفضل العودة إلى أخلاق الاسلام فى الاحتشام !!

وإذا كان المنفلوطى قد لبى حاجة عصره فيما كتب من نظرات إصلاحية ، فهل يجوز لنا أن نتفق مع من يعدونه كاتب مرحلة خاصة تطلبت وجوده . ثم انتهى أثره الأدبى بانتهائها ؟

الحق أننا نظلم المنفلوطى لو حصرناه فى هذا النطاق ، لأن كل كتاب العصر قد تحدثوا عن مشكلات زمانهم حديثاً يتسع ويضيق ، فهو يتسع حين تمتد النظرة إلى رحاب الانسانية الشاسعة فى كل زمان ، ويضيق حين يعالج مسألة جزئية تدعو الحاجة إلى معالجتها ثم يتضاءل ما كتب عنها إذا جرت قطراته المحدودة فى نهر الزمان المتدفق ، وقد زاول المنفلوطى الكتابة فى أغراض محدودة وأخرى غير محدودة ، بحيث لو تصفحنا النظرات لوجدنا كثيراً من المقالات الرائعة التى لا تفقد بريقها فى كل زمان ، إذ رسمت ألوانها فى سطوع لا تجففه شمس ، ولا يعصف به هواء !

وما لنا نتحدث عن النظرات وحدها ونترك روائعه البارزة فى رواياته الذائعة كالفضيلة والشاعر وما جدولين وفى سبيل التاج ! إن اعصاراً نقدياً قد هب على هذه الروايات يحاول أن يزيلها عن مستقرها الحصين بدعوى أن الرجل قد ترجم الأثر الغربى ثم اقتبس منه مضيفاً إليه من ذات نفسه ما باعد بينه وبين الأصل ، والحق أن المنفلوطى قد فعل ذلك حين أظهر الترجمة فى ثوب جديد يشف عنه أكثر مما يشف عن صاحب الرواية الأوربى ! ولكننا مع اعترافنا بذلك لا ننظر فى مضمار الحكم على المنفلوطى فى هذه الروايات باعتباره مترجماً حتى نقول انه جاوز الأصل وتعداه فهو غير أمين فى

النقل !! لا ننظر إلى المنفلوطى هذه النظرة فهو غير مترجم ، ولا يعرف لغة غير لغة الضاد ! وما ادعى ذات يوم أنه حافظ على الأصل ولم يتجاوزه ولكننا ننظر إلى ما جدولين والفضيلة والشاعر وفى سبيل التاج والعبرات ككتب ذات قصص اشترك فى تأليفها رجلان ، احدهما غربى ، والآخر شرقى ، فجاءت على نمط خاص من البيان يرضى حاجة القراء ، ويشبع جوع النهم المتطلع إلى شهى الزاد ، لن ننظر إلى مقدار المحافظة على الأصل ، ولكننا ننظر إلى الرواية فى وضعها الجديد فنراها قد عبرت عن اسمى ضروب التضحية والفداء فى قصة فى سبيل التاج » وعن معانى الطهر والشرف والعفاف فى قصة الفضيلة وقد صورت اسمى عاطفة انسانية هى عاطفة الحب العذرى المترفع عن الشوائب فى قصة الشاعر ، كما عبرت عن أدق معانى اللوعة والشوق وأظهرت جهد الانسان فى إخلاصه ووفائه وحفاظه على العهد فى قصة (ماجدولين) لتكن الروايات فى نسقها المنفلوطى بعيدة عن الأصل ، ولكن بعدها الواضح لم يضائل من بريقها الانسانى

الخلاب ! لقد طبعت رواية ماجدولين أكثر من ثلاثين مرة ، لأنها تلبى حاجات النفس ، كما طبعت هذه الرواية نفسها فى ترجمة لغير المنفلوطى فلم تتكرر طبعتها ، لأن القارىء قد ـام بالمنفلوطى قبل أن يهيم « بالفونس كار » مؤلفها الفرنسى الذى استوحاه الكاتب العربى الكبير ، هذه القصص العاطفية جميعها تضمن الخلود لأدب المنفلوطى لأنها لبت حاجة النفوس الانسانية إلى المثل الأعلى فى شتى صوره :

صورت جمال التضحية وبهاء الشرف وعمق الاخلاص كما رسمت دموع الحرمان وابتسامات اللقاء وأفصحت عن نجوى السرائر الدفينة إفصاحاً جعل القلـوب تنشردون طى لتبرز كل لمحة وتسمع كل نأمة ، وتصور كل أخلاقه بل لترى مسارب الدم يتدفق فى العروق حتى يصل إلى القلب ، فيدق به دقاً شديدَ الخفق .

اى براعة ملكها المنفلوطى وأى ابداع .

هنا نحكم على فن الكاتب بالخلود حكماً تؤيده الطبعات المتوالية ، وتسجله لهفات القراء ، بعد امتداد خمسة وسبعين من الأعوام ! وبعد ظهور مئات المزاحمات من تعائس الروايات .

وحين ظهرت قصة الشاعر كتب الدكتور منصور فهمى كلمة جيدة فى تقديرها قال فيها :

ان المنفلوطى قد اقتحم سبيلا وعراً لأن فى بلاغة الأصل ما ليس فى طاقة معرب أن ينقله ، وربما تحمد الجراة فى الصعاب . كما حمدت جراة المنفلوطى فى نقل هذا الأثر الرائع لأنه أدى لنا صورة حية بقلم عربى مبين !!

ولكن الدكتور طه حسين عارض ما قاله الدكتور منصور فهمى ، وذكر أن المترجم قد شوه ومسخ ، وأن منصور فهمى يجب الا يشجع المفسدين والأدعياء إذ لا يفهم طه حسين كيف يمكن أن تتحول المسرحية إلى قصة ، وقد عاود الكرة الدكتور منصور فهمى فذكر أنه لا يجد مبرراً للدكتور طه حين يذكر

من أعلام الأزهر

المنفلوطى فى الادعياء ، وان وصف الأديب جدير به . وأن تحويل المسرحية إلى قصة بدعة صالحة لايستهجنها الذوق السليم «١»!

اذكر ذلك كله لأقول إن الدكتور طه حسين لصر على أن المسرحية لا تنقلب إلى قصة ، وعد ذلك مسخاً وتشويها ، وعملا يقترفه الأدعياء !!

ثم مرت الأيام ورأينا الدكتور طه حسين نفسه يختار مسرحيات فرنسية ليلخصها قصصاً على صفحات مجلة الهلال ثم يعمد إلى جمعها تحت عنوان (صوت باريس) و (لحظات) والحق أن مجموعتى الدكتور طه لم تتكرر طبعاتها ، ولم تجد معشار ما وجدته قصص المنفلوطى من إقبال ! فما معنى أن يحرم على المنفلوطى عملاً يراه تشويها ومسخاً وادعاء ثم يحاول أن يقوم بمثله فلا يبلغ قليلا مما يريد ؟ أيكون فى ذلك اعتراف صريح منه بأنه قد ظلم المنفلوطى حين سلك مسلك التلخيص المفيد ! كما يكون فى ذلك ما ينبىء عن تعمد القدح دون موجب معقول !!

أما الأستاذ عبد العزيز البشرى فقد أرضى عاطفته الصادقة حين كتب فصلا رائعاً عن مجدولين ، مبيناً صداها الرنان فى نفسه ، يجده القارىء فى الجزء الأول من المختار ، وفيه يتحدث البشرى عن قدرة المنفلوطى التى تمكن بها فى اللغة العربية تمكناً جعلها تفصح عن أدق الهمسات وأدق الخلجات بحيث أتى الكاتب الكبير بما قدت دونه أنامل الكتاب ! هكذا قال .

إن قصارى ما يقال عن المنفلوطى أنه كان فى عصره الأديب الأول فى منطق الرأى العام ، فهو بين الكتاب كشوقى بين الشعراء ، يذكر نابغو الشعر شاعراً بعد شاعر ولكنهم عند الجمهور دون شوقى ، وكذلك يذكر نابهو الكتاب كاتباً بعد كاتب ولكنهم عند الجمهور دون المنفلوطى ، والكاتب الكبير لم يتسنم هذه الذروة لأسباب تخرج عن دائرة الفن ، ولكنه ارتقاها بالموهبة الرفيعة والوجدان الحى والقلم البليغ فى أمة تعرف أقدار الناس .

لقد حاز الرجل عطف الكبار من امثال محمد عبده وعلي يوسف وسعد زغلول . ولكنه لم يبلغ هذه المنزلة من نفوسهم إلا لانه اديب موهوب ذو بيان ! ولن يخدع فيه هؤلاء وهم خاصة الخاصة بين النبهاء إذا جاز لمعاند جاحد ان يشكك فى اعجاب الجمهور ، والجمهور الادبى بالذات !!

محمد رجب البيومى

---

(١) ارجو أن يسمح لى الكاتب أن اذكر ـ للامانة والتاريخ ـ حديثاً حدثنى به فضيلة الدكتور عفيفى عبد الفتاح العالم الازهرى الذى حصل على دكتوراه الدولة من السربون عن رسالته: القضاء والقدر فى الكتب المقدسة، وعمل مديرا للبحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية ، وكان قد حدث نقاش بينه وبين الدكتور طه حسين تناول المنفلوطى ، فاقر الدكتور طه للدكتور عفيفى بتحامله على المنفلوطى ـ إذ نقده

د . على الخطيب

من أعلام المسلمين

العلامة ابن دهيش

بقلم ولده
عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

أصله ونسبه :

هو الشيخ عبد الله بن عمر بن عبد الله بن دخيل الله بن دهيش بن عبد الله بن دهيش بن علي بن سليمان بن دهيش بن عبد الله الشمري من شمر من طي من قحطان .

وقد كان موطن أسرة آل دهيش مدينة المجمعة . وكان جدهم عبد الله الشمري مؤسس مدينة المجمعة في حوالى عام ٨٢٠ هـ[1] .

وعند وفاته كان له ثلاثة أبناء هم سيف ودهيش وحمد ولكل واحد منهم عدة أبناء[2] .

وفي عام ٩١٤ هـ حصل خلاف شديد بين سيف ودهيش ابني عبد الله الشمري حول رئاسة بلدة المجمعة ، ولكن جماعة من اهل المجمعة اصلحوا بينهما[3] . لكن الخلاف عاد مرة أخرى فحصل في عام ٩٦٢ هـ قتال وجراحات كثيرة بين

---

(١) المجمعة : هي قاعدة اقليم سدير عمرها عبد الله الشمري من آل ميبار من (عبده) من (شمر) . وكان قد قدم الى ابراهيم بن حسين بن مدلج في بلدة حرمه ، فطلب منه قطعة من الارض لينزل بها ويغرسها هو وأولاده . فأشار اولاد ابراهيم على أبيهم أن يجعله أعلى الوادي ، لئلا يحول بينهم وبين سعة الفلاة والمرعى ، فأعطاه موضع بلد المجمعة .. وصار كلما حضر أحد من بني وائل ، وطلب من ابراهيم بن حسين ومن أولاده النزول عندهم ، أمروه أن ينزل عند عبد الله الشمرى .. وممن نزل لديهم جد (التواجر) المعروفين وهو من جبارة من عنزة وجد آل بدر وهو من آل اجلاس بن عنزه ، وجد (آل سحيم) من (الحبلان) من عنزه وجد (الشماري) من زعب وغيرهم ، نزلوا جميعاً عند عبد الله الشمري فعمروا بلدة المجمعة وزرعوها وتداول رئاسة بلدة المجمعة ذرية عبد الله الشمري المذكور الى ان دب الصراع بينهم فضعفوا وغلبهم عليها آل عسكر من البدور من عنزة .

انظر : ابراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد (الطبعة الأولى ، الرياض ، منشورات دار اليمامة ١٣٨٦ هـ) ص ٣٢ ـ ٣٤ ومحمد بن عمر الفاخري : الأخبار النجدية ، تحقيق الدكتور عبد الله يوسف الشبل (الطبعة الأولى ، الرياض ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رقم (١٠) ص ٨١ ـ ٨٢ .

(٢) عبد الله بن محمد البسام : تحفة المشتاق ، مخطوط ، ورقة ٧١ ـ ٧٢ .

(٣) وحمد الجاسر : جمهرة أنساب الأسر ، جـ ١ ، ص : ٤٢٧ .

سليمان بن دهيش وعلي بن سيف ، وانتهى الأمر بالصلح بينهما على أن يتقاسما مصالح البلد .

وقد استمر الوضع هادئاً حتى عام ١٠٩٨ هـ حينما عاد الخلاف بين أفراد الأسرتين من جديد وقد وصل الى أشده خلال الفترة من عام ١١٣٧ هـ وحتى عام ١١٦٧ هـ ، وقد قتل خلال ذلك الصراع عدد من افراد آل دهيش وأهل حرمه الذين ساعدوهم في حربهم مع أبناء عمهم ، ومن جملة من قتل في تلك المعارك عثمان بن ناصر بن محمد بن ابراهيم بن حسين بن مدلج الوابلي الملقب بلعبون من رؤساء بلدة حرمة .

وفي عام ١١٩٤ هـ ارتحل آل دهيش من حرمة الى مدينة مرات بعد أن اتى جيش اهل العارض في عهد الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز وضبطوا بلده حرمة والمجمعة(٥) .

وفي مرات ساعد آل دهيش عبد الله بن حمد الجبري في رئاسة مرات ، وعندما تولى الإمام فيصل بن تركي الحكم في الدولة السعودية للمرة الثانية ، قام بتعيين دخيل الله بن دهيش(٦) أميراً على بلدة مرات في عام ١٢٦٧ هـ واستمر أميراً لها طول حكم الإمام فيصل بن تركي .

وبعد وفاة الإمام فيصل عام ١٢٨٢ هـ حصل الخلاف بين ابنائه وأخذ أعداء آل سعود يعملون على محاربة الموالين لآل سعود وأمرائهم على البلدان والأقاليم ، فآثر دخيل الله الرحيل بأسرته فاختار الإحساء ، فارتحل اليها عام ١٢٨٣ هـ مع ابنيه محمد وعبد الله وأبناء عمه سعد وهم ابراهيم وعبد العزيز وعبد المحسن وحمد وأقاموا هناك وبقى في مرات من آل دهيش عبد الرحمن بن سعد بن دهيش الذي لازالت أسرته تقيم فيها حتى الآن ، كما ارتحل محمد بن دهيش بن عبد الله بن دهيش الى مدينة الزبير في نفس العام واستقر بها إلى أن توفي في سنة ١٣٠٨ هـ . وفي عام ١٣٩٦ هـ توفي دخيل الله فخلفه ابنه عبد الله الذي قتل في حوالى عام ١٣١٨ هـ . وقد خلف عبد الله ابنين هما عمر ومحمد ، أصبحا فيما بعد من وجهاء الإحساء .

وعندما تم ضم الإحساء الى الدولة السعودية على يد الملك عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٣١ هـ أصبح عمر بن عبد الله بن دخيل الله بن دهيش من المقربين لأميرها الأمير عبد الله بن جلوى رحمه الله ، ثم في عام ١٣٤٥ هـ توفى عمر وكان له ابن واحد هو الشيخ عبد الله بن عمر وهو المترجم له .

مولــده ونشـــاته :

ولد الشيخ عبد الله بن عمر بن عبد الله بن دخيل الله بن دهيش بن عبد الله بن دهيش في مدينة الإحساء ، بتاريخ ١٣١٩/١٢/٢٠ هـ ، والتى كان قد رحل اليها والده من مدينة مرات بنجد في أواخر القرن الثالث عشر الهجري .

وقد تولى والده تعليمه وتنشئته النشأة الإسلامية السليمة ، فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن عن ظهر قلب وسنه لم يتجاوز

(٤) محمد بن عمر الفاخري : الأخبار النجدية ، تحقيق الدكتور عبد الله يوسف الشبل ، ص : ٨١ ـ ٨٢ . وحمد الجاسر جمهرة انساب الأسر ١ / ٤٢٧ .

(٥) وأبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري : انساب الأسر الحاكمة في الإحساء (الطبعة الأولى ، الرياض ، منشورات دار اليمامة ١٤٠٣ هـ) جـ ٢ ، ص : ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٦) هو دخيل الله بن دهيش بن عبد الله بن دهيش بن علي بن سليمان بن دهيش بن عبد الله الشمري .

الثانية عشرة وذلك على يد الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن غيث ، كما تعلم الخط على يد الشيخ علي بن ربيع من أهل الإحساء ، ولذلك أصبح خطه متقناً وجميلاً وكان ابن ربيع خطاطاً يجيد نسخ الكتب .

وبعد ذلك اخذ في ملازمة حلقات العلم في مسجد البراحة بمحلة (الماجد) وتوثقت صلته بقاضي الإحساء آنذاك الشيخ / عيسى بن عبد الله بن عكاس[7] ، وأخذ يحضر دروسه في المسجد المذكور فقرأ عليه عدداً من الكتب في مختلف العلوم الإسلامية واللغة العربية بدأها أولاً بقراءة الرسائل الصغيرة مثل كتاب (الدين الخالص) ، وكتاب (الروضة الندية) ونحو ذلك ثم قرأ عليه بعد ذلك (صحيحي البخاري ومسلم) وكتاب (العمدة في أحاديث الأحكام) وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وفي تاريخ ٤ شوال عام ١٣٢٨ هـ توفي الشيخ عيسى بن عكاس ، وفي نفس الشهر سافر الشيخ عبد الله إلى الهند وذلك لدراسة الحديث على مشاهير علمائها وهناك اتصل بعلماء الحديث وأخذ عنهم ومكث بالهند حوالى العام وقد درس هناك صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث المعتبرة .

ثم عاد الى الأحساء وفي طريق عودته نزل في (قطر) بالدوحة حيث اتصل بالشيخ محمد بن مانع ودرس عليه بلوغ المرام لابن حجر والمدخل للإمام أحمد وغير ذلك من الكتب وقد مكث بالدوحة عدة شهور عاد بعدها الى الإحساء وخاصة بعد أن علم بتعيين الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن ناصر بن بشر قاضياً بها[8] خلفاً للشيخ عيسى بن عبد الله بن عكاس ، فأخذ في ملازمته وحضور دروسه التى كان يلقيها في مسجد الإمام فيصل بالإحساء فقرأ عليه جملة من الكتب المطولة منها تفسير الطبري وتفسير بن كثير ثلاث مرات وصحيحي البخاري ومسلم ، وكتاب سنن أبي داود ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ، واختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية ، والمنتقى في الحديث لأبي البركات مجد الدين عبد السلام ، وأعلام الموقعين لابن القيم حفظاً ، وكتاب زاد المعاد وإغاثة اللهفان وهما لابن القيم ، ومتن زاد المستقنع حفظاً خمس مرات ، ومتن المنتهى مع شرحيهما للشيخ منصور البهوتي ، وكتاب كشاف القناع وشرح المفردات للشيخ منصور البهوتي ، والمقنع وشرحيه والشرح الكبير والإنصاف ، والمغني للموفق بن قدامة وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب .

وبجانب دراسته وملازمته للشيخ عيسى بن عبد الله بن عكاس فان الشيخ عبد الله كان أيضاً يقوم بملازمة كل من الشيخ : أحمد بن علي بن عرفج ، والشيخ : محمد بن حسين بن عرفج من علماء الاحساء الأعلام في علم الفرائض والمناسخات وقد درس عليهما علم الفرائض خصوصا ذوى الأرحام والمناسخات بالقيراط . وقد قرأ في ذلك كتباً كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب شرح الترتيب للشنشوري ، والعذب الفائض ورسالة الرحبية بشرح الشنشوري . وأصبح فيما بعد من المتخصصين في علم الفرائض والمناسخات ، كما أنه كان يقوم

(٧) انظر ترجمة حياته في كتاب مشاهير علماء نجد تاليف عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، بالطبعة الأولى١٣٩٢ هـ ، ص : ١٩١ ـ ١٩٤ .

(٨) كان تعيينه قاضياً بالإحساء في ١٨ صفر ١٣٣٩ هـ .

بتدريس هذا العلم لزملائه في حلقات الدرس .

وفي عام ١٣٤٣ هـ سافر الى الرياض لمواصلة تحصيله العلمي على علمائها الأجلاء . وهنالك قرأ على الشيخ حمد بن فارس (ت : ١٣٤٥ هـ)[٩] الأجرومية والملحة في النحو ، وقرأ بلوغ المرام وقطر الندى على الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (ت ١٣٤٩ هـ)[١٠] كما قرأ الروض المربع مرة ثانية على الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ[١١] . وقرأ على الشيخ سليمان بن سحمان (ت١٣٤٩ هـ)[١٢] ، التدمورية والحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية حفظاً ، والبعض من النونية لابن القيم ، ودرس علي الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ (ت ١٣٦٧)[١٣] كتاب التوحيد ، وكشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد وجامع الترمذي . وقد مكث الشيخ عبد الله في الرياض حوالى العامين يتنقل بين حلقات الدرس للعلماء الذين ذكرناهم سابقاً . وبعد ذلك اشتاق الى أداء فريضة الحج خاصة بعد ضم الحجاز للدولة السعودية وقيام الكثير من أهل نجد بالسفر الى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج ، ففي شهر ذي القعدة عام ١٩٤٤ هـ توجه الى مكة المكرمة حيث حج في ذلك العام حجته الأولى ، ثم قام بزيارة المدينة المنورة بعدها عاد الى الإحساء مروراً بالرياض نظراً لمرض والده .

وبتاريخ ١٢ ربيع الأول عام ١٣٤٥هـ توفي والده بالإحساء ، ولم يتمكن من العودة إلى الرياض لمواصلة طلب العلم على مشايخها وذلك لانشغاله بأمور والده وأسرته ، وبالرغم من ذلك فإنه لم ينقطع عن الدراسة فأخذ في مواصلة دراسته على علماء الإحساء ، وخاصة الشيخ عبد العزيز بن بشر وكانت دراسته في الكتب التى قراها عليهم سابقاً حتى أواخر عام ١٩٤٦ هـ . كما انه كان إماماً وخطيباً للمسجد الذي كان يصلي به سمو الأمير عبد الله بن جلوي أمير الإحساء آنذاك .

ومع بداية عام ١٣٤٧ هـ سافر الى الرياض وأخذ في ملازمة سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، فقرأ عليه كتاب التوحيد مرة ثانية حتى حفظه فأمر سماحته أن يعيد الطلبة دروسهم في هذا الكتاب على الشيخ عبد الله بعد مجلس شيخه . كما قرأ عليه متن الزاد حتى حفظه وشرحه الروض المربع ، والمنتقى في أحاديث الأحكام حفظاً مع زميله الشيخ عبد الله بن يوسف الوابل .

وفي أواخر عام ١٣٤٧ هـ سافر الى مكة المكرمة حيث حج حجته الثانية وجاور بمكة المكرمة فترة من الزمن ، وخلال هذه الفترة درس تفسير بن كثير وغيره من التفاسير المعتبرة على الشيخ محمد الشاوي ، كما درس كتاب المنتقى في أحاديث الأحكام للمجد بن عبد السلام على الشيخ عبد الله بن سليمان بن بلهيد ، ثم سافر الى المدينة المنورة ومكث بها عدة شهور عاد بعد ذلك الى مكة المكرمة في أواخر عام ١٣٤٨ هـ

(٩) انظر ترجمة حياته في كتاب : علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ :عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، الطبعة الأولى مكة ، مطبعةالنهضة الحديثة ، ١٣٩٨ هـ ، ص : ٢٣٢ ـ ٢٣٥ .

(١٠) انظر ترجمة حياته في كتاب الشيخ البسام ، المصدر السابق جـ ١ ، ص : ٢٢٦ ـ ٢٦٩ .

(١١) انظر ترجمة حياته في كتاب الشيخ البسام ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص : ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

(١٢) انظر ترجمة حياته في كتاب الشيخ البسام ، المصدر السابق جـ ١ ص : ٢٧٩ ـ ٢٨١ .

(١٣) انظر ترجمة حياته في كتاب الشيخ البسام ، المصدر السابق جـ ٣ ، ص : ٨٤٩ ـ ٨٥٠ .

حيث حج حجته الثالثة ، وقد عاد بعد الحج الى الرياض ، ثم إلى الإحساء .

وفي أوائل عام ١٣٤٩ هـ سافر إلى الرياض وأخذ في ملازمة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، حتى بداية عام ١٣٥١ هـ .

ويتحدث الشيخ عبد الله عن دراسته في مسجد دخنة بالرياض على سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم فيقول : كانت حلقات الدرس التى يعقدها سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ تبدأ من بعد صلاة الفجر مباشرة ويحضرها أكثر من مائة وخمسين طالباً من طلاب العلم بعضهم من الرياض والبعض الآخر قدموا اليها من مختلف مناطق المملكة ، ويقوم سماحته بسماع واحد من الطلاب المتفوقين يقرأ عليه من كتب النحو مثل الأجرومية وألفية ابن مالك وشروحها بعد ذلك يقوم سماحة الشيخ محمد بتقرير المسائل وشرح العبارات تقريراً واسعاً حتى قبيل شروق الشمس ، ثم ينصرف سماحته إلى منزله المجاور للمسجد . ويقوم الشيخ عبد الله بن دهيش الذي كان يجلس بجانب سماحته بالاستماع إلى حفظ بعض الطلاب ، ثم يعيد الدرس الذي قرره الشيخ محمد حرفياً أو بالمعنى أو خلاصة له لمدة ساعة تقريباً ، ثم ينصرف الجميع لمدة نصف ساعة تقريباً لتناول الافطار في مساكنهم .

وفي الصبح يجلس الشيخ محمد بن ابراهيم في منزله ويحضر عنده كبار الطلبة ومنهم الشيخ عبد الله ، ويبدأ أحد الطلاب بقراءة متن الزاد ، ثم الكتب المطولة في الفقه مثل كتاب الإنصاف وشرح المنتهى وشرح الاقناع وشرح المفردات ، وبعض مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية كالفتاوى ، وكتب الفقه الأخرى ، وكتب ابن القيم مثل كتاب الهدى النبوي ومفتاح دار السعادة لمدة ساعتين الى ثلاث ساعات ثم ينصرف الجميع الى منازلهم وقضاء حاجتهم .

وبعد صلاة الظهر والعصر يدرس الطلاب بعض كتب الحديث مثل الصحيحين وجامع الترمذي والسنن للنسائي ، وأبي داود ، وابن ماجه والدارقطني ، ومتن مسند الإمام أحمد ، وبعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية مثل الرسائل ، والروض المربع ، والمنتقى في أحاديث الأحكام للمجد ابن تيمية .

وبعد صلاة المغرب والعشاء تستمر الدروس في كتب كثيرة مثل الواسطية والحموية في علم الصفات والهدى النبوي وأعلام الموقعين والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي في أمهات الكتب . وقد استفاد الشيخ عبد الله بن دهيش من دروس الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ فائدة عظيمة وكان سماحته ينيبه في سماع حفظ بعض الطلاب في كتب المتون في مختلف العلوم التى يدرسها سماحة الشيخ محمد لطلابه ، وقد حصل الشيخ عبد الله بن دهيش من سماحته على إجازة علمية في العلوم التى درسها على سماحته كما حصل الشيخ عبد الله أيضاً على اجازات علمية من العلماء الذين درس على يدهم وقد أكد هؤلاء العلماء في أجازتهم على قوة إدراك الشيخ عبد الله بن دهيش وسرعة فهمه وحبه الشديد للعلم وسعة اطلاعه .

وبعد ملازمته لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وحصوله على أجازة علمية منه تم تعيين فضيلته قاضياً لمحكمة الإحساء بتاريخ ١٣٥١/١/١٣هـ[١٤] ومن ذلك التاريخ بدأ حياته الوظيفية وخلال عمله الوظيفي كان الشيخ عبد الله مكباً على قراءة ما يصدر من جديد ويطبع : في التفسير والحديث ومصطلحه والتوحيد والفقه على المذاهب الأربعة بصورة

(١٤) بيان حياته الوظيفية من ديوان الخدمة المدنية .

عامة والمذهب الحنبلي بصفة خاصة والفرائض واللغة العربية وآدابها والتاريخ الإسلامي . كما كان يهتم بالإطلاع على المخطوطات والكتب النادرة ويقوم باستنتاج ما يحتاجه منها ولذلك تكونت لديه مكتبة خاصة تحتوي على عدة آلاف من الكتب الخطية أو المصورة أو المطبوعة القيمة .

حيـــاته الوظيفيـــة :

تولى فضيلة الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش ، عدة مناصب في سلك القضاء وكانت أولى الوظائف التى شغلها هي : إمام وخطيب جامع الإحساء في ١٣٤٦/٧/١ هـ ثم رئاسة المحكمة الشرعية بالإحساء منذ الثالث عشر من شهر محرم عام ١٣٥١ هـ وخلال عمله بالمحكمة قام بتنظيم محكمة الإحساء وتسجيل الصكوك في سجلات خاصة ، حيث أمر جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله بأن تعرض عليه جميع صكوك الإحساء القديمة فضبطها في سجلات خاصة ودون تطوراتها وصفة انتقالها سواء كانت بيعاً أو إرثاً أو وقفاً أو قسمة . وضبط حدودها وحقوقها الجارية عليها من ماء ونحوه .

وبجانب عمله هذا كان يقوم بالإمامة والخطابة في المسجد الجامع الكبير القريب من قصر الإمارة بالإحساء . كما كانت له حلقة كبيرة لتدريس العلوم الشرعية بعد صلاة العصر من كل يوم ما عدا أيام الجمع في ذلك المسجد ودروس في الوعظ والإرشاد والدعوة الى الله في مساجد الإحساء المختلفة وخاصة بين صلاتي المغرب والعشاء .

وبتاريخ ١٣٥٩/١٠/١٤ هـ نقل من الإحساء إلى رياسة محكمة حائل وأعمالها بعد وفاة فضيلة الشيخ عبد الله بن بلهيد[١٥] حسب الأمر الملكي رقم ١٩/١/٣٣ في ١٣٥٩/١٠/١٤ هـ وكان بجانب عمله بالقضاء يقوم بالإمامة والخطابة والتدريس في جامع حائل الكبير وقد قام بتنظيم سجلات محكمة حائل وتسجيل جميع المرافعات والصكوك في سجلات خاصة حيث كانت بعض الأحكام قبل ذلك تصدر شفويا في دار القاضي دون تدوينها في سجلات وكان بجانب ذلك يجلس بعد عصر كل يوم في المسجد الجامع الكبير بحائل للتدريس وكانت له حلقة علمية كبيرة ، ويجلس لطلاب العلم بين صلاة المغرب والعشاء في بيته المعروف ببيت ابن طلال بحائل ، وقد قام بنسخ النسخة الخطية للإنصاف وبعث بها الى سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ بالرياض وعكف على نسخها وتصحيحها حوالي عام كامل .

وفي السابع والعشرين من شهر رجب عام ١٣٦١ هـ صدر الأمر السامي رقم ٧٤/٨٨٠٧ ع م في ١٣٦٠/٩/٧ هـ بنقل فضيلته من رئاسة محكمة حائل وتوابعها الى وظيفة معاون رئيس هيئة التمييز بمكة المكرمة وكان رئيسها آنذاك فضيلة الشيخ محمد بن مانع، وفي نفس الوقت صدر أمر جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله برقم ٨٢٤٥ بتاريخ ١٣٦١/٦/٢٨ هـ ، بتعيين فضيلته معاوناً لرئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز بجانب عمله كمعاون لرئيس هيئة التمييز ، كذلك تولى التدريس في المسجد الحرام بموجب الأمر رقم ٤٣٠٤ بتاريخ ١٣٦١/١٠/٨ هـ الصادر من رئيس القضاة

(١٥) انظر ترجمة حياته في كتاب مشاهير علماء نجد للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص : ٢٢٦ ـ ٢٣٠ .

وكان يقوم برياسة هيئة التمييز وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند غياب الرئيس .

وبعد ذلك تم تعيينه أيضاً عضواً في مجلس المعارف بموجب الأمر السامي رقم ١٣٢٧٠ في ١٣٦٢/١٠/٢٨ هـ بجانب أعماله السابقة وقد قام بتلك الأعمال أحسن قيام .

وفي غرة شوال عام ١٣٦٣ هـ صدر الأمر السامي بنقل فضيلته الى رياسة محاكم الرياض وتوابعها ، ومكث في قضاء الرياض حتى شوال عام ١٣٦٥ هـ حيث نقل فضيلته بعد ذلك الى المنطقة الشرقية على وظيفة رئيس محكمة الخبر وبجانب ذلك كان يقوم بالإمامة والخطابة في جامع الخبر الكبير وكانت له دروس في العقيدة والفقه بعد العصر في ذلك المسجد ، وقد تتلمذ على يده عدد كبير من طلاب العلم الذين شغلوا فيما بعد وظائف قضائية هامة .

وفي رمضان عام ١٣٧١ هـ صدر الأمر الملكي رقم ٧٢٥٠/١/١٢ - بتاريخ ١٣٧١/٩/١٧ هـ بتعيين فضيلته رئيساً للمحاكم الشرعية بمكة المكرمة مع تدقيق أحكام وقرارات المحاكم المستعجلة الثلاث بمكة حسب أمر ولي العهد المعطوف على أمر جلالة الملك المعظم .

وقد مكث فضيلته في هذا المنصب حتى ١٣٨٣/٤/٢٧ هـ حيث نقل عضواً برياسة القضاة ، ثم طلب إحالته الى التقاعد وذلك للتفرغ والتأليف وقد صدرت الموافقة السامية بإحالته للتقاعد بتاريخ ١٣٨٤/٢/١٥ هـ .

مؤلفـــــاته :

ولفضيلة الشيخ عبد الله رحمه الله عدة كتب من تأليفه أو تحقيقه وهي كالتالي :

١ - قام بتحقيق رسالة (المناقلة بالأوقاف وما فيها من الاختلاف) لابن قاضى الجبل وكانت من المخطوطات النادرة التى لم تطبع قبل ذلك وقد قام بكتابة مقدمة لهذه الرسالة شرح فيها أهميتها وترجم لمؤلفها . وقد طبعت هذه الرسالة في مطابع دار الأصفهاني بجدة عام ١٣٨٦ هـ .

٢ - كتاب سير الحاث الى علم الطلاق بالثلاث للشيخ يوسف بن حسن بن عبد الرحمن بن عبد الهادي (٨٤٠ - ٩٠٩ هـ) وهو كتاب مخطوط قام الشيخ عبد الله بن دهيش بتحقيقه ونشره مع كتابة مقدمة وخاتمة وترجمة لمؤلفه وطبع بمطابع النهضة الحديثة بمكة المكرمة عام ١٣٩٨ هـ .

٣ - كتاب تحرير مسائل الخلاف على أبواب الكشاف مع تخريج أحاديث الكشاف ، وهذا الكتاب لازال مخطوطاً ، ويعتبر عمله هذا عملاً فريداً من نوعه حيث قام بتخريج أحاديث الأحكام على مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

٤ - قام بالتصحيح والتعليق على كتاب مغنى ذوي الإفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام تأليف الشيخ يوسف بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي ، وقد طبع هذا الكتاب على نفقة دار الإفتاء بمطابع شركة المدينة للطباعة والنشر بجدة ، وصدرت الطبعة الأولى عام ١٣٨٨ هـ .

٥ - كتاب القضاء ويحتوى على أكثر من مائة مسألة في الشروط التي يجب توفرها في القاضي وشروط الحكم ، وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً لم يطبع . وهو من الكتب الهامة التى يحتاج اليها كل مهتم بالقضاء .

٦ - كتاب الأضواء والشعاع على كتاب الإقناع ، وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً ، لم يكمله .

٧ - كتاب التعليق الحاوي على إقناع الحجاوي . ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً . لم يكمله ..

٨ - كتاب الفقه القيم من كتب ابن القيم .. وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً ، لم يكمله .

وبجانب هذه المؤلفات له أيضاً أبحاث ودراسات وفتاوى كثيرة حول بعض المسائل الفقهية تم نشرها في الصحف اليومية المحلية ، وهي كالتالي :-

١ - من أحاديث الصوم (القسم الأول) .. « نشر في جريدة البلاد السعودية عدد ٢٧٠٩ بتاريخ ٣ رمضان ١٣٧٧ هـ » .

٢ - من أحاديث الصوم (القسم الثاني) .. « نشر بجريدة البلاد السعودية عدد ٢٧١٢ بتاريخ ٦ رمضان ١٣٧٧ هـ » .

٣ - ليلة القدر .. « نشر بجريدة البلاد السعودية عدد ٢٧٢٩ بتاريخ ٢٦ رمضان ١٣٧٧ هـ » .

٤ - الأوقاف السلطانية .. « نشر بجريدة البلاد السعودية عدد ٢٨١٧ بتاريخ ١٣٧٨/١/٢٤ هـ » .

٥ - الوقف الأهلي الصحيح لا يحل .. « نشر بجريدة البلاد السعودية عدد ٢٨٢٥ بتاريخ ٣ صفر ١٣٧٨ هـ .

٦ - أحكام القضاة لا يجوز نقضها إلا إن خالفت نصاً من كتاب الله أو سنة رسوله .. « نشر بجريدة البلاد السعودية عدد ٢٨٨٩ بتاريخ ١٣٧٨/٤/١٩ هـ » .

٧ - نبذة من تاريخ الإحساء .. « نشر بجريدة البلاد عدد ٢٣٣ بتاريخ ١٣٧٩/٥/٤ هـ » .

٨ - القضاء وأحكامه .. « نشر بجريدة البلاد عدد ٢٥١ بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٣٧٩ هـ » .

٩ - لا حاجة بنا إلى مجلة أحكام بعد كتاب الله وسنة رسوله .. « نشر بجريدة البلاد عدد ٣٠٤ بتاريخ ١٣٧٩/٧/٢٨ هـ » .

١٠ - جواز بيع رباع مكة .. « نشر بجريدة البلاد عدد ٣٧٦ بتاريخ ١٣٧٩/١١/١ هـ » .

١١ - فضل مكة المكرمة .. « نشر بجريدة البلاد بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٨٩ هـ .

- شارك أيضاً في الموسوعة الفقهية بالكويت ببحث شامل عن : « صلاة الاستسقاء » ..

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

هذه الأعشاب وهذه النباتات

تأملات في قانون الحياة

الاعجاز العلمى

فى القرآن الكريم

تقديم :

من أروع أعماق الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم عمق يتعلق بالعدد والحساب فى القرآن الكريم ، والمقصود بالحساب هنا علم الحساب على النحو المعروف ، وهذا هو العمق العاشر من أعماق الاعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز . ونحن لا نعطى أهمية للأعداد المجردة كما ورد ذكرها فى الكتاب على غرار ما تصور البعض خطأ فيما يتعلق بالعدد ١٩ مثلا !! ، لأن ذلك إنما يخرج بنا عن الطريق القويم ، ويحتاج إلى الدليل العلمى السليم .

الاعداد التى وردت :

الاعداد التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى مناسبات مختلفة ، واستخدمت لأغراض متباينة هى : ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٣٠ ـ ٤٠ ـ ٥٠ ـ ٦٠ ـ ٧٠ ـ ٨٠ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ٢٠٠ ـ ٣٠٠ ، ثم ١٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ ـ ٥٠,٠٠٠ ـ ١٠٠,٠٠٠ .

ومن الكسور هناك :

١/٢ ـ ١/٣ ـ ١/٤ ـ ١/٥ ـ ١/٦ ـ ١/٨ ـ ١/١٠

امثلة من بعض الآيات :

ليس تردد هذه الاعداد متساويا بطبيعة الحال لورودها فى مناسبات غير متجانسة . ومن امثلة ذلك قوله تعالى :

١ ـ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ ـ الاخلاص (١) ـ .

٢ ـ ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ ﴾ ـ التوبة (٤٠) ـ ،

٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ .... ﴾ ـ المجادلة (٧) ـ ،

٧ ـ ٨ ـ ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ ـ الحاقة (٧) ـ ،

٩ ـ ٣٠٠ ـ ﴿ وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ ـ الكهف (٢٥) ـ ،

١٠ ـ ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ... ﴾ ـ الانعام (١٦٠) ـ ،

١١ ـ ﴿ ... إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ .... ﴾ ـ يوسف (٤) ـ ،

١٢ ـ ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ ـ الاعراف (١٦٠) ـ ،

١٩ ـ ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ. عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ ـ المدثر (٢٩) ـ ،

٢٠ ـ ٢٠٠ ﴿ ... إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ... ﴾ ـ الانفال (٦٥) ـ ،

٣٠ ـ ﴿ ... وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ... ﴾ ـ الاحقاف (١٥) ـ ،

٤٠ ـ ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ... ﴾ ـ البقرة (٥١) ـ ،

٥٠ ـ ١٠٠٠ ـ ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ... ﴾ ـ العنكبوت (١٤) ـ ،

٦٠ ـ ﴿ ... فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ... ﴾ ـ المجادلة (٤) ـ ،

٧٠ ـ ﴿ ... إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ... ﴾ ـ التوبة (٨٠) ـ ،

٩٩ ـ ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ... ﴾ ـ ص (٢٣) ـ ،

١٠٠ ـ ﴿ ... فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ... ﴾ ـ البقرة (٢٥٩) ـ ،

٢٠٠٠ ـ ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ـ الانفال (٦٦) ـ ،

٣٠٠٠ ـ ﴿ ... أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ ، آل عمران (١٢٤) ـ ،

٥٠٠٠ ـ ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ ـ آل عمران (١٢٥) ـ ،

٥٠٠٠٠ ـ ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ . ـ المعارج « ٤ » ـ ،

١٠٠٠٠٠ ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ ـ الصافات « ١٤٧ » ـ ،

●● ●● ●●

$\frac{1}{2}$ ـ $\frac{1}{3}$ ـ $\frac{2}{3}$ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَىِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ .. ﴾ . المزمل « ٢٠ » ـ ،

$\frac{1}{4}$ ـ ﴿ ... فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ... ﴾ . ـ النساء « ١٢ » ـ ،

$\frac{1}{5}$ ـ ﴿ ... وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ... ﴾ . ـ الانفال « ٤١ » ـ ،

$\frac{1}{6}$ ـ ﴿ ... فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ... ﴾ . ـ النساء « ١١ » ـ ،

$\frac{1}{8}$ ـ ﴿ ... فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ... ﴾ . ـ النساء « ١٢ » ـ ،

$\frac{1}{10}$ ـ ﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ .

ـ سبأ « ٤٥ » ـ ،

ومن السهل ملاحظة أن القرآن الكريم إنما يستخدم العدد عشرة ومضاعفاتها بوفرة .

ويجيء ذكر العدد عشرة فى كثير من الآيات ، مثل قوله تعالى :

﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ ـ الفجر « ١ ـ ٢ » ـ ،

﴿ ... فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ... ﴾ ـ القصص « ٢٧ » ـ ،

﴿ ..... تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ..... ﴾ ـ البقرة « ١٩٦ » ـ

الحساب العشرى :

عندما نزل القرآن الكريم كان هناك نوعان من الحساب :

الحساب العشرى ثم الحساب الستيني . ويدخل حساب « الدستة أو العدد ١٢ » ضمن الحساب الستيني . ونحن مازلنا نستخدم الحساب الستيني في تقدير الزمن مثلا ، فنقول : إن الساعة الواحدة فيها « ٦٠ » دقيقة ، وإن الدقيقة الواحدة تساوى ٦٠ثانية .... ونحن مازلنا كذلك نستخدم الحساب الستيني فى تقدير الزوايا التى نقدرها بالدرجات ونقول : إن فى الدرجة ٦٠ دقيقة وهلم جرا ... وواضح أن هذا الحساب الستيني حساب عقيم وقاصر لم يدم استعماله إلا فى الهندسة وحسابَ كسور الساعة .

أما الحساب العشرى فهو يقوم على أساس القيم الموضعية « أو الخانات على حد تعبيرنا فى هذا العصر » ، فالرقم ٧ مثلا هو ٠,٧ فى خانة الجزء من عشرة ، وهو ٧٠ فى خانة العشرات ، و ٧٠٠ فى خانة المئات وهلم جرا .... ويستخدم الصفر فى الخانة التى تخلو من الأرقام ، كما أن عدد هذه الأرقام هو تسعة فقط . ولفظ « صفر » تعبير عربى ترجمه الغربيون إلى لفظ « زيرو » . وعلى هذا النحو يمكن كتابة أى عدد مهما كان قدره باستخدام الأرقام التسعة والصفر الذى استحدثه العلماء المسلمون ورمزوا له بدائرة لا يزال يستخدمها الغربيون لنفس الغرض .

والعجيب أن الأرقام التى نطلق عليها اليوم اسم الأرقام الأفرنجية هى فى الواقع أرقام عربية استخدمها علماء المسلمين فى أول الأمر ودخلت أوروبا عن طريق الأندلس .

أما الأرقام التى نستخدمها نحن اليوم فهى سلسلة الأرقام الهندية وقد عم استعمالها فى أغلب بلاد المسلمين الآن .

وأكبر دافع حمل المسلمين الأول على الأخذ بالحساب العشرى بدلا من الحساب الستيني العقيم هو القرآن الكريم ، وبذلك فتح أمامهم باب التقدم العلمى فى علوم الحساب والرياضة التى هى فى واقع الأمر من أكبر الدعائم التى بنيت عليها الحضارة العلمية الحديثة .

وأول من وضع علامة الكسر العشرى واستخدمها هم العلماء المسلمون على يد أمثال جمشيد الكاشي فى كتابه « الرسالة المحيطية » ، ثم فى كتابه المشهور الذى تم تحقيقه حديثا « مفتاح الحساب » ..

ويعطى بعض الناس منذ القدم أهمية لبعض الاعداد ، وقد يقدسونها ، الا أن القرآن الكريم نبذ كل ذلك واستبعده . وأعجب العجب أنه استخدم حساب النسبة المئوية كما نعرفها اليوم تماما فى سورة (ص) الآية (٢٣) :

﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ... ﴾ ، إذ من الجلى

والواضح أن مجموع النعاج ١٠٠ ، وأن لأحدهما (٩٩) فى المائة وللآخر (١) فى المائة من المجموع .

ولقد ورد فى القرآن الكريم ذكر العدد عشرة كوحدة للتجزئة وللتضاعف وذلك فى مواضع عديدة ، وفيما يلى أمثلة منها :

(أ) أمثلة لاستخدام العشرة :

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾

ـ الانعام (١٦٠) ـ

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾

ـ هود (١٣) ـ

﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾

ـ طه (١٠٣) ـ

﴿ .. فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾

ـ القصص (٢٧) ـ

﴿ ... تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾

ـ البقرة (١٩٦) ـ

﴿ وَالْفَجْرِ ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾

ـ الفجر (١ ـ ٢) ـ

﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ ﴾

ـ المائدة (٨٩) ـ

** ** **

(ب) أمثلة من الضرب فى عشرة ومضاعفاتها :

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾

ـ الأنعام (١٦٠) ـ

﴿ ... إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا .. ﴾

ـ الأنفال (٦٥) ـ

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾

ـ البقرة (٢٦١) ـ

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

ـ القدر (٣) ـ

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

ـ الحج (٤٧) ـ

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

ـ المعارج (٤) ـ

وجدير بالذكر أنه عندما تقدم علم الفلك على يد المسلمين إبان نهضتهم استخدموا فى حساباتهم الهندسية الحساب الستينى على النحو الذى نستخدمه نحن الآن وإليك ما قاله جمشيد فى كتابه مفتاح الحساب :

« واعلم أن محيط الدائرة يحيطها بثلثمائة وستين قسماً متساوياً ، يسمون كل قسم درجة .. وكل ثلاثين درجة من دائرة البروج تسمى برجا ...

.. ويقسمون كل درجة ستين قسما متساويا يسمونه الدقائق ، وكل دقيقة ستين ثانية ، وكل ثانية ستين ثالثة ، وكل ثالثة ستين رابعة ، وهكذا إلى ما لا نهاية له » .

** ** **

ومن الوان الحساب التى كانت تستخدم حساب « المنجمين » . والتنجيم لا يدخل تحت

الاعجاز العلمى

باب العلم ، بل هو مجرد رجم بالغيب لا أساس له .

[وللعقلاء قول مشهور : (كذب المنجمون ولو صدقوا)]

إنما إن صدقهم يكون لمجرد (الصدفة) وليس عن طريق العلم أو اليقين .

ويقول جشميد عن طرق حساب المنجمين :
« ... أعدادهم على ترتيب حروف . أبجد - هوز - حطى - كلمن - سعفص - قرشت - ثخذ - ضظغ .
وهي ثمانية وعشرون حرفا . تسعة آحاد ، وتسعة عشرات ، وتسع مئات ، والف واحدة » .

والله أعلم

للبحث بقية

د . جمال الفندى

ماهذا ياأهل الكتاب - بقية

اليهم وعاملوهم بآداب الاسلام وسماحته أن يتربصوا بهم ويعينوا عليهم •

ولكن عزاءنا أن حبل الباطل قصير وأن المستقبل فى هداية البشر هو للاسلام لأنه النظام الوحيد الذى ارتضاه الله لعباده دينا قال تعالى : (ان الدين عند الله الاسلام) (١) •
ولن يستطيع أعداء الاسلام ايقاف مسيرته وزحفه مهما ارادوا وخططوا وتآمروا عليه وعلى المسلمين وأن غدا لناظره قريب •
ولا - والله - لن يخزى الله الاسلام أبدا • انه دينه وكلمته « وكلمة الله هى العليا » •
(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويابى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) (٢) •

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

(١) سورة آلى عمران آية ١٩
(٢) سورة التوبة آية ٣٢.

هذه الأعشاب وهذه النباتات

للأستاذ الدكتور السيد الجميلى

المملكة النباتية كتاب مفتوح تتجلى فيه روعة الخلق ، ودقة الابداع ، وجلال الاتقان ، وهى من أقوى الدلائل وأعظم البراهين على قدرة الحق سبحانه وتعالى .

هذه الروعة الخلابة ، والمتعة اللانهائية التى تستروح فيها النفوس المكدودة ، والخواطر المنهوكة وتبرأ بها الأجسام المعتلة إذ انه ثبت بالدليل العلمى الطبى أن كثيرا من تباريح النفس وسامتها يذوب ويتلاشى إزاء هذه المناظر التى تسبى النظر ، من ثم ينصح النفسانيون مرضاهم الواجدين بالنزوح إلى أماكن الخضرة والمتنزهات فتنفرج العقد وتتحلل المواجيد .

قال تعالى : « وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ » الرعد (١٣ / ٤) .

والمتأمل فى هذه الظاهرة النباتية الطبيعية يدرك جانباً من قدرة الله سبحانه وتعالى ، وطرفاً من إعجاز هذه القدرة ، وقد قال إمام المفسرين وشيخهم الطبرى رحمه الله .

« الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ ، والكمثرى ، والعنب الأبيض والأسود ، بعضها حلو ، وبعضها حامض ، وبعضها افضل من بعض مع اجتماع جميعها على شرب واحد » من تفسير الطبرى (١٣ / ٩٧) .

وهذه الأعشاب ، وهذه النباتات لم تخلق عبثاً ، ولم توجد سدى ، فهى بمنظرها الخارجى شفاء للنفس والروح ، ودعوة صادقة للإيمان واليقين الذى لا يقربه شيطان ، ومن ناحية أخرى فإن فى تكوينها المادى شفاء لكثير من الأمراض .

إن ثمار بعض النباتات ، وجذور اخرى ، وسوق ثالثة وأوراق رابعة مصدر او مصادر لكثير من الادوية المستخلصة التى يعمد إليها الأطباء والصيادلة الباحثون ليستخرجوها بأساليب وطرائق معروفة ثم يقومون بتجريبها على الحيوانات بجرعات مخففة ثم متدرجة

التركيز ثم تدون الملاحظات على آثار هذه المواد إلى ان يتم التوصل إلى الجرعة العلاجية المناسبة .

وليس الأمر هيناً أو سهلاً ميسوراً ، إنما هذه المراحل القليلة تحتاج إلى وقت طويل ومعاودة التجريب والتمحيص مخافة أن تكون هناك آثار جانبية ضارة فتاكة قد تؤذى أجهزة الجسم ، فيجب التروى والتدبر فى أناة ومهل .

من ثم وجب التحذير ولفت الأنظار إلى أن كثيراً من الأعشاب والنباتات الطبية تحتوى كثيراً من السموم ، ويكتنفها مخاطر شتى بعيدة المدى ، والذى يهون من هذه المخاطر إنسان يستغيث من الرمضاء بالنار ، ومثله كمثل الذى استغاث من جوع فأكل ما أماته

فليعلم الناس أن فى التجارب علما مستأنفا ، ولا يجب استعمال أى من هذه الأشياء إلا باستشارة طبية دقيقة ومن الخطر توهين مثل ذلك ، فإن مظنة الشفاء بالنباتات الطبية يجب أن يقابلها على نفس الشاكلة من الأمر مظنة الاضرار وكثيراً ما قتلت أرض جاهلها .

وتاريخ العلاج والتطبيب بالاعشاب قديم قدم الأزل ضارب فى أغوار التاريخ السحيق ، فقد ثبت من مخطوطات البردى القديمة المطمورة فى قبور الفراعنة أن الكهنة كانوا يستعملون الأعشاب والنباتات ويصفونها للمرضى للاستشفاء والتداوى بها .

والذى لا أشك فيه ، وليس فيه سرية بحال أن الفراعنة ولا سيما الكهنة قد اكتشفوا كثيراً من اسرار هذه النباتات ، ولم يذيعوها بين الناس إنما احتفظوا بها لأنفسهم وذهبت معهم أدراج الرياح ولم يتركوا إلا مجرد إشارات عابرة عنها فى مخلفاتهم البردية العتيقة .

ولم تنشط حركة التأليف فى هذا العلم إلا فى القرن الرابع والخامس قبل الميلاد ، ومن مشاهير هذا الفن « هيبو قراط » و« كالينوس » ثم توسع فى دراسة هذا العلم بعدهم « ابن سينا » و« الرازى » من أطباء العرب المشهورين .

ومن لطف الله سبحانه وتعالى أن جمع كثيراً من عناصر الشفاء فى عشبة واحدة فى كثير من الاحيان ، وثمة دليل أضربه على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ، فإن عقار الديجتياليس « Digi-talis » وهو مادة سامة يستعمل فى علاج حالات هبوط القلب « Heart Failure » وهو مأخوذ ومستخرج من نبات يسمى « قمعية أرجوانية » يستخلص من أوراقها ، لكن هذا العقار لا يصل إلى درجة الفعالية الطبية « Its Effect Or Potency » إلا بعد أن تقترب الجرعة المعطاه منه من درجة التسمم ، ولكن أعراض التسمم « Toxicity Manifestations » لا تظهر إذا ما أعطيت أوراق النبتة ذاتها بكميات أكبر .

وبالرغم من النجاح الأكيد الذى ظفرت به كثير من هذه الأعشاب وهذه النباتات ، إلا أن الأطباء قد عزفوا عنها تقريباً ، فى حين نرى البعض متهالكين عليها يلوذون بها فى أى وقت ولأية حالة مرضية .

وممن صنفوا فى هذا العلم من العرب الملك المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول الغسانى التركمانى صاحب اليمن المتوفى سنة ٦٩٤ هـ . فوضع كتابه القيم « المعتمد فى الأدوية المفردة » مرتبا على حروف المعجم ، لكن تناوله البدائى ، وأسلوبه البسيط جعله أصبح مهجوراً بل معدولاً عنه لأنه لا يناسب عصرنا هذا وأسلوبه ومنهاجه ، ولكن هذا لا يمنعنا من القول بأن فيه

وصفات طبية شافية نافعة وقد صنف الشيخ عبد الرازق بن حمدوش الجزائرى كتابا أسماه « كشف الرموز في بيان الأعشاب » وهو مختصر نافع وأعتقد أنه قام بتلخيص المعتمد مضفيا على هذا المصنف صورة عصرية .

أما الكتاب العصرى الجامع الذى أربى على خمسمائة صفحة تقريباً فهو الذى وضعه الدكتور أمين رويحة وأسماه « التداوى بالأعشاب » وهو سفر جامع حشد فيه لفيفاً من الفصائل والأنواع المختلفة للنباتات والأعشاب الطبية ، لكن فاته بعض الأشياء التى توجب التوسع فيها والتوقف عندها ، كما لوحظ أن الكتاب تغلب عليه الصبغة « الأكاديمية » الصرفة ، والمرجو أن يلتفت المؤلف في طبعات قادمة إلى هذه الناحية فيركز على الجانب الطبى العملى .

وأحب أن أشير إلى أن سوق الكتب قد غصت وناءت بمصنفات عديدة فيها من الخطل والتخليط وعدم البصر وقلة التجريب ما يدفعنا إلى التنويه عنه والإشارة إليه والتحذير منه في مقالات لاحقة إن شاء الله تعالى .

وقد أحسن شيخ الإسلام الإمام ابن القيم الجوزية في كتابه الممتع « زاد المعاد » عندما أفرد بابا كاملاً عن ذكر شيء من الأدوية والأغذية المفردة التى جاءت على لسانه ﷺ مرتبة على حروف المعجم .

والمثال على ذلك ما ورد في الحديث المتفق عليه عن النبى ﷺ أنه قال : « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب » (رواه البخارى ٨ / ٥٩) و(مسلم ٧٩٧) من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، ثم ذكر ابن القيم منافع كثيرة للأترج وقد فصلها تفصيلاً علمياً دقيقاً لا مزيد عليه .

ولم يسلم الموضوع من المدخولات أو الموضوعات المنسوبة إلى سيدنا رسول الله ﷺ ، وسنحاول إن شاء الله تعالى أن نفندها في المقاولات القادمة فنشرح جوانب التجريح فيها بالحجة القوية والبرهان الواضح والله المستعان .

وأرجو أن أكون بهذه المقدمة قد مهدت لولوج هذا الميدان الفسيح المأهول فأرجو أن أوفق إلى دراسة موضوعاته كما يحب ربنا ويرضى فهو سبحانه وحده المعتمد عليه .

والمعول على فضله وتيسيره .

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ؟

د . السيد الجميلى

تأملات فى قانون الحياة

الحواس

« ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » ..
- البقرة ١ ، ٢ -

لا يكف العقل البشرى عن العمل والتفكر والتدبر — واذا كان لكل جارحة عبادة — فان عبادة العقل الا يكف عن التأمل والتحليل والتركيب لعناصر الحياة فى عالمنا الذى خلقنا فيه .

واذا كانت عبادة العقل فى التدبر والتفكر ففيم يتدبر .. وماهى الوسائل التى وهبنا الله اياها لهذا التدبر والتأمل ؟

ان بداية التدبر الصحيح لآيات الله فى الكون أن يكون لدى الانسان المقياس الصحيح لتقييم الحياة فاذا ما اختل المقياس ضاعت القضية التى تحمل فى أحشائها الحقيقة الكونية الكبرى .

ولتبسيط الفكرة — فلنتصور شخصين ينظران فى آن واحد الى مقياس مدرج كـ « مسطرة » طولها ٣٠سم أحدهما ينظر الى التدريج بالسنتيمترات ويقسم بالله أن طولها (٣٠) والآخر ينظر الى التقسيم بالبوصة ويقسم بالله ان طولها (١٢) فقط .

والسبب فى هذا الاختلاف الشاسع أن القارئين لم يحددا ويتفقا ابتداء على وحدة القياس التى ينطلقان منها .

واذا ما تعرضنا الى الانسان وتقييمه للحياة والانسان هو العنصر الأساسى فيها ، وجدنا أن الحضارات البشرية احدى اثنتين :

اما حضارة مادية لا تؤمن الا بما يلمس أو يحس أو يقاس أى ما يقع تحت اطار الحواس الخمس : السمع والبصر والشم والتذوق واللمس .

واما حضارة روحية شاملة أول ما تؤمن به « الغيب » بالاضافة الى ما يحس ويقاس .

د . سعاد حسين البيلي

ولنا بعد أن نتناول بشيء من التفصيل عمل هـــذه الحواس الخمس لنرى : هل يمكن أن يعتمد عليهـــا وحدها للوصـــول الى الحقيقـــة الكبرى فى هذا الكون ؟

اننا اذا ما ألقينا نظرة على الجهاز السمعى للانسان وجدناه يتركب من الأذن وهى الجزء الخارجى للجهاز السمعى ووظيفتها الاساسية تجميع الموجات الصوتية من الهواء وارســـالها الى طبلة الأذن حيث يتردد غشـــاؤها الرقيق ويتم نقل هذه الذبذبات الى المركز الســـمعى بالمخ فتنتقل الى العقل صورة حركية معينة عن هذه الذبذبات لتخبر بخبر قد يكون مفرحا وقد يكون محزنا .. فينفعل الانسان بناء على ذلك الانفعال المناسب .

ولقد يستطرد علم الاحياء فى شرح التركيب الدقيق للجهاز السمعى .. وليس هذا مايهمنا انما يهمنا هو عرض هذا السؤال :

ما الذى يميز خلايا الجهاز السمعى عن باقى خـــلايا الجسم حتى تنفرد هى بهـــذه المهمـــة كوســـيلة من وســـائل التعرف عـــلى العـــالم الخارجى ؟.

لا شىء .

سؤال آخر : كيف اســـتطاعت طبلة الأذن هـــذه أن تحيل تموجات الهـــواء الى مشـــاعر انسانية .. قد تجعله يثور ويحطم كل ما أمامه فى سبيل مبدأ ، وقد ترخى عليه ستائر السكينة والاطمئنان ؟

واذا ما انتقلنا الى حاسة الابصار وجدنا وســـيلتها الأســـاسية هى العين التى تلتقط الاشعة الصادرة من الجســـم المرئى من خلال الحدقة ثم العدســـة الى شـــبكية العين حيث ترسل الى المركـــز البصرى فى المخ عن طريق العصب البصرى بذلك كله .. فنرى الجســـم الذى أمامنا .

كذلك الشم فالشـــم مثـــلا يتم عن طـــريق النهايات العصبية الموجودة فى تجـــويف الأنف حيث ترسل هذه النهايات العصبية «احساسها» عن طريق عصب الشم الى المركز المختص لذلك فى المخ وكذا حاستى التذوق واللمس .

وبعد :

فهل تكفى هـــذه الحـــواس الخمس لتقييم الجوانب المختلفة لحياة البشر ؟

هل يمكن للحواس الخمس أن تلمس الجوع؟ هل تراه ؟.

هل تتذوقه ؟ هل تسمعه .. أم تشمه ؟

البـقيـة صفحـة ١٦٣١

طرائف

قالوا ..

● من أكرمك فأكرمه ، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه .

● يعرف جهل المرء بكثرة كلامه فيما لا ينفعه ، وإخباره عما لا يسأل عنه .

● لا يكن سمعك لأول مخبر ، ولا ثقتك لأول مجلس .

● ينبغي للعاقل أن يمنع معروفه الجاهل واللئيم والسفيه .
أما الجاهل : فلأنه لا يعرف المعروف ولا الشكر عليه .
وأما اللئيم : فأرض سبخة لا تنبت ولا تصلح للغرس .
وأما السفيه : فيقول : أعطاني خوفاً من لساني .

● القوانين كنسيج العنكبوت ، لا تمسك إلا بالحشرات ، الضعيفة ، أما الطيور الكبيرة فانها تمزقها .

معرض في البلاغة

روى أن المأمون قال لعمرو بن مسعدة : اكتب إلى عاملنا فلان كتاب وصاية بإنسان في سطر واحد .

فكتب : هذا كتاب واثق بمن كتب اليه ، معتن بمن كتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله .

وكتب أبو بكر الخوارزمي جواباً على هدية وصلت إليه : وصلت التحفة ، ولم يكن بها عيب إلا أن باذلها مسرف في البر ، وقابلها مقتصد في الشكر ، والسرف مذموم إلا في المجد ، والاقتصاد محمود إلا في الشكر والحمد .

وكتب عبد الحميد « إمام الكتابة » لرجل بالوصاية على انسان : حق موصل هذا الكتاب اليك كحقه عليّ ، اذ رآك موضعا لأمله ، ورآني أهلا لحاجته وقد أنجزت حاجته فحقق أمله .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ومواقف

ولو زدت لزدناك

وقف معاوية يوما على المنبر ، فقال : أيها الناس إن الله فضل قريشا بثلاث : فقال لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » ونحن عشيرته الأقربون ـ .

وقال ـ تعالى ـ : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ » ونحن قومه .

وقال ـ عز وجل ـ «لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ » ونحن قريش .

قال معاوية : ذلك مفتخرا ، لكن رجلا من الأنصار عليما بالحوار قام من بين السامعين وقال : على رسلك يا معاوية ، فان الله ـ تعالى ـ قال : « وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ » وانتم قومه .

وقال عز من قائل : « وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ » وانتم قومه .

وقال ـ تعالى ـ « وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » وانتم قومه .

فهذه ثلاث بثلاث ، ولو زدت لزدناك ! فلم يعرف معاوية جوابا

مما عيّب على أبي نواس

مما عيب عليه من فحول الشعراء : أبو نواس في قوله :

جاد بالأموال حتى
حسبوه الناس حمقا

فان ما يعده من الاسراف في البذل حمقا ، لا يمكن أن يعود فيعده جوداً محموداً ، وكرماً معقولا ، فكأنه ذم ممدوحه أقبح الذم .

طرائف ومواقف

وكقول أبي نواس :

مازال يهذى بالمكارم دائبا
حتى ظننا أنه محموم

من عادة المحموم أن تضطرب حركاته ، وتختل أعماله ، ولا يسكن جأشه ، ومثل هذه الحياة لا تتفق ، واهداء المكارم ، فانها إن لم تبن على عقل ناضج ، وتثبت كامل ، وتقدير دقيق ، أصبحت بالوساوس أشبه ، وبأهل البلاهه أولى .

التغافل لا الغفلة

الغفلة : من اقبح عيوب الانسان ، وَأَعْوَدها عليه بالاذى والذم ، ولكن التغافل محمود ، وهو : أن تعلم الشيء فترى أن الأصلح تجاهله ، فهذه قوة نفسية لا يستطيعها إلا القليل .

قال أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ « من امتطى زمام التغافل ، ملك زمام المروءة » .

وقيل : « التغافل من الكرام يمنحهم الاجلال والاكرام »

وقيل لبعضهم : من العاقل ؟
قال : « الفطن المتغافل »
وقال الشاعر :

ليس الغبي بسيد في قومه
لكن سيد قومه المتغابي

وقال آخر :

وإني لأغضى عن أمور كثيرة
ومن دونها قطع الحبيب المواصل
وأعرض حتى يحسب الناس أنني
جهلت الذي آتى ولست بجاهل

وقال آخر :

أعرض عن العوراء إن أسمعتها
واسكت كأنك غافل لم تسمع

حقا ..

لا تطلع شمس يوم إلا ويتنازع الانسان علمه وهواه ، فيوم يغلب العلم الهوى فذلك يوم غُنْمه .
ويوم يغلب الهوى العلم ، فذلك يوم غرمه !!

دعاء ..

اللهم لا تجعل عيشي كداً ، ولا تجعل دعائي رداً ، ولا تجعلني لغيرك عبداً ، ولا تجعل في قلبي لسواك ودًّا ، إني لا اقول لك ضدًّا ولا شريكاً ولا ندًّا .

الشعر والشعراء

إعداد: د. حسن جاد

وداعًا رمضان

صدقنا

مراقي السمو

وداعاً رمضان

للأستاذ عبد العليم القباني

وداعا كريم الاشهر النضرات — واهلا بما سطرت من حسنات

وداعا لياليك الحسان ومرحبا — بما خلفت من عاطر النفحات

وداعا ليالى النور والخير والهدى — واهلا بعيد البر والصدقات

مضيت وخلفت القلوب مشوقة — إليك واعصاب التقى ارقات

عليك سلام الله شهراً مباركا — عميق المعانى مشرق الصفحات

طبيب النفوس الجامحات تحية — وشوقاً إلى انسامك العطرات

احلت قلوب المؤمنين ملائكا . — من النور روحانية النزعات

إذا اقبل الليل المهيب تلفتت — إلى ندوات الذكر مستمعات

وإن اذن الفجر البهيج تسابقت — إلى طاعة الرحمن والصلوات

مطهرة الاحلام ملهوفة الخُطَا — سماوية الإشراق واللمحات

تساميت شهر الصوم ، صبحك توبة — وليلك ينبوع من البركات

لك الحمد يارب السموات ان تشا — جعلت شهور الخير متصلات

وان شئت اتيت العباد تفضلا — مزيداً من الغفران والرحمات

وإن شئت الهمت الشعوب رشادها — وامنتها من عثرة وشتات

وإن شئت كان السلم فى الأرض واحة — تهدهد جاش الانفس القلقات

صَدَّقنا

شعر: إبراهيم عيسى

صَدَّقنا انَّ مَتَاع الارض　　خُيُوط تنسِجُ نُغمانا
صَدَّقنا الدنيا .. فعدَوْنا　　نَسْتبق الريحَ بدنيانا
صَدَّقنا الآمالَ .. فشِدْنا　　للآمل الباسم بنيانا
صَدَّقنا الشِعْرَ .. فَذُلَّلْنا　　لجَواد الشعر الاوزانا
صَدَّقنا الحبَّ .. فغنَّيْنا　　وزَرعْنا اللهفةَ بستانا
صَدَّقنا الفرحةَ .. فضحكنا　　حيناً .. ونَسِينا الاحزانا
صَدَّقنا ان الخلدَ هنا　　نَبْعٌ لا يترك ظمانا
صَدَّقنا صدقنا حتى　　صرنا للدنيا فرسانا
نغتال الايامَ ونمضي　　لنُقيم عليها سلطانا
ونحيل الخَيْرَ بانفسنا　　جِنُّاً يحتضن الشيطانا
ونَهُدُّ الارضَ ونبنيها　　ونسينا فينا الإنسانا
حتى إنْ جَفَّ ربيعُ العمر　　ومال الغصنُ بنجوانا
ابصرنا الارضَ ومن فيها　　عريانا يستر عريانا
وسراباً يسقينا وَهْمًا　　ويَخط الحَيرةَ عنوانا
قد ضاع حصادُ العمرِ سِوى　　عملٍ يَستسقي الغفرانا

مراقي السمو

للاستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

رَفِّقْ بذكرك يالطيف مشاعرى ... واجعل جلالَكَ ماثلا فى خاطرى
بدِّدْ بنور سناك ظُلمة طينتى ... أَلْقِ السكينةَ فى فؤادى الهادرِ
لأكون من زيف الضلال محصَّنا ... لا تُزْهِيَنَّ رُؤى الحياة لناظرى
إن الطريق إلى رحابك زاخر ... بحبائل منصوبة ومخاطر
ومواطىء الأقدام غشَّاها الركا ... مُ من الضباب فلا تَبين لسائر
هى خطرة هى لمحة مابين ... منزلق ومَنْجاً للضرير العابر

أوَّاه من ثِقَل التراب وقيْده ... أوَّاه من حُكْم الحياة القاهر
افكلما رُمْتُ النهوضَ إلى العلا ... وبَسَطْتُ من صفوى جناحى طائر
ألْفيتنى بِرغاب نفسى موقرا ... يهوَى ترابَ الأرض جُل عناصرى

ياخالقى مِمّا اردت لحكمة ... ياعالما بحقيقتى وسرائرى
ما قوتى ما حيلتى وَتَهَافُتُ ... الصلصال يضرب فى كيانى الخائر
لكن بروح منك يانور الوجو ... د أمد فى لجج الفتون معابرى
واشق فى وعر الحياة مسالكى ... واجوب آفاق الضياء الباهر
وبها أقيم النفس فى نهج الهدى ... وأردها عن كل نهج جائر

رباه إنى حائر متغرب ... ابغي النجاة من الفتون الغامر
وأفر من عيش تكدر ورده ... ياربُّ خذ بيد الغريب الحائر

من التراث

مجلة الأزهر من خمسين عاما

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

مجلة الأزهر من خمسين عاما

كسب الحلال والحرام

للشيخ عبد الرحمن الجزيرى

إن مجتمعا يعيش على المادة ، ويسعى لها ، لا يثنيه - فى هدفه - حلال ولا حرام ، ولا يبالى من أى وجه أصاب المال ، وانتهك الأخلاق لمجتمع جدير بالضياع هذا ما تناوله الكاتب - رحمه الله - قال :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر المرسلين فقال : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك » ! رواه مسلم والترمذى ، ونقله الحافظ المنذرى .

ويتعلق بشرح هذا الحديث أمور : (١) بيان معناه (٢) بيان أن الرسل مكلفون بعمل الصالحات كغيرهم (٣) ما المراد بالطيبات من الرزق ؟ (٤) بيان أن أكل الحرام وشربه ولبسه يحول بين العبد وخالقه .

١ - أما معنى هذا الحديث إجمالا فهو أن رسول الله ﷺ يحث أمته على البر ومكارم الأخلاق ، فى كل شأن من شئون هذه الحياة الدنيا . ومما لا ريب فيه أن خير البر وأنفعه للمجتمع الإنسانى هو أن يسلك كل فرد من الأفراد المكلفين سبيل العفة والعدل فى كل ملاذه وشهواته ، فيتجافى فى مطعمه ومشربه وملبسه ووسائلها كل بغى وعدوان ، فلا يأكل إلا حلالا ، ولا يشرب إلا حلالا ، ولا يستمتع إلا بالحلال .

وقد يخيل للإنسان أن ملاذ الحياة الدنيا ومطالبها كثيرة لا تنتهى إلى غاية ولا تقف عند حد ، فيساق بعوامل هذه الملاذ إلى النضال الدائم والجهاد المستمر فى سبيل تحصيلها والوصول إلى أقصى حد ممكن منها ، ولكن العاقل حقا إذا أمعن النظر فى شهوات هذه الحياة الدنيا وملاذها يجدها منحصرة فى دائرة ضيقة لا تستلزم الخروج عن السبل القويمة التى أمر الله عباده بسلوكها فى تحصيل هذه الشهوات ، ولا تحتاج إلى ذلك الصراع الذى كثيراً ما يذهب بكرامة الإنسان ومروءته وهو غافل لاه . ويمكن حصر مهام لذات الحياة الدنيا فى شهوتى البطن

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

والفرج وما يستلزمانه من مال وجاه وذرية وغير ذلك . وإلى هذا يشير قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ .

فهذه الآية الكريمة تدل على أن معظم الشهوات التى يفتن بها الناس فى حياتهم الدنيا هى هذه الشهوات ، فهى محببة إلى الإنسان بطبيعته ، ومع ذلك فهى مزينة له بعوامل مختلفة . ولذا لم تصرح بالفاعل الذى زينها لأنها متنوعة بتنوع تلك الشهوات . مثلاً : شهوة النساء قد حببت إلى الإنسان بفطرته ، ولكن لا يزينها له ولا يدفعه إلى تحصيلها إلا ما يراه من جمال المرأة ، واستعدادها لقضاء تلك الشهوة ، فلو عاش الرجل بعيدا عن النساء لا يكون لتلك الشهوة سلطان عليه ، وكذلك شهوة المال محببة إلى الإنسان ، ولكن لا يزينها له إلا ما يترتب على المال من قضاء مآرب وغايات لا يمكن الحصول عليها إلا بالمال . وهكذا جميع الشهوات اللازمة لطبيعة الانسان ، فهى محببة اليه بفطرته ، ومزينة له بعامل قوى يسوقه اليها ثم إن كانت هذه العوامل مشروعة يقرها الدين كانت هذه الشهوات ممدوحة ، والا كانت من شر الآفات المذمومة .

وقد أشارت الآية الكريمة إلى أن هذه الشهوات المحبوبة للإنسان بفطرته متاع الحياة الدنيا وزينتها ، ومهما بلغ من أمرها فانها منقطعة لا تدوم ، بل هى متاع قليل إذا قيست بالنعيم الدائم الباقى يوم القيامة ، كما قال سبحانه فى آية أخرى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ . **فينبغى للعقلاء أن يقفوا عند الحد المباح لهم ، ويعلموا أن الخروج عن ذلك الحد موجب للشقاء والحرمان من النعيم الخالد الذى أشار الله اليه بقوله** : ﴿ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ . قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

فالميزان المستقيم العادل الذى لا يختل أبدا هو اتباع أوامر الدين ، واجتناب نواهيه فى متاع الدنيا وشهواتها .

ولقد بين لنا الحديث الذى معنا أن شهوة البطن واللباس وما يستلزمانه من مال وبيع وشراء يجب أن تكون مقصورة على الحلال

الطيب ، فلا يحل لأحد أن تدفعه شهوته الزائلة إلى عصيان الله والخروج على النظم الاجتماعية الصالحة التى أمر الله بها عباده على اختلاف درجاتهم ، فان من تطغى عليه شهوته وتدفعه إلى الاعتداء على الناس فى أموالهم وأرزاقهم بدون حساب كان مصيره إلى الهلاك العاجل ، والعذاب الدائم ، والحرمان من النعيم الخالد . وقوله : يطيل الرجل السفر الخ كناية عن إظهار الزهد ابتغاء رضوان الله .

٢ ـ أما كون الرسل مكلفين بعمل الصالحات كغيرهم من الأفراد فذلك مما لا نزاع فيه بل هم معصومون عن الموبقات والكبائر قبل البعثة وبعدها على الصحيح ، لأن الكبائر إما أن تكون شركا وهو أكبر الكبائر ، وإما أن تكون غيره كالقتل والزنا والسرقة ونحوها . ولا ريب فى أن الأنبياء الذين اصطفاهم الله من خلقه لا يصح أن يدنسوا بشىء من هذه القاذورات ، لا قبل البعثة ولا بعدها . أما بعد البعثة فالأمر ظاهر ، لأنهم بعثوا لإرشاد الناس ، والمرشد الذى ينصبه الله قدوة لعباده لابد أن يكون طاهراً مطهراً ، فلا ينهى الناس عن خلق قذر ثم يفعله هو ، فإن ذلك موجب لانصراف الناس عنه ، وفشله فى وظيفته التى بعثه الله من أجلها لا محالة . وأما قبل البعثة فلأن المرشد الذى له ماض شائن يحتقره الناس ولا يصغون إلى دعوته ، ويقولون له : ما شأنك وأنت منغمس فى الخصال التى تأمرنا بالكف عنها ؟ فلذا كان من الضرورى أن يعصم الله رسله الذين يعلم انه سيرسلهم كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾.

نعم : قد ورد فى القرآن ما يفيد ظاهره ان بعض الأنبياء قد عصى ربه ، ولكنها جميعها لا تخل بمقامهم الكريم ، بل هى فى الواقع صغائر صدرت منهم عفواً ، وقد مجدهم الله فى كتابه تمجيداً يدل على أن كل ما صدر منهم كان أمراً صورياً ، ومن ذلك ما قصه الله علينا من عصيان آدم حيث قال : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾. فالغواية والتوبة يدلان على أنه ارتكب كبيرة مع كونه رسولا . والجواب عن هذا ظاهر : وهو أن آدم عليه السلام فهم أن أمره بالكف عن الأكل لم يكن للوجوب ، وذلك لأن أكل الثمر من جنة ملكه الله إياها ليس نقيصة فى ذاته ، وإنما وصفه بالعصيان ، ووصف استغفار آدم بالتوبة ، لأن اللائق بمقام الأنبياء أن لا يخالفوا أمر الله تعالى ولو كان للندب ، والواقع أن آدم قد فعل ما ترتب عليه نظام الله فى الخليقة ، فكان عمله لازما لابد منه ، وإنما نهاه الله فى الظاهر للإشارة إلى أن النوع الانسانى سيكون على هذه الحال : من عصيان ربه تارة ، والرجوع إليه تارة أخرى ، وأنه سبحانه يقبل من يرجع إليه ويجتبيه ويغفر له عصيانه ، فما وقع من آدم إنما هو حكاية لصورة حقيقية لذلك النوع ، وتمثيل صادق لما سيقع منه فى حياته الدنيا ، وذلك أمر لابد منه قد سنه الله تعالى فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . فآدم وإن خالف الأمر فى الظاهر ، ولكنه فعل ما لابد منه فى الواقع ، ولذا قد امتدحه الله بعد ذلك فقال : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾

أما ما وقع من موسى عليه السلام من قتل القبطى فإنه كان خطأ لاشك فيه ، لأن الوكز باليد مرة لا يراد به القتل حتما . وعلى هذا القياس فى كل ما ورد من ذلك مما لا محل لذكره

الآن فالأنبياء مكلفـون كغيرهم . بـل كان رسـولنا الأعظم صلى الله عليه وسلم مكلفاً أكثر من امته ، فكان مفروضاً عليه قيام جزء كبير من الليل ، وكان يعبد الله اكثر من اصحابه ، حتى قال له بعض اصحابه : إنك تعبد الله اكثر منا مع أن الله قد غفر لك ما تقدم وما تأخر ، وهمّوا أن يفعلوا مثله ، فنهاهم عن ذلك ، وقال : إننى أعلمُكم بعظمة الله ، واشدكم خشية له . وذلك من اكبر العوامل الباعثة على العمل بدون مشقة ولا ملل ، فإذا قلدتمونى مللتم العمل وضعفتم عن القيام به .

٣ ـ اما المراد بالطيبات من الرزق ، فهو كل ما لم تحرم الشريعة الاستمتاع به من اكل وشرب ولبس وغيرها ، على أن تسكن إليه النفس وتطمئن به ، كما قال صلى الله عليه وسلم : البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم عكس هذا .

على أن الفقهاء قد بينوا ما يحل اكله ولبسه وشربه وبيعه وشراؤه وإجارته ونحو ذلك بياناً تاماً ، فشرحوا الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البيع والشراء والإجارة ونحوها أحسن شرح ، واجتهدوا فى فهمها اجتهاداً يدل على ما لهم من ذكاء وفطنة فى فهم معانى القول وإدراك ما يلزم لتطبيقه على أحوال الأمم ، وأبانوا ما يحل اكله وشربه وما لا يحل ، على وجه صالح مناسب للناس مع تفاوت حالهم واختلاف طبائعهم .

فأحل المالكية اكل كل شىء طاهر لا تعافه النفس ولا يضر بالبدن ، إلا بعض أشياء قد اختلفوا فيها ، منها الحمر الأهلية والخيل والبغال ، فالمشهور عندهم تحريمها لما ورد فيها بخصوصها . وبعضهم يقول : إن الحمر الأهلية والبغال مكروهة ، والخيل مباحة ، وذلك هو المشهور عندهم ، وبعض المالكية يقول : إن جميع الحشرات من الخبائث لا من الطيبات ، فلا يحل اكلها . وبالجملة ، فالمالكية توسعوا فى معنى الطيبات من الرزق ، فأحلوا كل طاهر لا يضر أو يتعلق به حق الغير ، واختلف علماؤهم فى الحشرات ونحوها . على أن الظاهر يؤيد من يقول بتحريمها لأنها من الخبائث جزماً عند ذوى العقول السليمة .

اما الحنفية فقد حرموا اكل كثير من الحيوانات قالوا إنها من الخبائث ، ومنها سباع البهائم كالسبع والنمر والضبع ونحوها ، ومنها سباع الطير كالحداة والغراب إلخ ، واحلوا اكل الخيل بدون كراهة . ومن اراد أن يعرف ذلك مفصلا فى المذاهب فليرجع إلى أول مباحث الجزء الثانى من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة .

٤ ـ كل من عرف الشريعة الاسلامية وآدابها ، ونظر إلى احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة صادقة صحيحة ، لا يسعه إلا ان يجزم بأنها مرتكزة إلى إله عليم خبير لا تخفى عليه من أحوال عباده خافية ، فقد اشتملت على كل ما فيه صلاح الانسان فى معاشه ومعاده فى جميع أطواره ، فعنيت بمحاربة الشهوات الفاسدة وطغيانها عناية عظيمة ، ووضعت لما يترتب عليها من آثار ظالمة حدوداً فاصلة واضحة ، ولم تترك نوعاً من الأنواع اللازمة لحياة المجتمع إلا وضعت له حدوداً صالحة ، وحرمت مجاوزة تلك الحدود والخروج عنها تحريماً غليظاً ، فكانت منار هداية للنوع الانسانى فى كل زمان ومكان . على أننا ذكرنا فيما مضى أن العقوبات التى وضعت فى تأديب العصاة

والمجرمين الخارجين على حدود الله تنقسم إلى اقسام ، فمنها ما هو محدود ، ومنها ما هو متروك لحالة الأمة واختلاف طبائع افرادها ، ومنها ما هو متروك للعقوبات الأخروية التى هى أشد وأنكى من عقوبات الدنيا . وهذا الحديث الذى معنا دلنا على نوع آخر من العقوبات قد يخفى أمره على كثير من الناس ، وهو أن الجرائم التى يفلت صاحبها من الحد والتعزير فى الدنيا قد لا يفلت من عقوبة الله العاجلة فى الدنيا أيضا ، فقال لنا : إن الذى يأكل الحرام ويشرب الحرام ويلبس الحرام لا يستجيب الله دعاءه فى الدنيا ، فإن أكل الحرام يترتب عليه قسوة القلب وغفلته عن عظمة خالقه ، وذلك ينافى الخضوع اللازم للدعاء .

فمن أراد أن يناجى إلهه القاهر فوق عباده يقف مستحضراً عظمته وقدرته على كل شىء ، فإنه يجب ان يكون خالياً من الاقذار التى نهاه إلهه عنها ، ولذا قال بعضهم : إن من شروط قبول الدعاء ان يكون المرء سليماً من اكل السحت ، فمن تعمد اكل الحرام أو لبس الحرام او شرب الحرام فإن ذلك يحول بينه وبين خالقه ، ومن اراد ان يقبله الله ويستجيب له فليتب من ذنوبه توبة صادقة ثم يقف بين يديه خاشعاً خاضعاً تائباً نادماً ، فإن الله تعالى يقبله ويحبه ، لأنه يحب التوابين ويحب المتطهرين .

عبد الرحمن الجزيري

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب

الوفاء فى بعض أحوال المصطفى

فى السيرة النبوية الشريفة

للإمام[1] أبو الفرج بن الجوزى[2]

إعداد وتقديم : الأستاذ محمد عميرة على

الرسالة المحمدية كانت ولا زالت أعظم حادث فى تاريخ العرب خاصة ، والبشر عامة وبدعوته صلى الله عليه وسلم بعد جهاد وابتلاء نبذ العرب إلا قليلاً منهم ما كانوا فيه من الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء . ثم برزت هذه الأمة العربية تؤدى رسالتها فى هداية البشرية وتقيم ميزان العدل بين الناس وتضرب المثل الأعلى فى علو الهمة والبطولة والإيثار والتعاون على البر والتقوى والتمسك بمكارم الأخلاق .

نستطيع أن نقول هذا مجمل ما تضمنته سيرة النبى صلى الله عليه وسلم والرعيل الأول من صحابته الذين تابعوه على الهدى ودين الحق ، وسبقوا ودونوا صحف العزة والمجد والفخار العربى بما خلدوا من أعمالهم على وجه الزمان .

وبظهور دعوته صلى الله عليه وسلم وارتقائها ظهر مورد جديد للدعوة هو أحاديث الصحابة والتابعين عن ولادته صلى الله عليه وسلم وحياته وما ملئت به هذه الحياة من جهاد فى سبيل الله ، ودعوة إلى التوحيد .

ولقد دون كثير من العلماء فى السيرة النبوية الشريفة لطرائق متعددة فى أخلاقه وصفاته ومجالسته وفى جميع مجالات حياته صلى الله عليه وسلم .

ومن علمائنا الذين كتبوا فى هذا الفن العالم عبد الرحمن[2] بن على بن محمد الجوزى

---

(١) الكتاب بمكتبة الأزهر رقم خاص ٣٦ عام ٢٤٠٢ على التاريخ .

(٢) الاعلام للزركلى حـ٤ صـ ٨٩

القرشي البغدادي أبو الفرج ،
علامة عصره في التاريخ والحديث كثير التصانيف .

ولد ببغداد سنة ٥٠٨ هـ (١١١٤م) وتوفي بها سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠١ م) ونسبته إلى « مشرعة الجوز » من محالها .

له نحو ثلاث مائة مصنف ، منها : « تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار» ، « والأذكياء وأخبارهم »، و « مناقب عمر بن عبد العزيز »، و « روح الأرواح »، و « شذور العقود في تأريخ العهود »، و « المدهش في المواعظ وغرائب الأخبار »، و « المقيم المقعد »، و « صولة العقل على الهوى »، و « الناسخ والمنسوخ »، و « تلبيس إبليس »، و « فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن ».

وقالت عنه « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان » الجزء الأول ص ٣٥٠: وكان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ وصنف في فنون عديدة .

وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد، وكَتَبَ بخطه شيئاً كثيراً والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا: إنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة ، فكان ما خص كل يوم تسع كراريس ، وهذا شيء عظيم لا يقبله العقل .
ويقال: إنه جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل منها شيء كثير وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فَكَفَتْ وفضل منها ، وله أشعار لطيفة أنشدني له بعض الفضلاء يخاطب أهل بغداد :

عذيري من فتية بالعراق قلوبهم بالجفا قلب
يرون العجيب كلام الغريب وقول القريب فلا يعجب

وله أشعار كثيرة :

وكانت له في مجالس الوعظ أجوبة نادرة فمن أحسن ما يحكى عنه أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما فرضي الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج فأقاموا شخصاً سأله عن ذلك وهو على الكرسي في مجلس وعظه .

فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته ونزل في الحال . حتى لا يراجع في ذلك .

فقال السنية : هو أبو بكر لأن ابنته عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقالت الشيعة هو : علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحته ، وهذه من لطائف الأجوبة .

والكتاب الذي نقدمه للقراء هو كتاب : « الوفا في بعض أحوال المصطفى » ضمنه مؤلفه الكلام على مرتبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم،وذكر حاله من بدايته إلى نهايته ، واثبات رسالته ، وكيفية بعثته ،

وموقع شفاعته مع ذكر فضل الصلاة عليه، ورتبه على أبواب نيفت على الخمسمائة باب .

قال فى مقدمة كتابه .

« اعلم رحمك الله أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة الوجود ، وواسطة العقود ، لا يدانى مجده بشر ولا ملك ، ولا يطرق ساحة جده مخلوق إذا سلك،نوه بذكره قبل خلق آدم . وأمر الأنبياء أن يعلموا بوجوده العالم ، ولم يبعث نبياً قبله إلى غير أمته ، وشرف هو على الكل بعموم دعوته . ونسخ كثيراً من شرائع الأنبياء بشريعته .

قال المؤلف فى الباب الأول من أبواب بداية نبينا صلى الله عليه وسلم فى ذكر النبوة من زمن آدم عليه السلام .

عن العرباض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انى عند الله لخاتم النبيين وأن آدم لمنجدل فى طينته .»

وعن ميسرة الفجر قال،قلت:يا رسول الله متى كنت نبياً .؟

قال : « وآدم بين الروح والجسد »

وقال سعيد بن جبير اختصم ولد آدم : أى الخلق أكرم على الله تعالى ؟

فقال بعضهم : آدم خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته .

وقال آخرون : بل الملائكة الذين لم يعصوا الله فذكروا ذلك لآدم فقال آدم:لما نفخ فى الروح لم تبلغ قدمى فاستويت جالسا فبرق لى العرش فنظرت فيه محمداً رسول الله فذلك أكرم الخلق على الله عز وجل .

وقال رحمه الله فى ذكر الطينة التى خلق الله منها محمداً صلى الله عليه وسلم عن كتب الأخبار :

قال : لما أراد الله تعالى أن يخلق محمداً صلى الله عليه وسلم أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه فأتاه بالقبضة البيضاء التى هى موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجنت بماء التسنيم ثم غمست فى أنهار الجنة وطيف بها فى السموات والأرض فعرفت الملائكة محمداً وفضله قبل أن يعرف آدم ثم كان نور محمد صلى الله عليه وسلم مرسلا يرى فى غرة جبهة آدم وقيل له يا آدم هذا سيد ولدك من الأنبياء والمرسلين فلما حملت حواء بشيت انتقل النور من آدم إلى حواء ، وكانت تلد فى كل بطن ولدين إلا شيتا فإنها ولدته وحده كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم لم يزل ينتقل من طاهر إلى طاهر إلى أن ولد صلى الله عليه وسلم .

وقال فى أبواب نبوته فى ذكر إمارات النبوة التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه .

قال ابن عباس : أقام النبى صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة ، سبع يرى الضوء والنور ويسمع الصوت وثمان سنين يوحى إليه .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤية الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتحنث فيه حتى يجيئه الحق .

وعن على بن أبى طالب قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها خارجاً من مكة بين الجبال والشجر فلم يمر بشجر ولا حجر ولا جبل إلا قال : « السلام عليك يا رسول الله ».

ثم تكلم عن أبواب هجرته إلى المدينة فقال فى ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار :

عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: بينا نحن جلوس فى بيت أبى بكر فى حر الظهيرة قال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها . قال أبو بكر فدا له أبى وأمى ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر ، قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل .

فقال لأبى بكر أخرج من عندك .

فقال أبو بكر إنما هم أهلك يا رسول الله .

قال :فإنى قد أذن لى فى الخروج .

فقال أبو بكر : الصحبة بأبى انت يا رسول الله .

قال : نعم .

قال : فخذ إحدى راحلتى هاتين ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن :

قالت عائشة فجهزناهما أحب الجهاز ووضعنا لهما سفرة فى جراب فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به فى فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين .

قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار فى جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش فلا يسمع أمراً يكادبه إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام .

وروى الواقدى عن أشياخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمنزل أبى بكر إلى الليل ثم خرج إلى الغار وكان خروجهما وقد تبقى من صفر ثلاث ليال .

وقال فى ذكر ما جرى بالغار رحمه الله : عن أنس أن أبا بكر حدثه قال قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار لو أن أحدهما نظر إلى قدميه لأبصرنا .

فقال : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » أخرجاه فى الصحيحين .

وعن أنس قال : لما كانت ليلة الغار قال ابو بكر : يا رسول الله دعنى أدخل قلبك فإن كان فيه شىء كان بى قبلك .

فدخل أبو بكر فجعل يتلمس بيديه فكلما رأى جحراً ألقمه قطعة من ثوبه حتى فعل ذلك بثوبه أجمع .

قال : فتبقى جحر فوضع عقبه عليه ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال له النبى صلى الله عليه وسلم اين ثوبك يا ابا بكر ؟

فأخبره بالذى صنعه فرفع النبى صلى الله عليه وسلم يديه فقال : « اللهم اجعل ابا بكر معى فى درجتى يوم القيامة » فأوحى الله تعالى إليه: قد استجيب لك .

وقال فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفضله على الأنبياء ومَثّل ما بعث به ـ

ومثل أمته ووجوب طاعته وتقديم محبته على النفوس صلى الله عليه وسلم،اعلم أن الله تعالى أنشأ النفوس مختلفة ، فمنها الغاية فى جودة الجوهرية ، ومنها الكدر وفى كل مرتبة درجات .

فالأنبياء هم الغاية خلقت أبدانهم سليمة من العيب فصلحت لحلول النفوس الكاملة ، ثم يتفاوتون فكان نبينا صلى الله عليه وسلم أصح الأنبياء مزاجاً ، وأكملهم بدناً وأصفاهم روحاً ، وبمعرفة ما تذكره من أخلاقه وصفاته نبين ذلك ، ولذلك قدمه الله عز وجل على الكل ، فمن ذلك خلق نفسه قبل أن خلق نفوسهم .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث »

وقد ذكر الشيخ فى كتابه « كيف خلقت طينته » فى أول الكتاب ومن ذلك أنه أخذ له الميثاق على الأنبياء .

فقال عز وجل : « **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ** .» فجعل الأنبياء كالأتباع له وألهمهم الانقياد فلو أدركوه وجب عليهم اتباعه .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعى »

وقد ذكره على الأنبياء فقال عز وجل : « **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ** »

وخاطب كل نبى باسمه فقال تعالى : « **يَا آدَمُ اسْكُنْ** » . « **يَا نُوحُ اهْبِطْ** » . « **يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ** » . « **يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ** » . « **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ** » ، « **يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ** » ، « **يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ** » ، « **يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ** » .

ولم يخاطب نبينا بالاسم تعظيماً له ، بل قال : « **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ** » ، « **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ** » ، فلما ذكر اسمه للتعريف قرنه باسم الرسالة فقال تعالى : « **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ** » . « **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ** » . « **وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** » .

ولما ذكره مع الخليل ذكر الخليل باسمه وذكره باللقب فقال تعالى : « **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ** » .

وأخبر الله تعالى أن الأمم كانوا يخاطبون أنبياءهم بأسمائهم كقولهم : « **يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ** » . « **يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا** » . « **يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** » . « **يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ** » .

ونهى أمته أن يخاطبوه باسمه فقال تعالى : « **لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا** » إلى آخر ما وفى به المقام فى ذكر فضائل النبى عليه الصلاة والسلام .

والنسخة فى مجلد بقلم معتاد مجدولة بالمداد الأحمر ، فى ١٨٧ ورقة ومسطرتها ٢٩ سطراً .

والله نسال ان يهدينا طريق الهداية،

والله ولى التوفيق .

محمد عميره على

فضل المساجد الثلاثة
بقية

وأما شد الرحال لزيارة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فهو من أفضل الأعمال وأجل القربات الموصلة الى ذى الجلال ، وأن مشروعية الزيارة محل اجماع بلا نزاع .

وبالأدلة السابقة يبطل قول من منع شد الرحال الى زيارة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل وغيره من قبور الصالحين والأولياء ، لأن موضوع الحديث فى عدم شد الرحال لمسجد للصلاة فيه الا لأحد المساجد الثلاثة ، لفضلها الوارد فيها لكونها مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأفضلهم اجماعا نبينا عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

لهذا قال فقهاء المذاهب : لو نذر شخص أن يصلى فى أحد هذه الثلاثة تعين بخلاف سائر المساجد ، فان من نذر أن يصلى فى احداها له أن يصلى فى آخر .

وأما دعوى تحريم شد الرحال لزيارة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ احتجاجا بهذا الحديث فهى من الخطأ والغفلة عن الفاظ أحاديث السنة الصحيحة الأخرى .

ومن أوضح الأدلة على خذلان من حرم شد الرحال لها كون المسجد النبوى ما جاءه الفضل الا بكون بانيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

واستقر جسده الشريف فيه وأن ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة وكان فيه مثواه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكان قبل ذلك موضع لتجفيف التمر وفيه قبور المشركين فَطَهُرَ بنقلها عنه فكيف ـ بالله ـ يجوز شد الرحال لهذا المكان لذاته ويمنع لزيارة سيد ولد آدم وسيد المرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين والله ولى التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه والتابعين وسلم تسليما كثيرا .

احمد حسن جابر رجب

مراجع البحث .

صحيح البخارى .
صحيح مسلم .
سنن ابى داود .
سنن الترمذى .
سنن ابن ماجه .
سنن النسائى .
مسند احمد
دليل الفالحين شرح رياض الصالحين لابن علان
زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم للشنقيطى .
فتح البارى لابن حجر .
فتاوى الشيخ الدجوى طبع الأزهر

اللغة والأدب والنقد

أسباب الإمالة

أمير الشعراء أحمد شوقي

أسباب الإمالة

وقد [١] يتركون الإمالة فيما كان على ثلاثة أحرف من بنات الواو : نحو قفا وعصا والقنا والقطا واشباههن من الأسماء .

وذلك انهم أرادوا أن يبينوا أنها مكان الواو ويفصلوا بينها وبين بنات الياء ، وهذا قليل يحفظ .

وقد قالوا : الكبا والعشا والمكا وهو جحر الضب كما فعلوا ذلك في الفعل (اي امالوا كما أمالوا في الفعل) .

والإمالة في الفعل لا تنكسر إذا قلت : غزا وصفا ودعا ، وإنما كان في الفعل متلئبا ، لأن الفعل لا يثبت على هذه الحال للمعنى ، الا ترى أنك تقول : غزا ثم تقول : غزى ـ بالبناء ـ للمجهول ـ فتدخله الياء وتغلب عليه وعدة الحروف على حالها وتقول : اغزوا فإذا قلت افعل قلت أغزى قلبت وعدة الحروف على حالها فآخر الحروف أضعف لتغيره والعدة على حالها وتخرج إلى الياء تقول : لأغزين ولا يكون ذلك في الأسماء فاذا ضعفت الواو فانها تصير إلى الباء فصارت الألف اضعف في الفعل لما يلزمها من التغيير .

فـإذا بلغت الأسماء أربعة أحرف او جاوزت من بنات الواو فالإمالة مستتبة ، لأنها قد خرجت إلى الياء ، وجميع هذا لا يميله ناس كثير من بني تميم وغيرهم .

ومما يميلون الفه كل اسم كانت في آخره الف زائدة للتأنيث أو لغير ذلك لأنها بمنزلة ما هو من بنات الياء الا ترى أنك لو قلت في معزى وحبلى فعلت على عدة الحروف لم يجيء واحد من الحرفين إلا من بنات الياء [٢] فكذلك كل شيء كان مثلهما مما يصير في تثنية

ملاحظة : سقط من نهاية المقال السابق هذه العبارة : والقنى والعصى ، ولا تفعل هذا الواو بالياء (اي لا تكون الواو سبباً في قلب الياء واواً كما كانت الياء سبباً في قلب الواو ياء (فأمالوها لما ذكرت لك ، والياء أخف عليهم من الواو فنحوا نحوها .

(١) انظر إلى قوله : وقد يتركون . وقوله : وهذا قليل يدلك على ان رايه ان عدم الإمالة في نحو عصا شاذ يحفظ ولا يقاس عليه ـ وهذا خلاف ما عليه النحويون .

(٢) يعنى انك لو قلت معزيت وحبليت كان لابد من قلب الالف ياء كما رايت ، لان كل الف في هذا الموضع لابد من قلبها ياء وإن كان أصلها الواو ، فمن باب أولى قلب الالف التي لا أصل لها ياء .

للاستاذ الدكتور
عبد العظيم على الشناوى

أو فعل ياء فلما كانت في حروف لا تكون من بنات الواو أبدا [٣] صارت عندهم بمنزلة الف رمى ونحوها .

وناس كثير لا يميلون الألف ويفتحونها في نحو حبلى ومعزى اهـ .

هذا : وتعد الألف طرفاً إن وقع بعدها تاء التأنيث نحو فتاة ، وصفاة ، وأرطاة ، وقبعثراة ، لأن تاء التأنيث في تقدير الانفصال فتكون الألف متطرفة ، فإن استحقت الإمالة أميلت .

قال ابن مالك :

ولما .. يله ها التأنيث ما الها عدما

السبب الرابع : كون الألف مبدلة من عين فعل تكسر فاؤه عند الاسناد إلى ضمائر الرفع المتحركة .

ويكون ذلك في الفعل الثلاثى المنقلبة الفه عن الياء سواء كانت مفتوحة نحو باع أم مكسسورة نحو هاب ، فانك عند الاسناد تكسر الفاء فتقول : بعت ، وهبت ـ

ويكون فى الفعل للثلاثى المنقلبة الفة عن الواو المكسورة نحو : خاف فإنك تقول : خفت عند الإسناد بكسر الفاء .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٦١) ومما يميلون الفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين إذا كان اول فعلت مكسورا (أى تكسر فاؤه عند الإسناد إلى التاء » نحوا نحو الكسرة كما نحوا نحو الياء فيما كانت الفه فى موضع الياء وهى لغة لبعض أهل الحجاز فأما العامة فلا يميلون ..

ولا يميلون ما كانت الواو فيه عينا إلا ما كان منكسر الأول (أي تكسر فاؤه عند الاسناد) .

ولا يكون ذلك إلا إذا كانت الواو مكسورة .

وذلك نحو خاف ـ تمثيل للمكسور الواو

وطاب ـ تمثيل للمفتوح الياء ، وهاب ـ تمثيل للمكسور الياء (وكل هذا تكسر فاؤه عند الاسناد) .

وبلغنا عن ابن ابي اسحاق أنه سمع كثير عزة يقول : صار بمكان كذا وكذا (أي مع الإمالة في صار) وقرأها بعضهم : خاف ـ بالإمالة ولا يميلون بنات الواو إذا كانت الواو عينا إلا ما كان على فعلت مكسور الأول ليس غيره ـ أي تكسر فاؤه عند الاسناد ـ اهـ فان لم تكسر عين الفعل عند الاسناد ، فلا يجوز

---

(٣) اي ان هذه الألف في جميع التصاريف لا تقلب واوا . كالاسناد إلى الفعل والتثنية والجمع الخ ـ ولا اعتراض بقلبها واوا في النسب ، فانهم استثقلوا قلبها ياء فرارا من اجتماع الياءات والكسر ـ ألا تراهم قلبوا نفس الياء واوا فقالوا : فتوى الخ .

أسباب الإمالة

إمالته وذلك إذا كانت الفه منقلبة عن واو غير مكسورة وذلك نحو قال وطال فان فاءهما تضم عند الاسناد ـ فنقول : قلت وطلت ، لفتح عين الأول وضم عين الثاني .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٦١) : ولا يميلون شيئاً من بنات المضموم الأول من فعلت لأنه لا كسرة ينحى نحوها ولا تشبه (٤) بنات الواو التي الواو فيهن لام ، لأن الواو هنا قوية ولا تضعف ضعفها ثمة . فلما قويت ههنا تباعدت من الياء والإمالة : وذلك قولك قام ودار . لا يميلونهما ـ اهـ

والخلاصة : أنه يجوز إمالة الألف في الفعل الثلاثي الأجوف إذا كانت هذه الالف منقلبة عن الياء مطلقا (مكسورة وغير مكسورة) أو منقلبة عن واو مكسورة فإن كانت منقلبة عن واو غير مكسورة فلا تجوز الإمالة .

وإذا ورد في فعل لغتان واوى العين كسر العين وغيره ، نحو مات ـ أملنا على لغة الكسر ولم نمل على اللغة الأخرى .

قال سيبوية : وقالوا : مات ـ بالإمالة ـ وهم الذين يقولون : مت ـ بكسر الفاء ـ وهم الذين يكسرون العين ويقولون : مات يمات أما من قال : مات يموت فلا يميل ، لأن العين مفتوحة في الماضي وذلك عند الاسناد يقول : مت بضم الميم .

فإن كانت الألف مبدلة من عين اسم .

فذهب بعضهم إلى عدم جواز إمالتها إلا لسبب آخر كأن يقع كسر قبلها أو بعدها .

وفصل بعضهم كالزمخشري والرضى فقال : إن كانت الألف مبدلة من ياء جازت الإمالة نحو : ناب وغاب ، وعاب ، وإن كانت مبدلة من الواو لا تجوز الامالة نحو : دار وباب ، وأجاز بعضهم إمالة المبدلة من الواو المكسورة وذلك نحو رجل مال ، وكبش صاف أصلهما مول وصوف بكسر الواو .

والظاهر هو الرأى الأول ـ وعليه سيبويه قال : (جـ ٢ ص ٢٦١) ومما يميلون الفه قولهم : مررت ببابه ، وأخذت من ماله هذا في موضع الجر شبهوه بفاعل نحو كاتب ومساجد (أي أن سبب الامالة الكسرة التي بعد الألف) والإمالة في هذا أضعف ، لأن الكسرة لا تلزم (لأنها حركة إعرابية) .

وسمعناهم يقولون : من أهل عاد (بالإمالة) فأما في موضع الرفع والنصب (٥) فلا تكون (إمالة) كما لا تكون في أجر وتابل .(٦)

السبب الخامس : الإمالة للإمالة .

وهى على ضربين :

أحدهما : أن تمال فتحة في كلمة لإمالة فتحة في تلك الكلمة ، أو فيما هو كالجزء لتلك الكلمة .

فالأول : نحو رأيت عماداً أميلت فتحة الدال وقفا : لإمالة فتحة الميم وجاز ذلك وإن كان الألف الف تنوين : لأن الأواخر محل التغيير ، ولبيان الألف وقفا .

---

(٤) اي لم تاخذ حكم الواو الواقعة لا ما في جواز الإمالة فانها لا تمال في نحو قال وتمال في نحو غزا ، قال لان اللام في نحو قال قوية بدليل ثبوتها في بعض التصاريف فيقال : قاوم مثلا اما الواو في نحو غزا فضعيفة لأن الواو غير ثابتة فيها .

(٥) اذا كان نحو باب ومال في موضع نصب او رفع فلا تجوز إمالته نحو فتحت بابا ، وهذا ماله .

(٦) التابل بفتح الباء وكسرها ابزار الطعام والمراد هنا مفتوح الباء لانه الذي لا يجوز إمالته .

والثانى : أي إمالة فتحة في كلمة لإمالة فتحة فيما هو كجزء الكلمة - نحو قولك : معزانا ، أملت فتحة نون « نا » لإمالة فتحة الزاى ، وجاز ذلك وان كانت «نا » كلمة براسها ، لكونها ضميرا متصلا ، ولكون الألف في الآخر وهو محل التغيير ، ولم يمل الف مال في ذا مال لكونه وسطا ولكون مال كلمة منفصلة لا كجزء الأول بخلاف « نا » في معزانا اهـ .

الرضى في الشافية جـ ٣ ص ١٤

قال سيبويه : وقال ناس رأيت عماداً ، فأمالوا للإمالة كما أمالوا للكسرة (جـ ٢ ٢٦٢) .

وقال : وقالوا : معزانا في قول من قال : عمادا فأمالهما جميعاً ، وذا قياس - أي إمالة الألفين في معزانا وفي عمادا (جـ ٢ ص ٢٦٣) .

وقال : ولم يقولوا : ذا مال يريدون ذا التي في هذا (أي التي للإشارة) لأن الألف اذا لم تكن طرفا شبهت بألف فاعل وتقول عمادا تميل الألف الثانية لامالة الأولى . ا هـ (جـ ٢ ص ٢٦٢)

قال السيرافي (وقوله ولم يقولوا ذا مال) يريد أنهم لم يميلوا الألف في مال إذا أمالوا الألف فى ذا ، ولم يجعلوه بمنزلة عمادا لأن الألف الثانية في عمادا طرف وليست في مال طرفا فشبهت ألف مال بألف فاعل فلم تمل فاعرف ذلك - ا هـ

والضرب الثاني : ان تمال فتحة في كلمة لامالة مثل تلك الفتحة في نظير تلك الكلمة في الفواصل كقوله تعالى والضحى أميل ليزاوج « قلى » ، وسهل ذلك كونه فى أواخر الكلام ومواضع الوقف .

إمالة الف التنوين

قال سيبويه (جـ ٢ ص٢٦١) : وقالوا : رأيتُ زيدا فأمالوا كما فعلوا ذلك بغيلان (وسبب الامالة فيهما وجود الياء قبل الألف) ، والامالة في زيد أضعف ، لأنه يدخلها الرفع - أي لأن الفه ليست بلازمة لزوم ألف غيلان - ولا يقولون : رايت عبدا فيميلون، لأنه ليست فيه ياء كما أنك لا تميل الف كسلان ، لأنه ليست فيه ياء - اهـ .

موانع الامالة

الذي يمنع الامالة ثمانية أحرف - وهي الراء .

وحروف الاستعلاء السبعة . وهى الخاء والغين والصاد والضاد والطاء والظاء والقاف ويجمعها قولك : « خص ضغط قظ » .

وإنما منعت حروف الاستعلاء الإمالة طلبا للتجانس - كما كانت الإمالة ايضا طلبا للتجانس .

لأن هذه تستعلى إلى الحنك فلو أميلت الألف بعدها لانحدرت بعد إصعاد ولوأميلت الألف قبلها لحصل صعود بعد انحدار ، وكلاهما شاق لكن الصعود بعد الإنحدار أشق فلذلك كانت هذه الأحرف بعد الألف أقوى فى منع الإمالة كما سيجىء .

قال سيبويه « جـ ٢ ص ٢٦٥ » : فالانحدار أخف عليهم من الإصعاد - الا تراهم قالوا : صبقت وصقت وصويق « أى قلبوا السين صادا » لما كان يثقل عليهم أن يكونوا فى حال تسفل ثم يصعدون السنتهم ارادوا أن يكونوا فى حال استعلاء وأن لايعملوا فى الإصعاد بعد

أسباب الإمالة

التسفل فأرادوا أن تقع ألسنتهم موقعا واحدا ، وقالوا قسوت وقست فلم يحولوا السين لأنهم انحدروا فكان الانحدار أخف عليهم من « ٧ » الاستعلاء من أن يصعدوا من حال التسفل ا . هـ

شروط المنع

وشرط المنع بحرف الاستعلاء المتقدم أن يكون متصلا بالألف ـ قال سيبويه « جـ ٢ ص ٢٦٤ »

وذلك قولك : قاعد وغائب وخامد وصاعد وطائف وضامن وظالم ـ ثم علل لعدم الإمالة بنحو ما ذكرناه آنفا ثم قال : ولا نعلم أحداً يميل هذه الألف إلا من لا يؤخذ بلغته .

أو يكون منفصلا بحرف نحو غنائم وقبائل وطوائف إلخ . لأن الفصل بحرف كلا فصل بشرط أن لايكون مكسورا نحو غلاب وصعاب إلخ وأن لايكون ساكنا بعد كسر نحو مطواع ومصباح ـ وبعض ما يميل في نحو مفتاح يجعل حرف الاستعلاء الساكن بعد كسر مانعا من الإمالة .
قال سيبويه (جـ٢ ص ٢٦٥) :

فإذا كان حرف من هذه الحروف قبل الألف بحرف وكان مكسورا فإنه لا يمنع الألف من الإمالة وليس بمنزلة ما يكون بعد الألف (فإنه يمنع وإن كان مكسورا كما سيجيء) لأنهم يضعون ألسنتهم في موضع المستعلية ثم يصوبون ألسنتهم فالانحدار أخف عليهم من الإصعاد .. وذلك قولهم .

الضعاف[٨] والصعاب والطناب والصفاف والقباب والقفاف والخباث ، والغلاب ، وهو في معنى المغالبة من قولك غالبته غلابا وكذلك الظاء (نحو ظلال) ولا يكون ذلك[٩] في قائم وقوائم . لأنه جاء الحرف المستعلي مفتوحا فلما كانت الفتحة تمنع الألف الإمالة في عذاب وتابل كان الحرف المستعلي مع الفتحة أغلب إذ كانت الفتحة تمنع الإمالة ، فلما اجتمعا قويا على الكسرة[١٠] .

وإذا كان أول الحرف مكسورا وبين الكسرة والألف حرفان أحدهما ساكن والساكن أحد هذه الحروف فإن الإمالة تدخل الألف ، لأنك كنت ستميل لو لم يدخل الساكن للكسرة . فلما كان قبل الألف بحرف من حرف تمال معه الألف (وهو الحرف المكسور قبله) صار كأنه هو المكسور وصار بمنزلة القاف في قفاف ـ وذلك قولهم : ناقة مقلات (لا يعيش لها ولد) والمصباح والمطعان وكذلك سائر هذه الحروف .

وبعض ما يميل نحو قفاف ويميل ألف مفعال وليس فيها شيء من حروف الاستعلاء نحو شملال لا يميل الألف في مصباح ونحوه لأن حرف الاستعلاء جاء ساكنا غير مكسور وبعده الفتح فلما جاء مسكنا تليه الفتحة صار بمنزلته لو كان متحركا بعده الألف وصار بمنزلة القاف في

---

(٧) الجار والمجرور متعلق بالانحدار ـ أى كان الانحدار من الاستعلاء أخف عليهم من الصعود من التسفل .
(٨) أى بالإمالة في الجميع .
(٩) أى عدم منع الإمالة .
(١٠) قال الراضى : ولم يذكر سيبويه في مثل غلاب ترك الإمالة ـ وهذا حق كما ذكرنا ثم قال وذكر غير سيبويه انه ذهب بعضهم إلى امتناع الإمالة لأجل حروف الاستعلاء وإن كانت مكسورة قالوا : وهو قليل ، والإمالة أكثر .

قوائم . وكلاهما عربى له مذهب وتقول رأيت قزحا . وهو أبزار القدر - وأتيت ضمنا فتميل ، وهما ههنا بمنزلتهما فى صفاف وقفاف ، وتقول رأيت عرقا ورأيت ملغا - أحمق يتكلم بالفحش - فلا تميل ، لأنهما لمنزلتهما فى غانم . والقاف بمنزلتها فى قائم(١١) اهـ.

قال الرضى : وبعضهم يقول : رأيت عرقا فيميل مع القاف تشبيها له بفعلى كالوسطى . وذلك فى حيز الشذوذ ، لأن ألف التنوين إمالتها قليلة فكيف مع المستعلى فى عرقا ؟

والخلاصة : أن حرف الاستعلاء يمنع الألف من الإمالة إن كان متصلا بها كقاسم أو منفصلا(١٢) بحرف بشرط أن لا يكون مكسوراً ، ولا ساكنا بعد كسر : نحو قبائل فإن كان مكسوراً نحو غلاب أو ساكنا بعد كسر نحو مصباح جازت الإمالة ، وبعضهم لا يميل فى نحو مصباح أما إذا كان حرف الاستعلاء متأخراً فشرط منعه لإمالة الألف أن يكون متصلا بالألف نحو ناقد وعاصم الخ ..

أو أن يكون بينه وبين الألف حرف نحو ناهض ونابغ الخ .
ولا يميل الألف فيما ذكرناه من الصورتين إلا من لا يعتد بلغته .

قال سيبويه (جـ٢ ص ٢٦٤) :
وكذلك (تمنع الإمالة إذا كان الحرف من هذه الحروف بعد ألف تليها وذلك قولك : ناقد وعاطش وعاصم وعاضد وعاظل(١٣) وناخل وواغل ....
وكذلك إن كانت بعد الألف بحرف وذلك قولك : نافخ ونابغ ونافق وشاحط(١٤) وعالط وناهض وناشط ... واعلم أن هذه الألفات لا يميلها أحد إلا من لا يؤخذ بلغته ؛ لأنها إذا كانت مما ينصب (لا يمال) فى غير هذه الحروف لزمها النصب (عدم الإمالة) فلم يفارقها فى هذه الحروف إذ كان يدخلها مع غير هذه الحروف(١٥) اهـ.

أما إذا كان الفاصل بين الألف وحرف الاستعلاء حرفين نحو منافيخ : فأكثر المميلين يمنعون الإمالة وقليل منهم يميلون لتراخى الاستعلاء .

قال سيبويه (جـ٢ ص ٢٦٥) : وكذلك إن كان شيء من حروف الاستعلاء بعد الألف بحرفين وذلك قولك : مناشيط ومنافيخ ومعاليق ومقاريض ومواعيظ ومباليغ ، ولم يمنع الحرفان النصب - (أى أنهم لم يميلوا : لوجود حرف الاستعلاء مع كونه مفصولا بحرفين) - .
وقد قال قوم : المناشيط فأمالوا حين تراخت وهى قليلة - اهـ.

واعلم أن حرف الاستعلاء إذا كان من كلمة أخرى لم يمنع الإمالة إلا فيما أميل لكسرة عارضة نحو بمال قاسم ، أو فيما أميل من الألفات التى هى صلات الضمائر نحو : أراد أن يضربها قبل ، وإنما أثر حرف الاستعلاء فمنع

---

(١١) إنما جازت الإمالة فى نحو قزحا لوجود الفصل بين حرف الاستعلاء والألف بحرفين مع كسر القاف - ولم تجز فى نحو عرقا ، لأن حرف الاستعلاء متصل بالألف : كما هو ظاهر .

(١٢) فإن كان منفصلا بحرفين فلا يمنع الإمالة مطلقا مكسورا أو غير مكسور .

(١٣) عظلت الكلاب عنصر وسمع ركب بعضها بعضا ، والواغل : الداخل على القوم فى طعامهم وشرابهم .

(١٤) الشاحط البعيد ، والعالط . الذى يسم الناقة فى عنقها .

(١٥) أى إذا كانت الإمالة يجوز تركها بدون حروف الاستعلاء فهى من حروف الاستعلاء يجب تركها .

أسباب الإمالة

الإمالة مع كونه مفصولا ، لضعف الإمالة فيما ذكرناه من الصورتين ، وهذا هو رأى سيبوية المؤيد بالسماع فلا ينبغى الأخذ بغيره[16] ـ قال رحمه الله ـ (جـ٢ ص ٢٦٦) .

وقال بعضهم : مررت بمال قاسم ، ومررت بمال ملق ، ومررت بمال ينقل ، ففتح هذا كله (أى لم يمل الألف) وقالوا : مررت بمال زيد ـ بالإمالة ـ فإنما فتح الأول للقاف، شبه ذلك بعاقد وناعق ومناشيط .

وقال بعضهم : بمال قاسم (فأمال الألف من مال) ففرق بين المنفصل والمتصل ولم يقو ـ حرف الاستعلاء ـ على النصب (منع الإمالة) إذا كان منفصلا .

وسمعناهم يقولون[17] : يريد أن يضربها زيد ، ومنازيد (بالإمالة) فلما جاءوا بالقاف فى هذا النحو نصبوا فقالوا : أراد أن يضربها قاسم ، ومنا فضل ، وأراد أن يعلمها ملق[18] ، وأراد أن يضربها سملق ، وأراد أن يضربها ينقل ، وأراد أن يضربنا بسوط ، نصبوا لهذه المستعلية وغلبت كما غلبت فى المناشيط

ونحوها .. ثم بين أن حرف الاستعلاء المنفصل لا يؤثر فى منع إمالة نحو عماد قاسم ؛ لأن سبب الإمالة هنا (وهو كسرة عين عماد) لازم أبدا أما كسرة اللام فى نحو بمال قاسم فهى حركة عارضة تزول بزوال حرف الجر ، وكذلك صلات الضمائر (الفاتها) عرضة للزوال عند التقاء الساكنين ، فقال :

وقالوا : هذا عماد قاسم ، وهذا عالم قاسم ، ونعمى قاسم فأمالوا ، فلم يكن عندهم بمنزلة المال ومتاع وعجلان (فإن هذه الكلمات لا تمال الفاتها إلا إذا دخل عليها جار نحو : بمال وبمتاع ، وبعجلان) وذلك ان المال آخره يتغير ، وإنما يمال فى الجر فى لغة من امال ، فإن تغير آخره عن الجر نصبت الفه . والذى امال له الألف فى عماد وعابد ونحوهما مما لا يتغير ، فإمالة هذا ابدا لازمة ، فلما قويت هذه القوة ، لم يقو عليها المنفصل ، وقالوا لم يضربها الذى تعلم فلم يميلوا ، لأن الألف قد ذهبت ولم يجعلوها بمنزلة الف حبلى ومرمى ونحوهما اهـ .

يتبع

د . عبد العظيم على الشناوى

---

(١٦) راجع التوضيح لابن هشام لتدرك من مناقشته لرأى ابن مالك انهما لم يطلعا على كتاب سيبويه : وأن ما نسبه ابن هشام لابن عصفور وغيره من النحويين هو رأى سيبويه الذى ذكرناه .

(١٧) هذا هو الموضع الثانى الذى يمنع إمالته حرف الاستعلاء المنفصل .

(١٨) الملق بزنة فرح : المتملق ، والسملق كجعفر القاع الصفصف : المستوى من الأرض .

قراءات فى عيون الأدب

للاستاذ عبد الحميد عثمان البهى

ابتدرنى ابنى قائلا : « ان هناك أمرا يحيرنى بل أكاد لا أصدق ماسمعته عنه » .

قلت فى ابتسامة حانية : « دعنى أعرف أولا مايحيرك ، فربما أستطيع أن أجلوه لك ، لتعرف جانب الصواب فيه ، ونواحى المبالغة عنه » .

وابنى شاب فى مقتبل العمر فى المرحلة الجامعية ، خطواته جادة متزنة ، وفكره يسبق عمره .

وكان مايحيره هو ذلك الشعر العذرى الذى لايكاد يصدق عنه ماقيل فيه من مثاليات عاطفية يغنى فيها ومن أجلها المحبون من شعراء ذلك العصر الأموى ، فهو يرى فى كل تلك الأمور مبالغات حاكتها أقلام مؤرخى الأدب سعيا وراء التسلية والاثارة وترجية الوقت لمحبى هذا اللون من الخيال الجامح والعواطف المشبوبة .

وابنى وأترابه من فتيان هذا الجيل لهم كل العذر ، فهم يعيشون الآن فى عالم مادى اختفت فيه أوكادت مثاليات العفاف والوفاء والاخلاص ، فقد ضاقت فيه سبل الحياة ، وعز على الشاب أن يكمل نصف دينه لأسباب لاتكاد تخفى على كل حاذق أرب .. واعتدلت فى جلستى ، ونظرت اليه فى اشفاق وقلت : « اليك يابنى ماقد يزيل الغموض ويفتح أمام فكرك آفاقا جديدة للمعرفة .

ربما يكون هناك لون من المبالغة فيما سمعته عن هؤلاء العذريين وشعرهم ، ولكن الذى لامراء فيه هو أن قصصهم واقعية ، ومشاعرهم كانت صادقة جياشة بشتى الانفعالات والآلام والآمال ، وهى فى جملتها ترجمة حقيقية لظروف عصرهم وحياتهم وعقيدتهم .

المتيمون :

ولكن الخطأ كل الخطأ فيما يعتقده البعض من أن هذا الحب العفيف لم يظهر الا فى عصر بنى أمية ، وبين شعراء قبيلة عذرة ، وفتيانها على وجه الخصوص . لأن الحب وجد منذ بدء الخليقة .

◄

وأبطال هذا اللون من الحب كثير وقد سمى شعراؤه الجاهليون « بالمتيمين » تمييزا لهم من سائر الشعراء العشاق الذين أتوا بعدهم وأطلق عليهم أسم « العذريين » •

وقد ربط رواة الأدب العربى بين كل متيم وصاحبته التى عرف بها فالمرقش الاكبر وأسماء ، وعمرو بن كعب بن النعمان وعقيلة ، وعبد الله بن العجلان وهند ، وقيس بن الحدادية ونعم ، وغيرهم وأشهرهم ذكرا عنترة وعبلة •

فصفات العفة والوفاء غير مقصورة على العذريين من الغزلين بل عامة عند الغزليين منذ الجاهلية • فقد كانت المرأة مطلوبة والشاعر خاضع لسلطان حبها ، راغب متماوت فى وصالها ، وكانوا يعدون ذلك دليل كرم الطبع عند العرب وغيرتها على الحرم •

البيئة العربية وأثرها :

حقا كانت البيئة العربية ذات أثر فى احلال المرأة العربية هذه المكانة منذ العصر الجاهلى، اذ البيئة بما حفلت به من جمال رتيب ، فالليل مرصع بالنجوم ، والسماء زرقاء صافية ، والبساط الأصفر يزين الأرض على امتداد مرمى البصر •• وبما دفعت اليه من شظف العيش وجهده ، وبما استلزمته من تعاون قبلى •• خلقت من العربى فارسا يعتد بالبطولة والوفاء وحماية الجار والشهامة والنجدة والاعتداد بالنفس ، ومن شيم فارس هذا شأنه أن يكون صادق العاطفة فى حبه ، يرى فى خضوعه لحبيبته ، وفى المخاطرة فى سبيلها وحمايتها مظهرا من مظاهر رجولته لاضعف فيه ولاخور •

وكان طبيعيا أن تشغل المرأة فراغ ذلك المجتمع البدوى الذى تعوزه كثير من المتع وألوان الفنون التى تألفها المجتمعات المتحضرة، ولهذا كانت المرأة محور حديثهم ومتجه أفكارهم •

وكما يقول ستاندال الفرنسى : « انما يبحث عن الحب الحق ووطنه الأصيل تحت خيام البدوى الدكناء » •

وفى أدب الفروسية نجد اليأس والجلد والمثابرة والحمية متجاورة مع الدماثة والرقة والخضوع والمذلة لسلطان العاطفة • والجانبان لايتناقضان فى نفس الفارس ، ولكن يتكاملان، وهذا هو الأعم الأغلب فى روح الفروسية فى الآداب العالمية • وأصدق مثل لذلك فى الأدب العربى قول جعفر بن علبة الحارثى :

هواى مع الركب اليمانين (١) مصعد (٢)
جنيب (٣) ، وجثمانى بمكة موثق
عجبت لمسراها ، وأنى تخلصت
الى وباب السجن دونى مغلق
(٤) ألمت فحيت ثم قامت فودعت
فلما تولت كادت النفس تزهق
فلا تحسبى أنى تخشعت بعدكم
لشىء ولا أنى من الموت أفرق
ولكن عرتنى من هواك (٥) ضمانة

---

(١) اليمانون : المنسوبون الى اليمن •
(٢) المصعد : المبعد •
(٣) جنيب : مجنوب مستتبع •
(٤) ألمت : زارت •
(٥) الضمانة : الزمانة ، يقول : عرانى بسبب هواك ضعف واعياء عن النهوض كما يفعل الشيخ الزمن عند القيام •

كما كنت القى منـك اذ أنـا مطلـق

ففى هذه الأبيات نرى روح الشاعر العربى فى شطريها ، فالى جلده واستهانته بالقيد واستخفافه بالخاطر ، تتجلى الصبابة وأثر الوجد والخضوع التام لمن يحب .

وليس معنى ذلك أن الغزل العفيف هو الذى ساد العصر الجاهلى وحده ، فكل من يقرأ الغزل الجاهلى ، ويتتبع الحياة الاجتماعية فى هذا العصر يستطيع أن يتبين اتجاهين أساسيين من اتجاهات الحب : الاتجاه الحسى الذى تتعدد فيه المعشوقات ، والاتجاه الروحى الذى تتوحد فيه المحبوبة ، وسمى أصحابه بالمتيمين .

قصص المتيمين :

وقصص هؤلاء المتيمين لاتكاد تختلف بين عاشقين وعاشقين الا فىالتفاصيل، أما الصورة العامة فهى هى : شابيحب ابنة عمه فى أكثر الأحيان ، وقد يحب فتاة من غير قبيلته فى بعض الأحيان ، ثم يطلب يدها من أهلها فتقف عقبة من العقبات فى طريقه وقد يتحقق أمله ثم تنشأ عقبات تفرق بينهما فيعيش بقية حياته وقد سيطر عليه خيال محبوبته سيطرة لا يملك معها خلاصا أو فكاكا ، فلا يجد أمامه الا الشعر يتنفس فيه ملء صدره ليخفف عن نفسه بعض ما تنوء به من الحرمان اليائس الذى يعانيه ، والخيال الواهم الذى يعيش فيه ، والأمل الحالم الذى يعيش له ، والاحزان السود التى تستبد به ، والحنين الجارف الذى يملا عليه أرجاء نفسه ، ووسط هذا الخضم المتلاطم من الآمال والآلام تقوده الحياة وكأنه ضائع ، لا يدفعه شعوره بالحرمان واليأس الى السلو والنسيان أو التماس السعادة فى حب جديد ، لأنه يرى فى محبوبته مثله الأعلى فى الحياة . واذا كان الواقع قد حال بينهما ، ففى عالم الأحلام والأوهام مجال لحياة لا يحول بينهما حائل ، ولا تملك أية قوة فى الأرض أن تفرق بينهما .

ثم تكون النهاية مأساة حزينة فى أكثر الأحيان ، نرى فيها العاشق مشردا فى الصحراء ، أو نراه وقد استبد به الحب وسيطر على مشاعره حتى اضطربت أعصابه واختلط عقله ، أو نراه معتلا مدنفا أضناه الوجد ، وأسقمه الحنين ، وأذواه الحرمان .

وقد تكون النهاية فى بعض الأحيان على غير هذه الصورة الحزينة ، نرى فيها العاشق وقد تمالك نفسه بعد ضياع الأمل من يديه ، واستطاع أن يتجلد للصدمة ، ولكن خيال محبوبته البعيدة لا يفارقه ، وذكريات حبها تعيش معه فى قلبه الذى بين جنبيه ، يداريها حينا ، ويصرح بها فى أكثر الأحيان شعرا يفيض حزنا ، ويقطر لوعة ، ويسيل دموعا ، ويذوب حسرات ، ثم ينتهى الأجل المكتوب ، ويسدل الستار على المأساة الحزينة الباكية ..

المرقش الأكبر وأسماء :

وعلى هذه الصورة الباكية كانت مأساة المرقش الأكبر وأسماء ، وهما من بكر بن وائل، فقد أحب المرقش ابنة عمه أسماء وهى صغيرة ، وأحبته ، ونما الحب فى قلبيهما ، ثم خطبها الى أبيها ، فأخذ يماطله ، ولعله لم يكن يراه كفؤا لا بنته ، اذ يذكر الرواة أنه قال له :

« لا أزوجك حتى تعرف بالباس ، وتزور الملوك » .

وكان أبوها عوف بن مالك من فرسان بكر المعدودين ، وكذلك كان أخوه عمرو بن مالك ، وهو الذى أسر مهلهل بن ربيعة أخا كليب فظل فى أسره حتى مات .

وانطلق المرقش يبنى مستقبله ، ويرفع من شأنه ، ثم عاد الى وطنه بعد سنين ليفاجأ بنبأ وفاة ابنة عمه ، ودلوه على قبر قالوا له : انه قبرها .

وارتبطت أيامه بهذا القبر يندب عنده حظه ويذوب كمدا وحزنا فوق أحجاره الصامتة ، ثم تكون المفاجأة المذهلة حقا !! لقد ترامى الى سمعه أن أسماء لم تمت ، وانما تزوجها أحد سادة مراد الأثرياء فى أثناء غيبته بعد أن أطمع أباها فى ماله الكثير ، وقد افتعل اخوته نبأ موتها ليخفوا عنه الحقيقة المرة ، ويتفادوا ما تجره وراءها من أحداث .

وينطلق المرقش الى ديار مراد فى صحبة عبدين له ، ولكن داء عضالا يحل به فى الطريق، ويظن العبدان وفاته فيتركانه فى كهف بأرض مراد ، ويعودان الى أهله ليعلنا أنه قد مات . ويكتشف أخ له الحقيقة ، فيقتل العبدين ، ثم يعلم أن المرقش قد حمل الى أسماء ، فقد وردت على الكهف غنم عرف المرقش من راعيها أنها غنم المرادى زوج أسماء ، فاحتال على الراعى حتى طرح خاتمه فى اللبن الذى تحمله الى أسماء جارتها كل مساء ، وتعرف أسماء خاتم حبيبها القديم ، وتعرف من الراعى موضعه بالكهف ، وأنه تركه يعانى سكرات الموت ، فتسرع هى وزوجها اليه ليعودا به الى بيتهما .

وفى أرض مراد حيث استقرت حبيبته يلفظ المرقش أنفاسه الاخيرة ، بعد أن يودع الحياة بأبيات من الشعر

يقول مصورا حيرته النفسية ،

أغالبك القلب اللجوح صبابة
وشوقا الى أسماء أم أنت غالبه
يهيم ولا يعيا بأسماء قلبه
كذاك الهوى امراره (١) وعواقبه
وأسماءهم النفس ان كنت عالما
وبادى أحاديث الفؤاد وغائبه
اذا ذكرتها النفس ظلت كأننى
يزعزعنى قفقاف (٢) ورد (٣) وصالبه (٤)

فهو محير القلب فى حبها ، يعانى من ذلك الصراع الحاد العنيف الذى يعانى منه كل عاشق من المتيمين ، لقد أصبحت أسماء كل شىء فى حياته، انها أمله الذى يرتجيه، ونجوى فؤاده التى يعيش معها، وانه ليذكرها فيضطرب جسده وتأخذه الرعدة من كل أطرافه ، كأنما مسته حمى شديدة ، انها نار تحرق جوانحه ، ولكنه مع ذلك يحبها ، ولا يستطيع نسيانها أو السلو عنها ، لقد غلبه حبها وانتصر عليه فى ذلك الصراع المستعر بين عقله وقلبه، وهو صراع ليست له دائما سوى نتيجة واحدة هى غلبة القلب وانتصاره ، ووقوف العاشق عاجزا أمام سهام الحب تنهال عليه من كل جانب فلا يملك لها دفعا ، ولا ردا .

عمرو بن كعب بن النعمان وعقيلة :

وعلى نفس الصورة كانت مأساة عمرو بن

---

(١) امرار الهوى : مرارته أو شدته .
(٢) القفقاف : الرعشة .
(٣) الورد ، بكسر الواو : الحمى
(٤) الصالب : شدة الحرارة مع رعدة .

كعب وابنة عمه عقيلة ، فقد نشأ معها فى بيت أبيها بعد وفاة أبيه ، وحين خطبها استصغر عمه شأنه ، وطلب منه مهرا أعجزه ، فلجأ الى برويز بن كسرى فأعانه ، ولكن عمه زوج عقيلة الى أحد سادة بنى فزارة ، فيصاب بصدمة لاتقوى على احتمالها أعصابه ، ويهيم على وجهه فى تيه الصحراء حيث يقضى نحبه .

وتعيش عقيلة عذراء فى بيت زوجها ، ذاهلة عما حولها ... فتنهار أعصاب الزوج وينطلق صوب الصحراء ، فلايدرى أين ذهب .

وتعود عقيلة الى بيت أبيها حيث تفترسها العلل والأمراض الى أن تلحق بحبيبها .

ويصور لنا عمرو بن كعب محنته ودموعه التى تنزل مدرارا حزنا على فراق محبوبته :

اذا جن ليل فاضت العين أدمعا
على الخد كالغدران أو كالسحائب
وما أسفى الاعلى ذوب مهجتى
ولم أدر يوما كيف حال الحبائب

عبد الله بن العجلان وهند :

وينتسب عبد الله وهند الى بطن نهد من قضاعة ، والتقى عبد الله وهند عند بعض المياه ، فرشق سهم الحب قلبه ، ثم ذهب الى أبيها خاطبا ، وتزوجا ، ولكن النعيم لايلبث أن يتهدده الخطر ، فهند عاقر لاتلد ، وألح الأب على ابنه أن يتركها ليتزوج غيرها ، لأنه كان وحيد ولديه ، وكان أبوه ذامال وفير يخشى عليه من الضياع ، ومازال الأب يلح ويضغط حتى استجاب عبد الله وانفصل عن هند .

ورحلت هند حيث تزوجت فى بنى نمير .. ثم ندم عبد الله أشد الندم وصار يبكى حظه العاثر ، وفردوسه المفقود ، وهيهات أن ينفع الندم أو تجدى الدموع .. وقد رفض الزواج من غيرها .. ثم أخذ يذوى ويذبل حتى فاضت روحه .

وقد صور لنا ابن العجلان أثر سهام الحب التى أدمت قلبه ، فقد أصبح أسير الهوى مستسلما ، وقد كان عالى الهمة ، شديد البأس قوى الارادة .

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة
اذا شئت لمسا للسماء لمستها
أتتنى سهام من لحاظ فأرشقت
بقلبى ، ولو أستطيع ردا رددتها

قيس بن الحدادية ونعم :

ولاتكاد تختلف كثيرا مأساة قيس ونعم عن غيرها من شهداء ذلك الحب العنيف ، وذلك العالم المثالى الذى خلقه هؤلاء المحبون لأنفسهم فعاشوا فيه وله ، متبتلين فى محرابه ، قبلتهم ديار المحبوبة ، وصلاتهم وخشوعهم لذلك العالم الشفيف المجنح يهيمون فى واديه ، ويحلقون فى سمائه .

فابن الحدادية يصور لنا آلامه فى بعده عن محبوبته ، وكان قلبه قد وقع بين شقين من عصا ، يضغطان عليه حتى يلفظ أنفاسه .

كأن فؤادى بين شقين من عصا
حذار وقوع البين ، والبين واقع

ويعتبر قيس الحياة كالعدم تماما ، طالما هو بعيد عن هذه المحبوبة .

فليت المنايا صبحتنى غدية
بذبح ولم أسمع لبين مناديا

وقد أيقنت نفسى عشية فارقوا
بأسفل وادى الدوح أن لاتلاقيا
اذا ما طواك الدهر يا أم مالك
فشأن المنايا القاصرات وشانيا

ومع ذلك كان قيـــس يتأرجح بين اليأس والأمل ويتطلع الى لقاء المحبوبة يوما ما .. فهو محافظ على الود قائم عليه .

وانى لعهـــد الـــود راع واننى
بوصلك ـ ما لم يطونى الموت ـ طامع

عنترة وعبلة :

وقصة عنترة لها بين قصص المتيمين مكانة خاصة ، فعنترة ذلك البطل الاسود المغوار ، الذى تخطى طريق العبودية ، وتسـنم ذروة السيادة والشرف ،وأصبح فارس عبس وحاميها قد نزر نفسه لأمرين : فروسيته التى يعتز بها، وحب عبلة الذى يعيش بين جوانحه .

وصار شعره قيثارة يوقع عليها أنغام تلك الفروسية ، ويضرب على أوتارها ألحان ذلك الحب الرقيق .

وشأن عنترة شأن كل المتيمين ، فقـــد أراد أن يعيش فى كنف من يحب ، وأن يصنع لنفسه واحة جديدة نبعها ذلك الحب الصافى ، ودوحها تلك المشاعر الفياضة .

ولكن العقبات تقف بينه وبين من يحب ، فقد رفض مالك بن شداد عنترة زوجا لابنته ، فهو لم يكن ليرضى بغير دم الاحرار نسبا ، وعنترة تجرى فى عروقه دماء العبودية ، فهو ابن أمة ، وان كان فارس القبيلة وحاميها .

وطلب مالك لابنته ألفا من النوق العصافير ، وارتضى عنترة أن يرتحل طلبا لمهر عبلة ... فقطع الفيافى والقفار الى ديار النعمـــان ابن المنذر .. ثم وقع فى أسر الملك ، ولكن الملك أعجب بشجاعه الفارس الاسود فمنحه ما كان يسعى اليه ... ثم عاد عنترة بعد سنوات طوال ، وقد ظن أن الأمنية قد صارت ملك يمينه ..

وتختلف الروايات فى شأن نهاية تلك القصة، فالبعض يرى أن عنترة قد ظفر بعبلة بعـــد طول معاناة وأهوال جسام ..

والبعض الآخر يرى أنه لم يظفر بها ، وانها قد تزوجت غيره ، وعاش هو يندب حظـــه ، ويصور آثار هذه الخيبة ، وذلك الحظ العاثر..

وقد ذكر عنترة شيئا عن ذلك الزوج الذى ظفر بعبلة ، فهو فارس عربى ، ضخم أبيض اللون ..

ويقول عنترة مخاطبا عبلة فى احـــدى قصائده :

امـــا ترينى قـــد نحلت ومن يكن
غرضا (١) لأطراف الأسنة ينحـــل
فلرب أبلج (٢) مثـــل بعلك بادن
ضـــخم على ظهر الجواد مهبل (٣)
غـــادرته متعفرا أو صـــاله
والقوم بين مجرح ومجـــدل (٤)

وعنترة دائما كان يخاطب عبلة مفتخـــرا بمواقعه التى خاضها ، وبطولته الفذة التى لا تدانيها بطولة ، وهو يقدم لها كل هـــذه البطولات والانتصارات قربانا لحبها ..

(١) غرضا : هدفا .
(٢) أبلج : أبيض مشرق الوجه .
(٣) مهبل : كثير اللحم ممتلىء الجسم .
(٤) مجدل : قتيل .

سـلى يا عبل قومك عـن فعالى
ومن حضر الوقيعـة (٥) والطرادا(٦)
وردت الحرب والأبطـال حولى
تهـز أكفها السمر (٧) الصعادا (٨)
وخضت بمهجتى بحـر المنايـا
ونار الحـرب تتقـد اتقـادا
وعدت مخضبا بدم الأعادى
وكر الحرب قد خضب الجوادا

ويقول لها مرة أخرى :

يا عبل لولا أن أراك بناظـرى
ما كنت ألقى كل صـعب منكـر
يا عبل كم من غمـرة باشرتهـا
بمثقف صلب القوائم اسـمر
يا عبل هـل بلغت يومـا اننى
وليت منهزما هزيمة مدبـر
يا عبل دونك كل حى فاسـالى
ان كان عندك شبهة فى عنتـر

وهو يريد أن يبسط عليها حمايته ، وهو دائما رهن اشارتها وطوع بنانها ، وهو لا يرتضى من النساء سواها :

انى امرؤ سمح الخليقة ماجـد
لا أتبع النفس اللجـوج هواها
ولئن سألت بذاك عبلة أخبـرت
أن لا أريد من النسـاء سواها
وأجيبها امـا دعت لعظيمة
وأعينهـا وأكف عما سـاها (٩)

وهو دائما يذكرها حتى فى غمرات المعارك ، وهو حين يرى وميض السيوف يود تقبيلهـا لأنها تشبه ابتسامتها المشرقة :

ولقد ذكرتك والـرماح نواهـل
منى وبيض الهند تقطـر من دمى
فـوددت تقبيل السـيوف لأنها
لمعت كبارق ثغـرك المتبسـم

وحبه لعبلة ظل يملأ عليه حياته حتى بعد أن تزوجت غيره ، وهو يستقبل الموت راضى النفس ، وأن ما يقلقه هو مصير عبلة ، فمن ذا الذى سيرفع عنها الأذى بعد موته :

فالقتل لى من بعد عبلة راحـة
والعيش بعـد فراقها منكـود
يا عبل قد دنت المنيـة فاندبى
ان كان جفنك بالدموع يجـود
يا عبل ان تبكى على فقـد بكى
صرف الزمان على وهـو حسـود
يا عبل ان سـفكوا دمى ففضائلى
فى كل يوم تـذكرهن جـديد
لهفى عليك اذا بقيت سـبيه
تدعين عنتر وهو عنك بعيـد

وكما تتساقط أوراق الخريف .. تسـاقط أولئك المتيمون .. وتتفتح جنبات الأرض لتضم بين ثراها بذور العفة والطهر والوفاء ..

وتنبت البذور ضاربة جذورها فى عـالم الخفاء .. وتمتد فروعها الى عنان السماء ، ليتفيأ ظلالها ، ويستروح نسماتها ، ويجنى ثمارها من سار على الدرب من شعراء العذريين فيما بعد .

أما هؤلاء العذريون فلنا عنهم حـديث آخر .

عبد الحميد البهى

---

(٥) الوقيعة : القتال .
(٦) الطراد : المطاردة
(٧) السمر : الرماح .
(٨) الصعاد ، جمع صعدة : وهى قناة الرمح المستوية يريد بها الرماح .
(٩) ساها : ساءها ، خففت الهمزة ثم حذفت للضرورة .

أمير الشعراء أحمد شوقى

ترجمة شعرائنا المجددين خصوصا من تربع على عرش امارة الشعر العربى والتعريف بهم واجب ، وفى مقدمة هؤلاء شاعرنا الكبير أحمد شوقى أمير الشعراء

مولده ونشاته :

هو احمد بك شوقى بن على شوقى ولد سنة ١٨٦٨ م . بالقاهرة ونشا فيها وتربى على ارضها وشرب من ماء نيلها وعاش بين خضرتها وجمال تنسيقها ، وكان جده لأبيه كرديا عربيا فيه شجاعة الأكراد وكرم العرب ، قدم هذا الجد إلى مصر فى عهد محمد على باشا يحمل توصية إليه من أحمد باشا الجزار ، والتحق هذا الجد بالمعية وظل هو وأسرته مرتبطين بالأسرة المالكة زمنا طويلا ، فإذا أردنا أصوله وأعراقه جميعا وجدناه : عربيا تركيا يونانيا چركسيا ..

كفلت الشاعر من المهد جدته لأمه وكانت فى يسر ونعمة . فقد أتلف ابوه ميراثه ، وكانت جدته لأمه وصيفة بقصر الامارة فى عهد الخديوي اسماعيل ،، فدخلت عليه الجدة يوما ومعها شوقى شاعرنا وهو طفل فى الثالثة .. وكان لا ينزل بصره عن السماء لاختلال فى أعصابه ، فلما رآه الخديوي اسماعيل على هذه الحالة نثر أمامه بدرة من الذهب فوقع نظره عليها وطفق يجمعها .. فأمر الخديو جدته أن تفعل معه ذلك مراراً حتى تتزن نظراته . فقالت له : « يا مولاى هذا دواء لا يخرج الا من صيدليتك ».

قال : « جيئينى به متى شئت إنى آخر من ينثر الذهب فى مصر ».

ولما بلغ الرابعة من العمر التحق بمكتب الشيخ صالح فى حى الحنفى بالقاهرة ، ومنه إلى مدرسة المبتديان الابتدائية فالتجهيزية التى تخرج منها فى سن الخامسة عشرثم التحق بقسم الترجمة بكلية الحقوق برغم صغر سنه ودرس بها عامين ، وكان قد أنشىء حينئذ بها قسم الترجمة فعدل إليه ، ولبث فيه سنتين اخريين ..

وخلال دراسته نبغ فى نظم الشعر فكان يبعث به إلى الصحف مديحا فى الخديوى توفيق .. ولذا ألحقه بمعيته عقب انتهائه من دراسته ، ثم أرسله إلى فرنسا لدراسة الأدب والحقوق فمكث بها اربع سنين : عامين فى « موليه » ـ وعامين فى « باريس ».

ثم عاد إلى مصر وتولى منصبه فى المعية ، واستمر فيه أيام الخديوى عباس الثانى ، الذى اعتبره « شاعر الأمير » ومازال فى منصبه ومعيته

للأستاذ محمد الطاهر الزنكلوني

يترقى حتى أصبح رئيسا للتعليم الفرنجي . وكان أكثر شعره فى هذه الفترة لا يخرج عن المدح ، ووصف ما فى الحياة من ترف ونعماء ، وظل وفيا للخديوى عباس الثانى ، ذا جاه وحظوة لديه حتى إذا أعلنت الحرب العالمية الأولى خلع الانجليز عباسا عن إمارة مصر ، إذ لم تكن سياسته موافقة لأهوائهم ، ولقد كاد ذلك يحدث ثانية مع الملك فاروق إبان الحرب العالمية الثانية ، ولنفس السبب أيضا وقد تتبع الانجليز رجال عباس بالنفى ، فكان منهم شوقى ، فارتحل إلى منفاه بالأندلس ولولا الأندلس ما كان شوقى ولا عرفه الشعر صداحا بالمغانى فى كل فن .

كان شوقى قبل الاندلس رجل القصر ، وأحد شبابه المدللين ، وزاده بعدا عن قومه وقوميته حياته بفرنسا حتى إذا وطئت قدماه أرض الأندلس ، وجال فى ربوعها ، ورأى بعينه مجد الإسلام الغابر وكنوزه العصماء تفجر فى قلبه وملأ فؤاده ـ مجد هذا الدين ، وصقلت الأحداث روحه ، وطوحت بلذائذ أترابه ، وعمقت فيه الأصالة القومية بكل معانيها .

ثم كان البعد عن الوطن ... إلى مفارقة الأحبة ، وفى مقدمتهم والدته .. كل ذلك ألقاه ـ ربما فى عنف ـ إلى عمق التجربة النفسية ، والأحاسيس الأصيلة بكل ما انتابه ، وما رآه من حوله ، فتغير الحال غير الحال ، ولم يعد شاعر المديح ، بل ربما استهجنه .. حتى إنا وجدناه ـ بعد ذلك ـ إذا مدح لم يخل مديحه من جلال يستمد من المعانى الوطنية وأحداث السياسة والاجتماع وينشد المديح فى الناس بقدر ما أسدوا إلى قوميتهم .

ولو أن شوقيا اختار باريس أو روما منفى له لكان فى عداد المغمورين ..

ومن نعمة الأندلس على شوقى ما بسطت أمامه من خيال الشعر وضروبه فإذا به ـ بعدئذ ـ يطرق فنون الشعر المختلفة : كالرثاء والوصف ، والغزل ، والتاريخ ، والسياسة والاجتماع ثم بَزَّ وفَذَّ فى لون دفع به إلى المجتمع العربى يرفع ـ وحده ـ لواءه ، وأعنى به المسرحية الشعرية فأمد الشعر بفيض جديد ، وصار نجم الشعر الأوحد بين العرب بعد عودته من منفاه سنة ١٩١٩ ..

وظل شوقى على مدى مراحل شعره محل إجلال عظماء مصر من أمراء ووزراء وقادة مهاب الجانب مرفوع الراس . وكان لأخلاقه أثر كبير فى كسبه لهذه المنزلة ، فقد كان وديع النفس هادىء الطبع لا تراه يغضب أو يعنف وقل أن يستفزه الغضب . وكان عطوفا شديد العطف رحيما كثير الرحمة ، قد راض نفسه على الصبر والرضا بالقضاء ، شديد الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وتغير شوقى فى كهولته شيئا ما عما كان فى شبابه فقد كان فى صغر سنه مسرفا فى الاصابة بلذائذ الحياة لا يتأثم ولا يتكلف مدارة ولكنه حين لحقته السن قَصُرَ من متعته ، وقد كان كثير الذهاب إلى الاستانة فلا يكاد يدخل الصيف من العام الا وهو على جناح السفر اليها فلا يلقى من أولياء الأمر هناك الا الاجلال والترحيب كما كان

شغوفا بالسياحة فى الغرب وبلاد الشرق القريب ولكنه فى مؤخرات عمره قصر سياحته على البلاد السورية واللبنانية وكان يلقى من أعيانها وأدبائها أبلغ الاكرام ، ومازال على هذه الحال حتى قبض إلى رحمة الله تعالى سنة ١٩٣٢ . م

شعره : تصرف شوقى أمير الشعراء فى كل فن من فنون الشعر تقريبا ، وأصاب من كل مطلب وجال فى كل غرض فبذَّ وبرع ، ولقد مر شعره بفترات ثلاث :ـ

الأولى : قبل رحلته إلى الأندلس واسبانيا وجل شعره فى هذه الفترة المدح ووصف معيشة الترف ..

الثانية : الفترة التى عاشها بعيدا عن مصر وهو فى منفاه بأسبانيا وبلاد الأندلس وقد ألمحنا إلى فاعلية هذه الفترة فى حياته ، وأبدينا ما نفخت فيه من غزارة التجربة وسمو النفس والإحساس بالقومية ..

ومن شعره فى هذه الفترة سينيته التى يعارض فيها البحترى وأولها :

اختلاف النهار والليل ينسى
اذْكُرَا لى الصبا وايام انسى
وسلا مصر : هل سلا القلبُ عنها
أَوْ أَسا جُرْحَهُ الزمان المُؤَسّىَ

وقصيدته التى يذكر فيها وادى الطلح (بظاهر أشبيله) يعارض بها قصيدة ابن زيدون

يانائح الطلح أشباه عوادينا
نشجى لواديك أمْ نأسَى لوادينا

ماذا تقص علينا غير أن يدا
قَصّتْ جَناحك جالت فى حواشينا

الثالثة : تبدأ هذه الفترة بعد عودته من منفاه إلى مصر ولقد اتجه بشعره فى هذه الفترة إلى الأمة ، وأصبح ترجمانا لعواطف الشعب وأحاسيسه وهذه فاتحة قصائده بعد عودته من منفاه وقد القيت فى اجتماع بدار الأوبرا سنة ١٩٢٠م ومطلعها :

أنادى الرسم لو مَلَكَ الْجَوَابا
وأجزيه بدمعى لو اثابا
وَقَلَّ لحقه العبراتُ تجرى
وان كانت سواد القلب ذابًا

وقد احتفل شباب البلاد باطلاق سراح سجناء كانت المحاكم العسكرية الانجليزية قد أدانتهم وذلك فى عهد وزارة سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٤م فنظم شوقى قصيدة مشيرا فيها إلى أهم ما كان فى بال الناس فى ذلك العهد من الحوادث قال فيها :

طلبوا الجلاء على الجهاد مثوبة
لم يطلبوا اجرَ الجهاد زهيدا
والله مادون الجلاء ويومه
يوم تسميه الكنانة عيدا

ومن النذر اليسير الذى عرضته من شعر أمير الشعراء أحمد شوقى نتبين مكانة هذا الشاعر العظيم التى تبوأها عن جدارة واستحقاق،وسلم له القياد فيها من كان فى مقدمة أنداده :

يقول شيخ الأدباء المرحوم مصطفى صادق الرافعى (انفلت من تواريخ الآداب لمصر وحدها كانفلات المطرة من سحابها السائر فى الجوزاء فأصبحت مصر سيدة العالم العربى فى الشعر

ولم يستطع أحد من الشعراء أن يضع تاريخ الشعر على مفرق مصر ووضعه شوقى وحده .

ويقول عنه الأديب أحمد حسن الزيات (إنه شاعر غير مدافع تهيأ له مالم يتهيأ لغيره من سلامة الفطرة وكرم النشأة وسعة الثقافة ونعيم الحياة فأجاد التعبير :

أما معانيه فكثيرها مخلوق ، لم يتمثل فى غير خاطره ، وقليلها مطروق نفخ فيه من روحه وخلع عليه من وشيه ، ومشى به إلى حد الكلام ومبتكره).

ولقد اتفقت كلمة الأدباء على أن شاعرنا شوقى كان يؤثر المعنى على اللفظ مترسما فى ذلك خطا الشاعر العبقرى أبى الطيب المتنبى ناهجا نهجه سالكا سبيله . ولذلك برزت فى شعر شوقى ظاهرتان :

الظاهرة الأولى تلك الكثرة الهائلة من المعانى المبتكرة التى قلما تهيأت لشاعر غيره .

الظاهرة الثانية شيوع الحكمة ، والإكثار من ضرب المثل

على أنه ليس معنى ذلك أن شوقيا لم يعن بالأسلوب .. لا ، لقد عنى به أبلغ عناية وملك ناصيته ، ولكنه كان بارعاً جداً فى تجنب غريب اللغة ، فلم يجذبه إليه فخر البراعة فيه ليقال عنه : إمام فى اللغة . بل استمرأ عذوبة اللفظ وجماله وحسن جرسه على الرغم من حفظه العجيب لألفاظ اللغة .

ولم يكن شوقى فذا فى الشعر ـ فحسب ـ بل كان ناثرا بليغا .. متين العبارة سلسها لكنه فيه مقل يغلب عليه السجع ، وبعض أنواع البديع ، ونثره ـ على قلته ـ ممتع له فصوله الشائقة .

تراثه :

١ ـ ديوان شعره ويقع فى أربعة أجزاء ، وهو كذلك فيما اكتشف ، لكن آثاراً للباحثين تخرج حالياً تشير إلى تراث له جديد .

٢ ـ رواياته الشعرية التمثيلية : مصرع كليوباتره ، مجنون ليلى ، على بك الكبير ، قمبيز .. وغير ذلك .

٣ ـ كتاب تاريخى باسم عظماء الإسلام .

٤ ـ أسواق الذهب وهو كتاب فيه فصول من نثره فى الأدب والوصف والاجتماع .

ما أخذ عليه : يؤخذ على أمير الشعراء أحمد شوقى بعض هنات يسيرة قلما يسلم منها شاعر مثله كقوله فى مدح الخديوى عباس الثانى :

وكان محمد أدنى وأرعى
بهذا الدر من راع اليتيم
فكنه ياابن توفيق فانى
فخيم الظن فى الجاه الفخيم

ولا يوجد فى اللغة العربية (فخيم) من فخم وربما انساقت اللفظة إلى شوقى من كلام الدواوين التى تحمل سمة العصور المتأخرة .

اسلامياته : ولأمير الشعراء أحمد شوقى اسلامياته التى توجت شعره وأعلت مكانته ، وفيها الكثير من الحكمة ، وَمَدْحِ الرسول ﷺ ، والضراعة إلى الله تعالى .. برفعة الإسلام والمسلمين :

فلم أر غير حكم الله حكما
ولم أر دون باب الله بابا

أمير الشعراء

وقوله :

ومــانيــل المطــالب بــالتمنى
ولكن تؤخـذ الدنيـا غـلابـا

أو قوله فى مدح الرسول ﷺ :

أبا الزهراء قد جاوزت قدرى
بمدحك بيد أنَّ لى انتسابا

مـدحت المالكـين فزدت قـدراً
فحين مدحتك اجتزت السحابا

وقد عرف للأزهر وعلمائه قدره وقدرهم وله فيه قصيدة عصماء مطلعها :

قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا
وانثر على سمع الزمان الجوهرا

هذا هو أمير الشعراء المرحوم (أحمد شوقى بك) الذى سجل شعره الإسلام ومصر والعروبة فى الذروة من البيان .

محمد الطاهر الزنكلونى

اخطاء وقعت بعدد رمضان ١٤٠٦ صفحة ١٦٣١

- ص ١٣٣٢ صحة البيت
  إذا اتتك يد من غير ذى مقة
- ص ١٣٦٤ صحة العنوان : دراسة فى الجن وعالم الغيب
- ص ١٣٦٨ وضع رقم « ٢ » مكبرا بما يوحى إلى أنه الجزء الثانى من المقال . والمقال من جزء واحد . والرقم هو عنوان لحاشية أسفل الصفحة
- ص ١٤٠٧ جاء فى قصيدة صوم المسلم « لم يصُخ » بضم الصاد .. والصحيح كسرها

ولنا كلمة

للدكتور على الخطيب

أحمد شوقى قمة فى الشعر لا محالة ، بل هو إحدى قمم الشعر الزاهية التى لا تغيب عنها الشمس : فحياته معروفة لمعاصريه ، ومدارجه إلى القمة مشهودة للنقاد لم يغمها غموض ، كالذى أحاط بـ « شكسبير » الذى لازال نقاد من بنى قومه ينكرون ما نسب إليه ، ويشيرون بقوة إلى معاصره « كريستوفر مارلو » الجامعى المثقف الذى توافر له مالم يتوافر لشكسبير علما وثقافة ، مرجحين أن تكون تلك الروائع له ، وبذلك أحاط الغموض شكسبير ، ولا زال ، ولم يكن شوقى كذلك ..

وشوقى لم يكن يستطيع إلا أن يكون شاعراً ، فإذا أراد النثر خرجت كلماته مزدانة بروح الشعر : فالجمل قصيرة تتلاحق أعجازها مقفاة لا تفقد أوزانا داخلها ، ولا تتخلى عن جناح الشعر وأخيلته ، فهو شاعر حتى فى نثره ، وكذلك عرفه النقاد المنصفون ، وما أشبه النقاد المنصفين - فى باب الأدب - بسحرة موسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - فى الدين فكل عرف الحق - فى بابه - فمضى سليماً على دَرْبِهِ .

ومع أولئك النقاد تسرى نسمات الانصاف ونستبين ملامح الجمال ومواقع التوجيه ، فنعرف ما لشوقى من روائع وما له من هنات ، ونسبة هذا إلى ذاك ... أى نعرف الحقيقة . لذلك لا نستطيع أن نقر للعقاد - رحمنا الله جميعا - بكل ما كتب من نقد فى شوقى أو نقره عليه ، أو نتقبله ، ففى نقد تحامل واضح لن نؤثره على ما جاءنا من روائع شوقى .

والعقاد شاعر ، لكنه سجن نفسه داخل (أنبوب) خاص ذى حدود يمقتها الشعر فأتى بشذرات قليلة رائعة ، ثم لا شىء ، فلم يعش له ديوان تعرفه الأجيال على مدى الأيام كما تعرف شوقيا .

وأراد - رحمه الله - أن يأخذ (شوقيا) بمنهج شعرى من عنده ، فرماه بالصنعة الكنود حتى

ولنا كلمة

لترى شوقيا من خلال نقد العقاد ـ إنسانا بلا حس ولا عاطفة ، ولا عينين تريان جمال الطبيعة[1] ، وليس ذلك من النقد في شيء ، لقد قلنا : كان لشوقي مدارجه نحو القمة ، ولابد لذلك من سفح ، لكنه سفح لم يمكث فيه طويلا لذلك كانت هناته لا تقاس بجانب روعته ، وهي هنات ـ في النهاية ـ لا يمكن أن تكون بحال مقياس شعره .

ومن العجيب أن العقاد تلمس الطريق إلى نقد شوقي بـ « تفتيش غير قانوني » دلّنا على تحامله .

ولننظر كيف فعل ـ قال العقاد ـ رحمه الله : « وقد نشرت لشوقي ـ رحمه الله ـ مسودة قصيدة واحدة ، هي قصيدته التي نظمها على قبر نابليون ، فإذا فيها بيت يقول فيه :

وتوارت في الثرى أجزاؤها
وسناها ما توارى في السنين

ثم انتهى هذا البيت عند الفراغ من القصيدة إلى قوله :

قد توارت ـ في الثرى ـ حتى إذا
قدم العهد توارت في السنين

وهو يناقض البيت الأول تمام المناقضة ، غير أنه استباح أن ينقض ما أراد حين تهيأت له صياغة أحلى ، ونغمة أسوغ في الآذان »[2]

فهل هذا أسلوب في النقد ..؟ !
وكيف كان ينقده إذا لم يعثر على تلك المسودة ؟

ولقد يتمم لشوقي رؤيته لدى هذا الجيل وما يتلوه ، أنه ـ رحمه الله ـ لم يكن ـ لأسباب ـ متفوقا في فن الإلقاء ، مما جعل بعض معاصريه من الشعراء يأخذ الضوء بما يملك من روعة الإلقاء ، وكان شوقي يعلم ذلك من نفسه ، فما وطئت قدما « توفيق دياب » أرض الوطن عائدا من انجلترا حائزاً على شهادة في فن الإلقاء حتى طلب إليه شوقي أن يقوم بإلقاء شعره ، فما أسرع ما نال شعر شوقي حقه ، وما أسرع ما رددت المنتديات روائعه .

وبعد :

فلطه حسين ـ رحمه الله ـ مقياس رائع في عالمية الأدب ، إذ يرى أن عالمية أثر أدبي بعينه ليس بشهرة اقتضت ترجمته إلى كافة اللغات ، وإنما عالميته بحياته الممتدة أزمانا وأزمانا في هذه الحياة، يقرأه جيل بعد جيل بعد جيل .

وبهذا المقياس نقول :
لقد عاش شعر شوقي ، وما عاش شعر العقاد .

---

(١) انظر للعقاد : مجموعة اعلام الشعر ص ٣٥٣ ط أولى دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٧٠
(٢) انظر آخر صفحة من الفصل الأول ـ المرجع السابق

المشكلة اليهودية

بين الفن والفكر والسياسة

للاستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

فى مسرحية « شكسبير » الخالدة « تاجر البندقية » (١) استطاع هذا الفنان العبقرى أن يكشف لنا عن جوهر مشكلة اليهود وأنه يكمن فى « الألم » الذى يسببونه لأنفسهم وللغير حتى صار « الألم » على حد قول « شيلوك » بطل المسرحية يبدو وكأنه أحد الآفات التى خصت بها تلك الأمة .

أما أسباب ذلك ومقدماته فكلها ترجع الى السلوك اليهودى المستمد من عقائدهم المنحرفة وتقاليدهم البالية والمتمثل فى معاداة الغير وتعمد استغلاله ومحاربته وايذائه بكل الطرق .

وقد جسدت المسرحية هذا السلوك بما يحمله من حقد وكراهية عنيفة ورغبة هائلة فى الانتقام تشتعل الى أقصى مداها عندما تسمح الظروف فى موقف « شيلوك » المرابى اليهودى من « أنطونيو » المواطن المسيحى اذ استغل الأول حاجة الثانى الى المال وعجزه عن السداد لاسباب خارجة عن ارادته فلجأ الى القضاء مطالبا بتنفيذ شرط الجزاء الوارد فى نص العقد المبرم بينهما والذى يعطيه فى هذه الحالة الحق فى اقتطاع رطل من لحم « أنطونيو » ودفع محامى المدين بـ « دفع » أعجز (شايلوك) عن تنفيذ مراده فتوقف التنفيذ ، وأمرت المحكمة بتوقيع العقوبة المنصوص عليها فى القانون وتقضى بأنه فى مثل هذه الحالة يئول للمدين نصف الدين وللدولة النصف الآخر وبذلك يخرج اليهودى من المحكمة وقد خسر « قضيته » وماله ليندب حظه ويجتر آلامه .

١ ـ مسرحية تاجر البندقية ـ ترجمة مطران

وفى اعتقادنا أن هذا هو الدرس الاول الذى تقدمه المسرحية لليهود أيا كان مكانهم أو زمانهم وعليهم أن يهضموه جيدا ويدركوه تمـــاما •

أما الدرس الثانى الذى تقدمه المسرحيـــة لليهود بطريقتها الفنية غير المباشرة ورؤيتها الانسانية فهو الدعوة الى الخروج من عزلتهم والاندماج مع غيرهم والارتباط بهم عــلى نحو مافعلت « جيسكا » ابنة « شـيلوك » التى حطمت أسوار العزلة التى تفرضـــها تقاليدهم لترتبط بمن أحبته وتتزوج شـابا مسيحيا اختاره قلبها لتنعم معه بحياة طبيعية خالية من العقد والاحقاد والآلام •

واذا كان (شكسبير) قد توصل الى أن خلاص اليهود من آلامهم لن يكـــون الا باندماجهم مع غيرهم وذلك فى وقت كــانت النعرة الدينية فيه على أشدها فاننا نجـــد صدى ذلك يتردد مرة أخرى فى القرن التاسع عشر حيث سارت الدعوة الى الاخاء والمساواة جنبا الى جنب مع الدعوة الى الحرية وبعد أن خفت حدة النعرة الدينية حين خرج أحد مفكريهم وهو « موسى مندلسون » (٢) الى قومه يدعوهم الى الافادة من ذلك ويطالبهم بالخروج من عزلتهم والاندماج مع جيرانهم ومواطنيهم والأخذ بثقافتهم وعاداتهم وكان من أثر دعوته أن طالب آخرون مثل « ازهام جيجر » و « صموئيل هولديم » بالعدول عن فكرة العودة الى (أورشليم) وحذف مايشير الى هذه العقيدة فى التراتيل والصلوات •

وعلى الرغم من انتصار فكرة قيام الدولة اليهودية ونجاح هذه الفكرة سنة ١٩٤٨ فلا يزال هناك رأى يهودى قوى يميل الى اتجاه « الاندماج » ويرى فيه الحل الأمثل لمشكلة اليهود ، خاصة وأن رياح المساواة تكتسـح كل وجوه التعصب ، ويزداد التسامح الدينى انتشارا ، وتتسع دائرة الحريات العامـــة وتطبيق مبادىء حقـــوق الانسان ، ويتنبأ أصحاب هذا الاتجاه بأنه نتيجة لازديـــاد موجات التحرر ، وماتتطلبه الحياة اليوميـة من ضرورات الاختلاط ، والتعرض للاشعاعات الثقافية وماتفرضه من تأثيرات فلن تكـــون هناك « كنيسة عبرية » واحدة فى العالم ولكـن ستصبح هناك كنائس « عبرية كاثوليكيـــة » وكنائس « عبرية وبروتستانتينية » وكنـــائس « عبرية اسلامية » وذلك بحسب المجتمعات التى يتواجد اليهود فيها •

وأنصار هذا الرأى وعلى رأسهم «أوسـكار هاندلين » وهو أستاذ يهودى للتاريخ الأمريكى يتهمون من يعارضون اتجاه « الاندماج » بأنهم يريدون فى الواقع اقامة سور يعزل اليهود عن سائر مواطنيهم بكل مايحمله هذا من أخطار •

وهم دائما لايخفون قلقهم من قيام الدولة اليهودية ومصدر قلقهم ينبعث من عاملين هما :

٢ ـ أرض الميعاد/ د٠ حسين فوزى النجـار ص ٢٠٩

١ ــ أن قيام الدولة اليهودية لابد وأن ينتج عنه أن يكون لهما مواقف مؤيدة أو معادية لدول أخرى بحكم تضارب المصالح والسياسات وفى حالات العداء لن يكون اليهود فى وضع يحسدون عليــــه •

٢ ــ أنه قد لوحظ على اليهود منذ قيام هذه الدولة عدم مشاركتهم فى أى مسألة تهم البلاد التى يحملون جنسيتها الا اذا كانت هذه المسألة تتصل « باسرائيل » مما سيؤدى الى عزلهم فى المدى الطويل •

واذا كان هذا الاتجاه سليما وسديدا فانــه يواجه معارضة قوية من أسرى « الصهيونيــة العالمية » والمتأثرين بنظريات « هرتزل » عــن الدولة اليهودية وضرورة قيامها بحجـــة أن الشعب اليهودى لا يمتزج بغيره لأنه شــعب مختار وأن العالم سوف يظل يضهده لهــذا السبب وهؤلاء من السياسيين وهم يحاربــون اتجاه « الاندماج » بكل ما أوتوا من قوة ولهم فى ذلك وسائل شتى منها •

١ ــ تحقير حياة اليهود خارج اسرائيل •

ومثال ذلك قول ابن جوريون : (٣)

« اننى لا أحتقر « شايلوك » الذى كـــان يعيش على الربا فى مدينة « البندقية » فاليهودى طالما بقى فى مثل هذه الظروف مضطر الى مثل هذه الحياة » وهو يقصد من ذلك أن اليهــودى لايمكن أن يكون كريما شريفا الا فى دولة يهودية هى دولة اسرائيل •

٢ ــ التشكيك فى عقيدة اليهود خـــــارج اسرائيل :

ومن ذلك تفسيرهم لليهودى بأنه من يؤمــن « بالعودة » وأســــتخلاص « الأرض » التى كانت لهم ، وهم يتهمون اليهودى الذى يعرض نفسه للذوبان فى مجتمعات غير يهودية بأنه خطر على اليهودية ذاتها اذ يعرضها للانقراض •

٣ ــ اثارة قضية اضطهاد اليهود •

وهم يستهدفون من اثارتها وتجديدها بيــن الحين والآخر نشر الذعر منها حتى يشــعر اليهودى فى كل مكان بالخطر الماثل أو المحتمل وبالتالى يفكر فى الهجرة الى اسرائيل وهــذا يؤكده مانشر يوما من أن بعض عملاء اسرائيل هم الذين يقومون برسم صليب النازية المعقوف على معابد اليهود خارج اسرائيل •

٤ ــ كسرولاء اليهودى نحو أى بلد يعيش فيــه :

وهم يستهدفون من ذلك شق مابين اليهودى وبين الآخرين وأوضح مايمثل ذلك قول (جولدا مائير) فى محاضرة لها بعنوان « ماذا نريد من يهود العالم ؟ » •

« ان اليهودى الانجليزى الذى ينشد بحكم انجليزيته نشيد « حفظ الله الملكة » لايمكن أن يكون فى نفس الوقت صهيونيا » (٤) •

---

٣ ــ اسرائيليات/ احمد بهاء الدين ص ٧٩

٤ ــ اسرائيليات احمد بهاء الدين ص ٨٠ •

٥ ـ تهديد حياة اليهود فى الخارج :

وحيث لاتفلح الاسلحة السابقة فى جـذب المهاجرين نجد من ينادى بأنه لابد من تدمـير حياة اليهود فى بعض الدول حتى يضـطرون للهجرة الى اسرائيل •

أما الدافع لكل ذلك فهـو خشيتهم مـن أن تتحول اليهودية فى حالة « الاندماج » الـى « دين » فقط وليس الى « قومية » كما يريدون لأن تحولها الى « دين » يجعل أمر العودة الى « مهبط هذا الدين » غـير مقبول منطقيا ولا مستساغ عقلا اذ كيف يتصور ضرورة عودة جميع المسيحيين فى العالم الى « القـدس » لكى يكونوا مسيحين حقا ، وكذلك عودة كل المسلمين فى العالم الى « مكة » لكى يكونوا مسلمين حقـا •

ان الهدف الحقيقى للصهيونية العالمية بشكلها السياسى هو ممارسة أقصى مايمكن مـن الضغط على يهود العالم الخارجى من أجل الحصول على مهاجرين جدد لتحقيق هدفها الاكبر بمد حدود دولتها لتشغل المساحة الواقعة « من الفرات الى النيل » خاصة وأن أحلامها بدأت تتعرض للاهتزاز بعد أن تناقص اقبال اليهود على اسرائيل أو بمعنى أصح كاد ينعدم مما اضطرها أخيرا الى القيام بعملية اثارت ضجة وفضيحة دولية هى استجلاب يهود الحبشة من (الفلاشا) الى اسرائيل مستغلة ظروف المجاعة التى اجتاحت البلاد الافريقية ومنها الحبشة (اثيوبيا) •

محمد عبد العزيز عبد اللطيف

هذا هو الإسلام

لفضيلة الشيخ : متولى الشعراوى

عرض وتعليق
أ.د إبراهيم عوضين

مؤلف الكتاب الشيخ محمد متولى الشعراوى اشهر من ان يعرف به .

والكتاب (هذا هو الإسلام) قدمته سلسلة كتاب الحرية فى يونيو سنة ١٩٨٥ ثم اعادت طبعه فى نوفمبر من العام نفسه .

والكتاب يقع فى سبع وعشرين ومائتى صفحة من القطع المتوسط ، يضم مقدمة وسبعة فصول .

قصد به المؤلف ان يقدم الإسلام برؤية جديدة ، وينفذ إلى روحه ببصيرة نافذة ، ونظرة علمية موضوعية ، ليواجه المحاور الثلاثة التى تعمل على ترصد خطا الإسلام ، وتعمل على النيل منه وهذه المحاور الثلاثة تتمثل فى المستشرقين ، والمستغربين الذين فارقوا ديار الإسلام فانبهروا بزيف الحضارة الصناعية فى الغرب ، والانجازات العلمية التى تثير من التساؤلات مالا يجد توضيحاً حاضراً فى الإسلام ، فتخلف حيرة فى العقول ، وريبة فى النفوس .

الإسلام عقيــدة ومنهج

بدأ المؤلف فصله الأول بمناقشة أمر العقيدة فى الإسلام . وقد حرص فى ذلك على أن يكون موضوعيا حتى يتلاءم مع من يناقشهم فى ذلك الأمر ، فلفت النظر إلى مسلمة من المسلمات العصرية ، جاعلاً منها نقطة البداية ؛ حيث قرر أن الذى يسعد الإنسان هو أن تلتقى حركته مع هدفه ، فإذا لم تلتق الحركة مع الهدف كان القلق والاضطراب ؛ فكل حركةٍ حياةٍ لابد من أن يكون لها هدف يتحقق تحقيقاً يقينياً .

وهذا يعنى أن الإنسان مطالب بأن يبنى هدفه على حقائق يقينية ، فلا يكون أمراً متوهماً ، ولا مظنوناً ، ولا مشكوكاً فيه ، ولا مبنياً على الجهل ، ولا مبنياً على التقليد ، لأن واحداً من هذه الأمور لا يكون يقينياً .

والإنسان مطالب بذلك ليحقق لنفسه الخير واليسر والجمال ؛ لأن الحكم على شيء بشيء إذا لم يكن قائماً على علم يقينى لا يحقق لصاحبه شيئاً من ذلك ، وإنما هو مجهود ضائع .

إذاً فالقضية الأساسية فى الوجود هى أن تحكم حركة الإنسان بنسبة يقينية ، لا تقليد فيها للغير ، ولا جهل ، ولا شك ، ولا ظن ، ولا وهم .

ومن ثم ينتقل المؤلف ليوازن بين العلم اليقينى والعلم التقليدى ، والعلم الجاهل ، والعلم المشكوك ، والظنى ، والمتوهم ، ويخلص من ذلك ليقدم المعيار الذى نعرف به يقينية النسبة ، فيقرر أن الدليل على يقينية النسبة يختلف باختلاف الموضوع الذى تحكم عليه ؛ فإذا كان الموضوع يتعلق بأمر مشهدى محس فالدليل على يقينية الحكم عليه هو التجربة الحسية ؛ لأننا معه لا نخضع لغرض أو هوى أو مجاملة .

أما إذا كان الموضوع يتعلق بأمر غيبى لا تحكمه التجربة فسوف نواجه بأحكام مختلفة ؛ لأن كل واحد يخضع عندئذ لهواه ، ومادام كل واحد يتكلم عن هواه فسوف تكون نظريته فى الحياة النظرية خاضعة لما يهوى وان حاول أن لا يصبغ نظريته بهواه .

وتبعاً لهذا الاختلاف فى الأمور الغيبية أخضعت الحياة النظرية هى أيضاً للهوى ، فضاع من الإنسان كل أسباب الاتفاق ، ومن هنا نشأ الفساد فى الدنيا ، حيث يوجد تقدم فى ناحية مجمع عليها لا اختلاف فيها ، ولكنها لا تسير فى طريقها الطبيعى العلمى ، وإنما سارت لتفرض قضايا اختلف عليها ، إذن فكأن الخطين انتهيا إلى شيء واحد : هو أن العالم فى صراع دائم .

من ثم يتقرر أن تحديد النسبة اليقينية فى الأمور الغيبية يجب أن يصدر ممن يعلم بكل جزئيات تلك الأمور ، ولا يخضع فى ذلك للهوى أو الغرض . ولأن هذا لا يمكن أن يتوفر فى البشر ـ لأن علم البشر محدود ـ أصبح ضرورياً أن نبحث عن مصدر آخر غير البشر نأخذ منه القيم الغيبية التى لا تحكمها التجربة .

وبهذا الانتقال العلمى الرشيق القائم على الحوار الموضوعى يقف الإنسان على مشكلته الأساسية ، ليرى من خلالها حتمية الإيمان بالله .

وبعد أن يتقرر ذلك ينتقل المؤلف للتعريف بالمنهج الذى يعين الإنسان على تحقيق هذا الغرض ؛ فيعقد موازنة بين الإسلام من جهة وبين اليهودية والمسيحية من جهة أخرى لأنهما الديانتان القريبتان من الإسلام ، حيث يصل من الموازنة المنطقية إلى أن اليهودية والمسيحية دخلهما التحريف لانحياز أهلهما إلى الجانب المادى فطمسوا من كتبهما المسائل التى تتعرض للقيم الروحية ؛ ولذلك شاء الله للعالم الخير وجاء بمحمد ﷺ وبالإسلام محتويا كل الضمانات التى لا تحوج إلى رسول بعد ذلك .

ولكنه حرصا على صحة الحوار يقدم المعيار الذى يحكم به على سلامة الدين من التحريف ، ويجعل هذا المعيار فى أربع نقاط هى :

١ ـ الثقة فى أننا أمام الكتاب الصادر عن الله .

٢ ـ استيعابه لكل قضية الحياة .

٣ ـ عدم تعارضه مع حقائق الكون المادية .

٤ ـ بساطة شعائره وعدم استيعابها كل وقت الإنسان .

ثم يزن الإسلام بهذه المعايير ـ معتمداً فى ذلك على أقوال طائفة من غير المسلمين وعلى الواقع ـ ليخلص إلى أن الإسلام هو الدين الذى يستوفى اليوم كل هذه العناصر فهو الذى يحمل معه دون شك عوامل خلوده ، وهو من ثم الدين الذى يحتاجه الإنسان ليحقق لنفسه التلاؤم بين الحركة والهدف والنسب ، فتحقق له السعادة ، ولو أن المسلمين التزموا بالمنهج الإسلامى فى حركتهم إلى جانب حرصهم على توثيق نص القرآن وحفظه لتحققت لهم السعادة .

الطريق إلى الله

وفى الفصل الثانى يحرص على أن يوضح الطريق إلى الله بالأسلوب نفسه ، فيبدأ باستعراض المشكلات التى تواجه الإيمان بالله وهى : مشكلة الإيمان بالله ، ومشكلة البلاغ عن الله ، ومشكلة التوثيق بالله ، ومشكلة الفهم عن الله ، ومشكلة الإسلام لمنهج الله .

وينبه إلى أن لكل مشكلة من هذه المشكلات بيئتها ولها محيطها ومروجيها والمدافعين عنها ؛ فليس على الداعية الا أن يتعرف الطريق .

ويقدم يوسف عليه السلام نموذجا للداعية إلى الله ، مبينا كيف استغل السجن ليدعو صاحبيه إلى الله ؛ فليس دور الداعية أن يقول أى كلام ، وإنما عليه أن ينتقى من الكلام ما يناسب المدعو ، أو أن يهيىء المدعو للقضية التى يقدمها إليه ، حتى تكون دعوته مثمرة .

ومن ثم يواجه الآباء إلى أن يسلكوا ـ فى دعوة أبنائهم إلى الله ـ منهج الحوار الموضوعى حتى يقتنعوا بقضية الإيمان ذاتيا ، ولا تكون مقصورة على أنها من تراث ورثوه من آبائهم ، فإذا أردنا أن نعرض قضية الإيمان فعلينا أن نعرضها على أنها ضرورة عقلية ، وضرورة اجتماعية ، وضرورة سياسية ، وضرورة لغوية .

ويستطرد فى توضيح كيف أن الإيمان بالله ضرورة لغوية ، فيبين أن اللغات على اختلافها تضمنت كلمة تعنى (الله) ، ولو كان الله أمرا عدميا لما وجد له لفظ يدل عليه ؛ لأن الأسماء إنما توضع لمسميات موجودة .

ومن هذا المنطلق يستدل ـ كذلك ـ بكلمة الكفر على الإيمان ؛ لأن الكفر فى اللغة معناها الستر ، فكأن الكفر طرأ على شىء موجود ليستره ، أى أن الإيمان هو الأصل فى الفطرة الإنسانية ؛ فكلمة (الله) وكلمة (كفر) تدلان على الإيمان بالله معا .

ثم يوضح كيف أن الإيمان ضرورة عقلية فيعرض دور العقل فى الإدراك ، مبينا حدوده ، ووقوفه فى ذلك عند قدر معين مرسوم له لا يمكن تجاوزه ، وأن المدركات العقلية موزعة على الزمان ، حيث أعد الله لكل زمان ما يلائمه فيوجه العقل لكشفه عن قصد من الإنسان أو عن غير قصد ، والافلو اكتشف العقل كل شىء فى الكون مرة واحدة لكانت الحياة مكررة ، فأصبحت صورة تافهة .

ويفرق بين التعقل والتصور ، فيقرر أن الوقوف عند تعقل الأشياء لا يثير اختلافا ، ولكن الاختلاف ينشأ من محاولة التصور ـ مستدلاً على ذلك بأمثلة من الواقع ـ وإذا أردنا أن يكون تصورا بعيداً عن الاختلاف فعلينا أن نترك ذلك

للقوة التى تعقلناها لتعرفنا بنفسها حتى نريح ونستريح .

ويسترسل فى هذا السبيل ليخلص إلى أن من عظمة الله أن مخلوقاته لا تدركه ، لأننا لو أدركناه لا نقلب القادر مقدوراً والمقدور قادراً ثم يختم الفصل بمبحث يقرر فيه أن الإيمان ضرورة نفسية ، مستدلاً على ذلك بواقع الإنسان فى مواجهة الأحداث والمواقف فى حالتى الإيمان والكفر ؛ فيقدم من الواقع نماذج بشرية تؤكد تلك القضية .

الإسلام .. القوة والمجتمع

وفى الفصل الثالث تناول العلاقة بين الإسلام والقوة ، ممهداً لذلك ببيان أهمية التربية فى مدرسة النبوة ، وتحديد حقيقة القتال فى سبيل الله ، ليخلص من ذلك إلى استعراض القوة التى يتطلبها الإسلام من المسلمين ، حيث يجملها فى نوعين هما القوة التى تحمى الأمن الداخلى من الانحرافات الجزئية ، والقوة التى تحمى الأمن من العدو الخارجى .

ومن ثم يقدر أن القوى لم تنشأ الا لحماية القيم ، فحين تكون القيم منهارة فلا معنى لوجود قوة لأن القوة فى الإسلام لم تجىء لحماية الأرض فقط ؛ فخوفنا من أن يغزونا عدو خارجى لم ينشأ الا لأننا نخاف على قيمنا من أن نفتن فيها ؛ لذلك طلب الحق ـ تعالى ـ من المؤمنين أن يحتاطوا لهذا الأمر احتياطا قوياً فقال : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم ﴾ ، وحين نعد ما استطعنا فى اخلاص بدون كسل ، وبدون تهاون ، فإن على الله أن يقوى هذه الاستطاعة تقوية تجعل الجيش القليل فى العدد ، أو القليل فى المعدات ، يغلب الجيش الكثير فى العدد ، والقوى فى المعدات . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ .

وهذا يعنى أنه إذا هزمت قوة مؤمنة أمام قوة كافرة ، فإن ذلك يكون ناشئا من ضعف فى إيمانها ، ولذلك يضرب الله مثلا يوضح ذلك فيقول ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ • بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ .

إذن فعلى مقدار التقوى والصبر والإيمان وصدق العهد مع الله تكون معونة الله ويقدم نماذج من واقع المسلمين تؤكد ذلك .

ثم ينتقل إلى مناقشة دعوى انتشار الإسلام بالسيف ، فيبين خبث هذه الدعوى ، ويكشف عما وراءها من حرص علي دفع المسلمين إلى السلبية في مواجهة الآخرين ؛ حيث يضطرون إلى أن يقولوا : الإسلام جاء للدفاع فقط ؛ لأن هذه قصارى ما يرجوه أعداء الإسلام ؛ فعلى الرغم من أن العبارة تعلن تبرئة الإسلام من أنه انتشر بالسيف .. لكنها تعوق الإسلام عن مده الذي أراده الله له .

والحقيقة أن الإسلام ما جاء لينشىء أمة واحدة فى الأرض ، وانما جاء ليعمم عدالة السماء فى الأرض كلها ، ولكنه لا يفرضها فرضا ؛ لذلك وضع الحق مبدأ فى انسياح الإسلام فقال : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ .

فالإسلام حين ينشر مبادئه ويجد قوة من قوى الطغيان تحاول أن ترد المسلم عن الدعوة إلى الله ، يوجب على هذا المسلم أن يقف أمام هذه

القوة وأن يدكها دكا ، وبعد ذلك يترك الناس أحراراً ليروا رأيهم بحرية ، فلا فرض لعقيدة ، ولذلك لم نجد أحداً حمل على الإسلام أهل البلد الذى يفتحه المسلمون ؛ بل إن كثيراً من البلاد المفتوحة ظل أهلها على دينهم .

ولو أن المسلمين رجعوا قليلا إلى تاريخهم لوجدوا أنهم جاءوا بالإسلام الى أمم جذبت هى الإسلام إليها ، فكان الإسلام مندفعا بعاملين ؛ عامل الإندفاع من القوة الإيمانية ، وعامل الجذب من القوى المخالفة التى تريد ان تنتفع بما فى الإسلام من مبادىء سامية .

الاسلام .. والفكر المعاصر !

وفى الفصل الرابع يبدأ بتقديم تحليل مفصل للعناصر الثلاثة « الإسلام ، الفكر ، المعاصر » .

١ ـ فيقرر أن الاسلام يقتضى مسلما ، ومسلما إليه ، ومسلما فيه هو منهج الحياة وحركتها والعقل يحتم أن يكون المسلم إليه القياد فوق المسلم قوة وقدرة وحكمة وعلما وبصرا بالأمور ، وأنه لا هوى له فى تشريع أى أمر من الأمور .

ومن المقارنة بين الانسان وباقى الأجناس جماد ونبات وحيوان ـ يصل إلى ان هذه الأجناس جميعا قد سخرت لتخدم الانسان ، وان هذا التسخير يجب أن يلفت عقل الانسان ليبحث عن جنس أعلى منه يرتبط به كذلك ، حتى لايكون اتفه من تلك الأجناس ؛ إذ لايصح أن يكون سيدا عليها وليس له مهمة فى الكون الذى يعيش فيه يؤديها بينما لكل منها مهمة تقوم بأدائها .

ولأن العقل الإنسانى لايستطيع أن يدرك اسم هذه القوة التى يرتبط بها ولاصفتها ولا متطلباتها .. فالذى يجب على العقل الانسانى أن يدرك أن هناك قوة أعلى منه هى التى سخرت له كل هذه الأجناس ، وهى التى تعبر عن نفسها اسما ، وصفات ، ومهمة ، يرتبط الانسان بواسطتها ، ونهاية يصبو إليها ، وجزاء يترتب على الامتثال أو المخالفة .

فواجب الانسان أن يكتفى بتعقل القوة دون تصورها ، حتى لايقع فيما وقع فيه الفلاسفة حين انتقلوا من منطقة التعقل إلى منطقة التصور فأفسدوا بذلك منهجهم فى التفكير .

ويقف المؤلف مع الفلاسفة وقفة متأنية ، يكشف فيها عن الفطرة وراء جهودهم العقلية فيما وراء الطبيعة .

وينتقل من ذلك إلى بحث ضرورة الايمان ، مقررا من الأدلة أن الإيمان ضرورة حيوية للإنسان إذ بالايمان وحده يستطيع الانسان أن يواجه هموم الحياة ، وأن الايمان ضرورة عقلية ؛ إذ العقل يوجب وجود الخالق الذى ينظم حركة الحياة ، والذى يجب على المخلوق أن ينقاد لأوامره ونواهيه وأن الايمان ضرورة علمية : فالعلم لا يتعارض مع الايمان ، ولكنه تثبيت له .

٢ ـ ويقرر أن الفكر هو الخاصية التى امتاز بها الانسان . ثم يتساءل عن الميدان الذى يعمل فيه الفكر ؛ وبعد الاستعراض يتبين أن مهمة الفكر هى الاختيار بين البدائل ؛ فاذا لم يكن هناك بدائل فلا مجال للفكر ؛ فالذى يريد أن يذهب إلى مكان ليس فيه إلا طريق واحد لاعمل فيه للفكر ، أما إذا كان للمكان اكثر من طريق فإن للفكر عندئذ مجالاً للعمل كى يختار طريقا من هذه البدائل ولذلك فعندما يتعطل الفكر ـ بجنون

أو عدم رشد أو إكراه ـ يسقط التكليف ؛ لأن آلة الاختيار بين البدائل لاجود لها .

وينتقل المؤلف من ذلك إلى البحث عن منطلق النقاش فى الدين ، فيستخلص من الأدلة الواقعية أن منطلق النقاش فى الدين لايأتى من الأشياء المختلف فيها ، وإنما يأتى من الأشياء المتفق عليها أولا ، ثم ينطلق من المتفق عليه إلى المختلف فيه .. ويوضح ذلك بمثال الخلق ، وما وراء الموت والحياة من أدلة تكشف عن صدق الله تعالى .

٢ ـ وفى استعراض المقصود بالفكر المعاصر ، يذكر أن الفكر المعاصر عبارة عن نشاطات ذهنية ، وأن النشاطات الذهنية أنواع .

أ ـ نوع محكوم بإطار دين حق .

ب ـ ونوع محكوم بإطار غير دينى أصلا .

جـ ـ ونوع محكوم من قوم لهم دين ، ولكنهم لايمكنون من قيادة حركة الحياة .

ويذكر ـ كذلك ـ أن الأفكار المعاصرة مصدرها ثلاثة :

أ ـ أفكار ناس محكومين بدين حق .

ب ـ أفكار ناس متدينين بدين يؤمنون أنه حق وإن كان زيفا ، إلا أنهم يعزلون الفكر المادى أو الدنيوى عن قيادة الدين .

جـ ـ أفكار ناس ليس لهم دين أبدا .

وبعد عرض مفصل للأفكار الثلاثة ، يقارن بين الشيوعية والرأسمالية ، ثم يوازن بين ما أعطاه النظامان وما أعطاه الاسلام مبينا بالدليل الواقعى أهمية الاسلام للانسان ، ومقررا أنه لايصح أن نقارن الاسلام بأفكار البشر ، لأن فى هذا اجحافا بالاسلام .

وينهى الفصل بعقد مقارنة بين الاسلام من جهة وبين ماآل إليه الدين الموسوى والدين المسيحى من جهة أخرى ، مقررا أن ما خلعه الفكر المعاصر على الدين لاينطبق على الاسلام ، وإنما ينطبق على الدين الموسوى والدين المسيحى لأنهما حرفا ولم يعد واحد منهما دينا لله تعالى ..

منهج التربية فى الإسلام

وفى الفصل الخامس يتناول بالعرض منهج التربية فى الاسلام ، فيعرف بالتربية ، سواء التربية المادية والتربية المعنوية ، ويبين حرص الاسلام على توفير التربية المادية للإنسان ، منشأ واجتماعا لعناصر تكوينه ، وحملا من المرأة ، وإرضاعا له ، وحضانة ، وتربية لجسمه ، حتى يبلغ المستوى الذى يهيئه له كماله الإنسانى .

وكان مبدأ ذلك النظرية الاسلامية فى الزواج ، القائمة على التكافؤ بين النوعين .

ثم أوضح أن المقصود بالتكافؤ إنما هو التكافؤ فى جواهر الأشياء ، نفسيا وصحيا ، وخلقيا وقيميا .. وليس ـ كما يتوهم ـ التكافؤ فى الغنى .

وبين ما كفله الاسلام للوليد من حقوق على والديه ، فى اختيار الأم ، واختيار الاسم ، وإحسان التربية والمساواة بين الأبناء ، والتعليم .

ومن ثم عرف العلم وعلاقة العلم بالقيم ، مبينا ضرورة القيم ليكون العلم شاملا البحث فى الانسان ككل ذى أجزاء ، وكجزئى يعيش فى كلى هو المجتمع الذي يضمه .

وانتقل من ذلك إلى الأسوة السلوكية ، فبين اهتمام الاسلام بها فى التربية ، لضرورتها الواضحة للانسان فى تربيته ..

ثم أوضح مدى ارتباط العلوم الانسانية بالمنهجية السماوية ، مبينا أنه يجب على من يدرس للنشء أن يجلي موقف الاسلام من العلوم الحديثة ، ومكان الحقائق العلمية من القرآن الكريم معتمدا فى ذلك على تقديم طائفة من الأمثلة التى تعتمد على النصوص القرآنية .

وينهى الفصل بتبيان واجب المعلم نحو توضيح قيمة العلم وصلته بالتطبيق ، فليس قيمة العلم فيما يعلم الإنسان إلا أن يخرج العلم إلى حيز الوجود والتطبيق .

الإعجاز البيانى والعلمى للقرآن

وفى الفصل السادس يبدأ بتعريف موجز يبين فيه العلاقة بين القرآن الكريم والكون ، ثم يتناول الاعجاز البيانى فى القرآن ، فيوضح المقصود بالاعجاز البيانى ، ويبين أن البيان القرآنى معجز للعرب بأسلوبه ، ومعجز لغير العرب بمنهجه البيانى ، ويقدم من البيان القرآنى ما يقرر ذلك مثل تقديم كلمة على كلمة كتقديم السمع على الابصار ، ومثل مجىء السمع مفردا والإبصار جمعا ، فما وراء ذلك من الأسرار البيانية هو مثال للإعجاز المنهجى للبيان القرآنى .

ثم يستعرض من آيات القرآن مايلفتنا إلى مالم يكن للناس به علم قبل الكشوف العلمية الحديثة ، مثل الجلد ومراكز الاحساس ؛ قاصدا بذلك الاستعراض التنبيه إلى أن حقائق الكون ما دامت من صنع الله فهى منسجمة مع كلام الله ، ولاتضارب بينهما ، وإذا حصل ما ظاهره التضارب فهو ناشىء من خطأ فى الفهم ، وليس معنى ذلك مسايرة من يخضعون الحقائق العلمية فى الكون للقرآن الكريم ، ولا من ينفون صلة القرآن بالحقائق العلمية فى الكون ؛ لأن هؤلاء وأولئك يجانبون الصواب فيما ذهبوا إليه .

الاسلام والمصير الانسانى

وفى الفصل السابع يحسم الإجابة على السؤال « الانسان مسير أم مخير » ؟

فيعرف الإنسان ـ أولا ـ تعريفا يبين علاقته بالكائنات الموجودة على الارض ، ويوضح أن ما يمتاز به على هذه الموجودات ، هو الفكر ، ذلك المقياس الذى يختار بين البدائل ، أما الامر الذي لابديل فيه فلا عمل للعقل فيه ، أى أن الأمور التى لا بديل لها لا خيار للإنسان فيها ، فما فى الإنسان من الجمادية والنباتية والحيوانية لا اختيار للإنسان فيه ، وكذلك لا دخل له فى النمو ولا فى الإحساس والحركة وادارة دواليب جسمه وأجهزته كل ذلك لا دخل له فيه .

من ثم يتجه المؤلف إلى الإجابة على هذا السؤال ، فى تفصيل اقامه على التمثيل الموضح .

وينتقل من ذلك ليعرض سؤالا آخر هو : « هل يتناسب عقاب الإنسان العاصى مع عمره كله فى معصيته لو قضى عمره فى معصيته ؟ » ويأخذ فى الإجابة عليه متبعا المنهج المعتمد على التمثيل الموضح .

ثم يستعرض سؤالا آخر نشا عن قوله تعالى : « قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » وذلك السؤال هو « هل المقصود بالذنوب الكبائر أم الصغائر ؟ » وعلى المنهج نفسه يسير المؤلف فى الإجابة على هذا السؤال كذلك .

هذا هو الاسلام

ويختم الفصل والكتاب بتقديم سؤال عن المقصود بشهادة « أن لاإله إلا الله » وهل هى قضية كلامية ، أم هى تحيط الحياة بأكملها ؟ مقررا أن « شهادة أن لاإله إلا الله » لاتكون شهادة إلا إذا وافق اللسان فيها القلب . هذا من ناحية اعتقادها وبعد ذلك يجب أن تنسحب على كل حركة الحياة فى الإنسان .

فلا يشهد إلا أن الله هو الفاعل ، وهو القادر ، وهو المعطى ، وهو النافع ، وهو الضار ، وكل الأسباب تحت يد الله إن شاء جعلها تعطى ، وإن شاء لم يفعل .

وبعد فإن من يقرأ كتاب « هذا هو الاسلام » يدرك أنه فى مجلس الشيخ محمد متولى الشعراوى ينصت إلى الشيخ والكلمات تنساب من فمه سيالة ، دون إعداد أو ترتيب ؛ فالكتاب يعلن أنه تسجيل لبعض مجالس الشيخ نقل من الشريط إلى صفحات الكتاب دون مراجعة تنقية من الكلمات العامية التى ترد فى ثنايا الحديث ، ودون تصحيح يصوب بعض الكلمات التى نطقت مسكنة فضمت للكتاب على حالتها من غير إعراب .

ولقد كان لهذا دور بالغ فى تعقيد الكتاب ، وتشتيت افكاره ، على الرغم من حرص الشيخ فى أحاديثه على التيسير على السامعين . ولكن فات الناشر ان الفرق شاسع بين اسلوب الحديث المباشر وبين اسلوب الكتاب المعد للتداول والإطلاع .

وأيا كان الأمر فليس شىء من هذا بمنتقص من قيمة الكتاب وما تضمن من آراء وأفكار .

الدكتور ابراهيم عوضين

أنباء وآراء

إعداد: أحمد عبد الرحيم السايح
صفوت عبد الجواد

● أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن الأخذ بالحساب الفلكى الدقيق لتحديد أوائل الشهور القمرية والأعياد الإسلامية ليس ممنوعا شرعا بل يجب التوحيد فى هذا الشأن بين رقعة العالم الإسلامى الواقعة بين اندونيسيا والمغرب العربى .

واقترح شيخ الأزهر فى هذا الصدد إقامة مرصد دولى اسلامى بمكة المكرمة لهذا الغرض عملا بالتكامل بين الحساب الفلكى واستطلاع الهلال .

● بحث فضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر مع سعيد كافى وزير خارجية جزر القمر احتياجات بلاده من أساتذة وكتب دراسية ومناهج تعليمية للمعاهد الستة التى أنشئت هناك على غرار المعاهد الأزهرية وكذلك زيادة المنح الدراسية لطلاب جزر القمر وقد وعد شيخ الأزهر بتلبية هذه الاحتياجات .

بنوك أوربا تقتدى بالمنهج الإسلامى

طالبت ندوة البنوك الاسلامية حاضرها ومستقبلها والتى نظمتها جامعة الأزهر بالاشتراك مع الاتحاد الدولى للبنوك الاسلامية بضرورة تيسير انشاء أقسام جديدة للاقتصاد الاسلامى فى جامعات الدول الاسلامية .

قال الدكتور أحمد النجار أمين عام البنوك الاسلامية أن تجربة المصارف الاسلامية فى مصر حققت نجاحا كبيرا رغم تعثرها . وأضاف .

أن واحدا من هذه المصارف أصبح عملاؤه خمسة وثمانين الف عميل تقريبا وبلغ رأسمال مصرف آخر أكثر من أربعين مليون جنيه .

وأعلن أن تجربة المصارف الاسلامية تمثل ظاهرة من الظواهر التى ينظر اليها العالم بترقب ، فلقد ظهرت فى أوربا وأمريكا أكثر من خمس وعشرين رسالة ماجستير ودكتوراه كلها تناقش دور المصارف الاسلامية .

وأكد الدكتور حسين شحاته الاستاذ بالأزهر أن الكثير من المصارف الأوربية بدأت تسير وفق المنهج الاسلامى .

◄

أنباء وآراء

المجمع الفقهى الاسلامى

أمام الدعوة الخبيثة للنيل من المصـــارف الاسلامية وأمام تحريض بعض الصحف للنيل منها بمختلف الرسائل المتبطنة لمبادىء غيرقومية وأمام نزعة لاتزال فى المهد تضرب عـــلى وتر غامض تقول عنه : « الاقتصاد السرى » وأمام دعوات أخرى ستجد شيئا بعد شىء :

أمام ذلك كله :

ناقش مجلس المجمع الفقهى الاســـلامى بالسعودية ظاهرة تفشى المصـــارف الربويـــة وتعامل الناس معها وعدم توافر البدائل لها .

وأجمع اعضاء المجلس على تحريم التعامل مع هذه المصارف بالكتاب والسنة والاجمـــــاع باعتبارها من كبائر الاثم وأثنى المجلس عـــلى تجربة البنوك الاسلامية فى باكستان .

وطالب المجلس المسلمين بوجوب الانتهـــاء من التعامل بالربا حتى لا يحل عذاب اللـــــه بالأمة الاسلامية ودعا المسلمين فى كل مكان الى مساندة المصارف الاسلامية القائمة فى بعض الدول الاسلامية وعدم الاستماع الى الاشاعات المغرضة التى تحاول التشويش عليها وتشويه صورتها بهدف القضاء عليها .

وأوصى المجلس بضرورة التوسع فى انشاء المصارف الاسلامية فى جميع الدول الاسلامية والاجنبية لتحقيق اقتصاد اسلامى متكامل .

جاء ذلك فى الدورة التاســـعة للمجلس التى عقدت بمبنى رابطة العالم الاسلامى بمكـــــة المكرمة .

مؤتمر العدالة يطالب بتطبيق الشريعة

صرح المستشار يحيى الرفاعى رئيس مؤتمر العدالة الأول ورئيس نادى القضاة : أن المؤتمر أولى اهتماما كبيرا بقضية تطبيق أحـــــكام الشريعة الاسلامية وابرزها فى توصياته التـــى سلمها الى الرئيس حسنى مبارك لكى يقـــــوم بتنفيذها طبقا للوعد الذى أكـــــده الرئيس فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر بالعمل على تنفيـــذ التوصيات .

وأضاف أن المؤتمر أكد على ضرورة انشـــاء الهيئة القومية العليا للتشريع . واقـــترح أن تلحق برئاسة الجمهورية تأمينا لتنفيذ قرارات المؤتمر .

تطبيق الشريعة الاسلامية

أعلن الرئيس حسين محمد ارشـــاد رئيس بنجلاديش أن حكومته فى سبيلها لاعلان الحكم

بالشريعة الاسلامية ، وقال فى خطاب القاه أمام أكثر من خمسة آلاف شخص فى المسجد الكبير بالعاصمة ((دكا)) .

ان هذا القرار يأتى بناء على رغبة شـــعب بنجلاديش المسلم الذى يطالب باقامة دولـــة اسلامية فى البلاد .

أفواج تعتنق الاسلام

اعتنق عدد كبير من أبناء غانا : الاسلام .

بعد اقتناعهم بانه الدين الوحيد الذى يضمن للانسان السعادة الكاملة التى تمكنه من ممارسة كافة حقوقه الانسانية الصحيحة ٠

أعلن هذا الأمين العام لمجلس العلماء والأئمة الوطنى الغانى الشيخ على حسن على وقال :

ان عدد الذين اعتنقوا الاسلام فى المنطقة الغربية وحدها من خلال مكتب مجلس العلماء قد بلغ أربعة وسبعين مسلما اقبلوا على الاسلام بثقة وحب صادق ٠

مؤتمر التربية الاسلامية

يبدأ أول أغسطس القادم ولمدة ثلاثة أيام المؤتمر الاسلامى الثانى الذى ينظمه المركز الاسلامى « بميونخ » فى المانيا الاتحادية عن التربية الاسلامية ، وآثارها فى تنشئة الجيل على أسس صحيحة ٠

وصرح الشيخ محمد عاكف مدير المركز الاسلامى بأن المؤتمر سيناقش عددا من البحوث التى تستهدف حماية أبناء المسلمين فى الدول غير المسلمة من القيادات الالحادية والانحلالية التى تسعى لتقويض الاسلام ٠

يشارك فى المؤتمر عدد من كبار المفكرين والعلماء من شتى أنحاء العالم وتعتبر مصر فى مقدمة الدول المشتركة فيه ٠

القمة الاسلامية

صرح السيد بيرزادة : بان الاعداد لعقد

مؤتمر القمة الاسلامية يجرى على قدم وساق لضمان نجاح هذا المؤتمر وتحقيق اهدافه واضاف سيادته : أن القمة الاسلامية ستبحث حرب الخليج وكافة القضايا التى تهم المسلمين فى أرجاء العالم فضلا عن محاولة التوصل الى التنسيق بين الدول الاسلامية لصياغة استراتيجية اسلامية للتنمية فى تلك الدول ٠

المؤتمر العالمى للفقة المالكى

ينعقد المؤتمر العالمى الخامس للفقه المالكى فى بلجيكا بدعوة من الشيخ محمد بن يعيش مدير المركز الاسلامى ببروكسل ٠

أعلن ذلك فى ختام المؤتمر الرابع للفقه المالكى الذى انعقد حديثا بأبى ظبى تحت رعاية رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ، وترأسه فضيلة الشيخ احمد عبد العزيز المبارك رئيس القضاء الشرعى بدولة الامارات ٠ وشارك فيه لفيف من العلماء والمفكرين من مختلف مناحى العالم الاسلامى ٠

● ناقش فضيلة الشيخ محمد بن أحمد الخزرجى وزير الشئون الإسلامية والأوقاف بأبى ظبى فى اجتماع عقده مؤخراً مع المسئولين فى وزارته الخطوات والإجراءات التى تم اتخاذها من قبل اللجنة العليا لمشروع زايد لتحفيظ القرآن الكريم لأبناء دولة الإمارات العربية .

وأكد خلال الإجتماع على ضرورة زيادة الإهتمام بهذا المشروع الذى يوليه رئيس دولة الامارات العربية المتحدة رعاية خاصة لتنشئة الأطفال تنشئة اسلامية سليمة بفضل حفظهم القرآن الكريم ، حضر الاجتماع الشيخ محمد جمعة سالم وكيل الوزارة .

أنباء وآراء

● أعد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مكتبة اسلامية مرئية « بالفيديو » تضم خطب الجمعة النموذجية وبعض المحاضرات فى علوم الفقه والحديث والسيرة النبوية على أن تكون هذه المكتبة فى المساجد . والمراكز الإسلامية فى الداخل والخارج .

رابطة اسلامية لافريقيا

قرر علماء الاسلام فى المغرب والسنغال انشاء رابطة اسلامية للقارة الافريقية على أن تبدأ اجتماعاتها فى شهر رمضان المقبل بمجلس النواب المغربى .

وجهت اللجنة التأسيسية للرابطة الدعوة لجميع الدول الافريقية للانضمام اليها . وأصدرت بيانا جاء فيه :

أن مهامها تشمل الدعوة للاسلام فى جميع انحاء القارة ونشر المبادىء الاسلامية الصحيحة والمحافظة على تراث الفقه الاسلامى ومعالم الحضارة الاسلامية فى أفريقيا فضلا عن التصدى لمخططات المبشرين المنتشرين فى القارة الافريقية .

العالم الاسلامى لا يشكو من تضخم سكانى

أكد الدكتور محمود على السرطاوى المدرس فى كلية الشريعة بالجامعة الاردنية أن العالم الاسلامى لايشكو من تضخم سكانى ، بل من قلة عدد السكان وسوء توزيعهم على المساحة الكلية لأراضيهم .

جاء ذلك ردا على الفكرة القائلة أن العالم الاسلامى بحاجة الى عملية تنظيم النسل .

أوضح الدكتور السرطاوى أن الدعوة الى تحديد النسل وتنظيمه تخدم بشكل أو بآخر

أهداف التوسع الصهيونى لاسرائيل فى الدول الاسلامية المحيطة ، لأن الكثرة تنمى قوة

الامة الاسلامية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وهذا مالا يريده أعداء الاسلام .

وأكد أنه لايجوز بحال من الاحوال وضع قوانين لاجبار الناس على تحديد النسل .

مجلة الأزهر : اكدت الكنائس ، وعلى رأسها الفاتيكان بوجوب نبذ العمل على تحديد النسل ، ومما قاله رأس الفاتيكان الحالى: ان الولد نعمة من الله ، ملعون من رفض نعمة الله .

الاسلام والسلام

تحت شعار « الاسلام دين سلام » نظمت جمعية الثقافة الاسلامية بمدينة (تطوان) بالمغرب اللقاء الاسلامى الأول من سلسلة

اللقاءات والمؤتمرات العالمية لتى ستعقدها تباعا بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الاسلامى

قد ناقش الملتقى الاسلامى الاول العديد من القضايا المتعلقة بالسلام فى الاسلام والقضايا الحياتية التى تمر بها الأمة الاسلامية .

شارك فى المؤتمر لفيف من كبار علماء ومفكرى العالم الاسلامى .

من خير ما كتب

عبد الفتاح السيد عبد السلام

د . جمال الفندى

من آيات الله فى الكون

« وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ »

قد يقول قائل ما دام الأوكسيجين هو الغاز الفعال في الغلاف الهوائي وهو الذي يكسبنا القدرة على العمل .. فلماذا جعل الله تعالى نسبته صغيرة (نحو الربع) بالنسبة لغاز الأزوت ، وهو القائل في كتابه العزيز : (وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ) .

والاجابة على ذلك في غاية البساطة وهي أنه لو زادت نسبة الأوكسيجين عن هذا القدر لما أمكن إطفاء أي حريق يشب على الأرض .

وقد يتعجب القارىء الكريم من أن يصنع سقف من الغاز ولا يكون صلبا على النحو المألوف . والحق أننا إذا جمعنا أمهر مهندسي الأرض ليصمموا سقفاً للأرض تتوافر له الخدمات التي يؤديها سقف الأرض ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ان هذا السقف مرفوع إلى علو ألف كيلومتر فوق سطح الأرض بغير عمد نراها ولكن بقوة اندفاع الهواء إلى الفضاء الكوني . لأن من خصائص وصفات الغازات ، (مثل الهواء) أن تندفع منطلقة الى الفراغ أو الفضاء الذي تعرض له .. وعلى ذلك فانه من اللازم أن يندفع الغلاف الهوائي منطلقا الى الفضاء الكوني ، إلا أن قبضة الأرض له بجاذبيتها هى التى تحول دون تسربه إلى الفضاء الكوني .

وتتعادل القوتان : قوة انطلاق الهواء إلى الفضاء الكوني وقوة إمساك الأرض له إلى أسفل ، فيظل الغلاف الهوائي أو سقف الأرض مرفوعا من غير عمد نراها وهذا واضح ضمن قوله تعالى في سورة الرعد : « اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا .. » الآية ٢ .. وهذا المعنى أيضاً يشير إليه قوله تعالى : « وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ »

من خير ما كتب

فإن معنى ذلك قبل كل شيء هو استبعاد الصدفة . تلك التى يلجأ إليها المكابرون بغير علم سليم أو فكر قويم ، وذلك لأن الصدفة لا يمكنها أن توفر لسقف الأرض عشر معشار ما يقدمه هذا السقف من خدمات أو آيات لأهل الأرض .

والآن دعني الخص لك بعض خدمات هذا السقف الرباني :

لو أن سقف الأرض كان صلباً على غرار الأسقف التي نصنعها لصار أهل الأرض داخله أشبه شيء بالصندوق المقفل ، لا يرون شمسا ولا قمرا ولا نجوما ، ولا يستمتعون برؤية هذا الكون الفسيح .

والحقيقة أن معنى ذلك انعدام الحياة على الأرض وتحول كل ما عليها إلى جليد دائم ، فأشعة الشمس هي مصدر الطاقات وسر الحياة على الأرض ، وهي التي رسبت الفحم والبترول في عهود الأرض القديمة ..

د . عبد الجليل شلبى

قرآن وسنة

يقول تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ » نقول :

كما أن الإسلام اصلاح للمجتمعات حكومات وشعوبا هو قبل كل شيء اصلاح للأفراد وبصلاحهم يصلح المجتمع ..

لكى نكون فى مأمن من فشل أبنائنا فى حياتهم أو ضياع مستقبلهم نبث فيهم روح الدين ، نبعد بهم عن كل محرم ونحببهم فى كل عمل يقربهم إلى الله ، نضع فى نفوسهم واعظا دائما يدفعهم لعمل الخير وزاجرا دائما يبعدهم عن كل نقيصة وعمل سيىء . وبهذا نضمن لهم النجاح ..

وليس النجاح هو الحصول على المال الكثير وإنما هو حياة النزاهة والشرف والحصول على المال من طرق شريفة وكثيرا ما يكون المال هو شريان الفساد والسبب الأكبر فى الإنحراف وشر الناس عند الله وفى نظر التاريخ هم أولئك الذين يثرون من أبواب الحرام .

وطبعا هذا لايحدث إلا عند ضعف الوازع الدينى . وحين يثرى شخص ويعظم ثراؤه من طرق غير شرعية يكون ثراؤه على حساب الآخرين ويكون ضرره على أمته أكثر من نفعه ولكن حينما يكون ثراؤه من طرق مشروعة ليس فيه ظلم لاحد ولا عدوان على أحد ولا هو مستعمل لايذاء الآخرين هذا المال يكون خيرا لصاحبه وللناس معه .

فالإسلام إذ يحدد طرق الكسب ويبين مصارف المال يرشد الناس إلى ما يحييهم .

بهذا نقدر عمل رسول الله ـ ﷺ ـ حين اعلن فى خطبة الوداع أن دماء الجاهلية موضوعة وأن ربا الجاهلية موضوع فهو بقطعة عادة الثأر قضى على سبب كبير من أسباب اشاعة الضغائن والأحقاد وقد كان الرجل يقابل الرجل فى عرض الطريق فيسأله من اى قبيلة هو فإذا كان أحد من هذه القبيلة

قد اعتدي على قريب له أو قتل شخصا من ذويه قتل الرجل الرجل وهو برىء لم يرتكب إثما .

وبوضعه الربا أنصف اهل الفقر من أهل الغنى ولم يظل ذوى الأموال بل لهم رؤوس أموالهم .

وهذه جوانب عارضة تبين أن الإسلام يدعو الناس إلى ما يحييهم ..

الأستاذ نجيب محفوظ

التربية الدينية

ماذا نريد من التربية الدينية ؟ نريد منها أن تجسد الدين روحا ومبادىء في الفرد . طبيعي أن تبدأ بتلقين الطفل أركان دينه ، وتعليمه كيف يؤديها . وعلينا بعد ذلك أن نبث في وجدانه المبادىء التي ميزت الرسالة ومكنت المؤمنين من أن يقيموا للدين داراً وأن يعمروا الدار بالحضارة والثقافة والعلم ، من ذلك مبدأ الشورى في الحكم والحرية والمساواة بين البشر دون اعتبار لعنصر أو لون ، التسامح الديني ، خلافة الانسان لله في الملكية وشروط سلامتها ، التفكير كفريضة ، والعلم كفريضة ، والعمل كقيمة مفضلة حتى على العبادة ، التضامن البشري في المجتمع . هذه المبادىء يجب أن يتكون منها وجدانه عاما بعد عام ، مؤيدة بالآيات والأحاديث والوقائع التاريخية ، ويجب أن يجرى الامتحان فيها لا على الورق فحسب ، ولكن من خلال ملاحظة السلوك العام في المدرسة كما ينعكس في علاقة التلميذ بالتلميذ ، والتلميذ والمدرسة ، والتلميذ وواجباته والعلوم التي يتلقاها .

نريد من التربية أن تجسد الدين في التلميذ قولا وفعلا وسلوكا ورؤية وعلاقات إنسانية .

نريد منها أن تخلق لنا جيلا من المنتمين حقا وصدقا إلى الواجب والعمل والعلم والتفكير وحقوق الانسان وحقوق المجتمع .

لا يجوز في أمة متدينة أن تعرف سلبيات مثل الكسل والتهاون والتسيب والظلم والرشوة والاستغلال والامتيازات ، فان وجدت فانما يعنى هذا أنها لا تعرف دينها ، فان كانت تعرفه فانما يعني انها تعرفه ولا تؤمن به ، فإن كانت تؤمن به فانما يعني أن إيمانها ينقصه التطبيق وانها تتهاون في تعليمه لأبنائها

ليست التربية الدينية حفظاً وتسميعاً وإعراباً ولكنها محاولة صادقة لاعادة خلق الفرد على أسس سامية يصلح بها لمواجهة تحديات عصره ، وتحفظ له التوازن النفسي والعقلي والخلقي بين ما يبغى في دنياه وما يتطلع إليه في آخرته .

الأستاذ صلاح منتصر

مجرد رأى بغير شعارات

المرأة المصرية مقبلة على مأزق حقيقي نحتاج ـ في مواجهته ـ إلى العقل لا

العواطف .. وأقول نحتاج لأن القضية ليست قضية المرأة ، ولكنها قضية المجتمع .

ومن أسهل الأمور التعلق بشعارات ان هذه دعوة رجعية أو دعوة الى التخلف ، أو ادارة عجلات الزمن وبالرخص الشهداء الذين سقطوا تحت عجلات الكفاح الذي قطعته المرأة قبل أن تحصل على المساواة في كل شيء تقريبا مع الرجل ..

يالهول الكارثة عندما يتبدد كل هذا الرصيد من أجل متخلفين فكريا يطالبون بتكميم عقل المرأة وسجنها في بيتها .. [إلى أخر ما يقال] .

الكلام سهل ..

ولكن القضية ليست رجعية وتقدما . وانما مواجهة الواقع بتفكير مدرك لابعاد التغيرات التي تحدث في المجتمع ..

وعندما اقول ؛ إن المرأة المصرية مقبلة في مجال الفرص المتاحة أمامها للعمل على مأزق خطير فان شواهدي على ذلك ما يلي :

١ ـ أن هناك تجربة لها اليوم سنوات جعلت الكثير من أصحاب الأعمال ورؤساء العمل يعيدون التفكير الف مرة قبل تعيين الفتاة ..

٢ ـ إن أجراس عودة العاملين المصريين في الدول العربية ومعظمهم من الرجال بدأت تدق بقوة بعد التدهور الذي أصاب أسعار البترول وتجمد المشروعات في تلك الدول .

وهذه الأعداد كانت قوة قد خصمت من العمل في مصر وتم اللجوء إلى المرأة لتعويض اختفائها ولكن بعد عودتها فسوف تؤدي بالتأكيد الى تضييق فرص العمالة للمرأة .

٣ ـ انني لا اتوقع بنظرة عملية أن يستمر طويلا هذا النظام المعمول به في التزام الدولة بتعيين كل خريج او خريجة .

لا أتصور أن أوضاع الزيادة الكبيرة في أعداد الموظفين وفي أجورهم التي اقتربت من خمسة آلاف مليون جنيه سنويا سوف تسمح باستمرار هذا الالتزام أكثر من خمس سنوات في أحسن الظروف .. فماذا بعد هذه السنوات ؟

● هل أصبح واضحا الآن خطورة المأزق الذي تواجهه المرأة وحاجتنا جميعا الى المشاركة في البحث عن مخرج لها منه ؟!!

صلاح منتصر

تأملات فى قانون الحياة - بقية

كذلك المشاعر الانسانية الأخرى .

الألم .. السعادة .. الرضا .. البركة .. الثورة .. الكرامة .

هل استطاع أحد العلماء أو المفكرين أن يضع احدى هذه المعانى تحت اطار الحواس الخمس .. ليقال : انها تكفى لادراك الحياة ؟

وكيف نسلم بهذا وقد أخبرنا علام الغيوب جل وعلا — عن بعض الحواس — بقوله :

« إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً »

فاذا كانت الحضارة المادية بدأت رحلتها أصلا بساق واحدة واستغنت عن الساق الثانية .. فان النتيجة الحتمية لهذه البداية ان سارت هذه الحضارة عرجاء .. فالساق التى استخدمتها طالت طولا شاذا بينما ضمرت الساق الأخرى وتلاشى دورها فى الحياة .

ونحن نبحث عن طريق الحواس وكلنا رغبة ألا نسير هذه المسيرة العرجاء : ما الحواس التى تلزمنا حتى نسير بإتزان وثقة ونحن مرفوعى الهامة بالحق الذى نسير على دربه ؟

لقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى فى « ذلك الكتاب » عن الضالين فقال « خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ » ٢/٧ وقال : « لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا » ٧/١٧٩ .

وكانت نتيجة ذلك أن سمعهم لم يعد يستطيع أن يؤدى الدور الذى خلق من أجله « وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا » ٧/١٧٩ لانها تعمل منفصلة عن القلب

لأنها فى واد والقلب فى واد آخر قَصَرَهُ صاحبه على أداء دور واحد هو ضخ الدم .

وعندما ينسى الانسان ان قلبه هو مقر الفقه والتذوق لم يعد يغنى عنه سمعه ولا بصره ولا عقله ولا وجوده كله .

وكانما الانسان فى هذه الحال قد رضى لنفسه أن يكون آلة مزودة بجهاز تسجيل وجهاز تصوير وحاسب آلى ثم لا معنى بعد ذلك ولا وجود ولا سمات انسانية من رحمة أو بركة أو شرف أو ايثار .

ان الانسان اذا رفض النور الالهى الذى جاء فى « ذلك الكتاب » فقد رفض الروح التى يحملها .. وعندئذ يتحول رغم أنفه الى حما مسنون .

فالحمد لله الذى جعل قلوبنا طيعة لحبه وطاعته .

والحمد لله الذى أرانا الحق ورزقنا اتباعه .. وأرانا الباطل ورزقنا اجتنابه. وجعل لنا العز فى ذل العبودية له سبحانه

د. سعاد البيلى

فهرس العدد

مراجعة وعناوين داخلية
الأستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا

> O Apostle! let not those grieve thee, who race each other into unbelief. (Surat Al-Maida, V, 44)

> O Apostle! proclaim the (Message) which hath been sent to thee from thy Lord. (Surat AL-Maida, V, 70)

> O Prophet! Truly We have sent thee as a witness, a bearer of glad tidings, and a warner. (Surat Al-Ahzab, XXXIII, 45)

> O Prophet! We have made lawful to thee thy wives to whom thou hast paid their dowers. (Surat Al-Ahzab, XXXIII, 50)

When appropriate, Allah refers to the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) as "Muhammad."

> Muhammad is no more than an Apostle: many were the apostles that passed away before him . . . . (Surat Al-Imran, III, 144).

> Muhammad is the Apostle of Allah; and those who are with him are strong against unbelievers, (but) compassionate amongst each other. (Surat Al-Fat-h) XLVIII, 29)

In accordance with the very honorouable status given the Prophet (prayers and peace be upon him) in the Holy Qur'an, Muslims pay more honour to this Apostle who was the purest, the greatest, and the most notable of all men.

The remaining attributes of the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) will be discussed in forthcoming articles.

Know they not that for those who oppose Allah and His Apostle, is the fire of Hell?--wherein they shall dwell that is the supreme disgrace. (Surat Al-Tawba, IX, 63)

Only those are believers, who believe in Allah amd His Apostle: when they are with him on a matter requiring collective action, they do not depart until they have asked for his leave. (Surat Al-Nur, XXIV, 62)

In the Holy Qur'an, Allah describes in detail how members of the growing Muslim community should treat one another and their leader. The aim of these Qur'anic verses is to strengthen and cement the bonds uniting Muslims by introducing codes of respect, politeness, and behavior to organize the Muslim community.

O ye who believe, put not yourselves forward before Allah and His Apostle; but fear Allah, for Allah is All Hearing, Allah Knowing.

O ye who believe, raise not your voices above the voice of the Prophet, nor speak aloud to him to talk, as ye may speak aloud to one another, lest your deeds become vain and ye perceive not.

Those who lower their voice in the presence of Allah's Apostle,--their hearts has Allah tested for piety: For them is forgiveness and a great reward.

Those who shout out to thee from without the inner apartments--most of them lack understanding. (Surat Al-Hujurat, XLIX, 1-4)

As revealed in the Holy Qur'an, Allah (Exalted be He) addresses the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) wih esteem, respect, and vocation.

Say: "Obey Allah and the Apostle." (Surat Al-Imran, III, 32)

He who obeys the Apostle, obeys Allah. (Surat Al-Nisa, IV, 80)

O ye believe! Obey Allah and His Apostle, and not turn away from him when ye hear (him speak). (Surat Al-Anfal, VIII, 20)

The answer of the believers, when summoned to Allah ad His Apostle, in order that he may judge between them, is not other than this: They say, "We hear and we obey": It is such as these that will attain felicity. (Surat Al-Nur, XXIV, 51)
It is not fitting for a believer, man or woman, when a matter had been decided by Allah and His Apostle, to have any option about their decision: If any one disobeys Allah and His Apostle, he is indeed on a clearly wrong path. (Surat Al-Ahzab, XXXIII, 36)

In several other Qur'anic verses, there are definitive instructions requiring the believers to respect, to honour, and to give reverence and obedience to the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him). This theme is meticulously explained in the Holy Qur'an. The believers are urged to adopt this attitude and humble conduct toward the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) as a way to gain prosperity and felicity; to learn proper conduct; and to have spiritual happiness, well-being, and salvation.

Those who follow the Apostle, the unlettered Prophet, whom they find mentioned in their own (Scriptures) . . . ; So it is those who believe in him, honour him, help him, and follow the Light which is sent down with him,--it is they who will prosper. (Surat Al-A'raf, VII, 157)

commissioned the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) to teach, to educate, and to sanctify people. This is why the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) is considered a conferred favour.

II. The Prophet and His Unique Gifts

Several Qur'anic verses characterize the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) as having unique qualities and a divinely given elevated status. Allah states in the Holy Qur'an:

> Those apostles We endowed with gifts, some above others. To one of them Allah spoke: Others He raised to a high degree of honour. (Surat Al-Baqara, II, 253)

This verse illustrates that Allah gave His apostles different gifts and various modes of procedure depending on the given historical period. Perhaps the apostles also differ according to their degree of honour. Because of our limited and inadequate knowledge, we do not differentiate the prophets. To Moses, Allah spoke in clouds of glory. Although he did not have weapons to fight, Jesus was strengthened by the Holy Spirit. His mission was of a more limited character. The exegesis of Muslims scholars is that the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah be upon him) was raised to degrees of honour, because he received the eternal blessing of the Holy Qur'an and sent this Message to humanity at large. As prescribed in the Holy Qur'an, the believers must obey and reverence the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him. Some of the Qur'anic verses describing this prescribed obedience are:

I. The Prophet as a Conferred Favour

As evinced in the Qur'an, Allah conferred a great favour upon all people, especially the believers, by giving the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah be upon him) the new creed of Islam. This creed lifts man from the dark pits of ignorance to the light of belief. As is explained in the Holy Qur'an, Ibrahim had asked Allah to send an apostle to teach and instruct the people.

> Our Allah, send amongst them an apostle of their own, who shall rehearse Thy Signs to them and instruct them in Scripture and Wisdom. And sanctify them, for Thou art the Exalted in Might, the Wise. (Surat Al-Baqara, II, 129)

> A similar (favour have ye already received) in that We have sent among you an apostle to your own, rehearsing to you Our Signs, and sanctifying you, and instructing you in Scripture and Wisdom, and in new knowledge. (Surat Al-Baqara, II, 151)

> Allah did confer a great favour on the believers when He sent among them an apostle from among themselves, rehearsing unto them the Signs of Allah, sanctifying them, and instructing them in Scripture and Wisdom, while, before that, they had been in manifest error. (Surat Al-Imran, III, 164)

> It is He Who has send amongst the unlettered an apostle from among themselves, to rehearse to them His Signs, to sanctify them, and to instruct them in Scripture and Wisdom,--although they had been in manifest error. (Surat Al-Jumma, LXII, 2)

All these Qur'anic verses show that the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah be upon him) holds a very prestigious and noble position among Muslims. Allah

THE PROPHET MUHAMMAD IN THE HOLY QUR'AN

THE MAN AND THE APOSTLE*

Translated by
Dr. Ahmad Shafik El-Khatib, Ed.D.

Studious scholars of the Holy Qur'an realise that the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah be upon him) and his different attributes are mentiond in many Qur'anic verses. The present treatise cites some of these Qur'anic verses and classifies them according to the various attributes of the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him). These verses can be classified into eight categories.

1. The Prophet is a conferred favour on believers.
2. The Prophet is endowed with unique gifts.
3. The confirmation of Prophethood upon Muhammad.
4. The provision of guidance and teaching.
5. The provision of relief and support.
6. The provision of tender reproach and subtle direction.
7. The accurate definition of the Message.
8. The emphasis on the Prophet as a human being.

Each of these categories will be dealt with separately; Qur'anic verses will be used to illustrate each category.

*Excerpts taken from Dr. Muhammad El-Sayed Tantawy's Arabic article presented at the 4th Conference on Sira and Sunna, which was held in Cairo on Safar 18-24, 1406. A.H. (November 1-7, 1985 A.D.).

political organization and the establishment of basic principles for regulating the relationship between man and his Creator, among men, and between man and society. In particular, these verses address such topics as marriage, divorce, monetary matters, zakat, inheritance and kinship, pilgrimage, family relations, trade and merchandizing, and war and peace.

In conclusion, the Holy Qur'an is pertinent to all human beings regardless of the historical period in which they live. Allah designed the Holy Qur'an in such a way as to make man understand both himself and his society. With this knowledge, man learns how to regulate his relationship with himself, his Creator, his fellow human beings, and his environment. Through the Divine Message man unifies his personality and controls his social life.

subject himself to the Will of Allah. The unbelievers belonging to the Quraysh were challenged to write a book similar to the Holy Book. Although these people were masters of eloquence, poetry, Arabic rhetoric, and Arabic literary styles, they failed to produce even one chapter equal to or resembling the Qur'anic verses. Allah states that even if all human beings were supported by Jinns, they would never be able to write a book similar to the Qur'an.

قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝

> Say: "If the whole of mankind and Jinns were to gather together to produce the like of this Qur'an, they could not produce the like thereof, even if they backed up each other with help and support." (17:88)

Stylistically, the Makkan verses are written in a persuasive and conventional style, which is often expostulatory, and in a beautifully rhythmic, yet fiery, tone. This style was an appropriate means to appeal to the poetically oriented Makkans and thus to guide these people in their belief in Allah and the Day of Judgment. The following are some of the topics expounded in these verses: man's creation, his reason for existence, his death, the Hereafter, Resurrection, Heaven and Hell, angels, and the devil. In many verses, the belief in idols is shown to be irrational and man is told that these heathen deities have no power.

In contrast, the Madinan verses are distinguished by their purposeful, legal style. Unlike the Makkan texts, which are relatively short, the Madinan compositions are long and deal with the new issues facing the Muslim society during this stage in Islamic history, e.g., social and

beginning of the chapter entitled "Iqra," begin with the word iqra meaning "read." One of the last verses was revealed at Arafat during the tenth year of Al-Hijrah. In this verse, Allah says,

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا

> This day I perfected your religion for you, completed My favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion. (5:4)

The entire period of Revelation can be divided into two distinct stages: the Makkan or that time prior to Al-Hijrah (Prophet Muhammad's emigration from Makkah to Madinah) and the Madinan or the period after the Prophet migrated to Madinah. These two stages represent very distinct differences in the style and subject of revelation. These differences reflect two developmental stages of the da'wa, the Call of Islam. The dissimilarities in style and subject matter between the Makkan and Madinan verses are logical differences in mode and form of expression and are necessary due to the distinct needs of the two listening audiences. During the Makkan stage, the non-believers were the principal listeners to whom Revelation was directed. On the other hand, the Madinan verses were revealed at a time when the Islamic society was predominately made up of believers. As evinced in these verses, Revelation was tailored to fit the needs of the communities in Makkah and Madinah, to encourage non-believers to accept the Call of Islam, and to provide guidance to believers.

In the Makkan verses, people were heartened to believe in and to worship only Allah and to accept Prophet Muhammd (PBUH) as the messenger of Allah and as the seal of prophecy. In these verses, the believer is encouraged to adopt moral conduct, to have righteous behavior, and to

Another illustration of the Miracle of the Holy Qur'an is that Prophet Muhammad (PBUH), an unlettered man, was the only person to whom the Qur'an was revealed. The Prophet (PBUH) did not compose the Qur'an, as Allah explains,

وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ○

> And thou was not (able) to recite a Book before This (Book came), nor art thou (able) to transcribe it with thy right hand: In that case, indeed, would the talkers of vanities have doubted. (29:48)

No human being taught Muhammad (PBUH) how to read and write before or during his prophethood. Nor did he participate in any linguistic or literary competition, which the Makkan people customarily held during one designated season. Hence the claim that Prophet Muhammad (PBUH) was the author of the Qur'an is completely unfounded. Allah says,

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ○

> But when Our Clear Signs are rehearsed unto them, those who rest not their hope on their meeting with Us, say: "Bring us a Reading other than this, or change this," say: "It is not for me, of my own accord, to change it: I follow naught but what is revealed unto me: if I were to disobey my Lord, I should fear the Penalty of a Great Day (to come)." (10:15)

According to the most reliable opinion, the initial revelation occurred on the twenty-seventh day of Ramadan when the Prophet (PBUH), who was at this time forty-one years old, was in the cave of Hira' in Makkah, where he went to contemplate, to ponder, and to worship Allah. As mentioned above, the first revealed verses, those at the

accordance with existing needs. Depending on the given circumstances, the Divine Message was at times revealed in several verses; at other times Revelation was given only in one or two verses. Because Revelation was appropriately timed, new Muslims were able to strengthen their belief in Allah, to refresh their hearts, and to memorize and recite the verses without too much difficulty. Furthermore the Prophet (PBUH) was strengthened by having continual support from Allah in the form of Revelation throughout his prophetic mission, as Allah says:

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝

> Those who reject Faith say: "Why is not the Qur'an revealed to him at once? Thus (is it revealed) that We may strengthen thy heart thereby, and We have rehearsed it to thee in slow, well-arranged stages, gradually." (25:32)

Therefore because the Divine Message was revealed piecemeal, people had the opportunity to implement Allah's teachings in an effective manner. In this way, Allah also provided the Prophet (PBUH) with guidelines for particular situations. If, however, Revelation had come to Prophet Muhammad (PBUH) during a single event, the people, especially the newly converted, would have found it impossible to employ all of these divinely given guidelines and principles. In essence, the education of the early Muslims was practical as well as theoretical. Allah states:

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝

> (We sent them) with Clear Signs and Books of dark prophecies; and We have sent down unto thee (also) the Message; that thou mayest explain clearly to men what is sent for them, and that they may give thought. (16:44)

to the believers who work deeds of righteousness, that they shall have magnificent reward. (17:9)

Thus the way in which the Divine Message was revealed signifies Allah's sensitivity to each human being's needs and His understanding of societal interactions. Therefore both the subject content and the style of the Qur'an exemplify the Miracle of the Holy Book. Those who read the Qur'an see the Miracle of the Divine Message in its brilliant composition, its pristine simplicity and lucidity, its accuracy of illustration, its beautiful words and eloquent style, and its wealth of meaning. For centuries this Miracle has fascinated the human mind, comforted and strengthened the human heart, and quenched man's thirst for knowledge.

Moreover the topics discussed and the style used in various verses of the Holy Book mirror the unique spiritual and cultural needs and new social situations confronting the Islamic community at specific times when the Divine Message was revealed. Allah's Message was delivered to mankind by Prophet Muhammad (PBUH) in simple, clear verses. The Qur'anic passages, which everyone could understand and which offered directives to man, could be readily adopted to solve daily problems. In this sense, Allah knew and responded to the specific needs of the umma, the Islamic community. For easy implementation, each revelation illustrated Qur'anic principles and the correct way to deal with specific problems. Moreover Prophet Muhammad (PBUH) demonstrated and helped in the implementation of these principles.

Understanding the capability of human intellect and the nature of human emotion, Allah did not reveal His Divine Message to Prophet Muhammad (PBUH) at one time, but He disclosed it over a period of twenty-three years in

life? Where can I find the answers to the aforementioned queries?

The first Divine Message revealed to Prophet Muhammad (PBUH) is:

اقرأ باسم ربك الذي خلق ۝ خلق الإنسان من علق ۝ اقرأ وربك الأكرم ۝
الذي علم بالقلم ۝ علم الإنسان ما لم يعلم ۝

> Read! In the name of thy Lord and Cherisher, Who created--created man, out of a (mere) clot of congealed blood: Read! And thy Lord is Most
>
> Bountiful, He who taught (the use of) the pen,--taught man that which he knew not. (96:1-5)

This verse deals with an essential issue concerning human existence; namely, an individual must know how and why he was created in order to understand his reason for existence. He must also recognize that Allah is the One Who gives life to him as well as to all existing beings on earth and in the universe. Thus the process of realization begins with the cognizance that Allah gives man intellectual ability and that He establishes the guidelines for using this divinely prescribed gift. Man then must employ his intellectual ability to comprehend that the primary purpose of Qur'anic Revelation is to free the human soul from the bondage of worshipping anything or anyone else but Allah. This freedom to worship Allah is a major factor contributing to the following: the unity of belief, the unity of the individual, the unity of mankind, the reformation of the righteous individual, and the reconstruction of society. Allah says,

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
أن لهم أجرا كبيرا ۝

> Verily this Qur'an doth guide to that which is most right (or stable) and giveth the glad tidings

that thou mightest lead mankind out of the depths of darkness into light--by the leave of their Lord--to the way of (Him) the Exalted in Power, Worthy of all Praise! (14:1)

Allah also states,

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ

And We have sent down to thee the Book explaining all things, a Guide, a Mercy, and Glad Tidings to Muslims. (16:89)

As illustrated in the aforementioned verses, Allah inspires man, to whom He has given abstract thinking ability and intellectual prowess, to use reading as a means of seeking guidance in all aspects of his life: personal and social, moral and material, cultural and political, and legal. The importance of reading as a method of self-realization and as a way of submitting to the Will of Allah is exemplified by two significant facts. First, the word Qur'an is derived from the Arabic qara'a whose triconsonant root is q-r-' and whose imperative mood is iqra' meaning "read." Reading is a way to acquire knowledge and self-understanding. Second, the first Divine Message revealed to Prophet Muhammad (PBUH) begins with the word iqra' stemming from the same triconsonant root q-r-'. Iqra' is also the title of the first revealed chapter. Perhaps Allah started His Divine Message with iqra' because He knows that by reading human beings gain the knowledge and wisdom necessary to answer those perplexing questions that have puzzled mankind for centuries. What is my identity? How and why were human beings created? What is the purpose of my life? What is the ultimate destiny of all human beings? What will happen to me after I die? What and where are the guidelines that I can use to create a harmonious, balanced

THE RELEVANCE OF THE QUR'AN TO HUMAN NATURE

BY

*Dr. Abdullah M. Khouj, ph.D.**

The Qur'an is the Holy Book that Allah revealed through the archangel Gabriel to the Prophet Muhammad (prayers and peace be upon him). The Prophet (prayers and peace be upon him) delivered the Divine Message of Islam to all human beings regardless of ethnicity, racial background, or nationality. Allah the Creator knows human nature and thus provides through His Divine Message answers to all human queries. He also establishes clear guidelines for the improvement of the human condition. Therefore the Islamic way of life as revealed in the Qur'an is universal and comprehensive, unlike human (secular) law which is temporal and limited in time. The principles, regulations, and guidelines exhibited in the Qur'an are appropriately timed responses addressing individual needs as well as societal problems and are still pertinent and universal messages to all mankind. Allah prescribes specific methods by which man can utilize his intellectual ability to attain the fundamental knowledge necessary for living a harmonious existence. These methods are also directives showing man how to understand his identity, his creation, his reason for existence, and the purpose of his creation. Allah says,

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ
بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ

A book which We have revealed unto thee, in order

---

*Dr. Abdullah M. Khouj is the Director of The Islamic Center, Washington, D.C., and Associate Professor at Umm Al-Qura University, Saudi Arabia.

The events that took place during the siege of Al-Taif and the political craft and statemanship of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) are manifestations of certain positive attributes--profound calmness, forgiveness, tolerance, and geniality. There is no place in Islam for abhorrence, aversion, hate, or repugnance. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) always possessed these positive attributes.

Prayers and peace be upon our magnanimous Prophet.

From these men, the Muslims learned that the fortresses of Al-Taif contained enough provisions, ammunition, and armaments to last for a very long time. Such news made the Muslims warriors anxious to return to Girranah and to enjoy the fruits of their victory over the Hawazen by dividing the spoils of war amongst themselves. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) recognised the strong position of Banu Thaquif behind their fortresses and the growing anxiety of the Muslims in a situation of indefinite waiting. To find a solution to this situation, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) debated with his companions. A man, Nawfal Ibn Muawiah Al-Daily, spoke on their behalf and stated that the enemy was trapped in a foxhole. He said that if the Muslims have patience, the enemy will surrender, but if the Muslims leave, there will be no loss. Having decided to lift the month-long siege of Al-Taif, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) told the Muslims to withdraw.

The Companions asked the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to pray to Allah that evil will befall the Thaquif. He ask Allah to guide the Thaquif and to bring them to Islam; he also instructed the Companions to chant together, "We return, repenting and worshipping, thankful to Allah." The Prophet's wish that the Thaquif would be guided to Islam was answered. As the Muslims returned from the Battle of Tabouk, the Thaquif came to annouce their Islam at Al-Madinah. The tribe of Hawazen proclaimed Islam much earlier when the Muslims were still at Girranah, after the siege of Al-Taif was lifted.

Al-Tufayl. The catapults were erected and put to immediate use. Tanks were used to shield the men who stormed the walls of the fortifications.

Again, this maneuver failed because the men behind the fortifications threw red hot iron missiles over the assaulting tanks, forcing the men behind the tanks to retreat. Several of these men were killed by arrows appearing from under the tanks. At this stage, the Muslims were convinced that all attempts to defeat the forces behind the fortifications of Bani Thaquif and Hawazen were ineffectual. On the other hand, the Muslims knew that they could not walk away from the siege. They had to take some kind of action.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) decided to use a technique that had been successfully employed against Banu Al-Nadhir and during the conquest of Khaybar: to destroy the famous vine yards of Al-Taif, which were more important than the palm trees of Banu Al-Nadhir and Khaybar. After the order was given, the Muslims systematicaly started to cut down and burn the vine yards. The tribe of Thaquif watched with dismay, realising that the Muslims were adamant and determined in their action. The tribal representatives sent a plea to stop cutting the vines for the sake of God and their kinship, since there was a blood relation between the Thaquif and the Koraysh. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) also announced to the men within the fortresses that he would free any men who willingly surrendered. Twenty men responded to the appeal and gave themselves up. These men were sent free.

tribe of Thaquif. The native inhabitants of Al Taif were experienced in warfare. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) summoned his companions to draw out a working strategy. The people inside the fortresses of Al-Taif intensely showered the Muslim troops with arrows and consequently caused several casualties among Muslims.

As time went on, the Muslims realised that storming the fortresses was futile. Muslim troops moved out of the range of the arrows. According to various sources of information, the casualties totalled approximately fifteen or twenty individuals. At the new Muslim encampment, a mosque was erected, which is the site of the present-day Al-Taif mosque. At the same site, two tents were erected for Umm Salamah and Zainab, two wives of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) who had accompanied the expedition. The Muslims, who were beyond the reach of the arrows, were very anxious to find a way to invade the fortifications of Al-Taif. Khalid Ibn Al-Waleed shouted in defiance for a man-to-man sword fight. The answer always came that no man would come out so long as they (Bani Thaquif) had enough to survive on inside the fortresses.

The consensus of opinion in the Muslim camp was that the siege should be prolonged and that time alone would eventally force the enemy behind the fortifications to surrender. Al-Tufayl from Banu Daws, however, approached the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) with a suggestion to storm the fortifications of Al-Taif with catapults, a method known to the tribe of Daws. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) agreed with

THE SIEGE OF AL-TAIF

BY

Dr. Anas Moustafa El-Naggar, Md., ph.D.

In the Name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful

The retreating forces of Hawazen and Thaquif split into three groups. One group went to encamp itself at Al-Taif. The second went to Nakhla. The third group went to Awtas. Abu Amer Al-Ashaary was commanded to confront the renegade group at Awtas. After an initial victory, he died, leaving Abu Moussa Al-Ashaary, his nephew, to complete the triumph.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched to Al-Taif with the main bulk of Muslim warriors. Khalid Ibn Al-Waleed commanded the advance contingent. On the way to Al-Taif, one fortress belonging to Malik Ibn Awf and another belonging to a man from the Thaquif were destroyed. When the Muslims reached Al-Taif, the retreating forces of Thaquif and Hawazen had already fortified themselves in the strongholds of Al-Taif. They stored large amounts of food provisions, other supplies, battle equipment, and ammunition.

The city of Al-Taif was the Thaquif's capital and at this time became the refuge for the retreating forces of Malik Ibn Awf, the tribes of Hawazen, and the renegades from the

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* صورة الغلاف



أفريقيا.. والدعوة!!

إفريقيا المسلمة فى حاجة إلى جند للدعوة الاسلامية الخالصة لله عز وجل ـ ولرسوله ﷺ. وإفريقيا المسلمة قوة فى الميدان الدولى خالصة مخلصة لمن يساعدها فى دينها وكيانها.

ثم إفريقيا المسلمة صوفية مالكية:

صوفية لاتنفصل صوفيتها عن مذهب الإمام مالك ـ رضى الله عنه، أحد أئمة السنة الراشدين.

● السنة الثامنة والخمسون ●
● الجزء الحادي عشر ●
ذو القعدة ١٤٠٦ هـ يوليو / اغسطس ١٩٨٦ م

مالكية لا يتخلى المذهب ـ فيها عن الصوفية برباطها الروحى المتين فى أبنائها المريدين .

لقد تلازمت ـ على مدى قرون ـ هذه الصوفية بالمالكية فى وحدة عميقة عن متانة ، عزيزة عن حب ، قوية عن تقدير ..

● ● ●

فالتصوف ، وهو « التجرد لممارسة شيء مادون نظر إلى عائده المادى » هو الذي تلبس به ـ عن إخلاص ـ أولئك الدعاة المسلمون الأوائل الذين انبثوا فى إفريقيا من الشمال متجردين لنشر هذا الدين حبا فى الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ ، فانطلقوا يدعون إلى الله ورسوله فى غير ما طمع فى كسب مادى ، أو مجد شخصى ، أو هدف سياسي .

لقد تجردوا عن ذلك كله للإسلام وحده .. لعقيدته وشريعته وحتى يوفروا لأنفسهم كرم النفس ووجاهة الدين تاجروا من وقت لآخر فى شيء من السلع لسد الرمق والبعد عن الارتزاق بالإسلام[1] فأحلهم الأفارقة من قلوبهم خير منازل العزة وأرفع مقامات التقدير .

وعلى هذه الدرجة من الإحسان أو غلوا جنوبا يدعون إلى الله بين قبائل تمتد بطونها إلى أبعد من حدود بلادها ، وتنتشر لغاتها على ألسنة أبنائها فى أكثر من وطن بمفهوم « الوطن » فى رقعة السياسة اليوم ، لذلك لم تقف الحدود السياسية مانعة للإسلام ؛ فإن القبيلة واللغة انطلقتا به فسرى الإسلام بين الأفارقة بسرعة الضوء يخرجهم من الظلمات إلى النور .

● ● ●

وكان أولئك الدعاة مالكية :

درسوا مذهب إمام أهل المدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل السلام وأزكى التحية ـ فمارس المسلمون الجدد شريعة هذا الدين ، أول ما مارسوه ، بهذا المذهب الكريم الذى كان إمامه مالك ـ رضى الله عنه ـ أحد المقدمين فى جمع حديث رسول الله ﷺ ـ فصار كتابه « الموطأ » ذخيرة رائدة فى الحديث الشريف ، وفقه الشريعة ، وريادة الدين .

إلى هذا القدر ارتبط إسلام القوم بمذهب الإمام وصوفية الدعاة فكانت إفريقيا ـ وحدها من بين القارات التى لاينفك فيها التصوف السليم عن المذهب بحال . وكانت أيضا خير شاهد عملى واقعى يبين أن الداعية المخلص لا يمثل عدم معرفته بلغة الآخرين مشكلة تصده عن التبليغ ، فما من مكان فى إفريقيا يخلو من متحدث بالعربية من أبنائه

●●●

وأثمرت البذور فى إفريقيا الطيبة ؛ فإذا هى باسقات الدوح عامرات النتاج ؛ وإذا لإفريقيا المسلمة أبناؤها الأئمة فى المذهب ، والأئمة فى الصوفية ، أى أن الدين رسخ رسوخ الشجرة التى تستمد غذاءها من أرضها ، وتعطى ثمرها من حين إلى حين فكان من أئمة أفريقيا الإمام التادلى ، والإمام مختار بلى الفوتى ، والإمام عثمان بن فوديو .. وغيرهم كثير .. أئمة قدوة ، وأركان قوة صنعهم الدين على عينه قبل أن يخرج الآخرون رؤساء مبشريين .

●●●

ثم اجتاح إفريقيا ما اجتاح العالم الإسلامى ، وأصابها ما أصابه من شراسة الاستعمار ثم أذنابه من أبنائها المتعبدين لمذاهبه المختلفة بأنماطها العديدة ، وقاومت الأرض الطيبة حتى استقام لها شىء من الاستقلال ؛ فكان لابد للدعوة أن تستأنف طريقها من جديد .

ولن تنجح الدعوة فى إفريقيا إذا هى تنكرت لتلك الوحدة ، وهى خاسرة ـ عن يقين ـ إذا هى نالت من الصوفية أو حطت منها أو لمزت أئمتها الكبار من أمثال الإمام الغزالى أو غيره ، وإنما تخسر ـ عندئذ ـ لأنها نالت من قدر القوم ، وحطت من عقولهم .

وهى خاسرة عن يقين إذا هى نالت من المذهب أو طرحته أو تناولت أحد أئمة السنة أو تلاميذهم بسوء .

لست أقول ذلك ـ عن فراغ ، ولا عن دراسة نظرية ، إنما أقول ذلك عن دراسة الواقع الذى عايشته ثلاث سنوات فى أكبر دولة بغرب إفريقيا

وخلال ذلك حدثت تجربة لدعاة مدرسين نالت مما عليه القوم فحدث أكثر من احتجاج ، وبدرت أكثر من ثائرة ، **وانتهت التجربة .**

●●●

أفريقيا والدعوة

وإذا الفراغ قائم.
وإذا إفريقيا المسلمة فى حاجة إلى دعاة .
وإذا القلة القليلة التى حلت بينهم غير كافية .

وإذا بذكاء « مضاد للسنة » يفاجىء إفريقيا بنشاطه مخفيا ـ فى دهاء ـ مقته للسنة ولأهل السنة ، مبدياً صفحة براقة من الحب لآل البيت ـ رضوان الله عليهم ـ مدعياً أن لهم مذهباً وأنه على مذهبهم ؛ فاستطاع أن يبدو صوفياً على غير صوفية متمذهباً على غير مذهب .

وبهر هؤلاء الدعاة شباب القوم فقد كانوا لُسُنًا قوّالة على دُرْبَةٍ عالية من فهم نفسية المخاطبين،وتوالٍ مستمر حتى وجدوا من ينصت لهم ويتحمس لنشاطهم ، ويطرق أبوابنا بليل حاملاً إلينا مجلات أولئك الدعاة الحافلة بالدعاية لهم .

وبعد :
فأين « عصا موسى » على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ؟
أين البلد الأمين الحريص على السنة ومذاهب الأئمة المعتنق لها المقتنع بفضلها منذ أشرق الإسلام ؟

أين البلد الأمين الذى لم يتنكر للصوفية فى إطارها المطابق لكرامة هذا الدين ، الملتزم لتعاليمه الذى يزود عنها ما قد يعلق بها من شعث بالحكمة والموعظة الحسنة ، والذى جاهد عشرات السنين حتى رَأَسَ جماعاتِ الصوفية بعضُ علماء الدين فأحسن إليها بقدر ما يستطيع ؟!!

أليس هو مصر ؟!
ومن غير مصر لمذاهب السنة وحُسْنِ التصوف
أليست مصر لإفريقيا « عصا موسى » ؟
عصا تلقف مايأفكون ، وتحق الحق بكلمة الله العزيز الحكيم،لقد طوق مصرَ فرضُ العين لتضع خبرتها فى تلك القارة العزيزة فيربح فيها الإسلام موقعا كريما ، وتربح مصر عملاقا دوليا يصافحها بالخير فى كل ميدان ..

د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

المرأة المسلمة بين النقاب والحجاب

من أحكام صلاة العيد وزكاة الفطر

رسالة من فضيلة الإمام الأكبر...

المرأة المسلمة
بين النقاب والحجاب

لقد خلق الله الإنسان واستخلفه فى الارض ليعمرها . ولن تتم هذه العمارة ، وتستمر إلاَّ بِبَقَاء الإنسان متوالداً جيلاً بعد جيل ففى سورة الروم قول الله سبحانه :(١)

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ».

ولكى يتم استمرار تناسل وتوالد الإنسان رَكَّب الله فيه مجموعة من الغرائز والدوافع النفسية الذاتية تسوقه بسلطانها إلى ما يضمن بقاءه فرداً ، واستبقاءه نوعاً .

وكان من هذه الغرائز غريزة البحث عن الطعام التى بإشباعها يبقى شخصه وذاته بمعايير الحياة التى قدرها الله .

وكان منها الغريزة الجنسية التى بالاستجابة إليها يبقى نوعه ، وهذه الغريزة قوية عاتية فى الإنسان ، بل وفى كل حيوان ومن شأنها أن تطلب متنفساً تؤدى فيه دورها . والإنسان ـ رجلاً كان أو امرأة ـ مع هذه الغريزة ، إما أن يكبتها أو يطلقها وفى كلتا الحالتين يتعرض لضرر بالغ فى نفسه ومجتمعه .

ومن ثم كان لابد أن تحاط هذه الغريزة بحدود وقيود ، فكان تحريم السفاح ، وتشريع النكاح ، أى الزواج ، وهذا هو العدل الوسط المؤدى إلى استمرار بقاء الإنسان . وهذا هو

« ١ » الآيتان ٢٠ ، ٢١ سورة الروم

بقلم صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق - شيخ الأزهر

القرآن يحرم الاختلاط غير المشروع بين الذكر والأنثى ففى سورة الإسراء قول الله سبحانه[٢]

« وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا .»

كما حرم كل ما يفضى إلى الزنا من وسائل ومقدمات با ستثارة الغرائز وفتح منافذ الفتنة بين الرجل والمرأة ويغرى بالفاحشة أو يقرب منها سداً للذريعة ودرءا للمفسدة ..

ومن ثم حرم الإسلام الخلوة بين رجل وامرأة لم يربط بينهما زواج أو محرمية .

ففى الحديث المروى فى الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : (لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم) وفى رواية أحمد عن عامر بن ربيعة (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها ، فإن ثالثهما الشيطان)

وهذه الغريزة التى تشد كلا من الرجل والمرأة إلى الآخر هى التى تثير الفتنة فى المرأة بالنسبة للرجل وفيه بالنسبة لها ، ففى الحديث المروى فى الصحيحين (ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء .)

وكان من علاج الاسلام ووصاياه لدرء هذه الفتنة ما جاء فى القرآن من أوامر واقية ودافعة لهذه الفتنة لا سيما الآيات التى وردت فى سورتى النور والأحزاب حيث بينت الآداب الواجبة فى دخول البيوت وغض البصر وستر الجسد ، ومن يباح لهم الخلوة بالمرأة والنظر إليها أو الدخول عليها عملاً على الاستقرار الداخلى والخارجى فى نفس المرأة والرجل على حد سواء ومنعاً من تحكم الأهواء والشهوات ، وصوناً للمرأة بوجه خاص عن التبذل ، وعوامل الاغراء والفتنة حتى تكون زوجاً صالحة تبنى أسرة مستقيمة .

وكانت آيات الحجاب ستراً واقيا من الوقوع فى شرور الفتنة ..

ولقد جاءت مادة الحجاب فى ثمانية مواضع فى القرآن الكريم وكلها تشير إلى أن معناه المنع والستر ، أى ما يمنع الفتنة ويدفع وقوعها بين الرجال والنساء .

الثياب والنقاب :

ولقد نبهت آيتان فى القرآن الكريم على ما يجب أن تكون عليه ثياب المرأة إحداهما قول الله سبحانه فى سورة النور[٣]

« وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ

« ٢ » ٣٢ من سورة الاسراء

« ٣ » ٣١ -

إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ، أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون .»

والآية الأخرى قول الله سبحانه فى سورة الأحزاب ..(٤)

« يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما ».

فهاتان الآيتان متكاملتان ، حيث حددتا ما يجب أن ترتديه المرأة المسلمة بحيث يحجب جسدها كله ، فلا ينكشف منه إلا ما قضت به حاجة التعامل وهو الوجه والكفان عملا بقول الله فى آية سورة النور (.. إلا ما ظهر منها ..) وحد الوجه من منبت الشعر إلى أسفل الذقن وما بين شحمتى الأذنين بحيث لا يظهر شىء من الشعر ولا القرط (الحلق ولا الأذن) ولا شىء من العنق ولا يكون الثوب مظهراً لما تحته ، ولا ضيقاً وصافا يفصل أجزاء الجسد ، ولا لافتاً للنظر بلون أو تفصيل يسترعى أنظار الآخرين ويدخل فى حكم التبرج المنهى عنه فى القرآن الكريم .

فالمطلوب من المراة المسلمة ـ بمقتضى هاتين الآيتين ـ أن تستر رأسها ورقبتها وصدرها (وليضربن بخمرهن على جيوبهن .) وأن يكون ثوبها ساترا لجميع جسدها ، فلا يرى الغير منها إلا الوجه والكفين (يدنين عليهن من جلابيبهن .)

بذلك فسر رسول الله ﷺ قول الله سبحانه فى آية سورة النور السابقة (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها .)

فقد روى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فى لباس رقيق يشف عن جسدها ، فأعرض عنها النبى صلى الله عليه وسلم وقال : (يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه .)

وهذا الحديث رواه أيضاً ابن مردويه والبيهقى عن خالد بن دريك وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب والشوكانى فى نيل الأوطار .

(٤) الآية ٥٩

وإن قال القرطبى فى تفسيره إنه منقطع لم يتصل سنده . وقال أبو داود إنه مرسل حيث لم يدرك خالد عائشة وفى إسناده سعيد بن بشير أبو عبد الرحمن البصرى نزيل دمشق مولى بنى نصر وقد تكلم فيه غير واحد ، إن كان ذلك فى هذا الحديث لكن أحاديث أخرى صحاحا تقويه وردت فى إباحة كشف الوجه والكفين لحاجة التعامل .

ويؤيد هذا أن المرأة تكشف وجهها فى الصلاة وكذلك فى الإحرام بالحج وفى العمرة ولو كان الوجه والكفان عورة لما أبيح لها كشفهما ، لأن ستر العورة واجب ، إذ لا تصح صلاة الإنسان إذا كان مكشوف العورة ، كما يؤيده حديث الخثعمية الذى رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما وفيه : (أن النبى ﷺ أردف الفضل ابن العباس يوم النحر خلفه وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ، فعاد الفضل ينظر إليها ثلاث مرات ، والرسول ﷺ يحول وجهه فقال العباس (والد الفضل) لرسول الله ﷺ لم لويت عنق ابن عمك ؟ فقال ﷺ : رأيت شاباً وشابة فلم آمن الشيطان عليهما .)

قال ابن حزم : ولو كان الوجه عورة يجب سترها لما أقر النبى ﷺ هذه المرأة على كشفه بحضرة الناس ثم قال :

(ولو كان وجهها مغطى ما عرف الفضل أحسناء هى أم شوهاء .)

وقال ابن بطال (وفيه دليل على أن ستر المرأة وجهها ليس فرضاً لإجماعهم على أن للمرأة أن تبدى وجهها فى الصلاة ولو رآها الغرباء .)

وفى الصحيحين « أن سبيعة بنت الحارث توفى عنها زوجها وكانت حاملاً فوضعت قبل أن تنقضى عدة المتوفى عنها زوجها (أى أربعة أشهر وعشراً) فرآها أحد الصحابة (يقال له أبو السنابل) وقد تجملت ، فاكتحلت واختضبت ، فلامها ، فأتت النبى ﷺ فأخبرته فقال ﷺ : (قد حللت حين وضعت) ولم ينكر عليها الرسول ﷺ أنها أظهرت الكحل أو الخضاب حتى رآها ذلك الرجل وغيره .

وحديث صدقات النساء بعد أن دعاهن الرسول للتصدق الذى رواه البخارى وأحمد والنسائى وأبو داود ومحصله أن ابن عباس شهد العيد مع رسول الله ﷺ فخطب الرسول الرجال ثم ذهب فخطب النساء وأمرهن بالصدقة ، فبسط بلال ثوبه .. قال ابن عباس (فرأيتهن يهوين بأيديهن) يعنى يلقين صَدَقَاتهن فى ثوب بلال .

وتلك رواية صدق فى أن أيديهن كانت مكشوفة بلا نكير من رسول الله ولا من أحد من الأصحاب الحاضرين .

وقال القرطبى عند تفسير قول الله (**إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**) لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة فى الصلاة والحج صلح أن يكون الاستثناء راجعاً إليهما .

وقد صرح بهذا جماعة من الصحابة والتابعين ، وهو اختيار الطبرى والزمخشرى والرازى وغيرهم من المفسرين .

لما كان ذلك كان لزاماً على المرأة المسلمة بمقتضى هاتين الآيتين أن تستر جسمها من قمة رأسها إلى ظاهر قدميها ، وليس لزاماً أن تخفى وجهها وكفيها بنقاب أو قفاز وما أشبههما ، باعتبار أنه لم يقم دليل صريح من القرآن ولا من السنة بوجوب إخفاء الوجه والكفين ، بل جاءت الأخبار الصحيحة بغير ذلك .

ومن ثم يكون استعمال النقاب والقفاز عملا شخصياً محضاً لا يساند الوجوب فيه دليل ظاهر .

أما أن بعض النساء كن يخفين الوجوه والأكف على عهد الرسول ﷺ فإن ذلك كان من باب الحياء والاعتياد ، لا على سبيل الإلزام بحكم تشريعى يدل لهذا ما رواه الحاكم عن أسماء رضى الله عنها قالت : « كنا نغطى وجوهنا من الرجال حياء » أى حياء منهن وخجلا لا تشددا ولا تغالياً فى الدين ..

وهو أيضاً ما رواه أحمد وأبو داود والبيهقى قالت عائشة (كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات ، فإذا حاذونا أسبلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها ، فإذا جاوزونا كشفناه .)

فتغطية الوجه والكفين عمل اختيارى موقوت بظروفه غير مأمور به ولا منهى عنه ، ويكون خيراً ، إذا ترجحت الفتنة وتعين درء المفسدة .

هـــــذا :

ويجب أن نفرق بين جواز كشف الوجه والكفين وعدم وجوب إخفائهما وبين حرمة الاستغراق فى النظر ومتابعته بين الرجال والنساء ، فقد جاء الأمر بالغض من البصر صريحاً واضحاً فى قول الله سبحانه فى آيتى سورة النور : (**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ..) وقوله (**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ** ..)

وفى السنة أحاديث صحيحة كثيرة تحرم مداومة النظر إلى المرأة من هذا ما رواه أحمد وأبو داود عن على رضى الله عنه حيث قال له رسول الله ﷺ :(يا على ، لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة .)

وحديث الخثعمية المشار إليه آنفاً حيث حول الرسول ﷺ وجه الفضل بن العباس عن النظر إليها ، ولم يأمرها بإخفاء وجهها .

كما أنه مع هذا لا ترخص فى الزى الإسلامى فقد روى مسلم وأحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قول الرسول ﷺ : (صنفان من الناس لم أرهما : رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا .)

والكاسيات العاريات هن اللواتى يلبسن ما يشف وما يصف ويلفت النظر ، والمائلات

الميلات بنحو التخلع والاهتزاز فى المشى وبالخضوع واللين فى القول والحديث .

وبعـــــد :

فإن الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس . وأن من الخير للمسلم وللمسلمة الوقوف عند ما يعلم علماً صحيحاً من حلال أو حرام والا يتجاوز هذا إلى ما لا يعلم متزيداً بالافتاء بما لا سند له ، متأولا أو متجاوزاً حدود التأويل والله سبحانه يقول فى سورة الاعراف[5]:

« قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .»

وفى هذه الجملة الأخيرة النهى عن القول فى الإسلام بغير دليل أو برهان فى حدود أصول الإسلام المبينة فى القرآن والسنة وما تفرع عنهما من أدلة ارتضاها سلف هذه الأمة .

والقول فى الدين بغير علم ، تحريماً أو تحليلاً ، هو ما أكد الله أيضاً تحريمه فى قوله سبحانه فى سورة النحل :[6]

« وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ .»

ومن ثم فما كان من الأحكام ثابت بدليل قطعى الدلالة والثبوت كان لازماً لكافة المسلمين ، ولا محل لتأويله أو الحيدة عما قضى به ، وما كان ظنى الدلالة ولو كان قطعى الثبوت كان للفهم الصحيح فيه مجال ومقال ولم يجز لأحد أن يكره أحداً على انتحال فهم فى النص لم يطمئن إليه . فإذا توافق كثرة من العلماء على رأى كان على الكافة اتباعهم ، وكان لمن خالف أن يعمل برأيه دون أن يحاول حمل الغير على اتباعه حتى لا تكون فتنة . حسبما تقرر فى آداب المفتى والمستفتى فى مباحث علم أصول الفقه .

ذلك أن هذه المذاهب الفقهية التى نتداولها إنما نشأت باجتهادات فى موضع قابل للاجتهاد وليس لمجرد الرغبة فى الاختلاف والنزاع ، لأن التفرق فى الدين هو الماحقة.حذر الله منه فقال سبحانه فى سورة آل عمران :[7]

« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » وفى سورة الانفال :[8] « وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ » وفى سورة الأنعام[9]

«٥» الآيتان ٣٢ ، ٣٣
«٦» الآية ١١٦
«٧» الآية ١٠٣
«٨» الآية ٤٦
«٩» الآية ١٥٩

« إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ..»

ويجب رد المسائل المتنازع عليها إلى الكتاب والسنة.ذلك قول الله سبحانه فى سورة النساء[10]

« فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ .» وقوله تعالى : [11] فى سورة الشورى .

« وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ .» ذلك لأن الدين قد فصله القرآن كما قال الله فى سورة النحل [12]

« وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ .» وبينته السنة كما قال الله سبحانه فى سورة النحل :[13]

« وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ .»

ولأن من آيات القرآن ونصوص السنة ما حوى قواعد عامة مقررة بل ومستقرة ليس فيها ما يصعب على الناس اعتقاده ، أو يشق عليهم العمل به .

ذلك قول الله فى سورة البقرة[14]

« .. لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » وقول الله سبحانه فى ذات السورة [15]

« يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ .»وقوله تعالى فى سورة الحج[16] ..

« وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ .»

ذلك يسر الإسلام وعمومه الذى جمعه الرسول ﷺ فى قوله الذى رواه .. البخارى : (إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه .)

وهذه القضايا التى يكثر فيها جدل المسلمين سواء من كان من أهل العلم أو ممن لم يكن تشبثاً برأى ، أو تمسكاً بقول فقيه ينبغى أن نأخذها بهذا المعيار الذى قرره القرآن الكريم فى تلك الآيات وأوضحه رسول الله ﷺ فى هذا الحديث الشريف .

ومن ثم فلا نجعل المندوب سنة ، ولا السنة فرضاً حتماً ، ونحدث بذلك الفرقة فى صفوف المسلمين ، ونضل الناس بغير علم ، كما نقول فى الإسلام بغير ما قررت أصوله والله ورسوله قد نهيا عن ذلك « فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ »

لقد تفرقت بالمسلمين السبل ، وتنازعتهم الأهواء فكان هذا الواقع الأليم الذى تعيشه الأمة الإسلامية . إن علينا جميعاً اتباع قول الله الحكيم فى سورة الأنعام :[17]

« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »

والله سبحانه وتعالى أعلم

« ١٠ » من الآية ٥٩
« ١١ »من الآية ١٠
« ١٢ » من الآية ٨٩
« ١٣ » من الآية ٤٤
« ١٤ » من الآية ٢٨٦
« ١٥ » من الآية ١٨٥
« ١٦ » من الآية ٧٨
« ١٧ » الآية ١٥٣

من أحكام صلاة العيد وزكاة الفطر

بقلم صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق - شيخ الأزهر

شرعت صلاة عيد الفطر .. وصلاة عيد الأضحى فى السنة الأولى من الهجرة .. وهى سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء .. واظب عليها رسول الله - ﷺ - ، وأمر الرجال والنساء بالخروج لها ..

ويستحب الغسل والتطيب ولبس أجمل الثياب فى صلاة العيدين .. كما كان يفعل رسول الله ﷺ - ويامر بها .

ويسن أكل تمرات وترا قبل الخروج إلى صلاة عيد الفطر ، وتأخير الأكل إلى ما بعد صلاة عيد الأضحى .. لما رواه البخارى ، وأحمد .. عن أنس قال : كان النبى - ﷺ - لايغدوا يوم الفطر حتى ياكل تمرات ، وياكلهن وترا »

وقال ابن قدامة فى المغنى : لانعلم فى استحباب تعجيل الأكل يوم الفطر اختلافا ..

مكان صلاة العيدين :

روى أصحاب السنن عن أم عطية قالت : « أمرنا أن نخرج العواتق والحيض فى العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين .. ويعتزل الحيض المصلى ..

وقد اختلف أهل العلم فى : هل الأفضل أداء صلاة العيد فى المسجد أوفى الصحراء ؟ فذهب الشافعى وآخرون - كما جاء فى نيل الأوطار للشوكانى جـ٣ - صـ ٢٩٢ إلى أن أداء صلاة العيدين فى المسجد أفضل ،، فقد نقل صاحب فتح البارى عن الأم للشافعى ..

أن سبب ذلك سعة المسجد أو ضيقه ولو أن المسجد يسع أهل الناحية لم ير الشافعى الخروج إلى الصلاة فى الصحراء ؛ لأن

المطلوب حصول عموم الإجتماع .. فإذا حصل فى المسجد كان أولى ..

وجاء فى الصفحة الخامسة من الجزء الخامس من كتاب المجموع للنووى : تجوز الصلاة فى الصحراء كما تجوز فى المسجد ، وأنه إذا اتسع المسجد ولم يكن هناك مانع من الصلاة فى الصحراء ؛ كانت صلاة العيد فى المسجد أفضل .. فإذا ترك الناس المسجد الواسع وصلوا فى الصحراء ؛ كان خلاف الأولى .. ولا كراهة فى ذلك .. ويرى غير الشافعي - كما جاء في صـ ٣١٧ في الفقه على المذاهب الأربعة « قسم العبادات » - أن صلاة العيدين فى الصحراء أولى ؛ لمواظبة رسول الله - ﷺ والخلفاء من بعده على ذلك .. وقد نص المالكية على أن هذا مندوب ، ونص الحنفية والحنابلة على أنه سنة ..

وتجرى النصوص فى كل المذاهب على أنه متى اختار الناس صلاة العيد خارج المسجد .. كانت السنة أن تكون فى الصحراء .. وقيد الحنابلة الصحراء بأن تكون قريبة من العمران عرفا ..

ويتضح من أقوال جمهور فقهاء المذاهب - أخذا مما جرت به سنة رسول الله ﷺ أنه يسن صلاة العيدين فى الصحراء .. وخالف فى ذلك الإمام الشافعى وقال : إن الأولى الصلاة فى المسجد إذا اتسع لأهل الناحية ..

ومن ثم .. فلا تعتبر صلاة العيد فى الشوارع أو فى الميادين داخل المدن مسنونة ؛ لأن ما عرف وأثر عن رسول الله - ﷺ إنما هو الصلاة فى الصحراء .. وعلى هذا فصلاة العيد إما أن تكون خارج العمران أو فى المسجد ..

وإنه من اللازم أن ننبه إلى العمل على إخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد ؛ لأن الرسول الكريم - ﷺ كان يأمر بإخراجها قبل الصلاة .. وقد روى أبو داود وغيره .. عن

ابن عباس قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر .. طهرة للصائم من اللغو وطعمة للمساكين .. من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات ..

ويرى أكثر الفقهاء جواز إخراج زكاة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين ، وهو ما تشير إليه الأحاديث الشريفة ؛ لأنها شرعت لسد حاجة المحتاجين فى أيام العيد ..

ويجوز إخراجها نقدا كما ذهب إلى ذلك الإمام أبو حنيفة .. وهذا أيسر وأنفع للفقراء .. وزكاة الفطر زكاة عن عدد الرءوس لا عن عدد الأموال .. بمعنى أنه يجب على كل أسرة أن يخرج عائلها - سواء أكان رجلا أم امرأة - الزكاة عن نفسه وعمن يعولهم حتى الخدم المنقطعين للخدمة .. وتقدر القيمة عن كل فرد هذه السنة بمائة قرش - على الأقل - ومن زاد على هذا كان خيرا ..

وبعد : فهذا رأى الدين واضحا جليا أمام عامة المسلمين وخاصتهم .. لامجال بعده لاجتهاد فيه ولا خروج عليه ..

جمع الله كلمتنا على الحق ، وهدانا إلى سواء السبيل .

رسالة

من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

إلى اللجنة التحضيرية لحملة الإفراج عن الزعيم الأفريقي نيلسون مانديلا

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لله .. وصلاة وسلاما على سيدنا رسول الله ، وعلى آله واصحابه ومن والاه ..

وبعــد :

فإن الاسلام دين الله وشرعته التي ارتضاها لعباده ، لم يقف عطاؤه للانسانية - باعتباره دينا عالميا - عند حد من اعتنقوه وارتضوه دينا لهم ، وإنما امتدت مظلة عطائه لتكريم بني الانسان كلهم فيما ساقه إلينا الذكر الحكيم .. من كلام رب العالمين .. حيث يقول الحق تبارك وتعالى :-

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » .

فالاسلام هنا لم يفرق فى تكريمه للانسانية بين مسلم وغير مسلم ، وإن كان قد جعل لمعيار التميز والتفضيل مرتكزا آخر ، أفصح عنه قول المولى - جل علاه - :-

« إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » ..

وفى إطار تكريم الاسلام لكل نفس انسانية نسوق - أيضا - ما أثر عن الرسول - ﷺ -

من انه مرت عليه جنازة فوقف لها .. فدهش الحاضرون وقالوا لرسول الله ﷺ متعجبين :

انها ليهودى يا رسول الله ... فكان رده - ﷺ - : أو ليست نفسا ؟؟

بل لقد ذهب الاسلام فى حفظه على كرامة النفس ، وصيانته لحريتها إلى بعيد .. حيث

امتد عطاؤه إلى الحيوان ، وساق لنا الهدْيُ النبوي الشريف ما أخبر عنه الرسول - ﷺ -

من أن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها .. فلا هى أطعمتها .. ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض .

ومن هنا .. فإن الأزهر - باسم الاسلام - يدين كل مساس بحرية الانسان فى إطار ما شرع الله ، ويعارض كل حجر على حرية الرأي ما لم يكن الرأي هادما ، ويناشد حكومات العالم وشعوبه .. أن تكون كرامة الانسان وحريته ، مظهر حضارتنا .. وعنوان

تقدمها .. ودليل انسانيتها .. كما يناشد الحكومات والشعوب أن تؤازر الزعيم نيلسون

مانديلا الذي ينادي بالحرية والاستقلال لأبناء وطنه .

مع تمنياتنا للجنة الموقرة بالتوفيق والسداد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ....

٨ . من شوال عام ١٤٠٦ هـ

١٥ من يونية عام ١٩٨٦ م

شيخ الأزهر

« جاد الحق على جاد الحق »

دراسات إسلامية

رحلة عربية لاكتشاف سر يأجوج ومأجوج

هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعاء

قضية الانتماء في ضوء التشريع الإسلامي

يأجوج ومأجوج

رحلة عربية لاكتشاف

قال تعالى ﴿ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا .. ﴾ الآيات ٩٤ ـ ٩٩ من سورة الكهف .

البيان

قام الفاتح الكبير (ذو القرنين) بغزو العالم مشرقاً ومغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، فما ردت له راية ، ولا كسرت له سرية ، ولا خرج عن حكمه أمة طواها فى سجل دولته العالمية ، وكان مهندساً ماهراً ، وقائداً محنكاً ، وحاكماً عادلاً ، وعالماً مجرباً ، وسياسياً بعيد الفكر ، فهلذا دانت الدنيا لسلطانه إلا قليلا ، وسعدت بتوجيهه ، وقد جاء من أخباره بسورة الكهف ، أنه وصل فى فتوحاته إلى ما بين السدين ـ أى إلى ما بين الجبلين ، فكل جبل منهما سد وحاجز لما وراءه ـ وسيأتى الحديث عنهما .

وحينما وصل إلى هذه المنطقة ، وجد عندها قوماً لا يكادون يفقهون قولا ، لغرابة لغتهم ، وقلة فطنتهم ، فلما رأوا ما أوتى من عزم وقوة وعلم ، وأبصروا مالديه من الآلات الهندسية والمهندسين والعمال المهرة ، طلبوا منه أن يبنى بين الجبلين سداً عاليا ، يحميهم من قوم عتاة مفسدين ، اطلقوا عليهم اسم يأجوج ومأجوج وقد كان يبلغ رغباتهم إليه ، ترجمان يعرف لغتهم ، ولقلة فطنتهم سألوه أن يجعلوا خرجاً ـ أى أجرا ـ فى مقابل بناء هذا السد ، فى حين أن من فتح الدنيا ـ وهى ملك يمينه ـ لا يحتاج إلى أجر ، ولذا اعتذر عن عدم قبول ما عرضوه من الأجر برفق وحكمة ، حيث قال « مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً » .

والمراد من إعانتهم له بقوة ، أن يساعدوه فى حمل مواد البناء من مصادرها وأن يناولوا مهندسيه مكعبات الحديد التى صبها لبنائه .

ثم جعل يبنى السد بها ، حتى إذا ساوى بين جانبى الجبلين ، أمر بإيقاد نار فى المواد القابلة للاشتعال الموضوعة بين حجارة السد ، حتى أصبحت قطع الحديد ناراً ملتهبة ، فأمر أن يصب على السد قطر ،

لفضيلة الشيخ: مصطفى محمد الطير

والقطر هو النحاس المذاب ، ثم تركه ليبرد ، فما استطاع أولئك المفسدون من يأجوج ومأجوج أن يظهروه ويعلوه بالصعود ، لارتفاعه وملاسته ، وما استطاعوا أن ينقبوه ويخرقوه لغلظه وصلابته .

ومنذ تحدث عنه القرآن الكريم والناس فى أشد الشوق إلى معرفة موضعه وتفصيل أوصافه ، ومعرفة ما يكشف النقاب عن يأجوج ومأجوج المفسدين فى الأرض الذين حجبهم السد وواراهم .

أول رحلة إليهم

أول رحلة علمية لمعرفة موضع سد يأجوج وأوصافه ، كانت فى عهد الخليفة الواثق بالله ، وأول من روى خبرها هو المؤرخ (ابن خرداذبة) فقد لقى الترجمان (سلاماً) رئيس البعثة التى قامت بها ، واستملى منه ما كتبه عنها للخليفة الواثق بالله .

انظر المسالك والممالك طبع ليدن سنة ١٣٠٦هـ سنة ١٨٨٩م ، وعن ابن خرداذبة ، نقل جميع المؤلفين بعده ، مثل الإدريسى وابن الفقيه الهمذانى والمقدسى .

وقد جاء فى خبرها أن الواثق بالله رأى فى المنام أن السد الذى بناه ذو القرنين مفتوح ، فاستدعى سلاما الترجمان وقال له : اذهب إلى هذا السد وجئنى بخبره وحاله وما هو عليه وأمر أن يصحبه فى هذه الرحلة خمسون رجلاً ، ومنحه خمسين ألف دينار ، وأعطاه عشرة آلاف درهم فى مقابل ديته ـ على فرض موته أثناء الرحلة ـ

واعطى كل واحد من أصحابه الخمسين الف درهم ، ورزق سنة ، وأمر لهم بمائة بغل تحمل الزاد والماء .

قال سلام الترجمان : شخصنا من (سامَرَّا) بكتاب الواثق إلى اسحاق بن اسماعيل صاحب (ارمينية) بالنظر إلى تنفيذنا من هناك(١) فكتب لنا كتابا إلى ملك السَّرير(٢) فلما وصلنا إليه أسلمنا إلى ملك اللانَ ، فلما وصلنا إليه أشخصنا إلى صاحب (فيلان شاه)(٣) فلما وردنا عليه ، ارسلنا إلى ملك (الخزر)(٤) فاختار لنا خمسة أولاد يرشدوننا إلى الطريق ، فسرنا من عنده سبعة وعشرين يوماً فى تخوم بلاد (بَسْجَرْت) إلى

---

(١) كان الغرض من كتاب الواثق إلى صاحب ارمينية ، ان يساعدهم ليخرجوا إلى مهمتهم عن طريق بلاده .

(٢) بوزن امير ، مملكة بلاد اللان وباب الأبواب بقرب ارمينية .

(٣) فيلان شاه إقليم أسيا الصغرى .

(٤) إقليم بين الموصل وإربل ، اهله من الترك .

أن وصلنا إلى أرض سوداء طويلة ، ممتدة كريهة الرائحة ، فقطعناها في عشرة أيام ، وكنا قدتزودنا لقطعها بأشياء نشمها ، خوفا من أذى رائحتها الكريهة ، ثم انفصلنا عنها فسرنا مدة شهر في بلاد خراب ، قد درست أبنيتها ، ولم يبق منها إلا رسوم يستدل بها عليها ، فسألنا من معنا عن تلك المدن فأخبرونا أنها المدن التي كان يأجوج ومأجوج يغزونها ويخربونها ، ثم سرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذي في شعبة السد ، وذلك في ستة أيام ، وفي تلك الحصون قوم يتكلمون بالعربية والفارسية .

وهناك مدينة يُدْعى ملكها (خاقان بن أكدس) ، وأهلها مسلمون لهم مساجد ومكاتب ، فسألونا من أين أقبلنا ، فأخبرناهم أننا رسل أمير المؤمنين الواثق بالله ، ثم سألونا عن أمير المؤمنين ، أشيخ هو أم شاب ، فقلنا : شاب . فعجبوا مما قلناه ، ثم قالوا : وأين يكون ؟ قلنا بالعراق بمدينة (سُرَّ من رأى) فعجبوا أيضاً وقالوا ما سمعنا هذا قط ، فسألناهم : من أين جاءكم الإسلام ومن علَّمكم ؟ فقالوا وصل إلينا منذ أعوام كثيرة ، رجل راكب على دابة طويلة العنق ، طويلة اليدين والرجلين ، لها في موضع صلبها حَدَبة ، فعلمنا أنهم يصفون الجمل ـ قالوا ـ فنزل بنا فكلمنا بكلام فهمناه ، ثم علمنا شرائع الإسلام فقبلناها وعلمنا القرآن ومعانيه ، فتعلمناه .

الوصول إلى السد ووصفه

قال سلام رئيس البعثة : ثم خرجنا بعد هذا إلى السد لنبصره ، فسرنا عن المدينة نحو فرسخين ، فوصلنا السد ، فإذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا وله في وسط هذا الفناء باب من حديد طوله خمسون ذراعاً ، قد اكتنفته عضادتان عرض كل منهما خمسة وعشرون ذراعاً ، والظاهر من ثخنها عشرة أذرع خارج الباب ، وكله مبنى بِلَبِنٍ من حديد مغيب بالنحاس ، وارتفاع العضادتين خمسون ذراعا ، وعلى أعلى العضادتين (دَرَوُند حديد)[1] طوله مائة وعشرون ذراعا ، والدروند للعتبة العليا ، وقد ركب منها على كل من العضادتين مقدار عشرة أذرع ، ومن فوق الدروند بنيان متصل بلبن الحديد[2] المغيب بالنحاس إلى رأس الجبل ، وارتفاعه مد البصر ، وفوقه شُرُافات حديد ، في طرف كل شرافة قرنان .

وللباب مصراعان مغلقان ، عرض كل مصراع خمسون ذراعا ، في ثخن خمسة أذرع وقائمتان في دوارة على قدر الدروند ، وعلى الباب (قُفْل) طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع ، وارتفاع القفل من الأرض خمسة وعشرون ذراعا ، وفوق القفل بخمسة أذرع

---

(١) الدروند هو المعروف عند أهل الصنعة بالعتبة .

(٢) المقصود من لبن الحديد المكعبات التي بنى بها السد ، وكانت من الحديد .

(غَلَقٌ) طوله أكثر من طول القفل ، وعلى الغَلَق مفتاح طوله ذراع ونصف وله اثنا عشر سنا ، كل سِنٍّ كمِدَقِّ الهاون .

وهذا المفتاح معلق في سلسلة ضخمة ملحومة بالباب ، طولها ثمانى أذرع فى استدارة أربعة أشبار ، والحلقة التى بها السلسلة مثل حلقة المنجنيق .

ثم ذكر أن فى جانبى الباب حصنين ، وأن فى أحد الحصنين آلات البناء التى بنى بها السد ، من القدور كقدور الصابون - أى القدور التى يصنع فيها الصابون ، وذكر أنه شاهد فى هذا الحصن بقايا لبن الحديد - أى مكعباته التى بنى لها - وقد التصق بعضها ببعض من الصدأ ، وطول اللبنة ذراع ونصف فى ارتفاع شبر[1] .

قال سلاَّم الترجمان : وقد سألنا من خاطبناه من أهل تلك الجهة ، هل رأوا أحدا من يأجوج ومأجوج ، فأخبرونا أنهم رأوا منهم مرة عدداً فوق شُرفات الردم ، فهبت ريح سوداء ، فألقتهم إلى جانبهم - أى إلى الجهة التى هم منها - .

قال سلاَّم : فكتبت هذه الصفات كلها ، ثم انصرفنا مع الأولاد من تلك الحصون ، فأخذوا بنا على ناحية خراسان ، وجعل يذكر أسماء البلاد التى مرّ بها ، حتى وصل بمن معه إلى (سُرَّ من رأى) بعد مغيبهم فى سفرتهم هذه ثمانية وعشرين شهراً .

قال ابن خرداذبه : فهذا جميع ما حدث به سلام .

وذكر القرطبى فى تفسيره أن ارتفاع السد مائتا ذراع وخمسون ذراعا .

ويبدو أن السد الذى شاهده سلام ومن معه فى رحلتهم هذه ، هو سد باب الأبواب بناحية أرمينيا ، وهو سد مشهور يقع بين جبلى أرمينيا وأذربيجان ، ولكن هذا السد العظيم لم يبنه الاسكندر المشهور بذى القرنين ، بل بناه كسرى أنو شروان ، لأغراض تتعلق بالأمن والسلامة لأهل هذه المنطقة ممن كانوا يغيرون عليها ، وربما كان هؤلاء المغيرون هم الهُفوليُّون ، فهم الذين أجلوا شعب الخزر إلى شرق أوروبا ، إذ حملوهم بكثرة الغارات على الهجرة إليها ، ثم الاندماج فى أهلها .

وهذا الشعب الهمجى الذى حبس بسد (باب الأبواب) أطلق عليه سلام الترجمان شعب يأجوج ومأجوج ، وذلك لأن هذا هو منتهى علم الثانى فى هذا الزمان ، فإن الفتوحات الإسلامية وصلت إلى هذه المناطق وعرف من أهلها بعض الأخبار عن سد باب الأبواب ، فظنوا أنه هو الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم .

وما ذكره سلام من أنه سأل بعض أهل هذه الجهة : هل رأوا أحدا من يأجوج ومأجوج فأخبروه أنهم رأوا بعضهم على حائط السد ، ثم القتهم الريح فى الجهة التى جاءوا منها ، فلا يفيد أنهم هم يأجوج ومأجوج ،

---

(١) ما ذكرناه اعلاه من المعانى العربية للألفاظ الفارسية .

لأنهم لا يعرفون اسم يأجوج ومأجوج فهم حديثو عهد بالإسلام ، ولا علم لهم بقصتهم ، فالمعقول أنه سألهم : هل رأوا أحداً ممن يحجبهم هذا السد ، فأجابوه بأنهم رأوا بعضهم فوقه ، وأن الريح الأسود هوى بهم فى الجهة التى صعدوا منها ، فترجم السؤال والجواب بما فى ذهنه عن هذا السد وأهله .

رأى المحققين فى مكانه ومآله

والمحققون يرون أن السد الذى بناه ذو القرنين ليس هذا وإنما هو الذى يقع بين الجبلين الواقعين بين سمرقند والهند ، وراء جيجون فى عمالة بلخ ، ويطلق عليه اسم (سد باب الحديد) فهو الذى بناه الإسكندر الذى يظن أنه ذو القرنين بأرجحية ، فإنه لما وصلت فتوحاته إلى هذه المنطقة ، شكا إليه أهلها من غارات المغول والتتار عليهم .

وهؤلاء تمتد بلادهم من التبت والصين حتى المحيط المتجمد الشمالى ، وتنتهى غرباً إلى ما يلى بلاد التركستان ، بين خطى العرض ٢٧ ـ ٥٠ فى هضبات آسيا الوسطى .

هل دُكَّ هذا السد ؟

قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾

وقال المحققون : إن هذه النبوءة قد تحققت ، فقد دك سد الصين ، واجتازه تيمور لنك بجيشه ، ومَرَّ به (شاه روح) وكان فى خدمته رجل ألمانى اسمه (سيلد برجر) ألَّف كتابا جاء فيه ذكر هذا السد ، وكان ذلك فى القرن الخامس عشر .

كما جاء ذكر هذا السد فى رحلة الأسبانى (كلافيجو) سنة ١٤٠٣م ، وكان رسولا من ملك قشتاله بالأندلس إلى تيمور لنك ، وقد تبين بدكه وخروج أهله إلى ما كانوا عليه من الغزو والإفساد ، أنهم بشر مثل سائر الناس فى أجسادهم وأطوالهم وصفاتهم البدنية .

أما ما روى من أن طائفة منهم طول الواحد منهم ذراع وعرضه كذلك وطائفة أخرى يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى ، فإنه وأمثاله يعتبر من الأكاذيب الموضوعة والخرافات المصنوعة .

وهذه الأمم معروف عنها تاريخيا تجاوز إفسادها إلى أطراف الأرض ، فقد انحدروا من مرتفعات آسيا الوسطى إلى أوروبا وخربوها ، كما خربوا آسيا الغربية التى بعث فيها الأنبياء ، وكانوا يحذرون منهم أممهم .

جرائمهم فى عهد الإسلام

قلت إنَّ سدَّهم تخرب ، وإنهم خرجوا فى غزوات تخريبية ، ومن جرائمهم ما حدث فى أوائل القرن السابع الهجرى ، أنهم أغاروا بقيادة جنكيز خان على بلاد المسلمين ، فاجتاحوا مملكة السلطان قطب الدين السلجوقى ، ملك التركستان والفرس ،

واستولوا عليها بعد حرب امتدت عشر سنين وقتلوا الرجال وسبوا النساء ، وفعلوا كل منكر ، وقد أحصى من قتل فى خوارزم وحدها ، فخص كل جندى من جنود چنكيز خان أربعة وعشرون قتيلا من المسلمين ، وأحرقوا المدينة بعد ما جرت الدماء أنهاراً ، وذلك غير ما فعلوه بسمرقند وبخارى وغيرهما ، وأفنوا أهل نيسابور عن آخرهم ، وكان قتلى (مَرْو) مليونا وثلاثمائة ألف ، وأخضعوا بلاد الهند ، وهلك چنكيز خان بعد رجوعه من غزو الهند .

وأغار ابن أخيه هولاكو بجنوده على مقر الخلافة ببغداد ، فى عهد الخليفة المستعصم بالله وذبحوا الخليفة ، وعلقوا جثته فى ذنب حصان ، وأباحوا المدينة سبعة أيام سالت فيها الدماء أنهاراً ، وطرحوا كتب العلم فى نهر دجلة ، وجعلوها جسراً يمرون عليه بخيوله ، وأضاعوا بذلك الإجرام الشنيع ثروة علمية لا يجود بمثلها الزمان .

الانتصار الحاسم عليهم

ومن سنن الله فى كونه أن ينتقم من الباغى فى عنفوان غيه ﴿ **وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ** ﴾ .

فقد تفضل على جيش مصر المظفر ، بأن يكون الانتقام من هؤلاء الوحوش على أيدى جنوده وقواده العظام .

ففى معركة « مرج دابق » انتصر الجيش المصرى العربى عليهم ، بقيادة الملك المظفر (عز الدين قطز) وسحقهم ومزقهم شر ممزق ، حتى لم تقم لهم بعد هذه المعركة قائمة ، وأراح الله منهم بلاد المسلمين ، بعد أن بلغوا الذروة فى الشر والفساد .

دخولهم فى الإسلام

لما خالط المغول والتتار المسلمين ، عرفوا عن الإسلام ما كانوا يجهلون ، من العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة ، فاعتنق كثير منهم الإسلام ، وكونوا أغلب المسلمين فى الهند والصين وآسيا الوسطى ، فانقلبوا بذلك من الشر إلى الخير ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الإسلامية

هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

في الدعاء

عن ابى موسى الأشعري قال : كنت مع رسول الله - ﷺ - في سفره فلما دَنُوا من المدينة كبّر الناس ، ورفعوا أصواتهم فقال ﷺ :
« يايها الناسُ إنكم لا تَدْعون اصَمَّ ولا غائبا ، إن الذي تدعونه بينكم وبين اعناق ركابكم » ثم قال رسول الله - ﷺ - : يا ابا موسى : « الا ادلك على كنز من كنوز الجنة » فقلت : وما هو ؟ قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .
رواه الشيخان وابو داود

راوى الحديث : عبد الله بن قيس بن سليمان بن حضّار الأشعري : أبو موسى هاجر إلى الحبشة .

استعمله النبي - ﷺ - مع معاذ على اليمن ليعلم الناس القرآن ، وعمل على زُبَيْد وعدن ، ثم ولى لعمر الكوفة والبصرة وفتح على يده تُسْتَر وعدة أمصار .

وكان عالما ، عاملا ، صالحا ، تاليا لكتاب الله ، إليه المنتهى فى حسن الصوت بالقرآن وله ثلثمائة وستون حديثا .

حدث عنه طارق بن شهاب ، وابن المسيب ، وأبو وائل ، وأبو عثمان الفهدي وخلق .

قال أبو اسحاق : سمعت الأسود يقول : لم ار بالكوفة اعلم من علي وأبي موسى .

وقال أبو البحترى : سئل على بن ابي طالب عن أبي موسى فقال : صبغ في العلم صبغة .

وقال مسروق : كان العلم في ستة نفر من اصحاب رسول الله - ﷺ - يصفهم أهل الكوفة : عمر وعلى وعبد الله ، وأبو موسى ، وأبى ، وزيد بن ثابت .

مات بالكوفة فى ذى الحجة سنة أربع وأربعين، وقيل غير ذلك

معنى الحديث

الحديث النبوي الشريف قبس من أنوار النبوة ، وتوجيه كريم من الدرر الغوالى لسيد الخلق سيدنا رسول الله ﷺ - يرشدنا فيه إلى أهمية الدعاء ومكانته ، ويحثنا فيه الحبيب الغالي إلى مداومة الدعاء ، وأن في استمراره

للأستاذ عبد المعز عبد الحميد الجزار

نجاح المسعى في الدنيا والآخرة .

ولا غروا فقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ، وما يسمع لهم صوت ، إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم ، لأن المولى تبارك وتعالى يقول : ﴿ .. ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً .. ﴾ وإن الله ذكر عبدا صالحا ، ورضي بفعله فقال : ﴿ .. إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً ﴾ .

وصدق رسول الله ـ ﷺ ـ إذ يقول لصحابته في حديث آخر : « يا أيها الناس اربَعوا على أنفسكم .. » أي : ارفقوا بها ، وأمسكوا عن الجهر الذي يضركم .

وإن الدعاء هو : طلب ما يحتاج إليه العبد من ربه تبارك وتعالى من أمور دينه ودنياه وهو مطلوب من العبد شرعا بنص الكتاب الشريف ، والسنة المطهرة السنية ، وهو من عبادة الله تعالى . لأن الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب ، وأنه عاجز عن تحصيله ، وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته ، وهو قادر على إيصالها إليه فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ، ويعرف ربه بالقدرة والكمال ؛

وقال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ . تضرعا يعني : ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهو اظهار الذل الذي في النفس والخشوع .

وقال الزجاج تضرعا : يعني تملقا . وحقيقته أن ندعوه خاضعين خاشعين ، متعبدين بالدعاء له تعالى .

ومن هذه الآية قال بعض العلماء : إن إخفاء الطاعات والعبادات أفضل من اظهارها لهذه الآية ، ولكونه أبعد عن الرياء وذهب بعضهم إلى أن اظهارها أفضل ليقتدي به غيره فيعمل مثل عمله وتوسط بعضهم فقال : إن كان خائفا على نفسه من الرياء فالأولى إخفاء العبادات صونا لعمله عن البطلان،وإن كان قد بلغ فى الصفاء وقوة اليقين إلى التمكين بحيث صار مباينا لشائبة الرياء كان الأولى في حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء به .

وقال الحسن : بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا . وإن الآية تشير إلى أن الأدب في الدعاء أن يكون سرا . لأن الله لا يحب المعتدين في الدعاء بالتشدق ورفع الصوت .

آداب الدعـــــاء

ومن آدابه : فعل المأمورات ، وتجنب المنهيات والحرام في المأكل والمشرب لقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا » إلى أن قال « ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء :

يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فَأَنَّى يستجاب له » .

وأن يخلص لله تعالى في الدعاء ، وأن يظهر الفاقة له ، ويقدم لله عملاً صالحاً ، ويستقبل

القبلة ، ويثنى على الله تعالى ، وأن يصلي على رسول الله ـ ﷺ ـ أولاً وآخراً .

والا يخص نفسه بالدعاء إن كان إماما ، وأن يسأله بأسمائه الحسنى ، ويختار الجوامع من الدعاء ، والا يدعو بأمر فرغ منه ، ولا بمستحيل أو محرم ، وأن يوقن بالاجابة وأن يتخير أوقات الدعاء كيوم عرفه ، وأن يقول: آمين ، ويختار الأدعية الصحيحة من القرآن والسنة ..

أوقات الإجابة

تكون عند أذان الصلاة ، وبين الأذان والاقامة ، وبين الحَيْعَلَتَيْن ، ودبر الصلوات وفي السجود ، وعند ختم القرآن ، وبعد الفراغ من درس العلم وعند رؤية الكعبة المشرفة ، وعند السحر ، وبين الجلالتين في سورة الأنعام ، وفي الطواف بالكعبة ، وعند الملتزم وتحت الميزاب وفي البيت الحرام ، وعند زمزم ، وعلى الصفا والمروة وفي السعي وعند المقام ، وعند قبر النبي ـ ﷺ ـ وغير ذلك من المشاعر وأن يرفع يديه في الدعاء ، ويمسح بهما وجهه .

من يستجاب دعاؤهم ؟

الذين يستجاب دعاؤهم : المضطر ، والمظلوم ولو كافرا ، والإمام العادل ، والولد البار بوالديه ، والمسافر سفر طاعة ، والصائم والمسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب يقول الملك:

ولك بمثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يقول : دعوت فلم يستجب لى بل يوقن بالاجابة .

روى الحاكم فى المستدرك عن أبي هريرة رضى الله عنه « ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسألة إلا أعطاه الله إياها ، إما أن يعجلها له أو يدخرها له».

ثم إن رسول الله ﷺ قد دل سيدنا ابا موسى الأشعري على كنز من كنوز الجنة الا وهى : « لا حول ولا قوة إلا بالله » وسماها كنزا لأنها كالكنز في نفاسته ، وصيانته من أعين الناس ، أو أنها من ذخائر الجنة ، أو من محصلات نفائس الجنة .

قال الإمام النووي : المعنى أن رسول الله ﷺ قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهمّ » رواه ابن أبي الدنيا في الفرج .

وعن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « من تعارّ من الليل ـ أى استقيظ ـ فقال حين يستيقظ : لا إله إلا الله وحده لا شريك له،له الملك وله الحمد،وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله ، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم دعا استجيب له ، فإن قام فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته » رواه أبو داود والترمذي .

فوائد إخفاء الدعــاء

إن في إخفاء الدعاء فوائد عديدة ، وثمرات جمة :

أحدها : أنه أعظم إيمانا حيث إن صاحبه يعلم أن المولى سبحانه يسمع دعاءه الخفى ، وليس كالذي قال : إن الله يسمع إن جهرنا ، ولا يسمع إن أخفينا .

ثانيها : إن اخفاء الدعاء أعظم فى الأدب والتعظيم ومن أجل هذا فإن الملوك لا تخاطب ، ولا تسأل برفع الأصوات ، بل تخفض عندهم ، ويخف عندهم الكلام بمقدار ما يسمعونه ، ومن رفع صوته لديهم مقتوه ، ولله المثل الأعلى ، فإذا كان يسمع الدعاء الخفى ، فلا يجدربنا ولا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به .

وثالثها : أنه أبلغ فى التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبّه ، ومقصوده فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل ، قد أنكسر قلبه ، وذلت جوارحه ، وخشع صوته ، حتى إنه ليكاد تبلغ به ذلته ومسكنته وكسره وضراعته إلى أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق ، فقلبه سائل طالب مبتهل ، ولسانه لشدة ذله وضراعته ومسكنته ساكت ، وهذه الحالة لا يتأتى معها رفع الصوت بالدعاء أصلا .

ورابعها : أنه أبلغ في الاخلاص .

وخامسها : أنه أبلغ في جمعية القلب على الله في الدعاء ، فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته ، فكلما خفض صوته كان أبلغ في صمده ، وتجريد همته ، وقصده للمدعو سبحانه وتعالى .

وسادسها : أنه دال على قرب صاحبه من الله ، وأنه لاقترابه منه ، وشدة حضوره يسأله مسألة أقرب شيء إليه ، فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب ، لا مسألة نداء البعيد للبعيد ، ولهذا أثنى سبحانه على عبده زكريا بقوله : ﴿ **إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا** ﴾ .

فكلما استحضر القلب قرب الله تعالى منه ، وأنه أقرب إليه من كل قريب وتصور ذلك ، أخفى دعاءه ما أمكنه ، ولم يتأت له رفع الصوت به ، بل يراه غير مستحسن ، كما أن من خاطب جليسا له يسمع كلامه ، فبالغ في رفع الصوت استهجن ذلك منه ، ولله المثل الأعلى سبحانه .

وقد أشار النبي - ﷺ - إلى هذا المعنى بعينه بقوله فى الحديث الشريف لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر ، فقال : « أربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنكم تدعون سميعا قريبا أقرب الى أحدكم من عنق راحلته » .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ..** ﴾

وجاء فى سبب نزولها : أن الصحابة قالوا : يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ..** ﴾ .

وهذا يدل على إرشادهم للمناجاة في الدعاء

لا للنداء الذي هو رفع الصوت ، فإنهم عن هذا سألوا فأجيبوا بأن ربهم تبارك وتعالى قريب لا يحتاج في دعائه وسؤاله إلى النداء .

وسابعها : أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال ، فإن اللسان لا يمل ، والجوارح لا تتعب بخلاف ما إذا رفع صوته ، فإنه قد يكل لسانه ، وتضعف بعض قواه ، وهذا نظير من يقرأ ويكرر رافعا صوته فإنه لا يطول له ذلك بخلاف من يخفض صوته .

وثامنها : إن أعظم النعم الاقبال على الله ، والتعبد له ، والانقطاع إليه ، والتبتل إليه ، ولكل نعمة حاسد على قدرها ، دَقّتْ أو جَلّتْ ، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة ، فَأَنْفُسُ الحاسدين المنقطعين متعلقة بها ، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد ، والا يقصد إظهارها له .

وقد قال سيدنا يعقوب لسيدنا يوسف : « لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ » .

وتاسعها : أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه متضمن للطلب منه ، والثناء عليه بأسمائه وأوصافه ، فهو ذكر وزيادة ، كما أن الذكر سمى دعاء لتضمنه الطلب ، كما قال الرسول ﷺ : « أفضل الدعاء الحمد لله » فسمى "الحمد لله" دعاء وهو ثناء محض ، لأن الحمد يتضمن الحب والثناء . والحب أعلى انواع الطلب للمحبوب ، فالحامد طالب لمحبوبه ، فهو أحق أن يسمى داعيا من السائل الطالب من ربه حاجة ما ، والمقصود أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ .. ﴾ فأمر تعالى نبيه أن يذكره في نفسه .

قال مجاهد وابن جريج : أمر أن يذكروا في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت أو الصياح

وتامل كيف قال في آية الذكر ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِك تَضَرُّعاً وَخِيفَةً ﴾ وفي آية الدعاء ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً ﴾ .. فذكر التضرع فيهما معا وهو التذلل والتمسكن والانكسار وهو روح الذكر والدعاء .. وخص الدعاء بالخفية ، وخص الذكر بالخيفة لحاجة الذاكر إلى الخوف ، فإن الذكر يستلزم المحبة ويثمرها ولا بد ، فمن أكثر من ذكر الله أثمر له ذلك محبته ، والمحبة ما لم تقرن بالخوف فإنها لا تنفع صاحبها .

« رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .. »

اللهم إني أسالك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك ، الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت ، وإذا استرحمت به رحمت ، وإذا استفرجت به فرجت ..

اللهم إني أسالك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم .

« عبد المعز عبد الحميد الجزار »

فقه مواقيت الصَّلاة

من الكتاب والسُّنة

د. محمود محمد رسلان

الصلاة من أعظم القربات إلى الله سبحانه وتعالى ، فهى صلة بين العبد وربه

وقد جاءت فرضيتها فى الكتاب العزيز « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً[1] » أى فرضا مؤكدا ثابتا ثبوت الكتاب ، و« موقوتا »أى منجما فى أوقات محدودة [2] ولاغرو فقد ورد ذكرها فى القرآن فى أكثر من ستين موضعا ، وهذه الفريضة لا تسقط عن المسلم أبداً : فى السفر أو الحضر ، فى الصحة أو المرض ، فالزكاة مثلا لا تجب إلا فى كل عام مرة ، ولا تجب إلا على القادر ، والصوم واجب فى العام مرة ، وقد يعفى منه غير القادر ، أو من به علة ، أما الشهادة فيكفى النطق بها فى العمر مرة وكذلك الحج فإنه لا يجب إلا مرة واحدة فى العمر ، ولايجب إلا على المستطيع ، لقوله تعالى : « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً [3] »

« ١ » النساء : ١٠٣

« ٢ » الشيخ سيد سابق : فقه السنة جـ١ صـ١٧٢ ط السابعة ١٣٧٩هـ

« ٣ » آل عمران : ٩٧

ومن ثم انفردت الصلاة فى الإسلام بمنزلة لا تعدلها منزلة أية عبادة أخرى : لأنها عماد الدين الذى لا يقوم إلا به . قال رسول الله ﷺ « رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله[٤].

وهى اول ما اوجبه الله تعالى من العبادات ، تولى إيجابها بمخاطبة رسوله ﷺ ليلة المعراج من غير واسطة ، قال أنس رضى الله عنه « فرضت الصلاة على النبى ﷺ ليلة أسرى به خمسين ، ثم نقصت حتى جعلت خمسا ، ثم نودى يا محمد : إنه لايبدل القول لدى ، وإن لك بهذه الخمس خمسين[٥] ».

وهى اول ما يحاسب عليه المرء ، ولشدة عناية الله بها أنزل جبريل عليه السلام ليعرف رسول الله ﷺ أوقاتها ، وليأمه ﷺ فى أول صلاة يصلياها معا .

مكانة الصلاة فى الإسلام :

تتضح مكانة الصلاة فى الإسلام من تحديد مواقيتها فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية :

ففى القرآن يقول الله تعالى : « **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**[٦] » **فقوله سبحانه وتعالى : « أقم الصلاة طرفى النهار »** قال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما : يعنى الصبح والمغرب [٧] وكذا قال الحسن ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، « وزلفا من الليل » يعنى المغرب والعشاء ، قاله الحسن فى رواية ابن المبارك ، ثم مبارك بن فضالة [٨] .

قال ﷺ : « هما زلفتا الليل : المغرب والعشاء[٩] » وقوله تعالى : « **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا** [١٠] » يقول الله سبحانه لرسوله ﷺ : آمراً له بإقامة الصلوات المكتوبات فى أوقاتها « أقم الصلاة لدلوك الشمس » قيل : لغروبها ، وعن ابن عباس : دلوكها زوالها ، وقوله : « لدلوك الشمس إلى غسق الليل » وهو ظلامه ، وقيل : غروب أخذ منه : الظهر ، والعصر ، والمغرب والعشاء ،

« ٤ » فقه السنة ١٥٨/١ .

« ٥ » رواه الإمام أحمد ، والنسائى والترمذى وصححه .

« ٦ » هود : ١١٤

« ٧ » تفسير الطبرى الأثر : ١٨٦١٥ : ٥٠٣/١٥

« ٨ » تفسير ابن كثير جـ٢ صـ٤٦١ وما بعدها ط الحلبى .

« ٩ » تفسير الطبرى الأثر ١٨٦٤٠ : ٥٠٨/١٥ وتفسير ابن كثير جـ٢ صـ٤٦٢ ، والزلف : بفتح الزاى القربة والمنزلة والزلفة بضم الزاى : الصحفة ، والطائفة من أول الليل والجمع: زلف : المعجم الوسيط مادة : زلف

« ١٠ » الإسراء : ٧٨ .

وقوله : « وقرآن الفجر » يعنى صلاة الفجر[١١] « مشهودا » أى تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار[١٢] . وفى سورة طه الآية ١٣٠ « **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ** » فقوله سبحانه : « **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ** » يعنى صلاة الفجر « وقبل غروبها » يعنى صلاة العصر ، كما جاء فى الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال : كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون[١٣] فى رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا[١٤] » ثم قرأ هذه الآية وأخرج الإمام أحمد بسنده عن عمارة بن رؤيبة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها[١٥] » « ومن آناء الليل فسبح » حمله بعضهم على المغرب والعشاء ، « وأطراف النهار » فى مقابلة آناء الليل[١٦] .

مواقيت الصلاة فى السنة :

وكما جاءت مواقيت الصلاة فى القرآن الكريم ، جاءت السنة فوضحت هذه المواقيت وحددتها ، وهذا مما يلفت انظار المسلمين إلى اهتمام الله بالصلاة فى كتابه وسنة نبيه ﷺ ، فيزدادوا لها استمساكا ، ولها أداء فى مواقيتها . أخرج الإمام أحمد عن أبى الأحوص عن عبد الله قال :« من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم

« ١١ » تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٥٣ ـ ٥٤ ، ودلكت الشمس دلوكا : زالت عن كبد السماء ، والدلك بفتح اللام : اسم لوقت غروب الشمس وزوالها . المعجم الوسيط مادة : دلكت ، والغسق : ظلمة الليل والقمر اظلم بالخسوف ، والمؤذن أخر أذان المغرب إلى غسق الليل المعجم الوسيط مادة : غسق .

« ١٢ » فقه السنة جـ ١ صـ ١٧٢ هامش ٤ .

« ١٣ » يروى بتشديد الميم ، وتخفيفها ، فالتشديد معناه : لا ينضم بعضكم إلى بعض ، وتزدحمون وقت النظر إليه ومعنى التخفيف : لا ينالكم ضيم فى رؤيته ، فيراه بعضكم دون بعض ، والضيم : الظلم تفسير ابن كثير جـ٥ صـ١٣٩ هامش ط الشعب .

« ١٤ » البخارى كتاب مواقيت ، باب فضل صلاة العصر ، وتفسير سورة « ق » ٦/ ١٧٣ وكتاب التوحيد باب قول الله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » ١٥٦/٩ ، ومسلم : كتاب المساجد . باب فضل « صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليها » ١١٣/٢ ـ ١١٤ ، وراجع تفسير ابن كثير جـ ٣صـ ١٧٠ ط الحلبى .

« ١٥ » رواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير ومسند الإمام احمد : ١٣٦/٤ .

« ١٦ » تفسير ابن كثير جـ٣ صـ١٧٠

سنن الهـدى ، وأنـهن مـن سنن الهدى[١٧] ..

أخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أمنى[١٨] جبريل عند البيت فصلى بى الظهر حين زالت الشمس فكانت بقدر الشراك[١٩] ، ثم صلى بى العصر حين كان ظل كل شىء مثليه ، ثم صلى بى المغرب حين أفطر الصائم ، ثم صلى بى العشاء حين غاب الشفق ، ثم صلى بى الفجر حين حَرُم الطعام والشراب على الصائم ، ثم صلى الغدَ الظهر حين كان ظل كل شىء مثله ، ثم صلى بى العصر حين صار ظل كل شىء مثليه ، ثم صلى بى المغرب حين أفطر الصائم ، ثم صلى بى العشاء إلى ثلث الليل الأول ، ثم صلى بى الفجر فأسفـر ، ثم التفت إلىّ فقال : « يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت ما بين هذين »[٢٠] .

فوقت صلاتنا إذن هو وقت صلاة الأنبياء ، وهذا دليل على أن الإسلام جاء ليربط الأنبياء جميعاً فى حلقة متصلة بعضها ببعض بمهد السابق للاحق ، ويتمم الخاتم رسالة السابق ، وتعليم جبريل عليه السلام الصلاة لرسول الله ﷺ ، وتعريفه بأوقاتها ، تعليم لنا أيضاً ، وحث على عدم التهاون بها ، أو التكاسل عنها ، فجبريل عليه السلام سفير ذى الجلال والإكرام ، لا يهبط على رسول الله ﷺ إلا بأمر ذى بال ، فحرى بالمسلمين أن يلحظوا هذا الملحظ ، فلا تفوتهم صلاة ، وإذا كان هذا الحديث الشريف قسم المواقيت على اليوم والليلة ، على وجه الإجمال ، فإن هناك أحاديث قد أفردت لكل وقت حديثاً على حدة مثل .

وقت الظهـر : أخرج الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« وقت الظهر إذا زالت الشمس ، وكان ظل الرجل كطوله مالم يحضر العصر ، ووقت العصر مالم تصفر الشمس ، ووقت صلاة

« ١٧ » الحديث فى مسند الامام أحمد برقم : ٣٩٣٦ ، ٣٩٧٩ ، ٤٣٥٥ ط دار المعارف .

« ١٨ » هو الملك الكريم ، رسول الله تعالى إلى رسله الآدميين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . راجع المجموع شرح المهذب للشيرازى ، للإمام ابى زكريا محى الدين النووي جـ ٣ صـ ٢١ تحقيق وتعليق وتكملة محمد المطيعي .

« ١٩ » الشراك أحد سيور النعل التي على وجهها ، وقدره هنا ليس على معنى التحديد ، وشركت النعل شَرَكا ـ بفتح الراء ـ انقطع شراكها . راجع : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ، للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى ت ٩٤٢ك جـ ٣ صـ ٢٤٧ تحقيق عبد العزيز عبد الحق طـ المجلس الأعلى .. القاهرة ١٣٩٥ والمعجم الوسيط مادة : شركت .

« ٢٠ » رواه الإمامان الشافعى وأحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وحسنه ، والطحاوى ، والبيهقى عن ابن عباس ، وهو فى المسند برقم ٣٠٨١ ، ٣٣٢٢ تخريج أحمد شاكر طـ دار المعارف ، وراجع بقية تخريجات الحديث فى كتاب : سبل الهدى والرشاد جـ ٣ صـ ٢٤٣ .

المغرب مالم يغرب الشفق ، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط ، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر مالم تطلع الشمس ، فإذا طلعت الشمس فأمسك عن الصلاة ، فإنها تطلع بين قرنى شيطان(٢١) » بين هذا الحديث مع ما سبقه ، مواقيت الصلوات ومنها صلاة الظهر ، فأخبر أن وقته يبدأ من زوال الشمس عن وسط السماء ، ويمتد إلى أن يصير ظل كل شيء مثله سوى فيء الزوال إلا أنه يستحب تأخير صلاة الظهر عن أول وقتها عند شدة الحر ، حتى لا يذهب الخشوع(٢٢) ، لما ورد عن أنس قال : « كان النبي ﷺ إذا اشتد البرد بكّر بالصلاة ، وإذا اشتد الحر أبرد بالصلاة » ، وما ورد عن أبى ذر قال : كنا مع النبى ﷺ فى سفر فأراد المؤذن أن يؤذن الظهر فقال : « أبرد » ثم أراد أن يؤذن فقال : أبرد « مرتين أو ثلاثا حتى رأينا فيء التلول (٢٣) ، ثم قال : إن شدة الحر من فيح جهنم ، فإذا اشتد الحرُّ فأبردوا بالصلاة(٢٤) ..

غايـة الإبـــراد :

اختلف العلماء في غاية الإبراد فقيل : حتى يصير الظل ذراعا بعد ظل الزوال ، وقيل : ربع قامة ، وقيل : ثلثها ، وقيل نصفها ، وقيل غير ذلك ، وهذا كله يرجع إلى اختلاف الأحوال ، لكن بشرط أن لايمتد الابراد إلى آخر الوقت(٢٥) .

« ٢١ » صحيح مسلم ١/١٧٠ ، والمسند رقم ٦٩٦٦ ، ٦٩٩٣ ط دار المعارف .

« بين قرني شيطان » اختلفوا فيه ، فقيل : هو على حقيقته ، وظاهر لفظه ، والمراد أن يحاذيها بقرنيه عند غروبها ، وكذا عند طلوعها ، لأن الكفار يسجدون لها حينئذ ، فيقارنها ليكون الساجدون لها في صورة الساجدين له ، ويخيل له ولأعوانه انه إنما يسجدون له .
وقيل : هو على المجاز ، والمراد بقرنه قرنيه : علوه وارتفاعه ، وسلطانه ، وتسلطه وغلبته ، وأعوانه قال الخطابى : هو تمثيل ، ومعناه أن تأخيرها بتزيين الشيطان ومدافعته لهم عن تعجيلها كمدافعة ذوات القرون لما تدفعه ، والصحيح الأول . راجع صحيح مسلم ٥/١٢٤ شرح النووى .

« ٢٢ » فقه السنة : ١/١٧٥ ، وقال .. ابن قتيبة فى أوائل أدب الكاتب : يتوهم الناس أن الظل والفيء بمعنى واحد ، وليس كذلك ، بل الظل يكون غدوة وعشية ، ومن أول النهار إلى آخره ومعنى الظل : الستر .. ومنه قولهم : أنا فى ظلك ، ومنه ظل الجنة ، وظل شجرها إنما سترها ، وظل الليل سواده لأنه يستر كل شيء ، وظل الشمس : ما سترته الشخوص من مسقطها .
وأما الفيء : فلا يكون إلا بعد الزوال ، ولا يقال لما بعد قبل الزوال فيء ، وإنما سمى بعد الزوال فيئاً لأنه ظل فاء من جانب إلى جانب ، أى رجع ، والفيء الرجوع . نقلا عن كتاب المجموع ... جـ ٣ صـ ٢١ ـ ٢٢ .

« ٢٣ » التلول : جمع تل : ما اجتمع على الأرض من تراب أو رمل أو نحو ذلك . فقه السنة جـ ١ صـ ١٧٥ هامش « ١ » .

« ٢٤ »رواه البخارى ، ومسلم .

«٢٥» انظر فقه السنة : ١/١٧٦

وقت صلاة العصــر :

يدخل وقت صلاة العصر ، حين يصير ظل كل شيء مثله بعد الزوال ، ويمتد إلى غروب الشمس لحديث أبي هريرة رضى الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر » .. رواه الجماعة ، ورواه البيهقى بلفظ :

« من صلى من العصر ركعة قبل أن تغرب الشمس ، ثم صلى ما بقى بعد غروب الشمس لم يفته العصر » .«٢٦»

الوقت الاختيارى ، ووقت الكراهة لصلاة العصر :

إذا اصفرت الشمس فقد انتهى وقت الفضيلة والاختيار ، وتأخير الصلاة إلى مابعد الاصفرار جائز ، إلا أنه مكروه ؛ إذا كان لغير عذر ، لما ورد عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقرها أربعا لا يذكر الله إلا قليلاً[٢٧] » رواه الجماعة إلا البخارى ، وابن ماجة .

قال النووى فى شرح مسلم :

قال أصحابنا : للعصر خمسة أوقات : ١ ـ وقت فضيلة ٢ ـ واختيار ٣ ـ وجواز بلا كراهة ٤ ـ وجواز مع كراهة ٥ ـ ووقت عذر ، فأما وقت الفضيلة فأول وقتها ، ووقت الاختيار :

يمتد إلى أن يصير ظل الشيء مثليه ، ووقت الجواز إلى الاصفرار ، ووقت الجواز مع الكراهة حال الاصفرار إلى الغروب ، ووقت العذر ، وهو وقت الظهر فى حق من يجمع بين العصر والظهر لسفر أو مطر ، ويكون العصر فى هذه الأوقات الخمسة أداء ، فإذا فاتت كلها بغروب الشمس صارت قضاء[٢٨] ..

هل صلاة العصر هى الصلاة الوسطى [٢٩] ؟

«٢٧» صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٥ صـ ١٢٣ .

«٢٨» فقه السنة : ١/١٧٧ .

«٢٦» فقه السنة : ١/١٧٦ .

«٢٩» المحافظة على الشيء : المداومة والمواظبة ، والوسطى : تأنيث الأوسط ، وأوسط الشيء ووسطه خياره ، ومنه قوله تعالى : « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** » البقرة من الآية : ١٤٣ .

ومنه قول بعض العرب يمدح النبى ﷺ :

يا أوسط الناس طرا فى مفاخرهم
وأكرم الناس أما برة وأبا

ووسط فلان القوم يسطهم أى صار فى وسطهم ، وأفرد الصلاة الوسطى بالذكر بعد دخولها فى عموم الصلوات تشريفا لها . فتح القدير : ١/٢٥٥ وما بعدها طـ دار المعرفة بيروت .

نعم ، على أرجح الأقوال ، قال الله تعالى : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ [٣٠] » .

وقد سمى رسول الله ﷺ الصلاة الوسطى بصلاة العصر ، فعن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال : « هى العصر » ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الصلاة الوسطى صلاة العصر[٣١] » .

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن أبى نضرة الغفارى قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى واد من أوديتهم يقال له الحميص صلاة العصر ، فقال :

« إن هذه الصلاة عرضت على الذين من قبلكم فضيعوها ألا ومن صلاها ضعف له أجره مرتين ، ألا ولا صلاة بعدها حتى تروا الشاهد »[٣٢] .

ومن الأحاديث الدالة على أن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر مع ما تقدم :

ما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس قال : قاتل النبى ﷺ عدوا ، فلم يفرغ منهم حتى أخر العصر عن وقتها ، فلما رأى ذلك قال : « اللهم من حبسنا عن الصلاة الوسطى فاملأ بيوتهم نارا ، واملأ قبورهم نارا ، ونحو ذلك »[٣٣] . وفى رواية للإمام أحمد عن زبيد عن مرة عن عبد الله قال : حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى اصفرت الشمس أو احمرت فقال : « شغلونا عن الصلاة الوسطى ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا ، أو حشا الله أجوافهم ، وقبورهم نارا »[٣٤] .

وقت صلاة المغرب :

قال ﷺ : «صلاة المغرب وتر صلاة النهار »[٣٥] . ويدخل وقت صلاة المغرب إذا غابت الشمس ، وتوارت بالحجاب ،

« ٣٠ » البقرة : ٢٣٨ ، واختلف فى الصلاة الوسطى على أقوال راجع المصدر نفسه ، وأوكد الصلوات فى المحافظة عليها هى الصلاة الوسطى ؛ لأن الله تعالى خصها بالذكر ، فقال : « والصلاة الوسطى ، قيل : هى الصبح ، والدليل : أن الله تعالى قال : « وقوموا لله قانتين » فقرنها بالقنوت ، ولا قنوت إلا فى الصبح ، ولأن الصبح يدخل وقتها والناس فى أطيب نوم فخصت بالمحافظة عليها حتى لا يتغافل عنها بالنوم ، ولهذا خصت بالتثويب ، وهذا قول الإمام الشافعى فى الأم ، وهو مذهب الإمام مالك . راجع المجموع ... جـ ٣ صـ ٥٦ .

« ٣١ » تفسير ابن كثير جـ ١ صـ ٢٩٢ .

« ٣٢ » الأحاديث فى هذا المقام كثيرة فليرجع إليها من شاء فى تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٩٠ - ٢٩٤ ط الحلبى .

« ٣٣ » المسند رقم ٢٧٤٥ .

« ٣٤ » المصدر نفسه رقم ٤٣٦٥ .

« ٣٥ » المسند : ٦٤٢١ .

ويمتد إلى مغيب الشفق الأحمر لحديث عبد الله بن عمر وأن النبى ﷺ قال : « وقت صلاة المغرب إذا غابت الشمس ما لم يسقط الشفق »[٣٦] .

قال النووى فى شرح مسلم : ذهب المحققون من أصحابنا إلى ترجيح القول بجواز تأخيرها مالم يغب الشفق ، وأنه يجوز ابتداؤها فى كل وقت من ذلك ، ولا يأثم بتأخيرها عن أول الوقت[٣٧] .

وأما حديث إمامة جبريل عليه السلام برسول الله ﷺ ، وهو أنه صلى المغرب فى اليومين فى وقت واحدحين غربت الشمس فهو يدل على استحباب التعجيل بصلاة المغرب ، كما صرحت بذلك الأحاديث التالية :

(أ) ورد عن السائب بن يزيد أن رسول الله ﷺ قال : « لا تزال أمتى على الفطرة ما صلوا المغرب قبل طلوع النجوم » رواه أحمد والطبراني[٣٨] .

(ب) وفى المسند عن أبى أيوب الأنصارى قال : قال رسول الله ﷺ : « صلوا المغرب لفطر الصائم ، وبادروا طلوع النجوم »[٣٩] .

وقت صلاة العشـــــاء :

كان الأعراب يطلقون عليها العتمة ، فنهى ﷺ عن هذه التسمية ، وقال : « لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ، الا وإنها العشاء ، وإنهم يعتمون بالإبل أو عن الإبل »[٤٠] . ويعتمون فى النهاية ، قال الأزهرى : كان أرباب النعم فى البادية يريحون الإبل ثم ينيخونها فى مراحها حتى يعتموا ، أى يدخلوا فى عتمة الليل ، وهى ظلمته ، وكانت الأعراب يسمون صلاة العشاء صلاة العتمة - لإعتامهم بالإبل لحلابها - تسمية بالوقت ، فنهاهم عن

« ٣٦ » رواه مسلم ، والشفق فى القاموس هو الحمرة فى الأفق من المغرب إلى العشاء ، أو إلى قربها . وفى المعجم الوسيط ؛ مادة : شفق ، والشفق : حمرة تظهر فى الأفق حيث تغرب الشمس ، وتستمر من الغروب إلى قبيل العشاء تقريبا .

« ٣٧ » فقه السنة ١/ ١٨٠ ، وقيل : إن ما بين المغرب والعشاء نصف سدس الليل ،فإن أطال الليل طال نصف السدس ، وإن قصر قصر ، راجع المجموع ... حـ ٣ ص ٣٩ .

« ٣٨ » المصدر نفسه .

« ٣٩ » نفس المصدر .

« ٤٠ » المسند رقم ٤٥٧٢ ، وورواه مسلم والنسائى وابن ماجه كما فى المنتقى برقم ٥٨٩ . فان قيل : وقد وردت أحاديث كثيرة بتسميتها عتمة كقوله ﷺ : « لو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما حبوا » رواه البخارى وغيره من رواية أبى هريرة بهذا اللفظ ، فالجواب من وجهين :

احدهما : أن هذا الاستعمال ورد فى نادر من الأحوال لبيان الجواز ، فإنه ليس بحرام .

ثانيهما : انه خوطب به من قد يشتبه عليه العشاء بالمغرب ، فلو قيل : العشاء لتوهم إرادة المغرب ، لأنها كانت معروفة عندهم بالعشاء ، وأما العتمة فصريحة فى العشاء الآخرة ، فاحتمل إطلاق العتمة لهذه المصلحة . راجع المجموع ... حـ ٣ ص ٣٩

الاقتداء بهم ، واستحب التمسك بالاسم الذى نطق به لسان الشريعة[٤١] .

ويبدأ وقت صلاة العشاء بمغيب الشفق الأحمر ، ويمتد إلى نصف الليل ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كانوا يصلون العتمة ـ أى العشاء ـ فيما بين أن يغيب الشفق إلى ثلث الليل الأول »[٤٢]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم أن يؤخروا العشاء إلى ثلث الليل أو نصفه »[٤٣]

وهذا وقت الاختيار ، وأما وقت الجواز والاضطرار فهو ممتد إلى الفجر لحديث أبى قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : « أما أنه ليس فى النوم تفريط ، إنما التفريط على ما لم يصل الصلاة حتى يجىء وقت الصلاة الأخرى »[٤٤] .

وقت صلاة الصبح :

يبتدىء وقتها من طلوع الفجر الصادق ، ويستمر إلى طلوع الشمس للحديث المتقدم ، ولحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ،أن رسول الله ﷺ قال :

« وقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس فاذا طلعت الشمس فأمسك عن الصلاة ، فإنها تطلع بين قرنى شيطان »[٤٥] وفى رواية : « ووقت صلاة الفجر ما لم تطلع الشمس »[٤٦]

ويستحب المبادرة بصلاة الصبح بأن تصلى فى أول وقتها ، لحديث أبى مسعود الأنصارى أن رسول الله ﷺ صلى صلاة الصبح بغلس[٤٧] ثم صلى مرة أخرى فأسفر بها ، ثم كانت صلاته بعد ذلك التغليس حتى ، ولم يعد أن يسفر ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كن نساء المؤمنات يشهدن مع النبى ﷺ صلاة الفجر متلفعات بمروطهن ملتحفات بأكسيتهن ـ ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفهن أحد من الغلس »[٤٨] .

« ٤١ » راجع المسند جـ ٦ ص ٢٥٩ هامش .

« ٤٢ » رواه البخارى .

« ٤٣ » رواه أحمد وابن ماجه والترمذى وصححه ، راجع فقه السنة : ١/١٨١ .

« ٤٤ » رواه مسلم ، وراجع فقه السنة ١/١٨١ ـ ١٨٤ .

« ٤٥ »رواه مسلم ١/١٧٠ ، والمسند رقم ٦٩٦٦ .

« ٤٦ » المسند رقم ٧٠٧٧ .

« ٤٧ » رواه ابو داود والبيهقى ، وسنده صحيح ، راجع فقه السنة ١/١٨٥ ، والغلس : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح . المعجم الوسيط مادة : غلس .

« ٤٨ » رواه الجماعة . راجع فقه السنة : ١/١٨٥ . ولصلاة الصبح اسمان : الفجر والصبح جاء القرآن بالفجر ، والسنة بالفجر والصبح كما سبق ، قال الإمام الشافعى فى الأم : احب أن لا يسمى الا بأحد هذين الاسمين ، ولا أحب أن تسمى الغداة ... ، ويستحب تسميتها صبحا وفجرا ، وهو الأفضل راجع كتاب المجموع ... جـ ٣ ص ٤٣ ـ ٤٤ .

أوائل مواقيت الصلوات وأواخرها :

وتتميماً للفائدة نذكر حديث رسول الله ﷺ عن أوائل مواقيت الصلوات وأواخرها : فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن للصلاة أولاً وآخرا ، وإن أول وقت الظهر حين تزول الشمس ، وإن آخر وقتها حين يدخل وقت العصر وإن أول وقت العصر حين يدخل وقتها وإن آخر وقتها حين تصفر الشمس ، وإن أول وقت المغرب حين تغرب الشمس ، وإن آخر وقتها حين يغيب الأفق ، وإن أول وقت العشاء والآخرة حين يغيب الأفق ، وإن آخر وقتها حين ينتصف الليل ، وإن أول وقت الفجر حين يطلع الفجر ، وإن آخر وقتها حين تطلع الشمس »(٤٩) ..

وبعد : فإن مكانة الصلاة لا تعدلها مكانة أخرى يكفيها فخرا أن الله سبحانه فرضها فى السماء ، وحدد مواقيتها ، وجاءت السنة فوضحت مواقيتها ، وأن جبريل عليه السلام نزل ليعلمها رسول الله ﷺ من لدن ذى الجلال والاكرام(٥٠) .

متى قال ﷺ : « من علم أن الصلاة حق واجب دخل الجنة » .

ولقد شرعت الصلوات الخمس فى السماء لتكون معراجا يرقى بالناس ، كلما تدلت بهم شهوات النفوس ، وأعراض الدنيا(٥١) .

وهذه نصيحة رسول الله ﷺ لأبى ذر يحثه على أداء الصلاة فى وقتها ، فقد جاء عنه رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ .

« كيف أنت إذا بقيت فى قوم يؤخرون الصلاة عن وقتها ؟ قال : فما تأمرنى ؟ قال : صل الصلاة لوقتها ، ثم اذهب لحاجتك فإن أقيمت الصلاة وأنت فى المسجد فصل » رواه مسلم ، ومعناه : يؤخرون الصلاة عن أول وقتها(٥٢) .

ولقد حافظ عليها السلف الصالح ـ رضى الله عنهم ـ فكانت لهم نورا اهتدوا به فى دياجير الحياة وكانت لهم برهانا ساروا على نهجه ، فعزوا وسادوا ، وحرى بمسلمى اليوم أن يحافظوا على الصلوات فى مواقيتها حتى تكون لهم : نورا وبرهانا فى الدنيا والآخرة . والله ولى التوفيق .

د . محمود محمد رسلان

« ٤٩ » رواه الترمذى رقم ١٥١ شرح احمد شاكر حـ ١ ص ١٤١ ـ ١٤٢ ، والدار قطنى فى السنن ص ٩٧ ، والبيهقى فى السنن الكبرى ١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ، والمسند برقم ٧١٧٢ حـ ١٢ ص ١٦١ هامش ط دار المعارف ١٣٧٢ هـ .

« ٥٠ » أخرجه الإمام احمد فى مسنده برقم ٤٢٣ عن عثمان بن عفان رضى الله عنه .

« ٥١ » محمد الغزالى : فقه السيرة ص ١٤٣ ط الخامسة ١٩٦٥ .

« ٥٢ » المجموع ... حـ ٣ ص ٤٥ .

الشريعة الإسلامية

والأصلاح التشريعي

للمستشار السيد عبد العزيز هندى

أولا : مبادىء عامة[1] : ـ

١ ـ لما كان مقررا أن كل مجتمع إنسانى ـ لابد له من إدارة تدير شئونه سواء أكان هذا المجتمع مجتمعا فاضلا أو كان مجتمعا فاسدا .

وبالتالى فلابد لهذا المجتمع من مبادىء تحكم تصرفاته ـ وتنظم علاقاته على النحو الذى يتواءم ومقومات هذا المجتمع والسلطات التى تحكمه .

كما لابد له من قانون أساسى ـ يرد إليه الأمر فيما قد يقوم بين هذه السلطات من خلافات .

٢ ـ والمجتمعات الانسانية فى هذا بين خيارين :

أ ـ أما أن تستمد قانونها الأساسى من مصدر إلهى معصوم ـ يكون هو الركيزة التى يقوم عليها بناؤها التشريعي ـ ويرد إليه الأمر فيما يقوم بين السلطات القائمة بإدارة المجتمع من خلافات ـ ولا تملك هذه السلطات إلغاءه أو تعديله .

ب ـ أو أن تستمد هذا القانون الأساسى وما يتفرع عنه من تشريعات وضعية من العقل البشرى ـ وهو قد يصيب وقد يخطىء ـ وقد يكون حصيلة أخلاط من أهواء شتى تحكم هذا المجتمع بما تمليه هذه الأهواء ـ تستهدف أولا وأخيرا ـ المصلحة العاجلة للفئة الحاكمة قبل كل شىء ـ والتى من حقها دائما أن تلغى هذا القانون وأن تعصف بأحكامه ـ مادام أنه من صنعها هى ـ أصلا وتفريعات .

ـ والمجتمعات فى الحالة الأولى : الله فوق الخلق فيها وحده ـ والناس تحت لوائها أكفاء .

[١] قدم البحث إلى لجنة التشريع ـ مؤتمر العدالة الأول ـ نادى القضاة

ـــ أما فى الحالة الثانية ـ فإن إرادة الحاكم ـ سواء أكان فردا أو طبقة ـ مصدر السلطات جميعا ـ ولا عاصم يعصمها من الزلل .

٣ ـــ ومنذ أن شرح الله صدور المصريين لنور الإسلام ـ وهداهم إلى دينه الذى ارتضاه لهم ـ بعد أن تم الفتح الاسلامي على يد عمرو ابن العاص ـ فى عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب فى السنة العشرين من الهجرة (سنة ٦٤١م) فأقبلوا على الدخول فى الدين الحنيف زرافات ووحدانا ـ حتى صار المسلمون فى هذا البلد الطيب هم الكثرة الغالبة .

منذ ذلك التاريخ ـ والشريعة الاسلامية الغراء ـ وحدها ـ هى القانون المعمول به فى هذه البلاد ـ والذى يحكم تصرفات الناس حكاما ومحكومين بما اشتملت عليه من أحكام تشريعية ـ أجملها القرآن الكريم وأوضحتها السنة الغراء ـ ووفاها حقها من الشرح والبيان فقهاء أجلاء ـ لا يسع الباحث المتصف إلا أن يشيد بعلمهم وسعة اطلاعهم ودقتهم .

وظل الحال على هذا المنوال ثلاثة عشر قرنا من الزمان ـ صمدت البلاد خلالها لكل غزو جاءها من الخارج ـ من هولاكو إلى جنكيز خان إلى الصليبيين ـ ولم يفلح هؤلاء ـ جميعا ـ فى صرفها عن دينها والعمل بشريعة الله الغراء ـ معتصمة بحبل الله المتين ـ فكانت بذلك درع الأمان لنفسها ولمن حولها من البلاد الاسلامية ـ وانعقد لها لواء النصر على جميع أعدائها ـ فانتصرت على التتار بقيادة هولاكو الطاغية سنة (١٢٦٠م) وهو الذى أسقط خلافة العباسيين فى بغداد سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٧م) وخلد التاريخ للجيش المنتصر يومئذ صيحة قائده المدوية فى المعركة « وا إسلاماه » وكان ذلك وقت صلاة الجمعة فى رمضان من تلك السنة .

صيحة حق ـ ردد مثيلتها أشبالنا بعدئذ فى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) على أشلاء حصون خط بارليف ـ حين هتفوا : الله أكبر فأيدهم الله بنصره ـ فأصبحوا على عدوهم ظاهرين .

ومن قبل قال الفاروق عمر بن الخطاب : إن الله أعزكم بالاسلام ـ فمهما تطالبوا العزة بغيره يذلكم الله .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾.

٤ ـــ والدعوة لتطبيق الشريعة الاسلامية ـ هى دعوة حرة لوجه الله والوطن ـ فإن مصر بحكم انتمائها الاسلامى وما توجبه قيمها ومصالحها الوطنية وتراثها العريق ظلت تطبق أحكام الشريعة الاسلامية وحدها طوال ثلاثة عشر قرنا ـ وظل الحال كذلك حتى نهاية القرن الماضى تقريبا ـ حين تزايد النفوذ الاجنبى الذى أستهدف القضاء على استقلال البلاد وافقادها ذاتيتها وصرفها عن أمر ربها ـ وتحت عباءة هذا النفوذ الاجنبى ـ بدأ دخول القوانين الأجنبية إلى مصر حين أنشئت المحاكم المختلفة ووضعت مجموعات القوانين التى تطبق أمامها ـ وكان ذلك بداية

لاستمداد مجموعات كاملة من القوانين الأساسية - كالقانون المدنى وقانون العقوبات وهى مستمدة من مصادر أجنبية لا تتصل بانتماء البلاد الاسلامي - ولا بذاتها الثقافية والوطنية - وبدأ تطبيق هذه القوانين فى مصر سنة ١٨٨٣ - إثر احتلال الانجليز لمصر - مواكبة لجحافلة المستعمرة - وقد كان هذا الاستعمار القانونى مصدر ايلام نفسى مستمر للمصريين جميعا - حاولوا رفع نيره عن كاهلهم - فطالبوا بإلغاء المحاكم المختلطة أولا - ثم بدأ التفكير الجدى فى الأصول الصحيحة للمجتمع المصرى التى ينبغى أن يحكمها القانون الذى يحمى مصالح المجتمع - فجاء دستور مصر سنة ١٩٧١ مترجما لإرادة الشعب فى تحديد المصدر الرئيسى للتشريع وتلاه التعديل الدستورى الاخير سنة ١٩٨٠ فنص على أن مبادىء الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع .

ولم يكن هذا النص الدستورى منشأ لحقيقة اجتماعية - وإنما جاء كاشفا لها - ذلك بأن مصر دولة إسلامية عريقة بحكم الواقع - الاسلام دين الدولة - ومن المجافاة للحق والمنطق أن تكون هناك دولة إسلامية بغير قانون إسلامي - وحمدا لله - فقد انزاحت إلى غير رجعة تلك الظروف التى كانت تكبل إرادة مصر الحرة فى التعبير عن ذاتيتها التشريعية .

٥ — والشريعة الاسلامية كل متكامل :

ومن عجب أن تذهب بعض الآراء إلى القول بأنه يجب الأخذ بها فى بعض التشريعات ولا نأخذ بها فى البعض الآخر - ويخصون بالذات قانون العقوبات - والحدود الشرعية على وجه أخص - مع أن كل مجتمع ينبغى أن تحكمه فلسفة تشريعية متجانسة متكاملة - تتفق والأهداف التى يصبو إليها - ولم يقل أحد بأن دولة من الدول - أيا كان نظامها الاجتماعى أو السياسى يحكمها قانون عام موحد فى كل شئونها ماعدا المسائل الجنائية - فهى تستوردها من بلاد أخرى - تتناقض معها فى أصولها التشريعية .

بل إنه لا يخفى على الباحث المنصف أن التشريع الجنائى الاسلامى - قد عرض قبل غيره من القوانين الاجنبية للقواعد والنظريات التى درجت قوانين العقوبات على ادراجها فى القسم العام منها .

وقد تطرق الفقه الاسلامى - على أساس من أحكام القرآن والسنة والاجتهاد الفقهى - إلى مسائل نطاق القانون وتطبيقه فى الزمان والمكان وبين أركان الجرائم وشروط المسئولية الجنائية والاشتراك فى الجريمة وأسباب الاباحة - كما عرض كذلك لأحكام عديدة خاصة موضوعات العقوبة وتقريرها - واجراءات الحكم فيها وتنفيذها - مما يعد فى الواقع وكحقيقة علمية - سبقا من علماء المسلمين الذين تصدوا لهذه المسائل منذ قرون - على ما قررته المؤتمرات العلمية العالمية العديدة - وهو ما حدا بالكثير من المفكرين الأجانب إلى الاشادة بالاسلام وما جاء به من تشريعات ناجحة فى علاج أمراض المجتمعات - ومن المقرر أن درجة نجاح التشريع إنما تقاس بمدى فاعليته فى علاج أدواء المجتمعات

ولنا أن نتساءل ـ هل أفادت هذه القوانين المستوردة فى علاج المجتمعات التى استوردناها منها ـ أم أن الجريمة تزداد معدلاتها الرهيبة يوما بعد يوم ـ وأن سياسة تدليل المجرمين قد انعكست آثارها على المجتمعات التى انصرفت عن تطبيق شرائع الله ـ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ـ رغم ثرائهم المادى ـ وترفهم الثقافى ـ جزاء بما كانوا يعملون .

وهل أصبح المجتمع المعاصر ـ شرقا وغربا ـ مجتمعا فاضلا فى ظل هذه التشريعات الأجنبية ـ حتى نحذوا حذوها ـ ونعلن تمسكنا بها وعدم الرغبة فى تغييرها أم أنه لا يحلو لنا إلا استيراد مخلفات غيرنا .

ثانيا : تقنين الشريعة الاسلامية :

١ ـــ قال الله تعالى فى قرآنه الكريم ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً** ﴾.

كما قال عز من قائل ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ـ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ .

وليس من شك فى أن من خَلَقَ النفس وسواها فألهمها فجورها وتقواها أعلم بما يصلح من شأنها فى دينها ودنياها ـ ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ .

وإذا كان للبعض اعتراض على تطبيق بعض الناس للشريعة الاسلامية ـ فإنما يحاج به هؤلاء الناس ـ ولا تحاج به الشريعة الاسلامية ـ التى يتعين أن يكون تطبيقها مستنيرا ـ فى الوسائل والغايات ـ على حد سواء ـ فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا .

والتشريع الجنائى الاسلامى يتسم بما تتسم به التشريعات الاسلامية بعامة والتشريع فيها يحمى القيم الاخلاقية الاسلامية أساسا ـ فليس هناك دائرة منفصلة للتشريع عن دائرة الأخلاق ـ والشريعة الاسلامية لا انفصام فيها بين الدين والدنيا ـ ولا مجال فيها للتفرقة غير الاسلامية بين أحكام كل منها ـ فالدنيا مزرعة الآخرة ـ والإيمان متصل فيها بالسلوك الدنيوى ـ فالدين المعاملة .

أما القول بأن القرآن جامع لكل شىء فى الدين ـ أما ما عدا ذلك من أمور الدنيا فهو متغير غير ثابت ـ هذا القول هو مقولة غير صحيحة على الاطلاق فكل ما ورد فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة قطعى الثبوت والدلالة ـ من أوامر ونواه ـ هو من صميم التشريع الاسلامى الواجب الاتباع ـ فكل من عند الله ولا تبديل لكلمات الله ـ ولا اعتداء بما يتعارض مع هذه الأصول المقررة .

٢ ـــ وقد جاء القرن الرابع عشر الهجرى مواكبا لنهاية القرن التاسع عشر الميلادى وبداية القرن العشرين .

وفيه بدأ الصراع بين أئمة الفكر الاسلامى من أمثال السيد جمال الدين الافغانى ـ الشيخ محمد عبده . وبين غلاة المستعمرين فى الغرب ودعاتهم ـ الذين هالهم صمود

المسلمين فى وجه الغزوات العسكرية الشرسة من التتار والمغول والصليبيين على حد سواء - فاصطنع الغزاة أسلوبا ماكرا يتسم بالخبث والدهاء . لقد وجدوا أن المسلمين بدينهم وشريعتهم يعصمهم من كل باغ عليهم - وما دام المؤمن يحارب فى سبيل الله - فإن له إحدى الحسنيين - إما النصر وإما الشهادة - وبالتالى فإن الجهاد يقربه إلى الله - فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون - ومن ثم فقد وجه المستعمرون كل سهامهم إلى هذا الحصن الحصين الذى يعتصم به المسلمون - وهو دينهم وشريعتهم - وبدلا من قذائف الحديد والنار التى لم تجد نفعا - فقد استعملوا كل ما أوتوا من مكر وخديعة ليفتنوا المسلمين عن دينهم إن استطاعوا .

ومن ثم كان الغزو الفكرى وتغريب المسلمين وصرفهم عن دينهم ومحاولة استبعاد الدين من حياتهم وتفكيرهم واصطناع مفهوم خاطىء لدى ضعاف النفوس مؤداه أن الدين هو سبب التخلف الذى يعانون منه - وقد كان هذا الاسقاط أيسر تقبلا لدى النفوس الضعيفة - من أن ينسبوا التقصير إلى أنفسهم فيصلحوا من شأنها ليصلح حالهم .

وقد واكب هذا الاستعمار العسكرى والسياسى والفكرى - موجة من الالحاد - أصبحت سمة العصر - بدعوى التحرر الفكرى - والانفلات من المعايير الخلقية تحت راية العلمانية والتحررية - وغفلوا عن أن هذه الاباحية - إن هى إلا رجعة للهمجية - وإلى جاهلية ما قبل الرسالات .

ودأب الاستعمار والصهيونية خلال هذه الحقبة المظلمة على تفتيت الروابط التى تربط المسلمين كافة بعضهم ببعض - تطبيقا لمبدأ « فرق تسد » وأصبح المسلمون بأسهم بينهم شديد ، بدلا من أن يعملوا بهدى الله الذى يصفهم بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم

ولكن هذا الظلام الدامس - كان مقدمة لفجر مشرق جديد .

وقديما قالوا : إذا جاء الشتاء - فما أسرع أن يجىء الربيع .

فبعد أن نسى الناس الله فأنساهم أنفسهم - رجعوا إلى الله وإلى شريعة الله - يدرسونها ويبصرون الناس بأحكامها وما فيها صلاح للناس فى دنياهم وآخرتهم وقام أساتذة أجلاء بتجلية شريعة الله بعد استخراج كنوزها من بطون الكتب الفقهية الإسلامية - وقامت نهضة تشريعية تستمد أصولها من شريعة الله - فى مصر وفى شتى البلاد الاسلامية الأخرى . وشهد النصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى علماء أجلاء فى الشريعة الاسلامية - أمثال المشايخ : أحمد ابراهيم - وعبد الوهاب خلاف ومحمد أبو زهرة - كما كان الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهورى رائدا للفقه الاسلامى المقارن .

وقام الأزهر الشريف ووزارة العدل فى مصر - بتكوين لجان عدة لتقنين الشريعة الإسلامية - وتعديل القوانين الوضعية القائمة - على نحو يطابق الشريعة الاسلامية - أو لا يتعارض مع أصولها

المعروفة من الدين بالضرورة ـ وقد قامت هذه اللجان بوضع عدة مشروعات لتحقيق هذا الهدف الحيوى الجليل ـ وقدمت حصيلة أبحاثها إلى الجهات الدستورية المختصة باصدارها لتتولى هذه الجهات عرضها وإصدارها للعمل بها فى الوقت المناسب .

٣ ـ هذا ـ وقد وافق مجلس مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ـ بجلسته رقم/ ٢٧ بتاريخ ٨/٣/٦٧ على أن مهمة المجمع العمل على إيجاد مشروع قانون شامل للأحوال المدنية والجنائية وغيرها .

ثم أوصى المؤتمر الرابع للمجمع المنعقد فى ١٩٦٨/٩/٢٧ ـ بتأليف لجنة من رجال الفقه الاسلامى والقانون الوضعى ـ لتضطلع بوضع الدراسات ومشروعات القوانين التى تيسر على المسئولين فى البلاد الاسلامية الأخذ بأحكام الشريعة الاسلامية فى قوانين بلادنا كقوانين العقوبات والقانون التجارى والقانون البحرى .. وغيرها .

كما وافق مجلس المجمع بجلسته رقم ٦٢ ـ فى ١٩٧٠/١/٧ على الخطة المرحلية لأعمال لجان المجمع ومن بينها : « تقنين الشريعة الاسلامية » ـ الواردة فى خطة لجنة البحوث الفقهية ، كما أقرتها بجلستها رقم ٢٠ بتاريخ ١١ أكتوبر سنة ١٩٦٩ .

وبتاريخ ٢١ من رجب سنة ١٣٩١هـ ١١ سبتمبر ١٩٧١م تم إصدار دستور جمهورية مصر العربية ـ وجاء فى ديباجة إصداره :

« بعد الاطلاع على نتائج الاستفتاء على دستور جمهورية مصر العربية التى أجرى فى اليوم الحادى عشر من سبتمبر سنة ١٩٧١ ـ وعلى اجماع كلمة الشعب على الموافقة على هذا الدستور ـ يصدر دستور جمهورية مصر العربية بالنص المرفق » .

وقد جاء فى الباب الأول الخاص بالدولة ـ تحت المادة الثانية من هذا الدستور بعد تعديلها سنة ١٩٨٠ النص التالى :

« الاسلام دين الدولة ـ واللغة العربية لغتها الرسمية ـ ومبادىء الشريعة الاسلامية المصدر الاساسى للتشريع » .

يتبع عبد العزيز هندى

الجريمة والعقوبة
فى التشريع الإسلامى

بقلم المستشار توفيق على وهبة

الجريمة تطلق فى اللغة على الكسب الآثم فهى من (جرم يجرم (١) جريمة) بمعنى كسب ولايكاد يستعمل الا فى الاكتساب المكروه .
وأجرم اجراما فهو مجرم يعنى : اذنب والمجرمون فى استعمال القرآن أجرموا بالكفر والعناد ولقد وردت كلمة جرم ومشتقاتها فى القرآن الكريم ٦٦ مرة (٢) .

وفى أساس البلاغة ، جرم فلان ، وأجرم ، وهو جارم على نفسه وقومه قال :

وَإِنَّ جَارَاْهم جرمت يداه
وحوله البلاء عن النعيم
كفوه ماجنى حوبا عليه
بطول الباع والحب النعيم

ومالى فى هذا جرم ، وأخذ فلان بجريمته ، وهم أهل الجرائم ، وهذا جريمة أهله ، وجارمتهم وجارحتهم أى كاسبتهم (٣) .

وفى القاموس المحيط « وفلان أذنب كأجرم واجترم فهو مجرم وجريم ولأهله كسب كاجترم وعليهم واليهم جريمة جنى جناية كأجرم » (٤).
ومن ذلك يتبين لنا آن المعنى اللغوى للجريمة هو الكسب غير المشروع .

التعريف الشرعى :

لايختلف التعريف الشرعى للجريمة عنه فى اللغة اذ الجريمة هى فعل مانهى الله عنه (أى القيام بعمل غير مشروع) أو الامتناع عن فعل ما آمر الله به .

ومن هذا التعريف يمكن القول ان الجريمة اما ان تكون فعلا ، أو امتناعا عن فعل وفى كلتا الحالتين اتيان مخالفة لأوامر الشرع .

---

١ ــ بزنة ضرب ومصدره جريمة
٢ ــ معجم ألفاظ القرآن الكريم اصدار مجمع اللغة العربية ص ١٩٨/١٩٩
٣ ــ أساس البلاغة للزمخشرى ص ١٢٠
٤ ــ القاموس المحيط جـ ٤ ص ٨٨

الجريمة والعقوبة

ويعرف الفقهاء الجريمة : بأنها اتيان فعل محرم معاقب على فعله ، أو ترك فعل مأمور به معاقب على تركه .

فكل فعل يقوم به الانسان اما أن يكافأ عليه أو يناله العقاب المناسب لفعله وكل جريمة يعاقب عليها الانسان اما فى الدنيا أو فى الآخرة :

فالجرائم التى يمكن اثباتها ولها خطورتها على المجتمع قرر الله سبحانه وتعالى عليها جزاء فى الدنيا منعا من انتشارها وحماية للمجتمع وضمانا لاستقراره .

أما الجرائم التى لا يمكن اثباتها ولا تؤذى الناس فى أمنهم ، أو أموالهم فهى جرائم معنوية كالحقد والحسد والغيبة والنميمة والجزاء عليها من الله سبحانه وتعالى يتولاه يوم القيامة .

تقسيم الجريمة :

تنقسم الجرائم الى ثلاثة أنواع :

١ ــ جرائم الحدود .

٢ ــ جرائم القصاص .

٣ ــ جرائم التعزير .

فجرائم الحدود هى الجرائم التى حدد لها الشارع عقوبة معينة ولم يترك تحديدها للقاضى أو لولى الأمر . والأساس فى اعتبار الفعل جريمة فى نظر الاسلام يقول فضيلة استاذنا الشيخ محمد أبو زهرة عنه : (هو مخالفة أوامر الدين . ذلك هو الأساس الواضح البين) ، بيد أنه يلاحظ أمران :

أولهما .. أن أوامر الاسلام كلية لا جزئية، فالقرآن قد حدد عقوبة لعدة جرائم تبلغ ستا هى : البغى ، وقطع الطريق ، والسرقة ، والزنا ، وقذف المحصنات ، والقصاص بكل شعبه ، وزادت السنة عقوبة شرب الخمر والردة وغيرهما ، وبقيت عقوبات لجرائم كثيرة لم يتناولها الكتاب أو السنة بالتفصيل وترك ذلك لولى الأمر يقدر له عقوبات بما يتناسب مع الجرم ، وبما يكون به اصلاح العامة ، وسيادة الأمن بين الكافة ، وذلك بالتعزيز الذى هو الأصل الثانى من أصول العقاب فى الاسلام .

الأمر الثانى : أنه لابد من ملاحظة أن هناك أصلا جامعا تنتهى اليه العقوبات الاسلامية ومعنى جامعا يرجع اليه فى كل عقوبة تقرر بحكم التعزير وذلك لأن التعزير تنفيذ لأمر دينى هو العمل على اصلاح الجماعة ومنع العبث والفساد . فلابد أن يكون ثمة أساس ضابط ، لما يعتبر جريمة ومالا يعتبر وذلك الأساس لابد أن يكون مشتقا من مصادر الشريعة ومواردها وغاياتها ومراميها واتجاهاتها .

وأساس تجريم الأفعال فى الاسلام هو المصلحة . والمصلحة المعتبرة فى الشريعة هى القائمة على اساس من الكتاب والسنة ؛ فالأحكام الاسلامية كلها تشتمل على مصالح العباد فما من أمر شرعه الاسلام الا كانت فيه

مصلحة حقيقية وان اختفت تلك المصلحة على بعض الأنظار ا • هـ بتصرف

والمصالح التى لاحظها الاسلام ترجع الى أمور خمسة وهى : مافيه حفظ الدين • وما فيه حفظ النفس • ومافيه حفظ العقل • وما فيه حفظ النسل • وما فيه حفظ المال •

ولا تستقيم الحياة الا بهذه المعانى وضرورة المحافظة عليها حتى يتمكن الانسان من العيش فى أمن وطمأنينة وسلام •

فمحافظة على الدين حرم الاسلام الردة وقرر العقاب عليها •

ومحافظة على النفس حرم القتل أو أى اعتداء على جسم الانسان •

ومحافظة على العقل حرم شرب الخمر والسكر •

ومحافظة على النسل حرم الزنا والقذف •

ومحافظة على المال حرم السرقة والغصب •

وهكذا كل اعتداء على أى من هذه المصالح يعد جريمة يعاقب عليها الاسلام • ويقسم الفقهاء الجرائم من حيث أنها اعتداء على حق الله أو حق العباد الى أربعة أقسام :

١ ـ منها ما يتعلق بحق الله سبحانه وتعالى وهى جرائم الاعتداء على المجتمع •

٢ ـ ومنها ما يتعلق بحق عبد من العباد •

٣ ـ ومنها ما يتعلق بحق الله سبحانه وتعالى وحق عبد من العباد ولكن حق العبد هو الغالب

٤ ـ ومنها ما يتعلق بحق من حقوق العباد وحق من حقوق الله ولكن حق الله هو الغالب •

فالجرائم التى يغلب فيها حق الله سبحانه وتعالى تقابلها الحدود • أما الجرائم التى يغلب فيها حق العبد فيقابلها القصاص •

ومنعا من حدوث ظلم من الحاكم فى توقيع العقوبات يشدد الاسلام فى اثبات الجريمة ويلغى تنفيذ العقوبة اذا وجدت أى شبهة فى طريقة الاثبات لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ادرءوا الحدود بالشبهات » (١) وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم » فان كان له مخرج ، فخلوا سبيله فان الامام ان يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة (٢) •

الفرق بين الحدود والقصاص :

يقول صاحب كتاب « الأشباه » ان القصاص كالحدود الا فى سبع مسائل :

الأولى: يجوز القضاء بعلم القاضى فى القصاص دون الحدود •

الثانية : القصاص يورث والحد لا يورث •

الثالثة : لا يصح العفو فى الحدود ولو كان حد القذف (٣) • ويصح فى القصاص •

---

١ ـ الحديث فى الجامع الصغير للسيوطى ١٤/١ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ وجاء عنه ـ فى كشف الخفا للعجلونى فى اثناء كلام طويل قول الحافظ ابن حجر : اشتهر على الالسنة والمعروف فى كتب الحديث أنه من قول عمر بن الخطاب بغير لفظه ، ثم قال : واخرجه ابن حزم فى (الايصال) بسند صحيح ا هـ ٧٣/١ مكتبة التراث الاسلامى بحلب •

٢ ـ الجامع الصحيح للترمذى ٣٣/٤ باب ما جاء فى درء الحدود •

٣ ـ غير أن بعض الفقهاء اجاز العفو فى حد القذف ، لانه اعتبر أن حق العبد فيه غالب •

الجـريـمة والعـقوبـة

الرابعة : التقادم لايمنــــع من الشهادة بالقتل ، بخلاف الحدود سوى القــذف فــان التقادم يمنعه .

الخامسة : القصاص يثبت باشارة الأخرس وكنايته بخلاف الحد .

السادسة : لا تجوز الشفاعة فى الحــدود ، وتجوز فى القصاص .

السابعة : الحدود ، سوى حد القـــذف والسرقة ، لا تتوقف على الدعوى بخـــــلاف القصاص فلابد فيه من الدعوى . وزاد بعض الفقهاء عن هذه الفوارق مسألتين (١) .

الثامنة : اشترط الامام لاستيفاء الحــدود دون القصاص وعلى هذه قيل : لو قتل الرجــل عمدا وله ولى واحد فله أن يقتل قصــاصا ، قضى القاضى أو لم يقض .

التاسعة : جواز الاعتياض فى القصـــاص ، بخلاف حد القذف . وللشافعية وجه فى جــواز الاعتياض عنه .

وعن العقوبات فى الاسلام يقول ابن القيم فى كتابه (اغاثة اللهفان) (٢) .

(الأحكام نوعان : نوع لا يتغير عن حــالة واحدة هو عليها) (٣) لا بحســب الأزمنــة ولا الأمكنة ولا اجتهــاد الائمــة كوجــوب الواجبات وتحريم المحرمات ، ولا الحــدود المقررة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك ، فهذا لايتطرق اليه تغيير ، ولا اجتهـــاد يخالــف ما وضع عليه .

والنوع الثانى .. ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمان أو مكــان (٤) ، أو حــال ، كمقادير التعزيرات وأجناسها ، وصــفاتها ، فان الشرع يتنوع فيها بحسب المصلحة .

جرائم التعزير :

ان جرائم التعزير هى الجرائم التى تــرك الشارع تحديد عقوبتها لولى الأمر أو القاضى على حسب ظروف ودوافع كل جريمة يقول ابن القيم :

(اتفق العلماء على ان التعزير مشروع فى كل معصية ليس فيها حد بحسب الجناية فى العظم والصغر وبحسب الجانى فى الشر وعدمه) .

والعقوبة هى مايوقع على فاعل الفعل غير الحسى وهى أثر أعقب الفعل . واختصــت العقوبة والعقاب بالعذاب ، وعاقبه بذنبه معاقبة وعقابا أخذه (٥) .

وقد ورد لفظ عقاب ومشتقاته فى القــرآن الكريم ٢٦ مرة ويعــرف الماوردى العقوبات بأنهــا :

---

١ ـ ، ٢ ـ راجع الاسلام عقيدة وشريعة للامام الشيخ محمود شــــلتوت رحمه الله ص ٣٠٩ وما بعدها .

٣ ـ هى جرائم الحــدود .

٤ ـ هى جرائم التعزير .

٥ ـ معجم الفاظ القرآن الكريم ـ اصدار مجمع اللغة العربية جـ ٢ ص ٢٣٢

« زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر . وترك ما أمر لما فى الطبع من مغالبة الشهوات الملتهبة عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة . فجعل الله تعالى من زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذرا من الم العقوبة وخيفة من نكال الفضيحة ليكون ما حظر من محرم ممنوعا . وما أمر به من فروض متبوعا ، فتكون المصلحة اعم والتكليف أتم ، قال الله تعالى « **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** » الأنبياء ١٠٧ « يعنى فى استنقاذهم من الجهالة وابعادهم عن الضلال والمعاصى وحثهم على الطاعة . واذا كان كذلك فالزواجر ضربان : حد وتعزير » .

ويقول ابن تيمية : « العقوبات الشرعية انما شرعت رحمة من الله تعالى بعباده فهى صادرة عن رحمة الخلق (١) وارادة الاحسان اليهم . ولهذا ينبغى لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد بذلك الاحسان اليهم ، والرحمة بهم ، كما يقصد الوالد تأديب ولده وكما يقصد الطبيب معالجة المريض .

والعقوبات اما محددة كما هو الحال فى جرائم الحدود والقصاص ، واما غير محددة كالتعزيرات وهى تحدد حسب كل جريمة ، وحالة كل مجرم . وظروف الجريمة وأسبابها .

والعقوبة تطهير للانسان من الذنب الذى اقترفه بارتكابه للجريمة ولذلك فهى تمنع عنه عقاب الله يوم القيامة . لأن الله سبحانه وتعالى غفور ؟ .

فاذا عجل بمعاقبة الجانى فى الدنيا فنرجوا الا يعذبه يوم القيامة واذا استطاع الهروب والافلات من العقاب فى الدنيا ولم يتب من جرمه استحق عقاب الله سبحانه وتعالى فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يمكن لانسان مهما كان أن يهرب من عقاب الله .

ان عدالة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن يجازى كل انسان على عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر .

ولقد شدد الشارع فى عقوبة بعض الحدود لما لها من أهمية بالغة فى حفظ النسل والدين والعقل والمحافظة على كيان المجتمع ، والقصد من تشديد العقوبة ليس هو عقاب الجانى بقدر ما هو زجر وتخويف للناس حتى لا يقترفوا هذه الجرائم . فالانسان اذا عرف شدة العقوبة فكر مرات ومرات قبل أن يقدم على ارتكاب الجريمة .

لقد وضع الله سبحانه وتعالى العقوبة معادلة للجريمة فالسارق الذى يروع أمن الناس ويهدد حياتهم لا تقطع يده مقابل الاشياء المسروقة فقط ، ولكن لما بعثه فى المجتمع من ذعر وخوف واضطراب فضلا عن أنه عند مفاجأته على استعداد أن يقتل من أمامه .

وهكذا فالشارع يراعى فى العقوبات أن تكون رادعة زاجرة للمحافظة على أمن الناس

---

١ ـ كذا ، ولعله بالخلق .. مجلة الازهر .

الجريمة والعقوبة

وسلامتهم ــ فمن علم أنه اذا قتل نفسا بغير حق يقتل بها يرتدع عن القتل ــ وهكذا فى جميع العقوبات المقررة •

ان من ينظر الى العقوبة يجد أن المشرع قصد أن يفوق المها ما حصل عليه الجانى من فوائد من جراء جريمته •

عموم العقوبة :

العقوبة فى الشريعة الاسلامية عامة توضع لتطبق على كل من يقترف الجرم المعاقب عليه دون النظر الى شخصيته أو مركزه الاجتماعى أو عمله فهى تطبق على الغنى والفقير والحاكم والمحكوم ، لافرق بين انسان وآخر •

وان كان الأمر كذلك بالنسبة لعموم العقوبة الا أنها (١) تنصف بالنسبة للرقيق فعقوبة الرقيق نصف عقوبة الحر ، وهذه أيضا عامة بالنسبة لجميع الرقيق دون النظر الى وضع أسيادهم الاجتماعى فكل من يرتكب جريمة تطبق عليه العقوبة المقررة لها •

لاشفاعة فى الحدود :

من المبادىء المقررة فى الاسلام أن الجرائم التى فيها اعتداء على حق من حقوق الله لاتجوز الشفاعة فيها لما روى أن أسامة بن زيد جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ليشفع فى المرأة المخزومية التى سرقت فرفض الرسول ﷺ شفاعته وقال ــ صلى الله عليه وسلم : « يا أسامه أتشفع فى حد من حدود الله ؟ انما أهلك بنى إسرائيل أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه • واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » (٢) •

أما الجرائم التى يكون الاعتداء فيها على حق من حقوق العباد فتجوز فيها الشفاعة وتكون العقوبة من حق صاحب الحق على خلاف بين الفقهاء فى ذلك •

شخصية العقوبة :

العقوبة فى الاسلام شخصية لاتوقع الا على الجانى نفسه ولا يجوز تطبيقها على انسان آخر بدلا عنه لقوله سبحانه وتعالى « وَلَاتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى »(٣) ولقوله صلى الله عليه وسلم (لايؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه)• سنن النسائى ــ تحريم ٢٩ ــ قسامة ٤٢ سنن أبى داود ــ ديات •

وهذه القاعدة مطلقة أى أن العقوبة لابد أن توقع على الجانى نفسه قال الشافعى : « والذى سمعت ــ والله اعلم ــ فى قول الله عز وجل ألا تزر وازرة وزر أخرى (٣٨) » (٤) أن لايؤخذ أحد بذنب غيره وذلك فى بدنه دون ماله فان قتل ، أو كان حدا لم يقتل به غيره • ولم يحد بذنبه فيما (٥) بينه وبين الله عز وجل لأن الله جزى العباد على أفعالهم أنفسهم

١ ــ بضم التاء وفتح الصاد مع تشديدها •
٢ ــ متفق عليه •
٣ ــ سورة فاطر الآية ١٨
ــ سورة النجم الآية ٣٨
ــ اى ولا يحد غيره بذنبه •• مجلة الازهر •

وعاقبهم عليها • وكذلك أموالهم لايجنى أحد على أحد فى مال الا حيث خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن جناية الخطأ من الحر على الآدميين على عاقلته (فأما سواها فأموالهم ممنوعة من أن تؤخذ بجناية غيرهم) •

ومفهوم كلام الشافعى رضى الله عنه أن العقوبة شخصية فيما عدا الدية اذا لم يستطع الجانى دفعها كانت عاقلته هى المسئولة عنها •

فالاسلام لايسمح ان يضيع دم انسان هدرا ، ولايمكن أن تقيد فيه جريمة قتل ضد مجهول وتحفظ لأن القتيل الذى لايعرف له قاتل تتكفل الدولة بدفع ديته لأنه لا دخل لأهل المجنى عليه فى عدم معرفة القاتل والدية تعويض لهم عن قتيلهم الذى لم تستطع الدولة معرفة شخصية قاتله ليقتص منه ولى الدم •

أسباب اختلاف العقوبات :

يرجع اختلاف العقوبة الى اختلاف الجرائم نفسها ، ووضعها من التقسيم السابق بيانه من كون الحق فيها خالصا لله أو للعبد ، أو كان الحق فيها غالبا لله أو للعبد فالعقوبة محددة بالقدر الكاف لردع الجانى ومنع غيره من ارتكاب مثل هذه الجريمة •

انقضاء العقوبة :

تنقضى العقوبة باحدى الطرق الآتية :

١ ــ تنفيذ العقوبة •

٢ ــ موت الجانى •

٣ ــ عفو المجنى عليه فى الجرائم التى تقبل العفو حيث أن جرائم الحدود لاتقبل العفو ولا الصلح ولا الشفاعة •

٤ ــ الصلح فيما عدا الحدود •

٥ ــ التقادم وقد اختلف الفقهاء فى تحديد مدة التقادم فمنهم من قال انها ستة شهور ومنهم من ترك ذلك للقاضى حسب ظروف كل قضية •

٦ ــ التوبة على خلاف بين الفقهاء فى ذلك•

المستشار : توفيق على وهبه

قضية الانتماء

فى ضوء التشريع الإسلامى

٤

انتهينا فى المقال السابق من بيان المبررات العقلية ، التى تتواءم مع رجحان القول بأولوية الانتماء للإسلام ، وتجعل كل فكرة دونه مرجوحة بجانبه .

ورأينا أن الإخلاص لجانب الولاء لله هو المدخل الصحيح لكل إصلاح فردى وتقدم اجتماعى ، فالفرد من خلال هذا الطريق القويم ، يعيش حياته فى علاقات متوازنة خالية من التقصير والخلل ، إذ الولاء لله يقتضى الحب له ، والحب له يؤدى بالضرورة إلى اتباع ما أمر ، والانتهاء عما نهى عنه نهى وزجر ، وهذا فى حد ذاته يعد أكبر مصدر لخير الوطن والنهوض به ، لأن ذلك العمل الجليل لو وزن بميزان الشريعة لاستبان لمن أراد أن يعلم أنه مطلوب من الشارع على سبيل الجزم ، وأن المعانى الإسلامية الراقية كالصدق والأمانة والحق والعدالة والحلال والحرام هى نفسها ، لا تقبل التبعيض ولا التجزئة .

فالأمانة مثلا : أمر مطلوب على سبيل القطع بالنسبة للفرد ، أو للجماعة ، فالخيانة الموجهة للأفراد محرمة ، والخيانة الموجهة إلى الوطن أشد حرمة ، وهكذا ، ونحن إذا أردنا تأصيلا لكل جوانب حياتنا العامة وضبطاً لكل علاقاتها فعلينا بتأكيد جانب الولاء للإسلام ، لأنه الأصل لأى إصلاح والمؤدى لكل خير فالإسلام يدعو إلى النهوض بالوطن والدفاع

د. عبد الله مبروك النجار

عنه ، وبذل الروح من أجله .

والإسلام يأمر بالمحافظة على المال العام ، وينهى عن امتداد الأيدى إليه بالسرقة والعبث والا صار محرماً على أكله من هذا الطريق الملتوى ، وتلك الأساليب غير المشروعة . وهو من خلال تلك الدعوة الصريحة ، يبعث فى الإنسان كل أسباب الخشية من الله ، والأصل أننا فى مجال الانتماء للإسلام ، فالفرد فى ظل تلك العلاقة الصحيحة يتصرف مع الله عن حب .

ومن ثم فإنه لن يخون ، ولن يغش ولن يكون عطاؤه رياء ولا نفاقا ، ولكنه سيتعرف على وفق الحب لله فهو يحبه ، وهو يخشاه ، وهو لا يريد أن يراه حيث نهاه وما أشد حاجتنا لمثل هذا المسلك الباعث على الرقابة الذاتية ، التى بثت الحياة فى ضمائر الناس ، وتدفع الخير دفعاً إلى سلوكهم حتى نتخلص مما نعانيه من تبلد شديد وأنانية مفرطة ، وخلل واضح فى توازن المصلحة العامة مع نزوات الفرد ورغباته ومكاسبه وتطلعاته ، ولهذا كان القول برجحان الانتماء للإسلام ، أمراً متوائما مع العقل ، ومتفقا مع المنطق ومتمشيا مع متطلبات السلوك الإنسانى الرشيد ، وكان قويا لذلك .

فإذا ما أضفنا لكل تلك المعانى الواضحة ، والاستدلالات الدامغة ، أن ما تؤدي إليه هو الذى يتفق مع اتجاه التشريع الإسلامى ، حيث يؤيده كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ

لاستبان لنا أنه الأقوى والأرجح ، وذلك ما نود أن نبرزه فى هذا المقام .

مصادر أولوية الانتماء للإسلام :

ومن المؤكد أن تلك المعانى الواضحة ، والدلائل القوية لم تكن لتتعارض فى سمو مقاصدها وبعد مراميها مع نصوص التشريع الإسلامى ، فجاءت هذه النصوص الكريمة مؤكدة لما دلت عليه ، وموضحة لما ذهبت إليه ، وهذه الأدلة تسير إلى هذا المعنى أبلغ إشارة ، وهى من الكتاب والسنة :

١ ـ دليل الانتماء للإسلام من الكتاب :

يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا ، أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[1]

(١) سورة التوبة آية ٢٤ .

ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم :

إن الحق سبحانه وتعالى ، أراد أن يضرب للناس مثلا واضحا ، يبين به الفرق بين أمرين هما : حب الله ورسوله وما يلزم عنه من الولاء لله والانتماء للإسلام فى أوامره ونواهيه ، وحب الوطن الذى هو ناشىء من مجموع تلك الأمور التى أشارت إليها الآية الكريمة كالأهل . أبناء وآباء واخوانا وأزواجا وعشيرة ، المال مدخرا ، ومتجرا فيه على نحو يخشى كساده ، والمساكن طيبة فى الدنيا ، يرضاها الإنسان ، ويحبها ويتعلق قلبه بها ، وهى مجتمعة تشكل معنى الوطنية على النحو الذى أشرنا إليه ، وهل الوطن غير مجموع تلك الأشياء التى تشبع لدى الإنسان حاجته ، وتستجلب منه رضاه وتستحوز على قلبه ، وتملك عليه مشاعره ؟ ، وقد عبر الحق سبحانه عن الفرق بين الأمرين فى وجوب الاعتقاد والعمل بما يقتضيه كل منهما بصيغة ، أفعل التفضيل من الفعل بحب ، فقال سبحانه : ﴿ أحب اليكم من الله ورسوله ﴾ ، وأحب أصلها : أحبب على وزن أفعل ، فالآية واضحة الدلالةعلى وجوب أن يكون الحب لله اكبر واعظم وأولى من غيره ، حتى ولو كان ذلك الغير هو كل هذه الأشياء مجتمعة فيما يمكن أن يسمى « بالولاء القومى » ، والحب هو أخطر مظاهر الانتماء ، وليس ذلك فقط بل إن الله تبارك وتعالى ، قد توعد من يقلب الأمور فى هذا الموضوع بما يدل على خطورته بقوله عز من قائل : ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ، أى فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله[٢] فالآية باختصار تدل على وجوب القول بأولوية الحب لله والانتماء للإسلام ، وحرمة القول بخلاف ذلك ، عن طريق الوعيد والتهديد ، وفى ذلك أبلغ دلالة على المطلوب .

٢ ـ ويقول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ، وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ، وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾[٣] .

ووجه الدلالة فى هذه الآية .

إن الله تبارك وتعالى قد ضرب مثلا بنوعين من الناس ، فذكر منهم قوماً اتخذوا من دون الله أنداداً ، أى أمثالاً ونظراء ، وأنهم قد جعلوا لهؤلاء الانداد ما يجب أن يكون لله من حب ، فساووا بين أمرين ، يفضل أحدهما الآخر ، ورغم تلك الأفضلية التى يميلها الواقع وما ينبغي أن يكون ، إذا بهم كما قال الله تعالى يحبونهم كحب الله فأعطوا الأمرين حبا واحداً واهتماماً متساوياً [٤] . ومن ثم كانوا ظالمين فى حكمهم على نحو ما وصفتهم الآية الكريمة ، وقد بين الله خطا منحاهم ، وسوء تصرفهم ، فدل ذلك على حرمة ماذهبوا

---

(٢) راجع فى هذا المعنى مختصر تفسير ابن كثير جـ٢ ص ١٣١ ـ دار القرآن الكريم ببيروت .

(٣) سورة البقرة ـ آية ١٦٥ .

(٤) راجع فى هذا المعنى : مختصر تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٤٨ ـ الطبعة المشار إليها .

إليه . ومنهم قوم مؤمنون يحبون الله ويعبدونه ، ولا يشركون فى حبه شيئاً ، وقد أخبر عن حال أمثالهم من المؤمنين الصادقين ، أنهم أشد حبا لله ، وقد جاءت الصيغة بأفعل التفضيل ، أشد ، وأصلها أشدد ، على وزن أفعل التى تفيد الأفضلية مما يدل على صالح رأيهم فى وجوب الأولوية لحب الله ، وحاصل حال الفريقين يدل على وجوب تلك الأولوية لحب الله من غيره ، وحرمة القول بخلاف ذلك من خلال التلويح فى الآية الكريمة بالعذاب الأليم ، والتهديد بالعقاب الشديد كما أخبر عن حال المؤمنين أنهم أشد حبا لله ، وفى هذا الخبر ما يدل على وجوب ذلك الحب الأكبر له ، الأمر الذى يرجح جانب الولاء للإسلام والانتماء إليه ، وذلك هو عين المطلوب .

دليل الانتماء للإسلام من السنة :

وقد أكدت السنة النبوية الشريفة ، هذا المعنى القرآنى الكريم ، والأحاديث الواردة فى هذا الشأن كثيرة ، منها :

١ ـ ما روى عن شعبة عن قتادة عن أنس ، عن النبى ﷺ أنه قال : « ثلاث من كن فيه ، وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن أحب عبدا لا يحبه الا لله ، ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار »(٥) .

وجه الدلالة فى هذا الحديث :

أن رسول الله ﷺ ، وهو يبين الأمور التى يتحقق من خلالها شعور المؤمن بكمال إيمانه وحلاوته ، ذكر منها ثلاثة أمور يظهر من خلال النظر فيها أنها تحقق معنى الولاء الكامل لله ، والانتماء الأول للإسلام ، يدرك هذا من يتأمل قول النبى ﷺ ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ولا يخفى ما يدل عليه ذلك القول من وجوب الأولوية لحب الله ورسوله عما سواه ، وكان هذا القدر من البيان كافيا فى الدلالة على المطلوب ، الا أن الرسول ﷺ وهو يبلغ عن ربه ، ويقوم بمهمة البيان عن الله بين النتائج التى يمكن أن يوصل إليها ذلك النظر القويم ، فبين أنه من منطلق ذلك الحب الكبير يكون الحب المتفرع عنه لما دون حب المرء لله ، ويقاس عليه الوطن ، وأن يحب التمسك بهذا الأصل المتين ، ويكره غيره ، كما يكره أشد الأمور ضرراً له وفتكا به ، وهو الإلقاء فى نار حامية تحرقه وتؤلمه وتقتله ، والحديث على هذا النحو يدل على المطلوب أبلغ دلالة ، حيث بين أن حب الله يجب أن يكون أكبر من غيره وفى هذا ما يدل على مكانة الانتماء للإسلام .

٢ ـ وما رواه شعبة عن قتادة عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ، وولده ، والناس أجمعين »(٦)

---

(٥) رواه البخارى فى صحيحه ، كتاب الإيمان ـ جـ١ ص ٦٥ ، وكتاب الأدب ، باب الحب فى الله ـ جـ١٠ ص ٣٨٧ ، كما أخرجه مسلم فى صحيحه ـ كتاب الإيمان جـ١ ص ٦٦ ، وراجع : شرح السنة للبغوى ص ٥٤ ـ تحقيق لجنة احياء التراث الإسلامى بمجمع البحوث الإسلامية .

(٦) رواه البخارى فى كتاب الإيمان جـ١ ض ٥٥ ومسلم فى كتاب الإيمان جـ١ ص ٦٧ ، وراجع شرح السنة للبغوى المكان السابق .

ووجه الدلالة في هذا الحديث :

أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قد بين أن من مقومات الايمان الكامل بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ومن أعظم أسباب هذا النموذج الايماني الكامل ، أن يتحقق في المؤمن معنى يوصل إلى ذلك المقصد الجليل ، وهذا المعنى يتواءم مع جلال ذلك المقصد وخطورته ، ومن ثم وجب تحققه فيه ، فيجعل حب الله ورسوله أرجح في قلبه وأكبر في نفسه ووجدانه ومشاعره ، من أمور تستأثر بقلوب الكثيرين من الناس ، فتشغلهم عن ذلك الهدف الأسمي ، وذلك كحب الأقارب الذين يتواصل الانسان معهم برابطة الدم ، ويرتبط بهم بوشائج العاطفة ، وهي شديدة في علاقة الإنسان ببعض الناس ، وأشد منها في صلته بوالده وولده وأهله ، وهذه الأمور بالتأكيد تمثل أخطر جوانب الارتباط الوطني ، وتعد من أكبر أركانه ، لأن حب المكان ناشيء أصلا عن علاقة قاطنه بالناس ، وارتباطه معهم بالحب والمودة ، وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا

٣ ـ وبما رواه أبو عقيل عن زهرة بن معبد ، أنه قد سمع جده عبد الله بن هشام يقول : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يارسول الله ، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا نفسي ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا يا عمر والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال له عمر : فانه الآن ، لأنت أحب إليّ من نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الآن يا عمر »(٧) .

ووجه الدلالة في هذا الحديث :

أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل من عمر أن يكون حب الله ورسوله في قلبه اقل من حبه لنفسه ، ورد عليه قوله حين صرح للنبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى ، وأخبره أنه أحب عنده من كل شيء إلا نفسه ، كأن عمر رضى الله عنه كان يعتقد أن حب الانسان لنفسه أمر طبيعي لا يلزم عليه ، إذا تفوق على غيره في الميل والحب ، فبين النبي صلى الله عليه وسلم خطأ ذلك الاعتقاد وبعبارة واضحة والفاظ قاطعة في الدلالة عليه ، بما لا يدع ادنى شك في بيانه ، فقال : لا يا عمر ، أي لا يقبل منك ، ولا من أي مسلم هذا المسلك ، فلا يجب أن يكون حب النفس عندك ولا عند الناس اكبر من حب الله ورسوله بل إن حب الله ورسوله ، هو الذي يجب أن يكون اكبر مما سواه ، حتى ولو كان ماسواه أقرب شيء وأحبه إلى الانسان بالجبلة ، وهي نفسه التي بين جنبيه ، وروحه التي تسري في كيانه ، وإذا كان الحديث يدل بلفظه ، على أن نفس

(٧) رواه البخارى فى كتاب الإيمان جـ١ ص ٥٥ ومسلم فى كتاب الإيمان جـ١ ص ٦٧ وراجع : شرح السنة للبغوى ـ المكان السابق .

الانسان لا ينبغي أن يكون حظها من حب صاحبها لها ، أكبر من حبه لله ورسوله بنص الحديث ، فلأن يكون غير النفس من الأشياء التي تقل عنها بالطبع حباً واهتماماً ، كالمال والأهل والأرض مما يكون عنصر الانتماء القومي ، أقل من حب الله ورسوله ، وذلك من باب أولى .

وفي هذا المعنى يقول أبو سليمان الخطابي : « لم يرد حب الطبع ، بل أراد به حب الاختيار ، لأن حب الانسان نفسه طبع ، ولا سبيل إلى قلعه ، وعلى هذا النحو يكون معناه : (لا تصدق في حتى تغدى في طاعتي نفسك ، وتؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه هلاكك »[8] والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، وهكذا يتضافر المنقول من الكتاب والسنة مع المعقول في تأكيد ما أردنا أن نقرره في تلك الدراسة من أن الاسلام هو الأول والأولى في الانتماء إليه ، وأن نسب المسلم في أي مكان من بلاد الإسلام يجب أن يكون للإسلام أولا ، ثم يحدد بغيره من الفصول ، كما أننا حين قررنا أن ما انتهى اليه الدكتور زكي نجيب محمود في مقاله بالأهرام ، حول مشكلة الانتماء [9] ، قد جاء مناقضاً للمعقول وبينا وجوه الاضطراب في كلامه ، ومخالفاً لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وها نحن قد بينا ذلك حين انتهى إلى عكس ما أشارت اليه الدراسة ، وقرر أن الولاء الأول ينبغي أن يكون للانتماء القومي ، متجاهلا كل نصوص التشريع الاسلامي في هذا الموضوع ، لم يكن كلامنا تجنباً عليه ولا قولنا نيلا منه ، بل كان الاخلاص لوجه الله ، وبيان وجه الحق في القضية هو كل غايتنا ومبلغ قصدنا

معاني الوطنية في الاسلام :

ثم أن أخشى ما أخشاه بعد ذلك البيان ، أن يعتقد القارىء ، أو يظن ظان أن تقرير الأولوية في الانتماء للاسلام ، قد يقوم على حساب الوطنية الصادقة أو الولاء القومي ، بما يتطلبانه من عمل مخلص ، وعطاء مستمر ، يستهدف خير الوطن وعزته وتقدمه ، وأبادر مؤكداً أننا إذا اتفقنا على ما انتهينا إليه ، فان التوجه بالانتماء للاسلام سيكون هو المدخل الصحيح لتأكيد كل معاني الوطنية الصادقة ، اذ العلاقة بين الأمرين ليست علاقة تضاد . وتناقض ، حاشى لدين الله أن يكون عائقاً دون تحقيق أي خير ، أو مانعاً من تقدم الوطن ونصرته وازدهاره ، فان حماية الوطن مقصد هام من أخطر مقاصده ، ومن ثم تكون العلاقة بين نوعي الولاء ، علاقة فرع بأصله وملزوم بلازمه ، ومدلول بدليله ، ونتيجة بمقدماتها ، وحب بمنابعه فحب الله هو نبع العطاء للوطن ، والولاء لله ، هو مصدر الاخلاص له ، فللوطنية في ضوء الإسلام قواعد ، ولها في ظل هديه ضوابط تحرسها ، وأصول ترعاها ، وذلك ما سنلقي عليه الضوء في مقالنا القادم باذن الله ، والله المستعان ؟

---

(٨) شرح السنة للبغوى ـ السابق ـ ص ٦٥ .

(٩) جريدة الأهرام ـ الصادرة يوم ١٧/١٢/٨٥ ص ١٣ .

نسب الإمام الشافعي

رضى الله عنه

وقسم المعلومات بالأهرام

في أهرام ١٩٨٥/٦/١٥ مقال عن الإمام الشافعي من « إعداد قسم المعلومات » اشتمل على ترجمة له فذكر نسبه ومذهبه الفقهي الذي تطور من الحجاز إلى العراق إلى الفسطاط بمصر ، وكل ما جاء في المقال اتسم بالصحة إلا شيئا واحدا هو نسبه وفي جزئيه صغيرة وقع الخطأ ، ولكنها في مفهوم الأنساب كبيرة ، لأنها تبعده عن جده وتلحقه بغيره ، فهو قرشي ولا ريب ولكنه ليس « هاشميا » وإن كان هاشم ليس بعيداً عن نسبه ، وقرب الأنساب هو الذي أوقع قسم المعلومات بالأهرام في الخطأ فنسب الشافعي إلى هاشم لا إلى جده « المطلب بن عبد مناف » ..

ويقتضيني صنيع قسم المعلومات أن أتوسع في ذكر نسب الشافعي حتي تتبين الحقائق وتتضح الأنساب ..

ويذكرون في نسبه أنه « أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع » وعند شافع ينسب فيقال « الشافعي » وشافع ليس من ولد هاشم بن عبد مناف ، ولكنه من ولد المطلب بن عبد مناف ، فهو مطلبي وليس هاشميا ..

وازيدك بيانا أن « عبد مناف بن قصي » القرشي انجب أربعة بنين سادوا جميعا في الجاهلية ، وهم : عبد شمس والدامية وهاشم الذي من ذريته محمد ﷺ ، والمطلب ومن ذريته الشافعي ، ونوفل ، والثلاثة الأولون اخوة أشقاء ، أما الرابع وهو نوفل فهو أخوهم لأبيهم ..

للاستاذ السيد حسن فترون

وصلة المطلب بأخيه هاشم صلة وطيدة مكينة زادتها الأيام قوة ورسوخا ، ومن كلامهم لم يفترق هاشم والمطلب في جاهلية ولا إسلام ؛ كان عبد المطلب بن هاشم في صغره حيث نشأ بيثرب مع أمه من بني النجار بعيداً عن موطن آبائه بمكة ، يسمى « شيبة الحمد » فلما عقل رحل إليه عمه المطلب ليأتى به من يثرب ويعود به إلى مكة ، وبعد حوار مع أمه وافقت على أن يرحل معه ، فرجع به إلى مكة ، وكان الرق سائدا في الجزيرة العربية فلما رآه الناس مع عمه ولم يعرفوه قالوا :

« عبد » « المطلب » فصار اسما له عرف به وتنوسى « شيبة الحمد » ..
وفي مكة رعاه عمه المطلب وأحسن تربيته ، وكان المطلب قد تولى وظائف أخيه هاشم ، فلما بلغ عبد المطلب سن الرشد أسند إليه المطلب وظائف أبيه من الرفادة والسقاية ، وكان المطلب سيدا كريما لقب « بالفيض » لكثرة عطائه وبره . ولما جاء الإسلام وقف بنو المطلب مسلمهم وكافرهم بجانب بني هاشم على حين تألب بنو عبد شمس ومنهم أمية ونوفل ضد الرسالة الاسلامية مع قريش فقال أبو طالب عم الرسول ﷺ ..

أيا أخوينا عبد شمس ونوفلا
أعيذكما بالله أن تحدثا بيننا حربا .

وأول شهيد من بني المطلب هو « عبيدة بن الحارث » استشهد في أول غزوة بدر وَأَخْلُصُ من كل ما تقدم إلى أن الشافعي رضى الله عنه ليس من بني هاشم ، ولكنه من بني المطلب بن عبد مناف ..

وعبد مناف الجد الثالث للرسول ﷺ وهو ملتقى النسب بينه وبين الشافعي .. وحين وقف الشافعي بين يدى الرشيد متهما نفى التهمة عن نفسه وذكره بالصلة الوثيقة بين هاشم والمطلب ، ومن هنا جاء العفو والقبول ..

ويرضيني ويرضى الحقيقة أن ينوه بهذا في جريدة الأهرام التي تحرص على الحقيقة وإبرازها في إطارها الواضح المربح . والله الموفـــق .

الصوم

عبادة وسعادة ورحمة ومودة

سبحانك اللهم ربنا ما أعظمك . وما أكرمك . وما أحكمك . وما أرحمك . أنت حسبنا نعم المولى أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين . اللهم إننا نسألك مخلصين دعاءنا أن تعلمنا ما ينفعنا وأن تنفعنا بما علمتنا وأن تزكى أفئدتنا ، وأن توفقنا إلى ما يرضيك عنا إنك أنت مولانا سميع قريب مجيب .

[1]ثبت أنه ما من أمة من الأمم القديمة إلا كان الصوم فيها بغية السلامة والعاقبة الكريمة للمحافظة على صحة الإنسان فى مجتمعها ، ومن قديم الزمان أيقن أهل الصحة أن الإمساك عن الطعام بعض الأيام والأوقات يدفع السموم عن البدن ويسهل عملية الهضم ويقوى النظر ويزيد الإبصار فى العين ويجعل الرؤية أبعد والسمع أقوى وبشرة الجسم أصفى وأنقى .

وما من دين من الأديان السماوية نزل من السماء إلا كان الصوم شعاراً من شعائره .

وما من مذهب من المذاهب الدينية التى ظهرت إلا كان الصوم من تعاليمها .

وبالبحث والاستقراء تبين أن الصوم كان شائعاً ومعلوماً ومنتشراً عند المجوس والصابئين والبراهمة وعبدة الشمس والقمر والنجوم وغيرهم .

وقد كتب ـ سبحانه وتعالى جلت حكمته ـ الصيام على الأمم ذات الرسالات السماوية من أهل الكتاب اليهود والنصارى .

ثم أكد هذه الفريضة على الأمة الإسلامية المحمدية القرآنية وجعل الصيام ركناً من أركان الإسلام الخمس .

والآية القرآنية أكدت فريضة الصيام فى الإسلام وحكمته .

---

(١) تناول الأستاذ الكاتب فى مقاله نظرات متنوعة إلى هذه العبادة ومالها من فلسفة لدى غير المسلمين من الأمم كماتناولها فى الإسلام فائدة وأهدافا ، مما جعل مقاله مفيداً فى أى حال . مجلة الأزهر

للأستاذ الدكتور زكي مشعل

يقول تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

والصوم يتخذ أشكالاً متباينة بين الأمم كيفية ومقدارا :

فأمة كانت تمسك عن الأكل والشرب والجماع والكلام والعمل أياما حسبما ترى من كل عام .

وأمة أخرى تمسك عن الأكل والشرب فقط ، وترى أن للصوم آثاراً نافعة فى وظائف الأبدان وتجعله ثلاثين إلى أربعين يوما وأخرى كانت تمتنع عن بعض الوان وأنواع من الطعام والشراب .

وذلك كان صوم الصابئين والمانوية والنصارى وعلى هذا تبين لنا أن مدة الصوم وكيفيته تختلف لدى الأمم السابقة فلم يكن محدوداً بزمن معين ولا بشهر معين : فقوم يصومون النهار ، وقوم يصومون الليل ، وآخرون يفضلون الصوم فى فصل الربيع لأنه الفصل الذى يمتص الجسم فيه كثيراً من السكريات والدهنيات .

وحالة الجو والطبيعة فى فصل الربيع ألطف من بقية فصول السنة . وقد علم أن رسول الله داود عليه السلام كان يصوم يوماً ويفطر يوماً .

كما ثبت هذا فى الحديث الشريف فى السنة النبوية المحمدية المطهرة .

ومعلوم أن الإمساك عن الكلام يسمى صوما ، ولا زال كذلك فى اللغة وفى القرآن الحكيم فى قصة مريم قوله تعالى : ﴿ فَقُولِى إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً ﴾ .

قال الإمام القرطبى عند تفسير هذه الآية الشريفة : كان يلزمهم الصمت عن الكلام إلا بالإشارة .

وقال الإمام ابن كثير : المراد أنهم كانوا إذا صاموا فى شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام .

ولا ريب أن الصيام فى شرعة الإسلام ركن من أركان الدين مفروض فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن .

والآمر بالفرض هو رب العالمين الذى وصفنا بالإيمان والاذعان له وقوله ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ تفيد أن ليس المسلمون وحدهم هم المأمورين بفريضة الصيام وليسوا بدعا بين الأمم إذا مارسوا الصوم فإن الصيام كان قاسماً مشتركاً فى جميع الرسالات السابقة .

فخير أمة أخرجت للناس أحق بتبوىء هذه المكانة العالية ألا وهى التقوى ففيها جماع الخير والفضائل والنجاح والفلاح فى الدنيا والآخرة ، وهو ماختم به سبحانه الآية ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

قال الإمام ابن كثير فى شرح قوله تعالى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ إن فى الصوم تزكية للنفس وتضييق لمسالك الشيطان .

ويقول الإمام القرطبى فى هذا المعنى : كلما قل الأكل ضعفت الشهوة وكلما ضعفت الشهوة قلت المعاصى

وقيل : تتقون المعاصى ، وقيل هو على العموم لأن الصيام كما قال عليه الصلاة والسلام « الصيام جنة ووجاء » .

ويقول الشيخ عبد الله دراز فى مؤلفه ـ الصوم تربية وجهاد ـ ليس هدف الصوم إذاً هو الألم البدنى وإن كان هذا الألم قد يقع فى طريقه .

إن الله عز وجل حين قال لنا ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ لم يقل : لعلكم تتألمون كما أنه لم يقل : لعلكم تَصِحُّون أو : لعلكم تَقْتَصِدُونَ .

وإنما قال ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وجعل الصوم اختباراً روحياً وتجربة خلقية وأراد منه أن يكون وسيلتك إلى نيل صفة المتقين وأداتك فى اكتساب ملكة التقوى .

هذا هو الهدف الحقيقى الذى إن أصبته جاءت وراءه كل الثمرات مكرهة راغمة .

وان أخطأته فقد أضعْتَ عملك كله سدى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَالَهُ فِى الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ » وفى هذا المقام نذكر ما رواه البيهقى عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أتاكم شهر رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء وينظر فيه إلى تنافسكم فى الخير ويباهى بكم ملائكته فأَرُوا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل » .

ولا ريب أن الصوم نوع من الجهاد فى سبيل الله إذ المجاهد هو مَنْ جاهد نفسه وألزمها الوفاء بطاعة الله والكف عما حرم الله ..

وهؤلاء المجاهدون قد وعدهم الله أجزل المثوبه ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ » .

فلنصم احتسابا لربنا راجين حسنى العقبى ؛ فإنه حسبنا ونعم الوكيل ونرفع إلى حبيبنا رسول الله أعظم صلاة وأكرم تسليم .

د . زكى مشعل

من أعلام الأزهر

رواد أزهريون في شروح التراث

العلامة ابن دهيش

من أعلام الأزهر

رواد أزهريون

ينشرون التراث

حين بدأت مصر تصحُو من نومها الطويل ، فى مفتتح النهضة العلمية والأدبية المعاصرة ، كان الأزهر بأبنائه الطلاب ، وعلمائه الشيوخ من أركان هذه النهضة ودعائمها الأصيلة ، فقد اخْتيرَ من فتيانه من ابتعثوا إلى أوربا ، ليدرسوا الجديد فى فروع العلم المختلفة ، كما أختير من علمائه من نشروا الكتب وصححوا المؤلفات ، وحرروا الرسائل ، ومن درسوا فى المدارس المختلفة ، وأداروا أعمالها الفنية ، وبالتدريس والتاليف والترجمة والنشر ، انبثق النور الفكرى فى المجتمع الاسلامى بأسره ، لأن هذه الحركة المباركة قد امتدت من مصر إلى جاراتها الشقيقة وغير الشقيقة ، ولا نعنى بالشقيقة الدول العربية وحدها كما ألف الكتاب أن يذهبوا فى اصطلاحاتهم السياسية ، وإنما نعنى بالشقيقة كل بلد اسلامى سواء نطق باللغة العربية أو تكلم بلغة وطنه ، فالمسلم أخو المسلم فى كل زمان ومكان ، أما ما نعنيه بغير الشقيقة فهى الدول التى لا تدين بالإسلام فى آسيا وأفريقيا وقد انتفعت عن طريق غير مباشر بالحركة الفكرية فى مصر حين بزغ نورها فى فجر النهضة الحديثة ، ولذلك تفصيل لا يعوزنا الآن .

هذه الصحوة الفكرية بشعبتيها الأدبية والعلمية فى حاجة إلى من يؤرخها على وجهها الصحيح لأن مؤرخى اليوم والأمس قد تعمدوا أن يلموا بجهود الكفاة من رجال الدين إلماماً طائراً عابراً ، ومنهم من يحاول أن يتجاهل هذه الجهود ، فيشير إليها فى معرض التهوين ، والعجب الغريب أن من أوائل ما كتب عن هذه النهضة فى تاريخ الأدب المعاصر ما كتبه الأستاذ جورجى زيدان فى الجزء الرابع من كتابه الذائع (تاريخ آداب اللغة العربية) وكان المؤلف منصفاً حين أشار إلى هذه الجهود إشارات واضحة ، شغلت حيزاً معقولاً من صفحات كتابه الجامع .

وقد كان المرجع الأول لمن أتى بعده من مؤرخى الأدب المعاصر ، ومن الانصاف أن يكمل الخالف ما ترك السالف من نقص ،

دكتور محمد رجب البيومى

ولكن الخالفين لم يتموا صنيع جرجى زيدان إذ بتروه بتراً شائناً ، وفيهم من تجاهله فلم يشر إليه فى قليل أو كثير ، وهذا موضع العجب الغريب ، وإن فهمت دواعيه لدى من يضمرون البغضاء لكل وعى أدبى أو سياسى انبثق عن رجال الاسلام من العلماء !!

وقد أشرنا فى بعض ما كتبناه عن أعلام النهضة الاسلامية المعاصرة إلى محاولة تجاهل السبق السياسى لذوى الزعامة الوطنية من رجال الدين فى كل بلد اسلامى ، وها نحن أولاً نشير إلى محاولة تجاهل السبق العلمى والأدبى لهؤلاء ، إذ يروق لقوم من ذوى الغرض أن ينحوا قادة الدين عن مجالات الإصلاح فهم يحاولون إطفاء نور أشرق وامتدت أضواؤه فاكتسحت الظلمات وهى محاولات تدعو إلى اليقظة والالتفات .

لقد ألم جورجى زيدان بعناصر النهضة الفكرية فذكر دور الأزهر فى إنشاء المدارس والصحافة والمطابع والبعثات والجمعيات الأدبية ، وترجم بايجاز للذائعين من رجال هذا العهد ، ويعتبر ما قاله الرجل متناً علمياً بالاصطلاح الأزهرى القديم ، وكان هذا المتن فى حاجة إلى شرح يفصل المجمل ، ويوضح المبهم ، ويكمل الناقص ، ولكن مؤرخى الأدب من بعده قد وقفوا عند ما كتب ولم يتجاوزوه ، حتى صارت الفجوة المتسعة فى حاجة ماسة إلى من يملؤها عن دراية واستيعاب ، ولست وحدى الذى أنعى على المؤرخين قصورهم وتقصيرهم معاً ، فقد انطلقت الألسنة المنصفة تدعو إلى الاستكمال والإتمام .

يقول الدكتور أحمد أمين فى مجال الحديث عن النشر الممتد للتراث العلمى فى بدء هذه النهضة :(١).

« والحق أن طائفة من العلماء (علماء الأزهر الشريف) غبنوا حقهم ، ولم يؤرخوا التاريخ الواجب لهم وهم المصححون فقد كانوا يمتازون فى عصرهم بثقافة أوسع من أمثالهم ، واقتضاهم عملهم أن يطلعوا على كثير من الكتب فى التاريخ والأدب واللغة والفلسفة وغير ذلك ، فاتسعت مداركهم وآفاقهم ، واضطرهم عملهم أن يكتبوا خاتمة الكتب ، أو شرح الغامض ، وأن ينشئوا تقريظ الكتاب ، والتعليق عليه ، فجرت أقلامهم وقرنوا على الإنشاء والكتابة فى زمن عز فيه الأديب وندر الكتاب ، وإن كان إنشاؤهم ، وكتابتهم مقيدة بنمط العصر .

اشتهر من هذه الطبقة الشيخ نصر الهورينى ، ثم الشيخ محمد قطة العدوى ، ثم الشيخ ابراهيم الدسوقى ، ويظهر أنهم كانوا

---

(١) فيض الخاطر جـ ٣ صـ ٤٢

فى درجة علمهم وأدبهم كما كانوا حسب تاريخ زمانهم ، نشروا كثيراً من الكتب القيمة ، ولقوا فى تصحيحها العناء ، وأذهبوا فى سسوداتها سواد عيونهم ، وهم وإن لم تبلغ كتبهم منتهى الجودة من حيث الإخراج والضبط فقد بذلوا غاية جهدهم ، وجعلوها صالحة للاستفادة منها ، واستخرجوها من أصول سقيمة ، وخطوط عليلة ».

وإذا كان الدكتور أحمد أمين قد تحدث عن المصححين من العلماء ومحققى الكتب فحسب ، فقد تحدث الدكتور جمال الدين الشيال عن غيرهم فقال :[1].

« والواقع أن الشيوخ الذين قاموا بمراجعة الكتب المترجمة فى ذلك العصر ، كانوا يقومون بالعملية معاً . (يريد التصحيح والتحرير) بل كان لهم جهد مشكور ، وخاصة الشيخ التونسى ـ فى إحياء المصطلحات العلمية العربية القديمة ، ومحاولة التوفيق بينها وبين المصطلحات الأوربية الحديثة بعد مراجعة كتب العرب فى الطب والهندسة والرياضيات ».

ومعنى ما يقوله الدكتور الشيال أن هؤلاء العلماء كانوا يقومون مقام مجمع اللغة العربية اليوم ، فهم يترجمون الكتب فى علوم الطب والهندسة والرياضة ، ولا يجدون المرادف المتداول ، فيراجعون الكتب القديمة لاختيار المصطلح المناسب ، ونحن نعرف أن اختيار المصطلح الواحد فى فن واحد يحتاج إلى دربة وغوص ، ودقة استنباط ، لذلك تعقد الجلسات المتوالية فى المجامع العلمية لمناقشة مصطلح واحد يصادف القبول ، فإذا قام علماء الأزهر باختيار ما ينطبق على اللفظ المترجم من كتب مخطوطة متعددة فى زمان لا يسعف بالبحث الدقيق لتعذر المراجع وصعوبة الاهتداء إلى مضمونها فى مخطوطات متآكلة باهتة المداد ، وليس المختار من فن واحد بل من فنون شتى فى فروع الطب والهندسة والرياضة . إذا قام علماء الأزهر بذلك كله فى الكتب المترجمة لمدرسة الطب ، ومدرسة الهندسة ، والمدرسة الحربية ، ومدرسة الألسن واستطاعوا أن يصلوا الحديث بالقديم فى المجال العلمى فأتى مجهود بذلوا ، وأى علم تركوا ؟ دون أن يجدوا الإنصاف الأمين ..

ليت شعرى أوقف الأمر عند الإنصاف ! إنه تجاوزه إلى الإجحاف ، إذ وجد من الكتاب من حاول فى صرامة ظالمة أن ينتقص هذه الجهود ، وأن يصم أصحابها بما هم منه برءاء ، حاول الدكتور برون ، وهو أحد أساتذة مدرسة الطب المصرية فى عهد محمد على أن يجرد الأزهر من كل فضل حضارى ، فى مضمار التقدم الفكرى ، فكتب إلى سكرتير الجمعية الآسيوية يحدثه عن انبثاق النهضة العلمية فى مصر ، ليكون هو فى رأيه مشعل التوجيه العلمى مع من وفد من أوربا للتدريس فى مصر ، أما علماء الأزهر الذين تعلم العربية

(١) مجلة الثقافة العدد ٦٧٢ .

على أيديهم ، وقاموا بتصحيح مؤلفاته العربية وتنقيحها فلا يعرفون شيئاً ما ! يقول ذلك ، وهو يرى رهطاً منهم يشاركه البحث ، ويعاونه فى تحديد المصطلحات ، وتعريفها .

وقد كتب فى ترجمة حياته يقول إنه تتلمذ على الشيخين محمد عياد الطنطاوى ، ومحمد عمر التونسى ، وبفضلهما برع فى اللغة العربية ، وقد كان زميلاً لرفاعة الطهطاوى ، وحضر مجالس حسن العطار فى منزله مع علماء الأزهر ، وخاضوا فى مسائل كثيرة كانت موضع التفاته ، فإذا كان لهؤلاء العلماء تخصص علمى غير تخصصه ، فهل يعقل أن يكونوا معه فى مضماره حتى تتلاقى أفكارهم العلمية فى مهيع واحد !

إننا نجد اليوم عالم الهندسة لا يجحد قدر عالم اللغة بل يراه زميله فى الكفاح ، ويستعين كلاهما بالآخر فيما يحتاج إليه من أمور التأليف ومسائل الحياة ، أفيجوز لعالم الهندسة أن يقول إن زميله لا يبلغ مستواه فى فنه ليعد ذلك نقداً يوجه إليه ، على أننا نترك هؤلاء الذين عكفوا على علوم اللغة والدين ممن لا يلتقون مع الدكتور برون فى طريق ، ونتحدث عن علماء من الأزهر عرفهم حق المعرفة وقاموا بتصحيح مؤلفاته ، وتنقيحها واختيار أسمائها ، وكتابة مقدمة وخاتمة لكل كتاب ، وهم من الشهرة لديه ولدى زملائه بحيث كان من الحتم ان يشير إلى جهودهم فى رسالة يبعثها إلى المجلة الآسيوية متحدثاً عن النهضة العلمية فى مصر ، ونحن نعرف أن للدكتور برون كتابين هما[1] الأزهار البديعة ، فى علم الطبيعة[2] والجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية ، وقد ذكر جورجى زيدان أن الشيخ عمر التونسى قد تولى تنقيحهما وابرازهما فى وضعهما النهائى ! فإذا كان الدكتور برون يزعم أنه يجيد العربية ، وقد تعلمها فعلاً كما أشرنا من قبل ، وهو مع اجادته لم يستغن عن عالم أزهرى ينقح مؤلفيه ، ويضعهما فى مستواهما اللغوى المقبول فما بالك بزملائه ممن لا يعرفون اللغة العربية اطلاقاً ، ويأتون بمؤلفات أوربية يسلمونها إلى التراجمة السوريين لينقلوها نقلا عامياً لا يصلح للتأليف فينهض شيوخ الأزهر لإصلاح الترجمة والارتفاع بها إلى مستوى كريم ، فكيف يتناسى الرجل فضل هؤلاء عليه أولاً ، وعلى الكثير من زملائه فى مدارس الطب والهندسة والرياضيات ! وإذا قال له قائل : من وضع كتابيك فى صورتيهما الأخيرتين فبماذا يجيب ؟

وإذا كان قد اعترف بفضل العالمين الجليلين : محمد عياد الطنطاوى ومحمد عمر التونسى ، فهذان الفاضلان لم ينشأ من فراغ ، ولم يكونا استثناء لقاعدة ، بل هما من تلاميذ شيخ الأزهر حسن العطار وبهديه استطاعا أن يتفرغا لعلوم كثيرة ، وأن يحتذيا رفاعة الطهطاوى فى مجالات سبقه ، وإذا كان رفاعة الأزهرى النابغة قد نال حظه من التعريف ، بحيث سارت مؤلفاته سير الشمس ، وأعيدت طبعاتها مرات عديدة فإننا نشير هنا بايجاز إلى زميليه الكبيرين ، دون أن نبخسه قدره الذائع الجهير .

أما الشيخ محمد عياد الطنطاوى فقد خصه المستشرق الروسى (اغناطيوس كرا تشفويفسكى) بحديث طويل فى كتابه (من خلال المخطوطات العربية) الذى قامت بنشره اكاديمية العلوم بلينجراد ، وفيه يذكر أن الشيخ تعلم بالأزهر على أيدى العطار والباجورى والرجبى ، وأنه تولى التدريس بالأزهر وخص الأدب العربى بعنايته ، إذ كان يدرس للطلاب مقامات الحريرى والمعلقات السبع بشرح الزوزنى ، وهذا قول موجب الانتباه الدقيق ، فقد شاع لدى بعض الدارسين أن شيوخ الأزهر من قبل الأستاذ الإمام محمد عبده لم يكونوا يحفلون بدروس الأدب العربى وإنما يرونه عناء لا طائل تحته ! وها هو ذا الشيخ الطنطاوى يدرس لطلابه المعلقات السبع بشرح الزوزنى ! وغير معقول أن يكون شيخ الأزهر شاعراً وهو العطار وأن يكون من أبناء الأزهر شعراء مثل الخشاب والدرويش وأبى النصر ثم لا يدرس الأدب بالأزهر ! أليس هذا مما يوجب الانتباه ؟!

ثم شاءت الظروف أن تطلب السفارة الروسية من تركيا استاذاً للغة العربية بمعهد الدراسات العربية بسانت بطرس برج فوقع الاختيار على « الشيخ الطنطاوى » فنهض بما عهد إليه على أكمل وجه ، وظل محافظاً على زيه الأزهرى وسمته الشرقى ، يقول عنه أحد معاصريه من الروس : « إنه رجل وسيم ، يرتدى حلة شرقية ، وعمامة بيضاء ، وله لحية فاحمة سوداء ، وعينان براقتان ، ووجه متوقد الذكاء ، وهو يسير الهوينى شامخ الرأس ».

وقد مكث فى منصبه العلمى قرابة أربعة عشر عاماً يشرح دقائق اللغة والأدب والبلاغة ، وقام بعدة رحلات إلى الجنوب حيث زار بلاد الإسلام فى القوقاز وداغستان ، وأنعم عليه بعدة أوسمة تشير إلى ريادته ، وترك مؤلفات قيمة منها كتاب (أحسن النخب فى معرفة لسان العرب) ورسالة (هدية العاقل) وهى تتضمن وصفاً بديعاً لرحلته من الشرق إلى الغرب وتشرح مشاهداته فى ربوع الاسلام بروسيا . وله كتاب عن (تاريخ العرب) وكتاب عن (الحكايات العامية بمصر) وترجمة لأشعار سعدى الفارسى ، وعدة حواش على كتب الأزهر ، وقد انتقل نشاطه العلمى إلى معاهد شتى ثم انتقل إلى رحمة ربه سنة ١٨٦١ م ودفن فى قرية « فولكانا » ونصب على قبره لوح من المرمر يقول إنه مستشار بالدولة وأستاذ بجامعة سانت بطرسبرج !

وإذا كانت رحلة رفاعة الطهطاوى إلى باريز قد طبعت فى مؤلف متداول تحت عنوان (تخليص الإبريز) فإن رحلة الطنطاوى إلى روسيا التى وصفها فى كتابه (هدية العاقل) جديرة بأن تطبع ، وهى فى مكتبة معهد الدراسات العربية هناك ، ويجب أن يضاف إليهما ما كتبه الشيخ محمد عمر التونسى تحت عنوان (تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان) وهو وصف لرحلته إلى السودان ، والواحات . وقد طبع بباريس مع ترجمة فرنسية قام بها سديليو ، وكتب عنها

بالمجلة الآسيوية ، وقد رأينا رسائل جامعية عن الرحلات المعاصرة تبدأ برفاعة وتقفز إلى عبد الله فكرى والشدياق تاركة الحديث عن رحلتي هذين العالمين الجليلين ، فلعل باحثاً مخلصاً يعنيه أن يبحث عن الدفائن المستترة ليبرزها ناهضة شاخصة تكمل الخطوات المجهولة فى طريق هذا الفن الأدبى الرفيع .

أجل : لقد تحدثنا بايجاز عن الطنطاوى ، وبقى أن نشير إلى زميله محمد عمر التونسى الذى شاركه فنه الأدبى فكتب الرحلة المشار إليها ، وقد ولد بتونس وارتحل إلى مصر كوالده ليتعلم فى الأزهر الشريف ، وذاع له حديث فى العلم والأدب فاختير واعظاً دينياً فى جيش ابراهيم باشا ، ثم عاد إلى مصر ليقوم بأعباء التحرير فى الكتب العلمية بمدرسة الطب .

يقول الأستاذ الدكتور محمد كامل الفقى عنه[1] :

« ولما عاد من رحلته (رحلة الجيش) كانت مدرسة أبى زعبل قد أنشئت ، واخذ النقلة فى ترجمة كتب الطب ، وضيها فعين مصححاً . وأعجب به الدكتور برون ، وارتاح إلى إدبه فقرأ عليه « كليلة ودمنة »

ولمع نجمه في التحرير والتصحيح وامتاز بين زملائه بمعرفة المصطلحات العلمية العربية ، فكانوا يرجعون إليه في تحقيقها ويطلقون عليه (مصحح كتب الطب) وكانوا إذا أرادوا أن ينقلوا كتاباً في أوائل إنشاء مدرسة الطب وجدوا مشقة في إيجاد الألفاظ العربية الملائمة للألفاظ الإفرنجية في الكتب المترجمة فيرجعون إليه في تحرير الكتب .

وبدراسة ماقام التونسي بمراجعته وتصحيحه نجد فروعاً مختلفة من العلم نالت اهتمامه ، فهو في علم النبات يقوم على تحرير كتاب « الدر اللامع ، في النبات وما فيه من المنافع » وفي الطب يراجع ويصحح كتاب (كنوز الصحة ويواقيت المنحة) وكتاب « الدر الغوال في معالجة امراض الاطفال » وكتاب « التنقيح الوحيد في التشريح الجديد » كما كان له إسهام في نشر القاموس المحيط ومقامات الحريري والمستطرف في كل فن مستطرف ، ولم يكتف بالعمل التحريري بل خص يوم الجمعة بدرس علمي للحديث الشريف بمسجد السيدة زينب ولم ينقطع عنه إلا بالوفاة .

أما أكبر عمل علمي له فهو وقوفه على جمع معجم للاصطلاحات العلمية أسماه « الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية » ونواته الأولى كتاب فرنسي في المصطلحات الطبية اختاره الدكتور كلوت بك ، وقام بترجمته ابراهيم النبراوي ومحمد الشباسي ، وعيسى النحراوي ومصطفى السبكى وكلهم من أبناء الأزهر الذين سافروا الى فرنسا ، وتخصصوا في فروع الطب البشري ، وعادوا ليكونوا

---

(١) الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة صـ٧٨ .

مدرسين بمدرسة الطب ، وكانت مهمة التونسي أن يراجع كتب التراث اللغوي والعلمي ليستخرج التعاريف الدالة على المصطلحات الإفرنجية وفق مدلولها الصحيح .

يقول التونسي بعد أن شرح مهمته العلمية : « وقد أوعز الىّ الدكتور برون ناظر المدرسة أن آخذ من الكتاب كل لفظ يدل على مرض أو عرض أو نبات أو معدن أو حيوان ، أو غير ذلك من الاصطلاحات وأن أستخرج ما في القواميس من التعاريف ، وما في (تذكرة داود) ، وما في (فقه اللغة) ، وغيره من المعاجم ، وكتب اللغة ففعلت ذلك وأضفت إليه أسماء العقاقير ، وأسماء الأطباء المشهورين ، ورتبته على حروف المعجم » .

وقد كان هذا المعجم حديث المثقفين في عصره ، ولا يغض من قيمته أن توجد معاجم حديثه تستوعب ما ترك ، وتضيف الجديد مما اكتشف لأن قيمة الأثر العلمي تقدر في نطاق زمانه ومكانه ليعرف مكانه الصحيح وأنت إذا قرأت ما كتبه ابقراط وجالينوس في الطب القديم ، وما قاله ابن سينا والرازي في العصر الوسيط ، وحاولت أن تقرن ذلك بما يكتب الآن تهالك أن تجد الفرق الشاسع بين القديم والجديد ، ولكن هذا الفرق لا يمنع أن تكون هذه المؤلفات التاريخية حلقة في سلسلة ممتدة من العصور السالفة الى هذاالعهد ، بل إن علماء الطب المقارن يقيمون الموازنات العلمية بين مسائل كتب عنها السابقون ، وأضاف إليها اللاحقون ما ظفر بها من وضع الى وضع دون أن يتجهلوا الفهم لعصوره إذا قيس بالجديد ؟ وستأتي أجيال لا تزال في أحشاء الغيب لتقرأ ما نكتبه الآن ولتضيف إليه ما تتمخض عنه الدراسات المنهجية من جديد في عالم الاكتشاف يصبح به حديثنا الآن سالفاً متقدماً يؤخذ منه ويترك دون انتقاص .

وإذا كان الدكتور برون قد عاصر هؤلاء الاعلام ودعاهم الى مشاركته ، واستعان بهم فيما استعصى عليه ، وتتلمذ على بعضهم في مجال اللغة والأدب فكيف يحاول أن يغض من شأنهم متوهماً أن في انخفاضهم المزعوم ارتفاعاً لشانه ! وذلك ما يستحيل .؟ ..

د . محمد رجب البيومي ..

من أعلام المسلمين

العلامة ابن دهيش

(٢)

بقلم ولده: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

مكتبته :

يتمتع فضيلة الشيخ / عبد الله بن عمر بن دهيش بحبه الشديد للعلم وتعليمه لذلك فلا غرابة ان يهتم بجميع الكتب منذ ايام دراسته وبذل في سبيل ذلك الوقت والمال الكثير حتى اصبحت لديه مكتبة قيمة كبيرة بها اكثر من خمسة آلاف كتاب من الكتب النفيسة في علوم القرآن وتفسيره والحديث ومصطلحه والفقه واصوله على المذاهب الأربعة والتوحيد والسيرة النبوية والتاريخ الاسلامي واللغة العربية وآدابها ومجموعة نادرة من المخطوطات والمصورات والمستنسخات حيث انه قام باستنساخ عدد كبير من مدينة حائل عندما لم يستطع الحصول على نسخة مصورة من تلك الكتب نظرا لعدم وجود ماكينات تصوير الكتب ، كما هي عليه في وقتنا الحاضر . ولم يكتف فضيلته باستنساخ الكتب بل انه كان يقوم بمقابلة الكتاب على الأصل حتى يتاكد من مطابقته تماما للكتاب الأصلي .

ومن الكتب التى استنسخها كتاب شرح الاقناع بخط مؤلفه الشيخ / منصور البهوتي عام ١٠٤٧ هـ وقد وجده عند أبناء الشيخ / صالح السالم بمدينة لبده ، فقام بنسخه ومقابلة النسخة المنسوخة على النسخة الأصلية . كما أنه اطلع على كتاب الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف للشيخ / على ابن سليمان المرداوى « ت ٨٨٥ هـ » وقف على من يتولى قضاء حائل فاستنسخ منه نسختين احداهما بخط الشيخ / محمد الخلف ، والثاني بخط الشيخ / عبد الكريم الصالح السالم . واطلع أيضا على كتاب

العلامة ابن دهيش

التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح وقد استنسخ منه نسخة واحدة بخط الشيخ / ابراهيم الصايغ ومؤلف هذا الكتاب، هو: الشيخ / أحمد الشويكي الحنبلي المتوفي سنة ٩٣٩ هـ. وعندما انتقل إلى مكة المكرمة معاونا لرئيس هيئة التميز وهيئة الأمر بالمعروف قام أيضا باستنساخ عدد من الكتب الخطية، وهكذا كان يفعل عندما يحل في أي مدينة حتى اجتمع لديه عددٌ كبير من المخطوطات النادرة والمستنسخة أو المصورة من كتب خطية، كما أنه كان يقوم بشراء الكتب الخطية النادرة. وقد خصص لهذه المكتبة قاعة كبيرة في الدور الأرضي من منزل فضيلته بحي العزيزية بمكة المكرمة وقام بتصميم دواليب خاصة ذات واجهات زجاجية وذلك لحفظ الكتب وصيانتها، كما أنه قام بتجليد جميع كتب مكتبته القيمة تجليداً فاخراً ووضع اسمه على كل كتاب ولا يسمح بالاعارة الخارجية لجميع هذه الكتب خوفا علي ضياعها، وهذه المكتبة لها سجل خاص مسجل به جميع الكتب ومكتوب بخط اليد كتابة جيدة.

وهذه المكتبة مرتبة حسب العلوم ويأتي القرآن الكريم وعلومه في مقدمة هذه الكتب ثم يلي ذلك كتب التفسير حسب أقدميتها وأهميتها ثم كتب الحديث ومصطلحه، ثم كتب الفقه على المذاهب الأربعة، ثم كتب التوحيد ويلي ذلك كتب اللغة العربية وآدابها، ثم كتب السيرة والتاريخ الاسلامي العام، ثم الكتب في العلوم الأخرى، وتتوسط قاعة المكتبة طاولة كبيرة حولها عدد من الكراسي وذلك لمن أراد الاطلاع والبحث في كتب هذه المكتبة.

دروســـه وتلاميـــذه :-

كان فضيلة الشيخ عبد الله رحمه الله محبا للعلم وتعليمه، ولذلك كانت له دروس في التفسير والحديث والتوحيد والفقه وأصوله والفرائض والمناسخات والوعظ والارشاد يعقدها بعد صلاة العصر، وبين صلاتي المغرب والعشاء في المساجد الكبرى بالمدن التي يعمل بها ويحضرها الطلاب والمشايخ ويقرأ فيها أمهات الكتب في تلك العلوم ويتم مناقشة المسائل واجابة الأسئلة عليها والتي ترد عادة من الحضور.

ففي الاحساء كان فضيلته يقوم بالامامة والخطابة في مسجد الامارة الكبير الذي يصلي فيه سمو أمير الاحساء الأمير عبد الله بن جلوى، ثم من بعده ابنه الأمير سعود رحمهما الله. وكان لفضيلته أيضاً دروس في هذا المسجد وقد تتلمذ على يده هنالك عدد كبير من المشايخ منهم على سبيل المثال لا الحصر:

الشيخ سعد بن عبد الله بن حجرف البواردي وكان من الملازمين للشيخ عبد الله وينيبه حين غيابه للامامة والخطبة، والشيخ محمد بن فايز والشيخ اسماعيل بن عبد الرحمن السماعيل ابن خاله، وقد أخبرني أنه حصل من الشيخ عبد الله رحمه الله على أجازة علمية في التفسير والحديث والتوحيد والفقه وأصوله والفرائض بخط

يده ، والشيخ أحمد بن محمد البريك والشيخ عبد الله بن حسن الزين ، والشيخ حسن بن محمد الوهيبي .

وعندما انتقل فضيلة الشيخ عبد الله إلى حائل رئيسا لمحكمتها كانت له نفس الدروس التي كان يلقيها في الاحساء ، فكان يقوم بالإمامة والخطابة في مسجد الإمارة الكبيرة والذي يصلي فيه سمو أمير حائل أنذاك الأمير عبد العزيز بن مساعد رحمه الله ، وكذلك كانت له دروس في التفسير والحديث والتوحيد والفقه وأصوله والفرائض والمناسخات وكانت له حلقة علمية كبيرة . كما كان يجلس لطلاب العلم بين صلاتي المغرب والعشاء في بيته المعروف ببيت ابن طلال .

وفي مكة المكرمة كانت له حلقة دراسية كبيرة يعقدها في المسجد الحرام خلف المقام الحنفي في الموضع المعروف بدار الندوة يعقدها بعد صلاة العصر وحتى قبيل صلاة المغرب ، ويدرس فيها التوحيد ، والفقه وأصوله والفرائض والمناسخات . ومن تلاميذه كل من : ـ

الشيخ حامد بن محمد العباد المدرس حاليا بمعهد الحرم والشيخ : عبد الملك بن داود من أهل اليمن وقد درسا عليه الفقه الحنبلي .

كما كان يلازمه ابنه الشيخ / عبد الملك ، وقد درس عليه التفسير والحديث والفقه وأصوله والفرائض والمناسخات في أمهات كتب المصادر وقد استفاد من علمه بقية أبنائه الذين كانوا يلازمون مجلسه ويستفيدون من أحاديثه وأحكامـــه .

طريقـه في القضـــــاء : ـ

لقد اشتهر فضيلة الشيخ / عبد الله بن دهيش خلال عمله بالمحاكم الشرعية بدقته في احكامه وتحرى العدل فيها فلا يحكم في قضية حتى يتبين جميع جوانبها من خلال أقوال خصومها فيقوم بدراستها دراسة وافية ودقيقة ثم يبين الحكم فيها . وله طريقته الخاصة في كتابة حيثيات الحكم فلا يحكم في قضية إلا بعد ذكر الأدلة من الكتاب والسنة او من الكتب الفقهية المشهورة وعندما يحكم يبين في أحكامه الدليل فيشير إلى المصدر الذي أخذه منه .

فإذا كان من القرآن الكريم أشار إلى رقم الآية واسم السورة ، وبالنسبة للحديث يعتمد على الأحاديث الصحيحة ويعمل على تخريجها ، أما الكتب الفقهية فيذكر في الغالب اسم المؤلف واسم الكتاب والجزء والصفحة ورقم السطر أحيانا . وذلك حتى يوضح أدلته في حكمه . كما أنه كان يستشير من هم أعلم منه وخاصة سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم المفتي الأكبر للمملكة وقد نشرت بعض خطاباته لسماحته ضمن سلسلة فتاوي سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمهما الله .

وله في محكمة مكة المكرمة وغيرها من محاكم المملكة أحكام في قضايا تعتبر نموذجا شرعيا وعلميا لسير الأحكام في محاكم المملكة العربية السعودية ومن هذه القضايا حكمه في قضية القسامة وكانت في محكمة مكة

العلامة ابن دهيش

المكرمة . ولذلك فلا غرابة أن نجد الملك عبد العزيز رحمه الله يكلفه بالنظر في بعض القضايا المستعصية فيحكم فيها بما يرضي الله ورسوله ويحقق العدل بين الخصوم .

كما أن أحكام فضيلته رحمه الله استفاد منها طلاب الدراسات العليا الشرعية وكانت موضوعا لعدة رسائل «دكتوراه» في الشريعة الاسلامية ، وقد قدم هؤلاء في رسائلهم نماذج من أحكامه وادلتها وحيثياته في الحكم كدليل على مدى تطبيق الشريعة الاسلامية في القضايا المختلفة ومدى دقة القاضي في تحري الحقيقة وبيان الأدلة في أحكامه من مصادرها الأساسية وهذا يبين لنا اهتمام المملكة العربية السعودية بتطبيق الشريعة الاسلامية .

كان رحمه الله محبا للصلح فإذا حضر لديه الخصمان وخاصة في القضايا الزوجية زودهم بنصائحه وارشاداته القيمة . ثم عرض عليهما الصلح والصلح خير لا سيما إذا عرف أن الخصمين تربطهما اواصر القربى وصلة الرحم حبا في الخير واطفاء للفتنة ورغبة في إنجاز القضايا وعدم تعطيل أصحابها .

وبجانب ثقته وعدله في أحكامه فإنه أيضا كان نزيها أمينا في عمله مخلصا في أداء واجبه في الله ، ثم في اظهار الحق لومة لائم فالصغير والكبير لديه سواء في سبيل احقاق الحق . كان رحمه الله على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة والصفات - ترى في وجهه سيما الخير والصلاح يقابل كل شخص ببشاشة وتقدير ، محبا للعلم والعلماء يفتح مجلسه كل صباح يوم جمعة لاستقبال العلماء والأعيان ويتناول معهم الأحاديث .

ومما يمتاز به فضيلته أنه إذا حدث لا يمل المستمع من حديثه لعذوبته وتأثيره في القلوب ، طلق اللسان فصيح البيان ، عالم جليل في علوم كثيرة يحفظ أقوال العلماء وقصص العرب وتاريخهم .

أبنـــــاؤه : -

وقد أنجب الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش ست بنات وسبعة أبناء وهم : الشيخ عبد الملك ، وكان قد تقلب في عدة مناصب أولها أنه كان ملازماً قضائياً في محكمة مكة المكرمة وذلك بعد تخرجه من كلية الشريعة عام ١٣٨٤ هـ ثم قاضياً بالمحكمة المذكورة ، ثم نائباً لرئيس المحكمة الكبرى بمكة ، وأخيراً نائباً للرئيس العام لشئون الحرم النبوي ، وله من الأبناء عبد المحسن ، ومحمد ، وسامي ، وهشام ، ويوسف ، وفيصل وجميعهم يواصلون دراستهم في المراحل الدراسية المختلفة .

والدكتور عمر ويعمل بجامعة الملك فيصل بالاحساء وله من الأبناء عادل ، وباسل .

والدكتور عبد اللطيف ويعمل أستاذا مشاركا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة وله من الأبناء ماجد .

البقـية صفـحة ١٧٥٤

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

هذه الأعشاب وهذه النباتات

الإعجاز العلمى

فى القرآن الكريم

١٣

تقديم :

يوجه القرآن الكريم انظار النفس إلى عظيم رعاية الخالق لنا ورحمته بنا ، إذ انه زيادة على توفير البيئات الصالحة لحياتنا على الارض وما وفره فيها من سبل ازدهار الحياة ، جعل أجرام السماء تمدنا بالطاقات اللازمة لحياتنا وحياة ماشيتنا ومن ثم نجاح زراعتنا ، من الضوء والدفء وغيرها من طاقات مما ترسله الشمس والنجوم والشهب

ومايرسله القمر من ضياء وتمثل هذه الحقيقة العمق الثانى عشر من أعماق الإعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز :

١ - وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ-الاعراف « ٥٤ » .

٢ - وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . الجاثية « ١٣ » .

والمعنى : أن الله تعالى جعل ما فى السماء من أجرام وكل ما فى الأرض من زرع وضرع وخصب وماء ونار وهواء جميعا منه لنا لنفعنا وهى نعم تدل على قدرته ورحمته بنا ورعايته لنا سبحانه وتعالى :

٣ - أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً .. لقمان « ٢٠ » .

وسوف نقصر الحديث هذه المرة على الشمس أما القمر فهو على حد علمنا اليوم :

إنما يعكس ضوء الشمس إلى الأرض لينيرها أثناء الليل .

وأن أوجه القمر إنما تعيننا على حساب السنين والشهور والأيام .

وأنه ينظم حركة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس ويحتاج شرح ذلك كله إلى أحاديث طويلة .

الشمس :

الشمس أروع آيات الخالق فى السماء وأعظمها نفعاً لأهل الأرض ، فقد سخرها الله

أ.د. محمد جمال الدين الفندى

تعالى لتكون مصدر كثير من الطاقات على الأرض منذ القدم إلى يوم الدين فهى التى كونت الفحم الحجري ، وإلى قدر كبير من الصحة هى التى رسبت البترول .

ولقد لفتت الشمس أنظار الناس واستحوذت على أفكارهم منذ القدم ، حتى إن منهم من عبدها ، ومنهم من تقرب بها إلى الله تعالى ، حتى جاء الاسلام فاستنكر كل ذلك ونهى عنه :

« لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ » فصلت « ٣٧ »

ويظن البعض خطأ أن الشمس ثابتة والأرض تدور من حولها ، ولكن الواقع إن الشمس تنطلق ومعها سائر أفراد المجموعة الشمسية مسرعة داخل الطريق اللبنى» أو مجرتنا » ، كما انها تسبح من حول مركز المجرة :

« وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » يس « ٣٨ »

وأول آيات الشمس أنها مصدر ضوء النهار ودفئه ويقتصر ضوء النهار على الطبقة السطحية من غلاف الأرض الجوى الممتدة إلى علو « ٢٠٠ » كيلو متر فقط ، وذلك بسبب تناثر أشعة الشمس بوفرة وغزارة فى تلك الطبقة ، بحيث يصل ضوء النهار إليها من كل الاتجاهات بسبب ذلك التناثر أو التشتت . وهكذا يمكن أن تضىء اية نافذة يفتحها أثناء النهار إذ يمكن أن يدخل منها الضوء ولو لم تواجه تلك النافذة الشمس . وتمثل هذه الحقيقة نعمة من نعم الله علينا :

« وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ » . فصلت « ٣٧ » ـ

ولما كان الفضاء الكونى كله مظلما ، وكذلك باقى الغلاف الجوى الممتد إلى علو ألف كيلو متر فوق سطح الأرض ، فإن تلك القشرة المضيئة هى بمثابة طبقة رقيقة تواجه الشمس دائما ، وتنسلخ بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس تماما كما تسلخ جلد البعير وذلك مصداق لقوله تعالى :

« وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ » يس « ٣٧ »

ويميل محور ـ دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس بمقدار ٢/١٢٣ درجة على مستوى فلك الأرض وهو المستوى الذي تسبح فيه من حول الشمس ، وبذلك تختلف مواعيد شروق الشمس ، وغروبها ، وايضا تختلف أمكنة الشروق والغروب باختلاف الزمان والمكان على سطح الأرض :

« فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ » المعارج « ٤٠ »

وبطبيعة الحال يبقى جزء من سطح الأرض ، يعرف باسم الدائرة القطبية يمتد من « ٩٠ ـ ٢/١٢٣ درجة أى ٢/١٦٦

درجة » إلى كل من القطبين تظل فيه الشمس طالعة ستة أشهر وهى تدور فوق الأفق من غير ستر أو غروب . ولعل الدائرة القطبية هذه هى المقصودة من قوله تعالى :

حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً » الكهف « ٩٠ » والمعنى انه وجد الشمس تطلع على قوم من غير أن تغرب عنهم كالعادة أو من غير أن يحجبها حجاب .

وحقيقة امر الشمس انها نجم متوسط القدر ، حجمها نحو مليون مرة قدر حجم الأرض وترتفع درجة حرارتها ـ ملايين الدرجات ـ قرب المركز إلى نحو ٦٠٠٠ درجة مطلقة عند سطحها المشع للحرارة والضوء

وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً ـ النبأ « ١٣ » ـ .

وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ـ نوح « ١٦ » ـ

وتدل كلمة « سراجاً » على حالة التوقد بوهج يرسل الحرارة والضوء إلى الفضاء .

وأصل مادة الكون من الغاز الكونى أو الأيدروجين الذى يتحول تحت تأثير الحرارات والضغوط العالية بالالتحام النووى إلى غاز الهيليوم ، كما تنشأ العناصر ، مما يجعل الشمس أشبه شىء بقنبلة ايدروجينية تحول قبضة جاذبيتها العالية دون انفجارها أو تمددها عبر خضم الفضاء الكونى إلى حيث يسبح القمر وتسبح الأرض .

ويقدر عمر الشمس الآن بنحو ١٠ بليون سنة . أما عمرها الكلى المقدر لها فهو ٥٠ بليون سنة عندها ينفد وقودها من الآيدروجين .

.... كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ..... ـ القصص « ٨٨ » ـ

ومعنى ذلك أن الشمس لا تزال فى مستهل حياتها ، الا أنها ـ كما يقدر العلماء ـ قد تنفجر أو تمتد فجأة لغير سبب معروف لنا ، وعند ذلك تملأ الفضاء الذى من حولها . وقد شوهد مثل ذلك يحدث لنجم الفجر منذ نحو « ٣٠٠ » سنة .

ومرة أخرى ، من أروع صور الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم استخدامه كلمة « نسلخ » فى قوله تعالى :

وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ـ يس « ٣٧ » .

وذلك كما قدمنا لأن ضوء النهار ينتشر عبر قشرة رقيقة نسبيا من غلاف الأرض الجوى ترتفع إلى علو ٢٠٠ كليو متر فقط فوق سطحها لتكون القبة الزرقاء التى لا تعدو كونها مجرد ظاهرة ضوئية ناجمة عن وفرة تناثر وتشتت الأنشطة الزرقاء المقبلة من الشمس بواسطة جزئيات الهواء .

الطاقة الشمسية :

ترسل الشمس فى الدقيقة الواحدة طاقة قدرها « ٢ سعر» على السنتيمتر المربع الواحد المتعامد على الأشعة خارج نطاق جو الأرض . وتصف هذه الطاقة أو أقل بقليل « طاقة ضوئية » ، ونحو « ٩ فى المائة » أشعة فوق بنفسجية ، والباقى « حرارة » وتمتص طبقات

الجو العليا أغلب الطاقة فوق البنفسجية حيث تتحول إلى حرارة تحفظ التوازن الحرارى فى تلك الطبقات ضد زمهرير الفضاء الكونى الذى تنخفض درجة الحرارة فيه إلى ٢٧٠ درجة تحت نقطة الجليد . ويصل جزء صغير من الأشعة فوق البنفسجية إلى سواحل البحار وأعالى الجبال ويفيد فى حمامات الشمس ضد أمراض البرد والكساح ولا يقتصر رزق الخالق النازل لعباده من السماء على ماء المطر ولكن يشمل أيضاً مثل هذه الطاقات التى تحيى الأرض بعد موتها باذن الله تعالى :

١ ـ ... وَمَآ أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ... ـ الجاثية « ٥ » ـ

٢ ـ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً ... ـ غافر « ١٣ » ـ

وظلت الطاقة الشمسية قبل عصر العلم عملة صعبة لا سبيل إلى صرفها الا عن طريق مملكة النبات ، تلك التى تدخر ضوء الشمس بواسطة « الخضر » أو « اليخضور » أو الكلوروفيل على هيئة مواد عضوية مثل الخشب والسكر .. ومثل الزيوت النباتية المختلفة . ومن أروع آيات الاعجاز العلمى للقرآن الكريم فى هذا المجال قول الله عز وجل :

وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِباً ـ الانعام « ٩٩ » ـ

فبواسطة الخضر ، وفى ضوء الشمس ، يحول النبات طاقة الشمس هذه عن طريق تفاعلات « كهرضوئية » إلى مواد عضوية ، إذ أن « ثانى أكسيد الكربون » الذى فى الجو يأخذه النبات أثناء النهار ليتحد مع « أيدروجين » الماء الذى يمتصه النبات من التربة بعد أن يحلل هذا الماء إلى عنصرية « الايدروجين والاكسوجين » . ويخرج « الاوكسجين » إلى الجو خالصا نقيا لمنفعة مملكة الحيوانى وعلى هذا النحو تتم عمليات « التمثيل الكلوروفيلى » ويتكون الخشب ، والنشا ، والسكر ، والزيوت ، والعطور ..

الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ـ يس « ٨٠ » ـ

وليست الشمس صادقة التكوير ، ولكنها على هيئة سحابة غير منتظمة ، والذى نراه منها مكوراً هو كرة الضياء ، والعجيب أن القرآن الكريم يسبق ركب العلم اذ يشير إلى هذه الحقيقة التى تثبت برصد الشمس بالأجهزة والآلات المتقدمة ، خصوصاً فى حالات الكسوف ، اذ يقول فى إعجاز علمى أخاذ :

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ـ التكوير « ٧ » ـ

ويفسر أغلب المفسرين هذه الآية الكريمة جوازاً بقولهم انها تعنى : « اذ الشمس لفت ومحى ضوؤها » ، وهو تفسير سليم فى نطاق انه إنما يقرر حقيقة أمر الشمس بعد تكويرها .

ومن وجهة نظر العلم السليم سوف تبقى الشمس على حالها غير مكورة ما بقى النظام الشمسى ، وبذلك تظل الحياة على الأرض يانعة مزدهرة حتى تأخذ كل أرجاء الأرض زخرفها ، وتبلغ الزينة أوجها ، ويخيل لأهلها أنهم قادرون على كل ما فيها فى ظل ما منحهم الله من علم وما وفر لهم من رزق فى الأرض

وفى السماء من غير مقابل سوى عبادته سبحانه وتعالى ، وتكون النهاية اذا ما عم الكفر وساد الفساد ـ على ما فى قوله تعالى :

حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَاراً ـ يونس « ٢٤ » ـ

ومن الوان الاعجاز العلمى فى هذه الآية الكريمة قوله تعالى « .. أتاها امرنا ليلاً أو نهاراً » ، فكلمة « أو » هنا بمعنى « و » ، إذ أن المعروف أنه نظرا لأن الأرض كرة يكون نصفها فى الليل والنصف الآخر فى النهار بصفة مستديمة ، وهى حقيقة لم تكن مألوفة أنئذ . وهكذا تقوم الساعة والدنيا نهارا بالنسبة لنصف الأرض وليل بالنسبة للنصف الآخر .

ولما كانت الشمس أشبه شىء بالقنبلة الأيدروجينية كما قدمنا ، فانه لا يجوز لها ولا يحق لها أن تنفجر أو تتمدد فجأة طالما كان النظام الشمسى باقياً . ويعبر الخالق القدير عن هذه الحقيقة إذ يقول :

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ـ يس « ٤٠ » ـ

ومعنى « لا ينبغى » هو « لا يحق » وليس المعنى هو عدم الامكان ، لانه عندما يشاء الخالق القدير إنهاء أمر المجموعة الشمسية ، ومن ثم إفناء الحياة على الأرض ، سوف يوحى إلى الشمس لكى تنفجر وتتمدد لتملأ السماء بغازاتها الملتهبة وبلهيبها المستعر :

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ .. ـ الدخان « ١٠ » ـ

وكلمة « دخان » هى اللفظ العربى الصحيح الذى يعنى الغازات والاتربة . اما كلمة غاز فان أصلها افرنجى دخيل هو « جاز Gas » .

ويلاحظ أنه مهما بلغ الإنسان من مقدرة فى صناعة الصواريخ وسفن الفضاء لن يستطيع الفرار انئذ عندما تملأ الشمس الفضاء الكونى المحيط بنا وتصل إلى حيث القمر والقمر غير بعيد عن الأرض اذ تبلغ المسافة بينهما زهاء « ٣٣٠ » الف كيلو متر فقط .

هذه المعانى كلها تجدها فى سورة القيامة ، اذ يقول العلى القدير :

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ . وَخَسَفَ الْقَمَرُ . وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ . يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ـ القيامة « ٧ ـ ١٠ » ـ

ولا يكون جمع الشمس والقمر بخروج أحدهما عن مساره إلى مسار الآخر مثلاً كما يتبادر إلى الأذهان ، ولكن بتمدد الشمس أو انفجارها فجأة كما قلنا .

ثم تعود الشمس بعد ذلك لتنكمش بالتبريد وتتحول إلى قزم أبيض مكتمل التكوير :

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ـ التكوير « ٧ » ـ

وهذا فى نهاية أمر الشمس « أو مستقرها » كما يصورها لنا علم الفلك :

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ... ـ يس « ٣٨ » ـ

والله تعالى أعلم .

يتبع

جمال الفندى

هذه الأعشاب وهذه النباتات

بقلم الدكتور: السيد الجميلى

أمام الوان شتى من الضرر نتيجة وقوع بعض الافراد على شيء من كتب التراث الطبي العربي في النباتات واستخدامه ما ورد بها دون علم بخصائص المادة .. ودون علم بأي أجزاء النباتات تكمن الفائدة ـ بمشيئة الله ـ واستشراف بعضهم إلى علاج الناس بها ، ووصفها للمرضى ، وما يترتب على ذلك من ضرر خطير ، هذا مع تقادم العهد بالأسماء الواردة بها ، من اجل ذلك كله نطرح هذه الدراسة عِلماً وَمَحْذِرة ..

معجم الأدوية المفردة :

الاتـــرج :

في ورقه وقشره حدة ، وحرافة وعطرية ، وهو نوعان أو صنفان أحدهما تفه والآخر حامض قاطع وهو يقوي المعدة ، ويطيب النكهة ، ويسهل الهضم ، وينفع من كثير من السمسوم .

« أنظر المعتمد ص٣ ط الحلبي بتصرف »

وقد ثبت في صحيح البخاري « ٨/٥٩ » وصحيح مسلم « ٧٩٧ » عن النبي ﷺ انه قال : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ، طعمها طيب ، وريحها طيب ».

ويتكون الأترج من قشرة ، ولحم ، وحمض وبذر ولكل منها مزاج خاص به .

وقشره يمنع السوس . ورائحته تصلح فساد الهواء ، وهو معين على الهضم ، ولحمه يلطف حرارة المعدة ، وقيل ، إن أكل لحمه يقلل من احتقان البواسير . كما أن عصارة حمضه تذهب بالقوباء . « زاد المعاد ٤/٢٨٤ » بتصرف ولابرح أن الأترج على مافيه من الميزات والمنافع يشبه المؤمن لأن المؤمن كله منفعة إن جالسته أو جاورته أو عاشرته وجدت فيه نفعاً كثيراً .

الإذخِـــر :

وهو نبات يكثر بمكة ، ولايرى إلا في الحجاز ، فلا ينبت في غيرها ، وهو يحلل

الأورام ، ويسكن أوجاع الأسنان وغيرها ، كما يدفع الفضلات من بدن الانسان ، ويفتت الحصى وينقى المعدة ، وينظف الصدر ، ويجلو القلب .

وقد ثبت فى صحيح البخاري « ٤٠/٤ » ومسلم « ١٣٥٣ » أن رسول الله ﷺ قد قال فى مكة : « لايُخْتَلَى خَلَاها » فقال له العباس رضى الله عنه : إلا الأذخر يارسول الله ، فإنه لقينهم ولبيوتهم ، فقال عليه الصلاة والسلام إلا الإذخِر .

● ● ●

الانيســـــون :

واسمه حبة الحلاوة ، أو « الكمون الأبيض » وهو محلل مدر للبول والعرق واللبن ، وقابض للرحم ، ومدر للصفراء واستنشاق دخانه يسكن الصداع .

« **والمادة الفعالة فيه هى بذره** » وفيه قبض ، وتحليل للأرياح ، كذلك فيه تنشيط لإدرار اللبن والبول والحيض والعرق . راجع كشف الرموز فى بيان الأعشب ص١٧ بتصرف

● ● ●

الأراك :

وهو العود الذى يستاك به الناس ، وكان سيدنا رسول الله ﷺ لايفارقه السواك أبداً فكان « سُنَّةً مأثورة عنه » ﷺ حتى كاد نفر من الصحابة يظن أن سيفرض مع الوضوء .

وقد ثبت فى الصحيحين البخاري « ٣١٢/٢ » ومسلم « ٢٥٢ » من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال ﷺ : « لولا أن اشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » .

وذكر البخاري رضى الله عنه فى الصحيح « ١٣٧/٤ » أنه قال ﷺ : « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » وقد وصله الشافعى ايضا ، وذكره النسائى « ١٠/١ » والدارمي فى سننه « ١٧٤/١ » وصححه ابن حبان « ١٤٣ » وقد قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله :

وأصلح ما اتخذ السواك من خشب الأراك ونحوه ولاينبغى أن يؤخذ من شجرة مجهولة ، فربما كانت سُمّا ، وينبغى القصد فى استعماله » أهـ

راجع زاد المعاد « ٣٢٣/٤ »

وهذا الذي قاله ابن القيم « رحمه الله » هو ماسبق أن نَوَّهْنَا عنه ، وأومأنا إليه فى مقالنا السابق ، فقد سلف أن حذَّرنا من خطورة التداوى بالنباتات والأعشاب المجهولة فربما يكون فيها من السموم القاتلة ما يهدد حياة المريض فيصير كالمستجير من الرمضاء بالنار ، أو مثله كمثل الذي استغاث من جوع بما أماته .. وإن كثيراً من الناس عاجلتهم المنية نتيجة التسمم بهذه الأعشاب السامة ولم يدر عنهم أحد شيئا ،

● ● ●

البلـــــح :

ويحتوي الطازج منه على نخبة ممتازة من الفيتامينات سيما فيتامين أ ١٦٥ وحدة ، والثيامين ٧٢ وحدة ومن الريبوفلافين ٤٥

وحدة ، ومن مادة النياسين ٢,١٨ مجم .

والبلح المجفف « التمر » يعطى الكيلو جرام منه طاقة حرارية قدرها (٣٤٨٠) سُعْراً ، وهى طاقة عظيمة تعطى الانسان نشاطاً على مدي الأربعة وعشرين ساعة متصلة . وقد عرف المصريون القدماء البلح ، فقد وجد فى مومياء وأديرة اقباط مصر القديمة راجع الغذاء على ضوء العلم الحديث للأستاذ طاهر حسن درة ص ٢٣٥ بتصرف .

●●●

البصـــــــل :

عرف منذ عهود بعيدة ، وجاء ذكره فى الكتب المقدسة ، وحفلت قبور الفراعنة بذكره ، وهذا تنويه به ، وعرفان بأهميته ، وحيوية دوره فى جسم الانسان .

ويحتوى البصل على زيت كبريتى طيار ، ومقادير كبيرة من حامض الفوسفوريك .

والبصل يقلل من السمنة ، وهو ينبه الجهاز التنفسى ، مانعٌ للقيء وأوراقه الجافة تطري الجلد ، وتقاوم التهابات الجلد السطحية وذكر رجال السنن أنه ﷺ قد أمر أكل البصل وأكل الثوم أن يميتهما طبخا .

وإنما كان ذلك حتى لايدخل أكلها المسجد تفوح منه رائحة كريهة والمسجد مرتاد الملائكة وليس محرما فعندما كره أبو أيوب الانصاري أن يأكل من طعام فيه خضرة من بصل أو كرات قال له رسول الله ﷺ : « كُلْ فإنى أناجى مَنْ لاتناجى » [١] اى يناجي الملائكة ﷺ ولذلك ترتفع الكراهة إذا دخلت هذه البقول النار فقضت على رائحتها ، وربما أكل النبى ﷺ البصل مطبوخا اى بعد أن دخل النار فزالت رائحته الكريهة .[٢]

●●●

الباذنجـــــان :

يحتوى الباذنجان على ١,١٪ بروتين ، ٢,٠٪ دهون ، ٥,٥٪ كربو أيدرات ويحتوى أيضاً على نسبة عالية من مركبات الحديد .

والباذنجان الأســود أغنى فى قيمته الغذائية من الباذنجان الأبيض حيث تزيد فى الأول النسبة المئوية للدهون والأملاح المعدنية وقد لوحظ أن فى الباذنجان فيتامينات كثيرة تتركز فى قشرته السطحية ، لذلك يؤثر البعض طبخه بقشره .

وامتدحه ابن سينا فى كتابه القيم « القانون فى الطب » حيث قال : « إنه غذاء واق ، يطيب رائحة العرق ، ويشد المعدة ، ويدر البول » اهـ بتصرف .

لكن الباذنجان يحتوى على نسبة عالية من حامض الأوكساليك الذى يتسبب عن تراكمه فى المسالك البولية الحصوات الكثيرة ، ثم ينصح الأطباء مرضى الكلى بالابتعاد عنه .

وإلى اللقاء فى مقالنا القادم
بإذن الله

د . السيد الجميل

---

(١) راجع فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢/٢٨٢ ـ ٤٩٧/٩ الأميرية .

(٢) انظر سنن أبي داود الحديث ٣٨٢٩ ، ومسند احمد ٨٩/٦ .

طرائف

موعظة لأمير المؤمنين

على بن أبى طالب

رضى الله عنه

■ قال عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنه ـ كتب إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ـ بموعظة ما سررت بموعظة سرورى بها : أما بعد : فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ، فما نالك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تتبعه أسفا ، فليكن سرورك بما قدمت ، وأسفك على ما خلّفت ، وهمك فيما بعد الموت .

بل الكفاف وصحة الأبدان

■ حكى أن رجلاً خطر بباله وهو في الطواف طلب الدنيا فلما قام سمع هاتفا يقول :

اقسمت بالبيت العتيق وركنه
والطائفين ومنزل الفرقان
ما العيش في المال الكثير وجمعه
بل في الكفاف وصحة الأبدان

أنت أحوج منى

■ قال الأصمعى : وقفت على سائل بالمربد ، وهو يقول : قد رهنت القصاع من شهوة الخبز

فقلت : هذا شعر !!

فقال : أتمه

فقلت : فمن لى بمن يفك القصاعا .

فقال : اضمم إليه بيتا .

فقلت :

مارهنت القصاع ياقوم حتى
خفت والله أن أموت ضياعاً

فقال : أنت أحوج منى إلى المسألة !

مواقف

عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

موعظة لخليفة

■ لما استخلف عمر بن عبد العزيز ارسل إلى سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب

فقال : أشيرا علي !!

فقال له سالم : اجعل الناس ابا ، واخا ، وابنا .

فبرّ أباك ، واحفظ اخاك وارحم ابنك .

أتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا

■ قال بعض عمال الدولة لأعرابى :

ما أحسبك تدرى كم تصلى فى كل يوم وليلة ؟

فقال : أرأيت إن انبأتك بذلك تجعل لى عليك مسألة ؟

قال : نعم .

قال الأعرابى :

إن الصلاة اربع واربع
ثم ثلاث بعدهن اربع
ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال : صدقت ، فسل

قال : كم فقار ظهرك ؟

قال : لا أدرى

قال : افتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك ؟

إن وجد فراشا

■ اشترى اعرابي غلاماً رقيقاً ، وسال البائع ؟ هل من عيب به ؟

فقال له : لا إلا انه يبول فى الفراش .

فقال : ليس بعيب ، إن وجد فراشا بال فيه .

مركب النقص

■ وقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية - رضى الله عنه - فاذن للأحنف ، ثم لمحمد بن الأشعث .

فاسرع بن الأشعث فى مشيته حتى دخل قبل الأحنف .

فلما رآه معاوية قال له :
والله ما اذنت له قبلك وانا اريد ان تدخل قبله !!

إنَّا كما نلى أمركم نلى أدبكم ، ما تَزيد متزيد فى أمره إلا لنقص يجده فى نفسه .

اغراء السلطان وصولة السلاطين

■ قدم سليمان بن عبد الملك المدينة ، وأم مسجدها ، فرأى فى زاوية من المسجد رجلا يصلى ، فبهره سمته .

فسأل عنه ، فقيل له : إنه صفوان بن سليم .

فأمر تابعه أن يذهب إليه بكيس فيه خمسمائة دينار .

ووقف التابع بعطاء الخليفة أمام صفوان ، وقال له :
إن أمير المؤمنين يرسل إليك هذه .

فعجب صفوان ، وقال له : لقد أخطأت ياولدى ، لست أنا الذى أرسلك إليه .

قال التابع : أو لست صفوان بن سليم ؟ لقد أشار بيده نحوك وسماك باسمك !!

قال : صفوان إذن فاذهب واستوثق منه مرة أخرى .

وعاد التابع صوب الخليفة الجالس هناك فى ركن قصى من المسجد وعندئذ تسلل صفوان من المسجد ، واختفى من المدينة كلها ولم يظهر إلا بعد أن غادرها الخليفة سليمان .

● وهذا جعفر الصادق يقول : « الفقهاء أمناء الرسل ، فإذا رأيتموهم يقرعون أبواب السلاطين فاتهموهم » .

● وهذا ميمون بن مهران يقول : « لا نعرف الأمير ولا نعرف من يعرفه » .

● وهذا سعيد بن المسيب يقول :
لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا وقلوبكم منكرة ؛ حتى لا تحبط أعمالكم .

الشعر والشعراء

إعداد : د. حسن جاد

في مقبرة البساتين

التجربة الكبرى

في رحاب الثرى الحبيب

في مقبرة البساتين

نفسي فداؤك يا أرض البساتين ففيك قبر حوى أندى الرياحين[1]
يامجتلى العين في افق يغيم أسى بالدمع والشجن المشبوب يبكيني

ومطمح النفس ، دون الكون يجذبني ودون كل مغاني الارض يصبيني
ويامثابة روحي حين يوحشني ليل الأسى ودجى البلوى تغشيني

ومسرح الفكر في صحوي وفي حلمي ومفزع القلب من هم يعنيني
اصبو إليك مزاراً حين يعصف بي برح النوى ولظى الأشواق يكويني

واجتليك فيزداد الغليل لظى والقرب ينشرني حزنا ويطويني
وكيف يأسو جراحي أو يهدهدها قرب المزار لعيني أو يعزيني

••

لي في ثراك حبيب كنت أسكنه عيني وأفديه - في الدنيا - ويفديني
اجثو على قبره أسوان منتحبا أسقيه دمع الأسى لو كان يجديني

والثم الترب مشتاقا اشم به عبير أطيب عود فيه مدفون
وانثر الزهر منضوراً على جدث يضم انضر من ورد ونسرين

ياطالما كنت ارعى غصنه أملا حلوا ، وأسقيه من حبي ويسقيني
حتى طواه الردى في أوج نضرته وغاله صرف دهر غير مأمون

••

يازهرة العمر إني ها هنا ، أفلا تحس خطو أب لهفان محزون
هيهات أن يرقأ الدمع الهتون إذا يممت مثواك من حين إلى حين
بيني وبينك قرب ليس يبعدني لكنه موغل في البعد يقصيني
ادعوك من حيث يرتد النداء صدى فلا تجيب ندائي أو تلبيني
وكنت تسعى إلى لقياي محتفلا جذلان تهتف بي شوقا وتدعوني
قم - يابني - كما عودتني ،. واعد بشاشة الملتقى ، فالصمت يضنيني

د. حسن جاد

وانهـض ـ كما كنت ـ سباقا تبادرني فما عهدتك ـ قبل اليوم ـ تجفوني

إني أناجيك من وجدي فيخدعني رجع الصدى بجواب منك مظنون

واوسع القبر ضما لا غناء به تعويضا عن عِناق كان يغنيني

وَهَمَّ اعلل أشواق الفؤاد به لعله من جراح القلب يأسوني

وما وجدت كحصن الله يعصمني ولا حمى كحمى الايمان ينجيني

• •

اتلو عليك كتاب الله مرحمة وأستطب بروْحٍ منه يشفيني

فيطفر الدمع من عينيّ ممتزجا بالآى حتى لأرويها وترويني

كم كنت تسعد مشغوفا برُقيتِهِ وتستزيد رُقَىً منه وتغريني

هل تسمع اليوم ما أتلوه ياولدى وتستريح لترتيلى وتلحينى ؟

مثواك كم اتمنى لو بقيت به عمرى إلى أجل فيه يوافيني

فلست أبرحه إلا لأضرب فى تيه من العيش يضنيني ويشقيني

أعود بعدك للبيت الحزين فلا أراك بالبشر والإقبال تحبونى

فانثنى عنه يأساً لا اطيق به مُكْثا ، وقد صار مثل القبر يحويني

أهيم فى كل ميدان بلا هدف كانما وجهتى كل الميادين

تاهت خطاى على درب الحياة وقد فقدتُ مَنْ كان يهديني ويحدونى

• •

واحسرتى حين أمشى لا ترافقنى وكنتَ ظلى احميه ويحميني

إذ رآنى وحيداً مَنْ تعودنا معا راح يرثى لى فيبكيني

وإن سلكتُ طريقاً كان يجمعنا سقيته من دموعى كل مخزوني

وإن رأيت مكانا كنت تقصده وقفت ألثمه والشوق يفريني

وإن لمحتُ شبيها منك اذهلني وخلت انك حيّ ماثل دوني

أستودع الله ما أملت فيك وما فقدته من رجاء كان يحييني

يارب يامانح النعمى وسالبها رضاك يمنحنى السلوى ويرضيني

سلبتنى نعمة الدنيا وزينتها فلا يكن ذاك حظى منك فى الدين

التجربة الكبرى

للشاعرة جليلة رضا

اهبطى .. اهبطى وكونى سخية   واستقرّى فوق السفوح النديّة
اين يادمعتى العنيدة عُمْرٌ   عشت فيه مع اللقاء هنيّة
كلما .. كلما تَرقرقتِ نشوى   وعبرْتِ المسارب الخلفية
واعتزمتِ الهروب من ظلمة الـ   كهف .. سجينا هفا إلى الحرية
وترددتِ فى هبوطك حيرى   فَارْتَفَقْتِ المشارف الهُدبية
وتدحرجتِ جمرة تتلظّى   وحَصَاةً .. على فمى مِلحية
ثم ارخيتِ للفناء زماما   وتلاشيتِ ، فى يدىَّ ، ضحية
كلما زُرتِنِى ولامست خدّى   وتألّقتِ .. نجمةً .. فضية
صفّقتْ للقاء اجنحةُ الرُّو   حِ .. ونامت احزانها البشرية
واستحم الفؤاد فى نَبْعِكِ الصا   فى .. وارخى أعصابه الدموية
وتعرى من الهموم وليدا   وتجلّى قطيفة مخمليّة
وتغنّى على لقائك حُرا   وتغنى .. ويالها اغنية !

فتعالى .. يادمعة فى عيونى   تتأبَّى .. عنيدة وعصيّة
إن روضى مستوحش وجديب   والمماشي مُصْفَرَّة رمْلِيّة
فاعبرى من خلال قضبانه السو   د ورفِّى كنسمة فجرّية
رطِّبى .. رطبى جفاف زهورى   واعيدى دماءها الوردية
واسكبى طلك النقىَّ عليها   وأريقى عطورك القدسية

لستِ ضَعْفاً ولستِ دمعة ذُلٍّ   بل إباء وكبرياء ... حيّة
يالكنز من الصفاء دفين   يالنبع من راحة نفسية
انت ريح تطوى الهشيم وتبقى   فى رياضى على جذوعى القوية ؟

تحية إلى المجاهدين الأفغان

للأستاذ رشاد محمد يوسف

تقدموا ياجنود الله وانطلقوا ... وواصلوا زحفكم فالنصر ياتلق
تقدموا ياحماة الحق فى زمن ... يسوسه اليوم من عاثوا ومن فسقوا
لا ترهبوا كثرة الشيطان واتحدوا ... وبددوا كل ما قالوا وما اختلقوا
شدوا عليهم فخيل الله تصحبكم ... والله ينصر من فى زحفهم صدقوا
شدوا عليهم فما للأمر قائمة ... إلا بأرض بها الاسلام يُعتنق
« الروس » إن دنسوا أرضه فموئلها ... إلى الدمار فكم خانوا وكم سرقوا
« الروس » ما اضمروا للمسلمين هوى ... فكم اساءوا وكم عاثوا وكم خرقوا
كم اهدروا قيمة الإنسان واتضحت ... عقيدة روجوها مثلما اعتنقوا
من خالق الكون غير الله ؟ عندهم ... وهل يجيب لسان ملحد زلق ؟

•••

يامسلمون : بأرض الله مالكمو؟ ... أمسلمون وأرض الله تحترق ؟
يامسلمون : وفى الافغان كارثة ... بالمسلمين وبالاسلام تنطلق
اخوانكم فى شعاب الأرض فى محن ... سدت أمامهمُ الوديان والطرق
هيا انفروا فى سبيل الله واعتصموا ... واستيقظوا من سبات طال وانطلقوا

•••

إن تسقط اليوم افغان فقد سقطت ... كل السدود وخطو الشر ينزلق
اجدادكم اركبوا التاريخ خيلهمُ ... وجاهدوا ورؤى التاريخ تستبق
تقدموا ياجنود الله وانطلقوا ... يامؤمنون بعهد الله قد صدقوا

في رحاب الثرى الحبيب

حملت بكفي ترابَ الجنوبْ لأمزجه برمال القناهْ
واسبح بين ثنايا العبير وألثم صفحته بالشفاهْ
وينطلق الدمع فوق الرمال يمرغ قطراته في حصاهْ
ينادي الدماء بغور الجراح لتستقبل النور.. نور الحياهْ

اضاء الفضاء نواحيا رباهْ
نثار من النور يزهو سناهْ

وولت فلول الظلام المقيتْ كهاربة من فحيح الذنوبْ
تلملم اسمالها البالياتْ وتزحف بين ثنايا الدروب
فلولًا امام هدير الضياء تناهى إلى ما وراء الغروبُ
ويخضر فوق الربى والوهاد سلامٌ يداوي جراح الحروبْ

سلام عزيز قطفنا جناهْ
وايده ورعاه الإلهْ

للأستاذ شوقي محمود أبو ناجي

وأنصتُ أصغى لصوت الحنين | إذا دق قلبى يناجى ويهمس:
تقدمْ بخطوك نحو الضياء | له هالةٌ حول واد مقدس
وَقَبِّل بعينيك أرضا أصاخت | لصوت من الله يهدى ويؤنسْ
أنا الله والكون يجرى بأمرى | ولا ربَّ غيرى علا أو تقدسْ

وساد الوجود خشوع الصلاةْ
وتمتم بالحمد همس الشفاهْ

وأزهر للنور فوق البطاحْ | ربيع من الأمل المورقِ
سقاه جبين عتى الصمود | على سمته عزة المشرقِ
تسنم فوق ذرا الكبرياء | وراء خطى المجد إذ يرتقى
فهبت رفاة ضحايا الحروب | تطل على كوننا الضيق

بفرحة من نال خير الحياةْ
وافضى إلى الله يرجو رضاه

يتيم

للدكتور عزت شندى موسى

أرايت ذاك الطفل يبـ   كى دون من ينهى دموعه؟
متململا يطوى على الـ   آلام والشكوى .. ضلوعه

متضرعا يرمى الفضا   ء بنظرة تُغنى خضوعه
أرايته بين الصِّغا   ر محاذرًا .. يبدى خشوعه
فإذا صحا سئم الحيا   ة وإن أوى .. قاسى هجوعه
لم يلق من يروى صدا   ه، ولا الذى يكفيه جوعه

هو ذا اليتيم إليك ير   نو، وهو فى حرمان يُتْمِه
ويعيش دون أبيه لا   يلقى سوى أطياف همِّه
ويمد للدنيا يد   يه فلا يلاقى غير غمِّه
هو ذا السقيم فمن تُرى   يشفيه من بحران سقمه
هو ذا الغريق فمن تُرى   يُنجيه يوما من خِضمِّه

..

ياليت شعرى كم يبيـ   ت الليل يفترش الهموما
يالهف نفسى كم توا   رى يائسا مُضْنى كظيما
لا يستسيغ طعامه   والماء يجرعه حميما
وترى سواه مدللا   بأبيه .. معتدًا سليما

..

يذكى أساه نداء طفـ   ل: يا أباه ليستجيبا
والدمع يحرق خده   والحزن يشعله لهيبا
واليُتْم ياكل قلبه   والداء لا يلقى طبيبا
ويظل يستجدى قلو   ب الناس .. لا يلقى قلوبا
ويبيت يجار بالندا   ء .. فلا يرى أحدا مجيبا
يرنو لأوبة راحل   يالهف نفسى .. لن يؤوبا

اللغة والأدب والنقد

شروط الإصالة

الشعر والنقد وروح الاستقراء

مع رسالة جامعية

شروط الإمالة

التى يكفها المانع

وشروط الإمالة التى يكفها حرف الاستعلاء[1] والراء غير المكسورة..
١ ـ أن لايكون سببها كسرة مقدرة كخاف فإن الفه منقلبة عن واو مكسورة .
٢ ـ ولا ياء مقدرة كطاب فإن الفه منقلبة عن ياء .
فسبب إمال الف خاف الكسرة المقدرة فى الواو المنقلب عنها الألف .

وسبب إمالة الف « طاب » الياء المقدرة المنقلبة الفا فإن السبب المقدر هنا : لكونه موجوداً فى نفس الألف المنقلبة عن الواو المكسورة أو عن الياء ـ أقوى من السبب الظاهر فى اللفظ وهو الكسرة والياء الملفوظ بهما ، لأنه إما متقدم على الألف نحو كتاب وبيان أو متأخر عنها نحو غانم ـ والكائن فى نفس الألف أقوى من المتقدم عليها والمتأخر عنها .

فمن اجل هذا أميل نحو خاف وطاب مع تقدم حرف الاستعلاء وحاق وزاغ مع تأخره ؛ لأن السبب مقدر فى نفس الألف .

وذهب بعضهم إلى أن حروف الاستعلاء لا تمنع الإمالة التى سببها الياء الظاهرة نحو طغيان وصياد وإنما تمنع إمالة ما سببه الكسرة الظاهرة فقط .

والمتتبع لكتاب سيبويه يرى أنه لم يمثل لحروف الاستعلاء المانعة من الإمالة إلا مع الكسرة الظاهرة فقط ولم يمثل لها مع الياء الظاهرة أبداً : بل كثيراً ما كان يمثل لإمالة ما سببه الياء الظاهرة بكلمات فيها حروف استعلاء فكلمة الضياح ذكر أنها ممالة لسبب الياء .. مع أن قبل الياء ضاداً مفتوحة وهى من حروف الاستعلاء فاتجاه سيبويه يؤيد القائلين « كأبى حيان وغيره » بأنهم لم يروا حرف الاستعلاء مانعاً إلا إمالة ما سببه الكسرة الظاهرة فقط فلنأخذ بهذا الرأى إذ لم يرد سماع يرده ـ وإليك ما قاله سيبويه « جـ٢ص٢٦٥ »

« ١ » أى اثرت حروف الاستعلاء هنا فى منع الإمالة كما لو كانت متصلة فى نحو المناشيط وغيره .

للأستاذ الدكتور

عبد العظيم الشناوى

فأما ناب ومال وباع « الثلاثة أفعال » فإنه من يميل يلزمها الإمالة على كل حال « أى لم تؤثر فيها حروف الاستعلاء »؛ لأنه إنما ينحو نحو الياء التى الألف فى موضعها . وكذلك خاف لأنه يروم الكسرة التى فى خفت كما نحا نحو الياء ، وكذلك ألف حبلى ، لأنها فى بنات الياء وقد بين ذلك ـ عند ذكر أسباب الإمالة ـ الا تراهم يقولون : طاب وخاف ومعطى وسقى فلا تمنعهم هذه الحروف من الإمالة ـ وكذلك باب غزا ، لأن الألف ههنا كأنها مبدلة من ياء ، الا ترى أنهم يقولون : صغا وضغا[٢] بالإمالة .

الـــــراء

ذكرنا قبل أن الراء تكون مانعة من الإمالة وإليك التفصيل : يشترط لمنعها الإمالة .

١ ـ أن تكون غير مكسورة .

٢ ـ أن تكون متصلة بالألف قبلها « ولا تكون إلا مفتوحة لمناسبة الألف » نحو راشد وفراش فالراء منعت السبب المتقدم فى فراش والمتأخر فى راشد ـ أو بعد الألف نحو هذا حمار ورأيت حماراً وبعضهم [٣] يميل ولا يلتفت إلى الراء .

وبعضهم [٤] يجعل المتأخرة المفصولة بحرف نحو هذا كافر كالمتصلة فى منع الإمالة ـ وإليك ما قاله سيبويه مع التعليل « جـ٢ص٢٦٧ » :

قال « هذا باب الراء » والراء إذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة والوقف يزيدها إيضاحا فلما كانت الراء كذلك قالوا : هذا راشد وهذا فراش فلم يميلوا : لأنهم كأنهم قد تكلموا براءين مفتوحتين فلما كانت كذلك قويت على نصب الألفات وصارت بمنزلة القاف ، حيث كانت « الراء » بمنزلة حرفين مفتوحين فلما كان الفتح كأنه مضاعف ، وإنما هو من الألف كان العمل من وجه واحد اخف عليهم[٥] .

وإذا كانت الراء بعد الف تمال لو كان بعدها غير الراء [٦]لم تمل فى الرفع والنصب ، وذلك قولك : هذا حمار ، كأنك قلت فعالل وكذلك فى النصب كأنك قلت : فعاللا فغلبت « الراء » هنا فنصبت « منعت الإمالة » كما

« ٢ » ضغا : استخذى ، والمقامر خان والسنور ونحوه ضغوا وضغاء : صاح وأضغاه حملة على الضغاء.

« ٣ » التصريح .

« ٤ » أى وبعضهم لا يجعلها كالمتصلة فيميل وسترى أن سيبويه ذكر الفريقين .

« ٥ » وذلك لا يكون إلا بالمحافظة على الألف وعدم إمالتها .

« ٦ » أى وحرف الاستعلاء .

فعلت ذلك قبل الألف .. واعلم أن قوما من العرب يقولون : الكلفرون ، ورأيت الكافرين والكافر ، وهى المنابر ـ بالإمالة فى الجميع ـ لما بعدت الراء وصار بينها وبين الألف حرف لم تقو قوة المستعلية ، لأنها من موضع اللام وقريبة من الياء ألا تري أن الألثغ يجعلها ياء فلما كانت كذلك عملت الكسرة عملها إذ [٧] لم يكن بعدها راء ـ وأما قوم آخرون فنصبوا الألف فى الرفع والنصب وجعلوها بمنزلتها إذ [٨] لم يحل بينها وبين الألف كسر ، وجعلوا [٩] ذلك لايمنع النصب كما لم يمنع فى القاف وأخواتها ..

وتقول : هذه دنانير فتميل كما قلت : هذا كافر ـ بالإمالة ـ فهذا أجدر ـ بالإمالة من هذا كافر ـ لأن الراء أبعد ، وقد قال بعضهم مناشيط ـ مع وجود حرف الاستعلاء ـ فهذا أجدر بالإمالة ، لأن حرف الاستعلاء أقوى فى منع الإمالة من الراء اهـ بتصرف .

وخلاصة ما ذكره سيبويه أن الراء تمنع الإمالة إذا كانت قبل الألف متصلة بها ولا تكون إلا مفتوحة .

أو تكون بعد الألف غير مكسورة بشرط اتصالاتها بالألف .

وإن فصلت بحرف فبعضهم جعلها مانعة وبعضهم لم يجعلها وإن فصلت بحرفين نحو هذه دنانيرك فلا تمنع الإمالة ـ وما ذكره سيبويه هو الذي عليه النحويون .

فلا يغرنك قول من ذهب إلى التسوية بين الراء وحروف الاستعلاء فى المنع ؛ فلكل شروط خاصة ـ كما بينا سابقاً .

الراء المكسورة
« مانع المانع »

اعلم أن الراء إذا وقعت مكسورة بعد الألف وكانت متصلة بها جازت الإمالة وإن كان مع الراء ما من شأنه أن يمنع الإمالة كأن يكون قبل الألف حرف استعلا أو راء ، ولهذا سميت الراء المكسورة « مانع المانع » فإنها تمنع الحرف المستعلي وتمنع الراء غير المكسورة أن يمنعا الإمالة ؛ لأن الراء من شأنها التكرار فكان الحرف منها في تقدير حرفين وكأن الكسرة فيها في تقدير كسرتين فتكون إحدى الكسرتين في مقابلة المانع والأخرى سبب الإمالة ، ولهذا أميل ، « وعلى أبصارهم » و « إذ هما في الغار » مع وجود الصاد في الأول والغين في الثاني وأميل « إن كتاب الأبرار » مع وجود الراء المفتوحة قبل الألف ، وأميل « دار القرار » مع وجود القاف المستعلية والراء المفتوحة .

وبعض العرب يجعل الراء المكسورة المنفصلة من الألف بحرف كالمتصلة فى كونها تمنع المانع ـ وإليك ما قاله إمام النحوين .

« ٧ » أى حين

« ٨ » أى جعلوا الراء المفصولة بحرف كالراء حين اتصالها بالألف فى منع الإمالة .

« ٩ » أى جعلوا الفصل بحرف لا يمنع النصب « عدم الإمالة » كما أن حروف الاستعلاء لم تمنع النصب عند الفصل فتقول : قوائم بدون إمالة مع الفصل بحرف .

قال سيبويه « جـ٢ص ٢٦٧ » :

وأما في الجر فتميل الراء الألف ، كان أول الحرف « الكلمة » مكسورا أو مفتوحا أو مضموما : لأنها كأنها حرفان مكسوران فتميل ههنا كما غلبت حيث كانت مفتوحة فنصبت الألف .

وذلك قولك : من حمارك [١٠] ومن عواره ، ومن المعاور ، ومن الدوار ؛ كأنك قلت فُعالل وفَعالل وفِعالل « بضم الفاء في الأول وفتحها في الثاني وكسرها في الثالث »

ومما تغلب فيه الراء قولك : قارب [١١] وغارم وهذا طارد وكذلك جميع المستعلية إذا كانت الراء مكسورة بعد الألف التى تليها ، وذلك لأن الراء لما كانت تقوي على كسر الألف [١٢] في فعال في الجر لما ذكرنا من التضعيف قويت على هذه الألفات إذ كنت إنما تضع لسانك في موضع استعلاء ثم تنحدر وصارت المستعلية هنا بمنزلتها في قفاف [١٣]اهـ .

ويرى سيبويه أن الراء المكسورة إنما تغلب حرف الاستعلاء المتقدم عليها ـ كما ذكر ـ ولاتغلب حرف الاستعلاء المتأخر عنها وذلك لأن الأول فيه انحدار بعد استعلاء وهو سهل والثانى فيه استعلاء بعد انحدار وهو صعب .

قال : وتقول : هذه ناقة فارق [١٤] وأينق مفاريق فتنصب « لاتميل » كما فعلت ذلك حيث قلت : ناعق ومنافق ومناشيط اهـ ثم تكلم سيبويه عن غلبة الراء المكسورة لغير المكسورة فقال وقالوا : من قرارك [١٥] « بالإمالة » فغلبت كما غلبت القاف وأخواتها فلا تكون « الراء المفتوحة » أقوى من القاف ، لأنها وإن كانت كأنها حرفان مفتوحان فإنما هى حرف واحد وبزنته ..

ثم تكلم عن الراء المكسورة المفصولة عن الألف بحرف فقال « جـ٢ ص ٢٦٨ » :

واعلم أن الذين يقولون : هذا قارب فيميلون الألف ـ يقولون : مررت بقادر ينصبون الألف [١٦] ولم يجعلوها حيث بعدت تقوي ، كما أنه في لغة الذين قالوا مررت بكافر لم تقو على الإمالة حيث بعدت .

وقد قال قوم ترتضى عربيتهم ؛ مررت بقادر قبل فأمالوا للراء [١٧] حيث كانت مكسورة

« ١٠ » تمثيل لما أول الكلمة فيها مكسور ، ومن عواره تمثيل لمفتوح الأول وما بعده تمثيل لمضموم الأول .

« ١١ » هو وما بعده تمثيل لما فيه حرف استعلاء وكان حقه أن يمنع الإمالة ولكن الراء المكسورة غلبت وحالت دون ذلك .

« ١٢ » أى إمالتها في فعال ـ مثلث الفاء ـ المنتهى براء مكسورة .

« ١٣ » أى في كونها لا تمنع الإمالة لما تقدم .

« ١٤ » أخذها المخاض فندت في الأرض .

« ١٥ » قال السيرافي : يريد أن فتحه الراء في قرارك إذا كان بعد الألف راء مكسورة لم تمنع الامالة وغلبت الكسرة لفتح الراء التى قبل الالف حتى أميل كما غلبت الراء المكسورة ماقبلها في الإمالة وهو حرف الاستعلاء الذي قبل الألف ولم تكن الراء المفتوحة التى قبل الالف باقوى من حرف الاستعلاء لمنع الإمالة اهـ

« ١٦ » أى لم يميلوا للفصل بين الراء المكسورة والألف بحرف

« ١٧ » مع وجود الفاصل .

وذلك أنه يقول: قارب فيميل كما يقول جارم فاستوت القاف وغيرها [١٨] فلما قال : مررت بقادر بالإمالة أراد أن يجعلها كقوله : مررت بكافر فيسويهما ههنا كما يسويهما هناك

وسمعنا من نثق به من العرب يقول « لهدبة ابن خشرم العذرى »[١٩] .

عسى الله يغنى عن بلاد ابن قادر
بمنهمر جون الرباب سكوب

واعلم أن من يقول مررت بكافر فيميل اكثر ممن يقول : مررت بقادر فيميل ؛ لأنها من حروف الاستعلاء ، والراء قد أخبرتك بأمرها

« ١٨ » في كونهما لم يمنعا الإمالة لوجود الراء المكسورة عند عدم الفصل وكذلك سوي بينهما عند الفصل بحرف فأمال ايضا في مررت بكافر ، ومررت بقادر ، ولكن سيذكر ان الإمالة في مررت بكافر اكثر منها في مررت بقادر لمكان القاف .

« ١٩ » قال الأعلم : استشهد به على جواز إمالة الألف من قادر وإن كان قبلها الحرف المانع لقوة الراء المكسورة على الامالة - والمنهمر المطر الكثير ، وجون اي أسود والرباب بفتح الراء السحاب ، والبيت في هجاء رجل من بني نمير بن قادر ..

العلامة ابن دهيش - بقية

والاستاذ خالد ويعمل في ديوان الخدمة المدنية بالرياض وحاصل على الماجستير في العلوم الإدارية من الولايات المتحدة الأمريكية وله من الأبناء سعود وركان .

وعبد الرحمن وهو موظف في بلدية الاحساء ، وله من الأبناء أحمد وفهد .

وعبد العزيز وهو يواصل دراسته العليا في الولايات المتحدة الأمريكية ومنصور ويدرس في المرحلة الثانوية .

وفاته : -

وبعد عصر يوم الأحد التاسع من شهر جمادى الأولى عام ١٤٠٦ هـ انتقل إلى رحمة الله تعالى على أثر نوبة قلبية حادة ، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته ، ﴿ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

كتبه ابنه
« عبد الملك بن عبد الله بن دهيش »

الشعر.. والنقد
وروح الاستقراء

أ. د. محمد عبد المنعم ابراهيم

من الألفاظ الدالة ، التى اعتُمدتْ فى الآونة الأخيرة ، ضمن قاموس المصطلحات النقدية ، فى لغتنا الجميلة .. لفظة Subjective (ذاتى) ، ولفظة Objective (موضوعى) .

وهما لفظتان مُنحدرتان إلى الإنجليزية من أصل لاتينى ، مؤدَّاهما ـ فى اللفظة الأولى ـ تعريف كل ماله علاقة بالانفعال الوجدانى ومُعطياته . وفى اللفظة الثانية ـ تصنيف ما يدور حوله عمل المخيلة ، والقوة المفكرة الإبداعية .

فالذاتى : هو حصاد التجربة الشعورية ، وما يصدر عن الشاعر من آثار شعرية فى ساعات الإلهام .. ممتزجا بأنفاسه ونبضاته ومشاعره .

أما الموضوعى : فهو كل ما يكون عماده الفكر والتأمل ، والحكم المجرد ، على الأعمال الأدبية .

ولعل خير دليل على تغلغل هذا المصطلح الأخير واعتماده ، واستخدامه .. ما يتفق لنا أن نسمعه يدور بين المتحاورين فى بعض الأحيان ، حين يقول أحدهما لزميله : ـ فلْتكنْ (موضوعيا) فى آرائك ! .. أى يدعوه إلى إصدار حكم مُنَزَّهٍ عن الميول والأهواء ، والنزعات الشخصية ..

وفى مجال النقد الأدبى ، كثيراً ما يثور الجدل حول انبثاقه من الذاتية أو الموضوعية ، باعتبار أن الذوق الشخصى يلعب دوراً كبيراً فى تكوينه ، والذوق مقياس ذاتى .. وفى الوقت نفسه ، فإن هناك خصائص مشتركة ومميزات عامة ، يتعين مراعاتها

وأخذها في الاعتبار ، عند إصدار الأحكام ، بعد إمعان النظر ، وهذه المميزات والخصائص ، التي استقاها النقاد من عمق الفنان ، عبر الأزمان ، تجعل النقد أقرب ما يكون إلى الموضوعية .

ومهما يكن من أمر ، فإن النقد الأدبي - حين يتصدَّى لدراسة وتقويم العمل الأدبي ، يتعين أن يأخذ بطرفي الذاتية والموضوعية معا .

وكلما كان الناقد ذا ثقافة واسعة ، واطلاع كبير دائب على الأعمال الأدبية الشامخة في شتى العصور ، كان ذلك مصدر خبرة جمالية له ، تعينه على التحليل والتدقيق ، والمقارنة الصحيحة بين الأثر المفقود ، وغيره من الآثار المماثلة السابقة له ومدى ما استطاع هذا الأثر أن يحققه من إضافة ، أو جدة وابتكار .

وللشاعر الانجليزي روبرت براوننج (١٨١٢ - ١٨٨٩) رأي صائب ، يسبر فيه غور العلاقة بين العمل الفني ، والواعية الباطنة التي تكوَّن فيها هذا العمل ، بقوله : « إن الشاعر الوجداني لا يرسم صوراً ويعلقها على الجدران ، وإنما يحملها على شبكة عينيه .. ولذا يجب أن نحدِّق في أغوار عينيه الإنسانيتين ، لنرى تلك الصور مرسومة عليها .. وعلى هذا فهو اقرب إلى أن يكون شخصاً متمتعا بقدرة الكشف « الصوفية الروحية) ، منه إلى أن يكون صانعاً يصمم أشكال الصور . وبالتالي ، فإن ما ينتجه هو أقرب إلى أن يكون فيضا من نفسه ، منه إلى أن يكون إنتاجاً فنيا مصنوعا .

ولا يمكن بحث ذلك الفيض مجرداً عن شخصيته - فهو في الواقع إشراق تلك الشخصية وشذاها ، وهو منعكس منبثق منها ، إلا أنه غير منفصل عنها .. فَقُرَّاءُ شعره يجب أن يكونوا : قراء سيرته »(١)

★ ★ ★

والناقد الحق ، الجدير بهذا الاسم ، هو الذي يكون نِدًّا للعمل الفني الذي يتهيأ لدراسته واستقرائه والحكم له أو عليه ، فيدرك ، بِحُسن إعداد واستعداد ، لقدراته ، الحالة والقيمة الذهنية المتمثلة في العمل المنقود ، ويميز بين التجارب المتباينة ، ومن ثم يأتي حكمه أدنى إلى الدقة والإنصاف . وعليه ألَّا يحمل النص مالا يطيق ، بأن يكون مؤديا لغرض بذاته انطلاقاً من اعتناق شعارات متناقضة مثل الفن للفن والفن للحياة ، و (ليس الفن تَرَفا ذهنياً) .. و (هوراس) يقول في حرص : إن الشعر يقوم بأي من الدورين (الترفيه والتثقيف) ، أو يؤديهما معاً .

أما (بواللوا) « ورابين » فيعتقدان أن الشعر لا يكون مقبولا ، إلا بالقدر الذي يهدف به لأن يكون ذا فائدة ، أما المتعة ، فليست سوى وسيلة من أجل الغرض النهائي .. ولكن « دريدن » يكتفي من الشعر بالمتعة والترفيه ، فالترفيه - في اعتقاده - هو الغرض الرئيسي للشعر ، إن لم يكن هدفه

---

(١) القصة السيكولوجية . تأليف ليون إيدل ترجمة د . محمود السمرة ص ٢٦٦ و ٢٦٧ .

الوحيد .. وهذا لا ينفى أن مسألة التثقيف يمكن أن يتضمنها الشعر .. ولكن ذلك لا يكون ، فى رأى « دريدن » إلا فى الدرجة الثانية من الأهمية[1] .

ونحن نرى أن الفنان الأصيل ، هو الذى يعبر بطلاقة وحرية وفيض ، عن تجربته الشعورية العميقة .. دون تخطيط مسبق لأية صياغة معينة ، أو غرض محدد مستهدف ، ويكفيه أن يكون نتاجه تلقائيا صادرا عن ذات نفسه ، بدون تقليد أو احتذاء لغيره ، فيعطينا رؤياه الخاصة ، ونتاج موهبته المتفردة بصدق انفعال ، وروعة أداء .

★ ★ ★

والنقد ـ في تعريفه القاموسي في العربية ـ هو نقد ـ أى فحص ـ الدراهم لتمييز جيدها من رديئها ، وكما يقول الشدياق :

لابد أن تجد الصيارف مرة
بين الدراهم .. درهما مزيوفا

ويقول شاعر آخر :

من ذا الذى ما ساء قط
ومن له الحسنى فقط

وعلى ذلك فإن النُقاد ـ قضاة الأعمال الأدبية ـ مطالبون بأن يتلطفوا فى أداء مهمتهم الشاقة الدقيقة ، ويحكّموا ضمائرهم ، أولا وقبل كل شىء .. فلا يسرفون فى المدح أو القدح ، ويستخدمون فى إبداء آرائهم (ميزان الذهب) المرهف الحساس .. والشعر ـ كما نعلم ـ هو « ذهب » الكلام ، إذا كان النثر .. « فِضّته » .

ولا يكون الناقد ، كما لاحظنا فى أحيان كثيرة :

له البرق سوط .. لاتندُّ غمامة
لتشرد .. إلا حزٌ فيها والهبا !

فالرفق ، والتفهم ، وحسن التوجيه ، والتعاطف ، كل ذلك ، يحدث المعجزات .. وكم من أعمال أدبية ناضجة ، أُهدرت وقبعت فى الظل ، بسبب تعنُت النقاد وقلة إنصافهم ، وتعجلهم فى إصدار الأحكام ، قبل إمعان النظر ، ودراسة أعمال الشاعر ككل ، مقترنة بالتعرف على ظروف نشأته ، وملابسات تكوينه . أو لمجرد الاختلاف فى الاتجاهات والمشارب ، كأن يكون الناقد ، مثلا ، من انصار شعر التفعيلة ، والمنقود من أصحاب الشعر العمودى ، أو على العكس من ذلك ، يكون الناقد من متذوقى الشعر العمودى ، ولا يتجاوب ، أو يعترف ، بشعر التفعيلة ، الذى يتصدى للحكم عليه .. فتبعد الشقة بينهما ، ويترتب على ذلك إصدار أحكام طرق النقيض ..

وقد عانى الزهاوى من النقاد الذين هاجموه بقسوة ، دون أية مشاركة وجدانية لنتاجه ، فقال محنقا :

ملئوا صدور الصحف حقدا
والحقد ... قد سَمَّوْهُ : نقدا !

وقال يخاطب أحدهم ، وكان قد شدد النكير عليه :

---

(١) أنظر كتاب (النقد النفسى عند أ.أ. ريتشاردز) للدكتور فايز اسكندر ص ٦٧ .

ماكنت تلعننى ، لو كنت تفهمنى
او كان عندك وجدان .. كوجدانى

★ ★ ★

وهناك أمر بالغ الأهمية ، نبَّه إليه الدكتور محمد النويهى ، فى مقال قيم له بمجلة الثقافة[1] ، بعنوان : « حذار من تطبيق مقاييس النقد الغربية » فهذه المقاييس قد أصبحت ذات تأثير عميق فى الحركة النقدية المعاصرة لدينا بغير شك ، برغم أنها لم تواكب بيئتنا العربية ، ولم تصدر عن استقراء نصوصها وتراثها فى المراحل الزمنية المتعاقبة ، ولكن هذه المقاييس قد استخرجت من آداب أخرى ـ مهما تتفق مع أدبنا العربى فى أصولها الإنسانية الضاربة فى صميم النفس الإنسانية ، فهى برغم هذا تختلف عن أدبنا فى أمور كثيرة ، بعضها جذري أيضاً .. فتطبيقها المعتسف على أدبنا لا ينتج خيرا ، بل ينتج بلاشك ضرراً كبيراً . ويستطرد الدكتور النويهى قائلا :

« فالشاعر العربى ، إذا وقف أمام الطبيعة ، لم يلتفت فيها إلى نواح ، يلتفت إليها الشاعر الانجليزى ، مثلا .. لم ير فيها ما يراه هذا ، ولم يسمع فيها ما يسمع هذا » « والطبع الفنى لكلا الشاعرين مختلف ، لا جرم يكون تصويرهما لما يريان مختلفا ، لا فى مادته ، بل فى وسيلته أيضا » .

ولعل خير دليل على ما تقدم ـ فيما يختص بالاختلاف بين الشاعر العربى ، والشاعر الغربى ، فى تناولهما للموضوع الواحد ، ذلك النقد المقارن[2] ، الذى عقده الأستاذ يوسف اليوسف ، بين (ذئب) الشنفرى من لامية العرب (الأبيات من (٢٦ ـ ٣٥) وذئب الفرزدق ، وذئب البحترى .. بالمقارنة لذئب (الفرد دوفيني) حيث يقول البحترى ، مثلا :

سمالِى .. وبى من شدة الجوع ما به
ببيداء لم تعرف بها عيشة رغد
كلانا بها ذئب يُحدِّثُ نفسه
بصاحبه ، والجد يسعده الجد
عوى ثم اقعى ، فارتجزت فهجته
فاقبل مثل البرق ، يتبعه الرعد
فاوجرته خرقاء تحسب ريشها
على كوكب ينقض والليل مسود
فما ازداد إلا جراة وصرامة
وايقنت ان الامر منه هو الجد
فاتبعتها اخرى ، فاضللت نصلها
بحيث يكون اللبُّ والرعبُ والحقد
فخرَّ ، وقد اوردته منهل الردى
على ظما ، لو انه عذب الورد
وقمت فجمَّعتُ الحصى ، فاشتويته
عليه ، وللرمضاء من تحته وقْد
ونلت خسيسا منه ، ثم تركته
واقلعت عنه ، وهو منعفر فرد

ويقول (الفرد دوفينيى) :

وجاء الذئب واقعى ، وقادمتاه منتصبتان
وبراثنه المعقوفة مغروزة فى الرمل
كان يعلم أنه هالك لا محالة ، مادام قد فوجىء

---

(١) العدد الرابع والعشرون ، الصادر فى ٣١ من ديسمبر سنة ١٩٦٣ .

(٢) مجلة (الآداب الأجنبية) السورية ، العدد الثالث ص ١٨٩ وما قبلها .

وقطعوا عليه جميع المسالك ..
عند ذاك ، انقض على اشجع الكلاب
وبشدقه اللاهب ، اطبق على عنق الكلب المختلج
ولم يفتح فكيه الحديديين
رغم طلقاتنا النارية التي كانت تخترق جسده
ورغم مُدانا الحادة ، التي كانت تتقاطع
مثل الكماشات ، وهي تنغرز في احشائه الرحبة
إلى ان لفظ الكلب المخنوق آخر انفاسه ،
وتدحرج عند قدمي الذئب ، قبل موت هذا بكثير ،
انذاك ، تركه الذئب ، ثم اخذ يحدجنا بنظراته ..
كانت المدى تغوص في جسده حتى المقابض
وكانت تسمره إلى العشب مضرجا بدمائه
وبنادقنا تحيط به على شكل هلال .. مشئوم
وكان ينظر إلينا .. ثم تمدد على العشب
وهو يلعق الدم المنتشر على فمه
ودون ان يهتم بطريقة مصرعه
اغمض عينيه الكبيرتين ، واسلم الروح
دون ان تند عنه اية صيحة .
إلى ان يقول في ختام القصيدة :
- آه ، لقد فهمتك جيداً ، ايها الجوّال المتابد
ونظرتك الأخيرة نفذت إلى قلبي
كانت تقول : « إذا استطعت ، فاجتهد كي تصل روحك
بفضل الجد والتفكير
إلى هذه الدرجة من الكبر الصامد
حيث ارتفعت منذ الوهلة الأولى - انا سليل الغابات -
عن الأنين والبكاء ، والضراعة جبن ومهانة
ادِّ بحزم مهمتك الطويلة الشاقة ، حيث يدعوك المصير
ثم تحمل الآلام مثلي وتُوفّ دون شكوى[1] .

★★★

ثم يعقد الأستاذ يوسف اليوسف ، بعد ذلك ، مقارنة شيقة بارعة ، بين الطفولة في نص للشاعر الفرنسي فيكتور هيجو (سنة ١٨٣٠) والشاعر العربي بدوي الجبل ..
حيث يقول هيجو :
عندما يهل الطفل ، تصفّق حلقة الأسرة بصخب
نظرته العذبة اللألاءة ، تاتلق لها كل العيون
واكثر الجباه كآبة ، وربما اشدها عبوسا
تمحي غضونها فجاة ، لمراى إطلالة الطفل
طاهرا جذلان
فإن الفرح ، لدى إقبال الطفل ، يصل ويضيئنا
يضحك الناس ، يعاودون الصياح ، ينادونه
وترتعش امه ، إذ تراه يمشي
إلى ان يقول مناجيا الطفل :
ايها الطفل ، انت الفجر ، وروحي السهل
الذي يعطر انفاسه باعذب الأزهار
عندما تتنشقها ،
روحي هي الغابة التي تمتلىء اغصانها القاتمة
لك وحدك ، بوشوشات عذبة ، واشعة ذهبية
ذلك ، لأن عينيك الجميلتين ممتلئتان عذوبة لا متناهية
ذلك ، لأن يديك الصغيرتين ، الفرحتين المباركتين
لم ترتكبا إثما حتى الآن ،
وخطاك الفتية لم تلمس ابدا حماتنا[2]
في حين يقول (بدوي الجبل) عن حفيده الطفل (محمد) :
تود النجوم الزهو لو انها دُمى
ليختار منها المترفات .. ويلعبا
وعندي كنوز من حنان ورحمة
نعيمي ان يُغرى بهن وينهبا
يجور ، وبعض الجور حلو محبب
ولم ار ، لولا الطفل ، ظلما محببا

---

(١) الترجمة عن الفرنسية للدكتور احمد سليمان الأحمد ، بالمصدر السابق .
(٢) ذات المترجم للنص السابق

ويغضب أحيانا ، ويرضى .. وحسبنا
من الصفو أن يرضى علينا ويغضبا
ويوجز فيما يشتهي ، وكأنه
بإيجازه - دلاً - أعاد وأسهبا
يزف لنا الأعياد .. عيدا إذا خطا
وعيدا إذا ناغى .. وعيدا إذا حبا
وتخفق في قلبي : قلوب عديدة
لقد كان شعبا واحداً .. فتشعَّبا !

إلى أن يقول داعيا :

فصُنْ ضحكة الأطفال ، يارب ، إنها
إذا غرّدت في موحش الرمل أعشبا
ويارب حبب كل طفل فلا يرى
وإنْ لجَّ في الإعنات .. وجهاً مقطبا
وهيِّئ له في كل قلب صبابة
وفي كل لُقْيا : مرحبا ، ثم .. مرحبا
ويارب إن القلب ملكك إن تشأ
رددْتَ محيل القلب .. ريّان مخصبا

★★★

هذا وإن كان ما تناهى إلينا من أدب الغرب - واحتذيناه وقلدناه - ليس خيرا كله ، فقد « تسربت مؤخرا موجة كدراء على البيئة الأدبية ، ركبها بعض الشعراء وكتاب القصة القصيرة .. موجة (رمزية) ، وأخرى (سريالية) ، وهما موجتان وافدتان من أدب الغرب ، وتجارب تحاكي تجارب بعض كتابهم وشعرائهم ، وتجارب العبث واللامعقول ، وهواجس اللاشعور ونزواته .. وهذه التجارب .. إن كانت من ثمرة بيئة اجتماعية قلقة ، وأملتها ظروف نفسية قاسية ، وعقول فردية متحررة تحررا مطلقا من كل تقييد - فإنه لا يجوز لنا أن نجاري هؤلاء الكتاب ، لحاجتنا القصوى إلى أدب الوعي واليقظة والقوة .. إلى أدب التفاؤل ومواجهة الواقع ، ومعايشة العصر ، ونشر بذور الأمل ، على أن يلوذ الأدباء بهذا التفاؤل في طبيعته ، لا اصطناع » وكما يقول صديقنا الناقد الراحل مصطفى عبد اللطيف السحرتي[1] .

★ ★ ★

وصفوة القول ، وخلاصته ..

أن النقد البناء ، يمكن أن يفيد المنقود كثيرا ؛ كما اتفق لشوقي أمير الشعراء ، حينما انبرى محمد المويلحى لنقد بواكير من شعر شوقي ، نقداً مهذباً غير مقذع ..

وكان لهذا النقد ، كما يقول[2] الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحي رحمه الله ، أثره في تجديد صياغة شوقي وتمتين أسلوبه ، من حيث سلامة التراكيب ، وقوة التدريب ، والإثراء من الألفاظ ، ووضعها في مكانها ، حتى وصل إلى ما وصل من تقدم ورسوخ قدم في الشعر .

وأخيراً ، وليس آخرا ، كما أحب أن أهمس بالبيت التالي ، في أذن من يقوم بالحكم على الأعمال الأدبية ،

إذا لم تجد قولا سديدا تقوله
فصمتك عن غير السداد .. سداد

والله الموفق ....

---

(١) بمقال له بمجلة (قافلة الزيت) عدد ربيع الأول سنة ١٣٩١هـ .
(٢) في مقدمة ديوان له .

ورحيل مؤلف

كتاب لا تظلموا المرأة

د. محمد كامل الفقى

عرض وتحليل
د. محمد عبد المنعم خفاجى

رحل عنا، يوم الخميس الثامن من ربيع الأول ١٤٠٦ هـ / الحادى والعشرين من نوفمبر عام ١٩٨٥، عالم جليل.

هو فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ محمد كامل الفقى.

الأستاذ بجامعة الأزهر، وعميد كلية الدراسات الإسلامية سابقاً..

وودَّعنا الوداع الأخير، وفقدنا فيه الصديق والزميل، والأخ الكريم، والعالم الفاضل، والكاتب الإسلامى الثائر.

والقلم الحر الشجاع النزيه، والشاعر المجيد الذى كان يكتب شعره فى مختلف جوانب حياتنا العامة والخاصة على السواء.

محمد كامل الفقى علم من أعلام الأزهر والإسلام فى العصر الحديث، وعن ثلاثة وسبعين عاماً (١٩١٢ ـ ١٩٨٥) لقى ربه..

وفقد فيه العالم الإسلامى صوتاً شجاعاً حراً جريئاً يدافع عن الدين، وعن الأزهر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

كان أول كتاب صدر له هو رسالته للدكتوراه « الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة » فى ثلاثة اجزاء، عام ١٩٥٦، وقدم له الدكتور طه حسين عميد الأدب العربى، الذى نوه بالمؤلف وبالكتاب وبالأزهر فى مقدمته تنويها كبيراً..

وقد نوقش الدكتور محمد كامل الفقى فى هذه الرسالة فى نوفمبر من عام ١٩٤٦، ونال عليها شهادة العالمية من درجة استاذ فى

البلاغة والنقد والأدب بتقدير « ممتاز » وكان رئيس لجنة المناقشة هو الأستاذ الكبير الخالد المرحوم الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء ، ومعه أربعة من كبار أساتذة الأدب فى جامعة الأزهر الشريف ، وقد أثنى الجميع على الرسالة وعلى صاحبها ثناءً مستطابا ..

ومقدمة الدكتور طه حسين عميد الأدب العربى لهذا الكتاب صفحة مجهولة من تراث الدكتور طه الخالد .. لم يلتفت إليها أحد من دارسيه وناقديه حتى اليوم .. ولم يشر إليها أحد بحسبانها جزءاً من تراث طه حسين أديبنا العظيم .

يقول طه حسين فى مقدمة كتاب الأزهر للدكتور محمد كامل الفقى : هذا كتاب قدر صاحبه أنه سيحيى به مجد الأزهر . ويرد به إلى هذا المعهد الكريم علينا بعض حقه ، ويعيد إليه شيئاً من مكانته ، التى يظن كثير من الأزهريين أنه زحزح عنها فى هذا العصر الحديث . وهذا التفكير نفسه خير ، لأنه البر والوفاء ، ولأنه الانصاف ورفع الحيف ..

ولكن صاحب الكتاب لم يكد يتم عمله ويفرغ من كتابه ، حتى تبين للذين يقرءون هذا الكتاب أنه تجاوز ما فكر فيه المؤلف إلى شيء هو أعظم منه خطراً ، وأكثر منه شمولاً ، وأجدر منه بالرضا ، وأحق منه بالثناء .. ولكن تحقيق التاريخ فى نفسه من حيث هو تاريخ ، وإظهار الحق فى نفسه من حيث هو حق أعظم من ذلك نفعاً ، وأشمل منه فائدة ، وأجدر أن يقدره الباحثون حق قدره ..

وقد استقر فى نفوس الأجيال المعاصرة منذ أواخر القرن الماضى أن الأزهر الشريف قلعة المحافظة ، وأنه يحيا بمعزل عن الحضارة الحديثة التى تغمر مصر ، وتدفعها إلى أمام ، وأن هذه الحضارة إنما تتلقاها معاهد التعليم المدنى ، وإذا كان للأزهر عمل فى هذه الأيام فهو عمل المعارض المانع فى كل تجديد .

وقد يذكر لهذه الأجيال بعض الأشخاص الذين امتازوا فى هذا العصر ، وأثروا فى الحياة الحديثة تأثيراً بعيداً ، وتخرجوا فى الأزهر ، ولكن الناس يسمعون هؤلاء الأشخاص فيمنحونهم الرضى والحب والإعجاب دون أن يفكروا فى المعهد الذى نشأهم صبية ، وكونهم شباباً ، وأعدهم لهذا التفوق والامتياز .

فمحمد عبده وسعد زغلول عظيمان من عظماء العصر الحديث ، ولكن الأزهر عرض من أعراض حياتهما .. وكذلك تنشأ الأجيال على الخطأ والجهل والعقوق .

ويستمر طه حسين فى تقديمه فيقول :

وهذا الكتاب الذى أقدمه مقتنعاً بتقديمه إلى القراء مصلح لهذا الخطأ ، مزيل لهذا الجهل ، مُنَقٍّ للنفوس من هذا العقوق ، لأنه يظهر فى أوضح الوضوح ، وأجلى الجلاء . أن الأزهر لم يكن مشرق النور فى عصورنا القديمة وحدها ، وإنما هو مشرق النور فى العصر الحديث ، هو الذى تلقى الحضارة الأوربية ، وهو الذى أذاعها فى مصر ثم فى الشرق ، وهو المؤثر الأول فى الحياة المصرية الحديثة منذ اتصلت مصر بأوربا اتصالا دقيقاً منظماً فى أواخر القرن الثامن عشر إلى اليوم ، وإلى الغد القريب أو البعيد فيما يظهر ..

فالأزهر صورة لمصر ، فيه كل ما فيها من القوة والضعف ، ومن التقدم والمحافظة ..

أما آخر كتاب صدر للدكتور محمد كامل الفقى - رحمه الله - فهو كتابه الخالد « لا تظلموا المرأة » الذى صدر عن مكتبة وهبة عام ١٩٨٥ فى ٢٣٢ صفحة ويناقش فيه المؤلف قضية المرأة العاملة مناقشة موضوعية من ناحية الدين والاجتماع والأسرة والطفولة ، وهو كتاب جدٌّ قيم ، ويعدُّ أهم كتاب إسلامى صدر هذا العام عن قضية المرأة ، وهو ليس دفاعاً ضد المرأة ، بل هو دفاع عنها ، وصوت قوى جهير ينادى بالعطف على المرأة وعودتها إلى مملكتها . وهو البيت والأسرة والأطفال .. وفى ذلك الدفاع يعرض المؤلف اقتراحاً قدم إلى مجلس الشعب من اللواء سعد الدين الشريف وبعض السادة الأعضاء بشأن حماية الأمومة والطفولة ، واقتراحاً آخر قدم من العضو السيد محمد أبو سديرة بتفرغ المرأة العاملة ، أو عملها نصف الوقت ، رعاية لنشأتها ، ودعماً لكيان الأسرة .

والدولة وقد بدأت الأجهزة الحكومية كلها تظهر بمظهر المتخم من الوظائف والموظفين ، وبدأت تفكر فى أن يكون التعيين فى وظائف الدولة بمسابقة عوضاً عن جهاز القوى العاملة .. كيف لا تفكر فى مثل هذه الاقتراحات البناءة التى تحل مشكلة من أشد مشاكلنا الاجتماعية صعوبة ، وهى مشكلة الأسرة والطفولة والبيت والمرأة .

وبين هذين الكتابين صدر للمرحوم الدكتور محمد كامل الفقى الكثير من الكتب فى الأدب والنقد والدراسات الأدبية .. وهو تراث قمين بالتقدير ، حرى بالتنويه ، جدير بالذكر فى هذا المقام .

ـ ٢ ـ

أما كتاب « لا تظلموا المرأة » فهو كتاب الساعة ، والكتاب الذى يجب أن يقرأه كل أب وكل أم وكل أسرة وكل فتاة ، بل كل مسئول عن حياتنا الاجتماعية فى مصر خاصة ، بل وفى البلاد الإسلامية عامة .

يتحدث المؤلف بأسلوبه البليغ السهل الممتع القوى فى مقدمة الكتاب عن الاختلاط والسفور والعمل كقضية اجتماعية وقومية خطيرة ، وعن أثر ذلك فى سلوكيات المجتمع وأخلاقه وقيمه ، مؤكداً أن عودة المرأة العاملة إلى مملكتها ، وهى البيت ، ستوفر بها المرأة « جسدها وأخلاقها وسمعتها ، وسيبارك الله لها فى زوجيَّتها وفى أمومتها ، وستقرُّ عينيها بولدها الذى لفظته من احضانها ، والقت به بعيداً لمن لا يحمل رحمتها وبرها وحنانها » .

وفى المقدمة يقترح أن تعوض الدولة المرأة التى تطلب العدول عن الوظائف بمعاش مُجْزٍ أو شبه مُجْز .

يتحدث الكتاب عن صيانة الجواهر ، وأن المرأة ليست أقل شأناً من جواهر المال ، ويعرض صفحات من تكريم الإسلام للمرأة ، وعن المرأة فى ميزان الدين والمجتمع ، ويجهر بالمناداة بأن أصول التشريع تجمع على منع المرأة من مزاولة الأعمال العامة . ويدرس المرأة نفسياً وفسيولوجيا . ويدعو إلى الاحتشام ويقرر مضار الاختلاط بين الرجل

والمرأة ، ويعرض أمر الفوضى التى تجتاح بيت المرأة العاملة .

ويرى أن عيد الطفولة هو اليوم الذى تعود فيه المرأة إلى بيتها وأطفالها وزوجها ، ويستعرض آراء فى ذلك للعقاد ولأنيس منصور ولكاتبة صحفية يونانية تقرر أن أهم شىء فى حياة المرأة اليونانية هو رعاية أطفالها ، ويعرض آراء مختلفة لسيدات مصريات مثقفات ، كما يعرض آراء لغربيين ينادون بعودة المرأة إلى بيتها لأن فى عملها تقويضاً كاملاً لدعائم الأسرة .

ويتحدث عن مشكلات المرأة العاملة ، وعن العمل وأنه يضعف الأنوثة ، ويعرِّض المرأة لأمراض القلب ، وكذلك يتحدث عن المرأة وعلاقات العمل ، وعن بحوث عودة المرأة العاملة إلى البيت فى المجالس القومية المتخصصة . ويقدر عدد النساء العاملات بـ ٥٧٣ ألف عاملة (حسب احصاء عام ١٩٧١) .

ويستعرض السلبيات والايجابيات فى مشكلات المرأة العاملة ، دارسا . ومحللا ، ومستنتجاً ، وفى استطلاع للرأى فى انجلترا بين الشباب تبينً منه أن ٤٥٪ من الشباب يرون ان عمل المرأة الطبيعى هو المنزل ، وأن دور الرجل هو كسب المال .

وفى المانيا الغربية طالبت مظاهرة نسائية بتحرر المرأة من العمل وتفرغها للبيت وشئونه . ويستعرض المؤلف رأى أستاذة انجليزية تسفِّه فيه فكرة المطالبة بمساواة المرأة بالرجال فى الحقوق .

ويدعو الدكتور المؤلف إلى أن يكون عمل المرأة فى المجال الذى يناسب طبيعتها وفى حدود الضرورة ومع ضمانات كافية لسلامتها وأمن الفتنة من كل جانب .

ويعرض لرأى باحثة مصرية فى رسالتها للدكتوراه ، وينادى هذا الرأى بأن « وظيفة المرأة كمسئولة عن بيتها وتربية أولادها أهم من أية وظيفة أخرى ، وتقترح لذلك أن تتوقف المرأة إجبارياً عن العمل بمجرد الوضع لمدة الوضع ، وأن تمنع المرأة المتزوجة التى لها أطفال دون السادسة من التعيين فى الوظائف العامة » .

— ٣ —

آراء كثيرة تضمنها هذا الكتاب القيم ، وهى آراء جديرة بالبحث والدراسة لأنها تمس صميم حياتنا العامة والخاصة ، وتتناول قضية المرأة والجيل الجديد .

لكم كان المؤلف المرحوم الأستاذ الدكتور محمد كامل الفقى قوياً مقنعاً واضح الحجة فيما تناوله من قضايا فى هذا الكتاب النفيس ، الذى هو آخر كتبه التى صدرت قبل وفاته .

رحم الله المؤلف ، وعوَّض العالم الإسلامى فيه خير العوض ، وجزاه فى دار الخلد خير الجزاء .

د . محمد عبد المنعم خفاجى

مع رسالة جامعية

أهداف ومجالات السلطة في الدولة الإسلامية

للباحث العميد
أ. ح. فوزى محمد طايل

نوقشت هذه الرساله يوم السبت ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٠٦ هجرية الموافق ٨ مارس ١٩٨٦ ميلادية بكلية الحقوق جامعة القاهرة .

أشرف على الرسالة كل من :ـ

١ ـ الأستاذ الدكتور / ثروت بدوى ـ أستاذ القانون العام بحقوق القاهرة ـ والمستشار القانونى لمجلس الشعب .

٢ ـ الأستاذ الدكتور / يوسف قاسم ـ رئيس قسم الشريعة الإسلامية بالكلية .

وشارك فى مناقشة الرسالة كل من :ـ

١ ـ الأستاذ الدكتور / أحمد كمال أبو المجد ـ رئيس قسم القانون العام بالكلية ـ ووزير الثقافة والإعلام الأسبق .

٢ ـ الأستاذ الدكتور / محمد على محجوب ـ أستاذ الشريعة الإسلامية بحقوق عين شمس ـ ورئيس لجنة الشئون الدينية بمجلس الشعب .

وقد استمرت المناقشة ساعتين ونصف ، منح الباحث بعدها درجة « دكتور فى الحقوق بتقدير جيد جداً » مع التوصية بتبادل الرسالة مع الجامعات الأخرى .

ويعد موضوع الرسالة ـ على حد تعبير لجنة المناقشة ـ من أكثر الموضوعات أهمية وحساسية فى آن واحد . إذ تهدف الرسالة إلى تكييف الدولة الإسلامية وتوضيح طبيعتها .

منهج الرسالة :

لم يتبع الباحث المنهج التقليدى الوصفى فى معالجة الموضوع ، وانما نهج نهجا أكثر موضوعية وذلك بالبحث فى

أوجه نشاط السلطة العامة فى الدولة الإسلامية فى المجالين : الاقتصادى والاجتماعى للتوصل من خلال ذلك ، ومن خلال الدراسة التحليلية المقارنة إلى تحديد الطبيعة القانونية للدولة الاسلامية . فتكييف النظام السياسى الاسلامى يكون تحديده اوضح وادق ـ من وجهة نظر الباحث ـ إذا ما تم من خلال النظر إلى مضمون النظام وجوهره ، لا من خلال التنظيم والشكل ، الذى تكاد تتشابه فيه الأنظمة السياسية كلها .

تقسيم الرسالة :ـ

تنقسم الرسالة إلى مقدمة ، فباب تمهيدى يليه قسمان رئيسيان « لِكُلٍّ بابان » وخاتمة .

وقد عالج الباحث فى **الباب التمهيدى** المقصود بالدولة الإسلامية من خلال وضع تعريف محدد لها ، فهى **« تلك الدولة العالمية التى تضم شعباً غالبيته العظمى من المسلمين ، وتسرى احكام الشريعة الاسلامية على كل جوانب الحياة فيها »**

فالقانون الوحيد الذى يسود الدولة وينظم كل أمورها مستمد من نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ، والاجتهاد المعتمد

على فهم واستقراء نصوصهما ، بما يحقق مسايرة التشريع لتغيير الأزمان وتبدل « الاعراف » ومراعاة لما يستجد من مصالح معتبرة في نظر الشرع الإسلامي دون الخروج

على الاطار العام للشريعة :

يتناول **القسم الأول** من الرسالة كيفية تحقيق السلطة فى الدولة الإسلامية لهدفها الأعلى وهو « إقامة شرع الله » من خلال دخولها مجالات نشاط مختلفة : اجتماعية واقتصادية ، محققة التوازن بين صراع

الأفراد من جهة ، وبين المصلحة الفردية والمصلحة العامة من جهة أخرى .

ويتناول هذا القسم بالبحث والتحليل عددا من أهم المشاكل والموضوعات ، فى مقدمتها :

١ ـ بناء الفرد المسلم ، وإقامة المجتمع الفاضل المتماسك .

٢ ـ الحفاظ على الكيان الخارجى للدولة ، من خلال التخطيط لاستراتيجية ثابتة المبادىء وطيدة الأركان من أجل نشر دعوة الإسلام على أسس علمية وفنية تتمشى مع روح العصر وتتنوع فى أهدافها القريبة والبعيدة بتنوع واختلاف ميادينها ، وكذا من خلال اتباع استراتيجية دفاعية للردع ، يصان بها الاستقلال ، وتؤمن بها الدعوة وتحفظ بها الكرامة والحريات جميعاً .

استراتيجية لا تمثل عدوانا على أحد ، وليست نوعا من الاستكانة والاستسلام انتظارا لوقوع العدوان عليها ..

جوهرها الاستعداد وامتلاك أسباب القوة ، وامتلاك زمام المبادأة ، اقرارا للسلام العادل وصيانة له .

٣ ـ موقف السلطة العامة فى الدولة الإسلامية من بعض صور النشاط الاقتصادى التى

تسود عالم اليوم ، وأهمها الربا ، والاحتكار ، والتسعير .

٤ ـ مدى اطلاق أو تحديد الحريات العامة والحريات الاجتماعية ، وأخصها حق الملكية ، وحق العمل ، وحقوق العمال .

٥ ـ التكامل الاجتماعي بصورتيه : المادية المتمثلة في محاربة الفقر ، والمعنوية المتمثلة في محاربة الرذيلة وستر الجرائم وافشاء السلام

والادلاء بالنصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد أوضح الباحث الآثار الاجتماعية والاقتصادية لتطبيق هذا المبدأ الاسلامي العظيم .

٦ ـ واجب الدولة في جمع وانفاق الزكاة ، واستخدامها لإعادة توزيع الدخل والثروة ، وتقليل الفوارق بين الطبقات ، ونزع شأفة الحقد والفقر من المجتمع .

٧ ـ الضمانات الاجتماعية والقانونية والسياسية للحفاظ على حقوق وحريات الأفراد في المجتمع .

أما القسم الثانى من الرسالة فيعقد فيه الباحث مقارنة بين النظام السياسى الإسلامى الأصيل وبين كل من المذهبين اللذين يسودان عالم اليوم : « المذهب الفردى الحر ـ والمذهب الاشتراكى الماركسى » .

وقد أوضح الباحث أوجه التشابه الظاهرية ، وأوجه الاختلاف الجذرية بين كل من هذين المذهبين ، وبين النظام الإسلامى ، ليصل في نهاية الباب الأول من القسم الثانى إلى حقيقة محددة مؤداها :

أن النظام السياسى الاسلامى الأصيل يرفض مبادىء المذهب الفردى الحر بصورتيه : التقليدية والحديثة ، كما أنه يقف والمذهب الاشتراكى الماركسى على طرفي نقيض .

وفي الباب الأخير من الرسالة ، الثانى من القسم الثانى ، يضع الباحث النقاط فوق الحروف محدداً ما يلى : ـ

١ ـ الفلسفة السياسية الاقتصادية الاجتماعية للدولة الإسلامية وجوهر هذه الدولة .

فالعقيدة الاسلامية تسيطر على كل نواحى الحياة في المجتمع ، والايمان يوجه السلوك العام فيه ، كما أن المصلحة العامة والمصلحة الخاصة متكاملتان غير متعارضتين في ظل توازن بين السلطة والمسئولية .

٢ ـ تحديد الطبيعة الخاصة للدولة الإسلامية ، فهى دولة عالمية ، وهى دولة قانونية يخضع فيها الحاكم والمحكوم على حد سواء للقانون .

والدولة الإسلامية لا يمكن ان تكون دولة اشتراكية ماركسية ، كما انها لا تقر مضمون الديمقراطية ولا اسلوب تطبيقها ، ولا غايتها فوسائل اشراك الشعب في الحكم في الدولة الإسلامية تكون من خلال « الشورى » و« النصيحة » ، وتلمس « الراى العام » وهى وسائل تختلف من حيث المضمون وأسلوب التطبيق عن الأسلوب النيابى الديمقراطى . فمصلحة الشعب في النظم الديمقراطية لا يحدها دين ولا خلق ، فهى مطلق المصلحة غير

المنضبطة ، في حين أن المصلحة في نظر الإسلام منضبطة تحكمها نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، والمبادىء العامة التى قررتها الشريعة الإسلامية واستخرجت من تلكم النصوص .

الخلاصة والتوصيات : -

إن الإسلام قد أتى بنظام سياسى اجتماعى اقتصادى متكامل الأركان واضح المعالم يمنع ما هو غريب عنه أن ينفذ إليه ، فهو نظام له فلسفته الخاصة وجوهره المتميز ، فلا هو فردى حر يرعى مصلحة الفرد ويعتبرها أساس توازن المجتمع واستقراره ، ولا هو نظام جماعى يضع المصلحة العامة فى أعلى المراتب ويجعل منها هدف النظام وغايته ، وأن مصلحة الفرد لا تتحقق إلا من خلال تحقيق المصلحة العامة .

كما أن النظام الإسلامى ليس نظاما وسطا بين هذين المذهبين ، بل إن له شخصيته المستقلة ، فهو يجعل الفرد من أجل الجماعة ويجعل الجماعة كلها من أجل الفرد ، فلا تعارض بين المصلحة الفردية والمصلحة العامة ، بل ثمة تكامل وتلاحم بينهما .

النظام السياسي الإسلامى نظام قائم على عقيدة دينية توجه سلوك الأفراد وتنظم جل شئونهم وعلاقاتهم ، وتقيم المصالح الخاصة والعامة على أصول منضبطة .

الحقوق والحريات منح من الله تعالى ، لذا فهى مقدسة ، وهى فى نفس الوقت واجبات ، على السلطة العامة والأفراد جميعاً العمل متضامنين على القيام بها :

فالفرد فى النظام السياسى الإسلامى هدف ووسيلة ، والعدل الاجتماعى والمساواة وتماسك المجتمع وتكافله دعائم توازن النظام الإسلامى .

فالدولة الإسلامية ذات طبيعة خاصة هدفها اقامة شرع الله ، وهى دولة فكرية عقائدية يتولى العلماء الأكفاء من المؤمنين مقاليد الحكم والسلطة فيها دون اعتبار لعصبية ، أو لون ، أو جنس ، أو لغة ، أو طبقة . فهى بذلك دولة عالمية ، فلا اعتبار لحدود جغرافية أو تجمعات قومية أو نزاعات عرقية بين مواطنيها ، وداخل حدودها وهى دولة واحدة : الإسلام فيها عقيدة ونظام حكم وجنسية .

فنحن هنا إزاء مذهب سياسي اجتماعي اقتصادي متميز - إن صح التعبير :

إسلامى المنشأ والصياغة والأهداف **والمجالات . ويدعو الباحث فى نهاية بحثه المفكرين والباحثين من المسلمين لوضع المنهج العملى لتطبيق هذا النظام الاسلامى وإخراجه من نطاق المبادىء العامة إلى مجال الوجود الواقعى بأسلوب لا ينحرف به عن طبيعته الالهية .**

يقول الله تعالى : « إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (النور / ٥١)

ف . ط

أنباء وآراء

للأستاذين : أحمد عبد الرحيم السايح
صفوت عبد الجواد

الاعجاز الطبى في القران

■ تقرر عقد المؤتمر الثانى للإعجاز الطبى فى القرآن الكريم والسنة النبوية فى القاهرة خلال شهر سبتمبر القادم تحت رعاية الرئيس حسنى مبارك .

وصرح الدكتور سالم نجم أستاذ الأمراض الباطنية بطب الأزهر ومقرر اللجنة التحضيرية للمؤتمر بانه تقرر اجتماع تحضيرى بدار الحكمة بالقاهرة لمناقشة التفصيلات الخاصة بالاعداد لعقد المؤتمر واختيار وتحديد الموضوعات والأبحاث والدراسات التى تتم مناقشتها خلال المؤتمر .

وأضاف أن المؤتمر سيضم نخبة كبيرة من المفكرين من كبار الأطباء والعلماء من الدول العربية وغيرها .

قضاة مصر يطالبون بالشريعة الاسلامية

■ طالب قضاة مصر فى نهاية مؤتمر العدالة الأول الذى انعقد بالقاهرة بالاسراع فى تطبيق الشريعة الاسلامية ، واعتماد مشروعات القوانين المستمدة منها ، ومراجعة كافة القوانين والتشريعات المعمول بها حاليا فى مصر وتعديلها وفقا لأحكام الشريعة الاسلامية .

كذلك طالبوا كليات الحقوق بالجامعات المصرية ومراكز الدراسات والبحوث القضائية بدراسة الشريعة الاسلامية وكيفية تطبيقها .

وصرح المستشار يحى الرفاعى رئيس نادى القضاة المصرى ورئيس المؤتمر : بأنه يجب وضع النص الخاص فى الدستور المصرى بأن الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع موضع التنفيذ .

أنباء وآراء

وقال : إنه ليس من المعقول أن يظل أهم نص فى الدستور المصرى معطلا حتى الأبد ، ولذلك سيتم إنشاء هيئة عليا للتشريع تكون هى المختصة بالعمل على تنفيذ التوصية الخاصة للمؤتمر وتطبيق المادة الثانية من الدستور وتطبيق الشريعة الاسلامية .

الشريعة الاسلامية لا تحتاج إلى إعادة تقنين

■ اكد الشيخ عوض الله صالح مفتى السودان السابق : أن كثرة التعديلات التى أدخلت على الدساتير والقوانين الوضعية إنما هى دليل قاطع على عدم قدرتها أو صلاحيتها لحل مشكلات البشر وتحقيق سعادتهم .

ودعا فضيلته إلى العمل على تكوين أجيال من القضاة الاسلاميين الذين يحسنون تطبيق قواعد الاسلام منهاجاً للحكم بين الناس وأكد أن المجتمعات الاسلامية مهياة تماماً لاستقبال أحكام الله ، ولا مجال مطلقا للتعلل بأية حجج لتعطيل تنفيذ شرع الله عز وجل .

توصيات مجلس المجمع الفقهى الاسلامى

■ عقد مجلس المجمع الفقهى الاسلامى دورته التاسعة المنعقدة فى مبنى رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة لمناقشة موضوع « تفشى المصارف الربوية وتعامل الناس معها » وقد استمع المجلس إلى آراء الاعضاء الذين أجمعوا على أن الربا محرم ثبت بالكتاب والسنة والاجماع وأنه من كبائر الاثم كما اثبتت البحوث الاقتصادية الحديثة أن الربا خطر على اقتصاد العالم وسياسته وأخلاقياته وسلامته وأنه وراء الكثير من الأزمات التى يعانى منها العالم . من هنا اتخذ المجلس عدة توصيات أهمها أنه :

— يجب على المسلمين أن ينتهوا عما نهى الله تعالى عنه من التعامل بالربا أخذا وعطاء والمعاونة عليه بأى صورة من الصور .

— ينظر المجلس بعين الارتياح والرضا إلى قيام المصارف الاسلامية التى هى البديل الشرعى للمصارف الربوية .

— يحرم على كل مسلم يتيسر له التعامل مع مصرف إسلامى أن يتعامل مع المصارف الربوية فى الداخل والخارج .

— يدعو المجلس المسئولين فى البلاد الاسلامية والقائمين على المصارف الربوية فيها إلى المبادرة الجادة لتطهيرها من رجس الربا .

دعوة لانشاء أكاديمية عالمية للدعاة

■ طالبت ندوة « تربية الشباب المسلم » التى عقدت باسلام أباد بإنشاء أكاديمية عالمية لتخريج دعاة متفرغين لخدمة الأقليات المسلمة .

شارك فى أعمال الندوة عدد كبير من

العلماء والمفكرين الاسلاميين ومن أبرز التوصيات التى أصدرتها الندوة :

ــ دعوة الحكومات الاسلامية إلى التوسع فى التعليم الجامعى الإسلامى .

ــ إنشاء مراكز لتحفيظ القرآن الكريم وجعل حفظه شرطا أساسيا للحصول على المؤهل الجامعى .

ــ الدعوة إلى جعل الثقافة الاسلامية مادة أساسية فى مختلف مراحل التعليم المدرسى والجامعى .

ــ إقامة مكتبات إسلامية للشباب والأطفال فى جميع معاهد التعليم .

ــ التنسيق والتعاون بين القائمين والمختصين بقضايا الأقليات الاسلامية .

ــ توفير الرعاية الاسلامية لشباب المبعوثين فى الدول الأوربية .

٧٠ أسرة من المنبوذين يدخلون الاسلام

■ أشهرت سبعون أسرة هندية من طائفة المنبوذين إسلامها أمام علماء المسلمين فى مدينة « بجفور » بولاية « اترابرديش » الهندية وتحدث المسلمون الجدد أمام الصحفيين الأجانب الذين أبْدَوْا دهشتهم من تزايد الهنود الذين يشهرون إسلامهم من طائفة المنبوذين .

وقال رب أسرة من الأسر التى أشهرت إسلامها : إنه هو وافراد أسرته وغيرهم من المنبوذين تعرضوا لاهانات وإيذاءات من الطبقات الثرية من الهنود منذ عصور طويلة وإنهم لا يجدون مكانة لائقة لهم توفر لهم الكرامة والعزة إلا فى ظل الاسلام .

وأضاف رب الأسرة الهندى قائلا : إنه لا مجال للعودة إلى الديانة الوثنية مرة اخرى فتلك الديانة البالية لا تحمى الشرف وتجرد الفقراء من آدميتهم .

اللغة العربية مادة أساسية بالمدارس الألمانية

■ وافق وزير الثقافة فى مقاطعة « سكسونيا » بألمانيا الاتحادية على قيام إحدى مدارس القانون الألمانية بتدريس اللغة العربية كمادة أساسية ابتداء من العام الدراسى المقبل .

كما تمت الموافقة أيضاً من قبل السلطات الألمانية وعلى رأسها وزارة الخارجية الألمانية على إدخال اللغة العربية ضمن مناهج المدارس الثانوية الألمانية . وقد أيد المشروع [هانس يورجين] وزير الدولة الألمانى الأسبق وعضو قيادة الحزب الاشتراكى الديمقراطى الألمانى .

الجدير بالذكر أن الاسلام يعد الديانة الثانية فى ألمانيا الاتحادية حيث يبلغ عدد المسلمين هناك حوالى اثنين ونصف مليون من المسلمين .

أنباء وآراء

صندوق للرعاية الاجتماعية الاسلامية

■ أعلنت اللجنة الاسلامية المشكلة بالمركز الاسلامى بـ [ڤيينا] عن إنشاء صندوق الرعاية الاجتماعية الاسلامية لرعاية أرامل وأيتام المسلمين المقيمين فى جميع أنحاء النمسا . وذلك رغبة فى التعاون والتكاتف والتعاطف بين المسلمين .

وقد أوصى مجلس أمناء المركز الاسلامى فى اجتماعه الأخير بأن تكون الدراسة مجانية للأيتام فى المدرسة التى سوف تبدأ الدراسة بها هذا العام .

وقد دعا بيان اللجنة الاسلامية المسلمين المخلصين للمشاركة المادية والمعنوية فى دعم الصندوق على أن تسلم التبرعات إلى الشيخ [معصوم أيدى] مدير المركز .

تنزانيا تشهد صحوة إسلامية

■ أعلن رئيس وزراء زنجبار أن المسلمين فى تنزانيا يتمتعون بكافة حقوقهم حيث يوجد اكثر من نسبة ٩٨٪ من المسلمين ، وأن كل القيادات فى زنجبار مسلمة والصحوة الاسلامية تبشر بالخير وبخاصة فى ظل حكم الرئيس التنزانى الحالى حيث يسعى إلى تفهم المجتمع التنزانى لحقوقه وواجباته التى اناطه بها الاسلام واضاف رئيس وزراء زنجبار : أن النية متجهة حاليا إلى التوسع فى إنشاء المعاهد الدينية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم حتى يمكن تخريج النشء التنزانى على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

زيادة منح الأزهر لأبناء جزر القمر

■ تقرر إمداد المعاهد والمدارس الاسلامية بجمهورية جزر القمر الاسلامية باحتياجاتها من الأساتذة والكتب الدراسية وزيادة المنح الدراسية المقدمة من الأزهر الشريف لأبناء جزر القمر .

أعلن هذا عقب استقبال فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر لوزير خارجية جزر القمر سعيد كالى الذى زار القاهرة على رأس وفد على مستوى عال .

أول أكاديمية إسلامية فى السودان

■ تقرر فى السودان إقامة أول اكاديمية إسلامية للعلوم التبشيرية وقد اتخذت الأكاديمية من معهد البحوث الاسلامية فى جبل الأولياء مقرا لها حتى ينتهى العمل من مبانيها الجديدة .

تتجة المناهج التى قررت فى الأكاديمية بشكل رئيسى إلى كشف الأساليب الجديدة التى تلجا إليها حملات التنصير كما تبحث كيفية دعم المتضررين من المجاعة والجفاف حتى يمكن تضييع الفرصة على المنصرين الذين يستغلون هذا الوضع لتقديم المعونات والدعاية لأفكارهم .

إعدام ٣ بهائيين فى إيران

■ تم فى طهران إعدام ثلاثة بهائيين : أعدم أحدهم بالرجم حتى الموت وأعدم الآخران شنقا ليصبح عدد البهائيين الذين تم إعدامهم فى إيران منذ مطلع العام الحالى أربعة أشخاص . وكانت حكومة طهران قد وجهت لهؤلاء البهائيين تهمتى الارتداد عن الاسلام والتجسس لحساب الدوائر الصهيونية العالمية .

الاسلام يتقدم كل الأديان

■ اعترف تقرير مسيحى نشره المكتب الصحفى فى « لوزان » أن الاسلام يتقدم على الأديان الأخرى فى العالم . ففى حين حَقَّقَ الاسلام انتشارا بنسبة ١٦٪ حققت المسيحية ٩٪ برغم الحملات التبشيرية كما حققت الهندوسية ١٣٪ والبوذية ١٠٪ وآخر الاحصائيات الدولية تشير إلى أن تعداد المسلمين يأتى فى المرتبة الثانية الآن بعد المسيحيين حيث يبلغ تعداد المسلمين ٨٣٧ مليونا .

■■ مجلة الأزهر : هذه الأخبار وأمثالها تتردد الآن بكثرة والغرض منه أن يجنح المسلمون إلى طمأنينة وتواكل يجد التبشير النصرانى فيهما فرصته فى اقتناص الفقراء ومن لا ثقل دينيا فى ثقافتهم وقلوبهم .. اللهم فاشهد .

بدء المرحلة الثانية فى ترميم الجامع الأزهر الشريف

● بدأت هيئة الآثار المصرية المرحلة الثانية لترميم الجامع الأزهر الشريف بالتعاون مع وزارة الأوقاف وإدارة الجامع الأزهر وسوف تتم أعمال الترميم بالمرحلة الثانية لتشمل الجزء الفاطمى القديم من المسجد الأصلى للمعز لدين الله الفاطمى (٣٥٩ ـ ٣٦١ هـ) وهو الصحن والأروقة المحيطة به بما فيها رواق القبلة والأعمدة والأسقف والأرضيات والشبابيك وجميع العناصر الزخرفية بهذا الجزء بالاضافة إلى الواجهات والأبواب الرئيسية .

صندوق النقد الدولى يشيد بالنظم المصرفية الاسلامية !!

أشاد مقال نشره صندوق النقد الدولى فى مجلته المتخصصة بالنظام المصرفى القائم على تعاليم الاسلام التى ترفض الفائدة على القروض مشيراً إلى أن هذا النظام اكثر استقراراً من النظم المصرفية الغربية القائمة على الربا .

وذكر المقال أن عدداً كبيراً من الدول الاسلامية يتجه فى الوقت الراهن إلى تكييف نظامه الاقتصادى بطريقة تسمح بتطبيقه بصورة أكبر لتعاليم الاسلام .

أنباء وآراء

مبارك ووزير الأوقاف المغربى والدعوة الاسلامية

اكد الرئيس حسنى مبارك اهتمامه بدعم التعاون فى مجالات الدعوة الاسلامية بين مصر والمغرب واستعرض الرئيس خلال استقباله مؤخراً للدكتور / عبد الكبير العلوى وزير الأوقاف المغربى والدكتور / الاحمدى ابو النور التعاون بين البلدين فى مجالات تدريب الأئمة وتبادل المطبوعات .

٩ ملايين جنيه للدعوة الاسلامية وبناء مساكن لأئمة المساجد بالمحافظات

تقرر إدراج مبلغ ٦ ملايين جنيه كاعتمادات إضافية بميزانية وزارة الأوقاف للإنفاق على الدعوة الإسلامية و٣ ملايين جنيه لبناء "٢٠٠" وحدة سكنية لأئمة المساجد بالمحافظات .

رسالة جامعية عن جرائم غير المسلمين وعقوبتها فى الفقه الاسلامى والقانون الوضعى

نوقشت فى كلية الحقوق جامعة القاهرة رسالة (الدكتوراه) المقدمة من الباحث محمد نبيل سعد الشاذلى المدرس المساعد بقسم الشريعة الاسلامية بالكلية وموضوعها [جرائم غير المسلمين وعقوبتها فى الفقه الاسلامى والقانون الوضعى] وقد أكدت الرسالة على أن غير المسلمين يعيشون فى المجتمع الاسلامى آمنين مطمئنين لا يكرهون على اعتناق دين وتظل الحماية الاسلامية مرفرفة عليهم طالما التزموا بما يجب عليهم من واجبات إزاء ما ينالون من حقوق .

من خير ما كتب

عبد الفتاح السيد عبد السلام

الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي

الإعلام الديني لرمضان في الميزان

■ الاذاعة ، مسموعة ومرئية ولرمضان فلسفة واضحة لا جدال فيها ، فقد شرع الصوم في هذا الشهر المبارك ليعطي المسلم درسا في التقشف والاحتمال ، ومواجهة الصعاب ، والتكامل الاجتماعي العطوف ، وهذه الاهداف بعيدة كل البعد عن الروح العامة التي تسيطر على ما تفرزه الاذاعة والتليفزيون معا من مسلسلات وافلام وفوازير ، وأحاديث للتسلية يقطع بها الوقت دون جدوى ، سوى اشغال الجمهور بما يرى ويسمع فحسب .

وأنا صادق مع نفسي حين أتجاوز ما ذكرت فأعلن أن الاهداف التي ينتجها العمل الاذاعي ليست بعيدة عن روح رمضان فقط ، بل انها مضادة له كل التضاد ، إذ تصدم الروحية في صميم الصميم .

فالفوازير إذا كانت في منطق بعض الناس سمة ضرورية لرمضان ، فيجب أن تدور حول الجو الروحي للصائم بأن تتجه إلى الاجابة عن فكرة خلقية أو معرفة شخصية اسلامية أو دلالة آية قرآنية أو حديث نبوي ، هنا تكون الفوازير قد ساعدت على إنماء ثقافة دينية يتسع لها محيط الشهر الكريم .

أما المسلسل الذي يبهر الناس بأضوائه وزخارفه ورقصه وخلاعته فيما يسمى بألف ليلة وليلة فأي صلة لرمضان به إلا أن يكون تحطيما لمبادىء الصيام الداعية إلى التقشف والقناعة والصبر والاحتمال .

أنا أعرف أن صديقي الكبير الأستاذ طاهر أبو فاشا كما حدثني أكثر من مرة لا يتقيد بالنص التاريخي لألف ليلة وليلة ، ولكنه يفسح لخياله أن ينطلق كما يشاء ، ويستطيع هذا الفنان المبدع أن يجعل مسلسل ألف ليلة وليلة ذا هدف إسلامي وطابع رمضاني ، حين يعكس الصورة التي نشاهدها الآن إلى ضدها المقابل ، فتكون الاحداث ذات دلالات اسلامية تؤكد معاني الفضيلة والعفاف والطهر ، ولكن القائمين على الاذاعة لا يرحبون بغير ما اعتادوا إبرازه من حلقات

من خير ما كتب

راقصة هابطة ذات بذخ واسراف يدعو إلى التساؤل الحائر ..

ولعل هذا ما حدا بصديقى الكبير الدكتور مصطفى الشكعة عميد كلية الآداب السابق أن يطالب بوقف المسلسل فى شهر رمضان ، والذين عارضوا منطقه قد كتبوا فى الصحف أن الرقص الاستعراضى فن حضارى ، وقد

فات هؤلاء أن يعرفوا أن هذا الرقص الذى يؤثرونه بخلاعته واسفافه وهبوطه وبذخه لا يمت إلى رمضان فى شىء ، وأن إلصاقه بشهر رمضان مفسد لكل حكمة جاء بها الشرع ، فى أداء هذه الفريضة ..

أما المسلسلات الدينية فبعضها جيد مناسب ، وأكثرها مما هيىء تهيئة خاصة لشهر الصيام على عجل ففقد روح الفن وأصبح شبيها بالخطب الرنانة ذات الفرقعة الموقوتة .

والأولى أن نعرض أفلاما ذات صدق ، وقد وضعت أساسا لتؤدى دورا اسلاميا لا يتقيد بزمن ، مثل رواية وإسلاماه ، وما ينحو منحاها !

ويخيل إلى أن المسرح الاسلامى يفتقد الممثل المناسب ، إذ كيف يدعو إلى المثالية فى رواية رمضانية ممثل عرفت عنه مخالفة الروح الاسلامى فى روايات أخرى ؟ وكيف يرتفع فى موقف ليهوى فى مواقف ؟ ان الممثل الكبير الذى مثل عيسى عليه السلام فى رواية [ملك الملوك] لم يمثل سواه فى رواية أخرى تمسكا بقمة عالية لا يجب أن ينحدر إلى مادونها ! فهو إذن فنا ملتزم ذو اهداف ، وهذا فى الغرب غير الملتزم ، فما بالنا نحن ؟!

وإذا كانت الاذاعة قد أكثرت من الاحاديث الدينية فذلك مما يحسب لها دون شك .

فالرسالة خطيرة ، والمشاهد والسامع متيقظان ، والله من ورائهم محيط ..

الأستاذ فؤاد شاكر

الإسلام والذوق العام

الإسلام دين حنيف ، ومنهاج حياة ، ومبعث حضارة . وهو اذ يوجه للخير مسار الفرد وشريعة المجتمع ، لا يغفل جانبا اساسيا من جوانب الرقى الاجتماعى وهو الذوق العام .

وقد يظن أن هذا يجىء أمرا ثانويا ملطفا أو مخففا من إيقاعات الحياة اليومية الضاغطة .. لكنه فى جوهره ومغزاه أبقى أثرا وأعظم شأنا .. والا لما كان الإسلام بالتحية فرضاً تؤكد السنة الشريفة إفشاءه ، ولما كان الاستئذان فى الدخول فرضاً توضح السنة الشريفة أبعاده ، ولما كان خفض الصوت فرضاً تطلب السنة الشريفة مراعاته ، ولما كان التطهر فرضاً تزين السنة الشريفة أبهاءه ، ولما كان احترام مشاعر الآخرين وحرماتهم فرضا تثبت السنة الشريفة لواءه .. وهكذا .

أليس من أجل تهذيب « الذوق العام » يأمر القرآن أو ينهى بمثل قوله تعالى :

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ أو ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ أو ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ أو ﴿ اغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ أو ﴿ واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أو ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا ﴾ ... وهكذا ؟

يروى الشيخان وغيرهما من أئمة الحديث والسيرة : أن النبى ﷺ كان يبدأ من يقابله بالسلام . ويبادر أصحابه بالمصافحة . ويشد قبضته حين يأخذ بيد أحدهم .

ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه . وكان يداعب الرجل من أصحابه إذا رآه مغموما . وكان لا يلتفت إلى أصحابه وهم يتسامرون مخافة أن يراهم يمزحون فيستترون حياء منه . وكان يكرم من يدخل عليه ويبسط له رداءه ليجلس فوقه وليس بينه وبينه قرابة .

ويعلمهم لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم ويحذرهم لا يحل لأحد أن يفرق بين اثنين [فى المجلس] الا باذنهما لا يتناجى اثنان دون واحد [أى يتحدثان همساً

وشخص ثالث يجلس معهم] ثم يقول : « إن من إجلال الله ، اكرام ذى الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير المغالى فيه ولا الجافى عنه ، واكرام ذى السلطان المقسط » .

حين نغفل « مقومات » و« منشطات » الذوق العام ، تجف الروابط وتذبل المحبة وتفسد العلاقات فى الناس فيتبرمون ، ويضيقون بأنفسهم وبالآخرين وكأنهم يختنقون .

الأستاذ محمود مهدي

حديث كل صيف

لعله من الحديث المكرر المعاد ، أن نهيب مع بداية فصل الصيف من كل عام بالمسئولين فى وزارات الأوقاف والتربية والتعليم العالى والمجلس الأعلى للشباب ، أن ينسقوا فيما بينهم لوضع برامج توعية دينية لتلاميذ المدارس وشباب الجامعات والمعاهد العليا يعالج خلال فترة الأجازة الصيفية القصور الموجود فى مناهج التربية الدينية بالمدارس ، والغائب فى الجامعات والمعاهد العليا .

فى كل موسم صيف منذ عدة سنوات نقول نفس الكلام ، ولأن شيئاً حقيقياً أو عملاً ملحوظاً لم يتم حتى الآن ، فإننا مضطرون إلى أن نعيد الكلام ، ونكرر القول ، ونذكر بأهمية الموضوع ﴿ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ،

ولعل هذا الصيف يشهد نشاطاً فى التوعية الدينية لم تشهده فصول الصيف الماضية .

إن فترة الأجازات يجب أن تستثمر بشكل جماعى ومنظم ووفق برنامج متكامل يستهدف

جذب الشباب إلى المساجد والمدارس والكليات والنوادى وانتظامهم فى حلقات توعية دينية صباحية ومسائية يختار لها أكفأ العلماء وأكثر المفكرين الاسلاميين قدرة على جذب الشباب ، وأشدهم حماسة لتزويد هؤلاء الشباب بالزاد الدينى الذى يأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم ، ويجعلهم يتصرفون وقف التعاليم الصحيحة لهذا الدين القيم الذى أراده الله رحمة بالعباد .

اعتقادى أنه لا يوجد فى مصر أو فى العالم الإسلامى شاب يفهم دينه حق الفهم ، ثم يمارس عنفاً فى الدعوة .. فالدعوة فى جوهرها حكمة وموعظة حسنة ، وكلمة طيبة تأخذ سبيلها إلى القلوب قبل الأذان فترقفها وتسمو بأصحابها ليصبحوا من عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

الأستاذ نجيب محفوظ

وجهة نظر
قيم صالحة لكل زمان ومكان

حديث اليوم لا جديد فيه ، حديث يعرفه كل مسلم مهما تكن درجته فى ثقافته الدينية ، حديث فى ثقافته الدينية ، حديث أفتن الدعاة والمفكرون فى عرضه وتقديم الشواهد على صدقه من القرآن والحديث وأقوال التابعين وأفعال الولاة الصالحين ، فما هو هذا الحديث .

قالوا : إن ركيزة الإيمان وهى شهادة لا اله إلا الله تعنى تحرير الإنسان من أى ربقة أو عبودية أو سلطة دنيوية ، فالمسلم حقا هو الحر حقا الذى لا يستعبده فرد أو نظام أو شهوة .

وقالوا : إن الإسلام يحث على العلم ويكرم العالم ويؤثره بالفضل والعزة ، فالمسلم حقا ينبغى أن يكون عالما أو محبا للعلم والعلماء .

وقالوا : إن الإسلام يدعو إلى التفكير والتأمل ويقدس العقل فالمسلم حقا هو المفكر أو من يتخذ من التفكير نبراسا وهداية فى حياته .

وقالوا : إن الإسلام يحرض على العمل حتى ليفضله على العبادة فالمسلم حقا هو العامل المجد المخلص لعمله المتقن له ..

هكذا يقول الدعاة والمفكرون ويقدمون الشواهد من القرآن والسنة والتاريخ .

وكما قلت : فلا يجهل ذلك مسلم مهما تكن درجته فى الاطلاع على دينه . ولكننا نفتقد تلك القيم فى حياتنا اليومية أو لا نجدها بالحضور الذى يجب أن نحظى به بين قوم عرفوا من قديم بالتدين والتقوى . وكأنها معارف من الثقافة التى يطلع عليها المطلعون ثم يمضون إلى غيرها فى سرور ودعة ولا مبالاة . والحق أنها يجب أن تستقر فى قلوب الأبناء منذ الصغر ، وتجرى مع دمائهم ، وتتردد مع

أنفسهم ، كي تنعكس في سلوكهم اليومي وتتفرد بآثارها شخصياتهم . وهذه هي مهمة التربية ورسالتها ، وواجب أولى مما ينبغي أن تضطلع به وزارة التربية وأجهزة الاعلام والآباء . وبها يحق لنا أن نقول إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان .

الأستاذ أحمد زين

بلا مشاكل

هناك بعض المفاهيم الخاطئة التى نراها فى وسائل الإعلام .. سواء كانت فى السينما أو فى الأفلام التى يعرضها التليفزيون .. وتكون أصلا منتجة للسينما .. هذه المفاهيم الخاطئة تمس جوهر الدين الاسلامى فى معناه .. ومن هذه المفاهيم استخدام الآية الكريمة .. أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ..

فى أن تكون الطاعة فى معصية الله وهو مفهوم لا يتمشى مع ما يأمر به الدين .. والله

لا يأمر بالفحشاء والمعصية أبدا ولا يجيزها .. فاذا كان ذلك هو الحقيقة ..

فكيف يجاز لمخلوق أن يرتكب مثل هذه المعاصى مستندا إلى القرآن الكريم .. ومع ذلك فقد رأينا كيف استغلت هذه الآية جهلاً

أو عمدا فى فيلمين أو أكثر ... أحدهما عرض فى التليفزيون وهو فيلم الزوجة الثانية .. وكان أحرى بالرقابة أولا أن تعترض على هذا المفهوم الخاطىء فى انتاج مثل هذا الفيلم ..

والعجيب إن هذا المفهوم الخاطىء مازال مستمرا .. وهناك فيلم آخر حديث عن الفتوات وهو التوت والنبوت .. استخدم نفس المفهوم .. وهناك فيلم ثالث .. تلقيت عنه عشرات الخطابات وهو فيلم اسمه حب فوق هضبة الهرم .. ويحاول هذا الفيلم أن يصور الاسلام بالعجز عن حل مشاكل المجتمع ..

فيسأل بطل الفيلم أحد رجال الدين عن رأى الدين فى الزواج وعندما يخبره برأى الدين فى الزواج يقول إنه يريد شقة ليتزوج فيها ..

والحوار بهذه الطريقة خاطىء تماما . **ذلك أن الذي يريد حلا اسلاميا يجب أن يطبق من البداية منهجا اسلاميا فلا آتى بقوانين وضعها البشر .. وعقدت الأمور .. وخلقت مشاكل كثيرة .. ثم آتى بعد ذلك وأقول ما هو الحل الإسلامى .. وإنما إذا أردنا الحل الإسلامى لأى** . شىء فيجب أن نأخذ الإسلام ككل وليس كجزء .. ولست أدرى لماذا اقحمت هذه اللقطة فى هذا الفيلم

إقحاما .. فهى لاتتصل بالموضوع من قريب أو بعيد ..

وعلى أية حال .. فلقد نبهتنى خطابات القراء إلى هذه الأفلام .. فأتيت بها وشاهدتها .. وتبينت أن خطاباتهم كانت على حق .. وأن اقحام مثل هذه المسائل التى تثير مفهوما خاطئا عن الدين الإسلامى .. لابد أن يتوقف .. ذلك أن هناك ردودا كثيرة عليها يمكن أن تكتب وتقال .. ولكى يكون هناك على الأقل وعى دينى لايقلب حقائق الإسلام ..

ويظهر الدين مرة بأنه يدعو للمعصية .. ومرة بأنه عاجز أمام مشاكل العصر ..

رسالة قارئ

﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

كتب السيد الأستاذ / أحمد على المرسى الجيزاوى رئيس مخازن التصدير بشركة مصر للغزل والنسيج / المحلة الكبرى إلى رئيس التحرير بالكلمة التالية

الأستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكل عام وأنتم بخير وصوم مقبول إن شاء الله ، وبعد .

إن مجلة الأزهر تطلع علينا فى غرة كل شهر عربى بما تحويه من فهم وفقه وفكر عميق ودعوة صادقة حقة لديننا الإسلامى الحنيف ، وبعد أن مضى على صدورها ثمانية وخمسون سنة من عمرها المديد - إن شاء الله - لا تزال شامخة قوية بعطائها المتجدد الغزير على ساحة الفكر والثقافة العربية والإسلامية وعلى امتداد العالم العربى والإسلامى .

ونظراً لما يتعرض له الإسلام فى الفترة الراهنة من هجوم شرس يحمل بين طياته كيد الأعداء وتدبيرهم وتخطيطهم وادعاءاتهم الخبيثة ضد مفاهيم الإسلام السمحة الحقة حتى شمل هذا الهجوم كل ساحات وميادين الفكر والثقافة الإسلامية على امتداد العالم العربى والإسلامى ، وخلف وراءه العديد من الكتب والدوريات التى تدعو إلى أفكاره المسمومة ونظرياته الهزيلة ومفاهيمه المريضة مثل : (البهائية والماسونية والصهيونية والروتارى والشيوعية والصليبية وغيرها) ، وكم نأسف لما جاء بين مؤلفى هذه الكتب والدوريات من أسماء بعض مواطنى (مصرنا العزيزة) متأثرين بهراء وثقافات معلميهم من الغرب والدول الأخرى المعادية للإسلام والمسلمين .

ولما كان الأمر كذلك زاد أملنا فى أن تخصص مجلة الأزهر بمكانتها وإمكانياتها مساحات كافية على صفحاتها الوضاءة لدرء هذه الهجمة الشرسه الخبيثة ومناقشة هذه الكتب والدوريات الضالة المضللة وتفنيد ما تحويه من أفكار مسمومة ومفاهيم خاطئة منحرفة وكشف الأقنعة عن وجوه كالحة طال الانتظار عليها دون جدوى أو حياء .

وحتى نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق .

فيكون العلو والعلياء لكلة الله دائماً وأبداً .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

مجلة الأزهر :

نحيط القارىء الفاضل - بعد تحايتنا - علما بأن الأزهر قد أصدر أكثر من دورية عنيت بالحديث عن البهائية والماسونية . كذلك نشرت مجلة الأزهر ثلاث مرات فتوى الأزهر فى نوادى الليانز والروتارى وحرمة الانتساب إليها أو المشاركة فى نشاطها المريب ، كذلك نسوق للأخ الفاضل نبأ البدء فى اختيار لجنة من العلماء لتقدم الكلمة الفاصلة فى البهائية عن موازين علمية بحتة ، كذلك ، فإننا نرجو الله الكريم ألا نقصر فى طلبك ، وأن نقدم مقترحاتك مقالات علمية نافعة إن شاء الله .

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

العلوم الكونية

■ اللغة والأدب والنقد

القسم الانجليزى

مراجعة وعناوين داخلية

الأستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا

"... Say: I believe in the Book which God has sent down; and I am commanded to judge justly between you. Allah is our Lord and your Lord. We stand responsible for our deeds, and you for yours. There is no contention between us and you. Allah will bring us together, and to him is the final goal.

(Surat Al-Shura, XLII, 15)

In accordance with the very honourable status given the Prophet (Prayers and peace be upon him) in the Holy Qur'an; Muslims pay more honour to this Apostle who was the purest, the reatest, and most notable of all men.

The remaining attributes of the Prophet (Prayers and peace be upon him) will be discussed in forthcoming articles.

"They ask thee how much they are to spend say: What is beyond your needs."

(Surat Al-Baqara, II, 219)

"They ask thee concerning orphans Say: The best thing to do is what is for their good..."

(Surat Al-Baqara, II, 220)

"They ask thee concerning the spirit Say: The spirit is within the command of my Lord..."

(Surat Al-Isra, XVII, 85)

"They ask thee about the hour - when will be its appointed time."

(Surat Nazi;at, LXXIX, 42)

F. Information of the Proper Way to call for Allah

The exact methodology by which the Prophet (Prayers and peace from Allah be upon him) performed the call to Allah has been well instructed. This information was gradually revealed in the Holy Qur'an.

"O thou wrapped up, arise and deliver thy warning, and thy Lord do thou magnify."

(Surat Muddathir, LXXIV, 1-3)

"Say thou: "This is my Way: I do invite unto Allah, on clear exidence as seeing with one's eyes. I and whoever follows me Glory to Allah, and never will I join gods with Allah."

(Surat Yusuf, XII, 108@

"Invite (all) to the way of thy Lord with wisdom and beautiful preaching; and argue with them in ways that are best and most gracious. Your Lord knoweth best who have strayed from his path."

(Surat Al-Nahl, XVI, 125)

> speak justly even if a near relative is concerned. Fullfil the covenant with Allah. Thus doth He commands you that you may remember."
>
> (Surat Al-Anam, VI, 151-152)

D. Manners and Moral Conduct

The Holy Qur'an directs the Prophet (Prayers and peace from Allah be upon him) to present the believers with a code of good manners and ethetical behaviour and conduct. The Holy Qur'an in this context states:

> "Say to My subjects that they should only say those things that are best..."
>
> (Surat Al-Isra XVII, 53)

> "Say to the believing men that they should lower their gaze and guard their chastity. That will make for greater Purity for them..."

> "Say to the believing women that they should lower their gaze and guard their chastity. That they should not display their beauty and ornament..."
>
> (Surat Al-Nur, XXIV, 30, 31)

E. Provisions of Answers to Questions Asked

Several versed in the Holy Qur'an indicate that Allah provided the Prophet with answers to questions put forward by unbelievers, and by Jews. These questions were spiting and challenging, and not enquiries in pursuit of knowledge. From such verses, the following are quoted.

> "They ask thee concerning wine and gambling Say: In them is great sin and some profit for men; But the sin is greater than the profit."
>
> (Surat Al-Baqara, II, 219)

what is evil. They observe regular prayers (Salat) and practice regular charity (Zakat), and they obey Allah and His Apostle."

(Surat Al-Taubah, IX, 71)

"O you who believe, Fasting is prescribed to you as it was prescribed to those before you, that you may learn self-restraint."

(Surat Al-Baqara, II, 183)

"And complete the Hajj and Umra in the service of Allah. But if you are prevented from completing it; send an offering for sacrifice.".

(Surat Al-Baqara, II, 196)

"...Pilgrimage thereto is a duty men owe to Allah; those who can afford the journey..."

(Surat Al-Imran, III, 97)

C. Defining the Forbidden

The Holy Qur'an gives precise legislation and definition of all that is Forbidden. This is well indicated in several verses spread through out the Holy Qur'an. However, in Surat Al-Anam, two verses indicate several of the matters considered highly forbidden. In the text of the Holy Qur'an.

"Say: Come I will releaves what your Lord has prohibited you from. Not to join Anything as equal with him. Be good to your parents. Kill not your children on a plea of want. We provide sustenance for you and for them. Come not night to shameful deeds whether open or secret. Take not life which Allah has made sacred; except by way of justice and law. Those are what was commended to you - that you may learn Wisdom."

"And come not nigh to the orphan's property, except to improve it, until he attains the age of full strength. Give proper measure and weight with full justice. No burden do We place on any soul but that which it can béar. Whenever you speak,

"Say: He is Allah, the One and Only; Allah, the Eternal, the Absolute He begetteth not, nor is He begotten And there is none like unto Him."

(Surat Al-Baqara, II, 285)

"Say we believe in Allah and in what has been revealed to us and what was revealed to Abrahim, Ismail, Issac, Jacob and the Tribes. And in the books given to Moses, Jesus and the Prophets from their Lord. We make no distinction between one and another and to Allah we submit in Islam."

(Surat Al-Imran, III, 84)

B. Obligations of Worship (Ibadat)

These obligations of Worship include prayer (Salat), giving out charity (Zakat), observing the fasting of Ramadan, and performing Hajj if possible.

"And cover not Truth with falsehood, nor conceal the Truth when you know. And be steadfast in holding prayer (Salat) And practice regular charity (Zakat) And bow down your heads with those who bow down in worship."

(Surat Al-Baqara, II, 42, 43)

"And be steadfast in holding prayer (Salat) and practice regular charity (Zakat) And whatever good you send forth for yourselves, you shall find it with Allah..."

(Surat Al-Baqara II, 110)

"Faith and righteousness is the belief in Allah, and the Last Day, and the Angels and the book (of revelation) and the Messengers, and to spend out of your substance out of love for Him..."

(Surat Al-Baqara, II, 177)

"The Believers, men and women are protectors of one another: they enjoin what is just, and forbid

their life, becomes acquainted with their doings, and sympathises with their joys and sorrows. To this effect, the Holy Qur'an states.

> "And the Apostles whom We send before thee were all Men who ate food and walked throught the streets..."
>
> (Surat Al-Furqan, XXV, 20)

Again, the Holy Qur'an states that Prophets who have had wives and children have been sent before Muhammad (Prayers and peace from Allah be upon him).

> "We did send Apostles before thee and appointed for them wives and children. And it was never the part of an Apostle to bring a sign Except as God permitted..."
>
> (Surat Al-Raad, XIII, 38)

IV. <u>The Provision of Guidance and Teaching</u>

The Holy Qur'an is very rich with statements of guidance and teaching from Allah to the Messenger (Prayers and peace from Allah be upon him). The Qur'anic verses which include the imperative verb "Say" number more than four hundred. Such provisions of guidance and teachings takes several forms. It includes the essentials of faith, obligations of worship, definition of the forbidden, prescription of manners and moral conduct, provision of answers to questions asked, and information to the Prophet of the proper way to call for Allah. Texts from the Holy Qur'an will be quated to exemplify these aspects.

A. <u>Essential of Faith</u>

This includes belief in Allah, the Angels, the sacred books, the Prophets, and the Hereafter. Some of the verses of the Holy Qur'an dealing with matters of faith are:

"And if you are in doubt as to what We have revealed to our servant, then bring a chapter like it and call in your witnesses besides Allah if you are so truthful."

(Surat Al-Baqara, II, 23)

Several false claims and accusations were made by the unbelievers against the Prophet and the Message. The Holy Qur'an gives statements which basically refute and reject these claims and accusations.

The Holy Qur'an quotes the unbelievers addressing the Prophet, and further comments on their desires.

"They say "why is not an angel sent down to him?" If We did send down an angel, the matter would be settled at once and no respite would be granted to them."

"If We had him an angel, we should have made him a man, and confused them just as they confused themselves."

(Surat Al-Anam, VI, 8-9)

Again, the Holy Qur'an refutes the objection put forward by the pagans that the Prophet is an ordinary individual.

"And they say "What sort of Apostle is this, who eats food, and walks through the streets? Why has not an Angel Been sent down to him, to give admonition with him."

See what kind of comparisons they make for thee! But they have gone astray, and never a way will they be able to find."

(Surat Al-Furqan, XXV, 7,9)

To such statement, the Holy Qur'an gives the answer, that a teacher to mankind should be of the same nature, mringles in

THE PROPHET MUHAMMAD IN THE HOLY QUR'AN THE MAN AND THE APOSTLE*

Translated by
Dr. Ahmad Shafik El-Katib, Ed.D.

Part-II

In a previous article on the same subject, two aspects were discussed, namely, the Prophet as a conferred favour, and the unique gifts of the Prophet. In this present article, further aspects of the same subject will be considered.

III. The Confirmation of Prophethood upon Muahmmad

The Prophet (Prayers and peace from Allah be upon him) was highly esteemed and reputed among his people to have been very truthful; calling him the honest (Al-Amin). The pagans of Makkah, however, met his call to believe in the Revelation and in Allah, with rejection and antipathy accusing the Prophet of lying. For this reason, Allah provided proof in support of the truthfulness of the Prophet in everything, and in every letter of the Revelation the Prophet came with. In this context, the Qur'an states:

* Excerpts taken from Dr. Muhammad El-Sayed Tantawy's Arabic article, presented at the 4th conference on Sira and Sunna, which was held in Cairo on Safar 18-24, 1406 A.H. (November 1-7, 1985 A.D.)

prayer not only to show us the right path but to protect us in time against our own self-will and wilfull blindness in rejecting what we know is right.

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

Verse 7: (Sirat Alletheena an'amta 'alayhim, ghairi al-maghdubi 'alayhim, wa la dhaleen)

"The way of those on whom thou hast bestowed Thy grace, those whose (portion) is not wrath, and who go not astray."

This last verse of al-Fatiha explains what we ask Allah to protect us against, our own self-will and wilful blindness, also against simple indifference and straying because of negligence, because both self-will and indifference lead away from Allah. Sin for a Muslim is simply forgetting God, because experience shows us that this results in evil.

This last verse of the Fatiha is introduced by a prayer for guidance so we can follow the example of those who love Allah and have thereby become instruments of Allah's Will in building a better world of justice and peace.

1 The Holy Qur'an Text, Translation, and Commentary by A. Yusuf Ali (Maryland: Amana Corp. 1983), (41:43)

2 Ibid., (2:53)

3 Ibid., (5:49)

4 Ibid., (69:51-51)

5 Ibid., (39:75)

four verses, one's mind is sufficiently elevated above the distractions of the world to worship Allah.

This verse has two parts:

a. إِيَّاكَ نَعْبُدُ, is the emphatic form that means that we worship God alone, and reject all else as an ultimate goal in life or rival to Allah. By this we acknowledge to Allah that in all His attributes He is infinitely above anything we can possible imagine and that we are dependent entirely on His Love and Mercy for granting us whatever understanding we have of Him, and of everything.

b. وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝, means "You alone do we ask for help." By this the Muslim confesses his belief that there are no intermediaries between the individual soul and Allah. The Muslim does what he can to follow Allah's Will and to do what he thinks is right, but he admits that his success and failure in every undertaking is, in the last analysis, entirely up to Allah, Who knows and plans the future. This is why Muslims always says "insha' Allah", meaning "God willing" or doing anything.

Verse 6: (Ihdinas sirat al mustaquim) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝
"Show us the straight path"

This is a prayer for guidance asking Allah to show us the difference between right and wrong, because to know this we cannot trust entirely ourselves alone. We must rely on Allah as He reveals His Will through our conscience, through the certain revelations of the great Judeo-Christian prophets and the Qur'an, and through both intuitive and experimental or scientific study of the harmonies and beauties of nature, including ourselves and human history. This is also a

Verse 3: (Al-Rahman, al-Rahim) الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ۝

"Most Gracious, Most Merciful"

In a different context, this gives more enlightenment on the first verse. There is no repetition in the Qur'an, but only further elucidation through contextual development.

Verse 4: (Maliki Yawm al-Deen) مٰلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ ۝

"Master of the Day of Truth (or Last Judgement)"

This middle verse of the Fatiha emphasizes that Allah is All-Powerful and Just. At the end of time, at the Last Judgement, there will be a new world in which He will reveal to every person the full nature of the eternal truths and values and the full extent of his or her acceptance or rejection of these truths. Those who have made an effort to know, to love, and to submit to Allah will be rewarded. Anyone who erred or was weak but asked Allah while still on earth to forgive him whatever he has done wrong will be shown infinite mercy.

Anyone who deliberately rejected whatever knowledge was available to him, and worshipped himself, or wealth, or power, or any intellectual concept, like the various forms of technological determinism, or anything else as an ultimate value in defiance of Allah or as a rival to Allah, will receive perfect justice and be denied and punished.

Verse 5: (Iyaka na'budu, wa iyaka nasta'een) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ ۝

"We worship you, we ask you for help"

After contemplating the attributes of Allah in the first

rather is perfect good, perfect love, and infinite compassion.

b. رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ,Rabbi al 'Alamin, "Cherisher and Sustainer of the Worlds." The word Rabbi is usually translated as Lord, but Rabb means Sustainer. Allah created the world constantly plays a creative role in it by sustaining, guiding, and renewing all that He has created. All existence is in constant flux under the guidance of Allah. The meaning of the phrase, Rabbi al 'Alamin, is indicated in many places in the Qur'an. Some traditional commentaries interpret this as a reference to the three orders of beings, the nasut (our three-dimensional world), the malakut (the invisible world of the angels), and the lahut (a still higher world incorporating the entire divine world of reality). This verse may refer to all beings created to know and love Allah, on all the planets in all the galaxies of our universe, who will come together for judgement on the Last Day.

This verse emphasizes the nature of Islam as a universal religion with no exclusiveness or narrowness or selfishness in its approach to any person. Islam acknowledges that in its origin each of the other major religions is divinely revealed, though the original message revealed indirectly through the prophets' own understanding has been diluted and partially forgotten over time. And Islam recognizes that in various degrees the spiritual leaders of all religions reflect the truth, beauty, love, mercy, and guidance of God, though none of them nor all together can compare with the unlimited depth and breadth of the Word of Allah revealed directly in the Holy Qur'an.

the Merciful and Constant Sustainer of man and of all His creation, and as the Origin and End of all love both on earth and in heaven.

These three attributes of Allah, to the extent we can understand them, that is, His Nature as beyond Being, as the origin of existence, and as the origin and end of all love, are the basis of all knowledge. Without these three, which are the first of the ninety-nine attributes of Allah revealed in the Qur'an, nothing in Islam makes sense.

As an introduction to the Qur'an, this first verse of the first sura means that Allah, not man, is the Source of all truth and of all principles of knowledge. This first verse means that Allah therefore is the Ultimate Sovereign, the Source of all moral value and authority, the center of our being, and the purpose of our life. This is true for us as individual persons and as members of the human community at all levels, beginning in the nuclear family of husband and wife, which is the basis of all social life.

Verse 2: (Al Hamdulillah, Rabbi al 'Alamin) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝
"Praise be to God, the Cherisher and Sustainer of the Words"

This verse has two parts:

a. ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ, Al Hamdulillah, "Praise be to Allah." It is stated in the revelation that after the Last Day of Judgement "the cry on all sides will be 'Praise Be to Allah, Lord of the Worlds.'"(5) This describes the atmosphere of the final bliss in heaven in the direct presence of Allah. And it points to Allah Whose Nature is not terror and revenge but

truth, revealed in the Qur'an, encourages the Muslim to transcend the secular academic disciplines, which are without any moral purpose and value, and thereby liberates human thought from the worship of other than Allah. The Qur'anic conceptualization of truth and knowledge into Haqq, 'Ain, and 'Ilm thereby makes available to modern man the unity of knowledge, personality, and society in Tauhid, which secular man seeks but now increasingly knows he can never find within the illusion of his own man-made universe.

These three Qur'anic sources of knowledge or truth, are best summarized in the first sura or the Qur'an, known as al-Fatiha, which means "the opening." Al-Fatiha is considered to be the Fount of Wisdom, because it is a seven-verse condensation of the entire Islamic scriptures. All sincere Muslims recite it, at the beginning of the canonical prayers, five times every day.

Each of al-Fatiha's seven verses has unlimited depths of meaning.

Verse 1: (Bis'm Allah al-Rahman al-Rahim) بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

"In the name of God, Most Gracious, Most Merciful"

This verse has three parts:

a. بِسْمِ اللهِ , Bis'm Allah, "In the name of Allah," refers to God as the ultimate reality.

b. الرَّحْمٰنِ ,Al-Rahman, "Most Gracious," refers to God as the Creator of the observable universe and as the Ultimate Power in it. Allah is the Original Cause of everything we can perceive, and everything derives its reality and meaning exclusively from Him. Existence itself is a continuing grace or gift of Allah.

c. الرَّحِيْمِ ,Al-Rahim, "Most Merciful," refers to Allah as

Allah is Revelation, which consists of prophecy or public revelation through the great prophets and of inspiration or private revelation to each person for his own personal guidance in life. This source of truth is known as Haqq al Yaqeen.(4)

The second less direct source of truth is observational or experimental knowledge, known as 'Ain al Yaqeen. This may be divided into the "signs (ayat) of Allah" or natural sciences, and the "worship of Allah (ibadat)" or human sciences. The human sciences, in turn, may be divided into human nature or fitrah, human community or umma, art (including education), and history. History revives and guards the human sciences, because it combines the other three as a source of wisdom and is designed to make the Divine Message incarnate in the future. In the Qur'an, history functions to help persons motivate, mobilize, and transform self and society so that both may attain their true identity in accordance with the Will of Allah.

The third, most indirect, source of truth is intellectual knowledge. Since this is indirect, it includes only the product of the rational mind, that is the processing of knowledge gained from the study of Revelation, the physical universe, and man. This third source of truth is known as 'Ilm al Yaqeen and consists essentially of the shari'a, a hierarchy of three levels of purpose, deruriyat (essentials of higher purposes), hajjiyat (instrumental needs or goals), and tahsiniyat (specific requirements or low-level objectives and courses of action).

This tripartite conceptualization of the sources of

Revelation to Prophet Muhammad (PBUH) emphasized that "nothing is said to you that had not been said to other apostles before you."(1); "We gave Moses the Scriptures and knowledge of right and wrong, so that you might be rightly guided."(2); And, "After those prophets We sent forth Jesus, the son of Mary, confirming the Torah already revealed, and gave him the Gospel, in which there is guidance and light."(3)

In Islamic thought, subjectively all people who follow this deen are Muslims, even if they do not know it, because they unite their will with the Will of Allah, and therefore pursue the good and oppose the bad, which is the definition of a Muslim. Objectively, the second of the two criteria of a Muslim is the belief that the Qur'an is the direct, revealed Word of Allah. For any Muslim who has read the Qur'an systematically, memorized portions, and meditated daily on its meanings; there can never be any doubt that it contains all truth and all principles of knowledge for every level of human understanding. This is why reading and reciting the Qur'an is the center of Muslim life; and why the subliminal thought processes inherent in the Qur'an, including its entire metaphysics, are evident in everything traditional Muslims think and say. Even non-practicing Muslims cannot escape this pervasive influence. The underlying ideals, values, and thought processes of the Qur'an were inculcated in most Muslims during their upbringing and are sustained, internalized, and reinforced by constant listening to Qur'anic recitation.

The Islamic paradigm or approach to life is expressed best in the Qur'anic concept of Tauhid and in its component sources of truth. The first source that comes directly from

AL QUR'AN: THE SOURCE OF HUMAN KNOWLEDGE

By Dr. Robert D. Crane

Scholars in Islam always start with definitions by linguistic analysis. And this analysis always starts with identification of the root consonants of any word. Islam is derived from the root consonants, s-l-m, which together mean submission to Allah or peace. Submission to Allah means openness and closeness to Him. Submission to Allah and peace, are essentially the same, because true peace for the individual as well as for the community comes from following not our own will but the Will of Allah. Islam leads to the primordial state of health and harmony in which Allah created the universe and man. And this, in turn, leads to Salam which is the word Islam. Salam with oneself and with others and with the universe leads to Tauhid, which is the core of all physics and metaphysics, i.e. of all knowledge, in Islam.

Although linguistic analysis points the way to the meaning of Islam, the full meaning of Islam as an approach to justice can come only from one source, the Qur'an. The Qur'an, as the ultimate source of Islam, is very simple, with no mysteries. It expresses the knowledge and inclinations inherent in man's nature. This knowledge and corresponding way of life are known as the Deen or primordial religion revealed by Allah to all communities of people in all ages since human beings first appeared on earth.

> We raise to degrees (of wisdom) who We please: but over all endued with knowledge is One, the All-Knowing. (12:76)

Those correctly applying Allah's principles in their professional and personal lives will receive admonition. A scientist or physician who acquires this kind of knowledge and applies it in his profession will always realize his weaknesses in front of his Creator. He will act modestly, rectify his own beliefs, and educate himself and others on personal and social matters.

The Muslim should not be arrogant and overly impressed with his own intelligence. The person asserting that his knowledge is superior cannot accept criticism, for he is living in a state of delusion and false security. On the other hand, the person realizing that his knowledge is limited should ask Allah to increase his understanding.

> But say, "O my Lord! advance me in knowledge." (20:114)

What is the value of the immoral scientist or the worth of the unrighteous physician? How should we view the brilliant mathematician who invents an instrument whose primary use is to destroy other human beings? The individual contemplating these questions can see that Divine knowledge instructs and guides man and enlightens the human mind. Thus in Islam any knowledge, whether theoretical or applied, that meets certain criteria can be considered useful. Beneficial knowledge should be used to please Allah and therefore should not be employed to satisfy egotistical desires. It should contribute to the understanding and application of Allah's rules and regulations. This knowledge should lead to the search for new ways of realizing Allah's Powers and be used to improve human life.

(To Be Continued)

from all kinds of knowledge. Insightful people, those having this guidance, can solve their problems and undauntedly deal with everything in their environment. They know that they must have patience, be dedicated, espouse strong principles and values, and accept divinely given regulations. They understand that the key to living a constructive life is to please Allah.

> But those who had been granted (true) knowledge said: "Alas for you! The reward of Allah (in the Hereafter) is best for those who believe and work righteousness: but this none shall attain, save those who steadfastly persevere (in good)." (28:80)

To clarify the Islamic position on the quest for beneficial knowledge, we need to explain the meaning, objectives, and principles of this knowledge as expressed in the Qur'an and in the Traditions of Prophet Muhammad (PBUH). As mentioned above, useful knowledge comes from the Creator in the form of principles and regulations. These principles and regulations help man understand himself, his purpose of existence, his relationship to others, and his environment. They also tell man how to use and adapt to his environment. Therefore beneficial knowledge offers general guidance and is the root of all other sources of information, because it springs from the unity of belief, a sound legislative system, and moral codes. These three foundations of Divine knowledge help man to seek, to understand, and to apply truth.

Allah identifies the privileges that He has bestowed on knowledgable people.

> Allah will raise up, to (suitable) ranks (and degrees), those of you who believe and who have been granted knowledge. And Allah is well-acquainted with all ye do. (58:11)

bountiful,--He who taught (the use of) the pen,--taught that which he knew not. (96:1-5)

Allah tells man to explore all sources of knowledge that are useful, i.e., those that are congruent with Islamic principles.

> Say: "Behold all that is in the heavens and on earth"; but neither Signs not Warners profit those who believe not. (10:101)

This search for knowledge is endless. According to the Prophet (PBUH), there are two people who will never be fulfilled: the materialist coveting money and the person seeking knowledge.

The foundation of all knowledge in Islam is Divine guidance.

> These verses of the Wise Book,--a guide and a mercy to the doers of good. (31:2-3)

Allah does not accept an individual's faith unless it stems from knowledge. This is why Allah tells man that faith blossoms from knowledge.

> And those who believe in Allah and His apostles--they are the sincere (lovers or truth), and the witnesses (who testify), in the eyes of their Lord: they shall have their reward and their light. But those who reject Allah and deny Our Signs,--they are the companions of hell-fire, (57:19)

Thus worship originates from an understanding of the Qur'an and the Traditions of the Prophet (PBUH). Any form of worship not rooted in Divine knowledge has no value to Allah. A person needs Divine guidance in order to benefit

Say: "Are those equal, those who know and those who do not know? It is those who are endued with understanding who receive admonition." (39:9)

To help the human being achieve this goal, Allah gives guidance and directives on how to use these mental abilities. In many Qur'anic passages, Allah tells man how to make maximum use of his mental abilities by reading, pondering, and examining everything around him. He also directs man's attention to the cosmos and encourages man to understand the secrets of this universe.

Say: "Travel through the earth and see how Allah did originate creation; so will Allah produce a later creation: for Allah has power over all things. (29:20)

Therefore in Islam Divine knowledge as given by the Creator can be employed to establish principles and regulations for dealing with the other sources of knowledge and for living a righteous life. Consequently the person with Divine guidance can regulate the other sources of knowledge and follow the correct path by applying this knowledge. In this way, he can enlarge his scope of understanding and broaden his awareness, thereby improving himself and the society in which he lives. Allah illustrates the importance of using the senses to seek and apply knowledge. The following Qur'anic verse exemplifies the relationship between gaining knowledge and applying knowledge.

Read! In name of thy Lord and Cherisher, Who created--created man, out of a (mere) clot of congealed blood. Read! And thy Lord is most

of scientific knowledge as the ultimate source of human understanding, but are not against the use of this knowledge for the betterment and progress of mankind.

This position becomes clear to us when we realize that Islam views the human being as the highest created being and as the being distinguished by his unique mental abilities. To demonstrate man's status, Allah ordered the angels, the most honored creatures, to bow down to Adam.

> Behold, thy Lord said to the angels: "I will create a vicegerent on earth." They said: "Wilt Thou place therein one who will make mischief therein and shed blood?--Whilst we do celebrate Thy praises and glorify Thy holy (name)?" He said: "I know what ye know not." And He taught Adam the nature of all things; then He placed them before the angels, and said: "Tell me the nature of these if ye are right." They said: "Glory to Thee: of knowledge we have none, save what Thou hast taught us: in truth it is Thou who are perfect in knowledge and wisdom." He said: "O Adam! tell them their natures." When he had told then, Allah said: "Did I not tell you that I know the secrets of heaven and earth, and I know what ye reveal and what ye conceal?" And behold, We said to the angels: "Bow down to Adam:" and they bowed down. (2:30-34)

This physical act symbolized the angels' acceptance of man's status and also illustrated that man's mental abilities are marks of distinction and importance.

Hence man has the ability to know, to think, to plan, and to predict. The person without proper knowledge can neither function properly nor reach the highest stage of humanity. For this reason, only those striving to gain knowledge will reach this highest stage of existence. This is why Allah made a distinction between those who know and those who do not know. Allah says that the person deserving a reward is he who has a sound mind and solid evidence.

THE QUEST FOR BENEFICIAL KNOWLEDGE

*Dr. Abdullah M. Khouj**

Part I

Many people living in this techno-industrial age believe that scientific knowledge is the most reliable and applicable source of knowledge and that technology and its processes are the determinants of man's success and infallibility. These people feel that the path of personal and professional success lay through the use of science as the shaper of human values and as the decisive factor establishing standards of human ethical and moral behavior.

To determine the validity of this view, we need to understand the real value of scientific knowledge and to question whether science is the ultimate source of human understanding. If man is fallible, how can science, a product of man, be the ultimate source of human understanding? If science is the master of mankind, why are we facing numerous daily problems such as interpersonal problems, socio-economic difficulties, and incurable diseases? Even though many social scientists have properly applied the scientific method to their respective fields, they have been unable to solve many emotional and social conflicts.

It may appear that Islam opposes scientific knowledge. This is not true. As Muslims we question the infallibility

---

*Dr. Abdullah M. Khouj is Director of The Islamic Center, Washington, D.C., and Associate Professor at Umm Al-Qura University, Saudi Arabia.

all the Islamic creed were very firmly established. This inspired all Arab tribes to pledge their allegiance, loyality and obedience to Islam. The status of Muslims among the Arab tribes of the Peninsula stimulated the birth of a profound impression, respect, awe and due consideration. Many of these tribes as individuals and as groups came to Al-Madinah to embrace Islam in presence of the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him). The most outstanding impression given was the behavior and the conduct of the Muslims and the wisdom practiced by the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him).

Prayers and Peace be upon our Magnanimous Prophet.

the whole tribe embraced Islam en masse. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) ordered that the family of Malik Ibn Aof Al-Nadhry the leader of the Hawazen tribe should be kept hostages at their aunt's home Um Abd Allah Ibn Umayah in Makkah. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) asked the delegation from Hawazen to inform Malik that if he were to come as Muslim, he will have his family and possessions back and a hundred camel. Malek Ibn Aof on hearing that, sneaked away from the fortresses of Al-Taif under cover of night and came to the presence of the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) declared his Islam took his family, and his camels, and was appointed chieftain of Hawazen Muslims.

The duration of stay of the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) at Al-Jirranah lasted for thirteen days. From Al-Jerranah, the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) performed an Umrah to pay respect and hommage to the Holy Qaaba. After his stay at Al-Jirranah ended, the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) left for Al-Madinah accompanied by the whole Muslim army of the Muhagereen and the Al-Ansars. They arrived at Al-Madinah during the month of Zu-Al-Qida of the eighth year of Al-Hijrah. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) appointed Attab Ibn Ussayd as governor of Makkah, and Maaz Ibn Jabal to instruct in the Qur'an and religion.

The defeat of the tribe of Hawazen at Hunayn and the reputation of the siege of Al-Taif came as two successive victories after the triumphant entry of Muslims into Makkah. These events convinced the remaining tribes in the Arabic Peninsula that Muslim power, integrity, authority and above

merciful and compassionate and conscious of obligations. Among the captives, a woman was the sister of the Prophet by virtue of her mother breast feeding him. When she was brought to his presence, the Prophet recognised her, Al-Shayma Bent Al-Harith Ibn Abd Al-Uzza. She was treated with due respect and given the choice to remain or return to her people. She chose to return carrying with her the most noble courtesy of behavior, and material gifts appropriate to her person.

The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) granted the Hawazen their request and asked them "Which are more vital to you, your women and children or your property?" They answered that their women and children were certainly more important. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) said "All I have set aside for myself and Banu Abd Al-Mutalib is yours. After noon prayer, rise and announce amongst the people that you appeal to them in the name of the Prophet, and to the Prophet in the name of all Muslims for the return of your women and children". The men from Hawazen did as they were told and the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) declared among the people his desire to give back the captives to Hawazen, and that whoever wanted to follow suit should do so; and that whoever wished a recompense in future for what he gives up will be recompensed. The Muhagereen, and the Al-Ansars accepted to give up their share saying that what was their share belonged to the Messenger of Allah. Only Al-Aqra Ibn Habis for Bani Tamim; Uyaynah Ibn Hisn; and Al-Abbas Ibn Mirdas for Bani Sulaym refused to give up their share to the Hawazen under any terms. However, the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) relinquished their shares against a debt. By this management, all the captives of Hawazen were returned, and

soul of Muhammad; except for my birth I would have been a man from the Al-Ansar. If all men were to go one way, and the Al-Ansar went in another way, I would go the way of the Al-Ansar. May Allah bless the Al-Ansar, and the children and grand children of the Al-Ansar." These words were spoken with honest sincere affection for the Al-Ansar. They had pledged their loyalty and fealty to support, reinforce the ranks of Muslims. They were highly moved with emotions of love to the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) that they fell in tears of emotional contentment.

The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) showed that worldly riches and material gains did not offer any temptations or allurement to him. The spoils of the battle surpassed anything that he had ever before witnessed. His share, he used to reconcile the hearts and sympathy of persons who were stout opponents to Islam, and who had recently embraced Islam. This far sighted policy, this justice, this wisdom in administering the affairs of his people were always the dominant characters in the conduct and behavior of the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him).

As the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) was still at Al-Jirranah a delegation from Hawazen who had become Muslims arrived headed by Zuhair Ibn Sard. They appealed to have teir women, children and property returned to them. They complained that they were anxious to see their wives, their mothers, their daughters and their aunts; and that they suffered enough from the war. They addressed the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) as very

answered "who should please Allah if I do not", and prevented Omar Ibn Al-Khattab from harming the man for saying what he said. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) retorted "May be the man prays, I have not been ordered to search in people's hearts".

The generosity practiced towards the recent Muslim converts from the Koraysh and other Arab tribes to draw them closer at heart to Islam had as previously mentioned its far beneficial after effects. The tribes of the Al-Ansar, however, objected among themselves, and claimed that the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) did what he did because they were his tribemen from the Koraysh. Saad Ibn Ubadah conveyed the dissatifaction of the Al-Ansar to the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him). They were called in a total Al-Ansar gathering and the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) addressed them and said "O Ansar, it has come to my knowledge that you are personally dissatisfied, and that you disapprove of my distribution of the booty. Do tell me, when I came to you, did I not find you languishing in misconduct and fault and Allah guided you to the path of truth through me. Did I not find you in a state of need, and Allah made you affluent. Did I not find you enemies with one another, and Allah reconciled your hearts. The Koraysh are only recent Muslims, and I wanted to attract and draw them closer to Islam. Are you so angry over some trivial material worldly gain that I took from you to give to them to bring their hearts nearer to Islam; and I relied with dependence upon your strong stable conviction to Islam. Don't you prefer O people from the Al-Ansar that people will depart with the camel and sheep, and that you return with the Messenger of Allah to your homes. By Him who dominates the

to Islam. That policy was certainly successful and many of those men proved later to have become very good Muslims.

The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) instructed Zayed Ibn Thabet to count the remainder of the booty. The people feared that if this generosity practiced were to continue, there would be little left of the booty for them. They insisted to receive their shares, and the murmur and whisper went around to this effect. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) recognised the majority discontent of the people, and pulled a camel's hair, lifted it up to the people to see and said "O men, By Allah, no part of your booty will come to my possession except my legitimate share by as much as this hair; and that this very share of mine I hereby return to you." The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) asked the people to return what they had taken without right, anyone unjustly taking anything, however, little, would be guilty and would be punished in Hell. Everybody obeyed, and everything was returned no matter how little. During this discourse, the people had crowded around the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him), and his cloak was removed from his shoulders. He called out to them "Return my cloak to me, O men. By Allah if your booty was as numerous as the trees of Tihamah, I would still divide it all among you in absolute fairness and justice, without avarice, fear or deception. That which I have given away belongs to the fifth which is my share."

The booty was distributed justly among the people each according to his position as footman or on mount. A man shouted "That is a division not pleasing Allah". The Prophet

THE STAY AT AL-JIRRANAH

By

Dr. Anas Moustafa El-Naggar, Md. Ph.D

In the Name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful.

After the final defeat of the Hawazen at the famous battle of Hunayn, the spoils and booty from the battle was very huge and immense. It was taken to Al-Jirranah to be kept there in the custody of Massoud Ibn Amre Al-Ghaffari. After the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) lifted the siege of Al-Taif, the Muslims came to Al-Jirranah as directed for the purpose of distributing the booty.

The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) was very generous to several individuals of distinction before they embraced Islam. Such persons included Abu Sufyan, Muawiyah Ibn Abi Sufyan, Hakim Ibn Hizam, Uyaynah Ibn Hisn, Al-Akraa Ibn Habis, Al-Abbas Ibn Mirdas, Safwan Ibn Ummayah, Suhayl Ibn Amre, Huwaytib Ibn Abd Al-Uzza, Al-Harith Ibn Al-Harith Ibn Kaladah, Al-Harith Ibn Hisham, and several others. This number amounted to few scores of men. The after effects of this generosity was far reaching, and the policy of this generosity was to develop feelings and attitudes of intimacy and understanding in the hearts and minds of those men previously reputed for their chronic hostility and enmity

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



من تاريخ صدر الإسلام

طهارة البيت

... وفي الكتاب العزيز وحي الحق - عز وجل - إلى ابراهيم واسماعيل - على نبينا وعليهما افضل الصلاة والسلام:

﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ - البقرة « ١٢٥ » ..

كان ذلك - في التحقيق - نحو القرن الثامن عشر من قبل الميلاد ، وطال الزمن وكرت الأعوام ، وتوالت الأجيال حتى إذا مضى نحو من اثنين وعشرين قرنا آخرين ومضى المسيح

* السنة الثامنة والخمسون *
* الجزء الثاني عشر *
* ذو الحجة ١٤٠٦ هـ * اغسطس / سبتمبر ١٩٨٦ م *

من تاريخ صدر الإسلام

على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - بعدة قرون ؛
ذا بالوثنية قد ضربت أطنابها ودب دبيبها على الملة الحنيفية[1]، وعلى
شعيرة الحج فأفسدت كل شئ : عقيدة وشريعة ، فقد استحسن القوم
بالجزيرة العربية أمورا فشرعوها ثم درج عليها أنسالهم واعتبروها الحق
لذى عليه بقاؤهم وسعادتهم .

وبعث المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه ، من بعد ابراهيم الخليل بنحو
ن أربعة وعشرين قرنا فكان لابد من تطهير يتناول كل ما أفسد الناس ومنه
« الحج » ..

وما كان الحج ليطهر قبل ثلاث :
أن يطهر البيت العتيق من رجس الأوثان والصور
وأن يتطهر المتعبد فيه ، ويؤدى حجه فى الوقت الذى أراد الله ..
وأن تطهر شعيرة الحج نفسها مما علق بها من تغيير وتبديل وتهريج ..

كذلك ما كان ليتم ذلك قبل أن يكون البيت العتيق بيد المسلمين ، فتكون كلمة الله هى العليا ، لها السيادة ، ولها الطاعة والنفوذ ، عندئذ يعود البيت كما بدأ طهورا من كل رجس ، نظيفا من كل خبث .. طيبا لا دنس فيه ..

وتم ذلك صبح الجمعة لعشرين خلت من رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، فَسَلِمَتْ مكة للاسلام ، وأمر رسول الله ﷺ فأُلْقِيَ بكل وثن فى البيت فصار حطاما ، وكانت ستين وثلاثمائة وثن حول الكعبة إلى ما صَوَّرُوا بها زورا وبهتانا من صور لابراهيم واسماعيل ومريم - على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام - ولم يدخل رسول الله ﷺ الكعبة حتى نَظُفَ البيتُ من آثارها ، وأمر بلالا - رضى الله عنه - فَرَقِيَ ظهر الكعبة وأذن بالصلاة ، فارتفع النداء القدسي بالحق معلنا طهارة البيت إلى الأبد ، فتمت الأولى ، وترك رسول الله ﷺ عتّاب بن أَسِيد - رضى الله عنه - حاكما لمكة وأميرا للحج فى هذا العام الثامن ، فحج المسلم وغير المسلم - كل على ما صدع به لكن أحدا لم يصطحب وثنا أو يطوف حوله داخل البيت ..

* * *

[1] راجع لعباس محمود العقاد - الخليل ابو الانبياء ..

ودخلت السنة التاسـعة :

وجاءت أشهر الحج ، فلما طرقت واستوت أمر رسول الله ﷺ سيدنا أبا بكر ، فكان أميرَ الحج في هذا العام التاسع ..

ومن معالم أشهر الحج في هذا العام تنزيل « براءة » والأمر فيها صريح بحالين يخصان البيت والحج :

« أ » ألا يقرب البيت نَجِسٌ بِشِرْكِهِ . قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ ــ « ٢٨ » ــ

« ب » ورفض النسيء بكل ضروبه [٢] .. قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ــ « ٣٧ » ــ

وانطلق سيدنا علي ــ كرم الله وجهه ــ بأمر رسول الله ﷺ ــ فنادى ــ في البيت الكريم :

﴿ لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ﴾ .

فتمت بذلك حصانة البيت فما دخله بعد هذا الموسم نجس ، ولا طاف به عريان ، ولم يرتفع بالبيت بعدها مُكاء صفير ، ولا تَصْدِيَةُ تصفيق ، وتم للبيت جلاله .. فلا وثن ولا صنم ، ولا عار ولا عارية ، وبطل ما كانوا يفعلون [٣] ، واستعد البيت العتيق لاستقبال

« ٢ » انظر مقالنا « صفر والنسيء » بمجلة الأزهر ــ صفر ١٤٠٥

« ٣ » كان الحمس ــ وهم قريش ومن ولدت ومن اعتنق مذهبها في الجاهلية ــ يطولون على الناس بدينهم ومذهبهم ، ورأى الناس فيهم ــ انهم اهل الحرم والطهارة ــ فكانوا يطوفون في ثيابهم يستعيرونها منهم : رجالا ونساء ، فإن ارتدوا ثياب الحمس طافوا بها في اي وقت ، وإذا لم يجدوا طاف الرجال عراة ، واحتجبت النساء فطفن ليلا عاريات إلا من « ارهاط » وهي سيور من الجلد يحطن بها العورة ، فتكاد تغطيها ..

وكان ثمة حالة يصر فيها الرجل على كشف سوءته في طوافه وذلك إذا اعتزم اخذ ثار ، وفي هذه الحالة لا يستعين بثياب الحمس ..

كان للمشئوم ابى جندب جار له من خزاعة هو حاطم بن هاجر بن عبد مناف الخزاعي فقتلته بنولحيان ، واستاقوا ماله وقتلوا امراته ، والمشئوم مريض دنف ، فلما شفى من مرضه قدم مكة يمشى حتى استلم الركن من الكعبة ، وقد شق فكشف عن استه ثم طاف بالكعبة فما رآه احد إلا ادرك انه اعتزم شرا ، وطفق يقول :

إنـي امـرؤ أبكـي عـلى جـاريـه أبكـي عـلى الكـعبـي والكـعبيـه
ولـو هلكـت بكيـا عليـه كـان مكـان الثـوب مـن حقـويـه

رسول الله ﷺ فى حجته .. حجة الوداع فى العام القادم ، والنسيء إلى زوال ، والزمن يستدير بسرعة إلى صواب ..

***

وكانت السنة العاشرة ، وقد هيمن الاسلام على الجزيرة ، وعلم المسلمون أن الرسول ﷺ سوف يقود الحج هذا العام ؛ فتدفقوا نحو المدينة ، حتى بلغوا ـ فى النهاية ـ نحو اثنى عشر ألف نسمة .. رضى الله عنهم .. وكان تطهير الشعيرة وتخليصها من كل افك وثنى :

وانطلق رسول الله ﷺ والقوم فى الطريق إلى مكة ؛ وكانت المرحلة الأولى تنتهى بذى الحليفة ـ آبار على ـ بجانب الوادى المبارك ـ وادى العقيق ، وذلك لخمس أو أربع بقين من ذي القعدة وليس ـ فى ذهن القوم من نسك ـ إلا الحج ؛ فقد نشأوا ـ جميعا ـ على شرعة باطلة تحرم العمرة فى أشهر الحج ،

والقوم قريبو عهد بالجاهلية ـ وذو الحليفة ميقات الإحرام لهم ـ تقول عائشة ـ رضى الله عنها :

« خرجنا مع النبى ﷺ ولا نرى إلا أنه الحج ..... لسنا نعرف العمرة ... »

قال الامام ابن حجر ـ فى تفسير ذلك :

« ذكرتْ ما كانوا يعهدونه من ترك الاعتمار فى أشهر الحج » . وما كان ذلك من مشترعيه إلا تحكما باطلا لا أصل له ..

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما :

« كانوا يرون أن العمرة فى أشهر الحج من افجر الفجور فى الأرض ، ويجعلون المحرم صفراً ، ويقولون :

إذا برأ الدبر ، وعفا الأثر ، وانسلخ صفر ، حلت العمرة لمن اعتمر . » (٤) ..

وتنزّل الوحيُ على رسول الله ﷺ تلك الليلة ، قال : ﷺ :

« ٤ » برأ الدبر : الدبر ما كان يحدث بظهور الابل من تسلخ نتيجة الحمل عليها ومشقة السفر وطوله فى الذهاب إلى الحج والعودة منه ... يبرأ بعد مضى فترة من ذلك ..

وعفا الأثر : اثر هذه التسلخات ، اثر الدبر المذكور ..

« آتاني ـ الليلة ـ آتٍ من ربى ؛ فقال : صلّ في هذا الوادى المبارك [٥] ، وقل : عمرة في حجة .. » ..

ولذلك قال ـ ﷺ قال :

﴿ العقيق واد مبارك ﴾ ..

وذلك الوحى يعنى ـ أول ما يعنى ـ بطلان مذهب الجاهلية في تحريم العمرة في اشهر الحج ، فقال ﷺ ـ لأصحابه ـ بذى الحليفة :

« من اراد منكم ان يهل بحج وعمرة فليهل ، ومن اراد ان يهل بحج فليهل ، ومن اراد ان يهل بعمرة فليهل » ..

فدخلت العمرة اشهر الحج إلى الأبد ..

ولقد يكون من رفاقه ﷺ ، ورضى الله عنهم ـ من دهش لذلك ظنا منه أن تحريم العمرة في أشهر الحج من ميراث طيب ، فما كان منه ﷺ إلا أن أمر أصحابه الذى لم يصطحبوا معهم هديا ، وأحرموا بالحج ـ اذا طافوا وسعوا ـ أن يفسخوا الحج ويجعلوها عمرة فقال لهم :

« أحلوا من إحرامكم بطواف البيت ، وبين الصفا والمروة ، وقصروا ، ثم أقيموا حلالا ، حتى إذا كان يوم التروية [٦] ، فأهلوا بالحج ، واجعلوا التى قدمتم بها متعة ، فقالوا : كيف نجعلها متعة وقد سمينا الحج ؟ فقال :

« افعلوا ماأمرتكم .. » .

وطبقها ـ بذلك ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ على آلاف مؤلفة من أصحابه ؛ فتواتر العمل بها ، وبطل بذلك تشريع الجاهلية ..

ويشاء ـ سبحانه وتعالى ـ تأكيدا لذلك الأمر ـ أن تعرك [٧] عائشة بـ « سـرِف » وقد أهلت بعمرة ، فبكت ، فقال لها ﷺ :

« ما يبكيك يا هنتاه .. ؟ قلت : سمعت قولك لأصحابك فمنعت العمرة ، قال : وما شأنك ؟ قلت : لا أصلى ! قال : فلا يضيرك ، إنما أنت امرأة من بنات آدم كتب الله عليك ما كتب عليهن فكوني في حجتك ، فعسى الله أن يرزقكيها » .

فأهلت بحج فصارت ـ رضى الله عنها ـ قارنة ...

فلما أدت الشعائر ، قال لها رسول الله ﷺ : قد حللت من حجك وعمرتك ..

قالت : يا رسول الله . « إنى لم أطف بالبيت حتى حججت .. » ..

« ٥ » وادى العقيق بذى الحليفة ..

« ٦ » الثامن من ذي الحجة ..

« ٧ » عركت المراة : حاضت ، بابه نصر ..

تتشوف - رضى الله عنها - لعمرة مستقلة ، فأرسل بها رسول الله ﷺ مع أخيها عبد الرحمن بن أبى بكر - رضى الله عنهم - فأعمرها من التنعيم ..

ونلاحظ بذلك أن العمرة أوقعها رسول الله ﷺ فى أشهر الحج ، من قبل الحج ومن بعده ..

قال ابن عباس - رضى الله عنهما :

« والله ماأعْمَرُ رسول الله ﷺ عائشة فى ذى الحجة إلاليقطع بذلك أمر - أهل الشرك ؛ فإن هذا الحى من قريش ومن دان دينهم كانوا يقولون : إذا عفا الوبر ، وبرأ الدَّبر ، ودخل صفر ، فقد حلت العمرة لمن اعتمر ، فكانوا يحرمون العمرة حتى ينسلخ ذو الحجة والمحرم »..

* * *

ولنعد إلى ذى الحليفة حيث ينطلق رسول الله ﷺ متعبدا مصحجا ، وانطلق مصطحبا بعض هديه مشعراً إياه - فى الطريق إلى مكة ملبيا « تلبية التوحيد » يقول :

« لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك »

وما أروع تسمية الامام المحب الطبرى لها بـ « تلبية التوحيد » فقد كان هناك - فيما سبق أكثر من « تلبية وثنية » بل لقد كان لكل وثن رئيسي تلبية ، أدرك منها بعض المؤرخين ما أدرك وسجلها بكتابه « المُحَبَّر » أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادى وهاك نموذجا لإحداها ..

كان « ذو الكفين » أحد أوثانهم التى يتعبدون ويحجون لها ، فإذا نسكوا له لَبَّوْا قائلين : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك إن جرهما عبادك ، الناس طُرْفٌ وهم تِلادُك ونحن أولى منهم بولائك » ..

فجاء الحق وزهق الباطل وانتهت دولة الأوثان ..

* * *

ومضى الرسول ﷺ - فدخل - وأصحابه - مكة لأربع ليال خلون من ذي الحجة وكان المسلمون قد انتهوا من عادات وشرائع لم ينزل الله - سبحانه - بها من سلطان ، فقد كانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب فى « الإحرام » ويأتون البيوت من ظهورها ، وتوسعوا - فى ذلك - إذا قدموا من سفر ، أو أراد أحدهم سفرا ثم بدا له الرجوع عنه ، أو احتفلوا بعيد من أعيادهم ، كل ذلك - إذا فعلوه - ثم عادوا إلى مواطنهم يتسورون بيوتهم فيأتونها من قبل ظهورها ، فقال تعالى :

﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .. « البقرة ١٨٩ » ..

* * *

وحل ﷺ بأصحابه مِنًى ، واستعد للذهاب إلى عرفة صباح التاسع من ذي الحجة والناس معه ـ من قبل إسلامهم ـ فريقان :

الحمس الذين ميزوا أنفسهم على الناس ، وقَبِل الناس ذلك منهم ، وهؤلاء يقولون : نحن الحمس أهل الحرم ، لا نقف يوم حجنا بعرفة . فإنما « عرفة » أرض حلال ، وإنما نقف بـ « جَمْع » أي مزدلفة ، حيث المشعر الحرام ، فهي أرض حرام تليق بحرمتنا ..

وغير الحمس كانوا ينطلقون فيقفون ـ قبل إسلامهم ـ بعرفة ..

لـذلـــك :

كان الطلقاء ـ أهل الاسلام القريب جداً ـ يعتقدون أن رسول الله ﷺ وهو القرشي أحمسي أصلا فهو لا بد تارك عرفة ليقف بجمع أي بمزدلفة أرض المشعر الحرام ولم يكن لذلك أصل شرعي فإذا هم برسول الله ﷺ يمضي بركبه إلى عرفة مخالفا ومصححا لما كانوا عليه .. صلى الله عليه وســلم

* * *

ويمضي التصحيح ـ ويستمر رسول الله ﷺ في رد الأمر إلى نصابه مزيلا عن شريعة الحج ماعلق بها من أثام القوم وأوهامهم .

لقد كانوا يفيضون من « عرفة » ـ إذا وقفوا عليها قبل غروب الشمس حين تَعْتَمُّ بها رءوس الجبال فظل ﷺ واقفا بالحجيج حتى غربت الشمس وعسعس الليل ، فدفع ودفع اثناعشر حاجا ومن معهن إلى مزدلفة ، ومضت سنة رسول الله ﷺ حتى إنه من أدرك عرفة ليلة النحر إلى الفجر صح حجه ..

صلى الله وسلم وبارك على سيدنا رسول الله ﷺ ..

هاهو رسول الله ﷺ بمزدلفة ... بـ « جمع » ... بالمشعر الحرام وكانت مزدلفة مصدراً لتشريعين وثنيين :

أ ـ فمنها كان « القلامسة » يصدرون أمرهم بالنسيء ، فيحلون شهرا مكان آخر ، ويغيرون إحرام شهر بِحِلِّه ، وكل عدة سنوات يصدرون أمرا آخر بزيادة شهر على السنة فتصير ثلاثة عشر شهرا ..

من تاريخ صدر الإسلام

ب ـ ويهبطون إلى مزدلفة من عرفة فينضمون إلى من فيها ويستعدون لتركها بعد شروق الشمس ، يقولون :

أشرق ثبيرُ كيما نغير ..

وثبير جبل مرتفع جهة المشرق من مكة تصعد الشمس مشرقة من خلفه ، فإذا علته دفعوا فخرجوا إلى منى ..

فأما الأولى فقد حرمت بقوله تعالى :

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ..

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .. « التوبة ٣٦ ، ٣٧» ..

وأما الثانية فقد حرمت بفعله ﷺ ، فقد دفع من مزدلفة قبل أن تشرق الشمس ، صلى ومن معه الفجر ثم وقف حتى أسفر ثم أفاض إلى منى .. قال عمرو بن ميمون :

شهدت عمر ـ رضى الله عنه ـ صلى بجمع الصبح ثم وقف فقال :

« إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون : أشرق ثبير ، وإن رسول الله ﷺ خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس » ..

وأتم رسول الله ﷺ الحج على خير ما يحب ربنا ـ عز وجل ـ ويرضى ..

د. علي أحمد الخطيب

مراجع المقـــال

القرآن الكريم ، وتفسير ابن كثير والألوسى

صحيح البخارى ، صحيح مسلم

سنن أبى داود ، فتح البارى لابن حجر

المحبر لابن حبيب البغدادى

الخليل أبو الأنبياء لعباس محمود العقاد

حجة النبى ﷺ للمحب الطبرى وثنية العرب وأثرها فى الأدب الجاهلى د . على الخطيب .

دراسات إسلامية

نشأة العقيدة الدينية

المجمع الإسلامي العالمي

ماذا بعد الحق إلا الضلال

نشأة العقيدة الدينية عند البشر

تعريف كلمة دين :

قد يكون من المفيد أن نتعرف على المعانى التى تفيدها كلمة دين فى اللغة العربية ، ثم نتلمس العلاقة التى تربط بين هذه المعانى المختلفة ، وأسباب الاختلاف فى دلالتها على معان متعددة ومن تتبع كلمة دين فى كتب اللغة نرى أنها تستعمل فى معنى السلطان والغلبة والملك والقهر والقضاء والطاعة والعبادة والمذهب والشريعة والملة والحكم والسيرة والتدبير والتوحيد .

وقد جاء فى اللسان : الدين مفرد جمعه أديان ، يقال ؛ دان بكذا ديانة وتدين به فهو دين ومتدين ودانه دينا أى أذله واستعبده . والدين ما يتدين به الرجل ، والدين السلطان والورع والطاعة .

وفى القاموس : الدين الجزاء والعادة والعبادة والطاعة والذل والداء والحساب والقهر والغلبة والسلطان والاستعلاء والملك والحكم والسيرة والتدبير والتوحيد ، واسم لجميع ما يتعبد الله به والملة والورع .

وقد أشار الدكتور محمد عبد الله دراز الى أسباب اختلاف المعانى التى جاءت لها الكلمة ويرجع ذلك الى الفعل الذى ترجع اليه الكلمة فاما أن يكون متعديا بنفسه أو متعديا باللام أو بالباء .

فان كان الفعل متعديا قلنا دانه دينا وكان المقصود بذلك أنه ملكه وحكمه وساسه وقهره ودبره وحاسبه وقضى فى شأنه وجازاه وكافأه ، فتكون كلمة (الدين) حينئذ دائرة على معنى الملك والتصرف بما من شأنه السياسة والتدبير والحكم والقهر

واذا كان الفعل متعدياً باللام بأن قلنا دان له ، فانه يراد بذلك أنه أطاعه وخضع له ، فالدين هنا يعنى الخضوع والطاعة والعبادة والورع .

واذا كان الفعل متعديا بالباء بان قلنا دان به،

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الجيوشى

فان معناه أنه اتخذه دينا ومذهبا ، فالدين هو المذهب والطريق ٠

وخلاصة ذلك أن الفعل دان اذا كان متعديا بنفسه كان المعنى الأصلى للدين هو الملك والحكم والقهر والتدبير ٠

وان كان الفعل متعديا باللام كأن نقول دان له كان معنى الدين الطاعة والخضوع والعبادة والورع ٠

وان كان الفعل متعديا بالباء كأن نقول دان به فهذا يعنى أنه اتخذه دينا ومذهبا وطريقا ٠

والدين بمعنى التوجه بالعبادة الى الله والطاعة لأوامره والخضوع لارادته واتباع الطريق الذى أمر باتباعه يجمع معانى الفعل دان فى حالاته الثلاث ٠

وقد جرى على ألسنة الباحثين فى علم الأديان اصطلاحات : مثل تاريخ الأديان ، وفلسفة الأديان ، وتاريخ الأديان المقارن ، وعلم الأديان ٠

فهل هذه مسميات لشىء واحد ، أم أن لكل منها معنى مغايرا لمعانى الاصطلاحات الأخرى ، وفيما يلى تحديد لكل منها :

فتاريخ الأديان المقارن يدرس خصائص ومميزات الأديان ٠

وفلسفة الأديان : تبحث فى العلاقات بين الأسس التى تستند اليها الأديان المختلفة ، وفى الغايات التى تهدف اليها ، ويدخل فى مباحثها علم ماوراء الطبيعة ، وعلم الكلام وعلم التصوف ٠

وتاريخ الأديان : يبحث عن نشأة المعتقدات الدينية وتطورها ، ومرتكزاتها لدى الشعوب البدائية المختلفة ، والشعوب المتمدينة ،فالغرض من دراسة تاريخ الأديان هو معرفتها ٠

وعلم الأديان : يبحث عن منشأ الأديان وتطورها ، وفى الأسس التى ترتكز اليها الأديان المختلفة ، وفى أوجه الاختلاف والاتفاق فيما بينها ٠

وبعبارة أخرى يناقش تاريخ الأديان ويوضح فلسفتها ويوازن بينها(١) ٠

---

(١) الأديان ص ١٨ ٠

تصنيف الأديان : هناك تصنيفات متعددة للأديان فهناك من يقسمها الى :

أديان ملهمة أو موحى بها مثل الاسلام واليهودية •
وأديان مطلقة أو كاملة وأدخلوا فيها المسيحية •

وهناك من قسمها الى :

أديان أخلاقية وهى أديان البدائيين •
والى أديان منقذة وأدخل فيها البوذية والمسيحية •

وهناك من قسمها الى :

أديان عالمية مثل الاسلام والمسيحية •
وأديان قومية مثل اليهودية والأديان البدائية(١) •

فطرة الله

فطر الله الانسان على التدين وركز فى وجدانه الايمان بأن هناك خالقا لهذا الكون مدبرا له « **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** »(٢) •

فالدين صنو الانسان على هذه الأرض •
وقد أخبرنا الله سبحانه فى كتابه أنه أخذ العهد على بنى آدم جميعا ، وهم فى (عالم الذر) ، وأشهدهم على أنفسهم اقرارا بربوبيته ، فقال عز من قائل : « **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ** »(٣)

ولم يترك الله الخلق بدون هداة يأخذون بأيديهم ، ويبصرونهم طريق الرشاد ، بل تعهدهم بالأنبياء والرسل حتى يحولوا بينهم وبين البعد عن الطريق القويم كما قال سبحانه: « **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** »(٤) وزود آدم أبا البشر منذ البداية بنور وحيه ، وحباه من علمه ما ظهر به فضله على الملائكة كما تقص ذلك سورة البقرة :

« **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ • وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ • قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ • قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ**

(١) • • • • ص ٢٦ ، ٢٧ •
(٢) الروم ٣٠ •
(٣) الأعراف ١٧٢ •
(٤) فاطر •

«قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ»(١)

غير أن الانسان دائما ينسى ، وينساق وراء بعض المظاهر التى تستولى على لبه ، أو تثير دهشته ، فيحمل لها نوعا من التقدير لا يلبث أن يتحول مع الزمن الى عبادة وتقديس ، فيؤدى ذلك الى انحراف فى التعبير عن الفطرة المركوزة فى كيانه وهكذا عرفت البشرية كثيرا من ألوان هذا الانحراف فقدست الشمس والكواكب والنار ، وبعض الحيوانات والأنهار والأشجار والجمادات التى ظنت أن لها تأثيرا فى جلب النفع اليها ، أو دفع الضرر عنها ، ومن أجل ذلك تعددت معبودات البشر ، واتخذوا عددا من الآلهة جعلتهم يغفلون عن التوجه بالعبادة للاله الحق ، وكلما جاء رسول يقوم من انحرافهم ، لا يلبثون أن يعودوا الى الانحراف فى تصور الاله بمرور الزمن غير أن الايمان بالاله الخالق كامن فى الطبيعة البشرية ملازم لها منذ أن خلقها الله ، وليس من باب الصدف أن تجد البشر جميعا على بعد أماكنهم واختلاف مستوياتهم الفكرية ، يؤمنون بفكرة الاله ، وان كان ايمانا يشوبه الخطأ فى التصور الصحيح للاله الحق .

ومن الممكن ان توجد شعوب ليس لها آداب ولا علوم ، ولا فلسفات ، ولكنه ليس ممكنا أن توجد جماعات بدون دين ، لأن التدين غريزة وجدت مع الانسان منذ البداية .

وقد قال هنرى برجسون : « لقد وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفنون وآداب وفلسفات ، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير دين » .

ويقول الأستاذ العقاد فى كتابه « الله » : « ففى الطبع الانسانى جوع الى الاعتقاد كجوع المعدة الى الطعام ... » الى أن يقول : « حق لا يقبل المراء أن الحاسة الدينية بعيدة الغور فى طبيعة الانسان .

وحق لا يقبل المراء ان الانسان يجب أن يؤمن ولا يستقر فى وسط هذه العوالم بغير ايمان ، وهو قد وجد وسط هذه العوالم لامراء.

فاذا كان الايمان هو الحالة التى يتطلبها منه وجوده ، فضعف الايمان شذوذ يناقض طبيعة التكوين ، ويدل على خلل فى الكيان ، وقد اتفق علماء المقابلة بين الأديان على تأصل العقيدة الدينية فى طبائع بنى الانسان من أقدم أزمنة التاريخ ..»(٢) .

وعلى الرغم من وضوح حقيقة ملازمة التدين للانسان منذ البداية ، فقد وجد فى القرن الثامن عشر الميلادى بين كتاب أوربا من ينازع فى ثبوت هذه الحقيقة ، وذهبوا الى أن الديانات أمور استحدثت فى عصور لاحقة !!

وقد عرض الدكتور محمد عبد الله دراز لهذه الآراء فى كتابه « الدين » وناقشها ورد عليها ، وأوضح أن كتاب القرن الثامن عشر انما يرددون مقالات قديمة جرت على ألسنة السوفسطائيين القدماء الذين ادعوا أن الانسان فى مبدأ أمره كان يعيش منطلقا لا يخضع

البقية صفحة ١٨٧٧

(١) البقرة ٣٠ — ٣٣ . (٢) كتاب .. الله .. ص ٨ ، ٩ ، دار المعارف الطبعة الثانية .

المجمع الإسلامى العالمى

فى الحج

قال تعالى : « وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ .. .. » الآيات من سورة الحج .

كلما اقترب موسم الحج هامت الأرواح واتجهت النفوس نحو البيت الحرام ، راغبة فى تلبية دعوة الرحمن على لسان خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين أذن فى الناس بالحج ليأتوه رجالاً ـ مشاة ـ وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .

سبحانك اللهم

ليس كل مشتاق إلى الحج يبلغ مناه ، فما أكثر من حرمتهم الأعذار ، وحالت دون رغباتهم الأقدار ، فاللهم اكتب ثواب النية الصالحة للتائقين المحرومين ، واعف عن القادرين المقصرين ، فأنت يامولانا أرحم الراحمين .

بناء البيت وأذان إبراهيم

إذا أراد الله أمرا هيأ له أسبابه ، كذلك كان شأنه سبحانه فى البيت العتيق ، فإنه لما شاء أن يجعله فى أرض الحجاز مثابة للناس وأمنا ، ومناطا للدين الحق ومنارة للهدى ، أمر إبراهيم عليه السلام أن ينقل ابنه الرضيع إسماعيل مع أمه هاجر إلى موضعه من أرض الحجاز . وكانت أرضاً لا زرع فيها ولا ماء ، فأجرى فيها ماء زمزم ، ليكون مصدر حياتهما ، وسببا لتجمع القبائل حولهما ، فإن الماء أهم مطلب لسكان الصحراء .

وما شاءه الله كان ، فقد أبصرت قبيلة « جرهم » الطيور من بعيد تحوم حول هذه البقعة المباركة وهى لا تحوم إلا فوق ماء ، فأقبلت نحوها ، ورأت هناك أُمًّا ووليدها أكرمهما الله بهذا الرزق الذى لم يعهدوه من قبل ، فاستأذنوها فى الاستيطان فأذنت لهم ورحبت بهم . وبين أفرادها نشأ إسماعيل حتى قوى عوده وأصبح رجلاً سويا ، وحينئذ أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يبنى البيت الحرام بمعاونة ابنه إسماعيل ، فبنياه فى موضعه الحالى ، وكانا يدعوان الله قائلين « رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ »

ولما أتما بناءه أمر الله نبيه إبراهيم أن يدعو الناس إلى الحج .

روى ابن جرير والحاكم وصححه وغيرهما عن ابن عباس قال « لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال : رب قد فرغت .

قال أذن فى الناس بالحج .

قال يارب وما يبلغ صوتى .

قال : أذن وعلىّ البلاغ .

قال : رب كيف أقول ؟

قال : قل : أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق ، فسمعه أهل السماء والأرض الا ترى أنهم يجيئون من أقصى البلاد يلبون » ؟

وجاء فى رواية أخرى أنه عليه السلام صعد أبا قبيس فوضع أصبعيه فى أذنيه ، ثم نادى : « ياأيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم ، فأجابوه بالتلبية فى أصلاب الرجال وأرحام النساء ، وأول من أجاب أهل اليمن ، فليس حاج يحج من يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا من أجاب يومئذ إبراهيم » .

وفى هذا، يقول الله تعالى : « وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ »

إبراهيم رسول إلى أمتين

فأنت ترى أن إبراهيم عليه السلام أرسله الله إلى العرب العاربة ممثلين فى جرهم ومن استجاب دعوته من سواهم ، وقد استبدلهم الله بقومه من أهل بابل ، الذين كفروا بدعوته وألقوه فى النار ليتخلصوا منه ، فجعلها الله عليه بردا وسلاما ، ثم قال لقومه « إنى مهاجر إلى ربى سيهدين » فهداه الله إلى العرب العاربة ، ونشر فيهم دينه ، وكان من أهم شعائره شعيرة الحج التى بقيت فى العرب ، فأخذها العرب المستعربة عن العرب العاربة .

ومثله فى ذلك مثل شعيب عليه السلام ، فقد أرسله الله إلى مدين وإلى أصحاب الأيكة ، أما العرب المستعربة فلم يبعث فيها نبى قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، ولذا قال الله له : « لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ » فقد عرفت أن رسالة إبراهيم وإسماعيل كانت للعرب العاربة . ومعلوم أن العرب المستعربة هم ذرية إسماعيل عليه السلام ، خليط من الدم البابلى والدم المصرى والدم العربى ، وتلك مسألة دقيقة أرجو أن لا تغرب عن فكر الباحث المسلم .

لماذا يلبى الحجاج

إن الشعار الهام فى ذكر الحاج هو قوله : « لبيك اللهم لبيك » إلى آخر هذا الذكر الجميل ، إن هذا الشعار هو رد الحاج على دعوة الرحمن له على لسان إبراهيم عليه السلام ، فإبراهيم يؤذن فى الناس داعيا : يأيها الناس إن الله كتب عليكم فأجيبوا ربكم » والحاج يأتى إلى البيت العتيق مستجيباً لدعوة ربه بلسانه وجسده وروحه وماله : قائلاً «لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك » وهناك فى هذا الوادى المقدس ينزلون فى ضيافة الرحمن الرحيم .

هذا الحنين

وهذا الحنين الذي يتزاحم على قلب من كتب له الحج حتى يؤدى الفريضة ، هذا الحنين ما هو إلا ترجمة للتفاعل بين دعوة الله المنقوشة في روحه ، وبين الرغبة العارمة في الاستجابة تنفيذا لمشيئة الله ، ذلك التفاعل الذي ينتهى الى أداء المناسك في زمرة المشاة والركبان ، وهم يقولون في صوت جماعي أو فردي : لبيك اللهم لبيك ، أي أجبنا نداءك ولبينا دعوتك إلى ضيافتك في بيتك الحرام .

ومعنى « يَأْتُوكَ رِجَالاً » يلبون دعوتك مشاة على أرجلهم ، ومعنى « وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ » وركباناً على بعير مهزول ، أتعبه طول السفر وبعد المسافة فهزله أو زاد هزاله ، وعبر به بدل (ركباناً) مع أنه أخصر ، للإيذان بكثرة الوافدين من الأماكن البعيدة ، وقوله « ومن كل فج عميق » أي طريق بعيد - صفة لكل ضامر ، وكأنه قيل : وركباناً على ضوامر يأتين من كل طريق بعيد وقد اقتصر في الآية على ركبان الإبل ، لأنها هي وسيلة الأسفار البعيدة وقت نزول هذه الآية الكريمة ، وقد كانوا يتكبدون المشاق شهوراً من أجل تلبية دعوة الرحمن .. وذلك من عمق الإيمان ، وكأن لسان حالهم يقول :

زُرمَنْ هويْتَ وإن شَطَّت بكَ الدارُ
وحال من دونه حُجُبٌ واستار
لا يمنعنَّك بعدٌ عن زيارته
إن المحب لمن يهواه زوَّارُ

الغاية من الحج

وقد بين الله الغاية من الحج بقوله : « لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ..

والمنافع التى يحصلون عليها من هذه الفريضة ، عظيمة الخطر كثيرة العدد - دنيوية وأخروية .

قال ابن عباس : منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة ...

فأما منافع الآخرة فرضوان الله ، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم والذبائح والتجارات .

وعن الباقر تخصيص المنافع بالأخروية .
وعن ابن عباس في رواية أخرى

تخصيصها بالدنيوية ولكن التعميم أولى ـ كما نقلناه عن ابن عباس في الرواية الأولى ، وسيأتي لذلك مزيد بيان في حكم الحج وأسراره ، وذكر اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام من أغراض الحج في الإسلام .

فقد كان العرب في الجاهلية يذكرون أسماء أصنامهم عندما يذبحون نسائكهم ، فأبطل ذلك ، وطريقة الذكر باسم الله « اللهم هذا منك وإليك عن فلان » ..

والأيام المعلومات هي أيام نحر الضحايا ، وهي ثلاثة عند أبي حنيفة ـ يوم العيد ويومان بعده ـ ووافقه على ذلك الثورى وابن جبير وابن المسيب ، لما روى عن عمر وعليٍّ وابن عمر وغيرهم « أيام النحر ثلاثة أفضلها .

أولها وقد قالوا سماعا ، لأن الرأى لايهتدي إلى المقادير .

واعلم أن العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم ؛ فهما عبادة بدنية محضة أو بالمال كالزكاة فهى عبادة مالية محضة ، وقد اشتمل الحج عليهما ، فالبدنية كا لطواف والسعى ، والمالية الهدى والأضحية وأنواع الإنفاق ، مع ما فيه من تحمل الأثقال ، وقطع الأسباب وقطيعة الأصحاب ، وهجر البلاد والأوطان ، وفرقة الأولاد والخلان ، ولما فيه ـ كما قال الإمام النسفى ـ من التنبيه على ما يستمر عليه إذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء .

فالحاج إذا دخل البادية لايتكل فيها إلا على عتاده ، ولا يأكل إلا من زاده ، فكذا المرء إذا خرج من شاطيء الحياة ، وركب بحر الوفاة ، لاينفع وحدته إلا ما سعى فى معيشته لمعاده ، ولا يؤنس وحشته إلا ما كان يأنس به من أوراده ، وغسل من يحرم وتأهبه ولبس غير المخيط وتطيبه مرآة لما سيأتى عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيبا بالحنوط ، ملفقا فى كفن غير مخيط ، ثم المحرم يكون أشعث أغبر حيران ، فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان . ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغبا ورهبا ، سائلين خوفا وطمعا ، وهم بين مقبول ومخذول ، كموقف العرصات « أى ساحات القيامة » لاتكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد .

والإفاضة إلى المزدلفة بالمساء ، هى السوق لفصل القضاء ، ومنى هى موقف المنى للمذنبين إلى شفاعة الشافعين ، والبيت الحرام الذى من دخله كان آمنا من الإيذاء والقتال نموذج لدار السلام ، التى هى من نزلها بقى سالما من الفناء والزوال ، غير أن الجنة حفت بمكاره النفس العادية ، كما أن الكعبة حفت بمتالف البادية ، فمرحبا بمن جاوز مهالك البوادى ، شوقا إلى لقاء يوم التنادي . أ هـ ..

المهرجان العالمى فى عرفة

الوقوف بعرفات أهم مناسك الحج ، لقوله ﷺ « الحج عرفة » ، ولأنه يذكر الناس بموقفهم فى ساحة القيامة يوم الدين أمام رب العالمين ، خاشعين مسترحمين ، يخشون عقابه ويرجون ثوابه ، وهم عراة متجردون ، لا يتمايزون بجاه ولا سلطان ولا حسب ولا نسب .

وكذلك الحجيج فى موقف عرفات يجتمعون خاشعين لله مسترحمين ، يخشون العقاب ويعلنون المثاب ، ويرجون الثواب ، وهم جميعا فى ثياب الإحرام نصف عراة لا ترى فيهم فارقا بين أمير وصعلوك ، ولا بين ملك ومملوك .

ولقد تحدث القدامى عن السبب فى التسمية بعرفات فاختلفوا ، لأنهم لا سند لهم فيما ذهبوا إليه ، ولعل السبب فى هذه التسمية أن الوقوف بها سبب لتعارف الوافدين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ، وهى منافع ترجع إلى الدنيا والآخرة ، ومن أجل ذلك شرع الوقوف بها .

فلعل المسلمين يدركون القيمة الدينية والسياسية العظمى لهذا المؤتمر الإسلامى العالمى ، فيحشدون له طاقاتهم السياسية الممتازة ، ويجتمعون على مائدة الرحمن ليحلوا مشكلاتهم ، ويوحدوا كلمتهم ويجمعوا شملهم ، بدلا من حالة التفكك والتمزق والحروب الساخنة والباردة بينهم ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

ويبدأ وقت الوقوف بعرفة من زوال شمس التاسع إلى فجر العاشر من ذى الحجة ، ففى أية ساعة من هذا الوقت وقفت بعرفة صح الوقوف وتم الركن ، ولكن الأفضل الجمع بين الليل والنهار ، خروجا من خلاف من أوجبه ، ولأن هذا هو الذى فعله النبى ﷺ ، فقد جاء فى حديث مسلم عن جابر عن النبي ﷺ « فلم يزل واقفا بعرفة ، حتى إذا غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا ، أردف أسامة خلفه . ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء الزمام - اى ضمه وضيقه - حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ..» إلى آخر الحديث

وأى مكان فى عرفة يصلح للوقوف . والمقصود من الوقوف مطلق الحضور ولو مع الجلوس ، ويسن للواقف أن يكثر من الدعاء فى هذا الموقف الرهيب الذى يفيض بالروعة والجلال .

روى الترمذي بسنده عن رسول الله ﷺ قال « افضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » .

زاد البيهقى « اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى بصري نورا ، اللهم اشرح لى صدري ويسر لى أمرى » .

يوم الطواف بالبيت العتيق

هو يوم النحر الذى ترمى فيه جمرة العقبة وتنحر الضحايا ، وتزال الأوساخ والأدران ، ويسعى فيه بين الصفا والمروة ، فبعد الانتهاء من رمى جمرة العقبة فى يوم العيد تتجه إلى مكة ، لتطوف بالبيت طواف الإفاضة ، ولتسعى بين الصفا والمروة ، ولتحلق رأسك وتنظف جسمك ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « **ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ** » اى يزيلوا ادرانهم واقذارهم « **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** » من أعمال البر فى حجهم « **وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** » طواف الإفاضة ، وهو منَ أركان الحج ،

ولايتم إلا به بالإجماع ، وبه تمام التحلل ، حيث يستبيح المحرم مابقى من محرمات الإحرام .

والبيت العتيق هو الكعبة ، أخرج البخارى فى تاريخه والحاكم وصححه وغيرهما عن ابن الزبير قال قال رسول الله ﷺ « إنما سمى الله البيت العتيق ، لأنه أعتقه من الجبابرة ، فلم يظهر عليه جبار قط » وما حدث له من الحجاج لم يكن بقصد التسلط عليه ، بل لإخراج ابن الزبير لأنه تحصن به ، فلما انتصر على ابن الزبير أعاد بناءه ، على أن الحديث نفى تسلط الجبابرة عليه فيما مضى ، ولم يتعرض لظهورهم وتسلطهم عليه بعد ، فلا يورد عليه هذا ولا غيره .

وعن ابن جبير أن العتيق بمعنى الجيد ، ومنه الخيل العتاق ، أى الخيل الجيدة ، وقال الحسن وابن زيد : العتيق القديم ، فإنه أول بيت وضع للناس ، وهذا هو المتبادر من اللفظ .

الأكل وإطعام الفقير من الأضحية

يقول الله تعالى : « **فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ** » والأمر بالأكل منها للإباحة ، فقد كان محرما فى الجاهلية ، كما كان منهيا عنه فى الإسلام ، فجاء هذا الأمر مبيحا له ، وفى شأنه يقول ﷺ « كنت نهيتكم عن أكل لحوم الأضاحى ، فكلوا منها وأطعموا وادخروا » وحمل الحنفية الأمر على الندب ، مواساة للفقير ومساواة له ، كما حمله بعض العلماء على الوجوب ..

والأمر بإطعام الفقير من الأضحية للندب عند الحنفية ، وللإيجاب عند الشافعية ـ على معنى أنه إذا لم يطعم الفقير منها فلا أضحية له ، والأفضل أن لايقل ما يطعمه الفقير عن الثلث ، والثلثان للأكل والإدخار .

فضل الحج وحكمه وأسراره

قلنا أن الحج إلى البيت الحرام ، وهو تلبية لدعوة الله تعالى ، وقد جعله الله مكانا لضيافة من دعاهم إلى الحج ، والمائدة التى يجلسون عليها هى مائدة الغفران والرحمة والثواب الجزيل على مابذلوا من جهد ومال فى سبيل تلبية هذه الدعوة المباركة .

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حج فلم يرفث ولم يفسق يرجع كيوم ولدته أمه » وبسندهما عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » وروى البزار « الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأتوه ، وسألوه فأعطاهم » .

وبما أنه تعالى هو صاحب الضيافة ، وأنت لا تراه سبحانه ، فأنت تطوف ببيت ضيافته لك كما يصنع المحب الهائم مع المحبوب الذى تري نعمه ولا ترى ذاته .

وحينما تستلم الحجر الأسود وتقبله ، فأنت تودعه أسرار الحب وسواق القلب ، وتجعل منه صندوق البريد الذى يرفع تفاعلات الحب لخالق الأكوان .

والله تعالى أسأل أن يتقبل من حجاج بيته نسكهم ، ويصفى نفوسهم ، ويطهرهم من أدرانهم ويوفقهم إلى جمع شملهم .

إسماعيل هو الذبيح

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

تناول كثير من العلماء المفسرين والمحدثين والمؤرخين بأقلامهم موضوع « الذبيح ».

منهم من كتب حول هذا الموضوع مؤلفاً مستقلاً .

ومنهم من كتب حوله فصلاً أو فصولاً من بين فصول مؤلفاتهم .

كل منهم تناول هذا الموضوع من زاويته حسبما أدته إليه أدلته :

فمن السادة العلماء من ذهب إلى أن الذبيح (إسماعيل) وأيد رأيه بأدلة .

ومنهم من ذهب إلى أن الذبيح « إسحق » وأيد رأيه بأدلة،

ومنهم من توقف لتعارض أدلة الطرفين من غير وجود مرجح .

ومن الغريب أن من بين السادة العلماء الأجلاء من كتب رسالة مستقلة فى الذبيح بعنوان « القول الفصيح فى تعيين الذبيح » ومع ذلك لم يبد رأيه فتوقف لتعارض الأدلة(١)

وحينما كنت أطلب العلم فى الأزهر الشريف ـ فى الثلاثينيات ـ نشرت مجلة الأزهر ـ نور الإسلام ـ هذا الموضوع فى ثلاثة أعداد أو أربعة بأقلام بعض السادة العلماء لكن كتابتهم أيضاً لم تخرج عن دائرة ذكر آراء العلماء وبيان الراجح منها ، وهو أن الذبيح إسماعيل عليه السلام .

من ذلك الوقت إلى يومنا الحاضر أولى هذا الموضوع عنايتى واهتمامى كلما جدّت مناسبة يذكر فيها هذا الموضوع . أقرأ ما قيل أو يقال حوله ، وأراجع الأدلة التى تؤيد هذا الرأى أو ذاك . أبحثها بعمق وإمعان وطبقاً للقواعد العلمية التى درسناها ، فإذا بى أجد نفسى أمام نص

---

١ ـ هو العلامة السيوطى رحمه الله كتب رسالة سماها « القول الفصيح فى تعيين الذبيح » ومع ذلك توقف . وكم كنت أود الاطلاع على هذه الرسالة لمعرفة أسباب توقفه . وإنى أرجو ممن عنده نسخة أن يقدمها لإحدى دور النشر لتتولى طبعها حتى تعم الفائدة .

لفضيلة الشيخ
توفيق اسلام يحيى

قطعى من القرآن الكريم يثبت أن الذبيح هو « إسماعيل » لا « إسحق »

وأرى - لكى أصل إلى الرأى الذى استنبطته من القرآن الكريم - تناول الموضوع من أوله مسلسلاً فى يسر ووضوح إلى الرأى القاطع الذى استنبطته .

إسماعيل بكر أولاد إبراهيم ووحيده على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام .

بعد أن نجىّ الله سبحانه إبراهيم عليه السلام من النار التى أعدها أعداؤه لتحريقه فيها غادر مسقط رأسه مهاجراً إلى ربه ، ومعه ابن أخيه لوط الذى آمن بإبراهيم وهاجر معه كما قال تعالى : « **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ** »[٢] وقال : « **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** » .

نعم غادر مسقط رأسه مهاجراً إلى ربه إلى أن وصل إلى الشام التى استقر بها . وفيها تزوج إبراهيم بابنة عمه « سارة » ومكث بها ما شاء الله أن يمكث من غير أن ينجب من سارة لعقمها . ثم بدا لإبراهيم أن يزور مصر[٣] - بأمر من الله تعالى ليحقق مستقبلاً ما هو كائن فى علم الله أزلاً - بعد قحط أصاب الشام فحضر إليها ومعه « سارة » وابن أخيه لوط .

وبرغم كبر سن « سارة » فى ذلك الوقت كانت قد احتفظت بقسط كبير من جمالها لعدم انجابها ، ولقلة ميلها إلى الناحية التى تضر بجسم المرأة إذا أكثرت منها . ولما رآها رجال فرعون أخذوها إليه لكن الله عز وجل منعه من أن يمسها بسوء فردّها إلى إبراهيم ومعها هدايا كثيرة من بينها « هاجر » لتكون فى خدمتها . وأغدق على لوط أيضاً . رجع ابراهيم عليه السلام إلى الشام ومعه سارة وهاجر وابن أخيه لوط .

وكان إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - قد بلغ من الكبر عتياً دون أن يرزق بولد ،

---

٢ - الآية ٧١ من سورة الأنبياء

٣ - هذه القصة معروفة ومذكورة فى كتب التفسير والحديث والسير ، فليرجع إليها من اراد المزيد . ومن الباحثين الاسلاميين من ينكر القصة برمتها ويقول : إن إبراهيم تزوج من أم إسماعيل - وهى من فتيات قبيلة عربية بسيناء - فى أثناء توجهه إلى الحجاز . وإثبات هذا من اختصاص علماء التاريخ الإسلامى وقصص الأنبياء . **وعملى مقصور على إثبات أن الذبيح هو إسماعيل بأدلة مستنبطة من القرآن الكريم .**

وأم إسماعيل « هاجر » لم تكن امرأة عادية ولا جارية بالمعنى المعروف عندنا وإنما كانت من سلالات الملوك . ذكر « العينى » شارح صحيح البخارى فى كتاب « أحاديث الأنبياء »: أن اباها كان من ملوك القبط من قرية بمصر تدعى « حَفْن » بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء .

إسماعيل هو الذبيح

ووهبت سارة جاريتها (هاجر) لإبراهيم عليه السلام رجاء أن ينجب منها بعد أن امتنع عليها الانجاب حتى جاوزت السبعين أو الثمانين من عمرها كما يدل على ذلك صريح القرآن الكريم فى سورة الذاريات حيث عجبت « سارة » من بشارة الملائكة لها بغلام عليم فقالت : « ... عجوز عقيم » أى كيف تلد العجوز ؟ بل ولم يسبق لها أن ولدت لعقمها .

دخل عليها إبراهيم عليه السلام ودعا الله أن يرزقه بمن يقف بجواره ويساعده على تحمل أعباء الحياة فى مثل سنه وقال : « رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ »[٤] استجاب الله سبحانه لدعائه فرزقه فوراً بالغلام الحليم حيث قال تعالى : « فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ »[٥] فالفعل « بشر » معطوف على فعل متصيد من فحوى الكلام تقديره دعا قائلاً :

رب هب لى .. فبشرناه ، بالفاء الدالة على الفور والتعقيب .

وتعقيب كل شيء بحسبه إذا قيل مثلاً :

تزوج فولد له فإذا جاء الولد بعد تسعة أشهر كان ذلك تعقيباً أى ولدله عقب مضى المدة المحددة للحمل وهى تسعة أشهر .

هذا الغلام الحليم هو بكر أولاد إبراهيم ووحيده ومقدم فى الوجود على إسحق كما قال بذلك النيسابورى[٦] وابن القيم[٧] والمفضل[٨] والعالم الكبير الداعية الاسلامى الشهير الشيخ الشعراوى[٩] وغيرهم .

لم تستطع سارة أن ترى هاجر

---

٤ ـ الآية ١٠٠ من سورة الصافات .

٥ ـ الآية ١٠١ من سورة الصافات .

٦ ـ نقل النيسابورى فى تفسيره اربع حجج على أن الذبيح « إسماعيل » رابعتها : الاجماع على إن إسماعيل مقدم فى الوجود على إسحق فهو المراد بقوله : « رب هب لى من الصالحين » ..

٧ ـ قال ابن القيم فى زاد المعاد جـ ١ صـ ٢١ : « سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : هذا القول ـ القول بأن الذبيح إسحق ـ إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم فإن فيه : إن الله امر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره . وفى لفظ وحيده ولايشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده . والذى غرّ أصحاب هذا القول أن فى التوراة التى بأيديهم : اذبح ابنك اسحق ، وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لأنها تناقض قوله : اذبح بكرك وحيدك ولكن اليهود حسدت بنى إسماعيل على هذا الشرف وأحبوا أن يكون لهم أ هـ .

٨ ـ نقل القرطبى فى تفسيره عن المفضل قوله : ليس تختلف الرواة فى ان إسماعيل اكبر من إسحق بثلاث عشرة سنة .

٩ ـ قال الامام الشعراوى : إن إسماعيل هو الابن الوحيد الذى جاء إلى ابيه على كبر (جريدة الجمهورية ٣٠ / ٥ / ٨٦) وفى الإصحاح ١٦ من التوراة كلام صريح واضح على ان سارة لم تكن تلد وانها وهبت جاريتها لإبراهيم على امل أن يرزق منها بولد ، وقد رزق به منها فعلاً وسماه ابوه (اسماعيل) هكذا استمر هذا الاصحاح فى بيان أن إبراهيم حينما رزق بابنه من هاجر كان ابن ست وثمانين سنة . والقرآن الكريم يؤيد ما جاء فى هذا الاصحاح لأنه أخبرنا أن الملائكة حينما بشروا سارة بغلام عليم استغربت وقالت : « عجوز عقيم » أى أنها لا تلد بعقمها . وكل ما ورد فى الكتب السابقة والقرآن الكريم لا يؤيده فهو من تحريف أهلها .

ورضيعها بسبب غيرتها[10] من ان يكون لإبراهيم ولد من غيرها مع انها سيدة البيت الأولى . دب الخلاف بين هاجر وسارة فامر الله سبحانه إبراهيم عليه السلام ان ينقلها ومعها رضيعها إلى واد غير ذى زرع ويتركهما هناك فى رعايته وحمايته . وكان يذهب كل شهر كما قيل « بالبراق » يزورهما يطمئن عليهما ثم يعود فى نفس اليوم إلى الشام . هكذا شغل قلب إبراهيم عليه السلام بوحيده وبكر اولاده فاراد الله عز وجل ان يلفت نظره إلى ان هذا يتنافى مع الخلة التى تقتضى تخصيص المحبوب بالمحبة وشغل القلب به وحده دون سواه .

لذلك أمره الله ـ عز وجل ـ فى منامه[11] أن يذبح وحيده ابتلاء وامتحاناً ليظهر ما هو كائن فى علم الله من أنه حقاً خليل الله يضحى بكل شىء فى سبيل هذه الخلة ولو طلب منه التضحية بوحيده الذى هو فى اشد الحاجة إليه فى كبره . فلما استيقظ من نومه انقاد لهذا الأمر فى الحال واذعن ، كما انقاد وحيده وأعلن ، قائلاً لوالده بملء فيه : « يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ » ووعده وعد الصدق بانه سيجده من الصابرين .

« فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ » واقدم على ذبحه نودى : « يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا » فجزاه الله عز وجل الجزاء الأوفى بان أعفاه عن ذبح وحيده ، وابقاه له بان فداه بذبح عظيم نزل به جبريل من الجنة .

لماذا ابهم الله عز وجل اسم الغلام الحليم ؟

أبهم الله عز وجل اسم هذا الذبيح هنا لما في هذا الابهام من التفخيم ما لا يستطيع العقل البشري أن يتصور مداه . فعدم ذكر اسمه إعلان بعظمة شأنه ، وبيان بسمو مكانته ، وحفز للهمم على البحث عن اسم هذا الغلام الحليم العظيم الشأن . وأي شأن أعظم من نزول رسول الملائكة جبريل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بكبش عظيم من الجنة فداء له ؟!

على أن الله سبحانه ذكر اسمه في ستة مواضع [12] من القرآن الكريم مقروناً باسم أخيه إسحق ومقدماً عليه في المواضع الستة مما يدل دلالة قاطعة على سبقه في الوجود ،

---

١٠ ـ الغيرة امر غريزى فى المرأة تحدث حتى بين الفضليات من النساء .

١١ ـ أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بذبح وحيده فى المنام لا فى اليقظة ليكون إسراعه إلى تنفيذ ما امر به فى منامه أدل على صدق ايمانه بالله وامتلاء جميع جوارحه بمحبة الله بحيث لم يبق فيها مكان لسواه .

(١٢) في الآيات ١٣٣ ـ ١٣٦ ـ ١٤٠ من سورة البقرة والآية ٨٤ من سورة آل عمران . والآية ١٣٦ من سورة النساء ، والآية ٣٩ من سورة إبراهيم .

إسماعيل هو الذبيح

ويشير في الوقت نفسه إلى أن اسم ذلك المبهم هو إسماعيل .

تبشير إبراهيم باسحق تقديراً على صبره على ما بلاه

بعد أن ذكر الله عز وجل قصة إبراهيم وبكر أولاده ووحيده « الذبيح » اقتضت حكمته سبحانه أن يزيد إبراهيم طمأنينة وأمناً ، ويملأ قلبه فرحاً وسروراً فشرح صدره وبشره بأنه سبحانه سيرزقه بوليد آخر يكون أخا للذبيح تقديراً له على إخلاصه لله ، وتكريماً له على صبره على ما بلاه ، وبشره بأن هذا الوليد أيضا سيكون له شأن ، لأنه سيكون نبياً في المستقبل ، قال تعالى عقب ذكر القصة « وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيّاً مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ » (١٣) .

بعد هذا الاستطراد نجمل هنا النقط الأساسية التي تساعدنا على استنباط الأدلة التي تثبت أن الذبيح هو « إسماعيل » لا « اسحق » .

● النقطة الأولى : أن الذبيح بكر إبراهيم ووحيده يؤيده وصف لفظ « البلاء بالمبين » (١٤) .

● النقطة الثانية : ولد إسحق بعد أن تم البلاء المبين بسنة ، بين الذبيح وبينه أربع عشرة سنة .

● النقطة الثالثة : اكرم الله سبحانه إبراهيم بأن فدى وحيده بكبش من الجنة ، وأقر عينيه به باعفائه من الذبح .

● النقطة الرابعة : أكرم الله سبحانه إبراهيم بأن ترك له ذكرا جميلا وثناء حسناً وإلى يوم الدين .

● النقطة الخامسة : اكرم الله سبحانه إبراهيم بأن بشره بعد البلاء المبين بإسحق نبياً من الصالحين .

بعد هذا العرض الواضح لقصة « الذبيح » نستطيع أن نقول : إن في القرآن الكريم دليلين قطعيين يثبتان أن الذبيح هو « إسماعيل » هما لفظ « نبياً » في قوله تعالى « وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا » ، ولفظ « ذريتهما » في قوله تعالى « وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ » .

القواعد التي استندت إليها في استنباط الدليلين

○ الدليل الأول : استنبطته من قوله تعالى « ... نبياً » طبقا للقواعد المسلمة الآتية :

ـ القاعدة الأولى : العمل بظاهر النص بحسب مدلوله اللغوي مع قطع النظر عما هو كائن في علم الله تعالى ، والدليل على أن هذه القاعدة مسلمة هو أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بدعوة كبار قريش وصناديدها ومنهم عمه أبو لهب إلى الايمان مع علمه تعالى بأنهم لن يؤمنوا ، والنبي صلى الله عليه وسلم دعاهم مرة تلو أخرى فلم يؤمنوا . ولو لم يدعهم إلى الايمان لكان مقصراً في التبليغ ودخل تحت قوله تعالى :

---

(١٣) الآية ١١٢ من سورة الصافات .

(١٤) وصف البلاء بالمبين في قوله تعالى « إن هذا لهو البلاء المبين » فالبلاء المبين هو أن يؤمر الانسان بذبح وحيده وفي كبره ولا يرجى أن يرزق بغيره . أما امره بأن يذبح واحداً من اولاده ، فهو قطعاً نوع من البلاء لكنه ليس هو البلاء المبين .

« وإن لم تفعل فما بلغت رسالته »[١٥] .

ـ القاعدة الثانية : إجماع علماء النحو على أن الحال وصف لصاحبه في المعنى قيد لعامله[١٦].

ـ القاعدة الثالثة : وعد الله سبحانه حق وخلف هذا الوعد محال على الله سبحانه بدليل قوله تعالى : « وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ »[١٧] . هذه الآية الشريفة أقوى دليل على أن خلف وعد الله تعالى محال لأنها أثبتت أن خلف الوعد من صفات الشيطان . والله سبحانه منزه عن ذلك .

وبناء على ما ذكرنا نقول : إن قوله تعالى : « نبياً » نص على أن الذبيح ليس اسحق لأنه لو كان إسحق للزم خلف وعد الله سبحانه لابراهيم بأن إسحق سيكون نبياً في المستقبل وخلف وعد الله تعالى محال فثبت أن اسحق ليس هو الذبيح . فإذا امتنع كون اسحق هو الذبيح تعين أن يكون الذبيح هو إسماعيل .

○ الدليل الثاني : استنبطته من قوله تعالى : « ومن ذريتهما .. » ولتوضيح ذلك اقول : إن كثيراً من أساتذتنا المفسرين الأجلاء (رحمهم الله) ذهبوا إلى أن ضمير الغائب في قوله تعالى : « وباركنا عليه » يعود على ابراهيم عليه السلام ، وضمير الغائبين يضبط في قوله تعالى « ... ومن ذريتهما ..» يعود على إبراهيم وإسحق عليهما السلام .

وذهب بعض المحققين[١٨] من المفسرين ـ وهو الحق ـ أن ضمير الغائب في قوله تعالى « وباركنا عليه » يعود على إسماعيل ، وضمير الغائبين يعود على إسماعيل وإسحق لا على إبراهيم وإسحق . ولا أدري كيف غاب عن

---

(١٥) ذكرت هذه القاعدة بدليلها حتى لايقول الذين ذهبوا إلى أن الذبيح إسحق إن الله سبحانه أمر إبراهيم بذبح ابنه إسحق قبل أن يصير نبياً مع وعده له بذلك عند التبشير ، لعلمه سبحانه أزلا أن هذا الذبح لن يحصل . ويقال لهؤلاء : « لسنا مكلفين بأن نضع في اعتبارنا عند استنباط حكم من نص ما إذا كان هذا الحكم مطابقاً لما في علمه تعالى لأننا عاجزون عن ذلك قطعاً بدليل قوله تعالى : « ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء » ـ الآية ٢٥٥ من سورة البقرة ـ واستنباط الحكم من النص يحسب مدلوله اللغوي هو الذي يندرج تحت الجهد المطلوب بذله للوصول إلى الحكم ، اما مطابقة هذا الحكم لما في علم الله سبحانه وتعالى أو عدم مطابقته له فهذا خارج عن جهد المستنبط ، وبالتالي ليس مكلفاً به .

(١٦) معنى هذه العبارة : إذا قلنا : جاء الطالب مسروراً ، فلفظ مسروراً حال من الطالب لكنه في المعنى وصف له ، كأننا قلنا : جاء الطالب المسرور . وهذا الحال ـ مسروراً ـ في الوقت نفسه قيد لعامله وهو الفعل « جاء » فيكون الفعل مقيداً به بمعنى ان مجيء الطالب مقيد بهذا السرور فالتبشير بإسحق يعتبر بوعده سبحانه لابراهيم بأن إسحق سيكون نبياً .

(١٧) الآية ٢٢ من سورة « إبراهيم » وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على استحالة خلف وعد الله تعالى مثل الآية ٩ ـ ١٩٤ من آل عمران والآية ٤٣ من الأعراف والآية ٣١ من الرعد والآية ٤٧ من إبراهيم ، والآية ٦ من الروم ، وغيرها وغيرها ..

(١٨) منهم المؤرخ الإسلامي الكبير الشيخ عبد الوهاب النجار قال بذلك في كتابه قصص الأنبياء ، ومنهم المفضل كما نقل عنه القرطبي في سورة الصافات واعترض عليه بأن إسماعيل لم يسبق ذكره حتى يعود الضمير عليه ، واقول هذا الاعتراض غير وارد اطلاقاً لأن مرجع الضمير وان لم يسبق ذكره باسمه فقد سبق ذكره بوصفه ـ الغلام الحليم اي الذبيح ـ وهذا ـ كما لا يخفى على أحد ـ كاف لعود الضمير عليه .

إسماعيل هو الذبيح

أساتذتنا المفسرين الأجلاء هذا المعنى الدقيق المفهوم من التركيب الاضافي وهو « ذريتهما » الدال دلالة قاطعة على أن الذبيح إسماعيل لا إسحق .

وتحرير المقام : ان إضافة « ذرية » إلى ضمير الغائبين ليست بمعنى (في) لأن المضاف إليه ليس ظرفاً للمضاف ، وليست بمعنى « من » لأن المضاف إليه لا يصلح للإخبار ، عن المضاف ، فتعين أن تكون هذه الاضافة بمعنى « اللام » و « اللام » قد تكون للتمليك مثل : هذا ثوب زيد بمعنى أن هذا الثوب ملك لزيد . وقد تكون للاختصاص مثل هذا كرسي المدير بمعنى أن هذا الكرسي خاص بالمدير اى أن كل من يعين مديراً يجلس على هذا الكرسي الذي هو ملك الادارة . والاضافة في « ذريتهما » ليست للتمليك لأن الذرية ليست ملك الغائبين . بل ذرية الغائبين مع الغائبين أنفسهما ملك لله سبحانه الذي هو مالك كل شيء ، فتعين أن تكون الاضافة هنا للاختصاص .

وحينئذ يكون معنى التركيب الاضافي : ومن الذرية الخاصة بكل منهما محسن وظالم لنفسه مبين . هذا المعنى العلمي المستنبط من التركيب الاضافي ـ كون الاضافة بمعنى اللام ـ يستلزم أن تكون ذرية كل واحد منهما قسيماً لذرية الآخر لا قسماً منها ، وهذا المعنى لا يتحقق إلا إذا عاد ضمير الغائبين على إسماعيل واسحق حيث أن ذرية كل منهما قسيم لذرية الآخر لا قسم منها ، ولو عاد ضمير الغائبين على إبراهيم وإسحق للزم أن تكون ذرية إبراهيم قسيماً لذرية إسحق ، وذرية إسحق قسيماً لذرية إبراهيم ، وهذا باطل بنص القرآن الكريم حيث قال تعالى : « أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ »[19] حيث دخلت ذرية إسماعيل وإسحق في ذرية إبراهيم عليهم السلام فتكون ذرية كل منهما قسماً من ذرية إبراهيم لا قسيماً لها ، أما ذرية اسماعيل فهي التي تكون قسيما لذرية إسحق وبالتالي تكون ذرية إسحق قسيما لذرية إسماعيل بدليل أن خاتم الانبياء والمرسلين من ذرية إسماعيل ، وموسى من ذرية إسحق ، وكل منهما من ذرية إبراهيم عليهم السلام ، الأول عن طريق اسماعيل والثاني عن طريق إسحق فتبين بيقين أن ذرية كل من إسماعيل وإسحق ذرية خاصة به ، وذرية كل منهما قسيم لذرية الآخر ، وهو عين مدلول التركيب الاضافي في قوله تعالى : « .. ذريتهما » وهذا المدلول القطعي يوجب ـ لكي يستقيم المعنى ـ أن يعود ضمير الغائب في قوله تعالى : « وباركنا عليه » على اسماعيل عليه السلام ، ويكون المعنى : وباركنا على الذبيح وعلى إسحق ، ومن ذرية كل من الذبيح وإسحق محسن وظالم لنفسه مبين .

بهذين الدليلين القطعيين تعين أن يكون الذبيح هو إسماعيل لا إسحق عليهما وعلى أبيهما وعلى خاتم الأنبياء وسائر المرسلين صلوات الله وسلامه دائماً ابداً .

---

(١٩) الآية ٥٨ من سورة مريم .

تقدير الإسلام للأعياد

لفضيلة الشيخ محمد صابر البرديسى

قالت عائشة (رضى الله عنها) دخل على رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث (1) فاضطجع على الفراش ، وحول وجهه ، ودخل أبو بكر فانتهرنى ، وقال : (مزمارة الشيطان عند النبى « صلى الله عليه وسلم » وفى رواية فقال أبو بكر « عباد الله ٠٠ أمزمور الشيطان » ؟ قالها « ثلاثا » فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يا أبا بكر ، ان لكل قوم عيدا وان اليوم عيدنا) :

رواه الامام أحمد والشيخان ٠

أولا : اللغة : ١ ــ بعاث : تغنى : يوم بعاث (حرب بين الأوس والخزرج) كانت الجاريتان تغنيان بالمفاخر فيه ٠

٢ ــ مزمارة ، ومزمور : آلة الغناء ٠

البيان

١ ــ للأعياد تقديرها فى الاسلام ٠٠

يحتفل المسلمون كل عام بالعيد المبارك ، وللأعياد فى الاسلام تقديرها وعظمتها فى نفوسهم ، لأنها تدل على وحدتهم ، وتعاطفهم ، وتراحمهم ، فى العيد يفتح الله أبواب رحمته ، ويشمل عباده بالرضى ، ويمن عليهم بالقبول ، ويجمعهم على محبته ، ويغدق عليهم من جلائل نعمه ٠

اعياد المسلمين :

الأعياد مظهر من مظاهر شخصية الأمة ، واعلان لما يسرها ولما تحبه ، وسمى عيدا لأنه يعود بالفرح والسرور والمرح ، وللمسلمين عيدان عظيمان : عيد الفطر ، وعيد الأضحى ٠

---

١ ــ بعاث : اسم حصن للأوس ، ويوم بعاث: يوم مشهور من أيام العرب كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس على الخزرج ٠

تقدير الاسلام للأعياد

وليس العيد فى الاسلام مظهر النشاط يفتعل السعادة ، أو يتكلف السرور ، لا .. انما هو يبعثهما فى النفس بعثا ذاتيا من ارادة الله — سبحانه ، ذلك أن الله عزوجل — قد ناط بكل عيد عملا « ماديا » يشمل خيرهالناس من ذوى الحاجات أجمعين :

ألا ترى الى زكاة الفطر عقب رمضان يصل خيرها الى الكافة أجمعين .

وألا ترى الى الأضحية كيف جعلها الشارع الحكيم مصدر خير للكافة أجمعين .

فعيد الاسلام سعادة ليست من فراغ ، أو شعارات لا تستبطن شيئا من خير .

عيد الفطر يوم فرح الأمة الاسلامية بتوفيق الله لها على أداء فريضة الصوم ، وما فيها من تجليات وخير وبركة .

يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه (٢) .

والملائكة تشارك فرحة المسلمين بالعيد ، وتبشرهم بغفران الله لهم ، عن سعد بن أوس الأنصارى ، عن أبيه (رضى الله عنه) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

اذا كان يوم عيد الفطر ، وقفت الملائكة على أبواب الطرق ، فنادوا : أغدوا يا معشر المسلمين الى رب كريم ، يمن بالخير ، ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فاذا صلوا نادى مناد ، الا ان ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا راشدين الى رحالكم ، فهو يوم الجائزة (٣) .

هو عيد تجتمع فيه الأمة على شكر الله وتكبيره على هدايته لهم ، قال تعالى : (**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَاهَدَاكُمْ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) وشرع الله فيه زكاة الفطر ، من أجل تآلفهم وتراحمهم .

عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : « فرض رسول الله « صلى الله عليه وسلم » زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين .

هذا عيد الفطر فأما عيد الأضحى المبارك ففيه اجتماع المسلمين بمكة المكرمة لأداء فريضة الحج التى أوجبها الله على كل مسلم قادر ، قال تعالى : « **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** » .

يجتمعون فى عرفات ، ويفرح المسلمون بهذا اللقاء العالمى الذى يوحد الكلمة بينهم ، ويجمعهم جميعا فى مكان واحد ، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وأوطانهم وأجناسهم تحت شعار واحد ، هو عبادة الله ، وأداء الفريضة .

٢ — اللعب فى الأعياد وما يستحب فيها :

ومن شعائر الاسلام التى شرعها الله فى يوم العيد ، اللعب المباح ، واللهو البرىء الذى

---

٢ — رواه مسلم .
٣ — رواه الطبرانى فى الكبير .
٤ — سورة البقرة آية ١٨٥ .
٥ — رواه أبو داود .
٦ — سورة آل عمران آية ٩٧ .

لا يبطل حقا ، ولا يضيع واجبا والغناء الذى لا يثير شهوة فان الرياضة للبدن والترويح عن النفس بما هو مشروع سنة وشعيرة •

قال أنس : قدم النبى (صلى الله عليه وسلم) المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال : قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما ، يوم الفطر والأضحى •

وقالت عائشة (رضى الله عنها) ان الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى يوم عيد ، فاطلعت من فوق عاتقة ، فطأطأ لى منكبيه ، فجعلت أنظر اليهم من فوق عاتقة حتى شبعت ، ثم انصرفت •

قال الحافظ فى الفتح : عن عائشة (رضى الله تعالى عنها) أنه (صلى الله عليه وسلم)

قال يومئذ : لتعلم يهود المدينة أن فى دنينا فسحة ، انى بعثت بحنفية سمحة •

٣ ــ ما يستحب يوم العيد : يستحب فى يوم العيد التبكير فى اخراج الزكاة والافطار قبل الخروج للصلاة ويستحب الغسل والتطيب ولبس أجمل الثياب •

عن الحسن السبط قال : (أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى العيدين أن نلبس أجود ما نجد ، وأن نتطيب بأجود ما نجد ، وأن نضحى بأثمن ما نجد (٩) •

ويستحب الأكل قبل الخروج للفطر دون الأضحى •

قال أنس : كان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يغدو يوم الفطر ، حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترا(١٠) •

قال ابن قدامه « لا نعلم فى استحباب تعجيل الأكل يوم الفطر اختلافا » •

ويستحب التبكير فى الخروج للصلاة فى عيد الأضحى ، وأن لا يأكل حتى يفطر على كبد أضحيته التى لا تسمى أضحية حتى تذبح بعد الصلاة •

قال جندب « كان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصلى بنا الفطر ، والشمس على قيد رمحين ، والأضحى على قيد رمح »(١١) •

ويستحب الذهاب الى المصلى من طريق والرجوع من آخر ، لما رواه جابر ــ رضى الله عنه « كان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا كان يوم عيد خالف الطريق »(١٢) •

ويستحب التهنئة بالعيد ، عن جبير بن نفيل قال : « كان أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : « تقبل منا ومنك » قال الحافظ اسناده حسن •

٤ ــ آداب الأعياد :

للأعياد آداب ينبغى أن يتحلى بها المسلم ، منها تزاور المسلم مع أخيه المسلم ، ففى ذلك

◀

٧ ــ رواه النسائى وابن حبان بسند صحيح
٨ ــ رواه احمد والشيخان •
٩ ــ رواه الحاكم •
١٠ ــ رواه احمد والبخارى •
١١ ــ رواه احمد
١٢ ــ رواه البخارى •

تقدير الإسلام للأعياد

ادخال السرور عليه ، والتصدق على الفقراء والمساكين ، واشعارهم بأنه لا فرق بينهم وبينه مع مراعاة شعورهم ، فلا يتصدق عليهم أمام الناس ، خاصة اذا كانوا من المستورين ، الذين لا يسألون الناس الحافا ، وأن ينسى المسلم ما بينه وبين أخيه المسلم من عداوة أو بغضاء ، وأن يبادر بمد يده اليه مصافحا ، فخير الناس من يبدأ أخاه بالسلام ومنها : صلة الرحم ، وهى مطلوبة ومحمودة فى الاسلام ، فصلة الرحم ، ومودة الأقرباء من أعظم القربات عند الله ، ومن وصل رحمه وصله الله، ومن قطعها قطعه الله ، فمهما عظم شأن المرء ، وارتقى من الدرجات وعلا شأنه أو كثر ماله ، فلا ينبغى أن يترفع على ذوى القربى ، بل الواجب عليه مودتهم ، والعطف عليهم ، واشعارهم بالقرب منه ، قال تعالى : « **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ، وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا** »(١٣) .

٥ ــ تجلى الله فى الأعياد على عباده الصالحين :

المسلمون حين يذهبون الى مصلاهم يسبحون الله ويكبرون يهللون ، فتحفهم الملائكة ، ويتجلى الله عليهم فى هذا اليوم العظيم ، يسمع الله نشيدهم فى طرقاتهم ، أفرادا وجماعات ، وفى مساجدهم ، وعقب صلواتهم ، معلنين تكبير الله وحمده ، وسيرهم على منهجه ، مظهر كريم، تتجلى فيه نظافة الثياب وجمال المنظر مع نظافة القلب وطيب المخبر .

وعلى المسلم التضرع الى الله لينال ثوابه ، وأن يستمر على ماكان عليه من عبادة ، وأن يعامل الناس بالرفق ، وبالخلق الحسن ، وفعل البر ، والبعد عن الاثم ، وأن يداوم على جوده وكرمه وأن يمتد بمنافعه حول أمته ، لا أن يكون ضيقا مجتمعا حول نفسه ، وأن يتوب الى الله توبة نصوحا ، قال كعب : (من صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه اذا أفطر بعد رمضان عصى ربه ، فصيامه عليه مردود)(١٤) . وفى الحديث « تعرضوا لنفحات ربكم فان لله نفحات من رحمته ، يصيب بها من يشاء من عباده » .

١٣ ــ سورة الاسراء آية ٢٦ .

١٤ ــ آخره سلمة بن شبيب .

تدوين علم القراءات

لفضيلة الشيخ إبراهيم عطوة عوض

القرآن الكريم : كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

أنزله الله سبحانه وتعالى على أشرف المرسلين على سبعة أحرف . قال : رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « أنزل القرآن على سبعة أحرف » . والى ذلك أيضا يشير — صلى الله عليه وسلم — حيث قال : لأحد المختلفين القارئين : أحسنت ، وفى الحديث الآخر أصبت، وفى الآخر هكذا أنزلت من عند الله .

وهو كلامه لا شك فيه .. فاضافة الحروف والقراءات الى أئمة القراء ورواياتهم انما تعنى ذلك القارىء اختار القراءة بذلك الوجه حسبما قرأ به فآثره على غيره ، والتزمه حتى اشتهر وعرف به ، وأخذ عنه . فلذلك أضيف اليه دون غيره من القراء . كذلك فان اختلاف هذه القراءات لم يتطرق اليه تضاد ولا تناقض ، بل كله يصدق بعضه بعضا . ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد . مع الروعة وجمال الاتساق ، وجمال الاعجاز . (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيه اخْتِلافًا كَثِيرًا) النساء : ٨٣ . فضلا عما فى ذلك من التيسير والتسهيل على الأئمة ، وعظيم الأجر لمن اشتغل به ، واستخراج كمين أسراره وخفى اشاراته .

ومن هنا عنى أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والتابعون وتابعو التابعين بحفظه ، واتقانه . والاحاطة بما صح من قراءاته . وثبت من رواياته عناية كانت هى محط أنظارهم . والمحل الأول من شئونهم ، وحذا حذوهم فى ذلك التابعون وتابعو التابعين . ولقد صدق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حيث يقول : (أفضل القرون قرنى . ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) *

* ذكره الامام أبو شامة فى كتابه ابراز المعانى واثبته الامام أحمد فى مسنده، وبلفظ "خير" فى الصحيح

تدوين علم القراءات

وقد اشتهر فى كل طبقة من طبقات الأمة جماعة بحفظ القرآن واقرائه • فالمشتهرون من الصحابة باقراء القرآن — عثمان ، وعلى ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء عويمر بن زيد الأنصارى الخزرجى ، وأبو موسى الأشعرى ، وسائر أولئك الذين أرسلهم عثمان بالمصاحف الى الآفاق الاسلامية •

والمشتهرون من التابعين الأوائل تلامذة أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم : سعيد بن المسيب ، وعروة ، وسالم •

وتبع هذه الطبقة : عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن يسار وأخوه عطاء ، وزيد بن أسلم، ومسلم بن جندب وابن شهاب الزهيرى ، وعبد الرحمن بن هرمز ، ومعاذ بن الحارث المشهور بمعاذ القارىء ، وكل هؤلاء بالمدينة •

ومن التابعين الأوائل : عطاء بن يسار ، ومجاهد (١) ، وطاووس (٢) ، وعكرمة (٣) ، وابن أبى مليكة (٤) ، وعبيد بن عمير وغيرهم• وهؤلاء كانوا بمكة •

وعاصم بن عبد القيس ، وأبو العالية(٥) ، وأبو رجاء (٦) ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وجابر بن زيد ، والحسن البصرى ، وابن سيرين(٧) ، وقتادة بن دعامة السدوسى وغيرهم وهؤلاء كانوا بالبصرة •

ومن الأوائل وتلاميذهم : علقمة(٨) ،

---

١ — مجاهدبن جبر •
الامام ابو الحجاج مولى السائب بن أبى السائب المخزومى المكى المقرىء المفسر أحد الاعلام •
قرأ على ابن عباس — وروى عن عائشة وأبى هريرة وسعد وعبدالله بن عمرو ، وجماعة من الصحابة — رضي الله عنهم •
وتوفى سنة ثلاث ومائة — وقد نيف على الثمانين •

٢ — طاووس بن كيسان أبو عبد الرحمن اليمانى التابعى الكبير المشهور أخذ القرآن عن ابن عباس • طبقات القراء : ٣٤١ عدد رتبى ١٤٧٩ •

٣ — عكرمة بن خالد بن العاص أبو خالد المخزومى المكى • تابعى ثقة جليل حجة روى القراءة عرضا عن أصحاب ابن عباس ولا يبعد أن يكون عرض عليه •
طبقات القراء ١ : ٥١٥
عدد رتبى ٢١٣٠

٤ — عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة أبو بكر وأبو محمد التميمى التابعى المشهور •
ت ١١٧ هـ طبقات القراء ١ : ٤٣٠ عدد رتبى ١٨٠٦

٥ — أبو العالية : رفيع بن مهران ابو العالية الرياحى من كبار التابعين أسلم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بسنتين • أخذ القرآن عرضا عن ابى وزيد بن ثابت وابن عباس ت ٩٠ سنة او سنة ٩٦ طبقات القراء ١ : ٢٨٤ عدد رتبى ١٢٧٢ •

٦ — أبو رجاء العطاردى : عمران بن تيم ويقال ابن ملحان البصرى التابعي الكبير • أسلم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم • عرض القرآن على ابن عباس وتلقنه عن ابى موسى الاشعرى ت ١٠٥ وله مائة وسبع وعشرون سنة وقيل مائة وثلاثون •

٧ — محمد بن سيرين • الانصارى • مولاهم البصرى — من أعلام علماء القرن الاول الهجرى• ذكره الامام مالك فى الموطأ بسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ٥ ص ٢٦٩ — ٢٧٠ ط الحلبى سنة ١٩٦٢ تحقيق الاستاذ ابراهيم عطوه عوض •

٨ — علقمة بن قيس •
ابن عبدالله بن مالك ابو شبل النخعى الفقيه عم الاسود بن يزيد ولد فى حياة النبى — صلى الله عليه وسلم — وقرأ القرآن على ابن مسعود وتوفى علقمة سنة اثنتين وستين •

والأسود(٩) ، ومسروق(١٠) ، وعبيدة(١١) ، والربيع بن خيثم والحارث بن قيس ، وعمرو بن شرحبيل (١٢) ، وعمرو بن ميمون (١٣) ، وأبو عبد الرحمن السلمى ، وزر بن حبيش ، وعبيد ابن نضلة ، وأبو زرعة بن عمرو ، وسعيد بن جبير ، والنخعى ، والشعبى • وهؤلاء كانوا بالكوفة •

والمغيرة بن أبى شهاب المخزومى صاحب مصحف عثمان ، وخليد بن سعيد صاحب أبى الدرداء وغيرهما • وهؤلاء كانوا بالشام •

كذلك كان بمكة عبد الله بن كثير ، وحميد بن قيس الأعرج ، ومحمد بن محيصن ، وكان بالكوفة يحيى بن وثاب ، وعاصم بن أبى النجود وسليمان الأعمش • ثم حمزة ، ثم الكسائى •

وكان بالبصرة عبد الله بن أبى اسحاق ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعاصم الامارى ، ثم يعقوب الحضرمى •

وكان بالشام عبد الله بن عامر ، وعطية بن قيس الكيلانى ، واسماعيل بن عبد الله ، وقد لمع فى سماء هؤلاء القراء نجوم عدة ، سهروا فى القراءة والضبط حتى صاروا فى هذا الباب أئمة يرحل اليهم ويؤخذ عنهم •

ولقد تفرغ قوم للقراءة وتجردوا لها • فاشتدت عنايتهم بها حتى صاروا أئمة فى القراءات يتلقاها الناس عنهم فى كل مصر من الأمصار ، ويقتدى بهم فى مدن الاسلام •وكان هؤلاء الأئمة فى المدينة ، وفى مكة ، وفى الكوفة، وفى البصرة ، وفى الشام •

ثم ان القراء بعد هؤلاء كثروا ، وتفرقوا ، وانتشروا فى الآفاق وصاحب ذلك كثرة من دخلوا فى الاسلام من غير العرب فاتسع الخوف أن يقل الضبط فقام جهابذة الأمة وبالغوا فى الاجتهاد • وجمعوا الحروف والقراءات ،وعزوا الوجوه والروايات ، وميزوا الصحيح والشاذ بأصول بينوها ، وقواعد وضعوها •

فمن ذلك قولهم :

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ،ووافقت أحد المصاحف ولو احتمالا ، وصح سندها ، فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ، ولا يحل انكارها ، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها •

---

٩ ـ الاسود بن يزيد النخعى (ابو عمرو) • اخذ القراءة عرضا عن ابن مسعود « رضى الله عنه » ، وحدث عن أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، ومعاذ ، وبلال ، وعائشة رضى الله عنهم • وتوفى سنة خمس وسبعين •

١٠ ـ مسروق بن الأجدع بن مالك ابو عائشة الهمدانى الكوفى • اخذ القراءة عرضا عن عبدالله بن مسعود •

١١ ـ عبيدة بن عمرو ، ويقال ابن قيس السلمانى أبو مسلم الكوفى •اخذ القراءة عنه ابراهيم النخعى •

١٢ ـ عمرو بن شرحبيل ابو ميسرة الهمدانى الكوفى تابعى جليل • طبقات القراء ١ : ٦٠١ عدد رتبى ٢٤٥٣ •

١٣ ـ عمرو بن ميمون أبو عبد الله الأودى الكوفى التابعى الجليل • عرض القرآن على ابن مسعود • طبقات القراء ١ : ٦٠٢ عدد رتبى ٢٤٦٣

تدوين علم القراءات

ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، صرح بذلك الامام الحافظ أبو عمر وغيره •

ولقد قيض الله تعالى لكتابه المجيد • من دون وجوه قراءاته ، وضبط طرق رواياته • فاجتهدوا فى ذلك حق الاجتهاد • وبذلوا النصح فى ذلك لله ورسوله والعباد • فأخذوا فى جمع ذلك وتدوينه ، فاستفرغوا فيه وسعهم ، وبذلوا جهدهم ، فكان أول امام معتبر جمع القراءات فى كتاب : أبو عبيد — القاسم بن سلام — ، وجعلهم خمسة وعشرين قارئا ، مع هؤلاء السبعة — توفى سنة أربع وعشرين ومائتين •

ثم تلاه الجماعة سالكين طريقه ومقلدين سنته • فكثرت التآليف وانتشرت التصانيف ، واختلفت أغراضهم بحسب الايجاز والتطويل، والتكبير والتقليل وكل له مقصد سنى ، ومذهب رضى :

فكان أول من تابعه — أحمد بن جبير — الكوفى • نزل أنطاكية • فجمع كتابا فى القراءات الخمسة من كل مصر واحد •

ثم القاضى — اسماعيل بن اسحاق — المالكى — صاحب — (قالون) — فألف كتابا جمع فيه قراءة عشرين اماما — منهم هؤلاء السبعة •

ثم الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى الذى ألف كتابا سماه — الجامع — فيه نيف وعشرون قراءة •

ثم الامام — أبو بكر محمد الداجونى — جمع كتابا فى الأحد عشر • وأدخل معهم أبا جعفر •

ثم فى أثره — الامام — أبو بكر أحمد بن العباس — مجاهد — أول من اقتصر على هؤلاء السبعة • فانه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين والشام • اذ هذه الأمصار الخمسة هى التى خرج منها علم النبوة ، من القرآن وتفسيره ، والحديث والفقه ، وسائر العلوم الدينية •

فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التى أنزل عليها القرآن — لا لاعتقاده — أو اعتقاد غيره من العلماء • أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءاتهم •

وقد ألف الناس فى زمانه وبعده فى القراءات أنواع التآليف :

فألف « كتاب الغاية » أبو بكر أحمد بن مهران الأصبهانى • ثم تلاه أبو الفضل بن جعفر الخزاعى فألف المنتهى فى العشر •

ثم أبو الطيب عبد المنعم بن غلبون الذى وضع « الارشاد » •

ثم : « التذكرة » — لأبى الحسن طاهر بن غلبون الحلبى نزيل مصر •

و « الهادى » لأبى عبد الله بن سفيان القيروانى •

« والمجتبى » لعبد الجبار الطرطوسى — نزيل مصر •

« والروضة » — لأبى عمر أحمد الطلمنكى ، أول من أدخل القراءات الأندلس •

و ـ « التبصرة » ـ لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيروانى .

و ـ « الهداية » ـ لأبى العباس ابن عمار المهدوى .

و « الروضة » ـ فى العشر المشهورة .

وقراءة ـ الأعمش ـ لأبى على ـ الحسن البغدادى ـ المالكى نزيل مصر .

و ـ « المفيد » ـ فى العشرة لأبى نصر أحمد ابن مسرور البغدادى .

و ـ « التيسير » ـ و ـ جامع البيان ـ فى السبع ، ولم يؤلف مثله فى هذا الفن . يشتمل على نيف وخمسمائة رواية وطريق عن السبعة كلاهما للحافظ . أبى عمرو الدانى ، و ـ مفردة يعقوب ـ له أيضا .

و ـ « التذكار » ـ لأبى الفتح عبد الواحد ابن شيطا . البغدادى .

و ـ « الوجيز » ـ للامام أبى حسن على الأهوازى نزيل دمشق .

و ـ « الجامع » ـ فى العشر ، وقراءة الأعمش ـ لأبى محمد ـ الخياط ـ البغدادى .

و ـ « العنوان » ـ لأبى الطاهر بن خلف الأندلسى . ثم المصرى .

و ـ «القاصد» ـ لأبى القاسم عبد الرحمن ابن سعيد الخزرجى القرطبى .

و ـ « الكامل » ـ فى العشر ، والأربع الزوائد عليها من ألف وأربعمائة وتسع وخمسين رواية وطريق . لأبى القاسم يوسف ابن جبارة . الهذلى المغربى الذى طاف البلاد ، وروى عن أئمة القراءة . حتى انتهى الى ماوراء النهر . قال ـ فى كامله ـ جملة من لقيت فى هذا العلم ثلثمائة وخمسة وستين شيخا .

و ـ « التلخيص » ـ فى الثمان ، لأبى معشر عبد الكريم الطبرى شيخ مكة .

و ـ « الجامع » ـ فى العشر . لأبى الحسين نصر بن عبد العزيز الفارسى .

و ـ « الكافى » ـ لأبى عبد الله محمد بن شريح الرعينى الأشبيلى .

و ـ « المستنير » ـ فى العشر لأبى الطاهر ابن سوار البغدادى .

و ـ « المذهب » ـ فى العشر للزاهد أبى منصور الخياط البغدادى .

و ـ « المصباح » ـ فى العشر ، لأبى الكرم المبارك بن الحسين بن فتحان . الشهرزورى البغدادى .

و ـ « تلخيص العبارات » ـ لأبى على الحسن بن بليمة بفتح الموحدة ، وتشديد اللام المكسورة بعدها الياء آخر الحروف ـ الهوارى القيروانى . نزيل الأسكندرية .

و ـ « التجريد » ، و ـ مفردة يعقوب ـ كلاهما لشيخ الأسكندرية . أبى القاسم عبد الرحمن بن أبى بكر الصقلى ابن الفحام .

و ـ « الارشاد » ـ فى العشر . و ـ و « الكفاية الكبرى » كلاهما لأبى العز القلانسى الواسطى .

و ـ « الموضح » ـ و ـ « المفتاح » كلاهما لأبى منصور محمد بن خيرون العطار البغدادى الخطيب أبى جعفر أحمد بن الباذش ، الغرناطى .

والارشاد ـ فى العشر ـ لأبى منصور أحمد العراقى .

و ـ « المبهج » ـ فى القراءات الثمان .

تدوين علم القراءات

وقراءة الأعمش ، وابن محيصن ، وخلف(١٤)، واليريدى • و ــ « الايجاز » ــ و ــ « ارادة الطالب » ــ فى العشر • وهو فرش(١٥) القصيدة المنجدة • وكتاب ــ « تبصرة المبتدى » ــ و ــ « الكفاية » ــ فى الست(١٦) والخمسة(١٧) ، لأبى محمد عبد الله بن على • سبط الخياط ، مؤلف « المهذب » •

و « المفيد » فى الثمان ــ لأبى عبد الله محمد الحضرمى اليمنى •

و « غاية الأختصار » ــ للحافظ أبى العلاء الحسن بن أحمد أحمد العطار الهمذانى •

و « حرز الأمانى » ــ القصيدة المشهور بــ الشاطبية • لولى الله أبى القاسم بن فيره ابن خلف • الرعينى الأندلسى الشاطبى الشافعى الضرير ، وقد شرحها ــ علم الدين السخاوى • وهو أول من شرحها واشتهرت بسببه • وكان أهل مصر كثيرا ما يحفظون « العنوان »(١٨) فلما ظهرت القصيدة تركوه • وكتاب « جمال ــ القراء • وكمال الاقراء » للسخاوى أيضا • اشتمل على ما يتعلق بالقراءات والتجويد • والناسخ والمنسوخ ، والوقف والابتداء •

ثم شرح الشاطبية للامام • أبى القاسم عبد الرحمن أبى شامة •

وقد شرح أيضا أبو عبد الله محمد بن الحسن الفاسى • ثم أبو عبد الله محمد بن أحمد الموصلى ــ عرف بــ « شعلة » ــ وله أى لشعلة ــ الشمعة ــ قصيدة رائية قدر نصف الشاطبية • أحسن نظمها واختصارها •

وحرز المعانى فى اختصار حرز الأمانى للامام محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسى نزيل دمشق ، وله قصيدة أخرى ــ دالية فى القراءات ــ يقول فيها :

ولابد من نظمى قوافى تحتوى
لما قد حوى حرز الأمانى وأزيدا

ثم توالى شراح الشاطبية والتكملة المفيدة لحافظ القصيدة ــ فى وزن الشاطبية ، للخطيب أبى الحسن على بن عمر • الكتانى القيجاطى • نظم فيها ما زاد على الشاطبية من « تبصرة مكى » • و « كافى ابن شريح » ، و « وجيز الأهوازى » و « مختصر الشاطبية » لعبد الصمد بن التبريزى • فى خمسمائة وعشرين بيتا •

وشرح الشاطبية أيضا أبو العباس ابن جبارة المقدس ، والعلامة المحقق ــ أبو اسحاق ابراهيم بن عمر الجعبرى ــ نزيل مدينة الخليل عليه السلام • بشرح عظيم لم يصنف مثله • وكتاب « الشرعية فى السبعة » جميعه أبواب لم يذكر فيه فرشا ــ بل ذكر الفرش فى أبواب أصوله لقاضى حماة • العلامة شرف الدين هبة الله بن عبد الكريم البارزى •

١٤ــ أى وقراءة الاعمش وابن محيصن وخلف واليزيدى •• المذكورون من أصحاب القراءات الشواذ ، وهؤلاء فى كتاب المبهج •

١٥ ــ أى فروع تتعلق بكلمات القرآن الكريم التى تنتظمها السور ، والفرش عندهم ما ليس تحت قاعدة مطردة فلا يقاس عليه •

١٦ ــ أى فى الست قراءات

١٧ ــ أى الكتب الخمسة المتقدمة

١٨ ــ أى الكتاب المسمى

و « الكنز فى العشر » • و « الكفاية فى العشر » نظم كتاب الكنز على وزن الشاطبية ورويها • كلاهما لأبى محمد عبد الله ابن عبد المؤمن بن الوجيه • الواسطى •

و « جمع الأصول فى مشهور المنقول » قصيدة لامية فى وزن الشاطبية « روضة التقرير فى الخلف بين الارشاد والتيسير » كلاهما لأبى الحسن على الديوانى الواسطى •

و « عقد اللآلى فى قراءات السبع العوالى » فى وزن الشاطبية ورويها • لم يأت فيها برمز • وزاد فيها على التيسير كثيرا • نظم الامام أبى حيان الأندلسى الشافعى • صاحب « البحر المحيط » فى التفسير •

وشرح الشاطبية ، وباب[19] وقف حمزة وهشام على الهمز » منها مفردا ، الامام بدر الدين الحسن بن قاسم بن عبد الله ابن على • المعروف بابن أم قاسم المرادى المغربى ، المجتهد المصرى المولد •

وشرحها أيضا أبو العباس أحمد بن يوسف • الحلبى • نزيل القاهرة المعروف بالسمين •

شرحها — مصنف البستان فى الثلاث عشرة — أبو بكر عبد الله بن أيدغدى — أيدغدى الشمس • الشهير بابن الجندى •

ومن شروح الشاطبية « النجوم الزاهرة فى السبعة المتواترة » لأبى عبد الله محمد ابن سليمان المقدس • الحكرى الشافعى • ولى قضاء بيت المقدس • وقضاء المدينة النبوية الشريفة قبل ذلك •

وتوفى ببيت المقدس بالبطن شهيدا عام ٧٨١ • وفرغ من تأليف — النجوم — سنة ٧٥٦ • وشرح — الشاطبية — أيضا مصنف كتاب « مصطلح الاشارات فى السنة بعد السبعة » •

ومن كتب القراءات « قرة العين فى الفتح والامالة وبين اللفظين » • لأبى البقاء على ابن عثمان بن القاصح • وكان فى مصر فى الثمانمائة •

وكتاب « النشر فى القراءات العشر » الجامع لجميع طرق ماذكرناه فى هذه المؤلفات ، وفوائد فوائدها الذى لم يسبق الى مثله ، وتقريب النشر ، وطيبة النشر لشيخ مشايخنا العلامة الفريد • أبى الخير محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن الجزرى •

وشرح الطيبة • ولدا المؤلف والعلامة الشيخ أبو القاسم النويرى المالكى • وشيخنا العلامة زين الدين عبد الدايم الأزهرى • رأيته يسود فيه • ولعله لم يكمل •

وكتاب « ايضاح الرموز ومفتاح الكنوز » ونظمه فى القراءات الأربعة عشر • للامام شمس الدين محمد بن خليل • أبى بكر بن محمد الحلبى • المشهور بابن القباقبى • وقال : انه أخذ العشرة من تقريب النشر • وقراءة ابن محيصن • من — المبهج — ومفردة — الأهوازى ، والحسن البصرى من المفردة — واليزيدى من المبهج — والمستنير — والأعمش — من المبهج الى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحد •

ولشيخ الاسلام زكريا الأنصارى تآليف فى القراءات العشر • وللحافظ جلال الدين السيوطى تآليف فى السبعة ولخاتمة المحققين أحمد البنا الدمياطى كتاب فى « القراءات الأربع عشرة » وسيظل التأليف يزداد انتشارا الى أن يرث الله الأرض ومن عليها •

---

١٩ — اى شرح من الشاطبية هذا الباب وحده ، وهو من اعضل فصول الشاطبية واشكلها •

رواية العُمَرِيّ وَالحُلوَانِيّ

عن أبي جعفر القارى

فى منظومته « خلاصة الأبحاث فى القراءات الثلاث » المتممة للعشرة ذكر الامام العلامة أبو اسحاق ابراهيم بن عمر الجعبرى المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ببلدة الخليل عليه السلام • وهو شيخ شيوخ الشمس ابن الجزرى المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة • ذكر رضى الله عنه راويين لأبى جعفر يزيد بن القعقاع المخزومى المدنى وهما : العمرى والحلوانى بسنديهما عنه فقال فى مطلع خلاصته المسماه « نهج الدماثة فى القراءات الثلاثة » :

حمدت الهى فى نظامى أولا
وأهديت تسليمى الى أشرف الملا
عليه صلاة الله ثمت آله
وأصحابه ما اعلنكس (١) الليل أليلا

ثم أشار فيها الى الراويين المذكورين فقال :

فجعفر والحلوانى والعمرى ثُمَّ
م يعقوب حرف البدء فَارْمُزْ وَرَحِّلَا
رويس ورا روح وخاخلف وصفر
ادريس كالوراق الاشياخ هم ولا
هما الأولان الآخران فقل كلا
ومن حرزها قس الاصطلاح وكملا

ثم شرح منظومته رضى الله عنه كما شرح الشاطبية فى مجلدين مخطوطين.

قال الامام الجعبرى فى شرح « خلاصة الأبحاث » قال ابن مجاهد : كان أبو جعفر لا يتقدم عليه أحد فى زمانه • توفى رحمه الله بالمدينة سنة ثمان وعشرين أو ثلاثين ومائة • قرأت القرآن كله بقراءته من رواية الحلوانى طريق الفضل على الشيخ العلامة الضابط منتخب الدين الحسن بن الحسين بن أبى السعادات التكريتى على الشيخ الامام جمال الدين اسماعيل بن على بن الكندى الواسطى على خاله الشيخ أبى جعفر المبارك على أبى بكر عبد الله بن منصور بن عمران الباقلانى على الشيخ الامام بقية السلف أبى العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسى الواسطى على أبى الحسن بن القاسم على أبى الفرج عبد الملك النهروانى على أبى القاسم زيد بن على الكوفى على أبى بكر محمد بن أحمد الداجونى الرملى على أبى بكر أحمد بن عثمان الرازى على أبى العباس الفضل بن شاذان الرازى على أبى الحسين أحمد بن يزيد الحلوانى الصفار على أبى موسى على بن مينا

(١) أعلنكس : اقبل مجدا

قالون الزهرى على أبى موسى عيسى بن وردان (٢) ، على الامام أبى جعفر وأجاز لى قراءته برواية العمرى .

قال ابن الجزرى فى غاية النهاية فى طبقات القراء :

والعمرى هو الزبير بن محمد بن عبد الله ابن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن العمرى راوى قراءة أبى جعفر عن قالون . كان امام جامع المدينة ولقبه سمنة (بضم السين واسكان الميم وبالنون) وهو ثقة . تلقى الناس روايته عن أبى جعفر بالقبول (٣) .

قال الحافظ أبو العلاء الهمزانى : هذه رواية جليلة واسناد صحيح أخذ قراءة أبى جعفر عن قالون ... توفى فيما أحسب بعد السبعين ومائتين ا هـ (٤) .

قال ابن مجاهد : ورواية العمرى طريق ابن مطيار والشيخ العدل الثقة عبد الصمد وقرأ على أبى محمد عبد العزيز ، على أبى الكرم المبارك بن الحسين الشهر زورى ، على عبد السيد بن العقاب ، على محمد بن عبد الله ، على عبد الرحيم بن عبد الرحمن ، على محمد ابن جعفر ، على أبى الفضل جعفر بن مطيار ، على أبى عبد الله الزبير بن محمد العمرى ، على أبى جعفر يزيد . وقرأ على مولاه ، وعلى عبد الله بن عباس ، وعلى أبى هريرة عبد الرحمن الدوسى . وهم قرأوا على أبى المنذر أبى بن كعب الخزرجى وقرأ على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاه عليه السلام من الروح الأمين من رب العالمين (٥)

قلت : وقد رأيت فى منظومة الأستاذ الامام الجعبرى من الروايات المسندة والقراءات المستوفية للشروط والأركان التى ذكرها الامام المقرىء المفسر الأستاذ أبو العباس أحمد ابن عمار بن أبى العباس المهدوى صاحب كتاب الهداية قال :

كل قراءة تواتر نقلها ، وظهر فى العربية وجهها ، ووافقت رسمها فهى من الأحرف السبعة المذكورة فى الحديث .

قال الامام الجعبرى تعليقا : اقول الشرط واحد وهو صحة النقل ويلزم الآخران فهذا ضابط يعرف ما هو من الأحرف السبعة وغيرها ، فمن احكم معرفة حالة النقلة ، وامعن فى العربية ، واتقن الرسم انجلت له هذه الشبهة ا هـ ، كما رأيت فى متن « خلاصة الأبحاث » سهولة اللفظ ، ورقة الأسلوب ووضوح المعانى ، سائلا الله التوفيق ، وبلوغ القصد من اقرب طريق ..

---

(٢) عيسى بن وردان راوى أبى جعفر عن طريق الدرة المضية لابن الجزرى .

(٣) ابن الجزرى ـ حلقات القراء ١ / ٢٩٣ و ٢٩٤ .

(٤) نفس المرجع

(٥) عن المخطوطة خلاصة الابحاث شرح نهج القراءات الثلاث للعلامة الجعبرى ورقة ١٧٣ المخطوط رقم ١٤٠١ .

(٦) الآخران : موافقة القراءة لوجه من وجوه العربية ، وموافقة احد المصاحف العثمانية .

الشريعة الإسلامية
والإصلاح التشريعي
٢

٤ ــ واذ التقى الشعب بكافة فئاته حكاما وعلماء ومواطنين ــ على العمل بشريعة الله فلا عذر لأحد بعد اليوم فى القعود عن حمل هذه الأمانة ــ أو التراخى فى أداء واجبه على النحو الذى يرضاه الله ورسوله .

وقد قام الأزهر من جانبه بابلاغ رأيه للجهات الدستورية المختصة باصدار هذه التشريعات على نحو يكفل الاسراع بما يتعين الاسراع فيه ــ والتريث فيما ينبغى التريث فيه ــ حتى يتم فعلا العمل بشريعة الله ــ فى كل شأن من شئون الحياة .

وتحقيقا لهذا الغرض :

فقد أعد الأزهر مشروع قانون الحدود الشرعية ومذكرته الايضاحية ــ وسلمه للجهات الدستورية المختصة باصداره ــ وذلك منذ ٢٨ من مارس سنة ١٩٧٧ .

وقد تضمن هذا المشروع سبعة أبواب :

أولها : عن الأحكام العامة :

والثانى : عن حد السرقة .

والثالث : عن حد الحرابة .

والرابع : عن حد الزنا .

والخامس : عن حد الشرب .

والسادس : عن حد القذف .

والسابع : عن حد الردة .

كما أعد الأزهر ــ مشروع قانون المعاملات المدنية ــ متبعا فيه مبدأ تنقية مواد القانون المدنى القائم وكذلك القانون التجارى ــ مما شابهما من مخالفات لأحكام الشريعة الغراء بالنسبة لربا النسيئة وعقود الغرر .

فلما أرسل مجلس الشعب الى الأزهر بالمشروع الذى أعده المجلس عن المعاملات المدنية ــ آثر الأزهر أن يراجع مشروع المجلس ويطابقه على الأحكام المقررة فى الشريعة الاسلامية ــ وأوضح للمجلس ملحوظاته عليه ــ وأعاده اليه :

وحتى لا تتفرق بنا السبل ــ ومادام القصد هو سرعة تنفيذ ما أجمعت عليه ارادة الشعب من تطبيق الشريعة الاسلامية الغراء ــ فان أيا من هذه المشروعات مادامت لاتعارض مقررا من أحكام الشريعة الاسلامية ــ فانه بأيها اقتدينا اهتدينا ــ مادامت النيات طيبة ــ بحمد الله ــ وقد انتهى رأى اللجنة التى شكلها الأزهر لبحث مشروع المجلس الى أن اللجنة ترى ــ بعد ايضاح ملاحظاتها التى أوردتها فى مذكرة

للمستشار سيد عبد العزيز هندى

مستقلة مرفقة ــ أن مشروع مجلس الشعب ــ موضوع البحث مطابق لأحكام الشريعة الاسلامية .

وأرسل الأزهر موافقته على هذا المشروع بتاريخ ١٥ من يناير سنة ١٩٨١ .

أما قانون التجارة البحرى الذى اقترحه مجلس الشعب ــ والذى ظل سنين طوالا ــ دون تعديل يذكر منذ صدوره وحتى الآن ــ فقد تم بحثه كذلك ــ بعد ان انتهت اللجنة المختصة بمجمع البحوث الاسلامية من مراجعته مراجعة شاملة واستمعت الى المختصين من رجال المال وأعمال التأمينات ــ وأرسلت لمجلس الشعب بملاحظاتها عليه أيضا ــ

ــ كما أرسلت بملاحظاتها من قبل على مشروع قانون العقوبات وغيره من تشريعات القوانين الأخرى .

فالحمد لله الذى هدانا لهذا ــ وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

والله نسأل أن يتقبل هذا العمل ويباركه ويهدى اليه ــ ويشرح صدور الناس أجمعين للعمل به وأن يجمع كلمة الأمة على هدى الله

ورسوله ــ ليصلح حالها وتعود الى سابق علوها ورفعتها .

ثالثا : الشريعة الاسلامية والاصلاح التشريعى :

١ ــ أوردنا فيما سلف ــ أن مصر دخلت فى الاسلام مختارة منذ الفتح الاسلامى ــ ثم تأكد هذا الاختيار عند كل اختبار واجهته فى الخارج والداخل ــ وصممت عليه أخيرا عند الاستفتاء على الدستور سنة ١٩٧١ وتعديل المادة الثانية منه فى سنة ٨٠ بالنص على أن الشريعة الاسلامية المصدر الأساسى للتشريع .

ومن خصائص التشريع الالهى أنه يكف الانسان تماما عن محاولة الخروج عليه ــ مادام يؤمن بالله واليوم الآخر ــ فانه سبحانه وتعالى يقول : **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** » (سورة الحديد ــ آية ٥) .
كما يقول سبحانه :
« **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** »
(سورة غافر ــ آية ١٩) .
فأين المفر ممن لا تخفى عليه خافية .
وبالتالى فان هذا التشريع الالهى يكف الانسان ظاهرا وباطنا ــ بينما لا يكفه القانون الوضعى الا ظاهرا ــ فاذا أفلت من رقابة الناس أو انعدم الدليل فقد أفلت من سلطان

القانون — بل أن نيتشه — الفيلسوف الالمانى، صاحب نظرية السوبرمان — ذهب الى حد قوله بأنه اذا أمكنك أن تخرق القانون الوضعي بحيث لاتقع تحت طائلة العقاب فاهدمه اذا استطعت هدمه اذا كان ذلك فى مصلحتك بشرط أن تكون ذكيا فلا تقع تحت طائلته •

٢ — والمثوبة والعقوبة فى الشريعة الاسلامية تفرض على سلوك البشر انضباطا لا يبلغ شأوه أى قانون وضعى آخر — فهى تلاحقه بآثارها فى الدنيا والآخره على حد سواء يقول سبحانه :

« فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ » •

كما يتكرر النذير بنفس المعنى فى قوله تعالى :

« أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ » •

والعقاب فى الشريعة الاسلامية ليس مقصودا لذاته •

يقول سبحانه :

« مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا »

(سورة النساء آية ١٤٧)

ويذهب جمهرة الفقهاء الى أن العقوبات موانع قبل الفعل — زواجر بعده — (كتاب تبصرة الحكام لابن فرحون) •

وجاء فى كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية أن اقامة الحدود من العبادات — كالجهاد فى سبيل الله — وينبغى أن يعرف أن اقامة الحدود رحمة من الله لعباده — وكل جريمة يرجع فسادها الى المجتمع وتعود منفعة جزائها عليه — ومن ثم كانت الحدود حقوقا خالصة لله تعالى — لأنها وجدت لحفظ مصالح العباد الضرورية وهى العقل والدين والنفس والنسل والمال •

والجزاء الواجب عليها حق لله عز وجل — فلا يسقط باسقاط العبد ، وهو معنى نسبة هذه الحقوق لله تعالى :

فحد الزنا وجب لصيانة الأعراض وهى جزء من النفس — وحد السرقة وقطع الطريق وجبا لصيانة الأموال والأنفس — وحد الشرب وجب لصيانة العقل والنفس والمال والعرض عن طريق كف العقول عن الزوال والاستتار بالسكر — وحد القذف فيه صيانة للعرض ودفع للفساد عن المجتمع ، وبهذا المعنى كان حقا خالصا لله تعالى عند بعض الفقهاء — وفيه حق للعبد عند البعض الآخر • (كتاب بدائع الصنائع — جـ ٩ ص ٤٢٠٢ وما بعدها) •

والشريعة الاسلامية قد وضعت لصالح الخلق باطلاق • فكل ما شرع لجلب مصلحة أو دفع مضرة فغير مقصود فيه ما يخالف ذلك •

والاسلام يعتبر أن أساس العقوبة هو المصلحة الثابتة المقررة المقدرة بأنها النفع لأكبر عدد ممكن مع ملاحظة أن تكون العقوبة غير قاتلة للضمير الانسانى — فقد روى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قد ضرب شاربا للخمر — فقال بعض الحاضرين

للمضروب : أخزاك الله — فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — : لاتعينوا عليه الشيطان •

كما عنى الاسلام — مع ملاحظة المصلحة العامة بتهذيب الضمير والوجدان — وتربية روح الاحساس بالواجب فى نفس المؤمن ليفعل الخيرات استجابة لداعى الله تعالى والرغبة فى طاعته — والقيام بالواجب — لا لمجرد الخوف من العقاب — فان الخوف من العقاب وحده للامتناع عن المعاصى — ليس هو المرتبة العليا لأهل الايمان — بل طلب رضوان الله تعالى هو الغاية المثلى لأفعال المؤمنين •

والرحمة التى يتغياها الاسلام — هى الرحمة العامة بالانسانية — وهى من مقتضى العدالة — وليست الرحمة التى يطلبها الاسلام هى الشفقة أو الرأفة بالجانى • انما الرحمة المطلوبة هى الرحمة بالكافة — وهى توجب العقاب • وهى الرحمة بالمجتمع — وهو المجنى عليه فى حقيقة الأمر — وحقه أولى بالرعاية •

٣ — واذا كانت العقوبة المقدرة للحد شرعا مقدرة من الشارع الحكيم — فلا عفو عنها ولا تعديل فيها ولا تبديل •

فأن التعزير شرعا — هو عقوبة غير مقدرة من الشارع أصلا — تجب حقا لله — أو لآدمى فى كل معصية ليس فيها حد ولا كفارة (كتاب المغنى ج ٩ ص ٣٦ ، فتح القدير ج ٧ ص ١١٩ الأحكام السلطانية للماوردى ص ٢٢٤) •

والمعتمد عند الحنفية — ان التعزير عقوبة مفوضة الى رأى الحاكم من حيث المبدأ وهذا التفويض فى التعزير يعتبر من أهم أوجه الخلاف بينه وبين الحد — وعلى الحاكم فى تقدير عقوبة التعزير مراعاة حال الجريمة والمجرم •

وهناك خلاف بين الأئمة حول مدى التفويض المعطى للحاكم — وهل له أن يجاوز الحد المقرر لجنس الجريمة — فالراجح عند المالكية أن للامام أن يزيد فى التعزير عن الحد — مع مراعاة المصلحة التى لا يشوبها الهوى (ابن عابدين — ج ٢ ص ١٨٢) •

كما حصل الخلاف فى عقوبة القتل تعزيرا — فقد ذكر البعض حديث : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله الا باحدى ثلاث: النفس بالنفس — والثيب الزانى — والمفارق لدينه التارك للجماعة » — وقالوا انه يفهم منه أن عقوبة القتل محصورة فى هذه الحالات الثلاث •

ولكن هذا المفهوم قد عارضه أحاديث ورد فيها القتل فى حالات غير هذه — ومن هذه الأحاديث « من خرج وأمر الناس جميع يريد تفرقهم فاقتلوه •

٤ — ونرى أنه طالما أن التعزير عقوبة مفوضة الى رأى الحاكم من حيث المبدأ كما يقول بذلك الحنفية — وأن للامام أن يزيد فى التعزير عن الحد — مع مراعاة المصلحة التى لا يشوبها الهوى — كما يقول بذلك الرأى الراجح عند المالكية ، وطالما أن قصر القتل على الحالات الثلاث التى أوردها الحديث قد عارضته

أحاديث أخرى ــ فانه ليس ثمة ما يمنع من توقيع عقوبة القتل تعزيرا اذا تطلبت المصلحة العامة التى لا يشوبها الهوى توقيع هذه العقوبة ــ صيانة لاحدى الضرورات الخمس التى نصت عليها الشريعة الغراء ٠

رابعا :

ولما كان يخلص من كل ما تقدم :

١ ــ ان المصدر الاساسى للتشريع فى مصر هو الشريعة الاسلامية الغراء ــ التى ارتضاها الشعب المصرى ابتداء وانتهاء ٠

٢ ــ وأن المرجع الاساسى فى هذه الشريعة الاسلامية هو القرآن الكريم وسنة رسول الله الصحيحة وكل نزاع يقوم بين السلطة الحاكمة والمحكومين أو بين المحكومين بعضهم وبعض ــ يتعين رده الى الله والرسول ــ واعتبار ذلك من النظام العام ــ واهدار ما يخالفه ٠

٣ ــ ان الشريعة الاسلامية ــ باعتبارها المصدر الالهى المعصوم ــ هى بهذه المثابة ــ الأصل الثابت لكل ما ينبنى عليها أو يتفرع عنها من تشريعات ــ ومن ثم فهى الاساس الصالح لكل اصلاح تشريعى ــ وهى تجابه كل مشكلات المجتمع بحلول حاسمة صالحة لكل زمان ومكان ــ بما توافر لها من الثبات فى الأصول المقررة والمرونة الكافية لمواجهة التفاصيل والحوادث الطارئة ٠

وهى ميزة لا تتوافر فى القوانين الوضعية ــ فهى أصولا وفروعا من وضع البشر وخاضعة باكملها لمشيئة السلطة الحاكمة ــ تعدل فيها وتغير كيف شاءت لها الأهواء ٠

« ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ » ٠

وقد ترك فينا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من بعده ــ ما لو اتبعناه فلن نضل ابدا كتاب الله ــ وسنته ــ صلى الله عليه وسلم ٠

فاللهم اهدنا جميعا صراطك المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين ٠

هذا وبالله التوفيق ٠

المستشار السيد عبد العزيز هندى
عضو مجمع البحوث الاسلامية

ماذا بعد الحق إلا الضلال

لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

■ كان ينبغي الا ينزعج عاقل مسلم من فرد أو بضعة أفراد قالوا عن أنفسهم : إنهم انبياء هذا الزمن وذلك لأن المعلوم من الدين بالضرورة ـ لدى كل مسلم ـ أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قال له ربه : [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] .

(سورة سبأ ـ ٢٨)

وقال له : [قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] .

(سورة الأعراف ـ ١٥٨)

ويقول صلوات الله وسلامه عليه : [إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون حول هذا البيت ويقولون ما أحسن هذا البيت لولا هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء] .

(صحيح البخاري)

وعجيب أمر مدعى النبوة ، ولكن الله يقول :

[وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ] .

(سورة التوبة ـ ٦٥ ـ ٦٦)

ويعتبر مرتداً عن دينه كل من ادعى النبوة بعد محمد خاتم رسل الله ﷺ ، ولعل من سولت له نفسه ذلك أن يكون من ذوى الأمراض العقلية ، وإلا فهو يستحق عقاب المرتدين !!!

ادعاء النبوة
ظاهرة كاذبة قديمة

■ ادعاء النبوة ليس امراً جديداً ، وكذلك ادعاء الألوهية ، والناس في شتى الأزمان والعصور صور مكررة ، وصحف مصورة ،

ماذا بعد الحق إلا الضلال

فمنهم المؤمن والكافر والبر والفاجر ، لذلك كان الله بالناس رءوفاً رحيما إذ أرسل الرسل وأنزل الكتب ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولولا هداية الله لتمرد الإنسان وطغى وآثر الحياة الدنيا ، وتجبر واختال ونسى الله الكبير المتعال ، وأما الصراع بين الحق والباطل فقائم ودائم من قديم الزمان حتى الآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فإذا صارع الحق الباطل انتصر الحق وانهزم الباطل واندحر ، (إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) : قال تعالى :

[بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ] .

وأما الحق فلا يصارع نفسه ، لأن الحق شيء واحد لا يتعدد ولا يتبدد ، وقد يصارع الباطل الباطل ، وتكون النتيجة التدمير في النهاية ، والله تعالى يقول :

[وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] .

(سورة الانعام - ١٢٩)

وأشد الناس ظلماً لأنفسهم أولئك الذين عيَّنوا انفسهم انبياء مع علمهم بأن النبى لا يعين نفسه نبياً .. والله تعالى يقول :

[وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ] .

(سورة الانعام - ٩٣)

والنبى لا يعرف أنه نبى إلا بإذن ربه الذي اصطفاه واجتباه ، وأوحى إليه وأيده بالمعجزات والله تعالى يقول :

[نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ .] .

(سورة آل عمران - ٣ - ٤)

وليس بعد محمد رسول ..

ولكن ليس بعد رسول الله رسول ، وليس بعد كتاب الله كتاب ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ !!!

والله يقول :

[مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً .] .

(سورة الاحزاب - ٤١)

ويقول جل جلاله :

[وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ .] .

(آخر سورة الشورى)

وقديماً ادعى النمرود أنه إله يحيى ويميت حيث آتاه الله الملك فبدل نعمة الله كفراً لما قال له ابراهيم عليه السلام ربى هو واهب الحياة في الأجساد ، فهو الذي خلق الموت والحياة فعاند وتمرد ونسى الله الذى خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه .. والله يقول :
[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] .
(سورة البقرة ٢٥٨)

« عقل مختل »

ولا يدعى الألوهية آدمى إلا أن يكون قد اختل عقله فانسلخ من إنسانيته فأعماه الغرور فارتكب هذا الشذوذ « العقائدي » بسبب الشرود العقلي ، ولا ريب أن ادعاء النبوة كذلك عمل إجرامى ، وعدوان اجتماعى ، وهو جحود وكفران ، وفسوق وعصيان ، لا يرتكبه إلا مرتد فسد رأيه ، واعتل عقله ، وخاب أمله وحبط عمله وضاع مستقبله في الدنيا والآخرة .

والله يقول :
[قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا .] .
(سورة الكهف ـ ١٠٣ ـ ١٠٤)

ونحن بقلوبنا وعقولنا وعقيدتنا نمقت الشعوذة بجميع صورها وألوانها لأنها ظاهرة خبيثة خاطئة كاذبة فاجرة ، وقد تكون وافدة مصدرة إلينا ممن لا يريدون بالإسلام خيراً ، لأن بلدنا مصر تنفى خبثها وتمحو زيفها ، فهى بلد الأزهر مركز الإشعاع الروحي والثقافي للعروبة والإسلام في المشارق والمغارب ، وهو ملتقى الوافدين إليه من جميع بلاد الدنيا وهو ـ أي الأزهر ـ لا يعترف بنبى قد يعين نفسه نبيا ، ولا بالذى جعل من نفسه مهدياً كذبا وادعاء ، وذلك لأنه هو الأمين القوى منذ ألف عام على دين الله الخالد الذى أكمله الله ، وأتم به الملة والنعمة ..

وقال ربنا :
[الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا .] .
(سورة المائدة ـ ٣)

فلا تبديل ولا تعديل ولا تعطيل ، فهو الدين القيم ، وويل للإنسان من نفسه إذا شرد من ربه واتبع خطوات الشيطان عدو الإنسان فاتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم !!

وقديماً ادعى فرعون أنه إله فذاق وبال أمره وكان عاقبة أمره خسراً .. ولقد سجل القرآن قصته لتكون عبرة وعظة وويل لكل أفاك أثيم يدعى أنه إله العالمين ، أو يعين نفسه نبياً من المرسلين ، أو يزعم أنه من المهديين المنتظرين .

والله يقول :

[هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى . اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى . وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى . فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى . فَكَذَّبَ وَعَصَى . ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى . فَحَشَرَ فَنَادَى . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى . فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى .] .

(سورة النازعات ـ ١٥ ـ ٢١)

« دمـــره كفـره !! »

لقد غلبته انانيته ، وأحاطت به خطيئته ، فطغى وبغى ، وأصيب بالكبرياء وحب الاستعلاء ، فحارب الله ورسله حتى قال « ما علمت لكم من إله غيرى ، فعاث في الأرض فسادا ، فكانت نهايته الدمار والبوار جزاء كفره وطغيانه وبغيه وعدوانه والله يقول ، في انتصار الحق :

[إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ] .

(سورة غافر ـ ٥١)

الا قاتل الله الكبرياء وحب الاستعلاء وذلك ما فعله فرعون الذى « علا في الأرض وجعل اهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين » .

والله يحب المتــواضعــين ، ويبـغض المستكبرين ، وكذلك تكون عقبى المفسدين كعاقبة فرعون وكعاقبة كل الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد .

والله يقول في وصف فرعون مدعى الالوهية الذى دمره كفره :

[وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى] .

(سورة طه ـ ٥٦)

ادعاء النبوة ليس جديداً

واما في عهد رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ فقد ادعى النبوة ناس منهم مسيلمة الكذاب .. ليتخذ من ذلك سبيلاً إلى الملك فكتب إلى رسول الله كتاباً يقول فيه :

اما بعد .. فإننى قد شوركت في الأمر معك وإنا لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشاً قوم يعتدون ، !!!

وزعم مسيلمة انه قد أنزل عليه قرآن : واستمع معنا الى شيء من قرآن مسيلمة : (والمبذرات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحـا ، والطاحنـات طحنا ، والعـاجنات عجنـا ، والخابـزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، إهالة وسمنا) ..... ، .... ، الخ ..

ومن قرآنه السخيف : (الفيل ما الفيل ،

وما أدراك ما الفيل ، له ذنب وبيل وخرطوم طويل) .....

ومنه أيضاً :

(ياضفدع بنت ضفدعين .. نصفك في الماء ونصفك في الطين ، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين .) ..!!!

وفي موت الضمير وفقدان الحياء يفعل المرء ما يشاء من غير خجل ولا استحياء !!

أبعد قول مسيلمة هذا مهازل ؟ وهل بعد قرآنه هذا مساخر ؟!!

ولقد قتل مسيلمة فى حرب اليمامة بقيادة خالد بن الوليد وكان قد ارتد وطلب أن يجعل له النبى ﷺ أمر النبوة من بعده وعاث في الأرض فساداً .

وكذلك ادعى النبوة رجل يسمى الأسود العنسي ، وكان معروفاً بالكهانة والشعر والخطابة والفصاحة والجبروت وقد قتل قبل وفاة الرسول ﷺ بيوم وليلة .

وكذلك ادعى النبوة «طليحة بن خويلد الأسدي وكان من أشجع العرب ، قدم على النبى ﷺ في وفد أسد فأسلموا ، ثم لما رجعوا تنبأ هو وعظم أمره بعد وفاة الرسول ، وزعم أن ذا النون يأتيه بالوحى، ولكنه لم يدع لنفسه قرآنا كمسيلمة ، ولكن قومه اتبعوه عصبية لا عقيدة وقد بعث أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد لقتاله ، «وكان مع طليحة عيينة بن حصن في سبعمائة «من بنى فزارة ، فقال طليحة لقومه : قاتلوا عن أحسابكم ، أما الدين فلا دين ، ثم انهزم ولحق بنواحى الشام ، ثم أسلم بد ذلك وكان له بلاء حسن في واقعة القادسية .

وسجاح بنت الحارث بن سويد التميمية وقد أسلمت أخيراً وكانت في بنى تغلب ، « أخوالها » وقد تنبأت فيهم بعد وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه في خلافة أبي بكر رضى الله عنه فاستجاب لها بعضهم ، وكان أمر مسيلمة قد غلظ ، فعرض عليها أن يتزوجها فأجابت ، ولما انصرفت إلى قومها قالوا ، ماعندك ؟ ، قالت : كان على الحق فتزوجته واتبعته : ، وأخيراً أسلمت سجاح وحسن اسلامها ، وماكانت نبوءتها إلا زفافاً على مسيلمة وما كانت سجاح إلا امرأة ..!!

هذا : ويقول المؤلفون في كتب البلاغة من المتأخرين بعد القرن الخامس هذه العبارة وهى ، إن ابن المقفع لما عارض القرآن ووصل الى قوله عزو وجل : [وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] . قال هذا مالا يستطيع البشر الإتيان بمثله وترك المعارضة وندم على ما فعل ، وصدق الله القائل :

[قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا] .

(سورة الإســراء - ٨٨)

ماذا بعد الحق إلا الضلال

إن الله هو الذي قال لرسوله الكريم : [يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ] وقال له : [يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ..] ، [وقال له : [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ] ..

فرسالته عامة خالدة ، أما الذين أصيبوا بجنون حب الظهور من المشعوذين والكذابين ممن زعموا لأنفسهم النبوة الجديدة أو المهدية المنتظرة طمعاً في استهواء البسطاء من الجاهلين ومن السطحيين فقد ضلوا السبيل واتبعوا خطوات الشيطان الرجيم فارتدوا عن دينهم وأساءوا إلى اتباعهم ، فخسروا الدنيا والآخرة ، وسدوا على أنفسهم أبواب الهداية .. والله يقول :

[إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ] .

(سورة محمد - ٢٥)

والقرآن الكريم يقرر أن أبواب المغفرة موصدة أمام المرتدين عن دينهم فيقول في هؤلاء العابثين بالدين :

[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَّمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً .] .

(سورة النساء - ١٣٧)

ويقول جل جلاله :

[وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] .

(سورة البقرة - ٢١٧)

ونحن نُذكّر بهذه الآيات إن نفعت الذكرى لتعلم الدنيا كلها أن ادعاء النبوة لا يرتضيه عقل يهدى ، ولا دين يربى ، ولا اعتقاد يطهر النفس من الالحاد .. والله يقول :

[يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] .

(سورة المائدة - ٥٤)

والله جل جلاله يقول :

[وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ . وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ . وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ] .

(سورة يونس - ١٠٦ - ١٠٨)

أما بعد ..

فإن لهذا الدين رب يحميه :

[فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ] .

قضية الانتماء في ضوء التشريع الإسلامي

للدكتور عبد الله مبروك النجار

انتهينا في المقال السابق من تبيان الأصول التي يتأسس عليها القول بوجوب تأكيد الانتماء للاسلام أولا ، فذلك ما يؤيده المعقول والمنطق الذي حاول البعض ان يعتصم بهما في مخالفة ذلك الاتجاه الصحيح ، والمسلك القويم كما أنه هو الذي يستفاد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — ، ومن ثم كان قائما على أدلته من المنقول والمعقول وحتى لا يظن البعض أن في تقرير ذلك ما ينال من الولاء الوطني ، أو ان القول به قد يقوم على حساب الانتماء القومي ، يكون من الأهمية أن نسارع الى تأكيد أن التوجه نحو توثيق الانتماء للاسلام، سيكون هو المدخل الصحيح لتحقيق كل معاني الوطنية الصادقة ، اذ العلاقة بين الولاءين ليست علاقة تضاد وتضارب ، فان دين الله الحق أسمى من ذلك وأعظم ، وهو لن يكون عائقا دون تحقيق الخير ، ولن يكون مانعا من تقدم الوطن ونصرته وازدهاره ، ومن ثم تكون العلاقة بين الحبين ، علاقة حب بمنعة ، وولاء بمصدره ، فالتشريع الاسلامي هو الذي قنن حب الوطن ، ووضع له الضوابط وسن له المبادىء ، ليكون الفرد المسلم في الدولة المسلمة ، صورة صادقة لخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله ، ونود في هذا المقام أن نلقي بعض الضوء الذي يوضح منهاج التشريع الاسلامي في تنظيمه للقضايا الوطنية والاهتمام بها على أكمل وجه ٠

اهتمام الاسلام بقضايا الوطنية :

من أهم المبادىء التي يقوم عليها التشريع الاسلامي ، أنه عام وخالد ، ومن مظاهر عموميته ، أنه لم يترك أمرا من الامور ، ولا فعلا من الافعال ، ولا علاقة من العلاقات التي تدخل في اطار دائرة اكتساب العبد ،

الا وحدده تحديدا دقيقا ، ووصفه وصفا عادلا ، على النحو الذى يبين حكم الله فيه ان حلالا وان حراما ، ولم يكن متصورا وأمره كذلك ان تجىء أحكامه غير متمشية مع هذا المبدأ المعلوم من الدين بالضرورة ، فكان أن أودع الله فيه كل ما يحقق تنظيم روابط الفرد وعلاقاته ، ومن أخطر روابطه ، وأقدس علاقاته ، تلك التى تربطه بالمجتمع الذى يعيش فيه ، وتصله بالأرض التى يحيا عليها ، فمن مجموع روابط الفرد بهذين الأمرين الناس والأرض فتكون حقيقة : « الوطنية ، التى هى تعبير عن واجب الانسان نحو وطنه ، بمعنى الالتزام المفروض عليه والذى يمثل حقا فى عنقه للجماعة التى يوجد معها ، وللأرض التى يعيش عليها فلم ينظر التشريع الاسلامى الى الانسان كفرد يعيش منعزلا فى حياته ، أو منطويا على نفسه لأن الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى ، يعلم يقينا أن الانسان لن يعيش منفردا وحيدا فقد فطره على النحو الذى يجعله فى احتياج الى الناس ، ويجعل الناس فى احتياج اليه فخلقه على مقتضى تلك السنة الاجتماعية وكان الانسان اجتماعيا بالطبع كما هو معهود ، وعلى هذا النحو يتجلى حرص التشريع الاسلامى وهو بصدد تنظيم علاقات الانسان ، وضبط روابطه ، على تحقيق التوازن بينه وبين المجتمع الذى يعيش فيه مقدرا أن المجتمع يتكون من أفراد ، فلا ينبغى أن يظلم الفرد أو يضعف ، فمن الفرد القوى يكون المجتمع القوى ، كما أن الانسان يعيش فى مجتمع يرعاه ويتعاون معه ، فمن المفروض عليه أن يقوم بواجب الوفاء لهذا المجتمع بما يمكنه من الاضطلاع برسالته فى الحياة على أكمل وجه وبذلك لا تهضم حقوق الفرد من أجل الجماعة ، ولا تضيع حقوق الجماعة أمام انانية الفرد وتطلعاته ، وجاءت الاحكام الشرعية محققة لهذا المقصد ، وموصلة اليه ، فتنوع خطاب الله المتعلق بتشريع الاحكام ، الى خطاب خاص بالواجبات الفردية التى تشغل بها ذمة الانسان وحده ، وخطاب خاص بالواجبات الجماعية التى تشغل بها ذمة الأمة مجتمعة . أو ذمة الانسان بصفته عضوا فى الجماعة ، وذلك على نحو ما هو معروف فى علم الاصول ، بفرض الكفاية ، أو الواجب العينى والواجب الكفائى حيث يعتبر ذلك التنوع فى الخطاب المفيد للحكم الشرعى ، هو التأصيل الشرعى للمسئولية الفردية عن الأمور العامة ، والقضايا الوطنية وكان لهذا التأصيل ، وسائل تحميه ، ولما كان ذلك التأصيل ووسائل حمايته يبرزان مقدار اهتمام التشريع الاسلامى بالقضايا الوطنية ، فاننى سوف أشير اليه بشىء من التفصيل الذى يقتضيه المقام :

أولا : التأصيل الشرعى للمسئواية الوطنية :

الحكم الشرعى التكليفى على ما أشرنا يستهدف تحقيق التوازن العادل بين الانسان ووطنه ، ومن ثم يتنوع الخطاب المفيد لهذا الحكم الى خطاب خاص بالفرد ، أى يكلف بأداء المطلوب منه ، أداء عينيا لا يسقط عنه الا بقيامه به ، والى خطاب خاص

بالجماعة ، يتمثل فى شغل ذمتها ككل بأداء مطلوب هذا الخطاب على وجه يتحقق من خلاله القيام بواجبات العمل العام ، وأداء المهام الوطنية ، على أكمل وجه ، فاذا قصر الانسان فى هذا الواجب كان تقصيره هذا مؤديا الى الاثم ، مستوجبا للعقاب ، وهذا يعنى قيام المسئولية على المكلف بما يترتب عليها من ثواب أو عقاب ، وفى هذا المجال يقسم علماء الأصول الفروض من ناحية التكليف الفردى ، والتكليف الجماعى أو الوطنى الى أقسام توضح هذا المعنى منها :

فرض العين وفرض الكفاية :

أما فرض العين فهو الذى لا يحصل المقصود من شرعيته الا بصدوره من كل واحد من المكلفين ، وذلك كما فى الصلاة ، فان المقصود من شرعيتها تحصيل ملكة الخضوع للخالق جل جلاله ، بقهر النفس الأمارة بالسوء ، بتكرار الاعراض عما سواه ، والتوجه اليه فى الصلاة ، وحكمه اللزوم على من فرض عليه قطعا بالشروط المعتبرة شرعا ، فلا تبرأ ذمته الا بأدائه هو ، لا بأداء غيره(١) ولهذا يعرف : بأنه ما يجب على الشخص نفسه ، ويسأل عنه وحده (٢) ، واما فرض الكفاية : فهو الذى يحصل المقصود من شرعيته بمجرد حصوله من أى واحد من المكلفين ، وذلك كما فى الولايات العامة ، والقيام بالمصالح التى لابد منها لحفظ ضرورات الحياة ، كاتقان العلم للفتيا والتعليم ، ودراسة الطب للعلاج والهندسة للعمارة ، ويلحق بذلك تعليم كل ما يتعلق باستغلال الأرض واستثمارها كالصناعة والزراعة والتجارة وغير ذلك من العلوم التى لابد منها لحفظ مصالح الحياة ، ويلحق بهذه الأمور ما يتصل بها من أدوات الحفظ والبقاء كالدفاع عن العرض والمال والدم ، كالمقصود من شرعية الجهاد ، فان المقصود من شرعيته اعلاء كلمة الله بقهر الأعداء ، واذلالهم ، وهذا لا يتوقف حصوله على فعله من كل أحد من المكلفين ، فهو واجب على المجتمع وجوب شيوع (٣) ، وحكمه ، اللزوم على كل واحد من المخاطبين وسقوطه بفعل البعض عن الباقى وهذا السقوط لا يكون نسخا ، لأن النسخ رفع للحكم الشرعى بدليل شرعى متراخ ، وهذا رفع للحكم بدليل عقلى هو ارتفاع شروط التكليف ، حيث ارتفع المقصود بحصول النصر على الاعداء ، واذ لا لهم ، واعلاء كلمة الله (٤) .

فرض الكفاية اساس المسئولية :

وفرض لكفاية هو أساس قيام المسئولية على الانسان تجاه ما يتعلق بحياة مجتمعه ،

---

(١) دكتور محمد انيس عبادة ـ اصول الفقه للحنفية ص ٢١ ـ الطبعة الاولى ١٩٨٠ م .

(٢) الشيخ محمد الغزالى ـ مشكلات فى طريق الحياة الاسلامية ص ٢٨ ـ كتاب الامة العدد الأول .

(٣) المرجع والمكان السابقين .

(٤) الهداية شرح بداية المبتدى ج ٢ ص ١٣٥ ـ الطبعة الاخيرة ـ مكتبة الحلبى بمصر .

وقضايا وطنه ، فهذه الأمور العامة ليست حمى مباحا ، كما أن أموالها فى نظر الاسلام ليست من قبيل المال السائب حتى يسوغ انتهاك حرمته ، والتعدى عليه بالاختلاس ، وتطاول الأيدى بالعبث ، لأن حرمته حين تضاف الى فاعل معين ، يكون مرتكبا لفعل محرم يتعلق بشخص الفاعل ذمته ، لا بذمة المجتمع ككل ، ذلك أن المآل النهائى لفرض الكافية ، أن يتحول بالتخصص واسناد القيام به الى شخص معين الى فرض عين يحاسب الانسان عليه كما يحاسب على صلاته وزكاته وصيامه ، وكذلك الأمر الذى تطورت أسبابه بأن كان لا يستطيع أن يقوم بعبئه البعض وحينئذ ، فانه والحالة على هذا النحو يتحول الى فرض عين ، وذلك كما فى الجهاد ، فانه فى الأصل مبنى على الفرض الكفائى ، اذا قام به فريق من الناس سقط عن الباقين ، وهو فرض على الكفاية لأنه ما فرض لعينه اذ هو افساد فى نفسه ، وانما شرع لاعزاز دين الله ، ودفع الشر عن العباد، فاذا حصل المقصود بالبعض سقط عن الباقين، كصلاة الجنازة ورد السلام ، فان لم يقم به أحد ، أثم جميع الناس بتركه ، لأن فى اشتغال الكل به قطع مادة الجهاد من الكراع والسلاح ، وتحصيل المال اللازم له ، ولاستمرار الحياة فى بقية اعضاء الامة وقته ، فكان لذلك واجبا على الكفاية فيقوم به البعض ، ويتفرغ الباقون لتسيير دفة الحياة فى المجتمع بالقيام على بقية مرافقه أثناء القتال ، الا أن يكون النفير عاما ففى هذه الحالة يتحول من فرض كفاية الى فرض عين (١) ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : « انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. » (٢) الآية ، وفى هذا المعنى يقول صاحب الجامع الصغير : « الجهاد واجب الا أن المسلمين فى سعة حتى يحتاج اليهم ، فأول هذا الكلام اشارة الى وجوب على الكفاية ، وآخره الى النفير العام ، وهذا لأن المقصود عند ذلك لا يتحصل الا باقامة الكل فيفترض على الكل (٣) ويظهر لنا من خلال هذا التأصيل ، ان المسئولية عن الواجب العام والوظائف العامة تبدأ بشغل ذمة المجتمع ككل حتى يتعين القيام بها على شخص بعينه ، أو تكون فى حالة يتعين على الكل أن يقوموا بأعبائها لأن البعض لا يقدرون وفى هذه الحالة يتخصص التعميم فى شخص من انيط به ويتحول الى فرض عين ، يأثم اذا قصر فيه ويحاسب اذا تقاعس عنه ، كما يحاسب على صلاته وصيامه وغيرهما من الفروض العينية.

المسئولية شاملة لجميع المصالح العامة :

ولما كان فرض الكفاية يبدأ بشغل ذمة المجتمع على سبيل الشيوع بين أفراده ، كان

(١) الهداية شرح بداية المبتدى ج ٢ ــ ص ١٣٥ الطبعة الاخيرة ــ مكتبة الحلبس بمصر .
(٢) سورة التوبة آية ٤١ .
(٣) مشار اليه بالهداية ــ المرجع والمكان السابقين .

لذلك مظنة الاهمال من الناس ، وموضع الاستهانة عند كثير من المسلمين ، مع أنه كما رأينا الأساس الذى تتأصل عليه المسئولية عن جميع القضايا العامة ، والمهام الوطنية ، ومع ذلك الخطر ، وتلك الاهمية ، فليس له من أثر فى أذهان الناس ، غير أنه اذا قام به البعض سقط عن الباقين ، ولا يجرى على ألسنة العامة الا مثل واحد له ، هو صلاة الجنازة (١) !.

وقصة فروض العين ، وفرض الكفاية لا تحكى بهذا الأسلوب العليل ، وسوء عرضها فى مجال التربية والاعداد والدعوة الى الله ، وبيان أحكامه للناس ، جعل المسلمين يتصرفون بطيش ، فى أمور تمس حياتهم وبقاءهم ، وقد تعلى رايتهم أو تنكسها ، ان الامة العاجزة عن استخراج بركات الله من أرض الله لن تؤدى رسالة الله ، والامة العاجزة عن تجنيد مواهب المسلمين لاعزاز دين الله والمسلمين ، أمة تلقى بأيديها الى التهلكة ، ترى كم مصنعا لصنوف الأسلحة والأدوية والأغذية والكساء يحتاج اليها المسلمون ؟ . وكم مسلما يجب تدريبهم واعدادهم لتحقيق هذه الغايات وغيرها ؟ ان فرض العين قد يتناول أركان العبادات من صلاة وزكاة وأركان الاسلام من صدق وحياء ، وقد يتناول ترك الكبائر من ربا وخنا ، وهذه أمور ترتبط عادة بالضمير الفردى والسلوك الخاص ، أما فرض الكفاية ، فانه يتصل بحراسة الأمن والقضاء بين الناس ، والقيام بشتى المناصب ، واجادة الفنون والصناعات التى ينهض بها العمران وتحيا عليها الامة ، وغير ذلك من الشئون العامة والمهمة (٢) ، فهل فرض الكفاية ، وذاك خطره ، يكفى فى حقه أن يقابل بما يلقاه من المسلمين من اهمال ونكران ؟ .

ان المجتمع الانسانى كيان متشابك المصالح ، والناس ما يستغنى بعضهم عن البعض الآخر ، والأجهزة الادارية ، والثقافية والصحية والاقتصادية والعسكرية فى بنيان الأمة ، تشبه الأجهزة العصبية والهضمية والتنفسية والدورية فى الجسد البشرى ، ومن هنا فان فرض العين والكفاية تتداخل فى الحياة العامة تداخلا تاما ، ويتوزع الاهتمام الدينى عليها كلها فلا يدع شيئا منها ، ان فرض الكفاية يأخذ هذه التسمية قبل أن يختار الشخص المناسب ويتحدد الجهد المطلوب ، أما بعد الاختيار والتحديد ، فانه يتحول الى فرض عين ، وعلى من كلف به أن يستفرغ الوسع فى اتمامه (٣) .

أحكام الاسلام بين فرض العين والكفاية :

واذا أردنا توضيحا أكثر ، لدور فروض الكفاية فى ضبط حركة الحياة العامة وصيانتها من التسيب وتأكيد كل معانى الوطنية المنشودة

---

(١) فى هذا المعنى : الشيخ محمد الغزالى — المرجع السابق ص ٢٨ .

(٢) فى هذا المعنى : الشيخ محمد الغزالى — المرجع والمكان السابقين .

(٣) المرجع السابق ص ٢٩ .

نقول : الصلاة فرض عين لأن كل انسان يستطيع الصلاة فما يستثنى أحد من وجوبها ، أما القضاء والتدريس والهندسة والطب فهى فروض كفاية ، لأنه ليس بمقدور كل انسان أن يكون قاضيا أو مدرسا أو مهندسا أو طبيبا ، فاذا ترشح امرؤ بمؤهلاته العلمية للقضاء ، وعينته الدولة فى المنصب المعد له ، فان قيامه باعباء منصبه هذا أصبح فرض عين كالصلاة والصيام وما يجوز له أن يتراخى فيه أو يفرط ، وكل ذرة من خيانة أو استهانة فهى عصيان لله ، واعتداء على الدين ، ولا يقبل أبدا الاعتذار بأن ذلك وقع فى فرض كفاية ، فالجهد البشرى يجب أن يوزع بالقسطاس المستقيم بين الصلاة المفروضة عليه ، والقضاء المطلوب منه ، حتى يشيع العدل فى المجتمع ، وتبلغ الحقوق أصحابها ، وربما استغرقت دراسة القضايا عشرة أضعاف الوقت الذى تستغرقه اقامة الصلاة ، ليكن ، فهذه عادة وتلك عبادة وفروض الكفاية غالبا تأخذ من الوقت أكثر مما تأخذه فروض العين ، ولعلها تستغرق أعمار الناس ، ليكن فذلك هو الطريق لارضاء الله ، وحماية الأمة ، والحفاظ على الدين ، وانشاء دنيا تصونه (١).

وما يقال فى القضاء يقال فى التدريس ، والتطبيب ، وكل مهنة تحتاج الامة اليها ويرتبط قيامها بها ، والجماعات البشرية فى كل قارات الدنيا تدرك هذه الحقيقة ، وتنشىء ألوفا مؤلفة من الوظائف ، وتعين ألوفا مؤلفة من الأشخاص ، وتقر نفقات ضخمة من موازناتها العامة ، لكى تضمن هذه المصالح ، والمطلوب من كل مكلف أن يؤدى العمل على خير وجه ، وأن يوف بالعقد الذى التزم به مع الدولة ، ولعل ذلك بعض ما يعنيه قول الله تعالى :

« **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** » (٢).

فان المناصب كلها أمانات مسئولة ، والقيام عليها عقد مرعى الزمام ، ورغم ذلك فان المسلمين للأسف الشديد ، هم أكثر الأمم اضاعة لهذه الأمانات والعهود ، فالأعمال العامة فى بلادهم مهدرة الحرمة والوظيفة العامة مصدر للأخذ أكثر مما هى وسيلة للعطاء، بل ان بعض المتدينين يفرقون بين صور العبادات المأثورة ، وأداء فروض الكفاية ، وينظرون الى الأخيرة على انها ليست من قبيل العبادة الا على سبيل التجوز (٣) .

ثانيا ـ وسائل حماية المصالح العامة :

ولم يقتصر الأمر فى التشريع الاسلامى على تقرير المبادىء التى تتأسس عليها المسئولية عن العمل والقضايا الوطنية ، بل تتناول بالتوجيه والتوصيف تبيان ما يوصل الى وضع

(١) الشيخ محمد الغزالى نفس المرجع ص ٣٠ .
(٢) سورة المؤمنون ـ آية ٨ .
(٣) الشيـخ محمد الغزالى ـ نفس المرجع ص ٣١ .

تلك المبادىء موضع التنفيذ لتشق طريقها فى حياة المجتمع ، وتكون واقعا عمليا يلمسه الناس ويحسونه ، ويكون ما يتعلق بخير الوطن ، وقضايا المجتمع موضع التنفيذ المستمر والعمل المتواصل ، وكان ان أوجد الشارع الحكيم سبحانه وسيلة لتحقيق تلك الغاية ، وما أظن أن أمة من الأمم قد سبقته اليها ، فجاءت متفردة فى سمو معناها ، وفذة فى جلال مبناها ، لتضمن تواصل العمل الانسانى من أجل خير الجماعة وتصحيح مسيرتها فى الحياة نحو هدفها المنشود ، وأملها المقصود ، وكانت الأمة الاسلامية بتلك الأداة خير أمة أخرجت للناس ، وهى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ونظرا لأن كثيرا من الناس يخلطون فى توجيه تلك الأداة نحو تحقيق أهدافها ، وذلك كثيرا ما ينحرفون الى طريق بعيد عن الصواب ، فلا تثمر فيه الخير الذى وضعت له ، فاننى سوف ألقى الضوء عليها بما يحدد ضوابطها ويصحح مسيرتها فى حياة المجتمع الاسلامى .

حقيقة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الاسلام وسيلة تهدف الى خلق التفاعل المثمر بين الفرد والمجتمع ، من خلال تصحيح مسيرته نحو العمل النافع المفيد ، وترك الضار المفسد ، وميدان ذلك العمل الجليل هى الساحة الاجتماعية ، ومجالات القضايا الوطنية يدل على هذا قول الله تعالى : « الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ » (١) ، ومن ثم فالاسلام لا يريد من المسلم أن يكون سلبيا فى الأرض الممكن فيها ، منزويا فى الوطن الذى يحيا عليه ، ولكنه يريده عنصرا ايجابيا متحركا من أجل بلده ، يعمل على ترك المنكرات وهجرها ، ويدعو الى الخير النافع ويعمل به ، وقد اقترن فى الآية الكريمة بالأمر باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، مما يدل على أهميته وخطره فى نظر الشارع سبحانه ولا عجب فى ذلك ، فهو وسيلة لاظهار الحق فى مكانه ، ووضع الأمور فى نصابها ، تحصيلا لمصلحة الفرد والجماعة كما أنه وسيلة لابطال الباطل وهجره ، وترك ما يعود بالضرر على الفرد والأمة ، ولما كان على هذا المنوال أداة لتحقيق المصالح ، ودرء المفاسد فقد أمر الشارع فى قوله الكريم : « وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (٢) ووصف الأمة الاسلامية بما يبرز أهميته فيها ، ومكانتها به ، بقوله عز من قائل : « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

(١) سورة الحج ــ آية ٤١ .
(٢) سورة آل عمران ــ آية ١٠٤ .

لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران والنصوص الآمرة به المبينة لفضله كثيرة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — ، فهو من مبادىء الاسلام ، ومن المعلوم بالدين بالضرورة .

ممارسة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر :

ولكن الأمر الذى يثير بعض الصعوبات ، ويحتاج الى تفريد وبيان ، هو ما يتعلق بولاية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن له حق ممارسته فى المجتمع الاسلامى ؟ فقد اختلط الحابل بالنابل فى هذه القضية ، وأعطى كثير من الناس لنفسه حق ولايته ، دون ادراك لحدود تلك الولاية وضوابطها ، ودون دخول فى تفصيلات قد لا يكون هذا موضعها أود أن أنبه الى أن ممارسة هذا الامر بالنسبة لكل مكلف تتوقف على الاستطاعة ، وهى تتمثل فى أمرين :

أولهما : الولاية الشرعية على الناس أو الأشياء ، بمعنى أن يكون المكلف صاحب اختصاص فى الموطن الذى يقتضى تغيير المنكر ، أو على الشخص المسئول عنه ، على النحو الذى بينه النبى — صلى الله عليه وسلم — بقوله ، كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فلا يملك تغيير المنكر باليد الا صاحب ولاية عامة أو خاصة ، والا فان زمامه لو ترك لكل انسان دون قيد ، فانه لابد أن ينحرف عن رسالته فى الاصلاح والتقويم ، ليكون أداة فشل اجتماعى ووسيلة للتصارع والتنازع ، حين يتدخل هذا فى اختصاص ذاك ، أو يضرب الرجل زوجة غيره اذا خرجت بدون احتشام أو ابنته بحجة تغيير المنكر ، فيرد عليه الزوج أو الأب الاعتداء بمثله ، وتتكرر تلك المآسى فتنتشر الفوضى ، وتتفرق الجماعة ، وبالمثل هذا التهارج يقصد الشارع سبحانه .

ثانيهما : القدرة العلمية ، وهى ضرورية لتغيير المنكر باللسان ، والا فمن الذى يستطيع أن يدرك موطن الخطأ وموضع المنكر فى أمر من أمور الدين أو الدنيا غير العالم الفقيه أو الدارس المتخصص ؟ ، ولو أن كل انسان استباح لنفسه هذا الامر ، دون علم يعصمه من الخطأ ، لكان ضالا مضلا ومرتكبا لجريمة الكذب على الله ، والقول فى الدين بغير علم ، وهى أشد عند الله من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كما أن فاقد الشىء لا يعطيه ، فكيف يتسنى لجاهل أن يشير الى الخطأ ، أو يبصر بالصواب ، ذلك فى مجال الدين ، أما فى نطاق أمور الحياة ومصالحها ، فلابد لها من علم وخبرة ، والا كانت الفتوى فى شئونها خطر يعصف بحياة الناس ويودى بأموالهم وأرزاقهم ، وهذا ضرر ما بعده ضرر ، والضرر مرفوع فى شريعة الله .

فاذا تحققت الاستطاعة بركنيها كان المكلف أهلا للقيام بمباشرته ، بشروط منها : أن يلتزم أدب الاسلام فى الدعوة الى الله ، فيكون رحيما بالمخطىء حكيما مع المنحرف داعيا

الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومجادلا بالتى هى أحسن ، فالاسلام لا يقر العنف فى الدعوة اليه ، ولا يعترف بما ألفناه من أساليب تنطوى على تسفيه النـــاس ورميهم بالكفــر والخطيئة ، وتؤدى الى احداث الفتنة باســم الدعوة الى الاســلام والاســلام لا يقرها ، وصدق الله العظيم اذ يقــول لسيد الموجهين الى الصواب ، وأعظم الدعاة الى الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « **لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَــاءُ** » (١) .

وقوله عز شأنه : « **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّــرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ** » (٢) .
وقوله تعالى : « **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَــلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ** » (٣) .

ومع ذلك فان شروط ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا تكون الا فى حال ارشاد الغير ، أما بالنسبة للانسان فانه ولى نفســه ، ومسئول عن أهله ، فليس له أن يحيــد عــن الحق ، أو يبتعد عن الصواب ما وجد اليهمــا سبيلا .

تحرير الانسان من وطأة الامية :

على أن أهم خطوة تستهدف خير المجتمع ، وتحقيق معنى الوطنية على أكمــل الوجــوه وأحسنها ، تلك التى تستفاد من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتعمل على تحرير الانسان من وطأة الوقوع تحت أسر الامية ، حتى لا يركب الموجة مع المنحرفين ، ويمشى فى طريقهم حين لا يستجيب البعض الى مراحل تغيير المنكر باليد أو اللسان ، ويتمسكون بما هم عليه من خطأ ، وما يسيرون فيه من انحــراف ، فماذا سيكون موقف الانسان المسلم فى هذه الحالة ؟ هل يفرط فى المسئولية ،ويسلك مسلك المنحرفين فى أفعالهم وينهج على منوالهم فى الخطـــأ ، والمنكر والمعصية ؟ أم يتمسك بالحق فى الوقت الذى ابتعد الناس عنه ؟ ذلك ما يقرر الحــق سبحانه ، فلئن كان الانســان لم يقــدر على هداية غيره ، فأولى به أن يقدر على نفســه ، واذا فاته فرض الكفاية فى الدعوة الى تغييــر المنكر فى غيره ، فقــد بقى له فــرض العين فى نفسه وأهله ، ليظل متمسكا بالفضيلة فى وقت عزف الجميع عنها ، فلا يسيل لعابه للمــال الحرام ، اذا وجد غيره يسرق ، أو يعمل عمــلا يتوخى تخريب مرافق المجتمع اذا وجد غيره يستمرىء هذا العمل القبيح،وما أكثر الضعفاء الذين يقلدون غيرهم فى المعصية ، ويشاركونهم الخطأ والانحراف .

والاسلام من خلال هذا المسلك القويم قد حافظ على خميرة الخير فى المجتمع ، حين عمل على تحرير الانسان من رق الامية ، ليكــون قــوى الايمــان فى التمسك بالحــق ، وقــد أشار الى كل هــذه المعانى حديث النبى ﷺ الذى رواه عنه أبوسعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول :

◀

(١) سورة البقرة ــ آية ٢٧٢ .
(٢) سورة الغاشية ــ الايتان ٢١ ، ٢٢ .
(٣) سورة الشورى ــ آية ٤٨ .

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » (١) « وعند هذه النقطة يتوافق الكتاب الكريم مع الحديث الشريف فى افادة هذا المعنى بقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (٢) .

فتغيير المنكر بالقلب معناه ان يصر الانسان على الحق ما استطاع اليه سبيلا ، وقد سئل النبى — صلى الله عليه وسلم — عن معنى الآية فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخاصة نفسه ودع العوام ، فان من ورائكم أياما الصابر فيهن مثل القابض على الجمر ، للعامل فيهن أجر خمسين يعملون كعملكم » (٣) . ولعل فى تبيان ذلك الأجر المضاعف ، ما يظهر قيمة الاعتصام بالحق ، فى وقت الفتنة التى يتبارى فيها معظم الناس الى الحرام .

ويقول سعيد بن المسيب : « اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ، فلا يضرك من ضل اذا اهتديت » ، فاضعف الايمان كما جاء فى الآية الكريمة والحديث الشريف ، أن يغير كل انسان المنكر بقلبه ، وتغيير المنكر بالقلب ليس هو موقف الاستخذاء أو السلبية ، وانما هو موقف القوة الايمانية والشخصية الاسلامية، التى تتقوى على الفتنة ، وتعتصم بحبل الله المتين فى كل الظروف ، ولو أن كل مؤمن قدر فى نفسه هذا المعنى ، لتحقق فى الامة الاسلامية كلها قول الحق سبحانه وتعالى : « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » (٤) وعلى هذا النحو تتأصل المسئولية عن العمل العام ، وتتجلى أداة تطبيقها ووسيلة حمايتها فى المجتمع الاسلامى .

حرمة المرافق العامة فى الاسلام :

ومن هذا المنطلق ، ينظر الاسلام الى المرافق العامة على أنها محرمة ، بل أشد حرمة من المال الخاص ، ومن ثم صار واجبا على الانسان أن يحافظ عليها ، وأن لا تتطاول يده اليها بالعبث والتخريب ، وليس ذلك فقط بل يجب عليه أن يمنع غيره من التطاول عليها والعبث بها ، فالناس فى المجتمع ركاب سفينة واحدة ، وأصحاب هدف مشترك ووحدة مصير ، وقد أراد الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن يصور هذا المعنى بقوله : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا فى سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا

(١) رواه مسلم — راجع : رياض الصالحين للامام النووى ص ١٠٣ دار الحديث ببيروت .
(٢) سورة المائدة — آية ١٠٥ .
(٣) راجع : مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٥٧ .
(٤) سبق تخريج الآية الكريمة .

على من فوقهم،فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعا[1] » وهكذا يتفاعل الفرد مع الجماعة بالخير ، ويتواصل معها فى سبيل الله والصالح العام ، بما يحقق مصلحة الوطن ويحفظ وحدته .

والمرافق العامة لها آداب فى الاستعمال، فليس معنى أن المال غير مملوك للانسان ملكية خاصة أن يكون محتقرا عنده ، أو مهانا فى نظره ، أو أن يسىء استعماله ، وانما عليه أن يحترم حقوق غيره فيه ، ومشاعرهم ليكون استعمال الجميع له على النحو الذى يتواءم مع الغرض الذى خصص المرفق من أجله وهو النفع العام ، يوضح هذا المعنى مارواه أبو سعيد الخدرى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — ، قال : « اياكم والجلوس فى الطرقات ، فقالوا : يارسول الله ما لنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه » ، قالوا وما حق الطريق يارسول الله ؟ ، قال : « غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٢) » والحديث وان كان واردا فى أدب الطريق العام ، الا أنه أصل لقياس غيره عليه طالما أنه منفق معه فى العلة وهى العمومية فى النفع ، ودخوله فى اطار المرافق العامة .

ولعل أبلغ دليل على اهتمام التشريع الاسلامى بالمرافق العامة ، واحترامها ، بما يظهر أنها أشد حرمة وأعظم مكانة من المال الخاص ، انه عند تعارض قيامها معه ، فانها تقدم عليه ، لأن فوات المال الخاص ، يمثل ضررا فرديا خاصا ، وضياع المال العام ، يمثل ضررا عاما لجميع الناس ، والقاعدة الشرعية أنه اذا تعارض ضرران أحدهما خاص ، والثانى عام ، فان الضرر الخاص يتحمل لأجل رفع الضرر العام (٣) . ولعل فى هذا القدر من البيان ما يبرز أهمية المال العام ، وحرمة المرافق العامة فى الاسلام .

مكانة حب الوطن فى الاسلام :

ولا يقتصر الأمر فى الاسلام على ذلك فقط ، بل اننا اذا تدرجنا فى هذا المسلك ونظرنا الى ما هو أكبر من المرفق العام ، أو مما يتكون من مجموع المرافق العامة وهو الوطن ، لوجدنا أن له فى الاسلام مكانة خاصة ، واهتماما متميزا، لقد بلغ اهتمام الاسلام بحب الوطن ، أن جعله فوق النفس والمال والأهل ، نعم لقد أمر الاسلام الانسان أن يحفظ نفسه ونفس غيره وجعل التعدى على النفس بالأذى ، جريمة من أكبر الكبائر ، فالنفس فى الاسلام مصونة ، والدماء محرمة ، ومع ذلك فان حفظ النفس رغم قداسته وظهور أمر حرمته اذا تعارض مع حب الوطن والدفاع عنه ، فان على الانسان أن يبذل نفسه رخيصة فى سبيل الله والدفاع

(١) رواه البخارى ، راجع رياض الصالحين للنووى ص ١١٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٦ .

(٣) الاشباه والنظائر لابن نجيم الحنفى ص ٨٧ .

عن وطنه ، وهذا أوضح فى الاسلام من أن يستدل عليه ، يدرك هذا المعنى ، من يقرأ قول الله تعالى : « **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**» سورة التوبة آية ١١١

والآيات الواردة فى سياق الأمر بالجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال كثيرة ومتعددة ، فالنفس غالية ومصونة ، ولكنها فى سبيل الله والوطن تبذل وتهون ، ويكون لصاحبها مع هذا العمل الجليل فضل الشهادة ومنزلتها ، وأكرم بها من منزلة ، واذا كان بذل النفس فى سبيل الله والوطن رغم حرمتها عند الله أمرا واجبا فلان يكون بذل المال فى سبيله ، وهو بالقطع دونها من باب أولى ، وتلك هى مرتبة حب الوطن فى الاسلام انه الحب الذى يفوق النفس والمال .

حب الوطن دونه حب كل شىء :

بل ان واجب الدفاع عن الوطن الذى هو أول ضريبة الحب له ، اذا وجد سببه على النحو الذى يصبح به فرض عين على كل مسلم ، فى هذه الحالة تهون كل الحقوق الخاصة مهما بلغت درجة قداستها ، بل حتى ولو كانت تمس علاقة الرجل بزوجته ، أو العبد ــ لو وجد ــ بسيده ، الى هذا الحد يرتقى الاسلام بحب الوطن ، فلا حق لاحد يفوق حقه ، ولا حب لانسان فوق حبه ، ولم لا ، والاسلام يأمر الانسان أن يجود بدمه ويبذل نفسه طائعا محتسبا فى سبيل ، ولا طاعة لمخلوق فى سبيل رد الاعتداء عنه يقول صاحب الهداية : « اذا هجم العدو على بلد وجب على جميع الناس الدفع تخرج المرأة بغير اذن زوجها ، والعبد بغير اذن مولاه ، لانه قد صار فرض عين ، وملك اليمين ، ورق النكاح لا يظهر فى حق فروض الأعيان ، كما فى الصلاة والصوم ، بخلاف ما قبل النفير ، حيث لاضرورة الى ابطال حقهما » فهل يمكن أن نجد دينا يدعو الى حب الوطن والنهوض به مثلما يدعو اليه الاسلام ويأمر به ؟ ، أليس فى ذلك التوجيه الاسلامى السديد ما يجعل دين الله هو الأولى بالانتماء اليه ، ليتحقق من خلال هذا التأصيل الصحيح ، كل ذلك الخير للوطن ؟ .

ان مسألة الحب بالنسبة للوطن شعور قلبى قد يخرج بالانسان عن مجال القدرة والاكتساب وبالتالى المسئولية ، لأن أمر القلوب بيد الله القائل : « وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ » ، فموئل الحب متقلب لا يصلح لقيام الحساب على اساسه ، ولهذافقد ترجم الاسلام هذا الحب الى واقع مجرد فى صورة أمر أو نهى ، ليمكن تحقيق المساء له فى جانب الانسان على النحو الذى راينا ثوابا أو عقابا ، ومن ثم احكم التشريع قانونه وضبط حقوقه، وحافظ على واجباته حتى يكون المجتمع الاسلامى قويا متماسكا ، أو ليس فى هذا التشريع الحكيم ، ما يجعل الانسانية كلها تفخر بالانتماء اليه ؟ ، بلى !! وهو الصراط المستقيم ، والنور المبين .

« **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ** » .

لقانون ، ولا تحكمه قيم أخلاقية ، ولم يكن يخضع الا لقوة يخاف بطشها ، ويحسب حسابها ، وكانت الفوضى هى مظهر حياته ، فلما سنت القوانين وشرعت عقوبات لمن يتخطى الحدود التى أباحت التصرف فى دائرتها امتنع الناس عن الفوضى علنا خوفا من العقاب ، ولكنهم لم يكفوا عن مباشرة الجرائم المستترة مادامت يد القانون لم تمسك بهم ، فأعمل بعض المفكرين أذهانهم ليجدوا وسيلة تحمل الناس على الكف عن ارتكاب الجرائم خفية مادام القانون لم يصل اليهم ، وانتهى بهم التفكير الى اقناع جماهير الناس أن فى السماء قوة أزلية أبدية ترى وتسمع وتهيمن على كل شىء ، وهكذا فيما يزعمون نشأة فكرة الدين »(١) •

ولا شك أن هذا التصور الذى نقله الدكتور دراز عن الباحثين الغربيين أمر مرفوض من ناحية النظرة الاسلامية التى تؤمن أن الدين فطرة فى الانسان كما أشارت الى ذلك آيات القرآن الكريم ، وخلاصة ما نراه : **أننا نرى أن الدين صنو الانسان على هذه الأرض ، وأنه وجد منذ وجد الانسان الأول ، وهو آدم ابو البشر الذى عرف التوحيد وعلمه بنيه ، الا ان تطاول الزمن جعل الانسان يغفل عن التوحيد مأخوذا ببعض المظاهر التى كان يخشى منها ثم انتقل من الخشية الى الاحترام ثم انتقل الى تقديسها وعبادتها ظنا منه أن لها قدرة على النفع والضر •**

وعلى ضوء ما تقدم نقرر الحقائق التالية :

(أ) التدين طبيعة فى البشر خلقهم الله عليها وركزها فى طبيعتهم •

(ب) أن الانسان عرف الوحدانية والاله الواحد منذ البداية عن طريق وحى الله لآدم عليه السلام الذى علمه بنيه من بعده وتوارثوه جيلا عن جيل •

(جـ) ان اتخاذ آلهة متعددة أمر طارىء على الأصل الذى هو الايمان بالله الواحد وأن ذلك نشأ بتطاول الزمن وانبهار الانسان ببعض المظاهر الكونية من حوله تلك المظاهر التى ظن خطأ أنها قادرة على جلب نفع له أو ايقاع ضرر به •

(د) أن الله تعهد البشر من وقت لآخر بارسال رسله وأنبيائه ليقوموا العقائد المنحرفة ويعيدوا الانسانية الى الطريق الصحيح والدين الحق وصدق الله حين يقول :

« شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ »(١)•

« وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ »(٢)

---

(١) راجع كتاب الدين للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٨٠ ــ ٨٢ الطبعة الثانية نشر دار القلم بالقاهرة سنة ١٩٧١

(٢) الشورى •

(٣) الأنعام •

الفتاوى

س : من السيد / م . ا . عبد النبى . من القاهرة :

شاب يريد الزواج من بنت عمه ولكنه رضع من زوجة عمه التى هى غير ام الفتاة اكثر من خمس رضعات . فما الحكم ؟

ج : برضاع هذا الشاب من زوجة عمه خمس رضعات متفرقات فى زمن الرضاع صار ابناً للمرضعة وابناً للعم وأخاً لجميع أولادهم ، فلا يجوز له الزواج من بنات عمه لأنهن صرن أخوات له من الرضاع والرضاع يحرم به ما يحرم من النسب

□□□

س من السيد / م . م . ناصف من الشرقية :

خطبت فتاة وقدمت لها شبكة ذهبية حسب الاتفاق بيننا وهدايا مستهلكة ثم حدث خلاف فى وجهات النظر أدى إلى فسخ الخطبة من قبل الخاطب . فلمن تكون الشبكة وما الحكم ؟

ج : الشبكة جزء من المهر ، والمهر لا تستحقه المخطوبة إلا بالعقد عليها ، وما دام الخاطب قد فسخ الخطبة نتيجة اختلاف فى وجهات النظر فإن الشبكة ترد إلى الخاطب وليس للمخطوبة حق فيها لأنها أجنبية عنه .

وليس للخاطب حق فى الهدايا المستهلكة لأن الفسخ جاء من قبله .

□□□

س : من السيد / ع . ع . القرش من بور سعيد :

طلقت زوجتى بقولى لها : انت طالق - طالق - طالق فى مجلس واحد ، وهذا اول يمين فما الحكم ؟

ج - بقولك لزوجتك أنت طالق . طالق . طالق . فى مجلس واحد يقع به طلقة واحدة رجعية - فلك مراجعة زوجتك ما دامت فى العدة . فإذا انقضت عدتها منك حلت لك بعقد ومهر جديدين وبرضاها ، وتبقى معك على طلقتين .

□□□

س : من السيدة / و . ص . إبراهيم من الفيوم :

طلقنى زوجى ثلاث مرات متفرقات منجزات بقوله فى كل مرة انت طالق امام الشهود ، فما الحكم ؟

ج : بالطلاق الثالث بانت الزوجة من زوجها بينونة كبرى ، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، ويدخل بها دخولاً شرعياً .

فإذا طلقها الثانى أو مات عنها وانقضت عدتها منه حلت للأول بعقد ومهر جديدين وبرضاها ..

□□□

س : من السيد / م . ا . الصاوى من المنوفية .

توفى رجل عن : أم ، أب ، أولاد ذكور واناث ، فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأم السدس فرضاً ، وللأب السدس فرضاً ، لوجود الفرع الوارث ، والباقى لأولاده تعصيباً يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

□□□

س : من السيد / عبد النبى س . محمد من المنيا .

توفيت امرأة عن : زوج ، أم ، أب ، إخوة أشقاء ، فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوج النصف فرضاً لعدم وجود الفرع الوارث . وللأم السدس فرضاً ، لوجود عدد من الأخوة . والباقى للأب تعصيباً ، ولا شىء للأخوة لحجبهم بالأب .

س : من السيد / ح . م . عبد العاطى من الجيزة .

توفى رجل سنة ١٩٨٣ م عن : زوجة ، ثلاث بنات ، أولاد بنت ، أولاد ابن . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لأولاد البنت المتوفاة قبل والدها بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقاً لقانون الوصية المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م .

فتقسم التركة (٢٤) أربعة وعشرون جزءاً : منها أربعة أجزاء وصية واجبة لأولاد البنت يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ... والباقى وهو (٢٠) عشرون جزءاً هو الميراث ..

للزوجة منه الثمن فرضاً لوجود الفرع الوارث . وللبنات الثلاث الثلثان فرضاً لعدم

من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى .. والباقى لأولاد الابن تعصيباً للذكر ضعف الأنثى ..

والله أعلم ..

من أعلام الأزهر

رواد أزهريون ينشرون التراث

(٢)

نرى اليوم من ينشر كتابا من كتب التراث ، يفاخر به ، ويعلن عن جهده فى التحقيق والمراجعة ، ويفرض الثمن الذى يرضى عنه ، ويحتفظ لنفسه بحقوق الطبع ، وقد ينشر كتابا سبق أن نشره غيره ، مدعيا أنه عثر على مخطوطة جديدة متضمنة بعض الزيادات ، وقد تكون الزيادة مما لا تفيد فى اضافة الجديد ، ولكن المحقق الثانى أصبح ذا حق ،وذا جهد يباهى به فى مجال التحقيق !

هذا ما نشاهده اليوم فاذا رجعنا الى الوراء يوم ظهرت المطبعة العربية فى عالم الوجود بمصر فاننا نجد فريقا من العلماء عكفوا على عشرات المخطوطات دراسة وتحقيقا وتصويبا، وملئوا رفوف المكاتب بأمهات من كتب التراث، مجلدا خلف مجلد ، فى شتى فروع المعرفة من فقه وتشريع ولغة ونحو وتاريخ وتفسير وأدب ومسامرات ودواوين شعرية ورسائل نثرية ، مما تتعذر الاحاطة به ففى كل يوم تخرج المطبعة جديدا يتعب فيه ناشره قراءة وطبعا ومراجعة ، ولا يكتب اسمه فى صدر الكتاب كما يفعل محققو اليوم ، بل يكتب فى النهاية كلمة موجزة تبتدىء بهذا النص المتواضع « يقول مصحح الكتاب فلان » ثم يأخذ التجار والباعة سبيلهم فى نشر الكتاب دون أن يغنم المصحح شيئا ، لأنه موظف بالمطبعة يتقاضى ما لايزيد عن ثلاثة جنيهات فى الشهر على أرفع مستوى !! وقد يلحظ الناقد أن النسخة المنقول عنها تقل عن سواها فى الضبط،أو يلحظ أن تحريفا وقع فى نص دون أن يلتفت اليه ولكن ذلك كله لا يمنع الاعجاب بنفر من المستشهدين فى حب التراث ، وصلوا بياض النهار بسواد الليل فى تصحيح كتاب يقدم الى المطبعة عاجلا ليبدأ المصحح فى سواه ، حتى ظفرت المكتبة العربية فى مدى نصف قرن ، بأكثر من ألفى كتاب !! فيها المراجع الدقيقة فى علوم الفقه واللغة والتاريخ والفلسفة والمنطق والكلام والبلاغة ، وفيها الشعر والقصة والرسالة والمقامة !

وقد أشاع المرجفون نبزا حقيرا لهذه الكتب حين وصفوها بالكتب الصفراء لأنها طبعت على ورق أصفر ! وليت شعرى ماذا

د. محمد رجب البيومى

كان فى مقدور المصحح والطابع والبائع أن يفعله غير أن يكتفى بالموجود عن المفقود ! وكأنى بذوى الغرض من أعداء الثقافة العربية أرادوا أن يصدوا القارئين اذ ذاك عن نفائس التراث ، فلم يستطيعوا أن يقولوا شيئا فى المضمون فلجئوا الى الشكل .

والكتب الصفراء هذه هى التى كونت أعلام النهضة الفكرية فى العالم الاسلامى وأنشأت جيلا من السابقين لم تقدر الكتب البيضاء فى يومنا هذا أن تنشىء أمثالهم !! فليتنا نرزق الانصاف الحميد ، فنهتف بالحق ، ونزجى الثناء لمستحقيه .

وقد كان علماء الأزهر منذ عصر محمد على فى طليعة من قاموا بتصحيح هذه الكتب : بل اننا لا نتجاوز الحق حين نقرر أنهم وحدهم كانوا ذوى العبء الضخم فى نشر هذه الكتب ، وقد استطاعوا بثقافتهم الأصيلة أن ينشروا آثار الطبرى وابن خلدون والمسعودى والزمخشرى والأصفهانى وكتب المذاهب المختلفة فى الفقه الاسلامى هذا غير المقرر فى دروس الجامع الأزهر من المتون والشروح والحواشى والتقارير فى شتى المواد العلمية ، وللقارىء أن يقرأ فهارس المكتبة الأزهرية وحدها ليعرف أى طوفان كاسح فاض على المكاتب العربية فى شتى بلاد الاسلام من آثار هؤلاء العلماء الأعلام ، وقد حفظ التاريخ من أسماء هؤلاء الناشرين عددا حافلا ، ولعل من الخير أن يتخصص مؤرخ أدبى فى تدوين جهود هؤلاء لأن الاحاطة بهم فى فصل موجز ، تتعذر وتستحيل ، ولعلنا نعطى المثال حين نستشهد — فى ايجاز — بثلاثة من هؤلاء الأفذاذ ، اذ كانوا أكثر نشاطا ، وأوفر انتاجا ومازالت آثارهم الماثلة فى أيدى الدارسين ، وهم الأساتذة محمد قطة العدوى ونصر الهورينى ، وابراهيم الدسوقى ، وقد ذكروا وفق الترتيب التاريخى اذ كانت سنى وفاتهم موضع النظر فى الترتيب ، وثلاثتهم من علماء الأزهر ذوى الاحاطة والاستيعاب !

فالشيخ محمد قطة العدوى عالم أزهرى اشتهر بتدريس الفقه المالكى ، وتفسير القرآن الكريم ، وكانت حلقاته بالجامع الشريف فى الدرسين معا موضع تزاحم بين الطلاب ، حين كانوا يختارون من يشاءون دون تقيد بمنهج أو مدرس ، فالأزهر لعهده كان يقدم الدروس لمن يشاء ، وعلى الطالب المبتدئ أن يختار من الحلقات ما يناسب مستواه حتى يسمو الى مثل حلقات الشيخ العدوى ، وكان من مفاخر هذا العصر العلمية ، أن مدرس الحلقة اذا قرر رأيا علميا ، وانتقل صداه الى زميل يخالفه فى تقريره أن يحضر اليه فى درسه بين الطلاب ، وأن يعارضه بالدليل فى رحابة صدر لذلك اشتهرت

مواقف العدوى العلمية مع زميله الشيخ سليمان الجمل صاحب الحاشية الشهيرة على تفسير الجلالين ، اذ كانا يتناظران فى المسائل العلمية بمشهد من العلماء والطلاب معا ، ونحن نرى اليوم فى بعض كليات الجامعة ضيقا ونفورا بين الأساتذة حين ينقد أحدهم مسألة علمية قررها زميله ، ويعد ذلك تهجما عليه فى وقت ندعى فيه حرية الفكر وتقدم البحث ،فمن مبلغ هؤلاء أن دراسة الأزهر القديم كانت حومة نقاش وميدان مساجلة بين الأكفاء دون أن تترك فى النفوس غير الاخاء والصفاء ! لقد نشرت جريدة الأخبار فى يوم ١٩٨٦/٢/٥ ، تتساءل فى صفحتها الأدبية عمن يسمى بمحمد قطة العدوى ويقول قائلها بعد أن تعرض لجهد الشيخ فى تصحيح الفتوحات المكية لأول مرة طبع فيها يقول كاتبها الأستاذ جمال الغيطانى « ترى من أنت أيها الرجل الذى بذل نور عينيه من أجل انتزاع هذه المخطوطات من مجاهل التاريخ ، ودفعها الى المطبعة لكى تنورنا وتبصرنا ، ترى من أنت ؟ هل كان قاهريا ؟ أم جاء الى الأزهر من ريف مصر ، ثم عمل بعد تخرجه فى المطبعة الأميرية ؟ هل كان قصيرا أو بدينا ، جهورى الصوت أو خافته ، من أنجب من الأبناء ؟ ومن أحفاده الذين يسعون بيننا الآن ؟ » .

وهذا التساؤل الممتد على صفحة الأخبار يوحى بالحسرة على جهل تاريخ علم من أعلام التراث الاسلامى ، وفى بعض الاجابة عن الأهم من هذه الأسئلة نذكر :

أن الشيخ العدوى نشأ فى بلده بنى عدى من قرى مركز منفلوط بمحافظة أسيوط ، وقد كان عالما أديبا ، يقرأ دروس العلم ويحقق كتب الأدب ، وقد اختير كذلك مصححا للكتب بمطبعة بولاق عند انشائها ، وتصحيح الامس هو تحقيق اليوم ، اذ كان المصحح يراجع النص ويدقق فى صحته ، ويكتب تعليقا على ما يظنه موضع الخطأ ، ولذا وجد قلقا فى العبارة قومها وأشار الى صنيعه ! وماذا يمكنه أكثر من ذلك وليس لديه قدرة على البحث عن مخطوطات نائية فى الشرق والغرب بمكاتب لم تشهر بعد ؟

ولميتيسر الوصول اليها قبل انتشار المواصلات البرية والبحرية والجوية على هذا النطاق الواسع كما نرى اليوم ، كما كان الرجل يكتب خاتمة الكتاب مشيرا الى فضل مؤلفه دون أن يذكر شيئا من معاناته فى المراجعة والتحقيق وكأن هذه المعاناة واجب مفروض لا فخر فى اعلانه كما قد يذكر قصيدة شعرية فى مدح الكتاب ، وتقريظ الكتب بالشعر كان ذائعا فى العصر الماضى ، وفى مفتتح هذا القرن ، حيث كان المؤلف يعرض ملازم الكتاب قبل تجليده على من يثق فيهم من رجال العلم ، ليقول كل دارس ما يعن له من التقريظ ، وقد كان الشيخ طه محمود من كبار مصححى المطبعة الأميرية، وله فى خاتمة كل كتاب يقوم على تصحيحه شعر بليغ ! وأقول : شعر بليغ ، لأن كثيرا مما يقال فى هذا المجال نظم « لا شعر ، وما يقوله» طه محمود شعر يتطلب الجمع والدراسة ، ومن أشهر ما قام به الشيخ محمد قطة العدوى فى مجال النشر والتحقيق والتصحيح كتاب « كليلة ودمنة » وقد طبع للمرة الأولى بتحقيق

الشيخ قطة مع قصيدة ممتازة قالها شـــيخ الاسلام فى عصره الامام حسن العطار ، كذلك قام على نشر حاشـية الطحاوى على مراقى الفلاح فى فقه الحنفية ، والشيخ مالكى يدرس المذاهب المتناظرة فى مستوى واحد ، كما نشر شرح الفتاوى الحامدية لابن عابدين وكتـاب ألف ليلة ولية بأجزائه الأربعة ذاكرا أنه انتهى من تصحيحه وطبعه للمرة الأولى فى سنة تسع وسبعين ومائتين وألف للهجرة ، وغير ذلك من الكتب ، ولعل آخر ما قام به فى هذا المجال هو تصحيح الكشاف للزمخشرى اذ لم يكتب له أن يتمه مراجعة وطبعا فأتمه الشيخ محمد الصباغ الأزهرى وقال فى خاتمة التفسير الشهير « تم تهذيبه وتصحيحه ، وترصيع جوهره وتنقيحه، فبعضه بمعرفة خاتمة المحققين وسيد المدققين الشيخ محمد قطة العدوى فسح الله تعالى له فى قبره ، ورزقه فى الجنان أكبر مزيد من خيره وبعضه بمعرفة الفقير اليه سبحانه محمـــد الصباغ ، أسبغ الله عليه نعمه أتم اسباغ » •

هذا وقد توفى العدوى فى عام ١٢٨٠ هجريا الموافق ١٨٦١ ميلاديا •• وفى ما ذكرناه مـا يشفى تساؤل جريدة الأخبـار عن محقق ترك الكثير ولم يعرف من تاريخه القليل •

أما الشيخ نصر الهورينى فحظه من الذيوع أشهر ، وصيته فى مجال التحقيق أكبر ، لأنـه أشرف على طبع القاموس المحيط وتحقيقـه ، وقد اشتهر القاموس وأصبح فى متناول كـل دارس ، ولابد لقارئه من الالمام بفك رموزه ، ومعرفة اشارته وطريقة الاهتداء الى معانيه ، وذلك ما وضحه الشخ نصر الهورينى فى مقدمة ضافية تضمنت موازنة بين المعـاجم العربية واصطلاحاتها المختلفة ، وكانت أساسا لما كتبه من بعد مؤرخو المعاجم العربية من لدن الخليل ابن أحمد الى يومنا هذا ، وقد رجع الشـيخ نصر الى كتب عدة وأهمهـا شروح المنـاوى والفاس والزبيدى على القاموس ، كما ترجم للفيروزبادى ترجمة وافية ، وفصل ما اختص به صاحب القاموس من سمات دقيقة لا يتاح تحصيلها الالمن قرأ القاموس مقارنا بكتب اللغة الشهيرة ، وأكثرها كان مخطوطا لعهد الباحث فصبر على دراسته صبرا يوحى بقوة الارادة، وشدة الحزم ، لأن قراءة النصوص اللغوية فى اشتقاقاتها الغريبة المتنوعة مجهدة متعبة ، فاذا كانت هـذه القراءة فى مخطوطات متآكلـة ومخرومة فان الاجهاد أشق والكفاح مرير ، كما لم يعف الفيروزبادى من نقـدات علميـة صائبة دلت على سداد بصر ، ودقة ايغـال فى مباحث التصريف والاشتقاق وفقه اللغة ، وقد حذر قارئى القاموس من التعجل فى القـراءة ، لأن المركب صعب ، والعدة غالية الثمن ، اذ تتطلب غوصا على خفايـا التركيب ، ودلالـة اللفظ مجردا وفريدا ، وهذا مالا مبالغة فيه ، وقد شاء صاحب القاموس أن يضع مقدمـة عويصة المبنى تحتاج الى شرح كاشف ، فقام الشيخ نصر بكتابة هذا الشرح على وجه مسهب رائع حقا ! حتى كادت هذه الديباجة أن تفرد بسفر مستقل لنفاسة ما جمعت من فنون الشرح والتحقيق ، وقد دلت على وفرة المصـادر بين يدى الهوينى ، ومن بينها مصادر لم تطبـع للآن •

ويقابل جهد الهورينى فى تحقيق القاموس ، جهده الرائع فى توجيه الرسم العربى للكتابة ، وتحقيق حروف الاملاء اذ كانت كتب التراث لا تتقيد فى الرسم الهجائى بقواعد متفق عليها، ولكن كل مؤلف يكتب بما عن له ، فقد ترسم الهمزة فى كتاب على نحو مغاير فى كتاب آخر، وهكذا غيرها من حروف المد والوصل والقطع ، والعلة مما يسبب ارتباكا لغير الدارس المتخصص ، فألف الشيخ نصر الهوينى كتابه « المطالع النصرية للمطابع المصرية » ليجمع الطابعين على منهج واحد ، ولم يتم لـه ذلك دون دراسة فاحصة لأقوال الأئمة فى الرسم العربى ، ومعارضتها بما اشتهر فى كتب التراث ليرجح مذهبا على مذهب ، وقد اضطر الى مخالفة بعض الأئمة لوجهة لاحت له ، وليس فى ذلك شيء ، فصاحب المائدة الحافلة يختار من أطايبها ما يروق ، ولن ينزل الى الرديء وهو يعرف الطيب من الخبيث ولكن ماصنعه الهوينى حين جمع الكتاب (١) من الناسخين على مذهب واحد ، كان موضع الاعتراض ممن عز عليه أن ينفرد الهورينى بهذا السبق الباهر ، فقد قال (٢) الأب انستاس مارى الكرملى بصدد هذا العمل الرائع :

« أخذ الاختلاف يزول شيئا فشيئا من بين ظهرانى أبناء النيل أو كاد يزول لأن الشيخ العلامة نصر الهورينى وضع رسالة (المطالع النصرية) ووشاها بقواعد لم يتبع فيها اماما واحدا من أئمة العربية ولغوييها،بل جمع بينهم، لأن اختياره لهم لم يكن موفقا ، ولا دائما حسنا ــ هكذا يقول الأب أنستاس ! ــ فقد خالف أحيانا سيبويه والحريرى والخفاجى وغيرهم من أولئك الأساطين الأقدمين ، كما خالف ثقات المتأخرين كجماعة الألوسيين ، ومع ذلك راج كتابه أى رواج لأنه تولى تصحيح أسفار المشاهير من الأقدمين ، وكانت تطبع فى مطبعة بولاق المصرية منذ تولى تصحيح ما يصدر فيها ، حتى شاع رسم الهمزة على ما أراد لا على ما كان رسمها المؤلف الأصيل فى كتابه » .

وكلام الأب أنستاس ينطق بفضل حاول اخفاءه ، لأن الذى يقرأ جميع ما قال الأئمة ، ويختار من أقوالهم ويترك هو امام مثلهم . وله أن يدع مالا يرجح لديه ، ويكفى أنه عصم القارىء من اضطراب الرسم ، اذ كيف يقرأ اللفظ المهموز فى كتاب على غير منحاه فى كتاب آخر ويكون الجميع جائزا لأن مؤلفا قديما أجازه ! أليس ما ذكره (الناقد) ينطق بفضل العالم الأزهرى الكبير ! .

وقد درس الهورينى الفرنسية وانتفع بها وتولى التدريس بالأزهر ومدرسة الألسن ، وسافر اماما لبعثة علمية فى فرنسا لعهد محمد على فساعده ذلك على معرفة لغتها ، وحين

---

(١) بضم الكاف وتشديد التاء مفتوحة .
(٢) مجلة الرسالة العدد ٤٩٧ سنة ١٩٤٣ م .
(٣) الاعلام جـ ٨ ص ٢٩ ط دار العلم للملايين

ألحق بالمطبعة الأميرية كان أبرز من نشطوا فى العمل بها تصحيحا وتحقيقا ، وشرحا وتأليفا ، ومما أخرج فى مجال النشر والتأليف شرحه لمقدمة القاموس ، وتأليف مقدمة وافية لصحاح الجوهرى ، وتصحيح المزهر للسيوطى ، وتصحيح مقدمة ابن خلدون والجزء الثانى من تاريخه !! وقد اعتمد فى تحقيق آثار ابن خلدون — كما نص على ذلك فى المقدمة — على كتب تاريخية هامة منها شرح المواهب اللدنية ، وتاريخ ابن كثير ، وتاريخ ابن الأثير ، ولم يشر لتاريخ الطبرى اذ لم يهتد اليه فى زمانه ، والجزء الثامن من كتاب (الاعلام) (٣) للزركلى يشير الى مؤلفاته ، ومنها غير ما سبق ذكره ، مختصر روض الرياحين ، وتفسير سورة الملك ، وتسلية المصاب ، والتوصل لحل مشاكل التوسل ، وأسماء رواة الحديث ، وتقييدات على علوم البلاغة ، وشرح رسالة ابن زيدون وشرح آخر سماه « سرح العينيين » وتنوع هذه المؤلفات فى شتى فروع العلم يدل على شمول رحب ، واطلاع مديد ، وقد انتقل الى رحمة الله فى سنة ١٢٩١ هـ الموافقة ١٨٧٤ م .

بقى أن نتحدث عن الشيخ ابراهيم الدسوقى وقد كان أحد أساتذة الجامع الأزهرى ، يقرأ فيه دروس الدين واللغة ولكنه كان — ذا ميل للأدب والشعر حيث تتلمذ على شيوخ يهتمون بهما ، كما قرأ دروس البلاغة واستوعبها ، ثم التحق بمدرسة الطب مصححا للكتب ، فساعد على دقة الترجمة ، واتصل ببيئة ساعدته على التطلع الى آفاق أخرى ، وطار صيته الى مدرسة الهندسخانة فأشرف على تصحيح مؤلفات الأساتذة فى علوم الجبر والحساب والطبيعة والمعادن والهندسة ، ثم عين مدرسا للعربية بها ، اذ رأى أولو الأمر الا يحرموا الطلاب من دراسة لغة الوطن ليستطيعوا الترجمة دون وسيط أزهرى ، ولم يترك الاشراف على التصحيح المطبعى فأخرج كتبا كثيرة منها (شرح التنوير على سقط الزند) للتبريزى « ومنار الهدى فى الوقف والابتدا » للاشمونى ، « وقانون ابن سينا » فى الطب « والمثل السائر » لابن الأثير ، والطبعة الثانية من تفسير الزمخشرى المعروف بالكشاف ، وتصحيح الترمذى فى الحديث النبوى ، وله بآخر كل كتاب كلمة « مسجوعة تثنى على المؤلف ، وتشير الى مزايا الكتاب ، كما أذكر أنه أشرف على طبع « ديوان المتنبى » بشرح البكرى ، وعلى طبع « تزين الاسواق » ، ولك أن تعجب لأستاذ يشرف على كتب الطب والرياضة والفقه والحديث والأدب والبلاغة والتفسير والوقوف ، ويرى نفسه أهلا للقيام بأحياء المطبعة فى كل اتجاه ! ثم هو فى حياته المعيشية فقير محتاج لا يجد غير الضرورى بجهد جهيد .

وقد اشتهر الدسوقى فى دوائر الاستشراق نظرا لاشتراكه مع المستر ادوردلين فى شرح متن القاموس ليقوم المستشرق بترجمته الى الانجليزية .

يقول الدكتور أحمد أمين « أعد المستر

البقية صفحة ١٩٠٠

أحمد اسماعيل الأمير

وحلقة من تاريخ التعليم فى مصر

للأستاذ أحمد اسماعيل الامير – أحد أعلام اسيوط – فضل على بلدنا الأمين ينبغى أن يلم به مثقفو العصر ليدركوا جانبا غير طفيف من تاريخ التعليم فى مصر ، وبعض الفضل لعامليه .

مولده ونشأته وتعليمه :

ولد الصحفى الاديب المرحوم أحمد محمد اسماعيل الامير سنة ١٨٧٧ م – ١٢٩٤ هـ بقرية سوالم أبنوب التابعة لمركز أبنوب بمحافظة أسيوط والده هو المغفور له الشيخ محمد ابن اسماعيل بن أحمد بن ابراهيم بن قنديل ابن زيدان نزح جده لأبيه من بلدة بهيج التابعة لمركز منفلوط فى سنى الظلم وأيام الاستبداد الى بلدة سوالم أبنوب ، وأتخذها موطنا ثابتا له .

عمل والده مأذونا شرعيا لمدة ثمانية وعشرين عاما وكان مثالا للاستقامة والنزاهة كما أنه كان صالحا تقيا يحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا مواظبا على تلاوته فقد كان يتلو منه كل يوم جزءا من أجزائه الثلاثين فى صلاته النفلية الى أن لقى ربه .

أما الوالدة فهى المرحومة السيدة قمر بنت المرحوم الحاج محمد عبد الخالق الحواتكى نزح والدها المذكور من بلدة الحواتكة التابعة لمركز منفلوط الى بلدة السوالم التابعة لمركز أبنوب المعروفة بالسوالم البحرية فأقام بها مدة من الزمن ثم انتقل منها الى بلدة سوالم أبنوب فأقام بها حيث اتخذها موطنا دائما لـه .

وكان رحمه الله رجلا صالحا تقيا تجاوز المائة سنة من العمر وقد أنجب أربعة عشر من البنين وسبعا من البنات .

وكانت هذه الوالدة رحمها الله سيدة تقية مواظبة على تأدية الصلوات الخمس وعلى صيام يومى الاثنين والخميس من كل اسبوع .

وعندما بلغ عمر صاحب الترجمة سبع سنين ألحقه والده بكتاب المرحوم الشيخ محمد درويش عمران حيث تعلم القراءة والكتابة ثم بدأ فى حفظ القرآن الكريم الى أن بلغ نصفه ثم التحق بكتاب المرحوم على عبد الله الشهير بالزيات فأتم عليه النصف الثانى ثم جوده كله عليه وفى سنة ١٨٩٧ م قررت نظارة الحقانية (وزارة العدل حاليا) قبول تلاميذ بالمحاكم الشرعية ليتمرنوا على أعمالها الكتابية وأنظمتها الادارية ليعينوا بعد

لفضيلة الشيخ زكريا أحمد نور
واعظ أسيوط

هذا التمرين كتابا بها فالتحق بمحكمة الوسطى الشرعية التى كان مقرها أبنوب فى ١٥ ديسمبر من تلك السنة وظل بها الى أن صدر أمـــر النظارة بالغائها ونقلها الى مركز أسيوط كمـا ألغت أمثالها وجعلتها بعواصم المراكز تنفيــذا للائحة ترتيب المحاكم الشرعية الجديدة التى أصدرتها فى ذلك العام فانتقل اليها وأقام بها مع المرحوم محمد أفندى سرى كاتبها الاول ثم عاد الى محكمــة أبنوب ليكون بين أهله وفى شهر نوفمبر ١٨٩٩ م ترك المحكمـــة ليعمل بالتعليم فى كتاب شقيقه الشيخ محمد الأمير الذى أنشأه بأبنوب .

والحقيقة أن آل الامير هم رواد العمليــة التعليمية فى أبنوب ولهم فضل السبق فى اقامة أول كتاب فى أبنوب الــذى كان نواة لانشــاء العديد من الكتاتيب فى القرى المجاورة لأبنوب فى عهد خيم عليه الجهل ولم تكن هناك صورة للتعليم الا تلك الكتاتيب التى كانت تنشر العلم آنذاك على الرغم من امكانيات دروســـــها المتواضعة .

دوره فى الحركة التعليمية :

فى سنة ١٩٠٢ م قررت نظارة المعـــارف (وزارة التربية حاليا) اعطاء دروس خصوصية يوم الخميس والجمعة من كل أسبوع لمعلمى الكتاتيب وعقد امتحان لهم ينال الناجح فيه شهادة (فقيه) أو (عريف) .



فتقدم صاحبنا للامتحان مع شقيقه محمــد الأمير وابراهيم ونجحوا جميعا وعمل الشاب أحمد اسماعيل عريفا بمكتب العادلى الاميرى بأسيوط ثم طلب اليه السيد بك خشبة أحد كبار أعيان أسيوط فى ذلك الوقت أن يستقيل من مكتب العادلى ليدير المكتب الذى أنشــأه بعزبته المعروفة باسمه حتى الآن (عـــزبة خشبة) التابعة لمركز القوصية حاليا وقـــام السيد بك خشبة بالانفاق على هذا المكتب فى كل ما يحتاجه من مرتبات للمعلمين ومن أوراق و (سيورات) ومقاعد وكراسات و (طباشير) .. الــخ وبدأ العمل فيه بعد ذلك على ما يرام وسرعان ما توافد اليه التلاميــذ من البلاد

أحمد إسماعيل الأمير

المجاورة للعزبة كالمنشأة الكبرى و (عرب الجهمة) و (مير) و (بنى رافع) و (بنى زيد يوق) وبنى عدي وغيرها .

وقد كان السيد بك خشبة رحمه الله مهتما بالتعليم مشجعا له يزور كتاب العزبة ويصرف له الاعانات وقد جعل التعليم فيه مجانا بل كان يكسو تلاميذه كل عام الأمر الذى أوجد لدى أهالى العزبة والقرى المجاورة رغبة شديدة فى التعليم وقد تخرج فى ذلك الكتاب الكثيرون وأنشأوا كتاتيب فى قراهم وبلدانهم وانتشر العلم على أيديهم .

وظل الشيخ أحمد اسماعيل الأمير يعمل ناظرا بكتاب العزبة حتى تحول الى مدرسة واستمر طوال تلك الفترة يكتب المقالات فى الجرائد والمجلات مناديا باصلاح التعليم ومجانيته مع اقتراحات أخرى تضمنتها مقالاته التى سنعرض لبعضها بعد قليل .

الصحفى الموهوب :

بدأ أحمد اسماعيل الامير يكتب للمجلات والجرائد منذ سنة ١٩٠١ م اذ نشرت له جريدة المؤيد مقالا بعنوان (دعاوى الطلاق والزوجية ازاء المادة ٣١ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية) .

ثم توالت مقالاته فى الجرائد والمجلات الى أن توفى سنة ١٩٦٢ م وبين أيدينا تلك المقالات التى نشرت على صفحات جرائد : « المؤيد » و « الجريدة » و « الاهرام » و « المقطم » و « البلاغ » و « السياسة » و « الجهاد » و « الاخبار » وغيرها وذلك فى الشئون المتنوعة والمواضيع المختلفة سيما ما يتعلق بنهضة التعليم الاولى العربى والتعليم المصرى القديم (الهيروغليفى) وتحسين حال « العميان » و «اصلاح السجون المصرية» و « انشاء المعاهد الدينية » وتعبيد الطرق الحجازية وغير ذلك من الامور المهمة .

كان أسلوب أحمد اسماعيل الاميرسلسا لا تعقيد فيه ولا تجاوز فى تراكيب الجملة أو سمات الأسلوب البليغ ولننظر الى قوله :

لقد أجمعت الحكماء على أن تقدم الامة يتوقف على تقدم المرأة وتقدم المرأة يتوقف على تعليمها وتربيتها ولا غرابة فان كل امرأة تدير مملكة صغيرة أعنى منزلها فان كانت متعلمة عرفت كيف تنظم أحوال تلك المملكة وتجعل أهلها سعداء وان كانت جاهلة ساقتها الى شفا الدمار والشقاء) ان هذه المقالات التى كتبها الأديب الأمير تعتبر وثيقة تاريخية مهمة لما كانت عليه احوال البلاد آنذاك وما كان يشغل الصحافة فى تلك الفترة من أمور وموضوعات انها دلالة واضحة على تطور محتوى ما يقدم للقراء منذ تلك الفترة الى أيامنا الحالية .

انجازاته :

لا يختلف اثنان فى أن الانجازات تمر بمراحل متعددة حتى تتم :

أولى هذه المراحل : الفكرة وتعد الميلاد

الحقيقى لأى انجاز ، ثم تأتى مرحلة التنفيذ .
ولأحمد اسماعيل الامير بصمات واضحة على عشرات الانجازات التى نراها ماثلة أمامنا الآن فى مختلف نواحى الحياة .

أول هذه الانجازات فى مجال الصحافة :
كانت كلمة « الاهرام » تكتب عنواناً للجريدة بدون صورة للاهرامات الثلاثة كما نراها الآن على صدر صحيفة الاهرام فاقترح صاحب الترجمة على الاستاذ داود بركات رئيس تحريرها آنذاك — ان يعد « اكلشيه » بصورة الاهرامات الثلاثة ويكتب فوقها الاسم ليكون اسما على مسمى .

وصادف ذلك وفاة الاستاذ داود بركات ولكن ادارة الجريدة لم تهمل الاقتراح اذ رحب به الاستاذ انطون الجميل رئيس التحرير الجديد وظهرت الجريدة منفذة ذلك الاقتراح بدءا من يوم ١٧ ديسمبر ١٩٣٣ م عدد (١٧٦١٢) والشيخ الأمير هو صاحب الفكرة لانشاء معهد دينى بأسيوط فقد نشرت له جريدة المؤيد فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٠٩ م عدد (٥٨٩٩) مقالا بعنوان « اقتراح بشأن المعهد العلمى الدينى بأسيوط » واتخذ مسجد اليوسفى — فى البداية مقرا للدراسة ثم المسجد الأموى الكبير بعد ذلك وتعهد المرحوم السيد أحمد القوصى بادارته وأخيرا أنشأت له الحكومة مبنى خاصا بضاحية الحمراء بأسيوط على شاطىء النيل وافتتح رسميا سنة ١٩٣٤ ولا يزال الى الآن صرحا اسلاميا يتخرج فيه العديد من طلاب العلم كما تخرج فيه من قبل عشرات العلماء ولصاحبنا بصماته الواضحة فى مجال التعليم اذ نادى بضبط الكتب المدرسية بالشكل حتى يميز معلمو اللغة العربية وتلاميذهم بين المجرور والمرفوع والمنصوب وقد عملت وزارة التربية والتعليم بهذه الفكرة منذ سنة ١٩٦٢ م حتى وقتنا الحالى .

أرسل الصحفى أحمد اسماعيل الامير مقالا الى جريدة « الجريدة » فنشرته فى العدد ١٤٤٢ بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩١١ م ضمنه اقتراحا مؤداه أن تخصص قطعة أرض بجوار الكتاتيب حتى يتمرن التلاميذ على الزراعة وقد استجاب مجلس مديرية القوصية لهذه الفكرة آنذاك ثم نتابع تنفيذها فى بقية المحافظات .

نرى الى أى حد كان الرجل يعمل عقله فى الاصلاح والتوجيه والارشاد فلا يغيب عنا ان وزارة التربية والتعليم حاليا تعمل بتلك الفكرة اذ تخصص قطعة أرض واسعة بجوار كل مدرسة ثانوية زراعية تفى بهذا الغرض .

من أفكار الرجل التى سبق بها الكثيرين أنه صاحب أول نداء بمصر يطلب جعل التعليم الاولى اجباريا اذ طالب بانتشار الكتاتيب فى جميع البلاد واجبار التلاميذ على التعليم فيها تعليما اجباريا قبل أن ينادى المنادون بمجانية التعليم .

كما ترك الرجل بصمات واضحة على كافة نواحى الحياة العامة فى أسيوط منها اقتراحه

أحمد إسماعيل الأمير

بانشاء مكتبة عامة ينهل منها محبو القراءة والاطلاع ووضع لافتات بأسماء الشوارع وترقيم المنازل بأسيوط وغيرها من الاصلاحات المختلفة .

مؤلفاته :

للأديب أحمد اسماعيل الأمير عدا مقالاته التى تربو على مائتين وخمسين مقالا فى موضوعات متنوعة ؛ علمية وثقافية واجتماعية وغيرها نقول : لصاحب الترجمة عدا هذه المقالات ــ التى آمدنا بها نجله الأستاذ عثمان أحمد اسماعيل الامير رئيس قلم الحفظ الجنائى بمحكمة أسيوط الابتدائية ــ كتاب يقع فى ٣٥٠ صفحة عن تطور التعليم فى مصر فى النصف الاول من القرن العشرين ولم ينشر حتى الآن فهل سيتوفر جهد أحد الباحثين الذين يدرسون تاريخ التعليم فى مصر أن يضع نصب عينيه هذه المقالات التى تحدثنا عنها وهذا الكتاب باعتبارهما وثيقة تاريخية مهمة كتبها أحد المهتمين بالتعليم فى تلك الفترة هذا ما نأمل أن نراه بتوفيق الله وعونه .

وفاته :

غادر الشيخ أحمد اسماعيل الامير عزبة خشبة هو وأسرته بعد بلوغه سن المعاش عام ١٩٥١ وأقام مع ابنه عثمان بأسيوط الى أن توفى رحمه الله فى ٣ يناير سنة ١٩٦٢ م فى ليلة السابع والعشرين من رجب سنة ١٣٨١ هـ فبكاه تلاميذه ومحبوه فهل نطمع من المسئولين بمحافظة أسيوط أن يخلدوا ذكرى ابن من أبنائها كان العقل المفكر لكثير من مرافقها وبلدانها ويعملوا على نشر كتابه المذكور ومقالاته الكثيرة حبيسة الأدراج والتى رحل صاحبها دون أن نحقق له أمنيته .

زكريا أحمد نور

العلوم الكونية

الجمل والروح في القرآن الكريم

هذه الأعشاب وهذه النباتات

الحَمْل

في القرآن الكريم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .. وبعد ،

* فإنا نحسب للحمل ، من القرآن ، ستة أشهر ..

** وتفصيل ذلك :

ـ ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً ﴾

سورة الاحقاف « الآية ١٥ »

اى أن الحمل والفطام = ٣٠ شهراً ..

ـ ويقول أحكم الحاكمين ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ ..

« سورة لقمان الآية ١٤ »

اى أن الفطام فى عامين او فى ٢٤ شهرا ، فتكون فترة « الحمل » = ٣٠ - ٢٤ = ٦ ستة اشهر كما هى محسوبة من القرآن ..

*** وقوله تبارك وتعالى : ﴿ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ ..

« سورة البقرة الآية ٢٣٣ »

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ ..

معناه أن تمام الرضاعة حولان كاملان ٢٤ شهراً ، أن الرضاعة حولان كاملان ، ووصف بذلك تأكيدا لبيان أن التقدير تحقيقي لا تقريبي ..

اى أن فصاله أربعة وعشرون شهرا ، ويبقى ستة أشهر للحمل بمعناه الحقيقي من القرآن ..

عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :

حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق :

[إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفةً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ..] ..

وهذا الحديث متفق عليه ..

* * *

وقوله ﷺ فى هذا الحديث : [ثم يرسل الملك ..] .. ظاهره أن إرساله يكون بعد مائة وعشرين يوما ..

الحمل بمعناه الحقيقي من القرآن ..

يقول أحكم الحاكمين تبارك وتعالى :

للدكتور حسن عز الدين الجمل

﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ ..

اى منتهى عدتهن أن يضعن حملهن ..

** والحملُ المعتدُ به هو الجنين : إذ نكس فى الخلق الرابع وكان مخلقا اى تبين خلقه عتقت به الأمة وانقضت به عدةُ الحرة ..

** ومعنى : « نكس فى الخلق الرابع » :

اى قلب ورد فى الخلق الرابع ، وهو المضغة ، لأنه أولا تراب ، ثم نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ..

و« تبين خلقه » : اى تم التكوين والتصوير ..

* أما ما لم يستقر فى الرحم ، وما دفعته الأرحام وألقته فى علقة أو مضغة غير مخلقة قبل ١٢٠ يوما فهذا لا نسميه حملا بل شيئا فى الرحم ، ولا يُعتد به ..

** وشرط الحمل الذى ينهى العدة أن يكون المولود قد استبان خلقه وهذا لا يتم الا « إذا نكس فى الخلق الرابع وتبين خلقه ، اى أنه أمسى أو أصبح مضغة مخلقة ، فإن لم يستبن بأن أسقطت علقة أو مضغة ، لم تنقص العدة ..

[نفخ الروح يتم بعد طور المضغة المخلقة] ..

قال تبارك وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ ..

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ .

﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ ،

﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ،

﴿ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾ ،

* * *

* ﴿ ... ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ..

« سورة المؤمنون آية ١٢ ـ ١٤ »

** ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ .. اى بعد تلك الاطوار ، نفخنا فيه الروح .. اى أن نفخ الروح يتم بعد طور المضغة المخلقة ،، كما جاء فى جميع التفاسير المعتمدة ..

وكذلك تأمل قوله تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ .. ﴾

وكما هو واضح من هذه الآية الكريمة ومن أخواتها فى القرآن العظيم ، يجوز ترتيب مراحل الحمل على مرحلتين أو على مقامين أساسيين :

« أولاً » : المرحلة الأولى : ـ أو المقام الأول :

مقام الخلق أو التسوية أو التكوين ، قبل نفخ الروح ، وهذا مقام الجنين غير تام التكوين قبل نفخ الروح فيه ..

ويبدأ هذا المقام الأول اعتبارا من فلق أو

الحمل في القرآن الكريم

انقسام البويضة ، وينتهى بانتهاء الشهر الرابع من بدء تكوين الجنين من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة غير مخلقة ..

« ثانيا » : المقام الثانى : مقام نفخ الروح فيه ـ أو مقام الخلق الآخر :

اى بعد نفخ الروح فيه ويبدأ هذا المقام اعتبارا من المضغة المخلقة حتى الشهر القمرى العاشر ..

وفى بداية هذا المقام الثانى ، اى فى الأسبوع الثامن عشر اى بعد ١٨ × ٧ = ١٢٦ يوماً ، يبدأ الجنين فى التحرك ، وتشعر الأم بحركة جنينها ولا شك أن تحرك الجنين يعتبر علامة ثابتة اكيدة للحمل ..

** وذهب أكثر المفسرين إلى أن الحكمة فى تحديد عدة الوفاة للمتوفى عنها زوجها بأربعة أشهر وعشرا ـ كما نزل فى سورة البقرة ـ هى أن هذا القدر من الزمن هو الذى يتم فيه تكوين الجنين ونفخ الروح فيه ..

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا .. ﴾ ..

« سورة البقرة الآية ٢٣٤ »

** وتقسيم مراحل الحمل إلى مقامين يفسر لنا كثيراً من الآيات التى لم تفسر من قبل :

« اولاً » : بيان الحمل المحسوب له ستة اشهر من القرآن هو الحمل اعتبارا من نفخ الروح فيه[1] ، وقبل ذلك فلا يعتد به ..

« ثانيا » : الحمل المعتد به هو بعد نفخ الروح فيه وقبل ذلك من الأطوار هو حمل خفيف وهذا البيان القرآنى تعلمته من القرآن لقوله تبارك وتعالى :

﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً ﴾ ..

« ثالثا » : أمكن حل الخلاف بين الأطباء والفقهاء ..

لأن أقل مدة الحمل للمولود التام النمو هو عشرة أشهر قمرية تزيد أو تنقص ..

واقل مدة الحمل للمولود الشرعى عند الفقهاء هو ستة اشهر ..

**** ولقد اضاف الامام الشافعى رضى الله عنه ـ إلى الستة الأشهر لحظتين ، لحظة للجماع ، ولحظة للوضع ..**

وهكذا يمكن اعتبار اللحظة الاولى ممتدة إلى ايام كثيرة لتغطية الأيام الـ ١٢٠ التي قالها الصادق المصدوق :

﴿ إن احدكم يُجمع ﴾..

وبذلك يزول الخلاف بينهم ..

« ١ » هذا التفسير مسئولية الكاتب الطبيب وحده .. مجلة الأزهـــر ..

هــذه الأعشاب وهــذه النباتات

٣

د . السيد ابراهيم الجميلى

التفاح : ــ

معــروف عند الجميع وهــو من الفــواكه الحمضية نوعا لأنه يحتــوى على أحمــاض عضوية مثل حمض الماليك ، ويعطى التفاح عند تمثيله جسم الانسان من ٦ ــ ٨٪ من الطاقة وهو مصدر عظيم للفيتامينات •

ويفيد التفاح فى علاج بعض الأمراض ،وينفع فى الوقاية من البعض الآخر ، فهو يســاعد فى علاج الاسهال الحاد والمزمن لا سيما اســهال الأطفال والرضع •

وقد ثبت أنه مفيــد فى عــلاج الروماتيزم العضلى والمفصلى • كذلك يعتبر التفاح علاجا ناجحا فى الحالات المزمنة التى تستعصى عــلى التداوى البسيط الدارج •

والذى لفت نظرى أن يقول أحد المؤلفين فى كتاب له عن العــلاج بالأعشــاب والنباتات : « كذلك يعتبر التفاح علاجا ناجحا فى معالجــة الروماتيزم ، وذلك بأن يستمر المصــاب على أكل كيلو واحد من التفاح كل يوم ولمدة أربعة أسابيع متتالية » أ هـ • وهذا فى نظرى عــلاج بــاهظ التكــاليف لمجــرد بعض الأوجــاع الروماتيزمية التى يمكن شفاؤها بأقل تكلفة من هذا بكثير ، أما أن أعالج مثل هذه الحالــــة بثمانية وعشرين كيلو تفاحا فأمــر بــاهظ لا يتوفر لدى الكثير من الناس • وعلى العمــوم فان التفاح يفيد النزلات الشعبية ، وهو مقو للدم منشط للاعصاب•

التمر : ــ

قد ثبت فى الصحيحين عن الشيخين أنــــه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « من تصبح بسبع تمرات » وفى لفظ آخــر : « مــن تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا ســحر » البخــارى (١٠ /٢٠٣ ، ٢٠٤) ومســلم فى الصحيح (٢٠٤٧) •

وقد ذكر لنا أبو داود فى ســننه (٣٣٥٩) والترمذى فى جامعه الصحيح (١٥٣١) وابن ماجة (٣٤٣٤) أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أكل التمر بالزبد ، وأكل التمر بالخبز ، وأكلــه مفردا •

كما ثبت أيضا أنه — صلى الله عليه وسلم — قال : « بيت لا تمر فيه جياع أهله » وهذا الحديث أخرجه مسلم فى صحيحة (٢٠٤٦) وقد انتهى الأمر فى جماع القول الى أن التمر من أكثر الثمار تغذية وتقوية للبدن ، وقد قال فيه الامام ابن القيم انه (فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحاوى) زاد المعاد (٤/٢٩٢) •

قال تعالى فى سورة مريم : —

« وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا » (١٩/٢٥)

ففى قوله تعالى (وهزى) أمر بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى فى احياء موات الجذع قال الفراء : الجنى والمجنى واحد ، وقال غير الفراء : الجنى المقطوع من نخلة واحدة • راجع القرطبى (١١/٩٤ ، ٩٥ ط • دار الكتب المصرية بتصرف • وقال مجاهد : « رطبا جنيا» كان عجوة ، وقيل : جنيا لم يجن ولم ييبس، ولم يبعد عن يد مجتنيه ، وهذا هو أصح الأقوال فيه — فى رأينا — والله أعلم •

ومنذ ذلك الوقت وأصبح التمر والعجوه مرغوبا فيه للنفساء ، وقيل : اذا عسر التوليد فلا خير من الرطب ، ولا خير للمريض من العسل وهذا رأى الزمخشرى أيضا •

ويحتوى التمر على ٧٠٪ من المواد الكربوايدراتيه ، ٢٪ من المواد البروتينية ، ٣٪ من المواد الدهنية ، فضلا عن العديد من القلويات الطاردة لسموم الجسم ، هذا الى ما فيه من الحديد والكالسيوم ، والمعروف أن الكيلو جرام من التمر يعطى الجسم حرارة غذائية تقدر بـ (٣٤٨٠) **سعرا حراريا يمكن للانسان أن يعول عليه فى عمله اليومى على مدى الأربعة وعشرين ساعة على التوالى •**

وكانت قد فطنت وزارة المعارف العمومية فيما سبق الى هذا النفع للتمر فكانت تطعمه تلاميذ المدارس ، اذ كانوا يعطوننا اياه كل يوم فكان مددا موصولا للطاقة لا ينضب معينه ، كما كان عاملا جوهريا فى حفظ بنية الجسم، وتقوية دفاعاته ، وزيادة مناعته ضد الأمراض•

وقد ورد أن بعض المجربين قد وصل الى أن تعاطى مسحوق نواة البلح بعد تجفيفها وسحقها بمعدل أربعة جرامات يوميا يحرك شهوة الطعام عند المرضى المصدورين كما لوحظ أنه يقطع العرق والاسهال من المعمودين وقد عثر فى بعض الأديرة القبطية المصرية القديمة المطمورة فى أعماق الحفريات عثر فيها على أسطورة تغنى بها الرهبان والقساوسة بفضل البلح والتمر وميزاته •

وهذا الاهتمام من جانب قدامى الأقباط بالتمر — فى نظرنا — معزو وراجع الى أنه كان الطعام الأوحد للسيدة مريم مدة حملها بالسيد المسيح عليه السلام •

التين : —

وهو معروف منذ أقدم العصور ، وذكرته الكتب المقدسة ، وعالج به الأطباء المصريون القدامى أمراض المعدة والصدر ، وداووا به الامساك المزمن ، وهو غنى جدا بفيتامين ب المركب ، كما يحتوى على نسبة متوسطة من فيتامين ا ، ج ، وهو يزيد من مناعة الجسم ضد الأمراض ، كما يحتوى على كثير من الحديد بما يعادل (٢٫٩ ملليجرام ٪) فضلا عما يحتويه من الكالسيوم والنحاس وكثير من

المواد السكرية ، وتعطى (المائة جرام) من التين ٢٤٦ سعرا حراريا •

وقد نعته ابن سينا شيخ أطباء العرب فى كتابه (القانون فى الطب) • بقوله : « ان التين مفيد للحوامل والرضع » أ هـ •

ويقول الامام الرازى فى كتابه الحاوى (٢/٢٧٥) « انه يقلل الحوامض فى الجسم ويدفع أثرها السىء » أ هـ •

ويعمد المعاصرون المعالجون الى علاج القروح النتنة بتضميدها بثمار التين المجففة ، والمغلية بالحليب العادى ، كما أن منقوع الثمار الجافة يعالج الامساك عند الشيوخ المسنين •

ويذكر أن أبا الدرداء رحمه الله قال : أهدى الى — النبى — صلى الله عليه وسلم — طبق من تين فقال (كلوا) وأكل منه ، وهذا الخبر ذكره ابن القيم فى زاد المعاد (٢/٢٩٢)وسكت عنه ، ولكن لم أعثر على سند معتمد له ، وقد بحثت عنه فى مظانه فلم أجده ، وفى نفس الوقت لم يصادفنى خبر يرد هذا المتن أو هذا السند • •

الجلنار (ورد الرمان)

قال تعالى :« فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ » الرحمن (٥٥/٦٨) •

قال الامام محمود شكرى الألوسى فى روح المعانى (٢٧/١٢٢) : —

ان نخل الجنة ورمانها وراء ما نعرفه » أ هـ •

وقال القرطبى : — « قال ابن عباس رضى الله عنهما : « الرمانة فى الجنة مثل البعير المقتب » قال : — « وثمرها أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، ألين من الزبد ، ليس فيه عجم » أ هـ • بتصرف من الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٨٦)

وقد نسب الى ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا من ناحية ومرفوعا من ناحية أخرى : — « ما من رمانة من رمانكم هذه الا وهو ملقح بحبة من رمان الجنة • ولكن سنده مقدوح فيه وقد ذكره الذهبى فى الميزان (٤/٥٩) وفى سنده محمد بن الوليد بن أبان القلانسى ، وهذا كذاب يضع الأحاديث ، وعد الذهبى هذا الحديث من أباطيله • وقد يسأل سائل : وما الداعى الى ذكر مثل هذا الحديث المقدوح فى سنده ، فان الخير فى عدم ذكره أو الاشارة اليه ، ولكنى أرى أن المدخولات الغريبة والموضوعات الناشذة ، والمتحولات المرفوضة التى ضرب عليها الشر قبابه يجب ذكرها وبيان مواضع التجريح فيها حتى يمكن الاحتراس منها ، قطعا لدابر الفتنة وصرما لشر مستطير ، وقديما قال الشاعر :

عرفت الشر لا للشر
لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الخير من
الشر يقع فيه

وحب الرمان أشد قبضا من عصارته ، وأشد تجفيفا وقشوره أكثر من ذلك قبضا وتجفيفا ، وفيه حلاوة جميلة وعطرية فى مذاقه ، وهو يعطى البدن قدرا هائلا من الطاقة والحيوية والنشاط •

ولم يعجبنى ما ذكره صاحب المعتمد من محصول كبير ، اختلط به من بدائيات الطب فى عصره من مصطلحات مهجورة ونتائج غير موقوف عليها بجلاء ، لكن فيها النافع المفيد على أى حال •

والى اللقاء فى المقال القادم باذن الله تعالى

د • السيد الجميلى

طرائف

الزهد

ذكر الزهد عند الفصيل بن عياض فقال هو : حرفان فى كتاب الله ـ تعالى ـ « لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » ..

الدهر

رايت الدهر يرفع كل وغد ويخفض كل ذى زنة شريفة
كمثل البحر يغرق فيه در ..
ولا ينفك تطفو فيه جيفة
وكالميزان يخفض كل واف
ويرفع كل ذى زنة خفيفة ..

سلبتك حلاوة مناجاتي

قال حبر من بنى اسرائيل فى دعائه : يارب كم اعصيتك ولا تعاقبنى فاوحى إلى نبي ذلك الزمان .. قل لعبدي : كم اعاقبك ولا تدرى ، ألم اسلبك حلاوة مناجاتى ؟

بفضلك يارب ؟

اعتل جعفر بن محمد الصادق : فقال : اللهم اجعله أدبا ولا تجعله غضبا ..

ما رأيت من أجدادك ولا أحد مثلها

■ أهدى الشريف إلى الملك صلاح الدين أيوب هدايا ، وكان الرسول يخرج منها واحدة واحدة ، ويعرضها على الملك ، فأخرج مروحة من خوص النخل ، وقال : أيها الملك ؛ هذه مروحة ما راي الملك ولا أحد من آبائه مثلها ، فاستشاط الملك غيظاً وتناولها منه ، وإذا عليها مكتوب :

أنا من نخلة تجاور قبراً
ساد من فيه سائر الناس طرا

ومواقف

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

شملتني سعادة القبر حتى
صرت في راحة لا ابن أيوب اقرا
فعرف أنها من خوص النخل الذي في مسجد رسول الله ﷺ ـ فَقَبَّلَها الملك ، ووضعها على رأسه .
وقال للرسول : صدقت ، صدقت .

ما سبب موته ؟

■ **سأل رجل حكيما ، كيف حال أخيك فلان ؟**

فقال : مات !!

فقال : وما سبب موته ؟!

قال : حياته ..

قالوا .. !!

- العجب لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحلة ، ويتركون العمل لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة .
- لو كانت الذنوب تفوح ما جلس أحد إلى أحد .
- التوبة اليوم رخيصة مبذولة ، وغداً غالية غير مقبولة .
- إذا أدركت الدنيا الهارب منها جرحته ، وإذا أدركت الطالب لها قتلته .
- من اشترى ما لا يحتاج إليه باع ما يحتاج إليه .
- جهل المرء بعيوبه من اكبر ذنوبه .
- أحق الناس بالخدمة العالم ، وأحق الناس بالتواضع العالم .
- لا يصعد إلى السماء إلا ما نزل منها .
- يستدّل على عقل الرجل بقلة مقاله ، وعلى فضله بكثرة احتماله .

دعاء

« اللهم انت ربى لا إله إلا انت خلقتنى وانا عبدك ، وانا على عهدك ووعدك ماستطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا انت ..

من أعلام الأزهر - بقية

لين » مكتبة يستعين بها على عمله ، فعنده نسختان خطيتان من « القاموس » ونسختان من « الصحاح » ونسخة من « تاج العروس » شرح القاموس ، ونسخة من « لسان العرب » يظن الدسوقي أنها بخط المؤلف ، وأجزاء من « المحكم » لابن سيده ، « والمزهر » للسيوطي ، وكثير من دواوين الشعر ، واقترح « لين » أن يبدأ بمطالعة المزهر ، حتى يتذوق اللغة وحدودها ، ثم يقرأ كل يوم نصف كراسة من تاج العروس شرح القاموس ، يفهمها ويستفسر عما يصعب منها ويراجعها على ما عنده من كتب اللغة حتى يستوثق من صحتها .. فاذا بدأ القراءة ، فلكل منهما نسخة من الكتاب ، وضعت على سطح مائل ، يقرءان ويراجعان ويفهمان الى أن يتم نصف الكراسة فينصرف الشيخ ، ثم يأخذ لين في ترجمة ما فهم الى الانجليزية فتسير الترجمة مع القراءة ، ويستمران على هذا سبعة أعوام لا يكلان ولا يملان » وظلت الصلة الثقافية بين الرجلين يتبادلان الرسائل بعد رحيل لين من مصر الى أن فارق الحياة قبل أن يموت الدسوقي بستة أعوام ، حيث قضى نحبه في سنة ١٣٠٠ هـ الموافقة ١٩٨٣ م .

وحديثنا عن هؤلاء الرواد لا يغفل دور تلاميذهم ممن تعاقبوا على تهيئة الكتب العلمية للمطابع ، والاشراف عليها تصحيحا وتعليقا ، وقد وجدوا الطريق ممهدا بعض التمهيد بما صنعه سابقوهم المجتهدون ، ونقول بعض التمهيد ، لأن قيام هذا النفر على متابعة النشر وجد من الصعاب العلمية ما تنوء به القوى الشديدة ، للافتقار الى كثرة المراجع ، وتعدد المخطوطات ، واذا كنا نجد اليوم منهجا واضحا للنشر العلمي قام على تقنينه أساتذة الاستشراق بدءا ، وأعلام الدارسين من أبناء العربية ولاء فاننا نذكر بالخير من انغمسوا في هذا البحر اللجي بقوتهم الذاتية دون منهج مرسوم ، فأرضوا حاجات العقول في زمانهم ، وفتحوا الأذهان على تراث حافل تزدحم به المساجد والمنازل والمدارس دون أن يجد من يبعثه من مرقده بغير عناء متواصل ، وجهد طويل الصبر ، بعيد الأناة ، ومن المضحكات أن نجد من ذي السفه من يصفهم بالوراقين ، ناسيا ما كابد هذا الوراق المفترى عليه من بلاء شديد .

د. محمد رجب البيومي

الشعر والشعراء

حُسْنِ ظَنّي

للشاعرة علية الجعار

لغيرك يا إلهي لاَتَكِلْني فتحت لوائك العلوى أمني
اتيت إليكَ تثقلني ذنوبي وقد فاضت علي وأرهقتني
ولم اقصد سواك فانت حسبي وإنك عالم بالسر مني
جميل انت ياربي ونور يفيض سناه في قلبي وعيني
ويشرق في دجى روحي ضياء فيملأ بالتقى والنور كوني
قصدت نداك ياربي لفقرى وإنك خير من يُرجى فيغني
فهب لي حسن عفوك ياإلهي فإني قد اتيت بحسن ظني

عيد الفداء

شعر: عبد العليم القباني

أهلا بمؤتلق سعيد ** عيد الفداء أجلّ عيد
لمّا أطلّ على الوجود ** زها وأشرق من جديد
عيد النبوّة حين تسطع في سماوات الخلود
وتعود بالذكرى الى ** قدس من الماضي المجيد
أرأيت «ابراهيم» يسعى ** ممسكاً بيد الوليد
في موقف يدع الجبال الشم واهية الصمود
بين الأبوة والبنوّة ** والعواطف والقيود
حتى إذا ضاق الرجاء ** وغاب في حلم شهيد
ومشى الحداد على السهول على الجبال على النجود
جاء الفداء من السماء ** يتيه في برد سعيد
لطف من الله الكريم ** وفيض مرحمة وجود
لك أيها البلد المقدس لهفة القلب العميد
وتحية للراكعين الساجدين على الصعيد
من كل من ترك الديار ولاذ بالبيت العتيد
وسعى وطوّف طاهر ** الخطوات قدسى النشيد
في موطن الذكرى وفي ** قدس من الأمس البعيد
ما بين زمزم والمقام ** وفي المعالم والشهود
وإلى العروبة في بقاع ** الأرض أغنيةُ الصعود
ودعاؤنا المشبوب في أرض النبوّة بالمزيد
بالسلم يخفق فوق أرض العُرْب بالعيش الرغيد

أهل الهوى

شعر: إبراهيم عيسى

أهل الهوى لما أذنت لهم أتوا ... وشرابهم في حان حبك عتقا
طافت عليهم كأس ودك .. فانتشى ... من ذاق من خمر الوداد ومن سقى
لولاك ما كانوا سكارى نشوة ... مرت على نهر الظلام فأشرقا
عرفوك في صفو اليقين تذوقا ... ورأوك في وجد الوجود تألقا
ماتوا عن الدنيا فعاشوا عمرهم ... بين الشهود محبة وتعلقا
وصلاتهم بك في الصلاة توسل ... يرجو نداك .. فإن أذنت تحققا
وأمانهم إيمانهم ... ودموعهم ... سجدت على خد الحنين تشوقا
طاروا بأجنحة الصلاة كأنهم ... طير أتى نبع الحقيقة فاستقى
وعلى عيون الشمس أسدلت المسا ... ء ففاض نورك في الضلوع وأغدقا
من فوق طور الحب ناجوا ربهم ... فرأوك أحنا بالمحب وأرفقا
فرحمتهم ... والحب بين جوانحي ... طير يحن إلى علاك محلقا
سكران من صحوى بكأس محبتي ... يقظان في نومي أناجي الملتقى
لما أذنت تعلقت روحي بكم ... فمتى تجود عليّ كي أتخلقا
وأراك في عين اليقين ضياءها ... وأقول قد جاد الأحبة باللقا
فأنا وقفت ببابكم .. وبخاطري ... همس على وتر الجلال ترقرقا
وعلى جفوني من ظنوني في الدجى ... كم أرعد الدمع الذليل وأبرقا
أخشاك أم أهواك ؟ ... إنهما معاً ... عاشا بقلب كم أحبك فاتقى
فأتيت باب هواك أستبق الخطى ... ما كان بابك للأحبة مغلقا
جل الذى غفر الذنوب جميعها ... أن تستبد النار بي أو أحرقا

رحلة ريفية

للشاعرة جليلة رضا

ومضيت نحو الحقل هائمةً والطير يشدو فى الربى نغمه
والعشب من أندائه درر والغصن وَفىٌّ وعده كرها
إذ كان فجر مُنىً وعاطفة ورؤى ربيع جد مُبتسمه

** **

وبدت لى الأبقار سارحة سبقت خطى الجاموس فى السَّيْرِ
ومضت تحش العشب فى نهم وتمر بين الشاة والثور
وتحك فى الأغصان منخرها وتخور فى جذل وفى بشر
.. وترقرقت عيناى إذ رأتا عملاق هذا الحقل فى الصبر
هذا الغفور لكل سيئة نسَّاء كل مظالم الدهر
.. ومضى (الحمار) ، وفوقه ثقل متخطياً حُفَراً إلى حُفر

** **

ومشيت فى طرق مُعرَّجة وأزقة ضاقت بمن فيها
ومشت دواجنها منقِّرةً والديك قائدها وشاديها
والبط فى كُتَلٍ موحدة رمز المحبة ، بل .. معانيها
وتمر أغنام فتفزعها ويلمُّها طفل يناديها
ونساؤها راحت تحدِّق بى وكأننى ملَكٌ يدانيها
حملت بطرف الرأس جرتها ومضت بها للنهر يرويها

** **

ياريف مصر ويامنى وطنى يامنبع الأحلام والنشوه
ياملتقى الأبناء من بشر بأمومة أرضية ، حلوه
ودجاجة كبرى بأجنحها تحمى الجمال الغض والقوه
يامسقطا لرءوس من فتحوا فى كل عقل مظلم .. كُوَّه
لتعش هنىّ البال مغتبطا بين السنى والطير والربوه ..

** **

اللغة والأدب والنقد

إمالة الفتحة قبل هاء التأنيث

قراءات في عيون الأدب

بين التوحيدي والصاحب ابن عباد

الخاتمة

إمالة الفتحة قبل هاء التأنيث

تكلمنا عن امالة الفتحة قبل الألف وهو أحد المواضع الثلاثة التى تمال فيها الفتحة .

اما الموضع الثانى لامالة الفتحة : كونها قبل هاء التانيث وانما يكون ذلك فى الوقف خاصة نحو رحمة ، وفكرة ، وبسطة .

والسبب فى امالتها قبل هاء التانيث أن الهاء أشبهت ألف التانيث المقصورة فى المخرج وفى المعنى والزيادة والتطرف والخفاء فأخذت حكمها فى جواز امالة الفتحة قبلها .

قال سيبويه (ج ٢ ص ٢٨٠) : وقال : سمعت العرب يقولون : ضربت ضربة وأخذت أخذة شبه الهاء بالألف فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف ـ أ هـ .

وقالوا : تحسن الامالة قبل هاء التانيث اذا لم يكن قبلها حرف استعلاء ولاراء نحو رحمة.

فان كان قبلها حرف استعلاء كانت الامالة متوسطة بين الحسن والقبح وذلك لأنه لما أجرى الهاء مجرى الألف لم يكن كالمشبه به مطلقا . فلم يمنع حرف الاستعلاء الامالة هنا كما منعها هناك بل توسطت الامالة معه فى الحسن والقبح .

وان كان قبل هاء التأنيث راء قبحت الامالة لأن الراء حرف تكرار فامالة فتحتها كامالة فتحتين فالعمل فى امالتها أكثر .

والمروى عن الكسائى أنه كان يميل ما قبل الهاء مطلقا ـ قالوا : الا اذا كان ألفا ـ وأقول : لا معنى لهذا الاستثناء ، لأن الألف ساكنة والكلام فى الفتحة التى قبل الهاء .

وأهل الأداء لا يميلون الفتحة قبل الهاء اذا كانت على حرف من حروف الاستعلاء أو على العين أو الحاء وذلك نحو النطيحة والحاقة وقبضة وبالغة وبسطة والقارعة وخصاصة والصاخة (١) والموعظة .

واذا كانت الفتحة على حرف من هذه الأربعة : أكهر .

فصلوا فان كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة أميلت فتحتها نحو : الأيكة والخاطئة والآلهة والحافرة ـ وكذلك تمال ان كان بين الكسرة وحروف أكهر حرف ساكن نحو عبرة ووجهة .

فان كان قبل هذه الأحرف ضمة أو فتحة أو ألف فلا تمال نحو التهلكة والميسرة والسفاهة .

---

(١) الصاخة : فى الاصل اسم فاعل من صخ يصُخّ كشد يشد ـ اذا ضرب بشىء صلب على مصمت ، ثم قيل للصيحة : صاخة لانها تصم الاذان بشدتها وسميت القيامة صاخة بما يتقدمها من صيحة الملك .

للأستاذ الدكتور
عبد العظيم على الشناوى

امالة الفتحة قبل الراء

الموضع الثالث الذى تمال فيه الفتحة : اذا كانت قبل الراء :

ولامالة الفتحة قبل الراء شروط أجملها المرادى بقوله : والتحرير أن يقال : تمال كل فتحة فى غير ياء قبل راء مكسورة متصله بها أو مفصولة بمكسور أو ساكن غير ياء وليس بعد الراء حرف استعلاء - ا هـ .

فمثال المتصلة : من الكبر ، ومثال المنفصلة بساكن غير ياء من عمرو ، والمنفصلة بكسر نحو من أشر ، ومثال الراء التى ليس بعدها حرف استعلاء من المغرب :

فلا يمال نحو من الغير ، لأن الفتحة على الياء ، ولا نحو ذهب الضرر ، لأن الراء غير مكسورة . ولا نحو منْ غيرك لأن الساكن على الياء ولا نحو من المشرق لوقوع حرف الاستعلاء بعدها .

واليك ما قاله سيبويه (جـ ٢ ص ٢٧٠) :

« هذا باب ما يمال من الحروف التى ليس بعدها ألف اذا كانت الراء بعدها مكسورة » .

وذلك قولك : من الضرر ومن البعر ومن الكبر ومن الصغر ومن الفِقَر ، لما كانت الراء كأنها حرفان مكسوران وكانت تشبه الياء أمالوا المفتوح كما أمالوا الألف ، لأن الفتحة من الألف ، وشبه الفتحة بالكسرة كشبه الألف بالياء فصارت الحروف ههنا بمنزلتها اذا كانت قبل الألف وبعد الألف الراء وان كان الذى قبل الألف من المستعلية نحو ضارب وقارب (أى أن الحروف المفتوحة قبل الراء المكسورة أخذت حكم الحرف الواقع قبل الألف التى بعدها راء مكسورة فانها تمال ولو كانت حرف استعلاء نحو ضارب وقارب - كما عرفنا فيما مضى - ولهذا أميلت الفتحة هنا ولو كانت على حرف استعلاء كما مثل سيبويه بقوله (من الصغر ، ومن الفقر) ثم قال سيبويه وتقول من عمرو فتميل العين ، لأن الميم ساكنة ... وقالوا : رايت خَبَطَ الريف كما قالوا : من المطر - بامالة الطاء فيهما ، وقالوا : رأيت خبط فرند كما قالوا : الكافرين - بالامالة فيهما .

فترى أن فتحة الطاء أميلت لكسر الراء مع كونها من كلمة أخرى وفصلت عن الفتحة بساكن فى « خبط الريف » وبحرف مكسور فى « خبط فرند » وليست طرفا - فقول ابن مالك - والفتح قبل كسر راء فى طرف . أمل هو بالنظر الى الغالب - ثم قال : وقال : مررت بعير ومررت بخير فلم يشمم (أى لم يشم الفتحة شيئا من الكسر - أى لم يمل الفتحة) لأنها (الامانة) تخفى مع الياء كما أن الكسرة فى الياء أخفى - ثم قال : ومن قال : من عمرو - فأمال لم يمل من الشرق ،

لأن بعد الراء المكسورة حرفا مستعليا فلا يكون ذا كما لم يكن هذا مارق – بالامالة آهـ .

قال السيرافى : يريد أن حرف الاستعلاء اذا كان بعد الراء المكسورة منع من امالة ما قبل الراء وهو امالة الشين من الشرق كما منع امالة الألف من مارق اهـ .

امالة الضمة نحو الكسرة

هذا ، وكما يجوز امالة الفتحة نحو الكسرة قبل الراء المكسورة يجوز أيضا امالة الضمة نحو الكسرة قبل هذه الراء ، فنقول : من عمر بامالة ضمة العين نحو الكسرة .

قال سيبويه : وتقول : هذا ابن مذعور – بامالة ضمة العين نحو الكسرة – كأنك تروم الكسرة ، لأن الراء كأنها حرفان مكسوران فلا تميل الواو ، لأنها لا تشبه الياء ولو أملتها أملت ما قبلها ولكنك تروم الكسرة ... ومن هذا قولهم : عجبت من السمُر وشربت من المِنْقَر – بامالة ضمة الميم من الأول وضمة القاف من الثانى – والمنقر الركية الكثيرة الماء .. ويقال : هذا خبط رياح كما قال من المنقر (أى أمالوا ضمة الطاء نحو الكسرة وان كانت الراء منفصلة كما أمالوا ضمة القاف من النقر) اهـ ٢ ص ٢٧١ .

وبعد فالمعروف أن الفتحة لا تمال نحو الكسرة الا قبل الألف وقبل هاء التأنيث عند الوقف وقبل الراء المكسورة .

ونقل عن الكسائى امالة الفتحة قبل هاء السكت أيضا نحو كتابيه ، قال ابن هشام فى التوضيح : والصحيح المنع خلافا لابن الأنبارى وثعلب .

امالة الحروف والأسماء المبنية

لما كانت الامالة تصرفا – والحروف من شأنها عدم التصرف – كان الشأن فى الحروف أن لا تمال ولو كان فيها سبب للامالة . فنحو « اما » و « الا » وان كان فيه كسرة وألفه رابعة لا يمال – كما لا يمال حتى وألا وهلا .

قال سيبويه : ومما لا يميلون ألفه : حتى وأما والا فرقوا بينها وبين ألفات الأسماء نحو حبلى وعطشى اهـ .

ومثل الحروف : الأسماء المبنية : لأن من شأنها عدم التصرف – ولكنهم استثنوا « ها » للغائبة ، و « نا » للمتكلم المعظم نفسه أو ومعه غيره فان الامالة فيهما مطردة ان وجد السبب لكثرة استعمالهما فقالوا : مر بنا وبها ونظر الينا واليها بالامالة لوقوع الألف مسبوقة بالكسرة أو بالياء مفصولة بحرف .

وقد جاءت الامالة فى بعض الحروف والأسماء غير المتمكنة واجتهد النحويون فى تعليل امالتها لكونها جاءت مخالفة للأصل .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٦٧) : ولكنهم يميلون فى « أنى ، لأن « أنى » تكون مثل أين ، وأين كخلفك وانما هو اسم صار ظرفا فقرب من عطشى ، وقالوا « لا » فلم يميلوا لما لم يكن اسما فرقوا بينها وبين (ذا) وقالوا (ما) فلم يميلوا ، لأنها لم تتمكن تمكن (ذا) ولأنها لا تتم اسما الا بصلة مع أنها لم تتمكن تمكن المبهمة فرقوا بين المبهمين اذ كان ذا حالهما اهـ .

وقد تناول هذا الكلام الرضى وزاده ايضاحا فقال – وغير المتمكنة كالحرف لعدم

تصرفها — وانما أميل « ذا » فى الاشارة ، اذ توصف وتصغر ويوصف بها بخلاف « ما » الاستفامية فانها لا تصغر ، ثم علل لامالة « أنى ، ومتى » لاغنائهما عن الجملة وذلك لأنها تحذف معهما الفعل .

وقال سيبويه : وقالوا : با ، وتا — بالامالة — فى حروف المعجم ، لأنها أسماء ما يلفظ به وليس فيها ماق « قد » و « لا » وانما جاءت كسائر الأسماء لا لمعنى آخر — اه .

وقال الرضى : وانما أميل أسماء حروف التهجى — نحو با ، تا ، ثا ، لأنها وان كانت أسماء مبنية كاذا وما لكن وضعها على أن تكون موقوفا عليها بخلاف « اذا ويا » فأميلت لبيان ألفاتها ... والدليل عليه أنها لا تمال اذا كملت بالمد ، نحو باء وتاء ، وذلك لأنها لا تكون اذن موقوفا عليها ، ولقوة الداعى الى امالتها أميلت مع حرف الاستعلاء ، نحو طا ، ظا ، بخلاف طالب وظالم — ا هـ .

جـ ٣ ص ٢٨ شرح الشافعية .

وقال سيبويه وقالوا : يازيد — بامالة الألف — لمكان الياء — اه .

وقال الرضى : وكذا أميل « يا » لتضمنها معنى الفعل وهو دعوت وناديت فصارت كالفعل . مع أنه يحذف المنادى ويقدر فى نحو (ياليت) .

فيصير كالفعل المضمر فاعله — .

والرضى دائما يبرر امالة الحروف والأسماء المبنية بكونها تضمنت معنى الجملة كما رأيت فى تعليله لامالة « يا » « وأنى ومتى » .

وقال : وانما أميل « بلى » لجواز السكوت عليها وتضمنها معنى الجملة اذ تقول فى جواب أما قام زيد : « بلى » أى بلى قام فصار كالفعل المضمر فاعله ...

وكذا « لا » تمال فى « امالا » اذ يحذف الشرط بعدها « تقول لشخص : افعل كذا ، فيأبى ، فتقول له : افعل هذا امالا : أى امالا تفعل ذاك ، واذا انفردت « لا » عن « اما » لم تمل وان كانت كبلى فى الاغناء عن الجملة ، لكونها على حرفين ، « وأما « يا » فلأن معها الياء وهو سبب الامالة ، وحكى قطرب امالة « لا » من دون « اما » نحو لا أفعل ، لافادتها معنى الجملة فى بعض الأحوال كبلى — ا هـ .

شرح الشافية جـ ٣ ص ٢٧ :

ولو سميت بعلى وعدا وخلا الحرفيتين وبأما وألا لم تمل اذ لا سبب للامالة — اه .

الرضى جـ ٢ ص ٢٦ .

وقال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٦٧) وقال الخليل ، لو سميت رجلا بها وامرأة جازت فيها الامالة — أى ان وجد السبب كما نقلنا عن الرضى .

هذا واعلم أن الأفعال يجوز امالتها ان وجد السبب ، ولو كانت مبنية أو غير متصرفة وذلك نحو غزا ، ورمى ، وعسى ، فان ألفها تخرج الى الياء فى بعض التصاريف فتقول : رميت وغزى ، وعسيت .

وقد عرفنا قبل : أن الألف المتطرفة اذا خرجت الى الياء جازت امالتها .

وقال سيبويه : والامالة فى الفعل لا تنكسر .

وانما كان فى الفعل متلئبا ، لأن الفعل لا يثبت على هذه الحال — ا هـ .

(جـ ٢ ص ٢٦٠) . وبالله التوفيق ..

قراءات فى عيون الأدب

٢

العذريون

تمهيـــد ..

عرفنا فى حديثنـا السابق أن الحب العفيف ليس حبا أمويا ، ولا حبا انفردت به عذرة وحدها ... وانما كان هذا الحب نبت البادية العربية فى جميع عصورها .. فهو اذن نبت صحراوى عريق ظلت البادية ترعاه حتى نما وازدهر فى ظل بنى أمية ...

ويزعم بعض المؤرخين أن كثيرا من أخبار هـذا الحب قد غلفت بالأساطير وهم بذلك يندفعون وراء اتجاه خطير يدعو الى الشك فى كل ما يتصل بتراثنا الأدبى القديم ، ولا شك أن هذا التراث يمثل جزءا من تاريخنا العريق .. ومن هنـا تتضح خطورة هذا الاتجاه .

والـذى لا ننكره أن بعض المبالغات قـد امتزجت بما نقل الينا عن هذا اللون من الحب ربما بدافع من التزيد فى العلم والرواية وتلبية لحاجات السمر والامتاع وطلبـا للاغـراب والاعجـاب ..

ولكن هذه المبالغات لم تكن فى الاطار العـام الذى دارت فيه أحداث قصص هـذا الحب فى مختلف العصور ، وانما كـانت فى التفاصـيل والحواشى وكذلك الشأن فيما وصل الينا مـن شعر هؤلاء المحبين فهـو شـعر صحيح وان اختلطت نسـبته الى أصـحابه فى بعض الأحيان ..

وهو ــ على كل حال ــ نتاج لمجمـوعة من الشعراء تشابهت حياتهم فتشابه فنهم ..

بنـو عـذرة .. والحب العـذرى ..

وبنو عذرة بطن من « قضـاعة » التى يصل نسبها الى « حمـير » اليمنية أو « معـد » العدنانية على اختلاف بين النسابين فى ذلك .. وكان بنو عذرة ينزلون فى البـادية العربيـة شمالى الحجاز فى منطقة وادى القرى وتبـوك الى أيلة على البحر الأحمر ، وقد اشتهرت هذه القبيلة بالقوة والمنعـة والشرف ومن أشـهر أعلامها رزاح بن ربيعة الذى استنجد بـه قصى جد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكان أخاه لأمه ــ فى حربه مع خزاعة ، فأنجده وأعانه حتى أجلاها عن مكة ، وغلبها على البيت الحـرام ، فتولت قريش سدانته .

وكان من ساداتهم أيضا ــ هوذة بن عمرو ــ

للأستاذ عبد الحميد عثمان البهى

يقال له « رب الحجاز » اعترافا بمكانته ومنزلته بين العرب •• وقد مدحه النابغة الذبيانى باحدى قصائده •

وفى السنة السابعة للهجرة تم دخولهم فى الاسلام •• ثم توالت مشاركتهم فى غزوات الرسول ــ صلى الله عليه وسلم وفى الفتوح الاسلامية بعد ذلك •

وقد عرفت هذه القبيلة فى أيام أمية بهذا اللون من الحب •• وقديما قال رجل منهم : « لقد تركت بالحى ثلاثين قد خامرهم السل ، وما بهم من داء الا الحب » ، وسئل آخر « ممن أنت ؟ » فقال : « من قوم اذا أحبوا ماتوا » ، فقالت جارية سمعته : « عذرى ورب الكعبة » •

وقد أرجع القدماء أسباب اشتهار بنى عذرة بهذا اللون من الحب الى رقة قلوبهم وجمال نسائهم ، وقد سئل أعرابى منهم : « ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير تنماث كما ينماث الملح ؟ أما تجلدون ؟ » فقال : « انا لننظر الى محاجر أعين لا تنظرون اليها » ، وقيل لآخر : « ياهذا ، بحق أقول انكم أرق الناس قلوبا » ويقول ابن قتيبة : « والجمال فى عذرة والعشق كثير » •

رد على القدماء :

ان الأسباب التى أبداها القدماء غير كافية ، اذ يظل التساؤل واردا :

هل كانت عذرة حقا أرق العرب قلوبا وأجملها نساء ؟ واذا صح هذا الادعاء فكيف نعلل لظهور هذا الحب فى غيرها من القبائل ؟ •

فعذرة لم تنفرد وحدها بهذا اللون من الحب ، وانما ظهر أيضا فى غيرها من القبائل كقبيلة بنى عامر حيث ظهر « مجنون ليلى قيس ابن الملوح » ، وقبيلة بنى كنانة حيث ظهر « قيس بن ذريح صاحب لبنى » •

فالمسألة اذن ليست مسألة عذرة وحدها ، ولكنها مسألة المجتمع البدوى العربى فى مجموعه ، وهذا اللون من الحب هو التعبير العاطفى الطبيعى فى هذا المجتمع ، حيث تسيطر تقاليد خاصة ومثل معينة وعقيدة راسخة على الحياة الاجتماعية فيه ، فتخلق هذا اللون المتميز من ألوان الحب الروحى •

أما أسباب اشتهار بنى عذرهم وحدهم بهذا اللون من الحب الروحى ، فلا يمكن أن يفهم الا على أساس من فهم الظواهر الاجتماعية عامة ، فهى عدوى اجتماعية جعلت من هذا الحب بدعا بين شباب القبيلة يؤدى فيه التقليد دورا كبيرا يدفع كل شاب الى صاحبة له ليعرف بها كما عرف غيره من شبابها بصاحباتهم •

وكذلك لكثرة من عرف من عشاقها الذين رأى فيهم الرواة المثل الكاملة لهذا الحب ، وخاصة

عند جميل بثينة ، وربما يرجع السبب أيضا الى أن أقدم من عرفه الرواة من أصحاب هذا الحب فى العصر الأموى — وهو عروة بن حزام كان عذريا من قبيلة بنى عذرة — ويقول الرواة : انه وفد على زوج حبيبته عفراء بالشام ، فأكرمه الزوج وأحسن مثواه ، » وخرج وتركه مع عفراء يتحدثان ... فلما خلوا تشاكيا .. فطالت الشكوى ، وهو يبكى أحر بكاء ، ثم أتته بشراب وسألته أن يشربه ، فقال : « والله مادخل جوفى حرام قط ، ولا ارتكبته منذ كنت ، ولو استحللت حراما لكنت قد استحللته منك ، فأنت حظى من الدنيا » .

قصص العذريين :

(ا) عروة بن حزام وابنة عمه عفراء :

وقصة عروة وعفراء من أقدم القصص تاريخيا ، وهما من قبيلة بنى عذرة فقد أحب عروة ابنة عمه وهما صبيان ، ووقف المال عقبة فى طريق العاشقين ، وضرب عروة فى الأرض لعل الحياة تقبل عليه فيعود بمهر عفراء ، ثم يعود بعدحين وقد تيسر له ماكان يبغى اليه وفى أرض الوطن يخبره عمه أن عفراء قد ماتت ، ويريه قبرا ويقول : انه قبرها ، وينهار أمل عروة ، وترتبط حياته بهذا القبر يبثه آلامه ويندب حظه .. ثم تكون مفاجأة لم يكن يتوقعها ، لقد عرف أن عفراء لم تمت ، ولكنها تزوجت ثريا من أثرياء الشام ورحل بها الى هناك ، ويثور عروة ويصب جام غضبه على عمه .. فأنشد يهجوه : —

فياعم ياذا الغدر لازلت مبتلى
حليفا لهم لازم وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجية
فالزمت قلبى دائم الخفقان
وأورثتنى غما وكربا وحسرة
وأورثت عينى دائم الهملان
فلازلت ذا شوق الى من هويته
وقلبك مقسوم بكل مكان

وينطلق عروة الى الشام ، وينزل ضيفا على زوج عفراء والزوج لا يعرفه .. ويحتال عروة حتى يلتقى بعفراء ويبثها شجوه ، وتكون شكوى وتكون دموع ، ثم يصر عروة على العودة الى وطنه حرصا على سمعة عفراء ، واحتراما لزوجها الذى أكرم مثواه ... وفى أرض عذرة تهاجمه الآلام ، وتسوء حال عروة ، ويفتك به مرض السل ، فيموت ، ويبلغ النبأ عفراء ، فيشتد جزعها ، وتذوب نفسها حسرات ، وتظل تبكيه حتى يطويها الموت بعده بقليل ...

يقول عروة مصورا حبه ، وما يلح على نفسه من أشواق وحنين : —

فوالله لا أنساك ما هبت الصبا
وما عقبتها فى الرياح جنوب
وانى لتعرونى لذكراك هزة
لها بين جلدى والعظام دبيب
وما هو الا أن أراها فجاءة
فأبهت حتى ما أكاد أجيب
وأصرف عن رأيى كنت أرتئى
وأنسى الذى أعددت حين تغيب
حلفت برب الراكعين لربهم

خشـــوعا وفــوق الراكعين قــريب
لئن كـــان بــرد المـاء حــران صاديا
الــى حبيبـــــا انهـــا لحـبيب

ويقــول : ـــ

تحملت من عفـراء ما ليس لــى بــه
ولا للجبـــال الراســيات يــدان
كـــان قطـــــاة علقت بجناحهـــا
على كبــدى مــن شــدة الخفقـان
جعلت لعــراف اليمامة حكمـــــه
وعــراف نجــد ان همــا شـفيانى

فقـالا : نعم نشـفى من الـداء كله
وقامــا مــع العــواد يبتــدران
فمــا تركــا مــن رقيــة يعلمـــانها
ولا ســلوة الا وقــد ســقيانى
وما شـــفيا الــداء الــذى بى كلــه
ولا ذخــرا نصـــحا ولا ألوانى (١)
فقــالا : شـفاك الله ، والله مــالنا
بمــا ضـمنت منك الضــلوع يــدان
فويلى عــلى عفـراء ويــلا كـــأنه
على الصــدر والأحشــاء حد ســنان

(ب) قيس بن الملوح العامرى وليلى :

أحب قيس ابنه عمه ليلى ٠٠ وكبر حبهما ، وحجبت ليلى عن قيس ، فلم يجد سوى شعره متنفســا له ، ويشــتهر أمــره فى الحى ٠٠٠ ويتقــدم الى أبيها يخطبها ، ويتقدم فتى مــن ثقيف يخطبها أيضا ، ويكرهها أهلها على قبول الثقفى خوفا من العــار ، وقطعــا لألســـنة الشائعات ، وترحل ليلى مــع زوجهـــا الى الطائف ، وتزداد حــيرة قيس واضــطرابه ، وتهاجمه الآلام ولا يستطيع من حبه فكـــاكا ، ولا يجد سوى شعره ـــ مرة أخرى ـــ يتنفس فيه ما تفيض بــه نفســه من حــزن وحــيرة واضطراب : ـــ

فأنت التى ان شئت أشقيت عيشــتى
وان شئت بعد الله أنعمت باليا
وأنت التى ما من صــديق ولا عـــدا
يرى نضــو ما أبقيت الا رثــا ليــا
اذا سرت فى الأرض الفضــاء رأيتنى
أصـــانع رحلى أن يميــل حيـــاليا
أعــــد الليـــالى ليلــة بعــد ليلــة
وقــد عشــت دهــرا لا أعد الليــاليا
أحب من الأسماء ما وافــق اسـمها
وأشـبهه أو كــان منـــه مدانيـــا
هى الســـحر الا أن للســحر رقية
وأنى لا ألفى لهـــا الدهـر راقيا

وتمر الأيام وتغزوه جنود الحب من كــل جانب : ـــ

غزتنى جنود الحب من كــل جـــانب
اذا حان من جنــد قفـــول أتى جند

ويسيطر عليه الحب ويكاد يذهب بعقله : ـــ

وانــى لمجنـــون بليلــى مؤكـــل
ولست عزوفـــا عن هـــواها ولا جلدا

ويقـــول أيضـــا : ـــ

وشـــغلت عن فهم الحـــديث سوى
ما كــان فيــك فانه شـــــغلى

(١) ما الوانى : ما قصرا فى حقى ٠

وأديم لحظ محدثى ليرى
أن قد فهمت وعندكم عقلى

ويبذل أهله كل ماق وسعهم لانقاذه دون جدوى .. الى أن يلقى منيته بعيدا عن ليلى التى وهب لها حياته وشعره ... وقبل أن يودع الحياة لا ينسى سبب شقائه ولوعته .. فيوجه الى أبيها نفثة حقد .. كما يصور مأساته الحزينة تصويرا مؤثرا .. : —

الا أيها الشيخ الذى مابنا يرضى
شقيت ولا هنيت من عيشك الغضا
شقيت كما أشقيتنى وتركتنى
اهيم مع الهلاك لا أطعم الغمضا
كأن فؤادى فى مخالب طائر
اذا ذكرت ليلى يشد بها قبضا
كأن فجاج الأرض حلقة خاتم
على فما تزداد طولا ولا عرضا (١)

(ج)قيس بن ذريح ولبنى بنت الحباب :

وقصة حب قيس ولبنى معاصرة لمأساة مجنون ليلى ، وقيس بن ذريح مضرى من كنانة ولبنى يمنية من خزاعة ، وتجمع بينهما صلة نسب ، من جهة الأم . وقد راى قيس لبنى وقد مر بخبائها فاستسقاها فسقته،ونما طفل الحب بين قلبيهما ، وذهب الى أبيه يسأله أن يخطبها له فأبى ، فقد كان أبوه غنيا ، وكان قيس وحيده، فأحب ألا يخرج ماله الى غريبة ، واستجد قيس بأمه ، فلم يجد عندها بغيته ، ولجأ قيس أخيرا الى الحسين بن على — وكان أخاه فى الرضاع — ووسطه فى الأمر ، واستطاع الحسين أن يجمع بين قيس ولبنى بربـاط الزوجية المقدس ، ولكن الحياة لا تهنأ للزوجين .. وتمر الأعوام ولبنى عاقر .. وخشى أبواه أن يصير مالهما الى الكلالة ، فأرادا له أن يتزوج غيرها لعلها تنجب له من يحفظ عليهما مالهما ، ورفض قيس .. وازدادت الضغوط عليه .. وحذره أهله مغبة غضب الوالدين الى أن استسلم وطلق زوجته ، ورحلت لبنى الى قومها بمكة ، وندم قيس ندما شديدا ، وتحولت حياته الى ألم لا ينتهى ودموع لا تغيض ، ولم يجد أمامه سوى شعره يترجم فيه حسراته وندمه :

يقولون : لبنى فتنة كنت قبلها
بخير ، فلا تندم عليها وطلق
فطاوعت أعدائى ، وعاصيت ناصحى
وأقررت عين الشامت المتخلق (٢)
وددت ، وبيت الله أنى عصيتهم
وحملت فى رضوانها كل موبق (٣)
وكلفت خوض البحر والبحر زاخر
أبيت على أثباج موج (٤) مغرق
كأنى أرى الناس المحبين بعدها

(١) المتخلق : الذى يتكلف ما ليس فى خلقه .
الروايات المتضاربة التى نافت على الثلاثين رواية بالجزء الثانى من الاغانى طبع دار الكتب ، وهى الروايات التى تناولت امر « مجنون ليلى » بالنفى تارة والاثبات اخرى مع ما رادف ذلك فى العصر الحديث من دراسات فى الادب المقارن جعلت هاتين الشخصيتين نموذجا عالميا يتسم باسماء شتى تبعا لاهل كل وطن فى الشرق والغرب ، ولعلنا ندرك يوما تلك النغمة على يد الباحث .
(٢) مجلة الازهر : ... كنا نود تحقيقا لجملة
(٣) موبق : مهلك ، والموبقات : المهلكات .
(٤) اثباج الموج : ظهوره ومتونه العالية .

عصـــــارة ماء الحنظل المتفلــق
فتنكــر عينى بعــدها كل منظــر
ويكره ســمعى بعــدها كل منطق

ويقول أيضا :

وفــارقت لبنى ضــــلة فكأننى
قرنت الى العيــوق (أ) ثم هويت
فياليت أنى مت قبــل فراقهـــا
وهل ترجعن فــوت القضــية ليت
فــان يــك تهيــامى بلبنى غــواية
فقد ، يا ذريح بن الحباب ، غويت
فوطن لهلكى منــك نفســا فاننى
كأنك بى قد ، يا ذريح ، قضــيت

وكانت تتاح لهما فرصة لقاء من حين الى حين ، ويتجســم بعده الشــعور بالحــرمان والاحساس بالحسرة والندم • ثم يشير قومه على أبيه أن يزوجه عله ينسى حبه القــديم ، وتزوج قيس زواجا لاسعادة فيه ، وبلغ الخبر لبنى فتزوجت هى أيضا زواجا لا سعادة فيه ، ورحــل بها زوجهــا الى المدينة حيث قــربت الأقدار بين لبنى وقيس من جديد •• ويشتد جزع قيس الى أن يصاب بمثل الجنون ، وتسوء العلاقة بين لبنى وزوجها ،ويقال انه ، طلقهــا وأعادها قيس الى عصمته ولم تزل معه حتى ماتا ، ومن قائل انهما ماتا على افتراقهما ، ثم يختلف الرواة بعد ذلك فمنهم من يقول انه مات قبلها ثم ماتت هى أسفا عليه ، ومنهم من يقول انها ماتت قبله فخرج ومعه جماعة من أهله ، فوقف على قبرها ، وظل يبكى حتى أغمى عليه فحملوه الى بيته وهو لا يعى شيئا ، ولم يزل عليلا لا يفيق حتى مات بعد ثلاثة أيام •

وقال وهو يعانى همومه وقد أخذت صحته فى الانهيار :

سلا كل ذى شـــجو علمت مكانه
وقــلبى للبنى مــا حييت ودود
وقــائلة قــدمات أو هــو ميت
وللنفس منى أن تفيض رصــــيد
أعالج من نفسى بقايا حشاشـــة
على رمق والعــائدات تعــود

فان ذكرت لبنى هششت لذكرهـــا
كمــا هش للثــدى الدرور وليــد
أجيب بلبنى من دعـــانى تجــلدا
وبى زفــرات تنجلى وتعـــود
تعيــد الى روحى الحياة ، واننى
بنفسى لـــو عــاينتنى لأجــود

(د) جميل وبثينة :

شهدت أرض عذرة مأساة أخرى من مآسى الحب العذرى هى مأساة جميــل وبثينة ، فقد أحب جميل بن معمر العذرى ابنة عمه بثينة بنت الحباب ، ورآها يوما فى المرعى وقد مرت بـــه فنفرت ابله فسبها وسبته ، واستملح ســبابها فأحبها وأحبته :

وأول ما قــاد المـــودة بيننـــا
بــوادى بغيض ، يا بثين ســباب

فقلنا لها قــولا فجــاءت بمثــله
لكل كــلام يــا بثين ، جــواب

ويشتد هيام جميل ببثينة ، واشــتد هيامها به ، فكانا يلتقيان ولا يكاد أحدهما يصــبر عن

(أ) العيوق : نجم •

صاحبه ، وشاعت قصتهما ، فتوعده قومها ، وتقدم جميل اليهم يخطبها ، ولكنهم أبوها عليه وردوه دونها ، وزوجوها من فتى منهم ، نبيه ابن الأسود العذرى .. ولم يغير هذا الزواج من الحب الجارف بين العاشقين ، فكان يزورها سرا فى غفلة من زوجها ، وما بينهما سوى الطهر والعفاف .. وعرف أمرهما ،فشكاه أهلها الى عامر بن ربعى والى بنى أمية على وادى القرى ، فأنذره وأهدر لهم دمه ، ولم يعبأ جميل بالانذار فعاود زيارة بثينة ، وأعاد أهلها شكواهم الى السلطان ، فطلبه طلبا شديداً وفر جميل الى اليمن عند أخواله ، ثم عاد الى وطنه بعد عزل ابن ربعى ، وعلم برحيل بثينة الى الشام ، فرحل وراءها ، ثم استبد به اليأس من هذه المطاردة التى لاتنتهى ، فقرر أن يرحل الى مصر ، وقبل الرحيل انتهز الفرصة فى غفلة من أهله بثينة فزارها مودعا الوداع الأخير .. ثم شد الرحال الى مصر .. وظل هناك فترة من الزمن لم تطل فقال ــ يتشوق اليها ، ويتذكر أيامه معها :

الا ليت أيام الصفاء جديد
ودهرا تولى يا بثين يعود
فنغنى كما كنا نكون وأنتم
صديق ، واذ ما تبذلين زهيد

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل
الى اليوم ينمى حبها ويزيد
فلو تكشف الأحشاء صودف تحتها
لبثينة حب طارف وتليد
الا ليت شعرت هل أبيتن ليلة
بوادى القرى انى اذن لسعيد
وهل ألقين سعدى من الدهر مرة
ومارث من حبل الصفاء جديد
وقد تلتقى الأهواء من بعد يأسة
وقد تطلب الحاجات وهى بعيد

ويابى القدر أن تلتقى الأهواء ، ويسقط جميل صريع الحب ويودع الحياة بعيدا عن بثينة التى أفنى شبابه فى طلبها ، وحين تعلم بثينة مصرع توأم روحها تسقط مغشيا عليها ، حتى اذا ما أفاقت أنشدت هذين البيتين تعاهد فيهما نفسها على الوفاء لعهده والاخلاص لذكراه :

وان سلوى عن جميل الساعة
من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر
اذا مت بأساء الحياة ولينها .

وتمر الأيام بعد ذلك حزينة باكية .. ثم ينطفىء السراج ، وتودع بثينة الحياة ، ويسطر الكون فى صفحاته انصع قصص الحب والطهر والعفاف .

عبد الحميد عثمان البهى

بين التوحيدى والصاحب ابن عباد

للأستاذ الدكتور حامد الخطيب

الصاحب بن عباد : أبو القاسم اسماعيل ابن أبى الحسن عباد بن العباس بن عباد الطالقانى كافى الكفاة ، من أهل الطالقان، وهى ولاية بين قزوين وأبهر من بلاد العجم •

ولد الصاحب باصطخر سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، وقد أخذ الأدب عن ابى الحسن أحمد بن فارس ، وأبى الفضل بن العميد ، وهماهما فى العلم والأدب ، وسمع كذلك من أبيه الذى كان خيرا مقدما فى صناعة الكتابة حتى تولى الوزارة ، فمهر الصاحب وتفوق ، **ولقب بالصاحب لانه كان يصحب أبا الفضل ابن العميد** ، وتوفى فى الرابع عشر ، أو الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة عن تسع وخمسين سنة (٢) •

وللصاحب بن عباد شهرته التى قد لا نجد واحدا ينكرها أو ينكر مشاركته فى رقى الأدب ورفعة شأن الكتابة ، كما أنه كان من القلائل الذين تتجمع حولهم نخبة من العلماء والأدباء، وكان جزيل العطايا كثير الاثابة ، يعينه على ذلك هيمنة على مال وفير لآل بويه ، فضلا عما كان يمتلكه هو من غزير حطام • وصفه الثعالبى بجمنة أوصاف ، فأسماه « صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والاحسان » (٣) •

ونعته أبو حيان التوحيدى بأنه « ليس بصغير القدر ، ولا خامل الذكر ، فهو غرة زمانه ، وتاريخ دهره ، لنباهته وصيته ، وطول

◄

(١) للتوحيدى ترجمة مسهبة فى عدد جمادى الاولى من مجلة الازهر سنة ١٤٠٥ ص ٧٨٢

(٢) للاستزادة انظر ٦ / ١٦٨ وما بعدها من معجم الادباء ، ١ / ٧٥ وما بعدها من وفيات الاعيان ، ٣ / ١٦٩ وما بعدها من يتيمة الدهر

● لم نعرض لشعر الصاحب ، لان التوحيدى لم يكن يقرض الشعر •

(٣) ٣ / ١٦٩ يتيمة الدهر •

أيامه ، وامتداد دولته ، ومواتاة مـــراده ، وطاعة الناس له ، وتوجه الأطماع اليه » (٤)٠

وهو « كثير المحفوظ حاضر الجواب ، فصيح اللسان ، قد نتف من كل أدب خفيف أشياء ، وأخذ من كل فن أطرافا » (٥) ٠

وعرض له د/زكى مبارك ، فكان مما وصفه به قوله : « ٠٠٠ وأما أخلاقه فكانت مذبذبة بين الحسن والقبح ، كان كريما ، ولكن كرمه كان فخا ينصب لشـــياطين الشـــعراء والكتاب » (٦) ٠

ولقد يصـــدق ذلك ، لأنه طلب أبا الطيب المتنبى ليمدحه فاستعصى عليه ، وأعرض عنه ، بل قال لأصحابه : « ان غليما معطاء بالـــرى يريد أن أزوره وأمدحه ، ولا سبيل الى ذلك ، فصيره الصاحب غرضا يرشقه بســـهام الوقيعة » (٧) وألب ضده النقاد والكتاب ، وحملهم حملا على مهاجمته والحط من قدره ، ولم يكتف ، بل ألف رسالة فى نقد شـــعره اسماها : « الكشف عن مساوى المتنبى » بثها حقده وتحامله ، وملأها بحبه للانتقام ، وقد كانت هذى الرسالة مسرحا خصيبا لأبى منصور الثعالبى ، ونقل منها كثيرا فى يتيمته (٨) ٠

ولك أن تنظر فيما وصفه به الثعالبى ، وما وصفه به أبو حيان ، فهناك ــ عند الثعالبى ــ ترى الانطلاق فى الوصف ، واطلاق الألقاب دونما تعقيب أو احتراز ، حتى ليقرر أنه لم يجد من الكلام ما يفى بمراده فى وصـــف الصاحب ، فقد عجزت اللغة أن تبلغ به مبلـــغ قصده (٨) ٠ وهنـــا ــ عنـــد التوحيـــدى ــ تجدك امام أسلوب يكشف ويعلل ، ويريك ان حسنات الصاحب لم تجئه عن قدرة ذاتية فيه ، انما هى نابعة من صيته الذائع ، ومـــن طول ايامه فى مباهج الوزارة ، ومن اتســـاع دولته ، واسعاد طالعه ، وتوجه المطامع اليه ، بغية عطاء وارتزاق ، وذلك نتيجة لما كان عنده من الغنى ٠

اما فى الأدب والعلم فانه ــ فى رأيه ــ غير مجيد كل الاجادة لفن من الفنون ، ولكنه نتف نتفا من هنا ومن هناك ٠

وحين يأتى التوحيدى الى أخلاقه يأتى على كل شىء ، ولا يبقى زيادة لمستزيد ، حتى ليريك أن كل من جاء بعده (٩) وكتب فى هذا الأمر ، رجع اليه ، وكان عالة عليه ٠

وهذا المحصول الضخم الذى حصـــله الصاحب من العلوم والآداب ، وذلك الصيت الذى ملأ أسماع زمانه ، ثم أخباره الحسان فى مكارم الاخلاق ، كل ذلك قد شيب وشوه بما كان فيه من رقاعة (١٠) ، وما كان فيه مـــن

---

٤ ــ ٤٧٧ اخلاق الوزيرين لابى حيان ٠

٥ ــ ١ / ٥٤ الامتاع والمؤانسة ٠

٦ ــ ٢ / ٢٤٤ النثر الفنى ٠ ٧ ــ ١٤٥ ، ١٤٦ الصبح المنبى ليوسف البديعى ٠

٨ ــ ١ / ١١٠ من يتيمة الدهر ، وانظر مـــا بعد ذلك حتى نهاية الفصل الذى كتبه الثعالبى عن أبى الطيب المتنبى ٠

٩ ــ اى كل من جاء بعد التوحيدى وكتب عن الصاحب

١٠ ــ ٦ / ١٧٤ معجم الأدباء ٠

اعجاب بنفسه وتيه (١١) ، ومن تلك المداخل ومن سواها دخل التوحيدى ساحة ثلبه ، وأخذ ينقض أمجاده ، ويصب عليه حمم غضبه ، وشواظ هجومه وهجوه .

وما وصفه اياه بأنه « مجنون الكلام » (١٢) الا دليل — فى رأينا — على كثير نزعاته وتقلب شهواته ، فهو متزن راسخ حينا ، وطياش هباش قلاش (١٣) أحيانا — كما يقول أبو حيان .

ولقد يجىء بجليل المعانى ، ورائع الألفاظ بحيث تبدو لك منه بلاغة قس (١٤) ، وذلك فى سجعه الذى يمتاز بالخفة والعذوبة ، ولفظه الأكثر صفاء ، والأجمل تنغيما من معاصريه كتاب الدواوين (١٥) ، فقد يفضلهم ويتقدم عليهم ، متى ترك لنفسه عنان الطبع وحرية التعبير ، ولم يحملها — كما هى عاداته — على التكلف والترويق المفسد . انظر اليه — مثلا — فى تنميقه هذه التحفة الى « القاضى أبى بشر الفضل بن محمد الجرجانى عند وروده باب الرى وافدا عليه ، قال :

تحدثت الركاب بسير أروى
الى بلد حططت به خيامى
فكدت أطير من شوق اليها
بقادمة كقادمة الحمام

أفحق ما قيل من أمر القادم ؟ أم ظن كأمانى الحالم ؟ لا والله بل هو درك العيان ، وانه ونيل المنى سيان ، فمرحبا أيها القاضى براحلتك ورحلتك ، بل أهلا بك وبكافة أهلك ، ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك ، ووجدنا ريح يوسف من رياك ، فحث المطى تزل غلتى برؤياك . وتزح علتى بلقياك ، ونص على يوم الوصول لنجعله عيدا مشرفا ، ونتخذه موسما ومعرفا ، ورد الغلام أسرع من رجع الكلام ، فقد أمرته أن يطير على جناح نسر ، وأن يترك الصبا فى عقال وأسر .

سقى الله دارات مررت بأرضها
فادنتك نحوى بازياد بن عامر
اصائل قرب أرتجى أن انالها
باقياك قد زحزن حر الهواجر (١٦)

انه هنا أستاذ فنان ، وذلك — بحق — هو الشعر المنثور ، عاطفة حرى ، وتعبير صادق ، ولفظ رشيق جميل ، ومعنى لطيف أنيق ، ومطلع رائع ، وختام رائق ، وبينهما من بدائع الخيال وملاحة التصوير ما لا يخفى على الحس البصير ، ومن بعد ذلك تجىء التوشية بالبديع ، ولست ترى فيه افحاما ولا تكلفا ، ولا استكراها ولا تعسفا وفوق ذلك ترى الاقتباس والتضمين ، مما يدلك على سعة الملم ، وكثير قراءات .

ذلك فنه فى أوجه وعظمته ، فهو يماثل قسا — كما يقول أبو حيان — رفعة مكان وشرف بيان .

---

١١ — ٢١٤ الفن ومذاهبه د / شوقى ضيف .
١٢ — ١ / ٦١ الامتاع والمؤانسة .
١٣ — الهباش — المحتال ، والقلاش — ضعيف العقل .
١٤ — هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدى ، من بنى اياد ، احد حكماء العرب ، مات قبل الهجرة .
١٥ — ١ / ٦١ الامتاع والمؤانسة .
١٦ — ٣ / ٢٢٩،٢٢٨ يتيمة الدهر ، ٦/ ٢٩٠ معجم الأدباء .

وليته يستطيع الاستمرار فى تلك الطريق ، ولا يكون شامخا تارة « وتـارة يلقـاك بعى باقل (١٧) ، تحريف كثير فى المعانى ، واحـالة فى السجع ، وغلط فى السـجع ، وسرود عـن الطبع (١٨) ، وتيه وعجب ، حتى انه « لم يقف فى الاغراب عند حد معقول ، وانما مضى يغرب فى الصنعة شعرا ونثرا ، فوضع قصيدة تبلغ سبعين بيتا خالية من الألف،وهى أكثر الحروف دخولا فى المنظوم والمنثور . مطلعها :

قـــد ظل يحـــرج صـــدرى
من ليس يعـــدوه فكـــرى (١٩)

ثم أخذه العجب بهذا النمط الغريب ، فوضع على نهجه عددا من القصائد ، وأغرى غيره بعمله ، فقلدوه تقليدا ، ومهما يكن من قـول فى مثل هذه الأعمال فانها سوف تغص بالمتكلف وسوف تحد من انطلاقة الطباع ، وذلك مـا أغرى ، التوحيدى بأن يقول عن رسائله : انها كثيرة الزيادات والحشو بلا دواع ، فتمنى أن لو أطلقت يده فى تنقيحها وتنقيتها وتنميقها ، ولو ترك وذاك لاســـتخرج منها غـررا ، واستخلص من خلالها دررا ، وهذا الرأى من أبى حيان كان عليه وبالا وغما .

ولقد أطلعناك على نمط من كتابات الصاحب المعجبة ، والتى ظهرت فيها التوشية التى هى صنعته ، لكنها لم تكن متكلفة ، ونطلعك عـلى نميقة لأبى حيان ، وهى ليست بالنمط الفريـد فى أعماله ، انما ذلك أبدا — نهجه وديـدنه ، يقول عن رسائل الصاحب وعن رأيه فيها :

« وقدم الى نجاح الخادم — وكان ينظر فى خزانة كتبه — ثلاثين مجلدة من رسائله ، وقال : يقول لك مولانا : انسخ هذا ، فانه قد طلبت منه بخراسان ، فقلت بعد ارتياء (٢٠) : هذا طويل ! ولكن لو أذن لخرجت منه فقرا كالغرر ، وشذورا كالدرر ، تدور فى المجـالس كالشامات ، والدستنبويات (٢١) ، لو رقى بها مجنون لأفاق ، أو نفث عـلى ذى عائنة (٢٢) لبرىء ، لاتمل ولا تستغث (٢٣) ، ولاتعاب ولا تسترث (٢٤) ، فرفع ذلك اليه على وجه مكروه ، وأنا لا أعلم ، فقال : طعن فى رسائلى، وعابها ، ورغب عن نسخها ، وأزرى بها ، والله لينكرن منى ما عرف ، وليعرفن حظـه اذا انصرف كأنى طعنت فى القرآن ، أو رميت الكعبة بخرق الحيض ، أو عقرت ناقة صالح،

---

١٧ — **باقل** : اسم رجل من ربيعة ، يضرب به المثل فى العى والضرامة ، وقد بلغ من عيه انه كان اشترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فقيل له : بكم اشتريت الظبى ؟ ففتح كفيه ، وفرق أصابعه واخرج لسانه ليشيرالى أحد عشـر ، فانفلت الظبى وذهب ، فضربوا به المثـل فى العى — لسان .

١٨ — ١ / ٦١ الامتاع والمؤانســـة .

١٩ — ٢ / ٢٥٤ النثر الفنى .

٢٠ — يقصـد : بعد امعـان وتدبـر .

٢١ — الدستنبويات : جمع ، مفرده — دستنبوية وهو من الطيب .

٢٢ — ذو العائنة هو المعيون ، أى المصـاب بالعين الحاسدة .

٢٣ — أى تظهر بالغثاثة والرداءة .

٢٤ — أى تعد رثة خلقة لتهافتها على الكلمات المستهلكة .

أو سلحت (٢٥) فى بئر زمزم ، أو قلت : كان النظام (٢٦) مـــا نويا ، أو كان العلاف ديصانيا (٢٧) ، أو كان الجبائى (٢٨) بتريا ، أو مات أبو هاشم (٢٩) فى بيت خمار ، أو كان عباد (٣٠) معلم الصبيان » (٣١) .

لقد خشى أبو حيان ـ كما يقول ـ أن تأتى هذه المجلدات على عمره ، وأن تطمس بصره ، هذه واحدة .

وأما الثانية ، فان الناقد أبصر بالعمل الأدبى من الكاتب ، وأقوى على تمييز جيده من رديئه ، وأقدر على تقويمه وتوجيه من بعد الى آفاق أسمى وأرحب ، وما أظن التوحيدى الا صائب النظر ، مسدد الرأى فيما أبدى ، وانه ليعترف بأن فى رسائل الصاحب تحفا ودررا ، ولكنهـا مزدحمة بالرذيل الذى يمكن طرحه ، وبالمتكلف المصنوع الذى لاغناء فيه ، فلو عقل الصاحب وجهة نظر صاحبنا لأراه مما يختاره من رسائله أحلى وأملح ما يحب أن يراه ، لكنه لم يكن ليقبل نقدا ، أو يسمح لصوت يعلو فوق صوته ، فهالته جرأة التوحيدى ، ورأى أن هذا جرم يعادل ما قاله أبو حيان آنفا ، الذى يعد فعل واحد منها لا يكفر عنه ولا يغفر .

وللمتأمل فى معزوفة أبى حيان المتقدمة أن يرى مدى ما توحيه كل كلمة من هول وثبور ، ولا نطيل الوقوف هنا ، ولكن نقف عند قـوله

ـ حكاية عن الصاحب ـ « والله لينكرن منى ما عرف ، وليعرفن حظه اذا انصرف » فانه يريك ما يكنه صدر الصاحب لأبى حيـــان ، ويكشف عن ولع لدى الصاحب بالصناعـــة اللفظية و « بالسجع » على وجه أخص ، فهو يجرى وراءه وان أفسد عليه مقصوده ، وذلك حين يجانبه طبع الترسل ، وما أكثر ما كان يعمد الى التكلف ، ويجانب الطبع ، وقد ألمعنا الى فنه الجميل المطبوع ، ونريك نماذج من أعماله التى تدعو الى العجب ، وتســـتوجب الضحك ، وذلك فى مثل قوله ـ وقد جـــرى حديث الابهرى المتكلم ، وكان يكنى أباسعيد ـ يقول الصاحب عنه :

« لعن الله الملعون المأبون المأفون ، جاءنى بوجه مكلح ، وأنف مفلطح ورأس مسـطح ، وسرم مفتح ، ولسان مكبح ، فكلمنى فى مسألة الأصلح ، فقلت : أغرب ، عليك لعنة الله ، لقيت الأبرح ، الذى يلزم ولا يبرح » (٣٢) .

وشتم يوما رجلا فقال : لعن الله هـــذا

---

٢٥ ـ السلح · التغوط ·

٢٦ ـ ابراهيم بن سيار بن هانىء أبو اسحاق النظام تلميذ الهذيل ، من رءوس المعتزلة ، برع فى الجدل والشعر ، توفى بين ٢٢٠ ، ٢٣٠ هـ ·

٢٧ ـ هم فرقة من الثنوية ·

٢٨ ـ أبو على محمد بن عبد الوهــاب ، من كبار شيوخ المعتزلة ، تــوفى سنة ٣٠٣ هـ ، والبترية احدى فرق الزيدية ·

٢٩ ـ أبو هاشم عبد السلام بن محمـــد بن عبد الوهاب الجبائى من آخر شيوخ المعــتزلة الكبار ، توفى سنة ٣٢١ هـ ·

٣٠ ـ عباد بن سليمان الضمرى ، أحد رجال الطبقة السابعة من المعتزلة ، ملأ الأرض كتبـــا وخلافا ·

٣١ ـ ١٥/٣٤،٣٥ معجم الادباء ، ٣٢٥ مثالب الوزيرين ·

٣٢ ـ ٦/٢٠٥ ، ٢٠٦ معجم الأدبـــاء ، ٨٦ مثالب الوزيرين ·

الاهوج الأعوج ، الأفلج ، الأفحج ، الذى اذا قام تخلج ، واذا مشى تدحرج ، وان عـدا تفجفج » (٣٣) ، وهكذا فى غالب ما يصـوغ ويكتب ، حتى لقد قيل : « ان السجع لابن عباد بمنزلة العصا للاعمى ، فكلاهما لا يستغنى عن أداته التى تعنيه على مآربه » (٣٤) ، وذلك الاغراق فى البهرج يجعله « يجاف الطبع ، ويفرغ كل الكنانة ، حتى يطغى المصنوع على المطبوع ، فتذهب من العمل الأدبى فخامـة المعانى وروعة الخيال » (٣٥) .

وكان من ثم « مسيئا بسجعه الى أدبه ، فشوه صناعته ، وكدر محاسن فنه ، وصار فى هذا اماما للذين كانوا بعد فى عصور الظلمة والجهل ، والذين صار أدبهم كالطلاء على غير بناء وكالصدى الذى لا يرجع الى أصل » (٣٥) وكفى بذلك عيبا يطغى على كل عيب ، ويشوه ماله من أدب يستملح ويعشق ، ولا كـذلك التوحيدى ، فما أساء الى أدبه ، ولا تعمل فى فنه ، ومن ثم لم يجرؤ أحد أن يقول كلمـة واحدة تحط من قدر أعماله ، عـلى حين أن الكلام فى عيب أدب الصاحب كثير جليل • وحتى لو لجأ أبو حيان الى الاسجاع فانه يريك لونا محببا ، لأنه لايستكرهه ، بل يتركه يجىء من مواتاة الطبع ، وحسب ما يتطلبه المعنى المطلوب ، ونمثل بقوله فى ذكر المحاسـن والمساوىء : « .. وما خلا الناس منذ قامت الدنيا من تقصير واجتهاد ، وبلوغ الغاية ، وقصور عن النهاية ، وتشارك فى المحـامد والمذام ، والمساوىء والمحاسـن ، والمناقب والمثالب ، والفضائل والرذائل ، والمكـارم والملائم ، والمنافع والمضار ، والمكاره والمسار ، ومن بعض ما يكون للقائل فيه مندوحـة ، والمشاغب به استراحة ، وللناظر فيه متسع ، وللسامع مستمتع • وأحسنهم حالا، وأسعدهم جدا ، وأبلغهم يمنا ، وأربحهم بضاعة من كانت محاسنه غامرة لمساويه ، ومناقبه ظاهرة عـلى مثالبه ، ومادحه أكثر من هاجيه ، وعاذره أنطق من عاذله ، والمحتج عنه أنبه من المحتج عليه ، وليس العمل على عدد هذه وهذه ، ولـكن على ألا يكون مع صاحب المحاسن من الخصال اللئيمة وما يحبطها ، ويجتاحها ويختلمها ، ويأتى عليها ، وان صغر جرم تلك الخلة ، وخمل اسم تلك الخصلة ، وأن يكون مع صـاحب المساوىء من الخلال الكريمة وما يغطيهـا ، ويسبل الستر عليها ، ويعين الزائد عنها ، ويبيض وجه الناصر لها ، يمد بـاع المتطـاول

٣٣ ـ الاهوج : الاحمق ـ الافلج : المصـاب بالفالج ـ الافحج : الذى فى رجليه اعوجاج ـ تفجفج : باعد بين رجليه .

٣٤ ـ ٣٧٤ ابو حيان د/عبد الواحد الشيخ

٣٥ ـ ١٨١ الصاحب د/بدوى طبانة .

● ما معنى هذه العبارة ... مجلة الآزهر

اليها ، وكما وجدنا السيئات يحبطن الحسنات، كذلك قد وجدنا الحسنات يذهبن السيئات (٣٦) .

قارن هذا بما كتب الصاحب مبنيا على المحسنات ، بل قارنه أيضا بما سقناه له وقلنا: أنه جاء نتاج طبع غير متكلف ، فلسوف ترى أين تكمن المعانى المحببة ، والكلمات الموحية ، وأين تكون الصناعة المجتلبة،والمتكلف الممجوج وأين تكون العبارات المقسمة تقسيما هندسيا كأنها الأشعار . ومهما يكن من أمر ، فاننا لا نستطيع تبرئة الصاحب من أنه سلك طريقا فى صياغة أدبه ، وكان فى هذا الطريق أكثر من عيب ، وقد كان ذلك بمثابة النهج الذى سار فيه وعليه من بعده ، حتى كان الفساد الذى عرف عند المتأخرين .

ولن نستطيع أن نخلى التوحيدى من بعض مبالغة فى تناوله للصاحب وأدبه ، ولكنا نقرر أن الحق فى جانبه فى أكثر الأحيان .

ومهما يكن من أمر أيضا ، فانه كل من تصدى لأبى حيان وأعماله ، لم يقدر على أن ينال منه الا فى شخصه ــ ظلما وزورا ــ كاتهامه بالحقد ، أو كراهية العظماء ، أما أدبه فما كان الا موضع تجلة وتقدير ، وذلك عكس ما تجده فى سيرة الصاحب ، فقد قيل فى شخصه ، وقيل أكثر منه فى أدبه ، وعلى المدى الطويل تجد قادحيه أكثر من ما دحيه .

واذا كان مقياس العظمة بمقدار الأفكار ومن تشغل حولها من المفكرين ، فلا ريبة أن فكر التوحيدى وما فيه من عمق ، قد شغل ــ ومايزال يشغل ــ المفكرين ، وتقدر لم يحظ به الصاحب ابن عباد .

هذا وبالله التوفيق .

د/حامد الخطيب

تصويب

جاء بمقال « رحلة عربية لاكتشاف يأجوج ومأجوج » المنشور بعدد ذي القعدة (١٤٠٦) في نهاية المقال بصفحة (١٦٧٧) أن الجيش المصري انتصر على التتار بقيادة الملك المظفر « عز الدين قطز » في معركة « مرج دابق » . والصحيح أن الجيش المصري بقيادة « قطز » إنما انتصر على التتار في معركة « عين جالوت » سنة ٦٥٨ هـ . فأما موقعة « مرج دابق » فقد كانت بين جيوش المماليك بقيادة « قنصوه الغوري » وجيوش العثمانيين ، وانتصر فيها السلطان سليم الأول سنة ٩١٤ هـ .

ومجلة الأزهر تشكر الاخوة القراء الذين أسهموا في هذا التصحيح .

---

٣٦ ـ ٢٠ ، ٢١ اخلاق الوزيرين لأبى حيان .

أنباء وآراء

إنشاء منظمة دولية للدعوة الاسلامية

بدأت المنظمة الدولية للدعوة الاسلامية فى أفريقيا تباشر عملها كمنظمة شعبية عالمية متخصصة فى الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين والجماعات المسلمة الناطقة بغير العربية التى يتهددها الغزو الصليبى والالحادى واليهودى .

وذكر مصدر مسئول : أنه اضافة إلى نشر الاسلام بين غير المسلمين والعمل بين الجماعات المسلمة الناطقة بغير العربية فإن المنظمة الوليدة ستقوم بأعمال الإغاثة وتقديم الخدمات الضرورية فى مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية والرعاية الصحية والتعليمية وتدريب الدعاة ..

يتولى شئون المنظمة الجديد مجلس أمن يمثل مصر والسعودية والسودان وقطر والكويت وليبيا ودولة الامارات العربية ودولاً أخرى فى غرب وشرق أفريقيا . وتضم المنظمة أربع مؤسسات متخصصة وهى :

- الوكالة الاسلامية الأفريقية للاغاثة .
- والجمعية الخيرية للأمومة والطفولة .
- والمجلس الأفريقى للتعليم الخاص .
- ومؤسسة « دان فوديو » الخيرية . وهى مؤسسة خيرية صناعية وزراعية .

النمسا توافق على إنشاء إذاعة إسلامية

وافقت وزارة الداخلية النمساوية مبدئياً على إنشاء إذاعة خاصة بالمسلمين تبث برامجها باللغات العربية والتركية واليوغسلافية والألمانية لخدمة الجاليات الاسلامية فى كل من النمسا وألمانيا ويوغسلافيا .

صرح بذلك إسماعيل هوجا المشرف العام على مساجد جمعية « جورش » كبرى الجمعيات الاسلامية بالنمسا .

وأضاف أن المسئولين المختصين بالداخلية النمساوية يبحثون عن تخصيص اذاعة خاصة أو استئجار ساعة زمن من إذاعة النمسا .. وقال هوجا : إننا لدينا برامج دينية متكاملة ولدينا أيضاً الكفاءات البشرية ولكن لا نملك المال الكامل لتحقيق هذه الرغبة .

وقال إسماعيل هوجا : إن جمعية « جورش » التى تأسست فى النمسا عام

للأستاذين : أحمد عبد الرحيم السايح
صفوت عبد الجواد

١٩٧٣ م تتكون من أربعة عشر فرعاً وتشرف على ٣٦ مسجداً فى مختلف أنحاء النمسا ، وأن الجمعية لديها قانونيون مسلمون يقومون بتنفيذ ودراسة القانون النمساوى القائم لمطالبة السلطة النمساوية بأن يتضمن القانون اعطاء حقوق المسلمين المقيمين فى النمسا .

استثمار الوسائل العلمية

بدأ التخطيط لإنشاء بنك للمعلومات المتعلقة بالإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة النبوية . واستثمار الوسائل العلمية فى الأبحاث الاسلامية . وهو ما أوصت به ندوة الاعجاز العلمى التى عقدت فى مكة المكرمة .

ناشدت الندوة العمل على التنسيق بين الجهود والمؤتمرات العلمية التى تتناول الاعجاز العلمى للقرآن والسنة ، وأن تتضمن مناهج الدراسة نواحى الاعجاز .

المسلمون فى العالم

أظهرت دراسة أخيرة أجرتها المجموعة الأوربية لدراسة القيم ومقرها « أمستردام » بالتعاون مع معهد جالوب لقياس الرأى العام الشهير أن موجة الالحاد بدأت فى الانحسار فى حين بدأ الايمان يشرق على العالم من جديد حيث يتقدم الاسلام السباق نحو الايمان .

وقد أعلن جورج جالوب مدير معهد « جالوب » الأمريكى الشهير فى مؤتمر صحفى على هامش المؤتمر الدولى للمبشرين الذى افتتح مؤخراً فى « أمستردام » أن ٧٩٪ من سكان العالم متدينون طبقاً لأرقام دائرة المعارف المسيحية عام ١٩٨٦ م وذلك مقارنة بعدد المتدينين فى عام ١٩٧٠ م حيث بلغوا ٧٢٪ .

مجلة الأزهر : نرجو الا يسرع القارىء إلى الثقة فى هذا المصدر ، فإن معهد جالوب إذ قال : « يتقدم الاسلام السباق نحو الإيمان » فإنما يقولها لتنشيط المقاومة ضده ليس غير .

نشاط اسلامى بهولندا

ذكرت المصادر الاسلامية والصحفية بهولندا أن الدعوة الاسلامية فى هولندا فى ازدياد مستمر حيث ذكرت المصادر أن أكثر

من جمعية اسلامية تم انشاؤها فى المدن والقرى الهولندية ..

وخرج الشيخ محمد بن ناصر مندوب وزارة الشئون الاسلامية بهولندا أن الجاليات الاسلامية هناك تنتظم فى أعمال إسلامية جماعية وتحتاج إلى معونات مادية وعلمية من دول العالم الاسلامى .

فريق من الباحثين المسلمين

قررت لجنة الاعجاز العلمى التابعة لرابطة العالم الاسلامى وضع خطة منهجية لإعداد جيل من العلماء والباحثين لدراسة المسائل العلمية فى ضوء القرآن الكريم والحديث الشريف .

صرح بذلك الدكتور عبد الله عمر نصيف أمين عام الرابطة .

وقال : إنه تم اختيار عشرة من العلماء لبلورة أهداف اللجنة ومتابعة توصياتها . وهم الشيوخ والدكاترة : عبد المجيد الزندانى ، وسيد سابق ، ومحمد متولى الشعراوى ، ومناع القطان ، وعبد الله البسام ، وعبد الله الزايد ، وفاروق الباز ، وإبراهيم بدران ، ومحمد عمر جمجوم ، وصالح السامرائى .

وأضاف الدكتور عمر نصيف : أن اللجنة ستبحث أيضاً تشجيع الاتجاه العلمى المتخصص فى مجال الاعجاز العلمى للقرآن والسنة ، ووضع القواعد والمناهج وطرق البحث العلمى التى تضبط الاجتهادات وما يتوصل إليه العلماء والمؤسسات العلمية مما له صلة بالقرآن والسنة .

مؤتمر اسلامى طبى

تنظم جامعتا الأزهر وعين شمس مؤتمراً دولياً للطب الاسلامى ، يعقد يوم ٢ فبراير القادم . ولمدة ثلاثة أيام بمبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة لمناقشة القضايا الطبية المعاصرة التى تحتاج إلى رأى الاسلام فيها . وسيناقش المؤتمر الدولى أساليب الوقاية والقواعد الصحية التى وضعها الاسلام لحماية أفراده ، كذلك يدرس المؤتمر أسبقية وقاية الدين الاسلامى بتشريعاته التى جاء بها الرسول ﷺ لكافة المسلمين من الاصابة من الأمراض التى انتشرت فى الوقت الحاضر فى العالم المتحضر وسوف يشارك فى المؤتمر لفيف من العلماء والأطباء من مختلف أنحاء البلدان الاسلامية والعربية .

خطة جديدة

قررت منظمة الاذاعات العربية وضع خطة جديدة للعمل الاعلامى الاسلامى . وذلك خلال الدورة الحالية للمنظمة التى عقدت فى جدة .

وصرح الأستاذ أحمد فراج الأمين العام لمنظمة إذاعات الدول الاسلامية بأن الخطة الجديدة للمنظمة تتضمن عدداً من الاقتراحات بإنشاء اذاعات جديدة لخدمة أهداف الدعوة الاسلامية وإحياء التراث الاسلامى وإبراز الثقافة الاسلامية وكنوز الحضارة على مدى العصور .

ندوة اسلامية لشئون القدس

عقد المؤتمر الاسلامى العام لبيت المقدس فى عمان مؤخراً ندوة إسلامية لشئون القدس بهدف تحديد رؤية إسلامية واضحة عن قضية القدس على المستويات المحلية والعربية والاسلامية والدولية .. وكذلك عن الأخطار الصهيونية والاستيطانية الموجهة إلى المدينة المقدسة والمقدسات الاسلامية فيها ..

وللتعرف على الأوضاع السكانية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمية للمدينة تحت الاحتلال .

كما هدفت الندوة إلى وضع خطة عملية لرعاية المقدسات الاسلامية وصيانتها والحفاظ على طابعها الاسلامى وتحديد ملامح خطة إعلامية شاملة وواسعة للتعريف بقضية القدس محلياً وعربياً واسلامياً . وقدم عدد من المختصين أوراق عمل عن خطة عملية لرعاية المقدسات وصيانتها ..

● بناء على توجيهات الامام الأكبر شيخ الأزهر تم إرسال مجلة الأزهر لأكثر من خمسين مركزاً ثقافياً وإعلامياً بالخارج تم ذلك بناء على التنسيق بين هيئة الاستعلامات والتمثيل الثقافي بالتعليم العالي .

اعلان نتيجة اعارات مجمع البحوث الاسلامية

● اعتمد فضلية الامام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر نتيجة مبعوثي الأزهر للخارج هذا العام وقد شملت الحركة إيفاد مجموعات من علماء الأزهر والمدرسين والمدرسات إلى مختلف دول العالم وذلك في مجال تعاون الأزهر مع مختلف الدول العربية والإسلامية .

مدير المعاهد الازهرية رئيسا لبعثة الحج الرسمية للازهر الشريف

● أصدر فضيلة الامام الأكبر قرارا بأن يرأس فضيلة الشيخ عبد الجواد مسعود مدير الادارة المركزية للمعاهد الأزهرية بعثة الحج الرسمية للأزهر وتضم البعثة ثلاثين عضوا .

من خير ما كتب

الأستاذ / نجيب محفوظ .

حول المسألة الأخلاقية

خسارتنا فى الأخلاق فى مقدمة خسائرنا جميعاً . قد تلح علينا ذكريات مرة مثل الديون المتراكمة والنمو السكانى الفادح وتردى الادارة وتدهور الهياكل الأساسية واختلال ميزان الصادر والوارد وتعثر الصناعة والزراعة فننسى فى غمارها الأخلاق وما اعتراها من فساد أو لا نضعها فى موضعها المناسب من جدول السلبيات ..

على حين أنها تكمن فى الأساس وتنفث سمومها وراء كل سلبية من السلبيات . ولا أقرر ذلك من منطلق يأس . فأنه لا يغيب عنى الجهد الصادق المبذول للترميم والتجديد والإصلاح ولا التخطيط المبنى على العلم والشورى المستلهم من الإيمان والوطنية ولكنى أعترف بواقع واقر بحقيقة . وأنه لا نجاح ولا تقدم بغير أخلاق نقية صلبة . تمد صاحبها بالعزيمة والاصرار والانتماء والايثار والوفاء للوطن والمواطنين والقيم السامية . أجل ما من مجتمع يخلو من فساد ولكنه يمارس عادة فى هامش محدود يظل معه الكل سليماً صحيحاً آمناً . أما مجتمعنا فقد تعرض لآفات شرسة نتيجة لحكم شمولى غاشم وحروب طاحنة وأزمات اقتصادية واحباطات متلاحقة فنسى نفسه وتقاليده النبيلة وذهل عن مبادئه وتردى فى الانتهازية والأنانية وهرول نحو النجاح الرخيص فى استهتار ماجن ولا مبالاة مخزية . ولو أنك تقصيت عن أسباب خسائرنا لوجدت أنها ترجع إلى الفساد بمثل ما ترجع إلى سائر الاحباطات ، وهكذا أعنا التحديات على أنفسنا بالهزيمة أمام الشهوات . ولن تنفعنا الخطط الخمسية وحدها ما لم تؤيدها الشخصية القوية المؤمنة المنتمية المتطلعة إلى الحق والخير والجمال . ومن حسن الحظ أن الجو قد تهيأ للبعث الأخلاقى بفضل ديموقراطية تحترم حقوق الانسان . وقدوة فى القيادة هى مثال طيب للطهارة والوطنية ، وأخيراً وليس آخراً بذلك النزوع المبين نحو الدين القويم الذى يدل على رغبة حارة فى التكفير والتطهر . وما علينا إلا أن ندعم الجوانب الايجابية فى استمرارية لا تنقطع حتى نرد المواطن إلى أحسن تقويم ، فهو ثروتنا الحقيقية التى نعتمد عليها فى مشوارنا الطويل .

عبد الفتاح السيد عبد السلام

الدكتور عبد الجليل شلبي
الأمين العام الأسبق
لمجمع البحوث الإسلامية

قرآن وسنة

الماسونية جماعة يهودية قامت لخدمة اليهود الذين شتتوا في أنحاء العالم منذ حطم القائد الروماني نيطس معبدهم سنة ٧٠ م .. ولها مسلك ملتو خفي - فهي

تهدف إلى تحطيم الأديان ورد الناس جميعاً إلى اليهودية وحدها - وطبعاً لن يكون الناس يهوداً من الشعب المختار .

ولكنهم يدينون له بالخضوع ويولونه ما يستحقه من إحترام إذ هو الشعب الذي يدين بالدين الصحيح ويدعو له - لانها جماعة ذات مبادىء سرية واغراض غير معلنة تلونت في مختلف العصور والأمكنة بألوان تلائم الوسط الذي تعيش فيه فروعها .

وقد وضع الحجر الأساسي الأكبر محفل ماسوني في فلسطين المحتلة عقب حرب سنة ١٩٦٧ ، وجاء في خطبة الحاخام الإسرائيلي : (أيها الاخوة الماسونيون من كل بلاد العالم) نحتفل اليوم بوضع الحجر الأساسي لأكبر محفل ماسوني في العالم كله ، ليضىء الطريق امام الماسونية لتحقيق أهدافها - إن هدفنا جميعاً واحد وهو العودة بالشعوب كلها إلى اول دين محترم ..

وما عداه اديان باطلة .. وسيأتي يوم يتحطم فيه الدين المسيحي والدين الاسلامي ويتخلص المسيحيـون والمسلمـون مـن معتقداتهم الباطلة المتعفنة .

وتقدم المحفل الماسوني البريطاني بعد هذه الحرب بطلب إلى بلدية القدس لشراء المسجد الأقصى ليقام مكانه هيكل سليمان ..

وتوجد الآن كتيبات عن أسرار الماسونية وأهدافها وكلها تدور حول هذه المبادىء ، ولا تجهر بأغراضها ولا تتخذ دائماً اسم الماسونية .

الفهرس السنوى

لمقالات المجلد الثامن والخمسين

من مجلة الأزهر سنة ١٤٠٦

مرتبا حسب الحروف الهجائية

اعداد

حسن سليم حسن صالح
موافي عز الدين محمود

الفهرس السنوى

بأسماء كتاب المجلد الثامن والخمسين

من مجلة الأزهر

إعـــــداد

أبو القاسم عبد الكريم عبد الموجود
كمال الدين عبد اللطيف السيد

←

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

مراجعة وعناوين داخلية

الأستاذ / عبد المنعم ابراهيم مهنا

RAMADAN 1406

1. Hunayn And Al-Taif.
   By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. Translations from Riyad El-Saleheen.
   By: Soliman Barakat.

3. Faith And The Good Deeds.
   By: Hadeer Refat-Abo El-Nagah.

SHAWAL 1406

1. The Seege Of Al-Taif
   By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Relevance of The Qur'an To Human Nature.
   By: Abdullah M. Khouj.

3. The Prophet Muhammad In The Holy Qur'an.
   The Man And The Apostle (Part I)
   By: Ahmed Shafik El-Khatib.

ZU-Al-QIDA 1406:

1. The Stay Al-Jirrnah
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Quest For Beneficial Knowledge (Part I)
   By: Abdullah M. Khouj.

3. Al Qur'an : The Source of Human Knowledge.
   By: Robert D. Crane.

4. The Prophet Muhammed In The Holy Qur'an.
   The Man And The Apostle
   By: Ahmad Shafik El-Khatib.

ZU AL-HIJAH, 1406

1. Months At Al-Madinah
   By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Prophet in the Holy Quran.
   The Man and the Apostle (Part III)
   By: Dr. Ahmed Shafik El-Khatib.

3. Quest for Beneficial Knowledge. (Part II)
   By: Abdullah M. Khouj.

2. Pilgrimage and Remembrance of Allah.
   By: Ismail Moustafa Kira.

3. Islamic Theology after First Century of Hijra "Continued"
   By: Fawkia Hussein Mahmoud.

JUMAD-AL-AKHER 1406

1. The Triumphant return to Macca (Part I)
   BY: Anas Moustafa El-Naggar

2. The Seven Destructive Evils
   By: Nasr El Dein Abdel Fattah Sholkamy

3. Islamic Theology After The First Century of Hijra.
   By: Fawkia Hussein Mahmoud.

RAGAB 1406

1. The Triumphant Return To Macca (Part II)
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Translations from Riyad Al-Saleheen.
   By: Soliman Barakat.

3. The Seven Destructive (Vils (continued)
   By: Nasr El-Dien Abdel-Fattah Sholkamy.

4. Islamic Theology After the First Century of Hijra (Continued)
   By: Fawkia Hussein Mahmoud.

SHABAAN 1406:

1. The Stay In The Holy City:
   By: Anas Moustafa El-Naggar

2. Translations from Riyad El-Saleheen
   By: Soliman Barakat. (Continued)

3. Beware of Them Lest They Bequite Thee.
   By: Mady Abdel-Hamid Basheer.

4. To Understand The Jews Their Concept Of Value And Price.
   B: Hadeer Refat Abo-El-Nagah.

الفهرس السنوى الخاص بالقسم الانجليزى

beneficial information should be open-minded. He should not be myopic and limited to one viewpoint. His opinions should not be derived from a false source or from a bad experience. His judgments should not be restricted to one philosophy or a single method of research. Allah says:

> Those who listen to the Word, and follow the best (meaning) in it: those are the ones whom Allah has guided, and those are the ones endued with understanding. (39:18)

Allah ordered Muslims to screen and review all information they receive. Their judgments should not be prejudiced. They must understand and test all information, using Divine principles as the ultimate measurement of what is good and useful and what is bad and harmful.

To sum up, Divine knowledge determines which sources of knowledge are useful and which are harmful. By having Divine guidance, scholars such as social and physical scientists enrich their lives and orient their academic fields of inquiry. Scholars enriched in this way are not motivated by the desire for material wealth or for prestigious positions. Their true wish is to maximize their potentials, while realizing their weaknesses and shortcomings. Given its importance, beneficial knowledge should be a primary part of any educational curriculum, whether formal or informal. Both educational and professional institutions must impart Divine knowledge. Both children and adults need this guidance. Although the Muslim should try to learn from every experience, he must understand that scientific knowledge is only one source of knowledge, not the ultimate key to human happiness.

---

*Dr. Abdullah M. Khouj is Director of The Islamic Center, Washington, D.C., and Associate Professor at Umm Al-Qura University, Saudi Arabia.

ability are obliged to instruct and guide other people. Scholars, the inheritors of knowledge, must teach proper beliefs.

> Nor should the believers all go forth together: if a contingent from every expedition remained behind, they could devote themselves to studies in religion, and admonish the people when they return to them,--that thus they (may learn) to guard themselves (against evil). (9:122)

Prophet Muhammad (PBUH) felt that there should be a reciprocal relationship between scholars and other people. He stated that those who know should teach those who do not know. Less knowledgable people should try to learn from righteous scholars. The Muslim should not hesitate to ask questions and to travel to get answers. Even the most honored people, such as Allah's prophets (PBUT), traveled in pursuit of beneficial knowledge.

> High above all is Allah, the King, the Truth! Be not in haste with the Qur'an before Its revelation to thee is completed, but say, "O my Lord! advance me in knowledge." (20:114)

For example, Prophet Musa (PBUH) heard about a wise man who knew many things. He visited this wise man in the hope of gaining beneficial knowledge.

> Moses said to him: (May I follow thee, on the footing that thou teach me something of the (higher) truth which thou hast been taught?" (The other) said: "Verily thou wilt not be able to have patience about things about which thy understanding is not complete?" Moses said: "Thou wilt find me, if Allah so will, (truly) patient: nor shall I disobey thee in aught." (18:66-69)

The fourth principle is that the person searching for

> And pursue not that of which thou hast no knowledge; for ever act of hearing, or of seeing or of (feeling in) the heart will be enquired into (on the Day of Reckoning). (17:36)

Regardless of his intellectual ability, a person should not blindly accept every piece of information given to him, for blind obedience inhibits growth and development. Those who blindly imitate other human beings are victims of ignorance. Even the intelligent person accepting fallacious comments impedes his development. Ignorance is not illiteracy. An ignorant person, the one not espousing any moral principles or values, does whatever he desires and refuses to accept responsibility and sound judgment. His mind is consumed with useless information.

Two negative effects of ignorance are the ruination of the individual and the destruction of the society. Allah describes those people of Moses' nation who envied Qarun as ignorant. These people were narrow-minded and controlled by their materialistic desires.

> So he went forth among his people in the (pride of his worldly) glitter. Said those who aim is the life of this world: "Oh! that we had the like of what Qarun has got! For he is truly a lord of mighty good fortune!" (28:79)

If these people had acquired beneficial knowledge, they would have realized that material possessions are only temporary and that the temptation to amass material wealth can be detrimental. True wealth comes from Allah on the Day of Judgment. Worldly possessions are no true symbols of an individual's prosperity, but can be a mirage of false security.

As stated in the Qur'an, those blessed with teaching

justice and to spread love and kindness. He also has a clear perception of his own worth, which becomes the impetus enabling him to actualize all his potentials. The individual who knows the truth must reveal it in an honest manner. He also is obliged to make only true comments. When a person makes conjectures based on false evidence, he reveals his false imagination and distorted perception of reality. In turn, he has erroneous beliefs as a result of this perception of reality. Because truthfulness is so important and is derived from the unity of belief, people should use their sound intellect to ascertain whether something is true or false. Thus the unity of belief brings about truthful results. Allah says:

> No son did Allah beget, nor is there any god along with Him: (if there were many gods), behold, each good would have taken away what he had created, and some would have lorded it over others! Glory to Allah! (He is free) from the (sort of) things they attribute to Him! (23:91)

The third principle is the danger of blind imitation. Allah says:

> Wert thou to follow the common run of those on earth, they will lead thee away from the Way of Allah. They follow nothing but conjecture: they do nothing but lie. (6:116)

> And they say: "What is there but our life in this world? We shall die and we live, nothing but time can destroy us." But of that they have no knowledge: they merely conjecture: And when Our Clear Signs are rehearsed to them, their argument is nothing but this: they say, "Bring (back) our forefathers, if what ye say, "Bring (back) our forefatherss, if what ye say is true!" (45:24-25)

Knowledge is the vehicle man uses to gain status and authority. It gives him a sense of responsibility and makes him realize his rights and duties. The more status an individual has, the more responsible he becomes.

One of the most important duties of man is to illustrate Allah's Uniqueness and Wisdom by applying the Divine Laws and by acquiring and displaying knowledge.

> There is no god but He: that is the witness of Allah, His angels, and those endued with knowledge, standing firm on justice. There is no god but He, the Exalted in Power, the Wise. (3:18)

The implementation and use of this knowledge can be achieved through four basic principles.

The first principle is that individuals should reject any information not supported by sound evidence; that is, any knowledge incongruent with Divine knowledge is unacceptable. An individual must seek the truth and have evidence to support every statement. If an individual does this, he is better equipped to accept and apply this principle of truthfulness in his worldly life and in the other life.

> And they say: "None shall enter Paradise unless he be a Jew or Christian." Those are their (vain) desires. Say: "Produce your proof if ye are truthful." Nay,--whoever submits his whole self to Allah and is a doer of good,--he will get his reward with his Lord; on such shall be no fear; nor shall they grieve. (2:111-112)

The second principle is truthfulness, of which one component is the rejection of false information. The truthful man is honest with himself and with others. Because he realizes his weaknesses and strengths, he tries to seek

THE QUEST FOR BENEFICIAL KNOWLEDGE

Dr. Abdullah M. Khouj

Part II

Prophet Muhammad (PBUH) said that the search for knowledge is an extremely significant act of worship and that the acquisition of beneficial knowledge is an honorable task. The Prophet (PBUH) also encouraged both men and women to seek knowledge.

The person having beneficial knowledge can improve his life and take his rightful place as vicegerent of the earth, a position reflecting man's status as the highest of the created beings. Beneficial knowledge can be used to better the human condition and to lift man to the highest stage of existence. Scientists, engineers, and researchers can use their knowledge to improve the human condition and to use wisely the natural resources in their environment. Man's use of iron to improve his life illustrates this point. Throughout human history men have used iron to make suitable items.

> We sent aforetime our apostle with Clear Signs and sent down with them the Book and the Balance (of right and wrong), that men may stand forth in justice; and We sent down iron, in which is (material for) mighty war, as well as many benefits for mankind, that Allah may test who it is that will help, unseen, Him and His apostles: for Allah is Full of Strength, Exalted in Might (and able to enforce His Will). (57:25)

A more detailed study of each of the preceeding sections can be attempted as a seperate entity of Quranic research.

1. See also: Al-Saffat (XXXVII, 171), Ghafir (XL, 51); Al-i-Imran (III, 184); Al-Hijr (XV,3); and Al-Zariyat (L1,52).

2. See also: Al-Hijr (XV, 97); Al-Rum (XXX,52); Al-Ahqaf (XLVI,35); and Al-Naml (XXVII,10).

3. See also: Al-Shuraa (XXVI,2); Fatir (XXXV,8).

4. See also: Al-Maida (V,41).

5. See also: Al-Ra'ad (XIII,40).

6. See also: Al-Furgan (XXV,56); Al-Baqara (II,119).

7. See also: Al-Nahl (XVI,89); Al-Nisa (IV,41), Al-Ahzab (XXXIII,45-47); and Al-Muzzammil (LXXIII,15).

8. See also: Al-Anbiya (XXI,7-8); Al-Zummar (XXXIX,30-31).

---

* The original paper by Dr. Muhammad Elsayed Tantawy, was written in Arabic and was sumbitted to the Fourth Conference on Sira and Sunna (The Prophet's Biography and Traditions) that was held in Cairo on Safar 18 - 24, 1405 A.H. (November 1 - 7, 1985 A.D.).

angel, and that any miracles or supernatural deeds attributed to a human being must be magic. The Holy Quran has refuted the claims of those ignorant unbelievers, ascertaining that the Prophet is a human being. This refutation took various forms such as.

A. Showing that all Prophets were Human Beings:

> "Nor did we send before thee (as Apostle) any but men, whom we did inspire, (Men) living in human habitations..... "
>
> Surat Yusuf XII, 109) [8]

B. Making it Incumbent on the Prophet to Reply to the unbelievers:

> "Say thou: I am but a man like you: It is revealed to me by inspiration, that your Allah is One Allah: so stand true to Him, and ask for His forgiveness.' And woe to those who join goods with Allah, ... ".
>
> (Surat Fussilat, XLI, 6)

C. Showing that every Prophet was sent speaking the Language of his Community:

In addition to the fact that all Prophets were human beings, every Prophet spoke the same language his people spoke.

> " We sent an apostle except (to teach) in the language of his (own) people, in order to make (things) clear to them. No Allah leaves straying those whom He pleases and guideth whom He pleases: and He is exalted in power, full of Wisdom.
>
> (Surat Ibrahim, XIV, 4)

The above is only a glimpse of the Qur'anic verses which deal with Prophet Muhammad (Prayers and Peace from Allah upon him) both as a human being and as a Prophet.As has have already considered the verses referring to the Prophet have various purposes which were classified.

mean mischief). For Allah guideth not those who reject faith."

(Surat Al-Ma'ida V, 70).[5]

B. Giving Glad Tidings and Warning:

"We have not sent thee but as a universal (Messenger) to men, giving them glad tidings, and warning them (against sin) ..."

(Surat Saba' XXXIV, 28)[6]

C. Bearing Witness:

The Our'an includes some verses to the effect that the Prophet will bear witness (on the Day of Judgement) that he has conveyed Allah's message to all humanity.

"One day we shall raise from all peoples a witness against them, from amongest themselves: and we shall bring thee as a witness against these (thy people ..."

(Surat Al-Nahl XVI, 89)[7].

IV. Ascertaining that the Prophet is a Human Being

That all Prophets are human beings is an undisputed fact. But the unbelievers, out of ignorance and falsification of the truth, denied that the Prophet was a human being. The Holy Quran speaks of such denial.

"Closer and closer to mankind comes their Reckoning: yet they heed not and they turn away.
Never comes (aught) to them of a renewed message from their Lord, but they listen to it as in jest,
Their hearts toying as with trifles.
The wrong-doers counsels their private counsels (saying), "Is this (one) more than a man like yourselves ? Will yet go to witchcraft with your eyes open ?

(Surat Al-Anbiya XX1, 1 - 3)

The unbelievers wrongly held that a Prophet had to be a

It is worth noting here that Allah used the indefinite noun "an Apostle" in the first verse (67) so that the reproach is not directed straight to Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him).

C. Some Muslims went to the Prophet to excuse themselves from participating in the Battle of Tabouk, Deep down they told themselves: If the Prophet excuses us we will stay home; if he does not excuse us, we will stay all the same. The Prophet allowed those hyporites to stay home, apparently without making sure of the reality of their excuses. In the context, the Holy Quran states:

> "Allah give thee grace! Why didest thou grant them exemption until those who told the truth were seen by thee in a clear light, and thou hadst proved the liars?"
> (Surat Al-Tawba, IX,43).

Note in the aforementioned verse that the pardon preceded the cause of the reproach. This is indicative of the high position in which Allah places his Prophet. Some scholars of Islam have commented on this verse by saying: Have you ever heard of a reproach better than this? Allah addressed his Prophet with pardon before indicating what the pardon was for.

III Accurate Definition of the Prophet's Mission:

The Holy Our'an speaks of the sublime mission which Allah Almighty has entrusted to Prophet Muhammad (Prayers and Peace from Allah upon him) when he was sent to all humanity. Foremost among the duties of the Prophet were: A. Conveying the Message, B. Giving Glad Tidings, and C. Bearing Witness. Dealing with each of these duties and quoting some relevant Qur'anic verses.

A. Coveying the Message:

Allah Almighty has ordered the Prophet to transmit the message that was given him.

> "O Apostle! proclaim the (Message) which hath been sent to thee from thy Lord. If thou didst not, thou would not have fulfilled and proclaimed his mission And Allah will defend thee from men (who

A. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was addressing a dignitary of Quraysh invoking him to become a Muslim. Meanwhile Ibn Om Maktoum, a blind Muslim, came to the Prophet to ask him about something. In view of the man's persistence and the Prophet's occupation addreassing the dignitary, the Prophet could not help frowning, leaving Ibn Om Maktoum aside, and continuing to talk with the Quraishi dignitary. That was the reason for the reproach as revealed in the Holy Quran.

> "(The Prophet) frowned and turned away, because there came to him the blind man (interrupting). But what could tell thee but that perchance he might grow (in spiritual understanding),
> Or that he might receive admission, and the teaching might profit him? As to one who regards himself as self-sufficient, to him does thou attend; Though it is no blame to thee if he grow not (In spiritual understanfing). But as to him who came to thee striving earnstly, And with fear (in his heart) Of him wast thou unmindful. By no means (should it he so) ! for it is indeed a Message of instruction"
>
> (Surat Abasa, LXXX, 1-11).

B. On the day of the Battle of Badre, the Muslims took seventy unbeliievers captive. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) consulted his companions about what should be done to these captives. Abu-Bakre was of the opinion to take ransom from them and let them go. On the other hand, Omer Ibn Al-Kattab was of the opinion that they should be killed. The Prophet felt inclined towards Abu-Bakre's opinion. The following verses were them revealed:

> " It is not fitting for an Apostle that he should have captives until he hath thoroughly subdued the land. Ye look on the temporary goods of this world; but Allah looketh to the Hereafter; and Allah is Exalted in Might, Wise.
> Had it not been for a pervious ordainment from Allah, a severe penalty would have reached you for the (ranson) that ye took"
>
> (Surat Al-Anfal, VIII, 67-68).

B. Urging the Prophet to be patient and to praise Allah much:

> "Therefore be patient with what they say, and celebrate (constantly) the praises of thy lord, before the rising of the sun, and before its setting; Yea, celebrate them for part of the day: that thou mayst have (spiritual) joy."
>
> (Surat Taha, XX, 130)

C. Urging the Prophet not to regret the obstinacy of unbelievers:

> "Thou wouldst only, perchance, fret thyself to death, following after them, in grief, if they believe not in this message"
>
> (Surat Al-Kahf, XVIII, 6)

D. Informing the Prophet of the fate of unbelievers:

> "We know indeed the grief which their words do cause thee: It is not thee they reject : It is the Signs of Allah, which the wicked contemm."
>
> (Suvat Al-Anam, VI, 33)[4]

E. Reassuring the Prophet:

> "All that we relate to thee of the stories of the Apostles, with it We make firm thy heart: in them there cometh to thee the Truth, as well as an exhortation and a message of remembrance to those who believe".
>
> (Surat Hud, XI, 120)

II. Tender Reproach and Subtle Direction:

Allah Almighty reproached the Prophet tenderly and directed him subtly towards what was better for the call. This reproach was necessary because of certain understanding on the part of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) on certain occasions.

THE PROPHET IN THE HOLY QUR'AN

THE MAN AND THE APOSTLE

Dr. Ahmed Shafik Elkhatib. Ed.D.

Part III

In the name of Allah, most Gracious, most Merciful.

In parts I and II of this treatise, the first four purposes of the Quranic verses dealing with the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) were discussed. The present part deals with four other purposes namely:-

1 - Providing relief and support to the Prophet.
2 - Tender reproach and subtle direction.
3 - Accurate definition of the Prophet's mission.
4 - Ascertaining that the Prophet is a human being.

I. Providing the Prophet with relief and support.

The Prophet (prayers and peace from allah upon him) was exposed during the years of his call to various kinds of harm and derision. This did not cause him to divert from the path which Allah has drawn for him. However, being human naturally made the Prophet feel sorry and angry caused by the attitude of the unbelievers. Allah provided relief, support and confirmation to the Prophet in various verses of the Holy Quran.

A. Showing that previous Prophets have been hurt:

"Rejected were the apostles before thee: with patience and constancy they bore their rejection and their wrongs, until our aid did reach them: there is none that can alter the Words (and Decrees) of Allah. Already hast thou received some account of those apostles.

(Surat Al-An am, VI, 34)

the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) were highly threatened.

They must show and exercise genuine repentance to Allah. This repentance must be dictated by their hearts and coinscience and must purify them from all feelings of selfish obstinacy. The duties and responsibilities of the wives of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) are certainly more than ordinary women with certain class of faith and belief.

The wives of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) truely showed repentance, and learned their lesson from that particular act of misconduct on their part. Relations returned to their normal peaceful nature, offering the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) the peaceful homely environment he so much required and deserved.

Prayers and peace be upon our magnanimous prophet.

his wives. This lasted for a whole month, during which the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) did not see any of his wives, and did not allow any of his companions, even the most intimate, to discuss anything related to his wives. Everybody was highly concerned about what would befall these women from the wrath of Allah upon them. In the Holy Quran, they were deliberately warned:

> " O Prophet ! say to thy consorts if it be that ye desire the life of this world, and its glitter, then come, I will provide for your enjoyment, and set you free in a handsome manner. But if yes seek Allah and his Apostle, and the Home of the Hereafter, verily Allah has prepared for the well-doers amongst you a great reward".
> (Surat Al-Ahzab, XXX 11,28,29).

A rumor spread that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) divorced his wives. This was unfounded, yet it caused great apprehension among the Muslims, and a deep feeling of regret and repentance among the wives of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Abu-Bakre father of Aiyshah, and Omar Ibn Al-Khattab father of Hafsah, both wives of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) were the most seriously concerned. It was Aiyshah and Hafsah who initiated and engineered the rebellious discontent in the homes of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and among his other wives. The Holy Quran indicates very clearly the decree of Allah regarding this matter.

> "If ye turn in repentance so inclined. But if ye back up each other against him; truly Allah is his protector, and Gabriel and every righteous one among those who believe,- and furthermore, the Angels will ack him up. If it my be that he divorced you (all) that God will give him in exchange consorts better than you, who submit their wills, who believe, who are devout, who are repentant, who worship in humility, who have faith, and fast; previously married and virgins"
> (Surat Al-Tahrim LXVI, 4)

From these verses, it became clear that the wives of

Zuhayr Ibn Abi Salma was urged by his brother Bujayr who had entered Islam after Hudaybiyah, to go to Al-Madinah and ask forgiveness from the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Kaab Ibn Zuhayr finally came to Al-Madinah, joined the congregation for dawn prayer, after which he faced the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), declared his identity asked forgiveness and acceptance into Islam. He made repentance for his previous satirical poems against Islam and the person of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

During the month of Zu Al-Hijja of the eighth year, Mariah, the Coptic bond maid wife of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) gave birth to a son Ibrahim. She was attended by Salma who had attended the birth of all the children of khadijah. The birth of Ibrahim aroused jealousy among the wives of the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him). There was great rejoice in Al-Madinah, and strong rivalry among the women as to who should be the foster mother. The choice fell on Umm Barrah Bent Al-Munther Ibn Ussaid the wife of Al-Barraa Ibn Aws Ibn Khalid Ibn Al-Gaad, a black smith living in the neighbourhood of the home of Mariah at the outskirts of Al-Madinah

The happiness and tranquility in the the life of the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) was incomplete. His eldest daughter Zainab was seriously ill since she left Macca as emigrant to Al-Madinah when she was hurt by Meccans and aborted. Her long sickness terminated in death. The death of Zainab, and before that Ruquayah, and Umm Kulthum, left Fatimah as the only child to the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him). This made the birth of Ibrahim a wellcomed event.

The birth of Ibrahim activated a feeling of jealousy among the wives of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). This came about to add to an already existing feeling of discontent and rebellious conduct which they had been practicing for sometime. The patience, supreme kindness of manners and tolerance exercised by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) towards his wives encouraged them to become more rebellious and spiteful. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) could not occupy his time in such trivial matters as the unfounded silly discontent and rebellious attitudes of his wives. Certainly matters of paramount importance required attention, matters that concerned Islam and Muslims. The Prophet (prayers and peace from Allah uponb him) decided to forsake and abandon

from Bani Tamim came to Al-Madinah including three distinguished leaders Atared Ibn Hajib, Zuberquan Ibn Badre and Amre Ibn Al-Ahtam. They waited to meet the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) and when they became restless, they called out his name loud with a tone of rough impatience. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) came out not approving their conduct. In this context the Qur'an states.

"O ye who believe! raise not your voices above the voice of the Prophet, Nor speak aloud to him in talk, as ye may speak aloud to one another ..."
(surat Al-Hujurat, XLIX, 2).

After prayer, they convened with the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) and embraced Islam. They returned taking their captives with them.

During the month of Rabie Al-Awal of the nineth year of Hijrah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) commissioned Ali Ibn Abi Taleb to lead a contingent of men against the tribe of Tayy whose territory lay to the north-east of Al-Madinah. Instructions were to destroy the temple of "Fuls" a centre of idol worship for those people of the tribe of Tayy. Tayy was the tribe of the famous poet Hatim known throughout Arabia for his chivalry and fabulous generosity. Adii, son of Hatim succeeded his father as the chief of the tribe of Tayy.

At the approach of Ali and his men, Adii escaped with his immediate family except for one of his sisters who was taken captive with many others of the tribe of Tayy. When she was brought before the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), she threw herself at his feet and begged him to set her free. "My father would free the captive, lodge the guest, feed the hungry and comfort those in distress; I am the daughter of Hatim El-Tayy". The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) answered her with kind words and instructed her freedom, saying "Let her go, for her father loved noble ways, and Allah loveth noble ways". She went in search of her brother Adii and persuaded him to go to Al-Madinah. There, Adii embraced Islam, and pledged his allegiance to Muslims. His chieftaincy of Tayy was reinstated and he proved there after to be a faithful and influential muslim.

With new multitudinous entries into Islam, Kaab Ibn

MONTHS AT AL-MADINAH

By. Dr.Anas Moustafa El-Naggar M.D, PHD

In the name of Allah most Gracious most Merciful.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) returned to Al-Madinah from Al-Jirranah after the distribution of the spoils of the battle of Hunain, and after performing Umrah. He and his companions arrived at Al-Madinah at the end of the month of Zu Al-Qida of the eighth year.

After the return to Al-Madinah, several contingents were sent out to summon people to Islam. Qays Ibn Saad was sent with four hundred men to the tribe of Sadaa. Delegates from Sadaa arrived at Al-Madinah and declared Islam, and went back to their people to teach Islam among their clans.

Al-Walid Ibn Uqubah Ibn Abi Mayiet was deputized to collect the Zakat from Bani Al-Mustalaq. When they heard of his arrival, several of them rode out to greet him. Al-Walid thought they rode out to kill him, He quickly returned to Al-Madinah and informed the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) that Bani Al-Mustalaq refused to pay Zakat and wanted to kill him. Khalid Ibn Al-Waleed was commissioned to ride to them and find out the real facts. When Khalid arrived to their homes, they were calling for prayer and praying, and Khalid witnessed nothing disobedient in their behavior.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) deputized Bishr Ibn Sufyan Al-Adawi to Bani Kaab from Khuzza to collect their Zakat. Their neighbour Bani Tammim stopped them from paying the Zakat. Uyaynah Ibn Hisn was sent leading a contingent of fifty men, raided their homes, and returned to Al-Madinah with eleven men, twenty women, and thirty youngs as captives. When this happened, a delegation

AL-AZHAR MAGAZINE

ZU AL-HIJAH, 1406

CONTENTS

Preparation of prints by: Mrs. Fatimah Muhammed Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION